الفقير الحقير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل القرآن كلاما مؤلفا منظما ونزله بحسب المصالح
منجما وجعله بالتحميد مفتتحا وبالاستعاذة مختتما واوحاه على قسمين
متشابها ومحكما وفصله سورا وسوره آيات وميز بينهن بفصول وغايات
وما هي الا صفات مبتدئ مبتدع وسمات منشئ مخترع فسبحان
من استأثر بالاولية والقدم ووسم كل شيء سواه بالحدوث عن العدم انشاه كتابا
ساطعا تبيانه قاطعا برهانه وحيا ناطقا ببينات وحجج قرآنا عربيا غير ذي عوج مفتاحا
للمنافع الدينية والدنياوية مصدقا لما بين يديه من الكتب السماوية معجزا
باقيا دون كل معجز على وجه كل زمان دائرا من بين سائر الكتب على كل لسان في كل مكان
افحم به من طولب بمعارضته من العرب العرباء وابكم به من تحدى به من مصاقع
الخطباء فلم يتصد للاتيان بما يوازيه او يدانيه واحد من فصحائهم ولم ينهض
لمقدار اقصر سورة منه ناهض من بلغائهم على انهم كانوا اكثر من حصى البطحاء واوفر
عددا من رمال الدهناء ولم ينبض منهم عرق العصبية مع اشتهارهم بالافراط في
المضادة والمضارة والقائهم الشراشر على المعازة والمعارة ولقائهم دون المناضلة عن احسابهم
الخطط وركوبهم في كل ما يرومونه الشطط ان اتاهم احد بمفخرة اتوه بمفاخر وان رماهم بمأثرة رموه بمآثر
وقد جرد لهم الحجة اولا والسيف آخرا فلم يعارضوا الا السيف وحده على ان السيف القاضب
مخراق لاعب ان لم تمض الحجة حده فما اعرضوا عن معارضة الحجة الا لعلمهم ان البحر قد زخر فطم على
الكواكب وان الشمس قد اشرقت فطمست نور الكواكب والصلوة على خير من اوحي اليه حبيب الله ابي
القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ذي اللواء المرفوع في بني لؤي ذي الفرع المنيف في
عبد مناف بن قصي المثبت بالعصمة المؤيد بالحكمة الشادخ الغرة الواضح التحجيل النبي الامي المكتوب
في التورية والانجيل وعلى آله الاطهار وخلفائه من الاختان والاصهار وعلى جميع المهاجرين
والانصار اعلم ان متن كل علم وعمود كل صناعة طبقات العلماء فيه متدانية واقدام الصناع فيه متقاربة

موصوف بها وهذا غالب فان قلت هل لهذا الاسم اشتقاق قلت معنى الاشتقاق ان ينتظم الصيغتين فصاعدا
معنى واحد وصيغة هذا الاسم وصيغة قولهم اله اذا تحير ومن اخواته دله وعله ينتظمهما معنى التحير والدهشة وذلك
ان الاوهام تتحير في معرفة المعبود وتدهش الفطن ولذلك كثر الضلال وفشا الباطل وقل النظر الصحيح فان قلت
هل تفخم لامه قلت نعم قد ذكر الزجاج ان تفخيمها سنة وعلى ذلك العرب كلهم واطباقهم عليه دليل انهم ورثوه كابرا عن
كابر والرحمن فعلان من رحم كغضبان وسكران من غضب وسكر وكذلك الرحيم فعيل منه كمريض وسقيم من
مرض وسقم وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قالوا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا ويقولون ان
الزيادة في البناء لزيادة المعنى وقال الزجاج في الغضبان هو الممتلئ غضبا ومما طن على اذني من ملح العرب انهم
يسمون مركبا من مراكبهم بالشقدف وهو مركب خفيف ليس في ثقل محامل العراق فقلت في طريق الطائف لرجل
منهم ما اسم هذا المحمل اردت المحمل العراقي فقال أليس ذاك اسمه الشقدف قلت بلى قال فهذا اسمه الشقنداف
فزاد في بناء الاسم لزيادة المسمى وهو من الصفات الغالبة كالدبران والعيوق والصعق لم يستعمل في غير الله
عز وجل كما ان الله من الاسماء الغالبة واما قول بني حنيفة في مسيلمة رحمن اليمامة وقول شاعرهم فيه
وانت غيث الورى لا زلت رحمانا فباب من تعنتهم في كفرهم فان قلت كيف تقول الله رحمن اتصرفه ام
لا قلت اقيسه على اخواته من بابه اعني نحو عطشان وغرثان وسكران ولا اصرفه فان قلت قد شرط في
امتناع صرف فعلان ان يكون فعلان فعلى واختصاصه بالله يحظر ان يكون فعلان فعلى فلم تمنعه الصرف قلت
كما حظر ذلك ان يكون له مؤنث على فعلى كعطشى فقد حظر ان يكون له مؤنث على فعلانة كندمانة فاذن
لا عبرة بامتناع التأنيث للاختصاص العارض فوجب الرجوع الى الاصل قبل الاختصاص وهو القياس
على نظائره فان قلت ما معنى وصف الله بالرحمة ومعناها العطف والحنو ومنها الرحم لانعطافها على ما
فيها قلت هو مجاز عن انعامه على عباده لان الملك اذا عطف على رعيته ورق لهم اصابهم بمعروفه وانعامه
كما انه اذا ادركته الفظاظة والقسوة عنف بهم ومنعهم خيره ومعروفه فان قلت فلم قدم ما هو ابلغ من الوصفين
على ما هو دونه والقياس الترقي من الادنى الى الاعلى كقولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض
قلت لما قال الرحمن فتناول جلائل النعم وعظائمها واصولها اردفه الرحيم كالتتمة والرديف ليتناول

فمتفاوتة او متقاربة [illegible] الاجفلى بسيرة او بتقدم الصانع [illegible]
الا مسافة قصيرة والقادر سابقت فيه الركب [illegible] ووقع فيه الاستباق والتناضل
وعظم التفاوت والتفاضل حتى انتهى الامر الى امد من الوهم متباعد وترقى الى ان عد الف بواحد
ما في العلوم [illegible] والفقر من لطائف معان يدق فيها مباحث الفكر ومن غوامض
اسرار محتجبة وراء استار لا يكشف عنها من الخاصة الا اوحدهم واخصهم والا واحدهم
وعامتهم عماة عن ادراك حقائقها باحداقهم عناة في يد التقليد لا يمن عليهم بجز نواصيهم واطلاقهم
ثم ان املأ العلوم بما يغمر القرائح وانهضها بما يبهر الالباب القوارح من غرائب نكت يلطف مسلكها
ومستودعات اسرار يدق سلكها علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه واجالة النظر فيه كل ذي علم كما ذكر الجاحظ
في كتاب نظم القرآن فالفقيه وان برز على الاقران في علم الفتاوى والاحكام والمتكلم وان بز اهل الدنيا
في صناعة الكلام وحافظ القصص والاخبار وان كان من ابن القرية احفظ والواعظ وان كان من الحسن البصري اوعظ
والنحوي وان كان انحى من سيبويه واللغوي وان علك اللغات بقوة لحييه لا يتصدى منهم احد لسلوك
تلك الطرائق ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق الا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعاني
وعلم البيان وتمهل في ارتيادهما آونة وتعب في التنقير عنهما ازمنة وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف
حجة الله وحرص على استيضاح معجزة رسول الله بعد ان يكون آخذا من سائر العلوم بحظ جامعا بين امرين تحقيق وحفظ
كثير المطالعات طويل المراجعات قد رجع زمانا ورجع اليه ورد ورد عليه فارسا في علم الاعراب مقدما
في حملة الكتاب وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها مشتعل القريحة وقادها يقظان النفس دراكا
للمحة وان لطف شانها متنبها على الرمزة وان خفي مكانها لا كزا جاسيا ولا غليظا جافيا متصرفا ذا دربة
باساليب النظم والنثر مرتاضا غير ريض بتلقيح بنات الفكر قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف وكيف ينظم ويرصف
طالما دفع الى مضايقه ووقع في مداحضه ومزالقه ولقد رايت اخواننا في الدين من افاضل الفئة الناجية
العدلية الجامعين بين علم العربية والاصول الدينية كلما رجعوا الي في تفسير آية فابرزت لهم بعض الحقائق من
الحجب افاضوا في الاستحسان والتعجب واستطيروا شوقا الى مصنف يضم اطرافا من ذلك حتى اجتمعوا الي مقترحين ان

دق منها ولطف الحمد والمدح اخوان وهو الثنا والندا على الجميل من نعمة وغيرها تقول حمدت الرجل على انعامه وحمدته
على حسبه وشجاعته واما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح قال افادتكم النعماء مني ثلاثة
يدي ولساني والضمير المحجبا والحمد باللسان وحده فهو احدى شعب الشكر ومنه قوله عليه السلام الحمد راس الشكر ما
شكر الله عبد لم يحمده وانما جعله راس الشكر لان ذكر النعمة باللسان والثناء على موليها اشيع لها وادل على مكانها من
الاعتقاد وآداب الجوارح لخفاء عمل القلب وما في عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذي
يفصح عن كل خفي ويجلي كل مشتبه والحمد نقيضه الذم والشكر نقيضه الكفران وارتفاع الحمد بالابتداء وخبره الظرف
الذي هو لله واصله النصب الذي هو قراءة بعضهم باضمار فعله على انه من المصادر التي ينصبها العرب بافعال مضمرة في
معنى الاخبار كقولهم شكرا وكفرا وعجبا وما اشبه ذلك ومنها سبحانك ومعاذ الله ينزلونها منزلة افعالها ويسدون
بها مسدها ولذلك لا يستعملونها معها ويجعلون استعمالها كالشريعة المنسوخة والعدول بها عن النصب الى
الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات المعنى واستقراره ومنه قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام رفع السلام الثاني
للدلالة على ان ابرهيم عليه السلام حياهم بتحية احسن من تحيتهم لان الرفع دال على معنى ثبات السلام لهم دون تجدده
وحدوثه والمعنى نحمد الله حمدا ولذلك قال تعالى اياك نعبد واياك نستعين لانه بيان لحمدهم له كانه قيل
كيف تحمدون فقيل اياك نعبد فان قلت ما معنى التعريف فيه قلت هو نحو التعريف في ارسلها العراك
وهو تعريف الجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد من ان الحمد ما هو والعراك ما هو من بين اجناس
سائر الافعال والاستغراق الذي يتوهمه كثير من الناس وهم منهم وقرا الحسن البصري الحمد لله بكسر الدال
لاتباعها اللام وقرا ابرهيم بن ابي عبلة الحمد لله بضم اللام لاتباعها الدال والذي جسرهما على ذلك والاتباع
انما يكون في كلمة واحدة كقولهم منحدر الجبل ومغيرة تنزل الكلمتين منزلة كلمة واحدة لكثرة استعمالهما مقترنين
واشف القراءتين قراءة ابرهيم حيث جعل الحركة البنائية تابعة للاعرابية التي هي اقوى بخلاف قراءة الحسن الرب
المالك ومنه قول صفوان لابي سفيان لان يربني رجل من قريش احب الي من ان يربني رجل من هوازن تقول
ربه يربه فهو رب كما تقول نم عليه ينم فهو نم ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل
ولم يطلقوا الرب الا في الله وحده وهو في غيره على التقييد بالاضافة كقولهم رب الدار ورب الناقة وقوله تعالى

املي عليهم الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التاويل فاستعفيت فابوا الا المراجعة
والاستشفاع بعظماء الدين وعلماء العدل والتوحيد والذي حداني على الاستعفاء على علمي انهم طلبوا ما الاجابة
اليه علي واجبة لان الخوض فيه كفرض العين ما ارى عليه الزمان من رثاثة احواله وركاكة رجاله وتقاصر هممهم
عن ادنى عدد هذا العلم فضلا ان تترقى الى الكلام المؤسس على علمي المعاني والبيان فامليت عليهم مسئلة في
الفواتح وطائفة من الكلام في حقائق سورة البقرة وكان كلاما مبسوطا كثير السؤال والجواب طويل الذيول
والاذناب وانما حاولت به التنبيه على غزارة نكت هذا العلم وان يكون لهم منارا ينتحونه ومثالا يحتذونه
فلما صمم العزم على معاودة جوار الله والاناخة بحرم الله فتوجهت تلقاء مكة وجدت في مجتازي بكل بلد
من فيه مسكة من اهلها وقليل ما هم عطشى الاكباد الى العثور على ذلك المملى متطلعين الى ايناسه حراصا
على اقتباسه فهز ما رايت من عطفي وحرك الساكن من نشاطي فلما حططت الرحل بمكة اذا انا بالشعبة السنية
من الدوحة الحسنية الامير الشريف الامام شرف آل رسول الله ابي الحسن علي بن حمزة بن وهاس ادام الله
مجده وهو النكتة والشامة في بني الحسن مع كثرة محاسنهم وجموم مناقبهم اعطش الناس كبدا والهبهم حشا واوفاهم رغبة
حتى ذكر انه كان يحدث نفسه في مدة غيبتي عن الحجاز مع تزاحم ما هو فيه من المشادة بقطع الفيافي وطي
المهامه والوفادة علينا بخوارزم ليتوصل الى اصابة هذا الغرض فقلت قد ضاقت علي المستقال وعيت
به العلل ولكني قد اخذت مني السن وتقعقع الشن وناهزت العشر التي سماها العرب دقاقة الرقاب فاخذت
في طريقة اخصر من الاولى مع ضمان التكثير من الفوائد والفحص عن السرائر ووفق الله وسدد ففرغ منه في
مقدار مدة خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه وكان يقدر تمامه في اكثر من ثلثين سنة وما هي الا آية من آيات
هذا البيت المحرم وبركة افيضت علي من بركات هذا الحرم المعظم اسال الله ان يجعل ما تعبت فيه منه منجيتي
ونوري الذي يسعى بين يدي وبيميني ونعم المسؤول سورة فاتحة الكتاب
مكية وقيل مكية ومدنية لانها نزلت بمكة مرة وبالمدينة اخرى وتسمى ام القرآن لاشتمالها على المعاني التي في
القرآن من الثناء على الله بما هو اهله ومن التعبد بالامر والنهي ومن الوعد والوعيد وسورة الكنز والوافية
لذلك وسورة الحمد والمثاني لانها تثنى في كل ركعة وسورة الصلاة لانها تكون فاضلة او مجزئة بقراءتها

فيها وسورة الشفاء والشافية وهي سبع آيات بالاتفاق الا ان منهم من عد انعمت عليهم دون التسمية ومنهم
من مذهبه على العكس بسم الله الرحمن الرحيم قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على ان التسمية ليست باية
من الفاتحة ولا من غيرها من السور وانما كتبت للفصل والتبرك بالابتداء بها كما بدئ بذكرها في كل امر ذي
بال وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله ومن تابعه ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلوة وقراء مكة والكوفة وفقهاؤهما
على انها آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي رحمه الله واصحابه ولذلك يجهرون بها وقالوا قد اثبتها السلف
في المصحف مع توصيتهم بتجريد القرآن ولذلك لم يثبتوا آمين فلولا انها من القرآن لما اثبتوها وعن ابن عباس
من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة آية من كتاب الله فان قلت بم تعلقت الباء قلت بمحذوف تقديره باسم الله
اقرا او اتلو لان الذي يتلو التسمية مقروء كما ان المسافر اذا حل او ارتحل فقال بسم الله والبركات كان المعنى بسم الله
احل وبسم الله ارتحل وكذلك الذابح وكل فاعل يبدا في فعله ببسم الله كان مضمرا ما جعل التسمية مبدا له ونظيره
في حذف متعلق الجار قوله عز وجل في تسع آيات الى فرعون اي اذهب في تسع آيات وكذلك قول العرب في الدعاء للمعرس
بالرفاء والبنين وقول الاعرابي باليمن والبركة بمعنى اعرست ونكحت ومنه قوله فقلت الى الطعام فقال منهم
فريق نحسد الانس الطعاما فان قلت لم قدرت المحذوف
متاخرا قلت لان الاهم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به لانهم كانوا يبدؤون باسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات وباسم العزى
فوجب ان يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عز وجل بالابتداء وذلك بتقديمه وتاخير الفعل كما فعل في
قوله اياك نعبد حيث صرح بتقديم الاسم ارادة للاختصاص والدليل عليه قوله بسم الله مجراها ومرساها
فان قلت فقد قال اقرا باسم ربك فقدم الفعل قلت هناك تقديم الفعل اوقع لانها اول سورة نزلت فكان
الامر بالقراءة اهم فان قلت ما معنى تعلق اسم الله بالقراءة قلت فيه وجهان احدهما ان يتعلق بها تعلق القلم بالكتبة
في قولك كتبت بالقلم على معنى ان المؤمن لما اعتقد ان فعله لا يجيء معتدا به في الشرع واقعا على السنة حتى
يصدر بذكر اسم الله لقوله عليه السلام كل امر ذي بال لم يبدا فيه باسم الله فهو ابتر الا كان فعلا كلا فعل جعل فعله مفعولا
باسم الله كما يفعل الكتب بالقلم والثاني ان يتعلق بها تعلق الدهن بالانبات في قوله تنبت بالدهن على معنى متبركا
باسم الله اقرا وكذلك قول الداعي للمعرس بالرفاء والبنين معناه اعرست ملتبسا بالرفاء والبنين وهذا الوجه

والسن فإن قلت فكيف قال الله تعالى متبركا باسم الله قلت هذا مقول على ألسنة العباد كما يقول الرجل
الشعر على لسان الغير وكذلك الحمد لله رب العالمين إلى آخره وكثير من القرآن على هذا المنهاج ومعناه تعليم
كيف يتبركون باسمه وكيف يحمدونه ويمجدونه ويعظمونه فإن قلت من حق حروف المعاني التي جاءت
حرف واحد أن تبنى على الفتحة التي هي أخت السكون نحو كاف التشبيه ولام الابتداء وواو العطف وفائه
فما بال لام الإضافة وبائها بنيتا على الكسر قلت أما اللام فللفصل بينها وبين لام الابتداء وأما الباء فلكونها
للحرفية والجر والاسم أحد الأسماء العشرة التي بنوا أوائلها على السكون فإذا نطقوا بها مبتدئين زادوا
لئلا يقع ابتداؤهم بالساكن إذ كان دأبهم أن يبتدئوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن لسلامة لغتهم من كل لكنة
ولوضعها على غاية من الإحكام والرصانة وإذا وقعت في الدرج لم تفتقر إلى زيادة شيء ومنهم من لم يزدها
عنها بتحريك الساكن فقال سم وسم قال باسم الذي في كل سورة سمه وهو من الأسماء المحذوفة الأعجاز
كيد ودم وأصله سمو بدليل تصريفه كأسماء وسمي وسميت واشتقاقه من السمو لأن التسمية تنويه بالمسمى وإشادة
بذكره ومنه قيل للقب النبز من النبز بمعنى النبر وهو رفع الصوت والنبز قشر النخلة الأعلى فإن قلت
حذفت الألف في الخط وأثبتت في قوله باسم ربك قلت قد اتبعوا في حذفها حكم الدرج دون الابتداء
على وضع الخط لكثرة الاستعمال وقالوا أطولت الباء تعويضا من طرح الألف وعن عمر بن عبد العزيز أنه قال لكاتبه
طول الباء وأظهر السينات ودور الميم والله أصله الإله قال معاذ الإله أن تكون كظبية ونظيره الناس أصله الأناس
قال إن المنايا يطلعن على الأناس الآمنينا فحذفت الهمزة وعوض منها حرف التعريف ولذلك قيل في النداء يا الله
بالقطع كما يقال يا إله والإله من أسماء الأجناس كالرجل والفرس اسم يقع على كل معبود بحق أو باطل ثم غلب
المعبود بحق كما أن النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا وكذلك السنة على عام القحط والبيت على الكعبة والكتاب
سيبويه وأما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره ومن هذا الاسم اشتق تأله
واستأله كما قيل استنوق واستحجر في الاشتقاق من الناقة والحجر فإن قلت أاسم هو أم صفة قلت بل اسم غير
ألا تراك تصفه ولا تصف به لا تقول شيء إله كما لا تقول شيء رجل وتقول إله واحد صمد كما تقول رجل كريم خير
وأيضا فإن صفاته تعالى لا بد لها من موصوف تجري عليه فلو جعلتها كلها صفات بقيت غير جارية على اسم

ارجع إلى ربك إنه ربي أحسن مثواي وقرأ زيد بن علي رب العالمين بالنصب على المدح وقيل بما دل عليه الحمد
كأنه قيل نحمد الله رب العالمين العالم اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين وقيل كل ما علم به الخالق من
والأعراض فإن قلت لم جمع قلت ليشمل كل جنس مما سمي به فإن قلت فهو اسم غير صفة وإنما تجمع بالواو
صفات العقلاء أو ما في حكمها من الأعلام قلت ساغ ذلك لمعنى الوصفية فيه وهي الدلالة على معنى العلم
يوم الدين ومالك وملك بتخفيف اللام وقرأ أبو حنيفة ملك يوم الدين بلفظ الفعل ونصب اليوم
أبو هريرة رضي الله عنه مالك بالنصب وقرأ غيره ملك وهو نصب على المدح ومنهم من قرأ مالك بالرفع
هو الاختيار لأنه قراءة أهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم ولقوله ملك الناس ولأن الملك يعم والملك
يخص ويوم الدين يوم الجزاء ومنه قولهم كما تدين تدان وبيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا
فإن قلت ما هذه الإضافة قلت هي إضافة اسم الفاعل إلى الظرف على طريق الاتساع مجرى مجرى المفعول
به كقولهم يا سارق الليلة أهل الدار والمعنى على الظرفية ومعناه مالك الأمر كله في يوم الدين كقوله لمن
اليوم فإن قلت فإضافة اسم الفاعل إضافة غير حقيقية فلا تكون معطية معنى التعريف فكيف ساغ وقوعه
صفة للمعرفة قلت إنما تكون غير حقيقية إذا أريد باسم الفاعل الحال أو الاستقبال فكان في تقدير الانفصال
كقولك مالك الساعة أو غدا فأما إذا قصد معنى الماضي كقولك هو مالك عبده أمس أو زمانا مستمرا
زيد مالك العبيد كانت الإضافة حقيقية كقولك مولى العبيد وهذا هو المعنى في مالك يوم الدين
أن يكون المعنى ملك الأمور يوم الدين كقوله ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب الأعراف والدليل
قراءة أبي حنيفة ملك يوم الدين وهذه الأوصاف التي أجريت على الله سبحانه من كونه ربا مالكا للعالمين
لا يخرج منهم شيء من ملكوته وربوبيته ومن كونه منعما بالنعم كلها الظاهرة والباطنة والجلائل والدقائق
ومن كونه مالكا للأمر كله في العاقبة يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمد به وأنه به حقيق
قوله الحمد لله دليل على أن من كانت هذه صفاته لم يكن أحد أحق منه بالحمد والثناء عليه بما هو أهله إيا
ضمير منفصل للمنصوب واللواحق التي تلحقه من الكاف والهاء والياء في قولك إياك وإياه وإياي لبيان
والغيبة والتكلم ولا محل لها من الإعراب كما لا محل للكاف في أرأيتك وليست بأسماء مضمرة وهو مذهب الأخفش

وعليه المعقوف وأما ما حكاه الخليل عن بعض العرب إذا بلغ الرجل الستين فإياه وإيا الشواب فشيء شاذ لا يعول عليه
وتقديم المفعول لقصد الاختصاص كقوله تعالى قل أفغير الله تأمروني أعبد قل أغير الله أبغي ربا والمعنى نخصك
بالعبادة ونخصك بطلب المعونة وقرئ إياك بتخفيف الياء وأياك بفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة
هاء قال طفيل الغنوي فهياك والأمر الذي إن تراحبت موارده ضاقت عليك مصادره والعبادة
أقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه ثوب ذو عبدة إذا كان في غاية الصفاقة وقوة النسج ولذلك لم تستعمل
إلا في الخضوع لله لأنه مولى أعظم النعم فكان حقيقا بأقصى غاية الخضوع فإن قلت لم عدل عن لفظ الغيبة
إلى لفظ الخطاب قلت هذا يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب
إلى الغيبة ومن الغيبة إلى التكلم كقوله تعالى حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله والله الذي أرسل الرياح
فتثير سحابا فسقناه وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة أبيات شعر تطاول ليلك بالأثمد
ونام الخلي ولم ترقد وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العائر الأرمد وذلك من نبإ جاءني وخبرته
عن أبي الأسود وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه ولأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى
أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع وإيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد وقد تختص
مواقعه بفوائد ومما اختص به هذا الموضع أنه لما ذكر الحقيق بالحمد وأجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق
العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات فخوطب ذلك المعلوم المميز
بتلك الصفات فقيل إياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك ولا نستعينه ليكون
الخطاب أدل على أن العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة إلا به فإن قلت لم قرنت الاستعانة
بالعبادة قلت ليجمع بين ما يتقرب به العباد إلى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون إليه من جهته فإن قلت
فلم قدمت العبادة على الاستعانة قلت لأن تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة ليستوجبوا الإجابة إليها
فإن قلت لم أطلقت الاستعانة قلت ليتناول كل مستعان فيه والأحسن أن يراد الاستعانة به وبتوفيقه
على أداء العبادة ويكون قوله اهدنا بيانا للمطلوب من المعونة كأنه قيل كيف أعينكم فقالوا اهدنا
الصراط المستقيم وإنما كان أحسن لتلاؤم الكلام وأخذ بعضه بحجزة بعض وقرأ ابن حبيش نستعين بكسر

النون

النون هدى أصله أن يتعدى باللام أو بإلى كقوله تعالى إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم وإنك لتهدي
إلى صراط مستقيم فعومل معاملة اختار في قوله واختار موسى قومه ومعنى طلب الهداية وهم مهتدون طلب
زيادة الهدى بمنح الألطاف كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وعن
علي وأبي رضي الله عنهما اهدنا ثبتنا وصيغة الأمر والدعاء واحدة لأن كل واحد منهما طلب وإنما يتفاوتان في الرتبة وقرأ
عبد الله أرشدنا الصراط الجادة من سرط الشيء إذا ابتلعه لأنه يسترط السابلة إذا سلكوه كما سمي لقما لأنه يلتقمهم
والصراط من قلب السين صادا لأجل الطاء كقولك مصيطر في مسيطر وقد تشم الصاد صوت الزاي وقرئ بهن
جميعا وفصاحهن إخلاص الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في الإمام ويجمع سرطا نحو كتاب وكتب ويذكر ويؤنث
كالطريق والسبيل والمراد به طريق الحق وهو ملة الإسلام صراط الذين أنعمت عليهم بدل من الصراط المستقيم وهو
في حكم تكرير العامل كأنه قيل اهدنا الصراط المستقيم اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم كما قال للذين استضعفوا لمن
آمن منهم فإن قلت ما فائدة البدل وهلا قيل اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم قلت فائدته التوكيد لما
فيه من التثنية والتكرير والإشعار بأن الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة
لصراط المسلمين بالاستقامة على أبلغ وجه وآكده كما تقول هل أدلك على أكرم الناس وأفضلهم فلان فيكون ذلك
أبلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك هل أدلك على فلان الأكرم الأفضل لأنك ثنيت ذكره مجملا أولا
ومفصلا ثانيا وأوقعت فلانا تفسيرا وإيضاحا للأكرم الأفضل فجعلته علما في الكرم والفضل فكأنك قلت من
أراد رجلا جامعا للخصلتين فعليه بفلان فهو المشخص المعين لاجتماعهما فيه غير مدافع ولا منازع والذين
أنعمت عليهم هم المؤمنون وأطلق الإنعام ليشمل كل إنعام لأن من أنعم الله عليه بنعمة الإسلام لم تبق نعمة إلا
أصابته واشتملت عليه وعن ابن عباس هم أصحاب موسى قبل أن يغيروا وقيل هم الأنبياء وقرأ ابن مسعود
صراط من أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم بدل من الذين أنعمت عليهم على معنى أن المنعم عليهم هم الذين سلموا من
غضب الله والضلال أو صفة على معنى أنهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الإيمان وبين السلامة من غضب الله
والضلال فإن قلت كيف صح أن يقع غير صفة للمعرفة وهو لا يتعرف وإن أضيف إلى المعارف قلت الذين أنعمت عليهم
لا توقيت فيه فهو كقوله ولقد أمر على اللئيم يسبني ولأن المغضوب عليهم والضالين خلاف المنعم عليهم فليس في

فيراد به الابهام الذي يأبى عليه ان يتعرف وقرئ بالنصب على الحال وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وعمر بن الخطاب
ورويت عن ابن كثير وذو الحال الضمير في عليهم والعامل انعمت وقيل المغضوب عليهم هم اليهود لقوله من لعنه الله وغضب
عليه والضالون هم النصارى لقوله قد ضلوا من قبل فان قلت ما معنى غضب الله قلت هو ارادة الانتقام
من العصاة وانزال العقوبة بهم وان يفعل بهم ما يفعله الملك اذا غضب على من تحت يده نعوذ بالله من غضبه ونسأله
رضاه ورحمته فان قلت اي فرق بين عليهم الاولى والثانية قلت الاولى محلها النصب على المفعولية والثانية
محلها الرفع على الفاعلية فان قلت لم دخلت لا في ولا الضالين قلت لما في غير من معنى النفي كأنه قيل لا المغضوب
عليهم ولا الضالين وتقول انا زيدا غير ضارب مع امتناع قولك انا زيدا مثل ضارب لانه بمنزلة قولك انا زيدا لا ضارب
وعن عمر وعلي انهما قرءا وغير الضالين وقرأ ايوب السختياني ولا الضألين بالهمزة كما قرأ عمرو بن
عبيد ولا جأن وهذه لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين ومنها ما حكاه ابو زيد من قولهم شأبة
ودأبة آمين صوت سمي به الفعل الذي هو استجب كما ان رويد وحيهل وهلم اصوات سميت بها الافعال التي
هي امهل واسرع واقبل وعن ابن عباس سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن معنى آمين فقال افعل وفيه لغتان
المد والقصر قال ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال امين فزاد الله ما بيننا بعدا وعن النبي صلى الله عليه وآله
لقنني جبرئيل آمين عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب وليس من القرآن بدليل
انه لم يثبت في المصاحف وعن الحسن لا يقولها الامام لانه الداعي وعن ابي حنيفة رحمه الله مثله والمشهور عنه
وعن اصحابه انه يخفيها وروى الاخفاء عبد الله بن مغفل وانس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعند الشافعي
يجهر بها وعن وائل بن حجر ان النبي صلى الله عليه وآله كان اذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته عن
رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال لابي بن كعب الا اخبرك بسورة لم ينزل في التوراة والانجيل والقرآن مثلها
قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته وعن حذيفة بن اليمان
ان النبي صلى الله عليه وآله قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب
الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة سورة البقرة مدنية
وهي مائتان وسبع وثمانون آية بسم الله الرحمن الرحيم اعلم ان الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها

اوله
يا رب لا تسلبني حبها ابدا

اوله
ثنا عدمني قطع الذي موته

حروف

الحروف المبسوطة التي منها ركبت الكلم فقولك ضاد اسم سمي به ضه من ضرب اذا تهجيته وكذلك را يا اسمان
لقولك ره يه وقد روعيت في هذه التسمية لطيفة وهي ان المسميات لما كانت الفاظا كاساميها وهي حروف وحدان
والاسامي عدد حروفها مرتق الى الثلاثة اتجه لهم طريق الى ان يدلوا في التسمية على المسمى فلم يغفلوها وجعلوا المسمى
صدر كل اسم منها كما ترى الا الالف فانهم استعاروا الهمزة مكان مسماها لانه لا يكون الا ساكنا ومما يضاهيها
في ايداع اللفظ دلالة على المعنى التهليل والحوقلة والحيعلة والبسملة وحكمها ما لم تلها العوامل ان تكون ساكنة
الاعجاز موقوفة كاسماء الاعداد فيقال الف لام ميم كما تقول واحد اثنان ثلاثة فاذا وليتها العوامل ادركها
الاعراب تقول هذه الف وكتبت الفا ونظرت الى الف وهكذا كل اسم عمدت الى تأدية ذاته فحسب قبل ان يحدث
فيه بدخول العوامل شيء من تأثيراتها فحقك ان تلفظ به موقوفا الا ترى انك اذا اردت ان تلقي على الحاسب
اجناسا مختلفة ليرفع حسبانها كيف تصنع وكيف تلقيها اغفالا من سمة الاعراب فتقول دار غلام جارية
ثوب بساط ولو اعربت ركبت شططا فان قلت لم قضيت لهذه الالفاظ بالاسمية وهلا زعمت انها حروف
كما وقع في عبارات المتقدمين قلت قد استوضحت بالبرهان النير انها اسماء غير حروف فعلمت ان قولهم
خليق بان يصرف الى التسامح وقد وجدناهم متسامحين في تسمية كثير من الاسماء التي لا يقدح اشكال في اسميتها
كالظروف وغيرها بالحروف مستعملين الحرف في معنى الكلمة وذلك ان قولك الف دلالته على اوسط حروف
قال وقام دلالة فرس على الحيوان المخصوص لا فضل فيما يرجع الى التسمية بين الدلالتين الا ترى ان الحرف ما دل
على معنى في غيره وهذا كما ترى دال على معنى في نفسه ولانها متصرف فيها بالامالة كقولك با تا وبالتفخيم
كقولك باءا وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير والوصف والاسناد والاضافة وجميع ما للاسماء المتمكنة
ثم اني عثرت من جانب الخليل على نص في ذلك قال سيبويه قال الخليل يوما وسأل اصحابه كيف تقولون اذا
اردتم ان تلفظوا بالكاف التي في لك والباء التي في ضرب فقيل نقول كاف باء فقال انما جئتم بالاسم ولم
تلفظوا بالحرف وقال اقول كه به وذكر ابو علي في كتاب الحجة في يس وامالة يا انهم قالوا يا زيد في النداء فاما لوا
وان كان حرفا قال فاذا كانوا قد اما لوا ما لا يمال من الافعال من الحروف من اجل الياء فلان يميلوا الاسم الذي هو
يا من يس احرى الا ترى ان هذه الحروف اسماء لما يلفظ بها فان قلت من اي قبيل هي من الاسماء المعربة

او مبنية قلت بل هي اسماء معربة وانما سكنت سكون زيد وعمرو وغيرهما من الاسماء حيث لا يمسها اعراب لفقد
مقتضيه وموجبه والدليل على ان سكونها وقف وليس ببناء انها لو بنيت لحذي بها حذو كيف واين و[هؤلاء]
ولم يقل صاد قاف نون مجموعا فيها بين الساكنين فان قلت فلم لفظ المتهجي بما آخره الف منها مقصورا
اعرب مد فقال هذه باء وياء وهاء وذلك يخيل ان وزانها وزان قولك لا مقصورة فاذا جعلتها اسما
مددت فقلت كتبت لاء قلت هذا التحقيق مستحل بالقسمة من الدليل والسيجان في قصيرة متجاوزة
ومدت حين مسها الاعراب رسالة التي خليقة بالاخف الاوجز واستعمالها فيه اكثر فان قلت قد
انها اسماء الحروف المعجم وانها من قبيل المعربة وان سكون اعجازها عند الهجاء لاجل الوقف فما وجه وقوع
هذه الصورة فواتح السور قلت فيه وجه احدها وعليه اطباق الاكثر انها اسماء السور وقد ترجم صاحب
الكتاب الباب الذي كسره على ذكرها في حد ما لا ينصرف بباب اسماء السور وهي في ذلك على ضربين
ما لا يتأتى فيه الاعراب نحو كهيعص والمر والثاني ما يتأتى فيه الاعراب وهو اما ان يكون اسما فردا كصاد
وقاف ونون او اسماء عدة مجموعها على زنة مفرد كحم وطس ويس فانها موازنة لقابيل وهابيل وكذلك
[طاسين] ميم يتأتى فيها ان تفتح نونها وتصير ميم مضمومة الى طاسين فيجعلا اسما واحدا كدارابجرد فالنوع الا[ول]
محكي ليس الا واما النوع الثاني فسائغ فيه الامران الاعراب والحكاية قال قاتل محمد بن طلحة السجاد
شريح بن اوفى العبسي يذكرني حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدم فاعرب حاميم و[منعها]
الصرف وهكذا كل ما اعرب من اخواتها لاجتماع سببي منع الصرف فيها وهما العلمية والتانيث والحكاية [ان]
تجيء بالقول بعد نقله على استبقاء صورته الاولى كقولك دعني من تمرتان وبدأت بالحمد لله وقرأت
سورة انزلناها وقال وجدنا في كتاب بني تميم احق الخيل بالركض المعار وقال ذو الرمة
سمعت الناس ينتجعون غيثا فقلت لصيدح انتجعي بلالا وقال الاخر تنادوا بالرحيل غدا وفي
ترحالهم نفسي وروي منصوبا ومجرورا ويقول اهل الحجاز في استفهام من يقول رأيت زيدا من زيدا
وقال سيبويه سمعت من العرب من يقول لا من اين يا فتى فان قلت فما وجه قراءة من قرأ صاد وقاف ونون [مفتوحات]
قلت الوجه ان يقال ذاك نصب وليس بفتح وانما لم يصحبه التنوين لامتناع الصرف على ما ذكرت وا[نتصابها]

بفعل

بفعل مضمر نحو اذكر وقد اجاز سيبويه مثل ذلك في حم وطس ويس لو قرئ به وحكى ابو سعيد السيرافي ان بعضهم قرأ
ياسين ويجوز ان يقال حركت لالتقاء الساكنين كما قرأ من قرأ ولا الضالين فان قلت هلا زعمت انها مقسم [بها]
وانها نصبت نصب قولهم نعم الله لافعلن واي الله لافعلن على حذف حرف الجر واعمال فعل القسم قال ذو [الرمة]
الا رب من قلبي له الله ناصح وقال الاخر فذاك امانة الله الثريد قلت ان القرآن والقلم بعد هذه [الفواتح]
محلوف بهما فلو زعمت ذلك لجمعت بين قسمين على مقسم عليه واحد وقد استكرهوا ذلك قال الخليل في قوله والليل
[اذا يغشى] والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى الواوان الاخريان ليستا بمنزلة الاولى ولكنهما الواوان اللتا[ن]
تضمان الاسماء الى الاسماء في قولك مررت بزيد وعمرو والاولى بمنزلة الباء والتاء قال سيبويه قلت للخليل فلم لا [تكون]
الاخريان بمنزلة الاولى فقال انما اقسم بهذه الاشياء على شيء واحد ولو كان انقضى قسمه بالاول على شيء لجاز ان
يستعمل كلاما آخر فيكون كقولك بالله لافعلن بالله لاخرجن اليوم ولا يقوى ان تقول وحقك وحق زيد [لافعلن]
والواو الاخيرة واو قسم لا يجوز الا مستكرها قال وتقول وحياتي ثم حياتك لافعلن فثم ههنا بمنزلة الواو [ولا]
سبيل فيها الى جعل الواو للعطف لمخالفة الثاني الاول في الاعراب فان قلت فقدر مجرورا
باضمار الباء القسمية لا بحذفها فقد جاء عنهم الله لافعلن مجرورا ونظيره قولهم لاه ابوك غير انها فتحت في موضع [الجر]
لكونها غير مصروفة وتكون الواو للعطف حتى يجيء التحيير الى ضم ما ذكرت اليه قلت هذا لا يبعد عن [الصواب]
ويعضده ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه ان الله اقسم بهذه الحروف فان قلت فما وجه قراءة بعضهم صاد وقاف
قلت وجهها ما ذكرت من التحريك لالتقاء الساكنين والذي يبسط من عذر المحرك ان الوقف لما استوى [هو]
الاسامي شاكلت لذلك ما اجتمع في آخره ساكنان من المبنيات فعومل معاملة الآن وهؤلاء
فان قلت هل تسوغ لي في المحكية مثل ما سوغت لي في المعربة من ارادة معنى القسم قلت لا علي[ك]
ذلك وان تقدر حرف القسم مضمرا في نحو قوله عز وجل حم والكتاب المبين كانه قيل اقسم بهذه السورة وبالكتاب [المبين]
انا جعلناه واما قوله صلى الله عليه [وسلم] ... بأحسن ... ان ينفى اسم بالنصب والرحيم ... والجار والمجرور [كما]
فان قلت فما معنى تسمية السور بهذه الالفاظ خاصة قلت كان المعنى في ذلك الاشعار بان الفرقان ليس الا
عربيا معروف التركيب من مسميات هذه الالفاظ كما قال عز وجل قرآنا عربيا فان قلت فما بال المكتوبة في [المصحف]

من اوله الا ما تضمن ...
ومن قلبه لي في الظباء السوانح

عن وصف الحروف انفسها لا على صور اساميها قلت لان الكلم المنطوقة مركبة من ذوات الحروف واستمرت العادة متى
تهجيت ومتى قيل للكاتب اكتب كيت وكيت ان تلفظ بالاسماء وتقع في الكتابة الحروف انفسها عمل على تلك الشاكلة
المألوفة في كتابة هذه الفواتح وايضا فان شهرة امرها واقامة السن الاسود والاحمر لها وان اللافظ بها غير
متهجاة لا يحلى بطائل منها وان بعضها مفردا لا يخطر ببال غير ما هو عليه من مورده امنت وقوع اللبس فيها وقد اتفقت
في خط المصحف اشياء خارجة عن القياسات التي بني عليها علم الخط والهجاء ثم ما عاد ذلك بضير ولا نقصان لاستقامة اللفظ
وبقاء الحفظ وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف قال عبد الله بن درستويه في كتابه المترجم
في الخط والهجاء خطان لا يقاسان خط المصحف لانه سنة وخط العروض لانه يثبت فيه ما اثبته اللفظ ويسقط عنه ما
اسقطه والوجه الثاني ان يكون ورود هذه الاسماء هكذا مسرودة على نمط التعديد كالايقاظ وقرع العصا
لمن تحدى بالقرآن وبغرابة نظمه وكالتحريك للنظر في ان هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم
من عين ما ينظمون منه كلامهم ليؤديهم النظر الى ان يستيقنوا ان لم تتساقط مقدرتهم دونه ولم تظهر معجزتهم
عن ان يأتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولات وهم امراء الكلام وزعماء الحوار وهم الحراص على التساجل في اقتضاب
الخطب والمتهالكون على الافتنان في القصيد والرجز ولم يبلغوا من الجزالة وحسن النظم المبالغ التي بزت
بلاغة كل ناطق وشقت غبار كل سابق ولم يتجاوز الحد الخارج من قوى الفصحاء ولم يقع وراء مطامح اعين البصراء
الا لانه ليس بكلام البشر وانه كلام خالق القوى والقدر وهذا القول من القوة والخلاقة بالقبول بمنزل
ولناصر القول الاول ان يقول ان القرآن انما نزل بلسان العرب مصبوبا في اساليبهم واستعمالاتهم والعرب لم
تتجاوز ما سموا به مجموع اسمين ولم يسم احد منهم بمجموع ثلاثة اسماء واربعة وخمسة والقول بانها اسماء السور
حقيقة يخرج الى ما ليس في لغة العرب ويؤدي ايضا الى صيرورة الاسم والمسمى واحدا فان اعترضت عليه بانه
قول مقول على وجه الدهر وانه لا سبيل الى رده اجابك بان الجملة سوى ما ذهب اليه وانه نظير قول الناس
فلان يروي قفا نبك وعفت الديار ويقول الرجل لصاحبه ما قرأت فيقول الحمد وبراءة من الله ورسوله
ويوصيكم الله في اولادكم والله نور السموات والارض وليست هذه الجمل باسامي هذه القصائد وهذه السور والآي
وانما تعني رواية القصيدة التي ذاك استهلالها وتلاوة السورة او الآية التي تلك فاتحتها فلما جرى الكلام على اسلوب

من حيث التسمية واستفيد منها ما يستفاد من التسمية قالوا ذلك على سبيل المجاز دون الحقيقة ولجيب عن الاعتراض
على الوجه الاول ان تقول التسمية بثلاثة اسماء فصاعدا مستكرهة عند العرب وخروج عن كلام العرب ولكن اذا جعلت اسما
واحدا على طريقة حضرموت فاما غير مركبة منثورة نثر اسماء العدد فلا استكراه فيها لانها من باب التسمية بما
حقه ان يحكى حكاية كما سموا بتأبط شرا وبرق نحره وشاب قرناها وكما لو سمي بزيد منطلق او ببيت شعر
بقول سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وبين التسمية بطائفة من اسماء حروف المعجم ودل
على صحة ذلك وانما تسمية السورة كلها بفاتحتها ليست بتصيير الاسم والمسمى واحدا لانها تسمية مؤلف بمفرد
والمؤلف غير المفرد الا ترى انهم جعلوا اسم الحرف مؤلفا منه ومن حرفين مضمومين اليه كقولهم صاد فلم يكن
من جعل الاسم والمسمى واحدا حيث كان الاسم مؤلفا والمسمى مفردا والوجه الثالث ان ترد السور مصدرة
بذلك ليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بوجه من الاعراب وتقدمة من دلائل الاعجاز وذلك ان النطق
بالحروف انفسها كانت العرب فيه مستوية الاقدام الاميون منهم واهل الكتاب بخلاف النطق باسامي الحروف
فانه كان مختصا بمن خط وقرأ وخالط اهل الكتاب وتعلم منهم وكان مستغربا مستبعدا من الامي التكلم بها
استبعاد الخط والتلاوة كما قال عز وجل وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون فكان
حكم النطق بذلك مع اشتهار انه لم يكن ممن اقتبس شيئا من اهله حكم الاقاصيص المذكورة في القرآن التي لم
تكن قريش ومن دان بدينها في شيء من الاحاطة بها في ان ذلك حاصل له من جهة الوحي وشاهد بصحة نبوته وبمنزلة
ان يتكلم بالرطانة من غير ان يسمعها من احد واعلم انك اذا تأملت ما اورده الله عز سلطانه في الفواتح من
هذه الاسماء وجدتها نصف اسامي حروف المعجم اربعة عشر سواء وهي الالف واللام والميم والصاد والراء والكاف
والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم ثم اذا
نظرت في هذه الاربعة عشر وجدتها مشتملة على انصاف اجناس الحروف بيان ذلك ان فيها من المهموسة نصفها
الصاد والكاف والهاء والسين والحاء ومن المجهورة نصفها الالف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء
والنون ومن الشديدة نصفها الالف والكاف والطاء والقاف ومن الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد
والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون ومن المطبقة نصفها الصاد والطاء ومن المنفتحة نصفها الالف

والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون ومن المستعلية نصفها القاف والصاد
والطاء ومن المنخفضة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون
ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء ثم اذا استقريت الكلم وتراكيبها رايت الحروف التي الغى الله ذكرها من
هذه الاجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة منها فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته وقد علمت ان معظم الشيء
وجله ينزل منزلة كله وهو المطابق للطائف التنزيل واختصاراته فكأن الله عز اسمه عدد على العرب الالفاظ التي منها
تراكيب كلامهم اشارة الى ما ذكرت من التبكيت لهم والزام الحجة اياهم ومما يدل على انه تعمد بالذكر من حروف المعجم
اكثرها وقوعا في تراكيب الكلم ان الالف واللام لما تكاثر وقوعهما فيها جاءتا في معظم هذه الفواتح مكررتين وهي فواتح
سورة البقرة وآل عمران والروم والعنكبوت ولقمان والسجدة والاعراف والرعد ويونس وابرهيم وهود
ويوسف والحجر فان قلت فهلا عددت باجمعها في اول القرآن وما لها جاءت مفرقة على السور قلت لان
اعادة التنبيه على ان المتحدى به مؤلف منها لا غير وتجديده في غير موضع واحد اوصل الى الغرض واقر له في
الاسماع والقلوب من ان يفرد ذكره مرة وكذلك مذهب كل تكرير جاء في القرآن فمطلوب به تمكين المكرر في النفوس
وتقريره فان قلت فهلا جاءت على وتيرة واحدة ولم اختلفت اعداد حروفها فوردت ص وق ون
على حرف وطه وطس ويس وحم على حرفين والم والر وطسم على ثلاثة احرف والمص والمر على اربعة احرف
وكهيعص وحم عسق على خمسة احرف قلت هذا على عادة افتنانهم في اساليب الكلام وتصرفهم فيه على طرق شتى
ومذاهب وكما ان ابنية كلماتهم على حرف وحرفين الى خمسة احرف لم تتجاوز ذلك سلك بهذه الفواتح ذلك المسلك
فان قلت فما وجه اختصاص كل سورة بالفاتحة التي اختصت بها قلت اذا كان الغرض هو التنبيه والمبادي
كلها في تادية هذا الغرض سواء لا مفاضلة كان تطلب وجه الاختصاص ساقطا كما اذا سمى الرجل بعض اولاده
زيدا والآخر عمرا لم يقل له لم خصصت ولدك هذا بزيد وذاك بعمرو لان الغرض هو التمييز وهو حاصل
اية سلك وكذلك لا يقال لم سمي هذا الجنس بالرجل وذاك بالفرس ولم قيل للاعتماد الضرب وللانتصاب
القيام ولنقيضه القعود فان قلت ما بالهم عدوا بعض هذه الفواتح آية دون بعض قلت هذا علم
توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور اما الم فآية حيث وقعت من السور المفتتحة بها وهي ست

وكذلك المص آية والمر لم تعد آية والر ليست باية في سورها الخمس وطسم آية في سورتيها وطه ويس آيتان
وطس ليست باية وحم آية في سورها كلها وحم عسق آيتان وكهيعص آية وصاد وقاف ونون ثلاثتها لم تعد آية
هذا مذهب الكوفيين ومن عداهم لم يعدوا شيئا منها آية فان قلت كيف عد ما هو في حكم كلمة واحدة آية قلت
كما عد الرحمن وحده ومدهامتان وحدها آيتين على طريق التوقيف فان قلت ما حكمها في باب الوقف
قلت يوقف على جميعها وقف التمام اذا حملت على معنى مستقل غير محتاج الى ما بعده وذلك اذا لم تجعل اسماء
للسور ونعق بها كما ينعق بالاصوات او جعلت وحدها اخبار ابتداء محذوف كقوله عز وجل الم الله اي هذه
الم ثم ابتدأ فقال الله لا اله الا هو فان قلت هل لهذه الفواتح محل من الاعراب قلت نعم لها محل فيمن جعلها
اسماء للسور لانها عنده كسائر اسماء الاعلام فان قلت ما محلها قلت يحتمل الاوجه الثلاثة اما الرفع فعلى الابتداء
واما النصب والجر فلما مر من صحة القسم بها وكونها بمنزلة الله والله على اللغتين ومن لم يجعلها اسماء للسور لم
يتصور ان يكون لها محل في مذهبه كما لا محل للجمل المبتدأة وللمفردات المعددة فان قلت لم صحت الاشارة بذلك
الى ما ليس ببعيد قلت وقعت الاشارة الى الم بعد ما سبق التكلم به وتقضى والمتقضي في حكم المتباعد وهذا
في كل كلام يحدث الرجل بحديث ثم يقول وذلك ما لا شك فيه ويحسب الحاسب ثم يقول فذلك كذا
وكذا وقال الله تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك وقال ذلكما مما علمني ربي ولانه لما وصل من المرسل
الى المرسل اليه وقع في حد البعد كما يقول لصاحبك وقد اعطيته شيئا احتفظ بذلك وقيل معناه ذلك الكتاب
الذي وعدوا به فان قلت لم ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مؤنث وهو السورة قلت لا اخلو من ان
اجعل الكتاب خبره او صفته فان جعلته خبره كان ذلك في معناه ومسماه مسماه فجاز اجراء حكمه عليه في التذكير
كما اجري عليه في التانيث في قولهم من كانت امك وان جعلته صفته فانما اشير به الى الكتاب صريحا
لان اسم الاشارة مشار به الى الجنس الواقع صفة له تقول هند ذلك الانسان او ذلك الشخص فعل كذا
وقال الذبياني نبئت نعمى على الهجران عاتبة سقيا ورعيا لذاك العاتب الزاري فان قلت اخبرني عن
تاليف ذلك الكتاب مع الم قلت ان جعلت الم اسما للسورة ففي التاليف وجوه ان يكون الم مبتدأ
وذلك مبتدأ ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدأ الاول ومعناه ان ذلك هو الكتاب الكامل

ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص وانه الذي يستاهل ان يسمى كتابا كما تقول هو الرجل اي الكامل في الرجولية الجامع
لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال وكما قال هم القوم كل القوم يا ام خالد ويجوز ان يكون الكتاب صفة ومعناه هو
ذلك الكتاب الموعود وان يكون الم خبر مبتدا محذوف اي هذه الم ويكون ذلك خبرا ثانيا او بدلا على ان الكتاب صفة
وان يكون هذه الم جملة وذلك الكتاب جملة اخرى وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدا خبره الكتاب اي
ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل او الكتاب صفة والخبر ما بعده او قدر مبتدا محذوف اي هو يعني المؤلف
من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرا عبد الله الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه وتاليف هذا ظاهر والريب مصدر
رابني اذا حصل فيك الريبة وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه ما روى الحسن بن علي رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة وان الصدق طمانينة اي فان كون الامر مشكوكا
فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له وتسكن ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس
ويشخص بالقلوب من نوائبه ومنه انه مر بظبي حاقف فقال لا يربه احد بشيء فان قلت كيف نفي الريب على سبيل الاستغراق
وكم من مرتاب فيه قلت ما نفي ان احدا لا يرتاب فيه وانما المنفي كونه متعلقا للريب ومظنة له لانه من وضوح الدلالة
وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب ان يقع فيه الا ترى الى قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا
بسورة من مثله فما ابعد وجود الريب منهم ولكنه عرفهم الطريق الى مزيل الريب وهو ان يحزروا انفسهم ويروزوا قواهم
في البلاغة هل تتم للمعارضة ام تتضاءل دونها فيتحققوا عند عجزهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة فان قلت
فهلا قدم الظرف على الريب كما قدم على الغول في قوله لا فيها غول قلت لان القصد في ايلاء الريب حرف النفي
نفي الريب عنه واثبات انه حق وصدق لا باطل وكذب كما كان المشركون يدعونه ولو اولي الظرف لقصد
الى ما يبعد عن المراد وهو ان كتابا اخر فيه الريب لا فيه كما قصد في قوله لا فيها غول تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا
بانها لا تغتال العقول كما تغتالها هي كانه قيل ليس فيها ما في غيرها من هذا العيب والنقيصة وقرا ابو الشعثاء
لا ريب فيه بالرفع والفرق بينها وبين المشهورة ان المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوزه والوقف على فيه
هو المشهور وعن نافع وعاصم انهما وقفا على لا ريب ولا بد للواقف من ان ينوي خبرا ونظيره قوله تعالى قالوا لا ضير وقول
العرب لا باس وهي كثيرة في لسان اهل الحجاز والتقدير لا ريب فيه فيه هدى للمتقين الهدى مصدر على فعل

كالسرى والبكى وهو الدلالة الموصلة الى البغية بدليل وقوع الضلالة في مقابلته قال الله تعالى
مهدى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقال تعالى لعلى هدى او في ضلال مبين ويقال مهدي في موضع
المدح كمهتد ولان اهتدى مطاوع هدى ولن يكون المطاوع في خلاف معنى اصله الا ترى الى نحو
غمه فاغتم وكسره فانكسر واشباه ذلك فان قلت فلم قيل هدى للمتقين والمتقون مهتدون
قلت هو كقولك للعزيز المكرم اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة الى ما هو ثابت فيه و
استدامته كقوله اهدنا الصراط المستقيم ووجه اخر وهو انه سماهم عند مشارفتهم لاكتساء
لباس التقوى متقين كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه وعن ابن عباس رضي الله عنهما
اذا اراد احدكم الحج فليعجل فانه يمرض المريض وتضل الضالة وتكون الحاجة فسمى المشارف
للقتل والمرض والضلال قتيلا ومريضا وضالة ومنه قوله تعالى ولا يلدوا الا فاجرا كفارا اي
صائرا الى الفجور والكفر فان قلت فهلا قيل هدى للضالين قلت لان الضالين
فريقان فريق علم بقاؤهم على الضلالة وهم المطبوع على قلوبهم وفريق علم ان مصيرهم الى الهدى
فلا يكون هدى للفريق الباقين على الضلالة فبقي ان يكون هدى لهؤلاء فلو جيء بالعبارة
المفصحة عن ذلك لقيل هدى للصائرين الى الهدى بعد الضلال فاختصر الكلام باجرائه على
الطريقة التي ذكرنا فقيل هدى للمتقين وايضا فقد جعل ذلك سلما الى تصدير السورة التي هي
اولى الزهراوين وسنام القران واول المثاني بذكر اولياء الله والمرتضين من عباده والمتقي
في اللغة اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة ومنه فرس واق وهذه الدابة
تقي من وجاها اذا اصابه ضلع من غلظ الارض ورقة الحافر فهو يقي حافره ان يصيبه
ادنى شيء يؤلمه وهو في الشريعة الذي يقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل او ترك
واختلف في الصغائر وقيل الصحيح انه لا يتناولها لانها تقع مكفرة عن مجتنب الكبائر و
قيل يطلق على الرجل اسم المؤمن لظاهر الحال والمتقي لا يطلق الا عن خبرة كما لا يجوز اطلاق العدل
الا على المختبر ومحل هدى للمتقين الرفع لانه خبر مبتدا محذوف او خبر مع لا ريب فيه لذلك
او مبتدا اذا جعل الظرف المقدم خبرا عنه ويجوز ان ينتصب على الحال والعامل فيه معنى الاشارة
او الظرف والذي هو ارسخ عرقا في البلاغة ان يضرب عن هذا المحال صفحا وان يقال ان قوله
الم جملة برأسها او طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولا

لاريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وقد اصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق وذلك لمجيئها متآخية آخذا بعضها بعنق بعض فالثانية متحدة بالاولى معتنقة لها وهلم جرا الى الثالثة والرابعة بيان ذلك انه نبه اولا على انه الكلام المتحدى به ثم اشير اليه بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدي وشدا من اعضاده ثم نفى عنه ان يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة وتسجيلا بكماله لانه لا كمال اكمل مما للحق واليقين ولا نقص انقص مما للباطل والشبهة وقيل لبعض العلماء فيم لذتك فقال في حجة تتبختر اتضاحا وفي شبهة تتضاءل افتضاحا ثم اخبر عنه بانه هدى للمتقين فقرر ذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله وحقا لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم لم تخل كل واحدة من الاربع بعد ان رتبت هذا الترتيب الانيق ونظمت هذا النظم السري من نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى الغرض بالطف وجه وارشقه وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع الوصف الذي هو هاد وايراده منكرا والايجاز في ذكر المتقين زادنا الله اطلاعا على اسرار كلامه وتبيينا لنكت تنزيله وتوفيقا للعمل بما فيه الذين يؤمنون اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة او مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني الذين يؤمنون او هم الذين يؤمنون واما منقطع من المتقين مرفوع على الابتداء مخبر عنه باولئك على هدى فاذا كان الوقف على المتقين حسنا غير تام واذا كان منقطعا كان وقفا تاما فان قلت ما هذه الصفة اواردة بيانا وكشفا للمتقين ام مسرودة مع المتقين تفيد غير فائدتها ام جاءت على سبيل المدح والثناء كصفات الله الجارية عليه تمجيدا قلت تحتمل ان ترد على طريق البيان والكشف لاشتمالها على ما اسست عليه حال المتقين من فعل الحسنات وترك السيئات اما الفعل فقد انطوى تحت ذكر الايمان الذي هو اساس الحسنات ومنصبها وذكر الصلوة والصدقة لان هاتين امّا العبادات البدنية والمالية وهما العيار على غيرهما الم تر كيف سمى الرسول الصلوة عماد الدين وجعل الفاصل بين الاسلام والكفر ترك الصلوة وسمى الزكوة قنطرة الاسلام وقال الله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة فلما كانتا بهذه المثابة كان من شانهما استجرار سائر العبادات واستتباعها ومن ثم اختصر الكلام اختصارا بان

المتقين بما

استغنى عن عد الطاعات بذكر ما هو كالعنوان لها والذي اذا وجد لم يتوقف اخواتها ان يقترن به مع ما في ذلك من الافصاح عن فضلها على سائر العبادات واما الترك فكذلك الا ترى الى قوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وتحتمل ان لا تكون بيانا للمتقين وتكون صفة برأسها دالة على فعل الطاعات ويراد بالمتقين الذين يجتنبون المعاصي وتحتمل ان تكون مدحا للموصوفين بالتقوى وتخصيصا للايمان بالغيب واقام الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر اظهارا لانافتها على سائر ما يدخل تحت حقيقة هذا الاسم من الحسنات والايمان افعال من الامن يقال امنته وامنته غيري ثم يقال امنه اذا صدقه وحقيقته امنه التكذيب والمخالفة واما تعديته بالباء فلتضمينه معنى اقر واعترف واما ما حكى ابو زيد عن العرب ما امنت ان اجد صحابة اي ما وثقت فحقيقته صرت ذا امن به اي ذا سكون وطمانينة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب اي يعترفون به او يثقون بانه حق ويجوز ان لا يكون بالغيب صلة للايمان وان يكون في موضع الحال اي يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته ملتبسين بالغيب كقوله الذين يخشون ربهم بالغيب ليعلم اني لم اخنه بالغيب ويعضده ما روي ان اصحاب عبد الله ذكروا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وايمانهم فقال ابن مسعود ان امر محمد كان بينا لمن رآه والذي لا اله غيره ما آمن مؤمن افضل من ايمان بغيب ثم قرأ هذه الآية فان قلت ان جعلته صلة كان بمعنى الغائب اما تسمية بالمصدر من قولك غاب الشيء غيبا كما سمي الشاهد بالشهادة قال الله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض غيبا وعن النضر بن شميل شربت الابل حتى وارت غيوب كلاها يريد بالغيب الخمصة التي تكون في موضع الكلية اذا بطنت الدابة انتفخت واما ان يكون فيعلا فخفف كما قيل قيل واصله قيل والمراد به الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء الا علم اللطيف الخبير وانما نعلم منه نحن ما اعلمناه او نصب لنا دليلا عليه ولهذا لا يجوز ان يطلق فيقال فلان يعلم الغيب وذلك نحو الصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها والبعث والنشور والحساب والوعد والوعيد وغير ذلك وان جعلته حالا كان بمعنى الغيبة والخفاء فان قلت ما الايمان الصحيح قلت ان يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله فمن اخل بالاعتقاد وان شهد وعمل فهو منافق ومن اخل بالشهادة فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق ومعنى اقامة الصلوة تعديل اركانها وحفظها من ان يقع زيغ في فرائضها وسننها وآدابها من اقام العود اذا قومه او الدوام عليها والمحافظة كما قال تعالى الذين هم على صلاتهم دائمون والذين هم على صلواتهم يحافظون من قامت السوق اذا نفقت واقامها كما قال اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا

[illegible]

[illegible]

[illegible] كانت الصفة كما يقول لصاحبك هل عرفت الأسد وما جبل عليه [illegible]
[illegible]
[illegible] وتعريب المخلصين وتوبيخ [illegible]
[illegible]
[illegible] من طمع الفارغ والرجاء الكاذب والتمني على الله [illegible]
[illegible] سورة البقرة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون
[illegible]
[illegible] من الكفار
[illegible]
[illegible]

[illegible]

ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم

[illegible]

فلما انك سببت حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها نحو قلوب البهائم
التي هي في خلوها من الفطن كقلوب البهائم او بحال قلوب البهائم اتفعها لو ختم الله عليها حتى لا تعي شيئا ولا تفقه وليس له تعالى فيه فعل في تجافيها عن الحق ونبوها عن قبوله وهو متعال
عن ذلك ويجوز ان يستعار الاسناد في نفس الختم فيكون الختم مسندا الى اسم الله على سبيل المجاز
وهو لغيره حقيقة تفسيره ان للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان
والمكان والسبب فاسناده الى الفاعل حقيقة وقد يسند الى هذه الاشياء على طريق المجاز المسمى استعارة
وذلك لمضاهاتها للفاعل في ملابسة الفعل كما يضاهي الرجل الاسد في جراءته فيستعار له اسمه فقال في
المفعول به عيشة راضية وماء دافق وفي عكسه سيل مفعم وفي المصدر شعر شاعر وذيل ذائل وفي الزمان نهاره
صائم وليله قائم وفي المكان طريق سائر ونهر جار واهل مكة يقولون صلى المقام وفي المسبب بنى الامير
المدينة وناقة ضبوث وحلوب وقال الاعرابي يا في القدرين يستعيرها لا السلطان هو الخاتم في الحقيقة
او الكافر الا ان الله تعالى لما كان هو الذي اقدره ومكنه اسند اليه الختم كما يسند الفعل الى المسبب
ووجه رابع وهو انهم لما كانوا على القطع والبت ممن لا يؤمنون ولا يغني عنهم الآيات والنذر ولا يجدي
عليهم الالطاف المحصلة ولا المقربة ان اعطوها لم يبق بعد استحكام العلم انه لا طريق الى ان يؤمنوا طوعا
واختيارا طريق الى ايمانهم الا القسر والالجاء واذ لم يبق طريق الا ان يقسرهم الله ويلجئهم ثم لم يقسرهم ولم
يلجئهم لئلا ينتقض الغرض في التكليف عبر عن ترك القسر والالجاء بالختم اشعارا بانهم الذين ترامى امرهم
في التصميم على الكفر والاصرار عليه الى حد لا ينتهون عنه الا بالقسر والالجاء وهي الغاية القصوى
في وصف لجاجهم في الغي واستشرائهم في الضلال والبغي ووجه خامس وهو ان يكون حكاية لما كان
الكفرة يقولونه تهكما بهم من قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب
ونظيره في الحكاية والتهكم قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة
فان قلت اللفظ يحتمل ان تكون الاسماع داخلة في حكم الختم وفي حكم التغشية فعلى ايهما يحمل قلت على
دخولها في حكم الختم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولوقفهم على سمعهم دون
قلوبهم فان قلت اي فائدة في تكرير الجار في قوله وعلى سمعهم قلت لو لم يكرر لكان انتظاما للقلوب والاسماع
في تعدية واحدة وحين استجد للاسماع تعدية على حدة كان ادل على شدة الختم في الموضعين ووحد
السمع كما وحد البطن في قوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا يفعلون ذلك اذا امن اللبس فاذا لم يؤمن
كقولك فرسهم وثوبهم وانت تريد الجمع رفضوه ولك ان تقول السمع مصدر في اصله والمصادر لا تجمع
فلمح الاصل يدل عليه جمع الاذن في قوله وفي آذاننا وقر وان تقدر مضافا محذوفا اي وعلى حواس سمعهم
وقرأ ابن ابي عبلة وعلى اسماعهم فان قلت هل يجوز الكسائي امالة ابصارهم وما فيه من حرف الاستعلاء
وهو الصاد قلت لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير كان فيها كسرتين وذلك اعون شيء
على الامالة وان يمال له الالف والبصر نور العين وهو ما يبصر به الرائي ويدرك المرئيات كما ان البصيرة
نور القلب وهو ما به يستبصر ويتأمل وكانهما جوهران لطيفان خلقهما الله فيهما آلتين للابصار والاستبصار
وقرئ غشاوة وغشاوة بالفتح والنصب وغشوة بالكسر والرفع وغشوة بالفتح والرفع والنصب وغشاوة

على شدة التعنت الموضعين ووحد السمع كما وحد البطن في قوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا فان بطنكم في معنى خمص
يفعلون ذلك اذا امن اللبس فاذا لم يؤمن كقولك فرسهم وثوبهم وانت تريد الجمع رفضوه ولك ان تقول
السمع مصدر في اصله والمصادر لا تجمع فلمح الاصل يدل عليه جمع الاذن في قوله وفي آذاننا وقر وان
تقدر مضافا محذوفا اي وعلى حواس سمعهم وقرأ ابن ابي عبلة وعلى اسماعهم فان قلت هل يجوز
من امالة ابصارهم وما فيه من حروف الاستعلاء وهو الصاد قلت لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من
التكرير كان فيها كسرتين وذلك اعون شيء على الامالة وان يمال له الالف والبصر نور العين وهو ما يبصر به
الرائي ويدرك المرئيات كما ان البصيرة نور القلب وهو ما به يستبصر ويتأمل وكانهما جوهران لطيفان
خلقهما الله فيهما آلتين للابصار والاستبصار وقرئ غشاوة بالكسر والنصب وغشاوة بالضم والرفع
بالفتح والنصب وغشوة بالكسر والرفع وغشوة بالفتح والرفع والنصب وعشاوة بالعين غير المعجمة والرفع من
العشا والمعنى انهم لا يبصرون الحق ومعنى الغشاوة والعشاوة وهي ان تعشو عن الشيء كما تقول لمن لا ينتفع بالعذاب
العطش وهي لا يجدي على الكفر فيدل على ان لا يستفيد الا نقمة
على القلب في يكره ثم اتبع فيه منهم في عقابهم لا سيما المستكبر عن الحق من العاد
بين العظيم والكبير ان العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكان العظيم فوق الكبير كما ان الحقير دون الصغير
في الحث والاحداث جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته او خطره ومعنى التنكير ان على ابصارهم نوعا من
غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن آيات الله ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله
عقابك ولا سيما المحيط بانواع المعرفة الخ ـ ـ لما ذكر الذين اخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم
والسنتهم ثم ثنى بالذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا قلوبا والسنة ثم ثلث بالذين آمنوا بافواههم
ولم تؤمن قلوبهم وابطنوا خلاف ما اظهروا وهم الذين قال فيهم مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء
وسماهم المنافقين وكانوا اخبث الكفرة وابغضهم اليه وامقتهم عنده لانهم خلطوا بالكفر تمويها وتدليسا
واستهزاء وخداعا ولذلك انزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ووصف حال الذين كفروا في
آيتين وحال الذين نافقوا في ثلاث عشرة آية نعى عليهم فيها خبثهم ومكرهم وفضحهم وسفههم واستجهلهم واستهزأ

وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صماً بكماً عمياً وضرب الأمثال الشنيعة وقصة المنافقين عن
آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة وأصل ناس أناس حذفت همزته تخفيفاً كما قيل لوقة
في ألوقة وحذفها مع لام التعريف كاللازم لا يكاد يقال الأناس ويشهد لأصله إنسان وأناس وأناسي
وإنس وسموا لظهورهم وأنهم يؤنسون أي يبصرون كما سمي الجن لاجتنانهم ولذلك سموا بشراً ووزن ناس
فعال لأن الزنة على الأصول ألا ترى أنك تقول في وزن قه افعل وليس معك إلا العين وحدها وهو من أسماء
الجمع كرجال وأسماء من أسماء الجمع كرخال وأناس من أسماء الجمع على خلاف كرخال ويجعل ولام التعريف فيه للجنس ويجوز
أن يكون للعهد والإشارة إلى الذين كفروا المار ذكرهم كأنه قيل ومن هؤلاء من يقول وهم عبد الله بن أبي وأصحابه
ومن كان في حالهم من أهل التصميم على النفاق ونظير موقعه موقع القوم في قولك نزلت ببني فلان فلم يقروني
والقوم لئام ومن في من يقول موصوفة كأنه قيل ومن الناس ناس يقولون كذا كقوله من المؤمنين رجال
إن جعلت اللام للجنس وإن جعلتها للعهد فموصولة كقوله ومنهم الذين يؤذون النبي فإن قلت كيف
يجعلون بعض أولئك والمنافقون غير المختوم على قلوبهم قلت الكفر جمع الفريقين معاً وصيرهم جنساً واحداً وكون
المنافقين نوعاً من نوعي هذا الجنس مغايراً للنوع الآخر بزيادة زادوها على الكفر الجامع بينهما من الخديعة
والاستهزاء لا يخرجهم من أن يكونوا بعضاً من الجنس فإن الأجناس إنما تنوعت لمغايرات وقعت بين بعضها
وبعض وتلك المغايرات إنما تأتي بالنوعية ولا تأبى الدخول تحت الجنسية فإن قلت لم اختص بالذكر الإيمان
بالله والإيمان باليوم الآخر قلت اختصاصهما بالذكر كشف عن إفراطهم في الخبث وتماديهم في الدعارة
لأن القوم كانوا يهوداً وإيمان اليهود بالله ليس بإيمان لقولهم عزير ابن الله وكذلك إيمانهم باليوم الآخر لأنهم
يعتقدونه على خلاف صفته فكان قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر خبثاً مضاعفاً وكفراً موجهاً لأن هذا لو
صدر عنهم لا على وجه النفاق وعقيدتهم فهو كفر لا إيمان فإذا قالوه على وجه النفاق خديعة للمسلمين واستهزاء
بهم وأروهم أنهم مثلهم في الإيمان الحقيقي كان خبثاً إلى خبث وكفراً إلى كفر وأيضاً فقد أوهموا في هذا المقال
أنهم اختاروا الإيمان من جانبيه واكتنفوه من قطريه وأحاطوا بأوله وآخره وفي تكرير الباء أنهم ادعوا
كل واحد من الإيمانين على صفة الصحة والاستحكام فإن قلت كيف طابق قوله وما هم بمؤمنين قولهم

آمنا بالله وباليوم الآخر والأول في ذكر شأن الفعل لا الفاعل والثاني في ذكر شأن الفاعل لا الفعل
قلت القصد إلى إنكار ما ادعوه ونفيه فسلك في ذلك طريق أدى إلى الغرض المطلوب وفيه من التوكيد
والمبالغة ما ليس في غيره وهو إخراج ذواتهم وأنفسهم من أن يكون طائفة من طوائف المؤمنين لما علم من
حالهم المنافية لحال الداخلين في الإيمان وإذا شهد عليهم بأنهم في أنفسهم على هذه الصفة فقد انطوى تحت
الشهادة عليهم بذلك نفي ما انتحلوا إثباته لأنفسهم على سبيل القطع والبت ونحوه قوله تعالى يريدون أن
يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها هو أبلغ من قولك وما يخرجون منها فإن قلت فلم جاء الإيمان مطلقاً
في الثاني وهو مقيد في الأول قلت يحتمل أن يراد التقييد ويترك لدلالة المذكور عليه وأن يراد بالإطلاق
أنهم ليسوا من الإيمان في شيء قط لا من الإيمان بالله وباليوم الآخر ولا من الإيمان بغيرهما فإن قلت ما المراد
باليوم الآخر قلت يجوز أن يراد به الوقت الذي لا حد له وهو الأبد الدائم الذي لا ينقطع لتناهي أوقات
المنقضية وأن يراد به الوقت المحدود من النشور إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار لأنه آخر
الأوقات المحدودة الذي لا حد للوقت بعده والخدع أن يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه
من قولهم ضب خادع وخدع إذا أمرّ الحارش يده على باب جحره أوهمه إقباله عليه ثم خرج من باب آخر
فإن قلت كيف ذلك ومخادعة الله والمؤمنين لا تصح لأن العالم الذي لا يخفى عليه خافية لا
يخدع والحكيم الذي لا يفعل القبيح لا يخدع والمؤمنون وإن جاز أن يخدعوا لم يجز أن يخدعوا ألا ترى إلى
قوله واستمطروا من قريش كل منخدع وقوله لذي الرمة إن الحليم وذا الإسلام يختلب قلت
بالانخداع ولم يأت بالخداع قلت فيه وجوه أحدها أن يقال كانت صورة صنعهم مع الله حيث يتظاهرون
بالإيمان وهم كافرون صورة صنع الخادعين وصورة صنع الله معهم حيث أمر بإجراء أحكام المسلمين
عليهم وهم عنده في عداد شرار الكفرة وأهل الدرك الأسفل من النار صورة صنع الخادع وكذلك
صورة صنع المسلمين معهم حيث امتثلوا أمر الله فيهم فأجروا أحكامهم عليهم والثاني أن يكون ذلك
ترجمة عن معتقدهم وظنهم أن الله ممن يصح خداعه لأن من كان ادعاؤه الإيمان بالله نفاقاً لم يكن عارفاً
بالله ولا بصفاته ولا أن لذاته تعلقاً بكل معلوم ولا أنه غني عن فعل القبائح فلم يبعد من مثله تجويز أن يكون

اخو ان الكريم اذا خادعته انخدعا

الشيء في عدوه او مضايا المكر ومن وجه حقيق ويجوز ان يدلس عن عباده ويخادعهم والثالث ان يذكر الله
ويراد الرسول لانه خليفته في ارضه والناطق عنه باوامره ونواهيه مع عباده كما يقال قال الملك كذا ورسم كذا
وانما القائل والراسم وزيره او بعض خاصته الذين قولهم قوله ورسمهم رسمه ومصداقه قوله ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم ومن يطع الرسول فقد اطاع الله والرابع ان يكون
من قولهم اعجبني زيد وكرمه فيكون المعنى يخادعون الذين امنوا بالله وفائدة هذه الطريقة قوة
الاختصاص ولما كان المؤمنون من الله بمكان سلك بهم ذلك المسلك ومثله والله ورسوله احق ان يرضوه
وكذلك ان الذين يؤذون الله ورسوله ونظيره في كلامهم علمت زيدا فاضلا الغرض فيه ذكر العلم
بفضل زيد لا به نفسه لانه كان معلوما له قديما كانه قيل علمت فضل زيد ولكن ذكر زيد توطئة
وتمهيد لذكر فضله فان قلت هل للاقتصار بخادعت على واحد وجه صحيح قلت وجهه ان يقال عنى به فعلت الا
انه اخرج في زنة فاعلت لان الزنة في اصلها للمغالبة والمباراة والفعل متى غولب فيه فاعله جاء ابلغ واحكم
منه اذا زاوله وحده من غير مغالب لا مبار لزيادة قوة الداعي اليه ويعضده قراءة من قرا يخدعون الله
والذين امنوا وهو ابو حيوة ويخادعون بيان ليقول ويجوز ان يكون مستانفا كانه قيل ولم يدعون
الايمان كاذبين وما رفقهم في ذلك فقيل يخادعون فان قلت عم كانوا يخادعون قلت كانوا يخادعون
عن اغراض لهم ومقاصد منها متاركتهم واعفاؤهم عن المحاربة وعما يطرقون به من سواهم من الكفار
ومنها اصطناعهم بما يصطنعون به المؤمنين من اكرامهم والاحسان اليهم واعطائهم الحظوظ من المغانم
ونحو ذلك من الفوائد ومنها اطلاعهم لاختلاطهم بهم على الاسرار التي كانوا حراصا على اذاعتها الى
منابذيهم فان قلت فلم اظهرهم عليهم حتى لا يصلوا الى هذه الاغراض بخداعهم عنها قلت لم يظهر عليهم لما
احاط به علما من المصالح التي لو اظهرهم عليهم لانقلبت مفاسد واستبقاء ابليس وذريته ومتاركتهم
وما هم عليه من اغواء المنافقين وتلقينهم النفاق اشد من ذلك ولكن السبب فيه ما علم الله تعالى من
المصلحة فان قلت ما المراد بقوله وما يخادعون الا انفسهم قلت يجوز ان يراد وما يعاملون تلك المعاملة
المشبهة بمعاملة المخادعين الا انفسهم لان ضررها يلحقهم ومكرها يحيق بهم كما تقول فلان يضار فلانا

وما يضار الا نفسه اي دائرة الضرار راجعة اليه وغير متخطية اياه او يراد حقيقة المخادعة اي وهم في
ذلك يخدعون انفسهم حيث يمنونها الاباطيل ويكذبونها فيما يحدثونها به وانفسهم كذلك تمنيهم
وتحدثهم بالاماني وان يراد ما يخدعون فجيء به على لفظ يفاعلون للمبالغة وقرئ وما يخدعون
ويخدعون من خدع ويخدعون بفتح الياء بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون على لفظ ما لم
يسم فاعله والنفس ذات الشيء وحقيقته يقال عندي كذا نفسا ثم قيل للقلب نفس لان النفس
به الا ترى الى قولهم المرء باصغريه وكذلك الروح وللدم نفس لان قوامها بالدم وللماء نفس لفرط حاجتها اليه
قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي وحقيقة نفس الرجل بمعنى عينه فقيل اصيبت نفسه كقولهم صدر الرجل
وقولهم فلان يؤامر نفسه اذا تردد في الامر واتجه له رايان وداعيان لا يدري على ايهما يعرج كانهم ارادوا داعيي
النفس وهاجسي النفس سموهما نفسين لما يصدران عن النفس ولان الداعيين لما كانا كالمشيرين
عليه والامرين له شبهوهما بذاتين فسموهما نفسين والمراد بالانفس ههنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم ذواتهم ان
الخداع لاحق بهم لا يعدوهم الى غيرهم ولا يتخطاهم الى من سواهم ويجوز ان يراد قلوبهم ودواعيهم وآراؤهم
والشعور علم الشيء علم حس من الشعار ومشاعر الانسان حواسه والمعنى ان لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس
وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له واستعمال المرض في القلب يجوز ان يكون حقيقة ومجازا فالحقيقة ان
يراد الالم كما تقول في جوفه مرض والمجاز ان يستعار لبعض اعراض القلب كسوء الاعتقاد والغل والحسد والميل
الى المعاصي والعزم عليها واستشعار الهوى والجبن والضعف وغير ذلك مما هو فساد وآفة شبيهة بالمرض
كما استعيرت الصحة والسلامة في نقائض ذلك والمراد به هنا ما في قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر او من
الغل والحسد والبغضاء لان صدورهم كانت تغلي على رسول الله صلعم والمؤمنين غلا وحنقا ويبغضونهم
البغضاء التي وصفها الله في قوله قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر ويتحرقون عليهم حسدا
مسكحة تشوهم وناهيك بما كان من ابن ابي وقول سعد بن عبادة لرسول الله صلعم اعف عنه
يا رسول الله واصفح فوالله لقد اعطاك الله الذي اعطاك ولقد اصطلح اهل هذه البحيرة ان يعصبوه بالعصابة
فلما رد الله ذلك بالحق الذي اعطاكه شرق بذلك او يراد ما في قلوبهم من الضعف والجبن والخور

لان قلوبهم كانت قوية اما لقوة طمعهم فيما كانوا يتحدثون به ان ريح الاسلام تهب حينا ثم تسكن ولواءه
يخفق اياما ثم يقر فضعفت حين ملكها الياس عند انزال الله على رسوله النصر واظهار دين الحق على الدين كله
واما لجراتهم وجسارتهم في الحروب فضعفت جبنا وخورا حين قذف الله في قلوبهم الرعب وشاهدوا
شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة قال رسول الله صم نصرت بالرعب مسيرة شهر ومعنى زيادة الله
اياهم مرضا انه كلما انزل على رسوله الوحي فسمعوه كفروا به فازدادوا كفرا الى كفرهم فكان الله هو الذي زادهم
ما ازدادوه واسناد الفعل الى المسبب له كما اسند الى السورة في قوله فزادتهم رجسا لكونها سببا او كلما زاد رسوله
نصرة وتبسطا في البلاد ونقصا من اطراف الارض ازدادوا حسدا وغلا وبغضا وازدادت قلوبهم ضعفا
وقلة طمع فيما عقدوا به رجاءهم وجبنا وخورا ويحتمل ان يراد بزيادة المرض الطبع وقرا ابو عمرو في رواية الاصمعي
مرض ومرضا بسكون الراء يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع ووصف العذاب به نحو قوله تحية بينهم ضرب وجيع وهذا
على طريقة قولهم جد جده والالم في الحقيقة للمؤلم كما ان الجد للجاد والمراد بكذبهم قولهم امنا بالله وباليوم الاخر وفيه رمز
الى قبح الكذب وسماجته وتخييل ان العذاب الاليم لاحق بهم من اجل كذبهم ونحوه قوله مما خطيئاتهم اغرقوا والقوم
كفرة وانما خصت الخطيئات استعظاما لها وتنفيرا عن ارتكابها والكذب الاخبار عن الشيء على خلاف ما هو به وهو قبيح كله
واما ما يروى عن ابرهيم عم انه كذب ثلث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما كانت صورته صورة الكذب سمي
به ومن قرا يكذبون من كذبه الذي هو نقيض
صدقه ومن كذب الذي هو مبالغة في كذب كما بولغ في صدق فقيل صدق ونظيرهما بان الشيء وبين
وقلص الثوب وقلص او بمعنى الكثرة كقولهم موتت البهائم وبركت الابل او من قولهم كذب الوحشي اذا جرى
شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه لان المنافق متوقف متردد في امره ولذلك قيل له مذبذب وقال عليه السلام مثل
المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة واذا قيل لهم لا تفسدوا
معطوف على يكذبون ويجوز ان يعطف على يقول امنا لانك لو قلت ومن الناس من اذا قيل لهم لا تفسدوا
كان صحيحا والاول اوجه والفساد خروج الشيء عن حال استقامته وكونه منتفعا به ونقيضه الصلاح وهو الحصول
على الحالة المستقيمة النافعة والفساد في الارض هيج الحروب والفتن لان في ذلك فساد ما في الارض وانتفاء

الاستقامة عن احوال الناس والزروع والمنافع الدينية والدنيوية قال الله تعالى واذا تولى سعى في الارض ليفسد
فيها ويهلك الحرث والنسل اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ومنه قيل لحرب كانت بين طيء حرب الفساد
وكان فساد المنافقين في الارض انهم كانوا يمايلون الكفار ويمالئونهم على المسلمين بافشاء اسرارهم واغرائهم
عليهم وذلك مما يؤدي الى هيج الفتن بينهم فلما كان ذلك من صنيعهم مؤديا الى الفساد قيل لهم لا تفسدوا كما
تقول للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار اذا اقدم على ما هذه عاقبته وانما لقصر الحكم على
شيء كقولك انما ينطلق زيد او لقصر الشيء على حكم كقولك انما زيد كاتب ومعنى انما نحن مصلحون ان صفة المصلحين
خلصت لهم وتمحضت من غير شائبة قادح فيها من وجه من وجوه الفساد والا مركبة من حرف النفي لاعطاء معنى
التنبيه على تحقق ما بعدها والاستفهام اذا دخل على النفي افاد تحقيقا كقوله اليس ذلك بقادر ولكونها في هذا
المنصب من التحقيق لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم واختها التي هي اما من مقدمات
اليمين وطلائعها اما والذي لا يعلم الغيب غيره اما والذي ابكى واضحك والذي امات واحيا والذي
امره الامر رد الله ما ادعوه من الانتظام في جملة المصلحين ابلغ رد وادل على سخط عظيم والمبالغة فيه من
الاستيناف وما في كلتا الكلمتين الا وان من التاكيدين وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون
انهم في النصيحة من وجهين احدهما تقبيح ما كانوا عليه لبعده من الصواب وجره الى الفساد والفتنة والثاني
تبصيرهم الطريق الاسد من اتباع ذوي الاحلام ودخولهم في عدادهم فكان من جوابهم ان سفهوهم لفرط سفههم
وجهلوهم لتمادي جهلهم وفي ذلك تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة فان قلت كيف صح ان يسند قيل الى
لا تفسدوا وامنوا واسناد الفعل الى الفعل مما لا يصح قلت الذي لا يصح هو اسناد الفعل الى معنى الفعل وهذا
اسناد الى لفظه كانه قيل واذا قيل لهم هذا القول وهذا الكلام فهو نحو قولك الف ضرب من ثلاثة احرف
ومنه زعموا مطية الكذب وما في كما يجوز ان تكون كافة مثلها في ربما ومصدرية مثلها في بما رحبت
واللام في الناس للعهد اي كما امن رسول الله ومن معه وهم ناس معهودون او عبد الله بن سلام واشياعه
لانهم من جلدتهم ومن ابناء جنسهم اي كما امن اصحابكم واخوانكم او للجنس اي كما امن الكاملون في الانسانية
او جعل المؤمنون كانهم الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهائم في فقد التمييز بين الحق والباطل والاستفهام

في أنؤمن في معنى الانكار واللام في السفهاء مشار بها الى الناس كما تقول لصاحبك ان زيدا قد سعى بك فيقول
او قد فعل السفيه ويجوز ان يكون للجنس وينطوي تحته الجاري ذكرهم على زعمهم واعتقادهم لانهم عندهم
اعرق الناس في السفه فان قلت لم سفهوهم واستركوا عقولهم وهم العقلاء المراجيح قلت لانهم لجهلهم واخلالهم
بالنظر وانصاف انفسهم اعتقدوا ان ما هم فيه هو الحق وان ما عداه باطل ومن ركب متن الباطل كان
سفيها ولانهم كانوا في رياسة وسطة في قومهم ويسار وكان اكثر المؤمنين فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال
وخباب فدعوهم سفهاء تحقيرا لشانهم او ارادوا عبد الله بن سلام واشياعه ومفارقتهم دينهم وما غاظهم
من اسلامهم وفت في اعضادهم قالوا ذلك على سبيل التجلد توقيا من الشماتة بهم مع علمهم انهم من السفه بمعزل
والسفه سخافة العقل وخفة الحلم فان قلت لم فصلت هذه الآية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون قلت
لان امر الديانة والوقوف على ان المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج الى نظر واستدلال حتى يكتسب
الناظر المعرفة واما النفاق وما فيه من البغي المؤدي الى الفتنة والفساد في الارض فامر دنيوي مبني على
العادات معلوم عند الناس خصوصا عند العرب في جاهليتهم وما كان قائما بينهم من التغاور والتناحر
والتحارب والتحازب فهو كالمحسوس المشاهد ولانه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه احسن طباقا
لمساق هذه الآية بخلاف ما سبقت له اول قصة المنافقين فليس بتكرير لان تلك في بيان مذهبهم والترجمة
من نفاقهم وهذه لبيان ما كانوا يعملون عليه مع المؤمنين من التكذيب لهم والاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين
وايهامهم انهم معهم فاذا فارقوهم الى شطارهم صدقوهم ما في قلوبهم وروي ان عبد الله بن ابي واصحابه
خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من اصحاب رسول الله فقال عبد الله انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء
عنكم فاخذ بيد ابي بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل
نفسه وماله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله
لرسول الله ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله ثم
افترقوا فقال لاصحابه كيف رأيتموني فعلت فاثنوا عليه خيرا فنزلت ويقال لقيته ولاقيته اذا استقبلته قريبا
منه وهو جاري ملاقيّ وملاصقيّ وقرأ ابو حنيفة رض واذا لاقوا وخلوت بفلان واليه اذا انفردت معه

الجزء ١٩

معه ويجوز ان يكون من خلا بمعنى مضى وخلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية ومن خلوت
به اذا سخرت منه وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه واذا انهوا السخرية بالمؤمنين الى شياطينهم
وحدثوهم بها كما تقول احمد اليك فلانا واذمه اليك وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم
وقد جعل سيبويه نون الشيطان في موضع من كتابه اصلية وفي آخر زائدة والدليل على اصالتها قولهم
تشيطن واشتقاقه من شطن اذا بعد لبعده من الصلاح والخير ومن شاط اذا بطل اذا جعلت نونه زائدة
ومن اسمائه الباطل انا معكم اي انا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم فان قلت لم كانت مخاطبتهم المؤمنين بالجملة
الفعلية وشياطينهم بالاسمية محققة بان قلت ليس ما خاطبوا به المؤمنين جديرا باقوى الكلامين واوكدهما
لانهم في ادعاء حدوث الايمان منهم ونشئه من قبلهم لا في ادعاء انهم اوحديون في الايمان غير مشقوق فيه غبارهم
اما لان انفسهم لا تساعدهم عليه اذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك وهكذا كل قول لم يصدر عن اريحية
وصدق رغبة واعتقاد واما لانه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التوكيد والمبالغة وكيف يقولونه ويطمعون
في رواجه وهم بين ظهراني المهاجرين والانصار الذين مثلهم في التوراة والانجيل الا ترى الى حكاية الله
قول المؤمنين ربنا آمنا واما مخاطبة اخوانهم فهم فيما اخبروا به عن انفسهم من الثبات على اليهودية والقرار
على اعتقاد الكفر والبعد من ان يزلوا عنه على صدق رغبة ووفور نشاط وارتياح للتكلم به وما قالوه
من ذلك فهو رائج عنهم متقبل منهم فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد فان قلت انى يتعلق قوله انما نحن
مستهزئون بقوله انا معكم قلت هو توكيد له لان قوله انا معكم معناه الثبات على اليهودية وقوله انما نحن مستهزئون
رد للاسلام ودفع له منهم لان المستهزئ بالشيء المستخف به منكر له ودافع لكونه معتدا به ودفع نقيض الشيء
تاكيد لثباته او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استئناف كانهم اعترضوا عليهم حين قالوا
لهم انا معكم فقالوا فما بالكم ان صح انكم معنا توافقون اهل الاسلام فقالوا انما نحن مستهزئون
والاستهزاء السخرية والاستخفاف واصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات على
المكان وعن بعض العرب مشيت فلغبت فظننت لاهزأن على مكاني وناقته تهزأ به اي تسرع وتخف
فان قلت لا يجوز الاستهزاء على الله تعالى لانه متعال عن القبيح والسخرية من باب العيب والجهل الا ترى الى

قوله قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين فما معنى استهزائه بهم قلت معناه إنزال الهوان
والحقارة بهم لأن المستهزئ غرضه الذي يرميه هو طلب الخفة والزراية ممن يهزأ به وإدخال الهوان والحقارة
والاشتقاق كما ذكرنا شاهد لذلك وقد كثر التهكم في كلام الله بالكفرة والمراد به تحقير شأنهم وازدراء
والدلالة على أن مذاهبهم حقيقة بأن يسخر منها الساخرون ويضحك الضاحكون ويجوز أن يراد به ما مر في
يخادعون من أنه يجرى عليهم أحكام المسلمين في الظاهر وهو مبطن بادخار ما يراد بهم وقيل سمى جزاء الا
باسمه كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه فإن قلت كيف ابتدئ قوله الله
يستهزئ بهم ولم يعطف على الكلام قبله قلت هو استئناف في غاية الجزالة والفخامة وفيه أن الله عز وجل
هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ الذي ليس استهزاؤهم إليه باستهزاء ولا يؤبه له في مقابلته لما
بهم من النكال ويحل بهم من الهوان والذل وفيه أن الله هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين
يحوج المؤمنين أن يعارضوهم باستهزاء مثله فإن قلت فهلا قيل الله مستهزئ بهم ليكون طبقا لقوله
إنما نحن مستهزؤن قلت لأن يستهزئ يفيد حدوث الاستهزاء وتجدده وقتا بعد وقت وهكذا كا
نكايات الله فيهم وبلاياه النازلة بهم أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين وما كانوا يخلون
أكثر أوقاتهم من تهتك أستار وتكشف أسرار ونزول في شأنهم واستشعار حذر من أن ينزل فيهم
المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا إن الله مخرج ما تحذرون
في طغيانهم يعمهون من مد الجيش وأمده إذا زاده وألحق به ما يقويه ويكثره وكذلك مد الدواة و
زادها ما يصلحها ومددت السراج والأرض إذا استصلحتهما بالزيت والسماد ومده الشيطان في الغي وأمده
وصله بالوساوس حتى يتلاحق غيه ويزداد انهماكا فيه فإن قلت لم زعمت أنه من المدد دون المد في العمر
والإمهال قلت كفاك دليلا على أنه من المدد دون المد قراءة ابن كثير وابن محيصن ويمدهم وقراءة نافع
يمدونهم على أن الذي بمعنى أمهله إنما هو مد له مع اللام كأملى له فإن قلت فكيف جاز أن يوليهم الله مددا
في الطغيان وهو فعل الشياطين ألا ترى إلى قوله وإخوانهم يمدونهم في الغي قلت إما أن يحمل على أنهم لما
ألطافه التي يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم وإصرارهم عليه بقيت قلوبهم بتزايد الرين والظلمة

تزايد الانشراح والنور في قلوب المؤمنين فسمي ذلك التزايد مددا وأسند إلى الله سبحانه لأنه مسبب عن فعله بهم
بسبب كفرهم وإما على منع القسر والإلجاء وإما على أن يسند فعل الشيطان إلى الله لأنه بتمكينه وإقداره والتخلية
بينه وبين إغواء عباده فإن قلت فما حملهم على تفسير المد في الطغيان بالإمهال وموضوع اللغة كما ذكرت لا
يطاوع عليه قلت استجرهم إلى ذلك خوف الإقدام على أن يسندوا إلى الله ما أسندوا إلى الشياطين ولكن المعنى
ما طابقه اللفظ وشهد لصحته وإلا كان بمنزلة الأروى من النعام ومن حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز
أن يتعاهد في مذاهبه بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدي سليما من القادح فإذا
يتعاهد أوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل ويعضد ما قلناه قول الحسن في تفسيره
ضلالتهم يتمادون وأن هؤلاء من أهل الطبع والطغيان الغلو في الكفر ومجاوزة الحد في العتو وقرأ زيد بن
علي في طغيانهم بالكسر وهما لغتان كلقيان ولقيان وغنيان وغنيان فإن قلت أي نكتة في إضافته
إليهم قلت فيها أن الطغيان والتمادي في الضلالة مما اقترفته أنفسهم واجترحته أيديهم وأن الله
منه ردا لاعتقاد الكفرة القائلين لو شاء الله ما أشركنا ونفيا لوهم من عسى يتوهم عند إسناد المد
ذاته لو لم يضف الطغيان إليهم أن الطغيان فعل الله وإنما أسند المد إليه على الطريق الذي ذكرت إسناد فعل الشياطين
إليهم ليميط الشبهة ويقلعها ويدمغ في صدر من يلحد في صفاته ومصداق ذلك أنه حين أسند المد إلى
أطلق الغي ولم يقيده بالإضافة في قوله وإخوانهم يمدونهم في الغي والعمه مثل العمى إلا أن العمى عام في
والرأي والعمه في الرأي خاصة وهو التحير والتردد لا يدري أين يتوجه ومنه قوله بالجاهلين العمه أي الذين
لا رأي لهم ولا دراية بالطريق وسلك ... عمهاء لا منار بها معنى اشتراء الضلالة بالهدى اختيارها عليه
على سبيل الاستعارة لأن الاشتراء فيه إعطاء بدل وأخذ آخر ومنه أخذت بالجمة رأسا أزعرا وبالثنايا
الواضحات الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم إذ تنصرا وعن وهب قال الله تعالى فيما
بني إسرائيل تفقهون لغير الدين وتعلمون لغير العمل وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة فإن قلت كيف اشتروا
الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى قلت جعلوا لتمكنهم منه وإعراضهم له كأنه في أيديهم فإذا تركوه إلى
فقد عطلوه واستبدلوها به ولأن الدين القيم هو فطرة الله التي فطر الناس عليها فكل من ضل فهو مستبدل

ومهمه أطرافه في مهمه
أعمى الهدى بالجاهلين العمه

[illegible]

خلاف العمارة والضلالة التي هي الجور عن القصد وفقد الاهتداء يقال ضل منزله وضل دريص نفقه فاستعير للذهاب عن
الصواب في الدين والربح الفضل على رأس المال ولذلك سمي الشف من قولك أشف بعض ولده على بعض إذا فضله
على هذا شف والتجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح وناقة تاجرة كأنها من حسنها وسمنها تبيع
نفسها وقرأ ابن أبي عبلة تجاراتهم فإن قلت كيف أسند الخسران إلى التجارة وهو لأصحابها قلت هو من الإسناد
المجازي وهو أن يسند الفعل إلى شيء يتلبس بالذي هو في الحقيقة له كما تلبست التجارة بالمشترين فإن قلت هل
يصح ربح عبدك وخسرت جاريتك على الإسناد المجازي قلت نعم إذا دلت الحال وكذلك الشرط في صحة رأيت أسدا
وأنت تريد المقدام إن لم تقم حال دالة لم يصح فإن قلت هب أن شرى الضلالة بالهدى وقع مجازا في معنى الاستبدال
فما معنى ذكر الربح والتجارة كأن ثم مبايعة على الحقيقة قلت هذا من الصنعة البديعة التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا
وهي أن تساق كلمة مساق المجاز ثم تقفى بأشكال لها وأخوات إذا تلاحقن لم تر كلاما أحسن منه ديباجة وأكثر ماء
ورونقا وهو المجاز المرشح وذلك نحو قول العرب في البليد كأن أذني قلبه خطلاوان جعلوه كالحمار ثم رشحوا ذلك
روما لتحقيق البلادة فادعوا لقلبه أذنين وادعوا لهما الخطل ليمثلوا البلادة تمثيلا يلحقها ببلادة الحمار
ونحوه ولما رأيت النسر عز ابن داية وعشش في وكريه جاش له صدري لما شبه الشيب بالنسر والشعر
الفاحم بالغراب أتبعه ذكر التعشيش والوكر ونحوه قول بعض فتاكهم في أمه فما أم الردين وإن أدلت بعالمة
بأخلاق الكرام إذا الشيطان قصع في قفاها تنفقناه بالحبل التؤام أي إذا دخل الشيطان في قفاها أخرجناه
من نافقائه بالحبل المثنى المحكم يريد إذا حردت وساءت الخلق اجتهدنا في إزالة غضبها وإماطة ما يسوء من
خلقها استعار التقصيع أولا ثم ضم إليه التنفق ثم الحبل التؤام وكذلك لما ذكر سبحانه الشرى أتبعه ما يشاكله ويواخيه
وما يكمل ويتم بانضمامه إليه تمثيلا لخسارهم وتصويرا لحقيقته فإن قلت فما معنى قوله فما ربحت تجارتهم وما كانوا
مهتدين قلت معناه أن الذي يطلبه التجار في متصرفاتهم شيئان سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد أضاعوا
الطلبتين معا لأن رأس مالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة وحين لم يبق في أيديهم إلا الضلالة لم
يوصفوا بإصابة الربح وإن ظفروا بما ظفروا به من الأغراض الدنيوية لأن الضال خاسر دامر ولأنه لا يقال لمن
لم يسلم له رأس ماله قد ربح وما كانوا مهتدين لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح فيه ويخسر

لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميما للبيان ولضرب العرب الأمثال
واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني ورفع الأستار عن الحقائق حتى تريك
المتخيل في صورة المحقق والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كأنه مشاهد وفيه تبكيت للخصم الألد وقمع
لسورة الجامح الأبي ولأمر ما أكثر الله في كتابه المبين وفي سائر كتبه أمثاله وفشت في كلام رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكلام الأنبياء والحكماء قال الله تعالى وتلك الأمثال نضربها للناس الآية ومن سور الإنجيل سورة الأمثال
والمثل في أصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول
السائر الممثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا مثلا ولا رأوه أهلا للتسيير ولا جديرا بالتداول والقبول
إلا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه ومن ثم حوفظ عليه وحمي من التغيير فإن قلت ما معنى مثلهم كمثل الذي استوقد
نارا وما مثل المنافقين ومثل الذي استوقد نارا حتى شبه أحد المثلين بصاحبه قلت قد استعير المثل
استعارة الأسد للمقدام للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة كأنه قيل حالهم العجيبة الشأن كحال
الذي استوقد نارا وكذلك قوله مثل الجنة التي وعد المتقون أي فيما قصصنا عليك من العجائب قصة
الجنة العجيبة ثم أخذ في بيان عجائبها ولله المثل الأعلى أي الوصف الذي له شأن من العظمة والجلالة مثلهم في التوراة
أي صفتهم وشأنهم المتعجب منه ولما في المثل من معنى الغرابة قالوا فلان مثلة في الخير والشر فاشتقوا منه صفة
للعجيب الشأن فإن قلت كيف مثلت الجماعة بالواحد قلت وضع الذي موضع الذين كقوله وخضتم كالذي
خاضوا والذي سوغ وضع الذي موضع الذين ولم يجز وضع القائم موضع القائمين ولا نحوه من الصفات
أمران أحدهما أن الذي لكونه وصلة إلى وصف كل معرفة بجملة وتكاثر وقوعه في كلامهم ولكونه مستطالا بصلته
حقيق بالتخفيف ولذلك نهكوه بالحذف فحذفوا ياءه ثم كسرته ثم اقتصروا به على اللام وحدها في أسماء الفاعلين
والمفعولين والثاني أن جمعه ليس بمنزلة جمع غيره بالواو والنون إنما ذلك علامة لزيادة الدلالة ألا ترى
أن سائر الموصولات لفظ الجمع والواحد فيهن واحد أو قصد جنس المستوقدين أو أريد الجمع أو الفوج الذي
استوقد نارا على أن المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد وإنما
شبهت قصتهم بقصة المستوقد ونحوه قوله مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا

يطوف به الليث بكل الغضى يحمى من الموت ووقود النار سطوعها وارتفاع لهبها او من اضاءته وقيل في الجبل اذا
صعد وعلى والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق والنور ضوؤها وضوء كل نير وهو نقيض الظلمة واشتقاقها من
نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا والنور مشتق منها والاضاءة فرط الانارة ومصداق ذلك قوله
هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي في الآية متعدية ويحتمل ان تكون غير متعدية مسندة الى
ما حوله والتأنيث للحمل على المعنى لان ما حول المستوقد اماكن واشياء ويعضده قراءة ابن ابي عبلة ضاءت
وفيه وجه آخر وهو ان يستتر في الفعل ضمير النار ويجعل اشراق ضوء النار حوله بمنزلة اشراق النار نفسها
على ان ما مزيدة او موصولة في معنى الامكنة وحوله نصب على الظرف وتأليفه للدوران والاطافة وقيل للعام
حول لانه يدور فان قلت اين جواب لما قلت فيه وجهان احدهما ان جوابه ذهب الله بنورهم والثاني انه
محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به وانما جاز حذفه لاستطالة الكلام مع امن الالباس للدال عليه وكان
الحذف اولى من الاثبات لما فيه من الوجازة مع الاعراب عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو ابلغ من
اللفظ في اداء المعنى كانه قيل فلما اضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلام متحيرين متحسرين
على فوت الضوء خائبين بعد الكدح في احياء النار فان قلت فاذا قدر الجواب محذوفا فبم يتعلق ذهب الله بنورهم
قلت يكون كلاما مستأنفا كانهم لما شبهت حالهم بحال المس[illegible] اعترض سائل فقال
ما بالهم قد اشبهت حالهم حال هذا المستوقد الذي [illegible] فقيل له ذهب [illegible] بدلا
من جملة التمثيل على سبيل البيان فان قلت قد رجع الضمير في هذا الوجه الى المنافقين فما مرجعه في
الثاني قلت مرجعه الذي استوقد نارا لانه في معنى الجمع واما جمع هذا الضمير وتوحيده في حوله فلحمله
على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى فان قلت فما معنى اسناد الفعل الى الله تعالى في قوله ذهب الله بنورهم
قلت اذا طفئت النار بسبب سماوي ريح او مطر فقد اطفاها الله وذهب بنور المستوقد ووجه آخر
وهو ان يكون المستوقد في هذا الوجه مستوقد نار لا يرضاها الله ثم اما ان تكون نارا مجازية كنار
الفتنة والعداوة للاسلام وتلك النار متقاصرة مدة اشتعالها قليلة البقاء الا ترى الى قوله كلما
اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله واما نارا حقيقية اوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها الى المعاصي

ويهتدوا

ويهتدوا بها في طرق العبث فاطفاها الله وخيب امانيهم فان قلت كيف صح في النار المجازية ان توصف باضاءة
ما حول المستوقد قلت هو خارج على طريقة المجاز المرشح فاحسن تدبره فان قلت هلا قيل ذهب الله بضوئهم
لقوله فلما اضاءت قلت ذكر النور ابلغ لان الضوء فيه دلالة على الزيادة فلو قيل ذهب الله بضوئهم لاوهم
الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم رأسا وطمسه اصلا الا ترى كيف ذكر
عقيبه وتركهم في ظلمات والظلمة عبارة عن عدم النور وانطماسه وكيف جمعها وكيف نكرها وكيف اتبعها ما يدل
على انها ظلمة مبهمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله لا يبصرون فان قلت فلم وصفت بالاضاءة قلت هذا على مذهب
قولهم للباطل صولة ثم يضمحل ولريح الضلالة عصفة ثم تخفت ونار العرفج مثل [illegible] والفرق بين
اذهبه وذهب به ان معنى اذهبه ازاله وجعله ذاهبا ويقال ذهب به اذا استصحبه ومضى به معه وذهب السلطان بماله
اخذه فلما ذهبوا به اذا لذهب كل اله بما خلق ومنه ذهبت به الخيلاء والمعنى اخذ الله نورهم وامسكه وما
يمسك الله فلا مرسل له فهو ابلغ من الاذهاب وقرأ اليماني اذهب الله نورهم وترك بمعنى طرح وخلى اذا علق
بواحد كقولهم تركه ترك ظبي ظله فاذا علق بشيئين كان مضمنا معنى صير فجرى مجرى افعال القلوب كقول عنترة
فتركته جزر السباع ينشنه ومنه وتركهم في ظلمات اصله هم في ظلمات ثم دخل ترك فنصب الجزئين والظلمة عدم
النور وقيل عرض ينافي النور واشتقاقها من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك وشغلك لانها تسد البصر
وتمنع الرؤية وقرأ الحسن ظلمات بسكون اللام وقرأ اليماني في ظلمة على التوحيد والمفعول الساقط من لا
يبصرون من قبيل المتروك المطرح الذي لا يلتفت الى اخطاره بالبال لا من قبيل المقدر المنوي كان
الفعل غير متعد اصلا نحو يعمهون في قوله ويمدهم في طغيانهم يعمهون فان قلت فيم شبهت حالهم بحال المستوقد
قلت في انهم غب الاضاءة خبطوا في ظلمة وتورطوا في حيرة فان قلت واين الاضاءة في حال المنافق
وهل هو ابدا الا حائر خابط في ظلمات الكفر قلت المراد ما استضاؤوا به قليلا من الانتفاع بالكلمة المجراة
على السنتهم ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق التي ترمي بهم في ظلمة سخط الله وظلمة العقاب
السرمد ويجوز ان يشبه بذهاب الله بنور المستوقد اطلاع الله على اسرارهم وما افتضحوا به بين المؤمنين
واتسموا به من سمة النفاق والاوجه ان يراد الطبع لقوله صم بكم عمي وفي الآية تفسير آخر وهو انهم لما وصفوا

بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول
المستوقد والضلالة التي اشتروها وطبع بها على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركه إياهم في الظلمات وتنكيرها
للتعظيم كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن الإصاخة إلى الحق مسامعهم وأبوا أن ينطقوا به ألسنتهم وأن ينظروا
ويتبصروا بعيونهم جعلوا كأنما أيفت مشاعرهم وانتقضت بناها التي بنيت عليها للإحساس والإدراك كقوله صم إذا
سمعوا خيرا ذكرت به وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا أصم عما ساءه سميع أصم عن الشيء الذي لا أريده وأسمع
خلق الله حين أريد فأصممت عمرا وأعميته عن الجود والفخر يوم الفخار فإن قلت كيف طريقته عند علماء البيان
قلت طريقة قولهم هم ليوث للشجعان وبحور للأسخياء إلا أن هذا في الصفات وذاك في الأسماء وقد جاءت الاستعارة
في الأسماء والصفات والأفعال جميعا تقول رأيت ليوثا ولقيت صما عن الخير ودجا الإسلام وأضاء الحق فإن قلت
هل يسمى ما في الآية استعارة قلت مختلف فيه والمحققون على تسميته تشبيها بليغا لا استعارة لأن المستعار له مذكور
وهم المنافقون والاستعارة إنما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لأن يراد به المنقول
عنه والمنقول إليه لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام كقول زهير لدى أسد شاكي السلاح مقذف له لبد أظفاره
لم تقلم ومن ثم ترى المفلقين السحرة منهم كأنهم يتناسون التشبيه ويضربون عن توهمه صفحا قال أبو تمام شعرا
ويصعد حتى يظن الجهول بأن له حاجة في السماء ولبعضهم لا تعجبوا أن في سرباله رجلا تفيض غيث وليث مشبل
وليس لقائل أن يقول طوى ذكرهم عن الجملة بحذف المبتدأ فأتسلق بذلك إلى تسميته استعارة لأنه في حكم
المنطوق به ونظيره قول من يخاطب الحجاج أسد علي وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر ومعنى لا يرجعون أنهم
لا يعودون إلى الهدى بعد أن باعوه أو عن الضلالة بعد أن اشتروها تسجيلا عليهم بالطبع أو أراد أنهم بمنزلة
المتحيرين الذين بقوا جامدين في مكانهم لا يبرحون ولا يدرون أيتقدمون أم يتأخرون وكيف يرجعون
إلى حيث ابتدءوا منه ثم ثنى الله سبحانه في شأنهم بتمثيل آخر ليكون كشفا لحالهم بعد كشف وإيضاحا غب إيضاح
وكما يجب على البليغ في مظان الإجمال والإيجاز أن يجمل ويوجز فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل
والإشباع أن يفصل ويشبع أنشد الجاحظ يرمون بالخطب الطوال وتارة وحي الملاحظ خيفة الرقباء ومما
ثنى من التمثيل في التنزيل قوله وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما

يستوي الأحياء ولا الأموات ألا ترى إلى قول ذي الرمة كيف صنع في قصيدته أذاك أم نمش بالوشي أكرعه
أذاك أم خاضب بالسي مرتعه فإن قلت قد شبه المنافق في التمثيل الأول بالمستوقد نارا وإظهاره الإيمان بالإضاءة
وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار فماذا شبه في التمثيل الثاني بالصيب وبالظلمات وبالرعد وبالبرق وبالصواعق
قلت لقائل أن يقول شبه دين الإسلام بالصيب لأن القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات
وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيب الكفرة من الأفزاع والبلايا والفتن من جهة الإسلام بالصواعق
والمعنى أو كمثل ذوي صيب والمراد كمثل قوم أخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا فإن قلت هذا تشبيه أشياء
بأشياء فأين ذكر المشبهات وهلا صرح به كما في قوله وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا
المسيء وفي قول امرئ القيس كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي قلت كما جاء ذلك
صريحا فقد جاء مطويا ذكره على سنن الاستعارة كقوله تعالى وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا
ملح أجاج ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل والصحيح الذي عليه علماء البيان لا يتخطونه أن
التمثيلين جميعا من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة لا يتكلف لواحد واحد شيء يقدر شبهه به وهو القول
الفحل والمذهب الجزل بيانه أن العرب تأخذ أشياء فرادى معزولا بعضها من بعض لم يأخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها
بنظائرها كما فعل امرؤ القيس وجاء في القرآن وتشبه كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت
شيئا واحدا بأخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها الآية الغرض تشبيه حال اليهود في جهلها
بما معها من التوراة وآياتها الباهرة بحال الحمار في جهله بما يحمل من أسفار الحكمة وتساوي الحالتين عنده من حمل
أسفار الحكمة وحمل ما سواها من الأوقار لا يشعر من ذلك إلا بما يمر بدفيه من الكد والتعب وكقوله واضرب لهم مثل الحياة الدنيا
كماء أنزلناه من السماء المراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر فأما أن يراد تشبيه الأفراد بالأفراد غير منوط بعضها ببعض
ومصيرة شيئا واحدا فلا وكذلك لما وصف وقوع المنافقين في ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة
شبهت حيرتهم وشدة الأمر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد إيقادها في ظلمة الليل وكذلك من أخذته السماء في
الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق فإن قلت الذي كنت تقدره في المفرق من التشبيه من
حذف المضاف وهو قوله أو كمثل ذوي صيب هل تقدره في المركب منه قلت لولا طلب الراجع في

قوله يجعلون اصابعهم في اذانهم ما يرجع اليه ... مستبينا من تقديره ... كيفية المنتزعة من مجموع
الكلام فلا عليك اولى حرف التشبيه مفرد يتاتى التشبيه به ام لم يله الا ترى الى قوله انما مثل الحيوة الدنيا الاية
كيف ولي الماء الكاف وليس الغرض تشبيه الدنيا بالماء ولا بمفرد اخر يتمحل لتقديره ومما هو بين في هذا قول
لبيد وما الناس الا كالديار واهلها بها يوم حلوها وغدوا بلاقع لم يشبه الناس بالديار وانما شبه وجودهم في الدنيا
وسرعة زوالهم وفنائهم بحلول اهل الديار فيها ووشك نهوضهم عنها وتركها خالية فان قلت اي
التمثيلين ابلغ قلت الثاني لانه ادل على فرط الحيرة وشدة الامر وفظاعته ولذلك اخر وهم يتدرجون في
نحو هذا من الاهون الى الاغلظ فان قلت لم عطف احد التمثيلين على الاخر بحرف الشك قلت او في اصلها
لتساوي شيئين فصاعدا في الشك ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوي في غير الشك وذلك قولك جالس
الحسن او ابن سيرين تريد انهما سيان في استصواب ان تجالس ومنه قوله ولا تطع منهم اثما او كفورا اي
الاثم والكفور متساويان في وجوب عصيانهما فكذلك قوله او كصيب معناه ان كيفية قصة المنافقين
مشبهة لكيفيتي هاتين القصتين وان القصتين سواء في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبايتهما مثلتها
فانت مصيب وان مثلتها بهما جميعا فكذلك والصيب المطر الذي يصوب اي ينزل ويقع ويقال للسحاب
صيب ايضا قال الشماخ واسحم دان صادق الرعد صيب وتنكير صيب لانه اريد نوع من المطر
شديد هائل كما نكرت النار في التمثيل الاول وقرئ كصائب والصيب ابلغ والسماء هذه المظلة وعن الحسن انها
موج مكفوف فان قلت قوله من السماء ما الفائدة في ذكره والصيب لا يكون الا من السماء قلت
الفائدة فيه انه جاء بالسماء معرفة فنفى ان يتصوب من سماء اي من افق واحد من بين سائر الافاق لان كل
افق من افاقها سماء كما ان كل طبقة من الطباق سماء في قوله واوحى في كل سماء امرها والدليل عليه قوله ومن
بعد ارض بيننا وسماء والمعنى انه غمام مطبق اخذ بافاق السماء كما جاء بصيب وفيه مبالغات من جهة التركيب
والبناء والتنكير امد ذلك بان جعله مطبقا وفيه ان السحاب من السماء ينحدر ومنها ياخذ ماءه لا كزعم من
يزعم انه ياخذه من البحر ويؤيده قوله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فان قلت بم ارتفع ظلمات
قلت بالظرف على الاتفاق لاعتماده على موصوف والرعد الصوت الذي يسمع من السحاب كان اجرام السحاب

وتصطك

او تنتقض اذا حدتها الريح فتصوت عند ذلك من الارتعاد والبرق الذي يلمع من السحاب من برق الشيء
بريقا اذا لمع فان قلت قد جعل الصيب مكانا للظلمات فلا يخلو ان يراد به السحاب او المطر فايهما اريد فما
ظلماته قلت اما ظلمات السحاب فاذا كان اسحم مطبقا فظلمتا سحمته وتطبيقه مضمومة اليهما ظلمة الليل واما ظلمات
المطر فظلمة تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر وظلمة اظلال غمامه مع ظلمة الليل فان قلت كيف يكون المطر مكانا
للبرق والرعد وانما مكانهما السحاب قلت اذا كانا في اعلاه ومصبه وملتبسين في الجملة به فهما فيه الا تراك تقول
فلان في البلد وما هو منه الا في حيز يشغله جرمه فان قلت هلا جمع الرعد والبرق اخذا بالابلغ كقول البحتري
يا عارضا متلفعا ببروده يختال بين بروقه ورعوده وكما قيل ظلمات قلت فيه وجهان احدهما
ان يراد العينان ولكنهما لما كانا مصدرين في الاصل يقال رعدت السماء رعدا وبرقت برقا روعي حكم اصلهما
بان ترك جمعهما وان اريد معنى الجمع والثاني ان يراد الحدثان كانه قيل وارعاد وابراق وانما جاءت هذه الاشياء
منكرات لان المراد انواع منها كانه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف وجاز رجوع الضمير في
يجعلون الى اصحاب الصيب مع كونه محذوفا قائما مقامه الصيب كما قال او هم قائلون لان المحذوف باق معناه
وان سقط لفظه الا ترى الى حسان كيف عول على بقاء معناه في قوله يسقون من ورد البريص عليهم
بردى يصفق بالرحيق السلسل حيث ذكر يصفق لان المعنى ماء بردى ولا محل لقوله يجعلون لكونه مستانفا
لانه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول فكان قائلا قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل
يجعلون اصابعهم في اذانهم ثم قال فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فقيل يكاد البرق يخطف ابصارهم فان قلت
رؤوس الاصابع هي التي تجعل في الاذان فهلا قيل اناملهم قلت هذا من الاتساعات في اللغات التي لا يكاد
الحاصر يحصرها كقوله فاغسلوا وجوهكم وايديكم فاقطعوا ايديهما اراد البعض الذي هو الى المرفق والذي الى
الرسغ وايضا ففي ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل فان قلت فالاصبع التي تسد بها الاذن
اصبع خاصة فلم ذكر الاسم العام دون الخاص قلت لان السبابة فعالة من السب فكان اجتنابها اولى بادب
القران الا ترى انهم قد استبشعوها فكنوا عنها بالمسبحة والسباحة والمهللة والدعاءة فان قلت فهلا ذكر
بعض هذه الكنايات قلت هي الفاظ مستحدثة لم يتعارفها الناس في ذلك العهد وانما احدثوها بعد

من الصواعق متعلق بيجعلون اي من اجل الصواعق يجعلون اصابعهم في اذانهم كقولهم سقاه من العيمة والصاعقة
قصفة رعد تنقض معها شقة من نار قالوا تنقدح من السحاب اذا اصطكت اجرامه وهي نار لطيفة حديدة لا تمر بشي
الا اتت عليه الا انها مع حدتها سريعة الخمود ويحكى انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف ثم طفئت ويقال صعقته
الصاعقة اذا اهلكته فصعق اي مات اما بشدة الصوت او بالاحراق ومنه قوله تعالى وخر موسى صعقا وقرا الحسن
من الصواقع وليس بقلب للصواعق لان كلا البنائين سواء في التصرف واذا استويا كان كل واحد بناء على حياله الا
تراك تقول صقعه على راسه وصقع الديك وخطيب مصقع مجهر بخطبته ونظيره جبذ في جذب ليس بقلبه لاستوائهما
في التصرف وبناؤها اما ان يكون صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الرواية او مصدرا كالكاذبة والعافية
وقرا ابن ابي ليلى حذار الموت وانتصب على انه مفعول له كقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره والموت فساد بنية الحيوان
وقيل عرض لا يصح معه احساس معاقب للحيوة واحاطة الله بالكافرين مجاز والمعنى انهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به
المحيط به حقيقة وهذه الجملة اعتراض لا محل لها والخطف الاخذ بسرعة وقرا مجاهد يخطف بكسر الطاء والفتح افصح وعن
ابن مسعود يختطف وعن الحسن يخطف بفتح الياء والخاء واصله يختطف وعنه يخطف بكسرهما على اتباع الياء الخاء
وعن زيد بن علي يخطف من خطف وعن ابي يتخطف من قوله ويتخطف الناس من حولهم كلما اضاء لهم استيناف ثالث
كانه جواب لمن يقول كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق وخفيته وهذا تمثيل لشدة الامر على المنافقين بشدته على
اصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل بما ياتون وما يذرون اذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف ان
يخطف ابصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات يسيرة واذا خفي وفتر لمعانه بقوا واقفين متقيدين عن
الحركة ولو شاء الله لزاد في قصيف الرعد فاصمهم وفي ضوء البرق فاعماهم واضاء اما لازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا
في مطرح نوره وملقى ضوئه ويعضده قراة ابن ابي عبلة كلما ضاء لهم والمشي جنس الحركة المخصوصة فاذا اشتد فهو سعي
فاذا ازداد فهو عدو فان قلت كيف قيل مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا قلت لانهم حراص على وجود ما همهم به معقود
من امكان المشي وتاتيه فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها وليس كذلك التوقف والتحبس واظلم يحتمل ان يكون
غير متعد وهو الظاهر وان يكون متعديا منقولا من ظلم الليل ويشهد له قراة يزيد بن قطيب اظلم على ما لم يسم
فاعله وجاء في شعر حبيب بن اوس هما اظلما حالي ثمت اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب وهو وان كان محدثا

لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه الا ترى الى قول العلماء الدليل عليه بيت
الحماسة فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته واتقانه ومعنى قاموا وقفوا وثبتوا في مكانهم ومنه قامت السوق اذا
ركدت وقام الماء جمد ومفعول شاء محذوف لان الجواب عليه والمعنى ولو شاء الله ان يذهب بسمعهم
وابصارهم لذهب بها ولقد تكاثر هذا الحذف في شاء واراد لا يكادون يبرزون المفعول الا في الشي المستغرب
كنحو قوله فلو شئت ان ابكي دما لبكيته وقوله تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا ولو اراد الله ان يتخذ ولدا ولو اراد ولو شاء الله
لذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق وقرا ابن ابي عبلة لاذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة والشي ما صح ان يعلم ويخبر عنه قال سيبويه في ساقة الباب المترجم بباب مجاري اواخر الكلم من العربية
وانما يخرج التانيث من التذكير الا ترى ان الشي يقع على كل ما اخبر عنه من قبل ان يعلم اذكر هو ام انثى والشي مذكر
وهو اعم العام كما ان الله اخص الخاص يجري على الجسم والعرض والقديم تقول شي لا كالاشيا اي معلوم لا كسائر المعلومات
وعلى المعدوم والمحال فان قلت كيف قيل على كل شي قدير وفي الاشيا ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل وفعل قادر اخر
قلت مشروط في حد القادر ان لا يكون الفعل مستحيلا فالمستحيل مستثنى في نفسه عند ذكر القادر على الاشيا كلها
فكانه قيل على كل شي مستقيم قدير ونظيره فلان امير على الناس اي على من وراءه منهم ولم يدخل فيهم نفسه وان
كان من جملة الناس واما الفعل بين قادرين فمختلف فيه فان قلت مم اشتقاق القدير قلت من التقدير لانه
يوقع فعله على مقدار قوته واستطاعته وما يتميز به عن العاجز لما عدد الله تعالى فرق المكلفين من المؤمنين
والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم واحوالهم ومصارف امورهم وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها ويشقيها
ويحظيها عند الله ويرديها اقبل عليهم بالخطاب وهو من الالتفات المذكور عند قوله اياك نعبد واياك
نستعين وهو فن من الكلام جزل فيه هز وتحريك من السامع كما انك اذا قلت لصاحبك حاكيا عن ثالث لكما
ان فلانا من قصته كيت وكيت فقصصت عليه ما فرط منه ثم عدلت بخطابك الى الثالث فقلت يا فلان
من حقك ان تلزم الطريقة الحميدة في مجاري امورك وتستوي على جادة السداد في مصادرك
ومواردك نبهته بالتفاتك نحوه فضل تنبيه واستدعيت اصغاءه الى ارشادك زيادة استدعاء واوجدته
بالانتقال من الغيبة الى المواجهة هازا من طبعه ما لا يجده اذا استمررت على لفظ الغيبة وهكذا الافتنان

في الحديث والخروج فيه من صنف الى صنف يستفتح الآذان للاستماع ويستهش الانفس للقبول وبلغنا باسناد صحيح
عن ابرهيم عن علقمة ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فهو مكي ويا ايها الذين امنوا فهو مدني فقوله يا ايها الناس اعبدوا خطاب
لمشركي مكة ويا حرف وضع في اصله لنداء البعيد صوت يهتف به الرجل بمن يناديه واما نداء القريب فله اي والهمزة
ثم استعمل في مناداة من سها وغفل وان قرب تنزيلا له منزلة من بعد فاذا نودي به القريب المفاطن فذلك للتاكيد
المؤذن بان الخطاب الذي يتلوه معني به جدا **فان قلت** فما بال الداعي يقول في جؤاره يا رب ويا الله وهو اقرب اليه
من حبل الوريد واسمع به وابصر **قلت** هو استقصار منه لنفسه واستبعاد لها من مظان الزلفى وما يقربه الى رضوان
الله ومنازل المقربين هضما لنفسه واقرارا عليها بالتفريط في جنب الله مع فرط التهالك على استجابة دعوته والاذن لندائه
وابتهاله واي وصلة الى نداء ما فيه الالف واللام كما ان ذو والذي وصلتان الى الوصف باسماء الاجناس ووصف المعارف
بالجمل وهو اسم مبهم يفتقر الى ما يوضحه ويزيل ابهامه فلا بد ان يردفه اسم جنس او ما يجري مجراه يتصف به حتى يصح
المقصود بالنداء فالذي يعمل فيه حرف النداء هو اي والاسم التابع له صفته كقولك يا زيد الظريف الا ان ايا
لا يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفك من الصفة وفي هذا التدرج من الابهام الى التوضيح ضرب من التاكيد
والتشديد وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لفائدتين معاضدة حرف النداء ومكانفته بتاكيد معناه
ووقوعها عوضا مما يستحقه اي من الاضافة **فان قلت** لم كثر في كلام الله النداء على هذه الطريقة ما لم يكثر في غيره
قلت لاستقلاله باوجه من التاكيد واسباب من المبالغة لان كل ما نادى الله له عباده من اوامره ونواهيه وعظاته
وزواجره ووعده ووعيده واقتصاص اخبار الامم الدارجة عليهم وغير ذلك مما انطق به كتابه امور عظام وخطوب
جسام ومعان عليهم ان يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم اليها وهم عنها غافلون فاقتضت الحال ان
ينادوا بالآكد الابلغ **فان قلت** لا يخلو الامر بالعبادة من ان يكون متوجها الى المؤمنين والكافرين جميعا او الى
كفار مكة خاصة على ما روي عن علقمة والحسن فالمؤمنون عابدون ربهم فكيف امروا بما هم ملتبسون به وهل
هو الا كقول القائل لقائم قم ولقاعد اقعد وكذلك ان اريد به الكفار فلا يعرفون الله ولا يقرون به
فكيف يعبدونه **قلت** المراد بعبادة المؤمنين ازديادهم منها واقبالهم وثباتهم عليها واما عبادة الكفار فمشروط
فيها ما لا بد لها منه وهو الاقرار كما يشترط على المأمور بالصلاة شرائطها من الوضوء والنية وغيرها وما لا

بد للفعل منه فهو مندرج تحت الامر به وان لم يذكر حيث لم ينفعل الا به وكان من لوازمه على ان مشركي مكة
كانوا يعرفون الله ويعترفون به ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله **فان قلت** فقد جعلت قوله اعبدوا متناولا
لشيئين معا الامر بالعبادة والامر بازديادها **قلت** الازدياد من العبادة عبادة وليس شيئا اخر **فان قلت**
ربكم ما المراد به **قلت** كان المشركون معتقدين ربوبيتين ربوبية الله وربوبية الهتهم فان خصوا بالخطاب
فالمراد به اسم يشترك فيه رب السموات والارض والالهة التي كانوا يسمونها اربابا وكان قوله الذي خلقكم صفة
موضحة مميزة وان كان الخطاب للفرق جميعا فالمراد به ربكم على الحقيقة والذي خلقكم صفة جرت عليه على طريق المدح
والتعظيم ولا يمتنع هذا الوجه في خطاب الكفرة خاصة الا ان الاول اوضح واصح والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء
يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس وقرا ابو عمرو خلقكم بالادغام وقرا ابن السميفع وخلق من قبلكم وفي
قراءة زيد بن علي والذين من قبلكم وهي قراءة مشكلة ووجهها على اشكالها ان يقال اقحم الموصول الثاني بين الاول
وصلته تاكيدا كما اقحم جرير في قوله يا تيم تيم عدي لا ابا لكم تيما الثاني بين الاول وما اضيف اليه وكاقحامهم لام
الاضافة بين المضاف والمضاف اليه في لا ابا لك ولعل للترجي او الاشفاق تقول لعل زيدا يكرمني ولعله يهينني وقال
الله تعالى لعله يتذكر او يخشى لعل الساعة قريب الا ترى الى قوله والذين امنوا مشفقون منها وقد جاءت على سبيل
الاطماع في مواضع من القرآن ولكن لانه اطماع من كريم رحيم اذا اطمع فعل ما يطمع فيه لا محالة لجري اطماعه مجرى وعده
المحتوم وفاؤه به قال من قال ان لعل بمعنى كي ولعل لا يكون بمعنى كي ولكن الحقيقة ما القيت اليك وهو ديدن الملوك
وما عليه اوضاع امرهم ورسومهم ان يقتصروا في مواعيدهم التي يوطنون انفسهم على انجازها على ان يقولوا عسى ولعل
ونحوهما من الكلمات او يخيلوا اخالة او يظفر منهم بالرمزة او الابتسامة او النظرة الحلوة فاذا عثر على شيء من ذلك منهم
لم يبق للطالب ما عندهم شك في النجاح والفوز بالمطلوب فعلى مثله ورد كلام مالك الملك ذي العزة والكبرياء او
يجيء على طريق الاطماع دون التحقيق لئلا يتكل العباد كقوله يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان
يكفر عنكم سيئاتكم **فان قلت** فلعل التي في الآية ما معناها وما موقعها **قلت** ليست مما ذكرناه في شيء لان قوله خلقكم
لعلكم تتقون لا يجوز ان يحمل على رجاء الله تقواهم لان الرجاء لا يجوز على عالم الغيب والشهادة وحمله على ان يخلقهم
راجين للتقوى ليس بسديد ايضا ولكن لعل واقعة في الآية موقع المجاز لا الحقيقة لان الله عز وجل خلق عبا

يتعبدهم بالتكليف وركب فيهم العقول والشهوات وازاح العلة في اقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين ووضع في ايديهم زمام الاختيار واراد منهم الخير والتقوى فهم في صورة المرجو منهم ان يتقوا ليترجح امرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصيان كما ترجحت حال المرتجي بين ان يفعل وان لا يفعل ومصداقه قوله عز وجل ليبلوكم ايكم احسن عملا وانما يبلو ويختبر من تخفى عليه العواقب ولكن شبه بالاختبار بناء امرهم على الاختيار فان قلت كما خلق المخاطبين لعلهم يتقون كذلك خلق الذين من قبلهم لذلك فلم قصره عليهم دون من قبلهم قلت لم يقصره عليهم ولكن غلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا فان قلت فهلا قيل تعبدون لاجل اعبدوا او اتقوا لمكان تتقون ليتجاوب طرفا النظم قلت ليست التقوى غير العبادة حتى يؤدي ذلك الى تنافر النظم وانما التقوى قصارى امر العابد ومنتهى جهده فاذا قال اعبدوا ربكم الذي خلقكم للاستيلاء على اقصى غايات العبادة كان ابعث على العبادة واشد الزاما لها واثبت لها في النفوس ونحوه ان تقول لعبدك احمل خريطة الكتب فما ملكتك يميني الا لجر الاثقال ولو قلت لحمل خرائط الكتب لم يقع من نفسه ذلك الموقع قدم سبحانه من موجبات عبادته وملزمات حق الشكر له خلقهم احياء قادرين اولا لانه سابقة اصول النعم ومقدمتها والسبب في التمكن من العبادة والشكر وغيرهما ثم خلق الارض التي هي مكانهم ومستقرهم الذي لا بد لهم منه وهي بمنزلة عرصة المسكن ومتقلبه ومفترشه ثم خلق السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار ثم ما سواه عز وجل من شبه عقد النكاح بين المقلة والمظلة بانزال الماء منها عليها والاخراج به من بطنها اشباه النسل المنتج من الحيوان من الوان الثمار رزقا لبني آدم ليكون ذلك معتبرا ومتسلقا الى النظر الموصل الى التوحيد والاعتراف ونعمة يتعرفونها فيقابلونها بلازم الشكر ويتفكرون في خلق انفسهم وخلق ما فوقهم وتحتهم وان شيئا من هذه المخلوقات كلها لا يقدر على ايجاد شيء منها فيتيقنوا عند ذلك ان لا بد لها من خالق ليس كمثلها حتى لا يجعلوا المخلوقات له اندادا وهم يعلمون انها لا تقدر على نحو ما هو عليه قادر والموصول مع صلته اما ان يكون في محل النصب وصفا كالذي خلقكم او على المدح والتعظيم واما ان يكون رفعا على الابتداء وفيه ما في النصب من المدح وقرا يزيد الشامي بساطا وقرا طلحة مهادا ومعنى جعلها فراشا وبساطا ومهادا للناس انهم يقعدون عليها وينامون ويتقلبون كما يتقلب احدهم على فراشه وبساطه ومهاده فان قلت هل فيه دليل على ان الارض مسطحة وليست بكرية قلت ليس فيه الا ان الناس يفترشونها كما يفعلون بالمفارش وسواء كانت على شكل السطح او على شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع لعظم حجمها واتساع جرمها وتباعد

اطرافها واذا كان متسهلا في الجبل وهو وتد من اوتاد الارض فهو في الارض ذات الطول والعرض اسهل والبناء مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء او طرافا وابنية العرب اخبيتهم ومنه بنى على امراته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا فان قلت ما معنى اخراج الثمرات بالماء وانما خرجت بقدرته ومشيئته قلت المعنى انه جعل الماء سببا في خروجها ومادة لها كماء الفحل في خلق الولد وهو قادر على ان ينشئ الاجناس كلها بلا اسباب ومواد كما انشا نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشاء الاشياء مدرجا لها من حال الى حال وناقلا من مرتبة الى مرتبة حكما ودواعي يجدد فيها لملائكته والنظار بعيون الاستبصار من عباده عبرا وافكارا صالحة وزيادة طمانينة وسكون الى عظيم قدرته وغرائب حكمته ليس ذلك في انشائها بغتة من غير تدريج وترتيب ومن في من الثمرات للتبعيض بشهادة قوله فاخرجنا به من كل الثمرات وقوله فاخرجنا به ثمرات ولان المنكرين اللذين هما ماء ورزقا يكتنفانه وقد قصد بتنكيرهما معنى البعضية فكانه قيل وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا هو المطابق لصحة المعنى لانه لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر جميع الثمرات ولا جعل الرزق كله في الثمرات ويجوز ان يكون للبيان كقولك انفقت من الدراهم الفا فان قلت فبم انتصب رزقا قلت ان كان من للتبعيض كان انتصابه بانه مفعول له وان كانت مبينة كان مفعولا لاخرج فان قلت فالثمر المخرج بماء السماء كثير جم فلم قيل الثمرات دون الثمر والثمار قلت فيه وجهان احدهما ان يقصد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك فلان ادركت ثمرة بستانه تريد ثماره ونظيره قولهم كلمة الحويدرة لقصيدته وقولهم للقرية المدرة وانما هي مدر متلاحق والثاني ان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض لالتقائها في الجمعية كقوله كم تركوا من جنات وثلاثة قروء ويعضد الوجه الاول قراءة محمد بن السميفع من الثمرة على التوحيد ولكم صفة جارية على الرزق ان اريد به العين وان جعل اسما للمعنى فهو مفعول به كانه قيل رزقا اياكم فان قلت بم تعلق فلا تجعلوا قلت فيه ثلاثة اوجه ان يتعلق بالامر اي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له اندادا لان اصل العبادة واساسها التوحيد وان لا يجعل له ند ولا شريك او بلعل على ان ينتصب تجعلوا انتصاب فاطلع في قوله عز وجل لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى في رواية حفص عن عاصم اي خلقكم لكي تتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه او بالذي جعل لكم اذا رفعته على الابتداء اي هو الذي حفظكم بهذه الآيات العظيمة والدلائل النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء والند المثل ولا يقال الا للمثل المخالف المناوئ قال جرير

اتيما تجعلون الي ندا ... وما تيم لذي حسب نديد

وناددت الرجل خالفته ونافرته من ند ندودا اذا نفر

ومعنى قولهم ليس لله ند ولا ضد نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه **فان قلت** كانوا يسمون اصنامهم باسمه ويعظمونها بما يعظم به من القرب وما كانوا يزعمون انها تخالف الله وتناويه **قلت** لما تقربوا اليها وعظموها وسموها آلهة اشبهت حالهم حال من يعتقد انها آلهة مثله قادرة على مخالفته ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم وكما تهكم بهم بلفظ الند شنع عليهم واستفظع شانهم بان جعلوا انداداً كثيرة لمن لا يصح ان يكون له ند قط وفي ذلك قال زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق دين قومه أربّاً واحداً أم ألف ربّ أدين اذا تقسّمت الامور وقرأ محمد بن السميفع فلا تجعلوا لله ندّاً **فان قلت** ما معنى وانتم تعلمون **قلت** معناه وحالكم وصفتكم انكم من صحة تمييزكم بين الصحيح والفاسد والمعرفة بدقائق الامور وغوامض الاحوال والاصابة في التدابير والدهاء والفطنة بمنزلة لا تدفعون عنه وهكذا كانت العرب خصوصاً ساكنو الحرم من قريش وكنانة لا يصطلى بنارهم في استحكام المعرفة بالامور وحسن الاحاطة بها ومفعول تعلمون متروك كأنه قيل وانتم من اهل العلم والمعرفة والتوبيخ فيه آكد اي انتم العرافون المميزون ثم ان ما انتم عليه من امر ديانتكم من جعل الاصنام لله انداداً هو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل ويجوز ان تقدر وانتم تعلمون انه لا يماثل او وانتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت او وانتم تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء ولما احتج عليهم بما يثبت الوحدانية ويحققها ويبطل الاشراك ويهدمه وعلم الطريق الى اثبات ذلك وتصحيحه وعرفهم ان من اشرك فقد كابر عقله وغطى على ما انعم عليه من معرفته وتمييزه عطف على ذلك ما هو الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وآله وما يدحض الشبهة في كون القرآن معجزة واراهم كيف يتعرفون اهو من عند الله كما يدعي ام هو من عند نفسه كما يدعون بارشادهم الى ان يحزروا انفسهم ويذوقوا طباعهم وهم ابناء جنسه واهل جلدته **فان قلت** لم قيل مما نزلنا على لفظ التنزيل دون الانزال **قلت** لان المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدي وذلك انهم كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله مخالفاً لما يكون من عند الناس لم ينزل هكذا نجوماً سورة بعد سورة وآيات غب آيات على حسب النوازل وكفاء الحوادث وعلى سنن ما نرى عليه اهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقاً حيناً فحيناً وشيئاً فشيئاً حسب ما يعن لهم من الاحوال المتجددة والحاجات السانحة لا يلقي الناظم ديوان شعره دفعة ولا يرمي الناثر بمجموع خطبه او رسائله فلو انزله الله لانزله على خلاف هذه العادة جملة واحدة قال الله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فقيل ان ارتبتم في هذا الذي وقع انزاله هكذا على مهل

وتدريجا

وتدريجا فهاتوا انتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا نجماً فرداً من نجومه سورة من اصغر السور او آيات شتى مفتريات وهذه غاية التبكيت ومنتهى ازاحة العلل وقرئ على عبادنا يريد رسول الله وامته والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي اقلها ثلاث آيات وواوها ان كانت اصلاً فاما ان تسمى بسورة المدينة وهي حائطها لانها طائفة من القرآن محدودة محوزة على حيالها كالبلد المسور او لانها محتوية على فنون من العلم واجناس من الفوائد كاحتواء سورة المدينة على ما فيها واما ان تسمى بالسورة التي هي الرتبة قال النابغة ولرهط حراب وقدّ سورة في المجد ليس غرابها بمطار لان السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القارئ وهي ايضاً في انفسها طوال واوساط وقصار او لرفعة شانها وجلالة محلها في الدين وان جعلت واوها منقلبة عن همزة فلانها قطعة وطائفة من القرآن كالسؤرة التي هي البقية من الشيء والفضلة منه **فان قلت** ما فائدة تفصيل القرآن وتقطيعه سوراً **قلت** ليست الفائدة في ذلك واحدة ولامر ما انزل الله التوراة والانجيل والزبور وسائر ما اوحاه الى انبيائه على هذا المنهاج مسورة مترجمة السور وبوب المصنفون في كل فن كتبهم ابواباً موشحة الصدور بالتراجم ومن فوائده ان الجنس اذا انطوت تحته انواع واشتمل على اصناف كان احسن وانبل وافخم من ان يكون بياناً واحداً ومنها ان القارئ اذا ختم سورة او باباً من الكتاب ثم اخذ في آخر كان انشط له واهز لعطفه وابعث على الدرس والتحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله ومثله المسافر اذا علم انه قطع ميلاً او طوى فرسخاً او انتهى الى رأس بريد نفس ذلك منه ونشطه للسير ومن ثم جزأ القراء القرآن اسباعاً واجزاء وعشوراً واخماساً ومنها ان الحافظ اذا حذق السورة اعتقد انه اخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة فيعظم عنده ما حفظه ويجل في نفسه ويغتبط به ومنه حديث انس رضي الله عنه كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا ومن ثم كانت القراءة في الصلاة بسورة تامة افضل ومنها ان التفصيل بسبب تلاحق الاشكال والنظائر وملاءمة بعضها لبعض وبذلك تتلاحظ المعاني ويتجاوب النظم الى غير ذلك من الفوائد والمنافع من مثله متعلق بسورة صفة لها اي بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا او لعبدنا ويجوز ان يتعلق بقوله فاتوا والضمير للعبد **فان قلت** وما مثله حتى يأتوا بسورة من ذلك المثل **قلت** معناه فاتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب وعلو الطبقة في حسن النظم او فاتوا ممن هو على حاله من كونه بشراً عربياً او امياً لم يقرأ الكتب ولم يأخذ من العلماء ولا قصد الى

مثل وتطير هذا الى ولكنه نحو قول القبعثري للحجاج وقد قال له لاحملنك على الادهم مثل الامير حمل على الادهم
والاشهب اراد من كان على صفة الامير من السلطان والقدرة وبسطة اليد ولم يقصد احدا يجعله مثلا للحجاج
ورد الضمير الى المنزل اوجه لقوله تعالى فاتوا بسورة مثله فاتوا بعشر سور مثله على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون
بمثله ولان القرآن جدير بسلامة الترتيب والوقوع على اصح الاساليب والكلام مع رد الضمير الى المنزل احسن ترتيبا
وذلك ان الحديث في المنزل لا في المنزل عليه وهو مسوق اليه ومربوط به فحقه ان لا يفك عنه برد الضمير الى غيره الا
ترى ان المعنى وان ارتبتم في ان القرآن منزل من عند الله فهاتوا انتم نبذا مما يماثله ويجانسه وقضية الترتيب لو كان
الضمير مردودا الى رسول الله صلعم ان يقال وان ارتبتم في ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرآنا من مثله ولانهما اذا خوطبوا جميعا
وهم الجم الغفير بان ياتوا بطائفة يسيرة من جنس ما اتى به واحد منهم كان ابلغ في التحدي من ان يقال لهم ليات واحد
آخر بنحو ما اتى به هذا الواحد ولان هذا التفسير هو الملائم لقوله وادعوا شهداءكم والشهداء جمع شهيد بمعنى
الحاضر او القائم بالشهادة ومعنى دون ادنى مكان من الشيء ومنه الشيء الدون وهو الدني الحقير ودون الكتب اذا
جمعها لان جمعها ادناء بعضها من بعض وتقليل المسافة بينها يقال هذا دون ذاك اذا كان احط منه قليلا ودونك هذا
اصله خذه من دونك اي من ادنى مكان منك فاختصر واستعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو
في الشرف والعلم ومنه قول من قال لعدوه وقد راه بالثناء عليه انا دون هذا وفوق ما في نفسك واتسع فيه فاستعمل
في كل تجاوز حد الى حد وتخطي حكم الى حكم قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين
اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال امية يا نفس ما لك دون الله من واق اي تجاوزت وقاية الله
ولم تناليها لم يقك غيره ومن دون الله متعلق بادعوا او بشهداءكم فان علقته بشهداءكم فمعناه ادعوا الذين
اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيامة انكم على الحق او ادعوا الذين يشهدون لكم بين
يدي الله من قول الاعشى اذا ذاقها من ذاقها يتمطق تريك القذى من دونها وهي دونه اي تريك القذى قدامها
وهي قدام القذى لرقتها وصفائها وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد الذي لا ينطق في معارضة القرآن المعجز بفصاحته غاية
التهكم بهم او ادعوا شهداءكم من دون الله اي من دون اوليائه ومن غير المؤمنين ليشهدوا لكم انكم اتيتم بمثله وهذا
من المساهلة وارخاء العنان والاشعار بان شهداءهم وهم مدارة القوم الذين هم وجوه المشاهد وفرسان المقاولة

والمناقلة

والمناقلة تابى عليهم الطباع وتتمحج بهم الانسانية والانفة ان يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة الفاسد البين عندهم
فساده واستقامة المحال الجلي في عقولهم احالته وتعليقه بالدعاء في هذا الوجه باين وان علقته بادعوا فمعناه ادعوا من
دون الله شهداءكم يعني لا تستشهدوا بالله ولا تقولوا الله يشهد ان ما ندعيه حق كما يقوله العاجز عن اقامة البينة على
صحة دعواه وادعوا الشهداء من الناس الذين شهادتهم بينة تصحح بها الدعاوي عند الحكام وهذا تعجيز لهم وبيان
لانقطاعهم وانخزالهم وان الحجة قد بهرتهم ولم تبق لهم متشبثا غير قولهم الله يشهد انا صادقون وقولهم هذا تسجيل
منهم على انفسهم بتناهي العجز وسقوط القدرة ومن بعض العرب انه سئل عن نسبه فقال قرشي والحمد لله فقيل له قولك
الحمد لله في هذا المقام ريبة او ادعوا من دون الله شهداءكم يعني ان الله شاهدكم لانه اقرب اليكم من حبل الوريد
وهو بينكم وبين اعناقكم والحاكم والجن والانس شاهدوا من شهدائكم فهو في معنى قوله قل لئن اجتمعت الانس
والجن الآية لما ارشدهم الى الجهة التي يتعرفون امر النبي صلعم وما جاء به حتى يعثروا على حقيقته وسره وامتياز حقه من
باطله قال لهم فاذا لم تعارضوه ولم يتسهل لكم ما تبغون وبان لكم انه معجوز عنه فقد صرح الحق عن محضه ووجب التصديق
فآمنوا وخافوا العذاب المعد لمن كذب وفيه دليلان على اثبات النبوة صحة كون المتحدى به معجزا والاخبار بانهم لن
يفعلوا وهو غيب لا يعلمه الا الله **فان قلت** انتفاء اتيانهم بالسورة واجب فهلا جيء باذا الذي للوجوب دون ان الذي للشك
قلت فيه وجهان احدهما ان يساق القول معهم على حسب حسبانهم وطمعهم وان العجز عن المعارضة كان قبل التامل
كالمشكوك فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم واقتدارهم على الكلام والثاني ان يتهكم بهم كما يقول الموصوف بالقوة الواثق
من نفسه بالغلبة على من يقاويه ان غلبتك لم ابق عليك وهو يعلم انه غالبه ويتيقنه تهكما به **فان قلت** لم
عبر عن الاتيان بالفعل واي فائدة في تركه اليه **قلت** لانه فعل من الافعال تقول اتيت فلانا فيقال لك نعم ما
ما فعلت والفائدة فيه انه جار مجرى الكناية التي تعطيك اختصارا ووجازة تغنيك عن طول المكنى عنه الا
ترى ان الرجل يقول ضربت زيدا في موضع كذا على صفة كذا وشتمته ونكلت به ويعد كيفيات وافعالا فتقول بئسما
فعلت ولو ذكرت ما انبت عنه لطال عليك وكذلك لو لم يعدل عن لفظ الاتيان الى لفظ الفعل لاستطيل ان
يقال فان لم تاتوا بسورة من مثله **فان قلت** ولن تفعلوا ما محلها **قلت** لا محل لها لانها جملة اعتراضية **فان قلت** ما
حقيقة لن في باب النفي **قلت** لا و لن اختان في نفي المستقبل الا ان في لن توكيدا وتشديدا تقول لصاحبك لا اقيم

عنها كما تعمل في الماضي وهي عند الخليل في احدى الروايتين عنه اصلها لا ان وعند الفراء لا ابدلت الفها نونا وعند سيبويه
واحدى الروايتين عن الخليل حرف مقتضب لتأكيد نفي المستقبل فان قلت من اين لك انه اخبار بالغيب على ما هو به حتى
يكون معجزة قلت لانهم لو عارضوه بشيء لم يمتنع ان يتواصفه الناس ويتناقلوه اذ خفاء مثله فيما عليه مبنى العادة محال
لا سيما والطاعنون فيه اكثر عددا من الذابين عنه فحين لم ينقل علم انه اخبار بالغيب على ما هو به فكان معجزا فان قلت ما معنى
اشتراطه في اتقاء النار انتفاء اتيانهم بسورة من مثله قلت انهم اذا لم يأتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق
رسول الله صلعم واذا صح عندهم صدقه ثم لزموا العناد ولم ينقادوا ولم يشايعوا استوجبوا العقاب بالنار فقيل لهم ان استبنتم
العجز فاتركوا العناد فوضع فاتقوا النار موضعه لان اتقاء النار لصيقه وضميمه ترك العناد من حيث انه من نتائجه لان
من اتقى النار ترك المعاندة ونظيره ان يقول الملك لحشمه ان اردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطي يريد فاطيعوني
واتبعوا امري وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط وهو من باب الكناية التي هي شعبة من شعب البلاغة وفائدته الايجاز
الذي هو من حلية القرآن وتهويل شان العناد بانابة اتقاء النار منابه وابرازه في صورته مشيعا ذلك بتهويل صفة
النار وتفظيع امرها والوقود ما ترفع به النار واما المصدر فمضموم وقد جاء فيه الفتح قال سيبويه سمعنا من العرب من
يقول وقدت النار وقودا عاليا ثم قال والوقود اكثر والوقود الحطب وقرا عيسى بن عمر الهمداني بالضم تسمية بالمصدر
كما تقول فلان فخر قومه وزين بلده ويجوز ان يكون مثل قولك حياة المصباح السليط اي ليست حياته الا بالسليط فكان
نفس السليط حياته فان قلت صلة الذي والتي يجب ان تكون قصة معلومة للمخاطب فكيف علم اولئك ان نار الاخرة
توقد بالناس والحجارة قلت لا يمتنع ان يتقدم لهم بذلك سماع من اهل الكتاب او سمعوه من رسول الله صلعم او سمعوا قبل
هذه الآية قوله تعالى في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة فان قلت فلم جاءت النار الموصوفة بهذه الجملة منكرة
في سورة التحريم وههنا معرفة قلت تلك الآية نزلت بمكة فعرفوا منها نارا موصوفة بهذه الصفة ثم نزلت هذه بالمدينة
مشارا بها الى ما عرفوه اولا فان قلت ما معنى قوله وقودها الناس والحجارة قلت معناه انها نار ممتازة عن غيرها من
النيران بانها لا تتقد الا بالناس والحجارة وبان غيرها ان اريد احراق الناس بها او احماء الحجارة اوقدت اولا بوقود ثم
طرح فيها ما يراد احراقه او احماؤه وتلك اعاذنا الله منها برحمته الواسعة توقد بنفس ما تحرق وتحمي بالنار وبلهبها
لافراط حرها وشدة ذكائها اذا اتصلت بما لا تشتعل به نار اشتعلت وارتفع لهبها فان قلت انار الجحيم كلها موقدة

بالناس والحجارة ام هي نيران شتى منها نار بهذه الصفة قلت بل هي نيران شتى منها نار توقد بالناس والحجارة
يدل على ذلك تنكيرها في قوله قوا انفسكم واهليكم نارا فانذرتكم نارا تلظى ولعل لكفار الجن وشياطينهم نارا وقودها
الشياطين كما ان لكفرة الانس نارا وقودها هم جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب فان قلت لم قرن الناس بالحجارة
وجعلت الحجارة معهم وقودا قلت لانهم قرنوا بها انفسهم في الدنيا حيث نحتوها اصناما وجعلوها لله اندادا وعبدوها
من دونه قال الله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وهذه الآية مفسرة لما نحن فيه فقوله انكم وما
تعبدون من دون الله في معنى الناس والحجارة وحصب جهنم في معنى وقودها ولما اعتقد الكفار في حجارتهم
المعبودة من دون الله انها الشفعاء والشهداء الذين يستشفعون بهم ويستدفعون المضار عن انفسهم بمكانهم جعلها
الله عذابهم فقرنهم بها محماة في نار جهنم ابلاغا في ايلامهم واغراقا في تحسيرهم ونحوه ما يفعله بالكافرين الذين
جعلوا ذهبهم وفضتهم عدة وذخيرة فشحوا بها ومنعوها من الحقوق حيث يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وقيل
هي حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وذهاب عما هو المعنى الصحيح الواقع المشهود له بمعاني التنزيل اعدت
هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرا عبد الله اعتدت من العتاد بمعنى العدة من عادته عز وجل في كتابه ان
يذكر الترغيب مع الترهيب ويشفع البشارة بالانذار ارادة التنشيط لاكتساب ما يزلف والتثبيط عن اقتراف
ما يتلف فلما ذكر الكفار واعمالهم واوعدهم بالعقاب قفاه ببشارة عباده الذين جمعوا بين التصديق والاعمال
الصالحة من فعل الطاعات وترك المعاصي وحموها من الاحباط بالكفر والكبائر بالثواب فان قلت من المامور بقوله
وبشر قلت يجوز ان يكون رسول الله صلعم وان يكون كل احد كما قال صلعم بشر المشائين الى المساجد في الظلم بالنور التام
يوم القيمة لم يامر بذلك واحدا بعينه وانما كل احد مامور به وهذا الوجه اجزل واحسن لانه يؤذن بان
الامر لعظمه وفخامة شانه محقوق بان يبشر به كل من قدر على البشارة به فان قلت علام عطف هذا الامر ولم يسبق امر
ولا نهي يصح عطفه عليه قلت ليس الذي اعتمد بالعطف هو الامر حتى يطلب له مشاكل من امر او نهي يعطف عليه انما
المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول زيد يعاقب
بالقيد والارهاق وبشر عمرا بالعفو والاطلاق ولك ان تقول هو معطوف على قوله فاتقوا كما تقول يا بني تميم
احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بني اسد باحساني اليهم وفي قراءة زيد بن علي وبشر على لفظ المبني للمفعول

عطفا على اعدت والبشارة الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ومن ثمة قال العلماء اذا قال لعبيده ايكم بشرني بقدوم فلان
فهو حر فبشروه فرادى عتق اولهم لانه هو الذي اظهر سروره بخبره دون الباقين ولو كان مكان بشرني اخبرني عتقوا جميعا
لانهم اخبروه جميعا ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من اوائل ضوئه واما فبشرهم بعذاب اليم فمن العكس
في الكلام الذي يقصد به الاستهزاء الزائد في غيظ المستهزأ به وتألمه واغتمامه كما يقول الرجل لعدوه ابشر بقتل ذريتك
ونهب مالك ومنه قوله فاعتبوا بالصيلم والصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك صالحة
من آل لأم بظهر الغيب تأتيني والصالحات كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والكتاب والسنة واللام للجنس
فان قلت اي فرق بين لام الجنس داخلة على المفرد وبين دخولها على المجموع **قلت** اذا دخلت على المفرد كان صالحا لان يراد
به الجنس الى ان يحاط به وان يراد به بعضه الى الواحد منه واذا دخلت على المجموع صلح ان يراد به جميع الجنس وان يراد
بعضه لا الى الواحد لان وزانه في تناول الجمعية في الجنس وزان المفرد في تناول الجنسية والجمعية في جمل الجنس
لا في وحدانه **فان قلت** فما المراد بهذا المجموع مع اللام **قلت** الجملة من الاعمال الصالحة المستقيمة في الدين على
حسب حال المؤمن في مواجب التكليف والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه
قال زهير تسقي جنة سحقا اي نخلا طوالا والتركيب دائر على معنى الستر وكأنها لتكاثفها وتظليلها سميت بالجنة
التي هي المرة من مصدر جنه اذا ستره كأنها سترة واحدة لفرط التفافها وسميت دار الثواب جنة لما فيها من
الجنان **فان قلت** الجنة مخلوقة ام لا **قلت** قد اختلف في ذلك والذي يقول انها مخلوقة يستدل بسكنى آدم وحواء
الجنة ومجيئها في القرآن على نهج الاسماء الغالبة اللاحقة بالاعلام كالنبي والرسول والكتاب ونحوها **فان قلت** ما
معنى جمع الجنة وتنكيرها **قلت** الجنة اسم لدار الثواب كلها وهي مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب على حسب استحقاقات
العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان **فان قلت** لما شرط في استحقاق الثواب بالايمان والعمل ان لا يحبطهما
المكلف بالكفر والاقدام على الكبائر وانه لا يندم على ما اوجده من فعل الطاعة وترك المعصية فهلا شرط ذلك
قلت لما جعل الثواب مستحقا بالايمان والعمل الصالح والبشارة مختصة بمن يتولاهما وركز في العقول ان الاحسان
انما يستحق فاعله عليه المثوبة والثناء اذا لم يتعقبه بما يفسده ويذهب بحسنه وانه لا يبقى مع وجود مفسده احسانا
واعلم بقوله لنبيه وهو اكرم الناس عليه واعزهم لئن اشركت ليحبطن عملك وقال للمؤمنين ولا تجهروا له بالقول

كجهر

كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم كان اشتراطه حفظهما من الاحباط والندم كالداخل تحت الذكر **فان قلت** كيف صور جري
الانهار من تحتها **قلت** كما ترى الاشجار النابتة على شواطئ الانهار الجارية وعن مسروق ان انهار الجنة تجري في غير اخدود
وانزه البساتين واكرمها منظرا ما كانت اشجاره مظللة والانهار في خلالها مطردة ولولا ان الماء الجاري من النعمة العظمى
واللذة الكبرى وان الجنان والرياض وان كانت آنق شيء واحسنه لا تروق النواظر ولا تبهج الانفس ولا تجلب الارواح والنشاط
حتى يجري فيها الماء والا كان الانس الاعظم فائتا والسرور الاوفر مفقودا وكانت كتماثيل لا ارواح فيها وصور
لا حياة لها لما جاء الله تعالى بذكر الجنات الا مشفوعا بذكر الانهار الجارية من تحتها مسوقين على قران واحد كالشيئين
لا بد لاحدهما من صاحبه ولما قدمه على سائر نعوتها والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال لبردى نهر
دمشق وللنيل نهر مصر واللغة العالية نهر بفتح الهاء ومدار التركيب على السعة واسناد الجري الى الانهار من الاسناد
المجازي كقولهم بنو فلان يطؤهم الطريق وسيل عليه الوادي **فان قلت** لم نكرت الجنات وعرفت الانهار **قلت**
اما تنكير الجنات فقد ذكر واما تعريف الانهار فان يراد الجنس كما تقول لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب
والوان الفواكه تشير الى الاجناس التي في علم المخاطب او يراد انهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الاضافة كقوله
واشتعل الرأس شيبا او يشار باللام الى الانهار المذكورة في قوله فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم
يتغير طعمه وقوله كلما رزقوا منها لا يخلو من ان يكون صفة ثانية لجنات او خبر مبتدأ محذوف او جملة مستأنفة لانه
لما قيل ان لهم جنات لم يخل خلد السامع من ان يقع فيه أثمار تلك الجنات اشباه ثمار جنات الدنيا ام اجناس اخر
لا تشابه هذه الاجناس فقيل ان ثمارها اشباه ثمار جنات الدنيا اي اجناسها اجناسها وان تفاوتت الى غاية لا يعلمها
الا الله **فان قلت** ما موقع من ثمرة **قلت** هو كقولك كلما اكلت من بستانك من الرمان شيئا حمدتك فموقع من ثمرة
موقع قولك من الرمان كأنه قيل كلما رزقوا من الجنات من اي ثمرة كانت من تفاحها او رمانها او عنبها او غير ذلك
رزقا قالوا ذلك فمن الاولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية لان الرزق قد ابتدئ من الجنات والرزق من الجنات
قد ابتدئ من ثمرة وتنزيله تنزيل ان تقول رزقني فلان فيقال لك من اين فتقول من بستانه فيقال
من اي ثمرة رزقك من بستانه فتقول من الرمان وتحريره ان رزقوا جعل مطلقا مبتدأ من ضمير الجنات ثم جعل مقيدا
بالابتداء من ضمير الجنات مبتدأ من ثمرة وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة او الرمانة الفذة على هذا التفسير

المراد النوع من انواع الثمار والجناة الواحدة فان قلت كيف قيل هذا الذي رزقنا من قبل وكيف تكون ذات الحاضر
عندهم في الجنة هي ذات الذي رزقوه في الدنيا قلت معناه هذا مثل الذي رزقناه من قبل وشبيهه بدليل قوله واتوا
به متشابها وهذا كقولك ابو يوسف ابو حنيفة تريد انه لاستحكام الشبه كان ذاته ذاته فان قلت الام يرجع الضمير في
قوله واتوا به قلت الى المرزوق في الدنيا والاخرة جميعا لان قوله هذا الذي رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما
رزقوه في الدارين ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير لدلالة قوله غنيا او
فقيرا على الجنسين ولو رجع الضمير الى المتكلم به لقيل اولى به على التوحيد فان قلت لاي غرض يتشابه ثمر الدنيا وثمر الجنة
وما بال ثمر الجنة لم يكن اجناسا اخر قلت لان الانسان بالمالوف آنس والى المعهود اميل واذا راى ما لم يالفه نفر عنه
طبعه وعافته نفسه ولانه اذا ظفر بشيء من جنس ما سلف له به عهد وتقدم له معه الف وراى فيه مزية ظاهرة وفضيلة
بينة وتفاوتا بينه وبين ما عهد بليغا افرط ابتهاجه واغتباطه وطال استعجابه واستغرابه وتبين كنه النعمة فيه وتحقق
مقدار الغبطة به ولو كان جنسا لم يعهد وان كان فائقا حسب ان ذلك الجنس لا يكون الا كذلك فلا يتبين موقع
النعمة حق التبين فحين ابصروا الرمانة من رمان الدنيا ومبلغها في الحجم وان الكبرى لا تفضل عن حد الصغرى
الصغيرة ثم يبصرون رمانة الجنة تشبع السكن والنبقة من نبق الدنيا في حجم الفلكة ثم يرون نبق الجنة كقلال
هجر كما راوا ظل الشجرة من شجر الدنيا وقدر امتداده ثم يرون الشجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعه
كان ذلك ابين للفضل واظهر للمزية واجلب للسرور وازيد في التعجب من ان يفاجؤوا ذلك الرمان وذلك النبق من
غير عهد سابق بجنسهما وترديدهم هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الامر وتمادي
الحال في ظهور المزية وتمام الفضيلة وعلى ان ذلك التفاوت العظيم هو الذي يستملي تعجبهم ويستدعي تبجحهم
في كل اوان عن مسروق نخل الجنة نضيد من اصلها الى فرعها وثمرها امثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت
مكانها اخرى وانهارها تجري في غير اخدود والعنقود اثنا عشر ذراعا ويجوز ان يرجع الضمير في اتوا به
الى الرزق كما ان هذا اشارة اليه ويكون المعنى ان ما يرزقونه من ثمر الجنة ياتيهم متجانسا في نفسه
كما يحكى عن الحسن يؤتى احدهم بالصحفة فياكل منها ثم يؤتى بالاخرى فيقول هذا الذي اوتينا من قبل فيقول
الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وعنه صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة

ليأكلها فما هي بواصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فاذا ابصروها والهيئة هيئة الاولى قالوا ذلك والقول
الاول هو الوجه فان قلت كيف موقع قوله واتوا به متشابها من نظم الكلام قلت هو كقولك فلان احسن بفلان ونعم
ما فعل وراى من الراي كذا وكان صوابا ومنه قوله تعالى وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون وما اشبه
ذلك من الجمل التي تساق في الكلام معترضة للتقرير والمراد بتطهير الازواج ان طهرن مما يختص بالنساء من الحيض
والاستحاضة وما لا يختص بهن من الاقذار والادناس ويجوز لمجيئه مطلقا ان يدخل تحته الطهر من دنس الطباع وطبع
الاخلاق الذي عليه نساء الدنيا مما يكتسبن بانفسهن ومما ياخذنه من اعراق السوء والمناصب الرديئة والمناشئ
المفسدة ومن سائر عيوبهن ومثالبهن وخبثهن وكيدهن فان قلت فهلا جاءت الصفة مجموعة كما الموصوف
قلت هما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلن وهن فاعلات وفواعل والنساء فعلت وهي فاعلة ومنه بيت الحماسة
واذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت والمعنى وجماعة ازواج مطهرة وقرا زيد بن
علي مطهرات وقرا عبيد بن عمير مطهرة بمعنى متطهرة وفي كلام بعض العرب ما احوجني الى بيت الله فاطهر به اطهرة
اي فاتطهر به تطهرة فان قلت هلا قيل طاهرة قلت في مطهرة فخامة لصفتهن ليست في طاهرة وهي الاشعار بان
مطهرا طهرهن وليس ذلك الا الله عز وجل المريد بعباده الصالحين ان يخولهم كل مزية فيما اعد لهم والخلد الثبات الدائم
والبقاء اللازم الذي لا ينقطع قال الله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون وقال
امرؤ القيس الا انعم صباحا ايها الطلل البالي وهل ينعمن من كان في العصر الخالي وهل ينعمن الا سعيد مخلد
قليل الهموم ما يبيت باوجال سيقت هذه الآية لبيان ان ما استنكره الجهلة والسفهاء واهل العناد والمراء
من الكفار واستغربوه من ان تكون المحقرات من الاشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع للاستنكار والاستغراب
من قبل ان التمثيل انما يصار اليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب وادناء المتوهم من المشاهد
فان كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به مثله وان كان حقيرا كان المتمثل به كذلك فليس العظم والحقارة في
المضروب به المثل اذن الا امرا تستدعيه حال المتمثل له وتستجره الى نفسها فيعمل الضارب للمثل على حسب
تلك القضية الا ترى الى الحق لما كان واضحا جليا ابلج كيف تمثل له بالضياء والنور والى الباطل لما كان
بضد صفته كيف تمثل له بالظلمة ولما كانت حال الآلهة التي جعلها الكفار اندادا لله تعالى لا حال احقر منها

واقل ولقد جعل بيت العنكبوت مثلها في الضعف والوهن وجعلت اقل من الذباب واخس قدرا وضربت
البعوضة فالذي دونها مثلا لم يستنكر ولم يستبدع ولم يقل للمتمثل استحي من تمثيلها بالبعوضة لانه مصيب
محق في تمثيله محق في قوله سائق للمثل على قضية مضربه محتذ على مثال ما يحتذيه وليريهم ان المؤمنين الذين
عادتهم الانصاف والعمل على العدل والتسوية والنظر في الامور بناظر العقل اذا سمعوا بهذا التمثيل علموا انه
الحق الذي لا تمر الشبهة بساحته والصواب الذي لا يرتع الخطاء حول جنابه وان الكفار الذين غلبهم الجهل على عقولهم
وغضب على بصائرهم فلا يتفطنون ولا يلقون اذهانهم او عرفوا انه الحق الا ان حب الرياسة وهوى الالف والعادة
لا يخليهم ان ينصفوا فاذا سمعوه عاندوا وكابروا وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالانكار وان ذلك سبب زيادة
هدى المؤمنين وانهماك الفاسقين في غيهم وضلالهم والعجب منهم كيف انكروا ذلك وما زال الناس يضربون
الامثال بالبهائم والطيور واحناش الارض والحشرات والهوام وهذه امثال العرب بين ايديهم سائرة في حواضرهم
وبواديهم قد تمثلوا فيها باحقر الاشياء فقالوا اجمع من ذرة واجرا من الذباب واسمع من قراد واصرد من جرادة
واضعف من فراشة واكل من السوس وقالوا في البعوضة اضعف من بعوضة واعز من مخ البعوض وكلفتني مخ
البعوض ولقد ضربت الامثال في الانجيل بالاشياء المحقرة كالزوان والنخالة وحبة الخردل والحصاة والارضة والدود
والزنابير والتمثيل بهذه الاشياء وباحقر منها مما لا تغني استقامته وصحته على من به ادنى مسكة ولكن ديدن
المحجوج المبهوت الذي لا يبقى له متمسك بدليل ولا متشبث بامارة ولا اقناع ان يرمي لفرط الحيرة والعجز عن اعمال
الحيلة بدفع الواضح وانكار المستقيم والتعويل على المكابرة والمغالطة اذا لم يجد سوى ذلك معولا وعن الحسن وقتادة
لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله
فانزل الله هذه الاية والحياء تغير وانكسار يعتري الانسان من تخوف ما يعاب به ويذم واشتقاقه من الحياة
يقال حيي الرجل كما يقال نسي وحشي وشظي الفرس اذا اعتلت هذه الاعضاء جعل الحيي لما يعتريه من الانكسار والتغير منتكس
القوة منتقص الحياة كما قالوا هلك فلان حياء من كذا ومات حياء ورايت الهلاك في وجهه من شدة الحياء وذاب
حياء وجمد في مكانه خجلا فان قلت كيف جاز وصف القديم سبحانه به ولا يجوز عليه التغير والخوف والذم وذلك في
حديث سلمان قال قال رسول الله صلعم ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع اليه العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا

قلت هو جار على سبيل التمثيل مثل تركه تخييب العبد وانه لا يرد يديه صفرا من عطائه لكرمه
بترك من يترك رد المحتاج اليه حياء منه وكذلك معنى قوله ان الله لا يستحيي اي لا يترك
ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يتمثل بها لحقارتها ويجوز ان تقع هذه العبارة
في كلام الكفرة فقالوا اما يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت
على سبيل المقابلة واطباق الجواب على السؤال وهو فن من كلامهم بديع وطراز عجيب
منه قول ابي تمام   من مبلغ افناء يعرب كلها   اني بنيت الجار قبل المنزل   وشهد رجل
عند شريح فقال انك لسبط الشهادة انها لم تجعد عني فقال لله بلادك وقبل فالذي سوغ
بناء الجار وتجعيد الشهادة هو مراعاة المشاكلة ولولا بناء الدار لم يصح بناء الجار وسبوطة
الشهادة لامتنع تجعيدها ولله در امر التنزيل واحاطته بفنون البلاغة وشعبها لا تكاد
تستغرب منها فنا الا عثرت عليه فيه على اقوم مناهجه واسد مدارجه وقد استعير الحياء
فيما لا يصح فيه   اذا ما استحين الماء يعرض نفسه   كرعن بسبت في اناء من الورد   وقرا
ابن كثير في رواية شبل يستحي بياء واحدة وفيه لغتان التعدي بالجار والتعدي بنفسه
يقولون استحييت منه واستحييته وهما محتملتان ههنا وضرب المثل اعتماده وصنعه
من ضرب اللبن وضرب الخاتم وفي الحديث اضطرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما
من ذهب وما هذه ابهامية وهي التي اذا اقترنت باسم نكرة ابهمته ابهاما وزادته
شياعا وعموما كقولك اعطني كتابا ما تريد اي كتاب كان او صلة للتاكيد كالتي في
قوله فبما نقضهم ميثاقهم كانه قيل لا يستحيي ان يضرب مثلا حقا او البتة هذا اذا نصبت
بعوضة فان رفعتها فهي موصولة صلتها الجملة لان التقدير هو بعوضة فحذف صدر الجملة
كما حذف في تماما على الذي احسن ووجه اخر حسن جميل وهو ان يكون التي فيها
معنى الاستفهام لما استنكفوا من تمثيل الله لاصنامهم بالمحقرات قال ان الله لا يستحيي ان
يضرب للانداد ما شاء من الاشياء المحقرة مثلا بله البعوضة فما فوقها كما يقال فلان لا

يبالي بما وهب من دينار وديناران والمعنى ان الله لا يستحيي ان يتمثل للانداد وحقارة شانها بما لا
شيء اصغر منه واقل كما لو تمثل بالجزء الذي لا يتجزأ او بما لا يدركه لتناهيه في صغره
هو وحده بلطفه او بالمعدوم كما تقول العرب فلان اقل من لا شيء في العدد ولقد الم به قوله
تعالى ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهذه القراءة تعزى الى رؤبة بن العجاج وهو
امضغ العرب للشيح والقيصوم المشهود له بالفصاحة وكانوا يشبهون به الحسن وما اظنه ذهب في
هذه القراءة الا الى هذا الوجه وهو المطابق لفصاحته وانتصب بعوضة بانها عطف بيان
لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال عن النكرة مقدمة عليه او انتصبا مفعولين فجرى ضرب
مجرى جعل واشتقاق البعوض من البعض وهو القطع كالبضع والعضب يقال بعضه البعوض
وانشد شعر لنعم البيت بيت ابي دثار اذا ما خاف بعض القوم بعضا ومنه بعض الشيء
لانه قطعة منه والبعوض في اصله صفة على فعول كالقطوع فغلبت وكذلك الخموش فما
فوقها فيه معنيان احدهما فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي ضربت فيه مثلا وهو القلة والحقارة
نحو قولك لمن يقول فلان اسفل الناس وانذلهم هو فوق ذلك تريد هو ابلغ واعرق فيما
وصف به من السفالة والنذالة والثاني فما زاد عليها في الحجم كانه قصد بذلك رد ما استنكروه
من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت لانهما اكبر من البعوضة كما تقول لصاحبك وقد عرفته من
يشح بادنى شيء فقال فلان يبخل بالدرهم والدرهمين هو لا يبالي ان يبخل بنصف درهم فما فوقه
تريد بما فوقه ما بخل به وهو الدرهم والدرهمان كانك قلت فضلا عن الدرهم والدرهمين ونحوه
في الاحتمالين ما سمعناه في صحيح مسلم عن ابرهيم عن الاسود قال دخل شبان من قريش على عائشة
وهي بمنى وهم يضحكون فقالت ما يضحككم قالوا فلان خر على طنب فسطاط فكادت عنقه او عينه
ان تذهب فقالت لا تضحكوا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة
فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت بها خطيئة يحتمل فما عدا الشوكة وتجاوزها في القلة
وهو نحو نخبة النملة في قوله عليه السلام ما اصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة

وهي عنقها ويحتمل ما هو اشد من الشوكة واوجع كالخرور على طنب الفسطاط فان قلت كيف يضرب
المثل بما دون البعوضة وهي النهاية في الصغر قلت ليس كذلك فان جناح البعوضة اقل منها واصغر
بدرجات وقد ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا وفي خلق الله حيوان اصغر منها ومن جناحها ربما
رايت في تضاعيف الكتب العتيقة دويبة لا يكاد يجليها البصر الحاد الا بتحركها فاذا سكنت
فالسكون يواريها ثم اذا لوحت لها بيدك حادت عنها وتجنبت مضرتها فسبحان من يدرك
صورة تلك واعضاءها الظاهرة والباطنة وتفاصيل خلقتها ويبصر بصرها ويطلع على ضميرها
ولعل في خلقه ما هو اصغر منها واصغر سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم
ومما لا يعلمون شعر يا من يرى مد البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الاليل ويرى عروق
نياطها في نحرها والمخ في تلك العظام النحل اغفر لعبد تاب من فرطاته ما كان منه في الزمان الاول
فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله
بهذا مثلا واما حرف فيه معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء وفائدته في الكلام ان يعطيه فضل توكيد
تقول زيد ذاهب فاذا قصدت توكيد ذلك قلت اما زيد فذاهب وانه لا محالة ذاهب وانه بصدد الذهاب وانه
منه عزيمة قلت اما زيد فذاهب ولذلك قال سيبويه في تفسيره مهما يكن من شيء فزيد ذاهب
وهذا التفسير مدل بفائدتين بيان كونه توكيدا وانه في معنى الشرط ففي ايراد الجملتين مصدرتين
به وان لم يقل فالذين آمنوا يعلمون والذين كفروا يقولون احماد عظيم لامر المؤمنين واعتداد
بعلمهم انه الحق ونعي على الكافرين اغفالهم حظهم وعنادهم ورميهم بالكلمة الحمقاء والحق الثابت الذي
لا يسوغ انكاره يقال حق الامر اذا ثبت ووجب وحقت كلمة ربك وثوب محقق محكم النسج وماذا
فيه وجهان ان يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذي فيكون كلمتين وان تكون ذا مركبة مع ما مجعولتين
اسما واحدا فيكون كلمة واحدة فهو على الوجه الاول مرفوع المحل على الابتداء وخبره ذا مع صلته وعلى
الثاني منصوب المحل في حكم ما وحده لو قلت ما اراد الله والاصوب في جوابه ان يجيء على الاول مرفوعا
وعلى الثاني منصوبا ليطابق الجواب السؤال وقد جوزوا عكس ذلك كما تقول في جواب من قال ما

رايت خيراً اي المرلي خير وفي جواب ما الذي رايت خيراً اي رايت وقرء قوله تعالى
يسئلونك ماذا ينفقون قل العفو بالرفع والنصب على التقديرين والارادة نقيض
الكراهة وهي مصدر اردت الشيء اذا طلبته نفسك ومال اليه قلبك وفي حدود المتكلمين
الارادة معنى يوجب للحي حالاً لاجلها يقع منه الفعل على وجه دون وجه وقد اختلفوا
في ارادة الله تعالى فبعضهم على ان للباري مثل صفة المريد منا التي هي القصد وهو امر زائد
على كونه عالماً غير ساه وبعضهم على ان معنى ارادته لافعاله انه فعلها وهو غير ساه ولا مكره
ومعنى ارادته لافعال غيره انه امر بها والضمير في انه الحق للمثل او لان يضرب وفي قولهم
ماذا اراد الله بهذا استرذال واستحقار كما قالت عائشة في عبد الله بن عمرو بن العاص
يا عجباً لابن عمرو هذا ومثلاً نصب على التمييز كقولك لمن اجاب بجواب غث ماذا اردت
بهذا جواباً ولمن حمل سلاحاً رديا كيف تنتفع بهذا سلاحاً او على الحال كقوله هذه ناقة الله
لكم اية **يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضل به الا الفاسقين** وقوله يضل به كثيراً
ويهدي به كثيراً جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين باما وان فريق العالمين
بانه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة وان العلم بكونه حقاً من باب
الهدى الذي ازداد به المؤمنون نوراً الى نورهم وان الجهل بحسن مورده من باب الضلالة
التي زادت الجهلة خبطاً في ظلمائهم **فان قلت** لم وصف المهديون بالكثرة والقلة صفتهم
وقليل من عبادي الشكور وقليل ما هم الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة وجدت الناس
اخبر تقله **قلت** اهل الهدى كثير في انفسهم وحين يوصفون بالقلة انما يوصفون بها
بالقياس الى اهل الضلال وايضاً فان القليل من المهتدين كثير في الحقيقة وان قلوا في
الصورة فسموا ذهاباً الى الحقيقة كثيراً ان الكرام كثير في [illegible] وان قلوا كما غيرهم قلوا وان البلاد ١٣
كثروا واسناد الاضلال الى الله تعالى اسناد الفعل الى السبب لانه لما ضرب المثل فضل به قوم
واهتدى به قوم تسبب لضلالهم وهداهم وعن مالك بن دينار رحمه الله انه دخل على محبوس قد
اخذ

اخذ بمال عليه وقيد فقال يا ابا يحيى اما ترى ما نحن فيه من القيود فرفع مالك راسه فرأى
سلة فقال لمن هذه السلة فقال لي فامر بها تنزل فاذا دجاج واخبصة فقال مالك هذه وضعت
القيود على رجلك وقرأ زيد بن علي يضل به كثير وكذلك وما يضل به الا الفاسقون والفسق الخروج عن
القصد وقال رؤبة فواسقاً عن قصدها جوائراً والفاسق في الشريعة الخارج عن امر الله
بارتكاب الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين اي بين منزلة المؤمن والكافر وقالوا ان اول من حد له هذا
الحد ابو حذيفة واصل بن عطاء وكونه بين بين ان حكمه حكم المؤمن في انه يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليه
ويدفن في مقابر المسلمين وهو كالكافر في الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته وان لا تقبل له شهادة
ومذهب مالك بن انس والزيدية ان الصلوة لا تجزئ خلفه ويقال للخلفاء المردة من الكفار الفسقة
وقد جاء الاستعمال الا في كتاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان يريد اللمز والتنابز ان المنافقين هم الفاسقون
النقض الفسخ وفك التركيب **فان قلت** من اين ساغ استعمال النقض في ابطال العهد **قلت** من حيث تسميتهم
العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين ومنه قول ابن التيهان في
بيعة العقبة يا رسول الله ان بيننا وبين القوم حبالاً ونحن قاطعوها فنخشى ان الله عز وجل اظهرك
ان ترجع الى قومك وهذا من اسرار البلاغة ولطائفها ان يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا اليه بذكر
شيء من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه ونحوه قولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس ولو
تزوجت امرأة فاستوثرها لم تقل هذا الا وقد نبهت على الشجاع والعالم بانهما اسد وبحر وعلى المرأة بانها فراش
والعهد الموثق وعهد اليه في كذا اذا وصاه به ووثقه عليه واستعهد منه اذا اشترط عليه واستوثق منه والمراد
بهؤلاء الناقضين لعهد الله احبار اليهود المتعنتون او منافقوهم او الكفار جميعاً **فان قلت** فما المراد بعهد الله
قلت ما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد كانه امر وصاهم به ووثقه عليهم وهو معنى قوله واشهدهم على انفسهم الست
بربكم قالوا بلى او اخذ الميثاق عليهم بانهم اذا بعث اليهم رسول الله يصدقه بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا
ذكره فيما تقدم من الكتب المنزلة عليهم كقوله واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وقوله لا انجيل لعيسى سأنزل عليك
كتاباً فيه نبأ بني اسرائيل وما اريتهم اياه من الآيات وما انعمت عليهم به وما نقضوا من ميثاقهم الذي وثقوا به

وما نسبوا به من نبذهم اليه وحسن صنعه بالذين قاموا بميثاق الله واوفوا بعهده وضرما ايام وكيف انزل الحسرة
ونقمته بالذين نبذوه ونقضوا ميثاقه ولم يوفوا لان اليهود فعلوا باسمه ما فعلوا باسم محمد عليه السلام من التحريف والجحود
والكتمان وقيل هو ما اخذ الله العهد عليهم ان لا يسفكوا دماءكم ولا يبغي بعضهم على بعض ولا يقطعوا ارحامهم وقيل
عهد الله الى خلقه ثلاثة عهود العهد الاول الذي اخذه على جميع ذرية ادم بربوبيته وهو قوله واذ اخذ
ربك وعهد خص به النبيين ان يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وهو قوله واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم وعهد خص به العلماء وهو قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس
ولا تكتمونه والضمير في ميثاقه للعهد وهو ما وثقوا به عهد الله من قبوله والزامه ويجوز ان يكون بمعنى
توثقته كما ان الميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة ويجوز ان يرجع الضمير الى الله اي من بعد توثقته
عليهم او من بعد ما وثق به عهده من اياته وكتبه وانذار رسله ومعنى قطعهم ما امر الله به ان يوصل
الارحام وموالاة المؤمنين وقيل قطعهم ما بين الانبياء من الوصلة والاتحاد والاجتماع على الحق في
ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض فان قلت ما الامر قلت طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه وبه سمي الامر
الذي هو واحد الامور لان الداعي الذي يدعو اليه من يتولاه شبه بامر به فقيل له امر تسمية للمفعول
به بالمصدر كانه مامور به كما قيل له شان والشان الطلب والقصد يقال شانت شانه اي قصدت
قصده هم الخاسرون لانهم استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح وعقابها
بثوابها معنى الهمزة التي في كيف مثلها في قولك اتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو الى
الايمان وهو الانكار والتعجب ونظيره قولك اتطير بغير جناح وكيف تطير بغير جناح فان قلت
قولك اتطير بغير جناح انكار للطيران لانه مستحيل بغير جناح واما الكفر فغير مستحيل مع ما ذكر من الامان
قلت قد اخرج في صورة المستحيل لما قوي من الصارف عن الكفر والداعي الى الايمان قلت فقد تبين
امر الهمزة وانها لانكار الفعل والايذان باستحالته في نفسه او لقوة الصارف عنه فما تقول في كيف حيث كان
انكارا للحال التي يقع عليها كفرهم قلت حال الشيء تابعة لذاته فاذا امتنع ثبوت الذات تبعه امتناع ثبوت
الحال فكان انكار حال الكفر لانها تتبع ذات الكفر ورديفها انكارا لذات الكفر وثباتها على طريق الكناية وذلك اقوى

لانكار

دخول على المبتدأ والخبر وبها قولك في الارض خليفة والخليفة من يخلف غيره والمعنى خليفة منكم لانهم كانوا سكان الارض
فخلفهم فيها ادم وذريته فان قلت فهلا قيل خلائف او خلفاء قلت اريد بالخليفة ادم واستغني بذكره عن ذكر بنيه
كما استغني بذكر ابي القبيلة في قولك مضر وهاشم او اريد من يخلفكم او خلقا يخلفكم فوحد لذلك ويجوز
ان يريد خليفة مني لان ادم كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي انا جعلناك خليفة في الارض فان قلت لاي غرض
اخبرهم بذلك قلت ليسألوا ذلك السؤال ويجابوا بما اجيبوا به فيعرفوا حكمته في استخلافهم قبل كونهم صيانة لهم عن اعتراض
الشبهة في وقت استخلافهم وقيل ليعلم عباده المشاورة في امورهم قبل ان يقدموا عليها وعرضها على ثقاتهم ونصحائهم
وان كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن المشاورة تعجب من ان يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية وهو
الحكيم الذي لا يفعل الا الخير فان قلت من اين عرفوا ذلك حتى تعجبوا منه قلت عرفوه باخبار من الله او من جهة اللوح او ثبت في
علمهم ان الملائكة وحدهم هم الخلق المعصومون وكل خلق سواهم ليسوا على صفتهم او قاسوا احد الثقلين على الاخر حيث
اسكنوا الارض فافسدوا فيها قبل سكنى الملائكة وقرئ يسفك بضم الفاء ويسفك من سفك وسفك والواو في
ونحن للحال كما تقول اتحسن الى فلان وانا احق منه بالاحسان والتسبيح تبعيد الله من السوء وكذلك تقديسه من
سبح في الارض والماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد وبحمدك في موضع الحال اي نسبح حامدين لك
ومتلبسين بحمدك لانه لولا انعامك علينا بالتوفيق واللطف لم نتمكن من عبادتك اعلم ما لا تعلمون اي اعلم من
المصالح في ذلك ما هو خفي عليكم فان قلت هلا بين لهم تلك المصالح قلت كفى العباد ان يعلموا ان افعال الله كلها
حسنة وحكمة وان خفي عليهم وجه الحسن والحكمة على انه قد بين لهم بعض ذلك فيما اتبعه من قوله وعلم ادم الاسماء
واشتقاقهم ادم من الادمة ومن اديم الارض نحو اشتقاقهم يعقوب من العقب وادريس من الدرس وابليس من الابلاس
وما ادم الا اسم اعجمي واقرب امره ان يكون على فاعل كازر وعازر وعابر وشالخ وفالغ واشباه ذلك الاسماء كلها اي اسماء
المسميات فحذف المضاف اليه لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر الاسماء لان الاسم لابد له من مسمى وعوض اللام منه كقوله
واشتعل الراس شيبا فان قلت هلا زعمت انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وان الاصل وعلم ادم الاسماء قلت
لان التعليم وجب تعليقه بالاسماء لا بالمسميات لقوله انبئوني باسماء هؤلاء انبئهم باسمائهم فكما علق الانباء بالاسماء لا
بالمسميات لم يقل انبئوني بهؤلاء وانبئهم بهم وجب تعليق التعليم بها فان قلت فما معنى تعليمه اسماء المسميات قلت اراه الاجناس التي خلقها

لانكار الكفر وابلغ وتحريره انه اذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها وقد علم ان كل موجود لا ينفك
من حال وصفة عند وجوده ومحال ان يوجد بغير صفة من الصفات كان انكار الوجوده على الطريق البرهاني
والواو في قوله وكنتم امواتا للحال فان قلت فكيف صح ان يكون حالا وهو ماض ولا يقال جئت وقام
الامير ولكن وقد قام الا ان يضمر قد قلت لم تدخل الواو على كنتم امواتا وحده ولكن على جملة قوله كنتم
الى ترجعون كانه قيل كيف تكفرون بالله وقصتكم هذه وحالكم انكم كنتم امواتا في اصلاب ابائكم
فجعلكم احياء ثم يميتكم بعد هذه الحياة ثم يحييكم بعد الموت ثم يحاسبكم فان قلت بعض القصة
مستقبل والماضي والمستقبل كلاهما بالقصة كانه قيل كيف تكفرون وانتم العالمون بهذه القصة كلها
قلت قد ذكرنا ان معنى الاستفهام في كيف الانكار وان انكار الحال متضمن وان كان الحال الذات
على سبيل الكناية فكانه قيل ما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قلت ان اتصل علمهم بانهم كانوا
فاحياهم ثم يميتهم فلم يتصل بالاحياء الثاني والرجوع قلت قد تمكنوا من العلم بهما بالدلائل الموصلة
اليه فكان ذلك بمنزلة حصول العلم وكثير منهم علموا ثم عاندوا والاموات جمع ميت كالاقوال في
جمع قيل قلت كيف قيل لهم اموات في حال كونهم جمادا وانما يقال ميت فيما يصح فيه الحياة من البنى
قلت بل يقال ذلك لعادم الحياة كقوله بلدة ميتا وآية لهم الارض الميتة اموات غير احياء ويجوز
ان يكون استعارة لاجتماعهما في ان لا روح ولا احساس فان قلت ما المراد بالاحياء الثاني
قلت يجوز ان يراد به الاحياء في القبور وبالرجوع النشور وان يراد به النشور وبالرجوع المصير الى
الجزاء فان قلت لم كان العطف الاول بالفاء والاعقاب بثم قلت لان الاحياء الاول قد تعقب الموت
ان اريد به النشور تراخيا ظاهرا وان اريد به احياء القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه والرجوع الى
الجزاء ايضا متراخ عن النشور فان قلت من اين انكر اجتماع الكفر مع القصة التي ذكرها الا انها مشتملة على
آيات بينات تصرفهم عن الكفر ام على نعم جسام حقها ان تشكر ولا تكفر قلت يحتمل الامرين جميعا
ما عدده آيات وهي مع كونها آيات من اعظم النعم لكم لاحياكم ولانتفاعكم به في دنياكم ودينكم اما الانتفاع
الدنيوي فظاهر واما الانتفاع الديني فالنظر فيه وما فيه من عجائب الصنع الدال على الصانع القادر الحكيم

وعلمه ان هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا وعلمه احوالها وما يتعلق بها من المنافع
الدينية والدنيوية ثم عرضهم اي عرض المسميات وانما ذكر لان في المسميات العقلاء فغلبهم وانما استنبأهم
وقد علم عجزهم عن الانباء على سبيل التبكيت ان كنتم صادقين يعني في زعمكم اني استخلف في الارض مفسدين سفاكين للدماء
ارادة للرد عليهم وان فيمن استخلفه من الفوائد العلمية التي هي اصول الفوائد كلها ما يستاهلون لاجله ان يستخلفوا
فاراهم بذلك وبين لهم بعض ما اجمل من ذكر المصالح في استخلافهم في قوله اني اعلم ما لا تعلمون وقوله الم اقل لكم اني
غيب السموات والارض استحضار لقوله اني اعلم ما لا تعلمون الا انه جاء به على وجه ابسط من ذلك واشرح وقرئ
آدم على البناء للمفعول وقرأ عبد الله رضي الله عنه وقرئ ثم عرضها او المعنى عرض مسمياتهن او مسمياتها لان العرض
لا يصح في الاسماء وقرئ انبيهم بقلب الهمزة ياء وانبهم بحذفها والهاء مكسورة فيهما السجود لله تعالى على سبيل العبادة
على وجه التكرمة كما سجدت الملائكة لادم وابو يوسف واخوته له ويجوز ان تختلف الاحوال والاوقات فيه وقرأ
ابو جعفر للملائكة اسجدوا بضم التاء للاتباع ولا يجوز استهلاك الحركة الاعرابية بحركة الاتباع الا في لغة ضعيفة
الحمد لله الا ابليس استثناء متصل لانه كان جنيا واحدا بين اظهر الالوف من الملائكة مغمورا بهم فغلبوا عليه في قوله فسجدوا
ثم استثنى منهم استثناء واحد منهم ويجوز ان يجعل منقطعا ابى امتنع مما امر به واستكبر عنه وكان من الكافرين من
كفرة الجن وشياطينهم فلذلك ابى واستكبر كقوله كان من الجن ففسق عن امر ربه السكنى من السكون لانها نوع من
والاستقرار وانت تاكيد للمستكن في اسكن ليصح العطف عليه رغدا وصف للمصدر اي اكلا رغدا واسعا رافها حيث
للمكان المبهم اي اي مكان من الجنة شئتما اطلق لهما الاكل من الجنة على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلة حين
عليهما بعض الاكل ولا بعض المواضع الجامعة للماكولات من الجنة حتى لا يبقى لهما عذر في التناول من شجرة واحدة من بين
الفائتة للحصر وكانت الشجرة فيما قيل الحنطة او الكرمة او التينة وقرئ ولا تقربا بكسر التاء وهذي والشجرة بكسر
والشيرة بكسر الشين والياء وعن ابي عمرو انه كرهها وقال يقرأ بها برابر مكة وسودانها من الظالمين من الذين ظلموا
بمعصية الله فتكونا جزم عطف على تقربا او نصب جواب النهي الضمير في عنها للشجرة اي فحملهما الشيطان على الزلة
وتحقيقه فاصدر الشيطان زلتهما عنها وعن هذه مثلها في قوله وما فعلته عن امري وقوله ينهون عن اكل
وعن شرب وقيل فازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما عنها وابعدهما كما تقول زل عني ذاك اذا ذهب

وما فيه من التذكير بالآخرة وثوابها وعقابها لاشتماله على أسباب الأنس واللذة من فنون المطاعم والمشارب
والفواكه والمناكح والمراكب والمناظر الحسنة البهيجة وعلى أسباب الوحشة والمشقة من أنواع المكاره كالنيران
والصواعق والسباع والأحناش والسموم والغموم والمخاوف وقد استدل بقوله خلق لكم على أن الأشياء
التي يصح أن ينتفع بها ولم تجر مجرى المحظورات في العقل خلقت في الأصل مباحة مطلقا لكل أحد أن
يتناولها ويستنفع بها فإن قلت هل لقول من زعم أن المعنى خلق لكم الأرض وما فيها وجه صحة قلت إن
أراد بالأرض الجهات السفلية دون الغبراء كما تذكر السماء ويراد الجهات العلوية جاز ذلك فإن الغبراء وما فيها
واقعة في الجهات السفلية وجميعا نصب على الحال من الموصول الثاني يعني ما في الأرض والاستواء الاعتدال
والاستقامة يقال استوى العود وغيره إذا قام واعتدل ثم قيل استوى إليه كالسهم المرسل إذا قصده قصدا
مستويا من غير أن يلوي على شيء ومنه استعير قوله ثم استوى إلى السماء أي قصد إليها بإرادته ومشيئته بعد خلق
ما في الأرض من غير أن يريد فيما بين ذلك خلق شيء آخر والمراد بالسماء جهات العلو كأنه قيل ثم استوى إلى
فوق والضمير في فسواهن ضمير مبهم وسبع سماوات تفسيره كقولهم ربه رجلا وقيل الضمير راجع إلى السماء والسماء
في معنى الجنس وقيل جمع سماءة والوجه العربي هو الأول ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه وإخلاؤه من العوج
والفطور أو إتمام خلقهن وهو بكل شيء عليم فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما في الأرض
على حسب حاجات أهلها ومنافعهم ومصالحهم فإن قلت ما اقتضيت به معنى الاستواء إلى السماء اقتضته ثم لا
معنى التراخي والمهلة قلت ثم هاهنا لما بين الخلقين من التفاوت وفضل خلق السماوات على خلق الأرض لا
للتراخي في الوقت كقوله ثم كان من الذين آمنوا على أنه لو كان بمعنى التراخي في الوقت لم يلزم ما اعترضت به لأن
المعنى أنه حين قصد إلى السماء لم يحدث فيما بين ذلك أي في تضاعيف القصد إليها خلقا آخر فإن قلت ما يناقض هذا
قوله والأرض بعد ذلك دحاها قلت لا لأن جرم الأرض تقدم خلقه خلق السماء وأما دحوها فمتأخر وعن الحسن
خلق الله الأرض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم أصعد الدخان وخلق منه السماوات
وأمسك الفهر في موضعها وبسط منها الأرض فذلك قوله كانتا رتقا وهو الالتزاق وإذ نصب بإضمار اذكر ويجوز أن
ينتصب بقالوا والملائكة جمع ملأك على الأصل كالشمائل في جمع شمأل وإلحاق التاء لتأنيث الجمع وجاعل من جعل الذي له مفعولان

معنى

عنها وذلك من الشجرة كما تقول صدر عنه فأزالهما عما كانا فيه من النعيم والكرامة أو من الجنة إن كان الضمير للشجرة في عنها
وقرأ عبد الله فوسوس لهما الشيطان عنها وهذا دليل على أن الضمير للشجرة لأن المعنى صدرت وسوسته عنها
فإن قلت كيف توصل إلى إزلالهما ووسوسته لهما بعد ما قيل له اخرج منها فإنك رجيم قلت يجوز أن يمنع دخولها
على جهة التقريب والتكرمة كدخول الملائكة ولا يمنع أن يدخل على جهة الوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل
كان يدنو من السماء فيكلمهما وقيل قام عند الباب فنادى وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم تعرفه الخزنة وقيل دخل
في الحية حتى دخلت به وهم لا يشعرون قيل اهبطوا خطاب لآدم وحواء وإبليس وقيل والحية والصحيح أنه لآدم وحواء
والمراد هما وذريتهما لأنهما لما كانا أصل الإنس ومتشعبهم جعلا كأنهما الإنس كلهم والدليل عليه قوله تعالى قال
اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ويدل على ذلك قوله فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين
كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون وما هو إلا حكم يعم الناس كلهم ومعنى بعضكم لبعض عدو
ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم لبعض والهبوط النزول إلى الأرض مستقر موضع استقرار أو استقرار ومتاع وتمتع بالعيش إلى
حين يريد إلى يوم القيامة وقيل إلى الموت معنى تلقي الكلمات استقبالها بالأخذ والقبول والعمل بها حين
علمها وقرئ بنصب آدم ورفع الكلمات على أنها استقبلته بأن بلغته واتصلت به فإن قلت ما هن قلت
قوله تعالى ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وعن ابن مسعود إن أحب الكلام إلى الله تعالى ما قاله أبونا حين اقترف الخطيئة
سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا
أنت وعن ابن عباس قال يا رب ألم تخلقني بيدك قال بلى قال ألم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يا رب
ألم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال يا رب ألم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب إن تبت وأصلحت أراجعي أنت إلى
الجنة قال نعم واكتفى بذكر توبة آدم دون توبة حواء لأنها كانت تبعا له كما طوى ذكر النساء في أكثر القرآن والسنة
لذلك وقد ذكرها في قوله تعالى ربنا ظلمنا أنفسنا فتاب عليه فرجع عليه بالرحمة والقبول فإن قلت لم كرر قلنا اهبطوا
قلت للتأكيد ولما نيط به من زيادة قوله فإما يأتينكم مني هدى فإن قلت ما جواب الشرط الأول قلت الشرط
الثاني مع جوابه كقولك إن جئتني فإن قدرت أحسنت إليك والمعنى فإما يأتينكم مني هدى برسول أبعثه إليكم وكتاب
أنزله عليكم بدليل قوله والذين كفروا وكذبوا بآياتنا في مقابلة فمن تبع هداي فإن قلت فلم جيء بكلمة الشك وإتيان

كأنه لا عاقل الوجوبه قلت لأن الإيمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وإنزال الكتب وأنه إن
لم يبعث رسولا ولم ينزل كتابا كان الإيمان به وتوحيده واجبا لما ركب فيهم من العقول ونصب لهم من الأدلة ومكنهم
من النظر والاستدلال فإن قلت الخطيئة التي أهبط بها آدم إن كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الأنبياء وإن كانت
صغيرة فلم جرى عليه ما جرى من نزع اللباس والإخراج من الجنة والإهباط من السماء كما فعل بإبليس ونسبته إلى الغي والعصيان
ونسيان العهد وعدم العزيمة والحاجة إلى التوبة قلت ما كانت إلا صغيرة مغمورة بأعمال قلبه من الإخلاص والأفكار
الخالصة الصالحة التي هي أجل الأعمال وأعظم الطاعات وإنما جرى عليه ما جرى تعظيما للخطيئة وتفظيعا لشأنها
وتهويلا ليكون ذلك لطفا له ولذريته في اجتناب الخطايا واتقاء المآثم والتنبيه على أنه أخرج من الجنة بخطيئة واحدة
فكيف يدخلها ذو خطايا جمة وقرئ فمن تبع هدي على لغة هذيل فلا خوف بالفتح إسرائيل هو يعقوب لقب له
ومعناه في لسانهم صفوة الله وقيل عبد الله وهو بزنة إبرهيم وإسمعيل غير منصرف مثلهما لوجود العلمية والعجمة
وقرئ إسرائل وإسرال وذكرهم النعمة أن لا يخلوا بشكرها ويعتدوا بها ويستعظموها ويطيعوا مانحها وأراد
بها ما أنعم به على آبائهم مما عدد عليهم وغير ذلك وما أنعم به عليهم من إدراك زمن محمد عم المبشر به في التوراة والإنجيل
والعهد يضاف إلى المعاهِد والمعاهَد جميعا يقال أوفيت بعهدي أي بما عاهدت عليه كقوله ومن أوفى بما عاهد عليه
من الله وأوفيت بعهدك أي بما عاهدتك عليه ومعنى وأوفوا بعهدي وأوفوا بما عاهدتموني عليه من الإيمان
بي والطاعة لي كقوله ومن أوفى بما عاهد عليه الله ومنهم من عاهد الله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
أوف بعهدكم بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم وإياي فارهبون فيه وجوه من التأكيد تقديم الضمير
المنفصل وتأخير المتصل والفاء الموجبة معطوف عليه وأن أحدهما مقدر والثاني مظهر وما في ذلك من تكرير الرهبة
فلا تنقضوا عهدي وهو من قولك زيدا رهبته وهو أوكد في إفادة الاختصاص من إياك نعبد وقرئ أوفّ
بالتشديد أي أبالغ في الوفاء بعهدكم كقوله من جاء بالحسنة فله خير منها ويجوز أن يريد بقوله وأوفوا بعهدي
ما عاهدوا عليه ووعدوه من الإيمان بنبي الرحمة والكتاب المعجز ويدل عليه قوله وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما
معكم ولا تكونوا أول كافر به أول من كفر به أو أول فريق أو فوج كافر به أو ولا يكن كل واحد منكم أول كافر به كقولك
كسانا حلة أي كل واحد منا وهذا تعريض بأنه كان يجب أن يكونوا أول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته ولأنهم كانوا

المبشرين

المبشرين بزمان من أوحي إليه والمستفتحين على الذين كفروا به وكانوا يعدون اتباعه أول الناس كلهم فلما بعث كان
أمرهم على العكس كقوله لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة إلى قوله وما تفرق الذين
أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ويجوز أن يراد ولا تكونوا مثل أول كافر به يعني
من أشرك به من أهل مكة أي ولا تكونوا وأنتم تعرفونه مذكورا في التوراة موصوفا مثل من لم يعرفه وهو مشرك لا كتاب
له وقيل الضمير في به لما معكم لأنهم إذا كفروا بما يصدقه فقد كفروا به والاشتراء استعارة للاستبدال كقوله اشتروا الضلالة
بالهدى وقوله كما اشترى المسلم إذ تنصرا فإني شريت الحلم بعدك بالجهل يعني ولا تستبدلوا بآياتي ثمنا قليلا وإلا
فالثمن هو المشترى به والثمن القليل الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو أصبحوا أتباعا لرسول
الله فاستبدلوها وهي بدل قليل ومتاع يسير بآيات الله وبالحق الذي كل كثير إليه قليل وكل كبير إليه حقير فما
بال القليل الحقير وقيل كانت عامتهم يعطون أحبارهم من زروعهم وثمارهم ويهدون إليهم الهدايا ويرشونهم الرشا
على تحريفهم الكلم وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرائع وكان ملوكهم يدرون عليهم الأموال ليكتموا أو يحرفوا الباء
التي في الباطل إن كانت صلة مثلها في قولك لبست الشيء بالشيء وخلطته به كان المعنى ولا تكتبوا في التوراة ما ليس منها
فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم حتى لا يميز بين حقها وباطلكم وإن كانت باء الاستعانة كالتي في
قولك كتبت بالقلم كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم الذي تكتبونه وتكتموا جزم داخل تحت حكم
النهي بمعنى ولا تكتموا أو منصوب بإضمار أن والواو بمعنى الجمع أي ولا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق
كقولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن فإن قلت لبسهم وكتمانهم ليسا بفعلين متميزين حتى ينهوا عن الجمع بينهما لأنهم
إذا لبسوا الحق بالباطل فقد كتموا الحق قلت بل هما متميزان لأن لبس الحق بالباطل ما ذكرنا من كتبتهم في التوراة
ما ليس منها وكتمانهم الحق أن يقولوا لا نجد صفة محمد عم أو حكم كذا أو يمحوا ذلك أو يكتبوه على خلاف ما هو عليه
وفي مصحف عبد الله وتكتمون بمعنى كاتمين وأنتم تعلمون في حال علمكم أنكم لابسون كاتمون وهو أقبح
لأن الجهل بالقبيح ربما عذر راكبه وأقيموا الصلاة يعني صلاة المسلمين وزكاتهم واركعوا مع الراكعين منهم
لأن اليهود لا ركوع في صلاتهم وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم في دين الله ويجوز أن يراد بالركوع

الصلوة كما امرتهم بها بالجمع وان يكون امرا بان تصلي مع المصلين يعني في جماعة كانه قيل واقيموا الصلوة وصلوها
مع المصلين لا منفردين اتامرون الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم والبر سعة الخير والمعروف و منه
البر لسعته ويتناول كل خير ومنه قولهم صدقت وبررت وكان الاحبار يامرون من نصحوه في السر من اقاربهم
وغيرهم باتباع محمد ص ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون واذا اتوا بصدقات ليفرقوها
خانوا فيها وعن محمد بن واسع رح بلغني ان ناسا من اهل الجنة اطلعوا على اناس من اهل النار فقالوا لهم قد كنتم تامروننا
باشياء عملنا بها فدخلنا الجنة قالوا كنا نامركم بها ونخالف الى غيرها وتنسون انفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات
وانتم تتلون الكتاب تبكيت مثل قوله وانتم تعلمون يعني تتلون التورية وفيها نعت محمد ص او فيها الوعيد على
الخيانة وترك البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون توبيخ عظيم يعني افلا تفطنون لقبح ما اقدمتم عليه حتى
يصدكم استقباحه عن ارتكابه وكانكم في ذلك مسلوبوا العقول لان العقول تاباه وتدفعه ونحوه اف لكم ولما
تعبدون من دون الله افلا تعقلون واستعينوا على حوائجكم الى الله بالصبر والصلوة اي بالجمع بينهما وان
تصلوا صابرين على تكاليف الصلوة متحملين لمشاقها وما يجب فيها من اخلاص القلب وحفظ النيات ودفع
الوساوس ومراعاة الاداب والاحتراس من المكاره مع الخشية والخشوع واستحضار العلم بانه انتصاب بين يدي
جبار السموات ليسئل فك الرقاب عن سخطه وعذابه ومنه قوله تعالى وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها
او واستعينوا على البلايا والنوائب بالصبر عليها والالتجاء الى الصلوة عند وقوعها وكان رسول الله ص
اذا حزبه امر فزع الى الصلوة وعن ابن عباس رض انه نعي اليه اخوه قثم وهو في سفر فاسترجع وتنحى عن الطريق
وصلى ركعتين اطال فيهما الجلوس ثم قام يمشي الى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلوة وقيل
الصبر الصوم لانه حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر ويجوز ان يراد بالصلوة الدعاء وان يستعان
على البلاء بالصبر والالتجاء الى الدعاء والابتهال الى الله في دفعه وانها الضمير للصلوة او للاستعانة ويجوز ان
يكون لجميع الامور التي امر بها بنو اسرائيل ونهوا عنها من قوله اذكروا نعمتي الى واستعينوا لكبيرة لشاقة ثقيلة
من قولك كبر على هذا الامر كبر على المشركين ما تدعوهم اليه فان قلت ما لها لم تثقل على الخاشعين والخشوع
في نفسه مما يثقل قلت لانهم يتوقعون ما ادخر للصابرين على متاعبها فتهون عليهم الا ترى الى قوله تعالى الذين

يظنون

يظنون انهم ملاقوا ربهم اي يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ما عنده ويطمعون فيه وفي مصحف عبد الله يعلمون
ومعناه يعلمون ان لا بد من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك ولذلك فسر يظنون بيتيقنون واما
من لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب كانت عليه مشقة خالصة فثقلت عليه كالمنافقين والمرائين باعمالهم
ومثاله من وعد على بعض الاعمال والصنائع اجرة زائدة على مقدار عمله فتراه يزاوله برغبة ونشاط وانشراح صدر
ومضاحكة لحاضريه كانه يستلذ مزاولته بخلاف حال عامل يتسخره بعض الظلمة ومن ثم قال رسول الله ص
وجعلت قرة عيني في الصلوة وكان يقول يا بلال روحنا والخشوع الاخبات والتطامن ومنه الخشعة
للرملة المتطامنة واما الخضوع فاللين والانقياد ومنه خضعت بقولها اذا لينته واني فضلتكم عطف
على نعمتي اي اذكروا نعمتي وتفضيلي على العالمين على الجم الغفير من الناس كقوله باركنا فيها للعالمين يقال
رايت عالما من الناس يراد الكثرة واتقوا يوما يريد يوم القيمة لا تجزي لا تقضي عنها شيئا من الحقوق ومنه الحديث
في جذعة بن دينار تجزي عنك ولا تجزي عن احد بعدك وشيئا مفعول به ويجوز ان يكون في موضع مصدر
اي قليلا من الجزاء كقوله ولا يظلمون شيئا ومن قرأ لا تجزئ من اجزا عنه اذا اغنى عنه فلا يكون في قراءته الا
بمعنى شيئا من الاجزاء وقرأ ابو السرار الغنوي لا تجزي نسمة عن نسمة شيئا وهذه الجملة منصوبة المحل صفة ليوما
فان قلت فاين العائد منها الى الموصوف قلت هو محذوف تقديره لا تجزي فيه ونحوه ما انشده ابو علي
تروحي اجدر ان تقيلي   اي احرى ان تقيلي فيه ومنهم من ينزل فيقول اتسع فيه فاجري مجرى المفعول
به فحذف الجار ثم حذف الضمير كما حذف من قوله او مال اصابوا ومعنى التنكير ان نفسا من الانفس لا
تجزي عن نفس منها شيئا من الاشياء وهو الاقناط الكلي القطاع المطامع وكذلك قوله ولا يقبل منها شفاعة ولا
يؤخذ منها عدل اي فدية لانها معادلة للمفدى ومنه الحديث لا يقبل منه صرف ولا عدل اي توبة ولا
فدية وقرأ قتادة ولا يقبل منها شفاعة على بناء الفعل للفاعل وهو الله عز وجل ونصب الشفاعة وقيل كانت
اليهود تزعم ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم فاويسوا فان قلت هل فيه دليل على ان الشفاعة لا تقبل للعصاة
قلت نعم لانه نفى ان تقضي نفس عن نفس حقا اخلت به من فعل او ترك ثم نفى ان يقبل منها شفاعة شفيع فعلم
انها لا تقبل للعصاة فان قلت الضمير في ولا يقبل منها الى اي النفسين يرجع قلت الى الثانية العاصية

الجزي عنها وهي التي لا يوخذ منها عدل ومعنى لا تقبل منها شفاعة ان جاءت بشفاعة شفيع لم تقبل
منها ويجوز ان يرجع الى النفس الاولى على انها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها كما لم تجز عنها شيا
ولو اعطت عدلا عنها لم يوخذ منها ولا هم ينصرون يعني مادلت عليه النفس المنكرة من النفوس
الكثيرة والتذكير بمعنى العباد او الاناسي كما تقول ثلثة انفس اصل آل اهل ولذلك يصغر باهيل فابدلت
هاوه الفا وخص استعماله باولي الخطر والشان كالملوك واشباههم ولا يقال آل الاسكاف والحجام وفرعون
علم لمن ملك العمالقة كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس ولعتو الفراعنة اشتق تفرعن فلان اذا عتا
وتجبر في ملح بعضهم: قد جاءه الموسى الكلوم فزاد في * اقصى تفرعنه وفرط عرامه * وقرئ انجيناكم
ونجيتكم يسومونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما قال عمرو بن كلثوم * اذا ما الملك سام الناس خسفا *
* ابينا ان نقر الخسف فينا * واصله من سام السلعة اذا طلبها كانه بمعنى يبغونكم سوء العذاب ويريدونكم
عليه والسوء مصدر السيء يقال اعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب
والعذاب كله سيء اشده وافظعه كانه قبحه بالاضافة الى سائره يذبحون بيان لقوله يسومونكم ولذلك
ترك العاطف كقوله يلقاه يضاعف قوله الذين كفروا وقرأ الزهري يذبحون بالتخفيف كقولك قطعت الثياب
وقطعتها وقرأ عبد الله يقتلون وانما فعلوا بهم ذلك لان الكهنة انذروا فرعون بانه يولد مولود يكون
على يده هلاكه كما انذر نمرود فلم يغن عنهما اجتهادهما في التحفظ وكان ما شاء الله والبلاء المحنة اذا
بذلكم الى صنيع فرعون والنعمة ان اشير الى الانجاء فرقنا فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت
مسالك لكم وقرئ فرقنا بمعنى فصلنا يقال فرق بين الشيئين وفرق بين الاشياء لان المسالك كانت اثني
عشر على عدد الاسباط فان قلت ما معنى بكم قلت فيه اوجه ان يراد انهم كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند
سلوكهم فكانما فرق بهم كما يفرق بين الشيئين بما يوسط بينهما وان يراد فرقناه بسببكم وبسبب انجائكم وان يكون في
موضع الحال بمعنى فرقناه ملتبسا بكم كقوله شعر: تدوس بنا الجماجم والتريبا * اي تدوسها ونحن راكبوها
وروي ان بني اسرائيل قالوا لموسى اين اصحابنا لا نراهم قال سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى
نراهم فقال اللهم اعني على اخلاقهم السيئة فاوحى اليه ان قل بعصاك هكذا فقال بها على الحيطان فصارت

كون قوما اذا تناسوا ملاءمهم وانتم تنظرون الى ذلك وتشاهدونه لا تشكون فيه لما دخل بنوا اسرائيل مصر
بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون اليه وعد الله موسى ان ينزل عليه التورية وضرب له ميقاتا ذا
وعشر في الحجة وقيل اربعين ليلة لان الشهور غررها بالليالي وقرئ واعدنا لان الله تعالى وعده الوحي
وهو المجي الى الميقات الى الطور من بعده من بعد مضيه الى الطور وانتم ظالمون باشراككم ثم عفونا عنكم من بعد ذلكم
من بعد ارتكابكم الامر العظيم وهو اتخاذ العجل لعلكم تشكرون ارادة ان تشكروا النعمة في العفو عنكم الكتاب
والفرقان يعني الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل يعني التورية كقولك رايت
الغيث والليث يريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة ونحوه كقوله تعالى ولقد اتينا موسى وهارون الفرقان
وضياء وذكرى للمتقين يعني الكتاب الجامع بين كونه فرقانا وضياء وذكرى للمتقين او التورية والبرهان الفارق
بين الكفر والايمان من العصا واليد وغيرهما من الايات او الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل
الفرقان انفراق البحر وقيل النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله يوم الفرقان يريد يوم بدر
حمل قوله فاقتلوا انفسكم على الظاهر وهو البخع وقيل معناه قتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل
ان يقتلوا العبدة وروي ان الرجل كان يبصر ولده ووالده وجاره وقريبه فلم يمكنهم المضي لامر الله
فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها وامروا ان يحتبوا بافنية بيوتهم وياخذ الذين
لم يعبدوا العجل سيوفهم وقيل لهم اصبروا فلعن الله من مد طرفه او حل حبوته او اتقى بيد او رجل
فيقولون امين فقتلوهم الى المساء حتى دعا موسى وهارون وقالا يا رب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية
فكشفت السحابة ونزلت التوبة فسقطت الشفار من ايديهم وكانت القتلى سبعين الفا فان قلت ما
الفرق بين الفاءات قلت الاولى للتسبيب لا غير لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب لان المعنى فاعزموا
على التوبة فاقتلوا انفسكم من قبل ان الله تعالى جعل توبتهم قتل انفسهم ويجوز ان يكون القتل تمام
توبتهم فيكون المعنى فتوبوا فاتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم والثالثة متعلقة بمحذوف ولا يخلو اما
ان ينتظم في قول موسى لهم فيتعلق بشرط محذوف كانه قال فان فعلتم فقد تاب عليكم واما ان يكون خطابا
من الله لهم على طريقة الالتفات فيكون التقدير ففعلتم ما امركم به موسى فتاب عليكم بارئكم فان قلت

من بين اخص هذا الموضع بذكر البارئ قلت البارئ هو الذي خلق الخلق بريئا من التفاوت ما ترى في
خلق الرحمن من تفاوت ومتميزا بعضه من بعض بالاشكال المختلفة والصور المتباينة وكان فيه تقريع بما كان
منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذي برأهم بلطيف حكمته على الاشكال المختلفة ابرياء من التفاوت والتنافر
الى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة والبلادة في امثال العرب بلا دين ثم حتى عرضوا انفسهم لسخط الله
ونزول امره بان يفك ما ركبه من خلقهم وينثر ما نظم من صورهم واشكالهم حين لم يشكروا النعمة وغمطوها بعبادة
من لا يقدر على شيء منها قيل القائلون السبعون الذين صعقوا وقيل قاله عشرة الاف منهم جهرة عيانا وهي
مصدر من قولك جهر بالقراءة وبالدعاء كان الذي يرى بالعين جاهر بالرؤية والذي يرى بالقلب مخافت بها وانتصابها
على المصدر لانها نوع من الرؤية فنصبت بفعلها كما تنصب القرفصاء بفعل الجلوس او على الحال بمعنى ذوي جهرة
وقرئ جهرة بفتح الهاء وهي اما مصدر كالغلبة واما جمع جاهر وفي هذا الكلام دليل على ان موسى عليه السلام رادهم
القول وعرفهم ان رؤية ما لا يجوز عليه ان يكون في جهة محال وان من استجاز على الله الرؤية فقد جعله من جملة
الاجسام او الاعراض فرادوه بعد بيان الحجة ووضوح البرهان ولجوا فكانوا في الكفر كعبدة العجل فسلط الله عليهم
الصعقة كما سلط على اولئك القتل تسوية بين الكفرين ودلالة على عظمهما بعظم المحنة والصاعقة ما صعقهم اي
اماتهم قيل نار وقعت من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة جاءت من السماء وقيل ارسل الله جنودا سمعوا بحسها فخروا صعقين
ميتين يوما وليلة وموسى عليه السلام لم تكن صعقته موتا ولكن غشية بدليل قوله فلما افاق والظاهر انه اصابهم
ما ينظرون اليه لقوله وانتم تنظرون وقرا علي رضي الله عنه فاخذتكم الصعقة لعلكم تشكرون نعمة البعث بعد
الموت او نعمة الله بعد ما كفرتموها اذا رايتم باس الله في رميكم بالصاعقة واذاقتكم الموت وظللنا وجعلنا
الغمام يظلكم وذلك في التيه سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في
ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وينزل عليهم المن وهو الترنجبين مثل الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكل
انسان صاع ويبعث الله الجنوب فتحشر عليهم السلوى وهي السماني فيذبح الرجل منها ما يكفيه كلوا على ارادة القول
اي قيل لهم كلوا وما ظلمونا يعني فظلموا بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما ظلمونا عليه
القرية بيت المقدس وقيل اريحا من قرى الشام امروا بدخولها بعد التيه والباب باب القرية وقيل هو باب القبة

التي كانوا يصلون اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى امروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب شكرا
لله وتواضعا وقيل السجود ان ينحنوا ويتطامنوا داخلين ليكون دخولهم بخشوع واخبات وقيل طوطئ لهم الباب
ليخفضوا رؤوسهم فلم يخفضوها ودخلوا متزحفين على اوراكهم حطة فعلة من الحط كالجلسة والركبة وهي
خبر مبتدأ محذوف اي مسألتنا حطة او امرك حطة والاصل النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وانما رفعت لتعطي معنى
الثبات كقوله صبر جميل فكلانا مبتلى والاصل صبرا على اصبر صبرا وقرا ابن ابي عبلة بالنصب على الاصل وقيل معناه
امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونستقر فيها فان قلت هل يجوز ان تنصب حطة في قراءة من نصبها بقولوا
على معنى قولوا هذه الكلمة قلت لا يبعد والاجود ان تنصب باضمار فعلها وينتصب محل ذلك المضمر بقولوا
وقرئ يغفر لكم على البناء للمفعول بالياء والتاء وسنزيد المحسنين اي من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا في
زيادة ثوابه ومن كان مسيئا كانت له توبة ومغفرة فبدل الذين ظلموا اي وضعوا مكان حطة قولا غيرها يعني
انهم امروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الى قول ليس معناه معنى ما امروا به ولم يمتثلوا امر
الله وليس الغرض انهم امروا بلفظ بعينه وهو لفظ الحطة فجاؤوا بلفظ اخر لانهم لو جاؤوا بلفظ اخر مستقل بمعنى
ما امروا به لم يؤاخذوا به كما لو قالوا مكان حطة نستغفرك ونتوب اليك او اللهم اعف عنا وما اشبه ذلك
وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا اي حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم
وعدولا عن طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون من اغراض الدنيا وفي تكرير الذين ظلموا زيادة في تقبيح
امرهم وايذان بان انزال الرجز عليهم لظلمهم وقد جاء في سورة الاعراف فارسلنا عليهم على الاضمار والرجز العذاب
وقرئ بضم الراء وروي انه مات منهم في ساعة بالطاعون اربعة وعشرون الفا وقيل سبعون الفا استسقى
في التيه فطلب موسى السقيا فقيل له اضرب بعصاك الحجر واللام اما للعهد والاشارة الى حجر معلوم فقد روي
انه حجر طوري حمله معه وكان حجرا مربعا له اربعة اوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاث اعين لكل سبط عين تسيل
في جدول الى السبط الذي امر ان يسقيهم وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا وقيل اهبطه ادم
من الجنة فتوارثوه حتى وقع الى شعيب فدفعه اليه مع العصا وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل
اذ رموه بالادرة ففر به فقال له جبريل يقول الله تعالى ارفع هذا الحجر فان لي فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله في

وأما للجنس أي اضرب الشيء الذي يقال له الحجر وعن الحسن لم يأمره أن يضرب حجرا بعينه قال وهذا أظهر في الحجة
وأبين في القدرة وروي أنهم قالوا كيف بنا لو أفضينا إلى أرض ليست فيها حجارة فحمل حجرا في مخلاته فحيث
ما نزلوا ألقاه وقيل كان يضربه بعصاه فينفجر ويضربه بها فييبس فقالوا إن فقد موسى عصاه متنا عطشا
فأوحى إليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان من رخام وكان ذراعا في ذراع وقيل
مثل رأس الإنسان وقيل من آس الجنة طوله عشرة أذرع على طول موسى وله شعبتان تتقدان في الظلمة
وكان يحمل على حمار فانفجرت الفاء متعلقة بمحذوف أي فضرب فانفجرت أو فإن ضربت فقد انفجرت كما ذكرنا
في قوله فتاب عليكم وهي على هذا فاء فصيحة لا تقع إلا في كلام بليغ وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما
لغتان كل أناس كل سبط مشربهم عينهم التي يشربون منها كلوا على إرادة القول من رزق الله مما رزقكم الله
من الطعام وهو المن والسلوى ومن ماء العيون وقيل الماء ينبت منه الزرع والثمار فهو رزق يؤكل منه
ويشرب والعثي أشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم لأنهم كانوا متمادين فيه كانوا
فلاحة فنزعوا إلى عكرهم فأجموا ما كانوا فيه من النعمة وطلبت أنفسهم الشقاء على طعام واحد أرادوا ما رزقوا
في التيه من المن والسلوى فإن قلت هما طعامان فما لهم قالوا على طعام واحد قلت أرادوا بالواحد ما لا يختلف
ولا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل ألوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها قيل لا يأكل فلان إلا طعاما واحدا يراد
بالوحدة نفي التبدل والاختلاف ويجوز أن يريدوا أنهما ضرب واحد لأنهما معا من طعام أهل التلذذ والتترف
ونحن قوم فلاحة أهل زراعات فما نريد إلا ما ألفناه وضرينا به من الأشياء المتفاوتة كالبقول والحبوب ونحو
ذلك ومعنى يخرج لنا يظهر لنا ويوجد والبقل ما أنبتته الأرض من الخضر والمراد به أطايب البقول التي يأكلها الناس
كالنعناع والكرفس والكراث وأشباهها وقرئ وقثائها بالضم والفوم الحنطة ومنه فوموا لنا أي اختبزوا وقيل
الثوم ويدل عليه قراءة ابن مسعود وثومها وهو للعدس والبصل أوفق الذي هو أدنى الذي هو أقرب منزلة
وأدون مقدارا والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار فيقال هو داني المحل وقريب المنزلة كما يعبر بالبعد عن
عكس ذلك فيقال بعيد المحل وبعيد الهمة يريدون الرفعة والعلو وقرأ زهير الفرقبي أدنأ بالهمزة من الدناءة
اهبطوا مصرا وقرئ اهبطوا بالضم أي انحدروا إليه من التيه يقال هبط الوادي إذا نزل به وهبط منه إذا خرج وبلاد

التيه

التيه ما بين بيت المقدس إلى قنسرين وهي اثنا عشر فرسخا في ثمانية فراسخ ويحتمل أن يريد العلم وإنما صرفه مع اجتماع
السببين فيه وهما التعريف والتأنيث لسكون وسطه كقوله نوحا ولوطا وفيهما العجمة والتعريف وإن أريد به البلد فما
فيه إلا سبب واحد وأن يريد مصرا من الأمصار وفي مصحف عبد الله وقرأ به الأعمش اهبطوا مصر بغير تنوين كقوله ادخلوا
مصر وقيل هو مصرائيم فعرب وضربت عليهم الذلة جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه
أو ألصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه فاليهود صاغرون أذلاء أهل مسكنة
ومدقعة إما على الحقيقة وإما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة أن يضاعف عليهم الجزية وباءوا بغضب من الله من
قولك باء فلان بفلان إذا كان حقيقا بأن يقتل به لمساواته له ومكافأته أي صاروا أحقاء بغضبه ذلك إشارة
إلى ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة والخلاقة بالغضب أي ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الأنبياء وقد قتلت اليهود
أشعياء وزكريا ويحيى وغيرهم فإن قلت قتل الأنبياء لا يكون إلا بغير الحق فما فائدة ذكره قلت معناه أنهم قتلوهم
بغير الحق عندهم لأنهم لم يقتلوا ولا أفسدوا في الأرض فيقتلوا وإنما نصحوهم ودعوهم إلى ما ينفعهم فقتلوهم فلو
سئلوا وأنصفوا من أنفسهم لم يذكروا وجها يستحقون به القتل عندهم وقرأ علي رضي الله عنه ويقتلون بالتشديد
ذلك تكرار للإشارة بما عصوا بسبب ارتكابهم أنواع المعاصي واعتدائهم حدود الله في كل شيء مع كفرهم بآيات
الله وقتلهم الأنبياء وقيل هو اعتداؤهم في السبت ويجوز أن يشار بذلك إلى الكفر وقتل الأنبياء على معنى
أن ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم لأنهم انهمكوا فيهما وغلوا حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الآيات وقتل
الأنبياء أو ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا إن الذين آمنوا بألسنتهم من غير مواطأة القلوب وهم المنافقون والذين
هادوا والذين تهودوا يقال هاد يهود وتهود إذا دخل في اليهودية وهو هائد والجمع هود والنصارى وهو جمع
نصران يقال رجل نصران وامرأة نصرانة قال نصرانة لم تحنف والياء في نصراني للمبالغة كالتي في أحمري سموا لأنهم
نصروا المسيح والصابئين وهو من صبأ إذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا
الملائكة من آمن من هؤلاء الكفرة إيمانا خالصا ودخل في ملة الإسلام دخولا أصيلا وعمل صالحا فلهم أجرهم الذي
يستوجبونه بإيمانهم وعملهم فإن قلت ما محل من آمن قلت الرفع إن جعلته مبتدأ خبره فلهم أجرهم عند ربهم
والنصب إن جعلته بدلا من اسم إن والمعطوف عليه فخبر إن في الوجه الأول الجملة كما هي وفي الثاني فلهم والفاء

معنى الشرط واذ اخذنا ميثاقكم بالعمل على ما في التوراة ورفعنا فوقكم الطور حتى قبلتم واعطيتم الميثاق وذلك
ان موسى عليه السلام جاءهم بالالواح فرأوا ما فيها من الاصار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم وابوا قبولها فامر
جبريل عليه السلام فقلع الطور من اصله ورفعه وظلله فوقهم وقال لهم موسى ان قبلتم والا القي عليكم حتى قبلوا خذوا
على ارادة القول ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه واحفظوا ما في الكتاب وادرسوه ولا
تنسوه ولا تغفلوا عنه لعلكم تتقون رجاء منكم ان تكونوا متقين او قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا ثم توليتم
ثم اعرضتم عن الميثاق والوفاء به فلولا فضل الله عليكم بتوفيقكم للتوبة لخسرتم وقرئ خذوا ما آتيتكم وتذكروا
واذكروا السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت وان اناسا منهم اعتدوا فيه اي جاوزوا ما حد
لهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد وذلك ان الله تعالى ابتلاهم فما كان يبقى حوت في البحر الا اخرج
خرطومه يوم السبت فاذا مضى تفرقت كما قال اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك
فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا اليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الاحد فذلك الحبس في الحياض هو
اعتداؤهم قردة خاسئين خبران اي كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد فجعلناها
يعني المسخة نكالا عبرة تنكل من اعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل القيد لما بين يديها لما قبلها وما خلفها وما بعدها
من الامم والقرون لان مسختهم ذكرت في كتب الاولين فاعتبروا بها من بلغتهم من الآخرين او عبرة لما بين يديها
بحضرتها من القرى والامم وقيل نكالا عقوبة منكلة لما بين يديها لاجل ما تقدمها من ذنوبهم وما تأخر منها وموعظة
للمتقين الذين نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم او لكل متق سمعها كان في بني اسرائيل شيخ موسر فقتله
بنو اخيه ليرثوه وطرحوه على باب مدينة ثم جاءوا يطالبون بدمه فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها
فيحيى فيخبرهم بقاتله قالوا اتتخذنا هزؤا اتجعلنا مكان هزؤ او اهل هزؤ او مهزوءا بنا او الهزؤ نفسه لفرط الاستهزاء من
الجاهلين لان الهزؤ في مثل هذا من باب الجهل والسفه وقرئ هزؤا بضمتين وهزءا بسكون الزاي نحو كفؤا وكفءا
وقرأ حفص هزوا بالضمتين والواو وكذلك كفوا والعياذ واللياذ من واحد واحد في قراءة عبد الله سل
لنا ربك ما هي سؤال عن حالها وصفتها وذلك انهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى فسألوا عن
صفة تلك البقرة العجيبة الشأن الخارجة عما عليه البقر والفارض المسنة وقد فرضت فروضا فهي فارض قال خفاف بن ندبة

شعر * لعمري لقد اعطيت ضيفك فارضا * تساق اليه ما تقوم على رجل * وكانها سميت فارضا لانها فرضت
سنها اي قطعتها وبلغت آخرها والبكر الفتية والعوان النصف قال * نواعم بين ابكار وعون * وقد عونت
فان قلت بين يقتضي شيئين فصاعدا فمن اين جاز دخوله على ذلك قلت لانه في معنى شيئين حيث وقع مشارا
به الى ما ذكر من الفارض والبكر فان قلت كيف جاز ان يشار به الى مؤنثين وانما هو للاشارة الى واحد مذكر
قلت جاز ذلك على تأويل ما ذكر وما تقدم للاختصار في الكلام كما جعلوا فعل نائبا عن افعال جمة تذكر قبله
تقول للرجل نعم ما فعلت وقد ذكرت له افعالا كثيرة وقصة طويلة كما تقول له ما احسن ذلك وقد يجري
مجرى اسم الاشارة في هذا قال ابو عبيدة قلت لرؤبة في قوله شعر * فيها خطوط من سواد وبلق * كأنه
في الجلد توليع البهق * ان اردت الخطوط فقل كأنها وان اردت السواد والبلق فقل كأنهما فقال اردت كان ذاك ويلك
والذي حسن منه ان اسماء الاشارة تثنيتها وجمعها وتأنيثها ليست على الحقيقة وكذلك الموصولات ولذلك
جاء الذي بمعنى الجمع ما تؤمرون اي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله امرتك الخير او امركم بمعنى مأموركم
تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير الفاقع اشد ما يكون من الصفرة وانصعه يقال في التوكيد اصفر فاقع
ووارس كما يقال اسود حالك وحانك وابيض يقق ولهق واحمر قاني وذريحي واخضر ناضر ومدهامّ واورق
خطباني وارمك رادني فان قلت فاقع هنا واقع خبرا عن اللون فلم يقع توكيدا لصفراء قلت لم يقع خبرا عن
اللون انما وقع توكيدا لصفراء الا انه ارتفع اللون به ارتفاع الفاعل واللون سببها وملتبس بها فلم يكن
فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها فان قلت فهلا قيل صفراء فاقعة واي فائدة في ذكر اللون
قلت الفائدة فيه التوكيد لان اللون اسم للهيئة وهي الصفرة فكانه قيل شديدة الصفرة صفرتها فهو من
قولك جد جده وجنونك مجنون وعن وهب اذا نظرت اليها خيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها
والسرور لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه وعن علي رضي الله تعالى عنه من لبس نعلا صفراء قل همه لقوله
تسر الناظرين وعن الحسن البصري صفراء فاقع لونها سوداء شديدة السواد ولعله مستعار من صفة الابل
لان سوادها يعلوه صفرة وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر وقال الاعشى شعر * تلك خيلي منه وتلك ركابي *
هن صفر اولادها كالزبيب * ما هي مرة ثانية تكرير للسؤال عن حالها وصفتها واستكشاف زائد ليزدادوا بيانا

لوصفها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو اعترضوا ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم
والاستقصاء شوم وعن بعض الخلفاء انه كتب الى عامله بان يذهب الى قوم فيقطع اشجارهم ويهدم دورهم
فكتب اليه بايهما ابدا فقال ان قلت لك بقطع الشجر سالتني باي نوع منها ابدا وعن عمر بن عبد العزيز اذا
امرتك ان تعطي فلانا شاة سالتني اضان ام ماعز فان بينت لك قلت اذكر ام انثى فان اخبرتك قلت
اسودا ام بيضا فاذا امرتك بشي فلا تراجعني وفي الحديث اعظم الناس جرما من سال عن شي لم يحرم فحرم لاجل
مسالته ان البقر تشابه علينا اي ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا ايها نذبح وقرئ تشابه
بمعنى تتشابه بطرح التاء وادغامها في الشين وتشابهت ومتشابهة ومتشابه وقرا محمد ذو الشامة ان الباقر يشابه بالياء
والتشديد وجاء في الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم اخر الابد اي لو لم يقولوا ان شاء الله والمعنى انا لمهتدون الى
البقرة المراد ذبحها او الى ما خفي علينا من امر القاتل لا ذلول صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعني لم تذلل
للكراب واثارة الارض ولا هي من النواضح التي يسنى عليها لسقي الحرث ولا الاولى للنفي والثانية مزيدة لتوكيد الاولى
لان المعنى لا ذلول تثير الارض وتسقي على ان الفعلين صفتان لذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرا
ابو عبد الرحمن السلمي لا ذلول بمعنى لا ذلول هناك اي حيث هي وهو نفي لذلها ولان توصف به فيقال هي ذلول
ونحوه قولك مررت بقوم لا بخيل ولا جبان اي فيهم او حيث هم وقرئ تُسقي بضم التاء من اسقى مسلمة سلمها الله
من العيوب او معفاة من العمل سلمها اهلها منه كقوله او معبر الظهر ينبي عن وليته ما حج ربه
في الدنيا ولا اعتمرا او مخلصة اللون من سلم له كذا اذا خلص له لم يشب صفرتها شي من الالوان لا شية فيها
لا لمعة في نقبتها من لون اخرى سوى الصفرة فهي صفرا كلها حتى قرنها وظلفها وهي في الاصل مصدر وشاه
وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا اخر ومنه ثور موشي القوائم الان جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة وما
بقي اشكال في امرها فذبحوها اي فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف كلها فذبحوها وقوله وما كادوا
استثقال لاستقصائهم واستبطا لهم وانهم لتطويلهم المفرط وكثرة استكشافهم ما كادوا يذبحونها وما كادت
تنتهي سؤالاتهم وما كاد ينقطع خيط اسهابهم فيها وتعمقهم وقيل وما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها او لخوف
الفضيحة في ظهور القاتل وروي انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم

استودعكها

استودعكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فشبت وكانت من احسن البقر واسمنه فساوموها اليتيم وامه
حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة اربعين
سنة فان قلت كانت البقرة التي تناولها الامر بقرة غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بلون وصفات
الخصوصية فاصل الامر الاول قلت رجع منسوخا لانتقال الحكم الى البقرة المخصوصة والنسخ قبل الفعل
على ان الخطاب كان لازم امره متناولا لهذه البقرة الموصوفة كما تناول غيرها ولو وقع الذبح عليها
بحكم الخطاب قبل التخصيص لكان امتثالا له فكذلك اذا وقع عليها بعد التخصيص واذ قتلتم نفسا
خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم فادارأتم فيها فاختلفتم واختصمتم في شانها لان المتخاصمين يدرا بعضهم
بعضا اي يدفعه ويزحمه او تدافعتم بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض فدفع المطروح عليه الطارح او
لان الطرح في نفسه دفع او دفع بعضكم بعضا عن البراءة واتهمه والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهر لا
محالة ما كتمتم من امر القتل لا يتركه مكتوما فان قلت كيف اعمل مخرج وهو في معنى المضي قلت قد حكى ما
كان مستقبلا في وقت التدارؤ كما حكى الحاضر في قوله باسط ذراعيه وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف
والمعطوف عليه وهما ادارأتم وفقلنا والضمير في اضربوه اما ان يرجع الى النفس والتذكير على تاويل
الشخص والانسان واما الى القتيل لما دل عليه من قوله ما كنتم تكتمون ببعضها ببعض البقرة واختلف في
البعض الذي ضرب به فقيل لسانها وقيل فخذها اليمنى وقيل عجبها وقيل العظم الذي يلي الغضروف
وهو اصل الاذن وقيل البضعة بين الكتفين والمعنى فضربوه فحيي فحذف ذلك لدلالة قوله كذلك يحيي الله
الموتى روي انهم لما ضربوه قام باذن الله واوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم
سقط ميتا فاخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك كذلك يحيي الله الموتى اما ان يكون خطابا للذين
حضروا حياة القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة ويريكم اياته دلائله على انه قادر على
كل شي لعلكم تعقلون تعملون على قضية عقولكم وان من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء الانفس
كلها لعدم الاختصاص حتى لا تنكروا البعث واما ان يكون خطابا للمنكرين في زمن رسول الله صلى الله
عليه وسلم فان قلت هلا احياه ابتداء ولم شرط في احيائه ذبح البقرة وضربه ببعضها قلت في الاسباب

الغيضة

والنشور وحكم وفوائد وانما شرط ذلك في ذبح البقرة من التقرب واداء التكليف واكتساب الثواب والاشعار
بحسن تقديم القربة على الطلب وما في التشديد عليهم لتشديدهم من اللطف بهم ولآخرين في ترك التشديد والمسارعة
الى امتثال امر الله وارتسامها على الفور من غير تفتيش وتكثير سؤال ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة والدلالة
على بركة البر بالابوين والشفقة على الاولاد وتجهيل الهازئ بما لا يعلم كنهه ولا يطلع على حقيقته من كلام
الحكماء وبيان ان من حق المتقرب الى ربه ان يتنوق في اختيار ما يتقرب به وان يختار الفتي السن غير قحم
ولا ضرع حسن اللون بريئا من العيوب يونق من نظر اليه وان يغالي بثمنه كما روي عن عمر رضي الله عنه انه
ضحى بنجيبة بثلثمائة دينار وان الزيادة في الخطاب نسخ له وان النسخ قبل الفعل جائز وان لم يجز قبل وقت الفعل
وامكانه لادائه الى البداء وليعلم بما امر من مس الميت بالميت وحصول الحياة عقيبه ان المؤثر هو المسبب لا
الاسباب لان الموتين الحاصلين في الجسمين لا يعقل ان يتولد منهما حياة **فان قلت** فالقصة لم تقص على
ترتيبها وكان حقها ان يقدم ذكر القتيل والضرب ببعض البقرة على الامر بذبحها وان يقال واذ قتلتم نفسا
فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها **قلت** كل ما قص من قصص بني اسرائيل انما قص تعديدا لما
وجد منهم من الجنايات وتقريعا لهم عليها ولما جدد فيهم من الآيات العظام وهاتان القصتان كل واحدة منهما مستقلة
بنوع من التقريع وان كانتا متصلتين متحدتين فالاولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة الى الامتثال وما
يتبع ذلك والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الآية العظيمة وانما قدمت قصة الامر بذبح البقرة
على ذكر القتيل لانه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض في تثنية التقريع ولقد روعيت نكتة
بعد ما استؤنفت الثانية استيناف قصة برأسها ان وصلت بالاولى دلالة على اتحادهما بضمير البقرة لا
باسمها الصريح في قوله اضربوه ببعضها حتى تبين انهما قصتان فيما يرجع الى التقريع وتثنيته باخراج الثانية
مخرج الاستيناف مع تأخيرها وانها قصة واحدة بالضمير الراجع الى البقرة معنى ثم استبعاد القسوة
بعد ما ذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها ونحوه ثم انتم تمترون وصفة القلوب بالقسوة والغلظ مثل
لنبوها عن الاعتبار وان المواعظ لا تؤثر فيها او ذلك اشارة الى احياء القتيل او الى جميع ما تقدم من الآيات
المعدودة فهي كالحجارة في قسوتها او اشد قسوة منها او اشد معطوف على الكاف اما

اما على معنى او مثل اشد قسوة فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة الاعمش بالجر
عطفا على الحجارة او هي في انفسها اشد قسوة والمعنى ان من عرفها شبهها بالحجارة او بجوهر اقسى منها
وهو الحديد مثلا او من عرفها شبهها بالحجارة او قال هي اقسى من الحجارة **فان قلت** لم قيل اشد قسوة وفعل القسوة
مما يخرج منه **قلت** لكونه ابين وادل على فرط القسوة ووجه آخر وهو ان لا يقصد معنى الاقسى ولكن قصد وصف القسوة
بالشدة كانه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم اشد قسوة وقرئ قساوة وترك ضمير المفضل عليه لعدم الالباس
كقولك زيد كريم وعمرو اكرم قوله وان من الحجارة بيان لفضل قلوبهم على الحجارة في شدة القسوة وتقرير لقوله
او اشد قسوة وقرئ وان بالتخفيف وهي ان المخففة من الثقيلة التي يلزمها اللام الفارقة ومنها قوله
وان كل لما جميع والتفجر التفتح بالسعة والكثرة وقرأ مالك بن دينار ينفجر يشقق يتشقق وبه قرأ الاعمش
والمعنى ان من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الكثير الغزير ومنها ما ينشق انشقاقا بالطول
او بالعرض فينبع منه الماء ايضا يهبط يتردى من اعلى الجبل وقرئ بضم الباء والخشية مجاز عن الانقياد
لامر الله وانها لا تمتنع على ما يريد فيها وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل ما امرت به وقرئ يعملون بالياء
وهو وعيد افتطمعون لرسول الله والمؤمنين ان يؤمنوا لكم ان يصدقوكم الايمان لاجل دعوتكم
ويستجيبوا لكم كقوله فآمن له لوط يعني اليهود وقد كان فريق منهم طائفة من اسلافهم يسمعون كلام
الله وهو ما يتلونه من التورية ثم يحرفونه كما حرفوا صفة رسول الله وآية الرجم وقيل كان قوم من السبعين
المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور وما امر به ونهى ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره ان استطعتم
ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فلا باس وقرئ كلم الله من بعد ما عقلوه
من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم ولم يبق لهم شبهة في صحته وهم يعلمون انهم كاذبون مفترون والمعنى
ان احبار هؤلاء ومقدميهم كانوا على هذه الحالة فما ظنك بسفلتهم وجهالهم وانهم ان كفروا وحرفوا فلهم سابقة في ذلك واذا لقوا يعني اليهود قالوا آمنا بانكم على الحق
وان محمدا هو الرسول المبشر به واذا خلا بعضهم الذين لم ينافقوا الى بعض الذين نافقوا قالوا
عاتبين عليهم اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التورية من صفة محمد او قال المنافقون لاعقابهم
اظهارا للتصلب في دينهم اتحدثونهم انكارا عليهم ان يفتحوا عليهم شيئا في كتابهم فينافقون المؤمنين

اليهود ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو في كتابكم هكذا
محاجة عند الله الا تراك تقول هو في كتاب الله هكذا وهو عند الله هكذا بمعنى واحد اولا يعلمون ان الله يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون
ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان ومنهم اميون لا يحسنون الكتاب فيطالعوا التورية ويتحققوا
فيها الا ليعلمون الكتاب التورية الا اماني الا ما هم عليه من امانيهم وان الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا يواخذهم
بخطاياهم وان اباءهم الانبياء يشفعون لهم وما تمنيهم احبارهم من ان النار لا تمسهم الا اياما معدودة وقيل
الا اكاذيب مختلقة سمعوها من علمائهم فتقبلوها على التقليد قال اعرابي لابن دأب في شي حدث به اهذا
شي رويته او تمنيته اي اختلقته وقيل الا ما يقرءون من قوله تمنى كتاب الله اول ليلة والاشتقاق من
منى اذا قدر لان المتمني يقدر في نفسه ويحزر ما يتمناه وكذلك المختلق والقارئ يقدر ان كلمة كذا بعد كذا
والا اماني من الاستثناء المنقطع وقرئ اماني بالتخفيف ذكر العلماء الذين عاندوا في التحريف مع العلم والعامي على
انه لا يرضى بالتقليد والظن وهو متمكن من العلم يكتبون الكتاب المحرف بايديهم تاكيد وهو من مجاز التاكيد
كما تقول لمن ينكر معرفة ما كتبه يا هذا كتبته بيمينك هذه مما يكسبون من الرشا اياما معدودة اربعين
يوما عدد ايام عبادة العجل وعن مجاهد كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب مكان
كل الف سنة يوما فلن يخلف الله متعلق بمحذوف تقديره ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده وام
اما ان يكون معادلة بمعنى اي الامرين كائن على سبيل التقرير لان العلم واقع بكون احدهما ويجوز ان
يكون منقطعة بلى اثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله لن تمسنا النار اي بلى تمسكم ابدا بدليل قوله
هم فيها خالدون من كسب سيئة من السيئات يعني كبيرة من الكبائر واحاطت به خطيئته تلك واستولت
عليه كما يحيط العدو ولم يتقص عنها بالتوبة وقرئ خطاياه وخطيئاته وقيل في الاحاطة كان ذنبه اغلب
من طاعته وسال رجل الحسن فقال سبحان الله الا اراك ذا لحية وما تدري ما الخطيئة انظر في المصحف فكل اية
نهى الله عنها واخبرك انه من عمل بها ادخله النار فهي الخطيئة المحيطة لا تعبدون اخبار في معنى النهي
كما تقول تذهب الى فلان تقول له كذا تريد الامر وهو ابلغ من صريح الامر والنهي لانه كانه سورع الى الامتثال
والانتهاء فهو يخبر عنه وتنصره قراءة عبد الله وابي لا تعبدوا ولا بد من ارادة القول ويدل عليه ايضا قوله

وقولوا وبالوالدين احسانا اما ان يقدر وتحسنون بالوالدين او واحسنوا وقيل هو جواب قوله واذ اخذنا ميثاق
بني اسرائيل اجراء له مجرى القسم كانه قيل واذ اقسمنا عليهم لا تعبدون وان اختلفت ان رفع كقوله الا ايهذا
الزاجري احضر الوغى ويدل عليه قراءة عبد الله ان لا تعبدوا ويحتمل ان لا تعبدوا ان تكون ان فيه مفسرة وان تكون
ان مع الفعل بدلا عن الميثاق كانه قيل اخذنا ميثاق بني اسرائيل توحيدهم وقرئ بالتاء حكاية لما خوطبوا به
والياء لانهم غيب حسنا قولا هو حسن في نفسه لافراط حسنه وقرئ حسنا وحسنى على المصدر كبشرى ثم
توليتم على طريقة الالتفات اي توليتم عن الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم قيل هم الذين اسلموا منهم وانتم معرضون
وانتم قوم عادتكم الاعراض عن المواثيق والتولية لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم لا يفعل ذلك بعضكم ببعض
جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به اصلا او دينا وقيل اذا قتل غيره فكانما قتل نفسه لانه يقتص منه ثم اقررتم بالميثاق
واعترفتم على انفسكم بلزومه وانتم تشهدون عليها كقولك فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها وقيل وانتم
تشهدون اليوم يا معشر اليهود على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق ثم انتم هؤلاء استبعاد لما اسند اليهم من القتل
والاجلاء والعدوان بعد اخذ الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم والمعنى ثم انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون
يعني انكم قوم اخرون غير اولئك المقرين تنزيلا لتغير الصفة منزلة تغير الذات كما تقول رجعت بغير الوجه الذي
خرجت به وقوله تقتلون بيان لقوله ثم انتم هؤلاء وقيل هؤلاء موصول بمعنى الذي وقرئ تظاهرون بحذف التاء
وادغامها وتتظاهرون باثباتها وتظهرون بمعنى تتظهرون اي تتعاونون عليهم وقرئ تفدوهم وتفادوهم
واسرى واسارى وهو ضمير الشان ويجوز ان يكون مبهما تفسيره اخراجهم افتؤمنون ببعض الكتاب اي بالفداء
وتكفرون ببعض اي بالقتال والاجلاء وذلك ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج وكان كل فريق
يقاتل مع حلفائه واذا غلبوا خربوا ديارهم واخرجوهم واذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه فعيرتهم
العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي ان تذل
حلفاؤنا والخزي قتل بني قريظة واسرهم واجلاء بني النضير وقيل الجزية وانما رده من فعل منهم ذلك الى اشد العذاب
لان عصيانه اشد وقرئ تردون وتعملون بالياء والتاء فلا يخفف عنهم عذاب الدنيا بنقصان الجزية ولا
ينصرهم احد بالدفع عنهم وكذلك عذاب الاخرة الكتاب التوراة اتاه اياها جملة واحدة ويقال قفاه اذا

من القفا نحو ذنبه من الذنب وقفاه به اذا اتبعه اياه يعني وارسلنا على اثره الكثير من الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا
تترى وهم يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس ويونس واليسع
وذكريا ويحيى وغيرهم وقيل عيسى بالسريانية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وقيل المريم بالعربية من النساء
كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه ووزن مريم عند النحويين مفعل لان فعيلا
بفتح الفاء لم يثبت في الابنية كما ثبت نحو عثير وعليب البينات المعجزات الواضحات والحجج كاحياء الموتى وابراء
الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات وقرئ وآيدناه من ناجده بالجيم اذا قواه يقال الحمد لله الذي آجدني
بعد ضعف واوجدني بعد فقر بروح القدس بالروح المقدسة كما تقول حاتم الجود ورجل صدق ووصفها
بالقدس كما قال وروح منه فوصفه بالاختصاص والتقريب للكرامة وقيل لانه لم تضمه الاصلاب ولا ارحام
الطوامث وقيل جبريل وقيل الانجيل كما قال في القران روحا من امرنا وقيل باسم الله الاعظم الذي كان
يحيي الموتى بذكره والمعنى ولقد آتينا يا بني اسرائيل انبياءكم ما آتيناهم افكلما جاءكم رسول منهم بالحق
استكبرتم عن الايمان به فوسط ما بين الفاء وما تعلقت به همزة التوبيخ والتعجيب من شانهم ويجوز ان يريد
ولقد آتيناهم ما آتيناهم ففعلتم ما فعلتم ثم وبخهم على ذلك ودخول الفاء لعطفه على المقدر فان قلت
هلا قيل وفريقا قتلتم قلت هو على وجهين ان تراد الحال الماضية لان الامر فظيع فاريد استحضاره
في النفوس وتصويره في القلوب وان يراد وفريقا تقتلونهم بعد لانكم حول قتل محمد لولا اني اعصمه منكم
ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقال عليه السلام عند موته ما زالت اكلة خيبر تعادني فهذا اوان قطعت
ابهري غلف جمع اغلف اي هي خلقة وجبلة مغشاة باغطية لا يتوصل اليها ما جاء به محمد عليه السلام ولا تفقهه
مستعار من الاغلف الذي لم يختن كقوله قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه ثم رد الله ان تكون قلوبهم مخلوقة
كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق بان الله لعنهم وخذلهم بسبب كفرهم فهم الذين غلفوا
قلوبهم بما احدثوا من الكفر الزائغ عن الفطرة وتسببوا بذلك لمنع الالطاف التي تكون لمتوقع ايمانهم
وللمؤمنين فقليلا ما يؤمنون فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب ويجوز
ان يكون القلة بمعنى العدم وقيل غلف تخفيف غلف جمع غلاف اي قلوبنا اوعية للعلم فنحن مستغنون

بما عندنا عن غيره وروي عن ابي عمرو قلوبنا غلف بضمتين كتاب من عند الله هو القرآن مصدق لما
معهم من كتابهم لا يخالفه وقرئ مصدقا على الحال فان قلت كيف جاز نصبها عن النكرة قلت اذا وصف النكرة
تخصص فصح انتصاب الحال عنه وقد وصف كتاب بقوله من عند الله وجواب لما محذوف وهو نحو كذبوا
به واستهانوا بمجيئه وما اشبه ذلك يستفتحون يستنصرون على الذين كفروا على المشركين اذا قاتلوهم قالوا
اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التوراة ويقولون لاعدائهم
من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقيل معنى يستفتحون عليهم
يعرفونهم ان نبيا يبعث منهم قد قرب والسين للمبالغة اي يسالون انفسهم الفتح عليهم كالسين في استعجب
واستسخر او يسال بعضهم بعضا ان يفتح عليهم فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به بغيا وحسدا وحرصا على الرياسة
على الكافرين اي عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ان اللعنة لحقتهم لكفرهم واللام للعهد ويجوز ان
يكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا اوليا ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس بمعنى بئس شيئا اشتروا به انفسهم
والمخصوص بالذم ان يكفروا واشتروا بمعنى باعوا بغيا حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة اشتروا ان ينزل لان
او على ان ينزل اي حسدوه على ان ينزل الله من فضله الذي هو الوحي على من يشاء وتقتضي حكمته ارساله
فباءوا بغضب على غضب فصاروا احقاء بغضب مترادف لانهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه وقيل كفروا بمحمد بعد
عيسى وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك من انواع كفرهم بما انزل الله مطلق
فيما انزل الله من كل كتاب قالوا نؤمن بما انزل علينا مقيدا في التوراة ويكفرون بما وراءه اي قالوا ذلك
والحال انهم يكفرون بما وراء التوراة وهو الحق مصدقا لما معهم منها غير مخالف له وفيه رد لمقالتهم لانهم اذا
... [illegible] بين عليهم بقتلهم الانبياء مع ادعائهم الايمان بالتوراة والتوراة
... وانتم واضعون العبادة غير موضعها
... من زيادة ليست مع الاولى
فكيف
... فان قلت
لكن
... ها و

لا يسمع طاعة واشربوا في قلوبهم العجل اي تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الصبغ الثوب وقوله في
قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما ياكلون في بطونهم نارا بكفرهم بسبب كفرهم بئسما يامركم به ايمانكم
بالتوراة لانه ليس في التوراة عبادة العجاجيل واضافة الامر الى ايمانهم تهكم كما قال قوم شعيب اصلواتك
تامرك وكذلك اضافة الايمان اليهم وقوله ان كنتم مومنين تشكيك في ايمانهم وقدح في صحة دعواهم خالصة
نصب على الحال من الدار الاخرة والمراد الجنة اي سالمة لكم خاصة بكم ليس لاحد سواكم فيها حق يعني ان صح قولكم
لن يدخل الجنة الا من كان هودا والمراد من اللام في الناس الجنس وقيل العهد وهم المسلمون فتمنوا الموت
لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاق اليها وتمنى سرعة الوصول الى النعيم والتخلص من الدار ذات الشوايب
كما روي عن المبشرين بالجنة ما روي كان علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه يطوف بين الصفين في غلالة فقال له
ابنه الحسن ما هذا بزي المحاربين فقال يا بني لا يبالي ابوك سقط على الموت ام سقط عليه الموت وعن حذيفة
انه كان يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم يعني على التمني وقال عمار بصفين الان
الاقي الاحبة محمدا وحزبه وكان كل واحد من العشرة يحب الموت ويحن اليه وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا
الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الارض يهودي بما قدمت ايديهم بما اسلفوا من
موجبات النار من الكفر بمحمد وما جاء به وتحريف كتاب الله وساير انواع الكفر والعصيان وقوله ولن يتمنوه
ابدا من المعجزات لانه اخبار بالغيب وكان كما اخبر به كقوله ولن تفعلوا فان قلت ما ادراك انهم لم يتمنوا
قلت لانهم لو تمنوا لنقل ذلك كما نقل ساير الحوادث ولكان ناقلوه من اهل الكتاب وغيرهم من اولي المطاعن في
الاسلام اكثر من الذر وليس منهم احد نقل ذلك فان قلت التمني ...
فمن اين علمت انهم لم يتمنـ...
قال التمني وليت كـ...
لقالوا قد...

من افعال القلوب فقد فعلناه مع احتمال ان يكونوا صادقين في قولهم واخبارهم عن ضمايرهم وكان الرجل
يخبر عن نفسه بالايمان فيصدق مع احتمال ان يكون كافرا لان الامر خافي لا سبيل الى الاطلاع عليه الا لله
بالظالمين تهديد لهم ولتجدنهم هو من وجد بمعنى علم المتعدي الى مفعولين في قولهم وجدت زيدا
ذا الحفاظ ومفعولاه هم واحرص فان قلت لم قال على حياة بالتنكير قلت لانه اراد حياة مخصوصة وهي
المتطاولة ولذلك كانت القراة بها اوقع من قراة ابي على الحياة ومن الذين اشركوا محمول على المعنى لان
معنى احرص الناس احرص من الناس فان قلت الم يدخل الذين كفروا تحت الناس قلت بلى ولكنهم افردوا بالذكر
لان حرصهم شديد ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة احرص الناس عليه وفيه
توبيخ عظيم لان الذين اشركوا لا يومنون بعاقبة وما يعرفون الا الحياة الدنيا فحرصهم عليها لا
لانها جنتهم فاذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزا كان حقيقا باعظم التوبيخ فان قلت
لم زاد حرصهم على حرص المشركين قلت لانهم علموا لعلمهم بحالهم انهم صايرون الى النار لا محالة والمشركون
يعلمون ذلك وقيل اراد بالذين اشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون لملوكهم عش الف نيروز والف
وعن ابن عباس هو قول الاعاجم زي هزار سال وقيل ومن الذين اشركوا كلام مبتدا ومنهم ناس
يود احدهم على حذف الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم والذين اشركوا على هذا مشار
الى اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله والضمير في وما هو لاحدهم وان يعمر فاعل بمزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه
من النار تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره وان يعمر بدل منه ويجوز ان يكون هو مبهما وان
يعمر موضحه والزحزحة التبعيد والانحاء فان قلت يود احدهم ما موقعه قلت هو بيان لزيادة حرصهم
على طريق الاستيناف فان قلت كيف اتصل لو يعمر بيود احدهم قلت هي حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني
القياس لو اعمر الا انه جرى على لفظ الغيبة لقوله يود احدهم كقولك حلف بالله ليفعلن روي ان عبد الله
بن صوريا من احبار فدك حاج رسول الله صلى الله عليه وسلم وساله عمن يهبط عليه بالوحي فقال جبريل
فقال ذاك عدونا ولو كان غيره لامنا بك وقد عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس
بختنصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم

فانه لا يسلطكم عليه وان لم يكن اياه فهو اي حق تقتلون نبوته وقيل امر الله ان يجعل النبوة فيهم فجعلها في غيرهم وروي
انه كان لعمر رضي الله عنه ارض باعلى المدينة وكان ممره على مدارس اليهود وكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا
يا عمر قد احببناك وانا لنطمع فيك فقال والله ما اجيئكم لحبكم ولا اسالكم لاني شاك في ديني وانما ادخل عليكم
لازداد بصيرة في امر محمد وارى اثاره في كتابكم ثم سالهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا
وهو صاحب كل خسف وعذاب وان ميكائيل يجيء بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما من الله قالوا اقرب
منزلة جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر لئن كانا كما تقولون فما هما
بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدو احدهما كان عدو الاخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله ثم رجع عمر
فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال النبي عليه السلام لقد وافقك ربك يا عمر قال عمر لقد رايتني في دين الله بعد
ذلك اصلب من الحجر وقرئ جبرئيل بوزن قفشليل وجبرئل بحذف الياء وجبريل بحذف الهمزة وجبريل بوزن
قنديل وجبرال بلام مشددة وجبرائيل بوزن جبراعيل وجبرائل بوزن جبراعل ومنع الصرف فيه للتعريف
والعجمة وقيل معناه عبد الله الضمير في نزله للقرآن ويجوز هنا الاضمار يعني اضمار ما لم يسبق ذكره فيه فخامة
لصاحبه حيث يجعل لفرط شهرته كانه يدل على نفسه ويكتفي عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته على قلبك اي
حفظه اياك وفهمك باذن الله بتيسيره وتسهيله فان قلت كان حق الكلام ان يقال على قلبي قلت جاءت على حكاية
كلام الله كما تكلم به كانه قيل قل ما تكلمت به من قولي من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك فان قلت كيف استقام
قوله فانه نزله جزاء للشرط قلت فيه وجهان احدهما ان عادى جبريل احد من اهل الكتاب فلا وجه لعداوته
حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو انصفوا لاحبوه وشكروا له صنيعه في انزاله ما ينفعهم ويصحح
المنزل عليهم والثاني ان عاداه احد فالسبب في عداوته انه نزل عليك القران مصدقا لكتابهم وموافقا
له وهم كارهون للقران ولموافقته لكتابهم ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون موافقته له كقولك ان عاداك
فلان فقد اذيته واسات اليه افرد الملكان بالذكر لفضلهما كانهما من جنس اخر وهو مما ذكر ان التغاير في
الوصف ينزل منزلة التغاير في الذات وقرئ ميكال بوزن قنطار وميكائيل كميكاعيل وميكائل
وميكئيل كميكعيل وميكيل كميكل قال ابن جني العرب اذا نطقت بالاعجمي خلطت فيه عدو للكافرين اراد عدو لهم

بقا

فجاء بالظاهر ليدل على ان الله عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة كفر واذا كانت عداوة الانبياء كفرا فما بال الملائكة
وهم اشرف والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه اشد العقاب الا الفاسقون الا المتمردون من الكفرة وعن الحسن
اذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على اعظم ذلك النوع من كفر وغيره وعن ابن عباس قال ابن صوريا لرسول
الله ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من اية فنتبعك فنزلت واللام في الفاسقون للجنس والاحسن
ان يكون اشارة الى اهل الكتاب اوكلما الواو للعطف على محذوف معناه اكفروا بالايات البينات وكلما
عاهدوا وقرا ابو السمال بسكون الواو على ان الفاسقون بمعنى الذين فسقوا فكانه قيل وما يكفر بها
الا الذين فسقوا او نقضوا عهد الله مرارا كثيرة وقرئ عوهدوا وعهدوا واليهود موسومون بالغدر
ونقض العهود وكم اخذ الله الميثاق منهم ومن ابائهم فنقضوا وكم عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلم يفوا الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة والنبذ الرمي بالذمام ورفضه وقرا عبد الله
نقضه فريق منهم وقال فريق منهم لان منهم من لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون بالتورية وليسوا من الدين في شيء
فلا يعدون نقض الميثاق ذنبا ولا يبالون به كتاب الله يعني التورية لانهم بكفرهم برسول الله المصدق
لما معهم كافرون بها نابذون لها او قيل كتاب الله القرآن نبذوه بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول كانهم لا
يعلمون انه كتاب الله لا يداخلهم فيه شك يعني ان علمهم بذلك رصين ولكنهم كابروا وعاندوا ونبذوه وراء
ظهورهم مثل لتركهم واعراضهم عنه مثل بما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات اليه وعن
الشعبي هو بين ايديهم يقرءونه ولكنهم نبذوا العمل به وعن سفيان ادرجوه في الديباج والحرير
وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه واتبعوا اي نبذ فريق كتاب الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين
يعني واتبعوا كتب السحر والشعوذة التي كانت تقرؤها على ملك سليمان اي على عهد ملكه وفي زمانه وذلك
ان الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يضمون الى ما سمعوا اكاذيب يلفقونها ويلقونها الى الكهنة وقد
دونوها في كتب يقرؤنها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في زمن سليمان حتى قالوا ان الجن تعلم الغيب وكانوا
يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه الا بهذا العلم وبه سخر الجن والانس والريح التي تجري بامره
وما كفر سليمان تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت سليمان من اعتقاد السحر والعمل به وسماه كفرا

ولكن الشياطين هم الذين كفروا باستعمال السحر وتدوينه يعلمون الناس السحر يقصدون به اغواءهم واضلالهم وما
انزل على الملكين عطف على السحر اي ويعلمونهم ما انزل على الملكين وقيل هو عطف على ما تتلوا اي واتبعوا ما
انزل هاروت وماروت عطف بيان للملكين علمان لهما والذي انزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله للناس
من تعلمه منهم وعمل به كان كافرا ومن تجنبه او تعلمه لا ليعمل به ولكن ليتوقاه ولئلا يغتر به كان مومنا عرفت الشر
لا للشر لكن لتوقيه كما ابتلى قوم طالوت بالنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني وقرا الحسن على
الملكين بكسر اللام على ان المنزل عليهما علم السحر كانا ملكين ببابل وما يعلمان الملكان احدا حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له
انما نحن فتنة اي ابتلاء واختبار من الله فلا تكفر فلا تتعلم معتقدا انه حق فتكفر فيتعلمون الضمير لما دل عليه من احد
اي فيتعلم الناس من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين
الزوجين من حيلة وتمويه كالنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده الفرك والنشوز والخلاف ابتلاء منه
لا ان السحر له اثر في نفسه بدليل قوله تعالى وما هم بضارين به من احد الا باذن الله لانه ربما احدث الله عنده فعلا
من افعاله وربما لم يحدث ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم يقصدون به الشر وفيه ان اجتنابه اصلح كتعلم
الفلسفة التي لا يومن ان تجر الى الغواية ولقد علموا هولاء اليهود لمن اشتراه اي استبدل ما تتلوا الشياطين من
كتاب الله ماله في الاخرة من خلاق من نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم اي باعوها وقرا الحسن الشياطون
ومن بعض العرب بستان فلان حوله بساتون وقد ذكر وجهه فيما مضى وقرا الزهري هاروت وماروت
بالرفع على هما هاروت وماروت وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف ولو كانا من الهرت والمرت وهو
الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا وقرا طلحة وما يعلمان من اعلم وقرئ بين المرء بضم الميم وكسرها مع الهمزة والمر بالتشديد
على تقدير التخفيف والوقف كقولهم فرج واجراء الوصل مجرى الوقف وقرا الاعمش وما هم بضاري بطرح
النون والاضافة الى احد والفصل بينهما بالظرف فان قلت كيف يضاف الى احد وهو مجرور بمن قلت جعل
الجار جزءا من المجرور فان قلت كيف اثبت لهم العلم اولا في قوله ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمي ثم نفاه عنهم
في قوله لو كانوا يعلمون قلت معناه لو كانوا يعملون بعلمهم جعلهم حين لم يعملوا به كانهم منسلخون عنه
ولو انهم امنوا برسول الله والقرآن واتقوا الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين

لمثوبة من عند الله خير وقرئ لمثوبة كمشورة ومشوبة لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير مما هم فيه
وقد علموا لكنه جهلهم لترك العمل بالعلم فان قلت كيف اوثرت الجملة الاسمية على الفعلية في جواب لو قلت لما
في ذلك من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها كما عدل عن النصب الى الرفع في سلام عليكم لذلك فان
قلت فهلا قيل لمثوبة الله خير قلت لان المعنى لشيء من الثواب خير لهم ويجوز ان يكون قوله ولو انهم امنوا تمنيا
لايمانهم على سبيل المجاز عن ارادة الله ايمانهم واختيارهم له كانه قيل وليتهم امنوا ثم ابتدئ لمثوبة من عند الله
خير كان المسلمون يقولون لرسول الله اذا القى عليهم شيئا من العلم راعنا يا رسول الله اي راقبنا وانتظرنا
وتان بنا حتى نفهمه ونحفظه وكانت لليهود كلمة يتسابون بها عبرانية او سريانية وهي راعينا فلما سمعوا بقول
المومنين راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول وهم يعنون به تلك المسبة فنهي المومنون عنها وامروا بما
هو في معناها وهو انظرنا من نظره اذا انتظره وقرأ ابي انظرنا من النظرة اي امهلنا حتى نحفظ وقرا عبد الله
ابن مسعود راعونا على انهم كانوا يخاطبونه بلفظ الجمع للتوقير وقرا الحسن راعنا بالتنوين من الرعن وهو
الهوج اي لا تقولوا قولا راعنا منسوبا الى الرعن بمعنى رعينا كدارع ولابن لانه لما اشبه قولهم راعينا وكان
سببا في السب اتصف بالرعن واسمعوا واحسنوا سماع ما يكلمكم به رسول الله ويلقي عليكم من المسائل
باذان واعية واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة او واسمعوا سماع قبول وطاعة ولا
يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا ترجعوا الى
ما نهيتم عنه تاكيدا عليهم ترك تلك الكلمة وروي ان سعد بن معاذ سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة
الله والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله لاضربن عنقه فقالوا اولستم
تقولونها فنزلت وللكافرين ولليهود الذين تهاونوا برسول الله وسبوه عذاب اليم من الاولى للبيان لان
الذين كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون كقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين
والثانية مزيدة لاستغراق الخير والثالثة لابتداء الغاية والخير الوحي وكذلك الرحمة كقوله اهم يقسمون رحمة ربك
والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم وما يحبون ان ينزل عليكم شيء من الوحي والله
يختص بالنبوة من يشاء ولا يشاء الا ما تقتضيه الحكمة والله ذو الفضل العظيم اشعار بان ايتاء النبوة من الفضل

العظيم كقوله ان فضله كان عليك كبيرا ولما طعنوا في النسخ فقالوا الا ترون الى محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم
عنه ويامرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا نزلت وقرئ ما ننسخ من آية وما ننسخ بضم النون من
انسخ او ننسها وقرئ ننسها وننسها بالتشديد وتنسها على خطاب الرسول وقرأ عبد الله ما ننسك من
آية او ننسخها وقرأ حذيفة ما ننسخ من آية او ننسكها ونسخ الآية ازالتها بابدال اخرى مكانها وانساخها الامر
وهو ان يامر جبريل ان يجعلها منسوخة بالاعلام بنسخها ونسؤها تاخيرها او اذهابها لا الى بدل وانساؤها
ان يذهب بحفظها عن القلوب والمعنى ان كل آية نذهب بها على ما توجبه المصلحة من ازالة لفظها وحكمها
معا او من ازالة احدهما الى بدل او غير بدل نات بخير منها للعباد اي بآية العمل بها اكثر للثواب او مثلها
ذلك على كل شيء قدير فهو يقدر على الخير وما هو خير منه وعلى مثله في الخير له ملك السموات والارض
يملك اموركم ويدبرها ويجريها على حسب ما يصلحكم وهو اعلم بما يتعبدكم به من ناسخ ومنسوخ
انه مالك امورهم ومدبرها على حسب مصالحهم من نسخ الآيات وغيره وقررهم على ذلك بقوله الم تعلم اراد
بالثقة به فيما هو اصلح لهم مما يتعبدهم به وينزل عليهم وان لا يقترحوا على رسولهم ما اقترحه آباء اليهود على موسى
من الاشياء التي كانت عاقبتها وبالا عليهم كقولهم اجعل لنا الها ارنا الله جهرة وغير ذلك ومن يتبدل الكفر بالايمان
ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل روي ان فنحاص بن عازوراء وزيد
بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد الم تروا الى ما اصابكم ولو كنتم على
الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم
قالوا شديد قال فاني قد عاهدت ان لا اكفر بمحمد ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة
واما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا
ثم اتيا رسول الله واخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت فان قلت بم تعلق قوله من عند انفسهم قلت
فيه وجهان احدهما ان يتعلق بود على معنى انهم تمنوا ان ترتدوا عن دينكم وتمنيهم ذلك من عند انفسهم ومن
قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لانهم ودوا ذلك من بعد ما تبين لهم انكم على الحق فكيف يكون
تمنيهم من قبل الحق واما ان يتعلق بحسدا اي حسدا متبالغا منبعثا من اصل نفوسهم فاعفوا واصفحوا

فاسلكوا

فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة حتى ياتي الله بامره الذي هو
قتل بني قريظة واجلاء بني النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم ان الله على كل شيء قدير
فهو يقدر على الانتقام منهم ومن خير من حسنة صلاة او صدقة او غيرهما تجدوه عند الله
تجدوا ثوابه عنده ان الله بما تعملون بصير عالم لا يضيع عنده عمل عامل الضمير في وقالوا لاهل الكتاب
من اليهود والنصارى والمعنى وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل
الجنة الا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بان السامع يرد الى كل فريق قوله وامنا من اللبس
لما علم من التعادي بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما لصاحبه ونحوه وقالوا كونوا هودا
او نصارى تهتدوا والهود جمع هائد كعائذ وعوذ وبازل وبزل فان قلت كيف قيل كان هودا
على توحيد الاسم وجمع الخبر قلت حمل الاسم على لفظ من والخبر على معناه كقراءة الحسن الا من هو صال الجحيم
وقوله فان له نار جهنم خالدين وقرأ ابي بن كعب الا من كان يهوديا او نصرانيا فان قلت لم قيل تلك امانيهم
وقولهم لن يدخل الجنة امنية واحدة قلت اشير بها الى الاماني المذكورة وهي امنيتهم ان لا ينزل على المؤمنين
خير من ربهم وامنيتهم ان يردوهم كفارا وامنيتهم ان لا يدخل الجنة غيرهم اي تلك الاماني الباطلة امانيهم
وقوله قل هاتوا برهانكم متصل بقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وتلك امانيهم اعتراض
او اريد امثال تلك الامنية امانيهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه يريد ان امانيهم
جميعا في البطلان مثل امنيتهم هذه والامنية افعولة من التمني مثل الاضحوكة والاعجوبة هاتوا
برهانكم هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم وهذا اهدم شيء لمذهب
المقلدين وان كل قول لا دليل عليه فهو باطل غير ثابت وهات صوت بمنزلة هاء بمعنى احضر بلى
اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله من اخلص نفسه له لا يشرك به غيره وهو محسن
في عمله فله اجره الذي يستوجبه فان قلت من اسلم وجهه كيف موقعه قلت يجوز ان يكون بلى ردا لقولهم
ثم يقع من اسلم كلاما مبتدأ ويكون من متضمنا لمعنى الشرط وجوابه فله اجره وان يكون من اسلم فاعلا للفعل
محذوف اي بلى يدخلها من اسلم ويكون قوله فله اجره كلاما معطوفا على يدخلها من اسلم على شيء بعده

وهذه مبالغة عظيمة لان المحال والمعدوم يقع عليهما اسم الشيء فاذا نفي اطلاق اسم الشيء عليه فقد بولغ
في ترك الاعتداد به الى ما ليس بعده وهذا كقولهم اقل من لا شيء وهم يتلون الكتاب الواو للحال
والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وحالهم انهم من اهل العلم والتلاوة للكتب وحق من حمل التورية
او الانجيل او غيرهما من كتب الله وآمن به ان لا يكفر بالباقي لان كل واحد من الكتابين مصدق للثاني
شاهد لصحته وكذلك كتب الله جميعا متواردة في تصديق بعضها بعضا كذلك اي مثل ذلك الذي
سمعت به على ذلك المنهاج قال الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الاوثان والمعطلة ونحوهم
قالوا لكل اهل دين ليسوا على شيء وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم في سلك من لا
يعلم وروي ان وفد نجران لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاهم احبار اليهود فتناظروا
حتى ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود ما انتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى
لهم نحوه وكفروا بموسى والتورية فالله يحكم بين اليهود والنصارى يوم القيمة بما يقسم لكل فريق منهم
من العقاب الذي استحقه وعن الحسن حكم الله بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار ان يذكر ثاني مفعولي
منع لانك تقول منعته كذا ومثله وما منعنا ان نرسل بالآيات وما منع الناس ان يؤمنوا ويجوز
ان يحذف حرف الجر مع ان وان تنتصب مفعولا له بمعنى منعها كراهة ان يذكر وهو حكم عام لجنس
مساجد الله وان مانعها من ذكر الله مفرط في الظلم والسبب فيه ان النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس
الاذى ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وان الروم غزوا اهله فخربوه واحرقوا التورية وقتلوا وسبوا
وقيل منع المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد عام الحديبية فان قلت كيف قيل
مساجد الله وانما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو بيت المقدس او المسجد الحرام قلت لا بأس
ان يجيء الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول لمن آذى صالحا واحدا ومن اظلم ممن آذى الصالحين
وكما قال الله تعالى ويل لكل همزة لمزة والمنزول فيه الاخنس بن شريق وسعى في خرابها بانقطاع الذكر
او بتخريب البنيان وينبغي ان يراد بمن منع العموم كما اريد بمساجد الله ولا يراد الذين منعوا باعيانهم
من اولئك النصارى او المشركين اولئك ما كان لهم ان يدخلوها اي ما كان ينبغي لهم ان يد

مساجد

مساجد الله الا خائفين على حال التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا
عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب الا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم وقيل ما
كان لهم في حكم الله يعني ان الله قد حكم وكتب في اللوح انه ينصر المؤمنين ويقويهم حتى لا يدخلوها الا
خائفين وعد لله لا يدخل بيت المقدس احد من النصارى الا متنكرا مسارقة وقال قتادة لا
يوجد في بيت المقدس نصراني الا انهك ضربا وابلغ اليه في العقوبة وقيل نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا لا يحجن بعد هذا العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان وقرأ عبد الله الا خيفا وهو مثل صيم وقد
اختلف الفقهاء في دخول الكافر المسجد فجوزه ابو حنيفة ولم يجوزه مالك وفرق الشافعي بين المسجد
الحرام وغيره وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله وما كان لكم ان تؤذوا
رسول الله خزي قتل وسبي او ذلة بضرب الجزية وقيل فتح مدائنهم قسطنطينية ورومية وعمورية
ولله المشرق والمغرب اي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها لله وهو مالكها ومتوليها فاينما
تولوا ففي اي مكان فعلتم التولية يعني تولية وجوهكم شطر القبلة فثم وجه الله بدليل قوله تعالى
فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره فثم وجه الله اي جهته التي امر بها ورضيها
يعني انكم اذا منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او في بيت المقدس فقد جعلت لكم الارض مسجدا فصلوا
في اي بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها فان التولية ممكنة في كل مكان لا يختص امكانها
في مسجد دون مسجد ولا في مكان دون مكان ان الله واسع الرحمة يريد التوسعة على عباده والتيسير عليهم عليم
بمصالحهم وعن ابن عمر نزلت في صلاة المسافر على الراحلة اينما توجهت وعن عطاء عميت القبلة على قوم
فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطأهم فعذروا وقيل معناه فاينما تولوا للدعاء والذكر ولم يرد الصلاة
وقرأ الحسن فاينما تولوا بفتح التاء من التولي يريد فاينما توجهوا القبلة وقالوا وقرئ بغير واو يريد الذين
قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله والملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك وتبعيد بل له ما في
السموات والارض هو خالقه ومالكه ومن جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنع
شيء منهم على تكوينه وتقديره ومشيئته ومن كان بهذه الصفة لم يجانس ومن حق الولد ان يكون من جنس

والولد والتنوين في كل عوض من المضاف اليه اي كل ما في السموات والارض ويجوز ان يراد كل من جعلوه لله ولدا
له قانتون مطيعون عابدون مقرون بالربوبية منكرون لما اضافوا اليهم **فان قلت** كيف جاء بما الذي لغير
اولي العلم مع قوله قانتون **قلت** هو كقوله سبحان ما سخركن لنا وكانه جاء بما دون من تحقيرا لهم وتصغيرا
لشانهم كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا بديع السموات بديع التي فهو بديع كقولك بزع الرجل فهو بزيع
بديع السموات من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اي بديع سمواته وارضه وقيل البديع بمعنى المبدع
كما ان السميع في قول عمرو امن ريحانة الداعي السميع بمعنى المسمع وفيه نظر كن فيكون من كان التامة
اي احدث فيحدث وهذا مجاز من الكلام وتمثيل ولا قول ثم كما لا قول في قوله اذ قالتا اتينا طائعين انما
المعنى وانما المعنى ان ما قضاه من الامور واراد كونه فانما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع
كالمامور المطيع الذي يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يكون منه الاباء اكد بهذا استبعاد الولادة لان من
كان بهذه الصفة من القدرة كانت حاله مباينة لاحوال الاجسام في توالدها وقرئ بديع السموات مجرورا
على انه بدل من الضمير في قوله له وقرا المنصور بالنصب على المدح وقال الذين لا يعلمون الجهلة من المشركين وقيل
من اهل الكتاب ونفي عنهم العلم لانهم لم يعملوا به لولا يكلمنا هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة وكلم موسى عليه السلم
استكبارا منهم وعتوا او تاتينا اية جحودا لان يكون ما اتاهم من ايات الله ايات واستهانة بها تشابهت
قلوبهم اي قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى كقوله اتواصوا به قد بينا الايات لقوم يوقنون فيوقنون انها
ايات يجب الاعتراف بها والاذعان لها والاكتفاء بها عن غيرها انا ارسلناك لان تبشر وتنذر لا لتجبر على
الايمان وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتسرية عنه لانه كان يغتم ويضيق صدره لاصرارهم
وتصميمهم على الكفر ولا تسال عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وبلغت جهدك في دعوتهم كقوله
فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقرئ ولا تسال على النهي روي انه قال ليت شعري ما فعل ابواي
فنهي عن السؤال عن احوال الكفرة والاهتمام باعداء الله وقيل معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب
كما تقول كيف فلان سائلا عن الواقع في بلية فيقال لك لا تسال عنه ووجه التعظيم ان المستخبر يجزع ان
يجري على لسانه ما هو فيه لفظاعته فلا تسالني ولا تكلفني ما يضجرني او انت يا مستخبر لا تقدر على استماع خبره

لايحاشه

لايحاشه السامع واضجاره فلا تسال وبعضه القراءة الاولى قراءة عبد الله ولن تسال وقراءة ابي وما تسال
كانهم قالوا لن نرضى عنك وان ابلغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا اقناطا منهم لرسول الله صلى الله عليه
من دخولهم في الاسلام فحكى الله كلامهم ولذلك قال قل ان هدى الله هو الهدى على طريقة اجابتهم عن
قولهم يعني ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى بالحق والذي يصح ان يسمى هدى وهو الهدى
كله ليس وراءه هدى وما تدعون اتباعه ما هو بهدى انما هو هوى الا ترى الى قوله ولئن اتبعت
اهواءهم اي اقوالهم التي هي اهواء وبدع بعد الذي جاءك من العلم اي من الدين المعلوم صحته بالبراهين
الصحيحة الذين اتيناهم الكتاب هم مؤمنو اهل الكتاب يتلونه حق تلاوته لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت
رسول الله اولئك يؤمنون بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به من المحرفين فاولئك هم الخاسرون حيث
اشتروا الضلالة بالهدى ابتلى ابرهيم ربه بكلمات فاتمهن اختبره باوامر ونواهي واختبار الله عبده مجاز
عن تمكينه من اختيار احد الامرين ما يريد الله وما يشتهيه العبد كانه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه
على حسب ذلك وقرا ابو حنيفة رحمه الله وهي قراءة ابن عباس رضي الله عنهما ابرهيم ربه برفع ابرهيم ونصب
ربه والمعنى انه دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه اليهن ام لا **فان قلت** الفاعل في القراءة المشهورة
يلي الفعل في التقدير فتعليق الضمير به اضمار قبل الذكر **قلت** الاضمار قبل الذكر ان يقال ابتلى ربه ابرهيم
فاما ابتلى ابرهيم ربه او ابتلى ربه ابرهيم فليس واحد منهما باضمار قبل الذكر اما الاول فقد ذكر فيه صاحب
الضمير قبل الضمير ذكرا ظاهرا واما الثاني فابرهيم فيه مقدم في المعنى وليس كذلك ابتلى ربه ابرهيم فان
الضمير فيه تقدم لفظا ومعنى فلا سبيل الى صحته والمستكن في فاتمهن في احدى القراءتين لابرهيم بمعنى
فقام بهن حق القيام واداهن احسن التادية من غير تفريط وتوان ونحوه وابرهيم الذي وفى وفي الاخرى
لله تعالى اي فاعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئا ويعضده ما روي عن مقاتل انه فسر الكلمات بما سال ابرهيم ربه
في قوله رب اجعل هذا بلدا امنا واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولا ربنا تقبل منا **فان قلت** ما العامل
في اذ **قلت** اما مضمر نحو واذكر اذ ابتلى او اذ ابتلاه كان كيت وكيت واما قال اني جاعلك **فان قلت** فما موقع
قلت هو على الاول استيناف كانه قيل فماذا قال له ربه حين اتم الكلمات فقيل قال اني جاعلك للناس

اماما وعلى الثاني جملة معطوفة على ما قبلها ويجوز ان يكون بيانا لقوله ابتلى وتفسيرا له
فيراد بالكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام قبل ذلك في
قوله اذ قال له ربه اسلم وقيل في الكلمات هي خمس في الراس الفرق وقص الشارب والسواك
والمضمضة والاستنشاق وخمس في البدن الختان والاستحداد والاستنجاء وتقليم الاظفار
ونتف الابط وقيل ابتلاه من شرايع الاسلام ثلثين سهما عشر في براءة التائبون العابدون و
عشر في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات وعشر في المؤمنون وسال سايل الى قوله والذين هم على
صلوتهم يحافظون وقيل هي مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي والاحرام والتعريف و
غيرهن وقيل ابتلاه بالكوكب والقمر والشمس والختان وذبح ابنه والنار والهجرة والامام اسم
من يؤتم به على زنة الالة كالازار لما يوتزر به اي يأتمون بك في دينهم ومن ذريتي عطف على الكاف
كانه قال وجاعل بعض ذريتي كما يقال لك سأكرمك فيقول وزيدا لا ينال عهدي الظالمين
وقرئ الظالمون اي من كان ظالما من ذريتك لا يناله استخلافي وعهدي اليه بالامامة وانما
ينال من كان عادلا بريا من الظلم وقالوا في هذا دليل على ان الفاسق لا يصلح للامامة وكيف
يصلح لها من لا يجوز حكمه وشهادته ولا تجب طاعته ولا يقبل خبره ولا يقدم للصلوة وكان
ابو حنيفة يفتي سرا بوجوب نصرة زيد بن علي رضي الله عنه وحمل المال اليه والخروج معه
على اللص المتغلب المتسمي بالامام والخليفة كالدوانيقي واشباهه وقالت له امراة اشرت
على ابني بالخروج مع ابرهيم ومحمد ابني عبد الله بن الحسن حتى قتل فقال ليتني مكان ابنك
وكان يقول في المنصور واشياعه لو ارادوا بناء مسجد وارادوني على عد اجره لما فعلت
وعن ابن عيينة لا يكون الظالم اماما قط وكيف يجوز نصب الظالم للامامة والامام
انما هو لكف الظلمة فاذا نصب من كان ظالما في نفسه فقد جاء المثل السائر من استرعى
الذئب ظلم واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى
وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل ان طهرا بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود

واذ قال

واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا بلدا امنا وارزق اهله من الثمرات من امن منهم بالله واليوم الاخر
قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير والبيت اسم غالب للكعبة
كالنجم للثريا مثابة للناس مباءة ومرجعا للحجاج والعمار يتفرقون عنه ثم يثوبون اليه او
يثوب اليه اعيان الذين يزورونه او امثالهم وامنا وموضع امن كقوله حرما امنا ويتخطف الناس
من حولهم ولان الجاني ياوي اليه فلا يتعرض له حتى يخرج وقرئ مثابات لانه مثابة لكل احد
لا يختص به واحد منهم سواء العاكف فيه والباد واتخذوا على ارادة القول اي وقلنا اتخذوا
موضع صلوة تصلون فيه وهو على وجه الاختيار والاستحباب دون الوجوب وعن النبي صلعم
انه اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابرهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى يريد افلا نؤثره لفضله بالصلوة
فيه تبركا وتيمنا بموطن قدم ابرهيم فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وعن جابر
بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استلم الحجر ورمل ثلثة اشواط ومشى اربعة حتى
اذا فرغ عمد الى مقام ابرهيم وصلى خلفه ركعتين وقرا واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وقيل مصلى مدعى
ومقام ابرهيم الحجر الذي فيه اثر قدميه والموضع الذي كان فيه الحجر حين وضع عليه قدميه وهو الموضع الذي
يسمى مقام ابرهيم وعن عمر انه سال المطلب بن ابي وداعة هل تدري اين كان موضعه الاول قال
نعم فاراه موضعه اليوم وعن عطاء مقام ابرهيم عرفة والمزدلفة والجمار لانه قام في هذه المواضع ودعا
فيها وعن النخعي الحرم كله مقام ابرهيم وقرئ واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس
من مكان ابرهيم الذي وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها وعهدنا امرناهما ان طهرا
بيتي بان طهرا او اي طهرا والمعنى طهراه من الاوثان والانجاس وطواف الجنب والحائض والخبائث كلها او
اخلصاه لهؤلاء لا يغشه غيرهم والعاكفين المجاورين الذين عكفوا عنده اي اقاموا لا يبرحون او المعتكفين
ويجوز ان يريد بالعاكفين الواقفين يعني القائمين في الصلوة كما قال للطائفين والقائمين والركع السجود و
المعنى للطائفين والمصلين لان القيام والركوع والسجود هيئات المصلي اجعل هذا البلد او هذا المكان بلدا
امنا ذا امن كقوله عيشة راضية او امنا من فيه كقولك ليل نائم ومن امن منهم بدل من اهله يعني وارزق المؤمنين
من اهله خاصة ومن كفر عطف على من امن كما عطف ومن ذريتي على الكاف في جاعلك فان قلت لم خص
ابرهيم صلوات الله عليه المؤمنين حتى رد عليه قلت قاس الرزق على الامامة فعرف الفرق بينهما لان الامامة خلافة
استرعاء يختص بمن يصلح لها وابعد الناس عن الصلاحية الظالم بخلاف الرزق فانه قد يكون استدراجا

للرزق والزاما للحجة والمعنى وارزق من كفر فامتعه ويجوز ان يكون ومن كفر مبتدأ متضمنا معنى الشرط وقوله فامتعه جوابا للشرط اى ومن كفر فانا امتعه وقرئ
فامتعه ثم اضطره فالزه الى عذاب النار لز المضطر الذي لا يملك الامتناع مما اضطر اليه وقرأ ابى فنمتعه قليلا ثم نضطره وقرأ يحيى بن وثاب فاضطره بكسر الهمزة
وقرأ ابن عباس فامتعه قليلا ثم اضطره على لفظ الامر والمراد الدعاء من ابرهيم دعا ربه بذلك فان قلت فكيف تقدير الكلام على هذه القراءة قلت في قال ضمير
ابرهيم اى قال ابرهيم بعد مسألته اختصاص المؤمنين بالرزق ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره وقرأ ابن محيصن فاطّره بادغام الضاد في الطاء كما قالوا
اطّجع وهي لغة مرذولة لان الضاد من الحروف الخمس التي يدغم فيها ما يجاورها ولا تدغم هي فيما يجاورها وهي حروف ضم شفر واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت
واسمعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب
الرحيم يرفع حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس والاصل لما فوقه وهي صفة غالبة ومعناها الثابتة ومنه قعدك الله اى اسئل الله ان يقعدك
اى يثبتك ورفع الاساس البناء عليها لانها اذا بني عليها نقلت من هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر ويجوز ان يكون المراد بها
سافات البناء لان كل ساف قاعدة للذي يبنى عليه ويوضع فوقه ومعنى رفع القواعد رفعها بالبناء لانه اذا وضع سافا فوق ساف فقد رفع السافات ويجوز ان
يكون المعنى واذ يرفع ابرهيم ما قعد من البيت اى استوطأ يعني جعل هيئة القاعدة المستوطئة مرتفعة عالية بالبناء وروي انه كان مؤسسا قبل ابرهيم فبنى على الاساس وروي
ان الله انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لادم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف
حول عرشي فتوجه ادم من ارض الهند اليه ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا ادم لقد حججنا هذا البيت
قبلك بالفي عام وحج ادم اربعين حجة من ارض الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان
الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور ثم ان الله تعالى امر ابرهيم ببنائه وعرفه جبرئيل مكانه وقيل بعث الله
سحابة اظلته ونودي ان ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل بناه من خمسة اجبل طور سيناء وطور
زيتا ولبنان والجودي واسسه من حراء وجاء جبرئيل بالحجر الاسود من السماء وقيل تمخض ابو قبيس فانشق
عنه وقد خبئ فيه في ايام الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من الجنة فلما لمسته الحيض في الجاهلية
اسود وقيل كان ابرهيم يبني واسمعيل يناوله الحجارة ربنا اى يقولان ربنا وهذا الفعل في
محل النصب على الحال وقد اظهره عبد الله في قراءته ومعناه يرفعانها قائلين ربنا انك انت السميع لدعائنا
العليم بضمائرنا ونياتنا فان قلت هلا قيل قواعد البيت واى فرق بين العبارتين قلت
في ابهام القواعد وتبيينها بعد الابهام ما ليس في اضافتها لما في الايضاح بعد الابهام من تفخيم
لشأن المبين مسلمين لك مخلصين لك اوجهنا من قوله اسلم وجهه لله او مستسلمين
يقال اسلم له وسلم واستسلم اذا خضع واذعن والمعنى زدنا اخلاصا
او اذعانا وقرئ مسلمين على الجمع كانهما ارادا انفسهما وهاجر او اجريا
التثنية على حكم الجمع لانها منه ومن ذريتنا واجعل من ذريتنا امة مسلمة لك
ومن للتبعيض او للتبيين كقوله وعد الله الذين امنوا منكم فان قلت
لم خصا ذريتهما بالدعاء قلت لانهم احق بالشفقة والنصيحة قوا انفسكم
واهليكم نارا ولان اولاد الانبياء اذا صلحوا صلح بهم غيرهم وشايعوهم على الخير
الا ترى ان المتقدمين من العلماء والكبراء اذا كانوا على السداد كيف يتسببون لسداد
من وراءهم وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه واله وسلم وارنا منقول من راى
بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين اى وبصرنا متعبدات الحج
او عرفناها وقرئ [illegible] وارنا بسكون الراء قياسا على فخذ في فخذ وقد

استرذلت

استرذلت لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها فاسقاطها اجحاف وقرأ ابو عمرو باشمام الكسرة وقرأ عبد الله وارهم
مناسكهم وتب علينا ما فرط منا من الصغائر او استتابا لذريتهما وابعث فيهم في الامة المسلمة رسولا منهم من انفسهم وروي انه قيل له
قد استجيب لك وهو في آخر الزمان فبعث الله فيهم محمدا من ولد اسمعيل وقال عليه السلام انا دعوة ابي ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي
يتلوا عليهم اياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحي اليه من دلائل وحدانيتك وصدق انبيائك ويعلمهم الكتاب القرآن والحكمة الشريعة
وبيان الاحكام ويزكيهم ويطهرهم من الشرك وسائر الارجاس كقوله ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ومن يرغب
انكار واستبعاد لان يكون في العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذي هو ملة ابرهيم ومن سفه نفسه في محل الرفع على البدل من الضمير في
يرغب وصح البدل لان من يرغب غير موجب كقولك هل جاءك احد الا زيد سفه نفسه امتهنها واستخف بها واصل السفه الخفة
ومنه زمام سفيه وقيل انتصاب النفس على التمييز نحو غبن رأيه وألم رأسه ويجوز ان يكون في شذوذ تعريف المميز نحو قوله
ولا بفزارة الشعر الرقابا اجب الظهر ليس له سنام وقيل معناه سفه في نفسه فحذف الجار كقولهم زيد ظني مقيم
اي في ظني والوجه هو الاول وكفى شاهدا له بما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وذلك انه اذا رغب عما لا يرغب
عنه عاقل قط فقد بالغ في ازالة نفسه وتعجيزها حيث خالف بها كل نفس عاقلة ولقد اصطفيناه بيان لخطأ رأي من
رغب عن ملته لان من جمع الكرامة عند الله في الدارين بان كان صفوته وخيرته في الدنيا وكان مشهودا له بالاستقامة على الخير في
الاخرة لم يكن احد اولى بالرغبة في طريقته منه اذ قال ظرف لاصطفيناه اى اخترناه في ذلك الوقت او انتصب باضمار اذكر
استشهادا على ما ذكر من حاله كأنه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن ملة مثله ومعنى قال له
اسلم اخطر ببالك النظر في الدلائل المؤدية الى المعرفة والاسلام فقال اسلمت اى فنظر وعرف وقيل اسلم اى اذعن واطع ووصى
عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التوراة انى باعث من ولد اسمعيل نبيا
اسمه احمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر ان يسلم فنزلت وقرئ واوصى وهي في
مصاحف اهل الحجاز والشام والضمير في بها لقوله اسلمت لرب العالمين على تأويل الكلمة والجملة ونحوه رجوع الضمير في قوله
وجعلها كلمة باقية الى قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني وقوله كلمة باقية دليل على ان التانيث على تاويل الكلمة ويعقوب
عطف على ابرهيم داخل في حكمه والمعنى ووصى بها يعقوب بنيه ايضا وقرئ ويعقوب بالنصب عطفا على بنيه ومعناه ووصى بها
ابرهيم بنيه ونافلته يعقوب يا بني على اضمار القول عند البصريين وعند الكوفيين يتعلق بوصى لانه في معنى القول ونحوه قول القائل
رجلان من ضبة اخبرانا انا رأينا رجلا عريانا بكسر الهمزة فهو بتقدير القول عندنا وعندهم يتعلق بفعل الاخبار
وفي قراءة ابي وابن مسعود ان يا بني اصطفى لكم الدين اعطاكم الدين الذي هو صفوة الاديان وهو دين الاسلام ووفقكم للاخذ به
فلا تموتن معناه فلا يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام فالنهي في الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الاسلام اذا ماتوا
كقولك لا تصل الا وانت خاشع فلا تنهاه عن الصلاة ولكن عن ترك الخشوع في حال صلاته فان قلت فاي نكتة في ادخال حرف
النهي على الصلاة وليس بمنهي عنها قلت النكتة فيه اظهار ان الصلاة التي لا خشوع فيها كلا صلاة فكأنه قال انهاك عنها
اذا لم تصلها على هذه الحالة الا ترى الى قوله عليه السلام لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد فانه كالتصريح بقولك لجار المسجد لا تصل الا
في المسجد وكذلك المعنى في الاية اظهار ان موتهم لا على حال الثبات على الاسلام موت لا خير فيه وانه ليس بموت السعداء وان من
حق هذا الموت ان لا يحل فيهم وتقول في الامر ايضا مت وانت شهيد وليس مرادك الامر بالموت اعتدادا بمنيته ولطائفها
لنقلها على غيرها وانها حقيقة بان يحث عليها ام كنتم شهداء ام هي المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والشهداء جمع شهيد
بمعنى الحاضر اي ما كنتم حاضرين يعقوب عليه السلام اذ حضره الموت اي حين احتضر والخطاب للمؤمنين بمعنى ما شاهدتم ذلك وانما حصل
لكم العلم به من طريق الوحي وقيل الخطاب لليهود لانهم كانوا يقولون ما مات نبي الا على اليهودية الا انهم لو شهدوه وسمعوا ما
قاله لبنيه وما قالوه لظهر لهم حرصه على ملة الاسلام ولما ادعوا عليه اليهودية فالاية منافية لقولهم فكيف يقال لهم ام كنتم شهداء

وذكر الحجة ان يكون لم مثله على ان يقدر قبلها محذوف كانه قيل اتدعون على الانبياء اليهودية ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب
الموت يعني ان اوائلكم من بني اسرائيل كانوا مشاهدين له اذ اراد بنيه على التوحيد وملة الاسلام وقد علمتم ذلك فما لكم تدعون على
الانبياء ما هم منه براء ۞ وقرئ حضر بكسر الضاد وهي لغة ۞ ما تعبدون اي شيء تعبدون وما عام في كل شيء فاذا علم فرق
بما ومن وكفاك دليلا قول العلماء من لما يعقل ولو قيل من تعبدون لم يعم الا اولي العلم وحدهم ويجوز ان يقال ما تعبدون سؤال
عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد افقيه ام طبيب ام غير ذلك من الصفات ۞ وابرهيم واسمعيل واسحق عطف بيان لآبائك
وجعل اسمعيل وهو عمه من جملة الآباء لان العم اب والخالة ام لانخراطهما في سلك واحد وهو الاخوة لا تفاوت بينهما ومنه قوله
عليه السلام عم الرجل صنو ابيه اي لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوي النخلة وقال في العباس هذا بقية آبائي وقال ردوا علي ابي فاني
اخشى ان تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود ۞ وقرئ ابيك والمراد ابرهيم بطرح آبائك وقرئ ابيك ويحتمل ان يكون واحدا
وابرهيم وحده عطف بيان له وان يكون جمعا بالواو والنون قال ۞ وفديننا بالابينا ۞ الها واحدا بدل من اله آبائك كقوله بالناصية
ناصية كاذبة او على الاختصاص اي نريد باله آبائك الها واحدا ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او من مفعوله لرجوع الهاء اليه
في له ويجوز ان يكون جملة معطوفة على نعبد وان يكون جملة اعتراضية مؤكدة اي ومن حالنا انا له مسلمون مخلصون التوحيد او مذعنون
تلك امة اشارة الى الامة المذكورة التي هي ابرهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون والمعنى ان احدا لا ينفعه كسب غيره متقدما كان او متأخرا فكما ان
اولئك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا فكذلك انتم لا ينفعكم الا ما اكتسبتم وذلك انهم افتخروا بآبائهم ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا بني هاشم لا يأتيني الناس باعمالهم وتأتوني بانسابكم ۞ ولا تسئلون عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تنفعكم حسناتهم بل ملة
ابرهيم بل نكون ملة ابرهيم اي اهل ملته كقول عدي بن حاتم اني من دين اي من اهل دين وقيل بل نتبع ملة ابرهيم وقرئ ملة ابرهيم
بالرفع اي ملته ملتنا او امرنا ملته او نحن ملته بمعنى اهل ملته حنيفا حال من المضاف اليه كقولك رأيت وجه هند قائمة
والحنيف المائل عن كل دين باطل الى دين الحق والحنف الميل في القدمين
ولكنا خلقنا اذ جعلنا حنيفا دنيا عن كل دين ۞ وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم لان كلا منهم يدعي
اتباع ابرهيم وهو على الشرك ۞ قولوا آمنا خطاب للمؤمنين ويجوز ان يكون خطابا للكافرين اي قولوا لتكونوا على الحق والا فانتم على الباطل وكذلك
قوله بل ملة ابرهيم يجوز ان يكون على اتبعوا ملة ابرهيم او كونوا اهل ملته ۞ والاسباط والسبط الحافد وكان الحسن والحسين سبطي رسول الله صلى الله
عليه وسلم والاسباط حفدة يعقوب ذراري ابنائه الاثني عشر ۞ لا نفرق بين احد منهم لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما
فعلت اليهود والنصارى واحد في معنى الجماعة ولذلك صح دخول بين عليه ۞ بمثل ما آمنتم به من باب التبكيت لان دين الحق واحد لا
مثل له وهو دين الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فلا يوجد اذن دين آخر يماثل دين الاسلام في كونه حقا حتى ان آمنوا
بذلك الدين المماثل له كانوا مهتدين فقيل فان آمنوا بكلمة الشك على سبيل الفرض والتقدير اي فان حصلوا دينا آخر مثل دينكم مساويا له في
الصحة والسداد فقد اهتدوا وفيه ان دينهم الذي هم عليه وكل دين سواه مغاير له غير مماثل لانه حق وهدى وما سواه باطل وضلال ونحو
هذا قولك للرجل الذي تشير عليه هذا هو الرأي الصواب فان كان عندك رأي اصوب منه فاعمل به وقد علمت ان لا اصوب من رأيك ولكنك تريد
تبكيت صاحبك وتوقيفه على ان ما رأيت لا رأي وراءه ويجوز ان لا تكون الباء صلة وتكون باء الاستعانة كقولك كتبت بالقلم وعملت بالقدوم
اي فان دخلوا في الايمان بشهادة مثل شهادتكم التي آمنتم بها وقرأ ابن عباس وابن مسعود بما آمنتم به وقرأ ابي بالذي آمنتم به ۞ وان تولوا عما تقولون
لهم ولم ينصفوا فانما هم في شقاق اي في مناواة ومعاندة لا غير وليسوا من طلب الحق في شيء او وان تولوا عن الشهادة والدخول في الايمان بها ۞
فسيكفيكهم الله ضمان من الله لاظهار رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم وقد انجز وعده بقتل قريظة وسبيهم واجلاء
بني النضير ومعنى السين ان ذلك كائن لا محالة وان تأخر الى حين ۞ وهو السميع العليم وعيد لهم اي يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرون من
الحسد والغل وهو معاقبهم عليه او وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى يسمع ما تدعو به ويعلم نيتك وما تريده من اظهار دين الحق وهو مستجيب لك
وموصلك الى مرادك ۞ صبغة الله مصدر مؤكد منتصب عن قوله آمنا بالله كما انتصب وعد الله عما تقدمه وهي فعلة من صبغ
كالجلسة

كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر النفوس والاصل فيه ان النصارى كانوا يغمسون
اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم واذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال الآن صار نصرانيا حقا فامر المسلمون
بان يقولوا لهم قولوا آمنا وصبغنا الله بالايمان صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيرنا او يقول المسلمون صبغنا الله بالايمان
صبغته ولم نصبغ صبغتكم وانما جيء بلفظ الصبغة على طريقة المشاكلة كما تقول لمن يغرس الاشجار اغرس كما يغرس فلان تريد
رجلا يصطنع الكرام ۞ ومن احسن من الله صبغة يعني انه يصبغ عباده بالايمان ويطهرهم به من اوضار الكفر فلا صبغة احسن من صبغته
وقوله ونحن له عابدون عطف على آمنا وهذا العطف يرد قول من زعم ان صبغة الله بدل من ملة ابرهيم او نصب على الاغراء
بمعنى عليكم صبغة الله لما فيه من فك النظم واخراج الكلام عن التئامه واتساقه وانتصابها على انه مصدر مؤكد هو الذي ذكره
سيبويه والقول ما قالت حذام ۞ قرأ زيد بن ثابت اتحاجونا بادغام النون والمعنى اتجادلوننا في شأن الله واصطفائه النبي من العرب
دونكم وتقولون لو انزل الله على احد لانزل علينا وترونكم احق بالنبوة منا وهو ربنا وربكم نشترك جميعا في انا عباده وهو ربنا وهو يصيب
برحمته وكرامته من يشاء من عباده هم فوضى في ذلك لا يختص به عجمي دون عربي اذا كان اهلا للكرامة ۞ ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم
يعني ان العمل هو اساس الامر وبه العبرة وكما ان لكم اعمالا يعتبرها الله في اعطاء الكرامة ومنعها فنحن كذلك ونحن له مخلصون فجاء
بما هو سبب الكرامة اي نحن له موحدون نخلصه بالايمان فلا تستبعدوا ان يؤهل اهل اخلاصه لكرامته بالنبوة وكانوا يقولون نحن احق بان تكون
النبوة فينا لان اهل الكتاب والعرب عبدة اوثان ام تقولون يحتمل فيمن قرأ بالتاء ان تكون ام معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي الامرين تأتون
المحاجة في حكمة الله ام ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء والمراد بالاستفهام عنهما انكارهما معا وان تكون منقطعة بمعنى بل اتقولون
والهمزة للانكار ايضا وفيمن قرأ بالياء لا تكون الا منقطعة ۞ قل أأنتم اعلم ام الله يعني ان الله شهد لهم بملة الاسلام في قوله ما كان ابرهيم
يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ۞ ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله اي كتم شهادة الله التي عنده انه شهد بها وهي شهادته لابرهيم بالحنيفية
ويحتمل معنيين احدهما ان اهل الكتاب لا احد اظلم منهم لانهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها والثاني انا لو كتمنا هذه الشهادة لم يكن احد اظلم
منا فلا نكتمها وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة في كتبهم وسائر شهاداته ومن في قوله شهادة عنده من الله مثلها في قولك هذه شهادة مني
لفلان اذا شهدت له ومثله براءة من الله ورسوله ۞ سيقول السفهاء الخفاف الاحلام وهم اليهود لكراهتهم التوجه الى الكعبة وانهم لا يرون النسخ
وقيل المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزاء وقيل المشركون قالوا رغب عن قبلة آبائه ثم رجع اليها والله ليرجعن الى دينهم فان قلت اي فائدة
في الاخبار بقولهم قبل وقوعه قلت فائدته ان مفاجأة المكروه اشد والعلم به قبل وقوعه ابعد من الاضطراب اذا وقع لما يتقدمه من توطين النفس
وان الجواب العتيد قبل الحاجة اليه اقطع للخصم واردّ لشغبه وقبل الرمي يراش السهم ۞ ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها يعني بيت المقدس ۞ قل لله المشرق والمغرب
اي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها ۞ يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو ما توجبه الحكمة والمصلحة من توجيههم تارة الى بيت المقدس واخرى
الى الكعبة ۞ وكذلك جعلناكم ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم امة وسطا خيارا وهي صفة بالاسم الذي هو وسط الشيء ولذلك استوى فيه
الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ونحوه قوله عليه السلام انطوا الثبجة يريد الوسيطة بين السمينة والعجفاء وصفا بالشيء
الذي هو وسط الظهر الا انه الحق تاء التأنيث مراعاة لحق الوصف وقيل للخيار وسط لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاعوار
والاوساط محمية محوطة ومنه قول الطائي ۞ كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى اصبحت طرفا ۞
وقد اكتنفت جمل اعرابي تحج فقال اعطني من سطاته اراد من خيار المال ۞ او عدولا لان الوسط عدل بين الاطراف ليس الى بعضها اقرب
من بعض ۞ لتكونوا شهداء على الناس روي ان الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالب الله الانبياء بالبينة على انهم قد بلغوا وهو اعلم فيؤتى
بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فتقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى
بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا
فان قلت فهلا قيل لكم شهيدا وشهادته لهم لا عليهم قلت لما كان الشهيد كالرقيب والمهيمن على المشهود له جيء بكلمة الاستعلاء ومنه
قوله تعالى والله على كل شيء شهيد كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد ۞ وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح الا بشهادة

عدول اخيار ويكون الرسول عليكم شهيدا يزكيكم ويعلم بعدالتكم فان قلت لم اخرت صلة الشهادة اولا وقدمت اخرا قلت لان الغرض في الاول اثبات شهادتهم على الامم وفي الاخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم التي كنت عليها اي الجهة التي كنت عليها صفة للقبلة انما هي ثاني مفعولي جعل يريد وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي بمكة الى الكعبة ثم امر بالصلاة الى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تألفا لليهود ثم حول الى الكعبة فيقول وما جعلنا القبلة التي عليك ان تستقبلها الجهة التي كنت عليها اولا بمكة يعني وما رددناك اليها الا امتحانا للناس وابتلاء لنعلم الثابت على الاسلام الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص على عقبيه لقلقه فيرتد كقوله وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الاية ويجوز ان يكون بيانا للحكمة في جعل بيت المقدس قبلته يعني ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وان استقبالك بيت المقدس كان امرا عارضا لغرض وانما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها قبل وقتك هذا وهي بيت المقدس لنمتحن الناس وننظر من يتبع الرسول منهم ومن لا يتبعه وينفر عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فان قلت كيف قال لنعلم ولم يزل عالما بذلك قلت معناه لنعلمه علما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمه موجودا حاصلا ونحوه ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وقيل ليعلم رسول الله والمؤمنون وانما اسند علمهم الى ذاته لانهم خواصه واهل الزلفى عنده وقيل معناه لنميز التابع من الناكص كما قال ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز لان العلم به يقع التمييز وان كانت لكبيرة هي ان المخففة التي تلزمها اللام الفارقة والضمير في كانت لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الردة او التحويلة او الجعلة ويجوز ان يكون للقبلة لكبيرة لثقيلة شاقة الا على الذين هدى الله الا على الثابتين الصادقين في اتباع الرسول الذين لطف الله بهم وكانوا اهلا للطفه وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ثباتكم على الايمان وانهم لم يزلوا ولم يرتابوا بل شكر صنيعكم واعد لكم الثواب العظيم ويجوز ان يراد وما كان الله ليترك تحويلكم لعلمه ان تركه مفسدة واضاعة لايمانكم وقيل من كان صلى الى بيت المقدس قبل التحويل فصلاته غير ضائعة عن ابن عباس رضي الله عنهما لما وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قالوا كيف بمن مات من اخواننا قبل ذلك فنزلت لرءوف رحيم لا يضيع اجورهم ولا يترك ما يصلحهم ويحكى عن الحجاج انه قال للحسن ما رايك في ابي تراب فقرا قوله الا على الذين هدى الله ثم قال وعلي منهم وهو ابن عم رسول الله وختنه على ابنته واقرب الناس اليه واحبهم وقرا الا ليعلم على البناء للمفعول ومعنى العلم المعرفة ويجوز ان يكون من متضمنة لمعنى الاستفهام معلقا عنها العلم كقولك علمت ازيد في الدار ام عمرو وقرا ابن ابي اسحق على عقبيه بسكون القاف وقرا اليزيدي لكبيرة بالرفع ووجهها ان تكون كان مزيدة كما في قوله وجيران لنا كانوا كرام والاصل وان هي لكبيرة كقولك ان زيدا لمنطلق ثم وان كانت لكبيرة وقرئ ليضيع بالتشديد قد نرى ربما نرى ومعناه كثرة الرؤية كقوله قد اترك القرن مصفرا انامله تقلب وجهك تردد وجهك وتصرف نظرك في جهة السماء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم وادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود فكان يراعي نزول جبريل والوحي بالتحويل فلنولينك فلنعطينك ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا جعلته واليا له او فلنجعلنك تلي سمتها دون سمت بيت المقدس ترضاها تحبها وتميل اليها لاغراضك الصحيحة التي اضمرتها ووافقت مشيئة الله وحكمته شطر المسجد الحرام نحوه قال واطعن بالقوم شطر الملوك وقرا ابي تلقاء المسجد الحرام عن البراء بن عازب قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين وشطر المسجد نصب على الظرف اي اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد اي في جهته وسمته لان استقبال عين القبلة فيه حرج عظيم على البعيد وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على ان الواجب مراعاة الجهة دون العين ليعلمون انه الحق اي التحول الى الكعبة هو الحق لانه كان في بشارة انبيائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم انه يصلي الى القبلتين يعملون قرئ بالياء والتاء ما تبعوا جواب القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط بكل اية بكل برهان قاطع ان التوجه الى الكعبة هو الحق ما تبعوا قبلتك لان تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بايراد الحجة انما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم بما في كتبهم من نعتك انك على الحق وما انت بتابع قبلتهم حسم لاطماعهم اذ كانوا ماجوا في ذلك وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذي ننتظره وطمعوا في رجوعه الى قبلتهم وقرئ بتابع قبلتهم على الاضافة وما بعضهم بتابع قبلة بعض يعني انهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في شان القبلة لا يرجى اتفاقهم

كالا يرجى موافقتهم لك وذلك ان اليهود تستقبل بيت المقدس والنصارى مطلع الشمس اخبر عز وجل عن تصلب كل حزب فيما هو فيه وثباته عليه [illegible] لا يرجع عن مذهبه لتمسكه بالبرهان والمبطل لا يقلع عن باطله لشدة شكيمته في عناده وقوله ولئن اتبعت اهواءهم بعد الايضاح عن حقيقة حاله المعلومة عنده في قوله وما انت بتابع قبلتهم كلام وارد على سبيل الفرض والتقدير بمعنى ولئن اتبعتهم مثلا بعد وضوح البرهان والاحاطة بحقيقة الامر انك اذا لمن الظالمين المرتكبين الظلم الفاحش وفي ذلك لطف للسامعين وزيادة تحذير واستفظاع لحال من يترك الدليل بعد انارته ويتبع الهوى وتهييج والهاب للثبات على الحق فان قلت كيف قال وما انت بتابع قبلتهم ولهم قبلتان لليهود قبلة وللنصارى قبلة قلت كلتا القبلتين باطلة مخالفة لقبلة الحق فكانتا بحكم الاتحاد في البطلان قبلة واحدة يعرفونه يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم معرفة جلية يميزون بينه وبين غيره بالوصف المعين المشخص كما يعرفون ابناءهم لا يشتبه عليهم ابناؤهم وابناء غيرهم وعن عمر رضي الله عنه انه سال عبد الله بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي واما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر راسه وجاز الاضمار وان لم يسبق له ذكر لان الكلام يدل عليه ولا يلتبس على السامع ومثل هذا الاضمار فيه تفخيم واشعار بانه لشهرته وكونه علما معلوما بغير اعلام وقيل الضمير للعلم او القران او تحويل القبلة وقوله كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول وينصره الحديث عن عبد الله بن سلام فان قلت لم اختص الابناء قلت لان الذكور اشهر واعرف وهم لصحبة الاباء الزم وبقلوبهم الصق وان فريقا منهم استثناء لمن امن منهم او لجهالهم الذين قال فيهم ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الحق من ربك يحتمل ان يكون الحق خبر مبتدا محذوف اي هو الحق وبتدا خبره من ربك وفيه وجهان ان يكون اللام للعهد والاشارة الى الحق الذي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم او الى الحق الذي في قوله ليكتمون الحق اي هذا الذي يكتمونه هو الحق من ربك وان يكون للجنس على معنى الحق من الله لا من غيره يعني ان الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه وما لم يثبت انه من الله كالذي عليه اهل الكتاب فهو الباطل فان قلت اذا جعلت الحق خبر مبتدا فما محل من ربك قلت يجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون حالا وقرا علي رضي الله عنه الحق من ربك على الابدال اي يكتمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين الشاكين في كتمانهم الحق مع علمهم او في انه من ربك ولكل من اهل الاديان المختلفة وجهة قبلة وفي قراءة ابي ولكل قبلة هو موليها وجهه فحذف احد المفعولين وقيل هو لله تعالى اي الله موليها اياه وقرئ ولكل وجهة على الاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها فزيدت اللام لتقدم المفعول كقولك لزيد ضربت ولزيد ابوه ضاربه وقرا ابن عامر هو مولاها اي هو مولى تلك الجهة قد وليها والمعنى لكل امة قبلة تتوجه اليها منكم ومن غيركم فاستبقوا الخيرات انتم الخيرات واستبقوا اليها غيركم من امر القبلة وغيره ومعنى اخر وهو ان يراد ولكل منكم يا امة محمد وجهة اي جهة يصلي اليها جنوبية او شمالية او شرقية او غربية فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا يات بكم الله جميعا للجزاء من موافق ومخالف لا تعجزونه ويجوز ان يكون المعنى فاستبقوا الفاضلات من الجهات وهي الجهة المسامتة للكعبة وان اختلفت اينما تكونوا من الجهات المختلفة يات بكم الله جميعا يجمعكم ويجعل صلواتكم كانها الى جهة واحدة وكانكم تصلون حاضري المسجد الحرام ومن حيث خرجت ومن اي بلد خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه وان هذا المامور به وقرئ يعملون بالياء والتاء وهذا التكرير لتاكيد امر القبلة وتشديده لان النسخ من مظان الفتنة والشبهة وتسويل الشيطان والحاجة الى الفصل بينه وبين البداء فكرر عليهم ليثبتوا ويعزموا ويجدوا ولانه نيط بكل واحد ما لم ينط بالاخر فاختلفت فوائدها الا الذين ظلموا استثناء من الناس ومعناه لئلا يكون حجة لاحد من اليهود الا للمعاندين منهم القائلين ما ترك قبلتنا الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء فان قلت اي حجة كانت تكون للمنصفين منهم لو لم يحول حتى احترز من تلك الحجة ولم يبال بحجة المعاندين قلت كانوا يقولون ما له لا يحول الى قبلة ابيه ابراهيم كما هو مذكور في نعته في التوراة فان قلت كيف اطلق اسم الحجة على قول المعاندين قلت لانهم يسوقونه مساق الحجة ويجوز ان يكون المعنى لئلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض في ترككم التوجه الى الكعبة التي هي قبلة ابراهيم واسمعيل ابي العرب الا الذين ظلموا منهم وهم اهل مكة حين يقولون بدا له فرجع الى قبلة ابائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وقرا زيد بن علي رضي الله عنهما الا الذين ظلموا منهم على ان الا للتنبيه ووقف على حجة ثم استانف منبها فلا تخشوهم فلا تخافوا مطاعنهم في قبلتكم فانهم لا يضرونكم واخشوني فلا تخالفوا امري وما رايته مصلحة لكم ومتعلق اللام محذوف معناه ولاتمامي

من جهلهم وادى لصلاتكم او امر بكم بذلك وهو معطوف على علة مقدرة كانه قيل واخشوني لأحفظكم ولأتم نعمتي عليكم وهو معطوف على
لئلا يكون وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله عنه تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم متصل بما قبله اي ولأتم
نعمتي عليكم في الآخرة بالثواب كما اتممتها عليكم في الدنيا بارسال الرسول او بما بعده اي كما ذكرتكم بارسال الرسول فاذكروني بالطاعة
اذكركم بالثواب واشكروا لي ما انعمت به عليكم ولا تكفرون ولا تجحدوا نعماي اموات بل احياء اي هم اموات بل هم احياء ولكن لا تشعرون
كيف حالهم في حياتهم وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على
ارواح آل فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع وعن مجاهد يرزقون من ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها وقالوا يجوز ان يجمع
الله من اجزاء الشهداء جملة فيحييها ويوصل اليها النعيم وان كانت في حجم الذرة وقيل نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر ولنبلونكم
ولنصيبنكم بذلك اصابة تشبه فعل المختبر لاحوالكم هل تصبرون وتثبتون على ما انتم عليه من الطاعة وتسلمون لامره وحكمه ام لا بشيء
بقليل من كل واحد من هذه البلايا وطرف منه وبشر الصابرين المسترجعين عند البلاء لان الاسترجاع تسليم واذعان وعن النبي
صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وروي انه طفئ سراج رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل امصيبة هي قال نعم كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وانما قلل في قوله بشيء ليؤذن
ان كل بلاء اصاب الانسان وان جل ففوقه ما يقل اليه ويخفف عليهم ويريهم ان رحمته معهم في كل حال لا تزايلهم وانما وعدهم ذلك قبل كونه
ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص عطف على شيء او على الخوف بمعنى وشيء من نقص الاموال والخطاب في وبشر لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل
من تاتي منه البشارة وعن الشافعي رحمه الله الخوف خوف الله والجوع صيام شهر رمضان والنقص من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس
الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم
فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة
وسموه بيت الحمد والصلوة الحنو والتعطف فوضعت موضع الرأفة وجمع بينها وبين الرحمة كقوله رأفة ورحمة رؤف رحيم والمعنى
عليهم رأفة بعد رأفة ورحمة بعد رحمة واولئك هم المهتدون لطريق الصواب حيث استرجعوا وسلموا لامر الله الصفا والمروة علمان
للجبلين كالصمان والمقطم والشعائر جمع شعيرة وهي العلامة اي من اعلام مناسكه ومتعبداته والحج القصد والاعتمار الزيارة فغلبا
شرعا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين وهما في المعاني كالنجم والبيت في الاعيان واصل يطوف يتطوف فادغم وجواب ان
يطوف من طاف فان قلت كيف قال من شعائر الله ثم قال فلا جناح عليه ان يطوف بهما قلت كان على الصفا اساف وعلى المروة
نايلة وهما صنمان روي انهما كانا رجلا وامرأة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله وكان
اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان تحرج المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية وان لا يكون عليهم جناح في ذلك
فرفع عنهم الجناح واختلف في السعي فمن قائل هو تطوع بدليل رفع الجناح وما فيه من التخيير بين الفعل والترك كقوله فلا جناح عليهما ان يتراجعا
وغيره من المعطوف له بقوله ومن تطوع خيرا فهو خير له وروي ذلك عن انس وابن عباس وابن الزبير وتنصره قراءة ابن مسعود
فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما وعن ابي حنيفة انه واجب يجبر بدم وعند الاولين لا شيء عليه وعند مالك والشافعي
هو ركن لقوله عليه السلام اسعوا فان الله كتب عليكم السعي وقرئ ومن يطوع خيرا ومن تطوع خيرا وفي قراءة عبد الله ومن تطوع بخير
ان الذين يكتمون ما انزلنا في التوراة من البينات من الآيات الشاهدة على امر محمد صلى الله عليه وسلم والهدى والهداية
الى اتباعه والايمان به من بعد ما بيناه لخصناه للناس في الكتاب في التوراة لم ندع فيه موضع اشكال ولا اشتباه على احد منهم فعمدوا
الى ذلك المبين الملخص فكتموه ولبسوا على الناس اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الذين يتأتى منهم اللعن عليهم من الملائكة والمؤمنين من
الثقلين الا الذين تابوا عن الكتمان واصلحوا ما افسدوا وتداركوا ما فرطوا منهم وبينوا ما بينه الله في كتابهم فكتموه او بينوا للناس الحق ليمحوا
سمة الكفر عنهم ويقتدوا بهم ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اي ومن لم يتوبوا
ذكر لعنتهم احياء ثم لعنتهم امواتا والناس اجمعين بالرفع عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في المعنى كقولك

عجبت من ضرب زيد وعمرو وتدفع من ان ضرب زيد وعمرو وكانه قيل اولئك عليهم ان لعنهم الله والملائكة فان قلت ما معنى
قوله والناس اجمعين وفي الناس المسلم والكافر قلت اراد بالناس من يعتد بلعنه وهم المؤمنون وقيل يوم القيامة يلعن بعضهم بعضا
خالدين فيها في اللعنة وقيل في النار الا انها اضمرت تفخيما لشانها وتهويلا ولا هم ينظرون من الانظار اي لا يمهلون ولا يؤخرون او لا
ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم اله واحد فرد في الالهية لا شريك له فيها ولا يصح ان يسمى غيره الها لا اله الا
هو تقرير للوحدانية بنفي غيره واثباته الرحمن الرحيم المولى لجميع النعم اصولها وفروعها ولا شيء سواه بهذه الصفة فان كل ما سواه
اما نعمة واما منعم عليه وقيل كان للمشركين حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فلما سمعوا هذه الآية تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فات
باية نعرف بها صدقك فنزلت ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار واعتقابهما لان كل واحد منهما يعقب الآخر كقوله
جعل الليل والنهار خلفة والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس بالذي ينفعهم مما يحمل فيها او بنفع الناس فان قلت قوله وبث فيها عطف على انزل ام احيا
قلت الظاهر انه عطف على انزل داخل تحت حكم الصلة لان قوله فاحيى به الارض عطف على انزل فاتصل به وصارا جميعا كالشيء الواحد
فكانه قيل وما انزل في الارض من ماء وبث فيها من كل دابة ويجوز عطفه على احيا على معنى فاحيا بالمطر الارض وبث فيها من كل دابة
لانهم ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا وتصريف الرياح في مهابها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا وفي احوالها حارة وباردة
وعاصفة ولينة وعقيما ولواقح وقيل تارة بالرحمة وتارة بالعذاب والسحاب المسخر تسخير الرياح تقليبه في الجو بمشيئة الله يمطر حيث
يشاء لآيات لقوم يعقلون يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون عقولهم ويعتبرون لانها دلائل على عظم القدرة وباهر الحكمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها اي لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها وقرئ والفلك بضمتين وتصريف الريح على الافراد اندادا امثالا من
الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يتبعونهم ويطيعونهم وينزلون على اوامرهم ونواهيهم واستدل بقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين
اتبعوا ومعنى يحبونهم يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب كحب الله كتعظيمه والخضوع له اي كحبهم الله على انه مصدر من
المبني للمفعول وانما استغني عن ذكر من يحبه لانه غير ملبس وقيل كحب الله اي يسوون بينه وبينهم في محبتهم لانهم كانوا يقرون بالله
ويتقربون اليه فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين اشد حبا لله لانهم لا يعدلون عنه الى غيره بخلاف المشركين فانهم يعدلون عن اندادهم
الى الله عند الشدائد فيفزعون اليه ويخضعون له ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه فيقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ويعبدون الصنم زمانا ثم
يرفضونه الى غيره او يأكلونه كما اكلت باهلة الههم من حيس عام المجاعة ولو يرى الذين ظلموا اشارة الى متخذي الانداد اي ولو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم
العظيم بشركهم ان القدرة لله جميعا على كل شيء من العقاب والثواب دون اندادهم ويعلمون شدة عقابه للظالمين اذا عاينوا العذاب يوم القيمة
لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم فحذف الجواب كما في قوله ولو ترى اذ وقفوا وقولهم لو رأيت فلانا
والسياط تاخذه وقرئ ولو ترى على خطاب الرسول او كل مخاطب اي ولو ترى ذلك لرأيت امرا عظيما وقرئ اذ يرون على البناء للمفعول واذ في
المستقبل كقوله ونادى اصحاب الجنة اذ تبرأ بدل من اذ يرون العذاب اي تبرأ المتبوعون وهم الرؤساء من الاتباع وقرأ مجاهد الاول على البناء للفاعل
والثاني على البناء للمفعول اي تبرأ الاتباع من الرؤساء ورأوا العذاب الواو للحال اي تبرؤوا في حال رؤيتهم العذاب وتقطعت عطف على
تبرأ بهم الاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الانساب والمحاب والاتباع والاستتباع كقوله لقد تقطع بينكم لو في
معنى التمني ولذلك اجيب بالفاء التي يجاب بها التمني كانه قيل ليت لنا كرة فنتبرأ منهم كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم
حسرات اي ندامات حسرات ثالث مفاعيل يرى ومعناه ان اعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الا حسرات مكان اعمالهم وما هم بخارجين
من النار هم بمنزلته في قوله هم يفرشون اللبد كل طمرة في دلالته على قوة امرهم فيما اسند اليهم لا على الاختصاص حلالا مفعول
كلوا او حال مما في الارض طيبا طاهرا من كل شبهة ولا تتبعوا خطوات الشيطان فتدخلوا في حرام او شبهة او تحريم حلال او تحليل
حرام ومن للتبعيض لان كل ما في الارض ليس بماكول وقرئ خطوات بضمتين وخطوات بضمة وسكون وخطوات بضمتين وهمزة جعلت
الضمة على الطاء كانها على الواو وخطوات بفتحتين وخطوات بفتحة وسكون والخطوة المرة من الخطو والخطوة ما بين قدمي
الخاطي وهما كالغرفة والغرفة والقبضة والقبضة يقال اتبع خطواته ووطئ على عقبه اذا اقتدى به واستن بسنته

او يأكلونه

من طاعة العداوة لاختياله انما يامركم بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته اي لا يامركم بخير قط انما يامركم بالسوء بالقبيح
والفحشاء وما يتجاوز الحد في القبح من العظائم وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما يجب فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون وهو قولكم
هذا حلال وهذا حرام بغير علم ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله مما لا يجوز عليه فان قلت كيف كان الشيطان امرا مع قوله ليس
لك عليهم سلطان قلت شبه تزيينه وبعثه على الشر بامر الامر كما تقول امرتني نفسي بكذا وتحته رمز الى انكم منه بمنزلة
المامورين لطاعتكم له وقبولكم وساوسه ولذلك قال ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام ولامرنهم فليغيرن خلق الله وقال الله تعالى
ان النفس لامارة بالسوء لما كان الانسان بطبعها ومطيعا لما تشتهيه لهم الضمير للناس وعدل بالخطاب عنهم على طريقة الالتفات للنداء على
ضلالهم لانه لا ضال اضل من المقلد كانه يقول للعقلاء انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون قيل هم المشركون وقيل هم طائفة من اليهود دعاهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا فانهم كانوا خيرا منا واعلم والفينا بمعنى وجدنا بدليل قوله بل نتبع
ما وجدنا عليه اباءنا اولو كان اباؤهم الواو للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجب معناه ايتبعونهم ولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون
للصواب لا بد من مضاف محذوف تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق او ومثل الذين كفروا كبهائم الذي ينعق والمعنى
ومثل داعيهم الى الايمان في انهم لا يسمعون من الدعاء الا جرس النغمة ودوي الصوت من غير القاء اذهان ولا استبصار كمثل الناعق بالبهائم
التي لا تسمع الا دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها وزجرها ولا تفقه شيئا اخر ولا تعي كما يفهم العقلاء ويعون ويجوز ان يراد بما لا
يسمع الاصم الاصلخ الذي لا يسمع من كلام الرافع صوته بكلامه الا النداء والتصويت لا غير من غير فهم للحروف وقيل معناه ومثلهم في اتباعهم
اباءهم وتقليدهم كمثل البهائم التي لا تسمع الا ظاهر الصوت ولا تفهم ما تحته فكذلك هؤلاء يتبعونهم على ظاهر حالهم ولا يفقهون اهم على حق ام
باطل وقيل معناه ومثلهم في دعائهم الاصنام كمثل الناعق بما لا يسمع الا ان قوله الا دعاء ونداء لا يساعد عليه لان الاصنام لا تسمع شيئا والنعق
التصويت يقال نعق المؤذن ونعق الراعي بالضان قال الاخطل فانعق بضانك يا جرير فانما منتك نفسك في الخلاء ضلالا
واما نعق الغراب فبالغين المعجمة صم بكم عمي رفع على الذم من طيبات ما رزقناكم من مستلذاته لان كل ما رزقه الله لا يكون الا حلالا
واشكروا لله الذي رزقكموها ان كنتم اياه تعبدون ان صح انكم تختصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعم وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول
الله تعالى اني والجن والانس في نبا عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري قرئ حرم على البناء للفاعل وحرم على البناء
للمفعول وحرم بوزن كرم وما اهل به لغير الله اي رفع به الصوت للصنم وذلك قول اهل الجاهلية باسم اللات والعزى غير باغ
على مضطر اخر بالاستئثار عليه ولا عاد سد الجوعة فان قلت في الميتة ما يحل وهو السمك والجراد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
احلت لي ميتتان ودمان قلت قصد ما يتفاهمه الناس ويتعارفونه في العادة الا ترى ان القائل اذا قال اكل فلان ميتة لم يسبق الوهم
الى السمك والجراد كما لو قال اكل دما لم يسبق الى الكبد والطحال ولاعتبار العادة والتعارف قالوا من حلف لا ياكل لحما فاكل سمكا
لم يحنث وان كان لحما في الحقيقة وقال الله تعالى لتاكلوا منه لحما طريا وشبهوه بمن حلف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث
وان سماه الله دابة في قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فان قلت فما له ذكر لحم الخنزير دون شحمه قلت لان الشحم
داخل في ذكر اللحم لكونه تابعا له وصفة فيه بدليل قولهم لحم سمين يريدون انه شحيم في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل فلان في
بطنه واكل في بعض بطنه الا النار لانه اذا اكل ما يلتبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه اكل النار ومنه قولهم اكل
فلان الدم اذا اكل الدية التي هي بدل منه قال اكلت دما ان لم ارعك بضرة وقال يأكلن كل ليلة اكافا
اراد ثمن الاكاف فسماه اكافا لتلبسه بكونه ثمنا له ولا يكلمهم الله تعريض بحرمانهم حال اهل الجنة في تكرمة الله اياهم بكلامه
وتزكيتهم بالثناء عليهم وقيل نفي الكلام عبارة عن غضبه عليهم كمن غضب على صاحبه فصرمه وقطع كلامه وقيل لا يكلمهم بما يحبون
ولكن بنحو قوله اخسؤا فيها ولا تكلمون فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم كما تقول لمن يتعرض
لما يوجب غضب السلطان ما اصبرك على القيد والسجن تريد انه لا يتعرض لذلك الا هو شديد الصبر على العذاب وقيل فما اصبرهم فاي
شيء صبرهم يقال اصبره على كذا وصبره بمعنى وهذا اصل معنى فعل التعجب والذي روي عن الكسائي انه قال قال لي قاضي اليمن بمكة اختصم
الي

الي رجلان من العرب فحلف احدهما على حق صاحبه فقال له ما اصبرك على الله فمعناه ما اصبرك على عذاب الله ذلك بان الله نزل اي
ذلك العذاب بسبب ان الله نزل ما نزل من الكتب بالحق وان الذين اختلفوا في كتب الله فقالوا في بعضها حق وفي بعضها باطل وهم اهل الكتاب
لفي شقاق لفي خلاف بعيد عن الحق والكتاب للجنس او كان ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق فكفروا به وان الذين اختلفوا فيه من المشركين
فقال بعضهم سحر وبعضهم شعر وبعضهم اساطير لفي شقاق بعيد يعني ان اولئك لو لم يختلفوا ولم يشاقوا لما جسروا على ان يكفروا
البر اسم للخير ولكل فعل مرضي ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الخطاب لاهل الكتاب لان اليهود تصلي قبل المغرب الى بيت
المقدس والنصارى قبل المشرق وذلك انهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة وزعم كل واحد من الفريقين
ان البر التوجه الى قبلته فرد عليهم وقيل ليس البر فيما انتم عليه فانه منسوخ خارج من البر ولكن البر ما نبينه وقيل كثر خوض المسلمين
واهل الكتاب في امر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذي يحسب ان تذهبوا بشانه عن سائر صنوف البر امر القبلة ولكن البر الذي يجب الاهتمام
به وصرف الهمة اليه بر من امن وقام بهذه الاعمال وقرئ ليس البر بالنصب على انه خبر مقدم وقرا عبد الله بان تولوا على ادخال الباء على
الخبر للتاكيد كقولك ليس المنطلق زيد ولكن البر من امن بالله على تاويل ولكن البر بر من امن او على ولكن ذا البر او كما قالت
فانما هي اقبال وادبار وعن المبرد لو كنت ممن يقرا القران لقرات ولكن البر بفتح الباء وقرئ ولكن البار وقرا ابن عامر ونافع
ولكن البر بالتخفيف والكتاب جنس كتب الله او القران على حبه مع حب المال والشح به كما قال ابن مسعود رضي الله عنه ان تؤتيه وانت
صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل على حب الله وقيل على حب
الايتاء يريد ان يعطيه وهو طيب النفس باعطائه وقدم ذوي القربى لانهم احق قال عليه السلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك اثنتان
لانها صدقة وصلة وقال افضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح والمراد الفقراء منهم لعدم الالتباس والمسكين الدائم السكون
الى الناس لانه لا شيء له كالمسكير الدائم السكر وابن السبيل المسافر المنقطع جعل ابنا للسبيل لملازمته له كما يقال للص القاطع ابن
الطريق وقيل الضيف لان السبيل ترعف به والسائلين المستطعمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للسائل حق وان جاء على ظهر فرسه وفي
الرقاب وفي معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل في ابتياع الرقاب واعتاقها وقيل في فك الاسارى فان قلت قد ذكر ايتاء المال في هذه
الوجوه ثم قفاه بايتاء الزكاة فهل دل ذلك على ان في المال حقا سوى الزكاة قلت يحتمل ذلك وعن الشعبي ان في المال حقا سوى الزكاة
وتلا هذه الاية ويحتمل ان يكون ذلك بيان مصارف الزكاة او يكون حثا على نوافل الصدقات والمبار وفي الحديث نسخت الزكاة كل صدقة
يعني وجوبها وروي ليس في المال حق سوى الزكاة والموفون عطف على من امن واخرج الصابرين منصوبا على الاختصاص والمدح اظهارا لفضل الصبر
في الشدائد ومواطن القتال على سائر الاعمال وقرئ والصابرون وقرئ والموفين والصابرين والباساء الفقر والشدة والضراء المرض والزمانة
صدقوا كانوا صادقين جادين في الدين عن عمر بن عبد العزيز والحسن البصري وعطاء وعكرمة وهو مذهب مالك والشافعي ان الحر لا يقتل
بالعبد والذكر لا يقتل بالانثى اخذا بهذه الاية ويقولون هي مفسرة لما ابهم في قوله النفس بالنفس ولان تلك واردة لحكاية ما كتب في التوراة على
اهلها وهذه خوطب بها المسلمون وكتب عليهم ما فيها وعن سعيد بن المسيب والشعبي والنخعي وقتادة والثوري وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه
انها منسوخة بقوله النفس بالنفس والقصاص ثابت بين العبد والحر والذكر والانثى ويستدلون بقوله صلى الله عليه وسلم المسلمون تتكافأ دماؤهم
وبان التفاضل غير معتبر في الانفس بدليل ان جماعة لو قتلوا واحدا قتلوا به وروي انه كان بين حيين من احياء العرب دماء في الجاهلية
وكان لاحدهما طول على الاخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى والاثنين بالواحد فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاء
الله بالاسلام فنزلت وامرهم ان يتباوؤا فمن عفي له من اخيه شيء معناه فمن عفي له من جهة اخيه شيء من العفو على انه كقولك
سير بزيد بعض السير وطائفة من السير ولا يصح ان يكون شيء في معنى المفعول به لان عفا لا يتعدى الى مفعول به الا بواسطة واخوه هو
ولي المقتول وقيل له اخوه لانه لابسه من قبل انه ولي الدم ومطالبه به كما تقول للرجل قل لصاحبك كذا لمن بينه وبينه ادنى ملابسة او
ذكره بلفظ الاخوة ليعطف احدهما على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسية والاسلام فان قلت ان عفا يتعدى بعن
لا باللام فما وجه قوله فمن عفي له قلت يتعدى بعن الى الجاني والى الذنب فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه قال الله تعالى عفا الله عنك

يقال عفا الله عنها فاذا عدي الى الذنب قيل عفوت لفلان عما جنى كما تقول غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه وعلى هذا ما في الآية كأنه قيل
فمن عُفي له عن جنايته فاستغنى عن ذكر الجناية فان قلت هلا فسرت عُفي بتُرك حتى يكون شيء في معنى المفعول به قلت
لان عفا الشيء بمعنى تركه ليس بثبت ولكن اعفاه ومنه قوله عليه السلام واعفوا اللحى فان قلت فقد ثبت قولهم عفا
اثره اذا محاه وازاله فهلا جعلت معناه فمن محي له من اخيه شيء قلت عبارة قلقة في مكانها والعفو في باب الجنايات عبارة
متداولة مشهورة في الكتاب والسنة واستعمال الناس فلا يعدل عنها الى اخرى قلقة نابية عن مكانها وترى كثيرا ممن يتعاطى هذا العلم يجترئ اذا عن مكانها
اعضل عليه تخريج وجه للمشكل من كلام الله على اختراع لغة وادعاء على العرب ما لا تعرفه وهذه جرأة يستعاذ بالله منها فان قلت لم قيل
شيء من العفو قلت للاشعار بانه اذا عفي له طرف من العفو وبعض منه بان يعفى عن بعض الدم او عفا عنه بعض الورثة تم العفو وسقط
القصاص ولم تجب الا الدية فاتباع بالمعروف فليكن اتباع او فالامر اتباع وهذه توصية للمعفو عنه والعافي جميعا يعني فليتبع الولي القاتل
بالمعروف بان لا يعنف به ولا يطالبه الا مطالبة جميلة وليؤد اليه القاتل بدل الدم اداء باحسان بان لا يمطله ولا يبخسه ذلك الحكم
المذكور من العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة لان اهل التوراة كتب عليهم القصاص البتة وحرم العفو واخذ الدية وعلى اهل الانجيل
العفو وحرم القصاص والدية وخيرت هذه الامة بين الثلث القصاص والدية والعفو توسعة عليهم وتيسيرا فمن اعتدى بعد ذلك
التخفيف فجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل او القتل بعد اخذ الدية فقد كان الولي في الجاهلية يؤمن القاتل بقبول الدية ثم يظفر به
فيقتله فله عذاب اليم نوع من العذاب شديد الالم في الآخرة وعن قتادة العذاب الاليم ان يقتل لا محالة ولا يقبل منه دية لقوله صلعم لا
اعافي احدا قتل بعد اخذه الدية ولكم في القصاص حيوة كلام فصيح لما فيه من الغرابة وهو ان القصاص قتل وتفويت للحيوة وقد جعل
مكانا وظرفا للحيوة ومن اصابة محز البلاغة بتعريف القصاص وتنكير الحيوة لان المعنى ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حيوة
عظيمة وذلك انهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة وكم قتل مهلهل باخيه كليب حتى كاد يفني بكر بن وائل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله
فتثور الفتنة ويقع بينهم التناحر فلما جاء الاسلام بشرع القصاص كانت فيه حيوة اي حيوة او نوع من الحيوة وهي الحيوة الحاصلة بالارتداع
عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل لانه اذا هم بالقتل فعلم انه يقتص منه فارتدع سلم صاحبه من القتل وسلم هو من القود فكان القصاص
سبب حيوة نفسين وقرأ ابو الجوزاء ولكم في القصص حيوة اي فيما قص عليكم من حكم القتل والقصاص وقيل القصص القرآن اي لكم في
القرآن حيوة للقلوب كقوله روحا من امرنا ويحيى من حي عن بينة لعلكم تتقون اي اريتكم ما في القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس
لعلكم تعملون عمل اهل التقوى في المحافظة على القصاص والحكم به وهو خطاب له فضل اختصاص بالائمة اذا حضر احدكم الموت
اذا دنا منه وظهرت اماراته ان ترك خيرا مالا كثيرا عن عائشة رضي الله عنها ان رجلا اراد الوصية وله عيال واربعمائة دينار فقالت ما ارى فيه فضلا
واراد آخر ان يوصي فسألته كم مالك فقال ثلثة الاف فقالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير
فاتركه لعيالك وعن علي رضي الله عنه ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة فمنعه قال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال
وليس لك مال الوصية فاعل كتب وذكر فعلها للفاصل ولانها بمعنى ان يوصي ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله بعد ما سمعه والوصية
للوارث كانت في بدء الاسلام فنسخت باية المواريث وبقوله عليه السلام ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وتلقي
الامة اياه بالقبول حتى لحق بالمتواتر وان كان من الآحاد لانهم لا يتلقون بالقبول الا الثبت الذي صحت روايته وقيل لم تنسخ والوارث يجمع له
بين الوصية والميراث بحكم الآيتين وقيل ما هي بمخالفة لآية المواريث ومعناها كتب عليكم ما اوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين
من قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم او كتب على المحتضر ان يوصي للوالدين والاقربين بتوفير ما اوصى به الله لهم عليهم وان لا ينقص من انصبائهم
بالمعروف بالعدل وهو ان لا يوصي للغني ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث حقا مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا فمن بدله فمن
غير الايصاء عن وجهه ان كان موافقا للشرع من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه وتحققه فانما اثمه على الذين يبدلونه فما اثم الايصاء
المغير والتبديل الا على مبدليه دون غيرهم من الموصي والموصى له لانهما بريئان من الحيف ان الله سميع عليم وعيد للمبدل فمن خاف فمن توقع
وعلم وهذا في كلامهم شائع يقولون اخاف ان ترسل السماء يريدون التوقع والظن الغالب الجاري مجرى العلم جنفا ميلا عن الحق

بالخطاء في الوصية او اثما او تعمدا للحيف فاصلح بينهم بين الموصى لهم وهم الوالدان والاقربون باجرائهم على طريق الشرع فلا اثم عليه حينئذ
لان تبديله تبديل باطل الى حق ذكر من يبدل بالباطل ثم من يبدل الحق ليعلم ان كل تبديل لا يؤثم كما كتب على الذين من
قبلكم على الانبياء والامم من لدن آدم الى عهدكم قال علي رضي الله عنه اولهم آدم يعني ان الصوم عبادة اصلية قديمة ما اخلى الله امة
من افتراضها عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم لعلكم تتقون بالمحافظة عليها وتعظيمها لاصالتها وقدمها او لعلكم تتقون المعاصي لان
الصائم اظلف لنفسه واردع لها من مواقعة السوء قال عليه السلام فان الصوم له وجاء او لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين لان الصوم شعارهم
وقيل معناه انه كصومهم في عدد الايام وهو شهر رمضان كتب على اهل الانجيل فاصابهم موتان فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده فجعلوه
خمسين يوما وقيل كان وقع في البرد الشديد والحر الشديد فشق عليهم في اسفارهم ومعايشهم فجعلوه بين الشتاء والربيع وزادوا
عشرين يوما كفارة لتحويله عن وقته وقيل الايام المعدودات عاشوراء وثلثة ايام من كل شهر كتب على رسول الله صلى الله عليه وسلم
صيامها حين هاجر ثم نسخت بشهر رمضان وقيل كتب عليكم كما كتب عليهم ان يتقوا المفطر بعد ان يصلوا العشاء وبعد ان يناموا
ثم نسخ ذلك بقوله احل لكم ليلة الصيام الآية ومعنى معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل كقوله دراهم معدودة واصله
ان المال القليل يقدر بالعدد ويتحدد والكثير يهال هيلا ويحثى حثيا وانتصاب اياما بالصيام كقولك نويت الخروج يوم
الجمعة او على سفر او راكب سفر فعدة فعليه عدة وقرئ بالنصب بمعنى فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل مكتوب عليهما ان
يفطرا ويصوما عدة من ايام اخر واختلف في المرض المبيح للافطار فمن قائل كل مرض لان الله لم يخص مرضا دون مرض كما لم يخص سفرا
دون سفر فكما ان لكل مسافر ان يفطر فكذلك كل مريض وعن ابن سيرين انه دخل عليه في رمضان وهو ياكل فاعتل بوجع اصبعه وسئل
مالك عن الرجل يصيبه الرمد الشديد او الصداع المضر وليس به مرض يضجعه فقال انه في سعة من الافطار وقائل هو المرض الذي
يعسر معه الصوم ويزيد فيه لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر وعن الشافعي لا يفطر حتى يجهده الجهد غير المحتمل واختلف ايضا
في القضاء فعامة العلماء على التخيير وعن ابي عبيدة الجراح ان الله لم يرخص لكم في فطره وهو يريد ان يشق عليكم في قضائه
ان شئت فواتر وان شئت ففرق وعن علي وابن عمر والشعبي وغيرهم انه يقضي كما فات متتابعا وفي قراءة ابي فعدة من ايام
اخر متتابعات فان قلت فكيف قيل فعدة على التنكير ولم يقل فعدتها اي فعدة الايام المعدودات قلت لما قيل
فعدة والعدة بمعنى المعدود فامر بان يصوم اياما معدودة مكانها علم انه لا يؤتى بعدد على عددها فاغنى ذلك عن التعريف بالاضافة وعلى
الذين يطيقونه وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر لهم ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره عند
اهل العراق وعند اهل الحجاز مد وكان ذلك في بدء الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية
وقرأ ابن عباس يطوقونه تفعيل من الطوق اما بمعنى الطاقة او القلادة اي يكلفونه او يقلدونه ويقال لهم صوموا وعنه يتطوقونه بمعنى
يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بادغام التاء في الطاء ويطيقونه ويطيقونه بمعنى يتطيقونه واصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه
على انهما من فيعل وتفيعل من الطوق فادغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء كقولهم تديّر المكان وما بها ديّار وفيها وجهان احدهما
نحو معنى يطيقونه والثاني يتكلفونه او يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز وحكم هؤلاء الافطار والفدية وهو على
هذا الوجه ثابت غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا معنى يطيقونه اي يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم فمن تطوع خيرا
فزاد على مقدار الفدية فهو خير له فالتطوع اخير له او الخير وقرئ فمن يطوع بمعنى يتطوع وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون
وحملتم على انفسكم وجهدتم طاقتكم خير لكم من الفدية وتطوع الخير ويجوز ان ينتظم في الخطاب المريض والمسافر ايضا وفي قراءة ابي
والصيام خير لكم الرمضان مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف
والنون كما قيل ابن داية للغراب باضافة الابن الى داية البعير لكثرة وقوعه عليها اذا دبرت فان قلت فلم سمي
شهر رمضان قلت الصوم فيه عبادة قديمة فكانهم سموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع ومقاساة شدته كما
سموه ناتقا لانه كان ينتقهم اي يزعجهم اضجارا بشدته عليهم وقيل لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة

جميعا

الى وهو عنها فى نوهذا الشهر ايام من بعض الحرف فان قلت فاذا كانت التسمية وقعت مع المضاف والمضاف اليه فما وجه ما جاء فى الاحاديث
نحو قوله عليه السلام من صام رمضان ايمانا واحتسابا من ادرك رمضان فلم يغفر له قلت هو من باب الحذف لا من باب اللبس كما قال
بما اعيا النطاسي حذيما اراد ابن حذيم وارتفاعه على انه مبتدا خبره الذي انزل فيه القران او على انه بدل من الصيام في قوله كتب عليكم
الصيام او على انه خبر مبتدا محذوف وقرئ بالنصب على صوموا شهر رمضان او على الابدال من اياما معدودات او على انه مفعول وان تصوموا ومعنى
انزل فيه القران ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك في ليلة القدر وقيل انزل جملة الى سماء الدنيا ثم نزل الى الارض نجوما وقيل انزل في شانه القران وهو قوله كتب
عليكم الصيام كما تقول انزل في عمر كذا وفي علي كذا وعن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التوراة لست مضين
والانجيل لثلاث عشرة والقران لاربع وعشرين **هدى للناس وبينات** نصب على الحال اي انزل وهو هداية للناس الى الحق وهو آيات واضحات
مكشوفات مما يهدي الى الحق ويفرق بين الحق والباطل فان قلت ما معنى قوله وبينات من الهدى بعد قوله هدى للناس قلت ذكر اولا
انه هدى ثم ذكر انه بينات من جملة ما هدى به الله وفرق به بين الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى والضلال
فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمن كان شاهدا اي حاضرا مقيما غير مسافر في الشهر فليصم فيه ولا يفطر والشهر منصوب على الظرف وكذلك الهاء
في فليصمه ولا يكون مفعولا به كقولك شهدت الجمعة لان المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقد نفى
عنكم الحرج في الدين وامركم بالحنيفية السمحة التي لا اصر فيها ومن جملة ذلك ما رخص لكم فيه من اباحة الفطر في السفر والمرض ومن الناس من
فرض الفطر على المريض والمسافر حتى زعم ان من صام منهما فعليه الاعادة وقرئ اليسر والعسر بضمتين ولتكملوا العدة الفعل المعلل محذوف مدلول عليه
بما سبق تقديره ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون شرع ذلك يعني جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر والمرخص له
بمراعاة عدة ما افطر فيه ومن الترخيص في اباحة الفطر فقوله لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة
الفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وهذا نوع من اللف لطيف المسلك لا يكاد يهتدي الى تبيينه الا النقاب المحدث من علماء
البيان وانما عدي فعل التكبير بعلى لتضمنه معنى الحمد كانه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم ومعنى ولعلكم تشكرون
وارادة ان تشكروا وقرئ ولتكملوا بالتشديد فان قلت هل يصح ان يكون ولتكملوا معطوفا على علة مقدرة كانه قيل لتعلموا ما تعملون و
لتكملوا العدة او على اليسر كانه قيل يريد الله بكم اليسر ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا قلت لا يبعد ذلك والاول اوجه فان قلت
ما المراد بالتكبير قلت تعظيم الله والثناء عليه وقيل هو تكبير يوم الفطر وقيل هو التكبير عند الاهلال فاني قريب تمثيل لحاله في سهولة
اجابته لمن دعاه وسرعة انجاحه حاجة من سأله بحال من قرب مكانه فاذا دعي اسرعت تلبيته ونحوه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقوله صلى الله
عليه وسلم هو بينكم وبين اعناق رواحلكم وروي ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت فليستجيبوا
لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اني اجيبهم اذا دعوني لحوائجهم وقرئ يرشدون ويرشدون بفتح الشين وكسرها كان الرجل اذا امسى حل له الاكل
والشرب والجماع الى ان يصلي العشاء الاخرة او يرقد فاذا صلاها او رقد ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنساء الى القابلة ثم ان عمر
رضي الله عنه واقع اهله بعد صلاة العشاء الاخرة فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله اني اعتذر الى الله واليك
من نفسي هذه الخاطئة واخبره بما فعل فقال عليه السلام ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء الاخرة فنزلت
وقرئ احل لكم ليلة الصيام الرفث اي احل الله وقرأ عبد الله الرفوث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه كلفظ النيك وقد ارفث الرجل وعن ابن
عباس انه انشد وهو محرم وهن يمشين بنا هميسا ان تصدق الطير ننك لميسا فقيل له ارفثت فقال انما الرفث ما كان عند النساء
وقال الله تعالى فلا رفث ولا فسوق وكنى عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من شيء من ذلك فان قلت لم كنى عنه ههنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح
خلاف قوله وقد افضى بعضكم الى بعض فلما تغشاها باشروهن او لامستم النساء دخلتم بهن فأتوا حرثكم من قبل ان تمسوهن فما استمتعتم به منهن ولا تقربوهن
قلت استهجانا لما وجد منهم قبل الاباحة كما سماه اختيانا لانفسهم فان قلت لم عدي بالى قلت لتضمينه معنى الافضاء
لما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه شبه باللباس المشتمل عليه قال الجعدي
اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا فان قلت ما معنى قوله هن لباس لكم قلت هو استئناف

كالبيان

يصوم الشهر ح
الكشف

كالبيان لسبب الاحلال وهو انه اذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذلك رخص
لكم في مباشرتهن **تختانون انفسكم** تظلمونها وتنقصونها حظها من الخير والاختيان من الخيانة كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة
فتاب عليكم حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قسم الله لكم واثبت في اللوح من الولد بالمباشرة اي لا
تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع الله له النكاح من التناسل وقيل هو نهي عن العزل لانه في الحرائر وقيل وابتغوا المحل
الذي كتب الله لكم وحلله دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرم وعن قتادة وابتغوا ما كتب الله لكم من الاباحة بعد الحظر وعن ابن عباس
واتبعوا وقرأ الاعمش واتوا وقيل معناه واطلبوا ليلة القدر وما كتب الله لكم من الثواب ان اصبتموها وقمتموها وهو قريب من بدع التفاسير
الخيط الابيض اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق كالخيط الممدود والخيط الاسود ما يمتد معه من غبش الليل شبها بخيطين
ابيض واسود قال ابو دواد فلما اضاءت لنا سدفة ولاح من الصبح خيط انارا وقوله من الفجر بيان
للخيط الابيض واكتفى به عن بيان الخيط الاسود لان بيان احدهما بيان للثاني ويجوز ان يكون من للتبعيض لانه بعض الفجر واوله
فان قلت اهذا من باب الاستعارة ام من باب التشبيه قلت قوله من الفجر اخرجه من باب الاستعارة كما ان قولك رايت
اسدا مجاز فاذا زدت من فلان رجع تشبيها فان قلت فلم زيد من الفجر حتى كان تشبيها وهلا اقتصر به على الاستعارة التي هي
ابلغ من التشبيه وادخل في الفصاحة قلت لان من شرط المستعار ان يدل عليه الحال او الكلام ولو لم يذكر من الفجر لم يعلم ان
الخيطين مستعاران فزيد من الفجر فكان تشبيها بليغا وخرج من ان يكون استعارة فان قلت كيف التبس على عدي بن حاتم
مع هذا البيان حتى قال عمدت الى عقالين ابيض واسود فجعلتهما تحت وسادتي فكنت اقوم من الليل فانظر اليهما فلا يتبين لي الابيض من
الاسود فلما اصبحت غدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فضحك وقال ان كان وسادك لعريضا وروي انك لعريض القفا
انما ذاك بياض النهار وسواد الليل قلت غفل عن البيان ولذلك عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قفاه لانه مما يستدل به على بلاهة
الرجل وقلة فطنته وانشدتني بعض البدويات لبدوي عريض القفا ميزانه في شماله قد انحص من حسب القراريط شاربه
فان قلت فما تقول فيما روي عن سهل بن سعد الساعدي ان الاية نزلت ولم ينزل من الفجر وكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط احدهم في
رجله الخيط الابيض والخيط الاسود فلا يزال ياكل ويشرب حتى يتبينا له فنزل بعد ذلك من الفجر فعلموا انما يعني بذلك الليل والنهار
وكيف جاز تاخير البيان وهو يشبه العبث حيث لا يفهم منه المراد فليس باستعارة لفقد الدلالة ولا بتشبيه قبل ذكر الفجر فلا يفهم
منه اذن الا الحقيقة وهي غير مرادة قلت اما من لا يجوز تأخير البيان وهم اكثر الفقهاء والمتكلمين وهو مذهب ابي علي وابي هاشم
فلم يصح عندهم هذا الحديث واما من يجوزه فيقول ليس بعبث لان المخاطب يستفيد منه وجوب الخطاب ويعزم على فعله اذا استوضح المراد
به ثم اتموا الصيام الى الليل قالوا فيه دليل على جواز النية بالنهار في صوم رمضان وعلى جواز تأخير الغسل الى الفجر وعلى نفي صوم
الوصال عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف ان يحبس نفسه في المسجد يتعبد فيه والمراد بالمباشرة الجماع لتقدم قوله
احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم فالان باشروهن وقيل معناه ولا تلامسوهن بشهوة والجماع يفسد الاعتكاف وكذا اذا لمس
او قبل فانزل وعن قتادة كان الرجل اذا اعتكف فخرج فباشر امرأته ثم رجع الى المسجد فنهاهم الله عن ذلك وقالوا فيه دليل على ان الاعتكاف
لا يكون الا في مسجد وانه لا يختص به مسجد دون مسجد وقيل لا يجوز الا في مسجد نبي وهو احد المساجد الثلاثة وقيل في مسجد جامع والعامة
على انه في مسجد جماعة وقرأ مجاهد في المسجد تلك الاحكام التي ذكرت حدود الله فلا تقربوها فلا تغشوها فان قلت كيف
قيل فلا تقربوها مع قوله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله قلت من كان في طاعة الله والعمل بشرائعه فهو متصرف في حيز الحق
فنهي ان يتعداه لان من تعداه وقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهي ان يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل لئلا يداني
الباطل وان يكون في الواسطة متباعدا عن الطرف فضلا ان يتخطاه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه
فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه فالرتع حول الحمى وقربان حيزه واحد ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه خصوصا لقوله
ولا تباشروهن وهي حدود لا تقرب ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل بالوجه الذي لم يبحه الله ولم يشرعه ولا تدلوا بها ولا تلقوا امرها

ولا تدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا بالتحاكم فريقاً طائفة من أموال الناس بالإثم بشهادة الزور أو باليمين الكاذبة أو بالصلح مع العلم بأن المقضي له ظالم وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال للخصمين إنما أنا بشر وأنتم تختصمون إليّ ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذن منه شيئاً فإنما أقطع له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه وقيل وتدلوا بها وتلقوا بعضها إلى حكام السوء على وجه الرشوة وتدلوا مجزوم داخل في حكم النهي أو منصوب بإضمار أن كقوله وتكتموا الحق وأنتم تعلمون أنكم على الباطل وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها أقبح وصاحبه أحق بالتوبيخ روي أن معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الأنصاري قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقاً مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ لا يكون على حالة واحدة فنزلت مواقيت معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدد نسائهم وأيام حيضهن ومدد حملهن وغير ذلك ومعالم للحج يعرف بها وقته وكان ناس من الأنصار إذا أحرموا لم يدخل أحد منهم حائطاً ولا داراً ولا فسطاطاً من باب فإن كان من أهل المدر نقب نقباً في ظهر بيته منه يدخل ويخرج أو يتخذ سلماً يصعد فيه وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخباء فقيل لهم ليس البر بتحرجكم من دخول الباب ولكن البر بر من اتقى ما حرم الله فإن قلت ما وجه اتصاله بما قبله قلت كأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الأهلة وعن الحكمة في نقصانها وتمامها معلوم أن كل ما يفعله الله عز وعلا لا يكون إلا حكمة بالغة ومصلحة لعباده فدعوا السؤال عنه وانظروا في واحدة تفعلونها أنتم مما ليس من البر في شيء وأنتم تحسبونها براً ويجوز أن يجري ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر أنها مواقيت للحج لأنه كان من أفعالهم في الحج ويحتمل أن يكون هذا تمثيلاً لتعكيسهم في سؤالهم وأن مثلهم فيه كمثل من يترك باب البيت ويدخله من ظهره والمعنى ليس البر وما ينبغي أن تكونوا عليه بأن تعكسوا في مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله ثم قال وأتوا البيوت من أبوابها أي وباشروا الأمور من وجوهها التي يجب أن تباشر عليها ولا تعكسوا والمراد وجوب توطين النفوس وربط القلوب على أن جميع أفعال الله حكمة وصواب من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسأل عنه لما في السؤال من الاتهام بمقارفة الشك لا يسأل عما يفعل وهم يسألون المقاتلة في سبيل الله هو الجهاد لإعلاء كلمة الله وإعزاز الدين الذين يقاتلونكم الذين يناجزونكم القتال دون المحاجزين وعلى هذا يكون منسوخاً بقوله وقاتلوا المشركين كافة وعن الربيع بن أنس هي أول آية نزلت في القتال بالمدينة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتل ويكف عمن كف أو الذين يناصبونكم القتال دون من ليس من أهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء أو الكفرة كلهم لأنهم جميعاً مضادون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم فهم في حكم المقاتلة قاتلوا أو لم يقاتلوا وقيل لما صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على أن يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة أيام فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون أن لا يفي لهم ويصدوهم ويقاتلوهم في الحرم وفي الشهر الحرام وكرهوا ذلك نزلت وأطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم منهم في الحرم والشهر الحرام ورفع عنهم الجناح في ذلك ولا تعتدوا بابتداء القتال أو بقتال من نهيتم عن قتاله من النساء والشيوخ والصبيان والذين بينكم وبينهم عهد أو بالمثلة أو بالمفاجأة من غير دعوة ثقفتموهم وجدتموهم والثقف وجود على وجه الأخذ والغلبة ومنه رجل ثقف سريع الأخذ لأقرانه قال فإما تثقفوني فاقتلوني فمن أثقف فليس إلى خلود من حيث أخرجوكم أي من مكة وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن لم يسلم منهم يوم الفتح والفتنة أشد من القتل أي المحنة والبلاء الذي ينزل بالإنسان يتعذب به أشد عليه من القتل وقيل لبعض الحكماء ما أشد من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت جعل الإخراج من الوطن من الفتن والمحن التي يتمنى عندها الموت ومنه قول القائل لقتل بحد السيف أهون موقعاً على النفس من قتل بحد فراق وقيل الفتنة عذاب الآخرة ذوقوا فتنتكم وقيل الشرك أعظم من القتل في الحرم وذلك أنهم كانوا يستعظمون القتل في الحرم ويعيبون به المسلمين فقيل والشرك الذي هم عليه أشد وأعظم مما يستعظمونه ويجوز أن يراد وفتنتهم إياكم بصدكم عن المسجد الحرام أشد من قتلكم إياهم في الحرم أو من قتلهم إياكم إن قتلوكم فلا تبالوا بقتالهم وقرئ ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فإن قتلوكم جعل وقوع القتل في بعضهم كوقوعه فيهم يقال قتلتنا بنو فلان وقال فإن تقتلونا نقتلكم فإن انتهوا عن الشرك والقتال كقوله إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف حتى لا تكون فتنة أي شرك ويكون الدين لله خالصاً ليس للشيطان فيه نصيب فإن انتهوا عن الشرك فلا عدوان إلا على الظالمين فلا تعدوا على المنتهين

المنتهين لأن مقاتلة المنتهين عدوان وظلم فوضع قوله إلا على الظالمين موضع على المنتهين أو فلا تظلموا إلا الظالمين غير المنتهين سمى جزاء الظالمين ظلماً للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه أو أريد أنكم إن تعرضتم لهم بعد الانتهاء كنتم ظالمين فيسلط عليكم من يعدو عليكم قاتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك في ذي القعدة الشهر الحرام بالشهر الحرام أي هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه يعني تهتكون حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم والحرمات قصاص أي وكل حرمة يجري فيها القصاص من هتك حرمة أي حرمة كانت اقتص منه بأن تهتك له حرمة فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك ولا تبالوا وأكد ذلك بقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله في حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم فلا تعتدوا إلى ما لا يحل لكم الباء في بأيديكم مزيدة مثلها في أعطى بيده للمنقاد والمعنى ولا تقبضوا التهلكة أيديكم أي لا تجعلوها آخذة بأيديكم مالكة لكم وقيل بأيديكم بأنفسكم وقيل تقديره ولا تلقوا أنفسكم بأيديكم كما يقال أهلك فلان نفسه بيده إذا تسبب لهلاكها والمعنى النهي عن ترك الإنفاق في سبيل الله لأنه سبب الهلاك أو عن الإسراف في النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع عياله أو عن الاستقتال والإخطار بالنفس أو عن ترك الغزو الذي هو تقوية للعدو وروي أن رجلاً من المهاجرين حمل على صف العدو فصاح به الناس ألقى بيده إلى التهلكة فقال أبو أيوب الأنصاري نحن أعلم بهذه الآية وإنما أنزلت فينا صحبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشهدنا معه المشاهد وآثرناه على أهالينا وأموالنا وأولادنا فلما فشا الإسلام وكثر أهله ووضعت الحرب أوزارها رجعنا إلى أهالينا وأولادنا وأموالنا نصلحها ونقيم فيها فكانت التهلكة الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد وحكى أبو علي في الحلبيات عن أبي عبيدة التهلكة والهلاك والهلك واحد قال فدل هذا من قول أبي عبيدة على أن التهلكة مصدر ومثله ما حكاه سيبويه من قولهم التضرة والتسرة ونحوها في الأعيان التنضبة والتتفلة ويجوز أن يقال أصلها التهلكة كالتجربة والتبصرة ونحوهما على أنها مصدر من هلك فأبدلت من الكسرة ضمة كما جاء الجوار في الجوار وأتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما تامين كاملين بمناسكهما وشرائطهما لوجه الله من غير توان ولا نقصان يقع منكم فيهما قال تمام الحج أن تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام جعل الوقوف عليها كبعض مناسك الحج الذي لا يتم إلا به وقيل إتمامهما أن تحرم بهما من دويرة أهلك روي ذلك عن علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وقيل أن تفرد لكل واحد منهما سفراً كما قال محمد حجة كوفية وعمرة كوفية أفضل وقيل أن تكون النفقة حلالاً وقيل أن تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشيء من التجارة والأغراض الدنيوية فإن قلت هل فيه دليل على وجوب العمرة قلت ما هو إلا أمر بإتمامهما ولا دليل في ذلك على كونهما واجبين أو تطوعين فقد يؤمر بإتمام الواجب والتطوع جميعاً إلا أن تقول الأمر بإتمامهما أمر بأدائهما بدليل قراءة من قرأ وأقيموا الحج والعمرة والأمر للوجوب في أصله إلا أن يدل دليل على خلاف الوجوب كما دل في قوله فاصطادوا فانتشروا ونحو ذلك فيقال لك فقد دل الدليل على نفي الوجوب وهو ما روي أنه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن أن تعتمر خير لك وعنه الحج جهاد والعمرة تطوع فإن قلت فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه إن العمرة لقرينة الحج وعن عمر رضي الله عنه أن رجلاً قال له إني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي أهللت بهما جميعاً فقال هديت لسنة نبيك ونظمت مع الحج في الأمر بالإتمام فكانت واجبة مثل الحج قلت كونها قرينة للحج أن القارن يقرن بينهما وأنهما يقترنان في الذكر فيقال حج فلان واعتمر والحجاج والعمار ولأنها الحج الأصغر ولا دليل في ذلك على كونها قرينة له في الوجوب وأما حديث عمر فقد فسر الرجل كونهما مكتوبين عليه بقوله أهللت بهما وإذا أهل بالعمرة وجبت عليه كما إذا كبر بالتطوع من الصلاة والدليل الذي ذكرنا أخرج العمرة من صفة الوجوب فبقي الحج وحده فيها فهما بمنزلة قولك صم شهر رمضان وستة من شوال في أنك تأمره بفرض وتطوع وقرأ علي وابن مسعود والشعبي والعمرة لله بالرفع كأنهم قصدوا بذلك إخراجها عن حكم الحج وهو الوجوب فإن أحصرتم يقال أحصر فلان إذا منعه أمر من خوف أو مرض أو عجز قال الله تعالى الذين أحصروا في سبيل الله وقال ابن ميادة وما هجر ليلى أن تكون تباعدت عليك ولا أن أحصرتك شغول وحصر إذا حبسه عدو عن المضي أو سجن ومنه قيل للمحبس الحصير وللملك الحصير لأنه محجوب هذا هو الأكثر في كلامهم وهما بمعنى المنع في كل شيء مثل صده وأصده وكذلك قال الفراء وأبو عمرو الشيباني وعلى قول أبي حنيفة رحمه الله كل منع عنده من عدو كان أو مرض أو غيرهما معتبر في إثبات حكم الإحصار وعند مالك والشافعي منع العدو وحده وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كسر أو عرج فقد حل وعليه الحج من قابل فما استيسر من الهدي فما تيسر منه يقال يسر الأمر واستيسر كما يقال صعب واستصعب والهدي

... كالمهامل في جنب ... وقرئ من الهدي بالتشديد جمع هدية كمطية ومطي يعني فإن منعتم من المضي إلى البيت وأنتم محرمون
بحج أو عمرة فعليكم إذا أردتم التحلل ما استيسر من الهدي من بعير أو بقرة أو شاة. فإن قلت: أين ومتى ينحر هدي المحصر؟ قلت:
إن كان حاجًا فبالحرم متى شاء عند أبي حنيفة رحمه الله يبعث به ويجعل للمبعوث على يديه يوم أمار، وعندهما في أيام النحر، وإن كان معتمرًا فبالحرم في كل وقت
عندهم جميعًا. ما استيسر رفع بالابتداء أي فعليه ما استيسر، أو نصب على فاهدوا ما استيسر. ولا تحلقوا رؤوسكم الخطاب للمحصرين أي لا
تحلوا حتى تعلموا أن الهدي الذي بعثتموه إلى الحرم بلغ محله أي مكانه الذي يجب نحره فيه ومحل الدين وجوب قضائه وهو ظاهر على
مذهب أبي حنيفة رحمه الله. فإن قلت: إن النبي صلى الله عليه وسلم نحر هديه حيث أحصر. قلت: كان محصره طرف الحديبية
الذي إلى أسفل مكة وهو من الحرم، وعن الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر هديه في الحرم، وقال الواقدي: الحديبية هي طرف الحرم على تسعة
أميال من مكة. فمن كان منكم مريضًا فمن كان به مرض يحوجه إلى الحلق أو به أذى من رأسه وهو القمل والجراحة فعليه إذا احتلق
فدية من صيام ثلاثة أيام أو صدقة على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر أو نسك وهو شاة. وعن كعب بن عجرة أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال له: لعلك آذاك هوامك؟ قال: نعم يا رسول الله. قال: احلق وصم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين أو انسك شاة. وكان كعب يقول: فيّ
نزلت هذه الآية. وروي أنه مر به وقد قرح رأسه فقال: كفى بهذا أذى، وأمره أن يحلق ويطعم أو يصوم. والنسك مصدر، وقيل جمع نسيكة
وقرأ الحسن: أو نسك بالتخفيف. فإذا أمنتم الإحصار يعني فإذا لم تحصروا وكنتم في حال أمن وسعة. فمن تمتع فمن استمتع بالعمرة. واستمتاعه
بالعمرة إلى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها إلى الله قبل الانتفاع بتقربه بالحج. وقيل: إذا حل من عمرته انتفع باستباحة ما كان محرمًا عليه إلى أن
يحرم بالحج. فما استيسر من الهدي فهو هدي المتعة وهو نسك عند أبي حنيفة ويأكل منه، وعند الشافعي رحمه الله يجري مجرى الجنايات ولا يأكل منه
ويذبحه يوم النحر عندنا، وعنده يجوز ذبحه إذا أحرم بحجته. فمن لم يجد الهدي فعليه صيام ثلاثة أيام في الحج في وقته وهو أشهره ما بين
الإحرامين إحرام العمرة وإحرام الحج وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله، والأفضل أن يصوم يوم التروية وعرفة ويومًا قبلهما، وإن مضى هذا الوقت
لم يجزه إلا الدم. وعند الشافعي لا تصام إلا بعد الإحرام بالحج تمسكًا بظاهر قوله في الحج. وسبعة إذا رجعتم بمعنى إذا نفرتم وفرغتم من أفعال
الحج عند أبي حنيفة، وعند الشافعي هو الرجوع إلى أهاليهم. وقرأ ابن أبي عبلة: وسبعة بالنصب عطفًا على محل ثلاثة أيام كأنه قيل فصيام ثلاثة
أيام كقوله: أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيمًا. فإن قلت: ما فائدة الفذلكة؟ قلت: الواو قد تجيء للإباحة في نحو قولك: جالس
الحسن أو ابن سيرين، ألا ترى أنه لو جالسهما جميعًا أو واحدًا منهما كان ممتثلًا، ففذلكت نفيًا لتوهم الإباحة، وأيضًا ففائدة الفذلكة في كل
حساب أن يعلم العدد جملة كما علم تفصيلًا ليحاط به من جهتين فيتأكد العلم، وفي أمثال العرب: علمان خير من علم، وكذلك كاملة
تأكيد آخر، وفيه زيادة توصية بصيامها وأن لا يتهاون بها ولا ينقص من عددها، كما تقول للرجل إذا كان لك اهتمام بأمر تأمره به وكان منك
بمنزل: الله الله لا تقصر. وقيل كاملة في وقوعها بدلًا من الهدي، وفي قراءة أبي: فصيام ثلاثة أيام متتابعات. ذلك إشارة إلى التمتع عند
أبي حنيفة وأصحابه، لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عندهم، ومن تمتع منهم أو قرن كان عليه دم وهو دم جناية لا يأكل منه. وأما القارن
والمتمتع من أهل الآفاق فدمهما دم نسك يأكلان منه. وعند الشافعي إشارة إلى الحكم الذي هو وجوب الهدي أو الصيام، ولم يوجب عليهم شيئًا
وحاضرو المسجد الحرام أهل المواقيت فمن دونها إلى مكة عند أبي حنيفة، وعند الشافعي أهل الحرم ومن كان من الحرم على مسافة لا تقصر فيها الصلاة
واتقوا الله في المحافظة على حدوده وما أمركم به ونهاكم عنه في الحج وغيره، واعلموا أن الله شديد العقاب لمن خالف ليكون علمكم بشدة
عقابه لطفًا لكم في التقوى. الحج أشهر أي وقت الحج أشهر، كقولك البرد شهران. والأشهر المعلومات شوال وذو القعدة وعشر من ذي
الحجة عند أبي حنيفة، وعند الشافعي تسع من ذي الحجة وليلة يوم النحر، وعند مالك ذو الحجة كله. فإن قلت: ما فائدة توقيت الحج بهذه
الأشهر؟ قلت: فائدته أن شيئًا من أفعال الحج لا يصح إلا فيها، والإحرام بالحج لا ينعقد أيضًا عند الشافعي في غيرها، وعند أبي حنيفة
ينعقد إلا أنه مكروه. فإن قلت: فكيف كان الشهران وبعض الثالث أشهرًا؟ قلت: اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله
تعالى: فقد صغت قلوبكما، فلا سؤال فيه إذن، وإنما كان يكون موضعًا للسؤال لو قيل ثلاثة أشهر معلومات، وقيل نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال
رأيتك سنة كذا أو على عهد فلان، ولعل العهد عشرون سنة أو أكثر وإنما رآه في ساعة منها. فإن قلت: ما وجه مذهب مالك وهو مروي
عن

عن عروة بن الزبير. قلت: قالوا وجهه أن العمرة غير مستحبة فيها عند عمر وابن عمر فكأنها مخلصة للحج لا مجال فيها للعمرة
وعن عمر أنه كان يخفق الناس بالدرة وينهاهم عن العمرة فيهن، وعن ابن عمر أنه قال لرجل: إن أطعتني انتظرت حتى إذا أهللت المحرم خرجت إلى
ذات عرق فأهللت منها بعمرة. وقالوا: العمل بمذهب عروة جواز تأخير طواف الزيارة إلى آخر الشهر. معلومات معروفات عند الناس
لا يشكلن عليهم، وفيه أن الشرع لم يأت على خلاف ما عرفوه وإنما جاء مقررًا له. فمن فرض فيهن الحج فمن ألزم نفسه بالتلبية أو بتقليد الهدي
وسوقه عند أبي حنيفة، وعند الشافعي بالنية. فلا رفث فلا جماع أو فلا فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشريعة
وقيل هو السباب والتنابز بالألقاب ولا جدال ولا مراء مع الرفقاء والخدم والمكارين، وإنما أمر باجتناب ذلك وهو واجب
الاجتناب في كل حال لأنه مع الحج أسمج كلبس الحرير في الصلاة والتطريب في قراءة القرآن، والمراد بالنفي وجوب انتفائها وأنها حقيقة بأن لا تكون
وقرئ المنفيات الثلاث بالنصب وبالرفع، وقرأ أبو عمرو وابن كثير الأولين بالرفع والآخر بالنصب لأنهما حملا الأولين على معنى النهي كأنه
قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق، والثالث على معنى الإخبار بانتفاء الجدال كأنه قيل ولا خلاف في الحج، وذلك أن قريشًا كانت تخالف سائر العرب
فتقف بالمشعر الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة، وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرونه سنة وهو النسيء، فرد إلى وقت واحد ورد الوقوف
إلى عرفة، فأخبر الله أنه قد ارتفع الخلاف في الحج. واستدل على أن المنهي عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال بقوله عليه السلام: من حج فلم يرفث
ولم يفسق خرج كهيئة يوم ولدته أمه، وأنه لم يذكر الجدال. وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقيب النهي عن الشر، وأن يستعملوا
مكان القبيح من الكلام الحسن، ومكان الفسوق البر والتقوى، ومكان الجدال الوفاق والأخلاق الجميلة، أو جعل فعل الخير عبارة
عن ضبط أنفسهم حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه، وينصره قوله: وتزودوا فإن خير الزاد التقوى، أي اجعلوا زادكم إلى الآخرة اتقاء القبائح فإن
خير الزاد اتقاؤها. وقيل: كان أهل اليمن لا يتزودون ويقولون: نحن متوكلون، نحن نحج بيت الله أفلا يطعمنا، فيكونون كلًا على الناس
فنزلت فيهم، ومعناه: وتزودوا واتقوا الاستطعام وإبرام الناس والتثقيل عليهم فإن خير الزاد التقوى. واتقون يا أولي الألباب
يعني أن قضية اللب تقوى الله، ومن لم يتقه من الألباء فكأنه لا لب له. فضلًا من ربكم عطاء منه وتفضلًا وهو النفع والربح بالتجارة
وكان ناس من العرب يتأثمون أن يتجروا أيام الحج، وإذا دخل العشر كفوا عن البيع والشراء فلم تقم لهم سوق، ويسمون من يخرج بالتجارة
الداج ويقولون: هؤلاء الداج وليسوا بالحاج. وقيل: كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها أيام الموسم وكانت
معايشهم منها، فلما جاء الإسلام تأثموا فرفع عنهم الجناح في ذلك وأبيح لهم، وإنما يباح ما لم يشغل عن العبادة. وعن ابن عمر أن رجلًا قال له:
إنا قوم نكرى في هذا الوجه وإن قومًا يزعمون أن لا حج لنا، فقال: سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سألت فلم يرد عليه حتى نزل ليس عليكم
جناح فدعا به فقال: أنتم حجاج. وعن عمر رضي الله عنه أنه قيل له: هل كنتم تكرهون التجارة في الحج؟ فقال: وهل كانت معايشنا إلا من التجارة
في الحج. وقرأ ابن عباس: فضلًا من ربكم في مواسم الحج. أن تبتغوا في أن تبتغوا. أفضتم دفعتم بكثرة، وهو من إفاضة الماء وهو صبه بكثرة، وأصله
أفضتم أنفسكم، فترك ذكر المفعول كما ترك في دفعوا من موضع كذا وصبوا، وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه: صب في دقران وهو يحرش بعيره
بمحجنه، ويقال: أفاضوا في الحديث وهضبوا فيه. وعرفات علم للموقف سمي بجمع كأذرعات. فإن قلت: هلا منعت الصرف
وفيها السببان التعريف والتأنيث؟ قلت: لا يخلو التأنيث إما أن يكون بالتاء التي في لفظها، وإما بتاء مقدرة كما في سعاد، فالتي في
لفظها ليست للتأنيث وإنما هي مع الألف التي قبلها علامة جمع المؤنث، ولا يصح تقدير التاء فيها لأن هذه التاء لاختصاصها بجمع المؤنث مانعة
من تقديرها، كما لا تقدر تاء التأنيث في بنت لأن التاء التي هي بدل من الواو لاختصاصها بالمؤنث كتاء التأنيث فأبت تقديرها
وقالوا: سميت بذلك لأنها وصفت لإبراهيم عليه السلام فلما أبصرها عرفها، وقيل: إن جبريل كان يدور به في المشاعر فأراه إياها فقال: قد عرفت
وقيل: التقى فيها آدم وحواء فتعارفا، وقيل: لأن الناس يتعارفون فيها، والله أعلم بحقيقة ذلك. وهي من الأسماء المرتجلة لأن العرفة لا تعرف
في أسماء الأجناس إلا أن تكون جمع عارفة. وقيل: فيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة لأن الإفاضة لا تكون إلا بعده. وعن النبي صلى الله عليه وسلم:
الحج عرفة، من أدرك عرفة فقد أدرك الحج. فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء والدعوات، وقيل بصلاة المغرب والعشاء
والمشعر الحرام قزح، وهو الجبل الذي يقف عليه الإمام وعليه الميقدة، وقيل: المشعر الحرام ما بين جبلي المزدلفة من مأزمي عرفة إلى وادي محسر

المشعر الحرام والمحصب انه الحرام ... وعن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا
وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وقوله تعالى عند المشعر الحرام معناه مما يلي المشعر الحرام قريبا منه وذلك للفضل كالقرب من جبل الرحمة
والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر او جعلت اعقاب المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة به عند المشعر والمشعر المعلم لانه
معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته وعن ابن عباس رضي الله عنه انه نظر الى الناس ليلة جمع فقال لقد ادركت الناس هذه الليلة لا ينامون
وقيل سميت المزدلفة وجمعا لان آدم اجتمع فيها مع حواء وازدلف اليها اي دنا منها وعن قتادة لانه يجمع فيها بين الصلاتين ويجوز ان يقال وصفت
بفعل اهلها لانهم يزدلفون الى الله اي يتقربون بالوقوف فيها كما هداكم ما مصدرية او كافة والمعنى اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة
او اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه ولا تعدلوا عنه وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة ثم افيضوا ثم لتكن افاضتكم من حيث افاض
الناس لا من المزدلفة وذلك لما كان عليه الحمس من الترفع على الناس والتعالي عليهم وتعظمهم عن ان يساووهم في الموقف وقولهم نحن اهل الله وقطان
حرمه فلا نخرج منه فيقفون بجمع وسائر الناس بعرفات فان قلت فكيف موقع ثم قلت نحو موقعها في قولك احسن الى
الناس ثم لا تحسن الى غير كريم تأتي بثم لتفاوت ما بين الاحسان الى الكريم والاحسان الى غيره وبعد ما بينهما فكذلك حين امرهم بالذكر عند
الافاضة من عرفات قال ثم افيضوا لتفاوت ما بين الافاضتين وان احداهما صواب والثانية خطا وقيل ثم افيضوا من حيث افاض الناس ... وهم
اي من المزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفات وقرئ من حيث افاض الناس بكسر السين اي الناسي وهو آدم من قوله ولقد عهدنا الى آدم
من قبل فنسي يعني ان الافاضة من عرفات شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا الله من مخالفتكم في الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم
فاذا قضيتم مناسككم فاذا فرغتم من عباداتكم الحجية ونفرتم فاذكروا الله كذكركم آباءكم فاكثروا ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون في
ذكر آبائكم ومفاخرهم وايامهم وكانوا اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيعددون فضائل آبائهم ويذكرون محاسن ايامهم
او اشد ذكرا في موضع جر عطفا على ما اضيف اليه الذكر في قوله كذكركم كما تقول كذكر قريش آباءهم او قوم اشد منهم ذكرا او في موضع
نصب عطفا على آباءكم بمعنى او اشد ذكرا من آبائكم على ان ذكرا من فعل المذكور فمن الناس من يقول معناه اكثروا ذكر الله ودعاءه فان الناس
من بين مقل لا يطلب بذكر الله الا اغراض الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين فكونوا من المكثرين آتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا ومنحتنا
اي اعطنا في الدنيا خاصة وما له في الآخرة من خلاق اي من طلب خلاق وهو النصيب او ما له في الآخرة من نصيب لان همه
مقصور على الدنيا والحسنتان ما هو طلبة الصالحين في الدنيا من الصحة والكفاف والتوفيق في الخير وطلبتهم في الآخرة من الثواب وعن
علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء اولئك الداعون بالحسنتين
لهم نصيب مما كسبوا اي نصيب من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة او من اجل ما كسبوا كقوله
مما خطيئاتهم اغرقوا او لهم نصيب مما دعوا به نعطيهم ما يستوجبونه بحسب مصالحهم في الدنيا واستحقاقهم في الآخرة وسمى الدعاء كسبا
لانه من الاعمال والاعمال موصوفة بالكسب بما كسبت ايديكم ويجوز ان يكون اولئك للفريقين وان لكلا الفريقين نصيبا من جنس ما كسبوا والله
سريع الحساب يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب العباد فبادروا اكثار الذكر وطلب الآخرة او وصف نفسه بسرعة حساب
الخلائق على كثرة عددهم وكثرة اعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر منه روي انه يحاسب الخلق في قدر حلب شاة
وروي في مقدار فواق ناقة وروي في مقدار لمحة الايام المعدودات ايام التشريق وذكر الله فيها التكبير في ادبار الصلوات وعند
الجمار وعن عمر رضي الله عنه انه كان يكبر في فسطاطه بمنى فيكبر من حوله حتى يكبر الناس في الطريق وفي الطواف فمن تعجل فمن عجل
في النفر او استعجل النفر وتعجل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل في الامر واستعجل ومتعديين يقال تعجل الذهاب واستعجله
والمطاوعة اوفق لقوله ومن تأخر كما هي كذلك في قوله قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل
لاجل المتأني في يومين بعد يوم النحر يوم القر وهو الذي يسميه اهل مكة يوم الرؤوس واليوم بعده ينفر اذا فرغ من رمي الجمار كما يفعل
الناس اليوم وهو مذهب الشافعي ويروى عن قتادة وعند ابي حنيفة واصحابه ينفر قبل طلوع الفجر ومن تأخر حتى رمى في اليوم الثالث والرمي
في اليوم الثالث يجوز تقديمه على الزوال عند ابي حنيفة وعند الشافعي لا يجوز فان قلت كيف قال فلا اثم عليه عند التعجل والتأخر جميعا
قلت

قلت دلالة على ان التعجل والتأخر مخير فيهما كأنه قيل فتعجلوا او تأخروا فان قلت اليس التأخر بافضل قلت بلى ويجوز ان يقع التخيير
بين الفاضل والافضل كما خير المسافر بين الصوم والافطار وان كان الصوم افضل وقيل ان اهل الجاهلية كانوا فريقين منهم من جعل المتعجل آثما ومنهم من جعل المتأخر
آثما فورد القرآن بنفي المأثم عنهما جميعا لمن اتقى اي ذلك التخيير ونفي الاثم عن المتعجل والمتأخر لاجل الحاج المتقي لئلا يتخالج في قلبه شيء منهما فيحسب
ان احدهما يرهق صاحبه آثام في الاقدام عليه لان ذا التقوى حذر متحرز من كل ما يريبه ولانه هو الحاج على الحقيقة عند الله ثم قال واتقوا الله
ليعبأ بكم ويجوز ان يراد ذلك الذي مر ذكره من احكام الحج وغيره لمن اتقى لانه هو المنتفع به دون من سواه كقوله ذلك خير للذين يريدون وجه
الله ومن الناس من يعجبك قوله اي يروقك ويعظم في قلبك ومنه الشيء العجيب الذي يعظم في النفس وهو الاخنس بن شريق كان رجلا حلو المنطق
اذا لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم الان له القول وادعى انه يحبه وانه مسلم وقال يعلم الله اني صادق وقيل هو عام في المنافقين كانت تحلولي
السنتهم وقلوبهم امر من الصبر فان قلت بم يتعلق قوله في الحياة الدنيا قلت بالقول اي يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا لان
ادعاءه المحبة بالباطل يطلب به حظا من حظوظ الدنيا ولا يريد به الآخرة كما تراد بالايمان الحقيقي والمحبة الصادقة للرسول فكلامه اذن
في الدنيا لا في الآخرة ويجوز ان يتعلق بيعجبك اي قوله حلو فصيح في الدنيا فهو يعجبك ولا يعجبك في الآخرة لما يرهقه في الموقف من الحبسة واللكنة
او لانه لا يؤذن له في الكلام فلا يتكلم حتى يعجبك كلامه ويشهد الله على ما في قلبه من محبتك ومن الاسلام وقرئ ويشهد الله وفي مصحف
ابي ويستشهد الله وهو الد الخصام وهو شديد الجدال والعداوة للمسلمين وفيه كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا فاهلك مواشيهم
واحرق زروعهم والخصام المخاصمة واضافة الالد بمعنى في كقولهم ثبت الغدر او جعل الخصام الدا على المبالغة وقيل الخصام جمع خصم كصعب
وصعاب بمعنى وهو اشد الخصوم خصومة واذا تولى عنك وذهب بعد الانة القول واحلاء المنطق سعى في الارض ليفسد فيها كما
فعل بثقيف واذا تولى واذا كان واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد في الارض باهلاك الحرث والنسل وقيل يظهر الظلم حتى يمنع الله بشؤم
ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل وقرئ ويهلك الحرث والنسل على ان الفعل للحرث والنسل والرفع للعطف على سعى وقرأ الحسن بفتح اللام
وهي لغة نحو ابى يأبى وروي عنه ويهلك على البناء للمفعول اخذته العزة بالاثم من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه
اي حملته العزة التي فيه وحمية الجاهلية على الاثم الذي ينهى عنه والزمته ارتكابه وان لا يخلى عنه ضرارا ولجاجا او على رد قول الواعظ يشري نفسه
يبيعها اي يبذلها في الجهاد وقيل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل وقيل نزلت في صهيب بن سنان اراده المشركون على ترك الاسلام
وقتلوا نفرا كانوا معه فقال لهم انا شيخ كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوا منه ماله
واتى المدينة والله رؤوف بالعباد حيث كلفهم الجهاد فعرضهم لثواب الشهداء السلم بكسر السين وفتحها وقرأ الاعمش بفتح السين واللام
وهو الاستسلام والطاعة اي استسلموا لله واطيعوه كافة لا يخرج احد منكم يده عن طاعته وقيل هو الاسلام والخطاب لاهل الكتاب
لانهم آمنوا بنبيهم وكتابهم او للمنافقين لانهم آمنوا بالسنتهم ويجوز ان يكون كافة حالا من السلم لانها تؤنث كما تؤنث الحرب قال
السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع على ان المؤمنين امروا بان يدخلوا في الطاعات كلها ولا يدخلوا
في طاعة دون طاعة او في شعب الاسلام وشرائعه كلها وان لا يخلوا بشيء منها وعن عبد الله بن سلام انه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقيم
على السبت وان يقرأ من التوراة في صلاته من الليل وكافة من الكف كانهم كفوا ان يخرج منهم احد باجتماعهم فان زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم
البينات اي الحجج والشواهد على ان ما دعيتم الى الدخول فيه هو الحق فاعلموا ان الله عزيز غالب لا يعجزه الانتقام منكم حكيم لا ينتقم الا
بحق وروي ان قارئا قرأ غفور رحيم فسمعه اعرابي فانكره ولم يقرأ القرآن وقال ان كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر
الغفران عند الزلل لانه اغراء عليه وقرأ ابو السمال زللتم بكسر اللام وهما لغتان نحو ظللت وظللت ان يأتيهم الله ان يأتي امره وبأسه كقوله
او يأتي امر ربك فجاءهم بأسنا ويجوز ان يكون المأتي به محذوفا بمعنى ان يأتيهم الله ببأسه او بنقمته للدلالة عليه بقوله فان الله عزيز في ظلل
جمع ظلة وهي ما اظلك وقرئ ظلال وهي جمع ظلة كقلة وقلال او جمع ظل وقرئ والملائكة بالرفع كقوله هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة
وبالجر عطفا على ظلل او على الغمام فان قلت لم يأتيهم العذاب في الغمام قلت لان الغمام مظنة الرحمة فاذا نزل منه العذاب كان
الامر افظع واهول لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اغم كما ان الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اسر فكيف اذا جاء الشر

ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الغيث ومن ثم اشتد على المتفكرين في كتاب
الله قوله وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون. وقضي الأمر وأتم أمر إهلاكهم وتدميرهم وفرغ منه. وقرأ معاذ بن جبل رضي الله عنه
وقضاء الأمر على المصدر المرفوع عطفا على الملائكة. وقرئ ترجع وترجع على البناء للفاعل والمفعول بالتأنيث والتذكير فيهما. سل أمر
للرسول أو لكل أحد وهذا السؤال سؤال تقريع كما يسأل الكفرة يوم القيامة. كم آتيناهم من آية بينة على أيدي أنبيائهم وهي
معجزاتهم أو من آية في الكتب شاهدة على صحة دين الإسلام. ونعمة الله آياته وهي أجل نعمة من الله لأنها أسباب الهدى والنجاة من الضلالة. وتبديلهم
إياها أن الله أظهرها لتكون أسباب هداهم فجعلوها أسباب ضلالتهم كقوله فزادتهم رجسا إلى رجسهم أو حرفوا آيات الكتب الدالة
على دين محمد صلى الله عليه وسلم. فإن قلت كم استفهامية أم خبرية قلت تحتمل الأمرين ومعنى الاستفهام فيه للتقرير. فإن قلت
ما معنى من بعد ما جاءته قلت معناه من بعد ما تمكن من معرفتها أو عرفها كقوله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه لأنه إذا لم يتمكن من معرفتها أو لم يعرفها
فكأنها غائبة عنه. وقرئ ومن يبدل بالتخفيف. المزين هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها في أعينهم بوساوسه وحببها إليهم فلا يريدون غيرها
ويجوز أن يكون الله قد زينها لهم بأن خذلهم حتى استحسنوها وأحبوها أو جعل إمهال المزين تزيينا ويدل عليه قراءة من قرأ زين للذين كفروا الحياة
الدنيا على البناء للفاعل. ويسخرون من الذين آمنوا كانوا يسخرون من المؤمنين الذين لا حظ لهم من الدنيا كابن مسعود وعمار وصهيب وغيرهم أي لا
يريدون غيرها وهم يسخرون ممن لا حظ له فيها أو ممن يطلب غيرها. والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة لأنهم في عليين من السماء وهم في سجين من الأرض أو
حالهم عالية لحالهم لأنهم في كرامة وهم في هوان أو لأنهم عالون عليهم متطاولون يضحكون منهم كما تطاول هؤلاء عليهم في الدنيا ويرون الفضل لهم عليهم
فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون. والله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير يعني أنه يوسع على من توجب الحكمة التوسعة عليه كما
وسع على قارون وغيره فهذه التوسعة عليكم من جهة الله لما فيها من الحكمة وهي استدراجكم بالنعمة ولو كانت كرامة لكان أولياؤه المؤمنون أحق
بها منكم. فإن قلت لم قال من الذين آمنوا ثم قال والذين اتقوا قلت ليريك أنه لا يسعد عنده إلا المؤمن المتقي وليكون بعثا للمؤمنين على
التقوى إذا سمعوا ذلك. كان الناس أمة واحدة متفقين على دين الإسلام فبعث الله النبيين يريد فاختلفوا فبعث الله وإنما حذف لدلالة قوله
ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه عليه. وفي قراءة عبد الله كان الناس أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيين والدليل عليه قوله عز وجل وما كان الناس إلا أمة
واحدة فاختلفوا. وقيل كان الناس أمة واحدة كفارا فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم. والأول الوجه. فإن قلت متى كان الناس أمة واحدة
متفقين على الحق قلت عن ابن عباس أنه كان بين آدم ونوح عشرة قرون على شريعة من الحق فاختلفوا وقيل آدم نوح ومن كان معه في السفينة
وأنزل معهم الكتاب يريد الجنس أو مع كل واحد منهم كتابه. ليحكم الله أو الكتاب أو النبي المنزل عليه فيما اختلفوا فيه في الحق ودين الإسلام
الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق. وما اختلف فيه في الحق إلا الذين أوتوه إلا الذين أوتوا الكتاب المنزل لإزالة الاختلاف أي ازدادوا في الاختلاف لما
أنزل عليهم الكتاب وجعلوا نزول الكتاب سببا في شدة الاختلاف واستحكامه. بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة إنصاف
منهم. ومن الحق بيان لما اختلفوا فيه أي فهدى الله الذين آمنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف. أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها للتقرير وإنكار الحسبان
واستبعاده. ولما ذكر ما كانت عليه الأمم من الاختلاف على النبيين بعد مجيء البينات تشجيعا لرسول الله والمؤمنين على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه
من المشركين وأهل الكتاب لإنكارهم لآياته وعداوتهم له قال لهم على طريقة الالتفات التي هي أبلغ أم حسبتم. ولما فيه معنى التوقع وهي في النفي
نظيرة قد في الإثبات والمعنى أن إتيان ذلك متوقع منتظر. مثل الذين خلوا حالهم التي هي مثل في الشدة. مستهم بيان للمثل وهو استئناف
كأن قائلا قال كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم البأساء. وزلزلوا وأزعجوا إزعاجا شديدا شبيها بالزلزلة بما أصابهم من الأهوال والأفزاع. حتى يقول الرسول
إلى الغاية التي قال الرسول ومن معه فيها متى نصر الله أي بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك ومعناه طلب النصر وتمنيه واستطالة زمان
الشدة. وفي هذه الغاية دليل على تناهي الأمر في الشدة وتماديه في العظم لأن الرسل لا يقادر قدر ثباتهم واصطبارهم وضبطهم لأنفسهم فإذا لم يبق لهم
صبر حتى ضجوا كان ذلك الغاية في الشدة التي لا مطمح وراءها. ألا إن نصر الله قريب على إرادة القول يعني فقيل لهم ذلك إجابة لهم إلى طلبتهم من
عاجل النصر. وقرئ حتى يقول بالنصب على إضمار أن ومعنى الاستقبال لأن أن علم له وبالرفع على أنه في معنى الحال كقولك شربت الإبل حتى يجيء البعير
يجر بطنه إلا أنها حال ماضية محكية. فإن قلت كيف طابق الجواب السؤال في قوله قل ما أنفقتم وهم قد سألوا عن بيان ما ينفقون وأجيبوا
ببيان

ببيان المصرف قلت قد تضمن قوله ما أنفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبني الكلام على ما هو أهم وهو بيان المصرف لأن
النفقة لا يعتد بها إلا أن تقع موقعها. أن الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع.
وعن ابن عباس جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ هم وله مال عظيم فقال ماذا ننفق من أموالنا وأين نضعها فنزلت. وعن السدي هي منسوخة بفرض الزكاة
وعن الحسن في التطوع. وهو كره لكم من الكراهة بدليل قوله وعسى أن تكرهوا شيئا ثم إما أن يكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر
موضع الوصف مبالغة كقولها فإنما هي إقبال وإدبار كأنه في نفسه كراهة لفرط كراهتهم له وإما أن يكون فعلا بمعنى مفعول كالخبز بمعنى
المخبوز أي وهو مكروه لكم. وقرأ السلمي بالفتح على أن يكون بمعنى المضموم كالضعف والضعف ويجوز أن يكون بمعنى الإكراه على طريق المجاز كأنهم أكرهوا عليه
لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم ومنه قوله حملته أمه كرها ووضعته كرها. وعسى أن تكرهوا شيئا جميع ما كلفوه فإن النفوس تكرهه
وتنفر عنه وتحب خلافه. والله يعلم ما يصلحكم وما هو خير لكم وأنتم لا تعلمون ذلك. بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش على سرية
في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيها عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه وأسروا اثنين واستاقوا العير وفيها
من تجارة الطائف وكان ذلك أول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر
فيه الناس إلى معايشهم فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم العير وعظم ذلك على أصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم
العير والأسارى. وعن ابن عباس رضي الله عنه لما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة. والمعنى يسألك الكفار أو المسلمون عن القتال في الشهر الحرام
وقتال فيه بدل الاشتمال من الشهر. وفي قراءة عبد الله عن قتال فيه على تكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم. وقرأ عكرمة قتل فيه قل
قتل فيه كبير أي إثم كبير. وعن عطاء أنه سئل عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام إلا أن يقاتلوا
فيه وما نسخت. وأكثر الأقاويل على أنها منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم. وصد عن سبيل الله مبتدأ وأكبر خبره يعني وكبائر
قريش من صدهم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وكفرهم بالله وإخراج أهل المسجد الحرام وهم رسول الله والمؤمنون أكبر عند الله مما فعلته السرية
من القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطأ والبناء على الظن. والفتنة الإخراج أو الشرك. والمسجد الحرام عطف على سبيل الله ولا يجوز أن يعطف
على الهاء في به. ولا يزالون يقاتلونكم إخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وأنهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم. وحتى معناها التعليل
كقولك فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة أي يقاتلونكم كي يردوكم. وإن استطاعوا استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه إن ظفرت
بي فلا تبق علي وهو واثق بأنه لا يظفر به. ومن يرتدد منكم عن دينه ومن يرجع عن دينه إلى دينهم ويطاوعهم على رده إليه فيمت على الردة. فأولئك حبطت
أعمالهم في الدنيا والآخرة لما يفوتهم بإحداث الردة مما للمسلمين في الدنيا من ثمرات الإسلام وباستدامتها والموت عليها من ثواب الآخرة. وبها احتج
الشافعي على أن الردة لا تحبط الأعمال حتى يموت عليها وعند أبي حنيفة أنها تحبطها وإن رجع مسلما. إن الذين آمنوا والذين هاجروا روي أن
عبد الله بن جحش وأصحابه حين قتلوا الحضرمي ظن قوم أنهم إن سلموا من الإثم فليس لهم أجر فنزلت أولئك يرجون رحمة الله. فإذا هو آيس
جاز بهذه الآية بجعلهم أهل رجاء كما تسمعون وإنما رجاؤهم طالب ومن خاف هرب. نزلت في الخمر أربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات
النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا فكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال ثم إن عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة قالوا يا رسول الله
أفتنا في الخمر فإنها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت فيهما إثم كبير ومنافع للناس فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن
عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فأم بعضهم فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى فقل من يشربها
ثم دعا عتبان بن مالك قوما فيهم سعد بن أبي وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى أنشد سعد شعرا فيه هجاء الأنصار فضربه أنصاري بلحي بعير
فشجه موضحة فشكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت إنما الخمر والميسر إلى قوله فهل أنتم
منتهون فقال عمر انتهينا يا رب. وعن علي رضي الله عنه لو وقعت قطرة في بئر فبنيت مكانها منارة لم أؤذن عليها ولو وقعت في بحر ثم جف
ونبت فيه الكلأ لم أرعه. وعن ابن عمر رضي الله عنه لو أدخلت إصبعي فيه لم تتبعني. وهذا هو الإيمان حقا وهم الذين اتقوا الله حق تقاته. والخمر
ما غلى واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب وهو حرام وكذلك نقيع الزبيب والتمر الذي لم يطبخ فإن طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم غلا واشتد
ذهب خبثه ونصيب الشيطان وحل شربه ما دون السكر إذا لم يقصد بشربه اللهو والطرب عند أبي حنيفة وعن بعض أصحابه لأن أقول

من اموال المال اجتنابا من ان اقول عنه هو حرام وان الخمر من البنات فانقطع قطعا اجتنابا من ان يتناول منه قطرة وعند اكثر الفقهاء هو حرام كالخمر
وكذلك كل ما اسكر من كل شراب وتسمى خمرا لتغطيتها العقل والتمييز كما سميت سكرا لانها تسكرهما اي تحجزهما وكانها سميت بالمصدر
من خمره خمرا اذا ستره للمبالغة والميسر القمار مصدر من يسر كالموعد والمرجع من فعلهما من اليسر لانه اخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير كد ولا تعب او من اليسار لانه سلب يساره وعن ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يخاطر على اهله وماله فان قلت
كيف صفة الميسر قلت كانت لهم عشرة اقداح وهي الازلام والاقلام الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد
لكل واحد منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزئونها عشرة اجزاء وقيل ثمانية وعشرين الا الثلثة وهي المنيح والسفيح والوغد ولبعضهم
لي في الدنيا سهام ليس فيهن ربيح واساميهن وغد وسفيح ومنيح للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلاثة وللحلس اربعة وللنافس
خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا
منها فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له قدح مما لا نصيب له لم ياخذ شيئا وغرم ثمن الجزور
كله وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا ياكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم وفي حكم الميسر انواع
القمار من النرد والشطرنج وغيرهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم اياكم وهاتين الكعبتين الموسومتين فانهما من ميسر العجم وعن علي رضي الله عنه ان النرد
والشطرنج من الميسر وعن ابن سيرين كل شيء فيه خطر فهو من الميسر والمعنى يسالونك عما في تعاطيهما بدليل قوله فيهما اثم كبير وانما عقاب
الاثم في تعاطيهما اكبر من نفعهما وهو الالتذاذ بشرب الخمر والقمار والطرب فيهما والتوصل بهما الى مصادقات الفتيان ومعاشرتهم والنيل من مطاعمهم
ومشاربهم واعطياتهم وسلب الاموال بالقمار والافتخار على الابرام وقرئ اثم كثير بالثاء وفي قراءة ابي واثمهما اقرب والمعنى الكثرة ان اصحاب
الشرب والقمار يقترفون فيهما الاثام من وجوه كثيرة العفو نقيض الجهد وهو ان ينفق ما لا يبلغ انفاقه منه الجهد واستفراغ الوسع قال
خذي العفو مني تستديمي مودتي ويقال للارض السهلة العفو وقرئ بالرفع والنصب وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا اتاه ببيضة
من ذهب اصابها في بعض المغانم فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه من الجانب الايمن فقال مثله فاعرض عنه
ثم اتاه من الجانب الايسر فاعرض عنه فقال هاتها مغضبا فاخذها فحذفه بها حذفا لو اصابه لشجه او عقره ثم قال يجيء احدكم بماله كله
يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى في الدنيا والاخرة اما ان يتعلق بتتفكرون فيكون المعنى لعلكم تتفكرون فيما
يتعلق بالدارين فتاخذون بما هو اصلح لكم كما بينت لكم ان العفو اصلح من الجهد في النفقة او تتفكرون في الدارين فتؤثرون ابقاهما واكثرهما منافع ويجوز
ان يكون اشارة الى قوله وانهما اكبر من نفعهما لتتفكروا في عقاب الاثم في الاخرة والنفع في الدنيا حتى لا تختاروا النفع العاجل على النجاة من العقاب
العظيم ولما نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى
وتحاموهم وتركوا مخالطتهم والقيام باموالهم والاهتمام بمصالحهم فشق ذلك عليهم وكاد يوقعهم في الحرج فقيل اصلاح لهم خير اي مداخلتهم على وجه الاصلاح
لهم ولاموالهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم وتعاشروهم ولم تجانبوهم فهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط اخاه وقد حملت المخالطة على
المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح اي لا يخفى على الله من داخلهم بافساد او اصلاح فيجازيه على حسب مداخلته فاحذروه ولا تتحروا غير الاصلاح
ولو شاء الله لاعنتكم لحملكم على العنت وهو المشقة واحرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم وقراطلوس واصلاح اليهم ومعناه ايصال الصلاح اليهم وقرئ
ولو شاء الله لاعنتكم بطرح الهمزة والقاء حركتها على اللام وكذلك ولا اثم عليه ان الله عزيز غالب يقدر على ان يعنت عباده ويحرجهم
ولكنه حكيم لا يكلف الا ما تتسع فيه طاقتهم ولا تنكحوا وقرئ بضم التاء اي لا تتزوجوهن ولا تزوجوهن والمشركات الحربيات
والاية ثابتة وقيل المشركات الحربيات والكتابيات جميعا لان اهل الكتاب من اهل الشرك لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله الى قوله وهي منسوخة بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وسورة المائدة كلها ثابتة لم ينسخ
منها شيء قط وهو قول ابن عباس والاوزاعي وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن ابي مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها ناسا
من المسلمين وكان يهوى امراة في الجاهلية اسمها عناق فاتته وقالت الا تخلو فقال ويحك ان الاسلام حال بيننا فقالت فهل لك ان تتزوج بي
قال

فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستامره فنزلت ولامة مؤمنة ولامراة مؤمنة حرة كانت او مملوكة وكذلك ولعبد
مؤمن لان الناس كلهم عبيد الله واماؤه ولو اعجبتكم ولو كان الحال ان المشركة تعجبكم وتحبونها فان المؤمنة خير منها مع ذلك اولئك اشارة الى
المشركات والمشركين اي يدعون الى الكفر فحقهم ان لا يوالوا ولا يصاهروا ولا يكون بينهم وبين المؤمنين الا المناصبة والقتال والله يدعوا
الى الجنة يعني واولياء الله وهم المؤمنون يدعون الى الجنة والمغفرة وما يوصل اليهما فهم الذين تجب موالاتهم ومصاهرتهم وان يؤثروا على
غيرهم باذنه بتيسير الله وتوفيقه للعمل الذي تستحق به الجنة والمغفرة وقرئ والمغفرة باذنه بالرفع اي والمغفرة حاصلة بتيسيره
المحيض مصدر يقال حاضت محيضا كقولك جاء مجيئا وبات مبيتا قل هو اذى اي الحيض شيء يستقذر ويؤذي من يقربه نفرة منه وكراهة له
فاعتزلوا النساء فاجتنبوهن يعني فاجتنبوا مجامعتهن روي ان اهل الجاهلية كانوا اذا حاضت المراة لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها
على فرش ولم يساكنوها في بيت كفعل اليهود والمجوس فلما نزلت اخذ المسلمون بظاهر اعتزالهن فاخرجوهن من بيوتهم فقال ناس من الاعراب يا رسول الله
البرد شديد والثياب قليلة فان اثرناهن بالثياب هلك سائر اهل البيت وان استاثرنا بها هلكت الحيض فقال عليه السلام انما امرتم ان تعتزلوا
مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا
يعتزلونهن في كل شيء فامر الله بالاقتصاد بين الامرين وبين الفقهاء خلاف في الاعتزال فابو حنيفة وابو يوسف يوجبان اعتزال ما اشتمل عليه الازار
ومحمد بن الحسن لا يوجب الا اعتزال الفرج وروي محمد حديث عائشة رضي الله عنها ان عبد الله بن عمر سالها هل يباشر الرجل امراته وهي حائض
فقالت تشد ازارها على سفلتها ثم ليباشرها ان شاء وما روي زيد بن اسلم ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم ما يحل لي من امراتي وهي حائض قال
لتشد عليها ازارها ثم شانك باعلاها ثم قال وهذا قول ابي حنيفة وقد جاء ما هو ارخص من هذا عن عائشة انها قالت يجتنب شعار الدم وله ما سوى
ذلك وقرئ يطهرن بالتشديد اي يتطهرن بدليل قوله فاذا تطهرن وقرا عبد الله حتى يتطهرن ويطهرن بالتخفيف والتطهر الاغتسال والطهر انقطاع دم
الحيض وكلتا القراءتين مما يجب العمل به فذهب ابو حنيفة الى ان له ان يقربها في اكثر الحيض بعد انقطاع الدم وان لم تغتسل وفي اقل الحيض لا يقربها حتى تغتسل
او يمضي عليها وقت صلوة وذهب الشافعي الى انه لا يقربها حتى تطهر وتطهر فتجمع بين الامرين وهو قول واضح ويعضده قوله فاذا تطهرن من حيث امركم
الله من المأتى الذي امركم الله به وحلله لكم وهو القبل ان الله يحب التوابين الذين يطهرون انفسهم بطهرة التوبة من كل ذنب ويحب المتطهرين من جميع
الاقذار كمجامعة الحائض والطاهر قبل الغسل واتيان ما ليس بمباح وغير ذلك نساؤكم حرث لكم مواضع حرث لكم وهذا مجاز شبههن بالمحارث
تشبيها لما يلقى في ارحامهن من النطف التي منها النسل بالبذور وقوله فاتوا حرثكم انى شئتم تمثيل اي فاتوهن كما تاتون اراضيكم التي تريدون
ان تحرثوها من اي جهة شئتم لا يحظر عليكم جهة دون جهة والمعنى جامعوهن من اي شق اردتم بعد ان يكون الماتى واحدا وهو موضع الحرث وقوله
هو اذى فاعتزلوا النساء من حيث امركم الله فاتوا حرثكم انى شئتم من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة وهذه واشباهها في كلام الله
اداب حسنة على المؤمنين ان يتعلموها ويتادبوا بها ويتكلفوا مثلها في محاوراتهم ومكاتباتهم وروي ان اليهود كانوا يقولون من جامع امراته وهي مجبية من دبرها
في قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كذبت اليهود ونزلت وقدموا لانفسكم ما يجب تقديمه من الاعمال الصالحة
وما هو خلاف ما نهيتم عنه وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطء واتقوا الله فلا تجترئوا على المناهي واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا ما لا
تفتضحون به وبشر المؤمنين المستحقين المدح والتعظيم بترك القبائح وفعل الحسنات فان قلت ما موقع قوله نساؤكم حرث لكم
مما قبله قلت موقعه موقع البيان والتوضيح لقوله فاتوهن من حيث امركم الله يعني ان الماتى الذي امركم الله به هو مكان الحرث ترجمة
له وتفسيرا او ازالة للشبهة ودلالة على ان الغرض الاصلي في الاتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فلا تاتوهن الا من الماتى الذي يتعلق به هذا
الغرض فان قلت ما بال يسالونك جاء بغير واو ثلاث مرات ثم مع الواو ثلاثا قلت كان سؤالهم عن تلك الحوادث الاول وقع في
احوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لان كل واحد من السؤالات سؤال مبتدا وسالوا عن الحوادث الاخر في وقت واحد فجيء بحرف الجمع لذلك كانه قيل
يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن الانفاق والسؤال عن كذا وعن كذا العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة وهي اسم
ما تعرضه دون الشيء من عرض العود على الاناء فيعترض دونه ويصير حاجزا ومانعا منه تقول فلان عرضة دون الخير والعرضة ايضا المعرض
للامر قال فلا تجعلوني عرضة للوائم ومعنى الاية على الاول ان الرجل كان يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم او اصلاح ذات بين

او جنايته الحرام عباده ثم يقول اخاف الله ان احنث في يميني فيترك البر ارادة البر في يمينه فقيل لهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اي حاجزا لما حلفتم
عليه وسمي المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سمرة اذا حلفت على يمين ورايت غيرها خيرا منها فات الذي هو
خير وكفر عن يمينك اي على شيء مما حلفت عليه وقوله ان تبروا وتتقوا وتصلحوا عطف بيان لايمانكم اي للامور المحلوف عليها التي هي البر
والتقوى والاصلاح بين الناس فان قلت بم تعلقت اللام في لايمانكم قلت بالفعل اي ولا تجعلوا الله لايمانكم برزخا وحجازا ويجوز
ان يتعلق بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض يعني لا تجعلوه شيئا يعترض البر من اعترضني كذا ويجوز ان يكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا بالفعل
او بالعرضة اي ولا تجعلوا الله لاجل ايمانكم به عرضة لان تبروا ومعناها على الاخرى ولا تجعلوا الله معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف
به ولذلك ذم من انزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين باشنع المذام وجعل الحلاف مقدمتها وان تبروا علة للنهي اي ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا لان الحلاف
مجترئ على الله غير معظم له فلا يكون برا متقيا ولا يثق به الناس فلا يدخلونه في وساطاتهم واصلاح ذات بينهم اللغو الساقط الذي لا يعتد به
من كلام وغيره ولذلك قيل لما لا يعتد به في الدية من اولاد الابل لغو واللغو من اليمين الساقط الذي لا يعتد به في الايمان وهو الذي لا عقد معه والدليل
عليه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم واختلف الفقهاء فيه فعند ابي حنيفة واصحابه هو ان يحلف على الشيء يظنه على ما حلف
عليه ثم يظهر خلافه وعند الشافعي هو قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف ولو قيل لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف
في المسجد الحرام لانكر ذلك ولعله قال لا والله الف مرة وفيه معنيان احدهما لا يؤاخذكم اي لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه احدكم ساهيا ولكن يعاقبكم بما
كسبت قلوبكم اي بما اقترفته من اثم القصد الى الكذب في اليمين وهو ان يحلف على ما يعلم انه خلاف ما يقوله وهو اليمين الغموس والثاني لا يؤاخذكم اي لا
يلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذي لا قصد معه ولكن يلزمكم الكفارة بما كسبت قلوبكم اي بما نوت قلوبكم وقصدت من الايمان ولم يكن كسب اللسان وحده
والله غفور حليم حيث لم يؤاخذكم باللغو في ايمانكم واعلم ان الآية ... للذين يؤلون من نسائهم فان قلت كيف عدي بمن
وهو معدى بعلى قلت قد ضمن في هذا القسم المخصوص معنى البعد فكانه قيل يبعدون من نسائهم مؤلين او مقسمين ويجوز ان يراد لهم
من نسائهم تربص اربعة اشهر كقولك لي منك كذا والايلاء من المراة ان يقول والله لا اقربك اربعة اشهر فصاعدا على التقييد بالاشهر او لا اقربك
على الاطلاق ولا يكون فيما دون اربعة اشهر الا ما يحكى عن ابراهيم النخعي وحكم ذلك انه اذا فاء اليها في المدة بالوطء ان امكنه او بالقول ان عجز
صح الفيء وحنث القادر ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وان مضت الاربعة بانت بتطليقة عند ابي حنيفة وعند الشافعي لا يصح الايلاء
الا في اكثر من اربعة اشهر ثم يوقف المولي فاما ان يفيء واما ان يطلق فان ابى طلق عليه الحاكم ومعنى قوله فان فاؤا فان فاؤا في الاشهر بدليل قراءة
عبد الله فان فاؤا فيهن فان الله غفور رحيم يغفر للمولين ما عسى يقدمون عليه من طلب ضرار النساء بالايلاء وهو الغالب وان كان يجوز ان يكون
على رضى منهن اشفاقا منهن على الولد من الغيل او لبعض الاسباب لاجل الفيئة التي هي مثل التوبة وان عزموا الطلاق فتربصوا الى مضي المدة
فان الله سميع عليم وعيد على اصرارهم وتركهم الفيئة وعلى قول الشافعي معناه فان عزموا بعد مضي المدة فان قلت كيف موقع الفاء اذا كانت الفيئة
قبل انتهاء مدة التربص قلت موقع صحيح لان قوله فان فاؤا فان عزموا تفصيل لقوله للذين يؤلون من نسائهم والتفصيل يعقب المفصل كما
تقول انا نزيلكم هذا الشهر فان احمدتكم اقمت عندكم الى اخره والا لم اقم الا ريثما اتحول فان قلت ما تقول في قوله فان الله سميع
عليم وعزمهم الطلاق مما يعلم ولا يسمع قلت الغالب ان العازم للطلاق وترك الفيئة والضرار لا يخلو من مقاولة ودمدمة ولا بد له من ان
يحدث نفسه ويناجيها بذلك وذلك حديث لا يسمعه الا الله كما يسمع وسوسة الشيطان والمطلقات اراد المدخول بهن من ذوات الاقراء
فان قلت كيف جازت ارادتهن خاصة واللفظ يقتضي العموم قلت بل اللفظ مطلق في تناول الجنس صالح لكله وبعضه فجاء في
احد ما يصلح له كالاسم المشترك فان قلت فما معنى الاخبار عنهن بالتربص قلت هو خبر في معنى الامر واصل الكلام وليتربص المطلقات
واخراج الامر في صورة الخبر تاكيد للامر واشعار بانه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكانهن امتثلن الامر بالتربص فهو يخبر عنه
موجودا ونحوه قولهم في الدعاء رحمك الله اخرج في صورة الخبر ثقة بالاستجابة كانما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها وبناؤه على المبتدا مما
زاده ايضا فضل تاكيد ولو قيل ويتربص المطلقات لم يكن بتلك الوكادة فان قلت هلا قيل يتربصن ثلاثة قروء كما قيل تربص اربعة اشهر
وما معنى ذكر الانفس قلت في ذكر الانفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعث لان فيه ما يستنكفن منه فيحملهن على ان يتربصن وذلك

ان

ان انفس النساء طوامح الى الرجال فامرن ان يقمعن انفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص والقروء جمع قرء او قرء وهو الحيض
بدليل قوله عليه السلام دعي الصلاة ايام اقرائك وقوله طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان ولم يقل طهران وقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض
من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر فاقام الاشهر مقام الحيض دون الاطهار ولان الغرض الاصلي في العدة استبراء الرحم والحيض هو
الذي يستبرا به الارحام دون الطهر ولذلك كان الاستبراء من الامة بالحيضة ويقال اقرات المراة اذا حاضت وامراة مقرئ وقال ابو عمرو بن
العلاء دفع فلان جاريته الى فلانة تقرئها اي تمسكها عندها حتى تحيض للاستبراء فان قلت فما تقول في قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن
والطلاق المشروع انما هو في الطهر قلت معناه مستقبلات لعدتهن كما تقول لقيته لثلاث بقين من الشهر تريد مستقبلا لثلاث
وعدتهن الحيض الثلاث فان قلت فما تقول في قول الاعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا قلت اراد لما
ضاع فيها من عدة نسائك لشهرة القروء عندهم في الاعتداد اي من مدة طويلة كالمدة التي تعتد فيها النساء استطال مدة غيبته عن اهله
كل عام لاقتحامه في الحروب والغارات وانه يمر على نسائه مدة كعدة النساء ضائعة لا يضاجعهن فيها او اراد من اوقات نسائك فان
القرء والقارئ جاءا في معنى الوقت ولم يرد لا حيضا ولا طهرا فان قلت فعلام انتصب ثلاثة قروء قلت على انه مفعول به كقولك
المحتكر يتربص الغلاء اي يتربصن مضي ثلاثة قروء او على انه ظرف اي يتربصن مدة ثلاثة قروء فان قلت لم جاء المميز على جمع الكثرة
دون القلة التي هي الاقراء قلت يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان الاخر لاشتراكهما في الجمعية الا ترى الى قوله بانفسهن
وما هي الا نفوس كثيرة ولعل القروء كانت اكثر استعمالا في جمع قرء من الاقراء فاوثر عليه تنزيلا للقليل الاستعمال منزلة المهمل فيكون
مثل قولهم ثلاثة شسوع وقرا الزهري ثلاثة قرو بغير همز ما خلق الله في ارحامهن من الولد او من دم الحيض وذلك اذا ارادت المراة فراق
زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها ان تضع ولئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها او كتمت حيضها وقالت وهي حائض قد طهرت
استعجالا للطلاق ويجوز ان يراد اللائي يبغين اسقاط ما في بطونهن من الاجنة فلا يعترفن به ويجحدنه لذلك فجعل كتمان ما في ارحامهن
كناية عن اسقاطه ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر تعظيم لفعلهن وان من آمن بالله وبعقابه لا يجترئ على مثله من العظائم وبعولتهن
جمع بعل والتاء لاحقة لتانيث الجمع كما في الحزونة والسهولة ويجوز ان يراد بالبعولة المصدر من قولك بعل حسن البعولة يعني واهل
بعولتهن احق بردهن برجعتهن وفي قراءة ابي بردتهن في ذلك في مدة ذلك التربص فان قلت كيف جعلوا احق بالرجعة كان للنساء
حقا فيها قلت المعنى ان الرجل اذا اراد الرجعة وابتها المراة وجب ايثار قوله على قولها وكان هو احق منها لا ان لها حقا في الرجعة ان ارادوا
بالرجعة اصلاحا لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن ولم يريدوا مضارتهن ولهن مثل الذي عليهن ويجب لهن من الحق على الرجال مثل الذي يجب لهم
عليهن بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات الناس فلا يكلفنهم ما ليس لهن ولا يكلفونهن ما ليس لهم ولا يعنف احد الزوجين صاحبه
والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب الواجب في كونه حسنة لا في جنس الفعل فلا يجب عليه اذا غسلت ثيابه او خبزت له ان يفعل نحو ذلك
ولكن يقابله بما يليق بالرجال وللرجال عليهن درجة زيادة في الحق وفضيلة قيل المراة تنال من اللذة مثل ما ينال الرجل وله الفضيلة بقيامه عليها وانفاقه
في مصالحها الطلاق بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم اي التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة
ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله ثم ارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين ونحو ذلك من التثاني التي يراد بها التكرير
قولهم لبيك وسعديك وحنانيك وهذاذيك ودواليك وقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان تخيير لهم بعد ان علمهم كيف يطلقون
بين ان يمسكوا النساء بحسن العشرة والقيام بمواجبهن وبين ان يسرحوهن السراح الجميل الذي علمهم وقيل معناه الطلاق الرجعي مرتان لانه لا رجعة
بعد الثلاث فامساك بمعروف اي برجعة او تسريح باحسان اي بان لا يراجعها حتى تبين بالعدة او بان لا يراجعها مراجعة يريد بها تطويل العدة عليها
وضرارها وقيل بان يطلقها الثالثة في الطهر الثالث وروي ان سائلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم اين الثالثة فقال عليه السلام او تسريح باحسان
وعند ابي حنيفة واصحابه الجمع بين الطلقتين والثلاث بدعة والسنة ان لا يوقع عليها الا واحدة في طهر لم يجامعها فيه لما روي في حديث ابن عمر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا فتطلقها لكل قرء تطليقة وعند الشافعي لا باس بارسال
الثلاث لحديث العجلاني الذي لاعن امراته فطلقها ثلاثا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينكر عليه وروي ان جميلة بنت عبد الله بن ابي

ت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله لا أنا ولا ثابت لا يجمع رأسي
ورأسه شيء والله ما أعتب عليه في دين ولا خلق ولكني أكره الكفر في الإسلام ما أطيقه بغضا إني رفعت جانب الخباء فرأيته أقبل في عدة
فإذا هو أشدهم سوادا وأقصرهم قامة وأقبحهم وجها فنزلت وكان قد أصدقها حديقة فاختلعت منه بها وهو أول خلع كان في الإسلام فإن
قلت لمن الخطاب في قوله ولا يحل لكم أن تأخذوا إن قلت للأزواج لم يطابقه قوله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله وإن قلت للأئمة والحكام
فهؤلاء ليسوا بآخذين منهن ولا بمؤتيهن شيئا قلت يجوز الأمران جميعا أن يكون أول الخطاب للأزواج وآخره للأئمة والحكام ونحو
ذلك غير عزيز في القرآن وغيره وأن يكون الخطاب كله للأئمة والحكام لأنهم الذين يأمرون بالأخذ والإيتاء عند الترافع إليهم فكأنهم الآخذون والمؤتون
مما آتيتموهن مما أعطيتموهن من الصدقات إلا أن يخافا إلا أن يخاف الزوجان ألا يقيما حدود الله ترك إقامة حدود الله فيما يلزمهما
من مواجب الزوجية لما يحدث من نشوز المرأة وسوء خلقها فلا جناح عليهما فلا جناح على الرجل فيما أخذ ولا عليها فيما أعطت فيما افتدت
به نفسها واختلعت به من بذل ما أوتيت من المهر والخلع بالزيادة على المهر مكروه وهو جائز في الحكم وروي أن امرأة نشزت على زوجها
فرفعت إلى عمر رضي الله عنه فأباتها في بيت الزبل ثم دعا بها فقال كيف وجدت مبيتك قالت ما بت منذ كان عنده أقر لعيني منهن فقال
لزوجها اخلعها ولو بقرطها قال قتادة يعني بمالها كله هذا إذا كان النشوز منها فإن كان منه كره له أن يأخذ منها شيئا وقرئ إلا أن
يخافا على البناء للمفعول وإبدال ألا يقيما من ألف الضمير وهو من بدل الاشتمال كقولك خيف زيد تركه إقامة حدود الله ونحوه وأسروا النجوى
الذين ظلموا وتعضده قراءة عبد الله إلا أن تخافوا وفي قراءة أبي إلا أن يظنا ويجوز أن يكون الخوف بمعنى الظن يقول أخاف أن يكون كذا
وأفرق أن يكون بمعنى أظن فإن طلقها الطلاق المذكور الموصوف بالتكرار في قوله الطلاق مرتان واستوفى نصابه أو فإن طلقها مرة ثالثة
بعد المرتين فلا تحل له من بعد من بعد ذلك التطليق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يسند إلى المرأة كما يسند إلى الرجل كالتزوج
ويقال فلانة ناكح في بني فلان وقد تعلق من اقتصر على العقد في التحليل بظاهره وهو سعيد بن المسيب والذي عليه الجمهور أنه لا بد من الإصابة
لما روى عروة عن عائشة رضي الله عنها أن امرأة رفاعة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت إن رفاعة طلقني فبت طلاقي وإن عبد الرحمن
بن الزبير تزوجني وإنما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك
وروي أنها لبثت ما شاء الله ثم رجعت فقالت إنه قد كان مسني فقال لها كذبت في قولك الأول فلن أصدقك في الآخر فلبثت حتى قبض رسول
الله صلى الله عليه وسلم فأتت أبا بكر رضي الله عنه فقالت أأرجع إلى زوجي الأول فقال قد عهدت رسول الله حين قال لك ما قال فلا ترجعي إليه فلما قبض أبو بكر
قالت مثله لعمر فقال إن أتيتني بعد مرتك هذه لأرجمنك فمنعها فإن قلت فما قولك في النكاح المعقود بشرط التحليل قلت
ذهب سفيان والأوزاعي وأبو عبيد ومالك وغيرهم إلى أنه غير جائز وهو جائز عند أبي حنيفة مع الكراهة وعنه أنهما إن أضمرا التحليل ولم
يصرحا به فلا كراهة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لعن المحلل والمحلل له وعن عمر رضي الله عنه لا أوتى بمحلل ولا محلل له إلا رجمتهما وعن عثمان
رضي الله عنه لا إلا نكاح رغبة غير مدالسة فإن طلقها الزوج الثاني أن يتراجعا أن يرجع كل واحد منهما إلى صاحبه بالزواج إن ظنا
إن كان في ظنهما أنهما يقيمان حقوق الزوجية ولم يقل إن علما أنهما يقيمان لأن اليقين مغيب عنهما لا يعلمه إلا الله ومن فسر الظن ها هنا بالعلم فقد
وهم من طريق اللفظ والمعنى لأنك لا تقول علمت أن يقوم زيد ولكن علمت أنه يقوم ولأن الإنسان لا يعلم ما في الغد وإنما يظن ظنا فبلغن أجلهن أي آخر عدتهن
وشارفن منتهاها والأجل يقع على المدة كلها وعلى آخرها يقال لعمر الإنسان أجل وللموت الذي ينتهي به أجل وكذلك الغاية والأمد يقول النحويون من
لابتداء الغاية وإلى لانتهاء الغاية وقال إذا انتهى أمده ويتسع في البلوغ أيضا فيقال بلغ البلد إذا شارفه وداناه ويقال قد وصلت ولم يصل وإنما شارف ولأنه قد علم
أن الإمساك بعد تقضي الأجل لا وجه له لأنها بعد تقضيه غير زوجة له وفي غير عدة منه فلا سبيل له عليها فأمسكوهن بمعروف فإما أن يراجعها
من غير طلب ضرار بالمراجعة أو سرحوهن بمعروف وإما أن يخليها حتى تنقضي عدتها وتبين من غير ضرار ولا تمسكوهن ضرارا كان الرجل يطلق
المرأة ويتركها حتى يقرب انقضاء عدتها ثم يراجعها لا عن حاجة ولكن ليطول العدة عليها فهو الإمساك ضرارا لتعتدوا لتظلموهن وقيل لتلجئوهن
إلى الافتداء ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها لعقاب الله ولا تتخذوا آيات الله هزوا أي جدوا في الأخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها وإلا
فقد اتخذتموها هزوا ولعبا ويقال كن يهوديا وإلا فلا تلعب بالتوراة وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا وعن

النبي

وعن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة واذكروا نعمة الله عليكم بالإسلام وبنبوة محمد
عليه السلام وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة من القرآن والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها يعظكم به بما أنزل عليكم فبلغن
أجلهن فلا تعضلوهن إما أن يخاطب به الأزواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلما وقسرا ولحمية الجاهلية لا يتركونهن يتزوجن
من شئن من الأزواج والمعنى أن ينكحن أزواجهن الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن وإما أن يخاطب به الأولياء في عضلهن أن يرجعن إلى
أزواجهن روي أنها نزلت في معقل بن يسار حين عضل أخته أن ترجع إلى الزوج الأول وقيل في جابر بن عبد الله حين عضل بنت عم له والوجه
أن يكون خطابا للناس أي لا يوجد فيما بينكم عضل لأنه إذا وجد بينهم وهم راضون كانوا في حكم العاضلين والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت
الدجاجة إذا نشب بيضها فلم يخرج وأنشد لابن هرمة وإن قصائدي لك فاصطنعني عقائل قد عضلن عن النكاح
وبلغ الأجل على الحقيقة وعن الشافعي رحمه الله دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين إذا تراضوا إذا تراضى الخطاب والنساء بالمعروف
بما يحسن في الدين والمروءة من الشرائط وقيل بمهر المثل ومن مذهب أبي حنيفة أنها إذا زوجت نفسها بأقل من مهر مثلها فللأولياء أن يعترضوا فإن قلت
لم وحد الخطاب في قوله ذلك يوعظ به قلت يجوز أن يكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل أحد ونحوه ذلكم أزكى لكم وأطهر أزكى لكم وأطهر
من أدناس الآثام وقيل أزكى وأطهر أفضل وأطيب والله يعلم ما في ذلك من الزكاء والطهر وأنتم لا تعلمونه أو والله يعلم ما تستصلحون به من الأحكام
والشرائع وأنتم تجهلونه يرضعن مثل يتربصن في أنه خبر في معنى الأمر المؤكد كاملين توكيد كقوله تلك عشرة كاملة لأنه مما يتسامح
فيه فتقول أقمت عند فلان حولين ولم تستكملهما وقرأ ابن عباس أن يكمل الرضاعة وقرئ الرضاعة بكسر الراء والرضعة وأن تتم الرضاعة
وأن يتم الرضاعة برفع الفعل تشبيها لأن بما لتآخيهما في التأويل فإن قلت كيف اتصل قوله لمن أراد بما قبله قلت هو بيان
لمن توجه إليه الحكم كقوله هيت لك لك بيان للمهيت به أي هذا الحكم لمن أراد إتمام الرضاع وعن قتادة حولين كاملين ثم أنزل الله اليسر
والتخفيف فقال لمن أراد أن يتم الرضاعة أراد أنه يجوز النقصان وعن الحسن ليس ذلك بوقت لا ينقص منه بعد أن لا يكون في الفطام ضرر
وقيل اللام متعلقة بيرضعن كما تقول أرضعت فلانة لفلان ولده أي يرضعن حولين لمن أراد أن يتم الرضاعة من الآباء لأن الأب يجب عليه
إرضاع الولد دون الأم وعليه أن يتخذ له ظئرا إلا إذا تطوعت الأم بإرضاعه وهي مندوبة إلى ذلك ولا تجبر عليه ولا يجوز استئجار الأم
عند أبي حنيفة رحمه الله ما دامت زوجة أو معتدة من نكاح وعند الشافعي يجوز فإذا انقضت عدتها جاز بالاتفاق فإن قلت فما بال الوالدات
مأمورات بأن يرضعن أولادهن قلت إما أن يكون أمرا على وجه الندب وإما على وجه الوجوب إذا لم يقبل الصبي إلا ثدي أمه
أو لم توجد له ظئر أو كان الأب عاجزا عن الاستئجار وقيل أراد الوالدات المطلقات وإيجاب النفقة والكسوة لأجل الرضاع وعلى
المولود له وعلى الذي يولد له وهو الوالد وله في محل الرفع على الفاعلية نحو عليهم في غير المغضوب عليهم فإن قلت لم قيل المولود له دون الوالد
قلت ليعلم أن الوالدات إنما ولدن لهم لأن الأولاد للآباء ولذلك ينسبون إليهم لا إلى الأمهات وأنشد للمأمون بن الرشيد
فإنما أمهات الناس أوعية مستودعات وللآباء أبناء
مكان عليهم أن يرزقوهن ويكسوهن إذا أرضعن ولدهم كالأظآر
ألا ترى أنه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى نحو قوله واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا
بالمعروف تفسيره ما يعقبه وهو أن لا يكلف الواحد منهما ما ليس في وسعه ولا يتضارا وقرئ لا تكلف بفتح التاء ولا نكلف بالنون وقرئ لا تضارر
بالرفع على الإخبار وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول وأن يكون الأصل تضارر بكسر الراء أو تضارر بفتحها وقرأ لا تضار بالفتح أكثر
القراء وقرأ الحسن بالكسر على النهي وهو يحتمل البناءين أيضا ويبين ذلك أنه قرئ لا تضارر ولا تضارر بالجزم وفتح الراء الأولى
وكسرها وقرأ أبو جعفر لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وعن الأعرج لا تضار بالسكون والتخفيف وهو من ضاره يضيره
ونوى الوقف كما نواه أبو جعفر واختلاس الضمة فظنه الراوي سكونا وعن كاتب عمر بن الخطاب لا تضارر والمعنى لا تضار
والدة زوجها بسبب ولدها وهو أن تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وأن تشغل قلبه بالتفريط في شأن الولد
وأن تقول بعدما ألفها الصبي اطلب له ظئرا وما أشبه ذلك ولا يضار مولود له امرأته بسبب ولده بأن يمنعها شيئا مما وجب عليه
من رزقها وكسوتها أو يأخذه منها وهي تريد إرضاعه أو يكرهها على الإرضاع وكذلك إذا كان مبنيا للمفعول فهو نهي عن أن يلحق بها الضرار

ولا الزوج بان يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد ويجوز ان يكون تضار بمعنى تضر وان يكون الباء من صلته اى لا تضر والدة بولدها فلا تسئ غذاءه وتعهده ولا تفرط فيما ينبغى له ولا تدفعه الى الاب بعدما الفها ولا يضر الوالد به بان ينتزعه من يدها او يقصر فى حقها فتقصر فى حق الولد فان قلت كيف قيل بولدها وبولده قلت لما نهيت المراة عن المضارة اضيف اليها الولد استعطافا لها عليه وانه ليس باجنبى منها فمن حقها ان تشفق عليه وكذلك الوالد وعلى الوارث عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه فكان المعنى وعلى وارث المولود له مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة اى ان مات المولود له لزم من يرثه ان يقوم مقامه فى ان يرزقها ويكسوها بالشريطة التى ذكرت من المعروف وتجنب الضرار وقيل هو وارث الصبى الذى لو مات الصبى ورثه واختلفوا فعند ابن ابى ليلى كل من ورثه وعند ابى حنيفة من كان ذا رحم محرم منه وعند الشافعى لا نفقة فيما عدا الولاد وقيل من ورثه من عصبته مثل الجد والاخ وابن الاخ والعم وابن العم وقيل المراد وارث الاب وهو الصبى نفسه وهو ان مات ابوه وورثه وجبت عليه اجرة رضاعه فى ماله ان كان له مال فان لم يكن له مال اجبرت الام على ارضاعه وقيل على الوارث على الباقى من الابوين من قوله واجعله الوارث منا فان ارادا فصالا فصالا صادرا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما فى ذلك زادا على الحولين او نقصا وهذه توسعة بعد التحديد وقيل هو فى غاية الحولين لا يتجاوز وانما اعتبر تراضيهما فى الفصال وتشاورهما اما الاب فلا كلام فيه واما الام فلانها احق بالتربية وهى اعلم بحال الصبى وقرئ فان اراد ان تسترضعوا يقال ارضعت المراة الصبى واسترضعتها الصبى فتعديه الى مفعولين كما تقول انجح الحاجة واستنجحته الحاجة والمعنى ان تسترضعوا المراضع اولادكم فحذف احد المفعولين للاستغناء عنه كما تقول استنجحت الحاجة ولا تذكر من استنجحته وكذلك حكم كل مفعولين لم يكن احدهما عبارة عن الاول اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة وقرئ ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله ومنه قوله تعالى انه كان وعده مأتيا وروى شيبان عن عاصم ما اوتيتم اى ما آتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة ونحوه وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وليس التسليم بشرط للجواز والصحة وانما هو ندب الى الاولى ويجوز ان يكون بعثا على ان يكون الشئ الذى تعطاه المرضع من اهنأ ما يكون لتكون طيبة النفس راضية فيعود ذلك اصلاحا لشان الصبى واحتياطا فى امره فامر ان يؤتين ما يعطين ناجزا يدا بيد بالمعروف متعلق بسلمتم امروا ان يكونوا عند تسليم الاجرة مستبشرى الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس المراضع بما امكن حتى يؤمن من تفريطهن بقطع معاذيرهن **والذين يتوفون منكم** على تقدير حذف المضاف اى وازواج الذين يتوفون منكم يتربصن وقيل معناه يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء اى يستوفون آجالهم وهى قراءة على رضى الله عنه والذى يحكى ان ابا الاسود الدؤلى كان يمشى خلف جنازة فقال له رجل من المتوفى فقال الله وكان احد الاسباب الباعثة لعلى على ان امره بان يضع كتابا فى النحو تناقضه هذه القراءة يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا يعتددن هذه المدة وهى اربعة اشهر وعشرة ايام وقيل عشرا ذهابا الى الليالى والايام داخلة معها ولا تراهم قط يستعملون التذكير فيه ذاهبين الى الايام تقول صمت عشرا ولو ذكرت خرجت من كلامهم ومن البين فيه قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما فاذا بلغن اجلهن فاذا انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة وجماعة المسلمين فيما فعلن فى انفسهن من التعرض للخطاب بالمعروف بالوجه الذى لا ينكره الشرع والمعنى انهن لو فعلن ما هو منكر كان على الائمة ان يكفوهن وان فرطوا كان عليهم الجناح فيما عرضتم به التعريض ان تقول لها انك لجميلة او صالحة او نافقة ومن غرضى ان اتزوج وعسى الله ان ييسر لى امراة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول انى اريد ان انكحك او اتزوجك او اخطبك وروى ابن المبارك عن عبد الرحمن بن سليمان عن خالته قالت دخل على ابو جعفر محمد بن على وانا فى عدتى فقال قد علمت قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدى على وقدمى فى الاسلام فقلت غفر الله لك اتخطبنى فى عدتى وانت يؤخذ عنك فقال اوقد فعلت انما اخبرتك بقرابتى من رسول الله وموضعى قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ام سلمة وكانت عند ابن عمها ابى سلمة فتوفى عنها فلم يزل يذكر لها منزلته من الله وهو متحامل على يده حتى اثر الحصير فى يده من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة فان قلت اى فرق بين الكناية والتعريض قلت الكناية ان تذكر الشئ بغير لفظه الموضوع له والتعريض ان تذكر شيئا تدل به على شئ لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج اليه جئتك لاسلم عليك ولانظر الى وجهك الكريم ولذلك قالوا وحسبك بالتسليم منى تقاضيا وكانه امالة الكلام الى عرض يدل على الغرض ويسمى التلويح لانه يلوح منه ما يريده او اكننتم فى انفسكم او سترتم واضمرتم فى قلوبكم فلم تذكروه بالسنتكم لا معرضين ولا

مصرحين

مصرحين علم الله انكم ستذكرونهن لا محالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن ولا تصبرون عنه وفيه طرف من التوبيخ كقوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فان قلت اين المستدرك بقوله ولكن لا تواعدوهن قلت هو محذوف لدلالة ستذكرونهن عليه تقديره علم الله انكم ستذكرونهن فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا والسر وقع كناية عن النكاح الذى هو الوطء لانه مما يسر قال الاعشى

ولا تقربن جارة ان سرها ... عليك حرام فانكحن او تأبدا

ثم عبر به عن النكاح الذى هو العقد لانه سبب فيه كما فعل بالنكاح الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا فان قلت بم يتعلق حرف الاستثناء قلت بلا تواعدوهن اى لا تواعدوهن مواعدة قط الا مواعدة معروفة غير منكرة او لا تواعدوهن الا بان تقولوا اى لا تواعدوهن الا بالتعريض ولا يجوز ان يكون استثناء منقطعا من سرا لادائه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وقيل معناه لا تواعدوهن جماعا وهو ان يقول لها ان نكحتك كان كيت وكيت يريد ما يجرى بينهما تحت اللحاف الا ان تقولوا قولا معروفا يعنى من غير رفث ولا افحاش فى الكلام وقيل لا تواعدوهن فى سر اى فى السر على ان المواعدة فى السر عبارة عن المواعدة بما يستهجن لان مسارتهن فى الغالب بما يستحيا من المجاهرة به وعن ابن عباس الا ان تقولوا قولا معروفا هو ان يتواثقا ان لا تتزوج غيره **ولا تعزموا عقدة النكاح** من عزم الامر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة فى النهى عن عقد النكاح فى العدة لان العزم على الفعل يتقدمه فاذا نهى عنه كان عن الفعل انهى ومعناه ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه ولا تقطعوا عقدة النكاح وحقيقة العزم القطع بدليل قوله عليه السلام لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروى لمن لم يبيت الصيام حتى يبلغ الكتاب اجله يعنى ما كتب وفرض من العدة يعلم ما فى انفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموا عليه غفور حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة عليكم من ايجاب مهر ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن ما لم تجامعوهن او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا لهن فريضة او حتى تفرضوا وفرض الفريضة تسمية المهر وذلك ان المطلقة غير المدخول بها ان سمى لها مهر فلها نصف المسمى وان لم يسم لها فليس لها نصف مهر المثل ولكن المتعة والدليل على ان الجناح تبعة المهر قوله وان طلقتموهن الى قوله فنصف ما فرضتم فقوله فنصف ما فرضتم اثبات للجناح المنفى ثم والمتعة درع وملحفة وخمار على حسب الحال عند ابى حنيفة الا ان يكون مهر مثلها اقل من ذلك فلها الاقل من نصف مهر المثل ومن المتعة ولا ينقص من خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها وعلى الموسع الذى له سعة والمقتر الضيق الحال قدره مقداره الذى يطيقه لان ما يطيقه هو الذى يختص به وقرئ بفتح الدال والقدر والقدر لغتان وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل من الانصار تزوج امراة ولم يسم لها مهرا ثم طلقها قبل ان يمسها امتعتها قال لم يكن عندى شئ قال متعها بقلنسوتك وعند اصحابنا رحمهم الله لا تجب المتعة الا لهذه وحدها وتستحب لسائر المطلقات ولا تجب متاعا تاكيد لمتعوهن يعنى تمتيعا بالمعروف بالوجه الذى يحسن فى الشرع والمروءة حقا صفة لمتاعا اى متاعا واجبا عليهم او حق ذلك حقا على المحسنين على الذين يحسنون الى المطلقات بالتمتيع وسماهم قبل الفعل محسنين كما قال عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه الا ان يعفون يريد المطلقات فان قلت اى فرق بين قولك الرجال يعفون والنساء يعفون قلت الواو فى الاول ضميرهم والنون علم الرفع والواو فى الثانى لام الفعل والنون ضميرهن والفعل مبنى لا اثر فى لفظه للعامل وهو فى محل النصب ويعفو عطف على محله والذى بيده عقدة النكاح الولى اى الا ان تعفو المطلقات عن ازواجهن فلا يطالبنهم بنصف المهر وتقول المراة ما رآنى ولا خدمته ولا استمتع بى فكيف آخذ منه شيئا او يعفو الولى الذى يلى عقد نكاحهن وهو مذهب الشافعى وقيل هو الزوج وعفوه ان يسوق اليها المهر كاملا وهو مذهب ابى حنيفة والاول ظاهر الصحة وتسمية الزيادة على الحق عفوا فيها نظر الا ان يقال كان الغالب عندهم ان يسوق اليها المهر عند التزوج فاذا طلقها استحق ان يطالبها بنصف ما ساق اليها فاذا ترك المطالبة فقد عفا عنها او سماه عفوا على طريق المشاكلة وعن جبير بن مطعم انه تزوج امراة وطلقها قبل ان يدخل بها فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو وعنه انه دخل على سعد بن ابى وقاص فعرض عليه بنتا له فتزوجها فلما خرج طلقها وبعث اليها بالصداق كاملا فقيل له لم تزوجتها فقال عرضها على فكرهت رده قيل فلم بعثت بالصداق قال فاين الفضل وعفو الزوج ولا تستقصوا وقرا الحسن او يعفو الذى بسكون الواو واسكان الواو والياء فى موضع النصب تشبيها لهما بالالف لانهما اختاها وقرا ابو نهيك وان يعفوا بالياء وقرئ ولا تنسوا الفضل بكسر الواو والصلاة الوسطى اى الوسطى بين الصلوات

حتى تفرضوا وفرض
الفريضة تسميته ح

او الفضلى من قولهم للافضل الاوسط وانما افردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وهي صلوة العصر وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يوم الاحزاب
شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وقال عليه السلام ان الصلاة التي شغل عنها سليمان بن داود حتى توارت بالحجاب
وعن حفصة انها قالت لمن كتب لها المصحف اذا بلغت هذه الآية فلا تكتبها حتى امليها عليك كما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها
فاملت عليه والصلاة الوسطى صلاة العصر وروي عن عائشة وابن عباس والصلاة الوسطى وصلاة العصر بالواو فعلى هذه القراءة يكون التخصيص
لصلاتين احديهما الصلاة الوسطى اما الظهر واما الفجر واما المغرب على اختلاف الروايات فيها والثانية العصر وقيل فضلها لما في وقتها من اشتغال
الناس بتجاراتهم ومعايشهم وعن ابن عمر هي صلاة الظهر لانها في وسط النهار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصليها بالهاجرة ولم تكن صلاة اشد
على اصحابه منها وعن مجاهد هي الفجر لانها بين صلاتي النهار وصلاتي الليل وعن قبيصة بن ذؤيب هي المغرب لانها وتر النهار ولا تنقص
في السفر من ثلاث وقرأ عبد الله وعلى الصلاة الوسطى وقرأت عائشة والصلاة الوسطى بالنصب على المدح والاختصاص وقرأ نافع الوصطى بالصاد وقوموا
لله في الصلاة قانتين ذاكرين له في قيامكم والقنوت ان تذكر الله قائما وعن عكرمة كانوا يتكلمون في الصلاة فنهوا وعن مجاهد هو الركود
وكف الايدي والبصر وروي انهم كانوا اذا قام احدهم الى الصلاة هاب الرحمن ان يمد بصره او يلتفت او يقلب الحصى او يعبث بشيء او يحدث نفسه بشيء من امور
الدنيا فان خفتم فان كان بكم خوف من عدو او غيره فرجالا فصلوا راجلين وهو جمع راجل كقائم وقيام او رجل يقال رجل رجل اي راجل وقرئ
فرجالا بضم الراء ورجالا بالتشديد ورجلا وعند ابي حنيفة لا يصلون في حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف وعند الشافعي يصلون في كل
حال والراكب يومي ويسقط عنه التوجه الى القبلة فاذا امنتم فاذا زال خوفكم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون من صلاة الامن
او فاذا امنتم فاشكروا الله على الامن واذكروه بالعبادة كما احسن اليكم بما علمكم من الشرائع وكيف تصلون في حال الخوف وفي حال الامن وصية لازواجهم تقديره
فيمن قرأ وصية بالرفع ووصية الذين يتوفون او وحكم الذين يتوفون وصية لازواجهم او والذين يتوفون اهل وصية لازواجهم وفيمن قرأ بالنصب والذين
يتوفون يوصون وصية كقولك انما انت سير البريد باضمار تسير او والزم الذين يتوفون وصية ويدل عليه قراءة عبد الله كتب عليكم
الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكان قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول وقرأ ابي متاع لازواجهم
متاعا وروي عنه فمتاع لازواجهم ومتاعا نصب بالوصية الا اذا اضمرت يوصون فانه نصب بالفعل وعلى قراءة ابي متاعا نصب بمتاع لانه في معنى
التمتيع كقولك الحمد لله حمد الشاكرين واعجبني ضرب لك زيدا ضربا شديدا غير اخراج مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول
او بدل من متاعا او حال من الازواج اي غير مخرجات والمعنى ان حق الذين يتوفون عن ازواجهم ان يوصوا قبل ان يحتضروا بان تمتع ازواجهم بعدهم
حولا كاملا اي ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن وكان ذلك في اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وقيل نسخ ما زاد
منه على هذا المقدار ونسخت النفقة بالارث الذي هو الربع والثمن واختلف في السكنى فعند ابي حنيفة واصحابه لا سكنى لهن فيما فعلن في
انفسهن من التزين والتعرض للخطاب من معروف مما ليس بمنكر شرعا فان قلت كيف نسخت الآية المتقدمة المتاخرة قلت
قد يكون الآية متقدمة في التلاوة وهي متاخرة في التنزيل كقوله تعالى سيقول السفهاء مع قوله قد نرى تقلب وجهك في السماء وللمطلقات متاع
عمم المطلقات بايجاب المتعة لهن بعد ما اوجبها لواحدة منهن وهي المطلقة غير المدخول بها وقال حقا على المتقين كما قال ثم حقا على المحسنين وعن سعيد بن جبير
وابي العالية والزهري انها واجبة لكل مطلقة وقيل قد تناولت التمتيع الواجب والمستحب جميعا وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة الم تر تقرير لمن سمع
بقصتهم من اهل الكتاب واخبار الاولين وتعجيب من شأنهم ويجوز ان يخاطب به من لم ير ولم يسمع لان هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجب روي ان اهل
داوردان قرية قبل واسط وقع فيها الطاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا انه لا مفر من حكم الله وقضائه وقيل مر عليهم
حزقيل بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فلوى شدقه واصابعه تعجبا مما رأى فاوحي اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله فنادى
فنظر اليهم قياما يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذرا من الموت فاماتهم
الله ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف فيه دليل على الالوف الكثيرة واختلف في ذلك فقيل عشرة وقيل ثلاثون وقيل سبعون ومن بدع التفاسير
الوف متآلفون جمع آلف كقاعد وقعود فقال لهم الله موتوا معناه فاماتهم وانما جيء به على هذه العبارة للدلالة
على انهم ماتوا ميتة رجل واحد بامر الله ومشيته وتلك ميتة خارجة عن العادة كأنهم امروا بشيء فامتثلوه امتثالا من غير اباء ولا توقف كقوله انما

امره

امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وان الموت اذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه مفر فأولى
ان يكون في سبيل الله لذو فضل على الناس حيث بصرهم ما يعتبرون به ويستبصرون كما بصر اولئك وكما بصركم باقتصاص خبرهم او لذو فضل على الناس
حيث احيا اولئك ليعتبروا فيفوزوا ولو شاء لتركهم موتى الى يوم البعث والدليل على انه ساق هذه القصة بعثا على الجهاد ما اتبعه من الامر بالقتال
في سبيل الله واعلموا ان الله سميع لما يقوله المتخلفون والسابقون عليم بما يضمرونه وهو من وراء الجزاء من ذا الذي مثل لتقديم العمل الذي يطلب به
ثوابه والقرض الحسن اما المجاهدة في سبيل الله واما النفقة في سبيل الله فيضاعفه له اضعافا كثيرة قيل الواحد بسبعمائة وعن السدي كثيرة لا يعلم كنهها الا الله
والله يقبض ويبسط يوسع على عباده ويقتر فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدلكم الضيقة بالسعة واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم
لنبي لهم يوشع او شمعون او اشمويل ابعث لنا ملكا انهض للقتال معنا اميرا نصدر في تدبير الحرب عن رأيه وننتهي الى امره طلبوا من نبيهم نحو ما
كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من التأمير على الجيوش التي كان يجهزها ومن امرهم بطاعته وامتثال اوامره وروي انه امر الناس اذا سافروا ان يجعلوا
احدهم اميرا عليهم نقاتل قرئ بالنون والجزم على الجواب وبالنون والرفع على انه حال اي ابعثه لنا مقدرين القتال او استئناف كأنه قال لهم ما تصنعون
بالملك فقالوا نقاتل وقرئ يقاتل بالياء والجزم على الجواب وبالرفع على انه صفة لملكا وخبر عسيتم ان لا تقاتلوا والشرط فاصل بينهما والمعنى هل قاربتم
ان لا تقاتلوا يعني هل الامر كما اتوقعه انكم لا تقاتلون اراد ان يقول عسيتم ان لا تقاتلوا بمعنى اتوقع جبنكم عن القتال فادخل هل مستفهما عما هو متوقع
عنده ومظنون واراد بالاستفهام التقرير وتثبيت ان المتوقع كائن وانه صائب في توقعه كقوله تعالى هل اتى على الانسان معناه التقرير وقرئ عسيتم
بكسر السين وهي ضعيفة وما لنا ان لا نقاتل واي داع لنا الى ترك القتال واي غرض لنا فيه وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا وذلك ان قوم جالوت كانوا يسكنون
ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فاسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين الا قليلا منهم كان القليل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر على عدد اهل بدر والله عليم
بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في القعود عن القتال وترك الجهاد طالوت اسم اعجمي كجالوت وداود وانما امتنع من الصرف لتعريفه وعجمته وزعموا انه من الطول
لما وصف به من البسطة في الجسم ووزنه ان كان من الطول فعلوت منه اصله طولوت الا ان امتناع صرفه يدفع ان يكون منه الا ان يقال هو اسم عبراني وافق
عربيا كما وافق حنطا حنطة وبشمالا اهماثا رحمانا رحيما بسم الله الرحمن الرحيم فهو من الطول كما لو كان عربيا وكان احد سببيه العجمة لكونه عبرانيا انى كيف ومن
اين وهو انكار لتملكه عليهم واستبعاد له فان قلت ما الفرق بين الواوين في ونحن احق ولم يؤت قلت الاولى للحال والثانية لعطف
الجملة على الجملة الواقعة حالا قد انتظمتهما معا في حكم واو الحال والمعنى كيف يتملك علينا والحال انه لا يستحق التملك لوجود من هو احق بالملك وانه فقير ولا بد
للملك من مال يعتضد به وانما قالوا ذلك لان النبوة كانت في سبط لاوي بن يعقوب والملك في سبط يهوذا ولم يكن طالوت من احد السبطين ولانه كان رجلا سقاء
او دباغا فقيرا وروي ان نبيهم دعا الله حين طلبوا منه ملكا فاتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قال ان الله اصطفاه عليكم
يريد ان الله هو الذي اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكم الله ثم ذكر مصلحتين انفع مما ذكروا من النسب والمال وهما العلم المبسوط والجسامة
والظاهر ان المراد بالعلم المعرفة بما طلبوه لاجله من امر الحرب ويجوز ان يكون عالما بالديانات وبغيرها وقيل قد اوحي اليه ونبئ وذلك ان الملك لا بد ان يكون من
اهل العلم فان الجاهل مزدرى غير منتفع به وان يكون جسيما يملأ العين جهارة لانه اعظم في النفوس واهيب في القلوب والبسطة السعة والامتداد وروي
ان الرجل القائم كان يمد يده فينال رأسه يؤتي ملكه من يشاء اي الملك له غير منازع فيه فهو يؤتيه من يشاء من يستصلحه للملك والله واسع الفضل
والعطاء يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر عليم بمن يصطفيه للملك التابوت صندوق التوراة وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فكانت
تسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون والسكينة السكون والطمأنينة وقيل هي صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها رأس كرأس الهر وذنب كذنبه وجناحان
فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يمضون معه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي رضي الله عنه لها وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة
وبقية هي رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التوراة وكان رفعه الله تعالى بعد موسى عليه السلام فنزلت به الملائكة وهم ينظرون اليه فكان ذلك آية
لاصطفاء الله طالوت وقيل كان مع موسى ومع انبياء بني اسرائيل بعده يستفتحون به فلما غيرت بنو اسرائيل غلبهم عليه الكفار فكان في ارض جالوت فلما اراد الله
ان يملك طالوت اصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مدائن فقالوا هذا بسبب التابوت بين اظهرنا فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة الى طالوت وقيل
كان من خشب الشمشار مموها بالذهب نحوا من ثلاثة اذرع في ذراعين وقرأ ابي وزيد بن ثابت التابوه بالهاء وهي لغة الانصار فان قلت
ما وزن التابوت قلت لا يخلو من ان يكون فعلوتا او فاعولا فلا يكون فاعولا لقلته نحو سلس وقلق ولانه تركيب غير معروف فلا يجوز ترك المعروف

اليه نوادر تطوف من التوب وهو الرجوع لانه ظرف توضع فيه الاشياء وتودعه فلا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وصاحبه يرجع اليه فيما يحتاج اليه من
مودعاته والتابوت والتابوه ... لانه ... والانهما من حروف الزيادة ولذلك ابدلت من تاء
التانيث وقرأ ابو ... بفتح السين والتشديد وهو غريب وقرئ ... بالياء فان قلت ... من آل موسى وآل هرون
الانبياء من بني يعقوب بعدهما لان عمران هو ابن قاهث بن لاوي بن يعقوب فكان اولاد يعقوب ... ويحتمل ان يراد بهما نفس موسى وهرون والآل
مقحم لتفخيم شانهما فصل عن موضع كذا اذا انفصل عنه وجاوزه واصله فصل نفسه ثم كثر حذف المفعول حتى صار في حكم غير المتعدي
كانفصل وقيل فصل عن البلد فصولا ويجوز ان يكون فصله فصلا وفصل فصولا كوقف وصد ونحوهما والمعنى انفصل عن بلده بالجنود روي انه
قال لقومه لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا رجل متزوج بامرأة لم يبن عليها ولا ابتغي الا الشاب النشيط الفارغ
فاجتمع اليه ممن اختار ثمانون الفا وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسألوا ان يجري الله لهم نهرا فقال ان الله مبتليكم بالقوم ... من النهر فمن شرب
منه فمن ابتدأ شربه من النهر بان كرع فيه فليس مني فليس بمتصل بي ومتحد معي من قولهم فلان مني كانه بعضه لاختلاطهما واتحادهما ويجوز ان يراد
فليس من جملتي واشياعي ومن لم يطعمه ومن لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ومنه طعم الشيء لمذاقه قال وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا
الا ترى كيف عطف عليه البرد وهو النوم وسال ... غاضا ... ما ابتلي به اهل ايلة من ترك الصيد مع اتيان الحيتان شرعا
بل هو اشد منه واصعب وانما عرف ذلك طالوت باخبار من النبي وان كان نبيا كما روي عن بعضهم فبالوحي وقرئ بنهر بالسكون ... قلت ... استثناء
من قوله فمن شرب منه فليس مني والجملة الثانية في حكم المتأخرة الا انها قدمت للعناية كما قدم والصابئون في قوله
ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والدليل عليه قوله فشربوا منه اي كرعوا فيه الا
قليلا منهم وقرئ غرفة بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف وقرأ ابي والاعمش الا قليل بالرفع وهذا من ميلهم مع المعنى والاعراض عن اللفظ
جانبا وهو باب جليل من علم العربية فلما كان معنى فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه حمل عليه كأنه قيل فلم يطيعوه الا قليل منهم ونحوه قول الفرزدق
لم يدع من المال الا مسحت او مجلف كأنه قال لم يبق من المال الا مسحت او مجلف وقيل لم يبق مع طالوت الا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا والغرفة
تشفي القليل قال الذين يظنون يعني الخلص منهم الذين تيقنوا لقاء الله ... ويتوقعون ثواب الله والمؤمنون
مختلفون في قوة اليقين ونصوع البصيرة وقيل الضمير في قالوا للكثير الذين انخزلوا والذين يظنون هم القليل الذين ثبتوا معه كانهم تقاولوا به
والنهر بينهما ... والذين شربوا منه
اسودت شفاههم وغلبهم العطش وجالوت جبار من العمالقة ...
ما تثبت في مداحض الحرب من قوة القلب والقاء الرعب في قلب العدو ونحوها من الاسباب كان ايشى ابو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه
وكان داود سابعهم وهو صغير يرعى الغنم فاوحى الى اشمويل ان داود بن ايشى هو الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد مر في طريقه بثلاثة احجار
دعاه كل واحد منها ان احملني وقالت انك تقتل بنا جالوت فحملها في مخلاته ورمى بها جالوت فقتله وزوجه طالوت بنته ... وآتاه الله الملك
في مشارق الارض المقدسة ومغاربها وما اجتمعت بنو اسرائيل على ملك قط قبل داود والحكمة النبوة وعلمه مما يشاء
الدروع وكلام الطير والدواب وغير ذلك ولولا دفع الله الناس ولولا ان الله يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون وفسدت
الارض وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الارض وقيل ولولا ان الله ينصر المسلمين على الكفار لفسدت الارض بعيث
الكفار فيها وقتل المسلمين ... تلك آيات الله يعني القصص التي اقتصها من حديث
الالوف واماتتهم واحيائهم وتمليك طالوت واظهاره بالآية التي هي نزول التابوت من السماء وغلبة الجبابرة على يد صبي بالحق اليقين الذي لا
يشك فيه اهل الكتاب لانه في كتبهم كذلك وانك لمن المرسلين حيث تخبر بها من غير ان تعرف بقراءة كتاب او سماع اخبار تلك الرسل
اشارة الى جماعة الرسل التي ذكرت قصصها في السورة ... فضلنا بعضهم على بعض لما اوجب ذلك من تفاضلهم في الحسنات منهم من كلم الله
منهم من فضله بان كلمه من غير سفير وهو موسى عليه السلام وقرئ كلم الله بالنصب وقرأ اليماني كالم الله من المكالمة ويدل عليه قولهم كليم الله بمعنى
مكالمه ورفع بعضهم درجات اي ومنهم من رفعه على سائر الانبياء فكان بعد تفاوتهم في الفضل افضل منهم بدرجات كثيرة والظاهر انه اراد محمدا
صلى الله عليه

صلى الله عليه وسلم لانه هو المفضل عليهم حيث اوتي ما لم يؤته احد من الآيات المتكاثرة المرتقية الى الف واكثر ولو لم يؤت الا القرآن وحده
لكفى به فضلا منيفا على سائر ما اوتي الانبياء لانه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجزات وفي هذا الابهام من تفخيم فضله
واعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على انه العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس ويقال للرجل من فعل هذا فيقول
احدكم او بعضكم يريد به الذي تعورف واشتهر بنحوه من الافعال فيكون افخم من التصريح به وانوه بصاحبه وسئل الحطيئة عن اشعر الناس فذكر
زهيرا والنابغة ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث اراد نفسه ولو قال ولو شئت لذكرت نفسي لم يفخم امره ويجوز ان يريد ابراهيم ومحمدا
وغيرهما من اولي العزم من الرسل وعن ابن عباس رضي الله عنه كنا في المسجد نتذاكر فضل الانبياء فذكرنا نوحا بطول عبادته وابراهيم بخلته وموسى
بتكليم الله اياه وعيسى برفعه الى السماء وقلنا رسول الله افضل منهم بعث الى الناس كافة وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهو خاتم الانبياء
فدخل صلى الله عليه وسلم فقال فيم انتم فذكرنا له فقال لا ينبغي لاحد ان يكون خيرا من يحيى بن زكريا فذكر انه لم يعمل سيئة قط ولم يهم بها فان قلت
لم خص موسى وعيسى من بين الانبياء بالذكر قلت لما اوتيا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة ولقد بين الله وجه التفضيل
حيث جعل التكليم من الفضل وهو آية من الآيات فلما كان هذان النبيان قد اوتيا ما اوتيا من عظام الآيات خصا بالذكر في باب التفضيل
وهذا دليل بين ان من زيد تفضيلا بالآيات منهم فقد فضل على غيره ولما كان نبينا صلى الله عليه وسلم هو الذي اوتي منها ما لم يؤت احد في
كثرتها وعظمها كان هو المشهود له باحراز قصبات الفضل غير مدافع ... ولو شاء الله مشيئة الجاء وقسر
ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد الرسل لاختلافهم في الدين وتشعب مذاهبهم وتكفير بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن لالتزامه دين الانبياء
ومنهم من كفر لاعراضه عنه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتأكيد ولكن الله يفعل ما يريد من الخذلان والعصمة انفقوا مما
رزقناكم اراد الانفاق الواجب لاتصال الوعيد به من قبل ان يأتي يوم لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الانفاق لانه لا بيع فيه حتى تبتاعوا
ما تنفقونه ولا خلة حتى يسامحكم اخلاؤكم به وان اردتم ان يحط عنكم ما في ذمتكم من الواجب لم تجدوا شفيعا يشفع لكم في حط الواجبات
لان الشفاعة ثمة في زيادة الفضل لا غير والكافرون هم الظالمون اراد والتاركون الزكاة هم الظالمون فقال والكافرون للتغليظ كما قال
في آخر آية الحج ومن كفر مكان ومن لم يحج ولانه جعل ترك الزكاة من صفات الكفار في قوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وقرئ لا بيع
فيه ولا خلة ولا شفاعة بالرفع الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للفناء وهو على اصطلاح المتكلمين الذي يصح ان يعلم ويقدر والقيوم الدائم
القيام بتدبير الخلق وحفظه وقرئ القيام والقيم والسنة ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى النعاس قال ابن الرقاع العاملي
وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم اي لا يأخذه نعاس ولا نوم وهو تأكيد للقيوم لان من جاز عليه ذلك
استحال ان يكون قيوما ومنه حديث موسى انه سأل الملائكة وكان ذلك من قومه كطلب الرؤية اينام ربنا فاوحى الله اليهم ان يوقظوه ثلاثا
ولا يتركوه ينام ثم قال خذ بيدك قارورتين مملوءتين فاخذهما والقى الله عليه النعاس فضرب احداهما على الاخرى فانكسرتا ثم اوحى الله تعالى اليه
قل لهؤلاء اني امسك السموات والارض بقدرتي فلو اخذني نوم او نعاس لزالتا من ذا الذي يشفع عنده بيان لملكوته وكبريائه وان احدا
لا يتمالك ان يتكلم يوم القيامة الا اذا اذن له في الكلام كقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما كان قبلهم وما
يكون بعدهم والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا من الملائكة والانبياء من علمه من معلوماته الا بما
شاء الا بما علم الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وفي قوله وسع كرسيه اربعة اوجه احدها ان كرسيه لم
يضق عن السموات والارض لبسطته وسعته وما هو الا تصوير لعظمته وتخييل فقط ولا كرسي ثمة ولا قعود ولا قاعد لقوله وما قدروا الله
حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه من غير تصور قبضة وطي ويمين وانما هو تصوير لعظمة شأنه
وتمثيل حسي الا ترى الى قوله وما قدروا الله حق قدره والثاني وسع علمه وسمي العلم كرسيا تسمية بمكانه الذي هو كرسي
العالم والثالث وسع ملكه تسمية بمكانه الذي هو كرسي الملك والرابع ما روي انه خلق كرسيا هو بين يدي العرش
دون السموات والارض وهو الى العرش كاصغر شيء وعن الحسن الكرسي هو العرش ولا يؤوده ولا يثقله ولا يشق عليه حفظهما حفظ
السموات والارض وهو العلي الشأن العظيم الملك والقدرة فان قلت كيف ترتبت الجمل في آية الكرسي من غير حرف عطف

الله لا اله الا هو

قلت ما وجه ... الآية وهي ... على ... البيان لما ترتبت عليه والبيان متحد بالمبين فلو توسط بينهما عاطف لكان كما تقول العرب بين العصا
ولحائها فالأولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه والثانية لكونه مالكا لما يدبره والثالثة لكبرياء شأنه
والرابعة لإحاطته بأحوال الخلق وعلمه بالمرتضى منهم المستوجب للشفاعة وغير المرتضى والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات
كلها أو لجلاله وعظم قدره فإن قلت لم فضلت هذه الآية حتى ورد في فضلها ما ورد منه قوله عليه السلام ما قرئت هذه الآية في دار
إلا هجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة يا علي علمها ولدك وأهلك وجيرانك فما نزلت آية أعظم منها
وعن علي رضي الله عنه سمعت نبيكم على أعواد المنبر وهو يقول من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت
ولا يواظب عليها إلا صديق أو عابد ومن قرأها إذا أخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والأبيات حوله وتذاكر الصحابة
أفضل ما في القرآن فقال لهم علي أين أنتم عن آية الكرسي ثم قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا
فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الأيام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن
وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسي قلت لما فضلت له سورة الإخلاص من اشتمالها على توحيد الله تعالى وتعظيمه وتمجيده
وصفاته العظمى ولا مذكور أعظم من رب العزة فما كان ذكرا له كان أفضل من سائر الأذكار وبهذا يعلم أن أشرف العلوم وأعلاها منزلة عند الله
علم أهل العدل والتوحيد ولا يغرنك عنه كثرة أعدائه فإن ... لا إكراه في الدين أي لم يجر الله أمر الإيمان
على الإجبار والقسر ولكن على التمكين والاختيار ونحوه قوله ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا
مؤمنين أي لو شاء لقسرهم على الإيمان ولكنه لم يفعل وبنى الأمر على الاختيار قد تبين الرشد من الغي قد تميز الإيمان من الكفر بالدلائل الواضحة
فمن يكفر بالطاغوت فمن اختار الكفر بالشيطان أو الأصنام والإيمان بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق المحكم المأمون انفصامها
أي انقطاعها وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع كأنه ينظر إليه بعينه فيحكم اعتقاده والتيقن
به وقيل هو إخبار في معنى النهي أي لا تكرهوا في الدين ثم قال بعضهم هو منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل هو في أهل الكتاب
خاصة لأنهم حصنوا أنفسهم بأداء الجزية وروي أنه كان لأنصاري من بني سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل أن يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قدما المدينة فلزمهما أبوهما وقال والله لا أدعكما حتى تسلما فأبيا فاختصموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الأنصاري يا رسول الله أيدخل
بعضي النار وأنا أنظر فنزلت فخلاهما الله ولي الذين آمنوا أي أرادوا أن يؤمنوا يلطف بهم حتى يخرجهم بلطفه وتأييده من الكفر إلى الإيمان والذين
كفروا أي صمموا على الكفر أمرهم على عكس ذلك أو الله ولي المؤمنين يخرجهم من الشبه في الدين إن وقعت لهم بما يهديهم ويوفقهم له من حلها حتى يخرجوا
منها إلى نور اليقين والذين كفروا أولياؤهم الشياطين يخرجونهم من نور البينات التي تظهر لهم إلى ظلمات الشك والشبهة ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه
وكفره به أن آتاه الله الملك متعلق بحاج على وجهين أحدهما حاج لأن آتاه الله الملك على معنى أن إيتاء الملك أبطره وأورثه الكبر والعتو فحاج لذلك
أو على أنه وضع المحاجة في ربه موضع ما يجب عليه من الشكر على أن آتاه الله الملك فكأن المحاجة كانت لذلك كما تقول عاداني فلان لأني أحسنت إليه تريد أنه
عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لأجل الإحسان ونحوه قوله تعالى وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون والثاني حاج وقت أن آتاه الله الملك فإن قلت كيف
جاز أن يؤتي الله الملك الكافر قلت فيه قولان آتاه ما غلب به وتسلط من المال والخدم والأتباع وأما التغليب والتسليط فلا وقيل ملكه امتحانا
لعباده إذ قال إبراهيم نصب بحاج أو بدل من آتاه إذا جعل بمعنى الوقت أنا أحيي وأميت يريد أعفو عن القتل وأقتل وكان الاعتراض عتيدا ولكن إبراهيم
لما سمع جوابه الأحمق لم يحاجه فيه ولكن انتقل إلى ما لا يقدر فيه على نحو ذلك الجواب ليبهته أول شيء وهذا دليل على
جواز الانتقال للمجادل من حجة إلى حجة وقرئ فبهت الذي كفر أي فغلب إبراهيم الكافر وقرأ أبو حيوة فبهت بوزن قرب ... وقيل كانت هذه المحاجة
حين كسر الأصنام وسجنه نمروذ ثم أخرجه من السجن ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعو إليه فقال ربي الذي يحيي ويميت أو كالذي معناه أو أرأيت مثل
الذي فحذف لدلالة ألم تر عليه لأن كلتيهما كلمة تعجب ويجوز أن يحمل على المعنى دون اللفظ كأنه قيل أرأيت كالذي حاج إبراهيم أو كالذي مر على قرية
والمار كان كافرا بالبعث وهو الظاهر لانتظامه مع نمروذ في سلك ولكلمة الاستبعاد التي هي أنى يحيي وقيل هو عزير أو الخضر أراد أن يعاين إحياء
الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه إبراهيم وقوله أنى يحيي اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الإحياء واستعظام لقدرة المحيي والقرية بيت المقدس

حين

حين خربه بختنصر وقيل هي التي خرج منها الألوف وهي خاوية على عروشها ... فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم بناء على الظن روي أنه مات
ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال قبل النظر إلى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال أو بعض يوم وروي أن طعامه كان
تينا وعنبا وشرابه عصيرا أو لبنا فوجد التين والعنب كما جنيا والشراب على حاله لم يتسنه لم يتغير والهاء أصلية أو هاء سكت واشتقاقه
من السنة على الوجهين لأن لامها هاء أو واو وذلك أن الشيء يتغير بمرور الزمان وقيل أصله يتسنن من الحمأ المسنون فقلبت نونه حرف علة
كتقضي البازي ويجوز أن يكون معنى لم يتسنه لم تمر عليه السنون التي مرت عليه يعني هو بحاله كما كان كأنه لم يلبث مائة سنة وفي قراءة عبد الله
فانظر إلى طعامك وهذا شرابك لم يتسنه وقرأ أبي لم يسنه بإدغام التاء في السين وانظر إلى حمارك كيف تفرقت عظامه ونخرت وكان له حمار
قد ربطه ويجوز أن يراد وانظر إليه سالما في مكانه كما ربطته وذلك من أعظم الآيات أن يعيشه مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه
من التغير ولنجعلك آية للناس فعلنا ذلك يريد إحياءه بعد الموت وحفظ ما معه وقيل أتى قومه راكب حماره وقال أنا عزير فكذبوه فقال
هاتوا التوراة فأخذ يهذها هذا عن ظهر قلبه وهم ينظرون في الكتاب فما خرم حرفا فقالوا هو ابن الله ولم يقرأ التوراة ظاهرا أحد قبل عزير فذلك
كونه آية وقيل رجع إلى منزله فرأى أولاده شيوخا وهو شاب فإذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة وانظر إلى العظام هي عظام الحمار
أو عظام الموتى الذين تعجب من إحيائهم كيف ننشرها كيف نحييها وقرأ الحسن ننشرها من نشر الله الموتى بمعنى أنشرهم فنشروا وقرئ بالزاي
بمعنى نحركها ونرفع بعضها إلى بعض للتركيب وفاعل تبين مضمر تقديره فلما تبين له أن الله على كل شيء قدير قال أعلم أن الله على كل شيء قدير
فحذف الأول لدلالة الثاني عليه كما في قولهم ضربني وضربت زيدا ويجوز فلما تبين له ما أشكل عليه يعني أمر إحياء الموتى وقرأ ابن عباس فلما تبين له على البناء
للمفعول وقرئ قال اعلم على لفظ الأمر وقرأ عبد الله قيل اعلم فإن قلت فإن كان المار كافرا كيف يسوغ أن يكلمه الله قلت كان الكلام
بعد البعث ولم يكن إذ ذاك كافرا أرني بصرني فإن قلت كيف قال له أولم تؤمن وقد علم أنه أثبت الناس إيمانا قلت ليجيب بما أجاب
به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين وبلى إيجاب لما بعد النفي معناه بلى آمنت ولكن ليطمئن قلبي ليزيد سكونا وطمأنينة بمضامة علم الضرورة علم
الاستدلال وتظاهر الأدلة أسكن للقلوب وأزيد للبصيرة واليقين ولأن علم الاستدلال يجوز معه التشكيك فإن قلت بم تعلقت اللام في ليطمئن
قلت بمحذوف تقديره ولكن سألت ذلك إرادة طمأنينة القلب فخذ أربعة من الطير طاووسا وديكا وغرابا وحمامة فصرهن إليك
بضم الصاد وكسرها بمعنى فأملهن واضممهن إليك ... ولكن أطراف الرماح تصورها وقال
وفرع يصير الجيد وحف كأنه على الليت قنوان الكروم الدوالح وقرأ ابن عباس فصرهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صره يصره
ويصره إذا جمعه نحو ضره يضره ويضره وعنه فصرهن من التصرية وهي الجمع أيضا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم جزئهن وفرق أجزاءهن على
الجبال والمعنى على كل جبل من الجبال التي بحضرتك وفي أرضك قيل كانت أربعة أجبل وعن السدي سبعة ثم ادعهن وقل لهن تعالين بإذن الله يأتينك
سعيا ساعيات مسرعات في طيرانهن أو في مشيهن على أرجلهن فإن قلت ما معنى أمره بضمها إلى نفسه بعد أن يأخذها قلت ليتأملها ويعرف
أشكالها وهيئاتها وحلاها لئلا تلتبس عليه بعد الإحياء ولا يتوهم أنها غير تلك ولذلك قال يأتينك سعيا وروي أنه أمر بأن يذبحها وينتف ريشها ويقطعها
ويفرق أجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها وأن يمسك رءوسها ثم أمر أن يجعل أجزاءها على الجبال على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح
بها تعالين بإذن الله فجعل كل جزء يطير إلى الآخر حتى صارت جثثا ثم أقبلن فانضممن إلى رءوسهن كل جثة إلى رأسها وقرئ جزؤا بضمتين وجزا
بالتشديد ووجهه أنه خفف بطرح همزته ثم شدد كما يشدد في الوقف إجراء للوصل مجرى الوقف مثل الذين ينفقون لا بد من حذف مضاف
أي مثل نفقتهم كمثل حبة أو مثلهم كمثل باذر حبة والمنبت هو الله ولكن الحبة لما كانت سببا أسند إليها الإنبات كما يسند إلى الأرض والماء ومعنى إنباتها
سبع سنابل أن تخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب لكل واحدة سنبلة وهذا التمثيل تصوير للأضعاف كأنها ماثلة بين عيني الناظر فإن قلت كيف
صح هذا التمثيل والممثل به غير موجود قلت بل هو موجود في الدخن والذرة وغيرهما وربما فرخت ساق البرة في الأراضي القوية المغلة فيبلغ حبها
هذا المبلغ ولو لم يوجد لكان صحيحا على سبيل الفرض والتقدير فإن قلت هلا قيل سبع سنبلات على حقه من التمييز بجمع القلة كما قال
وسبع سنبلات خضر قلت هذا لما قدمت عند قوله ثلاثة قروء من وقوع أمثلة الجمع متعاورة مواقعها والله يضاعف لمن يشاء أي يضاعف
تلك المضاعفة لا لكل منفق لتفاوت أحوال المنفقين أو يضاعف سبع المائة ويزيد عليها أضعافها لمن يستوجب ذلك المن أن يعتد على من

بخلاف علم الضروري ... فأراد ...

احسن اليه باحسانه وتريه انه اصطنعه واوجب عليه حقا له وكانوا يقولون اذا صنعتم صنيعة فانسوها ولبعضهم
وان امرأ اسدى الي صنيعة وذكرنيها مرة للئيم ۞ وفي نوابغ الكلم صنوان من منح سائله ومن ومن منع نائله وضن ومنها طعم
الآلاء احلى من المن وهي امر من الآلاء مع المن ۞ والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما ازل اليه وثم لاظهار التفاوت بين الانفاق وترك
المن والاذى وان تركهما خير من نفس الانفاق كما جعل الاستقامة على الايمان خيرا من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا فان قلت اي فرق بين قوله لهم
اجرهم وقوله فيما بعد فلهم اجرهم قلت الموصول لم يضمن هاهنا معنى الشرط وضمنه ثمة والفرق بينهما من جهة المعنى ان الفاء فيها دلالة على ان
الانفاق به استحق الاجر وطرحها عار عن تلك الدلالة **قول معروف** رد جميل ومغفرة وعفو عن السائل اذا وجد منه ما يثقل على المسئول او نيل مغفرة
من الله بسبب الرد الجميل او عفو من جهة السائل لانه اذا رده ردا جميلا عذره ۞ خير من صدقة يتبعها اذى وصح الاخبار عن المبتدأ النكرة لاختصاصه
بالصفة ۞ والله غني لا حاجة به الى منفق يمن ويؤذي ۞ حليم عن معاجلة من يمن ويؤذي بالعقوبة وهذا سخط منه ووعيد له ثم بالغ في ذلك بما بعده ۞ كالذي ينفق ماله
اي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كابطال المنافق الذي ينفق ماله رئاء الناس لا يريد بانفاقه رضاء الله ولا ثواب الاخرة فمثله كمثل صفوان ومثل نفقته
التي لا ينتفع بها البتة بصفوان بحجر املس عليه تراب ۞ وقرأ سعيد بن المسيب صفوان بوزن كروان فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا
اجرد نقيا من التراب الذي كان عليه ومنه صلد جبين الاصلع اذا برق ۞ لا يقدرون على شيء مما كسبوا كقوله فجعلناه هباء منثورا ويجوز ان يكون
الكاف في محل النصب على الحال اي لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي ينفق فان قلت كيف قال لا يقدرون بعد قوله كالذي ينفق قلت اراد بالذي الجنس او الفريق الذي ينفق قال
اراد بالذي الجنس او الفريق الذي ينفق ولذلك قال لا يقدرون ۞ وتثبيتا من انفسهم وليثبتوا منها ببذل المال الذي هو شقيق الروح
وبذله اشق شيء على النفس على سائر العبادات الشاقة وعلى الايمان لان النفس اذا ريضت بالتحامل عليها وتكليفها ما يصعب عليها ذلت خاضعة لصاحبها
وقل طمعها في اتباعه لشهواتها وبالعكس فكان انفاق المال تثبيتا لها على الايمان واليقين ويجوز ان يراد وتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم
لانه اذا انفق المسلم ماله في سبيل الله علم ان تصديقه وايمانه بالثواب من اصل نفسه ومن اخلاص قلبه ومن على التفسير الاول للتبعيض مثلها في قولهم
هز من عطفه وحرك من نشاطه وعلى الثاني لابتداء الغاية كقوله تعالى حسدا من عند انفسهم ۞ ويحتمل ان يكون المعنى وتثبيتا من انفسهم عند المؤمنين انها
صادقة الايمان مخلصة فيه وتعضده قراءة مجاهد وتبيينا من انفسهم فان قلت فما معنى التبعيض قلت معناه ان من بذل ماله لوجه الله فقد
ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه معا فهو الذي ثبتها كلها وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم والمعنى ومثل نفقة هؤلاء في زكاتها عند الله
كمثل جنة وهي البستان بربوة بمكان مرتفع وخصها لان الشجر فيها ازكى واحسن ثمرا اصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت ثمرتها ضعفين
مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل ۞ فان لم يصبها وابل فطل فمطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها او مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة
ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل وكما ان كل واحد من المطرين يضعف اكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت او قليلة بعد ان يطلب بها
وجه الله ويبذل فيها الوسع زاكية عند الله زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عنده وقرئ كمثل حبة وبربوة بالحركات الثلاث واكلها بضمتين
الهمزة في ايود للانكار ۞ وقرئ له جنات ۞ ذرية ضعاف ۞ والاعصار الريح التي تستدير في الارض ثم تسطع نحو السماء كالعمود وهذا
مثل لمن يعمل الاعمال الحسنة لا يبتغي بها وجه الله فاذا كان يوم القيامة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة من ابهى الجنان
واجمعها للثمار فبلغ الكبر وله اولاد ضعاف والجنة معاشهم ومنتعشهم فهلكت بالصاعقة ۞ وعن عمر رضي الله عنه انه سأل عنها الصحابة فقالوا
الله اعلم فغضب وقال قولوا نعلم او لا نعلم فقال ابن عباس في نفسي منها شيء يا امير المؤمنين قال قل يا ابن اخي ولا تحقر نفسك قال ضرب مثلا للعمل
قال لاي عمل قال للرجل الغني يعمل الحسنات ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى اغرق اعماله كلها وعن الحسن هذا مثل قل والله من يعقله من
الناس شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صبيانه افقر ما كان الى جنته وان احدكم والله افقر ما يكون الى عمله اذا انقطعت عنه الدنيا فان قلت
كيف قال جنة من نخيل واعناب ثم قال له فيها من كل الثمرات قلت النخيل والاعناب لما كانا اكرم الشجر واكثرها منافع خصهما بالذكر
وجعل الجنة منهما وان كانت محتوية على سائر الاشجار تغليبا لهما على غيرهما ثم اردفهما ذكر كل الثمرات ويجوز ان يريد بالثمرات المنافع التي
كانت تحصل له منها كقوله وكان له ثمر بعد قوله جنتين من اعناب وحففناهما بنخل فان قلت علام عطف قوله واصابه الكبر قلت
الواو للحال لا للعطف ومعناه ان تكون له جنة وقد اصابه الكبر وقيل يقال يود احدكم لو كانت

لتحتملوا صابة الكبر ۞ من طيبات ما كسبتم من جياد مكسوباتكم ومما اخرجنا لكم من الحب والثمر والمعادن وغيرها فان قلت فهلا
قيل وما اخرجنا لكم عطفا على ما كسبتم حتى يشتمل الطيب على المكسوب والمخرج من الارض قلت معناه ومن طيبات ما اخرجنا لكم الا انه
حذف لذكر الطيبات ۞ **ولا تيمموا الخبيث** ولا تقصدوا المال الردئ منه تنفقون تخصونه بالانفاق وهو في محل الحال وقرأ عبد الله
ولا تأمموا وقرأ ابن عباس ولا تيمموا بضم التاء ويممه وتيممه وتأممه سواء في معنى قصده ۞ ولستم بآخذيه وحالكم انه من يعطاكم فلان عن بعض
حقه لا تأخذونه الا ان تغمضوا فيه الا بان تتسامحوا في اخذه وتترخصوا فيه من قولك اغمض فلان عن بعض
حقه اذا غمض بصره ويقال للبائع اغمض اي لا تستقص كانك لا تبصر وقال الطرماح
لم يفتنا بالوتر قوم وللضيم رجال يرضون بالاغماض ۞ وقرأ الزهري تغمضوا وتغمضوا وغمض بمعنى اغمض وعن قتادة تغمضوا ابغض الحرام
وكرهها من غمض وبغمض وعن ابي زيد ان تغمضوا على البناء للمفعول بمعنى الا ان تدخلوا فيه وتجذبوا اليه وقيل الا ان توجدوا مغمضين وعن
الحسن لو وجدتموه في السوق يباع ما اخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه وعن ابن عباس كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه ۞ الشيطان يعدكم
في الانفاق الفقر ويقول لكم ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا وقرئ الفقر بالضم والفقر بفتحتين ۞ والوعد يستعمل في الخير والشر قال
الله تعالى النار وعدها الله الذين كفروا ويأمركم بالفحشاء ويغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الآمر للمأمور والفاحش عند العرب البخيل
والله يعدكم في الانفاق مغفرة لذنوبكم وكفارة لها وفضلا وان يخلف عليكم افضل مما انفقتم او ثوابا عليه في الآخرة ۞ يؤتي الحكمة يوفق للعلم
والعمل به والحكيم عند الله هو العالم العامل وقرئ ومن يؤت الحكمة بمعنى ومن يؤته الله الحكمة وهكذا قرأ الاعمش ۞ خيرا كثيرا
تنكير تعظيم كانه قال فقد اوتي اي خير كثير ۞ وما يذكر الا اولوا الالباب يريد الحكماء العلماء العمال والمراد به الحث على العمل
بما تضمنت الآي في معنى الانفاق ۞ وما انفقتم من نفقة في سبيل الله او في سبيل الشيطان او نذرتم من نذر في طاعة الله او في معصية ۞ فان الله يعلمه
لا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه ۞ وما للظالمين الذين يمنعون الصدقات او ينفقون اموالهم في المعاصي او لا يوفون بالنذور او ينذرون في المعاصي
من انصار ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه ۞ فنعما هي فنعم شيئا ابداؤها وقرئ بكسر
النون وفتحها ۞ وان تخفوها وتؤتوها الفقراء وتصيبوا بها مصارفها مع الاخفاء فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم والمراد الصدقات المتطوع
بها فان الافضل في الفرائض ان يجاهر بها وعن ابن عباس رضي الله عنه صدقات السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة
علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا وانما كانت المجاهرة بالفرائض افضل لنفي التهمة حتى اذا كان المزكي ممن لا يعرف باليسار كان
اخفاؤه افضل والمتطوع ان اراد ان يقتدى به كان اظهاره افضل ۞ ونكفر قرئ بالنون مرفوعا عطفا على محل ما بعد الفاء او على انه خبر
مبتدأ محذوف اي ونحن نكفر او على انه جملة من فعل وفاعل مبتدأة ومجزوما عطفا على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط وقرئ ويكفر
بالياء مرفوعا والفعل لله او للاخفاء وتكفر بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات ۞ وقرأ الحسن بالتاء والنصب باضمار ان ومعناه
ان تخفوها يكن خيرا لكم وان نكفر عنكم ۞ ليس عليك هداهم لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والاذى والانفاق
من الخبيث وغير ذلك وما عليك الا ان تبلغهم النواهي فحسب ولكن الله يهدي من يشاء يلطف بمن يعلم ان اللطف ينفع فيه فينتهي عما نهي عنه
وما تنفقوا من خير من مال فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم ۞ وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وليست نفقتكم
الا لابتغاء وجه الله ولطلب ما عنده فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله الى الله ۞ وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا
مضاعفة فلا عذر لكم في ان ترغبوا عن انفاقه وان يكون على احسن الوجوه واجملها ۞ وقيل حجت اسماء بنت ابي بكر فاتتها امها تسألها وهي مشركة
فابت ان تعطيها فنزلت ۞ وعن سعيد بن جبير كانوا يتقون ان يرضخوا لقراباتهم من المشركين ۞ وروي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار في اليهود
ورضاع وقد كانوا ينفقون عليهم قبل الاسلام فلما اسلموا كرهوا ان ينفعوهم ۞ وعن بعض العلماء لو كان شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك والخلاف
في الواجب وجوز ابو حنيفة رحمه الله صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة وابى غيره ۞ للفقراء متعلق بمحذوف والمعنى اعمدوا للفقراء او اجعلوا
ما تنفقون للفقراء كقوله في تسع آيات ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف اي صدقاتكم للفقراء ۞ الذين احصروا في سبيل الله هم الذين
احصرهم الجهاد ۞ لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الارض للكسب ۞ وقيل هم اصحاب الصفة وهم نحو من اربعمائة رجل من مهاجري قريش لم تكن
لهم مساكن في المدينة ولا عشائر وكانوا في صفة المسجد وهي سقيفته يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل

سوق ثم يعيشان رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن كان عنده فضل فليأت به إذا أمسى وعن ابن عباس وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً على أصحاب الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال أبشروا يا أصحاب الصفة فمن بقي من أمتي على النعت الذي أنتم عليه راضياً بما فيه فإنه من رفقائي يحسبهم الجاهل بحالهم أغنياء من التعفف مستغنين من أجل تعففهم عن المسألة تعرفهم بسيماهم من صفرة الوجه ورثاثة الحال والإلحاف الإلحاح وهو اللزوم وأن لا يفارق إلا بشيء يعطاه من قولهم لحفني من فضل لحافه أي أعطاني من فضل ما عنده وعن النبي صلى الله عليه وسلم إن الله يحب الحيي الحليم المتعفف ويبغض البذي السائل الملحف ومعناه أنهم إن سألوا سألوا بلطف ولم يلحوا وقيل هو نفي للسؤال والإلحاف جميعاً كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره يريد نفي المنار والاهتداء به بالليل والنهار سراً وعلانية يعمون الأوقات والأحوال بالصدقة لحرصهم على الخير فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال وقيل نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين تصدق بأربعين ألف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة في السر وعشرة في العلانية وعن ابن عباس نزلت في علي رضي الله عنه لم يملك إلا أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً وبدرهم سراً وبدرهم علانية وقيل نزلت في علف الخيل وارتباطها في سبيل الله وعن أبي هريرة كان إذا مر بفرس سمين قرأ هذه الآية الربوا كتب بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلوة والزكوة وزيدت الألف بعدها تشبيهاً بواو الجمع لا يقومون إذا بعثوا من قبورهم إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان أي المصروع وتخبط الشيطان من زعمات العرب يزعمون أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرع والخبط الضرب على غير استواء كخبط العشواء فورد على ما كانوا يعتقدون من المس الجنون ورجل ممسوس وهذا أيضاً من زعماتهم وأن الجني يمسه فيختلط عقله وكذلك جن الرجل معناه ضربته الجن ورأيتهم لهم في الجن قصص وأخبار وعجائب وإنكار ذلك عندهم كإنكار المشاهدات فإن قلت بم يتعلق قوله من المس قلت بلا يقومون أي لا يقومون من المس الذي بهم إلا كما يقوم المصروع ويجوز أن يتعلق بيقوم أي كما يقوم المصروع من جنونه والمعنى أنهم يقومون يوم القيامة مخبلين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون بها عند أهل الموقف وقيل الذين يخرجون من الأجداث يوفضون إلا أكلة الربوا فإنهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لأنهم أكلوا الربوا فأرباه الله في بطونهم حتى أثقلهم فلا يقدرون على الإيفاض ذلك العقاب بسبب قولهم إنما البيع مثل الربوا فإن قلت هلا قيل إنما الربوا مثل البيع لأن الكلام في الربوا لا في البيع فوجب أن يقال إنهم شبهوا الربوا بالبيع فاستحلوه وكانت شبهتهم أنهم قالوا لو اشترى الرجل ما لا يساوي إلا درهماً بدرهمين جاز فكذلك إذا باع درهماً بدرهمين قلت جيء به على طريق المبالغة وهو أنه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربوا أنهم جعلوه أصلاً وقانوناً في الحل حتى شبهوا به البيع وقوله وأحل الله البيع وحرم الربوا إنكار لتسويتهم بينهما ودلالة على أن القياس يهدمه النص لأنه جعل الدليل على بطلان قياسهم إحلال الله وتحريمه فمن جاءه موعظة فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربوا فانتهى فتبع النهي وامتنع فله ما سلف فلا يؤاخذ بما مضى منه لأنه أخذ قبل نزول التحريم وأمره إلى الله يحكم في شأنه يوم القيامة وليس من أمره إليكم شيء فلا تطالبوه به ومن عاد إلى الربوا فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون وهذا دليل بين على تخليد الفساق وذكر فعل الموعظة لأن تأنيثها غير حقيقي ولأنها في معنى الوعظ وقرأ أبي والحسن فمن جاءته يمحق الله الربوا يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه وعن ابن مسعود الربوا وإن كثر إلى قل ويربي الصدقات ما يتصدق به بأن يضاعف عليه الثواب ويزيد المال الذي أخرجت منه الصدقة ويبارك فيه وفي الحديث ما نقصت زكوة من مال قط كل كفار أثيم تغليظ في أمر الربوا وإيذان بأنه من فعل الكفار لا من فعل المسلمين اتقوا الله وذروا ما شرطوا على الناس من الربوا ... وروي أنها نزلت في ثقيف وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا وقرأ الحسن ما بقي بقلب الياء ألفاً على لغة طيء وعنه ما بقي بياء ساكنة ومنه قول جرير

هو الخليفة فارضوا ما رضي لكم ماضي العزيمة ما في حكمه جنف

إن كنتم مؤمنين إن صح إيمانكم يعني أن دليل صحة الإيمان وثباته امتثال ما أمرتم به من ذلك فأذنوا بحرب فاعلموا بها من أذن بالشيء إذا علم به وقرئ فآذنوا فأعلموا بها غيركم وهو من الأذن وهو الاستماع لأنه من طرق العلم وقرأ الحسن فأيقنوا وهو دليل لقراءة العامة فإن قلت هلا قيل بحرب الله ورسوله قلت كان هذا أبلغ لأن المعنى فأذنوا بنوع من الحرب عظيم عند الله ورسوله وروي أنها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وإن تبتم من الارتباء فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون الغريم بطلب الزيادة عليها ولا تظلمون بالنقصان منها فإن قلت هذا حكمهم إن تابوا

لهم في الجن

فما

فما حكمهم لو لم يتوبوا قلت قالوا يكون مالهم فيئاً للمسلمين وروى المفضل عن عاصم لا تظلمون ولا تظلمون وإن كان ذو عسرة وإن وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة أي ذو إعسار وقرأ عثمان رضي الله عنه ذا عسرة على وإن كان الغريم ذا عسرة وقرئ ومن كان ذا عسرة فنظرة فالحكم أو فالأمر نظرة وهي الإنظار وقرئ فنظرة بسكون الظاء وقرأ عطاء فناظره بمعنى فصاحب الحق ناظره أي منتظره أو صاحب نظرته على طريقة النسب كقولهم مكان عاشب وباقل بمعنى ذو عشب وذو بقل وعنه فناظره على الأمر بمعنى فسامحه بالنظرة وباشره بها إلى ميسرة إلى يسار وقرئ بضم السين كمقبرة ومقبرة ومشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الإضافة كقوله وأخلفوك عد الأمر الذي وعدوا وقوله تعالى وإقام الصلاة وأن تصدقوا خير لكم ندب إلى أن يتصدقوا برؤوس أموالهم على من أعسر من غرمائهم أو ببعضها كقوله وأن تعفوا أقرب للتقوى وقيل أريد بالتصدق الإنظار لقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره إلا كان له بكل يوم صدقة إن كنتم تعلمون أنه خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل به وإن علمه كأنه لا يعلمه وقرئ تصدقوا بتخفيف الصاد على حذف التاء ترجعون قرئ على البناء للفاعل والمفعول وقرئ يرجعون بالياء على طريقة الالتفات وقرأ عبد الله تردون وقرأ أبي تصيرون وعن ابن عباس أنها آخر آية نزل بها جبريل وقال ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها أحداً وعشرين يوماً وقيل أحداً وثمانين وقيل سبعة أيام وقيل ثلاث ساعات إذا تداينتم إذا داين بعضكم بعضاً يقال داينت الرجل إذا عاملته بدين معطياً أو آخذاً كما تقول بايعته إذا بعته أو باعك قال رؤبة

داينت أروى والديون تقضى فمطلت بعضاً وأدت بعضاً

والمعنى إذا تعاملتم بدين مؤجل فاكتبوه فإن قلت هلا قيل إذا تداينتم إلى أجل مسمى وأي حاجة إلى ذكر الدين كما قال داينت أروى ولم يقل بدين قلت ذكر ليرجع الضمير إليه في قوله فاكتبوه إذ لو لم يذكر لوجب أن يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولأنه أبين لتنويع الدين إلى مؤجل وحال فإن قلت ما فائدة قوله مسمى قلت ليعلم أن من حق الأجل أن يكون معلوماً كالتوقيت بالسنة والأشهر والأيام ولو قال إلى الحصاد أو الدياس أو رجوع الحاج لم يجز لعدم التسمية وإنما أمر بكتبة الدين لأن ذلك أوثق وآمن من النسيان وأبعد من الجحود والأمر للندب وعن ابن عباس أن المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا أباح السلف وعنه أشهد أن الله أباح السلم المضمون إلى أجل معلوم في كتابه وأنزل فيه أطول آية بالعدل متعلق بكاتب صفة له أي كاتب مأمون على ما يكتب بالسوية والاحتياط لا يزيد على ما يجب أن يكتب ولا ينقص وفيه أن يكون الكاتب فقيهاً عالماً بالشروط حتى يجيء مكتوبه معدلاً بالشرع وهو أمر للمتداينين بتخير الكاتب وأن لا يستكتبوا إلا فقيهاً ديناً ولا يأب كاتب ولا يمتنع أحد من الكتاب وهو معنى تنكير كاتب أن يكتب كما علمه الله مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير وقيل هو كقوله تعالى وأحسن كما أحسن الله إليك أي ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها وعن الشعبي هي فرض كفاية وكما علمه الله يجوز أن يتعلق بأن يكتب وبقوله فليكتب فإن قلت أي فرق بين الوجهين قلت إن علقته بأن يكتب فقد نهي عن الامتناع من الكتابة المقيدة ثم قيل له فليكتب تلك الكتابة لا يعدل عنها للتوكيد وإن علقته بقوله فليكتب فقد نهي عن الامتناع من الكتابة على سبيل الإطلاق ثم أمر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق ولا يكن المملي إلا من وجب عليه الحق لأنه هو المشهود على ثباته في ذمته وإقراره به والإملال والإملاء لغتان قد نطق بهما القرآن فهي تملى عليه ولا يبخس منه من الحق شيئاً والبخس النقص وقرئ شيئاً بطرح الهمزة وشيّاً بالتشديد سفيهاً محجوراً عليه لتبذيره وجهله بالتصرف أو ضعيفاً صبياً أو شيخاً مختلاً أو لا يستطيع أن يمل هو أو غير مستطيع للإملاء بنفسه لعي به أو خرس فليملل وليه الذي يلي أمره من وصي إن كان سفيهاً أو صبياً أو وكيل إن كان غير مستطيع أو ترجمان يمل عنه وهو يصدقه وقوله أن يمل هو فيه أنه غير مستطيع بنفسه ولكن بغيره وهو الذي يترجم عنه واستشهدوا شهيدين واطلبوا أن يشهد لكم شهيدان على الدين من رجالكم من رجال المؤمنين والحرية والبلوغ شرط مع الإسلام عند عامة العلماء وعن علي رضي الله عنه لا تجوز شهادة العبد في شيء وعند شريح وابن سيرين وعثمان البتي أنها جائزة ويجوز عند أبي حنيفة شهادة الكفار بعضهم على بعض على اختلاف الملل فإن لم يكونا فإن لم يكن الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان فليشهد رجل وامرأتان وشهادة النساء مع الرجال مقبولة عند أبي حنيفة فيما عدا الحدود والقصاص ممن ترضون ممن تعرفون عدالتهم أن تضل إحداهما أن لا تهتدي إحداهما للشهادة بأن تنساها من ضل الطريق إذا لم يهتد له وانتصابه على أنه مفعول له أي

ان تنسى احداهما قال ... قلت كيف يكون ضلالها مرادا لله تعالى قلت لما كان الضلال سببا للاذكار والاذكار مسببا عنه وهم ينزلون كل
واحد من السبب والمسبب منزلة الآخر لالتباسهما واتصالهما كانت ارادة الضلال المسبب عنه الاذكار ارادة للاذكار فكانه قيل ارادة ان تذكر
احداهما الاخرى ان ضلت ونظيره قولهم اعددت الخشبة ان يميل الحائط فادعمه واعددت السلاح ان يجي عدو فادفعه وقرى فتذكر
بالتخفيف والتشديد وهما لغتان وفتذاكر وقرا حمزة ان تضل احداهما على الشرط فتذكر بالرفع والتشديد كقوله ومن عاد فينتقم الله منه وقرى
ان تضل احداهما على البناء للمفعول والتانيث ومن بدع التفاسير فتذكر فتجعل احداهما الاخرى ذكرا يعني انهما اذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر
اذا ما دعوا ليقيموا الشهادة وقيل ليستشهدوا وقيل لهم شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة الكائن وعن قتادة كان الرجل
يطوف في الحواء العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم احد فنزلت كنى بالسأم عن الكسل لان الكسل صفة المنافق ومنه الحديث لا
يقول المؤمن كسلت ويجوز ان يراد من كثرت مداياناته فاحتاج ان يكتب لكل دين صغير او كبير كتابا فربما مل كثرة الكتب والضمير
في تكتبوه للدين او للحق صغيرا او كبيرا على اي حال كان الحق من صغر او كبر ويجوز ان يكون الضمير للكتاب وان تكتبوه مختصرا او مشبعا
ولا تخلوا بكتابته الى اجله الى وقته الذي اتفق الغريمان على تسميته ذلكم اشارة الى ان تكتبوه لانه في معنى المصدر اي ذلكم الكتب اقسط
اعدل من القسط واقوم للشهادة واعون على اقامة الشهادة وادنى ان لا ترتابوا واقرب من انتفاء الريب فان قلت مم بني افعلا
التفضيل اعني اقسط واقوم قلت يجوز على مذهب سيبويه ان يكونا مبنيين من اقسط واقام وان يكون اقسط من قاسط على طريقة النسب
بمعنى ذي قسط واقوم من قويم وقرى ولا يسأموا ان يكتبوه بالياء فيهما فان قلت ما معنى تجارة حاضرة وسواء كانت المبايعة بدين او
بعين فالتجارة حاضرة وما معنى ادارتها بينهم قلت اريد بالتجارة ما يتجر فيه من الابدال ومعنى ادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد
والمعنى الا ان تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد فلا باس ان لا تكتبوه لانه لا يتوهم فيه ما يتوهم في التداين وقرى تجارة حاضرة بالرفع على كان التامة
وقيل هي الناقصة على ان الاسم تجارة حاضرة والخبر تديرونها وبالنصب على الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله
بني اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا اي اذا كان اليوم يوما واشهدوا اذا تبايعتم امر بالاشهاد على
التبايع مطلقا ناجزا كان او كالئا لانه احوط وابعد مما عسى يقع من الاختلاف ويجوز ان يراد واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع يعني التجارة
الحاضرة على ان الاشهاد كاف فيه دون الكتاب وعن الحسن ان شاء اشهد وان شاء لم يشهد وعن الضحاك هي عزيمة من الله ولو على باقة بقل
ولا يضار يحتمل البناء للفاعل والمفعول والدليل عليه قراءة عمر رضي الله عنه ولا يضارر بالاظهار والكسر وقراءة ابن عباس ولا يضارر بالاظهار
والفتح والمعنى نهي الكاتب والشهيد عن ترك الاجابة الى ما يطلب منهما وعن التحريف والزيادة والنقصان او النهي عن الضرار بهما بان يعجلا عن مهم
ويلزا او لا يعطى الكاتب حقه من الجعل او يحمل الشهيد مؤنة مجيئه من بلده وقرا الحسن ولا يضار بالكسر وان تفعلوا وان تضاروا
فانه فسوق بكم وقيل وان تفعلوا شيئا مما نهيتم عنه على سفر مسافرين وعن ابن عباس رضي الله عنه ولم تجدوا كتابا وقال ابن عباس
ارايت ان وجدت الكاتب ولم تجد الصحيفة والدواة وقرا ابو العالية كتبا وعن الحسن كتابا جمع كاتب فرهن فالذي يستوثق
به رهن وقرى فرهن بضم الهاء وسكونها وهو جمع رهن كسقف وسقف وفرهان فان قلت لم شرط السفر في الارتهان ولا يختص
بسفر دون حضر وقد رهن رسول الله صلى الله عليه وسلم درعه في غير سفر قلت ليس الغرض تجويز الارتهان في السفر خاصة ولكن السفر
لما كان مظنة لاعواز الكتب والاشهاد امر على سبيل الارشاد الى حفظ المال من كان على سفر بان يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب
والاشهاد وعن مجاهد والضحاك انهما لم يجوزاه الا في حال السفر اخذا بظاهر الآية واما القبض فلا بد من اعتباره وعند مالك يصح الارتهان
بالايجاب والقبول بدون القبض فان امن بعضكم بعضا فان امن بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه به بالامانة والوفاء واستغنى عن الارتهان من
مثله فليؤد الذي اؤتمن امانته حث للمديون على ان يكون عند ظن الدائن به وامنه منه وائتمانه له وان يؤدي اليه الحق الذي ائتمنه عليه فلم يرتهن منه
وسمى الدين امانة وهو مضمون لائتمانه عليه بترك الارتهان منه والقراءة ان تنطق بهمزة ساكنة بعد الذال او بياء فتقول الذي تمن او الذيتمن
وعن عاصم انه قرا الذتمن بادغام الياء في التاء قياسا على اتسر في الافتعال من اليسر وليس بصحيح لان الياء منقلبة عن الهمزة فهي في حكم الهمزة
واتزر عامي وكذلك ريا في رؤيا آثم قلبه آثم خبر ان وقلبه رفع بآثم على الفاعلية كانه قيل فانه يأثم قلبه ويجوز ان يرتفع قلبه بالابتداء وآثم

جز

خبر مقدم والجملة خبر ان فان قلت هلا اقتصر على قوله فانه آثم وما فائدة ذكر القلب والجملة هي الآثمة لا القلب وحده قلت
كتمان الشهادة هو ان يضمرها ولا يتكلم بها فلما كان اثما مقترفا بالقلب اسند اليه لان اسناد الفعل الى الجارحة التي يعمل بها ابلغ الا تراك
تقول اذا اردت التوكيد هذا مما ابصرته عيني ومما سمعته اذني ومما عرفه قلبي ولان القلب هو رئيس الاعضاء والمضغة التي ان صلحت
صلح الجسد كله وان فسدت فسد الجسد كله فكانه قيل فقد تمكن الاثم في اصل نفسه وملك اشرف مكان فيه ولئلا يظن ان كتمان الشهادة
من الآثام المتعلقة باللسان فقط وليعلم ان القلب اصل متعلقه ومعدن اقترافه واللسان ترجمان عنه ولان افعال القلوب اعظم من افعال
سائر الجوارح وهي لها كالاصول التي تتشعب منها الا ترى ان اصل الحسنات والسيئات الايمان والكفر وهما من افعال القلوب فاذا جعل كتمان
الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بانه من معاظم الذنوب وعن ابن عباس رضي الله عنه اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله فقد حرم
الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وقرى قلبه بالنصب كقوله سفه نفسه وقرا ابن ابي عبلة اثم قلبه اي جعله آثما
وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يعني من السوء يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء لمن استوجب المغفرة بالتوبة مما اظهر منه او اضمر
ويعذب من يشاء ممن استوجب العقوبة بالاصرار ولا يدخل فيما يخفيه الانسان الوساوس وحديث النفس لان ذلك مما ليس في وسعه الخلو منه ولكن
ما اعتقده وعزم عليه وعن عبد الله بن عمر انه تلاها فقال لئن اخذنا الله بهذا لنهلكن ثم بكى حتى سمع نشيجه فذكر لابن عباس فقال يغفر
الله لابي عبد الرحمن فقد وجد المسلمون منها مثل ما وجد فنزل لا يكلف الله وقرى فيغفر ويعذب مجزومين عطفا على جواب الشرط ومرفوعين
على فهو يغفر ويعذب فان قلت كيف يقرا الجازم قلت يظهر الراء ويدغم الباء ومدغم الراء في اللام لاحن مخطي خطا
فاحشا وراويه عن ابي عمرو مخطي مرتين لانه يلحن وينسب الى اعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم والسبب في نحو هذه الروايات قلة
ضبط الرواة والسبب في قلة الضبط قلة الدراية ولا يضبط نحو هذا الا اهل النحو وقرا الاعمش يغفر بغير فاء مجزوما على البدل
من يحاسبكم كقوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا ومعنى هذا البدل التفصيل لجملة الحساب
لان التفصيل اوضح من المفصل فهو جار مجرى بدل البعض من الكل او بدل الاشتمال كقولك ضربت زيدا راسه واحببت زيدا عقله وهذا البدل
واقع في الافعال وقوعه في الاسماء لحاجة القبيلين الى البيان والمؤمنون ان عطف على الرسول كان الضمير الذي التنوين نائب عنه في كل راجعا
الى الرسول والمؤمنين اي كلهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله من المذكورين ووقف عليه وان كان مبتدا كان الضمير للمؤمنين ووحد ضمير
كل في آمن على معنى كل واحد منهم آمن وكان يجوز ان يجمع كقوله وكل اتوه داخرين وقرا ابن عباس وكتابه يريد القرآن
او الجنس وعنه الكتاب اكثر من الكتب فان قلت كيف يكون الواحد اكثر من الجمع قلت لانه اذا اريد بالواحد
الجنس والجنسية قائمة في وحدان الجنس كلها لم يخرج منه شيء فاما الجمع فلا يدخل تحته الا ما فيه الجنسية من الجموع لا نفرق يقولون لا
نفرق وعن ابي عمرو يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرا عبد الله لا يفرقون واحد في معنى الجمع كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه
بين غفرانك منصوب باضمار فعله يقال غفرانك لا كفرانك اي نستغفرك ولا نكفرك وقرى وكتبه ورسله بالسكون
الوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه اي لا يكلفها الا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى الطاقة والمجهود وهذا
اخبار عن عدله ورحمته كقوله يريد الله بكم اليسر لانه كان في امكان الانسان وطاقته ان يصلي اكثر من الخمس ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر
من حجة وقرا ابن ابي عبلة وسعها بالفتح لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر لا يؤاخذ
بذنبها غيرها ولا يثاب غيرها بطاعتها فان قلت لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب قلت في الاكتساب اعتمال فلما كان
الشر مما تشتهيه النفس وهي منجذبة اليه وامارة به كانت في تحصيله اعمل واجد فجعلت لذلك مكتسبة فيه ولما لم تكن كذلك في باب
الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال اي لا تؤاخذنا بالنسيان او الخطا ان فرطنا فان قلت النسيان والخطا متجاوز عنهما فما
معنى الدعاء بترك المؤاخذة بهما قلت ذكر النسيان والخطا والمراد بهما ما هما مسببان عنه من التفريط والاغفال الا ترى الى قوله
وما انسانيه الا الشيطان والشيطان لا يقدر على فعل النسيان وانما يوسوس فتكون وسوسته سببا للتفريط الذي منه النسيان ولانهم كانوا
متقين الله حق تقاته فما كانت تفرط منهم فرطة الا على وجه النسيان والخطا فكان وصفهم بالدعاء بذلك ايذانا ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون

بكاتبه وقيل إن كان النسيان والخطأ مما يؤاخذ به فما منهم سبب مؤاخذة إلا الخطأ والنسيان ويجوز أن يدعو الإنسان بما علم أنه حاصل
له قبل الدعاء من فضل الله لاستدامته والاعتداد بالنعمة فيه الإصر العبء الذي يأصر حامله أي يحبسه مكانه لا يستقل به لثقله
استعير للتكليف الشاق من نحو قتل الأنفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك وقرئ آصارا على الجمع وفي قراءة أبي
ولا تحمل علينا التشديد فإن قلت أي فرق بين هذه التشديدة والتي في ولا تحملنا ما قلت هذه للمبالغة في حمل عليه وتلك لنقل
حمله من مفعول واحد إلى مفعولين ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من العقوبات النازلة بمن قبلنا طلبوا الإعفاء عن التكليفات الشاقة التي كلفها
من قبلهم ثم عن نزول العقوبات على تفريطهم في المحافظة عليها وقيل المراد به الشاق الذي لا يكاد يستطاع من التكاليف وهذا تكرير لقوله ولا تحمل
علينا إصرا مولانا سيدنا ونحن عبيدك أو ناصرنا أو متولي أمورنا فانصرنا فمن حق المولى أن ينصر عبيده أو فإن ذلك عادتك أو فإن ذلك من
أمورنا التي عليك توليها وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة قد فعلت وعنه عليه السلام من قرأ
الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وعنه عليه السلام أوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن نبي قبلي
وعنه إن الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل أن يخلق الخلق بألفي سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة أجزأتاه عن قيام الليل
فإن قلت هل يجوز أن يقال قرأت سورة البقرة أو قرأت البقرة قلت لا بأس بذلك وقد جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم من آخر
سورة البقرة وخواتيم سورة البقرة وعن علي رضي الله عنه خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش وعن عبد الله بن مسعود رمى الجمرة ثم قال
من ههنا والذي لا إله غيره رمى الذي أنزلت عليه سورة البقرة والوجه من جوزه قولك سورة الزخرف وسورة الممتحنة والمجادلة والأنفال
وأن البقرة لم يشكل أن المراد سورة البقرة كقوله واسأل القرية وعن بعضهم أنه كره ذلك وقال يقال السورة التي تذكر فيها البقرة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فإن
تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

سورة آل عمران مدنية وهي مائتا آية

بسم الله الرحمن الرحيم

ميم حقها أن يوقف عليها كما يوقف على ألف ولام وأن يبدأ ما بعدها كما تقول واحد اثنان وهي قراءة عاصم وأما فتحها فهي حركة الهمزة التي
ألقيت عليها حين أسقطت للتخفيف فإن قلت كيف جاز إلقاء حركتها عليها وهي همزة وصل لا تثبت في درج الكلام فلا تثبت
حركتها لأن ثبات حركتها كثباتها قلت هذا ليس بدرج لأن ميم في حكم الوقف والسكون والهمزة في حكم الثابت وإنما حذفت
تخفيفا وألقيت حركتها على الساكن قبلها لتدل عليها ونظيره قولهم واحد اثنان بإلقاء حركة الهمزة على الدال فإن قلت هلا زعمت أنها
حركة لالتقاء الساكنين قلت لأن التقاء الساكنين لا يبالى به في باب الوقف وذلك قولك هذا إبراهيم وداود وإسحاق ولو كان
التقاء الساكنين في حال الوقف يوجب التحريك لحرك الميمان في ألف لام ميم لالتقاء الساكنين ولما انتظر ساكن آخر فإن قلت
إنما لم يحركوا لالتقاء الساكنين في ميم لأنهم أرادوا الوقف وأمكنهم النطق بساكنين فإذا جاء ساكن ثالث لم يمكن إلا التحريك فحركوا قلت
الدليل على أن الحركة ليست لملاقاة الساكن أنه كان يمكنهم أن يقولوا واحد اثنان بسكون الدال مع طرح الهمزة فيجمعوا بين ساكنين كما قالوا أصيم
ومديق فلما حركوا الدال علم أن حركتها هي حركة الهمزة الساقطة لا غير وليست لالتقاء الساكنين فإن قلت فما وجه قراءة عمرو
بن عبيد رحمه الله بالكسر قلت هذه القراءة على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وما هي بمقبولة والتوراة والإنجيل اسمان أعجميان وتكلف
اشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وإفعيل إنما يصح بعد كونهما عربيين وقرأ الحسن الأنجيل بفتح الهمزة وهو دليل على العجمة
لأن أفعيل بفتح الهمزة عديم في أوزان العرب فإن قلت لم قيل نزل عليك الكتاب وأنزل التوراة والإنجيل قلت لأن القرآن
نزل منجما ونزل الكتابان جملة وقيل الإنجيل نزل على الكتاب المصحف ورفع الكتاب هدى للناس أي لقوم موسى
وعيسى ومن قال نحن متعبدون بشرائع من قبلنا فسره على العموم فإن قلت ما المراد بالفرقان قلت جنس الكتب السماوية
لأن كلها فرقان يفرق بين الحق والباطل أو الكتب التي ذكرها كأنه قال بعد ذكر الكتب الثلاثة وأنزل ما يفرق به بين الحق والباطل

من

من كتبه أو من هذه الكتب أو أراد الكتاب الرابع وهو الزبور كما قال وآتينا داود زبورا وهو ظاهر أو كرر ذكر القرآن بما هو نعت له ومدح
من كونه فارقا بين الحق والباطل بعد ما ذكره باسم الجنس تعظيما لشأنه وإظهارا لفضله بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها ذو انتقام له انتقام
شديد لا يقدر على مثله منتقم لا يخفى عليه شيء في العالم فعبر عنه بالسماء والأرض فهو مطلع على كفر من كفر وإيمان من آمن وهو مجازيهم
عليه كيف يشاء من الصور المختلفة المتفاوتة وقرأ طاوس تصوركم أي صوركم لنفسه ولتعبده كقولك أثلت مالا إذا جعلته أثلة
أي أصلا وتأثلته إذا أثلته لنفسك وعن سعيد بن جبير هذا حجاج على من زعم أن عيسى كان ربا كأنه قيل بكونه مصورا في الرحم والمصور لا يكون إلها
وكان يخفى عليه ما لا يخفى على الله محكمات أحكمت عبارتها بأن حفظت من الاحتمال والاشتباه متشابهات مشتبهات محتملات هن أم الكتاب
أي أصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد إليها ومثال ذلك لا تدركه الأبصار إلى ربها ناظرة لا يأمر بالفحشاء أمرنا مترفيها
فإن قلت فهلا كان القرآن كله محكما قلت لو كان كله محكما لتعلق الناس به لسهولة مأخذه ولأعرضوا عما يحتاجون فيه إلى الفحص
والتأمل من النظر والاستدلال ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذي لا يتوصل إلى معرفة الله وتوحيده إلا به ولما في المتشابه من الابتلاء والتمييز بين
الثابت على الحق والمتزلزل فيه ولما في تقادح العلماء وإتعابهم القرائح في استخراج معانيه ورده إلى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة
ونيل الدرجات عند الله ولأن المؤمن المعتقد أن لا مناقضة في كلام الله ولا اختلاف إذا رأى فيه ما يتناقض في ظاهره وأهمه طلب ما يوفق
بينه ويجريه على سنن واحد ففكر وراجع نفسه وغيره ففتح الله عليه وتبين مطابقة المتشابه المحكم ازداد طمأنينة إلى معتقده
وقوة في إيقانه الذين في قلوبهم زيغ هم أهل البدع فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بالمتشابه الذي يحتمل ما يذهب إليه المبتدع مما لا
يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول أهل الحق ابتغاء الفتنة طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم وابتغاء تأويله وطلب أن يؤولوه
التأويل الذي يشتهونه وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم أي لا يهتدي إلى تأويله الحق الذي يجب أن يحمل عليه إلا الله وعباده الذين
رسخوا في العلم أي ثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع ومنهم من يقف على قوله إلا الله ويبتدئ والراسخون في العلم يقولون ويفسرون
المتشابه بما استأثر الله بعلمه وبمعرفة الحكمة فيه من آياته كعدد الزبانية ونحوه والأول هو الوجه ويقولون كلام مستأنف موضح لحال
الراسخين بمعنى هؤلاء العالمون بالتأويل يقولون آمنا به أي بالمتشابه كل من عند ربنا أي كل واحد منه ومن المحكم من عنده أو بالكتاب كل
كل من متشابهه ومحكمه من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه ولا يختلف كتابه وما يذكر إلا أولو الألباب مدح للراسخين بإلقاء الذهن
وحسن التأمل ويجوز أن يكون يقولون حالا من الراسخين وقرأ عبد الله إن تأويله إلا عند الله وقرأ أبي ويقول الراسخون لا تزغ قلوبنا لا تبلنا
ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد إذ هديتنا وأرشدتنا لدينك أو لا تمنعنا ألطافك بعد إذ لطفت بنا من لدنك رحمة من عندك نعمة بالتوفيق
والمعونة وقرئ لا تزغ قلوبنا بالتاء والياء ورفع القلوب جامع الناس ليوم أي تجمعهم لحساب يوم أو لجزاء يوم كقوله يوم يجمعكم ليوم الجمع
وقرئ جامع الناس على الأصل إن الله لا يخلف الميعاد معناه أن الإلهية تنافي خلف الميعاد كقولك إن الجواد لا يخيب سائله والميعاد
الموعد وقرأ علي رضي الله عنه لن يغني بسكون الياء وهذا من الجد في استثقال الحركة على حروف اللين من الله مثله في قوله إن الظن لا
يغني من الحق شيئا والمعنى لن تغني عنهم من رحمة الله أو من طاعة الله شيئا أي بدل رحمته وطاعته وبدل الحق ومنه ولا ينفع ذا الجد منك الجد
أي لا ينفعه جده وحظه من الدنيا بدلك أي بدل طاعتك وعبادتك وما عندك وفي معناه قوله تعالى وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى
وقرئ وقود بالضم بمعنى أهل وقودها من الذين كفروا من كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس هم قريظة والنضير الدأب مصدر دأب في العمل
إذا كدح فيه فوضع موضع ما عليه الإنسان من شأنه وحاله والكاف مرفوع المحل تقديره دأب هؤلاء الكفرة كدأب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم
ويجوز أن ينتصب محل الكاف بلن تغني أو بالوقود أي لم تغن عنهم مثل ما لم تغن عن أولئك أو توقد بهم النار كما توقد بهم تقول إنك لتظلم الناس
كدأب أبيك ومثل ما كان يظلمهم ولي فلان كما جار وكدأب أبيه تريد كالجور في أبوه كذبوا بآياتنا تفسير لدأبهم مما فعلوا وفعل بهم على أنه
جواب سؤال مقدر عن حالهم قل للذين كفروا هم مشركو مكة ستغلبون يعني يوم بدر وقيل هم اليهود لما غلب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
بدر قالوا هذا والله النبي الأمي الذي بشرنا به موسى وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى تنظروا إلى وقعة أخرى فلما كان يوم أحد شكوا
وقال جمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وقعة بدر في سوق بني قينقاع فقال يا معشر اليهود احذروا مثل ما نزل بقريش وأسلموا قبل أن ينزل

بما نزل بهم فقد عرفتم أني نبي مرسل فقالوا لا يغرنك أنك لقيت قوما أغمارا لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت أنا نحن
الناس فنزلت وقرئ سيغلبون ويحشرون بالياء كقوله قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم على قل لهم قولي لك سيغلبون فإن قلت
أي فرق بين القراءتين من حيث المعنى قلت معنى القراءة بالتاء الأمر بأن يخبرهم بما سيجري عليهم من الغلبة والحشر إلى جهنم فهو إخبار بمعنى
ستغلبون وتحشرون وهو الكائن من نفس المتوعد به والذي يدل عليه اللفظ ومعنى القراءة بالياء الأمر بأن يحكي لهم ما أخبره به من وعيدهم
بلفظه كأنه قال أد إليهم هذا القول الذي هو قولي لك سيغلبون ويحشرون **قد كان لكم آية** الخطاب لمشركي قريش في فئتين التقتا
يوم بدر يرونهم مثليهم يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين قريبا من ألفين أو مثلي عدد المسلمين ستمائة ونيفا وعشرين أراهم الله إياهم مع قلتهم
أضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم وكان ذلك مددا لهم من الله كما أمدهم بالملائكة والدليل عليه قراءة نافع ترونهم بالتاء أي ترون يا مشركي
قريش المسلمين مثلي فئتكم الكافرة أو مثلي أنفسهم فإن قلت فهذا مناقض لقوله في سورة الأنفال ويقللكم في أعينهم قلت
قللوا أولا في أعينهم حتى اجترأوا عليهم فلما لاقوهم كثروا في أعينهم حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير في حالين مختلفين ونظيره من المحمول على اختلاف
الأحوال قوله تعالى فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان وقوله وقفوهم إنهم مسؤولون وتقليلهم تارة وتكثيرهم أخرى في أعينهم أبلغ في القدرة
وإظهار الآية وقيل يرى المسلمون المشركين مثلي المسلمين على ما قرر عليه أمرهم من مقاومة الواحد الاثنين في قوله تعالى فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا
مائتين بعد ما كلفوا أن يقاوم الواحد العشرة في قوله إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ولذلك وصف ضعفهم بالقلة لأنه قليل بالإضافة إلى عشرة
الأضعاف وكان الكافرون ثلاثة أمثالهم وقراءة نافع لا تساعد عليه وقرأ ابن مصرف يرونهم على البناء للمفعول بالياء والتاء أي يريهم الله ذلك بقدرته وقرئ
فئة تقاتل وأخرى كافرة بالجر على البدل من فئتين وبالنصب على الاختصاص أو على الحال من الضمير في التقتا رأي العين يعني رؤية ظاهرة مكشوفة لا
لبس فيها معاينة كسائر المعاينات والله يؤيد بنصره كما أيد أهل بدر بتكثيرهم في عين العدو **زين للناس** المزين هو الله سبحانه للابتلاء كقوله
إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم ويدل عليه قراءة مجاهد زين للناس على تسمية الفاعل وعن الحسن الشيطان والله زينها لهم لأنا لا نعلم أحدا أذم
لها من خالقها حب الشهوات جعل الأعيان التي ذكرها شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروصا على الاستمتاع بها والوجه أن يقصد تخسيسها
فيسميها شهوات لأن الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية وقال زين للناس حب الشهوات ثم جاء بالتفسير
ليقرر أولا في النفوس أن المزين لهم حبه ما هو إلا شهوات لا غير ثم يفسره بهذه الأجناس فيكون أقوى لتخسيسها وأدل على ذم من يستعظمها
ويتهالك عليها ويرجح طلبها على طلب ما عند الله والقنطار المال الكثير قيل ملء مسك ثور وعن سعيد بن جبير مائة ألف دينار ولقد
جاء الإسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا والمقنطرة مبنية من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم ألف مؤلفة وبدرة مبدرة
والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة أو المطهمة أو المرعية من أسام الدابة وسومها والأنعام الأزواج الثمانية ذلك المذكور متاع
الحياة الدنيا للذين اتقوا عند ربهم جنات كلام مستأنف فيه دلالة على بيان ما هو خير من ذلكم كما تقول هل أدلك على رجل عالم عندي رجل من
صفته كيت وكيت ويجوز أن يتعلق اللام بخير واختص المتقين لأنهم هم المنتفعون به وترتفع جنات على هو جنات وتنصره قراءة من قرأ جنات بالجر
على البدل من خير والله بصير بالعباد يثيب ويعاقب على الاستحقاق أو بصير بالذين اتقوا ولذلك أعد لهم الجنات الذين يقولون نصب
على المدح أو رفع ويجوز الجر صفة للمتقين أو للعباد والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها وخص
الأسحار لأنهم كانوا يقدمون قيام الليل فيحسن طلب الحاجة فيه إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وعن الحسن كانوا يصلون في أول
الليل حتى إذا كان السحر أخذوا في الدعاء والاستغفار هذا نهارهم وهذا ليلهم شهد الله شبهت دلالته على وحدانيته بأفعاله الخاصة التي لا يقدر عليها
غيره وبما أوحى من آياته الناطقة بالتوحيد كسورة الإخلاص وآية الكرسي وغيرهما بشهادة الشاهد في البيان والكشف وكذلك إقرار الملائكة
وأولي العلم بذلك واحتجاجهم عليه قائما بالقسط مقيما للعدل فيما يقسم من الأرزاق والآجال ويثيب ويعاقب وما يأمر به عباده من إنصاف بعضهم لبعض
والعمل على السوية فيما بينهم وانتصابه على أنه حال مؤكدة منه كقوله وهو الحق مصدقا فإن قلت لم جاز إفراده بنصب الحال دون المعطوفين عليه
ولو قلت جاءني زيد وعمرو راكبا لم يجز قلت إنما جاز هذا لعدم الإلباس كما جاز في قوله ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة إن انتصب
نافلة حالا عن يعقوب ولو قلت جاءني زيد وهند راكبا جاز لتميزه بالذكورة أو على المدح فإن قلت أليس من حق المنتصب على المدح
أن

أن يكون معرفة كقولك الحمد لله الحميد إنا معشر الأنبياء لا نورث إنا بني نهشل لا ندعي لأب قلت قد جاء نكرة كما جاء معرفة
وأنشد سيبويه فيما جاء منه نكرة قول الهذلي ويأوي إلى نسوة عطل وشعثا مراضيع مثل السعالي فإن قلت هل يجوز أن يكون صفة
للمنفي كأنه قيل لا إله قائما بالقسط إلا هو قلت لا يبعد فقد رأيناهم يتسعون في الفصل بين الصفة والموصوف فإن قلت
قد جعلته حالا من فاعل شهد فهل يصح أن ينتصب حالا عن هو في لا إله إلا هو قلت نعم لأنها حال مؤكدة والحال المؤكدة لا تستدعي أن يكون
في الجملة التي هي زيادة في فائدتها عامل فيها كقولك أنا عبد الله شجاعا وكذلك لو قلت لا رجل إلا عبد الله شجاعا وهو أوجه من انتصابه عن فاعل شهد وكذلك
انتصابه على المدح فإن قلت هل دخل قيامه بالقسط في حكم شهادة الله والملائكة وأولي العلم كما دخلت الوحدانية قلت نعم إذا جعلته حالا
من هو أو نصبا على المدح منه أو صفة للمنفي كأنه قيل شهد الله والملائكة وأولو العلم أنه لا إله إلا هو وأنه قائم بالقسط وقرأ عبد الله القائم
بالقسط على أنه بدل من هو أو خبر مبتدأ محذوف وقرأ أبو حنيفة قيما بالقسط العزيز الحكيم صفتان مقررتان لما وصف به ذاته من الوحدانية
والعدل يعني أنه العزيز الذي لا يغالبه إله آخر الحكيم الذي لا يعدل عن العدل في أفعاله فإن قلت ما المراد بأولي العلم الذين عظمهم هذا التعظيم
حيث جمعهم معه ومع الملائكة في الشهادة على وحدانيته وعدله قلت هم الذين يثبتون وحدانيته وعدله بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة وهم
علماء العدل والتوحيد وقرئ أنه بالفتح وإن الدين بالكسر على أن الفعل واقع على أنه بمعنى شهد الله على أنه أو بأنه **وقوله** إن الدين عند الله الإسلام
جملة مستأنفة مؤكدة للجملة الأولى فإن قلت ما فائدة هذا التوكيد قلت فائدته أن قوله لا إله إلا هو توحيد وقوله قائما
بالقسط تعديل فإذا أردفه قوله إن الدين عند الله الإسلام فقد آذن أن الإسلام هو العدل والتوحيد وهو الدين عند الله وما عداه فليس عنده في شيء
من الدين وفيه أن من ذهب إلى التشبيه أو ما يؤدي إليه كإجازة الرؤية أو ذهب إلى الجبر الذي هو محض الجور لم يكن على دين الله الذي هو الإسلام وهذا
بين جلي كما ترى وقرئ أنه وأن بالفتح على أن الثاني بدل من الأول كأنه قيل شهد الله أن الدين عند الله الإسلام والبدل هو المبدل منه في المعنى
فكان بيانا صريحا لأن دين الله هو التوحيد والعدل وقرئ الأول بالكسر والثاني بالفتح على أن الفعل واقع على أن وما بينهما اعتراض مؤكد وهذا أيضا شاهد
على أن دين الإسلام هو العدل والتوحيد فترى القراءات كلها متعاضدة على ذلك وقرأ عبد الله أن لا إله إلا هو وقرأ أبي إن الدين عند الله للإسلام
وهي مقوية لقراءة من فتح الأول وكسر الثاني وقرئ شهداء لله بالنصب على الحال من المذكورين قبله وبالرفع على هم شهداء لله فإن قلت علام
عطف على هذه القراءة والملائكة وأولو العلم قلت على الضمير في شهداء وجاز لوقوع الفاصل بينهما فإن قلت لم كرر قوله لا إله
إلا هو قلت ذكره أولا للدلالة على اختصاصه بالوحدانية وأنه لا إله إلا تلك الذات المتميزة ثم ذكره ثانيا بعد ما قرن بإثبات الوحدانية إثبات العدل
للدلالة على اختصاصه بالأمرين كأنه قال لا إله إلا هذا الموصوف بالصفتين ولذلك قرن به قوله العزيز الحكيم لتضمنهما معنى الوحدانية والعدل الذين
أوتوا الكتاب أهل الكتاب من اليهود والنصارى واختلافهم أنهم تركوا الإسلام وهو التوحيد والعدل من بعد ما جاءهم العلم أنه الحق الذي لا محيد عنه
فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالوا كنا أحق بأن تكون النبوة فينا من قريش لأنهم أميون ونحن أهل الكتاب وهذا [illegible]
بينهم أي ما كان ذلك الاختلاف وتظاهرهم هؤلاء بمذهب وهؤلاء بمذهب إلا حسدا بينهم وطلبا منهم للرياسة وحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق
ناسا يطؤون أعقابهم لا شبهة في الإسلام وقيل هو اختلافهم في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث آمن به بعض وكفر بعض وقيل هو اختلافهم في الإيمان
بالأنبياء فمنهم من آمن بموسى ومنهم من آمن بعيسى وقيل هم اليهود واختلافهم أن موسى عليه السلام حين احتضر استودع التوراة سبعين حبرا من بني إسرائيل
وجعلهم أمناء عليها واستخلف يوشع فلما مضى قرن بعد قرن اختلف أبناء السبعين من بعد ما جاءهم علم التوراة بغيا بينهم وتحاسدا على حظوظ الدنيا
والرياسة وقيل هم النصارى واختلافهم في أمر عيسى من بعد ما جاءهم العلم أنه عبد الله ورسوله فإن حاجوك فإن جادلوك في الدين فقل أسلمت وجهي أي أخلصت
نفسي وجملتي لله وحده لم أجعل فيها لغيره شركا بأن أعبده وأدعو إلها معه يعني أن ديني دين التوحيد وهو الدين القويم الذي ثبتت عندكم
صحته كما ثبتت عندي وما جئت بشيء بديع حتى تجادلوني فيه ونحوه قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك
به شيئا فهو دفع للمحاجة بأن ما هو عليه ومن معه من المؤمنين هو حق اليقين الذي لا لبس فيه فما معنى المحاجة فيه ومن اتبعني عطف على التاء في أسلمت
وحسن للفاصل ويجوز أن تكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه وقل للذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى والأميين والذين لا كتاب لهم من مشركي
العرب أأسلمتم يعني أنه قد أتاكم من البينات ما يوجب الإسلام ويقتضي حصوله لا محالة فهل أسلمتم أم أنتم بعد على كفركم وهذا كقولك لمن لخصت

لمن لخصت له المسألة ولم تبق من طرق البيان والكشف طريقاً إلا سلكته هل فهمتها لا أم لك ومنه قوله تعالى فهل أنتم منتهون
بعد ما ذكر الصوارف عن الخمر والميسر وفي هذا الاستفهام استقصار وتعيير بالمعاندة وقلة الانصاف لأن المنصف إذا تجلت له الحجة
لم يتوقف إذعانه للحق وللمعاند بعد تجلي الحجة ما يضرب أسداداً بينه وبين الإذعان وكذلك في هل فهمتها توبيخ بالبلادة وكلة القريحة
وفي فهل أنتم منتهون بالتقاعد عن الانتهاء والحرص الشديد على تعاطي المنهي عنه فقد اهتدوا فقد نفعوا أنفسهم حيث خرجوا من
الضلال إلى الهدى ومن الظلمة إلى النور وإن تولوا لم يضروك فإنك رسول منبه عليك أن تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الهدى قرأ
الحسن ويقتلون النبيين وقرأ حمزة ويقاتلون الذين يأمرون وقرأ عبد الله وقاتلوا وقرأ أبي يقتلون النبيين والذين يأمرون وهم أهل الكتاب
قتل أولوهم الأنبياء وقتلوا أتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا حول قتل رسول الله والمؤمنين لولا عصمة الله وعن أبي عبيدة بن الجراح رضي
الله عنه قلت يا رسول الله أي الناس أشد عذاباً يوم القيامة قال رجل قتل نبياً أو رجلاً أمر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأها ثم قال يا أبا عبيدة
قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلاً من عباد بني إسرائيل فأمروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم
عن المنكر فقتلوا جميعاً من آخر النهار في الدنيا والآخرة لأن لهم اللعنة والخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة فإن قلت لم دخلت
الفاء في خبر إن قلت لتضمن اسمها معنى الجزاء كأنه قيل الذين يكفرون فبشرهم بمعنى من يكفر فبشرهم وإن لا تغير معنى الابتداء فكان دخولها
كلا دخول ولو كان مكانها ليت أو لعل لامتنع إدخال الفاء لتغير معنى الابتداء أوتوا نصيباً من الكتاب يريد أحبار اليهود وأنهم حصلوا نصيباً
وافراً من التوراة ومن إما للتبعيض وإما للبيان أو حصلوا من جنس الكتب المنزلة أو من اللوح التوراة وهي نصيب عظيم يدعون إلى كتاب الله
وهو التوراة ليحكم بينهم وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مدراسهم فدعاهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على أي دين أنت قال
على ملة إبراهيم قالا إن إبراهيم كان يهودياً فقال لهما إن بيننا وبينكم التوراة فهلما إليها فأبيا وقيل نزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه وعن الحسن وقتادة كتاب
الله القرآن لأنهم قد علموا أنه كتاب الله لم يشكوا فيه ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم بأن الرجوع إلى كتاب الله واجب وهم معرضون
وهم قوم لا يزال الإعراض ديدنهم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول والوجه أن يراد ما وقع من الاختلاف والتعادي بين من أسلم من أحبارهم وبين من لم
يسلم وأنهم دعوا إلى كتاب الله الذي لا اختلاف بينهم في صحته وهو التوراة ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق منهم وهم الذين لم يسلموا وذلك
أن قوله ليحكم بينهم يقتضي أن يكون اختلافاً واقعاً فيما بينهم لا فيما بينهم وبين رسول الله ذلك التولي والإعراض بسبب تسهيلهم على أنفسهم أمر العقاب
وطمعهم في الخروج من النار بعد أيام قلائل كما طمعت المجبرة والحشوية وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من أن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم
كما غرت أولئك شفاعة رسول الله في كبائرهم فكيف إذا جمعناهم فكيف يصنعون فكيف تكون حالهم وهو استعظام لما أعد لهم وتهويل لهم
وأنهم يقعون فيما لا حيلة في دفعه والتخلص منه وأن ما حدثوا به أنفسهم وسهلوه عليها تعلل بباطل وتطمع بما لا يكون روي أن أول راية ترفع
لأهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤوس الأشهاد ثم يأمر بهم إلى النار وهم لا يظلمون يرجع إلى كل نفس على المعنى لأنه في معنى
كل الناس كما تقول ثلاثة أنفس تريد ثلاثة أناسي والميم في اللهم عوض من يا ولذلك لا يجتمعان وهذا بعض خصائص هذا الاسم كما اختص بالتاء في القسم
وبدخول حرف النداء عليه وفيه لام التعريف وبقطع همزته في يا الله وغير ذلك مالك الملك أي تملك جنس الملك فتتصرف فيه تصرف الملاك
فيما يملكون تؤتي الملك من تشاء تعطي من تشاء النصيب الذي قسمت له منه فالملك الأول عام شامل والملكان الآخران خاصان بعضان من
الكل روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة ووعد أمته ملك فارس والروم قال المنافقون واليهود هيهات هيهات من أين لمحمد
ملك فارس والروم هم أعز وأمنع من ذلك وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق عام الأحزاب وقطع لكل عشرة أربعين ذراعاً
وأخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فأخذ المعول
من سلمان فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها لكأن مصباحاً في جوف بيت مظلم وكبر وكبر المسلمون وقال أضاءت لي منها
قصور الحيرة كأنها أنياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال أضاءت لي منها القصور الحمر من أرض الروم ثم ضرب الثالثة فقال أضاءت لي قصور صنعاء وأخبرني
جبريل أن أمتي ظاهرة على كلها فأبشروا فقال المنافقون ألا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى
وأنها تفتح لكم وأنتم تحفرون الخندق من الفرق ولا تستطيعون أن تبرزوا فنزلت فإن قلت كيف قال بيدك الخير فذكر الخير دون الشر
قلت

لأن الكلام إنما وقع في الخير الذي يسوقه إلى المؤمنين وهو الذي أنكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه أولياءك على رغم من أعدائك
ولأن كل أفعال الله تعالى من نافع وضار صادر عن الحكمة والمصلحة فهو خير كله كإيتاء الملك ونزعه ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل
والنهار في المعاقبة بينهما وحال الحي والميت في إخراج أحدهما من الآخر وعطف عليه رزقه بغير حساب دلالة على أن من قدر على تلك الأفعال العظيمة
المحيرة للأفهام ثم قدر على أن يرزق بغير حساب من يشاء من عباده فهو قادر على أن ينزع الملك من العجم ويؤتيه العرب وفي بعض الكتب أنا الله ملك الملوك
قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فإن العباد أطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وإن العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن
توبوا إلي أعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه السلام كما تكونون يولى عليكم نهوا أن يوالوا الكافرين لقرابة بينهم أو صداقة قبل الإسلام أو غير ذلك
من الأسباب التي يتصادق بها ويتعاشر وقد كرر ذلك في القرآن ومن يتولهم منكم فإنه منهم لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله
والمحبة في الله والبغض في الله باب عظيم وأصل من أصول الإيمان من دون المؤمنين يعني أن لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم
ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ومن يتول الكفرة فليس من ولاية الله في شيء يقع عليه اسم الولاية يعني أنه منسلخ من ولاية الله رأساً وهذا أمر
معقول فإن موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان قال: تود عدوي ثم تزعم أنني ... صديقك ليس النوك عنك بعازب
إلا أن تتقوا منهم تقاة إلا أن تخافوا من جهتهم أمراً يجب اتقاؤه وقرئ تقية قيل للمتقى تقاة وتقية كقولهم ضرب الأمير لمضروبه رخص
لهم في موالاتهم إذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالقة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصا كقول عيسى
صلوات الله عليه كن وسطاً وامش جانباً ويحذركم الله نفسه فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة أعدائه وهذا وعيد شديد ويجوز أن يضمن
تتقوا معنى تحذروا وتخافوا فيعدى بمن وينتصب تقاة وتقية على المصدر كقوله تعالى وتبتل إليه تبتيلاً [illegible]
وإلى الله المصير إن تخفوا ما في صدوركم من ولاية الكفار أو تبدوه يعلمه الله ولم يخف عليه وهو الذي يعلم ما في السموات وما في الأرض لا يخفى عليه منه شيء قط فلا يخفى عليه سركم وعلنكم
والله على كل شيء قدير فهو قادر على عقوبتكم وهذا بيان لقوله ويحذركم الله نفسه لأن نفسه وهي ذاته المتميزة من سائر الذوات متصفة
بعلم ذاتي لا يختص بمعلوم دون معلوم فهي متعلقة بالمعلومات كلها وبقدرة ذاتية لا تختص بمقدور دون مقدور فهي قادرة على المقدورات كلها فكان حقها
أن تحذر وتتقى فلا يجسر أحد على قبيح ولا يقصر عن واجب فإن ذلك مطلع عليه لا محالة فلاحق به العقاب ولو علم بعض عبيد السلطان أنه أراد
الاطلاع على أحواله فوكل همه بما يورد ويصدر ونصب عليه عيوناً وبث من يتجسس عن بواطن أموره لأخذ حذره وتيقظ في أمره واتقى
كل ما يتوقع فيه الاسترابة به فما بال من علم أن العالم الذات الذي يعلم السر وأخفى مهيمن عليه وهو آمن اللهم إنا نعوذ بك من اغترارنا بسترك
يوم تجد منصوب بتود والضمير في بينه لليوم أي يوم القيامة حين تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين تتمنى لو أن بينها وبين ذلك اليوم وهوله أمداً
بعيداً ويجوز أن ينتصب يوم تجد بمضمر نحو اذكر ويقع على ما عملت وحده ويرتفع وما عملت على الابتداء وتود خبره أي والذي عملته من سوء تود
هي لو تباعد ما بينها وبينه ولا يصح أن تكون ما شرطية لارتفاع تود فإن قلت فهل يصح أن تكون شرطية على قراءة عبد الله ودت
قلت لا كلام في صحته ولكن الحمل على الابتداء والخبر أوقع في المعنى لأنه حكاية الكائن في ذلك اليوم وأثبت لموافقة قراءة العامة ويجوز أن يعطف وما عملت
على ما عملت ويكون تود حالاً أي يوم تجد عملها محضراً وادة تباعد ما بينها وبين اليوم أو عمل السوء محضراً كقوله ووجدوا ما عملوا حاضراً
يعني مكتوباً في صحفهم يقرؤونه ونحوه فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والأمد المسافة كقوله يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين
وكرر قوله ويحذركم الله نفسه ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه والله رؤوف بالعباد يعني أن تحذيره نفسه وتعريفه حالها من العلم والقدرة
من الرأفة العظيمة بالعباد لأنهم إذا عرفوه حق المعرفة وحذروه دعاهم ذلك إلى طلب رضاه واجتناب سخطه وعن الحسن من رأفته بهم أن حذرهم
نفسه ويجوز أن يريد أنه مع كونه محذوراً لعلمه وقدرته مرجو لسعة رحمته كقوله إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم
محبة العباد لله مجاز عن إرادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها ومحبة الله عباده أن يرضى عنهم ويحمد فعلهم والمعنى
إن كنتم مريدين لعبادة الله على الحقيقة فاتبعوني حتى يصح ما تدعونه من إرادة عبادته يرض عنكم ويغفر لكم وعن الحسن زعم أقوام على عهد
رسول الله أنهم يحبون الله فأراد أن يجعل لقولهم تصديقاً من عمل فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه
وإذا رأيت من يذكر محبة الله ويصفق بيديه مع ذكرها ويطرب وينعر ويصعق فلا تشك في أنه لا يعرف ما الله ولا يدري ما محبة الله وما تصفيقه
بيديه

[illegible]

... فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى ... [illegible]

... والله اعلم بما وضعت ... [illegible]

... وليس الذكر كالانثى ... [illegible]

[illegible]

[illegible] فاستبعد [illegible]

[illegible] من الصالحين [illegible] لانه كان من اصلاب الانبياء او كائنا من جملة الصالحين كقوله وانه في الآخرة لمن الصالحين

أنى يكون لي ولد استبعاد من حيث العادة [illegible] وقد بلغني الكبر كقولهم ادركته السن العالية والمعنى اثر في الكبر واضعفني وكانت

له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون كذلك الله يفعل ما يشاء من الافعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد من الشيخ الفاني والعجوز

العاقر [illegible] وتجري على نحو هذه الصفة [illegible] ويفعل ما يشاء بيان له اي يفعل ما يريد من الافاعيل الخارقة للعادات قال رب اجعل لي آية

اعرف بها الحبل لأتلقى النعمة اذا جاءت بالشكر قال آيتك ألا تكلم الناس [illegible] وانما خص تكليم الناس ليعلمه انه يحبس لسانه

عن القدرة على تكليمهم خاصة مع ابقاء قدرته على التكلم بذكر الله ولذلك قال واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار يعني في ايام عجزك

عن تكليم الناس وهي من الآيات الباهرة فان قلت لم حبس لسانه عن كلام الناس قلت ليخلص المدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره توفرا

منه على قضاء حق تلك النعمة الجسيمة وشكرها التي طلب الآية من اجله كأنه لما طلب الآية من اجل الشكر قيل له آيتك ان يحبس لسانك الا عن

الشكر واحسن الجواب وأوقعه ما كان منتزعا من السؤال الا رمزا الا اشارة بيد او راس او غيرهما واصله التحرك يقال ارتمز

اذا تحرك ومنه قيل للبحر الراموز وقرأ يحيى بن وثاب الا رُمُزا بضمتين جمع رموز [illegible] وقرئ رَمَزا بفتحتين جمع رامز كخادم وخدم

وهو حال منه ومن الناس [illegible] اي مترامزين كما يكلم

الناس الاخرس بالاشارة ويكلمهم والعشي من حين تزول الشمس الى ان تغيب والابكار من طلوع الفجر الى وقت الضحى وقرئ والأبكار بفتح الهمزة جمع بكر

كسحر واسحار [illegible] فان قلت الرمز ليس من جنس الكلام فكيف استثني منه قلت لما ادى مؤدى الكلام وفهم منه

[illegible]

[illegible]

[illegible] بالصلاة [illegible]

واركعي مع الراكعين يعني ولتكن صلاتك مع المصلين اي في الجماعة او وانظمي نفسك في جملة المصلين وكوني معهم في عدادهم ولا تكوني في عداد غيرهم ويحتمل

ان يكون في زمانها من كان يقوم ويسجد [illegible] فامرت بان تركع مع الراكعين ولا تكون مع من لا يركع ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ زكريا

ويحيى ومريم وعيسى يعني ان ذلك من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي فان قلت لم نفيت المشاهدة وانتفاؤها معلوم بغير شبهة وترك نفي استماع الانباء

من حفاظها وهو موهوم قلت كان معلوما عندهم علما يقينا انه ليس من اهل السماع والقراءة وكانوا منكرين للوحي فلم يبق الا المشاهدة وهي في غاية

الاستبعاد والاستحالة فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحي مع علمهم بانه لا سماع له ولا قراءة ونحوه وما كنت بجانب الغربي وما كنت بجانب الطور وما كنت

لديهم اذ اجمعوا امرهم اقلامهم ازلامهم وهي قداحهم التي طرحوها في النهر مقترعين وقيل هي الاقلام التي كانوا يكتبون بها التوراة اختاروها للقرعة تبركا

بها ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم كانه قيل يلقونها

ينظرون ايهم يكفل او ليعلموا او يقولون المسيح لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق واصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك

كقوله وجعلني مباركا اينما كنت وكذلك عيسى معرب ايشوع ومشتقهما من المسح والعيس كالراقم في الماء فان قلت اذ قالت بم يتعلق قلت

هو بدل من واذ قالت الملائكة ويجوز ان يبدل من اذ يختصمون على ان الاختصام والبشارة وقعا في زمان واسع كما تقول لقيته سنة كذا فان قلت

لم قيل عيسى بن مريم والخطاب لمريم قلت لان الابناء ينسبون الى الآباء لا الى الامهات فاعلمت بنسبته اليها انه يولد من غير اب فلا ينسب

الا الى امه وبذلك فضلت واصطفيت على نساء العالمين فان قلت لم ذكر ضمير الكلمة قلت لان المسمى بها مذكر فان قلت

لم قيل اسمه المسيح عيسى بن مريم وهذه ثلاثة اشياء الاسم منها عيسى واما المسيح والابن فلقب وصفة قلت الاسم للمسمى علامة يعرف بها

ويتميز من غيره فكان قيل الذي يعرف به ويتميز ممن سواه مجموع هذه الثلاثة وجيها حال من كلمة وكذلك قوله ومن المقربين ويكلم ومن الصالحين اي

يبشرك به موصوفا بهذه الصفات وصح انتصاب الحال من النكرة لكونها موصوفة والوجاهة في الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفي الآخرة الشفاعة

وعلو الدرجة في الجنة وكونه من المقربين رفعه الى السماء وصحبة الملائكة [illegible]

[illegible] كلام الانبياء من غير تفاوت بين حال الطفولية

وحال الكهولة اي يتكلم فيها [illegible] ومن بدع التفاسير [illegible] وكهلا عطف على الظرف

[illegible] ويعلمه [illegible] وقرأ عاصم ونافع ويعلمه بالياء [illegible]

[illegible]

الكتاب والحكمة [illegible] ومصدقا لما بين يدي من التوراة [illegible]

[illegible] اني قد جئتكم [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] فانفخ فيه [illegible]

[illegible]

[illegible] فقالوا هذا سحر [illegible]

[illegible] ومصدقا [illegible]

[illegible] ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم [illegible]

[illegible] التوراة

[illegible] وجئتكم بآية من ربكم [illegible]

[illegible] فاتقوا الله واطيعون [illegible]

[illegible]

[illegible] من ربكم [illegible] فاتقوا الله [illegible]

[illegible] فلما احس [illegible] الكفر [illegible] من انصاري الى الله [illegible]

[illegible]

[illegible] قال الحواريون نحن انصار الله [illegible]

[illegible] فاكتبنا مع الشاهدين [illegible]

[illegible] ومكروا ومكر الله [illegible]

[illegible] والله خير الماكرين [illegible]

اذ قال الله [illegible] اني متوفيك [illegible] ورافعك الي [illegible]

[illegible] ومطهرك من الذين كفروا [illegible]

[illegible]

[illegible] فوق

[illegible] الشرائع

[illegible] فيوفيهم أجورهم [illegible] ذلك

[illegible] من الآيات خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف ويجوز أن يكون ذلك بمعنى الذي

ونتلوه صلته ومن الآيات الخبر ويجوز [illegible] والذكر الحكيم القرآن وصف بصفة من هو من سببه أو كأنه

ينطق بالحكمة لكثرة حكمه • إن مثل عيسى عند الله [illegible] كمثل آدم وقوله خلقه من تراب جملة مفسرة لما له شبه

عيسى بآدم [illegible] من تراب ولم يكن ثم [illegible] قلت كيف شبه به وقد وجد هو بغير أب ووجد آدم

بغير أب وأم قلت هو مثله في [illegible] لأن المماثلة مشاركة في بعض الأوصاف

ولأنه [illegible] وذلك [illegible] أغرب وأخرق للعادة من الوجود من

غير [illegible] أقطع للخصم [illegible] إذا نظر فيما هو أغرب مما استغربه [illegible] بالروم

[illegible] يحيي الموتى [illegible]

[illegible] خلقه من تراب [illegible]

[illegible] الحق من ربك [illegible] أي هو الحق كقول أهل

[illegible] التثبيت [illegible] والطمأنينة [illegible]

[illegible]

[illegible] الحق [illegible]

[illegible] قبل [illegible] فإن الله [illegible] بالمفسدين • يا أهل الكتاب [illegible]

[illegible] بيننا وبينكم [illegible] القرآن والتوراة والإنجيل [illegible]

[illegible] ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله [illegible]

[illegible] أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم [illegible]

[illegible] فإن تولوا [illegible] فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون [illegible]

[illegible]

[illegible] اليهود والنصارى [illegible] إبراهيم [illegible]

[illegible]

[illegible] إن أولى الناس بإبراهيم [illegible]

[illegible]

... ما معنى الاعتراض قلت معناه ان الهدى هدى الله [illegible] ان يؤتى [illegible]
مع كيد [illegible] ولهذا [illegible] قال ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء [illegible] والوفق
[illegible] الكلام عند قوله الا لمن تبع دينكم [illegible] امنوا هذا الايمان الظاهر وهو ايمانهم وجه النهار الا لمن تبع دينكم الا لمن
كانوا تابعين لدينكم [illegible] لان رجوعهم كان ارجى عندهم [illegible] رجوع من سواهم ولان اسلامهم كان اغيظ لهم وقوله ان يؤتى معناه لان يؤتى
[illegible] ذلك ودبرتموه لا لشيء اخر يعني ان ما بكم من الحسد والبغي ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من فضل العلم والكتاب دعاكم
[illegible] والدليل عليه قراءة ابن كثير ان يؤتى احد [illegible] همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ بمعنى الان يؤتى احد فان قلت فما معنى
قوله او يحاجوكم [illegible] يؤتى احد مثل ما اوتيتم ولما يتصل عند كفركم به من محاجتهم لكم عند ربكم
[illegible] عند ربكم
[illegible] دينكم [illegible] الا لمن تبع دينكم [illegible]
[illegible] ان يؤتى [illegible] الا لمن تبع دينكم
[illegible] دينكم انكار لان يؤتى احد مثل ما اوتيتوا
[illegible] او فيه ذهبا [illegible] اليه [illegible]
[illegible] وقيل المامونون [illegible] في القليل اليهود
[illegible] بالمطالبة والتعنيف [illegible]
[illegible] بكر [illegible]
ذلك [illegible] ليس علينا في الاميين سبيل [illegible]
في شأن الاميين [illegible] اهل الكتاب [illegible]
[illegible] ودعوا [illegible]
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال [illegible] الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر
وعن ابن عباس [illegible] قال [illegible]
ما لاهل الكتاب [illegible] على الله الكذب [illegible]
وهم يعلمون انهم كاذبون، بلى اثبات [illegible] **وقوله** [illegible]
[illegible] بلى [illegible] والله يحب [illegible]
[illegible] اذا اوفوا بالعهود [illegible]
[illegible] عهد الله [illegible]
[illegible] الا بكل [illegible] ذلك الايمان [illegible]
فان قلت [illegible] قلت [illegible] عن ابن عباس [illegible]
ونظرائهما [illegible] اهل الكتاب، يشترون [illegible] بعهد الله [illegible]
[illegible] والله لنؤمنن به ولننصرنه، ثمنا قليلا [illegible]
ابن اخطب حرفوا التوراة وبدلوا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible]
[illegible]
ابن قيس [illegible]

على من يستحق [illegible] وهو عليه غضبان وقيل نزلت في رجل اقام سلعة في السوق [illegible]
[illegible] الكتاب وقوله [illegible] ولا ينظر اليهم مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول فلان لا ينظر
الى فلان [illegible] ولا يزكيهم ولا يثني عليهم [illegible] فان قلت [illegible] النظر [illegible]
[illegible] والاحسان [illegible]
[illegible]
[illegible] **يلوون السنتهم بالكتاب** [illegible]
[illegible] والمعنى يفتلونها [illegible]
[illegible] قلت الى ما دل عليه يلوون السنتهم بالكتاب وهو المحرف [illegible]
[illegible] من الكتاب [illegible] ويقولون هو من عند الله تاكيد لقوله
هو من الكتاب [illegible] عليهم [illegible] الكذب [illegible] في التوراة [illegible]
[illegible] عن ابن عباس هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف غيروا
التوراة وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] بالكتاب الذي عندهم ما كان لبشر [illegible]
[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] نعبدك [illegible]
[illegible] رسول الله [illegible]
[illegible] والحكم والحكمة وهي السنة ولكن
كونوا ربانيين [illegible] والرباني منسوب الى الرب [illegible] وهو الشديد التمسك بدين
الله [illegible] وعن محمد بن الحنفية رضي الله عنه انه قال [illegible] ابن عباس [illegible] وعن الحسن ربانيين علماء فقهاء وقيل
[illegible] الرباني العالم العامل [illegible] بما كنتم [illegible] العلم [illegible] الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة
الله [illegible] والعلم [illegible]
[illegible] ومعناه [illegible] من العلم، تدرسون [illegible]
من التدريس [illegible] يدرسون [illegible]
[illegible] العلم [illegible]
[illegible]
[illegible] ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا [illegible]
[illegible]
[illegible] والمعنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير
والمسيح [illegible] عن عبادة الملائكة والانبياء والبشر [illegible]
[illegible] بالكفر بعد اذ انتم مسلمون [illegible]
[illegible] ميثاق النبيين [illegible]
[illegible]
[illegible] الانبياء [illegible]
اهل الكتاب [illegible]
[illegible] ميثاق [illegible] الكتاب واللام في لما [illegible] لام

جواب القسم وما يحتمل ان تكون المتضمنة لمعنى الشرط ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا وان تكون موصولة بمعنى للذي آتيتكموه
لتؤمنن به وقرئ لما آتيناكم وقرأ حمزة لما آتيتكم بكسر اللام ومعناه لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق
لما معكم لتؤمنن به على ان ما مصدرية والفعلان معها اعني آتيناكم وجاءكم في معنى المصدرين واللام داخلة للتعليل على معنى اخذ الله ميثاقهم
لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه لاجل ان آتيتكم الحكمة وان الرسول الذي آمركم بالايمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف ويجوز ان تكون ما موصولة
فان قلت كيف يجوز ذلك والعطف على آتيتكم وهو قوله ثم جاءكم لا يجوز ان يدخل تحت حكم الصلة لانك لا تقول للذي جاءكم رسول مصدق
لما معكم قلت بلى لان ما معكم في معنى ما آتيتكم فكانه قيل للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرأ سعيد بن جبير لما بالتشديد بمعنى حين
آتيتكم بعض الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول مصدق له وجب عليكم الايمان به ونصرته وقيل اصله لمن ما فاستثقلوا اجتماع ثلاث ميمات وهي الميمان
والنون المنقلبة ميما بادغامها في الميم فحذفوا احداها فصارت لما ومعناه لمن اجل ما آتيتكم لتؤمنن به وهذا نحو من قراءة حمزة في المعنى اصري عهدي
وقرئ أصري بالضم وسمي اصرا لانه مما يؤصر اي يشد ويعقد ومنه الاصار الذي يعقد به ويجوز ان يكون المضموم لغة في اصر كعبر وعبر وان يكون
جمع اصار فاشهدوا فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وانا على ذلكم من اقراركم وتشاهدكم من الشاهدين وهذا توكيد عليهم وتحذير من الرجوع اذا علموا
بشهادة الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل الخطاب للملائكة فمن تولى بعد ذلك الميثاق والتوكيد فاولئك هم الفاسقون اي المتمردون من الكفار
دخلت همزة الانكار على الفاء العاطفة جملة على جملة والمعنى فاولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ثم توسطت الهمزة بينهما ويجوز ان يعطف على
محذوف تقديره أيتولون فغير دين الله يبغون وقدم المفعول الذي هو غير دين الله على فعله لانه اهم من حيث ان الانكار الذي هو معنى الهمزة متوجه الى المعبود
الباطل وروي ان اهل الكتاب اختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفوا فيه من دين ابراهيم عليه السلام وكل واحد من الفريقين ادعى انه اولى به فقال
صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بريء من دين ابراهيم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك فنزلت وقرئ تبغون بالتاء وترجعون بالتاء وهي قراءة ابي عمرو
لان الباغين هم المتولون والراجعون جميع الناس وقرئ بالياء معا وبالتاء معا طوعا بالنظر في الادلة والانصاف من نفسه وكرها بالسيف
او بمعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل على بني اسرائيل وادراك الغرق فرعون والاشفاء على الموت فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده
وانتصب طوعا وكرها على الحال بمعنى طائعين ومكرهين امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه وعمن معه بالايمان فلذلك وحد الضمير
في قل وجمع في آمنا ويجوز ان يؤمر بان يتكلم عن نفسه كما تتكلم الملوك اجلالا من الله لقدر نبيه فان قلت لم عدي انزل في هذه الآية بحرف الاستعلاء
وفيما تقدم من مثلها بحرف الانتهاء قلت لوجود المعنيين جميعا لان الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الرسل فجاء تارة باحد المعنيين واخرى بالآخر ومن قال انما قيل
علينا لقوله قل والينا لقوله قولوا تفرقة بين الرسول والمؤمنين لان الرسول يأتيه الوحي على طريق الاستعلاء ويأتيهم على وجه الانتهاء فقد تعسف الا ترى الى
قوله بما انزل اليك وانزلنا اليك الكتاب والى قوله آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا ونحن له مسلمون موحدون مخلصون انفسنا له لا نجعل له شريكا
في عبادتها ومن يبتغ غير الاسلام يعني التوحيد واسلام الوجه لله فلن يقبل منه من الخاسرين من الذين وقعوا في الخسران مطلقا من غير
تقييد للشياع وقرئ ومن يبتغ غير الاسلام دينا بالادغام كيف يهدي الله قوما كيف يلطف بهم وليسوا من اهل اللطف لما علم الله من تصميمهم على
كفرهم ودل على تصميمهم بانهم كفروا بعد ايمانهم وبعد ما شهدوا بان الرسول حق وبعد ما جاءتهم الشواهد من القرآن وسائر المعجزات التي تثبت بمثلها
النبوة وهم اليهود كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد ان كانوا مؤمنين به وذلك حين عاينوا ما يوجب قوة ايمانهم من البينات وقيل نزلت في رهط كانوا اسلموا
ثم رجعوا عن الاسلام ولحقوا بمكة منهم طعمة بن ابيرق ووحوح بن الاسلت والحارث بن سويد بن الصامت فان قلت علام عطف قوله وشهدوا
قلت فيه وجهان ان يعطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل لان معناه بعد ان آمنوا كقوله تعالى فاصدق واكن وقول الشاعر
ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب ويجوز ان تكون الواو للحال باضمار قد بمعنى كفروا وقد شهدوا ان الرسول حق والله لا يهدي لا يلطف
بالقوم الظالمين المعاندين الذين علم ان اللطف لا ينفعهم الا الذين تابوا من بعد ذلك الكفر العظيم والارتداد واصلحوا ما افسدوا او دخلوا في الصلاح قيل
نزلت في الحرث بن سويد حين ندم على ردته وارسل الى قومه ان سلوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالآية فاقبل الى المدينة فتاب وقبل رسول الله
صلى الله عليه وسلم توبته ثم ازدادوا كفرا هم اليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد ايمانهم بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد والقرآن او كفروا
برسول الله بعد ما كانوا به مؤمنين قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا باصرارهم على ذلك وطعنهم فيه في كل وقت وعداوتهم له ونقضهم ميثاقه وفتنتهم للمؤمنين

وصدهم

وصدهم عن الايمان به وسخريتهم بكل آية تنزل وقيل نزلت في الذين ارتدوا ولحقوا بمكة وازديادهم الكفر ان قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون
وان اردنا الرجعة رجعنا فنافقنا باظهار التوبة فان قلت قد علم ان المرتد كيفما ازداد كفرا فانه مقبول التوبة اذا تاب فما معنى لن تقبل
توبتهم قلت جعلت عبارة عن الموت على الكفر لان الذي لا تقبل توبته من الكفار هو الذي يموت على الكفر كانه قيل ان اليهود والمرتدين
الذين فعلوا ما فعلوا مائتون على الكفر داخلون في جملة من لا تقبل توبتهم فان قلت فلم قيل في احدى الآيتين لن تقبل بغير فاء وفي الاخرى فلن يقبل قلت
قد اوذن بالفاء ان الكلام بني على الشرط والجزاء وان سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر وبترك الفاء ان الكلام مبتدأ وخبر ولا دليل
فيه على التسبيب كما تقول الذي جاءني له درهم لم تجعل المجيء سببا في استحقاق الدرهم بخلاف قولك فله درهم فان قلت فحين كان المعنى لن تقبل
توبتهم بمعنى الموت على الكفر فهلا جعل الموت على الكفر مسببا عن ارتدادهم وازديادهم الكفر لما في ذلك من قساوة القلوب وركوب الرين وجره الى
الموت على الكفر قلت لانه كم من مرتد مزداد للكفر رجع الى الاسلام ولم يمت على الكفر فان قلت فاي فائدة في هذه الكناية اعني ان
كنى عن الموت على الكفر بامتناع قبول التوبة قلت الفائدة فيها جليلة وهي التغليظ في شأن اولئك الفريق من الكفار وابراز حالهم
في صورة حال الآيسين من الرحمة التي هي اغلظ الاحوال واشدها الا ترى ان الموت على الكفر انما يخاف من اجل اليأس من الرحمة ذهبا نصب على
التمييز وقرأ الاعمش ذهب بالرفع ردا على ملء كما يقال عندي عشرون نفسا رجال فان قلت كيف موقع قوله ولو افتدى به قلت
هو كلام محمول على المعنى كانه قيل فلن تقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا ويجوز ان يراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا
ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف كثيرا في كلامهم كقولك ضربته ضرب زيد تريد مثل ضربه وابو يوسف ابو حنيفة تريد مثله
ولا هيثم الليلة للمطي وقضية ولا ابا حسن لها تريد ولا مثل هيثم ولا مثل ابي حسن كما انه يراد في نحو قولهم مثلك لا يفعل كذا تريد
انت وذلك ان المثلين يسد احدهما مسد الآخر فكانا في حكم شيء واحد وان يراد فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا كان قد تصدق به ولو افتدى
بما لا يقبل منه وقرئ فلن نقبل من احدهم ملء الارض ذهبا على البناء للفاعل وهو الله عز وجل ونصب ملء وملء الارض بتخفيف الهمزة لن تنالوا البر
لن تبلغوا حقيقة البر ولن تكونوا ابرارا وقيل لن تنالوا بر الله وهو ثوابه حتى تنفقوا مما تحبون حتى تكون نفقتكم من اموالكم التي تحبونها وتؤثرونها
كقوله انفقوا من طيبات ما كسبتم وكان السلف رحمهم الله اذا احبوا شيئا جعلوه لله وروي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي
الي بيرحاء فضعها يا رسول الله حيث اراك الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذاك مال رابح او مال رائح واني ارى ان تجعلها في الاقربين
فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها في اقاربه وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة
بن زيد فكان زيدا وجد في نفسه وقال انما اردت ان اتصدق به فقال رسول الله اما ان الله تعالى قد قبلها منك وكتب عمر رضي الله عنه الى ابي موسى الاشعري
ان يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى فلما جاءت اعجبته فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها
ونزل بابي ذر ضيف فقال للراعي ائتني بخير ابلي فجاء بناقة مهزولة فقال خنتني فقال وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال ان يوم حاجتي
اليه ليوم اوضع في حفرتي وقرأ عبد الله حتى تنفقوا بعض ما تحبون وهذا دليل على ان من في مما تحبون للتبعيض ونحوه اخذت من المال ومن في من شيء
لتبيين ما تنفقوا اي من اي شيء كان طيب تحبونه او خبيث تكرهونه فان الله عليم بكل شيء تنفقونه فمجازيكم بحسبه كل الطعام كل
المطعومات او كل انواع الطعام والحل مصدر يقال حل الشيء حلا كقولك ذلت الدابة ذلا وعز الرجل عزا وفي حديث عائشة رضي الله عنها
كنت اطيبه لحله وحرمه ولذلك استوى في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع قال الله تعالى لا هن حل لهم والذي حرم اسرائيل
عليه السلام على نفسه لحوم الابل والبانها وقيل العروق وكان به عرق النسا فنذر ان شفي ان يحرم على نفسه احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه
وقيل اشارت عليه الاطباء باجتنابه ففعل وذلك باذن الله فهو كتحريم الله ابتداء والمعنى ان المطاعم كلها لم تزل حلالا لبني اسرائيل من قبل انزال
التوراة وتحريم ما حرم عليهم منها لظلمهم وبغيهم لم يحرم منها شيء قبل ذلك غير المطعوم الواحد الذي حرمه ابوهم اسرائيل على نفسه فتبعوه على تحريمه
وهو رد على اليهود وتكذيب لهم حيث ارادوا براءة ساحتهم مما نعى عليهم في قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الى قوله
عذابا اليما وفي قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم وجحود ما غاظهم
واشمأزوا منه وامتعضوا مما نطق به القرآن من تحريم الطيبات عليهم لبغيهم وظلمهم فقالوا لسنا باول من حرمت عليه وما هو الا تحريم قديم كانت

وما تنفقوا من شيء

كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة

يشهد على نوح وعلى ابرهيم ومن بعده من بني اسرائيل وهلم جرا الى ان انتهى التحريم اليهم فحرم علينا كما حرم على من قبلنا وغرضهم تكذيب شهادة الله عليهم
بالبغي والظلم والصد عن سبيل الله واكل الربوا واخذ اموال الناس بالباطل وما عدد من مساويهم التي كلما ارتكبوا كبيرة منها حرم عليهم نوع من الطيبات
عقوبة لهم قالوا لسنا باول من حرمت عليه وما هو الا تحريم قديم فامرهم بان يحاجهم بكتابهم ويبكتهم بما هو ناطق به من ان تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم
لا تحريم قديم كما يدعونه فروي انهم لم يجسروا على اخراج التوراة وبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك الحجة البينة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم
وعلى جواز النسخ الذي ينكرونه فمن افترى على الله الكذب بزعمه ان ذلك كان محرما على بني اسرائيل قبل انزال التوراة من بعد ما لزمهم من الحجة
القاطعة فاولئك هم الظالمون المكابرون الذين لا ينصفون من انفسهم ولا يلتفتون الى البينات **قل صدق الله** تعريض بكذبهم كقوله ذلك جزيناهم
ببغيهم وانا لصادقون اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا وهي ملة الاسلام التي عليها محمد ومن امن معه حتى تخلصوا
من اليهودية التي ورطتكم في فساد دينكم ودنياكم حيث اضطرتكم الى تحريف كتاب الله لتسوية اغراضكم والزمتكم تحريم الطيبات التي احلها
الله لابرهيم ولمن تبعه وضع للناس صفة لبيت والواضع هو الله عز وجل يدل عليه قراءة من قرا وضع للناس بتسمية الفاعل وهو الله ومعنى وضع الله
بيتا للناس انه جعله متعبدا لهم فكانه قال ان اول متعبد للناس الكعبة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن اول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام
ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وعن علي رضي الله عنه ان رجلا قال له اهو اول بيت قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه اول بيت وضع للناس
مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة واول من بناه ابرهيم ثم بناه قوم من العرب من جرهم ثم هدم فبنته العمالقة ثم هدم فبناه قريش وعن ابن عباس هو اول
بيت حج بعد الطوفان وقيل هو اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والارض خلقه قبل الارض بالفي عام وكان زبدة بيضاء على الماء فدحيت الارض تحته
وقيل هو اول بيت بناه آدم في الارض وقيل لما اهبط آدم قالت له الملائكة طف حول هذا البيت فلقد طفنا قبلك بالفي عام وكان في موضعه قبل آدم
بيت يقال له الضراح فرفع في الطوفان الى السماء الرابعة تطوف به ملائكة السموات **للذي ببكة** البيت الذي ببكة وهو علم للبلد الحرام ومكة وبكة
لغتان فيه نحو قولهم النبيط والنميط في اسم موضع بالدهناء ونحوه من الاعتقاب امر راتب وراتم وحمى مغمطة ومغبطة وقيل مكة البلد
وبكة موضع المسجد وقيل اشتقاقها من بكه اذا زحمه لازدحام الناس فيها وعن قتادة يبك الناس بعضهم بعضا الرجال والنساء يصلي بعضهم بين يدي بعض
لا يصلح ذلك الا بمكة كانها سميت ببكة وهي الزحمة قال اذا الشريب اخذته الاكة فخله حتى يبك بكه
وقيل تبك اعناق الجبابرة اي تدقها لم يقصدها جبار الا قصمه الله مباركا كثير الخير لما يحصل لمن حجه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله
من الثواب وتكفير الذنوب وانتصابه على الحال من المستكن في الظرف لان التقدير للذي ببكة هو والعامل فيه المقدر في الظرف من فعل الاستقرار وهدى
للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم **مقام ابرهيم** عطف بيان لقوله آيات بينات فان قلت كيف صح بيان الجماعة بالواحد قلت فيه وجهان
احدهما ان يجعل وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شانه وقوة دلالته على قدرة الله ونبوة ابرهيم عليه السلام من تاثير قدمه في حجر صلد كقوله تعالى ان
ابرهيم كان امة والثاني اشتماله على آيات لان اثر القدم في الصخرة الصماء آية وغوصه فيها الى الكعبين آية والانة بعض الصخرة دون بعض آية وابقاؤه
دون سائر آيات الانبياء عليهم السلام آية لابرهيم خاصة وحفظه مع كثرة اعدائه من المشركين واهل الكتاب والملاحدة الوف سنة آية ويجوز ان يراد فيه آيات
بينات مقام ابرهيم وامن من دخله لان الاثنين نوع من الجمع كالثلاثة والاربعة ويجوز ان تذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات
كانه قيل فيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله وكثير سواهما ونحوه في طي الذكر قول جرير
كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها ومنه قوله عليه السلام حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة
وقرا ابن عباس وابي ومجاهد وابو جعفر المدني في رواية قتيبة آية بينة على التوحيد وفيها دليل على ان مقام ابرهيم واقع وحده عطف بيان فان قلت
كيف اجزت ان يكون مقام ابرهيم والامن عطف بيان للآيات وقوله ومن دخله كان امنا جملة مستانفة اما ابتدائية واما شرطية قلت
اجزت ذلك من حيث المعنى لان قوله ومن دخله كان امنا دل على امن داخله فكانه قيل فيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن داخله الا ترى انك لو قلت
فيه آية بينة من دخله كان امنا صح لانه في معنى قولك فيه آية بينة امن من دخله فان قلت كيف كان سبب هذا الاثر قلت فيه قولان احدهما
انه لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف ابرهيم عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه وقيل انه جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت له امراة اسمعيل
انزل حتى تغسل راسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق راسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق
الاخر

الآخر فبقي اثر قدميه عليه ومن دخله معناه معنى قوله اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة ابرهيم عليه السلام
رب اجعل هذا البلد آمنا وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجا الى الحرم لم يطلب وعن عمر رضي الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته
حتى يخرج منه وعند ابي حنيفة من لزمه القتل في الحل بقصاص او ردة او زنا فالتجا الى الحرم لم يتعرض له الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى
ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج وقيل آمنا من النار وعن النبي صلى الله عليه وسلم من مات في احد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا وعنه عليه السلام الحجون
والبقيع يؤخذ باطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود رضي الله عنه وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية
الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة
بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت
منه جهنم مسيرة مائتي عام من استطاع بدل من الناس وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة وكذا عن ابن
عباس وابن عمر وعليه اكثر العلماء وعن ابن الزبير هو على قدر القوة ومذهب مالك ان الرجل اذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك على قدر
الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر على السفر وقد يقدر عليه من لا راحلة له ولا زاد وعن الضحاك اذا قدر ان يؤجر نفسه فهو مستطيع
وقيل له في ذلك فقال ان كان لبعضهم ميراث بمكة اكان يتركه بل كان ينطلق اليه ولو حبوا فكذلك يجب عليه الحج والضمير في اليه للبيت او للحج
وكل ما اتى الى الشيء فهو سبيل اليه وفي هذا الكلام انواع من التاكيد والتشديد منها قوله ولله على الناس حج البيت يعني انه حق واجب لله
في رقاب الناس لا ينفكون عن ادائه والخروج من عهدته ومنها انه ذكر الناس ثم ابدل عنه من استطاع اليه سبيلا وفيه ضربان من التاكيد احدهما ان الابدال
تثنية للمراد وتكرير له والثاني ان الايضاح بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال ايراد له في صورتين مختلفتين ومنها قوله ومن كفر مكان ومن لم يحج
تغليظا على تارك الحج ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا ونحوه من التغليظ من ترك الصلاة
متعمدا فقد كفر ومنها ذكر الاستغناء عنه وذلك مما يدل على المقت والسخط والخذلان ومنها قوله عن العالمين وان لم يقل عنه وما فيه من
الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان لانه اذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لا محالة ولانه يدل على الاستغناء الكامل فكان ادل على عظم السخط
الذي وقع عبارة عنه وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود فانهم قالوا الحج الى مكة غير واجب وروي انه لما نزل قوله ولله على الناس حج البيت
جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا
لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل ومن كفر وعن النبي صلى الله عليه وسلم حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع في الثالثة وروي
حجوا قبل ان لا تحجوا حجوا قبل ان يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود حجوا هذا البيت قبل ان تنبت في البادية شجرة لا تاكل منها دابة الا نفقت
وعن عمر رضي الله عنه لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما نوظروا وقرئ حج البيت بالكسر والله شهيد الواو للحال والمعنى لم تكفرون
بآيات الله التي دلتكم على صدق محمد صلى الله عليه وسلم والحال ان الله شهيد على اعمالكم فيجازيكم عليها وهذه الحال توجب الا تجسروا على الكفر
بآياته وقرا الحسن تصدون من اصده عن سبيل الله عن دين حق علم انه سبيل الله التي امر بسلوكها وهو الاسلام وكانوا يفتنون المؤمنين
ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من اراد الدخول فيه بجهدهم وقيل اتت اليهود الاوس والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات
والحروب ليعودوا لمثله **تبغونها عوجا** تطلبون لها اعوجاجا وميلا عن القصد والاستقامة فان قلت كيف تبغونها عوجا وهو
محال قلت فيه معنيان احدهما انكم تلبسون على الناس حتى توهموهم ان فيها عوجا بقولكم ان شريعة موسى لا تنسخ وبتغييركم
صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهها ونحو ذلك والثاني انكم تتعبون انفسكم في اخفاء الحق وابتغاء ما لا يتاتى لكم من وجود العوج
فيما هو اقوم من كل مستقيم وانتم شهداء انها سبيل الله التي لا يصد عنها الا ضال مضل او وانتم شهداء بين اهل دينكم عدول يثقون باقوالكم
ويستشهدونكم في عظائم امورهم وهم الاحبار وما الله بغافل وعيد ومحل تبغونها نصب على الحال وقيل مر شاس بن قيس اليهودي
وكان عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين على نفر من الانصار من الاوس والخزرج في مجلس لهم يتحدثون فغاظه ذلك حيث
تالفوا واجتمعوا بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة وقال ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث
وينشدهم بعض ما قيل فيه من الاشعار وكان يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس ففعل فتنازع القوم عند ذلك وتفاخروا

وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين والانصار فقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم
بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح
وبكوا وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كان يوم اقبح اولا واحسن آخرا من ذلك اليوم • وكيف تكفرون معنى الاستفهام فيه
الانكار والتعجب والمعنى من اين يتطرق اليكم الكفر والحال ان آيات الله وهي القرآن المعجز تتلى عليكم على لسان الرسول غضة طرية وبين اظهركم
رسول الله ينبهكم ويعظكم ويزيح شبهكم ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه ويجوز ان يكون حثا لهم على الالتجاء اليه في دفع شرور الكفار
ومكايدهم • فقد هدي فقد حصل له الهدى لا محالة كما تقول اذا جئت فلانا فقد افلحت كان الهدى قد حصل فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع
في قد ظاهر لان المعتصم بالله متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده • حق تقاته واجب تقواه وما يحق منها وهو القيام بالواجب
واجتناب المحارم ونحوه فاتقوا الله ما استطعتم يريد بالغوا في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيئا وعن عبد الله هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر
فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وروي مرفوعا وقيل هو ان لا تأخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او ابنه او ابيه وقيل لا يتقي الله عبد
حق تقاته حتى يخزن لسانه والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد ولا تموتن ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت كما تقول لمن
تستعين به على قتال العدو لا تأتني الا وانت على حصان فلا تنهاه عن الاتيان ولكنك تنهاه عن خلاف الحال التي شرطت عليه في وقت الاتيان واعتصموا
بحبله يجوز ان يكون تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه بحمايته بامتساك المتدلي من مكان مرتفع بحبل وثيق يأمن انقطاعه وان يكون الحبل استعارة لعهده
والاعتصام لوثوقه بالعهد او ترشيحا لاستعارة الحبل بما يناسبه والمعنى واجتمعوا على استعانتكم بالله ووثوقكم به ولا تفرقوا عنه او واجتمعوا على
التمسك بعهده الى عباده وهو الايمان والطاعة او بكتابه لقول النبي صلى الله عليه وسلم القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من
قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدي الى صراط مستقيم • ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفت اليهود والنصارى
او كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين يعادي بعضكم بعضا ويحاربه او ولا تحدثوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع والالفة التي انتم عليه
مما يأباه جامعكم والمؤلف بينكم وهو اتباع الحق والتمسك بالاسلام كانوا في الجاهلية بينهم الاحن والعداوات والحروب المتواصلة فالف الله بين
قلوبهم بالاسلام وقذف فيها المحبة فتحابوا وتوافقوا وصاروا اخوانا متراحمين متناصحين مجتمعين على امر واحد قد نظم بينهم وازال الاختلاف وهو الاخوة
في الله وقيل هم الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام فوقعت بينهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة الى ان اطفأ الله ذلك بالاسلام والف
بينهم برسول الله • وكنتم على شفا حفرة من النار وكنتم مشفين على ان تقعوا في نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر فانقذكم منها بالاسلام والضمير للحفرة او للنار
او للشفا وانما انث لاضافته الى الحفرة وهو منها كما قال كما شرقت صدر القناة من الدم • وشفا الحفرة وشفتها حرفها بالتذكير
والتأنيث ولامها واو الا انها في المذكر مقلوبة وفي المؤنث محذوفة ونحو الشفا والشفة الجانب والجانبة فان قلت كيف جعلوا على
حرف حفرة من النار قلت لو ماتوا على ما كانوا عليه وقعوا في النار فمثلت حياتهم التي يتوقع بعدها الوقوع في النار بالقعود على حرفها
مشفين على الوقوع فيها كذلك مثل ذلك البيان البليغ يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ارادة ان تزدادوا هدى • ولتكن منكم امة من
للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات ولانه لا يصلح له الا من علم المعروف والمنكر وعلم كيف
يرتب الامر في اقامته وكيف يباشر فان الجاهل ربما نهى عن معروف وامر بمنكر وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه
فنهاه عن غير منكر وقد يغلظ في موضع اللين ويلين في موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده انكاره الا تماديا او على من الانكار عليه عبث
كالانكار على اصحاب المآصر والجلادين واضرابهم وقيل من للتبيين بمعنى وكونوا امة تأمرون كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون
[illegible] وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل وهو على المنبر من خير الناس قال آمرهم بالمعروف وانهاهم
عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم وعنه عليه السلام من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه
وعن علي رضي الله عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له • وعن حذيفة يأتي على الناس
زمان تكون فيهم جيفة الحمار احب اليهم من مؤمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر • وعن سفيان الثوري اذا كان الرجل محببا في جيرانه محمودا عند
اخوانه فاعلم انه مداهن والامر بالمعروف تابع للمأمور به ان كان واجبا فواجب وان كان ندبا فندب واما النهي عن المنكر فواجب كله

لان

لان جميع المنكر تركه واجب لاتصافه بالقبح فان قلت ما طريق الوجوب قلت قد اختلف فيه الشيخان رحمهما الله فعند ابي علي
السمع والعقل وعند ابي هاشم السمع وحده فان قلت ما شرائط النهي قلت ان يعلم الناهي ان ما ينكره قبيح لانه اذا لم يعلم لم
يأمن ان ينكر الحسن وان لا يكون ما ينهى عنه واقعا لان الواقع لا يحسن النهي عنه وانما يحسن الذم عليه والنهي عن امثاله وان لا يغلب على ظنه ان المنهي
يزيد في منكراته وان لا يغلب على ظنه ان نهيه لا يؤثر لانه عبث فان قلت فما شروط الوجوب قلت ان يغلب على ظنه وقوع المعصية
نحو ان يرى الشارب قد تهيأ لشرب الخمر باعداد الآلة وان لا يغلب على ظنه انه ان انكر لحقته مضرة عظيمة فان قلت كيف يباشر الانكار
قلت يبتدئ بالسهل فان لم ينفع ترقى الى الصعب لان الغرض كف المنكر قال الله تعالى فاصلحوا بينهما ثم قال فقاتلوا فان قلت فمن يباشره
قلت كل مسلم تمكن منه واختص بشرائطه وقد اجمعوا ان من رأى غيره تاركا للصلاة وجب عليه الانكار لانه معلوم قبحه لكل احد واما الانكار
الذي بالقتال فالامام وخلفاؤه اولى لانهم اعلم بالسياسة ومعهم عدتها فان قلت فمن يؤمر وينهى قلت كل مكلف وغير المكلف
اذا هم بضرر غيره منع كالصبيان والمجانين وينهى الصبيان عن المحرمات حتى لا يتعودوها كما يؤخذون بالصلاة ليمرنوا عليها فان قلت هل يجب على
مرتكب المنكر ان ينهى عما يرتكبه قلت نعم يجب عليه لان ترك ارتكابه وانكاره واجبان عليه فبتركه احد الواجبين لا يسقط عنه الواجب
الآخر وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا وعن الحسن انه سمع مطرف بن عبد الله يقول لا اقول ما لا افعل فقال واينا يفعل ما يقول ود الشيطان لو
ظفر بهذه منكم فلا يأمر احد بمعروف ولا ينهى عن منكر فان قلت كيف قيل يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف قلت الدعاء الى الخير
عام في التكاليف من الافعال والتروك والامر بالمعروف والنهي عن المنكر خاص فجيء بالعام ثم عطف عليه الخاص ايذانا بفضله كقوله والصلاة
الوسطى • كالذين تفرقوا واختلفوا وهم اليهود والنصارى من بعد ما جاءهم البينات الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهي كلمة الحق وقيل هم
مبتدعو هذه الامة وهم المشبهة والمجبرة والحشوية واشباههم • يوم تبيض وجوه نصب الظرف بما في لهم من معنى الفعل او باضمار اذكر ويوم
تبيض وتسود [illegible] والبياض من النور والسواد من الظلمة فمن كان من اهل نور الحق وسم ببياض اللون
والاسفار والاشراق وابيضت صحيفته واشرقت وسعى النور بين يديه وبيمينه ومن كان من اهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكسوفه
وكمده واسودت صحيفته واظلمت واحاطت به الظلمة من كل جانب نعوذ بالله وبسعة رحمته من ظلمات الباطل واهله • اكفرتم فيقال
لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم والظاهر انهم اهل الكتاب وكفرهم بعد الايمان تكذيبهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اعترافهم
به قبل مجيئه وعن عطاء تبيض وجوه المهاجرين والانصار وتسود وجوه بني قريظة والنضير وقيل هم المرتدون وقيل اهل البدع والاهواء وعن
ابي امامة رضي الله عنه هم الخوارج ولما رآهم على درج دمشق دمعت عيناه ثم قال كلاب النار هؤلاء شر قتلى تحت اديم السماء وخير قتلى تحت اديم السماء
الذين قتلهم هؤلاء فقال له ابو غالب اشيء تقوله برأيك ام شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بل سمعته من رسول الله غير مرة قال فما شأنك دمعت
عيناك قال رحمة لهم كانوا من اهل الاسلام فكفروا ثم قرأ هذه الآية ثم اخذ بيده فقال ان بارضك منهم كثيرا فاعاذك الله منهم وقيل هم جميع الكفار
لاعراضهم عما وجب عليهم الاقرار به حين اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى • ففي رحمة الله ففي نعمته وهي الثواب المخلد فان قلت كيف موقع
قوله هم فيها خالدون بعد قوله ففي رحمة الله قلت موقع الاستئناف كانه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون
تلك آيات الله الواردة في الوعد والوعيد نتلوها عليك ملتبسة بالحق والعدل من جزاء المحسن والمسيء بما يستوجبانه • وما الله يريد ظلما فيأخذ
احدا بغير جرم او يزيد في عقاب مجرم او ينقص من ثواب محسن ونكر ظلما وقال للعالمين على معنى ما يريد شيئا من الظلم لاحد من خلقه فسبحان من
يحلم عمن يصفه بارادة القبائح والرضا بها • كان عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض على سبيل الابهام وليس فيه دليل على عدم سابق ولا على انقطاع طارئ
ومنه قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما ومنه قوله تعالى كنتم خير امة كانه قيل وجدتم خير امة وقيل كنتم في علم الله خير امة وقيل كنتم في الامم قبلكم
مذكورين بانكم خير امة موصوفين به اخرجت اظهرت • وقوله تأمرون كلام مستأنف بين به كونهم خير امة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم
ويقوم بما يصلحهم • وتؤمنون بالله جعل الايمان كلا بما يجب الايمان به لان من آمن ببعض ما يجب الايمان به من رسول او كتاب او بعث او حساب او
عقاب او ثواب او غير ذلك لم يعتد بايمانه فكانه غير مؤمن بالله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون
حقا والدليل عليه قوله ولو آمن اهل الكتاب مع ايمانهم بالله لكان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه لانهم انما آثروا دينهم على دين الاسلام حبا للرياسة واستتبع

الموا يهود آمنوا لكان خيراً لهم من الرياسة والاتباع وحظوظ الدنيا ما هو خير مما آثروا دين الباطل لأجله مع الفوز بما وعدوا على الإيمان من إيتاء الأجر مرتين
منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام وأصحابه وأكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر لن يضروكم إلا أذى إلا ضرراً مقتصراً على أذى بقول من طعن في
الدين أو تهديد أو نحو ذلك وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار منهزمين ولا يضروكم بقتل أو أسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون لهم نصر من أحد ولا يمنعون منكم
وفيه تثبيت لمن أسلم منهم لأنهم كانوا يؤذونهم بالتلهي بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم ثم لا يقدرون أن يتجاوزوا الأذى بالقول إلى ضرر يبالى به
مع أنه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وأن عاقبة أمرهم الخذلان والذل فإن قلت هلا جزم المعطوف في قوله ثم لا ينصرون قلت
عدل به عن حكم الجزاء إلى حكم الإخبار ابتداء كأنه قيل ثم أخبركم أنهم لا ينصرون فإن قلت فأي فرق بين رفعه وجزمه في المعنى قلت لو جزم
لكان نفي النصر مقيداً بمقاتلتهم كتولية الأدبار وحين رفع كان نفي النصر وعداً مطلقاً كأنه قال ثم شأنهم وقصتهم التي أخبركم عنها وأبشركم بها
بعد التولية أنهم مخذولون منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعدها بجناح ولا يستقيم لهم أمر وكان كما أخبر من حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع
ويهود خيبر فإن قلت فما الذي عطف عليه هذا الخبر قلت جملة الشرط والجزاء كأنه قيل أخبركم أنهم إن يقاتلوكم ينهزموا ثم أخبركم
أنهم لا ينصرون فإن قلت فما معنى التراخي في ثم قلت التراخي في المرتبة لأن الإخبار بتسليط الخذلان عليهم أعظم من الإخبار بتوليتهم الأدبار
فإن قلت ما معنى الكلام أعني منهم المؤمنون وأكثرهم قلت هو كلام وارد على طريق الاستطراد عند إجراء ذكر أهل الكتاب
كما يقول القائل وعلى ذكر فلان فإن من شأنه كيت وكيت ولذلك جاء من غير عاطف بحبل من الله في محل النصب على الحال بتقدير إلا معتصمين أو
متمسكين أو متلبسين بحبل من الله وهو استثناء من أعم عام الأحوال والمعنى ضربت عليهم الذلة في عامة الأحوال إلا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس
يعني ذمة الله وذمة المسلمين أي لا عز لهم قط إلا هذه الواحدة وهي التجاؤهم إلى الذمة لما قبلوه من الجزية وباءوا بغضب من الله استوجبوه وضربت عليهم
المسكنة كما يضرب البيت على أهله فهم ساكنون في المسكنة غير ظاعنين عنها وهم اليهود عليهم لعنة الله وغضبه ذلك إشارة إلى ما ذكر من ضرب الذلة
والمسكنة والبوء بغضب الله أي ذلك كائن بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء ثم قال ذلك بما عصوا أي ذلك كائن بسبب عصيانهم لله واعتدائهم
لحدوده ليعلم أن الكفر وحده ليس بسبب في استحقاق سخط الله وأن سخط الله يستحق بركوب المعاصي كما يستحق بالكفر ونحوه من اجتنابهم
واجترائهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل ليسوا سواء ليس أهل الكتاب مستوين وقوله من أهل الكتاب أمة قائمة
كلام مستأنف لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع قوله تأمرون بالمعروف بياناً لقوله كنتم خير أمة أمة قائمة مستقيمة عادلة من قولك أقمت العود فقام
بمعنى استقام وهم الذين أسلموا منهم وعبر عن تهجدهم بتلاوة القرآن في ساعات الليل مع السجود لأنه أبين لما يفعلون وأدل على حسن صورة أمرهم وقيل
هي صلاة العشاء لأن أهل الكتاب لا يصلونها وعن ابن مسعود رضي الله عنه أخر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العشاء ثم خرج إلى المسجد فإذا الناس
ينتظرون الصلاة فقال أما إنه ليس من أهل الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرأ هذه الآية وقوله يتلون ويؤمنون في محل الرفع صفات
لأمة أي أمة قائمة تالون مؤمنون وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين ومن الإيمان بالله لأن إيمانهم به كلا إيمان لإشراكهم به عزيراً
وكفرهم ببعض الكتب والرسل دون بعض ومن الإيمان باليوم الآخر لأنهم يصفونه بخلاف صفته ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنهم كانوا مداهنين ومن المسارعة
في الخيرات لأنهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لأن من رغب في الأمر سارع في توليه والقيام به وآثر الفور على
التراخي وأولئك الموصوفون بما وصفوا به من جملة الصالحين الذين صلحت أحوالهم عند الله ورضيهم واستحقوا ثناءه عليهم ويجوز أن يريد بالصالحين المسلمين
فلن يكفروه لما جاء وصف الله عز وعلا بالشكر في قوله والله شكور حليم ومعنى توفية الثواب نفى عنه نقيض ذلك فإن قلت لم عدي إلى مفعولين
وشكر وكفر لا يتعديان إلا إلى واحد تقول شكر النعمة وكفرها قلت ضمن معنى الحرمان فكأنه قيل فلن تحرموه بمعنى فلن تحرموا
جزاءه وقرئ يفعلوا ويكفروا بالياء والتاء والله عليم بالمتقين بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على أنه لا يفوز عنده إلا أهل التقوى
الصر الريح الباردة نحو الصرصر قال لا تعدلن أتاويين تضربهم نكباء صر بأصحاب المحلات كما قالت ليلى الأخيلية
ولم يغلب الخصم الألد ويملأ الجفان سديفاً يوم نكباء صرصر فإن قلت فما معنى قوله كمثل ريح فيها صر قلت
فيه أوجه أحدها أن الصر في صفة الريح بمعنى الباردة فوصف بها القرة بمعنى فيها قرة صر كما تقول برد بارد على المبالغة والثاني أن يكون
الصر مصدراً في الأصل بمعنى البرد فجيء به على أصله والثالث أن يكون من قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ومن قولك إن ضيعني

فلان

فلان ففي الله كاف وكما قال وفي الرحمن للضعفاء كاف وشبه ما كانوا ينفقون من أموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء
وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله بالزرع الذي حسه البرد فذهب حطاماً وقيل هو ما كانوا يتقربون به إلى الله مع كفرهم وقيل ما أنفقوا
في عداوة رسول الله فضاع عنهم لأنهم لم يبلغوا بإنفاقه ما أنفقوه لأجله وشبه بحرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلك عقوبة لهم على معاصيهم
لأن الإهلاك عن سخط أشد وأبلغ فإن قلت الغرض تشبيه ما أنفقوا في قلة جدواه وضياعه بالحرث الذي ضربته الصر والكلام
غير مطابق للغرض حيث جعل ما ينفقون ممثلاً بالريح قلت هو من التشبيه المركب الذي مر في تفسير قوله تعالى كمثل الذي استوقد
ناراً ويجوز أن يراد مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك ريح أو مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرئ تنفقون بالتاء
وما ظلمهم الله الضمير للمنفقين على معنى وما ظلمهم الله بأن لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث لم يأتوا بها مستحقة للقبول أو لأصحاب
الحرث الذين ظلموا أنفسهم أي وما ظلمهم الله بإهلاك حرثهم ولكن ظلموا أنفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن بالتشديد بمعنى ولكن أنفسهم ظلموها هم ولا يجوز أن يراد ولكنه أنفسهم
يظلمون على إسقاط ضمير الشأن لأنه إنما يجوز في الشعر بطانة الرجل ووليجته خصيصه وصفيه الذي يفضي إليه بشقوره ثقة به شبه
ببطانة الثوب كما يقال فلان شعاري وعن النبي صلى الله عليه وسلم الأنصار شعار والناس دثار من دونكم من دون أبناء جنسكم وهم المسلمون ويجوز أن يتعلق
بلا تتخذوا وبجانة على الوجهين أي بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم لا يألونكم خبالاً يقال ألا في الأمر يألو إذا قصر فيه ثم استعمل معدى إلى
مفعولين في قولهم لا آلوك نصحاً ولا آلوك جهداً على التضمين والمعنى لا أمنعك نصحاً ولا أنقصكه والخبال الفساد ودوا ما عنتم ودوا
عنتكم على أن ما مصدرية والعنت شدة الضرر والمشقة وأصله انهياض العظم بعد جبره أي تمنوا أن يضروكم في دينكم ودنياكم أشد الضرر
وأبلغه قد بدت البغضاء من أفواههم لأنهم لا يتمالكون مع ضبطهم أنفسهم وتحاملهم عليها أن ينفلت من ألسنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين وعن
قتادة قد بدت البغضاء لأوليائهم من المنافقين والكفار لإطلاع بعضهم بعضاً على ذلك وفي قراءة عبد الله قد بدا البغضاء قد بينا لكم الآيات
الدالة على وجوب الإخلاص في الدين وموالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه إن كنتم تعقلون ما بين لكم فعملتم به فإن قلت كيف موقع هذه
الجمل قلت يجوز أن يكون لا يألونكم صفة للبطانة وكذلك قد بدت البغضاء كأنه قيل بطانة غير آليكم خبالاً بادية بغضاؤهم وأما قد
بينا فكلام مبتدأ وأحسن منه وأبلغ أن تكون مستأنفات كلها على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة ها للتنبيه وأنتم مبتدأ وأولاء خبره
أي أنتم أولاء الخاطئون في موالاة منافقي أهل الكتاب وقوله تحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطئهم في موالاتهم حيث تبذلون محبتكم لأهل البغضاء
وقيل أولاء موصول تحبونهم صلته والواو في وتؤمنون بالكتاب للحال وانتصابها من لا يحبونكم أي لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتابهم كله وهم مع ذلك
يبغضونكم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم وفيه توبيخ شديد بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم ونحوه فإنهم يألمون كما تألمون وترجون
من الله ما لا يرجون ويوصف المغتاظ والنادم بعض الأنامل والبنان والإبهام قال الحارث بن ظالم المري

فأقتل أقواماً لئاماً أذلة ... يعضون من غيظ رؤوس الأباهم

قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بأن يزداد غيظهم حتى يهلكوا به
والمراد بزيادة الغيظ زيادة ما يغيظهم من قوة الإسلام وعز أهله وما لهم في ذلك من الذل والخزي والتبار إن الله عليم بذات الصدور فهو يعلم ما في صدور
المنافقين من الحنق والبغضاء وما يكون منهم في حال خلو بعضهم ببعض وهو كلام داخل في جملة المقول أو خارج منها فإن قلت فما معناه
على الوجهين قلت إذا كان داخلاً في جملة المقول فمعناه أخبرهم بما يسرونه من عضهم الأنامل غيظاً إذا خلوا وقل لهم إن الله عليم بما هو أخفى مما تسرونه
بينكم وهو مضمرات الصدور فلا تظنوا أن شيئاً من أسراركم يخفى عليه وإذا كان خارجاً فمعناه قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من اطلاعي إياك على ما يسرون
فإني أعلم ما هو أخفى من ذلك وهو ما أضمروه في صدورهم ولم يظهروه بألسنتهم ويجوز أن لا يكون ثم قول وأن يكون قوله قل موتوا بغيظكم أمراً
لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله أن يهلكوا غيظاً بإعزاز الإسلام وإذلالهم به كأنه قيل حدث نفسك
بذلك الحسنة الرخاء والخصب والنصرة والغنيمة ونحوها من المنافع والسيئة ما كان ضد ذلك وهذا بيان لفرط معاداتهم حيث
يحسدونهم على ما نالهم من الخير ويشمتون بهم فيما أصابهم من الشدة فإن قلت كيف وصفت الحسنة بالمس والسيئة بالإصابة قلت
المس مستعار لمعنى الإصابة فكان المعنى واحداً ألا ترى إلى قوله إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك
من سيئة فمن نفسك إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً وإن تصبروا على عداوتهم وتتقوا ما نهيتم عنه من موالاتهم أو وإن تصبروا

عليكم لتقبالدين وشاقه وتعوذوا الله في اجتنابكم بطانة كتمر في كتابه فلا يضركم كيدهم وقرئ لا يضركم من ضاره يضيره وبضركم
على ان ضمة الراء لاتباع ضمة الضاد كقولك مد يا هذا وروى المفضل عن عاصم لا يضركم بفتح الراء وهذا تعليم من الله وارشاد الى ان يستعان
على كيد العدو بالصبر والتقوى وقد قال الحكماء اذا اردت ان تكبت من يحسدك فازدد فضلا في نفسك ان الله بما يعملون من الصبر والتقوى
وغيرهما محيط ففاعل بكم ما انتم اهله وقرئ بالياء بمعنى انه عالم بما يعملون في عداوتكم فمعاقبهم عليه واذ غدوت واذكر اذ غدوت من اهلك بالمدينة وهو غدوة
الى احد من حجرة عائشة رضي الله عنها روى ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ودعا عبد الله بن
ابي بن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو
قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم
النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الى هؤلاء الاكلب لا يرون انا قد جبنا عنهم وقال عليه السلام
اني قد رأيت في منامي بقرا مذبحة حولي فاولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورأيت كاني ادخلت يدي في درع حصينة
فاولتها المدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا فلم يزالوا به حتى
دخل فلبس لامته فلما راوه قد لبس لامته ندموا وقالوا بئسما صنعنا نشير على رسول الله والوحي ياتيه وقالوا اصنع يا رسول الله ما رايت فقال لا ينبغي
لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة واصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال فمشى على رجليه فجعل
يصف اصحابه للقتال كانما يقوم بهم القدح ان راى صدرا خارجا قال تأخر وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وامر
عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل لا ياتونا من ورائنا تبوئ المؤمنين تنزلهم وقرأ عبد الله للمؤمنين بمعنى تسوي لهم وتهيئ
مقاعد للقتال مواطن ومواقف وقد اتسع في قعد وقام حتى اجريا مجرى صار واستعمل المقعد والمقام في معنى المكان ومنه قوله تعالى في مقعد صدق وقبل
ان تقوم من مقامك من مجلسك وموضع حكمك والله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم وضمائركم اذ همت بدل من اذ غدوت او عمل فيه معنى سميع عليم والطائفتان
حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الف وقيل في تسعمائة وخمسين والمشركون في ثلاثة
آلاف ووعدهم الفتح ان صبروا فانخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس وقال يا قوم علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري
وقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن ابن عباس رضي الله عنه اضمروا ان يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا والظاهر انها ما كانت الا همة وحديث نفس وكما لا تخلو النفس عند
الشدة من بعض الهلع ثم يردها صاحبها الى الثبات والصبر ويوطنها على احتمال المكروه كما قال عمرو بن الاطنابة

اقول لها اذا جشأت وجاشت ... مكانك تحمدي او تستريحي

حتى قال معوية عليكم بحفظ الشعر فقد كنت اضع رجلي في
الركاب يوم صفين فما ثبتني الا قول عمرو بن الاطنابة ولو كانت عزيمة لما ثبتت معها الولاية والله تعالى يقول والله وليهما ويجوز ان يراد والله
ناصرهما ومتولي امرهما فما لهما تفشلان ولا يتوكلان على الله فان قلت ما معنى ما روي من قول بعضهم عند نزول الآية والله ما يسرنا انا لم نهم
بالذي هممنا به وقد اخبرنا الله بانه ولينا قلت معنى ذلك فرط الاستبشار بما حصل لهم من الشرف بثناء الله وانزاله فيهم آية ناطقة بصحة
الولاية وان تلك الهمة غير المأخوذ بها لانها لم تكن عن عزيمة وتصميم كانت سببا لنزولها والفشل الجبن والخور وقرأ عبد الله والله وليهم كقوله
وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا امرهم بان لا يتوكلوا الا عليه ولا يفوضوا امورهم الا اليه ثم ذكرهم ما يوجب عليهم التوكل مما يسر لهم من الفتح يوم بدر
وهم في حال قلة وذلة والاذلة جمع قلة والذلان جمع كثرة وجاء بجمع القلة ليدل على انهم على ذلتهم كانوا قليلا وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال
وقلة السلاح والمال والمركوب وذلك انهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم الا فرس واحد وقلتهم انهم كانوا ثلاثمائة
وبضعة عشر وكان عدوهم في حال كثرة زهاء الف مقاتل ومعهم مائة فرس والشكة والشوكة وبدر اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل
يسمى بدرا فسمي به فاتقوا الله في الثبات مع رسوله لعلكم تشكرون بتقواكم ما انعم به عليكم من نصرته او لعلكم ينعم الله عليكم نعمة اخرى تشكرونها
فوضع الشكر موضع الانعام لانه سبب له اذ تقول ظرف لنصركم على ان يقول لهم ذلك يوم بدر او بدل ثان من اذ غدوت على ان يقوله لهم يوم احد فان
قلت كيف يصح ان يقول لهم يوم احد ولم تنزل فيه الملائكة قلت قاله لهم مع اشتراط الصبر والتقوى عليهم فلم يصبروا عن الغنائم ولم يتقوا
حيث

حيث خالفوا امر رسول الله فلذلك لم تنزل الملائكة ولم تتم على المسلمين علم ... وانما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا
بنصر الله ومعنى ان يكفيكم انكار ان لا يكفيهم الامداد فجيء بلن الذي هو لتاكيد النفي للاشعار بانهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة
عدوهم وشوكته كالآيسين من النصر بلى ايجاب لما بعد لن يعني بلى يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية ثم قال ان تصبروا وتتقوا يمددكم باكثر من ذلك العدد
مسومين للقتال ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا من قولك قفل من غزوه وخرج من فوره الى غزوة اخرى وجاء فلان ورجع من فوره ومنه قول ابي حنيفة
رحمه الله الامر على الفور لا على التراخي وهو مصدر من فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم سميت به الحالة التي لا ريث فيها ولا تعريج على شيء من صاحبها
فقيل خرج من فوره كما تقول خرج من ساعته لم يلبث والمعنى انهم ان يأتوكم من ساعتهم هذه يمددكم ربكم بالملائكة في حال اتيانهم لا يتأخر نزولهم عن اتيانهم يريد
ان الله يعجل نصرتكم وييسر فتحكم ان صبرتم واتقيتم وقرئ منزلين بالتشديد ومنزلين بكسر الزاي بمعنى منزلين النصر ومسومين بفتح الواو وكسرها
بمعنى معلمين ومعلمين انفسهم او خيلهم قال الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة على اكتافهم وعن الضحاك معلمين بالصوف الابيض في نواصي الدواب واذنابها
وعن مجاهد مجزوزة اذناب خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل بلق وعن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت وما جعله الله الا بشرى لكم اي وما جعل الله امدادكم بالملائكة
الا بشارة لكم بانكم تنصرون ولتطمئن به قلوبكم كما كانت السكينة لبني اسرائيل بشارة بالنصر وطمانينة لقلوبهم وما النصر الا من عند الله
لا من عند المقاتلة اذا تكاثروا ولا من عند الملائكة والسكينة ولكن ذلك مما يقوي به الله رجاء النصرة والطمع في الرحمة ويربط به على قلوب المجاهدين
العزيز الذي لا يغالب في حكمه الحكيم الذي يعطي النصر ويمنعه لما يرى من المصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا ليهلك طائفة منهم بالقتل والاسر
وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من رؤساء قريش وصناديدهم او يكبتهم او يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فينقلبوا خائبين غير ظافرين
بمبتغاهم ونحوه ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ويقال كبته بمعنى كبده اذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وقيل في قول ابي الطيب

لاكبت حاسدا وارى عدوا ... كأنهما من الكبد والرئة

واللام متعلقة بقوله ولقد نصركم الله او بقوله وما النصر الا من عند الله
او يتوب عطف على ما قبله وليس لك من الامر شيء اعتراض والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يهزمهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا على
الكفر وليس لك من امرهم شيء انما انت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم وقيل ان يتوب منصوب باضمار ان وان يتوب في حكم اسم معطوف على الامر او على شيء
اي ليس لك من امرهم شيء او من التوبة عليهم او من تعذيبهم او ليس لك من امرهم شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم وقيل او بمعنى الا ان كقولك لالزمنك او تعطيني حقي
على معنى ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم او يعذبهم فتتشفى منهم وقيل شجه عتبة بن ابي وقاص يوم احد وكسر رباعيته فجعل
يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى ابي حذيفة يغسل عن وجهه الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت
وقيل اراد ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه ان فيهم من يؤمن وعن الحسن رحمه الله يغفر لمن يشاء بالتوبة ولا يشاء ان يغفر الا للتائبين ويعذب من يشاء
ولا يشاء ان يعذب الا المستوجبين للعذاب وعن عطاء يغفر لمن يتوب اليه ويعذب من لقيه ظالما واتباعه قوله او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون
تفسير بين لمن يشاء وانهم المتوب عليهم او الظالمون ولكن اهل الاهواء والبدع يتصامون ويتعامون عن آيات الله فيخبطون خبط عشواء ويطيبون
انفسهم بما يفترون على ابن عباس من قولهم يهب الذنب الكبير لمن يشاء ويعذب من يشاء على الذنب الصغير لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة نهي عن
الربا مع توبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه كان الرجل منهم اذا بلغ الدين محله زاد في الاجل فاستغرق بالشيء الطفيف مال المديون واتقوا النار التي اعدت
للكافرين كان ابو حنيفة رحمه الله يقول هي اخوف آية في القرآن حيث اوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه
وقد امد ذلك بما اتبعه من تعليق رجاء المؤمنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله ومن تامل هذه الآية وامثالها لم يحدث نفسه بالاطماع الفارغة
والتمني على الله وفي ذكره تعالى لعل وعسى في نحو هذه المواضع وان قال الناس ما قالوا ما لا يخفى على العارف الفطن من دقة مسلك التقوى وصعوبة اصابة
رضى الله وعزة التوصل الى رحمته وثوابه وفي مصاحف اهل المدينة والشام سارعوا بغير واو وقرأ الباقون بالواو وفي قراءة ابي وعبد الله وسابقوا
ومعنى المسارعة الى المغفرة والجنة الاقبال على ما يستحق به ذلك عرضها السموات والارض اي عرضها عرض السموات والارض كقوله عرضها كعرض
السماء والارض والمراد وصفها بالسعة والبسطة فشبهت باوسع ما علمه الناس من خلقه وابسطه وخص العرض لانه في العادة ادنى من الطول
للمبالغة كقوله بطائنها من استبرق وعن ابن عباس رضي الله عنه كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض في السراء والضراء في حال

رخاء واليسر وحال الضيق والعسر لا يخلون ان ينفقوا في كلتا الحالتين ما قدروا عليه من قليل او كثير كما يحكى عن بعض السلف
انه ربما تصدق ببصلة وعن عائشة رضي الله عنها انها تصدقت بحبة عنب او في جميع الاحوال لانها لا تخلو من حال مسرة ومضرة لا يمنعهم حال
فرح وسرور ولا حال محنة وبلاء من المعروف وسواء عليهم كان الواحد منهم في عرس او في حبس فانه ابدع الاحسان وافتتح بذكر الانفاق
لانه اشق شيء على النفس وادله على الاخلاص ولانه كان في ذلك الوقت اعظم الاعمال للحاجة اليه في مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين
كظم القربة اذا ملأها وشد فاها وكظم البعير اذا لم يجتر ومنه كظم الغيظ وهو ان يمسك على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له اثرا
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا وعن عائشة رضي الله عنها ان خادما لها غاظها فقالت
لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء والعافين عن الناس اذا جنى عليهم احد لم يؤاخذوه وروي ينادي مناد يوم القيامة اين الذين كانت اجورهم
على الله فلا يقوم الا من عفا وعن ابن عيينة انه رواه للرشيد وقد غضب على رجل فخلاه وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء في امتي قليل الا من
عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت والله يحب المحسنين يجوز ان تكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته
هؤلاء المذكورون وان تكون للعهد فيكون اشارة الى هؤلاء والذين عطف على المتقين اي اعدت للمتقين وللتائبين وقوله اولئك اشارة الى الفريقين
ويجوز ان يكون والذين مبتدأ خبره اولئك فاحشة فعلة متزايدة القبح او ظلموا انفسهم او اذنبوا اي ذنب كان مما يؤاخذ به وقيل
الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ذكروا الله تذكروا عقابه او وعيده او نهيه او حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء
منه فاستغفروا لذنوبهم فتابوا عنها لقبحها نادمين عازمين ومن يغفر الذنوب الا الله وصف لذاته بسعة الرحمة وقرب المغفرة وان
التائب عنده كمن لا ذنب له وانه لا مفزع للمذنبين الا فضله وكرمه وان عدله يوجب المغفرة للتائب لان العبد اذا جاء في الاعتذار والتنصل
اقصى ما يقدر عليه وجب العفو والتجاوز وفيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط للتوبة وبعث عليها وردع عن اليأس والقنوط وان الذنوب
وان جلت فان عفوه اجل وكرمه اعظم والمعنى انه وحده معه مصححات المغفرة وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه ولم يصروا
ولم يقيموا على قبيح فعلهم غير مستغفرين وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وروي لا كبيرة مع الاستغفار ولا
صغيرة مع الاصرار وهم يعلمون حال من فعل الاصرار وحرف النفي منصب عليهما معا والمعنى وليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها والنهي
عنها والوعيد عليها لانه قد يعذر من لا يعلم قبح القبيح وفي هذه الآيات بيان قاطع ان الذين آمنوا على ثلاث طبقات متقون وتائبون ومصرون
وان الجنة للمتقين والتائبين منهم دون المصرين ومن خالف في ذلك فقد كابر عقله وعاند ربه ونعم اجر العاملين بعد قوله جزاؤهم لانهما في معنى
واحد ولعله خالف بين اللفظين لزيادة التنبيه على ان ذلك جزاء واجب على عمله والاجر مستحق عليه لكن يقال المتطوع وروي ان الله عز وجل اوحى
الى موسى عليه السلام ما اقل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل كيف اجود برحمتي على من يبخل بطاعتي وعن شهر بن حوشب طلب الجنة بلا عمل ذنب
من الذنوب وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء الرحمة ممن لا يطاع حمق وجهالة وعن الحسن يقول الله تعالى يوم القيامة جوزوا الصراط
بعفوي وادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها باعمالكم وعن رابعة البصرية انها كانت تنشد

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... ان السفينة لا تجري على اليبس

والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك
يعني المغفرة والجنات قد خلت من قبلكم سنن وقائع سنها الله في الامم المكذبة كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في
الذين خلوا من قبل ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل هذا بيان للناس ايضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب يعني حثهم
على النظر في سوء عواقب المكذبين قبلهم والاعتبار بما يعاينون من آثار هلاكهم وهدى وموعظة للمتقين يعني انه مع كونه بيانا وتنبيها
للمكذبين فهو زيادة تثبيت وموعظة للذين اتقوا من المؤمنين ويجوز ان يكون قوله قد خلت جملة معترضة للبعث على الايمان بما يستحق به ما ذكر من اجر العاملين
ويكون قوله هذا بيان اشارة الى المخرجين من امر المتقين والتائبين والمصرين ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية من الله لرسوله وللمؤمنين عما اصابهم يوم
احد وتقوية من قلوبهم يعني ولا تضعفوا عن الجهاد لما اصابكم اي لا يورثنكم ذلك وهنا وجبنا ولا تبالوا به ولا تحزنوا على من قتل منكم وجرح
وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم واغلب لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم يوم احد او وانتم الاعلون شانا لان قتالكم لله ولاعلاء
كلمته وقتالهم للشيطان ولاعلاء كلمة الكفر ولان قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار او هي بشارة لهم بالعلو والغلبة اي وانتم الاعلون في العاقبة
وان

وان جندنا لهم الغالبون ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي يعني ولا تهنوا ان صح ايمانكم على ان صحة الايمان توجب قوة القلب والثقة بصنع الله وقلة المبالاة
باعدائه او بالاعلون اي ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة ان يمسسكم قرح قرئ بفتح القاف وضمها وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو
بالفتح الجراح وبالضم المها وقرأ ابو السمال قرح بفتحتين وقيل القرح والقرح كالطرد والطرد والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد فقد نالكم منهم قبله يوم
بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فانتم اولى ان لا تضعفوا وقيل
كان ذلك يوم احد فقد نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر رسول الله فان قلت كيف قيل قرح مثله وما كان قرحهم يوم احد مثل قرح المشركين قلت
بل كان مثله ولقد قتل يومئذ خلق من الكفار الا ترى الى قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم
في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون وتلك الايام مبتدأ والايام صفته ونداولها خبره ويجوز ان يكون تلك الايام مبتدأ وخبرا كما تقول هي الايام تبلى
كل جديد والمراد بالايام اوقات الظفر والغلبة نداولها نصرفها بين الناس نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء كقوله وهو من ابيات الكتاب

فيوما علينا ويوما لنا ... ويوما نساء ويوما نسر

وفي امثالهم الحرب سجال وعن ابي سفيان انه صعد الجبل يوم احد فمكث ساعة
ثم قال اين ابن ابي كبشة اين ابن ابي قحافة اين ابن الخطاب فقال عمر هذا رسول الله وهذا ابو بكر وها انا عمر فقال ابو سفيان يوم بيوم
والايام دول والحرب سجال فقال عمر رضي الله عنه لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال انكم تزعمون ذلك فقد خبنا وخسرنا
والمداولة مثل المعاورة قال: يرد المياه فلا يزال تداولا في الناس بين تمثل وسماع يقال داولت بينهم الشيء فتداولوه
وليعلم الله الذين آمنوا فيه وجهان احدهما ان يكون المعلل محذوفا معناه وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك وهو من
باب التمثيل بمعنى فعلنا ذلك فعل من يريد ان يعلم من الثابت على الايمان منكم من غير الثابت والا فالله عز وجل لم يزل عالما بالاشياء قبل كونها وقيل
معناه وليعلم عالما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمه موجودا منهم الثبات والثاني ان يكون العلة محذوفة وهذا عطف عليه معناه فعلنا ذلك ليكون
كيت وكيت وليعلم الله وانما حذف للايذان بان المصلحة فيما فعل ليست بواحدة ليسليهم عما جرى عليهم وليبصرهم ان العبد يسوءه ما يجري عليه من المصائب
ولا يشعر ان لله في ذلك من المصالح ما هو غافل عنه ويتخذ منكم شهداء وليكرم ناسا منكم بالشهادة يريد المستشهدين يوم احد او وليتخذ منكم من يصلح
للشهادة على الامم يوم القيامة بما يبتلي به صبركم من الشدائد من قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس والله لا يحب الظالمين اعتراض بين بعض التعليل وبعض ومعناه
والله لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الايمان المجاهدين في سبيل الله ليمحص الله الذين آمنوا ليطهرهم من الذنوب والتمحيص التطهير والتصفية ويمحق الكافرين ويهلكهم
يعني ان كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص وغير ذلك مما هو اصلح لهم وان كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو آثارهم ام منقطعة ومعنى
الهمزة فيها الانكار ولما يعلم الله بمعنى ولما يجاهدوا لان العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقه لانه منتف بانتفائه يقول الرجل ما علم
الله في فلان خيرا يريد ما فيه خير حتى يعلمه ولما بمعنى لم الا ان فيه ضربا من التوقع فدل على نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل وتقول وعدني ان
يفعل كذا ولما تريد ولم يفعل وانا اتوقع فعله وقرئ ويعلم الله بفتح الميم وقيل اراد النون الخفيفة فحذفها ويعلم الصابرين نصب
باضمار ان والواو بمعنى الجمع كقولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن وقرأ الحسن بالجزم على العطف وروى عبد الوارث عن ابي عمرو ويعلم بالرفع على ان الواو
للحال كانه قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت خوطب به الذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون ان يحضروا مشهدا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليصيبوا من كرامة الشهادة ما نال شهداء بدر وهم الذين الحوا على رسول الله في الخروج الى المشركين وكان رأيه في الاقامة بالمدينة يعني وكنتم
تمنون الموت من قبل ان تلقوه من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته وصعوبته فقد رأيتموه وانتم تنظرون اي رأيتموه معاينين مشاهدين له حين قتل بين
ايديكم من قتل من اخوانكم واقاربكم وشارفتم ان تقتلوا وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى ما تسببوا له من خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحاحهم
عليه ثم انهزامهم عنه وقلة ثباتهم عنده فان قلت كيف يجوز تمني الشهادة وفي تمنيها تمني غلبة الكافر المسلم قلت قصد متمني
الشهادة الى نيل كرامة الشهداء لا غير ولا يذهب وهمه الى ذلك المتضمن كما ان من شرب دواء الطبيب النصراني قاصد الى حصول المأمول
من الشفاء ولا يخطر بباله ان فيه جر منفعة واحسان الى عدو الله وتنفيقا لصناعته ولقد قال عبد الله بن رواحة حين نهض الى مؤتة وقيل له
ردكم الله

لكنني اسأل الرحمن مغفرة ... وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا
او طعنة بيدي حران مجهزة ... بحربة تنفذ الاحشاء والكبدا
حتى يقولوا اذا مروا على جدثي ... ارشده الله من غاز وقد رشدا

لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم

... أمامه فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم أحد حتى قتله ابن قمئة وهو يرى أنه رسول
الله فقال قد قتلت محمداً وصرخ صارخ ألا إن محمداً قد قتل وقيل كان الصارخ الشيطان ففشا في الناس خبر قتله فانكفؤوا فجعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم يدعو إليّ عباد الله حتى انحازت إليه طائفة من أصحابه فلامهم على هربهم فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا أتانا خبر قتلك
فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فنزلت وروي أنه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين ليت عبد الله بن أبيّ يأخذ لنا أماناً من أبي سفيان وقال ناس
من المنافقين لو كان نبياً لما قتل ارجعوا إلى إخوانكم وإلى دينكم فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك يا قوم إن كان قتل محمد فإن رب محمد حي لا يموت
وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء
ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وعن بعض المهاجرين أنه مر بأنصاري يتشحط في دمه فقال يا فلان أشعرت أن محمداً قد قتل فقال إن كان قتل فقد بلغ
فقاتلوا على دينكم والمعنى وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا وكما أن أتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فعليكم أن تتمسكوا
بدينه بعد خلوه لأن الغرض من بعثة الرسول تبليغ الرسالة وإلزام الحجة لا وجوده بين أظهر قومه أفإن مات الفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة قبلها
على معنى التسبيب والهمزة لإنكار أن يجعلوا خلو الرسل قبله سبباً لانقلابهم على أعقابهم بعد هلاكه بموت أو قتل مع علمهم أن خلو الرسل قبله وبقاء
دينهم متمسكاً به يجب أن يجعل سبباً للتمسك بدين محمد صلى الله عليه وسلم لا للانقلاب عنه فإن قلت لم ذكر القتل وقد علم أنه لا يقتل قلت
لكونه مجوزاً عند المخاطبين فإن قلت أما علموه من ناحية قوله تعالى والله يعصمك من الناس قلت هذا مما يختص بالعلماء منهم وذوي البصيرة
ألا ترى أنهم سمعوا بخبر قتله فهربوا على أنه يحتمل العصمة من فتنة الناس وإذلالهم والانقلاب على الأدبار عما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم به من الأعقاب
أمر الجهاد وغيره وقيل الارتداد وما ارتد أحد من المسلمين ذلك اليوم إلا ما كان من قول المنافقين ويجوز أن يكون على وجه التغليظ عليهم فيما كان منهم من
الفرار والانكشاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسلامه فلن يضر الله شيئاً فما ضر إلا نفسه لأن الله تعالى لا يجوز عليه المضار والمنافع
وسيجزي الله الشاكرين الذين لم ينقلبوا كأنس بن النضر وأضرابه وسماهم شاكرين لأنهم شكروا نعمة الإسلام فيما فعلوا والمعنى أن موت الأنفس محال أن
يكون إلا بمشيئة الله فأخرجه مخرج فعل لا ينبغي لأحد أن يقدم عليه إلا أن يأذن الله فيه تمثيلاً ولأن ملك الموت هو الموكل بذلك فليس له
أن يقبض نفساً إلا بإذن من الله وهو على معنيين أحدهما تحريضهم على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو بإعلامهم أن الحذر لا ينفع وأن أحداً لا يموت
قبل بلوغ أجله وإن خوّض المهالك واقتحم المعارك والثاني ذكر ما صنع الله برسوله عند غلبة العدو والتفافهم عليه وإسلام قومه له نهزة
للمختلس من الحفظ والكلاءة وتأخير الأجل كتاباً مصدر مؤكد لأن المعنى كتب الموت كتاباً مؤجلاً موقتاً له أجل معلوم لا يتقدم ولا يتأخر
ومن يرد ثواب الدنيا تعريض بالذين شغلتهم الغنائم يوم أحد نؤته منها أي من ثوابها وسنجزي الجزاء المبهم الذين شكروا نعمة الله
فلم يشغلهم شيء عن الجهاد وقرئ يؤته وسيجزي بالياء فيهما وقرئ قاتل وقتل وقتّل بالتشديد والفاعل ربيون أو ضمير النبي ومعه ربيون
حال عنه بمعنى قتل كائناً معه ربيون والقراءة بالتشديد تنصر الوجه الأول وعن سعيد بن جبير ما سمعنا بنبي قتل في القتال والربيون الربانيون
وقرئ بالحركات الثلاث فالفتح على القياس والضم والكسر من تغييرات النسب وقرئ فما وهنوا بكسر الهاء والمعنى فما وهنوا عند قتل النبي وما ضعفوا عن
الجهاد بعده وما استكانوا للعدو وهذا تعريض بما أصابهم من الوهن والانكسار عند الإرجاف بقتل رسول الله وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة
المشركين واستكانتهم لهم حين أرادوا أن يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن أبي في طلب الأمان من أبي سفيان وما كان قولهم إلا هذا القول وهو إضافة الذنوب
والإسراف إلى أنفسهم مع كونهم ربانيين هضماً لها واستقصاراً والدعاء بالاستغفار منها مقدماً على طلب تثبيت الأقدام في مواطن الحرب
والنصر على العدو ليكون طلبهم إلى ربهم عن زكاة وطهارة وخضوع أقرب إلى الاستجابة فآتاهم الله ثواب الدنيا من النصر والغنيمة والعز
وطيب الذكر وخص ثواب الآخرة بالحسن دلالة على فضله وتقدمه وأنه هو المعتد به عنده تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة إن
تطيعوا الذين كفروا قال علي رضي الله عنه نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا إلى إخوانكم وادخلوا في دينهم وعن الحسن إن تستنصحوا
اليهود والنصارى وتقبلوا منهم لأنهم كانوا يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه في الدين ويقولون لو كان نبياً حقاً لما غلب ولما أصابه وأصحابه
ما أصابهم وإنما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوماً له ويوماً عليه وعن السدي إن تستكينوا لأبي سفيان وأصحابه وتستأمنوهم يردوكم
إلى دينهم وقيل هو عام في جميع الكفار وأن على المؤمنين أن يجانبوهم ولا يطيعوهم في شيء ولا ينزلوا على حكمهم ولا على مشورتهم حتى لا يستجروهم
إلى

إلى موافقتهم بل الله مولاكم أي ناصركم لا تحتاجون معه إلى نصرة أحد وولايته وقرئ بالنصب على بل أطيعوا الله مولاكم سنلقي قرئ
بالنون والياء والرعب بسكون العين وضمها قيل قذف الله في قلوب المشركين الخوف يوم أحد فانهزموا إلى مكة من غير سبب ولهم القوة
والغلبة وقيل ذهبوا إلى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئاً قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستأصلوهم فلما عزموا
على ذلك ألقى الله الرعب في قلوبهم فأمسكوا بما أشركوا بسبب إشراكهم ما لم ينزل به سلطاناً آلهة لم ينزل الله بإشراكها حجة
فإن قلت كأن هناك حجة حتى ينزلها الله فيصح لهم الإشراك قلت لم يعن أن هناك حجة إلا أنها لم تنزل عليهم لأن الشرك لا
يستقيم أن تقوم عليه حجة وإنما المراد نفي الحجة ونزولها جميعاً كقوله ... ولا ترى الضب بها ينجحر
ولقد صدقكم الله وعده وعدهم الله النصر بشرط الصبر والتقوى في قوله بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ويجوز
أن يكون الوعد قوله تعالى سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب فلما قتلوا وتنازعوا ... وقيل لما رجعوا إلى المدينة قال ناس من المؤمنين
من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل أحداً خلف ظهره واستقبل المدينة وأقام الرماة عند
الجبل وأمرهم أن يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين أو عليهم فلما أقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف
حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يحسونهم أي يقتلونهم قتلاً ذريعاً حتى إذا فشلتم وتنازعتم فشلوا والفشل الجبن وضعف الرأي وتنازعوا فقال بعضهم قد
انهزم المشركون فما موقفنا ههنا وقال بعضهم لا نخالف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فممن ثبت مكانه عبد الله بن جبير أمير الرماة في نفر دون
العشرة وهم المعنيون بقوله ومنكم من يريد الآخرة ونفر أعقابهم ينهبون وهم الذين أرادوا الدنيا فكر المشركون على الرماة وقتلوا عبد الله
بن جبير وأقبلوا على المسلمين وحالت الريح دبوراً وكانت صبا حتى هزموهم وقتلوا من قتلوا ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ليمتحن صبركم على المصائب
وثباتكم على الإيمان عندها ولقد عفا عنكم لما علم من ندمكم على ما فرط منكم من عصيان أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ذو فضل على المؤمنين
يتفضل عليهم بالعفو أو هو متفضل عليهم في جميع الأحوال سواء أديل لهم أو أديل عليهم لأن الابتلاء رحمة كما أن النصر رحمة فإن قلت أين
متعلق حتى إذا قلت محذوف تقديره حتى إذا فشلتم منعكم نصره ويجوز أن يكون المعنى صدقكم الله وعده إلى وقت فشلكم إذ تصعدون
نصب بصرفكم أو بقوله ليبتليكم أو بإضمار اذكر والإصعاد الذهاب في الأرض والإبعاد فيه يقال أصعدنا من
مكة إلى المدينة وقرأ الحسن تصعدون يعني في الجبل وتعضد الأولى قراءة أبي تصعدون في الوادي وقرأ أبو حيوة تصعّدون بفتح التاء وتشديد
العين من تصعد في السلم وقرأ الحسن تلوون بواو واحدة وقد ذكرنا وجهها وقرئ يصعدون ويلوون بالياء والرسول يدعوكم كان يقول
إليّ عباد الله إليّ عباد الله أنا رسول الله من يكر فله الجنة في أخراكم في ساقتكم وجماعتكم الأخرى وهي المتأخرة يقال جئت في آخر الناس
وأخراهم كما تقول في أولهم وأولاهم بتأويل مقدمتهم وجماعتهم الأولى فأثابكم عطف على صرفكم أي فجازاكم الله غماً حين صرفكم عنهم وابتلاكم
بسبب غم أذقتموه رسول الله بعصيانكم له أو غماً مضاعفاً غماً بعد غم وغماً متصلاً بغم من الاغتمام بما أرجف به من قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم
والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر لكيلا تحزنوا لتتمرنوا على تجرع الغموم وتضروا باحتمال الشدائد فلا تحزنوا فيما
بعد على فائت من المنافع ولا على مصيب من المضار ويجوز أن يكون الضمير في فأثابكم للرسول أي فآساكم في الاغتمام وكما غمكم ما نزل به من كسر
الرباعية والشجة وغيرهما غمه ما نزل بكم فأثابكم غماً اغتمه لأجلكم بسبب غم اغتممتموه لأجله ولم يثربكم على عصيانكم ومخالفتكم
أمره وإنما فعل ذلك ليسليكم وينفس عنكم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نصر الله ولا على ما أصابكم من غلبة العدو ثم أنزل الله الأمن على المؤمنين
وأزال عنهم الخوف الذي كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم عن أبي طلحة غشينا النعاس ونحن في مصافنا فكان السيف يسقط من يد أحدنا فيأخذه ثم يسقط
فيأخذه وما أحد إلا يميل تحت حجفته وعن الزبير لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد علينا الخوف فأرسل الله علينا النوم والله
إني لأسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني يقول لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا والأمنة الأمن وقرئ أمنة بسكون الميم
كأنها المرة من الأمن ونعاساً بدل من أمنة ويجوز أن يكون هو المفعول وأمنة حال منه مقدمة عليه كقولك رأيت راكباً رجلاً أو
مفعولاً له بمعنى نعستم أمنة ويجوز أن يكون حالاً من المخاطبين بمعنى ذوي أمنة أو على أنه جمع آمن كبار وبررة يغشى قرئ بالياء
والتاء رداً على النعاس أو على الأمنة طائفة منكم هم أهل الصدق واليقين وطائفة هم المنافقون قد أهمتهم أنفسهم ما بهم إلا هم أنفسهم

لا هم الدين ولا هم رسول الله والمسلمين او قد اوقعتهم انفسهم وما حل بهم في الهموم والاشجان فهم في التشاكي والتباكي، غير الحق في حكم المصدر
ومعناه يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب ان يظن به وظن الجاهلية بدل منه ويجوز ان يكون المعنى يظنون بالله ظن الجاهلية وغير الحق تاكيد
ليظنون كقولك هذا القول غير ما تقول وهذا القول لا قولك، وظن الجاهلية كقولك حاتم الجود ورجل صدق تريد الظن المختص بالملة الجاهلية
ويجوز ان يراد ظن اهل الجاهلية اي لا يظن مثل ذلك الظن الا اهل الشرك الجاهلون بالله، يقولون لرسول الله يسألونه هل لنا من الامر من
شيء معناه هل لنا معاشر المسلمين من امر الله نصيب قط يعنون النصر والاظهار على العدو، قل ان الامر كله لله ولاوليائه المؤمنين وهو
النصر والغلبة كتب الله لاغلبن انا ورسلي وان جندنا لهم الغالبون، يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك معناه يقولون لك فيما يظهرون هل لنا من الامر
من شيء سؤال المؤمنين المسترشدين وهم فيما يبطنون على النفاق، ويقولون في انفسهم او بعضهم لبعض منكرين لقولك لهم ان الامر كله لله لو كان لنا من
الامر شيء اي لو كان الامر كما قال محمد ان الامر كله لله ولاوليائه وانهم الغالبون لما غلبنا قط ولما قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة، قل لو
كنتم في بيوتكم يعني من علم الله منه انه يقتل ويصرع في هذه المصارع وكتب ذلك في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم لبرز
من بينكم الذين علم الله انهم يقتلون الى مضاجعهم وهي مصارعهم ليكون ما علم الله انه يكون والمعنى ان الله كتب في اللوح قتل من يقتل من المؤمنين وكتب مع ذلك
انهم الغالبون لعلمه ان العاقبة في الغلبة لهم وان دين الاسلام يظهر على الدين كله وان ما ينكبون به في بعض الاوقات تمحيص لهم وترغيب في الشهادة وحرصهم
على الشهادة مما يحرضهم على الجهاد فتحصل الغلبة، وقيل معناه هل لنا من التدبير من شيء يعنون لم نملك شيئا من التدبير حيث خرجنا من المدينة الى احد
وكان الراي ان نقيم ولا نبرح كما كان راي عبد الله بن ابي وغيره ولو ملكنا شيئا من التدبير لما قتلنا في هذه المعركة قل ان التدبير كله لله يريد ان الله عز وجل قد
دبر الامر كما جرى ولو اقمتم بالمدينة ولم تخرجوا من بيوتكم لما نجا من القتل من قتل منكم وقرئ كتب عليهم القتال وكتب عليهم القتل على البناء
للفاعل وكتب بالتشديد وقتل الباء، وليبتلي الله وليمتحن ما في صدوركم من الاخلاص ويمحص ما في قلوبهم من وساوس الشيطان فعل
ذلك او فعل ذلك لمصالح جمة وللابتلاء والتمحيص فان قلت كيف مواقع الجمل التي بعد قوله وطائفة قلت وطائفة مبتدأ وقد اهمتهم صفة
لطائفة ويظنون صفة اخرى او حال بمعنى قد اهمتهم انفسهم ظانين او استئناف على وجه البيان للجملة قبلها ويقولون بدل من يظنون فان قلت
كيف صح ان يقع ما هو مسالة عن الامر بدلا من الاخبار بالظن قلت كانت مسالتهم صادرة عن الظن فلذلك جاز ابداله منه ويخفون حال من
يقولون وقل ان الامر كله لله اعتراض بين الحال وذي الحال ويقولون بدل من يخفون والاجود ان يكون استئنافا، استزلهم طلب منهم الزلل ودعاهم اليه
ببعض ما كسبوا من ذنوبهم ومعناه ان الذين انهزموا يوم احد كان السبب في توليهم انهم كانوا اطاعوا الشيطان فاقترفوا ذنوبا فلذلك منعتهم التاييد
وتقوية القلوب حتى تولوا وقيل الاستزلال توليهم وذلك ان الشيطان دعاهم اليه بذنوب قد تقدمت لهم لان الذنب يجر الى الذنب كما ان الطاعة
تجر الى الطاعة فتكون لطفا فيها وقال الحسن استزلهم بقبول ما زين لهم من الهزيمة وقيل ببعض ما كسبوا هو تركهم المركز الذي امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالثبات فيه فجرهم ذلك الى الهزيمة وقيل ذكرهم تلك الخطايا فكرهوا لقاء الله معها فاخروا الجهاد حتى يصلحوا امرهم ويجاهدوا على حال مرضية فان قلت
لم قيل ببعض ما كسبوا قلت هو كقوله تعالى ويعفو عن كثير **ولقد عفا الله عنهم** لتوبتهم واعتذارهم والله غفور للذنوب حليم لا يعاجل
بالعقوبة، وقالوا لاخوانهم اي لاجل اخوانهم كقوله وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ومعنى الاخوة اتفاق الجنس او النسب اذا ضربوا
في الارض اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها، او كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى كقوله ... عفى الحياض اجون، وقرئ غزى بالتخفيف
على حذف التاء من غزاة فان قلت كيف قيل اذا ضربوا مع قالوا قلت هو على حكاية الحال الماضية كقولك حين يضربون في الارض فان قلت
بم تعلق ليجعل قلت بقالوا اي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم على ان اللام مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا او لا تكونوا بمعنى لا تكونوا مثلهم
في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعله الله حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم فان قلت ما معنى اسناد الفعل الى الله قلت معناه
ان الله عز وجل عند اعتقادهم ذلك المعتقد الفاسد يضع الغم والحسرة في قلوبهم ويضيق صدورهم عقوبة لهم على اعتقاده ما لا يكون عنه الا الغم والحسرة
وضيق الصدر وفعل الله عز وجل كقوله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل
الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم لان مخالفتهم فيما يقولون ويعتقدون ومضادتهم مما يغمهم ويغيظهم، والله يحيي ويميت رد لقولهم اي الامر
بيده قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد كما شاء، وعن خالد بن الوليد انه قال عند موته ما في موضع شبر الا وفيه ضربة او طعنة

وها انا

وها انا اموت كما يموت العير فلا نامت اعين الجبناء، والله بما تعملون بصير فلا تكونوا مثلهم وقرئ بالياء على الذين كفروا، لمغفرة
جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط وكذلك لالى الله تحشرون كذب الكافرين اولا في زعمهم ان من سافر من اخوانهم او غزا لو كان
في المدينة لما مات ونهى المسلمين عن ذلك لانه سبب التقاعد عن الجهاد ثم قال لهم ولئن تم عليكم ما تخافون من الهلاك بالموت او القتل في سبيل الله فان
ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت في سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا، وعن ابن عباس خير من طلاع الارض ذهبة حمراء،
وقرئ بالياء اي يجمعه الكفار، لالى الله تحشرون لالى الرحيم الواسع الرحمة المثيب العظيم الثواب تحشرون، ولوقوع اسم الله هذا الموقع
مع تقديمه وادخال اللام على الحرف المتصل به شان ليس بالخفي وقرئ متم بضم الميم وكسرها من مات يموت ومات يمات، فبما رحمة ما مزيدة للتوكيد
والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله ونحوه فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم ومعنى الرحمة ربطه على جاشه وتوفيقه للرفق والتلطف
بهم حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه وعصوا امره وانهزموا وتركوه، ولو كنت فظا جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا
من حولك لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك احد منهم فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله اتماما للشفقة عليهم وشاورهم في
الامر يعني في امر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحي لتستظهر برايهم ولما فيه من تطييب نفوسهم والرفع من اقدارهم وعن الحسن قد علم الله انه
ما به اليهم حاجة ولكنه اراد ان يستن به من بعده وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما تشاور قوم قط الا هدوا لارشد امرهم وعن ابي هريرة
ما رايت احدا اكثر مشاورة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كان سادات العرب اذا لم يشاوروا في الامر شق عليهم فامر الله رسوله
بمشاورة اصحابه لئلا يثقل عليهم استبداده بالراي دونهم وقرئ وشاورهم في بعض الامر، فاذا عزمت فاذا قطعت الراي على شيء بعد
الشورى فتوكل على الله في امضاء امرك على الارشد الاصلح فان ما هو اصلح لك لا يعلمه الا الله لا انت ولا من تشاور، وقرئ فاذا عزمت
بضم التاء بمعنى فاذا عزمت لك على شيء وارشدتك اليه فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك احدا، ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا احد
يغلبكم وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم وهذا تنبيه على ان الامر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه ونحوه ما يفتح الله
للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له، من بعده من بعد خذلانه او هو من قولك ليس لك من يحسن اليك من بعد فلان تريد اذا جاوزته
وقرئ يخذلكم من اخذله اذا جعله مخذولا وفيه ترغيب في الطاعة وفيما يستحقون به النصر من الله والتاييد وتحذير من
المعصية ومما يستوجبون به العقوبة بالخذلان، وعلى الله وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل والتفويض اليه لعلمهم انه لا ناصر سواه ولان ايمانهم يوجب
ذلك ويقتضيه، يغل غل شيئا من المغنم غلولا واغل اغلالا اذا اخذه في خفية يقال اغل الجازر اذا اخذ من اللحم شيئا مع الجلد والغل
الحقد الكامن في الصدر، ومنه قوله عليه السلام من بعثناه على عمل فغل شيئا جاء يوم القيامة يحمله على عنقه وقوله هدايا الولاة غلول وعنه ليس
على المستعير غير المغل ضمان وعنه لا اغلال ولا اسلال ويقال اغله اذا وجده غالا كقولك ابخلته واجبنته بمعنى ما كان لنبي ان يغل وما صح له
ذلك يعني ان النبوة تنافي الغلول وكذلك من قرا على البناء للمفعول فهو راجع الى معنى الاول لان معناه وما صح له ان يوجد غالا ولا يوجد غالا
الا اذا كان غالا، وفيه وجهان احدهما ان يبرا رسول الله من ذلك وينزه وينبه على عصمته بان النبوة والغلول متنافيان لئلا يظن به ظان شيئا
منه ولا ان يستريب به احد كما روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله اخذها وروي انها نزلت في غنائم
احد حين ترك الرماة المركز وطلبوا الغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم كما لم يقسمها يوم بدر
فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى ياتيكم امري فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال عليه السلام بل ظننتم
انا نغل ولا نقسم لكم والثاني ان يكون مبالغة في النهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما روي انه بعث طلائع فغنمت غنائم فقسمها ولم يقسم للطلائع فنزلت يعني
ما كان لنبي ان يعطي قوما ويمنع اخرين بل عليه ان يقسم بالسوية وسمي حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا وتقبيحا لصورة الامر ولو قرئ ان يغل
من اغل بمعنى غل جاز، **ياتي بما غل يوم القيمة** ياتي بالشيء الذي غله بعينه يحمله كما جاء في الحديث جاء يوم القيمة يحمله على عنقه وروي
الا لا اعرفن احدكم ياتي ببعير له رغاء وببقرة لها خوار وبشاة لها ثغاء فينادي يا محمد يا محمد فاقول لا املك لكم من الله شيئا قد بلغتك
وعن بعض جفاة الاعراب انه سرق نافجة مسك فتليت عليه الاية فقال اذن احملها طيبة الريح خفيفة المحمل، ويجوز ان يراد ياتي بما احتمل
من وباله وتبعته واثمه فان قلت هلا قيل ثم يوفى ما كسب ليتصل به قلت جيء بعام دخل تحته كل كاسب من الغال وغيره فاتصل

به من جهة المعنى وهو البلوغ والتناهي لانه اذا علم الغال ان كل كاسب خير او شر مجزي فموفى جزاءه علم انه غير متخلص من بينهم مع عظم ما اكتسب وهم لا يظلمون اي يعدل بينهم في الجزاء كل جزاؤه على وفق كسبه • هم درجات اي هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات كقوله انصب للمنية تعتريهم رجالي ام هم درج السيول • ومعناه ذوو درجات والمعنى تفاوت منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين او التفاوت من الثواب والعقاب • والله بصير بما يعملون • عالم باعمالهم ودرجاتها فمجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين على من آمن مع رسول الله من قومه وخص المؤمنين منهم لانهم هم المنتفعون بمبعثه • من انفسهم من جنسهم عربيا مثلهم وقيل من ولد اسمعيل كما انهم من ولده فان قلت فما وجه المنة عليهم في ان كان من انفسهم قلت اذا كان منهم كان اللسان واحدا فسهل اخذ ما يجب عليهم اخذه عنه وكانوا واقفين على احواله في الصدق والامانة فكان ذلك اقرب لهم الى تصديقه والوثوق به وفي كونه من انفسهم شرف لهم كقوله وانه لذكر لك ولقومك وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراءة فاطمة رضي الله عنها من انفسهم اي من اشرفهم لان عدنان ذروة ولد اسمعيل ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان وخندف ذروة مضر ومدركة ذروة خندف وقريش ذروة مدركة ومحمد ذروة قريش وفيما خطب به ابو طالب في تزويج خديجة رضي الله عنها وقد حضر معه بنو هاشم ورؤساء مضر الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابرهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما امنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن اخي هذا محمد بن عبد الله من لا يوازن به فتى من قريش الا رجح به وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل • وقرئ لمن من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم وفيه وجهان ان يراد لمن من الله على المؤمنين منه او بعثه اذ بعث فيهم فحذف لقيام الدلالة او يكون اذ في محل الرفع كاذا في قولك اخطب ما يكون الامير اذا كان قائما بمعنى لمن من الله على المؤمنين وقت بعثه يتلو عليهم آياته بعد ما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي ويزكيهم ويطهرهم من دنس القلوب بالكفر ونجاسة سائر الجوارح بملابسة المحرمات وسائر الخبائث وقيل ويأخذ منهم الزكوة • ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة بعد ما كانوا اجهل الناس وابعدهم من دراسة العلوم • وان كانوا من قبل بعثة الرسول لفي ضلال • ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وتقديره وان الشان والحديث كانوا من قبل في ضلال مبين ظاهر لا شبهة فيه • اولما اصابتكم مصيبة يريد ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين منهم • قد اصبتم مثليها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين • ولما نصب بقلتم واصابتكم في محل الجر باضافة لما اليه وتقديره اقلتم حين اصابتكم وانى هذا نصب لانه مقول والهمزة للتقرير والتقريع فان قلت علام عطفت الواو هذه الجملة قلت على ما مضى من قصة احد من قوله ولقد صدقكم الله وعده ويجوز ان تكون معطوفة على محذوف كانه قيل افعلتم كذا وقلتم حينئذ كذا • انى هذا من اين هذا كقوله انى لك هذا لقوله من عند الله وقوله من عند انفسكم • قل هو من عند انفسكم والمعنى انتم السبب فيما اصابكم لاختياركم الخروج من المدينة او لتخليتكم المركز وعن علي رضي الله عنه لاخذكم الفداء من اسارى بدر قبل ان يؤذن لكم • ان الله على كل شيء قدير فهو قادر على النصر وعلى منعه وعلى ان يصيب بكم تارة ويصيب منكم اخرى • وما اصابكم يوم التقى الجمعان • يوم احد يوم التقى جمعكم وجمع المشركين فهو كائن باذن الله اي بتخليته استعار الاذن لتخليته الكفار وانه لم يمنعهم منهم ليبتليهم لان الاذن مخل بين المأذون له ومراده • وليعلم وهو كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون وليظهر ايمان هؤلاء ونفاق هؤلاء • وقيل لهم من جملة الصلة عطف على نافقوا وانما لم يقل وقالوا لان تعالوا قاتلوا جواب لسؤال اقتضاه دعاء المؤمنين لهم الى القتال كانه قيل فماذا قال لهم فقيل قالوا لو نعلم ويجوز ان يقتصر بالصلة على نافقوا ويكون وقيل لهم كلاما مبتدأ • قسم الامر عليهم بين ان يقاتلوا للآخرة او يقاتلوا ان لم يكن بهم غنى الآخرة دفعا عن انفسهم واهليهم واموالهم فابوا القتال وجحدوا القدرة عليه رأسا لنفاقهم وذلك ما روي ان عبد الله بن ابي انخزل مع حلفائه فقيل له تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا العدو بتكثيركم سواد المجاهدين وان لم تقاتلوا لان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه وعن سهل بن سعد الساعدي وقد كف بصره لو امكنني لبعت داري ولحقت بثغر من ثغور المسلمين فكنت بينهم وبين عدوهم قيل وكيف وقد ذهب بصرك قال لقوله او ادفعوا اراد اكثروا سوادهم • ووجه آخر وهو ان يكون معنى قولهم لو نعلم قتالا لو نحسن قتالا لاتبعناكم يعنون ان ما انتم فيه لخطأ رأيكم وزللكم عن الصواب ليس بشيء ولا يقال لمثله قتال انما هو القاء بالانفس الى التهلكة لان رأي عبد الله كان في الاقامة بالمدينة وما كان يستصوب الخروج • هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان • يعني انهم قبل ذلك اليوم كانوا يتظاهرون بالايمان وما ظهرت منهم امارة تؤذن بكفرهم فلما انخزلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليلهم سواد المسلمين بالانخزال تقوية للمشركين • يقولون

بافواههم

بافواههم لا تجاوز ايمانهم افواههم ومخارج الحروف منهم ولا تعي قلوبهم منه شيئا وذكر الافواه مع القلوب تصوير لنفاقهم وان ايمانهم موجود في افواههم معدوم في قلوبهم خلاف صفة المؤمنين في مواطأة قلوبهم لافواههم • والله اعلم بما يكتمون من النفاق وبما يخلو به بعضهم مع بعض من ذم المؤمنين وتجهيلهم وتخطئة رأيهم والشماتة بهم وغير ذلك لانكم تعلمون بعض ذلك علما مجملا بامارات وانا اعلم كله علم احاطة بتفاصيله وكيفياته • الذين قالوا في اعرابه اوجه ان يكون نصبا على الذم او على الرد على الذين نافقوا او رفعا على هم الذين قالوا او على الابدال من واو يكتمون ويجوز ان يكون مجرورا بدلا من الضمير في بافواههم او قلوبهم كقوله • على حالة لو ان في القوم حاتما على جوده لضن بالماء حاتم • لاخوانهم لاجل اخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم احد او اخوانهم في النسب وفي سكنى الدار • وقعدوا اي قالوا وقد قعدوا عن القتال لو اطاعونا اخواننا فيما امرناهم به من القعود ووافقونا فيه لما قتلوا كما لم نقتل • قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين معناه قل ان كنتم صادقين في انكم وجدتم الى دفع القتل سبيلا وهو القعود عن القتال فجدوا الى دفع الموت سبيلا يعني ان ذلك الدفع غير مغن عنكم لانكم ان دفعتم القتل الذي هو احد اسباب الموت لم تقدروا على دفع سائر اسبابه المبثوثة ولا بد لكم من ان يتعلق بكم بعضها وروي انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا فان قلت فقد كانوا صادقين في انهم دفعوا القتل عن انفسهم بالقعود فما معنى قوله ان كنتم صادقين قلت معناه ان النجاة من القتل يجوز ان يكون سببها القعود عن القتال وان يكون غيره لان اسباب النجاة كثيرة وقد يكون قتال الرجل سبب نجاته ولو لم يقاتل لقتل فما يدريكم ان سبب نجاتكم القعود وانكم صادقون في مقالتكم وما انكرتم ان يكون السبب غيره ووجه آخر ان كنتم صادقين في قولكم لو اطاعونا وقعدوا ما قتلوا يعني انهم لو اطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين وقوله فادرءوا عن انفسكم الموت استهزاء بهم اي ان كنتم رجالا دفاعين لاسباب الموت فادرءوا جميع اسبابه حتى لا تموتوا • ولا تحسبن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد وقرئ بالياء ولا يحسبن رسول الله او ولا يحسبن حاسب ويجوز ان يكون الذين قتلوا فاعلا ويكون التقدير ولا يحسبنهم الذين قتلوا امواتا اي ولا يحسبن الذين قتلوا انفسهم امواتا فان قلت كيف جاز حذف المفعول الاول قلت هو في الاصل مبتدأ فحذف كما حذف المبتدأ في قوله احياء والمعنى هم احياء لدلالة الكلام عليهما وقرئ ولا تحسبن بفتح السين وقتلوا بالتشديد بل احياء بالنصب على معنى بل احسبهم احياء عند ربهم مقربون عنده ذوو زلفى كقوله فالذين عند ربك يرزقون مثل ما يرزق سائر الاحياء ياكلون ويشربون وهو تأكيد لكونهم احياء ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق الله • فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو التوفيق في الشهادة وما ساق اليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم من كونهم احياء مقربين معجلا لهم رزق الجنة ونعيمها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر تدور في انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش • ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم اي باخوانهم المجاهدين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم يريد الذين من خلفهم قد بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم وقيل لم يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم • ان لا خوف عليهم بدل من الذين والمعنى ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم يبعثون آمنين يوم القيامة بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقين بعدهم على ازدياد الطاعة والجد في الجهاد والرغبة في نيل منازل الشهداء واصابة فضلهم واحماد لحال من يرى نفسه في خير فيتمنى مثله لاخوانه في الله وبشرى للمؤمنين بالفوز في المآب وكرر يستبشرون ليعلق به ما هو بيان لقوله ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون من ذكر النعمة والفضل وان ذلك اجر لهم على ايمانهم يجب في عدل الله وحكمته ان يحصل لهم ولا يضيع • وقرئ وان الله بالفتح عطفا على النعمة والفضل وبالكسر على الابتداء او على ان الجملة اعتراض وهي قراءة الكسائي وتعضدها قراءة عبد الله والله لا يضيع • الذين استجابوا مبتدأ خبره للذين احسنوا او صفة للمؤمنين او نصب على المدح • روي ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد ان يرهبهم ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج في طلب ابي سفيان وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت • ومن في للذين احسنوا منهم للتبيين مثلها في قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لان الذين استجابوا لله والرسول قد احسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم وعن عروة بن الزبير قالت لي عائشة ان ابواك لمن الذين استجابوا لله والرسول تعني ابا بكر والزبير • الذين قال لهم الناس ان الناس

قد جمعوا لكم روي أن أبا سفيان نادى عند انصرافه من أحد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل إن شئت فقال صلى الله عليه وسلم إن شاء الله فلما كان القابل خرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مر الظهران فألقى الله الرعب في قلبه فبدا له أن يرجع فلقي نعيم بن مسعود الأشجعي وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم إني واعدت محمدا أن نلتقي بموسم بدر وإن هذا عام جدب ولا يصلحنا إلا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي ولكن إن خرج محمد ولم أخرج زاده ذلك جرأة فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندي عشر من الإبل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا بالرأي أتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم أحد إلا شريد أفتريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم فوالله لا يفلت منكم أحد وقيل مر بأبي سفيان ركب من عبد القيس يريدون المدينة للميرة فجعل لهم حمل بعير من زبيب إن ثبطوهم فكره المسلمون الخروج فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لأخرجن ولو لم يخرج معي أحد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل وهي الكلمة التي قالها إبراهيم صلوات الله عليه حين ألقي في النار حتى وافوا بدرا وأقاموا بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها وأصابوا خيرا ثم انصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين ورجع أبو سفيان إلى مكة فسمى أهل مكة جيشه جيش السويق قالوا إنما خرجتم لتشربوا السويق فالناس الأولون المثبطون والآخرون أبو سفيان وأصحابه فإن قلت كيف قيل الناس إن كان نعيم هو المثبط وحده قلت قيل ذلك لأنه من جنس الناس كما يقال فلان يركب الخيل ويلبس البرود وما له إلا فرس واحد وبرد واحد ولأنه حين قال ذلك لم يخل من ناس من أهل المدينة يضامونه ويصلون جناح كلامه ويثبطون مثل تثبيطه فإن قلت إلام يرجع المستكن في فزادهم قلت إلى المقول الذي هو إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم كأنه قيل قالوا لهم هذا الكلام فزادهم إيمانا أو إلى مصدر قالوا كقولك من صدق كان خيرا له أو إلى الناس إذا أريد به نعيم وحده فإن قلت كيف زادهم نعيم أو مقوله إيمانا قلت لما لم يسمعوا قوله وأخلصوا عنده النية والعزم على الجهاد وأظهروا حمية الإسلام كان ذلك أثبت ليقينهم وأقوى لاعتقادهم كما يزداد الإيقان بتناصر الحجج ولأن خروجهم على إثر تثبيطه إلى وجهة العدو طاعة عظيمة والطاعات من جملة الإيمان لأن الإيمان اعتقاد وإقرار وعمل وعن ابن عمر قلنا يا رسول الله إن الإيمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وعن عمر أنه كان يأخذ بيد الرجل فيقول قم بنا نزدد إيمانا وعنه لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان هذه الأمة لرجح به. حسبنا الله محسبنا الله أي كافينا يقال أحسبه الشيء إذا كفاه والدليل على أنه بمعنى المحسب أنك تقول هذا رجل حسبك فتصف به النكرة لأن إضافته لكونه بمعنى اسم الفاعل غير حقيقية. ونعم الوكيل ونعم الموكول إليه هو. فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من الله وهي السلامة وحذر العدو منهم وفضل وهو الربح في التجارة كقوله ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم. لم يمسسهم سوء لم يلقوا ما يسوؤهم من كيد عدو واتبعوا رضوان الله بجرأتهم وخروجهم **والله ذو فضل عظيم** قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا وفي ذلك تحسير لمن تخلف عنهم وإظهار لخطأ رأيه حيث حرموا أنفسهم ما فاز به هؤلاء وروي أنهم قالوا هل يكون هذا غزوا فأعطاهم الله ثواب الغزو ورضي عنهم. الشيطان خبر ذلكم بمعنى إنما ذلكم المثبط هو الشيطان ويخوف أولياءه جملة مستأنفة بيان لشيطنته أو الشيطان صفة لاسم الإشارة ويخوف الخبر والمراد بالشيطان نعيم أو أبو سفيان ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف بمعنى إنما ذلكم قول الشيطان أي قول إبليس لعنه الله يخوف أولياءه يخوفكم أولياءه الذين هم أبو سفيان وأصحابه ويدل عليه قراءة ابن عباس وابن مسعود يخوفكم أولياءه وقوله فلا تخافوهم وقيل يخوف أولياءه القاعدين عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن قلت إلام رجع الضمير في فلا تخافوهم على هذا التفسير قلت إلى الناس في قوله إن الناس قد جمعوا لكم فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال وتجبنوا وخافون فجاهدوا مع رسولي وسارعوا إلى ما يأمركم به إن كنتم مؤمنين يعني أن الإيمان يقتضي أن تؤثروا خوف الله على خوف الناس. ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعا ويرغبون فيه أشد رغبة وهم الذين نافقوا من المتخلفين وقيل هم قوم ارتدوا عن الإسلام فإن قلت فما معنى قوله ولا يحزنك ومن حق الرسول أن يحزن لنفاق من نافق وارتداد من ارتد قلت معناه لا يحزنوك لخوف أن يضروك ويعينوا عليك ألا ترى إلى قوله إنهم لن يضروا الله شيئا يعني أنهم لا يضرون بمسارعتهم في الكفر غير أنفسهم وما وبال ذلك عائدا على غيرهم ثم بين كيف يعود وباله عليهم بقوله يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الآخرة أي نصيبا من الثواب ولهم بدل الثواب عذاب عظيم وذلك أبلغ ما ضر به الإنسان نفسه فإن قلت هلا قيل لا يجعل الله لهم حظا في الآخرة وأي فائدة في ذكر الإرادة قلت فائدته الإشعار بأن الداعي إلى حرمانهم وتعذيبهم قد خلص خلوصا لم يبق معه صارف قط حين سارعوا في الكفر تنبيها على تماديهم في الطغيان وبلوغهم الغاية فيه حتى إن أرحم الراحمين يريد

أن

أن لا يرحمه. **إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان** إما أن يكون تكريرا لذكرهم للتأكيد والتسجيل عليهم بما أضاف إليهم وإما أن يكون عاما للكفار والأول خاصا فيمن نافق من المتخلفين أو ارتد عن الإسلام أو على العكس وشيئا نصب على المصدر لأن المعنى شيئا من الضرر وبعض الضرر. الذين كفروا فيمن قرأ بالتاء نصب وإنما نملي لهم خير لأنفسهم بدل منه أي ولا تحسبن أن ما نملي للكافرين خير لهم وأن مع ما في حيزه ينوب عن المفعولين كقوله أم تحسب أن أكثرهم يسمعون وما مصدرية بمعنى ولا تحسبن أن إملاءنا خير وكان حقها في قياس علم الخط أن تكتب مفصولة ولكنها وقعت في الإمام متصلة فلا يخالف وتتبع سنة الإمام في خط المصاحف فإن قلت كيف صح مجيء البدل ولم يذكر إلا أحد المفعولين ولا يجوز الاقتصار بفعل الحسبان على مفعول واحد قلت صح ذلك من حيث إن التعويل على البدل والمبدل منه في حكم المنحى ألا تراك تقول جعلت متاعك بعضه فوق بعض مع امتناع سكوتك على متاعك ويجوز أن يقدر مضاف محذوف على ولا تحسبن الذين كفروا أصحاب أن الإملاء خير لأنفسهم أو ولا تحسبن حال الذين كفروا أن الإملاء خير لأنفسهم ومن قرأ بالياء رفع والفعل متعلق بأن وما في حيزه والإملاء لهم تخليتهم وشأنهم مستعار من أملى لفرسه إذا أرخى له الطول ليرعى كيف شاء وقيل هو إمهالهم وإطالة عمرهم والمعنى ولا تحسبن أن الإملاء خير لهم من منعهم أو قطع آجالهم إنما نملي لهم ما هي إلا جملة مستأنفة تعليل للجملة قبلها كأنه قيل ما بالهم لا يحسبون الإملاء خيرا لهم فقيل إنما نملي لهم ليزدادوا إثما فإن قلت كيف جاز أن يكون ازدياد الإثم غرضا لله تعالى في إملائه لهم قلت هو علة للإملاء وما كل علة بغرض ألا تراك تقول قعدت عن الغزو للعجز والفاقة وخرجت من البلد لمخافة الشر وليس شيء منها بغرض لك وإنما هي علل وأسباب فكذلك ازدياد الإثم جعل علة للإملاء وسببا فيه فإن قلت كيف يكون ازدياد الإثم علة للإملاء كما كان العجز علة للقعود عن الحرب قلت لما كان في علم الله المحيط بكل شيء أنهم مزدادون إثما فكان الإملاء وقع من أجله وبسببه على طريق المجاز وفي قراءة يحيى بن وثاب بكسر الأولى وفتح الثانية ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا أن إملاءنا لازدياد الإثم كما يفعلون وإنما هو ليتوبوا ويدخلوا في الإيمان وقوله إنما نملي لهم خير لأنفسهم اعتراض بين الفعل ومعموله ومعناه أن إملاءنا خير لأنفسهم إن عملوا فيه وعرفوا إنعام الله عليهم بتفسيح المدة وترك المعاجلة بالعقوبة فإن قلت ما معنى قوله ولهم عذاب مهين على هذه القراءة قلت معناه ولا تحسبوا أن إملاءنا لزيادة الإثم وللتعذيب والواو للحال كأنه قيل ليزدادوا إثما معدا لهم عذاب مهين. اللام لتأكيد النفي على أن الله ما كان ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه من اختلاط المؤمنين الخلص والمنافقين حتى يميز الخبيث من الطيب حتى يعزل المنافق عن المخلص وقرئ يميز من ميز وفي رواية عن ابن كثير يميز من أماز بمعنى ميز فإن قلت لمن الخطاب في أنتم قلت للمصدقين جميعا من أهل الإخلاص والنفاق كأنه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي أنتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض وأنه لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق جميعا حتى يميزهم منكم بالوحي إلي وإخباره بأحوالكم ثم قال وما كان الله ليطلعكم على الغيب أي وما كان الله ليؤتي أحدا منكم علم الغيب فلا تتوهموا عند إخبار الرسول بنفاق الرجل وإخلاص الآخر أنه يطلع على ما في القلوب اطلاع الله فيخبر عن كفرها وإيمانها ولكن الله يرسل الرسول فيوحي إليه ويخبره بأن في الغيب كذا وأن فلانا في قلبه النفاق وفلانا في قلبه الإخلاص فيعلم ذلك من جهة إخبار الله لا من جهة اطلاعه على المغيبات ويجوز أن يراد ولا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب بأن يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر عليها إلا الخلص الذين امتحن الله قلوبهم كبذل الأرواح في الجهاد وإنفاق الأموال في سبيل الله فيجعل ذلك عيارا على عقائدكم وشاهدا بضمائركم حتى يعلم بعضكم ما في قلب بعض من طريق الاستدلال لا من جهة الوقوف على ذات الصدور والاطلاع عليها فإن ذلك مما استأثر الله به وما كان ليطلع أحدا منكم على الغيب ومضمرات القلوب حتى يعرف صحيحها من فاسدها مطلعا عليها ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فيخصه ببعض الغيبيات فآمنوا بالله ورسله بأن تقدروه وتعلموه وحده مطلعا على الغيوب وأن تنزلوهم منازلهم بأن تعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون إلا ما علمهم الله ولا يخبرون إلا بما أخبرهم الله به من الغيوب وليسوا من علم الغيب في شيء وعن السدي قال الكافرون إن كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت. ولا يحسبن من قرأ بالتاء قدر مضافا محذوفا أي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذلك من قرأ بالياء وجعل فاعله ضمير رسول الله أو ضمير أحد ومن جعل فاعله الذين يبخلون كان المفعول الأول عنده محذوفا تقديره ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم هو خيرا لهم والذي سوغ حذفه دلالة يبخلون عليه وهو فصل وقرأ الأعمش بغير هو. سيطوقون تفسير لقوله هو شر لهم أي سيلزمون وبال ما بخلوا به إلزام الطوق وفي أمثالهم تقلدها طوق الحمامة إذا جاء بهنة يسب بها ويذم وقيل يجعل ما بخل به من الزكاة حية يطوقها في عنقه يوم القيامة تنهشه من قرنه إلى قدمه وتنقر رأسه وتقول أنا مالك وعن النبي صلى الله عليه وسلم في مانع الزكاة يطوق بشجاع أقرع وروي بشجاع أسود وعن النخعي سيطوقون بطوق من نار

ولله ميراث السموات والارض اى وله ما فيهما مما يتوارثه اهلهما من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله ونحوه قوله وانفقوا
مما جعلكم مستخلفين فيه وقرئ بما يعملون بالتاء والياء فالتاء على طريقة الالتفات وهي ابلغ في الوعيد والياء على الظاهر قال ذلك اليهود حين سمعوا
قول الله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فلا يخلو اما ان يقولوه عن اعتقاد لذلك او عن استهزاء بالقرآن وايهما كان فالكلمة عظيمة لا تصدر
الا عن متمردين في كفرهم ومعنى سماع الله له انه لم يخف عليه وانه اعد له كفاءه من العقاب سنكتب ما قالوا في صحائف الحفظة او سنحفظه
ونثبته في علمنا لا ننساه كما يثبت المكتوب فان قلت كيف قال لقد سمع الله ثم قال سنكتب وهلا قيل ولقد كتبنا قلت
ذكر وجود السماع اولا مؤكدا بالقسم ثم قال سنكتب على جهة الوعيد بمعنى لن يفوتنا ابدا اثباته وتدوينه كما لن يفوتنا قتلهم الانبياء وجعل قتلهم
الانبياء قرينة له ايذانا بانهما في العظم اخوان وبان هذا ليس باول ما ركبوه من العظائم وانهم اصلاء في الكفر ولهم فيه سوابق وان من قتل
الانبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب مع ابي بكر رضي الله عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم
الى الاسلام والى اقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص اليهودي ان الله فقير حين سألنا القرض فلطمه ابو بكر في وجهه
وقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله فنزلت ونحوه قولهم يد الله مغلولة ونقول لهم ذوقوا
وننتقم منهم بان نقول لهم يوم القيامة ذوقوا عذاب الحريق كما اذقتم المسلمين الغصص يقال للمنتقم منه احسن ذق وقال ابو سفيان لحمزة رضي الله عنه ذق عقق
وقرئ سيكتب بالياء وعلى البناء للمفعول ويقول بالياء وقرأ الحسن والاعرج سيكتب بالياء وتسمية الفاعل وقرأ ابن مسعود ويقال ذوقوا ذلك
اشارة الى ما تقدم من عقابهم وذكر الايدي لان اكثر الاعمال يزاول بهن فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل التغليب فان قلت فلم عطف قوله
وان الله ليس بظلام للعبيد على ما قدمت ايديكم وكيف جعل كونه غير ظلام للعبيد شريكا لاجتراحهم السيئات في استحقاق العذاب قلت معنى
كونه غير ظلام للعبيد انه عادل عليهم ومن العدل ان يعاقب المسيء منهم ويثيب المحسن عهد الينا امرنا في التوراة واوصانا بان لا نؤمن لرسول
حتى ياتينا بهذه الآية الخاصة وهو ان يرينا قربانا تنزل نار من السماء فتاكله كما كان انبياء بني اسرائيل تلك آيتهم كان يقرب بالقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار
من السماء فتاكله وهذه دعوى باطلة وافتراء على الله لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه آية ومعجزة فهو اذن وسائر الآيات سواء فلا
يجوز ان يعينه الله تعالى من بين الآيات وقد الزمهم ان انبياءهم جاؤوهم بالبينات الكثيرة التي اوجبت عليهم التصديق وجاؤوهم ايضا بهذه الآية التي اقترحوها فلم قتلوهم الآيات م
ان كانوا صادقين في ان الايمان يلزمهم باتيانها وقرئ بقربان بضمتين ونظيره السلطان فان قلت ما معنى قوله وبالذي قلتم قلت معناه وبمعنى الذي
قلتموه من قولكم قربان تاكله النار ومؤداه كقوله ثم يعودون لما قالوا في بعض اهل التأويل والزبر جمع زبور وهي الصحف والكتاب المنير التوراة والانجيل
والزبور وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه وتكذيب اليهود وقرأ اليزيدي ذائقة الموت على الاصل وقرأ الاعمش ذائقة الموت بطرح التنوين مع النصب
كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا فان قلت كيف اتصل به قوله وانما توفون اجوركم قلت اتصاله به على ان كلكم تموتون ولا بد لكم من
الموت ولا توفون اجوركم على طاعاتكم ومعاصيكم عقيب موتكم وانما توفونها يوم قيامكم من القبور فان قلت فهذا يوهم نفي ما يروى ان القبر روضة
من رياض الجنة او حفرة من حفر النار قلت كلمة التوفية تزيل هذا الوهم لان المعنى ان توفية الاجور وتكميلها يكون ذلك اليوم وما يكون قبل ذلك فبعض
الاجور الزحزحة التنحية والابعاد تكرير الزح وهو الجذب بعجلة فقد فاز فقد حصل له الفوز المطلق المتناول لكل ما يفاز به ولا غاية للفوز
وراء النجاة من سخط الله والعذاب الشديد ونيل رضوان الله والنعيم المخلد اللهم وفقنا لما ندرك به عندك الفوز في المآب وعن النبي صلى الله عليه وسلم من
احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وياتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وهذا شامل للمحافظة
على حقوق الله وحقوق العباد شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته والشيطان هو
المدلس الغرور وعن سعيد بن جبير انما هذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب الآخرة بها فانها متاع بلاغ خوطب المؤمنون ليوطنوا انفسهم
على احتمال ما سيلقون من الاذى والشدائد والصبر عليها حتى اذا لقوها لقوها وهم مستعدون لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه الشدة بغتة فينكرها وتشمئز
منها نفسه والبلاء في الانفس القتل والاسر والجراح وما يرد عليها من انواع المخاوف والمصائب وفي الاموال الانفاق في سبل الخير وما يقع فيها من
الآفات وما يسمعون من اهل الكتاب المطاعن في الدين الحنيف وصد من اراد الايمان وتخطئة من آمن وما كان من كعب بن الاشرف من هجائه لرسول الله وتحريض
المشركين ومن فضائح وشيء من نظمه والنثر فان ذلك اشارة الى الصبر والتقوى من عزم الامور اي من معزومات الامور اي مما يجب العزم عليه من الامور او

او مما عزم الله ان يكون يعني ان ذلك عزيمة من عزمات الله لا بد لكم ان تصبروا وتتقوا واذ اخذ الله واذكر وقت اخذ الله ميثاق اهل الكتاب
لتبيننه الضمير للكتاب اكد عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل اذا عزم عليه وقيل له آلله لتفعلن
فنبذوه وراء ظهورهم فنبذوا الميثاق وتأكيده عليهم يعني لم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في الطرح وترك الاعتداد
ونقيضه جعله نصب عينيه والقاؤه بين عينيه وكفى به دليلا على انه مأخوذ على العلماء ان يبينوا الحق للناس وما علموه وان لا يكتموا
منه شيئا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمبارهم او لجر منفعة وحطام دنيا او لتقية مما لا دليل عليه ولا
امارة او لبخل بالعلم وغيرة ان ينسب اليه غيرهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن طاووس انه قال
لوهب اني ارى الله سوف يعذبك بهذه الكتب وقال والله لو كنت نبيا فكتمت العلم كما تكتمه لرأيت ان الله سيعذبك وعن محمد بن كعب
لا يحل لاحد من العلماء ان يسكت على علمه ولا يحل لجاهل ان يسكت على جهله حتى يسأل وعن علي رضي الله عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا
حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا وقرئ ليبيننه ولا يكتمونه بالياء لانهم غيب وبالتاء على حكاية مخاطبتهم كقوله وقضينا الى
بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن لا تحسبن خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمفعول الاول الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تاكيد
تقديره لا تحسبنهم فلا تحسبنهم فائزين وقرئ لا يحسبن فلا يحسبنهم بضم الباء على خطاب المؤمنين ولا تحسبن فلا تحسبنهم بالياء وفتح
الباء فيهما على ان الفعل للرسول وقرأ ابو عمرو بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الفعل للذين يفرحون والمفعول الاول محذوف على
لا يحسبنهم الذين يفرحون بمفازة بمعنى لا يحسبن انفسهم الذين يفرحون فائزين وفلا يحسبنهم تاكيد ومعنى بما اتوا بما فعلوا واتى وجاء يستعملان
بمعنى فعل قال الله تعالى انه كان وعده مأتيا لقد جئت شيئا فريا ويدل عليه قراءة ابي يفرحون بما فعلوا وقرئ آتوا بمعنى اعطوا وعن علي رضي الله
عنه بما اوتوا بمفازة من العذاب بمنجاة منه روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن شيء مما في التوراة فكتموا الحق واخبروه بخلافه
واروه انهم قد صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا فاطلع الله رسوله على ذلك وسلاه بما انزل من وعيدهم اي لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا
من تدليسهم عليك ويحبون ان تحمدهم بما لم يفعلوا من اخبارك بالصدق عما سألتهم عنه ناجين من العذاب ومعنى يفرحون بما اتوا بما اوتوه من علم التوراة
وقيل يفرحون بما فعلوا من كتمان نعت رسول الله ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من اتباع دين ابراهيم حيث ادعوا ان ابراهيم كان على اليهودية وانهم على دينه
وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو مع رسول الله فلما قفل اعتذروا اليه بانهم رأوا المصلحة في التخلف واستحمدوا اليه بترك الخروج وقيل هم المنافقون
يفرحون بما اتوا من اظهار الايمان للمسلمين ونفاقهم وتوصلهم بذلك الى اغراضهم ويستحمدون اليهم بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة لابطانهم الكفر
ويجوز ان يكون شاملا لكل من ياتي بحسنة فيفرح بها فرح اعجاب ويحب ان يحمده الناس ويثنوا عليه بالديانة والزهد بما ليس فيه ولله
ملك السموات والارض فهو يملك امرهم وهو على كل شيء قدير فهو يقدر على عقابهم لآيات لادلة واضحة على الصانع وعظم قدرته وباهر حكمته لاولي
الالباب للذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار ولا ينظرون اليها نظر البهائم غافلين عما فيها من عجائب الفطر وفي النصائح الصغار املأ
عينيك من زينة هذه الكواكب واجلهما في جملة هذه العجائب متفكرا في قدرة مقدرها متدبرا حكمة مدبرها قبل ان يسافر بك القدر ويحال
بينك وبين النظر وعن ابن عمر رضي الله عنه قلت لعائشة رضي الله عنها اخبريني باعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت ثم قالت كان كل امره عجبا اتاني
في ليلتي فدخل في لحافي حتى الصق جلده بجلدي ثم قال يا عائشة هل لك ان تأذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني لاحب قربك واحب
هواك فاذنت له فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرأ من القرآن فجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد
الله واثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رأيت دموعه قد بلت الارض فاتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرآه يبكي فقال له يا رسول الله ابكي وقد غفر
الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال ما لي لا ابكي وقد انزل الله علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض
ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وروي ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأملها وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل
يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات والارض وحكي ان الرجل من بني اسرائيل كان اذا عبد الله ثلاثين سنة اظلته سحابة فعبدها فتى من فتيانهم
فلم تظله فقالت له امه لعل فرطة فرطت منك في مدتك قال ما اذكر قالت لعلك نظرت مرة الى السماء ولم تعتبر قال لعل قالت فما اتيت الا من
ذاك يذكرون الله ذكرا دائبا على اي حال كانوا من قيام وقعود واضطجاع لا يخلون بالذكر في اغلب احوالهم وعن ابن عمر وعروة بن الزبير وجماعة

انهم خرجوا يوم العيد الى المصلى فجعلوا يذكرون الله فقال بعضهم اما قال الله تعالى يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا يذكرون الله على اقدامهم وعن النبي صلى الله
عليه وسلم من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون في هذه الاحوال على حسب استطاعتهم قال رسول الله لعمران بن الحصين
صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومي ايماء وهذه حجة للشافعي رحمه الله في اضطجاع المريض على جنبه كما في اللحد وعند
ابي حنيفة انه يستلقي حتى اذا وجد خفة قعد وعلى جنوبهم نصب على الحال عطفا على ما قبله كانه قيل قياما وقعودا ومضطجعين ويتفكرون في
خلق السموات والارض وما يدل عليه اختراع هذه الاجرام العظام وابداع صنعتها وما دبر فيها مما تكل الافهام عن ادراك بعض عجائبه على عظم شان الصانع
وكبرياء سلطانه وعن سفيان الثوري انه صلى خلف المقام ركعتين ثم رفع راسه الى السماء فلما راى الكواكب غشي عليه وكان يبول الدم من طول حزنه وفكرته
وعن النبي صلى الله عليه وسلم بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى النجوم والى السماء فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه
فغفر له وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا عبادة كالتفكر وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النبات
وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له في كل يوم مثل
عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله الذي هو عمل القلب لان احدا لا يقدر ان يعمل بجوارحه في اليوم مثل عمل اهل الارض ما خلقت
هذا باطلا على ارادة القول اي يقولون ذلك وهو في محل الحال بمعنى يتفكرون قائلين والمعنى ما خلقته خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته لداعي حكمة
عظيمة وهو ان تجعلها مساكن للمكلفين وادلة لهم على معرفتك ووجوب طاعتك واجتناب معصيتك ولذلك وصل به قوله فقنا عذاب النار لانه جزاء من عصى
ولم يطع فان قلت هذا اشارة الى ماذا قلت الى الخلق على ان المراد به المخلوق كانه قيل ويتفكرون في مخلوق السموات والارض اي فيما خلق منهما
ويجوز ان يكون اشارة الى السموات والارض لانها في معنى المخلوق كانه قيل ما خلقت هذا المخلوق العجيب باطلا وفي هذا ضرب من التعظيم كقوله ان هذا القرآن
يهدي للتي هي اقوم ويجوز ان يكون باطلا حالا من هذا سبحانك اعتراض للتنزيه من العبث وان يخلق شيئا بغير حكمة فقد اخزيته فقد ابلغت في اخزائه وهو
نظير قوله فقد فاز ونحوه في كلامهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك ومن سبق فلانا فقد سبق وما للظالمين اللام اشارة الى من يدخل النار واعلام بان
من يدخل النار فلا ناصر له بشفاعة ولا غيرها تقول سمعت رجلا يقول وسمعت زيدا يتكلم فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع لانك وصفته
بما يسمع او جعلته حالا عنه فاغناك عن ذكره ولولا الوصف والحال لم يكن منه بد وان يقال سمعت كلام فلان او قوله فان قلت فاي فائدة في الجمع
بين المنادي وينادي قلت ذكر النداء مطلقا ثم مقيدا بالايمان تفخيما لشان المنادي وانه لا منادي اعظم من مناد ينادي للايمان ونحوه قولك مررت
بهاد يهدي للاسلام وذلك ان المنادي اذا اطلق ذهب الوهم الى مناد للحرب او لاطفاء النائرة او لاغاثة المكروب او الكفاية لبعض النوازل او لبعض
المنافع وكذلك الهادي يطلق على من يهدي الطريق ويهدي لسداد الراي وغير ذلك فاذا قلت ينادي للايمان ويهدي للاسلام فقد رفعت من شان المنادي
والهادي وفخمته ويقال دعاه لكذا والى كذا وندبه له واليه وناداه له واليه وهداه للطريق واليه وذلك ان معنى انتهاء الغاية ومعنى الاختصاص
واقعان جميعا والمنادي هو الرسول ادعو الى سبيل ربك وعن محمد بن كعب القرآن ان آمنوا اي آمنوا او بان آمنوا ذنوبنا كبائرنا
سيئاتنا صغائرنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين في جملتهم والابرار جمع بر او بار كرب وارباب وصاحب واصحاب على رسلك
على هذه صلة للوعد في قولك وعد الله الجنة على الطاعة والمعنى ما وعدتنا على تصديق رسلك الا تراه كيف اتبع ذكر المنادي للايمان وهو الرسول
وقوله آمنا وهو التصديق ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف اي ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا على رسلك لان الرسل محملون ذلك فانما عليه ما حمل
وقيل على السنة رسلك والموعود هو الثواب وقيل النصرة على الاعداء فان قلت كيف دعوا الله بانجاز ما وعد والله لا يخلف الميعاد قلت
معناه طلب التوفيق فيما يحفظ عليهم اسباب انجاز الميعاد او هو باب من اللجاء الى الله والخضوع له كما كان الانبياء عليهم السلام يستغفرون مع علمهم
انهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل لربهم والتضرع اليه واللجاء الذي هو سيما العبودية يقال استجاب له واستجابه فاستجاب [illegible]
اني لا اضيع قرئ بالفتح على حذف الباء وبالكسر على ارادة القول وقرئ لا اضيع بالتشديد من ذكر او انثى بيان لعامل بعضكم من بعض اي
يجمع ذكوركم واناثكم اصل واحد فكل واحد منكم من الآخر اي من اصله او كانه منه لفرط اتصالكم واتحادكم وقيل المراد وصلة الاسلام
وهذه جملة معترضة بينت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله عباده العاملين وروي ان ام سلمة قالت يا رسول الله اني اسمع الله يذكر الرجال
في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له والتفخيم كانه قال فالذين عملوا هذه الاعمال
السنية

السنية الفائقة وهي المهاجرة عن اوطانهم فارين الى الله بدينهم من دار الفتنة واضطرارهم الى الخروج من ديارهم التي ولدوا فيها ونشأوا
بما سامهم المشركون من الخسف واوذوا في سبيلي من اجله وبسببه يريد سبيل الدين وقاتلوا وقتلوا وغزوا المشركين واستشهدوا وقرئ
وقتلوا بالتشديد وقتلوا وقاتلوا على التقديم بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقتلوا على بناء الاول للفاعل والثاني للمفعول وقتلوا وقاتلوا
على بنائهما للفاعل ثوابا في موضع المصدر المؤكد بمعنى اثابة او تثويبا من عند الله لان قوله لاكفرن عنهم ولادخلنهم في معنى لاثيبنهم
وعنده مثل اي يختص به وبقدرته وفضله لا يثيبه غيره ولا يقدر عليه كما يقول الرجل عندي ما تريد يريد اختصاصه به وتملكه وان لم يكن
بحضرته وهذا تعليم من الله كيف يدعى وكيف يبتهل اليه ويتضرع وتكرير ربنا من باب الابتهال واعلام بما يوجب حسن الاجابة وحسن الاثابة
من احتمال المشاق في دين الله والصبر على صعوبة تكاليفه وقطع لاطماع الكسالى المتمنين عليه وتسجيل على من لا يرى الثواب موصولا اليه
بالعمل بالجهل والغباوة وروي عن جعفر الصادق رضي الله عنه من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرأ
هذه الآية وعن الحسن حكى الله عنهم انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم اخبر انه استجاب لهم الا انه اتبع ذلك رافع الدعاء وما استجاب به فلا بد
من تقديمه بين يدي الدعاء لا يغرنك الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد اي لا تنظر الى ما هم عليه من سعة الرزق والمضطرب ودرك
العاجل واصابة حظوظ الدنيا ولا تغترر بظاهر ما ترى من تبسطهم في الارض وتصرفهم في البلاد يتكسبون ويتجرون ويتدهقنون عن ابن عباس
هم اهل مكة وقيل هم اليهود وروي ان ناسا من المؤمنين كانوا يرون ما كانوا فيه من الخصب والرخاء ولين العيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير
وقد هلكنا من الجوع والجهد فان قلت كيف جاز ان يغتر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك حتى ينهى عن الاغترار به قلت فيه وجهان احدهما ان
مدرة القوم ومتقدمهم يخاطب بشيء فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعا فكانه قيل لا يغرنكم والثاني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غير مغرور
بحالهم فاكد عليه ما كان عليه وثبت على التزامه كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تطع المكذبين وهذا في النهي نظير قوله
في الامر اهدنا الصراط المستقيم يا ايها الذين آمنوا آمنوا وقد جعل النهي في الظاهر للتقلب وهو في المعنى للمخاطب وهذا من تنزيل السبب منزلة المسبب
لان التقلب لو غره لاغتر به فمنع السبب ليمتنع المسبب وقرئ لا يغرنك بالنون الخفيفة متاع قليل خبر مبتدا محذوف اي ذلك متاع قليل
وهو التقلب في البلاد اراد قلته في جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة او في جنب ما اعد الله للمؤمنين من الثواب او اراد انه قليل في نفسه لانقضائه وكل
زائل قليل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع وبئس المهاد وساء ما مهدوا لانفسهم
النزل والنزل ما يقام للنازل قال ابو الشعر الضبي وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا
وانتصابه اما على الحال من جنات لتخصصها بالوصف والعامل اللام ويجوز ان يكون بمعنى مصدر مؤكد كانه قيل رزقا او عطاء من عند الله وما عند
الله من الكثير الدائم خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل وقرأ مسلمة بن محارب والاعمش نزلا بالسكون وقرأ يزيد بن القعقاع
لكن الذين اتقوا بالتشديد وان من اهل الكتاب عن مجاهد نزلت في عبد الله بن سلام وغيره من مسلمة اهل الكتاب وقيل في اربعين من اهل نجران
واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فاسلموا وقيل في اصحمة النجاشي ملك الحبشة ومعنى اصحمة عطية بالعربية
وذلك انه لما مات نعاه جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم فخرج الى البقيع ونظر الى ارض الحبشة
فابصر سرير النجاشي وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وليس على دينه فنزلت ودخلت لام
الابتداء على الاسم لفصل الظرف بينهما كقوله وان منكم لمن ليبطئن وما انزل اليكم من القرآن وما انزل اليهم من الكتابين خاشعين حال من فاعل
يؤمن لان من يؤمن في معنى الجمع لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعل من لم يسلم من احبارهم وكبارهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم اي
المختص بهم من الاجر وهو ما وعده في قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين يؤتكم كفلين من رحمته ان الله سريع الحساب لنفوذ علمه في كل شيء
وعلمه بما يستوجبه كل عامل من الاجر ويجوز ان يريد انما توعدون لآت قريب بعد ذكر الموعد اصبروا على الدين وتكاليفه وصابروا
اعداء الله في الجهاد اي غالبوهم في الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا اقل صبرا منهم وثباتا والمصابرة باب من الصبر ذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر
عليه تخصيصا لشدته وصعوبته ورابطوا واقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو قال الله تعالى ومن رباط الخيل
ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته الا لحاجة

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة آل عمران أعطي بكل آية منها أمانا على جسر جهنم وعنه عليه السلام من قرأ
السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس

سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس يا بني آدم خلقكم من نفس واحدة فرعكم من أصل واحد وهو نفس آدم أبيكم فإن قلت علام عطف قوله وخلق منها زوجها
قلت فيه وجهان أحدهما أن يعطف على محذوف كأنه قيل من نفس واحدة أنشأها أو ابتدأها وخلق منها زوجها وإنما حذف لدلالة المعنى عليه والمعنى
شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها وهي أنه أنشأها من تراب وخلق زوجها حواء من ضلع من أضلاعها وبث منهما نوعي جنس الإنس وهم الذكور والإناث
ووصفها بصفة هي بيان وتفصيل لكيفية خلقهم منها والثاني أن يعطف على خلقكم ويكون الخطاب في يا أيها الناس للذين بعث إليهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم والمعنى خلقكم من نفس آدم لأنهم من جملة الجنس المفرع منه وخلق منها أمكم حواء وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الأمم الفائتة للحصر
فإن قلت الذي يقتضيه سداد نظم الكلام وجزالته أن يجاء عقيب الأمر بالتقوى بما يدعو إليها ويبعث عليها فكيف كان خلقه إياهم
من نفس واحدة على التفصيل الذي ذكره موجبا للتقوى وداعيا إليها قلت لأن ذلك مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على نحوه كان قادرا على
كل شيء ومن المقدورات عقاب العصاة فالنظر فيه يؤدي إلى أن يتقي القادر عليه ويخشى عقابه ولأنه يدل على النعمة السابغة عليهم فحقهم أن يتقوه
في كفرانها والتفريط فيما يلزمهم من القيام بشكرها أو أراد بالتقوى تقوى خاصة وهي أن يتقوه فيما يتصل بحفظ الحقوق بينهم فلا يقطعوا ما يجب
عليهم وصله فقيل اتقوا ربكم الذي وصل بينكم حيث جعلكم صنوانا مفرعة من أرومة واحدة فيما يجب على بعضكم لبعض فحافظوا عليه ولا تغفلوا عنه وهذا
المعنى مطابق لمعاني السورة وقرئ وخالق منها زوجها وباث منهما بلفظ اسم الفاعل وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره وهو خالق تساءلون به تتساءلون
فأدغمت التاء في السين وقرئ تسألون بطرح التاء الثانية أي يسأل بعضكم بعضا بالله وبالرحم فيقول بالله وبالرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف
وأنشدك الله والرحم أو تسألون غيركم بالله والرحم فقيل تفاعلون موضع تفعلون للجمع كقولك رأيت الهلال وتراءيناه وتنصره قراءة من قرأ تسألون به مهموزا تسألون موضع
وغير مهموز وقرئ والأرحام بالحركات الثلاث فالنصب على وجهين إما على واتقوا الله واتقوا الأرحام أو أن يعطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت
بزيد وعمرا وينصره قراءة ابن مسعود تسألون به وبالأرحام والجر على عطف الظاهر على المضمر وليس بسديد لأن الضمير المتصل متصل
كاسمه والجار والمجرور كشيء واحد فكانا في قولك مررت به وزيد وهذا غلامه وزيد شديدي الاتصال فلما اشتد الاتصال لتكرره أشبه العطف على بعض الكلمة فلم يجز
ووجب تكرير العامل كقولك مررت به وبزيد وهذا غلامه وغلام زيد ألا ترى إلى صحة قولك رأيتك وزيدا ومررت بزيد وعمرو لما لم يقو الاتصال
لأنه لم يتكرر وقد تمحل لصحة هذه القراءة بأنها على تقدير تكرير الجار ونظيرها قول الشاعر فاذهب فما بك والأيام من عجب والرفع على أنه مبتدأ
خبره محذوف كأنه قيل والأرحام كذلك على معنى والأرحام مما يتقى أو والأرحام مما يتساءل به والمعنى أنهم كانوا يقرون بأن لهم خالقا وكانوا يتساءلون
بذكر الله والرحم فقيل لهم اتقوا الذي خلقكم واتقوا الذي تتناشدون به واتقوا الأرحام فلا تقطعوها أو واتقوا الله الذي تتعاطفون بإذكاره وبإذكار
الرحم وقد آذن عز وجل إذ قرن الأرحام باسمه أن صلتها منه بمكان كما قال ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا وعن الحسن إذا سألك بالله فأعطه
وإذا سألك بالرحم فأعطه وللرحم حجنة عند العرش ومعناه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما الرحم معلقة بالعرش فإذا أتاها الواصل بشت
به وكلمته وإذا أتاها القاطع احتجبت منه وسئل ابن عيينة عن قوله عليه السلام تخيروا لنطفكم فقال يقول لأولادكم وذلك أن يضع ولده في
الحلال ألم تسمع قوله تعالى تساءلون به والأرحام وأول لطفه أن يختار له الموضع الحلال فلا يقطع رحمه ولا نسبه فإنما للعاهر الحجر ثم يختار
الصحة ويجتنب الدعوة ولا يضعه موضع سوء يتبع شهوته وهواه بغير هدى من الله اليتامى الذين مات آباؤهم فانفردوا عنهم واليتم الانفراد
ومنه الرملة اليتيمة والدرة اليتيمة وقيل اليتم في الأناسي من قبل الآباء وفي البهائم من قبل الأمهات فإن قلت كيف جمع اليتيم وهو
فعيل كمريض على يتامى قلت فيه وجهان أن يجمع على يتمى كأسرى لأن اليتم من وادي الآفات والأوجاع ثم يجمع فعلى على فعالى كأسارى ويجوز
أن يجمع على فعائل لجري اليتيم مجرى الأسماء نحو صاحب وفارس فقيل يتائم ثم يتامى على القلب وحق هذا الاسم أن يقع على الصغار والكبار
لبقاء معنى الانفراد عن الآباء إلا أنه قد غلب أن يسموا به قبل أن يبلغوا مبلغ الرجال فإذا استغنوا بأنفسهم عن كافل وقائم عليهم وانتصبوا كفاة

يكفلون

كافلين غيرهم ويقومون عليهم زال عنهم هذا الاسم وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم يتيم أبي طالب إما على القياس وإما حكاية للحال
التي كان عليها صغيرا ناشئا في حجر عمه توضيعا له وأما قوله عليه السلام لا يتم بعد الحلم فما هو إلا تعليم شريعة لا لغة يعني أنه إذا احتلم لم تجر عليه أحكام
الصغار فإن قلت فما معنى قوله وآتوا اليتامى أموالهم قلت أما أن يراد باليتامى الصغار وبإيتائهم الأموال أن لا يطمع فيها الأولياء والأوصياء
وولاة السوء وقضاته ويكفوا عنها أيديهم الخاطفة حتى تأتي اليتامى إذا بلغوا سالمة غير محذوفة وإما أن يراد الكبار تسمية لهم يتامى على القياس
أو لقرب عهدهم إذا بلغوا بالصغر كما تسمى الناقة عشراء بعد وضعها على أن فيه إشارة إلى أن لا يؤخر دفع أموالهم إليهم عن حد البلوغ ولا يمطلوا إن أونس
منهم الرشد وأن يؤتوها قبل أن يزول عنهم اسم اليتامى والصغار وقيل هي في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ طلب المال فمنعه
عمه فترافعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت فلما سمعها العم قال أطعنا الله وأطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع ماله فقال عليه السلام ومن
يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فإنه يحل داره يعني جنته فلما قبض الفتى ماله أنفقه في سبيل الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ثبت الأجر
وبقي الوزر فقالوا يا رسول الله قد عرفنا أنه ثبت الأجر فكيف بقي الوزر وهو ينفق في سبيل الله فقال ثبت الأجر للغلام وبقي الوزر على والده ولا تتبدلوا
الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما أبيح لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث في الأرض فتأكلوه مكانه
أو ولا تستبدلوا الأمر الخبيث وهو اختزال أموال اليتامى بالأمر الطيب وهو حفظها والتورع منها والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز منه التعجل
بمعنى الاستعجال والتأخر بمعنى الاستئخار [illegible] فيا كرم السكن الذين تحملوا عن الدار والمستخلف المتبدل
أراد ويا لؤم ما استخلفته الدار واستبدلته وقيل هو أن يعطي رديا ويأخذ جيدا وعن السدي أن يجعل شاة مهزولة مكان سمينة
وهذا ليس بتبدل إنما هو تبديل إلا أن يكارم صديقا له فيأخذ منه عجفاء مكان سمينة من مال الصبي ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ولا تنفقوها معها
ولا تضموها إليها في الإنفاق حتى لا تفرقوا بين أموالكم وأموالهم قلة مبالاة بما لا يحل لكم وتسوية بينه وبين الحلال فإن قلت قد حرم عليهم أكل مال اليتامى
وحده ومع أموالهم فلم ورد النهي عن أكله معها قلت لأنهم إذا كانوا مستغنين عن أموال اليتامى بما رزقهم الله من مال حلال وهم على ذلك يطمعون
فيها كان القبح أبلغ والذم أحق ولأنهم كانوا يفعلون كذلك فنعى عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون أزجر حوبا ذنبا عظيما ومنه قوله عليه السلام
إن طلاق أم أيوب لحوب فكأنه قيل إنه كان ذنبا عظيما كبيرا وقرأ الحسن حوبا بفتح الحاء وهو مصدر حاب حوبا وقرئ حابا ونظير الحوب والحاب
القول والقال والطرد والطرد ولما نزلت الآية في اليتامى وما في أكل أموالهم من الحوب الكبير خاف الأولياء أن يلحقهم الحوب بترك
الإقساط في حقوق اليتامى وأخذوا يتحرجون من ولايتهم وكان الرجل منهم ربما كان تحته العشر من الأزواج والثمان والست فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل
بينهن فقيل لهم إن خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا أيضا ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات لأن من تحرج من ذنب
أو تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرج ولا تائب لأنه إنما وجب أن يتحرج من الذنب ويتاب عنه لقبحه والقبح قائم في كل ذنب وقيل كانوا لا
يتحرجون من الزنا وهم يتحرجون من ولاية اليتامى فقيل إن خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول
المحرمات وقيل كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال أو يكون وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف لضعفهن وفقد
من يغضب لهن أن يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن فقيل لهم إن خفتم أن لا تقسطوا في يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم ويقال للإناث
اليتامى كما يقال للذكور وهو جمع يتيمة على القلب كما قيل أيامى والأصل أيايم ويتايم وقرأ النخعي تقسطوا بفتح التاء على أن لا مزيدة مثلها في لئلا
يعلم يريد وإن خفتم أن تجوروا ما طاب لكم ما حل لكم من النساء لأن منهن ما حرم الله كاللاتي في آية التحريم وقيل ما ذهابا إلى الصفة ولأن الإناث من
العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء ومنه قوله تعالى أو ما ملكت أيمانكم مثنى وثلاث ورباع معدولة عن أعداد مكررة وإنما منعت الصرف لما فيها
من العدلين عدلها عن صيغها وعدلها عن تكررها وهن نكرات يعرفن بلام التعريف تقول فلان ينكح المثنى والثلاث والرباع ومحلهن النصب على
الحال مما طاب تقديره فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا فإن قلت الذي أطلق للناكح في
الجمع أن يجمع بين ثنتين أو ثلاث أو أربع فما معنى التكرير في مثنى وثلاث ورباع قلت الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما أراد
من العدد الذي أطلق له كما تقول للجماعة اقتسموا هذا المال وهو ألف درهم درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة ولو أفردت لم يكن له معنى
فإن قلت فلم جاء العطف بالواو دون أو قلت كما جاء بالواو في المثال الذي حذوته لك ولو ذهبت تقول اقتسموا هذا المال درهمين درهمين

او ربعاً ربعاً أعلمت أنه لا يسوغ لهم أن يقتسموه إلا على أحد أنواع هذه القسمة وليس لهم أن يجمعوا بينها فيجعلوا بعض القسم على تثنية وبعضه على تثليث وبعضه على تربيع وذهب معنى تجويز الجمع بين أنواع القسمة الذي دلت عليه الواو وتحريره أن الواو دلت على إطلاق أن يأخذ الناكحون من أرادوا نكاحها من النساء على طريق الجمع إن شاؤوا مختلفين في تلك الأعداد وإن شاؤوا متفقين فيها محظوراً عليهم ما وراء ذلك وقرأ إبراهيم وثلث وربع على القصر من ثلاث ورباع **فإن خفتم ألا تعدلوا** بين هذه الأعداد كما خفتم ترك العدل فيما فوقها فواحدة فالزموا أو فاختاروا واحدة وذروا الجمع رأساً فإن الأمر كله يدور مع العدل فأينما وجدتم العدل فعليكم به وقرئ فواحدة بالرفع على فالمقنع واحدة أو فكفت واحدة أو فحسبكم واحدة أو ما ملكت أيمانكم سوى في السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين الإماء من غير حصر ولعمري إنهن أقل تبعة وأقصر شغباً وأخف مؤنة من المهائر لا عليك أكثرت منهن أو أقللت عدلت بينهن في القسم أم لم تعدل عزلت عنهن أم لم تعزل وقرأ ابن أبي عبلة من ملكت ذلك إشارة إلى اختيار الواحدة والتسري أدنى ألا تعولوا أقرب من أن لا تميلوا من قولهم عال الميزان عولاً إذا مال الميزان وعال الحاكم في حكمه إذا جار [illegible] وقد روت عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تعولوا ألا تجوروا والذي يحكى عن الشافعي [illegible] ألا تكثر عيالكم فوجهه أن يجعل من قولك عال الرجل عياله يعولهم كقولهم مانهم يمونهم إذا أنفق عليهم لأن من كثر عياله لزمه أن يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال والرزق الطيب وكلام مثله من أعلام العلم وأئمة الشرع ورؤوس المجتهدين حقيق بالحمل على الصحة والسداد [illegible] فقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تظنن بكلمة خرجت من في أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً وكفى بكتابنا المترجم بكتاب شافي العي من كلام الشافعي شاهداً بأنه كان أعلى كعباً وأطول باعاً في علم كلام العرب من أن يخفى عليه مثل هذا ولكن للعلماء طرقاً وأساليب فسلك في تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات فإن قلت كيف يقل عيال من تسرى وفي السراري نحو ما في المهائر قلت ليس كذلك لأن الغرض بالتزوج التوالد والتناسل بخلاف التسري ولذلك جاز العزل عن السراري بغير إذنهن فكان التسري مظنة لقلة الولد بالإضافة إلى التزوج كتزوج الواحدة بالإضافة إلى تزوج الأربع وقرأ طاوس أن لا تعيلوا من أعال الرجل إذا كثر عياله وهذه القراءة تعضد تفسير الشافعي رحمه الله من حيث المعنى الذي قصده صدقاتهن مهورهن وفي حديث شريح قضى ابن عباس لها بالصدقة وقرئ صدقاتهن بفتح الصاد وسكون الدال على تخفيف صدقاتهن وصدقاتهن بضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة بوزن غرفة وقرئ صدقتهن بضم الصاد والدال على التوحيد وهو تثقيل صدقة كقولك في ظلمة ظلمة نحلة من نحله كذا إذا أعطاه إياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلاً ومنه حديث أبي بكر رضي الله عنه إني كنت نحلتك جداد عشرين وسقاً بالعالية وانتصابها على المصدر لأن النحلة والإيتاء بمعنى الإعطاء فكأنه قيل وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة أي أعطوهن مهورهن عن طيبة أنفسكم أو على الحال من المخاطبين أي آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالإعطاء أو من الصدقات أي منحولة معطاة عن طيبة الأنفس وقيل نحلة من الله عطية من عنده وتفضلاً منه عليهن وقيل النحلة الملة ونحلة الإسلام خير النحل وفلان ينتحل كذا أي يدين به والمعنى آتوهن مهورهن ديانة على أنها مفروضة عليكم ويجوز أن يكون حالاً من الصدقات أي ديناً من الله شرعه وفرضه والخطاب للأزواج وقيل للأولياء لأنهم كانوا يأخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئاً لك النافجة لمن تولد له بنت يعنون تأخذ مهرها فتنفج به مالك أي تعظمه الضمير في منه جار مجرى الإشارة كأنه قيل عن شيء من ذلك كما قال الله تعالى قل أؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات ومن الحجج المسموعة من أفواه العرب ما روي عن رؤبة أنه قيل له في قوله كأنه في الجلد توليع البهق فقال أردت كأن ذاك أو يرجع إلى ما هو في معنى الصدقات وهو الصداق لأنك لو قلت وآتوا النساء صداقهن لم تخل بالمعنى فهو نحو قوله فأصدق وأكن من الصالحين كأنه قيل أصدق ونفساً تمييز وتوحيدها لأن الغرض بيان الجنس والواحد يدل عليه والمعنى فإن وهبن لكم شيئاً من الصداق وتجافت عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن إلى الهبة من شكاسة أخلاقكم وسوء معاشرتكم فكلوه فأنفقوه قالوا فإن وهبت له ثم طلبت منه بعد الهبة علم أنها لم تطب عنه نفساً وعن الشعبي أن رجلاً أتى مع امرأته شريحاً في عطية أعطتها إياه وهي تطلب أن ترجع فقال شريح رد عليها فقال الرجل أليس قد قال الله تعالى فإن طبن لكم قال لو طابت نفسها عنه لما رجعت فيه وعنه أقيلها فيما وهبت ولا أقيله لأنهن يخدعن وحكي أن رجلاً من آل أبي معيط أعطته امرأته ألف دينار صداقاً كان لها عليه فلبث شهراً ثم طلقها فخاصمته إلى عبد الملك بن مروان فقال الرجل أعطتني طيبة بها نفسها فقال عبد الملك فأين الآية التي بعدها فلا تأخذوا منه شيئاً اردد عليها وعن عمر رضي الله عنه أنه كتب إلى قضاته إن النساء يعطين رغبة ورهبة فأيما امرأة أعطت

ثم

ثم أرادت أن ترجع فذلك لها وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فقال إذا جادت لزوجها بالعطية طائعة غير مكرهة لا يقضي به عليكم سلطان ولا يؤاخذكم الله به في الآخرة وروي أن ناساً كانوا يتأثمون أن يقبل أحدهم من زوجته شيئاً مما ساق إليها فقال الله تعالى إن طابت نفس واحدة من غير إكراه ولا خديعة فكلوه سائغاً هنيئاً وفي الآية دليل على ضيق المسلك في ذلك ووجوب الاحتياط حيث بني الشرط على طيب النفس فقيل فإن طبن ولم يقل فإن وهبن أو سمحن إعلاماً بأن المراعى هو تجافي نفسها عن الموهوب طيبة وقيل فإن طبن لكم عن شيء منه ولم يقل فإن طبن لكم عنه بعثاً لهن على تقليل الموهوب وعن الليث بن سعد لا يجوز تبرعها إلا باليسير وعن الأوزاعي لا يجوز تبرعها ما لم تلد أو تقم في بيت زوجها سنة ويجوز أن يكون تذكير الضمير لينصرف إلى الصداق الواحد فيكون متناولاً بعضه ولو أنث لتناول ظاهره هبة الصداق كله لأن بعض الصدقات واحدة منها فصاعداً الهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ إذا كان سائغاً لا تنغيص فيه وقيل الهنيء ما يلذه الآكل والمريء ما يحمد عاقبته وقيل هو ما ينساغ في مجراه وقيل لمدخل الطعام من الحلقوم إلى فم المعدة المريء لمروء الطعام فيه وهو انسياغه وهما وصف للمصدر [illegible] وقد يوقف على فكلوه ويبتدأ هنيئاً مريئاً على الدعاء وعلى أنهما صفتان أقيمتا مقام المصدرين [illegible] عبارة عن التحليل والمبالغة في الإباحة وإزالة التبعة السفهاء المبذرون أموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغي ولا يدي لهم بإصلاحها وتثميرها والتصرف فيها والخطاب للأولياء وأضاف الأموال إليهم لأنها من جنس ما يقيم به الناس معايشهم [illegible] من فتياتكم المؤمنات والدليل على أنه خطاب للأولياء في أموال اليتامى قوله وارزقوهم فيها واكسوهم التي جعل الله لكم قياماً أي تقومون بها وتنتعشون ولو ضيعتموها لضعتم فكأنها في أنفسها قيامكم وانتعاشكم وروي قيماً بمعنى قياماً كما جاء عوذاً بمعنى عياذاً وقرأ عبد الله بن عمر قواماً بالواو وقوام الشيء ما يقام به كقولك هو ملاك الأمر لما يملك به وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن ولأن أترك ما يحاسبني الله عليه خير من أن أحتاج إلى الناس وعن سفيان وكانت له بضاعة يقلبها لولاها لتمندل بي بنو العباس وعن غيره وقيل له إنها تدنيك من الدنيا لئن أدنتني من الدنيا لقد صانتني عنها وكانوا يقولون اتجروا واكتسبوا فإنكم في زمان إذا احتاج أحدكم كان أول ما يأكل دينه وربما رأوا رجلاً في جنازة فقالوا له اذهب إلى دكانك وارزقوهم فيها واكسوهم واجعلوها مكاناً لرزقهم بأن تتجروا فيها وتتربحوا حتى تكون نفقتهم من الأرباح لا من صلب المال فلا يأكلها الإنفاق وقيل هو أمر لكل أحد أن لا يخرج ماله إلى أحد من السفهاء قريب أو أجنبي رجل أو امرأة يعلم أنه يضعه فيما لا ينبغي ويفسده قولاً معروفاً قال ابن جريج عدة جميلة إن صلحتم ورشدتم سلمنا إليكم أموالكم وعن عطاء إذا ربحت أعطيتك وإن غنمت في غزاتي جعلت لك حظاً وقيل إن لم يكن ممن وجبت عليك نفقته فقل عافانا الله وإياك بارك الله فيك وكل ما سكنت إليه النفس وأحبته لحسنه عقلاً أو شرعاً من قول أو عمل فهو معروف وما أنكرته ونفرت منه لقبحه فهو منكر **وابتلوا اليتامى** واختبروا عقولهم وذوقوا أحوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ حتى إذا تبينتم منهم رشداً أي هداية دفعتم إليهم أموالهم من غير تأخير عن حد البلوغ وبلوغ النكاح أن يحتلم لأنه يصلح للنكاح عنده ولطلب ما هو مقصود به وهو التوالد والإيناس الاستيضاح فاستعير للتبين واختلف في الابتلاء والرشد فالابتلاء عند أبي حنيفة وأصحابه أن يدفع إليه ما يتصرف فيه حتى يستبين حاله فيما يجيء منه والرشد التهدي إلى وجوه التصرف وعن ابن عباس الصلاح في العقل والحفظ للمال وعند مالك والشافعي الابتلاء أن يتتبع أحواله وتصرفه في الأخذ والإعطاء ويتبصر مخايله وميله إلى الدين والرشد الصلاح في الدين لأن الفسق مفسدة للمال فإن قلت فإن لم يؤنس منه رشد إلى حد البلوغ قلت عند أبي حنيفة رحمه الله ينتظر إلى خمس وعشرين سنة لأن مدة بلوغ الذكر عنده بالسن ثماني عشرة سنة فإذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير أحوال الإنسان لقوله عليه السلام مروهم بالصلاة لسبع دفع إليه ماله أونس منه رشد أو لم يؤنس وعند أصحابه لا يدفع إليه أبداً إلا بإيناس الرشد فإن قلت ما معنى تنكير الرشد قلت معناه نوعاً من الرشد وهو الرشد في التصرف والتجارة أو طرفاً من الرشد ومخيلة من مخايله حتى لا ينتظر به تمام الرشد فإن قلت كيف نظم هذا الكلام قلت ما بعد حتى إلى فادفعوا إليهم أموالهم جعل غاية للابتلاء وهي حتى التي تقع بعدها الجمل كالتي في قوله

فما زالت القتلى تمج دماءها ... بدجلة حتى ماء دجلة أشكل

والجملة الواقعة بعدها جملة شرطية لأن إذا متضمنة معنى الشرط وفعل الشرط بلغوا النكاح **وقوله** فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم جملة من شرط وجزاء واقعة جواباً للشرط الأول الذي

هو ان يبلغوا النكاح وكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم فاستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وقرأ ابن مسعود فان
احستم بمعنى احسستم قال احسن به فهن اليه شوس وقرئ رشدا بفتحتين ورشدا بضمتين اسرافا وبدارا ان يكبروا مسرفين ومبادرين
كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون في انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها من ايدينا ثم قسم الامر
بين ان يكون الوصي غنيا وبين ان يكون فقيرا فالغني يستعفف من اكلها ولا يطمع ويقتنع بما رزقه الله من الغنى اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله والفقير
ياكل قوتا مقدرا محتاطا في تقديره على وجه الاجرة او استقراضا على ما في ذلك من الاختلاف ولفظ الاكل بالمعروف والاستعفاف مما يدل على ان
للوصي حقا لقيامه عليها وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له ان في حجري يتيما افآكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله قال
افاضربه قال مما كنت ضاربا منه ولدك وعن ابن عباس ان ولي يتيم قال له افاشرب من لبن ابله قال ان كنت تبغي ضالتها وتلوط حوضها وتهنأ جرباها
وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب وعنه يضرب بيده مع ايديهم فليأكل بالمعروف ولا يلبس عمامة فما فوقها وعن ابراهيم
لا يلبس الكتان والحلل ولكن ما سد الجوعة ووارى العورة وعن محمد بن كعب يتقرم تقرم البهيمة وينزل نفسه منزلة الاجير فيما لا بد منه وعن الشعبي
ياكل من ماله بقدر ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضي وعن مجاهد يستسلف فاذا ايسر ادى وعن سعيد بن جبير ان شاء
شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس ما يستره من الثياب واخذ القوت ولا يجاوزه فان ايسر قضاه وان اعسر فهو في حل وعن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه اني انزلت نفسي من مال الله منزلة والي اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف واذا ايسرت قضيت واستعفف
ابلغ من عف كانه طالب زيادة العفة فاشهدوا عليهم بانهم تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم وذلك ابعد من التخاصم والتجاحد وادخل في
الامانة وبراءة الساحة الا ترى انه اذا لم يشهد فادعى عليه صدق مع اليمين عند ابي حنيفة واصحابه وعند مالك والشافعي لا يصدق الا بالبينة فكان في
الاشهاد الاستحراز من توجه الحلف المفضي الى التهمة او من وجوب الضمان اذا لم يقم البينة وكفى بالله حسيبا اي كافيا في الشهادة عليكم
بالدفع والقبض او محاسبا فعليكم بالتصادق واياكم والتكاذب الاقربون هم المتوارثون من ذوي القرابات دون غيرهم مما قل منه او كثر
بدل من ما ترك بتكرير العامل ونصيبا مفروضا نصب على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا لا بد لهم من ان يحوزوه ولا يستأثر به
ويجوز ان ينتصب انتصاب المصدر المؤكد كقوله فريضة من الله كانه قيل قسمة مفروضة وروي ان اوس بن صامت الانصاري ترك امراته
ام كجة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفجة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن وكان اهل الجاهلية لا يورثون النساء والاطفال
ويقولون لا يرث الا من طاعن بالرماح وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة فجاءت ام كجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفضيخ فشكت اليه
فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم
الله فاعطى ام كجة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم واذا حضر القسمة يعني قسمة التركة اولوا القربى ممن لا يرث فارزقوهم منه
الضمير لما ترك الوالدان والاقربون وهو امر على الندب قال الحسن كان المؤمنون يفعلون ذلك اذا اجتمعت الورثة حضرهم هؤلاء فرضخوا لهم
بالشيء من رثة المتاع فحضهم الله تعالى على ذلك تاديبا من غير ان يكون فريضة قالوا ولو كان فريضة لضرب له حد ومقدار كما لغيره من الحقوق
وروي ان عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنه قسم ميراث ابيه وعائشة رضي الله عنها حية فلم يدع في الدار احدا الا اعطاه وتلا هذه
الاية وقيل هو على الوجوب وقيل هو منسوخ باية المواريث كالوصية وعن سعيد بن جبير ان ناسا يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنها مما تهاون به
الناس والقول المعروف ان يلطفوا لهم القول ويقولوا خذوا بارك الله عليكم ويعتذروا اليهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يستكثروه ولا
يمنوا عليهم وعن الحسن والنخعي ادركنا الناس وهم يقسمون على القرابات والمساكين واليتامى من العين يعنيان الورق والذهب فاذا قسم الورق
وصارت القسمة الى الارضين والرقيق وما اشبه ذلك قالوا لهم قولا معروفا كانوا يقولون لهم بورك فيكم وليخش المراد بهم الاوصياء
امروا بان يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى فيشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وشفقتهم عليهم وان يقدروا ذلك
في انفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة ويجوز ان يكون المعنى وليخشوا على اليتامى من الضياع وقيل هم الذين يجلسون
الى المريض فيقولون ان ذريتك لا يغنون عنك من الله شيئا فقدم مالك فيستغرقه بالوصايا فامروا بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا
عليهم شفقتهم على اولاد انفسهم لو كانوا ويجوز ان يتصل بما قبله وان يكون امرا للورثة بالشفقة على الذين يحضرون القسمة من ضعفاء اقاربهم

واليتامى

واليتامى والمساكين وان يتصوروا انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضائعين محتاجين هل كانوا يخافون عليهم الحرمان والخيبة فان قلت
ما معنى وقوع لو تركوا وجوابه صلة للذين قلت معناه وليخش الذين صفتهم وحالهم انهم لو شارفوا ان يتركوا خلفهم ذرية ضعافا وذلك عند
احتضارهم خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب كافلهم وكاسبهم كما قال القائل

لقد زاد الحياة الي حبا ... بناتي انهن من الضعاف
احاذر ان يرين البؤس بعدي ... وان يشربن رنقا بعد صافي

وقرئ ضعفاء وضعافى وضعافى نحو سكارى وسكارى والقول السديد من الاوصياء ان لا يؤذوا اليتامى ويكلموهم كما يكلمون اولادهم بالادب الحسن
والترحيب ويدعوهم بيا بني ويا ولدي ومن الجالسين الى المريض ان يقولوا له اذا اراد الوصية لا تسرف في وصيتك فتجحف باولادك مثل
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد انك ان تترك ولدك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس وكان الصحابة رضي الله عنهم يستحبون ان لا تبلغ
الوصية الثلث وان الخمس افضل من الربع والربع من الثلث ومن المتقاسمين ميراثهم ان يلطفوا القول ويجملوا الوعد للحاضرين ظلما ظالمين او على وجه
الظلم من اولياء السوء وقضاته في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل فلان في بطنه وفي بعض بطنه قال كلوا في بعض بطنكم تعفوا
ومعنى يأكلون نارا ما يجر الى النار فكانه نار في الحقيقة وروي انه يبعث اكل مال اليتيم يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه
وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان ياكل مال اليتيم في الدنيا وقرئ وسيصلون بضم الياء وتخفيف اللام وتشديدها وسعيرا نارا
من النيران مبهمة الوصف يوصيكم الله يعهد اليكم ويامركم في اولادكم في شان ميراثهم وهذا اجمال تفصيله
للذكر مثل حظ الانثيين فان قلت هلا قيل للانثيين مثل حظ الذكر او للانثى نصف حظ الذكر قلت ليبدأ ببيان حظ
الذكر لفضله كما ضوعف حظه لذلك ولان قوله للذكر مثل حظ الانثيين قصد الى بيان فضل الذكر وقولك للانثيين مثل حظ الذكر
قصد الى بيان نقص الانثى وما كان قصدا الى بيان فضله كان ادل على فضله من القصد الى بيان نقص غيره ولانهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث
وهو السبب لورود الاية فقيل كفى الذكور ان ضوعف لهم نصيب الاناث فلا يتمادى في حظهن حتى يحرمن مع ادلائهن من القرابة بمثل ما
يدلون به فان قلت فان حظ الانثيين الثلثان فكانه قيل للذكر الثلثان قلت اريد حال الاجتماع لا الانفراد اي اذا اجتمع
الذكر والانثيان كان له سهمان كما ان لهما سهمين واما في حال الانفراد فالابن يأخذ المال كله والبنتان يأخذان الثلثين والدليل على ان الغرض حكم
الاجتماع انه اتبعه حكم الانفراد وهو قوله فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك والمعنى للذكر منهم اي من اولادكم فحذف الراجع اليه لانه مفهوم
كقولهم السمن منوان بدرهم فان كن نساء فان كانت البنات او المولودات نساء خلصا ليس معهن رجل يعني بنات ليس معهن ابن فوق اثنتين يجوز
ان يكون خبرا ثانيا لكان وان يكون صفة لنساء اي نساء زائدات على اثنتين وان كانت واحدة وان كانت البنت او المولودة منفردة فذة ليس
معها اخرى فلها النصف وقرئ واحدة بالرفع على كان التامة والقراءة بالنصب اوفق لقوله فان كن نساء وقرأ زيد بن ثابت النصف بالضم
والضمير في ترك للميت لان الاية لما كانت في الميراث علم ان التارك هو الميت فان قلت قوله للذكر مثل حظ الانثيين كلام مسوق
لبيان حظ الذكر من الاولاد لا لبيان حظ الانثيين فكيف صح ان يردف قوله فان كن نساء وهو لبيان حظ الاناث قلت وان كان مسوقا لبيان
حظ الذكر الا انه لما فقه منه وتبين حظ الانثيين مع اخيهما كان كانه مسوق للامرين جميعا فلذلك صح ان يقال فان كن نساء فان قلت
هل يصح ان يكون الضميران في كن وكانت مبهمين ويكون نساء وواحدة تفسيرا لهما على ان كان تامة قلت لا ابعد ذلك فان قلت لم قيل فان
كن نساء ولم يقل وان كانت امراة قلت لان الغرض ثمة خلوصهن اناثا لا ذكر فيهن ليميز بين ما ذكر من اجتماعهن مع الذكور في
قوله للذكر مثل حظ الانثيين وبين انفرادهن واريد ههنا ان يميز بين كون البنت مع غيرها وبين كونها وحدها لا قرينة لها فان قلت
قد ذكر حكم البنتين في حال الانفراد فما حكمهما وما باله لم يذكر قلت اما حكمهما فمختلف فيه فابن عباس ابى تنزيلهما منزلة
الجماعة لقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين فاعطاهما حكم الواحدة وهو ظاهر مكشوف واما سائر الصحابة فاعطوهما حكم الجماعة والذي
يعلل به قولهم ان قوله للذكر مثل حظ الانثيين قد دل على ان حكم الانثيين حكم الذكر وذلك ان الذكر كما يحوز الثلثين مع الواحدة فالانثيان كذلك
يحوزان الثلثين فلما ذكر ما دل على حكم الانثيين قيل فان كن نساء فوق اثنتين على معنى فان كن جماعة بالغات ما بلغن من العدد
فلهن ما للاثنتين وهو الثلثان لا يتجاوزنه لكثرتهن ليعلم ان حكم الجماعة حكم الاثنتين بغير تفاوت وقيل ان البنتين امس رحما بالميت من الاختين
فاوجبوا لهما ما اوجب الله للاختين ولم يروا ان يقصروا بهما عن حظ من هو ابعد رحما منهما وقيل ان البنت لما وجب لها مع اخيها الثلث كان احرى

يجب لها الثلث اذا كان مع ابوين [illegible] وجب لها الثلثان والابوين [illegible]

[illegible] السدس لكان ظاهرا [illegible]

السدس لابويه [illegible] فلا ماولكل واحد من ابويه السدس [illegible] الابوين

[illegible] لان في الابدال والتفصيل بعد الاجمال [illegible] والسدس مبتدا

[illegible] السدس [illegible] والولد يقع على الذكر

[illegible] فان قلت [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] السيئات [illegible] التوبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته وغفر
بمعنى ان القبول والغفران واجب على الله تعالى [illegible] بجهالة في موضع الحال اي يعملون السوء جاهلين سفهاء لان ارتكاب القبيح مما يدعو اليه السفه
والشهوة لا مما تدعو اليه الحكمة والعقل وعن مجاهد من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته من قريب من زمان قريب والزمان القريب ما قبل حضرة الموت
الا ترى الى قوله حتى اذا حضر احدهم الموت فبين ان وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراء ذلك في حكم القريب وعن ابن عباس قبل ان
ينزل به سلطان الموت وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن النخعي ما لم يؤخذ بكظمه وروى ابو ايوب عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل توبة
العبد ما لم يغرغر وعن عطاء ولو قبل موته بفواق ناقة وعن الحسن ان ابليس قال حين اهبط الى الارض وعزتك لا افارق ابن آدم ما دام روحه في
جسده فقال وعزتي لا اغلق عليه باب التوبة ما لم يغرغر فان قلت ما معنى من في قوله من قريب قلت معناه التبعيض اي يتوبون بعض زمان قريب
كأنه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت زمانا قريبا ففي اي جزء تاب من اجزاء هذا الزمان فهو تائب من قريب والا فهو تائب من بعيد فان قلت
ما فائدة قوله فاولئك يتوب الله عليهم بعد قوله انما التوبة على الله قلت قوله انما التوبة على الله اعلام بانه يجب عليه كما يجب على العبد بعض الطاعات
وقوله فاولئك يتوب الله عليهم عدة بانه يفي بما وجب عليه واعلام بان الغفران كائن لا محالة كما يعد العبد الوفاء بالواجب ولا الذين يموتون عطف
على الذين يعملون السيئات سوى بين الذين سوفوا توبتهم الى حضرة الموت وبين الذين ماتوا على الكفر في انه لا توبة لهم لان حضرة الموت اول احوال الآخرة
فكما ان المائت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوف الى حضرة الموت لمجاوزة كل واحد منهما اوان التكليف والاختيار اولئك اعتدنا
لهم في الوعيد نظير قوله فاولئك يتوب الله عليهم في الوعد [illegible] قلت من المراد بالذين يعملون السيئات اهم
الفساق من اهل القبلة ام الكفار قلت فيه وجهان ان يراد الكفار [illegible] وان يراد الفساق لان الكلام
انما وقع في الزانيين والاعراض عنهما ان تابا واصلحا ويكون قوله وهم كفار واردا على سبيل التغليظ كقوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين وقوله
فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر لان من كان مصدقا ومات وهو لم يحدث نفسه بالتوبة حاله قريبة من حال
الكافر لانه لا يجترئ على ذلك الا قلب مصمت كانوا يبلون النساء بضروب من البلايا ويظلمونهن بانواع من الظلم فزجروا عن ذلك كان الرجل اذا مات
له قريب من اب او اخ او حميم عن امرأة القى ثوبه عليها وقال انا احق بها من كل احد فقيل لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها اي ان تأخذوهن على سبيل
الارث كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك او مكرهات وقيل كان يمسكها حتى تموت فقيل لا يحل لكم ان تمسكوهن حتى ترثوا منهن وهن غير
راضيات بامساككم وكان الرجل اذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر لتفتدي منه بمالها وتختلع فقيل ولا تعضلوهن لتذهبوا
ببعض ما آتيتموهن والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت المرأة بولدها اذا اختنقت رحمها به فخرج بعضه وبقي بعضه الا ان يأتين بفاحشة
مبينة وهي النشوز وشكاسة الخلق وايذاء الزوج واهله بالبذاء والسلاطة اي الا ان يكون سوء العشرة من جهتهن فقد عذرتم في طلب الخلع
ويدل عليه قراءة ابي الا ان يفحشن عليكم وعن الحسن الفاحشة الزنى فان فعلت حل لزوجها ان يسألها الخلع وقيل كانوا اذا اصابت امرأة
فاحشة اخذوا منها ما ساق اليها واخرجوها وعن ابي قلابة ومحمد بن سيرين لا يحل الخلع حتى يوجد رجل على بطنها وعن قتادة لا يحل له ان يحبسها ضرارا
حتى تفتدي منه وان زنت وقيل نسخ ذلك بالحدود وكانوا يسيئون معاشرة النساء فقيل لهم وعاشروهن بالمعروف وهو النصفة في المبيت والنفقة
والاجمال في القول فان كرهتموهن فلا تفارقوهن لكراهة الانفس وحدها فربما كرهت النفس ما هو اصلح في الدين واحمد وادنى الى الخير واحبت ما هو
بضد ذلك ولكن للنظر في اسباب الصلاح وكان الرجل اذا طمحت عينه الى استطراف امرأة بهت التي تحته ورماها بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه
بما اعطاها ليصرفه الى تزوج غيرها فقيل وان اردتم استبدال زوج الآية والقنطار المال العظيم من قنطرت الشيء اذا رفعته ومنه القنطرة لانها بناء مشيد
قال كقنطرة الرومي اقسم ربها لتكتنفن حتى تشاد بقرمد وعن عمر رضي الله عنه انه قام خطيبا فقال ايها الناس لا تغالوا بصدق
النساء فلو كانت مكرمة في الدنيا او تقوى عند الله لكان اولاكم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصدق امرأة من نسائه اكثر من اثنتي عشرة اوقية فقامت اليه
امرأة فقالت له يا امير المؤمنين لم تمنعنا حقا جعله الله لنا والله يقول وآتيتم احداهن قنطارا فقال عمر كل احد اعلم من عمر ثم قال لاصحابه
تسمعونني اقول مثل هذا ولا تنكرونه علي حتى ترد علي امرأة ليست من اعلم النساء والبهتان ان تستقبل الرجل بامر قبيح تقذفه به وهو بريء
منه لانه يبهت عند ذلك اي يتحير وانتصب بهتانا على الحال اي باهتين وآثمين او على انه مفعول له وان لم يكن غرضا كقولك قعد عن القتال جبنا

وكيف

والميثاق الغليظ حق الصحبة والمضاجعة وكانه قيل واخذن به منكم ميثاقا غليظا اي افضى بعضكم الى بعض ووصفه بالغلظ لقوته وعظمه
فقد قالوا صحبة عشرين يوما قرابة فكيف بما يجري بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج وقيل هو قول الولي عند العقد انكحتك على ما في كتاب الله من
امساك بمعروف او تسريح باحسان وعن النبي صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان في ايديكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة
الله وكانوا ينكحون روابهم وناس منهم يمقتونه من ذوي مروءاتهم ويسمونه نكاح المقت وكان المولود عليه يقال له المقتي ومن ثم قيل ومقتا
كانه قيل هو فاحشة في دين الله بالغة في القبح قبيح ممقوت في المروءة ولا مزيد على ما يجمع القبحين وقرئ لا تحل لكم بالتاء على ان لا ترثوا بمعنى
الوراثة كرها بالفتح والضم من الكراهة والاكراه وقرئ بفاحشة مبينة من بانت بمعنى تبينت وقرئ مبينة بكسر الياء وفتحها
ويجعل الله بالرفع على انه في موضع الحال وآتيتم احداهن بوصل همزة احداهن كما قرئ فلا اثم عليه فان قلت تعضلوهن ما وجه اعرابه
قلت النصب عطفا على ان ترثوا ولا لتأكيد النفي اي لا يحل لكم ان ترثوا النساء ولا ان تعضلوهن فان قلت اي فرق بين
تعديه ذهب بالباء وبينها بالهمزة قلت اذا عدي بالباء فمعناه الاخذ والاستصحاب كقوله تعالى فلما ذهبوا به واما الاذهاب فكالازالة
الا ان يأتين ما هذا الاستثناء قلت هو استثناء من اعم عام الظرف او المفعول له كانه قيل ولا تعضلوهن في جميع الاوقات الا وقت ان يأتين بفاحشة او ولا
تعضلوهن لعلة من العلل الا ان يأتين بفاحشة فان قلت من اي وجه صح قوله فعسى ان تكرهوا شيئا جزاء للشرط قلت من حيث ان المعنى فان كرهتموهن
فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه فان قلت كيف استثنى ما قد سلف مما نكح اباؤكم قلت
كما استثنى غير ان سيوفهم من قوله ولا عيب فيهم يعني ان امكنكم ان تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فلا يحل لكم غيره وذلك غير ممكن والغرض المبالغة في تحريمه
وسد الطريق الى اباحته كما تعلق بالمحال في التأبيد نحو قولهم حتى يبيض القار [illegible] معنى حرمت عليكم امهاتكم تحريم نكاحهن
لقوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء ولان تحريم نكاحهن هو الذي يفهم من تحريمهن كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها ومن تحريم لحم الخنزير تحريم اكله
وقرئ وبنات الاخت بتخفيف الهمزة ونزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما للرضيع والمراضعة اختا وكذلك زوج المرضعة ابوه
وابواه جداه واخته عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته واخواته لابيه وام المرضعة جدته واختها خالته
وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه وامه ومن ولد لها من غيره فهم اخوته واخواته لامه ومنه قوله عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم
من النسب وقالوا تحريم الرضاع كتحريم النسب الا في مسئلتين احداهما انه لا يجوز للرجل ان يتزوج اخت ابنه من النسب ويجوز ان يتزوج اخت ابنه من
الرضاع لان المعنى في النسب وطؤه امها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع لان الثاني من النسب وطء الاب اياها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع
من نسائكم متعلق بربائبكم ومعناه ان الربيبة من المرأة المدخول بها محرمة على الرجل حلال له اذا لم يدخل بها فان قلت هل يصح ان يتعلق بقوله وامهات
نسائكم قلت لا يخلو اما ان يتعلق بهن وبالربائب فتكون حرمتهن وحرمة الربائب غير مبهمتين جميعا واما ان يتعلق بهن دون الربائب فتكون حرمتهن
غير مبهمة وحرمة الربائب مبهمة فلا يجوز الاول لان معنى من مع احد المتعلقين خلاف معناها مع الآخر الا ترى انك اذا قلت وامهات نسائكم
من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فقد جعلت من لبيان النساء وتمييز المدخول بهن من غير المدخول بهن واذا قلت وربائبكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن
فانك جاعل من لابتداء الغاية كما تقول بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة وليس بصحيح ان يعنى بالكلمة الواحدة في خطاب واحد معنيان مختلفان ولا يجوز
الثاني لان ما يليه هو الذي يستوجب التعلق به ما لم يعترض امر لا يرد الا ان تقول اعلقه بالنساء والربائب واجعل من للاتصال كقوله تعالى
المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض فاني لست منك ولست مني ما انا من دد ولا الدد مني وامهات النساء متصلات بالنساء
لانهن امهاتهن كما ان الربائب متصلات بامهاتهن لانهن بناتهن هذا وقد اتفقوا على ان تحريم امهات النساء مبهم دون تحريم الربائب على ما عليه
ظاهر كلام الله تعالى وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في رجل تزوج امرأة ثم طلقها قبل ان يدخل بها انه قال لا بأس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج
امها وعن عمر وعمران بن الحصين ان الام تحرم بنفس العقد وعن مسروق هي مرسلة فارسلوا ما ارسل الله وعن ابن عباس ابهموا ما ابهم الله الا ما
روي عن علي وابن عباس وزيد وابن عمر وابن الزبير انهم قرأوا وامهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن وكان ابن عباس يقول والله ما نزل الا هكذا
وعن جابر روايتان وعن سعيد بن المسيب عن زيد اذا ماتت عنده فاخذ ميراثها كره ان يخلف على امها واذا طلقها قبل ان يدخل بها فان شاء فعل
اقام الموت مقام الدخول في ذلك كما قام مقامه في باب المهر وسمي ولد المرأة من غير زوجها ربيبا وربيبة لانه يربهما كما يرب ولده في غالب الامر

والثاني انه لا يجوز ان يتزوج ام اخيه من النسب ويجوز في الرضاع

نبع فيه فتنبيا بذلك وان لم يربيهما فان قلت ما فائدة قوله في حجوركم قلت فائدته التعليل للتحريم وانهن لاحتضانكم
لهن او لكونهن بصدد احتضانكم وفي حكم التقلب في حجوركم اذا دخلتم بامهاتهن ... بدخول الحكم الزوج وبنت الخلطة والالفة
وجعل الله بينكم المودة والرحمة وكانت الحال خليقة بان تجروا اولادهن مجرى اولادكم كانكم في العقد على بناتهن عاقدون على بناتكم وعن علي
رضي الله عنه انه شرط ذلك في التحريم وبه اخذ داود فان قلت ما معنى دخلتم بهن قلت هي كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب
عليها الحجاب يعني ادخلتموهن الستر والباء للتعدية واللمس ونحوه يقوم مقام الدخول عند ابي حنيفة وعن عمر رضي الله عنه انه خلا بجارية
فجردها ... له فقال انها لا تحل لك وعن مسروق انه امر ان تباع جارية بعد موته وقال اما اني لم اصب منها الا ما يحرمها على
ولدي من اللمس والنظر وعن الحسن في الرجل يملك الامة فيغمزها لشهوة او يقبلها او يكشفها انها لا تحل لولده بحال وعن عطاء وحماد بن ابي
... الرجل لامرأة فلا تنكح امها ولا ابنتها وعن الاوزاعي اذا دخل بالام فعراها ولمسها بيده واغلق الباب وارخى الستر فلا يحل له نكاح
ابنتها ... الذين من اصلابكم دون من تبنيتم وقد تزوج رسول الله صلى الله
عليه وسلم [illegible]

[illegible]

البيع وبيّنا الايجاب والقبول وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله وعند الشافعي رحمه الله تفرقهما عن مجلس العقد من اصحابه ﴿ولا تقتلوا انفسكم﴾ من كان من جنسكم
من المؤمنين وعن الحسن لا تقتلوا اخوانكم او لا تبتلوا انفسكم كما يفعله بعض الجهلة وعن عمرو بن العاص انه تأوله في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم او بان تقترفوا ما يقتلها او يرديها ﴿ان الله كان بكم رحيما﴾ اي امر ما نهاكم عنه لفرط رحمته عليكم وقيل معناه انه امر بني اسرائيل بقتل انفسهم
ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم وكان بكم يا امة محمد رحيما لم يكلفكم تلك التكاليف الصعبة ﴿ومن يفعل ذلك﴾ اشارة الى القتل او ما سبق من المنهي عنه ﴿عدوانا وظلما﴾
افراطا في التجاوز عن الحق واتيانا بما لا يستحقه وقيل اراد بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم الظلم على النفس بتعريضها للعقاب ﴿فسوف نصليه نارا﴾ ندخله اياها وقرئ بالتشديد من صلّى وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية
﴿وكان ذلك على الله يسيرا﴾ لا عسر فيه ولا صارف عنه ﴿ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه﴾ كبائر الذنوب التي نهاكم الله عنها والرسول ﴿نكفر عنكم سيئاتكم﴾
نغفر لكم صغائركم [illegible] على اجتنابكم الكبائر ونحو ذلك عما على
عقاب [illegible] الصغائر بالكبائر [illegible] اما الى الملكة او عصيان او ثواب فعلها ﴿و﴾ التكفير اماطة المستحق
من العقاب [illegible] المستحق بعقاب زايد او بندم على الطاعة وعن علي رضي الله عنه الكبائر سبع
الشرك [illegible] وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والفرار من الزحف والتعرب بعد الهجرة وزاد ابن عمر السحر واستحلال البيت الحرام وعن ابن
عباس انه [illegible] الى سبعمائة اقرب اذ لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار ﴿وندخلكم مدخلا كريما﴾ وقرئ بفتح الميم وهو يكفر
بالنار او ما كان نعيم الجنة وهو مصدر بمعنى المكان والمصدر فيهما ﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض﴾ من الامور الدنيوية كالجاه والمال فلعل عدم التفضيل
قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم باحوال العباد وما يصلح المقسوم له من بسطة في الرزق او قبض ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض
فعلى كل احد ان يرضى بما قسم له علما بان ما قسم له هو مصلحته ولو كان خلافه لكان مفسدة له ولا يحسد اخاه على حظه ﴿للرجال نصيب مما اكتسبوا﴾
جعل ما قسم لكل من الرجال والنساء على حسب ما عرف الله من حاله الموجبة للبسط او القبض كسبا له ﴿واسألوا الله من فضله﴾ ولا تتمنوا انصباء غيركم
من الفضل وسلوا الله من خزائنه التي لا تنفد وقيل كان الرجال قالوا ان الله فضلنا على النساء في الدنيا فنرجو ان يفضلنا في الاخرة وان يكون لنا الاجر
في الاخرة على الاعمال اجر واحد فنزلت الآية ﴿ان الله كان بكل شيء عليما﴾ [illegible] ﴿ولكل جعلنا موالي مما ترك﴾
مما ترك بيان لكل اي ولكل شيء مما ترك الوالدان والاقربون من المال جعلنا موالي وراثا يلونه ويحرزونه او ولكل قوم جعلناهم موالي نصيب
مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي صفة لكل والضمير الراجع الى كل محذوف والكلام مبتدأ وخبر كما تقول لكل من خلقه الله
انسانا من رزق الله اي حظ من رزق الله او ولكل واحد جعلنا موالي مما ترك اي وراثا مما ترك على ان من صلة موالي لانهم في معنى الوراث وفي ترك
ضمير كل ثم فسر الموالي بقوله ﴿الوالدان والاقربون﴾ كانه قيل من هم فقيل الوالدان والاقربون ﴿والذين عقدت ايمانكم﴾ مبتدأ ضمن معنى الشرط
فوقع خبره مع الفاء وهو قوله ﴿فآتوهم نصيبهم﴾ ويجوز ان يكون منصوبا على قولك زيدا فاضربه ويجوز ان يعطف على الوالدان ويكون المضمر في
فآتوهم للموالي والمراد بالذين عاقدت ايمانكم موالي الموالاة كان الرجل يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وهدمي هدمك وثاري ثارك وحربي
حربك وسلمي سلمك وترثني وارثك وتطلب بي واطلب بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف فنسخ وعن النبي
صلى الله عليه وسلم انه خطب يوم الفتح فقال ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به فانه لم يزده الاسلام الا شدة ولا تحدثوا حلفا في الاسلام وعند
ابي حنيفة رحمه الله لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح عنده وورث بحق الموالاة خلافا للشافعي وقيل المعاقدة التبني ومعنى
عاقدت ايمانكم عاقدتهم ايديكم وماسحتموهم وقرئ عقدت بالتشديد والعقد بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم ﴿الرجال قوامون على النساء﴾ يقومون
عليهن آمرين ناهين كما يقوم الولاة على الرعايا وسموا قواما لذلك والضمير في بعضهم للرجال والنساء جميعا يعني انما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل
الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء وفيه دليل على ان الولاية انما تستحق بالفضل لا بالتغلب والاستطالة والقهر وقد ذكروا في فضل الرجال
العقل والحزم والعزم والقوة والكتابة في الغالب والفروسية والرمي وان منهم الانبياء والعلماء وفيهم الامامة الكبرى والصغرى والجهاد
والاذان والخطبة والاعتكاف وتكبيرات التشريق عند ابي حنيفة والشهادة في الحدود والقصاص وزيادة السهم والتعصيب في الميراث والحمالة
والقسامة والولاية في النكاح والطلاق والرجعة وعدد الازواج واليهم الانتساب وهم اصحاب اللحى والعمائم ﴿وبما انفقوا من اموالهم﴾ وبسبب ما
ارجوا

اخرجوا في نكاحهن من اموالهم في المهور والنفقات روي ان سعد بن الربيع وكان نقيبا من نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن
ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكا فقال لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله
امرا والذي اراد الله خير ورفع القصاص واختلف في ذلك فقيل لا قصاص بين الرجل وامرأته فيما دون النفس ولو شجها ولكن يجب العقل وقيل لا قصاص
الا في الجرح والقتل واما اللطمة ونحوها فلا ﴿فالصالحات قانتات﴾ مطيعات لله قائمات بحقوق الازواج ﴿حافظات للغيب﴾ لمواجب الغيب اذ كان الازواج غير شاهدين لهن حفظن ما يجب عليهن حفظه في حال الغيبة من الفروج والبيوت والاموال وعن النبي صلى الله عليه وسلم
خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الآية وقيل الغيب الاسرار ﴿بما حفظ
الله﴾ بحفظ الله اياهن بالامر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له او بالذي حفظ الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن او
[illegible] الغيب وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة
اي حافظات للغيب بالامر الذي يحفظ حق الله وامانة الله وهو التعفف والتحصن والشفقة على الرجال والنصيحة لهم وقرأ ابن مسعود فالصوالح قوانت
حوافظ للغيب بما حفظ الله فاصلحوا اليهن ﴿واللاتي تخافون نشوزهن﴾ عصيانهن وترفعهن عن مطاوعتكم واصل النشوز الارتفاع ﴿فعظوهن واهجروهن في المضاجع﴾ في المراقد فلا تدخلوهن تحت
اللحف او هي كناية عن الجماع وقيل في المضاجع ببيوتهن التي يبتن فيها اي لا تبايتوهن وقرئ في المضجع وفي المضطجع
وذلك يعرف احوالهن ويحقق امرهن في النشوز امر بوعظهن اولا ثم بهجرانهن في المضاجع ثم بالضرب ان لم ينجع فيهن الوعظ والهجران وقيل معناه اكرهوهن
على الجماع واربطوهن من هجر البعير اذا شده بالهجار وهذا من تفسير الثقلاء وقالوا يجب ان يكون ضربا غير مبرح لا يجرحها ولا يكسر لها عظما ويجتنب الوجه
وعن النبي صلى الله عليه وسلم علقوا السوط حيث يراه اهل البيت وعن اسماء بنت ابي بكر الصديق كنت رابع اربع نسوة عند الزبير بن العوام فاذا غضب على احدانا ضربها
بعود المشجب حتى يكسره عليها وروي عن الزبير ابيات ولولا بنوها حولها لخبطتها ﴿فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا﴾ فازيلوا عنهن التعرض بالاذى
والتوبيخ والتجني وتوبوا عليهن واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن بعد رجوعهن الى الطاعة والانقياد وترك النشوز ﴿ان الله كان عليا كبيرا﴾ فاحذروه واعلموا ان
قدرته عليكم اعظم من قدرتكم على من تحت ايديكم وروي ان ابا مسعود الانصاري رفع سوطه ليضرب غلاما له فبصر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاح
به ابا مسعود لله اقدر عليك منك عليه فرمى بالسوط واعتق الغلام او ان الله كان عليا كبيرا وانكم تعصونه على علو شانه وكبرياء سلطانه
ثم تتوبون فيتوب عليكم فانتم احق بالعفو عمن يجني عليكم اذا رجع ﴿وان خفتم شقاق بينهما﴾ خلافا بين المرأة وزوجها اصله شقاقا بينهما فاضيف الشقاق الى الظرف على طريق الاتساع
كقوله بل مكر الليل والنهار واصله بل مكر في الليل والنهار او على اجراء البين مجرى المفعول والليل والنهار مجرى الفاعل كقولهم نهارك صائم والضمير للزوجين
ولم يجر ذكرهما لجري ما يدل عليهما وهو الرجال والنساء ﴿فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها﴾ فابعثوا ايها الحكام متى اشتبه عليكم حالهما لتبيين الامر او اصلاح ذات البين رجلا وسطا يصلح للحكومة والاصلاح من اهله ورجلا من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وانما يسكن اليهم نفوس الزوجين ويبرز اليهم ما في ضمائرهما من الحب والبغض وارادة الصحبة
والفرقة وموجبات ذلك ومقتضياتهما وما يزويانه من الاجانب ولا يحبان ان يطلعوا عليه فان ﴿...﴾ فعلى الحكمين الجمع بينهما والتفريق ان راياه لكن
قد اختلف فيه فقيل ليس اليهما ذلك الا باذن الزوجين وقيل ذلك اليهما وما جعل الحكمين الا واليين الامر على ما يقتضيه اجتهادهما وعن عبيدة السلماني
شهدت عليا رضي الله عنه وقد جاءته امرأة وزوجها مع كل واحد منهما فئام من الناس فاخرج هؤلاء حكما وهؤلاء حكما فقال علي للحكمين اتدريان ما عليكما
ان عليكما ان رايتما ان تفرقا فرقتما وان رايتما ان تجمعا جمعتما فقال الزوج اما الفرقة فلا فقال علي كذبت والله لا تبرح حتى ترضى بكتاب الله لك وعليك
فقالت المرأة رضيت بكتاب الله لي وعلي وعن الحسن يجمعان ولا يفرقان وعن الشعبي ما قضى الحكمان جاز ﴿ان يريدا اصلاحا﴾ اي الحكمان ﴿يوفق
الله بينهما﴾ اي بين الزوجين اي ان قصدا الاصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله بورك في وساطتهما واوقع الله بطيب نفسهما وحسن
سعيهما بين الزوجين الوفاق والالفة والقى في نفوسهما المودة والرحمة وقيل الضمير ان للحكمين اي ان قصدا الاصلاح ذات البين والنصيحة بين الزوجين يوفق
الله بينهما فيتفقان على الكلمة الواحدة ويتساندان في طلب الوفاق حتى يحصل الغرض ويتم المراد وقيل الضميران للزوجين اي ان يريدا الاصلاح بينهما وطلبا الخير
وان يزول عنهما الشقاق يطرح الله بينهما الالفة وابدلهما بالشقاق وفاقا وبالبغضاء مودة ﴿ان الله كان عليما خبيرا﴾ يعلم كيف يوفق بين المختلفين
ويجمع بين المتفرقين لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا﴾ صنما او غيره او شيئا من الاشراك جليا او خفيا ﴿وبالوالدين احسانا﴾ واحسنوا بهما احسانا ﴿وبذي القربى﴾ وبكل
من بينكم وبينه قربى من اخ او عم او غيرهما ﴿واليتامى والمساكين والجار ذي القربى﴾ الذي قرب جواره ﴿والجار الجنب﴾ الذي جواره بعيد وقيل الجار القريب النسيب والجار الاجنبي
الجنب

وابن السبيل [illegible] والجار ذي القربى [illegible] وقرئ والجار ذا القربى نصبا على الاختصاص كما قرئ
حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى تنبيها على عظم حقه لادلائه بحق الجوار والقرابة والصاحب بالجنب هو الذي صحبك بان حصل بجنبك اما
رفيقا في سفر واما جارا ملاصقا واما شريكا في تعلم علم او حرفة واما قاعدا الى جنبك في محفل او مسجد او غيره [illegible]
[illegible] وقيل الصاحب بالجنب المرأة وابن السبيل المسافر او المنقطع به وقيل الضيف
والمختال التياه الجهول الذي يتكبر عن اكرام اقاربه واصحابه [illegible] فلا يتحفى بهم [illegible] وقرئ والجار الجنب بفتح الجيم
وسكون النون الذين يبخلون بدل من قوله من كان مختالا فخورا او نصب على الذم ويجوز ان يكون رفعا عليه وان يكون مبتدأ خبره محذوف كانه قيل الذين
يبخلون [illegible] بالبخل [illegible]
يبخلون [illegible] وان امرءا اضحت يداه على امرئ بنيل يد من غيره لبخيل
ولقد [illegible] في راسه كانما نهب رحله
وكذا [illegible] لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى
عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون [illegible] وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا انعم الله على عبد
نعمة احب ان [illegible] على عبده وبنى عامل للرشيد قصرا [illegible] فقال الرجل يا امير المؤمنين ان الكريم يسره ان يرى اثر نعمته
فاجيب [illegible] وقيل نزلت في طائفة من اليهود الذين كتموا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم رئاء الناس للفخار
وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا ابتغاء [illegible] في مشركي مكة المنفقين اموالهم في عداوة رسول الله [illegible] قرينا [illegible]
والرياء وكل شر [illegible] ان الشيطان يقرن بهم في النار وماذا عليهم واي تبعة عليهم في الايمان والانفاق في سبيل الله والمراد الذم والتوبيخ
والتحريض [illegible] للمسيء [illegible] وقد علم انه لا مضرة [illegible]
في العفو والبر ولكنه ذم وتوبيخ وتجهيل بمكان المنفعة وكان الله بهم عليما وعيد لهم ان الله لا يظلم مثقال ذرة النملة الصغيرة وفي قراءة عبد الله مثقال نملة
وعن ابن عباس رضي الله عنه انه ادخل يده في التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال كل واحد من هؤلاء ذرة وقيل كل جزء من اجزاء الهباء في الكوة ذرة وفيه
دليل انه لو نقص من الاجر ادنى شيء او اضعف او زاد في العقاب لكان ظلما وانه لا يفعله لا لاستحالته في الحكمة لا لاستحالته في القدرة وان تك
حسنة وان يك مثقال الذرة حسنة وانث ضمير المثقال لكونه مضافا الى مؤنث وقرئ بالرفع على كان التامة يضاعفها يضاعف ثوابها
لاستحقاقها عند الثواب في كل وقت من الاوقات المستقبلة وعن عثمان النهدي انه قال لابي هريرة بلغني عنك انك تقول سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يعطي عبده المؤمن بالحسنة الف الف حسنة قال ابو هريرة لا بل سمعته يقول ان الله تعالى يعطيه الفي الف
حسنة ثم تلا هذه الاية والمراد الكثرة لا التحديد **ويؤت من لدنه اجرا عظيما** ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل عطاء عظيما
وسماه اجرا لانه تابع للاجر لا يثبت الا بثباته وقرئ يضعفها بالتشديد والتخفيف من اضعف وضعف وقرأ ابن هرمز نضاعفها بالنون
فكيف يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم كقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم
وجئنا بك على هؤلاء المكذبين شهيدا وعن ابن مسعود انه قرأ سورة النساء على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ قوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فبكى
رسول الله [illegible] حديثا لو تسوى بهم الارض لو يدفنون فتسوى بهم الارض كما تسوى بالموتى وقيل يودون انهم لم يبعثوا وانهم كانوا والارض سواء
وقيل تصير البهائم ترابا فيودون حالها ولا يكتمون الله حديثا ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان تسوى بهم
الارض وانهم لا يكتمون الله حديثا ولا يكذبون في قولهم والله ربنا ما كنا مشركين لانهم اذا قالوا ذلك وجحدوا شركهم ختم الله على افواههم عند ذلك
وتكلمت ايديهم وارجلهم بتكذيبهم والشهادة عليهم بالشرك فلشدة الامر عليهم يتمنون ان تسوى بهم الارض وقرئ تسوى بحذف التاء من تتسوى يقال
سويته فتسوى [illegible] وتسوى [illegible] في السين كقوله يسمعون [illegible] روي ان عبد الرحمن بن عوف
صنع طعاما وشرابا فدعا نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا فلما ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب
قدموا احدهم ليصلي بهم فقرأ اعبد ما تعبدون وانتم عابدون ما اعبد فنزلت فكانوا لا يشربون في اوقات الصلوات فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون
الا

الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون ثم نزل تحريمها ومعنى لا تقربوا الصلاة لا تغشوها ولا تقوموا اليها واجتنبوها كقوله ولا تقربوا الزنى ولا تقربوا
الفواحش وقيل معناه ولا تقربوا مواضعها وهي المساجد كقوله لهدمت صوامع [illegible] وقيل هو سكر النعاس وغلبة النوم
كقوله [illegible] وقرئ سكارى بفتح السين وسكرى على ان يكون جمعا كهلكى وجوعى لان السكر
علة تلحق العقل او مفردا بمعنى وانتم جماعة سكرى كقولك امرأة سكرى وسكارى بضم السين على ان يكون صفة للجماعة وحكى
جناح بن حبيش كسلى وكسالى بالفتح والضم ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى لان محل الجملة مع الواو النصب على الحال كانه قيل لا تقربوا الصلاة
سكارى ولا جنبا والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الاجناب الا عابري سبيل استثناء
من عامة احوال المخاطبين وانتصابه على الحال فان قلت كيف جمع بين هذه الحال والحال التي قبلها قلت كانه قيل لا تقربوا الصلاة في حال
الجنابة الا ومعكم حال اخرى تعذرون فيها وهي حال السفر وعبور السبيل عبارة عنه ويجوز ان يكون [illegible] صفة لقوله جنبا اي لا تقربوا
الصلاة جنبا غير عابري سبيل اي جنبا مقيمين غير معذورين فان قلت كيف تصح صلاتهم على الجنابة لعذر السفر قلت اريد بالجنب
الذين لم يغتسلوا كانه قيل لا تقربوا الصلاة غير مغتسلين حتى تغتسلوا الا ان تكونوا مسافرين وقال من فسر الصلاة بالمسجد معناه لا تقربوا المسجد
جنبا الا مجتازين فيه اذا كان الطريق فيه الى الماء او كان الماء فيه او احتلمتم فيه وقيل ان رجالا من الانصار كانت ابوابهم في المسجد فتصيبهم الجنابة
ولا يجدون ممرا الا في المسجد فرخص لهم وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ياذن لاحد ان يمر في المسجد او يجلس فيه وهو جنب الا لعلي رضي الله
عنه لان بيته كان في المسجد [illegible] ادخل في حكم الشرط اربعة وهم المرضى والمسافرون والمحدثون واهل الجنابة [illegible] الذي هو
الامر بالتيمم عند عدم الماء [illegible] والمرضى اذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول اليه فلهم ان
يتيمموا وكذلك السفر اذا عدموه لبعده والمحدثون واهل الجنابة كذلك اذا لم يجدوه لبعض الاسباب وقال الزجاج الصعيد وجه الارض ترابا كان او
غيره وان كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله فان قلت فما يصنع بقوله في سورة
المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي بعضه وهذا لا يتأتى في الصخر الذي لا تراب عليه قلت قالوا ان من لابتداء الغاية فان قلت قولهم انها
لابتداء الغاية قول متعسف ولا يفهم احد من العرب من قول القائل مسحت براسه من الدهن ومن الماء ومن التراب الا معنى التبعيض قلت
هو كما تقول والاذعان للحق احق من المراء ان الله كان عفوا غفورا كناية عن الترخيص والتيسير لان من كان من عادته ان يعفو عن الخطائين
ويغفر لهم آثر ان يكون ميسرا غير معسر فان قلت كيف نظم في سلك واحد بين المرضى والمسافرين وبين المحدثين والمجنبين والمرض والسفر
سببان من اسباب الرخصة والحدث سبب لوجوب الوضوء والجنابة سبب لوجوب الغسل قلت اراد سبحانه ان يرخص للذين وجب عليهم التطهر
وهم عادمون للماء في التيمم بالتراب فخص اولا من بينهم مرضاهم وسفرهم لانهم المتقدمون في استحقاق بيان الرخصة لهم لكثرة المرض والسفر وغلبتهما
على سائر الاسباب الموجبة للرخصة ثم عم كل من وجب عليه التطهر واعوزه الماء لخوف عدو او سبع او عدم آلة استقاء او ارهاق في مكان لا ماء
فيه او غير ذلك مما لا يكثر كثرة المرض والسفر وقرئ من الغيط قيل هو تخفيف غيط كهين في هين والغيط بمعنى الغائط الم تر من رؤية
القلب وعدي بالى على معنى الم ينته علمك اليهم او بمعنى الم تنظر اليهم اوتوا نصيبا من الكتاب حظا من علم التوراة وهم احبار اليهود يشترون
الضلالة يستبدلونها بالهدى وهو البقاء على اليهودية بعد وضوح الآيات لهم على صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه هو النبي العربي المبشر به في التوراة
والانجيل ويريدون ان تضلوا ايها المؤمنون سبيل الحق كما ضلوه ويخرجوا في ضلالكم لا يكفيهم ضلالهم بل يحبون ان يضل معهم غيرهم وقرئ
ان يضلوا بفتح الضاد وكسرها والله اعلم منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء واطلعكم على احوالهم وما يريدون بكم فاحذروهم ولا تستنصحوهم
في اموركم ولا تستشيروهم **وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا** فثقوا بولايته ونصرته دونهم ولا تبالوا بهم فان الله ينصركم عليهم ويكفيكم مكرهم
من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا من الكتاب لانهم يهود ونصارى وقوله والله اعلم وكفى بالله جمل توسطت بين البيان والمبين على سبيل
الاعتراض او بيان لاعدائكم وما بينهما اعتراض او صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا باياتنا ويكون كلاما مبتدأ
على ان يحرفون صفة مبتدأ محذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون كقوله وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغي العيش اكدح
اي فمنهما تارة اموت فيها يحرفون الكلم عن مواضعه يميلونه عنها ويزيلونه لانهم اذا بدلوه ووضعوا مكانه كلما غيره فقد امالوه عن مواضعه

الى صفة النبي ... ونحو ذلك نحو تحريفهم الرجم بان وضعوا الحد بدله فان قلت كيف قيل هنا عن مواضعه وفي المائدة من بعد مواضعه قلت
اما عن مواضعه فعلى ما فسرناه من ازالته عن مواضعه التي اوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم من ابدال غيره مكانه واما من بعد مواضعه فالمعنى انه كانت
له مواضع هو قمن بان يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه ومقاره والمعنيان متقاربان وقرئ يحرفون الكلم بكسر الكاف
وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة وقوله غير مسمع حال من المخاطب اي اسمع وانت غير مسمع وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم اي اسمع منا مدعوا
عليك بلا سمعت لانه لو اجيب دعوتهم عليه لم يسمع فكان اصم غير مسمع قالوا ذلك اتكالا على ان قولهم لا سمعت دعوة مستجابة او اسمع غير مجاب الى ما تدعو
اليه ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكانك لم تسمع شيئا او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه فسمعك عنه ناب ويجوز على هذا ان يكون غير مسمع مفعول
اسمع اي اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك لا تعيه نبوا عنه ويحتمل المدح اي اسمع غير مسمع مكروها من قولك اسمع فلان فلانا اذا سبه
وكذلك [illegible] راعنا يحتمل راعنا نكلمك اي ارقبنا وانتظرنا ويحتمل [illegible] كلمة عبرانية او سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعينا فكانوا سخرية
بالدين وهزؤا برسول الله [illegible] يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والاهانة ويظهرون به التوقير والاكرام ليا بالسنتهم فتلا بها وتحريفا
اي يفتلون بالسنتهم الحق الى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها او يفتلون بالسنتهم ما يضمرونه من الشتم
الى ما يظهرونه من التوقير نفاقا فان قلت كيف جاؤا بالقول المحتمل ذي الوجهين بعدما صرحوا وقالوا سمعنا وعصينا قلت جميع الكفرة كانوا
يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء ويجوز ان يقولوه فيما بينهم ويجوز ان لا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا جعلوا كانهم
نطقوا به ... ولو ثبت على ايمانهم لاحاط ... الايمان قال فلت الام رجع الضمير في قوله لكان خيرا لهم واقوم واعدل وابين قلت ... ولكن لعنهم
الله بكفرهم اي خذلهم بسبب كفرهم وابعدهم عن الطافه فلا يؤمنون الا ايمانا قليلا ... ضعيفا ركيكا لا يعبا به وهو ايمانهم بمن خلقهم مع كفرهم بغيره
او اراد بالقلة العدم كقوله قليل التشكي للمهم يصيبه اي عديم التشكي او الا قليلا منهم قد آمنوا من قبل ان نطمس وجوها ان نمحو تخطيط
صورها من عين وحاجب وانف وفم فنردها على ادبارها فنجعلها على هيئة ادبارها وهي الاقفاء مطموسة مثلها والفاء للتسبيب وان جعلتها للتعقيب
على انهم توعدوا بعقابين احدهما عقيب الآخر رد ها على ادبارها بعد طمسها فالمعنى ان نطمس وجوها فننكسها الوجوه الى خلف والاقفاء الى قدام
ووجه آخر وهو ان يراد بالطمس القلب والتغيير كما طمس اموال القبط فقلبها حجارة وبالوجوه رؤوسهم ووجهاؤهم اي من قبل ان نغير احوال وجهائهم
فنسلبهم اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم وادبارهم او نردهم الى حيث جاؤا منه وهي اذرعات الشام يريد اجلاء بني النضير فان قلت
لمن الراجع في قوله او نلعنهم قلت للوجوه ان اريد الوجهاء او لاصحاب الوجوه لان المعنى من قبل ان نطمس وجوه قوم او يرجع الى الذين اوتوا الكتاب
على طريقة الالتفات او نلعنهم او نخزيهم بالمسخ كما مسخنا اصحاب السبت فان قلت فاين وقوع الوعيد قلت هو مشروط بالايمان
وقد آمن منهم ناس وقيل هو منتظر ولا بد من طمس ومسخ لليهود قبل يوم القيامة ولان الله اوعدهم باحد الامرين بطمس وجوه منهم او بلعنهم فان كان الطمس
تبديل احوال رؤسائهم او اجلاؤهم الى الشام فقد كان احد الامرين وان كان غيره فقد حصل اللعن فانهم ملعونون بكل لسان والظاهر اللعن المتعارف دون ما شبه
الاسنى الى قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وكان امر الله مفعولا فلا بد ان
يقع احد الامرين ان لم يؤمنوا فان قلت قد ثبت ان الله عز وجل يغفر الشرك لمن تاب عنه وانه لا يغفر ما دون الشرك من الكبائر الا بالتوبة
فما وجه قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قلت الوجه ان يكون الفعل المنفي والمثبت جميعا موجهين الى قوله لمن
يشاء كانه قيل ان الله لا يغفر لمن يشاء الشرك ويغفر لمن يشاء ما دون الشرك على ان المراد بالاول من لم يتب وبالثاني من تاب ونظيره قولك ان الامير لا يبذل
الدينار ويبذل القنطار لمن يشاء تريد لا يبذل الدينار لمن لا يستاهله ويبذل القنطار لمن يستاهله فقد افترى اثما اي ارتكبه وهو مفتر مفتعل
ما لا يصح كونه الذين يزكون انفسهم اليهود والنصارى قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقيل جاء رجال من اليهود
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باطفالهم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملناه بالنهار كفر عنا بالليل وما عملناه بالليل
كفر عنا بالنهار فعرفهم انه يدخل فيها كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة الطاعة والتقوى والزلفى عند الله فان قلت اما قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم والله اني لامين في السماء امين في الارض قلت انما قال ذلك حين قال له المنافقون اعدل في القسمة اكذابا لهم اذ وصفوه بخلاف ما وصفه
به ربه وشتان من شهد الله له بالتزكية ومن شهد لنفسه او شهد له من لا يعلم بل الله يزكي من يشاء اعلام بان تزكية الله هي التي يعتد بها

لان كفرهم بغيره ان الله هو العالم بمن هو اهل للتزكية ومن ليس باهل لها يزكي المرتضين من عباده الذين عرف منهم الزكاء فوصفهم به ولا يظلمون الا الفتيل
بكون انفسهم يعاقبون على تزكيتهم انفسهم حق جزائهم او من يشاء يثابون على زكائهم ولا ينقص من ثوابهم دونه فلا ... الفتيل ما فتلت بين
اصبعيك انظر كيف يفترون على الله الكذب في زعمهم انهم عند الله ازكياء وكفى بزعمهم هذا اثما مبينا من بين آثامهم الجبت الاصنام
وكل ما عبد من دون الله والطاغوت الشيطان وذلك ان حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا الى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون
قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نامن مكركم فاسجدوا لآلهتنا
حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا ابليس فيما فعلوا وقال ابو سفيان اينا اهدى سبيلا
انحن ام محمد فقال كعب ماذا يقول محمد قالوا يامر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف
ونفك العاني وذكروا افعالهم فقال انتم اهدى سبيلا وصف اليهود بالبخل والحسد وهما شر خصلتين [illegible]
تكون لهم نعمة غيرهم فقال ام لهم نصيب من الملك على ان ام منقطعة ومعنى الهمزة لانكار ان يكون لهم نصيب من الملك [illegible]
من الملك ... ادعتهم [illegible] ... بخلهم والنقير النقرة في ظهر النواة [illegible]
ملك اهل الدنيا وان الملك لله كقوله قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق [illegible]
من القرآن ويجوز ان يكون معنى الهمزة ... انكار انهم قد اوتوا نصيبا من الملك وكانوا اصحاب اموال ... [illegible]
احدا ما يكون شيئا وقرا ابن مسعود فاذا لا يؤتوا على اعمال اذن عملها الذي هو النصب ... [illegible]
اذن ام يحسدون الناس بل ايحسدون رسول الله والمؤمنين على انكار الحسد واستقباحه ... على ما آتاهم الله من النصرة والغلبة
وازدياد العز والتقدم كل يوم فقد آتينا الزام لهم بما عرفوه من ايتاء الله الكتاب والحكمة آل ابراهيم الذين هم اسلاف محمد صلى الله عليه وسلم وانه ليس ببدع
ان يؤتيه الله مثل ما اوتي اسلافه وعن ابن عباس الملك في آل ابراهيم ملك يوسف وداود وسليمان وقيل استكثروا نساءه فقيل لهم كيف استكثرتم له
التسع وقد كان لداود مائة ولسليمان ثلاثمائة مهيرة وسبعمائة سرية فمنهم من اليهود من آمن به اي بما ذكر من حديث آل ابراهيم ومنهم من صد عنه
وانكره مع علمه بصحته او من اليهود من آمن برسول الله ومنهم من انكر نبوته او من آل ابراهيم من آمن بابراهيم ومنهم من كفر كقوله فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون
بدلناهم جلودا غيرها ابدلناهم اياها فان قلت كيف يعذب مكان الجلود العاصية جلود لم تعص قلت العذاب للجملة الحساسة وهي
التي عصت لا الجلد وعن فضيل يجعل النضيج غير نضيج وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم تبدل جلودهم كل يوم سبع مرات وعن الحسن سبعين مرة تبدل جلودا
بيضا كالقراطيس ليذوقوا العذاب ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز اعزك الله اي ادامك على عزك وزادك فيه عزيزا لا يمتنع عليه شيء
مما يريده بالمجرمين حكيما لا يعذب الا بعدل من يستحقه ظليلا صفة مشتقة من لفظ الظل لتاكيد معناه كما يقال ليل اليل ويوم ايوم
وما اشبه ذلك وهو ما كان فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وسجسجا لا حر فيه ولا برد وليس ذلك الا ظل الجنة رزقنا الله بتوفيقه لما
يزلف اليه التفيؤ تحت ذلك الظل وقرئ وعبد الله سيدخلهم بالياء ان تؤدوا الامانات الخطاب عام لكل احد في كل امانة وقيل نزلت في
عثمان بن طلحة بن عبد الدار وكان سادن الكعبة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وابى ان يدفع
المفتاح اليه وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي بن ابي طالب رضي الله عنه يده واخذه منه وفتح ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله
العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فامر عليا ان يرده الى عثمان ويعتذر اليه فقال عثمان لعلي اكرهت واذيت ثم جئت
ترفق فقال لقد انزل الله في شانك قرآنا وقرا عليه الآية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فهبط جبريل فاخبر رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان السدانة في اولاد عثمان ابدا وقيل هو خطاب للولاة بأداء الامانات والحكم بالعدل وقرئ الامانة على التوحيد نعما يعظكم به ما اما ان
تكون منصوبة موصوفة بيعظكم به واما ان تكون مرفوعة موصولة كانه قيل نعم شيئا يعظكم به او نعم الشيء الذي يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف اي
نعما يعظكم به ذاك وهو المامور به من اداء الامانات والعدل في الحكم وقرئ نعما بفتح النون لما امر الولاة باداء الامانات الى اهلها وان يحكموا بالعدل
امر الناس بان يطيعوهم وينزلوا على قضاياهم والمراد باولي الامر منكم امراء الحق لان امراء الجور الله ورسوله بريئان منهم فلا يعطفون على الله
ورسوله في وجوب الطاعة لهم وانما يجمع بين الله ورسوله والامراء الموافقين لهما في ايثار العدل واختيار الحق والامر بهما والنهي عن اضدادهما كالخلفاء

الراشدين ومن تبعهم بإحسان وكان الخلفاء يقولون أطيعوني ما عدلت فيكم فإن خالفت فلا طاعة لي عليكم وعن أبي حازم أن مسلمة بن عبد الملك قال له ألستم أمرتم
بطاعتنا في قوله وأولي الأمر منكم قال أليس قد نزعت عنكم إذا خالفتم الحق بقوله فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول وقيل هم أمراء السرايا وعن النبي
صلى الله عليه وسلم من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع أميري فقد أطاعني ومن يعص أميري فقد عصاني وقيل هم العلماء الدينون الذين
يعلمون الناس الدين ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فإن تنازعتم في شيء فإن اختلفتم أنتم وأولو الأمر منكم في شيء من أمور الدين فردوه إلى الله ورسوله
أي ارجعوا فيه إلى الكتاب والسنة وكيف تلزم طاعة أمراء الجور وقد جنح الله الأمر بطاعة أولي الأمر بما لا يبقى معه شك وهو أن أمرهم أولاً بأداء الأمانات
وبالعدل في الحكم وأمرهم آخراً بالرجوع إلى الكتاب والسنة فيما أشكل وأمراء الجور لا يؤدون أمانة ولا يحكمون بعدل ولا يردون شيئاً إلى الكتاب ولا
إلى السنة إنما يتبعون شهواتهم حيث ذهبت بهم فهم منسلخون عن صفات الذين هم أولو الأمر عند الله ورسوله وأحق أسمائهم اللصوص المتغلبة ذلك إشارة
إلى الرد أي رد ذلك إلى الكتاب والسنة خير لكم وأصلح وأحسن تأويلاً وأحسن عاقبة وقيل أحسن تأويلاً من تأويلكم أنتم روي أن بشراً المنافق خاصم يهودياً
فدعاه اليهودي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف ثم إنهما احتكما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودي فلم يرض المنافق وقال
تعال نتحاكم إلى عمر بن الخطاب فقال اليهودي لعمر قضى لنا رسول الله فلم يرض بقضائه فقال للمنافق أكذلك قال نعم فقال عمر مكانكما حتى أخرج إليكما
فدخل عمر فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا أقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل إن عمر فرق بين
الحق والباطل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت الفاروق والطاغوت كعب بن الأشرف سماه الله طاغوتاً لإفراطه في الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه
وسلم أو على التشبيه بالشيطان والتسمية باسمه أو جعل اختيار التحاكم إلى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم على التحاكم إليه تحاكماً إلى الشيطان بدليل قوله
وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم وقرئ بما أنزل على البناء للفاعل وقرئ أن يكفروا بها ذهاباً بالطاغوت إلى الجمع
كقوله أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم تعالوا أصله أن يقوله من مكان عال لمن هو أسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عم وقرأ الحسن تعالُوا بضم اللام على أنه حذف اللام من تعاليت تخفيفاً كما قالوا ما باليت به بالة وأصلها بالية كعافية
وكما قال الكسائي في آية إن أصلها آيية فاعلة فحذفت اللام فلما حذفت وقعت واو الجمع بعد اللام من تعال فضمت فصار تعالوا نحو تقدموا
ومنه قول أهل مكة تعالِي بكسر اللام للمرأة وفي شعر الحمداني تعالي أقاسمك الهموم تعالي والوجه فتح اللام فكيف يكون حالهم وكيف
يصنعون يعني أنهم يعجزون عند ذلك فلا يصدرون أمراً ولا يوردونه إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم من التحاكم إلى غيرك واتهامهم لك في الحكم
ثم جاؤوك يحلفون يعتذرون إليك بأنهم ما أرادوا بتحاكمهم إلى غيرك إلا الإحسان وتوفيقاً بين الخصمين ولم يريدوا مخالفة لك ولا تسخطاً لحكمك
ففرج عنا بدعائك وهذا وعيد لهم على فعلهم وأنهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار وقيل جاء أولياء المنافق
يطلبون بدمه وقد أهدره الله فقالوا ما أردنا بالتحاكم إلى عمر إلا أن يحسن إلى صاحبنا بحكومة العدل والتوفيق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا أنه
يحكم له بما حكم به فأعرض عنهم لا تعاقبهم لمصلحة في استبقائهم ولا تزد على كفهم بالموعظة والنصيحة عما هم عليه وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا
بالغ في وعظهم بالتخويف والإنذار فإن قلت بم تعلق قوله في أنفسهم قلت بقوله بليغاً أي قل لهم قولا بليغاً في أنفسهم مؤثراً في
قلوبهم يغتمون به اغتماماً ويستشعرون منه الخوف استشعاراً وهو التوعد بالقتل والاستئصال إن نجم منهم النفاق واطلع قرنه وأخبرهم
أن ما في نفوسهم من الدغل والنفاق معلوم عند الله وأنه لا فرق بينكم وبين المشركين وما هذه المكافة إلا لإظهاركم الإيمان وإسراركم الكفر وإضماره
فإن فعلتم ما تكشفون به غطاءكم لم يبق إلا السيف أو يتعلق بقوله قل لهم أي قل لهم في معنى أنفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغاً
وأن الله يعلم ما في قلوبكم لا يخفى عليه فلا يغني عنكم إبطانه فأصلحوا أنفسكم وطهروا قلوبكم وداووها من مرض النفاق وإلا أنزل الله بكم
ما أنزل بالمجاهرين بالشرك من انتقامه وشراً من ذلك وأغلظ أو قل لهم في أنفسهم خالياً بهم ليس معهم غيرهم مساراً لهم بالنصيحة لأنها في السر أنجع
وفي الإمحاض أدخل قولا بليغاً يبلغ منهم ويؤثر فيهم وما أرسلنا من رسول وما أرسلنا رسولا قط إلا ليطاع بإذن الله بسبب إذن
الله في طاعته وبأنه أمر المبعوث إليهم بأن يطيعوه ويتبعوه لأنه مؤد عن الله فطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله ومن يطع الرسول
فقد أطاع الله ويجوز أن يراد بتيسير الله وتوفيقه في طاعته ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم بالتحاكم إلى الطاغوت جاؤوك تائبين من النفاق متنصلين
عما ارتكبوا فاستغفروا الله من ذلك بالإخلاص وبالغوا في الاعتذار إليك من إيذائك برد قضائك حتى انتصبت شفيعاً لهم إلى الله ومستغفراً لهم لوجدوا الله
تواباً أي لتاب عليهم ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه إلى طريقة الالتفات تفخيماً لشأن رسول الله وتعظيماً لاستغفاره وتنبيهاً
عا

على أن شفاعته من اسمه الرسول من الله بمكان فلا وربك معناه فوربك كقوله فوربك لنسألنهم ولا مزيدة لتأكيد معنى القسم كما زيدت في لئلا يعلم لتأكيد وجوب العلم ولا يؤمنون جواب القسم فإن قلت هلا زعمت أنها زيدت
ليظاهر لا في لا يؤمنون قلت يأبى ذلك استواء النفي والإثبات فيه وذلك قوله فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون إنه لقول رسول كريم
فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل أغصانه حرجاً ضيقاً أي لا تضيق صدورهم من حكمك وقيل شكاً لأن الشاك في ضيق من أمره
حتى يلوح له اليقين ويسلموا وينقادوا ويذعنوا لما تأتي به من قضائك لا يعارضوا بشيء من قولك سلم الأمر لله وأسلم له وحقيقته سلم نفسه له وأسلمها
إذا جعلها سالمة له خالصة وتسليماً تأكيد للفعل بمنزلة تكريره كأنه قيل وينقادوا لحكمه انقياداً لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم قيل نزلت في شأن
المنافق واليهودي وقيل في شأن الزبير وحاطب بن أبي بلتعة وذلك أنهما اختصما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل
فقال اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك فغضب حاطب وقال لأن كان ابن عمتك فتغير وجه رسول الله ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يبلغ إلى
الجدر واستوف حقك ثم أرسله إلى جارك كان قد أشار على الزبير برأي فيه السعة له ولخصمه فلما أحفظ رسول الله استوعب للزبير حقه في صريح
الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد فقال لمن كان القضاء فقال الأنصاري قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون أنه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد أذنبنا ذنباً مرة في حياة موسى
فدعانا إلى التوبة منه وقال اقتلوا أنفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين ألفاً في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس أما والله إن الله ليعلم مني
الصدق لو أمرني محمد أن أقتل نفسي لقتلتها وروي أنه قال ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول الله والذي نفسي بيده
إن من أمتي رجالاً الإيمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي وروي عن عمر بن الخطاب أنه قال والله لو أمرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل بنا
ذلك فنزلت الآية في شأن حاطب ونزلت في شأن هؤلاء ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أي لو أوجبنا عليهم مثل ما أوجبنا على بني إسرائيل من قتلهم
أنفسهم أو خروجهم من ديارهم حين استتيبوا من عبادة العجل ما فعلوه إلا قليل منهم وهذا توبيخ عظيم والرفع على البدل من الواو في فعلوه وقرئ إلا قليلاً
بالنصب على أصل الاستثناء أو على إلا فعلاً قليلاً ما يوعظون به من اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعته والانقياد لما يراه ويحكم به لأنه الصادق المصدوق
الذي لا ينطق عن الهوى لكان خيراً لهم في عاجلهم وآجلهم وأشد تثبيتاً لإيمانهم وأبعد من الاضطراب فيه وإذاً جواب لسؤال مقدر كأنه قيل وماذا يكون
لهم أيضاً بعد التثبيت فقيل وإذاً لو ثبتوا لآتيناهم لأن إذاً جواب وجزاء من لدنا أجراً عظيماً كقوله ويؤت من لدنه أجراً عظيماً والمراد
العطاء المتفضل به من عنده وتسميته أجراً لأنه تابع للأجر لا يثبت إلا بثباته ولهديناهم ولطفنا بهم ووفقناهم لازدياد الخيرات والصديقون أفاضل
صحابة الأنبياء الذين تقدموا في تصديقهم كأبي بكر الصديق رضي الله عنه وصدقوا في أقوالهم وأفعالهم وهذا ترغيب للمؤمنين في الطاعة حيث وعدوا مرافقة
أقرب عباد الله إليه وأرفعهم درجات عنده وحسن أولئك رفيقاً فيه معنى التعجب كأنه قيل وما أحسن أولئك رفيقاً ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ وحسْن بسكون
السين يقول المتعجب حسن الوجه وحسن الوجه بالفتح والضم مع التسكين والرفيق كالصديق والخليط في استواء الواحد والجمع فيه
ويجوز أن يكون مفرداً بين به الجنس في باب التمييز وروي أن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قليل الصبر عنه فأتاه يوماً وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حاله فقال يا رسول الله ما بي من وجع
غير أني إذا لم أرك اشتقت إليك واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك فذكرت الآخرة فخفت أن لا أراك هناك لأني عرفت أنك ترفع مع النبيين
وإن أدخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وإن لم أدخل فذاك حين لا أراك أبداً فنزلت فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى أكون أحب
إليه من نفسه وأبويه وأهله وولده والناس أجمعين وحكي ذلك عن جماعة من الصحابة ذلك مبتدأ والفضل صفته ومن الله الخبر ويجوز أن يكون
ذلك مبتدأ والفضل من الله خبره والمعنى أن ما أعطي المطيعون من الأجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم من الله لأنه تفضل به عليهم تبعاً لثوابهم
وكفى بالله عليما بجزاء من أطاعه أو أراد أن فضل المنعم عليهم ومزيتهم من الله لأنهم اكتسبوه بتوفيقه وتمكينه وكفى بالله عليماً بعباده فهو
يوفقهم على حسب أحوالهم خذوا حذركم الحذر والحذر بمعنى كالإثر والأثر يقال أخذ حذره إذا تيقظ واحترز من المخوف كأنه جعل
الحذر آلته التي يقي بها نفسه ويعصم بها روحه والمعنى احذروا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من أنفسكم فانفروا إذا نفرتم إلى العدو
إما ثبات جماعات متفرقة سرية بعد سرية وإما جميعاً أي مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا بأيديكم إلى التهلكة وقرئ
فانفُروا بضم الفاء اللام في لمن للابتداء بمنزلتها في قوله إن الله لغفور وفي ليبطئن جواب قسم محذوف تقديره وإن منكم لمن أقسم
بالله ليبطئن والقسم وجوابه صلة من والضمير الراجع منها إليه ما استكن في ليبطئن والخطاب لعسكر رسول الله والمبطئون

منهم المنافقون لانهم كانوا يجوزون ... بمعنى ليستبطئن ... وبطأ ... بمعنى ابطأ ... ليبطئن بالتخفيف يقال بطأ على فلان وابطأ عليه وبطؤ نحو ثقل ويجوز ان يكون منقولا من بطؤ نحو ثقل من ثقل فيراد ليبطئن غيره وليثبطنه عن الغزو وكان هذا ديدن المنافق عبد الله بن ابي وهو الذي ثبط الناس يوم احد. فان اصابتكم مصيبة من قتل او هزيمة. فضل من الله من فتح او غنيمة ليقولن وقرا الحسن ليقولن بضم اللام اعادة للضمير الى معنى من لان قوله لمن ليبطئن في معنى الجماعة. وقوله كان لم تكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل الذي هو ليقولن وبين مفعوله وهو يا ليتني والمعنى كان لم يتقدم له معكم موادة لان المنافقين كانوا يوادون المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر وان كانوا يبغون لهم الغوائل في الباطن والظاهر انه تهكم لانهم كانوا اعدى عدو للمؤمنين واشدهم حسدا لهم فكيف يوصفون بالمودة الا على وجه العكس تهكما بحالهم وقرئ فافوز بالرفع عطفا على كنت معهم لينتظم الكون معهم والفوز معنى التمني فيكونا متمنيين جميعا. ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف بمعنى فانا افوز في ذلك الوقت. يشرون بمعنى يشترون ويبيعون قال ابن مفرغ:

وشريت بردا ليتني من بعد برد كنت هامة

فالذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة هم المبطئون وعظوا بان يغيروا ما بهم من النفاق ويخلصوا الايمان بالله ورسوله ويجاهدوا في سبيل الله حق الجهاد والذين يشترون هم المؤمنون الذين يستحبون الآجلة على العاجلة ويستبدلونها بها والمعنى ان صد الذين مرضت قلوبهم وضعفت نياتهم عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون. ووعد المقاتل في سبيل الله ظافرا او مظفورا به ايتاء الاجر العظيم على اجتهاده في اعزاز دين الله. والمستضعفين فيه وجهان ان يكون مجرورا عطفا على سبيل الله اي في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين ومنصوبا على الاختصاص يعني واختص من سبيل الله خلاص المستضعفين لان سبيل الله عام في كل خير وخلاص المستضعفين من المسلمين من ايدي الكفار من اعظم الخير واخصه. والمستضعفون هم الذين اسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين اظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الاذى الشديد وكانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج الى المدينة وبقي بعضهم الى الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خير ولي وناصر وهو محمد صلى الله عليه وسلم فتولاهم احسن التولي ونصرهم اقوى النصر ولما خرج استعمل على مكة عتاب بن اسيد فراوا منه الولاية والنصرة كما ارادوا قال ابن عباس كان ينصر الضعيف من القوي حتى كانوا اعز بها من الظلمة. فان قلت لم ذكر الولدان قلت تسجيلا بافراط ظلمهم حيث بلغ اذاهم الولدان غير المكلفين ارغاما لآبائهم وامهاتهم ومبغضة لهم لمكانهم ولان المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس وكما وردت السنة باخراجهم في الاستسقاء. وعن ابن عباس كنت انا وامي من المستضعفين من النساء والولدان. ويجوز ان يراد بالرجال والنساء الاحرار والحرائر وبالولدان العبيد والاماء لان العبد والامة يقال لهما الوليد والوليدة وقيل للولدان والولائد الولدان لتغليب الذكور على الاناث كما يقال الآباء والاخوة. فان قلت لم ذكر الظالم وموصوفه مؤنث قلت هو وصف القرية الا انه مسند الى اهلها فاعطي اعراب القرية لانه صفتها وذكر لاسناده الى الاهل كما تقول من هذه القرية التي ظلم اهلها ولو انث فقيل الظالمة اهلها لجاز لا لتانيث الموصوف ولكن لان الاهل يذكر ويؤنث. فان قلت هل يجوز من هذه القرية الظالمين اهلها قلت نعم كما تقول التي ظلموا اهلها على لغة من يقول اكلوني البراغيث ومنه واسروا النجوى الذين ظلموا. رغب الله المؤمنين ترغيبا وشجعهم تشجيعا باخبارهم انهم انما يقاتلون في سبيل الله فهو وليهم وناصرهم واعداؤهم يقاتلون في سبيل الشيطان فلا ولي لهم الا الشيطان وكيد الشيطان للمؤمنين الى جنب كيد الله للكافرين اضعف شيء واوهنه. كفوا ايديكم اي كفوها عن القتال وذلك ان المسلمين كانوا مكفوفين عن مقاتلة الكفار ما داموا بمكة وكانوا يتمنون ان يؤذن لهم فيه فلما كتب عليهم القتال بالمدينة كع فريق منهم لا شكا في الدين ولا رغبة عنه ولكن نفورا عن الاخطار بالارواح وخوفا من الموت. كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول. فان قلت ما محل كخشية الله من الاعراب قلت محلها النصب على الحال من الضمير في يخشون اي يخشون الناس مثل اهل خشية الله اي مشبهين لاهل خشية الله او اشد خشية بمعنى او اشد خشية من اهل خشية الله واشد معطوف على الحال. فان قلت لم عدلت عن الظاهر وهو كونه صفة للمصدر ولم تقدره يخشون خشية مثل خشية الله بمعنى مثل ما يخشى الله قلت ابى ذلك قوله او اشد خشية لانه وما عطف عليه في حكم واحد ولو قلت يخشون الناس اشد خشية لم يكن الا حالا عن ضمير الفريق ولم ينتصب انتصاب المصدر لانك لا تقول خشي فلان اشد خشية فتنصب خشية وانت تريد المصدر انما تقول اشد خشية فتجرها واذا نصبتها لم يكن اشد خشية الا عبارة عن الفاعل حالا منه اللهم الا ان تجعل الخشية خاشية على قولهم جد جده فتزعم ان معناه يخشون الناس خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله. ويجوز على هذا ان يكون محل اشد مجرورا عطفا على خشية الله تريد كخشية الله او كخشية اشد خشية منها. لولا اخرتنا

الى اجل قريب استزادة في مدة الكف واستمهال الى وقت آخر كقوله لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق. ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون ادنى شيء من اجوركم على مشاق القتال فلا ترغبوا عنه. وقرئ ولا يظلمون بالياء. وقرئ يدرككم بالرفع وقيل هو على حذف الفاء كانه قيل فيدرككم الموت وشبه بقول القائل: من يفعل الحسنات الله يشكرها. ويجوز ان يقال حمل على ما يقع موقع اينما تكونوا وهو اينما كنتم كما حمل ولا ناعب على ما يقع موقع ليسوا مصلحين وهو ليسوا بمصلحين فرفع كما رفع زهير: يقول لا غائب مالي ولا حرم. وهو قول نحوي سيبويهي. ويجوز ان يتصل بقوله ولا تظلمون فتيلا اي ولا تنقصون شيئا مما كتب من آجالكم اينما تكونوا في ملاحم حروب او غيرها ثم ابتدا قوله يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة والوقف على هذا الوجه على اينما تكونوا. والبروج الحصون مشيدة مرفوعة. وقرئ مشيدة من شاد القصر اذا رفعه او طلاه بالشيد وهو الجص. وقرا نعيم بن ميسرة مشيدة بكسر الياء وصفا لها بفعل فاعلها مجازا كما قالوا قصيدة شاعرة وانما الشاعر فارضها. السيئة تقع على البلية والمعصية والحسنة على النعمة والطاعة قال الله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون. وقال ان الحسنات يذهبن السيئات. والمعنى وان تصبهم نعمة من خصب ورخاء نسبوها الى الله وان تصبهم بلية من قحط وشدة اضافوها اليك وقالوا هي من عندك وما كانت الا بشؤمك كما حكى الله عن قوم موسى وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه. وعن قوم صالح قالوا اطيرنا بك وبمن معك. وروي عن اليهود لعنت انها تشاءمت برسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا منذ دخل المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها فرد الله عليهم **قل كل من عند الله** يبسط الارزاق ويقبضها على حسب المصالح. لا يكادون يفقهون حديثا فيعلموا ان الله هو الباسط القابض وكل ذلك صادر عن حكمة وصواب. ثم قال ما اصابك يا انسان خطابا عاما من حسنة اي من نعمة واحسان فمن الله تفضلا منه وامتنانا وامتحانا. وما اصابك من سيئة اي من بلية ومصيبة فمن نفسك لانك السبب فيها بما اكتسبت يداك وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير. وعن عائشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر. وارسلناك للناس رسولا اي رسولا للناس جميعا لست برسول العرب وحدهم انت رسول العرب والعجم كقوله وما ارسلناك الا كافة للناس قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا. وكفى بالله شهيدا على ذلك فما ينبغي لاحد ان يخرج عن طاعتك واتباعك. من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه لا يامر الا بما امر الله به ولا ينهى الا عما نهى الله عنه فكانت طاعته في امتثال ما امر به والانتهاء عما نهى عنه طاعة لله. وروي انه قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون الا تسمعون الى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى ان يعبد غير الله ما يريد هذا الرجل الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت. ومن تولى عن الطاعة فاعرض عنه فما ارسلناك عليهم حفيظا الا نذيرا وما عليك الا البلاغ لا حفيظا ومهيمنا عليهم تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم كقوله وما انت عليهم بوكيل. ويقولون اذا امرتهم بشيء طاعة بالرفع اي امرنا وشاننا طاعة. ويجوز النصب بمعنى اطعناك طاعة وهذا من قول المرتسم سمعا وطاعة وسمع وطاعة ونحوه قول سيبويه وسمعنا بعض العرب الموثوق بهم يقال له كيف اصبحت فيقول حمد الله وثناء عليه كانه قال امري وشاني حمد الله ولو نصب حمد الله وثناء عليه كان على الفعل والرفع يدل على ثبات الطاعة واستقرارها. بيت طائفة زورت طائفة وسوت غير الذي تقول خلاف ما قلت وما امرت به او خلاف ما قالت وما ضمنت من الطاعة لانهم ابطنوا الرد لا القبول والعصيان لا الطاعة وانما ينافقون بما يقولون ويظهرون. والتبييت اما من البيتوتة لانه قضاء الامر وتدبيره بالليل يقال هذا امر بيت بليل واما من ابيات الشعر لان الشاعر يدبرها ويسويها. **والله يكتب ما يبيتون** يثبته في صحائف اعمالهم ويجازيهم عليه على سبيل الوعيد او يكتبه في جملة ما يوحى اليك فيطلعك على اسرارهم فلا تحسبوا ان ابطانهم يغني عنهم. فاعرض عنهم ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم وتوكل على الله في شانهم فان الله يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم اذا قوي امر الاسلام وعز انصاره. وقرئ بيت طائفة بالادغام وتذكير الفعل لان تانيث الطائفة غير حقيقي ولانها في معنى الفريق والفوج. تدبر الامر تامله والنظر في ادباره وما يؤول اليه في عاقبته ومنتهاه ثم استعمل في كل تامل فمعنى تدبر القرآن تامل معانيه وتبصر ما فيه. لوجدوا فيه اختلافا كثيرا لكان الكثير منه مختلفا متناقضا قد تفاوت نظمه وبلاغته ومعانيه فكان بعضه بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه تمكن معارضته وبعضه اخبارا بغيب قد وافق المخبر عنه وبعضه اخبارا مخالفا للمخبر عنه وبعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعاني وبعضه دالا على معنى فاسد غير ملتئم فلما تجاوب كله بلاغة معجزة فائتة لقوى البلغاء وتناصر صحة معان وصدق اخبار علم انه ليس الا من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره عالم بما لا يعلمه احد سواه. فان قلت اليس نحو قوله فاذا هي ثعبان مبين كانها جان فوربك لنسالنهم اجمعين فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان من الاختلاف قلت ليس باختلاف عند المتدبرين. هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم يكن فيهم خبرة بالاحوال ولا استبطان للامور كانوا اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من امن وسلامة او خوف وخلل اذاعوا به وكانت

منهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم وهم كبار الصحابة البصراء بالامور والذين كانوا يؤمرون منهم
لعلمه لعلم تدبير ما اخبروا به الذين يستنبطونه الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها وقيل كانوا يقفون
من رسول الله صلى الله عليه وسلم واولي الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء او على خوف واستشعار فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعداء
فتعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر وفوضوه اليهم وكانوا كان لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما ياتون ويذرون
فيه وقيل كانوا يسمعون من افواه المنافقين شيئا من الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود ذلك وبالا على المؤمنين ولو
ردوه الى الرسول والى اولي الامر وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو مما يذاع او لا يذاع لعلمه الذين يستنبطونه منهم لعلم صحته وهل هو مما يذاع
او لا يذاع هؤلاء المذيعون وهم الذين يستنبطونه من الرسول واولي الامر اي يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم يقال اذاع السر واذاع به قال
اذاع به في الناس حتى كانه بعلياء نار اوقدت بثقوب ويجوز ان يكون المعنى فعلوا به الاذاعة وهو ابلغ من اذاعوه
وقرئ لعلمه [illegible] والنبط الماء يخرج
من البئر اول ما تحفر [illegible] واستنباطه اخراجه واستخراجه فاستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعاني والتدابير فيما يعضل ويهم ولولا
فضل الله عليكم ورحمته وهو ارسال الرسول وانزال الكتاب والتوفيق لاتبعتم الشيطان لبقيتم على الكفر الا قليلا منكم او الا
[illegible] تثبطهم عن القتال [illegible] فقال فقاتل في سبيل الله [illegible]
وحده لا تكلف الا نفسك غير نفسك وحدها ان تقدمها الى الجهاد فان الله هو ناصرك لا الجنود فان شاء نصرك وحدك كما ينصرك وحولك
الالوف وقيل دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج وكان ابو سفيان واعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اللقاء فيها فكره بعض الناس ان يخرجوا
فنزلت فخرج وما معه الا سبعون لم يلو على احد ولو لم يتبعه احد لخرج وحده وقرئ لا تكلف بالجزم على النهي ولا نكلف بالنون وكسر اللام اي لا نكلف
نحن الا نفسك وحدها وحرض المؤمنين وما عليك في شانهم الا التحريض فحسب لا التعنيف بهم عسى الله ان يكف باس الذين كفروا وهم قريش وقد
كف باسهم فقد بدا لابي سفيان وقال هذا عام مجدب وما كان معهم زاد الا السويق ولا يلقون الا في عام خصب فرجع بهم والله اشد باسا من قريش
واشد تنكيلا تعذيبا الشفاعة الحسنة هي التي روعي بها حق مسلم ودفع بها عنه شر او جلب اليه خير وابتغي بها وجه الله ولم تؤخذ عليها
رشوة وكانت في امر جائز لا في حد من حدود الله ولا في حق من الحقوق والسيئة ما كان بخلاف ذلك وعن مسروق انه شفع شفاعة فاهدى اليه
المشفوع له جارية فغضب وردها وقال لو علمت ما في قلبك ما تكلمت في حاجتك ولا اتكلم فيما بقي منها وقيل الشفاعة الحسنة هي الدعوة للمسلم لانها
في معنى الشفاعة الى الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك فذلك النصيب
والدعوة على المسلم بضد ذلك مقيتا شهيدا حفيظا وقيل مقتدرا واقات على الشيء قال الزبير بن عبد المطلب
وذي ضغن كففت النفس عنه وكنت على اساءته مقيتا وقال السموءل [illegible] الي الفضل ام علي اذا حوسبت اني على الحساب مقيت
واشتقاقه من القوت لانه يمسك النفس ويحفظها باحسن منها ان تقول وعليكم السلام ورحمة الله اذا قال السلام عليكم وان تزيد وبركاته
اذا قال ورحمة الله وروي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال الاخر السلام
عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وجاء ثالث فقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله وتلا الاية فقال انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله او ردوها
اجيبوها بمثلها ورد السلام ورجع جوابه بمثله لان المجيب يرد قول المسلم ويكرره وجواب التسليمة واجب والتخيير انما هو في الزيادة
وتركها وعن ابي يوسف رحمه الله من قال لاخر اقرئ فلانا السلام وجب عليه ان يفعل وعن النخعي السلام سنة والرد فريضة وعن ابن عباس الرد
واجب وما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع منهم روح القدس وردت عليه الملائكة ولا يرد السلام في الخطبة
وقراءة القران جهرا ورواية الحديث وعند مذاكرة العلم والاذان والاقامة وعن ابي يوسف لا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغني
والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري من غير عذر في حمام او غيره وذكر الطحاوي ان المستحب ان يسلم الماشي على القاعد وعن النبي
صلى الله عليه وسلم انه [illegible] السلام وقالوا يسلم الرجل اذا دخل على امراته ولا يسلم على اجنبية ويسلم الماشي على القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس
على راكب الحمار والصغير على الكبير والاقل على الاكثر واذا التقيا ابتدرا وعن ابي حنيفة لا يجهر بالرد يعني الجهر الكثير وعن النبي صلى الله عليه وسلم
اذا

اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم اي وعليكم ما قلتم لانهم كانوا يقولون السام عليكم ولا يبدا اليهودي بالسلام وان بدا
فقال وعليكم وعن الحسن يجوز ان تقول للكافر وعليك السلام ولا تقل ورحمة الله فانها استغفار وعن الشعبي انه قال لنصراني سلم عليه وعليك السلام
ورحمة الله فقيل له فقال اليس في رحمة الله يعيش وقد رخص بعض العلماء في ان يبدا اهل الذمة بالسلام اذا دعت الى ذلك حادثة تحوج اليهم
ويروى ذلك عن النخعي وعن ابي حنيفة لا تبداه بسلام في كتاب ولا غيره وعن ابي يوسف لا تسلم عليهم ولا تصافحهم واذا دخلت فقل السلام
على من اتبع الهدى ولا باس بالدعاء له بما يصلحه في دنياه على كل شيء حسيبا اي يحاسبكم على كل شيء من التحية وغيرها لا اله الا هو
اما خبر للمبتدا واما اعتراض والخبر ليجمعنكم الى يوم القيمة اي ليحشرنكم اليه والقيامة والقيام كالطلابة والطلاب وهي قيامهم من القبور
او قيامهم للحساب قال الله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين ومن اصدق من الله حديثا لانه عز وعلا صادق لا يجوز عليه الكذب وذلك
ان الكذب مستقبح لصارف عن الاقدام عليه وهو قبحه وهو وجه قبحه الذي هو كونه كذبا واخبارا عن الشيء بخلاف ما هو عليه فمن كذب لم يكذب الا لانه
محتاج الى الكذب ليجر منفعة او يدفع مضرة او هو غني عنه الا انه يجهل غناه او هو جاهل بقبحه او هو سفيه [illegible]
الكذب في اخباره ولا يبالي بما نطق به وربما كان الكذب احلى على حنكه من الصدق وعن بعض السفهاء انه عوتب على الكذب فقال لو غرغرت
لهواتك به ما فارقته وقيل لكذاب هل صدقت قط فقال لولا اني صادق في قولي لا لقلتها لا فكان الحكيم الغني الذي لا يجوز عليه الحاجات العالم
بكل معلوم منزها عنه كما هو منزه عن سائر القبائح فما لكم في المنافقين فئتين [illegible] روي ان قوما من المنافقين استاذنوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الخروج الى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فيهم فقال بعضهم هم كفار
وقال بعضهم هم مسلمون وقيل كانوا قوما هاجروا من مكة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا على دينك وما اخرجنا الا اجتواء المدينة
والاشتياق الى بلدنا وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله يوم احد ثم رجعوا وقيل هم العرنيون الذين اغاروا على السرح وقتلوا يسارا وقيل هم قوم
اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة ومعناه ما لكم اختلفتم في شان قوم قد نافقوا نفاقا ظاهرا وتفرقتم فيه فرقتين وما لكم لم تبتوا القول بكفرهم
والله اركسهم اي ردهم في حكم المشركين كما كانوا بما كسبوا من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين واحتيالهم على رسول الله او اركسهم في الكفر بان
خذلهم حتى اركسوا فيه لما علم من مرض قلوبهم اتريدون ان تهدوا ان تجعلوا من جملة المهتدين من اضل الله من جعله من جملة الضلال او حكم
عليه بذلك او خذله حتى ضل وقرئ ركسهم وركسوا فيها ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز والمعنى ودوا
كفركم وكونكم معهم شرعا واحدا فيما هم عليه من الضلال واتباع دين الاباء فلا تتولوهم وان امنوا حتى يظاهروا بالايمان بهجرة صحيحة هي لله ورسوله
لا لغرض من اغراض الدنيا مستقيمة ليس بعدها بداء ولا تعرب فان تولوا عن الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة فحكمهم حكم سائر المشركين
يقتلون حيث وجدوا في الحل والحرم وجانبوهم مجانبة كلية وان بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم الا الذين يصلون استثناء
من قوله فخذوهم واقتلوهم ومعنى يصلون الى قوم ينتهون اليهم ويتصلون بهم وعن ابي عبيدة هو من [illegible] اتصل الى فلان وانتسب اليه اذا انتمى
اليه وقيل الانتساب لا اثر له في منع القتال فقد قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم من معه من قومهم من انسابهم والقوم هم الاسلميون كان
بينهم وبين رسول الله عهد وذلك انه وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال
ولجا اليه فله من الجوار مثل الذي لهلال وقيل القوم بنو بكر بن زيد مناة كانوا في الصلح او جاءوكم لا يخلو من ان يكون معطوفا على صفة
قوم كانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم او على صلة الذين كانه قيل الا الذين يتصلون
بالمعاهدين او الذين لا يقاتلونكم والوجه العطف على الصلة لقوله فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا
بعد قوله فخذوهم واقتلوهم فقرر ان كفهم عن القتال احد سببي استحقاقهم لنفي التعرض عنهم وترك الايقاع بهم فان قلت
كل واحد من الاتصالين له تاثير في صحة الاستثناء واستحقاق ازالة التعرض الاتصال بالمعاهدين والاتصال بالكافين لان الاتصال بهؤلاء او بهؤلاء
دخول في حكمهم فهلا جوزت ان يكون العطف على صفة قوم ويكون قوله فان اعتزلوكم تقريرا لحكم اتصالهم بالكافين واختلاطهم بهم
وجريهم على سننهم قلت هو جائز ولكن الاول اظهر واجرى على اسلوب الكلام وفي قراءة ابي جاءوكم بينكم وبينهم ميثاق جاءوكم حصرت
صدورهم بغير او ووجهه ان يكون جاءوكم بيانا ليصلون او بدلا او استئنافا او صفة بعد صفة لقوم حصرت صدورهم في موضع الحال باضمار قد

والمراد بهم قوم ... حصرت صدورهم وحصرت صدورهم حال باضمار قد ... صفة لموصوف محذوف على او جاؤكم قوما حصرت
صدورهم وقيل هو بيان لجاؤكم وقيل بدل من جاؤكم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم عن ان يقاتلوكم
او كراهة ان يقاتلوكم قوله ـــ كيف يجوز ان يسلط الله الكفرة على المؤمنين قلت ـــ ما كانت مكافتهم الا لقذف الله
الرعب في قلوبهم ولو شاء لمصلحة يراها من ابتلاء ونحوه لم يقذفه فكانوا متسلطين مقاتلين غير مكافين فذلك معنى التسليط وقرئ فلقتلوكم
بالتخفيف والتشديد فان اعتزلوكم فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم اي الانقياد والاستسلام وقرئ بسكون اللام مع فتح السين فما جعل
الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم **ستجدون آخرين** هم قوم من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليأمنوا
المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم كلما ردوا الى الفتنة كلما دعاهم قومهم الى قتال المسلمين اركسوا فيها قلبوا فيها
اقبح قلب واشنعه وكانوا شرا فيها من كل عدو حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم سلطانا مبينا حجة واضحة لظهور عداوتهم
وانكشاف حالهم في الكفر والغدر ... او تسلطا ظاهرا حيث اذن لكم في قتلهم وما كان لمؤمن وما صح له ولا استقام ولا لاق
بحاله كقوله ... ان يقتل مؤمنا ابتداء غير قصاص الا خطأ الا على وجه الخطأ فان قلت ـــ بم انتصب
خطأ قلت ـــ بانه مفعول له اي ما ينبغي له ان يقتله لعلة من العلل الا للخطأ وحده ويجوز ان يكون حالا بمعنى لا يقتله في حال من الاحوال
الا في حال الخطأ وان يكون صفة للمصدر الا قتلا خطأ والمعنى ان من شأن المؤمن ان ينتفي عنه وجود قتل المؤمن ابتداء البتة الا اذا وجد منه
خطأ من غير قصد بان يرمي كافرا فاصيب مسلما او يرمي شخصا على انه كافر فاذا هو مسلم وقرئ خطاء بالمد وخطا بوزن عمى بتخفيف
الهمزة وروي ان عياش بن ابي ربيعة وكان اخا ابي جهل لامه اسلم وهاجر خوفا من قومه الى المدينة وذلك قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقسمت امه
لا تأكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحرث بن زيد بن ابي انيسة فاتياه وهو في اطم ففتل منه ابو جهل في الذروة والغارب
وقال اليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر امك وانت على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما فسحا عن المدينة كتفاه وجلده كل واحد منهما مائة جلدة
فقال للحرث هذا اخي فمن انت يا حرث لله علي ان وجدتك خاليا ان اقتلك وقدما به على امه فحلفت لا يحل كتافه او يرتد ففعل ثم هاجر بعد ذلك
واسلم الحرث وهاجر فلقيه عياش بظهر قباء ولم يشعر باسلامه فانحى عليه فقتله ثم اخبر باسلامه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت فتحرير رقبة فعليه او فواجبه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر والعتيق الكريم لان الكرم في الاحرار ... ومنه عتاق
الخيل وعتاق الطير لكرامها وحر الوجه اكرم موضع منه وقولهم للئيم عبد وفلان ... والرقبة عبارة عن
النسمة كما عبر عنها بالرأس في قولهم فلان يملك كذا رأسا من الرقيق والمراد برقبة مؤمنة كل رقبة كانت على حكم الاسلام عند عامة
العلماء وعن الحسن لا تجزئ الا رقبة قد صلت وصامت ولا تجزئ الصغيرة وقاس عليه ... كفارة الظهار فاشترط الايمان وقيل لما اخرج
نفسا مؤمنة عن جملة الاحياء لزمه ان يدخل نفسا مثلها في جملة الاحرار لان اطلاقها من قيد الرق كاحيائها من قبل ان الرقيق ممنوع من تصرف الاحرار
ودية مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته يقتسمونها كما يقتسمون الميراث ... وبين سائر التركة في كل شيء يقضى منها الدين وتنفذ الوصية
واذا لم يبق وارث فهي لبيت المال لان المسلمين يقومون مقام الورثة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وارث من لا وارث له وعن عمر رضي الله عنه انه قضى
بدية المقتول فجاءت امرأة تطلب ميراثها من عقله فقال لا اعلم لك شيئا انما الدية للعصبة الذين يعقلون عنه فقام الضحاك بن سفيان الكلابي فقال
كتب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اورث امرأة اشيم الضبابي من عقل زوجها اشيم فورثها عمر وعن ابن مسعود يرث كل وارث من الدية
غير القاتل وعن شريك لا يقضى من الدية دين ولا تنفذ وصية وعن ربيعة الغرة لام الجنين وحدها وذلك خلاف قول الجماعة فان قلت ـــ على
من يجب الرقبة والدية قلت ـــ على القاتل الا ان الرقبة في ماله والدية تتحملها عنه العاقلة فان لم يكن له عاقلة فهي في بيت المال فان لم يكن
ففي ماله الا ان يصدقوا الا ان يتصدقوا عليه بالدية ومعناه العفو كقوله الا ان يعفون ونحوه وان تصدقوا خير لكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم
كل معروف صدقة وقرأ ابي الا ان يتصدقوا فان قلت ـــ بم تعلق ان يصدقوا وما محله قلت ـــ تعلق بعليه او بمسلمة كأنه قيل وتجب
عليه الدية او يسلمها الا حين يتصدقون عليه ومحلها النصب على الظرف بتقدير حذف الزمان كقولهم اجلس ما دام زيد جالسا ويجوز ان يكون حالا
من اهله بمعنى الا متصدقين فان كان من قوم عدو لكم من قوم كفار اهل حرب وذلك نحو رجل اسلم في قومه الكفار وهو بين اظهرهم لم يفارقهم

فعلى

فعلى قاتله الكفارة اذا قتله خطأ وليس على عاقلته لاهله شيء لانهم كفار محاربون وان كان ... ثم ...
حرب المسلمين فقتل فيهم خطأ لانهم يظنونه كافرا اسلم وان كان من قوم كفرة لهم ذمة كالمشركين الذين عاهدوا المسلمين واهل الذمة من الكتابيين
فحكمه حكم مسلم من مسلمين فمن لم يجد رقبة يعني لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فعليه صيام شهرين متتابعين توبة من الله قبولا من الله ورحمة
منه من تاب الله عليه اذا قبل توبته يعني شرع ذلك توبة منه او فليتب توبة من الله ... هذه الآية فيها من التهديد والايعاد
والابراق والارعاد امر عظيم وخطب غليظ ومن ثم روي عن ابن عباس ما روي من ان توبة قاتل المؤمن عمدا غير مقبولة وعن سفيان كان اهل
العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة له وذلك محمول منهم على الاقتداء بسنة الله تعالى في التغليظ والتشديد والا فكل ذنب ممحو بالتوبة وناهيك
بمحو الشرك دليلا وفي الحديث لزوال الدنيا اهون على الله من قتل امرئ مسلم وفيه لو ان رجلا قتل بالمشرق وآخر رضي بالمغرب لاشرك في دمه
وفيه ان هذا الانسان بنيان الله ملعون من هدم بنيانه وفيه من اعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله
والعجب من قوم يقرؤون هذه الآية ويرون ما فيها ويسمعون هذه الاحاديث العظيمة وقول ابن عباس بمنع التوبة ثم لا تدعهم اشعبيتهم وطماعيتهم
الفارغة واتباعهم هواهم وما يخيل اليهم مناهم ان يطمعوا في العفو عن قاتل المؤمن بغير توبة افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها ثم ذكر الله
سبحانه التوبة في قتل الخطأ لما عسى يقع من نوع تفريط فيما يجب من الاحتياط والتحفظ فيه حسم للاطماع واي حسم ولكن لا حياة لمن تنادي
فان قلت ـــ هل فيها دليل على خلود من لم يتب من اهل الكبائر قلت ـــ ما ابين الدليل فيها وهو تناول قوله ومن يقتل اي قاتل كان
من مسلم او كافر تائب او غير تائب الا ان التائب اخرجه الدليل فمن ادعى اخراج المسلم غير التائب فليأت بدليل مثله **فتبينوا** وقرئ فتثبتوا
وهما من التفعل بمعنى الاستفعال اي اطلبوا بيان الامر وثباته ولا تتهوكوا فيه من غير روية وقرئ السلم والسلام وهما الاستسلام وقيل
الاسلام وقيل التسليم الذي هو تحية اهل الاسلام لست مؤمنا وقرئ مؤمنا بفتح الميم من آمنه اي لا نؤمنك واصله ان مرداس بن
نهيك رجل من اهل فدك اسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان عليها غالب بن فضالة الليثي فهربوا
وبقي مرداس لثقته باسلامه فلما رأى الخيل الجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول
الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد واستاق غنمه فاخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه ثم قرأ
الآية على اسامة فقال يا رسول الله استغفر لي قال فكيف بلا اله الا الله قال اسامة فما زال يعيدها حتى وددت ان لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر
لي وقال اعتق رقبة تبتغون عرض الحياة الدنيا تطلبون الغنيمة التي هي حطام سريع النفاد فهو الذي يدعوكم الى ترك التثبت وقلة البحث
عن حال من تقتلونه فعند الله مغانم كثيرة يغنمكموها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الاسلام ويتعوذ به من التعرض له لتأخذوا ماله كذلك
كنتم من قبل اول ما دخلتم في الاسلام سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم واموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطأة قلوبكم
لالسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالايمان والتقدم وان صرتم اعلاما فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل
بكم وان تعتبروا ظاهر الاسلام في المكافة ولا تقولوا ان تهليل هذا لاتقاء القتل لا لصدق النية فتجعلوه سلما الى استباحة ماله وقد حرمهما الله
وقوله فتبينوا تكرير للامر بالتبين ليؤكد عليهم ان الله كان بما تعملون خبيرا فلا تتهافتوا في القتل وكونوا محترزين
محتاطين في ذلك غير اولي الضرر قرئ بالحركات الثلاث فالرفع صفة للقاعدون والنصب استثناء منهم او حال عنهم والجر صفة للمؤمنين
والضرر المرض او العاهة من عمى او عرج او زمانة او نحوها وعن زيد بن ثابت كنت الى جنب رسول الله فغشيته السكينة فوقعت فخذه
على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب فكتبت في كتف لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فقال ابن ام مكتوم
وكان اعمى يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك ثم قال اقرأ يا زيد فقرأت لا يستوي القاعدون
من المؤمنين فقال غير اولي الضرر قال زيد انزلها الله وحدها فالحقتها والذي نفسي بيده لكأني انظر الى ملحقها عند صدع في الكتف وعن ابن
عباس لا يستوي القاعدون عن بدر والخارجون اليها وعن مقاتل الى تبوك فان قلت ـــ معلوم ان القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان
فما فائدة نفي الاستواء قلت ـــ معناه الاذكار بما بينهما من التفاوت العظيم والبون البعيد ليأنف القاعد ويترفع بنفسه عن انحطاط
منزلته فيهتز للجهاد ويرغب فيه وفي ارتفاع طبقته ونحوه هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون اريد به التحريك من حمية الجاهل وانتباه

لتهاب بالكلية ... عن صنعة الجمل الا عرف الجمل فضل الله المجاهدين جملة موضحة لما نفى من استواء القاعدين والمجاهدين كأنه قيل
ما لهم لا يستوون فأجيب بذلك والمعنى على القاعدين غير اولي الضرر لكون الجملة بيانا للجملة الاولى المتضمنة لهذا الوصف وكلا وكل فريق
من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة وان كان المجاهدون مفضلين على القاعدين درجة وعن النبي صلى الله
عليه وسلم لقد خلفتم بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم وهم الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم وكانت
افئدتهم تهوى الى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر او غيره فان قلت قد ذكر الله سبحانه مفضلين درجة ومفضلين
درجات فمن هم قلت اما المفضلون درجة واحدة فهم الذين فضلوا على القاعدين الاضراء واما المفضلون درجات فهم الذين
فضلوا على القاعدين الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم لان الغزو فرض كفاية فان قلت لم نصب درجة واجرا ودرجات
قلت نصب قوله درجة لوقوعها موقع المرة من التفضيل كأنه قيل فضلهم تفضيلة ونظيره قولك ضربه سوطا بمعنى ضربه ضربة
واما اجرا [illegible] ... درجات ومغفرة ورحمة بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات نصب درجة كما تقول
ضربه اسواطا بمعنى ضربات كأنه قيل وفضلهم تفضيلات ... اجرا عظيما على انه حال عن النكرة التي هي درجات مقدمة عليها وانتصب
مغفرة ورحمة باضمار فعلهما بمعنى وغفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة توفاهم يجوز ان يكون ماضيا كقراءة من قرأ توفتهم ومضارعا بمعنى تتوفاهم
كقراءة من قرأ ... وقت بمعنى ان الله يتوفى الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم
في حال ظلمهم انفسهم قالوا قال الملائكة للمتوفين فيم كنتم في اي شيء كنتم من امر دينكم وهم ناس من اهل مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت
الهجرة فريضة فان قلت كيف صح وقوع قوله كنا مستضعفين في الارض جوابا عن قولهم فيم كنتم وكان حق الجواب ان يقولوا كنا في كذا
او لم نكن في شيء قلت معنى فيم كنتم التوبيخ بانهم لم يكونوا في شيء من الدين حيث قدروا على المهاجرة ولم يهاجروا فقالوا كنا مستضعفين
اعتذارا مما وبخوا به واعتلالا بالاستضعاف وانهم لم يتمكنوا من الهجرة حتى يكونوا في شيء فبكتتهم الملائكة بقولهم الم تكن ارض الله
واسعة فتهاجروا فيها ارادوا انكم كنتم قادرين على الخروج من مكة الى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من اظهار دينكم ومن الهجرة الى رسول الله كما
فعل المهاجرون الى ارض الحبشة وهذا دليل على ان الرجل اذا كان في بلد لا يتمكن فيه من اقامة امر دينه كما يجب لبعض الاسباب والعوائق عن اقامة
الدين لا تنحصر او علم انه في غير بلده اقوم بحق الله وادوم على العبادة حقت عليه المهاجرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان
كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد اللهم ان كنت تعلم ان هجرتي اليك لم تكن الا للفرار بديني فاجعلها سببا
في خاتمة الخير ودرك المرجو من فضلك والمبتغى من رحمتك وصل جواري لك بعكوفي عند بيتك بجوارك في دار كرامتك يا واسع المغفرة
ثم استثنى من اهل الوعيد المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة في الخروج لفقرهم وعجزهم ولا معرفة لهم بالمسالك وروي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعث بهذه الآية الى مسلمي مكة فقال جندب بن ضمرة او ضمرة بن جندب لبنيه احملوني فاني لست من المستضعفين واني لاهتدي الطريق
والله لا ابيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها الى المدينة وكان شيخا كبيرا فمات بالتنعيم فان قلت كيف ادخل الولدان في جملة
المستثنين من اهل الوعيد كأنهم كانوا يستحقون الوعيد مع الرجال والنساء لو استطاعوا حيلة واهتدوا سبيلا قلت الرجال
والنساء قد يكونون مستطيعين مهتدين وقد لا يكونون كذلك واما الولدان فلا يكونون الا عاجزين عن ذلك فلا يتوجه عليهم وعيد لان سبب خروج
الرجال والنساء من جملة اهل الوعيد انما هو كونهم عاجزين فاذا كان العجز متمكنا في الولدان لا ينفكون عنه كانوا خارجين من جملته
ضرورة وهذا اذا اريد بالولدان الاطفال ويجوز ان يراد المراهقون منهم الذين عقلوا ما يعقل الرجال والنساء فيلحقوا بهم في التكليف
وان اريد العبيد والاماء البالغون فلا سؤال فان قلت الجملة التي هي لا يستطيعون ما موقعها قلت هي صفة للمستضعفين او للرجال
والنساء والولدان وانما جاز ذلك والجمل نكرات لان الموصوف وان كان فيه حرف التعريف فليس لشيء بعينه كقوله
ولقد امر على اللئيم يسبني * فان قلت لم قيل عسى الله ان يعفو عنهم بكلمة الاطماع قلت للدلالة على ان ترك الهجرة
امر مضيق لا توسعة فيه حتى ان المضطر البين الاضطرار من حقه ان يقول عسى الله ان يعفو عني فكيف بغيره * مراغما مهاجرا وطريقا
يراغم بسلوكه قومه اي يفارقهم على رغم انوفهم والرغم الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب يقال راغمت الرجل اذا فارقته

وهو

وهو يكره مفارقتك لذلة تلحقه بذلك قال النابغة الجعدي * كطود يلاذ باركانه عزيز المراغم والمهرب *
وقرئ مرغما وقرئ ثم يدركه الموت بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وقيل رفع الكاف منقول من الهاء كأنه اراد ان يقف عليها
ثم نقل حركة الهاء الى الكاف كقوله * من عنزي سبني لم اضربه * وقرئ يدركه بالنصب على اضمار ان كقوله
والحق بالحجاز فاستريحا * فقد وقع اجره على الله فقد وجب ثوابه عليه وحقيقة الوجوب الوقوع والسقوط قال فاذا وجبت
جنوبها ووجبت الشمس سقط قرصها والمعنى فقد علم الله كيف يثيبه وذلك واجب عليه وروي في قصة جندب بن ضمرة انه لما ادركه
الموت اخذ يصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك عليه رسولك فمات حميدا فبلغ خبره اصحاب رسول الله
فقالوا لو توفي بالمدينة لكان اتم اجرا وقال المشركون وهم يضحكون ما ادرك هذا ما طلب فنزلت * وقالوا كل هجرة لغرض ديني من طلب علم او حج او جهاد
او فرار الى بلد يزداد فيه طاعة او قناعة وزهدا في الدنيا او ابتغاء رزق طيب فهي هجرة الى الله ورسوله وان ادركه الموت في طريقه فاجره
واقع على الله * ضربتم في الارض هو السفر وادنى مدة السفر الذي يجوز فيه القصر عند ابي حنيفة مسيرة ثلاثة ايام ولياليهن سير الابل ومشي
الاقدام على القصد ولا اعتبار بابطاء الضارب واسراعه ولو سار مسيرة ثلاثة ايام ولياليهن في يوم قصر ولو سار مسيرة يوم في ثلاثة ايام
لم يقصر وعند الشافعي ادنى مدة السفر اربعة برد مسيرة يومين وقوله فليس عليكم جناح ان تقصروا الصلاة ظاهره التخيير
بين القصر والاتمام وان الاتمام افضل والى التخيير ذهب الشافعي وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اتم في السفر وعن عائشة رضي الله عنها اعتمرت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة حتى اذا قدمت مكة قلت يا رسول الله بابي انت وامي قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا
عائشة وما عاب علي وكان عثمان يتم ويقصر وعند ابي حنيفة رحمه الله القصر في السفر عزيمة غير رخصة وعن عمر رضي الله عنه
صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم وعن عائشة رضي الله عنها اول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في
الحضر فان قلت فما تصنع بقوله فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة قلت كأنهم الفوا الاتمام فكانوا مظنة لان يخطر ببالهم
ان عليهم نقصانا في القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب انفسهم بالقصر ويطمئنوا اليه وقرئ تقصروا من اقصر وجاء في الحديث اقصار الخطبة
بمعنى تقصيرها وقرأ الزهري تقصروا بالتشديد والقصر ثابت بنص الكتاب في حال الخوف خاصة وهو قوله ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا
واما في حال الامن فبالسنة وفي قراءة عبد الله من الصلاة ان يفتنكم ليس فيها ان خفتم على انه مفعول له بمعنى كراهة ان يفتنكم والمراد بالفتنة القتال
والتعرض بما يكره * واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة تعلق بظاهره من لا يرى صلاة الخوف بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث شرط كونه فيهم وقال
من رآها بعده ان الائمة نواب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل عصر قوام بما كان يقوم به فكان الخطاب له متناولا لكل امام يكون حاضرا جماعة
في حال الخوف عليه ان يؤمهم كما امهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجماعات التي كان يحضرها والضمير في فيهم للخائفين * فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم
طائفتين فلتقم احداهما معك فصل بهم * وليأخذوا اسلحتهم الضمير اما للمصلين واما لغيرهم فان كان للمصلين فقالوا يأخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلاة
كالسيف والخنجر ونحوهما وان كان لغيرهم فلا كلام فيه * فاذا سجدوا فليكونوا يعني غير المصلين من ورائكم يحرسونكم * وصفة صلاة الخوف عند ابي
حنيفة ان يصلي الامام باحدى الطائفتين ركعة ان كانت الصلاة ركعتين والاخرى بازاء العدو ثم تنصرف هذه الى ازاء العدو وتأتي الاخرى فيصلي بها ركعة
ويتم صلاته ثم تعود الى ازاء العدو وتأتي الاولى فتؤدي الركعة بغير قراءة وتتم صلاتها ثم تحرس وتأتي الاخرى فتؤدي الركعة بقراءة وتتم صلاتها * والسجود
على ظاهره عند ابي حنيفة وعند مالك بمعنى الصلاة لان الامام يصلي عنده بطائفة ركعة ويقف قائما حتى تتم صلاتها وتسلم وتذهب وتأتي طائفة اخرى
لم يصلوا فليصلوا معك وقرئ وامتعاتكم فان قلت كيف جمع بين الاسلحة وبين الحذر في الاخذ قلت جعل الحذر وهو التحرز
والتيقظ آلة يستعملها الغازي فلذلك جمع بينه وبين الاسلحة في الاخذ وجعلا ماخوذين ونحوه قوله تعالى والذين تبوءو الدار والايمان جعل
الايمان مستقرا لهم ومتبوءا لتمكنهم فيه فلذلك جمع بينه وبين الدار في التبوء * فيميلون عليكم ميلة واحدة ورخص لهم في
وضع الاسلحة ان ثقل عليهم حملها بسبب ما يبلهم من مطر او يضعفهم من مرض وامرهم مع ذلك باخذ الحذر لئلا يغفلوا فيهجم عليهم العدو فان قلت
كيف طابق الامر بالحذر قوله ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا قلت الامر بالحذر من العدو يوهم توقع غلبته واعتزازه
فنفى عنهم ذلك الايهام باخبارهم ان الله يهين عدوهم ويخذله وينصرهم عليه لتقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحذر ليس لذلك وانما هو

تعبد من الله كما قال ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة، فإذا قضيتم الصلاة فإذا صليتم في حال الخوف والقتال فاذكروا الله فصلوها قياما
مسايفين ومقارعين وقعودا جاثين على الركب مرامين وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح فإذا اطمأننتم حين تضع الحرب أوزارها وأمنتم فأقيموا الصلاة فاقضوا
ما صليتم في تلك الأحوال التي هي أحوال القلق والانزعاج، إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا محدودا بأوقات لا يجوز إخراجها عن أوقاتها
على أي حال كنتم خوف أو أمن، وهذا ظاهر على مذهب الشافعي رحمه الله في إيجابه الصلاة على المحارب في حال المسايفة والمشي والاضطراب
في المعركة إذا حضر وقتها فإذا اطمأن فعليه القضاء وأما عند أبي حنيفة رحمه الله فهو معذور في تركها إلى أن يطمئن، وقيل معناه فإذا قضيتم صلاة
الخوف فأديموا ذكر الله مهللين مكبرين مسبحين داعين بالنصرة والتأييد في كافة أحوالكم من قيام وقعود واضطجاع فإن ما أنتم فيه من خوف وحرب جدير
بذكر الله ودعائه واللجأ إليه، فإذا اطمأننتم فإذا أقمتم فأقيموا الصلاة فأتموها، ولا تهنوا ولا تضعفوا ولا تتوانوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار
بالقتال والتعرض له، ثم ألزمهم الحجة بقوله إن تكونوا تألمون أي ليس ما تكابدون من الألم بالجرح والقتل مختصا بكم إنما هو أمر مشترك بينكم
وبينهم يصيبهم كما يصيبكم ثم إنهم يصبرون عليه ويتشجعون فما لكم لا تصبرون مثل صبرهم مع أنكم أولى منهم بالصبر لأنكم ترجون من الله ما لا يرجون من
إظهار دينكم على سائر الأديان ومن الثواب العظيم في الآخرة، وقرأ الأعرج أن تكونوا تألمون بفتح الهمزة بمعنى ولا تهنوا لأن تكونوا تألمون وقوله فإنهم
يألمون تعليل، وقرئ فإنهم تيلمون كما تيلمون، وروي أن هذا في بدر الصغرى كان بهم جراح فتواكلوا، إن الله كان عليما حكيما
لا يكلفكم شيئا ولا يأمركم ولا ينهاكم إلا لما هو عالم بأنه مصلحتكم، روي أن طعمة بن أبيرق أحد بني ظفر سرق درعا من جار له اسمه
قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين رجل من اليهود فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد
وحلف ما أخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى إلى منزل اليهودي فقال بنو ظفر انطلقوا بنا إلى رسول الله فسألوه
أن يجادل عن صاحبهم وقالوا إن لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله أن يفعل وأن يعاقب اليهودي وقيل هم أن يقطع يده
فنزلت، وروي أن طعمة هرب إلى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق أهله فسقط الحائط عليه فقتله، بما أراك الله بما عرفك
وأوحى به إليك، وعن عمر رضي الله عنه لا يقولن أحدكم قضيت بما أراني الله فإن الله لم يجعل ذلك إلا لنبيه ولكن ليجتهد رأيه لأن الرأي من
رسول الله كان مصيبا لأن الله كان يريه إياه وهو منا الظن والتكلف، ولا تكن للخائنين خصيما ولا تكن لأجل الخائنين مخاصما للبرآء يعني
لا تخاصم اليهود لأجل بني ظفر واستغفر الله مما هممت به من عقاب اليهودي، يختانون أنفسهم يخونونها بالمعصية كقوله علم الله أنكم
كنتم تختانون أنفسكم جعلت معصية العصاة خيانة منهم لأنفسهم كما جعلت ظلما لها لأن الضرر راجع إليهم، فإن قلت لم قيل
للخائنين ويختانون أنفسهم وكان السارق طعمة وحده قلت لوجهين أحدهما أن بني ظفر شهدوا له بالبراءة ونصروه وكانوا شركاء له
في الإثم، والثاني أنه جمع ليتناول طعمة وكل من خان خيانته فلا تخاصم لخائن قط ولا تجادل عنه، فإن قلت لم قيل خوانا
أثيما على المبالغة قلت كان الله عالما من طعمة بالإفراط في الخيانة وركوب المآثم ومن كانت تلك خاتمة أمره لم يشك في حاله
وقيل إذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم أن لها أخوات، وعن عمر رضي الله عنه أنه أمر بقطع يد سارق فجاءت أمه تبكي وتقول هذه أول
سرقة سرقها فاعف عنه فقال كذبت إن الله لا يؤاخذ عبده في أول مرة، يستخفون يستترون من الناس حياء منهم وخوفا من
ضررهم ولا يستحيون من الله ولا يستخفون منه، وهو معهم وهو عالم بهم مطلع عليهم لا يخفى عليه خاف من سرهم وكفى بهذه الآية ناعية على
الناس ما هم فيه من قلة الحياء والخشية من ربهم مع علمهم إن كانوا مؤمنين أنهم في حضرته لا سترة ولا غفلة ولا غيبة وليس إلا الكشف الصريح
والافتضاح، إذ يبيتون يدبرون ويزورون وأصله أن يكون بالليل، ما لا يرضى من القول وهو تدبير طعمة أن يرمي بالدرع في دار زيد
ليسرق دونه ويحلف أنه بريء منه، فإن قلت كيف سمي التدبير قولا وإنما هو معنى في النفس، قلت لما حدث بذلك نفسه سمي قولا على المجاز
ويجوز أن يراد بالقول الحلف الكاذب الذي حلف به بعد أن بيته وتوريكه الذنب على اليهودي، ها أنتم هؤلاء ها للتنبيه في أنتم
وأولاء وهما مبتدأ وخبر وجادلتم جملة مبينة لوقوع أولاء خبرا كما تقول لبعض الأسخياء أنت حاتم تجود بمالك وتؤثر على نفسك ويجوز أن
يكون أولاء اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم صلته، والمعنى هبوا أنكم خاصمتم عن طعمة وقومه في الدنيا فمن يخاصم عنهم في الآخرة إذا أخذهم
الله بعذابه، وقرأ عبد الله عنه أي عن طعمة، وكيلا حافظا ومحاميا من بأس الله وانتقامه، ومن يعمل سوءا قبيحا متعديا يسوء به غيره

كما

كما فعل طعمة بقتادة واليهودي، أو يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب، وقيل ومن يعمل سوءا من ذنب دون الشرك أو يظلم
نفسه بالشرك، وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة لتلزمه الحجة مع العلم بما يكون منه، أو لقومه لما فرط منهم من نصرته والذب عنه،
فإنما يكسبه على نفسه أي لا يتعداه ضرره إلى غيره فليبق على نفسه من كسب السوء، خطيئة صغيرة أو إثما أو كبيرة، ثم يرم به بريئا
كما رمى طعمة زيدا، فقد احتمل بهتانا وإثما لأنه بكسب الإثم آثم وبرمي البريء باهت فهو جامع بين الأمرين، وقرأ معاذ بن جبل رضي الله
عنه ومن يكسب بكسر الكاف والسين المشددة وأصله يكتسب، ولولا فضل الله عليك ورحمته أي عصمته وألطافه وما أوحى إليك من
الاطلاع على سرهم، لهمت طائفة منهم من بني ظفر أن يضلوك عن القضاء بالحق وتوخي طريق العدل مع علمهم بأن الجاني هو صاحبهم فقد
روي أن ناسا منهم كانوا يعلمون كنه القصة، وما يضلون إلا أنفسهم لأن وباله عليهم، وما يضرونك من شيء لأنك إنما عملت بظاهر
الحال وما كان يخطر ببالك أن الحقيقة على خلاف ذلك، وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الأمور وضمائر القلوب أو من أمور الدين والشرائع
ويجوز أن يراد بالطائفة بنو ظفر ويرجع الضمير في منهم إلى الناس وقيل الآية في المنافقين، لا خير في كثير من نجواهم من تناجي الناس إلا نجوى
من أمر بصدقة أو إلا نجوى من أمر على أنه مجرور بدل من كثير كما تقول لا خير في قيامهم إلا قيام زيد ويجوز أن يكون منصوبا على الانقطاع
بمعنى ولكن من أمر بصدقة ففي نجواه الخير، وقيل المعروف القرض وقيل إغاثة الملهوف وقيل هو عام في كل جميل، ويجوز أن يراد بالصدقة
الواجب وبالمعروف ما يتصدق به على سبيل التطوع، وعن النبي صلى الله عليه وسلم كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا ما كان من أمر بمعروف
أو نهي عن منكر أو ذكر الله، وسمع سفيان رجلا يقول ما أشد هذا الحديث فقال ألم تسمع الله يقول لا خير في كثير من نجواهم فهو هذا
بعينه أو ما سمعته يقول والعصر إن الإنسان لفي خسر فهو هذا بعينه، وشرط في استيجاب الأجر العظيم أن ينوي فاعل الخير عبادة الله والتقرب
به إليه وأن يبتغي به وجهه خالصا لأن الأعمال بالنيات، فإن قلت كيف قال إلا من أمر ثم قال ومن يفعل ذلك، قلت قد ذكر
الأمر بالخير ليدل به على فاعله لأنه إذا دخل الآمر به في زمرة الخيرين كان الفاعل فيهم أدخل، ثم قال ومن يفعل ذلك فذكر الفاعل وقرن به
الوعد بالأجر العظيم ويجوز أن يراد ومن يأمر بذلك فعبر عن الأمر بالفعل كما يعبر به عن سائر الأفعال، وقرئ نؤتيه بالياء، ويتبع غير
سبيل المؤمنين وهو السبيل الذي هم عليه من الدين الحنيفي القيم، وهو دليل على أن الإجماع حجة لا تجوز مخالفتها كما لا تجوز مخالفة الكتاب
والسنة لأن الله عز وعلا جمع بين اتباع غير سبيل المؤمنين وبين مشاقة الرسول في الشرط وجعل جزاءه الوعيد الشديد فكان اتباعهم واجبا
كموالاة الرسول، نوله ما تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال بأن نخذله ونخلي بينه وبين ما اختاره، ونصله جهنم وقرئ ونصله بفتح
النون من صلاه، وقيل هي في طعمة وارتداده وخروجه إلى مكة، إن الله لا يغفر أن يشرك به تكرير للتأكيد وقيل كرر لقصة طعمة
وروي أنه مات مشركا، وقيل جاء شيخ من العرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني شيخ منهمك في الذنوب إلا أني لم أشرك بالله شيئا منذ عرفته
وآمنت به ولم أتخذ من دونه وليا ولم أوقع المعاصي جرأة على الله وما توهمت طرفة عين أني أعجز الله هربا وإني لنادم تائب مستغفر
فما ترى حالي عند الله فنزلت، وهذا الحديث ينصر قول من فسر من يشاء بالتائب من ذنبه، إلا إناثا هي اللات والعزى ومناة وعن الحسن لم يكن حي
من أحياء العرب إلا ولهم صنم يعبدونه يسمونه أنثى بني فلان، وقيل كانوا يقولون في أصنامهم هن بنات الله، وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة
بنات الله، وقرئ أنثا جمع أنيث أو إناث وقرئ أنثا وأثنا بالتخفيف والتثقيل جمع وثن كقولك أسد وأسد وأسد وقلب الواو ألفا
نحو أجوه في وجوه وقرأت عائشة رضي الله عنها أوثانا، وإن يدعون وإن يعبدون بعبادة الأصنام إلا شيطانا لأنه الذي أغراهم على عبادتها
فأطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة، لعنه الله وقال لأتخذن صفتان بمعنى شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع،
نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا فرضته لنفسي من قولهم فرض له في العطاء وفرض الجند رزقه، كل ألف تسعمائة وتسعة
وتسعين إلى النار، ولأمنينهم الأماني الباطلة من طول الأعمار وبلوغ الآمال ورحمة الله للمجرمين بغير توبة والخروج من النار بعد
دخولها بالشفاعة وغير ذلك، وبتكهم الآذان فعلهم بالبحائر كانوا يشقون أذن الناقة إذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس
ذكرا وحرموا على أنفسهم الانتفاع بها، وتغييرهم خلق الله فقء عين الحامي وإعفاؤه عن الركوب، وقيل الخصاء وهو في قول عامة
العلماء مباح في البهائم وأما في بني آدم فمحظور، وعند أبي حنيفة يكره شرى الخصيان وإمساكهم واستخدامهم لأن الرغبة فيهم تدعو

الخصاء وهو فطرة الله التي هي دين الإسلام وقيل للحسن إن عكرمة يقول هو الخصاء فقال كذب عكرمة هو دين الله وعن ابن مسعود هو الوشم وعنه
لعن الله الواشرات والمتنمصات والمستوشمات المغيرات خلق الله وقيل التخنث. وعد الله حقا مصدران الأول مؤكد لنفسه والثاني
مؤكد لغيره. ومن أصدق من الله قيلا توكيد ثالث بليغ. فإن قلت ما فائدة هذه التوكيدات قلت معارضة مواعيد الشيطان
الكاذبة وأمانيه الباطلة لقرنائه بوعد الله الصادق لأوليائه ترغيبا للعباد في إيثار ما يستحقون به تنجز وعد الله على ما يتجرعون
في عاقبته غصص إخلاف مواعيد الشيطان. ليس بأمانيكم في ليس ضمير وعد الله أي ليس ينال ما وعد الله من الثواب بأمانيكم ولا بأماني أهل الكتاب
والخطاب للمسلمين لأنه لا يتمنى وعد الله إلا من آمن به وكذلك ذكر أهل الكتاب معهم لمشاركتهم لهم في الإيمان بوعد الله وعن مسروق
والسدي هي في المسلمين وعن الحسن ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل إن قوما ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من
الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا لو أحسنوا الظن به لأحسنوا العمل وقيل إن المسلمين وأهل الكتاب افتخروا
فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم وقال المسلمون نحن أولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على
الكتب التي كانت قبله ويحتمل أن يكون الخطاب للمشركين لقولهم إن كان الأمر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم وأحسن حالا
لأوتين مالا وولدا إن لي عنده للحسنى وكان أهل الكتاب يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه لن تمسنا النار إلا أياما معدودة ويعضده
تقدم ذكر أهل الشرك قبله وعن مجاهد إن الخطاب للمشركين. قوله من يعمل سوءا يجز به وقوله ومن يعمل من الصالحات بعد ذكر
تمني أهل الكتاب نحو قوله بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته وقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات عقيب قوله وقالوا لن
تمسنا النار إلا أياما معدودة ولما أبطل الله الأماني وأثبت أن الأمر كله معقود بالعمل وأن من أصلح عمله فهو الفائز ومن أساء عمله
فهو الهالك تبين الأمر ووضح ووجب قطع الأماني وحسم المطامع والإقبال على العمل الصالح ولكنه نصح لا تعيه الآذان ولا تلقي إليه
الأذهان. فإن قلت ما الفرق بين من الأولى والثانية قلت الأولى للتبعيض أراد ومن يعمل بعض الصالحات لأن كلا لا يتمكن
من كل الصالحات لاختلاف الأحوال وإنما يعمل منها ما هو تكليفه وفي وسعه وكم من مكلف لا حج عليه ولا جهاد ولا زكاة وتسقط عنه
الصلاة في بعض الأحوال والثانية لتبيين الإبهام في ومن يعمل. فإن قلت كيف خص الصالحون بأنهم لا يظلمون وغيرهم مثلهم في ذلك قلت
فيه وجهان أحدهما أن يكون الراجع في ولا يظلمون لعمال السوء وعمال الصالحات جميعا والثاني أن يكون ذكره عند أحد الفريقين دالا على ذكره
عند الآخر لأن كلا الفريقين مجزيون بأعمالهم لا تفاوت بينهم ولأن ظلم المسيء أن يزاد في عقابه وأرحم الراحمين معلوم أنه لا يزيد في عقاب
المجرم فكان ذكره مستغنى عنه وأما المحسن فله ثواب وتوابع للثواب من فضل الله هي في حكم الثواب فجاز أن ينقص من الفضل لأنه ليس بواجب
فكان نفي الظلم دلالة على أنه لا يقع نقصان في الفضل. أسلم وجهه لله أخلص نفسه لله وجعلها سالمة له لا يعرف لها ربا ولا معبودا سواه.
وهو محسن وهو عامل للحسنات تارك للسيئات. حنيفا حال من المتبع أو من إبراهيم كقوله ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين وهو الذي تحنف
أي مال عن الأديان كلها إلى دين الإسلام. واتخذ الله إبراهيم خليلا مجاز عن اصطفائه واختصاصه بكرامة تشبه كرامة الخليل
عند خليله والخليل المخال وهو الذي يخالك أي يوافقك في خلالك أو يسايرك في طريقك من الخل وهو الطريق في الرمل أو يسد خللك
كما تسد خلله أو يداخلك خلال منازلك وحجبك. فإن قلت ما موقع هذه الجملة قلت هي جملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب
كنحو ما يجيء في الشعر من قولهم والحوادث جمة فائدتها تأكيد وجوب اتباع ملته لأن من بلغ من الزلفى عند الله أن اتخذه خليلا كان
جديرا بأن تتبع ملته وطريقته ولو جعلتها معطوفة على الجملة قبلها لم يكن لها معنى. وقيل إن إبراهيم عليه السلام بعث إلى خليل له بمصر في أزمة
أصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان إبراهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت ولكنه يريدها للأضياف فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة
فملؤوا منها الغرائر حياء من الناس فلما أخبروا إبراهيم ساءه الخبر فحملته عيناه وعمدت امرأته إلى غرارة منها فأخرجت أحسن حوارى واختبزت
واستنبه إبراهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من أين لكم فقالت امرأته من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله فسماه الله خليلا. ولله ما في
السموات وما في الأرض متصل بذكر العمال الصالحين والطالحين ومعناه أن له ما في السموات والأرض فطاعته واجبة عليهم وكان الله بكل شيء
محيطا فكان عالما بأعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها فعليهم أن يختاروا لأنفسهم ما هو أصلح لها. وما يتلى في محل الرفع أي الله يفتيكم والمتلو في الكتاب
في

في معنى اليتامى يعني قوله وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى وهو من قولك أعجبني زيد وكرمه ويجوز أن يكون وما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب
خبره على أنها جملة معترضة والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ تعظيما للمتلو وأن العدل والنصفة في حقوق اليتامى من عظائم الأمور المرفوعة
الدرجات عند الله التي تجب مراعاتها والمحافظة عليها والمخل بها ظالم متهاون بما عظمه الله ونحوه في تعظيم القرآن وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي
حكيم ويجوز أن يكون مجرورا على القسم كأنه قيل قل الله يفتيكم فيهن وأقسم بما يتلى عليكم في الكتاب والقسم أيضا لمعنى التعظيم وليس بسديد أن
يعطف على المجرور في فيهن لاختلاله من حيث اللفظ والمعنى. فإن قلت بم تعلق قوله في يتامى النساء قلت في الوجه الأول هو صلة
يتلى أي يتلى عليكم في معناهن ويجوز أن يكون في يتامى النساء بدلا من فيهن وأما في الوجهين الآخرين فبدل لا غير. فإن قلت الإضافة في يتامى النساء
ما هي قلت إضافة بمعنى من كقولك عندي سحق عمامة وقرئ في ييامى النساء بيائين على قلب همزة أيامى ياء. لا تؤتونهن
ما كتب الله لهن أي فرض لهن من الميراث وكان الرجل منهم يضم اليتيمة إلى نفسه ومالها فإن كانت جميلة تزوجها وأكل المال وإن كانت دميمة عضلها
عن التزوج حتى تموت فيرثها. وترغبون أن تنكحوهن يحتمل في أن تنكحوهن لجمالهن وعن أن تنكحوهن لدمامتهن وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
كان إذا جاءه ولي اليتيمة نظر فإن كانت جميلة غنية قال زوجها غيرك والتمس لها من هو خير منك وإن كانت دميمة ولا مال لها قال تزوجها فأنت
أحق بها. والمستضعفين مجرور معطوف على يتامى النساء وكانوا في الجاهلية إنما يورثون الرجال القوام بالأمور دون الأطفال والنساء ويجوز أن
يكون خطابا للأوصياء كقوله ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب وأن تقوموا مجرور كالمستضعفين بمعنى يفتيكم في يتامى النساء وفي المستضعفين
وفي أن تقوموا ويجوز أن يكون منصوبا بمعنى ويأمركم أن تقوموا وهو خطاب للأئمة في أن ينظروا لهم ويستوفوا لهم حقوقهم ولا يخلوا أحدا يهتضمهم. خافت
من بعلها توقعت منه ذلك لما لاح لها من مخايله وأماراته والنشوز أن يتجافى عنها بأن يمنعها نفسه ونفقته والمودة والرحمة التي بين الرجل والمرأة وأن يؤذيها
بسب أو ضرب والإعراض أن يعرض عنها بأن يقل محادثتها ومؤانستها وذلك لبعض الأسباب من طعن في سن أو دمامة أو شيء في خلق أو خلق أو ملال أو
طموح عين إلى أخرى أو غير ذلك فلا بأس بهما في أن يصلحا بينهما وقرئ يصالحا ويصطلحا بمعنى يتصالحا ويصطلحا ونحو أصلح أصبر في اصطبر
صلحا في معنى مصدر كل واحد من الأفعال الثلاثة ومعنى الصلح أن يتصالحا على أن تطيب له نفسا عن القسمة أو عن بعضها كما فعلت سودة بنت
زمعة حين كرهت أن يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفت مكان عائشة من قلبه فوهبت لها يومها وكما روي أن امرأة أراد زوجها أن يطلقها
لرغبته عنها وكان لها منه ولد فقالت لا تطلقني ودعني أقوم على ولدي وتقسم لي في كل شهرين فقال إن كان هذا يصلح فهو أحب إلي فأقرها. أو تهب له
بعض المهر أو كله أو النفقة فإن لم تفعل فليس له إلا أن يمسكها بإحسان أو يسرحها. والصلح خير من الفرقة أو من النشوز والإعراض وسوء
العشرة أو هو خير من الخصومة في كل شيء أو الصلح خير من الخيور كما أن الخصومة شر من الشرور وهذه الجملة اعتراض وكذلك قوله وأحضرت
الأنفس الشح ومعنى إحضار الأنفس الشح أن الشح جعل حاضرا لها لا يغيب عنها أبدا ولا ينفك عنها يعني أنها مطبوعة عليه والغرض أن المرأة لا تكاد تسمح
بقسمتها وبغير قسمتها والرجل لا تكاد نفسه تسمح بأن يقسم لها وأن يمسكها إذا رغب عنها وأحب غيرها. وإن تحسنوا بالإقامة على نسائكم وإن
كرهتموهن وأحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبة وتتقوا النشوز والإعراض وما يؤدي إلى الأذى والخصومة فإن الله كان بما تعملون
من الإحسان والتقوى خبيرا وهو يثيبكم عليه وكان عمران بن حطان الخارجي من أدم بني آدم وامرأته من أجملهم فأجالت في وجهه نظرها يوما
ثم تابعت الحمد لله فقال ما لك فقالت حمدت الله على أني وإياك من أهل الجنة قال كيف قالت لأنك رزقت مثلي فشكرت ورزقت مثلك فصبرت
وقد وعد الله عباده الشاكرين والصابرين. ولن تستطيعوا ومحال أن تستطيعوا العدل بين النساء والتسوية حتى لا يقع ميل البتة ولا
زيادة ولا نقصان فيما يجب لهن فرفع لذلك عنكم تمام العدل وغايته وما كلفتم منه إلا ما تستطيعون بشرط أن تبذلوا فيه وسعكم وطاقتكم بلغ
لأن تكليف ما لا يستطاع داخل في حد الظلم وما ربك بظلام للعبيد وقيل معناه أن تعدلوا في المحبة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقسم بين نسائه
فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك يعني المحبة لأن عائشة رضي الله عنها كانت أحب إليه وقيل إن العدل بينهن أمر صعب
بالغ في الصعوبة حدا يوهم أنه غير مستطاع لأنه يجب أن يسوي بينهن في القسمة والنفقة والتعهد والنظر والإقبال والممالحة والمفاكهة
والمؤانسة وغيرها مما لا يكاد الحصر يأتي من ورائه فهو كالخارج من حد الاستطاعة هذا إذا كن محبوبات كلهن فكيف إذا مال القلب مع بعضهن.
فلا تميلوا كل الميل فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمتها من غير رضى منها يعني أن اجتناب كل الميل مما هو في حد اليسر

فلا تفرطوا فيه ان وقع منكم التفريط في العدل كله وفيه ضرب من التوبيخ فتذروها كالمعلقة وهي التي ليست بذات بعل ولا مطلقة
قال: هل هي الا حظة او تطليق او صلف او بين ذاك تعليق. وفي قراءة أبي فتذروها كالمسجونة. وفي الحديث من كانت له امرأتان
يميل مع احداهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل. وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث الى ازواج رسول الله بمال فقالت عائشة الى كل
ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عمر مثل هذا قالوا لا بعث الى القرشيات بمثل هذا والى غيرهن بغيره فقالت ارفع راسك فان رسول الله
كان يعدل بيننا في القسمة بماله ونفسه فرجع الرسول فاخبره فاتم لهن جميعا وكان لمعاذ امرأتان فاذا كان عند احداهما لم يتوضأ عند الاخرى
فماتتا في الطاعون فدفنهما في قبر واحد. وان تصلحوا ما مضى من ميلكم وتتداركوه بالتوبة وتتقوا فيما تستقبل غفر الله لكم وقرئ وان يتفارقا
بمعنى وان يفارق كل واحد منهما صاحبه. يغن الله كلا من سعته يرزقه زوجا خيرا من زوجه وعيشا اهنأ من عيشه والسعة الغنى والمقدرة
والواسع الغني المقتدر. من قبلكم متعلق بوصينا او باوتوا. واياكم عطف على الذين اوتوا الكتاب والكتاب اسم للجنس يتناول الكتب السماوية
ان اتقوا الله ... ان المفسرة لان التوصية في معنى القول. وقوله وان تكفروا عطف على اتقوا لان المعنى امرناهم وامرناكم بالتقوى وقلنا لهم
ولكم ان تكفروا فان لله والمعنى ان لله الخلق كله وهو خالقهم ومالكهم والمنعم عليهم باصناف النعم كلها فحقه ان يكون مطاعا في خلقه غير معصي يتقون عقابه
ويرجون ثوابه. ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من الامم السالفة ووصيناكم ان اتقوا الله يعني انها وصية قديمة ما زال يوصي الله بها عباده لستم بها مخصوصين
لانهم بالتقوى يسعدون عنده وبها ينالون النجاة في العاقبة وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله في سمواته وارضه من الملائكة والثقلين من يوحده ويعبده ويتقيه
وكان الله مع ذلك غنيا عن خلقه وعن عبادتهم جميعا مستحقا لان يحمد لكثرة نعمه وان لم يحمده احد منهم وتكرير قوله لله ما في السموات وما في الارض تقرير لما
هو موجب تقواه ليتقوه فيطيعوه ولا يعصوه لان الخشية والتقوى اصل الخير كله. ان يشأ يذهبكم يفنكم ويعدمكم كما اوجدكم وانشأكم
ويأت بآخرين ويوجد انسا آخرين مكانكم او خلقا آخرين غير الانس وكان الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا بليغ القدرة لا يمتنع عليه شيء اراده
وهذا غضب عليهم وتخويف وبيان لاقتداره وقيل هو خطاب لمن كان يعادي رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب اي ان يشأ يمتكم ويأت باناس آخرين يوالونه
ويروى انها لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد ابناء فارس. من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد
يريد بجهاده الغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والاخرة فما له يطلب احدهما دون الاخر والذي يطلبه اخسهما لان من جاهد لله خالصا لم تخطئه الغنيمة
وله من ثواب الاخرة ما الغنيمة الى جنبه كلا شيء والمعنى فعند الله ثواب الدنيا والاخرة له ان اراده حتى يتعلق الجزاء بالشرط. قوامين بالقسط
مجتهدين في اقامة العدل حتى لا تجوروا. شهداء لله تقيمون شهاداتكم لوجه الله كما امرتم باقامتها ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم او آبائكم
واقاربكم فان قلت الشهادة على الوالدين والاقربين ان يقول اشهد ان لفلان على والدي كذا او على اقاربي فما معنى الشهادة على نفسه قلت هي الاقرار
على نفسه لانه في معنى الشهادة عليها بالزام الحق لها ويجوز ان يكون المعنى وان كانت الشهادة وبالا عليكم او على آبائكم واقاربكم وذلك ان يشهد على من يتوقع ضرره
من سلطان ظالم او غيره. ان يكن ان يكن المشهود عليه غنيا فلا يمنع الشهادة عليه لغناه طلبا لرضاه او فقيرا فلا يمنعها ترحما عليه فالله اولى بهما
بالغني والفقير اي بالنظر لهما وارادة مصلحتهما ولولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها لانه انظر لعباده من كل ناظر فان قلت لم ثنى الضمير
في اولى بهما وكان حقه ان يوحد لان قوله ان يكن غنيا او فقيرا في معنى ان يكن احد هذين قلت قد رجع الضمير الى ما دل عليه قوله ان يكن غنيا او فقيرا
لا الى المذكور فلذلك ثني ولم يفرد وهو جنس الغني وجنس الفقير كانه قيل فالله اولى بجنسي الغني والفقير اي بالاغنياء والفقراء وفي قراءة ابي
فالله اولى بهم وهي شاهدة على ذلك وقرأ عبد الله ان يكن غني او فقير على كان التامة. ان تعدلوا يحتمل العدل والعدول كانه قيل فلا تتبعوا الهوى
كراهة ان تعدلوا بين الناس او ارادة ان تعدلوا عن الحق وان تلووا او تعرضوا وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل او تعرضوا عن
الشهادة بما عندكم وتمنعوها وقرئ وان تلوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة او اعرضتم عن اقامتها فان الله كان بما تعملون خبيرا وبمجازيكم عليه
يا ايها الذين آمنوا خطاب للمسلمين ومعنى آمنوا اثبتوا على الايمان وداوموا عليه وازدادوه والكتاب الذي انزل من قبل المراد جنس ما انزل على الانبياء
قبله من الكتب والدليل عليه قوله وكتبه وقرئ وكتابه على ارادة الجنس وقرئ نزل وانزل على البناء للمفعول وقيل الخطاب لاهل الكتاب
لانهم آمنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض وروي انه لعبد الله بن سلام واسد واسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس وسلام ابن اخت عبد الله بن سلام
وسلمة بن اخيه ويامين بن يامين اتوا رسول الله وقالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال

عليه السلام

عليه السلام بل آمنوا بالله ورسوله محمد وكتابه القرآن وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت فآمنوا كلهم وقيل هو للمنافقين كانه
قيل يا ايها الذين آمنوا نفاقا آمنوا اخلاصا فان قلت كيف قيل لاهل الكتاب والكتاب الذي انزل من قبل وكانوا مؤمنين بالتوراة والانجيل
قلت كانوا مؤمنين بهما فحسب وما كانوا مؤمنين بكل ما انزل من الكتب فامروا ان يؤمنوا بالجنس كله ولان ايمانهم ببعض الكتب لا يصح
ايمانا به لان طريق الايمان به هو المعجزة ولا اختصاص لها ببعض الكتب دون بعض فلو كان ايمانهم بما آمنوا به لاجل المعجزة لآمنوا به كله فحين
آمنوا ببعضه علم انهم لم يعتبروا المعجزة فلم يكن ايمانهم ايمانا وهذا الذي اراد عز وجل في قوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون
ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا فان قلت لم قيل نزل على رسوله وانزل من قبل قلت لان القرآن نزل
مفرقا منجما في عشرين سنة بخلاف الكتب قبله ومعنى قوله ومن يكفر بالله ومن يكفر بشيء من ذلك فقد ضل لان الكفر ببعضه كفر بكله
الا ترى كيف قدم الايمان به جميعا. لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا نفي للغفران والهداية وهي اللطف على سبيل المبالغة التي يعطيها
اللام والمراد بنفيهما نفي ما يقتضيهما وهو الايمان الخالص الثابت والمعنى ان الذين تكرر منهم الارتداد وعهد منهم ازدياد الكفر والاصرار عليه
يستبعد منهم ان يحدثوا ما يستحقون به المغفرة ويستوجبون به اللطف من ايمان صحيح ثابت يرضاه الله لان قلوب اولئك الذين هذا ديدنهم
قلوب قد ضربت بالكفر ومرنت على الردة وكان الايمان اهون شيء عندهم وادونه حيث يبدو لهم فيه كرة بعد اخرى وليس المعنى انهم لو
اخلصوا الايمان بعد تكرار الردة ونصحت توبتهم لم يقبل منهم ولم يغفر لهم لان ذلك مقبول حيث هو بذل للطاقة واستفراغ للوسع ولكنه
استبعاد له واستغراب وانه امر لا يكاد يكون وهكذا نرى الفاسق الذي يتوب ثم يرجع ثم يتوب ثم يرجع لا يكاد يرجى منه الثبات
والغالب انه يموت على شر حالة واسمج صورة وقيل هم اليهود آمنوا بالتوراة وبموسى ثم كفروا بالعجل وعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد
صلى الله عليه وسلم. بشر المنافقين وضع بشر مكان اخبر تهكما بهم. والذين نصب على الذم او رفع بمعنى اريد الذين او هم الذين وكانوا
يمايلون الكفرة ويوالونهم ويقول بعضهم لبعض لا يتم امر محمد فتولوا اليهود. فان العزة لله جميعا يريد لاوليائه الذين كتب لهم العز والغلبة
على اليهود وغيرهم وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين. ان اذا سمعتم هي ان المخففة من الثقيلة والمعنى انه اذا سمعتم اي نزل عليكم ان الشأن
كذا والشأن ما افادته الجملة بشرطها وجزائها وان مع ما في حيزها في موضع الرفع بنزل او في موضع النصب بنزل فيمن قرأ به والمنزل
عليهم في الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وذلك ان المشركين كانوا
يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم فيستهزئون به فنهى المسلمون عن القعود معهم ما داموا خائضين فيه وكان احبار اليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل
المشركين فنهوا ان يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة وكان الذين يقعدون مع الخائضين في القرآن من الاحبار هم المنافقون فقيل
لهم انكم اذا مثل الاحبار في الكفر. ان الله جامع المنافقين والكافرين يعني القاعدين والمقعود معهم فان قلت الضمير في قوله فلا تقعدوا
معهم الى من يرجع قلت الى ما دل عليه قوله يكفر بها ويستهزأ بها كانه قيل فلا تقعدوا مع الكافرين بها والمستهزئين بها فان قلت
لم يكونون مثلهم بالمجالسة اليهم في وقت الخوض قلت لانهم اذا لم ينكروا عليهم كانوا راضين والراضي بالكفر كافر فان قلت فهلا
كان المسلمون بمكة حين كانوا يجالسون الخائضين من المشركين منافقين قلت لانهم كانوا لا ينكرون لعجزهم وهؤلاء لم ينكروا مع قدرتهم
فكان ترك الانكار لرضاهم. الذين يتربصون بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين او نصب على الذم منهم. يتربصون بكم اي ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من ظفر
او اخفاق. الم نكن معكم مظاهرين فاسهموا لنا في الغنيمة. الم نستحوذ عليكم الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم فابقينا عليكم ونمنعكم من
المسلمين بان ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم ومرضوا في قتالكم وتوانينا في مظاهرتهم عليكم فهاتوا نصيبا لنا مما اصبتم وقرئ
ونمنعكم بالنصب باضمار ان قال الحطيئة: ألم أك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء. فان قلت لم سمي ظفر المسلمين فتحا وظفر شعر
الكافرين نصيبا قلت تعظيما لشأن المسلمين وتخسيسا لحظ الكافرين لان ظفر المسلمين امر عظيم تفتح لهم ابواب السماء حتى ينزل على اوليائه
واما ظفر الكافرين فما هو الا حظ دني ولمظة من الدنيا يصيبونها. يخادعون الله يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان وابطان الكفر
وهو خادعهم وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم معصومي الدماء والاموال في الدنيا واعد لهم الدرك الاسفل من النار في الاخرة ولم يخلهم
في العاجل من فضيحة واحلال باس ونقمة ورعب دائم والخادع اسم فاعل من خادعته فخدعته اذا غلبته وكنت اخدع منه وقيل يعطون على الصراط

نورا كما يعطي المؤمنين فيمضون معهم ثم يطفأ نورهم ويبقى نور المؤمنين فينادون انظرونا نقتبس من نوركم • كسالى قرئ بضم الكاف وفتحها جمع كسلان كسكارى في سكران أي يقومون متثاقلين متقاعسين كما ترى من يفعل شيئا على كره لا عن طيبة نفس ورغبة يراءون الناس يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة ولا يذكرون الله إلا قليلا • ولا يصلون إلا قليلا لأنهم لا يصلون قط غائبين عن عيون الناس إلا ما يجاهرون به وما يجاهرون به قليل أيضا لأنهم لا يجدون مندوحة من تكلف ما ليس في قلوبهم لم يتكلفوه • أو ولا يذكرون الله بالتسبيح والتهليل إلا ذكرا قليلا في الندرة وهكذا ترى كثيرا من المتظاهرين بالإسلام لو صحبته الأيام والليالي لم تسمع منه تهليلة ولا تسبيحة ولا تحميدة ولكن حديث الدنيا يستغرق به أوقاته لا يفتر عنه ويجوز أن يراد بالقلة العدم فإن قلت ما معنى المراءاة وهي مفاعلة من الرؤية قلت فيها وجهان أحدهما أن المرائي يريهم عمله وهم يرونه استحسانه والثاني أن تكون من المفاعلة بمعنى التفعيل فيقال راءى الناس بمعنى رأى كقولك نعمه وناعمه وفنقه وفانقه وعيش مفانق وروى أبو زيد رأت المرأة الرجل إذا أمسكتها لترى وجهها ويدل عليه قراءة ابن أبي إسحق يرؤونهم بهمزة مشددة مثل يرعونهم أي يبصرونهم أعمالهم ويراءونهم كذلك • مذبذبين إما حال من قوله ولا يذكرون عن واو يراءون أي يراءونهم غير ذاكرين مذبذبين أو منصوب على الذم والمعنى ذبذبهم الشيطان والهوى بين الإيمان والكفر فهم مترددون بينهما متحيرون وحقيقة المذبذب الذي يذب عن كلا الجانبين أي يذاد ويدفع فلا يقر في جانب واحد كما قيل فلان يرمى به الرجوان إلا أن الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب كأن المعنى كلما مال إلى جانب ذب عنه وقرأ ابن عباس مذبذبين بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم أو دينهم أو رأيهم أو بمعنى يتذبذبون كما جاء صلصل وتصلصل بمعنى وفي مصحف عبد الله متذبذبين وعن أبي جعفر مدبدبين بالدال غير المعجمة وكأن المعنى أخذ بهم تارة في دبة وتارة في دبة فليسوا بماضين على دبة واحدة والدبة الطريقة ومنها دعني ودبتي ذلك إشارة إلى الكفر والإيمان لا إلى هؤلاء لا منسوبين إلى هؤلاء فيكونوا مؤمنين ولا إلى هؤلاء ولا منسوبين إلى هؤلاء فيسمون كفارا • لا تتخذوا الكافرين أولياء لا تتشبهوا بالمنافقين في اتخاذهم اليهود وغيرهم من أعداء الإسلام أولياء • سلطانا مبينا حجة بينة يعني أن موالاة الكافرين بينة على النفاق وعن صعصعة بن صوحان أنه قال لابن أخ له خالص المؤمن وخالق الكافر والفاجر فإن الفاجر يرضى منك بالخلق الحسن وإنه يحق عليك أن تخالص المؤمن • الدرك الأسفل الطبق الذي في قعر جهنم والنار سبع دركات سميت بذلك لأنها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وقرئ بسكون الراء والوجه التحريك لقولهم أدراك جهنم فإن قلت لم كان المنافق أشد عذابا من الكافر قلت لأنه مثله في الكفر وضم إلى كفره الاستهزاء بالإسلام وأهله ومداجاتهم • وأصلحوا ما أفسدوا من أسرارهم وأحوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله ووثقوا به كما يثق المؤمنون الخلص وأخلصوا دينهم لله لا يبتغون بطاعاتهم إلا وجهه • فأولئك مع المؤمنين فهم أصحاب المؤمنين ورفقاؤهم في الدارين • وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما فيشاركونهم فيه ويساهمونهم فإن قلت من المنافق قلت هو في الشريعة من أظهر الإيمان وأبطن الكفر وأما تسمية من ارتكب ما يفسق به بالمنافق فللتغليظ كقوله من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر ومنه قوله عليه السلام ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان وقيل لحذيفة رضي الله عنه من المنافق فقال الذي يصف الإسلام ولا يعمل به وقيل لابن عمر ندخل على السلطان ونتكلم بكلام فإذا خرجنا تكلمنا بخلافه فقال كنا نعده من النفاق وعن الحسن أتى على النفاق زمان وهو مقروع فيه فأصبح وقد عمم وقلد وأعطي سيفا يعني الحجاج **ما يفعل الله بعذابكم** أيتشفى من الغيظ أم يدرك به الثأر أم يستجلب به نفعا أو يستدفع به ضررا كما يفعل الملوك بعذابهم وهو الغني الذي لا يجوز عليه شيء من ذلك وإنما هو أمر أوجبته الحكمة أن يعاقب المسيء فإن قمتم بشكر نعمته وآمنتم به فقد أبعدتم عن أنفسكم استحقاق العذاب • وكان الله شاكرا مثيبا موفيا أجوركم عليما بحق شكركم وإيمانكم فإن قلت لم قدم الشكر على الإيمان قلت لأن العاقل ينظر إلى ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكرا مبهما فإذا انتهى به النظر إلى معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكرا مفصلا فكان الشكر متقدما على الإيمان وكأنه أصل التكليف ومداره • إلا من ظلم إلا جهر من ظلم استثني من الجهر الذي لا يحبه الله جهر المظلوم وهو أن يدعو على الظالم ويذكره بما فيه من السوء وقيل هو أن يبدأ بالشتيمة فيرد على الشاتم ولمن انتصر بعد ظلمه وقيل ضاف رجل قوما فلم يطعموه فأصبح شاكيا فعوتب على الشكاية فنزلت وقرئ إلا من ظلم على البناء للفاعل للانقطاع أي ولكن الظالم راكب ما لا يحبه الله فيجهر بالسوء ويجوز أن يكون من ظلم مرفوعا كأنه قيل لا يحب الله الجهر بالسوء إلا الظالم على لغة من يقول ما جاءني زيد إلا عمرو بمعنى ما جاءني إلا عمرو ومنه لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله • ثم حث على العفو وأن لا يجهر أحد لأحد بسوء وإن كان على وجه الانتصار بعد ما أطلق الجهر به

وجعله

وجعله محبوبا لحثا على الأحب إليه والأفضل عنده والأدخل في الكرم والخشوع والعبودية وذكر إبداء الخير وإخفاءه تسبيبا للعفو ثم عطفه عليهما اعتدادا به وتنبيها على منزلته وأن له مكانا في باب الخير وسيطا والدليل على أن العفو هو الغرض المقصود بذكر إبداء الخير وإخفائه قوله فإن الله كان عفوا قديرا أي يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام فعليكم أن تقتدوا بسنة الله • جعل الذين آمنوا بالله وكفروا برسله أو آمنوا بالله وبعض رسله وكفروا ببعض كافرين بالله وبرسله جميعا لما ذكر من العلة ومعنى اتخاذهم بين ذلك سبيلا أن يتخذوا دينا وسطا بين الإيمان والكفر كقوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا أي طريقا وسطا في القراءة وهو ما بين الجهر والمخافتة وقد أخطأوا فإنه لا واسطة بين الكفر والإيمان ولذلك قال أولئك هم الكافرون حقا أي هم الكاملون في الكفر • وحقا تأكيد لمضمون الجملة كقولك هو عبد الله حقا أي حق ذلك حقا وهو كونهم كاملين في الكفر أو هو صفة لمصدر الكافرين أي هم الذين كفروا كفرا حقا ثابتا يقينا لا شك فيه فإن قلت كيف جاز دخول بين على أحد وهو يقتضي شيئين فصاعدا قلت إن أحدا عام في الواحد المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما تقول ما رأيت أحدا فتقصد العموم إلا أنك تقول إلا بني فلان وإلا بنات فلان فالمعنى ولم يفرقوا بين اثنين منهم أو بين جماعة ومنه قوله تعالى لستن كأحد من النساء • سوف يؤتيهم أجورهم معناه أن إيتاءها كائن لا محالة وإن تأخر فالغرض به توكيد الوعد وتثبيته لا كونه متأخرا • روي أن كعب بن الأشرف وفنحاص بن عازوراء وغيرهما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن كنت نبيا صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى وقيل كتابا إلى فلان وكتابا إلى فلان بأنك رسول الله وقيل كتابا نعاينه حين ينزل وإنما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت قال الحسن ولو سألوه لكي يتبينوا الحق لأعطاهم وفيما آتاهم كفاية • فقد سألوا موسى جواب لشرط مقدر معناه إن استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى أكبر من ذلك وإنما أسند السؤال إليهم وإن وجد من آبائهم في أيام موسى وهم النقباء السبعون لأنهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم ومضاهين لهم في التعنت جهرة عيانا بمعنى أرناه نره جهرة • بظلمهم بسبب سؤالهم الرؤية ولو طلبوا أمرا جائزا لما سموا ظالمين ولما أخذتهم الصاعقة كما سأل إبراهيم صلوات الله عليه أن يريه إحياء الموتى فلم يسمه ظالما ولا رماه بالصاعقة فتبا للمشبهة ورميا بالصواعق • وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا واستيلاء ظاهرا عليهم حين أمرهم بأن يقتلوا أنفسهم حتى تاب عليهم فأطاعوه واحتبوا بأفنيتهم والسيوف تتساقط عليهم فيا له من سلطان مبين • بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه • وقلنا لهم والطور مطل عليهم ادخلوا الباب سجدا ولا تعدوا في السبت وقد أخذ منهم الميثاق على ذلك وقولهم سمعنا وأطعنا ومعاهدتهم على أن يتموا عليه ثم نقضوه بعد • وقرئ ولا تعتدوا ولا تعدوا بإدغام التاء في الدال • فبما نقضهم فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد فإن قلت بم تعلقت الباء وما معنى التوكيد قلت إما أن يتعلق بمحذوف كأنه قيل فبما نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم ما فعلنا وإما أن يتعلق بقوله حرمنا عليهم على أن قوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبما نقضهم ميثاقهم • وأما التوكيد فمعناه تحقيق أن العقاب أو تحريم الطيبات لم يكن إلا بنقض العهد وما عطف عليه من الكفر وقتل الأنبياء وغير ذلك فإن قلت هلا زعمت أن المحذوف الذي تعلقت به الباء ما دل عليه قوله بل طبع الله عليها فيكون التقدير فبما نقضهم ميثاقهم طبع الله على قلوبهم بل طبع الله عليها قلت لم يصح هذا التقدير لأن قوله طبع الله عليها بكفرهم رد وإنكار لقولهم قلوبنا غلف فكان متعلقا به وذلك أنهم أرادوا بقولهم قلوبنا غلف أن الله خلق قلوبنا غلفا أي في أكنة لا يتوصل إليها شيء من الذكر والموعظة كما حكى الله عن المشركين وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه فقيل لهم بل خذلها الله ومنعها الألطاف بسبب كفرهم فصارت كالمطبوع عليها لا أن تخلق غلفا غير قابلة للذكر ولا متمكنة من قبوله فإن قلت علام عطف قوله وبكفرهم قلت الوجه أن يعطف على فبما نقضهم ويجعل قوله بل طبع الله عليها بكفرهم كلاما تبع قوله وقالوا قلوبنا غلف على وجه الاستطراد ويجوز عطفه على ما يليه من قوله بكفرهم فإن قلت فما معنى المجيء بالكفر معطوفا على ما فيه ذكره سواء عطف على ما قبل حرف الإضراب أو على ما بعده وهو قوله وكفرهم بآيات الله وقوله بكفرهم قلت قد تكرر منهم الكفر لأنهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد فعطف بعض كفرهم على بعض أو عطف مجموع المعطوف على مجموع المعطوف عليه كأنه قيل فبجمعهم بين نقض الميثاق والكفر بآيات الله وقتل الأنبياء وقولهم قلوبنا غلف وجمعهم بين كفرهم وبهتهم مريم وافتخارهم بقتل عيسى عاقبناهم أو بل طبع الله عليها بكفرهم وجمعهم بين كفرهم بكذا وكذا • والبهتان العظيم هو التزنية فإن قلت كانوا كافرين بعيسى عليه السلام أعداء له عامدين لقتله يسمونه الساحر ابن الساحرة

والقاتل لي انا قتلناه فكيف قالوا انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله قلت قالوه على وجه الاستهزاء كقول فرعون ان رسولكم الذي
ارسل اليكم لمجنون ويجوز ان يضع الله الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح في الحكاية عنهم رفعا لعيسى عما كانوا يذكرونه به
وتعظيما لما ارادوا بمثله كقوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهادا روي ان رهطا من اليهود سبوه وسبوا امه
فدعا عليهم اللهم انت ربي وبكلمتك خلقتني اللهم العن من سبني وسب والدتي فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله
فاخبره الله بانه يرفعه الى السماء ويطهره من صحبة اليهود فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال
رجل منهم انا فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافق عيسى فلما ارادوا قتله قال انا ادلكم عليه فدخل بيت عيسى ورفع
عيسى والقى شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون انه عيسى ثم اختلفوا فقال بعضهم انه اله لا يصح قتله وقال بعضهم انه قد قتل
وصلب وقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان صاحبنا فاين عيسى وقال بعضهم رفع الى السماء وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن
بدن صاحبنا فان قلت شبه مسند الى ماذا ان جعلته مسندا الى المسيح فالمسيح مشبه به وليس بمشبه وان اسندته الى المقتول
فالمقتول لم يجر له ذكر قلت هو مسند الى الجار والمجرور وهو لهم كقولك خيل اليه كانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه ويجوز
ان يسند الى ضمير المقتول لان قوله انا قتلنا يدل عليه كانه قيل ولكن شبه لهم من قتلوه الا اتباع الظن استثناء منقطع لان اتباع الظن
ليس من جنس العلم يعني ولكنهم يتبعون الظن فان قلت قد وصفوا بالشك والشك ان لا يترجح احد الجائزين ثم وصفوا بالظن والظن ان يترجح احدهما فكيف
يكونون شاكين ظانين قلت اريد انهم شاكون ما لهم من علم قط ولكن ان لاحت لهم امارة فظنوا فذاك وما قتلوه يقينا وما قتلوه قتلا يقينا
او ما قتلوه متيقنين كما ادعوا ذلك في قولهم انا قتلنا المسيح او يجعل يقينا تاكيدا لقوله وما قتلوه كقولك ما قتلوه حقا اي حق انتفاء قتله حقا
وقيل هو من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما اذا تبالغ فيه علمك وفيه تهكم لانه اذا نفى عنهم العلم نفيا كليا بحرف الاستغراق ثم قيل وما علموه
علم يقين واحاطة لم يكن الا تهكما بهم وان من اهل الكتاب ليؤمنن به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره وان من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن
به ونحوه وما منا الا له مقام معلوم وان منكم الا واردها والمعنى وما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن قبل موته بعيسى وبانه عبد الله ورسوله
يعني اذا عاين قبل ان تزهق روحه حين لا ينفعه ايمانه لانقطاع وقت التكليف وعن شهر بن حوشب قال لي الحجاج اية ما قراتها الا تخالج في نفسي
شيء منها يعني هذه الاية وقال اني اوتى بالاسير من اليهود والنصارى فاضرب عنقه فلا اسمع منه ذلك فقلت ان اليهودي اذا حضره الموت ضربت
الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول امنت انه عبد نبي وتقول للنصراني اتاك عيسى نبيا فزعمت انه
الله او ابن الله فيؤمن انه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه قال وكان متكئا فاستوى جالسا فنظر الي وقال ممن قلت حدثني محمد بن علي ابن الحنفية
فاخذ ينكت الارض بقضيبه ثم قال لقد اخذتها من عين صافية او من معدنها قال الكلبي فقلت له ما اردت الى ان تقول حدثني محمد بن علي ابن الحنفية
قال اردت ان اغيظه يعني بزيادة اسم علي لانه مشهور بابن الحنفية وعن ابن عباس انه فسره كذلك فقال له عكرمة فان اتاه رجل فضرب عنقه
قال لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه قال وان خر من فوق بيت او احترق او اكله سبع قال يتكلم بها في الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن به
ويدل عليه قراءة ابي الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون على معنى وان منهم احد الا سيؤمنون به قبل موتهم لان احدا يصلح للجمع فان قلت ما فائدة
الاخبار بايمانهم بعيسى قبل موتهم قلت فائدته الوعيد وليكون علمهم بانهم لا بد لهم من الايمان به عن قريب عند المعاينة وان ذلك لا ينفعهم بعثا لهم
وتنبيها على معاجلة الايمان به في اوان الانتفاع به وليكون الزاما للحجة لهم وكذلك قوله ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا يشهد على اليهود بانهم كذبوه
وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله وقيل الضميران لعيسى بمعنى وان منهم احد الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وهم اهل الكتاب الذين يكونون في زمان
نزوله روي انه ينزل من السماء في اخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام ويهلك الله في زمانه
المسيح الدجال وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض اربعين سنة
ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ويجوز ان يراد انه لا يبقى احد من جميع اهل الكتاب الا ليؤمنن به على ان الله يحييهم في قبورهم في ذلك
الزمان ويعلمهم نزوله وما انزل له ويؤمنون به حين لا ينفعهم ايمانهم وقيل الضمير في به يرجع الى الله تعالى وقيل الى محمد صلى الله عليه وسلم فبظلم
من الذين هادوا فباي ظلم منهم والمعنى ما حرمنا عليهم الطيبات الا لظلم عظيم ارتكبوه وهو ما عدد لهم من الكفر والكبائر العظيمة والطيبات
التي

التي حرمت عليهم ما ذكره في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر وحرمت عليهم الالبان وكانوا كلما اذنبوا ذنبا صغيرا او كبيرا حرم عليهم بعض
الطيبات في المطاعم وغيرها وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ناسا كثيرا او صدا كثيرا اكل اموال الناس بالباطل بالرشوة التي كانوا ياخذونها من سفلتهم في تحريف
الكتاب لكن الراسخون يريد من امن منهم كعبد الله بن سلام واضرابه والراسخون في العلم الثابتون فيه المتقنون المستبصرون والمؤمنون
يعني المؤمنين منهم او المؤمنين من المهاجرين والانصار وارتفع الراسخون على الابتداء ويؤمنون خبره والمقيمين نصب على المدح لبيان فضل الصلاة وهو باب
واسع قد ذكره سيبويه على امثلة وشواهد ولا يلتفت الى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف وربما التفت اليه من لم ينظر في الكتاب ولم يعرف
مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتنان وغبي عليه ان السابقين الاولين الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كانوا ابعد همة
في الغيرة على الاسلام وذب المطاعن عنه من ان يتركوا في كتاب الله ثلمة ليسدها من بعدهم وخرقا يرفوه من يلحق بهم وقيل هو عطف على
بما انزل اليك اي يؤمنون بالكتاب وبالمقيمين الصلاة وهم الانبياء وفي مصحف عبد الله والمقيمون بالواو وهي قراءة مالك بن دينار والجحدري
وعيسى الثقفي انا اوحينا اليك جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان شانه في الوحي اليه
كشان سائر الانبياء الذين سلفوا وقرئ زبورا بضم الزاي جمع زبر وهو الكتاب ورسلا نصب بمضمر في معنى اوحينا اليك وهو ارسلنا
ونبانا وما اشبه ذلك او بما فسره قصصناهم وفي قراءة ابي ورسل قد قصصناهم عليك من قبل ورسل لم نقصصهم وعن ابراهيم ويحيى بن وثاب انهما
قرآ وكلم الله بالنصب ومن بدع التفاسير انه من الكلم وان معناه وجرح الله موسى باظفار المحن ومخالب الفتن
الوجهان ينسحبان على المدح ويجوز انتصابه على التكرير فان قلت كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل وهم محجوجون بما نصبه الله
من الادلة التي النظر فيها موصل الى المعرفة والرسل في انفسهم لم يتوصلوا الى المعرفة الا بالنظر في تلك الادلة ولا عرفوا انهم رسل الله الا
بالنظر فيها قلت الرسل منبهون عن الغفلة وباعثون على النظر كما ترى علماء اهل العدل والتوحيد مع تبليغ ما حملوه من تفصيل امور
الدين وبيان احوال التكليف وتعليم الشرائع فكان ارسالهم ازاحة للعلة وتتميما لالزام الحجة لئلا يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فيوقظنا من سنة
الغفلة وينبهنا لما وجب الانتباه له لكن الله يشهد بالتشديد فان قلت الاستدراك لا بد له من مستدرك فما هو
قوله لكن الله يشهد قلت لما سال اهل الكتاب انزال الكتاب من السماء وتعنتوا بذلك واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قالوا ما
نشهد لك بهذا فنزل لكن الله يشهد ومعنى شهادة الله بما انزل اليه اثباته لصحته باظهار المعجزات كما تثبت الدعاوى بالبينات وشهادة الملائكة
شهادتهم بانه حق وصدق فان قلت بم يعلمون لو قالوا انا نعلم ان الملائكة تشهد وزيد لكن قلت يعلمون بانه تعالى بشهادة الله لانه لما
علم باظهار المعجزات انه شاهد بصحته علم ان الملائكة يشهدون بصحة ما شهد بصحته لان شهادتهم تبع لشهادته فان قلت ما معنى قوله
انزله بعلمه وما موقعه من الجملة التي قبله قلت معناه انزله متلبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره وهو تاليفه على نظم واسلوب يعجز
عنه كل بليغ وصاحب بيان وموقعه مما قبله موقع الجملة المفسرة لانه بيان للشهادة وان شهادته بصحته انه انزله بالنظم المعجز الفائت
للقدر وقيل انزله وهو عالم بانك اهل لانزاله اليك وانك مبلغه وقيل انزله بما علم من مصالح العباد مشتملا عليه ويحتمل انه انزله وهو عالم به رقيب
عليه حافظ له من الشياطين برصد من الملائكة والملائكة يشهدون بذلك كما قال في اخر سورة الجن الا من ارتضى الى قوله واحاط بما لديهم والاحاطة
بمعنى العلم وكفى بالله شهيدا وان لم يشهد غيره لان التصديق بالمعجز يغني عن الشهادة فقد قل اي شيء اكبر شهادة قل الله كفروا وظلموا جمعوا
بين الكفر والمعاصي او كان بعضهم كافرين وبعضهم ظالمين اصحاب كبائر لانه لا فرق بين الفريقين في انه لا يغفر لهما الا بالتوبة ولا ليهديهم طريقا
لا يلطف بهم فيسلكون الطريق الموصل الى جهنم او لا يهديهم يوم القيامة الا طريقها يسيرا اي لا صارف له عنه فامنوا خيرا لكم وكذلك
انتهوا خيرا لكم انتصابه بمضمر وذلك انه لما بعثهم على الايمان وعلى الانتهاء عن التثليث علم انه يحملهم على امر فقال خيرا لكم اي اقصدوا وائتوا امرا
خيرا لكم مما انتم فيه من الكفر والتثليث وهو الايمان والتوحيد لا تغلوا في دينكم غلت اليهود في حط المسيح عن منزلته حيث جعلته
مولودا لغير رشدة وغلت النصارى في رفعه عن مقداره حيث جعلوه الها ولا تقولوا على الله الا الحق وهو تنزيهه عن الشريك والولد وقرا
جعفر بن محمد عليهما السلام انما المسيح بوزن السكيت وقيل لعيسى كلمة الله وكلمة منه لانه وجد بكلمته وامره لا غير من غير واسطة اب
ولا نطفة وقيل له روح الله وروح منه لانه ذو روح وجد من غير جزء من ذي روح كالنطفة المنفصلة من الاب الحي وانما اخترع اختراعا من عند الله

وصفة خاصة ومعنى ألقاها إلى مريم أوصلها إليها وحصّلها فيها. ثلاثة خبر مبتدأ محذوف فإن صحّت الحكاية عنهم أنهم يقولون هو جوهر واحد ثلاثة أقانيم أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم روح القدس وأنهم يريدون بأقنوم الأب الذات وبأقنوم الابن العلم وبأقنوم روح القدس الحياة فتقديره الله ثلاثة وإلا فتقديره الآلهة ثلاثة والذي يدل عليه القرآن التصريح منهم بأن الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة وأن المسيح ولد الله من مريم ألا ترى إلى قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله وقالت النصارى المسيح ابن الله والمشهور المستفيض عنهم أنهم يقولون في المسيح لاهوتية وناسوتية من جهة الأب والأم ويدل عليه قوله إنما المسيح عيسى ابن مريم فأثبت أنه ولد لمريم اتصل بها اتصال الأولاد بأمهاتهم وأن اتصاله بالله عز وعلا من حيث أنه رسوله وأنه موجود بأمره وابتداعه جسداً حياً من غير أب فنفى أن يتصل به اتصال الأبناء بالآباء وقوله سبحانه أن يكون له ولد وحكاية الله أوثق من حكاية غيره ومعنى سبحانه أن يكون له ولد أسبّحه تسبيحاً من أن يكون له ولد وقرأ الحسن إن يكون بكسر الهمزة ورفع النون أي سبحانه ما يكون له ولد على أن الكلام جملتان. له ما في السموات وما في الأرض بيان لتنزهه عما نسب إليه يعني أن كل ما فيهما خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزءاً منه على أن الجزء إنما يصح في الأجسام وهو متعال عن صفات الأجسام والأعراض وكفى بالله وكيلا يكل إليه الخلق كلهم أمورهم فهو الغني عنهم وهم الفقراء إليه. **لن يستنكف** لن يأنف ولن يذهب بنفسه عزة من نكفت الدمع إذا نحيته عن خدك بإصبعك ولا الملائكة المقربون ولا من هو أعلى منه قدراً وأعظم منه خطراً وهم الملائكة الكروبيون الذين حول العرش كجبريل وميكائيل وإسرافيل ومن في طبقتهم. فإن قلت من أين دل قوله ولا الملائكة المقربون على أن المعنى ولا من فوقه قلت من حيث أن علم المعاني لا يقتضي غير ذلك وذلك أن الكلام إنما سيق لرد مذهب النصارى وغلوهم في رفع المسيح عن منزلة العبودية فوجب أن يقال لهم لن يترفع عيسى عن العبودية ولا من هو أرفع درجة منه كأنه قيل لن يستنكف الملائكة المقربون من العبودية فكيف بالمسيح ويدل عليه دلالة ظاهرة بيّنة تخصيص المقربين لكونهم أرفع الملائكة درجة وأعلاهم منزلة ومثاله قول القائل:

وما مثله ممن يجاود حاتم ... ولا البحر ذو الأمواج يلتج زاخره

لا شبهة في أنه قصد بالبحر ذي الأمواج ما هو فوق حاتم في الجود ومن كان له ذوق فليذق مع هذه الآية قوله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى يعترف بالفرق البيّن. وقرأ علي رضي الله عنه عبيد الله على التصغير. وروي أن وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال وأي شيء أقول قالوا تقول إنه عبد الله ورسوله قال إنه ليس بعار أن يكون عبداً لله فنزلت لن يستنكف أي لا يستنكف عيسى من ذلك فلا تستنكفوا له منه فلو كان موضع استنكاف لكان هو أولى بأن يستنكف لأن العار ألصق به. فإن قلت علام عطف قوله ولا الملائكة قلت لا يخلو إما أن يعطف على المسيح أو على اسم يكون أو على المستتر في عبداً لما فيه من معنى الوصف لدلالته على معنى العبادة وقولك مررت برجل عبد أبوه فالعطف على المسيح هو الظاهر لأداء غيره إلى ما فيه بعض انحراف عن الغرض وهو أن المسيح لا يأنف أن يكون هو ولا من فوقه موصوفين بالعبودية أو أن يعبد الله هو ومن فوقه. فإن قلت قد جعلت الملائكة وهم جماعة عبداً لله في هذا العطف فما وجهه قلت فيه وجهان أن يراد ولا كل واحد من الملائكة أو ولا الملائكة المقربون أن يكونوا عباد الله فحذف ذلك لدلالة عبد الله عليه إيجازاً وأما إذا عطفتهم على الضمير في عبداً فقد طاح هذا السؤال. وقرئ فسيحشرهم بضم الشين وكسرها وبالنون. فإن قلت التفصيل غير مطابق للمفصل لأنه اشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد قلت هو مثل قولك جمع الإمام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكّل به وصحة ذلك لوجهين أحدهما أن يحذف ذكر أحد الفريقين لدلالة التفصيل عليه ولأن ذكر أحدهما يدل على ذكر الثاني كما حذف أحدهما في التفصيل في قوله عقيب هذا فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به. والثاني وهو أن الإحسان إلى غيرهم مما يغمهم فكان داخلاً في جملة التنكيل بهم فكأنه قال ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذب بالحسرة إذا رأى أجور العاملين وبما يصيبه من عذاب الله. البرهان والنور المبين القرآن أو أراد بالبرهان دين الحق أو رسول الله وبالنور المبين ما يبيّنه ويصدقه من الكتاب المعجز. في رحمة منه وفضل في ثواب مستحق وتفضل. ويهديهم إليه إلى عبادته صراطاً مستقيماً وهو طريق الإسلام والمعنى توفيقهم وتثبيتهم. روي أنه آخر ما نزل من الأحكام كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق مكة عام حجة الوداع فأتاه جابر بن عبد الله فقال إن لي أختاً فكم آخذ من ميراثها إن ماتت وقيل كان مريضاً فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني كلالة فكيف أصنع في مالي فنزلت. إن امرؤ هلك ارتفع امرؤ بمضمر يفسره الظاهر ومحل ليس له ولد الرفع على الصفة لا

النصب

النصب على الحال أي إن هلك امرؤ غير ذي ولد والمراد بالولد الابن وهو اسم مشترك يجوز إيقاعه على الذكر وعلى الأنثى لأن الابن يسقط الأخت ولا تسقطها البنت إلا في مذهب ابن عباس والأخت التي هي لأب وأم دون التي لأم لأن الله فرض لها النصف وجعل أخاها عصبة وقال للذكر مثل حظ الأنثيين وأما الأخت لأم فلها السدس في آية المواريث مسوّى بينها وبين أخيها. وهو يرثها وأخوها يرثها إن قدّر الأمر على العكس من موتها وبقائه بعدها إن لم يكن لها ولد أي ابن لأن الابن يسقط الأخ دون البنت. فإن قلت الابن لا يسقط الأخ وحده فإن الأب نظيره في الإسقاط فلم اقتصر على نفي الولد قلت بيّن حكم انتفاء الولد ووكل حكم انتفاء الوالد إلى بيان السنة وهو قوله عليه السلام ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولى عصبة ذكر والأب أولى من الأخ وليسا بأول حكمين بيّن أحدهما بالكتاب والآخر بالسنة ويجوز أن يدل بحكم انتفاء الولد على انتفاء الوالد لأن الولد أقرب إلى الميت من الوالد فإذا ورث الأخ عند انتفاء الأقرب فأولى أن يرث عند انتفاء الأبعد ولأن الكلالة تتناول انتفاء الوالد والولد جميعاً فكان ذكر انتفاء أحدهما دالاً على انتفاء الآخر. فإن قلت إلى من يرجع ضمير التثنية والجمع في قوله فإن كانتا اثنتين وإن كانوا إخوة قلت أصله فإن كان من يرث بالأخوة اثنتين وإن كان من يرث بالأخوة ذكوراً وإناثاً وإنما قيل فإن كانتا وإن كانوا كما قيل من كانت أمك فكما أنث ضمير من لمكان تأنيث الخبر كذلك ثنّي وجمع ضمير من يرث في كانتا وكانوا لمكان تثنية الخبر وجمعه والمراد بالإخوة الإخوة والأخوات تغليباً لحكم الذكورية. أن تضلوا مفعول له ومعناه كراهة أن تضلوا. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثاً وأعطي من الأجر كمن اشترى محرراً وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله من الذين يتجاوز عنهم.

سورة المائدة مدنية وهي مائة وثلاث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يقال وفى بالعهد وأوفى به ومنه والموفون بعهدهم. والعقد العهد الموثق شبّه بعقد الحبل ونحوه قول الحطيئة:

قوم إذا عقدوا عقداً لجارهم ... شدّوا العناج وشدّوا فوقه الكربا

وهي عقود الله التي عقدها على عباده وألزمها إياهم من مواجب التكليف وقيل هي ما يتعاقدون بينهم من عقود الأمانات ويتحالفون عليه ويتماسحون من المبايعات ونحوها والظاهر أنها عقود الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه وأنه كلام قدّم مجملاً ثم عقّب بالتفصيل وهو قوله أحلت لكم وما بعده. البهيمة كل ذات أربع في البر والبحر وإضافتها إلى الأنعام للبيان وهي الإضافة التي بمعنى من كخاتم فضة ومعناه البهيمة من الأنعام. إلا ما يتلى عليكم إلا محرّم ما يتلى عليكم من القرآن من نحو قوله حرمت عليكم الميتة أو إلا ما يتلى عليكم آية تحريمه. والأنعام الأزواج الثمانية وقيل بهيمة الأنعام الظباء وبقر الوحش ونحوها كأنهم أرادوا ما يماثل الأنعام ويدانيها من جنس البهائم في الاجترار وعدم الأنياب فأضيفت إلى الأنعام لملابسة الشبه. غير محلي الصيد نصب على الحال من الضمير في لكم أي أحلت لكم هذه الأشياء لا محلين الصيد. وعن الأخفش أن انتصابه عن قوله أوفوا بالعقود وقوله وأنتم حرم حال عن محلي الصيد كأنه قيل أحللنا لكم بعض الأنعام في حال امتناعكم من الصيد وأنتم محرمون لئلا نحرج عليكم. **إن الله يحكم ما يريد** من الأحكام ويعلم أنه حكمة ومصلحة. والحرم جمع حرام وهو المحرم. الشعائر جمع شعيرة وهي اسم ما أُشعر أي جعل شعاراً وعلماً للنسك من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والأفعال التي هي علامات الحاج يعرف بها من الإحرام والطواف والسعي والحلق والنحر. والشهر الحرام شهر الحج. والهدي ما أهدي إلى البيت وتقرب به إلى الله من النسائك وهو جمع هدية كما يقال جدي في جمع جدية السرج. والقلائد جمع قلادة وهي ما قلّد به الهدي من نعل أو عروة مزادة أو لحاء شجر أو غيره. وآمين المسجد الحرام قاصدين وهم الحجاج والعمّار. وإحلال هذه الأشياء أن يتهاون بحرمة الشعائر وأن يحال بينها وبين المتنسكين بها وأن يحدثوا في أشهر الحج ما يصدون به الناس عن الحج وأن يتعرض للهدي بالغصب أو بالمنع من بلوغ محله. وأما القلائد ففيها وجهان أحدهما أن يراد بها ذوات القلائد من الهدي وهي البدن وتعطف على الهدي للاختصاص وزيادة التوصية بها لأنها أشرف الهدي كقوله وجبريل وميكال كأنه قيل والقلائد منها خصوصاً. والثاني أن ينهى عن التعرض لقلائد الهدي مبالغة في النهي عن التعرض للهدي على معنى ولا تحلوا قلائدها فضلاً أن تحلوها كما قال ولا يبدين زينتهن فنهى عن إبداء الزينة مبالغة في النهي عن إبداء مواقعها. ولا آمين ولا تحلوا قوماً قاصدين المسجد الحرام يبتغون فضلاً من ربهم وهو الثواب ورضواناً وأن يرضى عنهم أي لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظيماً لهم واستنكاراً أن يتعرض لمثلهم. قيل هي محكمة. وعن النبي صلى الله عليه وسلم المائدة من آخر

القرآن فيه فما حولها لما وجد من احرامها وقال الحسن ليس فيها منسوخ وقيل هي منسوخة وعن ابن عباس كان المسلمون والمشركون يحجون جميعا فنهى الله المسلمين ان يمنعوا احدا عن حج البيت بقوله لا تحلوا ثم نزل بعد ذلك انما المشركون نجس ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله وقال مجاهد والشعبي لا تحلوا نسخ بقوله واقتلوهم حيث وجدتموهم وفسر ابتغاء الفضل بالتجارة وابتغاء الرضوان بان المشركين كانوا يظنون في انفسهم انهم على سداد من دينهم وان الحج يقربهم الى الله فوصفهم الله بظنهم وقرأ عبد الله ولا آمي البيت الحرام على الاضافة وقرأ حميد بن قيس والاعرج تبتغون بالتاء على خطاب المؤمنين فاصطادوا اباحة للاصطياد بعد حظره عليهم كانه قيل فاذا حللتم فلا جناح عليكم ان تصطادوا وقرئ بكسر الفاء وهو بدل من كسر الهمزة عند الابتداء وقرئ اذا احللتم يقال حل المحرم واحل جرم يجري مجرى كسب في تعديه الى مفعول واحد والى مفعولين تقول جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه ويقال اجرمته ذنبا على نقل المتعدي الى مفعول بالهمزة الى مفعولين كقولهم اكسبته ذنبا وعليه قرأ عبد الله ولا يجرمنكم بضم الياء واول المفعولين على القراءتين ضمير المخاطبين والثاني ان تعتدوا وان صدوكم بفتح الهمزة متعلق بالشنآن بمعنى العلة والشنآن شدة البغض وقرئ بسكون النون والمعنى ولا يكسبنكم بغض قوم لان صدوكم الاعتداء ولا يحملنكم عليه وقرئ ان صدوكم على ان الشرطية وفي قراءة عبد الله ان يصدوكم ومعنى صدهم اياهم عن المسجد الحرام منع اهل مكة رسول الله والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة ومعنى الاعتداء الانتقام منهم بالحاق مكروه بهم وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والاغضاء ولا تعاونوا على الاثم والعدوان على الانتقام والتشفي ويجوز ان يراد العموم لكل بر وتقوى وكل اثم وعدوان فيتناول بعمومه العفو والانتصار كان اهل الجاهلية ياكلون هذه المحرمات البهيمة التي تموت حتف انفها والفصيد وهو الدم في المباعر يشوونها ويقولون لم يحرم من فزد له وما اهل لغير الله به اي رفع الصوت به لغير الله وهو قولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة التي خنقوها حتى ماتت او انخنقت بسبب والموقوذة التي اثخنوها ضربا بعصا او حجر حتى ماتت والمتردية التي تردت من جبل او في بئر فماتت والنطيحة التي نطحتها اخرى فماتت بالنطح وما اكل السبع بعضه الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكاته وهو يضطرب اضطراب المذبوح وتشخب اوداجه وقرأ عبد الله والمنطوحة وفي رواية عن ابي عمرو والسبع بسكون الباء وقرأ ابن عباس واكيل السبع وما ذبح على النصب كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويشرحون اللحم عليها يعظمونها بذلك ويتقربون به اليها تسمى الانصاب والنصب واحد قال الاعشى وذا النصب المنصوب لا تعبدنه وقيل هو جمع والواحد نصاب وقرئ النصب بسكون الصاد وان تستقسموا بالازلام وحرم عليكم الاستقسام بالقداح كان احدهم اذا اراد سفرا او غزوا او تجارة او نكاحا او امرا من معاظم الامور ضرب بالقداح وهي مكتوب على بعضها نهاني ربي وعلى بعضها امرني ربي وبعضها غفل فان خرج الآمر مضى لطيته وان خرج الناهي امسك وان خرج الغفل اجالها عودا فمعنى الاستقسام بالازلام طلب معرفة ما قسم له مما لم يقسم له بالازلام وقيل هو الميسر وقسمتهم الجزور على الانصباء المعلومة ذلكم فسق الاشارة الى الاستقسام او الى تناول ما حرم عليهم لان المعنى حرم عليكم تناول الميتة وكذا وكذا فان قلت لم كان استقسام المسافر وغيره بالازلام ليعرف الحال فسقا قلت لانه دخول في علم الغيب الذي استأثر به علام الغيوب وقال لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله واعتقاد ان اليه طريقا والى استنباطه وقوله امرني ربي ونهاني ربي افتراء على الله وما يدريه انه امره او نهاه والكهنة والمنجمون بهذه المثابة وان كان اراد بالرب الصنم فقد روي انهم كانوا يحيلونها عند اصنامهم فامره ظاهر اليوم لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الزمان الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الازمنة الماضية والآتية كقولك كنت بالامس شابا وانت اليوم اشيب فلا تريد بالامس اليوم الذي قبل يومك ولا باليوم يومك ونحوه الآن في قوله

الآن لما ابيض مسربتي وعضضت من نابي على جذم

وقيل اريد يوم نزولها وقد نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع **يئس الذين كفروا من دينكم** يئسوا منه ان يبطلوه وان يرجعوا محللين لهذه الخبائث بعدما حرمت عليكم وقيل يئسوا من دينكم ان يغلبوه لان الله عز وجل وفى بوعده من اظهاره على الدين كله فلا تخشوهم بعد اظهار الدين وزوال الخوف من الكفار وانقلابهم مغلوبين مقهورين بعدما كانوا غالبين واخشوني واخلصوا لي الخشية اكملت لكم دينكم كفيتكم امر عدوكم وجعلت اليد العليا لكم كما تقول الملوك اليوم كمل لنا الملك وكمل لنا ما نريد اذا كفوا من ينازعهم الملك ووصلوا الى اغراضهم ومباغيهم او اكملت لكم ما تحتاجون اليه في تكليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوقيف على الشرائع وقوانين القياس واصول الاجتهاد

واتممت

واتممت عليكم نعمتي بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكهم وان لم يحج معكم مشرك ولم يطف بالبيت عريان او اتممت نعمتي عليكم باكمال امر الدين والشرائع كانه قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي بذلك لانه لا نعمة اتم من نعمة الاسلام ورضيت لكم الاسلام دينا يعني اخترته لكم من بين الاديان وآذنتكم بانه هو الدين المرضي وحده ومن يبتغ غير الاسلام دينا ان هذه امتكم امة واحدة فان قلت بم اتصل قوله فمن اضطر قلت بذكر المحرمات وقوله ذلكم فسق اعتراض اكد به معنى التحريم وكذلك ما بعده لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المنعوت بالرضى دون غيره من الملل ومعناه فمن اضطر الى الميتة او الى غيرها في مخمصة في مجاعة غير متجانف لاثم غير منحرف اليه كقوله غير باغ ولا عاد فان الله غفور لا يواخذه بذلك في السوال معنى القول فلذلك وقع بعده ماذا احل لهم كانه قيل يقولون لك ماذا احل لهم وانما لم يقل ماذا احل لنا حكاية لما قالوا لان يسألونك بلفظ الغيبة كما تقول اقسم زيد ليفعلن ولو قيل لافعلن واحل لنا لكان صوابا وماذا مبتدأ واحل لهم خبره كقولك اي شيء احل لهم ومعناه ماذا احل لهم من المطاعم كانهم حين تلا عليهم ما حرم عليهم من خبيثات الماكل سألوا عما احل لهم منها فقال احل لكم الطيبات اي ما ليس بخبيث منها وهو كل ما لم يات تحريمه في كتاب او سنة او قياس مجتهد وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات اي احل لكم الطيبات وصيد ما علمتم فحذف المضاف او تجعل ما شرطية وجوابها فكلوا والجوارح الكواسب من سباع البهائم والطير كالكلب والفهد والنمر والعقاب والصقر والبازي والشاهين والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد لصاحبها ورائضها لذلك بما علم من الحيل وطرق التأديب والتثقيف واشتقاقه من الكلب لان التأديب اكثر ما يكون في الكلاب فاشتق من لفظه لكثرته في جنسه او لان السبع يسمى كلبا ومنه قوله عليه السلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد او من الكلب الذي هو بمعنى الضراوة يقال هو كلب بكذا اذا كان ضاريا به وانتصاب مكلبين على الحال من علمتم فان قلت ما فائدة هذه الحال وقد استغنى عنها بعلمتم قلت فائدتها ان يكون من يعلم الجوارح نحريرا في علمه مدربا فيه موصوفا بالتكليب تعلمونهن حال ثانية او استئناف وفيه فائدة جليلة وهي ان على كل آخذ علما ان لا ياخذه الا من اقتل اهله علما واجمعهم دراية واغوصهم على لطائفه وحقائقه وان احتاج الى ان يضرب اليه اكباد الابل فكم من آخذ عن غير متقن قد ضيع ايامه وعض عند لقاء النحارير انامله مما علمكم الله من علم التكليف لانه الهام من الله ومكتسب بالعقل او مما عرفكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه وامساك الصيد عليه وان لا ياكل منه وقرئ مكلبين بالتخفيف وافعل وفعل يشتركان كثيرا والامساك على صاحبه ان لا ياكل منه لقوله عليه السلام لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تأكل انما امسك على نفسه وعن علي رضي الله عنه اذا اكل البازي فلا تأكل ولم يفرق العلماء فاشترطوا في سباع البهائم ترك الاكل لانها تؤدب بالضرب ولم يشترطوه في سباع الطير ومنهم من لم يعتبر ترك الاكل اصلا ولم يفرق بين الكل والبعض وعن سلمان وسعد بن ابي وقاص وابي هريرة رضي الله عنهم اذا اكل الكلب ثلثيه وبقي ثلثه وذكرت اسم الله عليه فكل فان قلت الام يرجع الضمير في قوله واذكروا اسم الله عليه قلت اما ان يرجع الى ما امسكن على معنى وسموا عليه اذا ادركتم ذكاته او الى ما علمتم من الجوارح اي سموا عليه عند ارساله وطعام الذين اوتوا الكتاب قيل هو ذبائحهم وقيل هو جميع مطاعمهم ويستوي في ذلك جميع النصارى وعن علي رضي الله عنه انه استثنى نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر وبه اخذ الشافعي رحمه الله وعن ابن عباس انه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال لا بأس وهو قول عامة التابعين وبه اخذ ابو حنيفة واصحابه وحكم الصابئين حكم اهل الكتاب عند ابي حنيفة وقال صاحباه هم صنفان صنف يقرءون الزبور ويعبدون الملائكة وصنف لا يقرءون كتابا ويعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا من اهل الكتاب واما المجوس فقد سن بهم سنة اهل الكتاب في اخذ الجزية منهم دون اكل ذبائحهم ونكاح نسائهم وقد روي عن ابن المسيب انه قال اذا كان المسلم مريضا فامر المجوسي ان يذكر اسم الله ويذبح فلا بأس وقال ابو ثور وان امره بذلك في الصحة فلا بأس وقد اساء وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم لانه لو كان حراما عليهم طعام المؤمنين لما ساغ لهم اطعامهم والمحصنات الحرائر او العفائف وتخصيصهن بعث على تخير المؤمنين لنطفهم والاماء من المسلمات يصح نكاحهن بالاتفاق وكذلك نكاح غير العفائف منهن واما الاماء الكتابيات فعند ابي حنيفة هن كالمسلمات وخالفه الشافعي وكان ابن عمر لا يرى نكاح الكتابيات ويحتج بقوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ويقول لا اعلم شركا اعظم من قولها ان ربها عيسى وعن عطاء قد اكثر الله المسلمات وانما رخص لهم يومئذ محصنين اعفاء ولا متخذي اخدان صديق والخدن يقع على

الذكر والانثى ومن يكفر بالايمان بشرايع الاسلام وما احل الله وحرم اذا قمتم الى الصلاة كقوله فاذا قرات القرآن فاستعذ بالله وكقولك اذا
ضربت غلامك فهون عليه في ان المراد ارادة الفعل فان قلت لم جاز ان يعبر عن ارادة الفعل بالفعل قلت لان الفعل يوجد بقدرة الفاعل
عليه وارادته له وهي قصده اليه وميله وخلوص داعيه فكما عبر عن القدرة على الفعل بالفعل في قولهم الانسان لا يطير والاعمى لا يبصر
اي لا يقدران على الطيران والابصار ومنه قوله تعالى نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين يعني انا كنا قادرين على الاعادة كذلك عبر عن ارادة
الفعل بالفعل وذلك لان الفعل مسبب عن القدرة والارادة فاقيم المسبب مقام السبب للملابسة بينهما ولايجاز الكلام ونحوه من اقامة
المسبب مقام السبب قولهم كما تدين تدان عبر عن الفعل المبتدا الذي هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء الذي هو مسبب عنه وقيل معنى قمتم
الى الصلاة قصدتموها لان من توجه الى الشيء وقام اليه كان قاصدا له لا محالة فعبر عن القصد له بالقيام اليه فان قلت ظاهر الاية
يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلاة محدث وغير محدث فما وجهه قلت يحتمل ان يكون الامر للوجوب فيكون الخطاب للمحدثين خاصة
وان يكون للندب وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده انهم كانوا يتوضؤون لكل صلاة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من توضا على طهر
كتب الله له عشر حسنات وعن [illegible] كان رسول الله يتوضا لكل صلاة فلما كان يوم الفتح مسح على خفيه فصلى الصلوات الخمس بوضوء واحد فقال له عمر
صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته يا عمر يعني بيانا للجواز فان قلت هل يجوز ان يكون الامر شاملا للمحدثين وغيرهم لهؤلاء على
وجه الايجاب ولهؤلاء على وجه الندب قلت لا لان تناول الكلمة لمعنيين مختلفين من باب الالغاز والتعمية وقيل كان الوضوء لكل
صلاة واجبا اول ما فرض ثم نسخ الى تفيد معنى الغاية مطلقا فاما دخولها في الحكم وخروجها فامر يدور مع الدليل فما فيه دليل على الخروج
قوله فنظرة الى ميسرة لان الاعسار علة الانظار وبوجود الميسرة تزول العلة ولو دخلت الميسرة فيه لكان منظرا في كلا الحالين
معسرا وموسرا وكذلك ثم اتموا الصيام الى الليل لو دخل الليل لوجب الوصال ومما فيه دليل على الدخول قولك حفظت القرآن من اوله الى آخره
لان الكلام مسوق لحفظ القرآن كله ومنه قوله تعالى من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى لوقوع العلم بانه لا يسرى به الى بيت المقدس من غير ان يدخله
وقوله الى المرافق والى الكعبين لا دليل فيه على احد الامرين فاخذ كافة العلماء بالاحتياط فحكموا بدخولها في الغسل واخذ زفر وداود
بالمتيقن فلم يدخلاها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يدير الماء على مرفقيه وامسحوا برءوسكم المراد الصاق المسح بالراس وماسح بعضه ومستوعبه
بالمسح كلاهما ملصق للمسح براسه فقد اخذ مالك بالاحتياط فاوجب الاستيعاب او اكثره على اختلاف الرواية واخذ الشافعي باليقين فاوجب اقل
ما يقع عليه اسم المسح واخذ ابو حنيفة ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما روي انه مسح على ناصيته وقدر الناصية بربع الراس وارجلكم قرا جماعة وارجلكم
بالنصب فدل على ان الارجل مغسولة فان قلت فما تصنع بقراءة الجر ودخولها في حكم المسح قلت الارجل من بين الاعضاء الثلاثة
المغسولة تغسل بصب الماء عليها فكانت مظنة للاسراف المذموم المنهي عنه فعطفت على الرابع الممسوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب
الاقتصاد في صب الماء عليها وقيل الى الكعبين فجيء بالغاية اماطة لظن ظان يحسبها ممسوحة لان المسح لم تضرب له غاية في الشريعة وعن
علي رضي الله عنه انه اشرف على فتية من قريش فراى في وضوئهم تجوزا فقال ويل للاعقاب من النار فلما سمعوا جعلوا يغسلونها غسلا ويدلكونها
دلكا وعن ابن عمر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوضا قوم واعقابهم بيض تلوح فقال ويل للاعقاب من النار وفي رواية جابر ويل
للعراقيب وعن عمر انه راى رجلا يتوضا فترك باطن قدميه فامره ان يعيد الوضوء وذلك للتغليظ عليه وعن عائشة لان تقطعا احب الي
من ان امسح على القدمين بغير خفين وعن عطاء والله ما علمت ان احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على القدمين وقد ذهب بعض الناس الى
ظاهر العطف فاوجب المسح وعن الحسن انه جمع بين الامرين وعن الشعبي نزل القرآن بالمسح والغسل سنة وقرا الحسن وارجلكم بالرفع
بمعنى وارجلكم مغسولة او ممسوحة الى الكعبين وقرئ فاطهروا اي فطهروا ابدانكم وكذلك ليطهركم وفي قراءة عبد الله فاموا صعيدا
ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج في باب الطهارة حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر
بالماء وليتم نعمته عليكم وليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته فيثيبكم واذكروا نعمة الله عليكم
وهي نعمة الاسلام وميثاقه الذي واثقكم به اي عاقدكم به عقدا وثيقا وهو الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله على السمع والطاعة
في حال اليسر والعسر والمنشط والمكره فقبلوا وقالوا سمعنا واطعنا وقيل هو الميثاق ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان عدى يجرمنكم

بحرف

بحرف الاستعلاء مضمنا معنى فعل يتعدى به كانه قيل ولا يحملنكم ويجوز ان يكون قوله ان تعتدوا بمعنى على ان تعتدوا والجمع من اوصاف قوله
لحمل اللحم من السبع على الحب فيطمع لانه بمعنى اجل وقرئ شنان بالسكون ونظيره في المصادر ليان والمعنى لا يحملنكم بغضكم للمشركين
على ان تتركوا العدل فتعتدوا عليهم بان تنتصروا منهم وتتشفوا مما في قلوبكم من الضغائن بارتكاب ما لا يحل لكم من مثلة او قذف او قتل او
ولدان او نقض عهد او ما اشبه ذلك اعدلوا هو اقرب للتقوى نهاهم اولا ان تحملهم البغضاء على ترك العدل ثم استانف فصرح لهم بالامر
بالعدل تاكيدا وتشديدا ثم استانف فذكر لهم وجه الامر بالعدل وهو قوله هو اقرب للتقوى لكونه لطفا فيها وفيه تنبيه عظيم على ان
وجوب العدل مع الكفار الذين هم اعداء الله اذا كان بهذه الصفة من القوة فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم اولياؤه واحباؤه لهم مغفرة
واجر عظيم بيان للوعد بعد تمام الكلام قبله كانه قال قدم لهم وعدا فقيل اي شيء وعده فقيل لهم مغفرة واجر عظيم او يكون على ارادة القول
بمعنى وعدهم وقال لهم مغفرة او على اجراء وعد مجرى قال لانه ضرب من القول او يجعل وعد واقعا على الجملة التي هي لهم مغفرة كما وقع تركنا على قوله
سلام على نوح كانه قيل وعدهم هذا القول واذا وعدهم من لا يخلف الميعاد هذا القول فقد وعدهم مضمونه من المغفرة والاجر العظيم وهذا القول
يتلقون به عند الموت ويوم القيامة فيسرون به ويستروحون اليه ويهون عليهم السكرات والاهوال قبل الوصول الى الثواب اذكروا نعمة الله عليكم روي ان المشركين
راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بعسفان قاموا الى صلاة الظهر يصلون معا وذلك بعسفان في غزوة ذي انمار فلما صلوا ندموا ان لا كانوا اكبوا عليهم
فقالوا ان لهم بعدها صلاة هي احب اليهم من آبائهم وابنائهم يعنون صلاة العصر وهموا بان يوقعوا بهم اذا قاموا اليها فنزل جبريل بصلاة الخوف وقيل ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بني قريظة ومعه الشيخان وعلي رضي الله عنهم يستقرضهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري خطا يحسبهما
مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه في صفة وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها
عليه فامسك الله يده ونزل جبريل فاخبره فخرج وقيل نزل رسول الله منزلا وتفرق الناس في العضاه يستظلون بها فعلق رسول الله سلاحه بشجرة فجاء
اعرابي فسل سيف رسول الله ثم اقبل عليه فقال من يمنعك مني قال الله قالها ثلاثا فشام الاعرابي السيف فصاح رسول الله صلى الله عليه وسلم باصحابه
وابى ان يعاقبه يقال بسط اليه لسانه اذا شتمه وبسط اليه يده اذا بطش به ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء ومعنى بسط اليد مدها
الى المبطوش به الا ترى الى قولهم فلان بسيط الباع ومديد الباع بمعنى فكف ايديهم عنكم فمنعها ان تمد اليكم لما استقر بنو اسرائيل بمصر بعد
هلاك فرعون امرهم الله بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبابرة وقال لهم اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها
وجاهدوا من فيها واني ناصركم وامر موسى ان ياخذ من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما امروا به توثقة عليهم فاختار
النقباء واخذ الميثاق على بني اسرائيل وتكفل لهم به النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون فراوا اجراما عظيمة
وقوة وشوكة فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم وقد نهاهم موسى عليه السلام ان يحدثوهم فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا ويوشع
ابن نون من سبط افرائيم بن يوسف وكانا من النقباء والنقيب الذي ينقب عن احوال القوم ويفتش عنها كما قيل له عريف لانه يتعرفها اني
معكم اي ناصركم ومعينكم عزرتموهم نصرتموهم ومنعتموهم من ايدي العدو ومنه التعزير وهو التنكيل والمنع من معاودة الفساد وقرئ
بالتخفيف يقال عزرت الرجل اذا حطته وكنفته والتعزير والتازير من واد واحد ومنه لانصرنك نصرا مؤزرا اي قويا وقيل معناه ولقد اخذنا
ميثاقهم بالايمان والتوحيد وبعثنا منهم اثني عشر ملكا يقيمون فيهم العدل ويامرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر واللام في لئن اقمتم
موطئة للقسم وفي لاكفرن جواب له وهذا الجواب ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا بعد ذلك بعد ذلك الشرط المذكور الموصول
بالوعد العظيم فان قلت من كفر قبل ذلك ايضا فقد ضل سواء السبيل قلت اجل ولكن الضلال بعده اظهر واعظم لان الكفر انما عظم
لعظم النعمة المكفورة فاذا زادت النعمة زاد قبح الكفر وتمادى لعناهم طردناهم واخرجناهم من رحمتنا وقيل مسخناهم وقيل ضربنا عليهم الجزية
وجعلنا قلوبهم قاسية خذلناهم ومنعناهم الالطاف حتى قست قلوبهم او املينا لهم ولم نعاجلهم بالعقوبة حتى قست وقرا عبد الله قسية اي رديئة
مغشوشة من قولهم درهم قسي وهو من القسوة لان الذهب والفضة الخالصين فيهما لين والمغشوش فيه يبس وصلابة والقاسي والقاسح بالحاء
اخوان في الدلالة على اليبس والصلابة وقرئ قسية بكسر القاف للاتباع يحرفون الكلم بيان لقسوة قلوبهم لانه لا قسوة اشد من الافتراء على
الله وتغيير وحيه ونسوا حظا وتركوا نصيبا جزيلا وقسطا وافيا مما ذكروا به من التوراة يعني ان تركهم واعراضهم عن التوراة اغفال

حظاً عظيماً أو قست قلوبهم وفسدت فحرّفوا التوراة وزلّت أشياء منها عن حفظهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قد ينسى المرء بعض العلم
بالمعصية وتلا هذه الآية وقيل تركوا نصيب أنفسهم مما أمروا به من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته، ولا تزال تطلع أي هذه عادتهم
وهجيراهم وكان عليها أسلافهم كانوا يخونون الرسل وهؤلاء يخونونك ينكثون عهودك ويظاهرون المشركين على حربك ويهمّون بالفتك
بك وأن يقتلوك على خائنة على خيانة أو على فعلة ذات خيانة أو على نفس أو فرقة خائنة ويقال رجل خائنة كقولهم رجل راوية للشعر للمبالغة قال
حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن للغدر خائنة مغل الإصبع، وقرئ على خيانة منهم، إلا قليلاً منهم وهم الذين آمنوا منهم فاعف عنهم
بعث على مخالفتهم وقيل هو منسوخ بآية السيف وقيل فاعف عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم، أخذنا ميثاقهم أخذنا من النصارى ميثاق من ذكر
قبلهم من قوم موسى أي مثل ميثاقهم بالإيمان بالله والرسل وبأفعال الخير أو أخذنا من النصارى ميثاق أنفسهم بذلك فإن قلت فهلا قيل من النصارى
قلت لأنهم إنما سموا أنفسهم بذلك ادعاءً لنصرة الله وهم الذين قالوا لعيسى نحن أنصار الله ثم اختلفوا بعد نسطورية ويعقوبية وملكانية
أنصاراً للشيطان فأغرينا فألصقنا وألزمنا من غري بالشيء إذا لزمه ولصق به وأغراه غيره ومنه الغراء الذي يلصق به، بينهم بين فرق النصارى
المختلفين وقيل بينهم وبين اليهود ونحوه ولذلك نولي بعض الظالمين بعضاً أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض، يا أهل الكتاب خطاب
لليهود والنصارى مما كنتم تخفون من نحو صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن نحو الرجم، ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يبينه إذا لم تضطر
إليه مصلحة دينية ولم يكن فيه فائدة إلا افتضاحكم وصفته مما لا يدعو إليه وكذلك الرجم وما فيه إحياء شريعة وأما ما لم تدع إليه من الخبر
ويعفو عن كثير منكم لا يؤاخذه، **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين** يريد القرآن لكشفه ظلمات الشرك والشك ولإبانته ما
كان خافياً على الناس من الحق أو لأنه ظاهر الإعجاز، من اتبع رضوانه من آمن منهم سبل السلام طرق السلامة والنجاة من عذاب الله أو سبل الله
قولهم إن الله هو المسيح معناه بت القول على أن حقيقة الله هو المسيح لا غير قيل كان في النصارى قوم يقولون ذلك وقيل ما صرحوا به ولكن مذهبهم
يؤدي إليه حيث اعتقدوا أنه يخلق ويحيي ويميت ويدبر أمر العالم، فمن يملك من الله شيئاً فمن يمنع من قدرته ومشيئته إن أراد أن يهلك من دعوه إلهاً
من المسيح وأمه دلالة على أن المسيح عبد مخلوق كسائر العباد وأراد بعطف من في الأرض على المسيح وأمه أنهما من جنسهم لا تفاوت بينهما وبينهم في البشرية
يخلق ما يشاء أي يخلق من ذكر وأنثى ويخلق من أنثى من غير ذكر كما خلق عيسى ويخلق من غير ذكر وأنثى كما خلق آدم أو يخلق ما يشاء كخلق الطير
على يد عيسى معجزة له وكإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وغير ذلك فيجب أن ينسب إليه ولا ينسب إلى البشر المجرى على يده، أبناء الله
أشياع ابني الله عزير والمسيح كما قيل أشياع أبي خبيب وهو عبد الله بن الزبير الخبيبيون وكما كان يقول رهط مسيلمة نحن أبناء
الله ويقول أقرباء الملك وذووه وحشمه نحن الملوك ولذلك قال مؤمن آل فرعون لكم الملك اليوم، فلم يعذبكم بذنوبكم فإن صح أنكم أبناء
الله وأحباؤه فلم تذنبون وتعذبون بذنوبكم فتمسخون وتمسكم النار أياماً معدودات على زعمكم ولو كنتم أبناء الله لكنتم من جنس الأب غير
فاعلين للقبائح ولا مستوجبين للعقاب ولو كنتم أحباءه لما عصيتموه ولما عاقبكم، بل أنتم بشر ممن خلق من جملة من خلق من البشر، يغفر لمن يشاء
وهم أهل الطاعة ويعذب من يشاء وهم العصاة، يبين لكم إما أن يقدر المبين وهو الدين والشرائع وحذفه لظهوره أو ما كتم الرسول لتبيينه
أو يقدر ما كنتم تخفون وحذفه لتقدم ذكره أو لا يقدر ويكون المعنى يبذل لكم البيان ومحله النصب على الحال أي مبيناً لكم، على فترة متعلق
بجاءكم أي جاءكم على حين فتور من إرسال الرسل وانقطاع من الوحي أن تقولوا كراهة أن تقولوا، فقد جاءكم متعلق بمحذوف أي لا تعتذروا فقد جاءكم وقيل كان
بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما خمسمائة وستون سنة وقيل ستمائة وقيل أربعمائة ونيف وستون وعن الكلبي كان بين عيسى وموسى ألف وسبعمائة سنة وألف نبي
وبين عيسى ومحمد أربعة أنبياء ثلاثة من بني إسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي والمعنى الامتنان عليهم وأن الرسول بعث إليهم حين انطمست آثار
الوحي أحوج ما يكونون إليه ليهشوا إليه ويعدوه أعظم نعمة من الله وفتح باب إلى الرحمة وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غداً بأنه لم يرسل إليهم من ينبههم
عن غفلتهم، **جعل فيكم أنبياء** لأنه لم يبعث في أمة ما بعث في بني إسرائيل من الأنبياء وجعلكم ملوكاً لأنه ملككم بعد فرعون ملكه وبعد
الجبابرة ملكهم ولأن الملوك تكاثروا فيهم تكاثر الأنبياء وقيل كانوا مملوكين في أيدي القبط فأنقذهم الله فسمى إنقاذهم ملكاً وقيل الملك من له مسكن
واسع فيه ماء جار وقيل من له بيت وخدم وقيل من له مال لا يحتاج معه إلى تكلف الأعمال وتحمل المشاق، ما لم يؤت أحداً من العالمين من فلق البحر وإغراق
العدو وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى وغير ذلك من الأمور العظام وقيل أراد عالمي زمانهم، الأرض المقدسة أرض بيت المقدس وقيل

الطور

الطور وما حوله وقيل الشام وقيل فلسطين ودمشق وبعض الأردن وقيل سماها الله لإبراهيم ميراثاً لولده حين رفع على الجبل فقيل له انظر فلك
ما أدرك بصرك وكان بيت المقدس قرار الأنبياء ومسكن المؤمنين، كتب الله لكم قسمها لكم وسماها أو خط في اللوح أنها لكم ولا ترتدوا على أدباركم
ولا تنكصوا على أعقابكم مدبرين من خوف الجبابرة جبناً وهلعاً وقيل لما حدثهم النقباء بحال الجبابرة رفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا ليتنا متنا بمصر
وقالوا تعالوا نجعل علينا رأساً ينصرف بنا إلى مصر ويجوز أن يراد ولا ترتدوا على أدباركم في دينكم بمخالفتكم أمر ربكم وعصيانكم
نبيكم فترجعوا خاسرين ثواب الدنيا والآخرة، الجبار فعال من جبره على الأمر بمعنى أجبره عليه وهو العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد
قال رجلان كالب ويوشع من الذين يخافون من الذين يخافون الله ويخشونه كأنه قيل رجلان من المتقين ويجوز أن تكون الواو لبني إسرائيل والراجع
إلى الموصول محذوف تقديره من الذين يخافهم بنو إسرائيل وهم الجبابرة وهما رجلان منهم أنعم الله عليهما بالإيمان فآمنا وقالا لهم إن العمالقة أجسام لا قلوب
فيها فلا تخافوهم وازحفوا إليهم فإنكم غالبون تشجعانهم على قتالهم وقراءة من قرأ يخافون بالضم شاهدة له وكذلك أنعم الله عليهما كأنه قيل من المخوفين
وقيل هو من الإخافة ومعناه من الذين يخوّفون من الله بالتذكرة والموعظة أو يخوفهم وعيد الله بالعقاب فإن قلت ما محل أنعم الله عليهما
قلت إن انتظم مع قوله من الذين يخافون في حكم الوصف لرجلان فمرفوع وإن جعل كلاماً معترضاً فلا محل له فإن قلت من أين علموا أنهم غالبون
قلت من جهة إخبار موسى بذلك وقوله كتب الله لكم وقيل من جهة غلبة الظن وما تبينا من عادة الله في نصرة رسله وما عهدا من صنع الله لموسى في قهر أعدائه
وما ذكرنا من حال الجبابرة، والباب باب قريتهم، لن ندخلها نفي لدخولهم في المستقبل على وجه التأكيد المؤيس، وأبداً تعليق للنفي المؤكد
بالدهر المتطاول، ما داموا فيها بيان للأبد، فاذهب أنت وربك يحتمل أن لا يقصدوا حقيقة الذهاب ولكن كما تقول كلمته فذهب
يجيبني تريد معنى الإرادة والقصد للجواب كأنهم قالوا أريدا قتالهم والظاهر أنهم قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وقلة مبالاة بهما
واستهزاء وقصد ذهابهما حقيقة بجهلهم وجفائهم وقسوة قلوبهم التي عبدوا بها العجل وسألوا بها رؤية الله جهرة والدليل عليه مقابلة
ذهابهما بقعودهم ويحكى أن موسى وهرون خرّا لوجوههما قدامهم لشدة ما ورد عليهما فهموا برجمهما ولأمر ما قرن الله اليهود بالمشركين
وقدمهم عليهم في قوله لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا، وأعطوه وخالفوه وقالوا ما قالوا من كلمة
الكفر ولم يبق معه مطيع موثوق به إلا هرون قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي وهذا من البث والحزن والشكوى
إلى الله والحسرة ورقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة ونحوه قول يعقوب عليه السلام إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وعن علي
رضي الله عنه أنه كان يدعو الناس على منبر الكوفة إلى قتال البغاة فما أجابه إلا رجلان فتنفس الصعداء ودعا لهما وقال أين تقعان مما أريد، وأخي
عظماء
في إعرابه وجهان أن يكون منصوباً عطفاً على نفسي أو على الضمير في إني بمعنى لا أملك إلا نفسي وإن أخي لا يملك إلا نفسه وأن يكون مرفوعاً عطفاً على محل إن
واسمها كأنه قيل أنا لا أملك إلا نفسي وهرون كذلك لا يملك إلا نفسه أو على الضمير في لا أملك وجاز للفصل ويجوز أن يكون مجروراً عطفاً على الضمير في نفسي
وهو ضعيف لقبح العطف على ضمير المجرور إلا بتكرير الجار فإن قلت أما كان معه الرجلان المذكوران قلت كأنه لم يثق بهما كل الوثوق
ولم يطمئن إلى ثباتهما لما ذاق على طول الزمان من أحوال قومه وتلونهم فلم يذكر إلا النبي المعصوم الذي لا شبهة في أمره ويجوز
أن يقول ذلك لفرط ضجره عندما سمع منهم تقليلاً لمن يوافقه ويجوز أن يريد ومن يؤاخيني على ديني، فافرق فافصل بيننا وبينهم بأن تحكم لنا
بما نستحق وتحكم عليهم بما يستحقون وهو في معنى الدعاء عليهم ولذلك وصل به قوله فإنها محرمة عليهم على وجه التسبيب أو فباعد بيننا وبينهم
وخلصنا من صحبتهم كقوله ونجني من القوم الظالمين، فإنها فإن الأرض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها فإن قلت كيف
يوفق بين هذا وبين قوله التي كتب الله لكم قلت فيه وجهان أحدهما أن يراد كتبها لكم بشرط أن تجاهدوا أهلها فلما أبوا الجهاد قيل فإنها
محرمة عليهم والثاني أن يراد فإنها محرمة عليهم أربعين سنة فإذا مضت الأربعون كان ما كتب فقد روي أن موسى سار بمن بقي من بني إسرائيل
وكان يوشع على مقدمته ففتح أريحا وأقام فيها ما شاء الله ثم قبض وقيل مات موسى في التيه بعث يوشع نبياً فأخبرهم بأنه نبي الله وأن الله أمره بقتال
الجبابرة فصدقوه وبايعوه وسار بهم إلى أريحا وقتل الجبابرين وأخرجهم وصار الشام كله لبني إسرائيل وقيل لم يدخل الأرض المقدسة أحد ممن قال
إنا لن ندخلها وهلكوا في التيه ونشأت نواشئ من ذرياتهم فقاتلوا الجبابرين ودخلوها، والعامل في الظرف إما محرمة وإما يتيهون في الأرض
ومعنى يتيهون في الأرض أي يسيرون فيها متحيرين لا يهتدون طريقاً والتيه المفازة التي يتاه فيها روي أنهم لبثوا أربعين سنة في ستة فراسخ

يبرون كل ايام جاز من حي اذا سمعوا واسعوا اذا لم يجدوا ظلا وكان الغمام يظلهم من حر الشمس ويطلع لهم عمود من نور بالليل يضيء لهم وينزل
عليهم المن والسلوى ولا تطول شعورهم واذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله فان قلت فلم كانوا ينعم عليهم بتظليل
الغمام وغيره وهم معاقبون قلت كما ينزل بعض النوازل على العصاة عركا لهم وعليهم مع ذلك النعمة متظاهرة ومثل ذلك مثل الوالد المشفق
يضرب ولده ويؤذيه ليتأدب ويتثقف ولا يقطع عنه معروفه ولا احسانه فان قلت هل كان معهم في التيه موسى وهرون عليهما السلام قلت
اختلف في ذلك فقيل لم يكونا معهم لانه كان عقابا وقيل كانا معهم الا انه كان ذلك لهما روحا وسلامة لا عقوبة كالنار لابراهيم وملائكة العذاب وروي ان هرون مات في التيه
ومات موسى بعده بسنة ودخل يوشع اريحا بعد موته بثلثة اشهر ومات النقباء في التيه بغتة الا كالب ويوشع فلا تأس فلا تحزن لانه
ندم على الدعاء عليهم فقيل انهم احقاء بذلك لفسقهم فلا تحزن ولا تندم ابني آدم هما قابيل وهابيل اوحى الله الى آدم ان يزوج
كل واحد منهما توأمة الآخر وكانت توأمة قابيل اجمل واسمها اقليما فحسد عليها اخاه وسخط فقال لهما آدم قربا قربانا فمن ايكما تقبل
زوجها ... فازداد ... وحسد وسخط وتوعده بالقتل وقيل هما رجلان من بني اسرائيل بالحق تلاوة
ملتبسة بالحق ... نبأ متلبسا بالصدق موافقا لما في كتب الاولين او بالغرض الصحيح وهو تقبيح الحسد لان المشركين واهل
الكتاب كلهم كانوا يحسدون رسول الله ويبغون عليه او اتل عليهم وانت محق صادق واذ قربا نصب بالنبأ اي قصتهم وحديثهم
في ذلك الوقت ويجوز ان يكون بدلا من النبأ اي اتل عليهم النبأ نبأ ذلك الوقت على تقدير حذف المضاف والقربان اسم ما يتقرب به الى الله من نسيكة
او صدقة كما ان الحلوان اسم ما يحلى اي يعطى يقال قرب صدقة وتقرب بها لان تقرب مطاوع قرب قال الاصمعي تقربوا قرف القمع يعدى
بالباء حتى يكون بمعنى قرب فان قلت كيف كان قوله انما يتقبل الله من المتقين جوابا لقوله لاقتلنك قلت لما كان الحسد لاخيه على تقبل
قربانه هو الذي حمله على توعده بالقتل قال له انما اتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى لا من قبلي فلم تقتلني ومالك لا تعاتب نفسك
ولا تحملها على تقوى الله التي هي السبب في القبول فاجابه بكلام حكيم مختصر جامع لمعان وفيه دليل على ان الله لا يقبل طاعة الا من مؤمن متق
فما انعاه على اكثر العاملين اعمالهم وعن عامر بن عبد الله انه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له ما يبكيك فقد كنت وكنت فقال اني اسمع الله
يقول انما يتقبل الله من المتقين ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك قيل كان اقوى من القاتل وابطش منه ولكنه تحرج عن قتل اخيه واستسلم
له خوفا من الله لان الدفع لم يكن مباحا في ذلك الوقت قاله مجاهد وغيره اني اريد ان تبوء باثمي واثمك ان تحمل اثم قتلي لو قتلتك واثم قتلك
فان قلت كيف يحمل اثم قتله ولا تزر وازرة وزر اخرى قلت المراد بمثل اثمي على الاتساع في الكلام كما تقول قرأت قراءة
فلان وكتبت كتابته تريد المثل وهو اتساع فاش مستفيض لا يكاد يستعمل غيره ونحوه قوله عليه السلام المستبان ما قالا فعلى البادي
ما لم يعتد المظلوم على ان البادي عليه اثم سبه ومثل اثم سب صاحبه لانه كان سببا فيه الا ان الاثم محطوط عن صاحبه معفو عنه لانه
مكافئ دافع عن عرضه الا ترى الى قوله ما لم يعتد المظلوم لانه اذا خرج من حد المكافاة واعتدى لم يسلم فان قلت فحين كف
هابيل عن قتل اخيه واستسلم وتحرج عما كان محظورا في شريعته من الدفع فاين الاثم حتى يحمل اخوه مثله فيجتمع عليه الاثمان قلت
هو مقدر فهو يحمل مثل الاثم المقدر كانه قال اني اريد ان تبوء بمثل اثمي لو بسطت اليك يدي وقيل باثمي باثم قتلي وباثمك الذي من اجله لم يتقبل قربانك
فان قلت فكيف جاز ان يريد شقاوة اخيه وتعذيبه بالنار قلت كان ظالما وجزاء الظالم حسن جائز ان يراد الا ترى الى قوله وذلك
جزاء الظالمين واذا جاز ان يريده الله جاز ان يريده العبد لانه لا يريد الا ما هو حسن والمراد بالاثم وبال القتل وما يجره من استحقاق العقاب فان قلت
لم جاء الشرط بلفظ الفعل والجزاء بلفظ اسم الفاعل وهو قوله لئن بسطت ما انا بباسط قلت ليفيد انه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف
الشنيع ولذلك اكده بالباء المؤكدة للنفي فطوعت له نفسه قتل اخيه فوسعته له ويسرته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرئ فطاوعت
وفيه وجهان ان يكون مما جاء من فاعل بمعنى فعل وان يراد ان قتل اخيه كانه دعا نفسه الى الاقدام عليه فطاوعته ولم تمتنع وله لزيادة الربط
كقولك حفظت لزيد ماله وقيل قتل هابيل وهو ابن عشرين سنة وكان قتله عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم فبعث الله غرابا
روي انه اول قتيل قتل على وجه الارض من بني آدم ولما قتله تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره سنة حتى اروح
وعكفت عليه السباع فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة فقال يا ويلتى اعجزت
وروي

وروي انه لما قتله اسود جسده وكان ابيض فسأله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وروي
ان آدم مكث بعد قتله مائة سنة لا يضحك وانه رثاه بشعر وهو كذب بحت وما الشعر الا منحول ملحون وقد صح ان الانبياء معصومون من الشعر
ليريه ليريه الله او ليريه الغراب اي ليعلمه لانه لما كان سبب تعليمه فكانه قصد تعليمه على سبيل المجاز سوءة اخيه عورة اخيه وما لا
يجوز ان ينكشف من جسده والسوءة الفضيحة لقبحها قال يا لقوم للسوءة السوءاء اي للفضيحة العظيمة فكنى بها عنها
فاواري بالنصب على جواب الاستفهام وقرئ بالسكون على فانا اواري او على السكون في موضع النصب للتخفيف من النادمين على قتله لما
تعب فيه من حمله وتحيره في امره وتبين له من عجزه وتلمذه للغراب واسوداد لونه وسخط ابيه ولم يندم ندم التائبين من اجل ذلك
بسبب ذلك وبعلته وقيل اصله من اجل شرا اذا جناه يأجله اجلا ومنه قوله واهل خباء صالح ذات بينهم قد احتربوا في عاجل انا آجله
كانك اذا قلت من اجلك فعلت كذا اردت من ان جنيت فعلته واوجبته ويدل عليه قولهم من جراك فعلته اي من ان جررته بمعنى جنيته ومن اجل ذلك متعلق
القتل المذكور اي من اجل ذلك القتل الكبير كتبنا على بني اسرائيل ومن لابتداء الغاية اي ابتداء الكتب ونشاؤه من اجل القتل ويجوز ان يكون متعلقا
كذا ويقال لعلك كذا بحذف الجار وايصال الفعل قال اجل ان الله قد فضلكم وقرئ من اجل ذلك بحذف الهمزة وفتح النون لالقاء حركتها عليها
لالقاء حركتها عليها وقرئ من اجل ذلك بكسر الهمزة وهي لغة فاذا خفف كسر النون ملقيا كسرة الهمزة عليها بغير نفس بغير قتل نفس
لا على وجه الاقتصاص او فساد عطف على نفس بمعنى او بغير فساد في الارض وهو الشرك وقيل قطع الطريق ومن احياها ومن استنقذها من بعض اسباب الهلكة
الهلكة قتل او غرق او حرق او هدم او غير ذلك فان قلت كيف شبه الواحد بالجميع وجعل حكمه كحكمهم قلت لان كل انسان يدلي
بما يدلي به الآخر من الكرامة على الله وثبوت الحرمة فاذا قتل فقد اهين ما كرم على الله وهتكت حرمته وعلى العكس فلا فرق اذا بين الواحد والجميع
في ذلك فان قلت فما الفائدة في ذلك قلت تعظيم قتل النفس واحيائها في القلوب ليشمئز الناس عن الجسارة عليها ويتراغبوا في
المحاماة على حرمتها لان المتعرض لقتل النفس اذا تصور قتلها بصورة قتل الناس جميعا عظم ذلك عليه فثبطه وكذلك الذي اراد احياءها وعن مجاهد
قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله والعذاب الاليم ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك وعن الحسن يا ابن آدم أرأيت لو قتلت الناس جميعا
اكنت تطمع ان يكون لك عمل يوازي ذلك لا انه شيء سولت لك نفسك والشيطان فكذلك اذا قتلت واحدا بعد ذلك بعد ما كتبنا
عليهم وبعد مجيء الرسل بالآيات لمسرفون يعني في القتل لا يبالون بعظمته **يحاربون الله ورسوله** يحاربون رسول الله ومحاربة المسلمين في حكم
محاربته ويسعون في الارض فسادا مفسدين او لان سعيهم في الارض لما كان على طريق الفساد نزل منزلة ويفسدون في الارض فانتصب فسادا على المعنى
ويجوز ان يكون مفعولا له اي للفساد نزلت في قوم هلال بن عويمر وكان بينه وبين رسول الله عهد وقد مر بهم قوم يريدون رسول الله فقطعوا عليهم
وقيل في العرنيين فاوحى الله اليه ان من جمع بين القتل واخذ المال قتل وصلب ومن افرد القتل قتل ومن افرد اخذ المال قطعت يده لاخذ المال ورجله لاخافة
السبيل ومن افرد الاخافة نفي من الارض وقيل هذا حكم كل قاطع طريق كافرا كان او مسلما ومعناه ان يقتلوا من غير صلب ان افردوا القتل
او يصلبوا مع القتل ان جمعوا بين القتل واخذ المال قال ابو حنيفة ومحمد يصلب حيا ويطعن حتى يموت او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ان اخذوا
المال او ينفوا من الارض ان لم يزيدوا على الاخافة وعن جماعة منهم الحسن والنخعي ان الامام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق من غير تفصيل
والنفي الحبس عند ابي حنيفة وعند الشافعي النفي من بلد الى بلد لا يزال يطلب وهو هارب فزعا وقيل ينفى من بلده وكانوا ينفونهم الى دهلك وهو
بلد في اقصى تهامة وناصع وهو بلد في بلاد الحبشة خزي ذل وفضيحة الا الذين تابوا استثناء من المعاقبين عقاب قطع الطريق خاصة واما حكم
القتل والجراح واخذ المال فالى الاولياء ان شاؤا عفوا وان شاؤا استوفوا وعن علي رضي الله عنه ان الحارث بن بدر جاءه تائبا بعد ما كان يقطع الطريق
فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة الوسيلة كل ما يتوسل به اي يتقرب من قرابة او صنيعة او غير ذلك فاستعير لما يتوسل به الى الله من فعل الطاعات
وترك المعاصي وانشد للبيد ارى الناس لا يدرون ما قدر امرهم الا كل ذي لب الى الله واسل ليفتدوا به ليجعلوه فدية
لانفسهم وهذا تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى النجاة منه بوجه وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقال للكافر يوم القيمة أرأيت لو كان لك ملء
الارض ذهبا اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له قد سئلت ايسر من ذلك ولو مع ما يجيز مثله فان قلت لم وحد الراجع في قوله
ليفتدوا به وقد ذكر شيئان قلت هو نحو قوله فاني وقيار بها لغريب او على اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة كانه قيل بذلك

ويجوز أن يكون الواو ثم ومثله بمعنى مع متحد المرجوع اليه فان قلت لم نصب المفعول معه قلت بما تستدعيه لو من الفعل لان
التقدير لو ثبت أن لهم ما في الارض قرأ ابو واقد أن يخرجوا بضم الياء من أخرج يشهد لقراءة العامة قوله بخارجين وما روي عن عكرمة أن نافع
ابن الازرق قال لابن عباس يا أعمى البصر أعمى القلب تزعم أن قوما يخرجون من النار وقد قال الله تعالى وما هم بخارجين منها فقال ويحك اقرأ ما فوقها هذا
للكفار فمما لفقته المجبرة وليس باول تكاذيبهم وفراهم وكفاك بما فيه من مواجهة ابن الازرق ابن عم رسول الله وهو بين أظهر أعضاده من
قريش وأنضاده من بني عبد المطلب وهو حبر الامة وبحرها بالخطاب الذي لا يجسر على مثله احد من اهل الدنيا برفعه الى عكرمة دليلين ناصعين
أن الحديث فرية ما فيها مرية والسارق والسارقة رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند سيبويه كأنه قيل وفيما فرض عليكم السارق
والسارقة أي حكمهما ووجه آخر وهو أن يرتفعا بالابتداء والخبر فاقطعوا أيديهما ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط لان المعنى والذي
سرق والتي سرقت فاقطعوا أيديهما والاسم الموصول يتضمن معنى الشرط وقرأ عيسى بن عمر بالنصب وفضلها سيبويه على قراءة العامة لاجل الامر
لان زيدا فاضربه أحسن من زيد فاضربه أيديهما يديهما ونحوه فقد صغت قلوبكما اكتفى بتثنية المضاف اليه عن تثنية المضاف
وأريد باليدين اليمينان بدليل قراءة عبد الله والسارقون والسارقات فاقطعوا أيمانهم والسارق في الشريعة من سرق من الحرز والمقطع
الرسغ وعند الخوارج المنكب والمقدار الذي يجب به القطع عشرة دراهم عند ابي حنيفة وعند مالك ربع دينار وعن الحسن درهم وفي
مواعظه احذر من قطع يدك في درهم جزاء ونكالا مفعول لهما فمن تاب من السراق من بعد ظلمه من بعد سرقته وأصلح أمره بالتفصي عن
التبعات فان الله يتوب عليه يسقط عنه عقاب الآخرة وأما القطع فلا تسقطه التوبة عند ابي حنيفة وأصحابه وعند الشافعي في أحد قوليه
تسقطه من يشاء من يجب في الحكمة تعذيبه والمغفرة له من المصرين والتائبين وقيل يسقط حق الله اذا تاب وبالتوبة ليكون الوعيد
الى السلام وأبعد من التنفير عنه ولا تسقط عن المسلم لان في اقامته الصلاح للمؤمنين والحياة ولكم في القصاص حياة فان قلت لم قدم التعذيب
على المغفرة قلت لانه قوبل بذلك تقدم السرقة على التوبة قرئ لا يحزنك بضم الياء يسارعون في الكفر أي لا تبال بتهافتهم في الكفر
أي في اظهاره بما يلوح منهم من آثار الكيد للاسلام ومن موالاة المشركين فاني ناصرك عليهم وكافيك شرهم يقال أسرع فيه الشيب وأسرع فيه الفساد
بمعنى وقع فيه سريعا فكذلك مسارعتهم في الكفر ووقوعهم وتهافتهم فيه أسرع شيء اذا وجدوا فرصة لم يخطئوها وآمنوا متعلق بقالوا أي قالوا آمنا
متعلق بقالوا الا بأمثالنا ومن الذين هادوا منقطع مما قبله خبر لسماعون أي ومن الذين هادوا قوم سماعون ويجوز أن يعطف على الذين قالوا ويرتفع
سماعون على هم سماعون والضمير للفريقين أو للذين هادوا ومعنى سماعون للكذب قابلون لما يفتريه الاحبار ويفتعلونه من الكذب على الله وتحريف كتابه
من قولك الملك يسمع كلام فلان ومنه سمع الله لمن حمده سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يعني اليهود الذين لم يصلوا الى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتجافوا عنه لما أفرط فيهم من شدة البغضاء وتبالغ من العداوة أي قابلون من الاحبار ومن أولئك المفرطين في العداوة الذين لا يقدرون أن ينظروا اليك
وقيل سماعون الى رسول الله لاجل أن يكذبوا عليه بأن يمسخوا ما سمعوا منه بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير سماعون من رسول الله لاجل قوم
آخرين من اليهود وجهوهم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منه وقيل السماعون بنو قريظة والقوم الآخرون يهود خيبر يحرفون الكلم يميلونه
ويزيلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها فيهملونه بغير مواضع ان أوتيتم هذا المحرف المزال عن مواضعه فخذوه واعلموا انه الحق واعملوا به
وان لم تؤتوه وأفتاكم محمد بخلافه فاحذروا وإياكم وإياه فهو الباطل والضلال وروي أن شريفا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما
الرجم في التوراة فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله عن ذلك وقالوا ان أمركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان أمركم
بالرجم فلا تقبلوا وأرسلوا الزانيين معهم فأمرهم بالرجم فأبوا أن يأخذوا به فقال له جبريل اجعل بينك وبينهم ابن صوريا فقال هل تعرفون شابا أمرد أعور
يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو أعلم يهودي على وجه الارض ورضوا به حكما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدك الله الذي
لا إله إلا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وأنجاكم وأغرق آل فرعون والذي أنزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من
أحصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته أن ينزل علينا العذاب ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء كان يعرفها من أعلامه
فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله النبي الامي العربي الذي بشر به المرسلون وأمر رسول الله بالزانيين فرجما عند باب مسجده ومن يرد الله
فتنته تركه مفتونا وخذلانه فلن تملك له من الله شيئا فلن تستطيع له من لطف الله وتوفيقه شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يمنحهم ألطافه

ما

ما يطهر به قلوبهم لانهم ليسوا من أهلها لعلمه أنها لا تنفع فيهم ولا تنجع ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله كيف يهدي الله قوما
كفروا بعد ايمانهم السحت كل ما لا يحل كسبه وهو من سحته اذا استأصله لانه مسحوت البركة كما قال تعالى يمحق الله الربا والربا
باب منه وقرئ السحت بالتخفيف والتثقيل والسحت بفتح السين على لفظ المصدر من سحته والسحت بفتحتين والسحت بكسر السين
وكانوا يأخذون الرشا على الاحكام وتحليل الحرام وعن الحسن كان الحاكم في بني اسرائيل اذا أتاه أحدهم برشوة جعلها في كمه فأراها اياه
وتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر الى خصمه فيأكل الرشوة ويسمع الكذب وعن علي أن عاملا قدم من عمله فجاءه قوم فقدم اليهم الغراضة
وجعل يحدثهم بما جرى له في عمله فقال اعرابي من القوم نحن كما قال الله سماعون للكذب أكالون للسحت وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل لحم
أنبته السحت فالنار أولى به فان جاؤك فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرا اذا تحاكم اليه أهل الكتاب بين أن يحكم بينهم وبين أن لا يحكم وعن
عطاء والنخعي والشعبي أنهم اذا رفعوا الى حكام المسلمين فان شاءوا حكموا وان شاءوا أعرضوا وقيل هو منسوخ بقوله وأن احكم بينهم بما أنزل الله
وعند ابي حنيفة رحمه الله ان احتكموا الينا حملوا على حكم الاسلام وان زنى منهم رجل بمسلمة أو سرق من مسلم شيئا أقيم عليه الحد وأما
أهل الحجاز فانهم لا يرون اقامة الحدود عليهم يذهبون الى أنهم قد صولحوا على شركهم وهو أعظم من الحدود ويقولون ان النبي صلى الله عليه وسلم
رجم اليهوديين قبل نزول الجزية فلن يضروك شيئا لانهم كانوا لا يتحاكمون اليه الا لطلب الايسر والاهون عليهم كالجلد مكان الرجم
فاذا أعرض عنهم وأبى الحكومة لهم شق عليهم وتكرهوا اعراضه عنهم وكانوا خلقاء بأن يعادوه ويضاروه فأمن الله سربه
بالقسط بالعدل والاحتياط كما حكم بالرجم وكيف يحكمونك تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه مع أن الحكم منصوص في كتابهم
الذي يدعون الايمان به ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما في كتابهم لا يرضون به وما أولئك
بالمؤمنين بكتابهم كما يدعون أو وما أولئك بالكاملين في الايمان على سبيل التهكم بهم فان قلت فيها حكم الله ما موضعه من الاعراب
قلت اما أن ينتصب حالا من التوراة وهي مبتدأ خبره عندهم واما أن يرتفع خبرا عنها كقولك وعندهم التوراة ناطقة بحكم الله واما أن لا
يكون له محل وتكون جملة مبينة لان عندهم ما يغنيهم عن التحكيم كما تقول عندك زيد ينصحك ويشير عليك بالصواب فما تصنع بغيره
فان قلت لم أنثت التوراة قلت لكونها نظيرة لموماة ودوداة ونحوهما في كلام العرب فان قلت علام عطف ثم
يتولون قلت على يحكمونك فيها هدى يهدي للحق والعدل ونور يبين ما استبهم من الاحكام النبيون الذين أسلموا صفة أجريت على
النبيين على سبيل المدح كالصفات الجارية على القديم سبحانه لا للتفصلة والتوضيح وأريد باجرائها التعريض باليهود وأنهم بعداء من ملة الاسلام
التي هي دين الانبياء في القديم والحديث وأن اليهودية بمعزل عنها وقوله الذين أسلموا للذين هادوا مناد على ذلك والربانيون والاحبار
والعلماء والزهاد من ولد هارون الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود بما استحفظوا من كتاب الله بما سألهم أنبياؤهم حفظه من التوراة
أي بسبب سؤال أنبيائهم اياهم أن يحفظوه من التغيير والتبديل ومن في من كتاب الله للتبيين وكانوا عليه شهداء أي رقباء لئلا يبدل
والمعنى يحكم بأحكام التوراة النبيون بين موسى وعيسى وكان بينهما ألف نبي للذين هادوا يحملونهم على أحكام التوراة لا يتركونهم أن يعدلوا عنها
كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من حملهم على حكم الرجم وارغام أنوفهم وابائه عليهم ما اشتهوه من الجلد وكذلك حكم الربانيون والاحبار
المسلمون بسبب ما استحفظهم أنبياؤهم من كتاب الله والقضاء بأحكامه وبسبب كونهم عليه شهداء ويجوز أن يكون الضمير في استحفظوا
للانبياء والربانيين والاحبار جميعا ويكون الاستحفاظ من الله أي كلفهم الله حفظه وأن يكونوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس نهي للحكام
عن خشيتهم غير الله في حكوماتهم وادهانهم فيها وامضائها على خلاف ما أمروا به من العدل لخشية سلطان ظالم أو خيفة أذية أحد
من القرباء والاصدقاء واخشون ولا تشتروا ولا تستبدلوا ولا تستعيضوا بآيات الله وأحكامه ثمنا قليلا وهو الرشوة وابتغاء الجاه
ورضى الناس كما حرف أحبار اليهود كتاب الله وغيروا أحكامه رغبة في الدنيا وطلبا للرياسة فهلكوا ومن لم يحكم بما أنزل
الله مستهينا به فأولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون وصف لهم بالعتو في كفرهم حين ظلموا آيات الله بالاستهانة وتمردوا بأن
حكموا بغيرها وعن ابن عباس أن الكافرين والظالمين والفاسقين أهل الكتاب وعنه نعم القوم أنتم ما كان من حلو فلكم وما كان من مر
فهو لاهل الكتاب من جحد حكم الله كفر ومن لم يحكم به وهو مقر فهو ظالم فاسق وعن الشعبي هذه في أهل الاسلام والظالمون في اليهود

والفاسقون في النصارى وعن ابن مسعود هو عام في اليهود وغيرهم وعن حذيفة انتم اشبه الامم سمتا ببني اسرائيل لتركبن طريقهم حذو النعل
بالنعل والقذة بالقذة غير اني لا ادري اتعبدون العجل ام لا وفي مصحف ابي وانزل الله على بني اسرائيل فيها وفيها ان الجروح قصاص
والمعطوفات كلها قرئت منصوبة ومرفوعة والرفع للعطف على محل ان النفس لان المعنى وكتبنا عليهم النفس بالنفس اما لاجراء كتبنا
مجرى قلنا واما لان معنى الجملة التي هي قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكتب كما تقع عليه القراءة تقول كتبت الحمد لله وقرات سورة
انزلناها ولذلك قال الزجاج لو قرئ ان النفس بالكسر لكان صحيحا او للاستئناف والمعنى فرضنا عليهم فيها ان النفس ماخوذة بالنفس
مقتولة بها اذا قتلتها بغير حق وكذلك العين مفقوءة بالعين والانف مجدوع بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن
والجروح قصاص ذات قصاص وهو المقاصة والمعنى ما يمكن فيه القصاص ويعرف المساواة وعن ابن عباس كانوا لا يقتلون الرجل بالمراة
فنزلت فمن تصدق من اصحاب الحق به بالقصاص وعفا عنه فهو كفارة له فالتصدق به كفارة للمتصدق يكفر الله من سيئاته ما
تقتضيه الدلائل كما طلبه الله وعن عبد الله بن عمرو يهدم عنه ذنوبه بقدر ما تصدق به وقيل هو كفارة للجاني اذا تجاوز
عنه صاحب الحق سقط عنه ما لزمه وفي قراءة ابي فهو كفارته له يعني فالمتصدق كفارته له اي الكفارة التي يستحقها له
لا ينقص منها وهو تعظيم لما فعل كقوله فاجره على الله ترغيب في العفو وقفينا قفيته مثل عقبته اذا اتبعته ثم يقال قفيته بفلان وعقبته
به فتعديه الى الثاني بزيادة الباء فان قلت فاين المفعول الاول في الآية قلت هو محذوف والظرف الذي هو على آثارهم كالساد
مسده لانه اذا قفى به على اثره فقد قفى به اياه والضمير في آثارهم للنبيين في قوله يحكم بها النبيون الذين اسلموا وقرا الحسن الانجيل بفتح
الهمزة فان صح عنه فلانه اعجمي خرج لعجمته عن زنات العربية كما خرج هابيل وآجر ومصدقا عطف على محل فيه هدى ومحله النصب
على الحال وهدى وموعظة يجوز ان ينتصبا على الحال كقوله مصدقا وان ينتصبا مفعولا لهما لقوله وليحكم كانه قيل وللهدى والموعظة آتيناه الانجيل
وللحكم بما انزل الله فيه من الاحكام فان قلت فان نظمت هدى وموعظة في سلك مصدقا فما تصنع بقوله وليحكم قلت اصنع به ما صنعت
بهدى وموعظة حين جعلتهما مفعولا لهما فاقدر وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله آتيناه اياه وقرئ وليحكم على لفظ الامر بمعنى وقلنا ليحكم
وروي في قراءة ابي وان ليحكم بزيادة ان مع الامر على ان ان موصولة بالامر كقولك امرته بان قم كانه قيل وآتيناه الانجيل وامرنا بان يحكم
اهل الانجيل وقيل ان عيسى صلوات الله عليه كان متعبدا بما في التوراة من الاحكام لان الانجيل مواعظ وزواجر والاحكام فيه قليلة وظاهر
قوله وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه يرد ذلك وكذلك قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وان ساغ لقائل ان يقول معناه وليحكموا
بما انزل الله فيه من ايجاب العمل بما في التوراة فان قلت اي فرق بين التعريفين في قوله وانزلنا اليك الكتاب وقوله لما بين يديه من الكتاب
قلت الاول تعريف العهد لانه عني به القرآن والثاني تعريف الجنس لانه عني جنس الكتب المنزلة ويجوز ان يقال هو للعهد لانه لم يرد
به ما يقع عليه اسم الكتاب على الاطلاق وانما اريد نوع معلوم منه وهو ما انزل من السماء سوى القرآن ومهيمنا ورقيبا على سائر الكتب
لانه يشهد لها بالصحة والثبات وقرئ ومهيمنا عليه بفتح الميم اي هو من عليه بان يحفظ من التغيير والتبديل كما قال لا ياتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه والذي هيمن عليه الله عز وجل او الحفاظ في كل بلد لو حرف حرف منه او حركة او سكون لتنبه عليه كل احد
ولاشمازوا رادين ومنكرين فضمن ولا تتبع معنى ولا تنحرف فلذلك عدي بعن كانه قيل ولا تنحرف عما جاءك من الحق متبعا اهواءهم
لكل جعلنا منكم ايها الناس شرعة شريعة وقرا يحيى بن وثاب بفتح الشين ومنهاجا وطريقا واضحا في الدين تجرون عليه وقيل هذا دليل على انا
غير متعبدين بشرائع من قبلنا ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة اي ذوي دين واحد لا اختلاف فيه ولكن اراد ليبلوكم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة هل تعملون بها
مذعنين معتقدين انها مصالح قد اختلفت على حسب الاحوال والاوقات معترفين بان الله لم يقصد باختلافها الا ما اقتضته الحكمة ام تتبعون الشبه
وتفرطون في العمل **فاستبقوا الخيرات** فابتدروها وتسابقوا نحوها الى الله مرجعكم استئناف في معنى التعليل لاستباق الخيرات
فينبئكم فيخبركم بما لا تشكون معه من الجزاء الفاصل بين محقكم ومبطلكم وعاملكم ومفرطكم في العمل فان قلت وان احكم
معطوف على ماذا قلت على الكتاب في قوله وانزلنا اليك الكتاب كانه قيل وانزلنا اليك الحكم على ان وصلت بالامر لانه فعل
كسائر الافعال ويجوز ان يكون معطوفا على بالحق اي انزلناه بالحق وبان احكم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك ان يضلوك عنه ويردوك
وذلك

وذلك ان كعب بن اسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس من احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد
قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن
نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فان تولوا عن الحكم بما انزل الله اليك واعرضوا عنه فاعلم انما يريد الله
ان يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني بذنب التولي عن حكم الله وارادة خلافه فوضع ببعض ذنوبهم موضع ذلك واراد ان لهم ذنوبا جمة كثيرة العدد
وان هذا الذنب مع عظمه بعضها وواحد منها وهذا الابهام لتعظيم التولي واستسرافهم في ارتكابه ونحو البعض في هذا الكلام ما في قول لبيد
او يرتبط بعض النفوس حمامها اراد نفسه وانما قصد تفخيم شانها بهذا الابهام كانه قال نفسا كبيرة ونفسا اي نفس
كما ان التنكير يعطي معنى التكثير وهو في معنى البعضية فكذلك اذا صرح بالبعض لفاسقون لمتمردون في الكفر معتدون فيه يعني ان
التولي عن حكم الله من التمرد العظيم والاعتداء في الكفر افحكم الجاهلية يبغون فيه وجهان احدهما ان قريظة والنضير طلبوا اليه
ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال القتلى بواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى
بذلك فنزلت والثاني ان يكون تعييرا لليهود بانهم اهل كتاب وعلم وهم يبغون حكم الملة الجاهلية التي هي هوى وجهل لا تصدر عن كتاب ولا ترجع الى
وحي من الله وعن الحسن هو عام في كل من يبتغي غير حكم الله والحكم حكمان حكم بعلم فهو حكم الله وحكم بجهل فهو حكم الشيطان وسئل طاوس
عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض فقرا هذه الآية وقرئ تبغون بالتاء والياء وقرا السلمي افحكم الجاهلية يبغون برفع الحكم على الابتداء وايقاع
يبغون خبرا واسقاط الراجع عنه كاسقاطه عن الصلة في اهذا الذي بعث الله وعن الصفة في الناس رجلان رجل اهنت ورجل اكرمت وعن
الحال في مررت بهند يضرب زيد وقرا قتادة افحكم الجاهلية على ان هذا الحكم الذي يبغونه انما يحكم به افعى نجران او نظيره من حكام
الجاهلية فاراد بسفههم ان يكون منهم حكام الشرك كما قال الى الحكام اللام في قوله لقوم يوقنون للبيان كاللام في هيت لك اي هذا
الخطاب وهذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتبينون ان لا اعدل من الله ولا احسن حكما منه لا تتخذوهم اولياء تنصرونهم
وتستنصرونهم وتواخونهم وتصافونهم وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين ثم علل النهي بقوله بعضهم اولياء بعض لاتحاد ملتهم وملة الكفر ومن يتولهم منكم
فانه من جملتهم وحكمه حكمهم وهذا تغليظ من الله وتشديد في وجوب مجانبة المخالف في الدين واعتزاله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ترايا
ناراهما ومنه قول عمر رضي الله عنه لابي موسى الاشعري في كاتبه النصراني لا تكرموهم اذ اهانهم الله ولا تامنوهم اذ خونهم الله ولا تدنوهم اذ
اقصاهم الله وروي انه قال له ابو موسى لا قوام للبصرة الا به فقال مات النصراني والسلام يعني هب انه قد مات فما كنت تكون صانعا حينئذ فاصنعه
الساعة واستغن عنه بغيره ان الله لا يهدي القوم الظالمين يعني الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفرة يمنعهم الله الطافه ويخذلهم مقتا لهم
يسارعون فيهم ينكمشون في موالاتهم ويرغبون فيها ويعتذرون بانهم لا يامنون ان تصيبهم دائرة من دوائر الزمان اي صرف من صروفه ودولة
من دوله فيحتاجوا اليهم والى معونتهم وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي موالي من يهود كثيرا عددهم واني
ابرا الى الله ورسوله من ولايتهم واوالي الله ورسوله فقال عبد الله بن ابي اني رجل اخاف الدوائر لا ابرا من ولاية يهود بني قينقاع
فعسى الله ان ياتي بالفتح لرسول الله على اعدائه واظهار المسلمين او امر من عنده يقطع شافة اليهود ويجليهم عن بلادهم فيصبح المنافقون
نادمين على ما حدثوا به انفسهم وذلك انهم كانوا يشكون في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون ما نظن انه يتم له امر وبالحري ان تكون الدولة والغلبة
لهولاء وقيل او امر من عنده او ان يؤمر النبي صلى الله عليه وسلم باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فيندموا على نفاقهم وقيل او امر من عند الله لا يكون للناس
فيه فعل كبني النضير الذين طرح الله في قلوبهم الرعب فاعطوا بايديهم من غير ان يوجف عليهم بخيل ولا ركاب ويقول الذين آمنوا قرئ بالنصب
عطفا على ان ياتي وبالرفع على انه كلام مبتدا اي ويقول الذين آمنوا في ذلك الوقت وقرئ يقول بغير واو وهي في مصاحف مكة والمدينة والشام
كذلك على انه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ فقيل يقول الذين آمنوا اهولاء الذين اقسموا فان قلت لمن يقولون هذا القول
قلت اما ان يقوله بعضهم لبعض تعجبا من حالهم واغتباطا بما من الله عليهم من التوفيق في الاخلاص اهولاء الذين اقسموا لكم باغلاظ الايمان انهم اولياؤكم
ومعاضدوكم على الكفار واما ان يقولوه لليهود لانهم حلفوا لهم بالمعاضدة والنصرة كما حكى الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم حبطت اعمالهم من جملة
قول المؤمنين اي بطلت اعمالهم التي كانوا يتكلفونها في راي اعين الناس وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم فما اخسرهم او من قول الله عز وجل

شهادة لهم بحبوط الأعمال وتعجباً من سوء حالهم {من يرتد منكم عن دينه} وهو في الإمام بالدالين وهو من الكائنات التي أخبر عنها في القرآن قبل كونها وقيل كان أهل الردة إحدى عشرة فرقة ثلاث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو مدلج ورئيسهم ذو الخمار وهو الأسود العنسي وكان كاهناً تنبأ باليمن واستولى على بلاده فأخرج عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى معاذ بن جبل وإلى سادات اليمن فأهلكه الله على يدي فيروز الديلمي بيته فقتله وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ليلة قتل فسر المسلمون وقبض رسول الله من الغد وأتى خبره في آخر شهر ربيع الأول وبنو حنيفة قوم مسيلمة تنبأ وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله أما بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك فأجاب من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه أبو بكر رضي الله عنه بجنود المسلمين وقتل على يدي وحشي قاتل حمزة وكان يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الإسلام أراد في جاهليتي وإسلامي وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالداً فانهزم بعد القتال إلى الشام ثم أسلم وحسن إسلامه وسبع في عهد أبي بكر رضي الله عنه فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها مسيلمة الكذاب وفيها يقول أبو العلاء المعري في كتاب استغفر واستغفري شعر أمت سجاح ووالاها مسيلمة كذابة في بني الدنيا وكذاب وكندة قوم الأشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله أمرهم على يدي أبي بكر رضي الله عنه وفرقة واحدة في عهد عمر رضي الله عنه غسان قوم جبلة بن الأيهم نصرته اللطمة وسيرته إلى بلاد الروم بعد إسلامه {فسوف يأتي الله بقوم يحبهم} قيل لما نزلت أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي موسى الأشعري فقال قوم هذا وقيل هم ألفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من أفناء الناس جاهدوا يوم القادسية وقيل هم الأنصار وقيل سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فضرب على عاتق سلمان وقال هذا وذووه ثم قال لو كان الإيمان معلقاً بالثريا لناله رجال من أبناء فارس يحبهم ويحبونه محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته وأن لا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه ومحبة الله لعباده أن يثيبهم أحسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويثني عليهم ويرضى عنهم وأما ما يعتقده أجهل الناس وأعداهم للعلم وأهله وأمقتهم للشرع وأسوأهم طريقة وإن كانت طريقتهم عند أمثالهم من الجهلاء والسفهاء شيئاً وهم الفرقة المتفعلة المتفعلة من الصوف وما يدينون به من المحبة والعشق والتغني على كراسيهم خربها الله وفي مراقصهم عطلها الله بأبيات الغزل المقولة في المردان الذين يسمونهم شهداء وصعقاتهم التي أين عنها صعقة موسى عند دك الطور فتعالى الله عنه علواً كبيراً ومن كلماتهم كما أنه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فإن الهاء راجعة إلى الذات دون النعوت والصفات ومنها الحب شرطه أن تلحقه سكرات المحبة فإذا لم يكن ذلك لم تكن فيه حقيقة فإن قلت أين الراجع من الجزاء إلى الاسم المتضمن لمعنى الشرط قلت هو محذوف معناه فسوف يأتي الله بقوم مكانهم أو بقوم غيرهم أو ما أشبه ذلك {أذلة} جمع ذليل وأما ذلول فجمعه ذلل ومن زعم أنه من الذل الذي هو نقيض الصعوبة فقد غبي عنه أن ذلولاً لا يجمع على أذلة فإن قلت هلا قيل أذلة للمؤمنين أعزة على الكافرين قلت فيه وجهان أحدهما أن يضمن الذل معنى الحنو والعطف كأنه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع والثاني أنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أجنحتهم ونحوه قوله عز وعلا {أشداء على الكفار رحماء بينهم} وقرئ أذلة وأعزة بالنصب على الحال {ولا يخافون لومة لائم} يحتمل أن تكون الواو للحال على أنهم يجاهدون وحالهم في المجاهدة خلاف حال المنافقين فإنهم كانوا موالين لليهود لعنت فإذا خرجوا في جيش المؤمنين خافوا أولياءهم اليهود فلا يعملون شيئاً مما يعلمون أنه يلحقهم فيه لوم من جهتهم وأما المؤمنون فكانوا يجاهدون لوجه الله تعالى لا يخافون لومة لائم قط وأن تكون للعطف على أن من صفتهم المجاهدة في سبيل الله وأنهم صلاب في دينهم إذا شرعوا في أمر من أمور الدين إنكار منكر أو أمر بمعروف مضوا فيه كالمسامير المحماة لا يرعبهم قول قائل ولا اعتراض معترض ولا لومة لائم يشق عليه جدهم في إنكارهم وصلابتهم في أمرهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفي التنكير مبالغتان كأنه قيل لا يخافون شيئاً قط من لوم أحد من اللوام {ذلك} إشارة إلى ما وصف به القوم من المحبة والذلة والعزة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة {يؤتيه من يشاء} ممن يعلم أن له لطفاً {واسع} كثير الفواضل والألطاف {عليم} بمن هو من أهلها عقب النهي عن موالاة من تجب معاداتهم ذكر من تجب موالاتهم بقوله {إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا} ومعنى إنما وجوب اختصاصهم بالموالاة فإن قلت قد ذكرت جماعة فهلا قيل إنما أولياؤكم قلت أصل الكلام إنما وليكم الله فجعلت الولاية لله على طريق الأصالة ثم نظم في سلك إثباتها له إثباتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على سبيل التبع ولو قيل إنما أولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا لم يكن في الكلام أصل وتبع وفي قراءة عبد الله إنما مولاكم الله فإن قلت {الذين يقيمون} ما محله قلت الرفع على البدل من الذين آمنوا نفاقاً وواطأت قلوبهم ألسنتهم إلا أنهم مفرطون في العمل {وهم راكعون} الواو فيه للحال أي يعملون ذلك في حال الركوع وهو الخشوع والإخبات والتواضع

في صلاتهم وزكاتهم وقيل هو حال من يؤتون الزكاة بمعنى يؤتونها في حال ركوعهم في الصلاة وإنها نزلت في علي كرم الله وجهه حين سأله سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه كأنه كان مرجاً في خنصره فلم يتكلف لخلعه كثير عمل تفسد بمثله صلاته فإن قلت كيف صح أن يكون لعلي رضي الله عنه واللفظ لفظ جماعة قلت جيء به على لفظ الجمع وإن كان السبب فيه رجلاً واحداً ليرغب الناس في مثل فعله فينالوا مثل ثوابه ولينبه على أن سجية المؤمنين يجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على البر والإحسان وتفقد الفقراء حتى إن لزمهم أمر لا يقبل التأخير وهم في الصلاة لم يؤخروه إلى الفراغ منها {فإن حزب الله} من إقامة الظاهر مقام المضمر ومعناه فإنهم هم الغالبون ولكنهم بذلك جعلوا أعلاماً لكونهم حزب الله وأصل الحزب القوم يجتمعون لأمر حزبهم ويحتمل أن يريد بحزب الله الرسول والمؤمنين ويكون المعنى ومن يتولهم فقد تولى حزب الله واعتضد بمن لا يغالب وروي أن رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث قد أظهرا الإسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزلت يعني أن اتخاذهم دينكم هزواً ولعباً لا يصح أن يقابل باتخاذكم إياهم أولياء بل يقابل ذلك بالبغضاء والشنآن والمنابذة وفصل المستهزئين بأهل الكتاب والكفار وإن كان أهل الكتاب من الكفار إطلاقاً للكفار على المشركين خاصة والدليل عليه قراءة عبد الله ومن الذين أشركوا وقرئ والكفار بالنصب والجر وتعضد قراءة الجر قراءة أبي ومن الكفار {واتقوا الله} في موالاة الكفار {إن كنتم مؤمنين} حقاً لأن الإيمان حقاً يأبى موالاة أعداء الدين {اتخذوها} الضمير للصلاة أو للمناداة قيل كان رجل من النصارى بالمدينة إذا سمع المؤذن يقول أشهد أن محمداً رسول الله يقول حرق الكاذب فدخلت خادمه بنار ذات ليلة وهو نائم فتطايرت منها شرارة في البيت فاحترق هو وأهله وقيل فيه دليل على ثبوت الأذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده {لا يعقلون} لأن لعبهم وهزؤهم من أفعال السفهاء والجهلة فكأنه لا عقل لهم قرأ الحسن هل تنقمون بفتح القاف والفصيح كسرها والمعنى هل تعيبون منا وتنكرون إلا الإيمان بالكتب المنزلة كلها {وأن أكثركم فاسقون} فإن قلت علام عطف قوله وأن أكثركم فاسقون قلت فيه وجوه منها أن يعطف على أن آمنا بمعنى وما تنقمون منا إلا الجمع بين إيماننا وبين تمردكم وخروجكم عن الإيمان كأنه قيل وما تنكرون منا إلا مخالفتكم حيث دخلنا في دين الإسلام وأنتم خارجون منه ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف أي واعتقاد أنكم فاسقون ومنها أن يعطف على المجرور أي وما تنقمون منا إلا الإيمان بالله وبما أنزل وبأن أكثركم فاسقون ويجوز أن تكون الواو بمعنى مع أي وما تنقمون منا إلا الإيمان مع أن أكثركم فاسقون ويجوز أن يكون تعليلاً معطوفاً على تعليل محذوف كأنه قيل وما تنقمون منا إلا الإيمان لقلة إنصافكم وفسقكم واتباعكم الشهوات ويدل عليه تفسير الحسن بفسقكم نقمتم ذلك علينا وروي أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من اليهود فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال أومن بالله وما أنزل إلينا إلى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى عليه السلام ما نعلم أهل دين أقل حظاً في الدنيا والآخرة منكم ولا ديناً شراً من دينكم فنزلت وعن نعيم بن ميسرة وأن أكثركم بالكسر ويحتمل أن ينتصب وأن أكثركم بفعل محذوف يدل عليه هل تنقمون أي ولا تنقمون أن أكثركم فاسقون أو يرتفع على الابتداء والخبر محذوف أي وفسقكم ثابت معلوم عندكم لأنكم علمتم أنا على الحق وأنكم على الباطل إلا أن حب الرياسة وكسب الأموال لا يدعكم فتنصفوا {ذلك} إشارة إلى المنقوم ولا بد من حذف مضاف قبله أو قبل من تقديره بشر من أهل ذلك أو دين من لعنه الله ومن لعنه في محل الرفع على قولك هو من لعنه الله كقوله قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار أو في محل الجر على البدل من بشر وقرئ مثوبة ومثوبة ومثلهما مشورة ومشورة فإن قلت المثوبة مختصة بالإحسان فكيف جاءت في الإساءة قلت وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ومنه فبشرهم بعذاب أليم فإن قلت المعاقبون من الفريقين هم اليهود فلم شورك بينهم في العقوبة قلت كان اليهود لعنهم الله يزعمون أن المسلمين ضالون مستوجبون للعقاب فقيل لهم من لعنه الله شر عقوبة في الحقيقة واليقين من أهل الإسلام في زعمكم ودعواكم {وعبد الطاغوت} عطف على صلة من كأنه قيل ومن عبد الطاغوت وفي قراءة أبي وعبدوا الطاغوت على المعنى وقرأ ابن مسعود ومن عبدوا وقرئ وعابد الطاغوت عطفاً على القردة وعابدي وعباد وعبد وعبد ومعناه الغلو في العبودية كقولهم رجل حذر وفطن للبليغ في الحذر والفطنة قال أبني لبينى إن أمكم أمة وإن أباكم عبد وعبد بوزن حطم وعبيد وعبد بضمتين جمع عبيد وعبدة بوزن كفرة وعبد وأصله عبدة فحذف التاء للإضافة أو هو كخدم في جمع خادم وعبد وعباد وأعبد وعبد الطاغوت على البناء للمفعول وحذف الراجع بمعنى وعبد الطاغوت فيهم أو بينهم وعبد الطاغوت بمعنى صار الطاغوت معبوداً من دون الله كقولك أمر إذا صار أميراً وعبد الطاغوت بالجر عطفاً على من لعنه الله فإن قلت كيف جاز أن يجعل الله منهم عباد الطاغوت قلت فيه وجهان أحدهما

اتخذ من حيث عبد وعاوا الثاني انه حكم عليهم بذلك ووصفهم به كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عند الرحمن اناثا وقيل الطاغوت العجل
لانه معبود من دون الله ولان عبادتهم للعجل مما زينه لهم الشيطان فكانت عبادتهم له عبادة للشيطان وهو الطاغوت وعن ابن عباس رضي
الله عنه اطاعوا الكهنة وكل من اطاع احدا في معصية الله فقد عبده وقرئ والجنس الطواغيت وقيل وجعل منهم القردة اصحاب السبت والخنازير
كفار اهل مائدة عيسى صلوات الله عليه وقيل كلا المسخين من اصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير
وروي انها لما نزلت كان المسلمون يعيرون اليهود ويقولون يا اخوة القردة والخنازير فينكسون رؤوسهم اولئك الملعونون
الممسوخون شر مكانا جعلت الشرارة للمكان وهي لاهله وفيه مبالغة ليست في قولك اولئك شر واضل لدخوله في باب الكناية
التي هي اخت المجاز نزلت في ناس من اليهود وكانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويظهرون له الايمان نفاقا فاخبره الله بشانهم
وانهم يخرجون من مجلسك كما دخلوا لم يتعلق بهم شيء مما سمعوا به من تذكيرك بآيات الله ومواعظك وقوله بالكفر وبه حالان اي دخلوا كافرين
وخرجوا كافرين ملتبسين بالكفر وكذلك قوله وقد دخلوا وهم قد خرجوا ولذلك دخلت قد تقريبا للماضي من الحال ولمعنى آخر وهو ان
امارات النفاق كانت لائحة عليهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متوقعا لاظهار ما كتموه فدخل حرف التوقع وهو متعلق بقوله قالوا آمنا اي
قالوا ذلك وهذه حالهم الاثم الكذب بدليل قوله عن قولهم الاثم والعدوان الظلم وقيل الاثم كلمة الشرك وقولهم عزير ابن الله وقيل الاثم ما يختص
بهم والعدوان ما يتعداهم الى غيرهم والمسارعة في الشيء الشروع فيه بسرعة لبئس ما كانوا يصنعون كانهم جعلوا آثم من مرتكبي المناكير
لان كل عامل لا يسمى صانعا ولا كل عمل يسمى صنعا حتى يتمكن فيه ويتدرب وينسب اليه وكان المعنى في ذلك ان مواقع المعصية معه الشهوة
التي تدعو اليها وتحمله على ارتكابها واما الذي نهاه فلا شهوة معه في فعل غيره فاذا فرط في الانكار كان اشد حالا من المواقع ولعمري ان هذه
الآية مما يقذ السامع وينعى على العلماء توانيهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي اشد آية في القرآن وعن الضحاك ما في القرآن آية اخوف عندي
منها غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ومنه قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط والقصد من كلمه اثبات
يد ولا غل ولا بسط ولا فرق عنده بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازا عنه كانهما كلامان متعقبان على حقيقة واحدة حتى انه يستعمله في ملك
لا يعطي عطاء قط ولا يمنعه الا باشارة من غير استعمال اليد وبسطها وقبضها ولو اعطى الاقطع الى المنكب عطاء جزيلا لقالوا ما ابسط يده بالنوال
لان بسط اليد وقبضها عبارتان وقعتا متعاقبتين للبخل والجود وقد استعملوهما حيث لا تصح اليد كقوله

جاد الحمى بسط اليدين بوابل شكرت نداه تلاعه ووهاده ولقد جعل لبيد للشمال يدا في قوله اذ اصبحت بيد الشمال زمامها
ويقال بسط اليأس كفيه في صدري فجعلت لليأس الذي هو من المعاني لا من الاعيان كفين ومن لم ينظر في علم البيان عمي عن تبصر محجة
الصواب في تأويل هذه الآية ولم يتخلص من يد الطاعن اذا عبثت به فان قلت قد صح ان قولهم يد الله مغلولة عبارة عن البخل فما تصنع بقوله غلت
ايديهم ومن حقه ان يطابق ما تقدم والا تنافر الكلام وزل عن سننه قلت يجوز ان يكون معناه الدعاء عليهم بالبخل والنكد ومن ثم
كانوا ابخل خلق الله وانكدهم ونحوه بيت الاشتر بقيت وفري وانحرفت عن العلى ويجوز ان يكون دعاء عليهم بغل الايدي حقيقة
يغلون في الدنيا اسارى وفي الآخرة معذبين باغلال جهنم والطباق من حيث اللفظ وملاحظة اصل المجاز كما تقول سبني سب الله دابره
اي قطعه لان السب اصله القطع فان قلت كيف جاز ان يدعو الله عليهم بما هو قبيح وهو البخل والنكد قلت المراد به الدعاء بالخذلان
الذي تقسو به قلوبهم فيزيدون بخلا الى بخلهم ونكدا الى نكدهم بما هو مسبب عن البخل والنكد من لصوق العار بهم وسوء الاحدوثة التي تخزيهم وتمزق
اعراضهم فان قلت لم ثنيت اليد في قوله بل يداه مبسوطتان وهي مفردة في يد الله مغلولة قلت ليكون رد قولهم وانكاره ابلغ وادل
على اثبات غاية السخاء له ونفي البخل عنه وذلك ان غاية ما يبذله السخي بماله من نفسه ان يعطيه بيديه جميعا فبني المجاز على ذلك وقرئ ولعنوا
بسكون العين وفي مصحف عبد الله بل يداه بسطان يقال يده بسط بالمعروف ونحوه مشية سجح وناقة سرح ينفق كيف يشاء تاكيد للوصف
بالسخاء ودلالة على انه لا ينفق الا على مقتضى الحكمة والمصلحة روي ان الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالا فلما عصوا الله تعالى
في محمد صلى الله عليه وسلم وكذبوه كف الله تعالى ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء يد الله مغلولة ورضي بقوله الآخرون فاشركوا فيه
وليزيدن اي يزدادون عند نزول القرآن لحسدهم تماديا في الجحود وكفرا بآيات الله والقينا بينهم العداوة فكلمهم ابدا مختلف وقلوبهم
شتى

شتى لا يقع اتفاق بينهم ولا تعاضد كلما اوقدوا نارا كلما ارادوا محاربة احد غلبوا وقهروا ولم يقم لهم نصر من الله على احد قط وقد اتاهم الاسلام
وهم في ملك المجوس وقيل خالفوا حكم التوراة فبعث الله عليهم بختنصر ثم افسدوا فسلط الله عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم
المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين وقيل كلما حاربوا رسول الله نصر عليهم وعن قتادة اذل الله اليهود بذلة لا تلقاهم الا من اذل الناس ويسعون
ويجتهدون في الكيد للاسلام ومحو ذكر رسول الله من كتبهم ولو ان اهل الكتاب مع ما عددنا من سيئاتهم آمنوا برسول الله وبما جاء به وقرنوا
ايمانهم بالتقوى التي هي الشريطة في الفوز بالايمان لكفرنا عنهم تلك السيئات ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم مع المسلمين الجنة وفيه اعلام بعظم معاصي
اليهود والنصارى وكثرة سيئاتهم ودلالة على سعة رحمة الله وفتحه باب التوبة على كل عاص وان عظمت معاصيه وبلغت مبالغ سيئات اليهود
والنصارى وان الايمان لا ينجي ولا يسعد الا مشفوعا بالتقوى كما قال الحسن هذا العمود فاين الاطناب ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل اقاموا
احكامهما وحدودهما وما فيهما من نعت رسول الله وما انزل اليهم من سائر كتب الله لانهم مكلفون الايمان بجميعها فكانها انزلت اليهم وقيل هو القرآن
لوسع الله عليهم الرزق وكانوا قد قحطوا وقوله لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم عبارة عن التوسعة وفيه ثلاثة اوجه ان يفيض عليهم بركات
السماء وبركات الارض وان يكثر الاشجار المثمرة والزروع المغلة وان يرزقهم الجنان اليانعة الثمار يجتنون ما تهدل منها من رؤوس الشجر
ويلتقطون ما تساقط على الارض من تحت ارجلهم منهم امة مقتصدة طائفة حالها امم في عداوة رسول الله وقيل هي الطائفة المؤمنة عبد الله
بن سلام واصحابه وثمانية واربعون من النصارى وساء ما يعملون فيه معنى التعجب كانه قيل وكثير منهم ما اسوأ عملهم وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه
والروم بلغ ما انزل اليك جميع ما انزل اليك واي شيء انزل اليك غير مراقب في تبليغه احدا ولا خائف ان ينالك مكروه وان لم تفعل وان لم تبلغ جميعه كما امرتك
فما بلغت رسالته وقرئ رسالاته فلم تبلغ اذن ما كلفت من اداء الرسالات ولم تؤد منها شيئا قط وذلك ان بعضها ليس باولى بالاداء من بعض فاذا
لم تؤد بعضها فكانك اغفلت اداءها جميعا كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لادلاء كل منها بما يدلي به غيرها وكونها لذلك في حكم
شيء واحد والشيء الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن به وعن ابن عباس رضي الله عنه ان كتمت آية لم تبلغ رسالاتي وروي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت فان قلت
وقوع قوله فما بلغت رسالته جزاء للشرط ما وجه صحته قلت فيه وجهان احدهما انه اذا لم يمتثل امر الله في تبليغ الرسالات وكتمها كلها
كانه لم يبعث رسولا كان امرا شنيعا لا خفاء بشناعته فقيل ان لم تبلغ منها ادنى شيء وان كلمة واحدة فانت كمن ركب الامر الشنيع الذي هو
كتمان كلها كما عظم قتل النفس بقوله فكانما قتل الناس جميعا والثاني ان يراد فان لم تفعل فلك ما يوجبه كتمان الوحي كله من العقاب
فوضع السبب موضع المسبب ويعضده قوله عليه السلام فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك والله يعصمك عدة من الله بالحفظ والكلاءة
والمعنى والله يضمن لك العصمة من اعدائك فما عذرك في مراقبتهم فان قلت اين ضمان العصمة وقد شج في وجهه يوم احد وكسرت رباعيته صلوات الله عليه
قلت المراد انه يعصمه من القتل وفيه ان عليه ان يحتمل كل ما دون النفس في ذات الله فما اشد تكليف الانبياء عليهم السلام وقيل نزلت بعد يوم احد
والناس الكفار بدليل قوله ان الله لا يهدي القوم الكافرين ومعناه انه لا يمكنهم مما يريدون انزاله بك من الهلاك وعن انس كان رسول الله يحرس
حتى نزلت فاخرج راسه من قبة ادم وقال انصرفوا يا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس لستم على شيء اي على دين يعتد به حتى يسمى شيئا لفساده
وبطلانه كما تقول هذا ليس بشيء تريد تحقيره وتصغير شانه وفي امثالهم اقل من لا شيء فلا تأس فلا تتاسف عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم
فان ضرر ذلك راجع اليهم لا اليك وفي المؤمنين غنى عنهم والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التاخير عما في حيز ان من
اسمها وخبرها كانه قيل ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك وانشد سيبويه شاهدا له
والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق اي فاعلموا انا بغاة وانتم كذلك فان قلت هلا زعمت ان ارتفاعه
للعطف على محل ان واسمها قلت لا يصح ذلك قبل الفراغ من الخبر لا تقول ان زيدا وعمرو منطلقان فان قلت لم لا يصح والنية به
التاخير فكانك قلت ان زيدا منطلق وعمرو قلت لاني اذا رفعته رفعته عطفا على محل ان واسمها والعامل في محلهما هو الابتداء
فيجب ان يكون هو العامل في الخبر لان الابتداء ينتظم الجزئين في عمله كما تنتظمهما ان في عملها فلو رفعت الصابئون المنوي به التاخير
بالابتداء وقد رفعت الخبر بان لاعملت فيهما رافعين مختلفين فان قلت فقوله والصابئون معطوف لا بد له من معطوف عليه فما هو قلت

وهو مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله إن الذين آمنوا إلى آخره ولا محل لها كما لا محل للتي عطفت عليها فإن قلت ما التقديم والتأخير
إلا لفائدة فما فائدة هذا التقديم قلت فائدته التنبيه على أن الصابئين يتاب عليهم إن صح منهم الإيمان والعمل الصالح فما الظن بغيرهم وذلك
أن الصابئين أبين هؤلاء المعدودين ضلالا وأشدهم غيا وما سموا صابئين إلا لأنهم صبأوا عن الأديان كلها أي خرجوا كما أن الشاعر قدم قوله
وأنتم لينبه على أن المخاطبين أوغل في الوصف بالبغاة من قومه حيث عاجل به قبل الخبر الذي هو بغاة لئلا يدخل قومه في البغي قبلهم مع كونهم
أوغل فيه منهم وأثبت قدما فإن قلت فلو قيل والصابئين وإياكم لكان التقديم حاصلا قلت لو قيل هكذا لم يكن من التقديم في شيء لأنه
لا إزالة فيه عن موضعه وإنما يقال مقدم ومؤخر للمزال لا للقار في مكانه ومجرى هذه الجملة مجرى الاعتراض في الكلام فإن قلت كيف قال
الذين آمنوا ثم قال من آمن قلت فيه وجهان أن يراد بالذين آمنوا الذين آمنوا بألسنتهم وهم المنافقون وأن يراد من ثبت على الإيمان واستقام
ولم يخالجه ريبة فيه فإن قلت فما محل من آمن قلت إما الرفع على الابتداء وخبره فلا خوف عليهم والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط ثم الجملة كما
هي خبر إن وإما النصب على البدل من اسم إن وما عطف عليه فإن قلت فأين الراجع إلى اسم إن قلت هو محذوف تقديره من آمن
منهم كما جاء في موضع آخر وقرئ والصابيون بياء صريحة وهو من تخفيف الهمزة كقراءة من قرأ يستهزيون والصابون من صبوت لأنهم صبوا إلى
اتباع الهوى والشهوات في دينهم ولم يتبعوا أدلة العقل والسمع وفي قراءة أبي والصابئين بالنصب وبها قرأ ابن كثير وقرأ عبد الله يا أيها الذين آمنوا
والذين هادوا والصابئون لقد أخذنا ميثاقهم بالتوحيد وأرسلنا إليهم رسلا ليقفوهم على ما يأتون وما يذرون في دينهم كلما جاءهم رسول
جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع محذوف أي رسول منهم بما لا تهوى أنفسهم بما يخالف هواهم ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرائع
فإن قلت أين جواب الشرط فإن قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون ناب عن الجواب لأن الرسول الواحد لا يكون فريقين ولأنه لا يحسن أن تقول
إن أكرمت أخي أخاك أكرمت قلت هو محذوف يدل عليه قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون كأنه قيل كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه وقوله
فريقا كذبوا جواب مستأنف لقائل يقول كيف فعلوا برسلهم فإن قلت لم جيء بأحد الفعلين ماضيا وبالآخر مضارعا قلت جيء بيقتلون على
حكاية الحال الماضية استفظاعا للقتل واستحضارا لتلك الحال الشنيعة للتعجيب منها قرئ أن لا تكون بالنصب على الظاهر وبالرفع على أن أن هي
المخففة من الثقيلة أصله أنه لا تكون فتنة فخففت أن وحذف ضمير الشأن فإن قلت كيف دخل فعل الحسبان على أن التي للتحقيق قلت نزل حسبانهم لقوته في صدورهم منزلة العلم
فإن قلت فأين مفعولا حسب قلت سد ما يشتمل عليه صلة أن وأن من المسند والمسند إليه مسد المفعولين والمعنى وحسب بنو إسرائيل
أنهم لا يصيبهم من الله فتنة أي بلاء وعذاب في الدنيا والآخرة فعموا عن الدين وصموا كرة ثانية بطلبهم المحال عن المعقول في صفات الله حين عبدوا
العجل ثم تابوا عنه فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كرة ثانية بطلبهم المحال غير المعقول في صفات الله وهو الرؤية وقرئ عموا وصموا
بالضم على تقدير عماهم الله وصمهم أي رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما يقال نزكته إذا ضربته بالنيزك وركبته إذا ضربته بركبتك كثير منهم
بدل من الضمير أو على قولهم أكلوني البراغيث أو هو خبر مبتدأ محذوف أي أولئك كثير منهم لم يفرق عيسى صلوات الله عليه بينه وبينهم في أنه عبد
مربوب كمثلهم وهو احتجاج على النصارى إنه من يشرك بالله في عبادته أو فيما هو مختص به من صفاته أو أفعاله فقد حرم الله عليه الجنة التي هي دار
الموحدين أي حرمه دخولها ومنعه منه كما يمنع المحرم من المحرم عليه وما للظالمين من أنصار من كلام الله على أنهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا
على عيسى فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم ورده وأنكره وإن كانوا معظمين له بذلك ورافعين من مقداره أو من قول عيسى على معنى ولا ينصركم
أحد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن المعقول أو ولا ينجيكم من عذاب الله ناصر في الآخرة من عليه من في قوله وما من إله إلا إله واحد
للاستغراق وهي المقدرة مع لا التي لنفي الجنس في قولك لا إله إلا الله والمعنى وما إله قط في الوجود إلا إله موصوف بالوحدانية لا ثاني له وهو الله وحده
لا شريك له ومن في قوله ليمسن الذين كفروا منهم للبيان كالتي في قوله فاجتنبوا الرجس من الأوثان فإن قلت فهلا قيل ليمسنهم عذاب أليم
قلت في إقامة الظاهر مقام المضمر فائدة وهي تكرير الشهادة عليهم بالكفر في قوله لقد كفر الذين قالوا وفي البيان فائدة أخرى وهي الإعلام
في تفسير الذين كفروا منهم أنهم بمكان من الكفر والمعنى ليمسن الذين كفروا من النصارى خاصة عذاب أليم أي نوع شديد الألم من العذاب كما تقول أعطني
عشرين من الثياب تريد من الثياب خاصة لا من غيرها من الأجناس التي يجوز أن يتناولها عشرون ويجوز أن يكون للتبعيض على معنى ليمسن الذين بقوا
على الكفر منهم لأن كثيرا منهم تابوا من النصرانية أفلا يتوبون ألا يتوبون بعد هذه الشهادة المكررة عليهم بالكفر وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه

[illegible]

وفيه تعجيب من إصرارهم والله غفور رحيم يغفر لهؤلاء إن تابوا ولغيرهم قد خلت من قبله الرسل صفة لرسول أي ما هو إلا رسول من جنس
الرسل الذين خلوا من قبله جاء بآيات من الله كما أتوا بأمثالها إن أبرأ الله الأكمه والأبرص وأحيا الموتى على يده فقد أحيا العصا وجعلها حية تسعى
وفلق البحر وطمس على يد موسى وإن خلقه من غير ذكر فقد خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى وأمه صديقة أي وما أمه أيضا إلا كبعض النساء
المصدقات للأنبياء المؤمنات بهم فما منزلتهما إلا منزلة بشرين أحدهما نبي والآخر صحابي مع أنه لا تفاوت بينهما وبينهم بوجه من الوجوه ثم صرح
ببعدهما عما نسب إليهما في قوله كانا يأكلان الطعام لأن من احتاج إلى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنفض لم يكن إلا جسما مركبا
من عظم ولحم وعروق وأعصاب وأخلاط وأمزجة مع شهوة وقرم وغير ذلك مما يدل على أنه مصنوع مؤلف مدبر كغيره من الأجسام كيف نبين لهم الآيات
أي الأعلام من الأدلة الظاهرة على بطلان قولهم أنى يؤفكون كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله فإن قلت ما معنى التراخي في قوله ثم انظر
قلت معناه ما بين العجبين يعني أنه بين لهم الآيات بيانا عجيبا وأن إعراضهم عنها أعجب منه ما لا يملك لكم هو عيسى أي شيئا لا يستطيع أن يضركم
بمثل ما يضركم به الله من البلايا والمصائب في الأنفس والأموال ولا أن ينفعكم بمثل ما ينفعكم به من صحة الأبدان والسعة والخصب ولأن كل ما يستطيعه
البشر من المضار والمنافع فبإقدار الله وتمكينه فكأنه لا يملك منه شيئا وهذا دليل قاطع على أن أمره مناف للربوبية حيث جعله لا يستطيع ضرا
ولا نفعا وصفة الرب أن يكون قادرا على كل شيء لا يخرج مقدور عن قدرته والله هو السميع العليم متعلق بأتعبدون أي أتشركون بالله ولا
تخشونه وهو الذي يسمع ما تقولون ويعلم ما تعتقدون أو أتعبدون العاجز والله هو السميع العليم الذي يصح منه أن يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم
ولن يكون كذلك إلا وهو حي قادر غير الحق صفة للمصدر أي لا تغلوا في دينكم غلوا غير الحق أي غلوا باطلا لأن الغلو في الدين غلوان
حق وهو أن يفحص عن حقائقه ويفتش عن أباعد معانيه ويجتهد في تحصيل حججه كما يفعل المتكلمون من أهل العدل والتوحيد وغلو
باطل وهو أن يتجاوز الحق ويتخطاه بالإعراض عن الأدلة واتباع الشبه كما يفعل أهل الأهواء والبدع قد ضلوا من قبل هم أئمتهم في النصرانية
كانوا في الضلال قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وأضلوا كثيرا ممن شايعهم على التثليث وضلوا لما بعث رسول الله عن سواء السبيل حين كذبوه
وحسدوه وبغوا عليه نزل الله لعنهم في الزبور على لسان داود وفي الإنجيل على لسان عيسى وقيل إن أهل أيلة لما اعتدوا في السبت
قال داود اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة ولما كفر أصحاب عيسى صلى الله عليه قال عيسى اللهم عذب من كفر بعدما أكل من المائدة عذابا
لم تعذبه أحدا من العالمين والعنهم كما لعنت أصحاب السبت فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبي ذلك بما عصوا
أي لم يكن ذلك اللعن الشنيع الذي كان سبب المسخ إلا لأجل المعصية والاعتداء لا لشيء آخر ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله كانوا
لا يتناهون لا ينهى بعضهم بعضا عن منكر فعلوه ثم قال لبئس ما كانوا يفعلون للتعجيب من سوء فعلهم مؤكدا لذلك بالقسم فيا حسرتا على
المسلمين في إعراضهم عن باب التناهي عن المناكير وقلة عبئهم به كأنه ليس من ملة الإسلام في شيء مع ما يتلون من كلام الله وما فيه
من المبالغات في هذا الباب فإن قلت كيف وقع ترك التناهي عن المنكر تفسيرا للمعصية والاعتداء قلت من قبل أن الله تعالى أمر
بالتناهي فكان الإخلال به معصية وهو اعتداء لأن في التناهي حسما للفساد فكان تركه على عكسه فإن قلت ما معنى وصف المنكر
بفعلوه ولا يكون النهي بعد الفعل قلت معناه لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه أو عن مثل منكر فعلوه أو عن منكر أرادوا فعله كما
ترى أمارات الخوض في الفسق وآلاته تسوى وتهيأ فتنكر ويجوز أن يراد لا ينتهون ولا يمتنعون عن منكر فعلوه بل يصرون عليه ويداومون
على فعله يقال تناهى عن الأمر وانتهى عنه إذا امتنع منه وتركه ترى كثيرا منهم هم منافقو أهل الكتاب كانوا يوالون المشركين ويصافونهم أن سخط
الله عليهم هو المخصوص بالذم ومحله الرفع كأنه قيل لبئس زادهم إلى الآخرة سخط الله عليهم والمعنى موجب سخط الله ولو كانوا يؤمنون
إيمانا خالصا من غير نفاق ما اتخذوا المشركين أولياء يعني أن موالاة المشركين كفى بها دليلا على نفاقهم وأن إيمانهم ليس بإيمان ولكن كثيرا منهم فاسقون
متمردون في كفرهم ونفاقهم وقيل معناه ولو كانوا يؤمنون بالله وموسى كما يدعون ما اتخذوا المشركين أولياء كما لم يوالهم المسلمون وصف الله شدة
شكيمة اليهود وصعوبة إجابتهم إلى الحق ولين عريكة النصارى وسهولة ارعوائهم وميلهم إلى الإسلام وجعل اليهود قرناء المشركين في شدة
العداوة للمؤمنين بل نبه على تقدم قدمهم فيها بتقديمهم على الذين أشركوا وكذلك فعل في قوله ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا
ولعمري إنهم لكذلك وأشد وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما خلا يهوديان بمسلم إلا هما بقتله وعلل سهولة مأخذ النصارى وقرب مودتهم للمؤمنين

بأن منهم قسيسين ورهبانا أي علماء وعبادا وأنهم قوم فيهم تواضع واستكانة ولا كبر فيهم واليهود على خلاف ذلك وفيه دليل على أن
العلم أنفع شيء وأهداه إلى الخير وأدله على الفوز حتى علم القسيسين وكذا علم الآخرة والتحذير العاقبة وإن كان في راهب والبراءة من
الكبر وإن كانت في نصراني ووصفهم برقة القلوب وأنهم يبكون عند استماع القرآن وذلك نحو ما يحكى عن النجاشي أنه قال لجعفر بن أبي طالب
حين اجتمع في مجلسه المهاجرون إلى الحبشة والمشركون وهم يغرونه عليهم ويطلبون عنتهم عنده هل في كتابكم ذكر مريم قال جعفر فيه
سورة تنسب إليها فقرأها إلى قوله ذلك عيسى ابن مريم وقرأ سورة طه إلى قوله وهل أتاك حديث موسى فبكى النجاشي وكذلك فعل قومه الذين
وفدوا على رسول الله وهم سبعون رجلا حين قرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يس فبكوا فإن قلت بم تعلقت اللام في قوله للذين آمنوا
قلت بعداوة ومودة على أن عداوة اليهود التي اختصت المؤمنين أشد العداوات وأظهرها وأن مودة النصارى التي اختصت المؤمنين
أقرب المودات وأدناها وجودا وأسهلها حصولا ووصف اليهود بالعداوة والنصارى بالمودة مما يؤذن بالتفاوت ثم وصف العداوة والمودة بالأشد
والأقرب فإن قلت ما معنى قوله تفيض من الدمع قلت معناه تمتلئ من الدمع حتى تفيض لأن الفيض أن يمتلئ الإناء أو غيره حتى يطلع ما
فيه من جوانبه فوضع الفيض الذي هو من الامتلاء موضع الامتلاء وهو من إقامة المسبب مقام السبب أو قصدت المبالغة في وصفهم بالبكاء
فجعلت أعينهم كأنها تفيض بأنفسها أي تسيل من الدمع من أجل البكاء من قولك دمعت عينه دمعا فإن قلت أي فرق
بين من ومن في قوله مما عرفوا من الحق قلت الأولى لابتداء الغاية على أن فيض الدمع ابتدأ ونشأ من معرفة الحق وكان من أجله وبسببه والثانية
لتبيين الموصول الذي هو ما عرفوا وتحتمل معنى التبعيض على أنهم عرفوا بعض الحق فأبكاهم وبلغ منهم فكيف إذا عرفوه كله وقرؤوا القرآن
وأحاطوا بالسنة وقرئ ترى أعينهم على البناء للمفعول **ربنا آمنا** المراد به إنشاء الإيمان والدخول فيه فاكتبنا مع الشاهدين
مع أمة محمد الذين هم شهداء على سائر الأمم يوم القيامة لتكونوا شهداء على الناس وقالوا ذلك لأنهم وجدوا ذكرهم في الإنجيل كذلك وما لنا لا
نؤمن إنكار واستبعاد لانتفاء الإيمان مع قيام موجبه وهو الطمع في إنعام الله عليهم بصحبة الصالحين وقيل لما رجعوا إلى قومهم لاموهم فأجابوهم
بذلك وأرادوا وما لنا لا نؤمن بالله وحده لأنهم كانوا مثلثين وذلك ليس إيمانا بالله ومحل لا نؤمن النصب على الحال بمعنى غير مؤمنين كقولك ما لك
قائما والواو في ونطمع واو الحال فإن قلت ما العامل في الحال الأولى والثانية قلت العامل في الأولى ما في اللام من معنى الفعل كأنه قيل أي
شيء حصل لنا غير مؤمنين وفي الثانية معنى هذا الفعل ولكن مقيدا بالحال الأولى لأنك لو أزلتها وقلت وما لنا ونطمع لم يكن كلاما ويجوز أن يكون ونطمع
حالا من لا نؤمن على أنهم أنكروا على أنفسهم أنهم لا يوحدون الله ويطمعون مع ذلك أن يصحبوا الصالحين وأن يكون معطوفا على لا نؤمن على معنى وما لنا نجمع بين
التثليث وبين الطمع في صحبة الصالحين أو على معنى وما لنا لا نجمع بينهما بالدخول في الإسلام لأن الكافر ما ينبغي له أن يطمع في صحبة الصالحين فأ
ثابهم الله بما قالوا بما تكلموا به عن اعتقاد وإخلاص من قولك هذا قول فلان أي اعتقاده وما يذهب إليه طيبات ما أحل الله لكم ما طاب
لكم ولذ من الحلال ومعنى لا تحرموا لا تمنعوها أنفسكم كمنع التحريم أو لا تقولوا حرمناها على أنفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم
وتقشفا وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيامة لأصحابه يوما فبالغ وأشبع الكلام في الإنذار فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون
واتفقوا على أن لا يزالوا صائمين قائمين وأن لا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا
المسوح ويسيحوا في الأرض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم إني لم أومر بذلك إن لأنفسكم عليكم حقا فصوموا
وأفطروا وقوموا وناموا فإني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدسم وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني فنزلت وروي أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل الدجاج والفالوذ وكان يعجبه الحلواء والعسل وقال إن المؤمن حلو يحب الحلاوة وعن ابن مسعود أن رجلا
قال له إني حرمت الفراش فتلا هذه الآية وقال نم على فراشك وكفر عن يمينك وعن الحسن أنه دعي إلى طعام ومعه فرقد السبخي وأصحابه
فقعدوا وعلى المائدة ألوان من الدجاج المسمن والفالوذ وغير ذلك فاعتزل فرقد ناحية فسأل الحسن أهو صائم قالوا لا ولكنه
يكره هذه الألوان فأقبل الحسن عليه وقال يا فريقد أترى لعاب النحل بلباب البر بخالص السمن يعيبه مسلم وعنه أنه قيل له فلان لا
يأكل الفالوذ ويقول لا أؤدي شكره قال أفيشرب الماء البارد قالوا نعم قال إنه جاهل إن نعمة الله عليه في الماء البارد أكثر من نعمته عليه في
الفالوذ وعنه أن الله تعالى أدب عباده فأحسن أدبهم قال لينفق ذو سعة من سعته ما عاب الله قوما وسع عليهم الدنيا فتنعموا وأطاعوا ولا عذر

قوما

قوما زوى عنهم فعصوه **ولا تعتدوا** ولا تتعدوا حدود ما أحل لكم إلى ما حرم عليكم أو ولا تسرفوا في تناول الطيبات أو جعل تحريم الطيبات
اعتداء وظلما فنهى عن الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها دخولا أوليا لوروده على عقبه أو أراد ولا تعتدوا بذلك وكلوا مما رزقكم الله
أي من الوجوه الطيبة التي تسمى رزقا حلالا حال مما رزقكم الله واتقوا الله تأكيد للتوصية بما أمر به وزاده تأكيدا بقوله الذي أنتم به
مؤمنون لأن الإيمان به يوجب التقوى في الانتهاء إلى ما أمر به وعما نهى عنه اللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم واختلف فيه فعن عائشة
رضي الله عنها أنها سئلت عنه فقالت هو قول الرجل لا والله وبلى والله وهو مذهب الشافعي وعن مجاهد هو الرجل يحلف على الشيء يرى أنه كذلك
وليس كما ظن وهو قول أبي حنيفة بما عقدتم الأيمان بتعقيدكم الأيمان وهو توثيقها بالقصد والنية وروي أن الحسن سئل عن لغو
اليمين وكان عنده الفرزدق فقال يا أبا سعيد دعني أجب عنك فقال

ولست بمأخوذ بلغو تقوله … إذا لم تعمد عاقدات العزائم

وقرئ عقدتم بالتخفيف وعاقدتم والمعنى ولكن يؤاخذكم بما
عقدتم إذا حنثتم فحذف وقت المؤاخذة لأنه كان معلوما أو بنكث ما عقدتم فحذف المضاف فكفارته فكفارة نكثه والكفارة
الفعلة التي من شأنها أن تكفر الخطيئة أي تسترها من أوسط ما تطعمون من أقصده لأن منهم من يسرف في إطعام أهله ومنهم
من يقتر وهو عند أبي حنيفة نصف صاع من بر أو صاع من غيره لكل مسكين أو يغديهم ويعشيهم وعند الشافعي مد لكل مسكين
وقرأ جعفر بن محمد أهاليكم بسكون الياء والأهالي اسم جمع لأهل كالليالي في جمع ليلة والأراضي في جمع أرض وقولهم أهلون
كقولهم أرضون بسكون الراء وأما سكون الياء في حال النصب فللتخفيف كما قالوا أباري معد يكرب تشبيها للياء بالألف
أو كسوتهم عطف على محل من أوسط وقرئ بضم الكاف نحو قدوة في قدوة وأسوة في أسوة والكسوة ثوب يغطي العورة
وعن ابن عباس كانت العباءة تجزئ يومئذ وعن ابن عمر إزار أو قميص أو رداء أو كساء وعن مجاهد ثوب جامع وعن الحسن ثوبان أبيضان
وقرأ سعيد بن المسيب واليماني أو كأسوتهم بمعنى أو مثل ما تطعمون أهليكم إسرافا كان أو تقتيرا لا تنقصونهم عن مقدار نفقتهم
ولكن تواسون بينهم وبينهم فإن قلت ما محل الكاف قلت الرفع تقديره أو طعامهم كأسوتهم بمعنى كمثل طعامهم إن
لم تطعموهم الأوسط أو تحرير رقبة شرط الشافعي الإيمان قياسا على كفارة القتل وأما أبو حنيفة وأصحابه فيجوزون تحرير الرقبة
الكافرة في كل كفارة سوى القتل فإن قلت ما معنى أو قلت التخيير وإيجاب إحدى الكفارات الثلاث على
الإطلاق بأيتها أخذ المكفر فقد أصاب فمن لم يجد إحداها فصيام ثلاثة أيام متتابعات عند أبي حنيفة تمسكا بقراءة أبي
وابن مسعود رضي الله عنهما فصيام ثلاثة أيام متتابعات وعن مجاهد كل صوم متتابع إلا قضاء رمضان ويخير في كفارة اليمين
ذلك المذكور كفارة أيمانكم ولو قيل تلك كان صحيحا بمعنى تلك الأشياء أو لتأنيث الكفارة والمعنى إذا حلفتم وحنثتم فترك ذكر الحنث لوقوع
العلم بأن الكفارة إنما تجب بالحنث في الحلف لا بنفس الحلف والتكفير قبل الحنث لا يجوز عند أبي حنيفة وأصحابه ويجوز عند الشافعي
بالمال إذا لم يعص الحانث واحفظوا أيمانكم فبروا فيها ولا تحنثوا إذا لم يكن الحنث خيرا أو فلا تحلفوا أصلا لأن الأيمان اسم جنس يجوز إطلاقه
على بعض الجنس وعلى كله وقيل احفظوها بأن تكفروها وقيل احفظوها كيف حلفتم بها ولا تنسوها تهاونا بها كذلك مثل ذلك
البيان يبين لكم آياته أعلام شريعته وأحكامه لعلكم تشكرون نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه أكد تحريم الخمر
والميسر وجوها من التأكيد منها تصدير الجملة بإنما ومنها أنه قرنهما بعبادة الأصنام ومنه قوله عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن ومنها
أنه جعلهما رجسا كما قال فاجتنبوا الرجس من الأوثان ومنها أنه جعلهما من عمل الشيطان والشيطان لا يأتي منه إلا الشر البحت ومنها
أنه أمر بالاجتناب ومنها أنه جعل الاجتناب من الفلاح وإذا كان الاجتناب فلاحا كان الارتكاب خيبة ومحقة ومنها أنه ذكر ما
ينتج منهما من الوبال وهو وقوع التعادي والتباغض من أصحاب الخمر والقمر وما يؤديان إليه من الصد عن ذكر الله وعن مراعاة أوقات
الصلاة **وقوله** فهل أنتم منتهون من أبلغ ما ينهى به كأنه قيل قد تلي عليكم ما فيهما من أنواع الصوارف والموانع فهل أنتم مع هذه
الصوارف منتهون أم أنتم على ما كنتم عليه كأن لم توعظوا ولم تزجروا فإن قلت إلام يرجع الضمير في قوله فاجتنبوه قلت
إلى المضاف المحذوف كأنه قيل إنما شأن الخمر والميسر أو تعاطيهما أو ما أشبه ذلك ولذلك قال رجس من عمل الشيطان فإن قلت

لم جمع الخمر والميسر مع الانصاب والازلام اولاً ثم افردهما آخراً قلت لان الخطاب مع المؤمنين وانما نهاهم عما كانوا يتعاطونه
من شرب الخمر واللعب بالميسر وذكر الانصاب والازلام لتاكيد تحريم الخمر والميسر واظهار ان ذلك جميعا من اعمال الجاهلية
واهل الشرك فوجب اجتنابه باسره وكانه لا مباينة بين من عبد صنما واشرك بالله في علم الغيب وبين من شرب خمرا او قامر
ثم افردهما بالذكر ليرى ان المقصود بالذكر الخمر والميسر وقوله وعن الصلاة اختصاص للصلاة من بين الذكر كانه قال وعن
الصلاة خصوصا واحذروا وكونوا حذرين خاشين لانهم اذا حذروا دعاهم الحذر الى اتقاء كل سيئة وعمل كل حسنة ويجوز ان يراد
واحذروا ما عليكم في الخمر والميسر او في ترك طاعة الله والرسول فان توليتم فاعلموا انكم لم تضروا بتوليكم الرسول لان الرسول
ما كلف الا البلاغ المبين بالآيات وانما ضررتم انفسكم حين اعرضتم عما كلفتم رفع الجناح عن المؤمنين في اي شيء طعموه من مستلذات
المطاعم ومشتهياتها اذا ما اتقوا ما حرم عليهم منها وآمنوا وثبتوا على الايمان والعمل الصالح وازدادوه ثم اتقوا وآمنوا ثم ثبتوا على التقوى
والايمان ثم اتقوا واحسنوا ثم ثبتوا على اتقاء المعاصي واحسنوا اعمالهم او احسنوا الى الناس وواسوهم مما رزقهم الله من الطيبات وقيل لما نزل تحريم الخمر
قالت الصحابة يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فنزلت يعني ان المؤمنين لا جناح عليهم في اي شيء طعموه من
المباحات اذا ما اتقوا المحارم ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا على معنى ان اولئك كانوا على هذه الصفة ثناء عليهم وحمدا لاحوالهم في الايمان والتقوى
والاحسان ومثاله ان يقال لك هل على زيد فيما فعل جناح وقد علمت ان ذلك امر مباح فتقول ليس على احد جناح في المباح اذا اتقى المحارم وكان
مؤمنا محسنا تريد ان زيدا تقي مؤمن محسن وانه غير مؤاخذ بما فعل نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وهم محرمون وكثر عندهم
حتى كان يغشاهم في رحالهم فيستمكنون من صيده اخذا بايديهم وطعنا برماحهم ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز من يخاف عقاب الله
وهو غائب منتظر في الآخرة فيتقي الصيد ممن لا يخافه فيقدم عليه فمن اعتدى فصاد بعد ذلك الابتلاء فالوعيد لاحق به فان قلت
ما معنى التقليل والتصغير في قوله بشيء من الصيد قلت قلل وصغر ليعلم انه ليس بفتنة من الفتن العظام التي تدحض عندها اقدام
الثابتين كالابتلاء ببذل الارواح والاموال وانما هو شبيه بما ابتلي به اهل ايلة من صيد السمك وانهم اذا لم يثبتوا عنده فكيف يثبتون عند ما هو
اشد منه وقرأ ابرهيم يناله بالياء حرم محرمون جمع حرام كردح في جمع رداح والتعمد ان يقتله وهو ذاكر لاحرامه او عالم ان ما يقتله
مما يحرم عليه قتله فان قتله وهو ناس لاحرامه او رمى صيدا وهو يظن انه ليس بصيد فاذا هو صيد او قصد برميه غير صيد فعدل السهم عن
رميته فاصاب صيدا فهو مخطئ فان قلت محظورات الاحرام يستوي فيها العمد والخطأ فما بال التعمد مشروطا في الآية قلت
لان مورد الآية فيمن تعمد فقد روي انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه ابو اليسر فطعنه برمحه فقتله فقيل له انك
قتلت الصيد وانت محرم فنزلت ولان الاصل فعل المتعمد والخطأ لاحق به للتغليظ ويدل عليه قوله ليذوق وبال امره ومن عاد فينتقم الله منه
وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ وعن سعيد بن جبير لا ارى في الخطأ شيئا اخذا باشتراط العمد في الآية
وعن الحسن روايتان فجزاء مثل ما قتل برفع جزاء ومثل جميعا بمعنى فعليه جزاء يماثل ما قتل من الصيد وهو عند ابي حنيفة قيمة المصيد
يقوم حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن هدي تخير بين ان يهدي من النعم ما قيمته قيمة الصيد وبين ان يشتري بقيمته طعاما فيعطي كل
مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وان شاء صام عن طعام كل مسكين يوما فان فضل ما لا يبلغ طعام مسكين صام عنه يوما او تصدق به
وعند محمد والشافعي مثله نظيره من النعم فان لم يوجد له نظير من النعم عدل الى قول ابي حنيفة فان قلت فما يصنع من يفسر المثل بالقيمة
بقوله من النعم وبقوله هديا بالغ الكعبة قلت قد خير من اوجب القيمة بين ان يشتري بها هديا او طعاما او يصوم كما
خير الله تعالى في الآية فكان قوله من النعم بيانا للهدي المشترى بالقيمة في احد وجوه التخيير لان من قوم الصيد واشترى بالقيمة هديا فاهداه
فقد جزى بمثل ما قتل من النعم على ان التخيير الذي في الآية بين ان يجزي بالهدي او يكفر بالاطعام او بالصوم انما يستقيم استقامة ظاهرة بغير
تعسف اذا قوم ونظر بعد التقويم اي الثلثة يختار فاما اذا عمد الى النظير وجعله الواجب وحده من غير تخيير فاذا كان شيئا لا نظير له قوم
حينئذ ثم يخير بين الاطعام والصوم ففيه نبو عما في الآية الا ترى الى قوله او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما كيف خير بين
الاشياء الثلثة ولا سبيل الى ذلك الا بالتقويم وقرأ عبد الله فجزاؤه مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل بنصب مثل بمعنى فعليه ان يجزي
مثل

بلغ [illegible]

مثل ما قتل بالاضافة كما تقول عجبت من ضرب زيدا ثم من ضرب زيد وقرأ السلمي على الاصل وقرأ محمد بن مقاتل فجزاء مثل ما قتل بمعنى فليجز
جزاء مثل وقرأ الحسن من النعم بسكون العين استثقل الحركة على حرف الحلق يحكم به بمثل ما قتل ذوا عدل منكم حكمان عادلان من
المسلمين قالوا وفيه دليل على ان المثل القيمة لان التقويم مما يحتاج الى النظر والاجتهاد دون الاشياء المشاهدة وعن قبيصة انه اصاب
ظبيا وهو محرم فسأل عمر فشاور عبد الرحمن بن عوف ثم امره بذبح شاة فقال قبيصة لصاحبه والله ما علم امير المؤمنين حتى سأل غيره
فاقبل عليه ضربا بالدرة وقال اتغمص الفتيا وتقتل الصيد وانت محرم قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فانا عمر وهذا عبد الرحمن
وقرأ محمد بن جعفر ذو عدل منكم اراد يحكم به من يعدل منكم ولم يرد الوحدة وقيل اراد الامام هديا حال عن جزاء فيمن وصفه بمثل
لان الصفة خصصته فقربته من المعرفة او بدل من مثل فيمن نصبه او عن محله فيمن جره ويجوز ان ينتصب حالا عن الضمير في به ووصف
هديا ببالغ الكعبة لان اضافته غير حقيقية ومعنى بلوغه الكعبة ان يذبح بالحرم فاما التصدق به فحيث شئت عند ابي حنيفة
وعند الشافعي في الحرم فان قلت بم يرفع كفارة من نصب جزاء قلت يجعلها خبر مبتدأ محذوف كانه قيل
او الواجب عليه كفارة او يقدر فعليه ان يجزي جزاء او كفارة فيعطفها على ان يجزي وقرئ او كفارة طعام مساكين
على الاضافة وهذه الاضافة مبينة كانه قيل او كفارة من طعام مساكين كقولك خاتم فضة بمعنى خاتم من فضة وقرأ الاعرج
او كفارة طعام مسكين وانما وحد لانه واقع موقع التبيين فاكتفى بالواحد الدال على الجنس وقرئ او عدل ذلك بكسر العين
والفرق بينهما ان عدل الشيء ما عادله من غير جنسه كالصوم والاطعام وعدله ما عدل به في المقدار ومنه عدلا الحمل لان كل واحد منهما
عدل بالآخر حتى اعتدلا كان المفتوح تسمية بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول به كالذبح ونحوه ونحوهما الحمل والحمل وذلك اشارة
الى الطعام وصياما تمييز للعدل كقولك لي مثله رجلا والخيار في ذلك الى قاتل الصيد عند ابي حنيفة وابي يوسف وعند محمد الى
الحكمين ليذوق متعلق بقوله فجزاء اي فعليه ان يجازي او يكفر ليذوق سوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام والوبال المكروه
والضرر الذي ينال في العاقبة من عمل سوء لثقله عليه ومنه قوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا ثقيلا والطعام الوبيل الذي يثقل على
المعدة فلا يستمرأ عفا الله عما سلف لكم من الصيد في حال الاحرام قبل ان تراجعوا رسول الله وتسألوه عن جوازه وقيل عما سلف
لكم في الجاهلية منه لانهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم وكان الصيد فيها محرما ومن عاد الى قتل الصيد وهو محرم بعد نزول النهي
عنه فينتقم الله منه ينتقم خبر مبتدأ محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلت الفاء ونحوه فمن يؤمن بربه فلا يخاف يعني
ينتقم منه في الآخرة واختلف في وجوب الكفارة على العائد فعن عطاء وابرهيم وسعيد بن جبير والحسن وجوبها وعليه عامة العلماء
وعن ابن عباس وشريح انه لا كفارة عليه تعلقا بالظاهر وانه لم يذكر الكفارة صيد البحر مصيدات البحر مما يؤكل ومما
لا يؤكل وطعامه وما يطعم من صيده والمعنى احل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر واحل لكم اكل المأكول منه وهو السمك
وحده عند ابي حنيفة رحمه الله وعند ابن ابي ليلى جميع ما يصاد منه على ان تفسير الآية عنده احل لكم صيد حيوان البحر وان تطعموه
متاعا لكم مفعول له اي احل لكم تمتيعا لكم وهو في المفعول له بمنزلة قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة في باب الحال لان قوله
متاعا لكم مفعول له مختص بالطعام كما ان نافلة حال مختصة بيعقوب يعني احل لكم طعامه تمتيعا لتنائكم يأكلونه طريا
ولسيارتكم يتزودونه قديدا كما تزود موسى عليه السلام الحوت في مسيره الى الخضر وقرئ وطعمه وصيد البر ما صيد فيه وهو ما يفرخ
فيه وان كان يعيش في الماء في بعض الاوقات كطير الماء عند ابي حنيفة واختلف فيه فمنهم من حرم على المحرم كل شيء يقع عليه اسم الصيد
وهو قول عمر وابن عباس وعن ابي هريرة وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير انهم اجازوا للمحرم اكل ما صاده الحلال وان صاده لاجله
اذا لم يدل ولم يشر وكذلك ما ذبحه قبل احرامه وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه وعند مالك والشافعي واحمد لا يباح له ما صيد لاجله فان قلت
ما يصنع ابو حنيفة بعموم قوله صيد البر قلت قد اخذ ابو حنيفة رحمه الله بالعموم من قوله وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما لان ظاهره
انه صيد المحرمين دون صيد غيرهم لانهم هم المخاطبون فكانه قيل وحرم عليكم ما صدتم في البر فيخرج منه مصيد غيرهم ومصيدهم حين
كانوا غير محرمين ويدل عليه قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم وقرأ ابن عباس وحرم عليكم صيد البر اي الله

عوض وقرئ قيما ثم بكسر الدال بقول دائم بدائم البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح لا على جهة التوضيح كما تجيء الصفة
كذلك قياما للناس انتعاشا لهم في امر دينهم ودنياهم ونهوضا الى اغراضهم ومقاصدهم في معاشهم ومعادهم لما يتم لهم من امر حجهم وعمرتهم
وتجارتهم وانواع منافعهم وعن عطاء بن ابي رباح لو تركوه عاما واحدا لم ينظروا ولم يؤخروا والشهر الحرام الشهر الذي يؤدى فيه
الحج وهو ذو الحجة لان لاختصاصه من بين الاشهر باقامة موسم الحج فيه شانا قد عرفه الله وقيل عنى به جنس الاشهر الحرم والهدي
والقلائد والمراد بها ذوات القلائد من الهدي خصوصا وهو البدن لان الثواب فيها اكثر وبهاء الحج معها اظهر ذلك اشارة الى الجعل او الى
ما ذكر من حفظ حرمة الاحرام بترك الصيد وغيره لتعلموا ان الله يعلم كل شيء وهو عالم بما يصلحكم وينفعكم مما امركم به وكلفكم
شديد العقاب لمن انتهك محارمه غفور رحيم لمن حافظ عليها ما على الرسول الا البلاغ تشديد في ايجاب القيام بما امر به والرسول
قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم في التفريط قل لا يستوي الخبيث والطيب حكم عام عند الله
وان كان قد يساعدكم فلا تعجبوا بكثرة الخبيث حتى تؤثروه لكثرته على الطيب القليل فان ما تتوهمونه في الكثرة من الفضل لا يوازي النقصان في
الخبث وفوات الطيب وهو عام في حلال المال وحرامه وصالح العمل وطالحه وصحيح المذاهب وفاسدها وجيد الناس ورديهم فاتقوا الله
واثروا الطيب وان قل على الخبيث وان كثر ومن حق هذه الآية ان تكفح بها وجوه المجبرة اذا افتخروا بالكثرة

كاثر بسعد ان سعدا كثيرة ... ولا ترج من سعد وفاء ولا نصرا
لا يدهمنك من دهمائهم عدد ... فان جلهم بل كلهم بقر

وقيل نزلت في حجاج اليمامة حين اراد المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عن الايقاع بهم وان كانوا مشركين الجملة الشرطية والمعطوف عليها
اعني قوله ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم صفة لاشياء والمعنى لا تكثروا مسألة رسول الله حتى تسألوا عن تكاليف
شاقة عليكم ان افتاكم بها وكلفكم اياها غمتكم وتشق عليكم وتندموا على السؤال عنها وذلك نحو ما روي ان سراقة بن مالك او عكاشة
ابن محصن قال يا رسول الله الحج علينا كل عام فلم يجبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اعاد عليه مسألته ثلاث مرات فقال صلى الله عليه وسلم ويحك
وما يؤمنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة
سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بامر فخذوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن وان تسألوا
عن هذه التكاليف الصعبة في زمان الوحي وهو ما دام الرسول بين اظهركم يوحى اليه تبد لكم تلك التكاليف التي تسؤكم وتؤمروا بتحملها
فتعرضون انفسكم لغضب الله بالتفريط فيها عفا الله عنها عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا الى مثلها والله غفور حليم لا
يعاجلكم بما يفرط منكم بعقوبته فان قلت كيف قال لا تسألوا عن اشياء ثم قال قد سألها ولم يقل قد سأل عنها قلت الضمير
في سألها ليس راجعا الى اشياء حتى يجب تعديته بعن وانما هو راجع الى المسألة التي دل عليها لا تسألوا اعني قد سأل هذه المسألة قوم من الاولين
ثم اصبحوا بها اي بسببها او برجوعها كافرين وذلك ان بني اسرائيل كانوا يستفتون انبياءهم عن اشياء فاذا امروا بها تركوها فهلكوا
كان اهل الجاهلية اذا نتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وحرموا ركوبها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى
واذا لقيها المعيي لم يركبها واسمها البحيرة وكان يقول الرجل اذا قدمت من سفري او برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع
بها وقيل كان الرجل اذا اعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم فان ولدت
ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم واذا نتجت من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا
يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى ما جعل ما شرع ذلك ولا امر بالتبحير والتسييب وغير ذلك ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب واكثرهم
لا يعقلون يعني تحريم ذلك كان رؤساؤهم وهم الذين يفترون وعوامهم لا يعقلون واكثرهم لا يعقلون ان ذلك افتراء حتى يخالفوهم ويهتدوا الى الحق ويعقلوا انه لا الواو في قوله اولو كان آباؤهم واو الحال دخلت
عليها همزة الانكار وتقديره احسبهم ذلك ولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون والمعنى ان الاقتداء انما يصح بالعالم المهتدي وانما يعرف
اهتداؤه بالحجة كان المؤمنون يتحسرون على اهل العتو والعناد من الكفرة يتمنون دخولهم في الاسلام فقيل لهم عليكم
انفسكم ما كلفتم من اصلاحها والمشي بها في طرق الهدى لا يضركم الضلال عن دينكم اذا كنتم مهتدين كما قال عز وجل لنبيه فلا تذهب نفسك عليهم

حسرات

حسرات وكذلك من يتسنى عليها فيه الدين من المعاصي ولا يتركون معاصيهم وما تركهم هو تحاطب به وليس المراد ترك الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر فان من تركهما مع القدرة عليهما فليس بمهتد وانما هو بعض الضلال الذين فصلت الآية بينهم وبينه وعن ابن مسعود انها
قرئت عنده فقال ان هذا ليس بزمانها انها اليوم مقبولة ولكن يوشك ان ياتي زمان تامرون فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم انفسكم فهي على
هذا تسلية لمن يامر وينهى فلا يقبل منه وبسط لعذره وعنه ليس هذا بزمانها قولوها ما قبلت منكم فاذا ردت عليكم فعليكم انفسكم والتسوية والنهي
وعن ابي ثعلبة الخشني انه سئل عن ذلك فقال للسائل سالت عنها خبيرا سالت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائتمروا بالمعروف
وتناهوا عن المنكر حتى اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بنفسك ودع امر العوام
فان من ورائكم اياما الصبر فيهن كقبض على الجمر للعامل فيهن مثل اجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا سفهت
اباك ولاموه فنزلت عليكم انفسكم من اسماء الفعل بمعنى الزموا اصلاح انفسكم ولذلك جزم جوابه وعن نافع عليكم انفسكم بالرفع
وقرئ لا يضركم وفيه وجهان ان يكون خبرا مرفوعا وتنصره قراءة من قرا لا يضيركم وان يكون جوابا للامر مجزوما وانما ضمت الراء اتباعا لضمة
الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة والاصل لا يضرركم ويجوز ان يكون نهيا ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره الى الله
مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بذنب غيره شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان
اثنان على انه خبر للمبتدا الذي هو شهادة بينكم على تقدير شهادة بينكم شهادة اثنين او على انه فاعل شهادة بينكم على معنى فيما فرض عليكم ان يشهد اثنان
وقرا الشعبي شهادة بينكم بالتنوين وقرا الحسن شهادة بالنصب والتنوين على ليقم شهادة اثنان واذا حضر ظرف للشهادة وحين الوصية بدل
منه وفي ابداله منه دليل على وجوب الوصية وانها من الامور اللازمة التي ما ينبغي ان يتهاون بها المسلم ويذهل عنها وحضور الموت مشارفته وظهور
امارات بلوغ الاجل منكم من اقاربكم او من غيركم من الاجانب ان انتم ضربتم في الارض اي سافرتم فاصابتكم مصيبة الموت في السفر ولم يكن معكم احد من عشيرتكم فاستشهدوا
اجنبيين على الوصية وجعل الاقارب اولى لانهم اعلم باحوال الميت وبما هو اصلح وهم له انصح وقيل منكم من المسلمين ومن غيركم من اهل الذمة وقيل هو منسوخ
لا تجوز شهادة الذمي على المسلم وانما جازت في اول الاسلام لقلة المسلمين وتعذر وجودهم في حال السفر وعن مكحول نسخها قوله واشهدوا ذوي
عدل منكم وروي ان تميما الداري وعدي بن زيد خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما
فلما قدموا الشام مرض بديل فكتب كتابا فيه ما معه وطرحه في متاعه ولم يخبرهما به واوصى اليهما ان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه فاخذا اناء
من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب اهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما للحلف من بعد الصلاة من بعد صلاة العصر لانه وقت اجتماع الناس وعن الحسن بعد العصر او الظهر
لان اهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما وفي الحديث انه لما نزلت صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ودعا بعدي وتميم فاستحلفهما
عند المنبر فحلفا ثم وجد الاناء بمكة فقالوا انا اشتريناه من تميم وعدي وقيل صلاة اهل الذمة وهم يعظمون صلاة العصر ان ارتبتم اعتراض
من القسم والمقسم عليه والمعنى ان ارتاب فيهما الوارث منكم فحلفوهما وقيل ان اريد بهما الشاهدان فقد نسخ تحليفهما وان اريد الوصيان
فليس بمنسوخ تحليفهما وعن علي رضي الله عنه انه كان يحلف الشاهد والراوي اذا اتهمهما والضمير في به للقسم وفي كان للمقسم له يعني لا نستبدل
بصحيح القسم بالله عرضا من الدنيا اي لا نحلف بالله كاذبين لاجل المال ولو كان من نقسم له قريبا منا على معنى ان هذه عادتهم في صدقهم وامانتهم
ابدا وانهم داخلون تحت قوله تعالى كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين شهادة الله اي الشهادة التي امر الله بحفظها
وتعظيمها وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدا آلله بالمد على طرح حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروي عنه بغير مد على ما ذكر سيبويه
ان منهم من يحذف حرف القسم ولا يعوض منه همزة الاستفهام فيقول الله لقد كان كذا وقرئ بالله لا نكتم بحذف الهمزة وطرح حركتها
على اللام وادغام نون من فيها كقوله عاد لولى فان قلت ما موقع تحبسونهما قلت هو استئناف كلام كانه قيل بعد اشتراط العدالة
فيهما فكيف نعمل ان ارتبنا فيهما فقيل تحبسونهما فان قلت كيف فسرت الصلاة بصلاة العصر وهي مطلقة قلت لما كان معروفا عندهم
التحليف بعدها اغنى ذلك عن التقييد كما لو قلت عن بعض ائمة الفقه اذا صلى اخذ في الدرس علم انها صلاة الفجر ويجوز ان تكون اللام
للجنس وان يقصد بالتحليف على اثر الصلاة ان تكون الصلاة لطفا في النطق بالصدق وناهية عن الكذب والزور ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر
انا اذا لمن الآثمين فان عثر فان اطلع على انهما استحقا اثما اي فعلا ما اوجب اثما واستوجبا ان يقال انهما لمن الآثمين فآخران فشاهدان آخران يقومان مقامهما من الذين استحق

جاء في الفتوة [illegible]

عليهم الاثم ومعناه الذين جني عليهم وهم اهل الميت وعشيرته وفي قصة بديل انه لما ظهرت خيانة الرجلين حلف رجلان من ورثته انه اناء
صاحبهما وان شهادتهما احق من شهادتيهما والاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وارتفاعهما على هما الاوليان كانه قيل من هما
فقيل هما الاوليان وقيل هما بدل من الضمير في يقومان او من آخران ويجوز ان يرتفعا باستحق اي من الذين استحق عليهم انتداب الاوليين منهم
للشهادة لاطلاعهم على حقيقة الحال وقرئ الاولين على انه وصف للذين استحق عليهم مجرور او منصوب على المدح ومعنى الاولية التقدم على
الاجانب في الشهادة لكونهم احق بها وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على المدح وقرأ الحسن الاولان ويحتج به من يرى رد اليمين على
المدعي وابو حنيفة واصحابه لا يرون ذلك فوجهه عندهم ان الورثة قد ادعوا على النصرانيين انهما اختانا فحلفا فلما ظهر كذبهما ادعيا الشراء
فيما كتما فانكر الورثة فكانت اليمين على الورثة لانكارهم الشراء فان قلت فما وجه قراءة من قرأ استحق عليهم الاوليان على البناء للفاعل
وهو علي وابي وابن عباس قلت معناه من الورثة الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم بالشهادة ان يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا
بها كذب الكاذبين ذلك الذي تقدم من بيان الحكم ادنى ان يأتوا الشهداء على نحو تلك الحادثة بالشهادة على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان
ان تكرر ايمان شهود آخرين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور كذبهم كما جرى في قصة بديل واسمعوا سمع اجابة وقبول **يوم يجمع** بدل من المنصوب
في قوله اتقوا الله وهو من بدل الاشتمال كانه قيل واتقوا الله يوم جمعه او ظرف لقوله لا يهدي اي لا يهديهم طريق الجنة يومئذ كما يفعل بغيرهم
او منصوب باضمار اذكر او يوم يجمع الله الرسل كان كيت وكيت ماذا منتصب باجبتم انتصاب مصدره على معنى اي اجابة اجبتم ولو اريد
الجواب لقيل بماذا اجبتم فان قلت ما معنى سؤالهم قلت توبيخ قومهم كما كان سؤال الموؤدة توبيخ للوائد فان قلت
كيف يقولون لا علم لنا وقد علموا بما اجيبوا قلت يعلمون ان الغرض بالسؤال توبيخ اعدائهم فيكلون الامر الى علمه واحاطته بما
بما منهم وكابدوا من سوء اجابتهم اظهارا للتشكي واللجأ الى ربهم في الانتقام منهم وذلك اعظم على الكفرة وافت في اعضادهم واجلب
لحسرتهم وسقوطهم في ايديهم اذا اجتمع توبيخ الله وتشكي انبيائه عليهم ومثاله ان ينكب بعض الخوارج على السلطان خاصة من خواصه
نكبة قد عرفها السلطان واطلع على كنهها وعزم على الانتصار له منه فيجمع بينهما ويقول له ما فعل بك هذا الخارجي وهو عالم بما فعل
يريد توبيخه وتبكيته فيقول انت اعلم بما فعل بي تفويضا للامر الى علم سلطانه واتكالا عليه واظهارا للشكاية وتعظيما لما حل به منه
وقيل من هول ذلك اليوم يفزعون ويذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعد ما تثوب اليهم عقولهم بالشهادة على اممهم وقيل معناه علمنا ساقط مع علمك
ومغمور به لانك علام الغيوب ومن علم الخفيات لم تخف عليه الظواهر التي منها اجابة الامم لرسلهم فكانه لا علم لنا الى جنب علمك
وقيل لا علم لنا بما كان منهم بعدنا وانما الحكم للخاتمة وكيف يخفى عليهم امرهم وقد راوهم سود الوجوه زرق العيون موبخين وقرئ علام
الغيوب بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله انك انت اي انك الموصوف باوصافك المعروفة من العلم وغيره ثم نصب علام الغيوب على الاختصاص
او على النداء او هو صفة لاسم ان **اذ قال الله** بدل من يوم يجمع والمعنى انه يوبخ الكافرين يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم
وبتعديد ما اظهر على ايديهم من الآيات العظام فكذبوهم وسموهم سحرة او جاوزوا حد التصديق الى ان اتخذوهم آلهة كما قال بعض بني اسرائيل
فيما اظهر على يد عيسى من البينات هذا سحر مبين واتخذه بعضهم وامه الهين ايدتك قويتك وقرئ آيدتك على افعلتك بروح القدس
بالكلام الذي يحيا به الدين واضافه الى القدس لانه سبب الطهر من اوضار الآثام والدليل عليه قوله تكلم الناس في المهد في موضع الحال
لان المعنى تكلمهم طفلا وكهلا الا ان في المهد فيه دليلا على حد من الطفولية وقيل روح القدس جبريل ايد به لتثبيت
الحجة فان قلت ما معنى قوله في المهد وكهلا قلت معناه تكلمهم في هاتين الحالتين من غير ان يتفاوت كلامك في حين الطفولة وحين
الكهولة الذي هو وقت كمال العقل وبلوغ الاشد والحد الذي يستنبأ فيه الانبياء والتوراة والانجيل خصا بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة
لان المراد بهما جنس الكتاب والحكمة وقيل الكتاب الخط والحكمة الكلام المحكم الصواب **كهيئة الطير** هيئة مثل هيئة الطير
باذني فتنفخ فيها الضمير للكاف لانها صفة الهيئة التي كان يخلقها عيسى وينفخ فيها ولا يرجع الى الهيئة المضاف اليها لانها ليست
من خلقه ولا نفخه في شيء وكذلك الضمير في فتكون تخرج الموتى تخرجهم من القبور وبعثهم قيل اخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية
واذ كففت بني اسرائيل عنك يعني اليهود حين هموا بقتله وقيل لما قال الله لعيسى اذكر نعمتي عليك كان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا

بدخر شيئا لغد يقول مع كل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت ايما امسى بات اوحيت الى الحواريين امرتهم على السنة
الرسل مسلمون مخلصون من اسلم وجهه لله عني يحمل الغضب على اتباع حركة كسرة الذال كقولك يا زيد بن عمرو والدليل عليه قوله
اجاد بن عمرو كابي جعفر لان الترخيم لا يكون الا في المضموم فان قلت كيف قالوا هل يستطيع ربك بعد ايمانهم واخلاصهم
قلت ما وصفهم الله بالايمان والاخلاص وانما حكى ادعاءهم لهما ثم اتبعه قوله اذ قالوا فآذن ان دعواهم كانت باطلة وانهم كانوا شاكين وقوله
هل يستطيع ربك كلام لا يرد مثله عن مؤمنين معظمين لربهم وكذلك قول عيسى عليه السلام لهم معناه اتقوا الله ولا تشكوا في اقتداره واستطاعته ولا تقترحوا
عليه ولا تحكموا ما تشتهون من الآيات فتهلكوا اذا عصيتموه بعدها ان كنتم مؤمنين ان كانت دعواكم للايمان صحيحة وقرئ هل تستطيع
ربك اي هل تستطيع سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عن سؤاله والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام وهي من ماده
اذا اعطاه ورفده كانها تميد من تقدم اليه **ونكون عليها من الشاهدين** نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني اسرائيل او نكون من الشاهدين
لله بالوحدانية ولك بالنبوة عاكفين عليها على ان عليها في موضع الحال وكانت دعواهم لارادة ما ذكروا كدعواهم للايمان والاخلاص وانما سأل عيسى وأجيب
ليلزموا الحجة بكمالها ويرسل عليهم العذاب اذا خالفوا وقرئ ونعلم على البناء للمفعول وتعلم ونكون بالتاء والضمير للقلوب اللهم اصله يا الله
فحذف حرف النداء وعوضت منه الميم وربنا نداء ثان تكون لنا عيدا اي يكون يوم نزولها عيدا قيل هو يوم الاحد ومن ثم اتخذه النصارى عيدا
وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمي يوم العيد عيدا فكان معناه تكون لنا سرورا وفرحا وقرأ عبد الله تكن على جواب الامر ونظيرهما يرثني ويرثني
لاولنا وآخرنا بدل من لنا بتكرير العامل اي لمن في زماننا من اهل ديننا ولمن يأتي بعدنا وقيل يأكل منها آخر الناس كما يأكل اولهم ويجوز للمقدمين
منا والاتباع وفي قراءة زيد لاولانا واخرانا والتانيث بمعنى الامة والجماعة عذابا بمعنى تعذيبا والضمير في لا اعذبه للمصدر ولو اريد بالعذاب
ما يعذب به لم يكن بد من الباء روي ان عيسى عليه السلام لما اراد الدعاء لبس صوفا ثم قال اللهم انزل علينا فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين
غمامة فوقها واخرى تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة
وعقوبة وقال لهم ليقم احسنكم عملا يكشف عنها ويذكر اسم الله عليها ويأكل منها فقال شمعون راس الحواريين انت اولى بذلك فقام عيسى فتوضأ
وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند راسها ملح وعند ذنبها
خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى
الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا ام من طعام الآخرة فقال ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله بالقدرة العالية كلوا ما سألتم
واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقال الحواريون يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال
لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير وروي انهم لما سمعوا بالشريطة وهي قوله فمن يكفر
بعد منكم فاني اعذبه قالوا لا نريد فلم تنزل وعن الحسن والله ما نزلت ولو نزلت لكان عيدا الى يوم القيامة لقوله وآخرنا والصحيح انها نزلت
سبحانك من ان يكون لك شريك ما يكون لي ما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك تعلم معلومي ولا اعلم معلومك
ولكنه سلك بالكلام طريق المشاكلة وهو من فصيح الكلام وبينه فقيل في نفسك لقوله في نفسي انك انت علام الغيوب تقرير للجملتين معا
لان ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب ولان ما يعلمه علام الغيوب لا ينتهي اليه علم احد ان في قوله ان اعبدوا الله ان جعلتها مفسرة لم يكن لها
بد من مفسر والمفسر اما فعل القول واما فعل الامر وكلاهما لا وجه له اما فعل القول فيحكى بعده الكلام من غير ان يتوسط بينهما حرف التفسير لا
تقول ما قلت لهم الا ان اعبدوا الله ولكن ما قلت لهم الا اعبدوا الله واما فعل الامر فمسند الى ضمير الله عز وجل ولو فسرته باعبدوا الله ربي
وربكم لم يستقم لان الله تعالى لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم وان جعلتها موصولة بالفعل لم تخل من ان تكون بدلا من ما امرتني به او من الهاء في به وكلاهما
غير مستقيم لان البدل هو الذي يقوم مقام المبدل منه ولا يقال ما قلت لهم الا ان اعبدوا الله بمعنى ما قلت لهم الا عبادته لان العبادة لا تقال وكذلك
اذا جعلته بدلا من الهاء لانك لو اقمت ان اعبدوا الله مقام الهاء فقلت الا ما امرتني بان اعبدوا الله لم يصح لبقاء الموصول بغير راجع اليه من صلته
فان قلت فكيف يصنع قلت يحمل فعل القول على معناه لان معنى ما قلت لهم الا ما امرتني به ما امرتهم الا بما امرتني به حتى يستقيم تفسيره
بان اعبدوا الله ربي وربكم ويجوز ان تكون موصولة عطف بيان **وكنت عليهم شهيدا** رقيبا كالشاهد على المشهود عليه امنعهم من ان يقولوا ذلك

ويقبحوا به. فإن قلت: فقد كنت الرقيب عليهم فمنعتهم من القول به ... {إن تعذبهم فإنهم عبادك} الذين عرفتهم عاصين جاحدين لآياتك مكذبين لأنبيائك {وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز} القوي القادر على الثواب والعقاب {الحكيم} الذي لا يثيب ولا يعاقب إلا عن حكمة وصواب. فإن قلت: المغفرة لا تكون للكفار فكيف قال: وإن تغفر لهم؟ قلت: ما قال إنك تغفر لهم، ولكنه بنى الكلام على إن فقال: إن عذبتهم عدلت لأنهم أحقاء بالعذاب، وإن غفرت لهم مع كفرهم لم تعدم في المغفرة وجه حكمة، لأن المغفرة حسنة لكل مجرم في المعقول، بل متى كان المجرم أعظم جرما كان العفو عنه أحسن. قرئ: هذا يوم ينفع بالرفع والإضافة، وبالنصب إما على أنه ظرف لقال، وإما على أن هذا مبتدأ والظرف خبر، ومعناه هذا الذي ذكرناه من كلام عيسى واقع يوم ينفع. ويجوز أن يكون خبرا ويبنى على الفتح كقوله: يوم لا تملك، لأنه مضاف إلى متمكن. وقرأ الأعمش: يوم ينفع بالتنوين كقوله: واتقوا يوما لا تجزي. فإن قلت: ما معنى قوله: ينفع الصادقين صدقهم، إن أريد صدقهم في الآخرة فليست الآخرة بدار عمل، وإن أريد صدقهم في الدنيا فليس بمطابق لما ورد فيه، لأنه في معنى الشهادة لعيسى عليه السلام بالصدق فيما يجيب به يوم القيامة. قلت: معناه الصدق المستمر بالصادقين في دنياهم وآخرتهم. وعن قتادة: متكلمان تكلما يوم القيامة: أما إبليس فقال: إن الله وعدكم وعد الحق، فصدق يومئذ، وكان قبل ذلك كاذبا فلم ينفعه صدقه، وأما عيسى فكان صادقا في الحياة وبعد الممات فنفعه صدقه. فإن قلت: في السماوات والأرض العقلاء وغيرهم فهلا غلب العقلاء فقيل ومن فيهن؟ قلت: ما يتناول الأجناس كلها تناولا عاما، ألا تراك تقول إذا رأيت شبحا من بعيد: ما هو؟ قبل أن تعرف أعاقل هو أم غيره، فكان أولى بإرادة العموم.

من قرأ سورة المائدة أعطي من الأجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات
ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا

سورة الأنعام مكية وعن ابن عباس غير ست آيات وهي مائة وخمس وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم. جعل يتعدى إلى مفعول واحد إذا كان بمعنى أحدث وأنشأ كقوله: وجعل الظلمات والنور، وإلى مفعولين إذا كان بمعنى صير كقوله: وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا. والفرق بين الخلق والجعل أن الخلق فيه معنى التقدير، وفي الجعل معنى التضمين كإنشاء شيء من شيء أو تصيير شيء شيئا أو نقله من مكان إلى مكان، ومن ذلك: وجعل منها زوجها، وجعل الظلمات والنور، لأن الظلمات من الأجرام المتكاثفة والنور من النار، وجعلناكم أزواجا، أجعل الآلهة إلها واحدا. فإن قلت: لم أفرد النور؟ قلت: للقصد إلى الجنس كقوله: والملك على أرجائها. أو لأن الظلمات كثيرة لأنه ما من جنس من أجناس الأجرام إلا وله ظل، وظله هو الظلمة، بخلاف النور فإنه من جنس واحد وهو النار. فإن قلت: علام عطف قوله: ثم الذين كفروا بربهم يعدلون؟ قلت: إما على قوله: الحمد لله، على معنى أن الله حقيق بالحمد على ما خلق لأنه ما خلقه إلا نعمة، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون فيكفرون نعمته. وإما على قوله: خلق السماوات، على معنى أنه خلق ما لا يقدر عليه أحد سواه، ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه. فإن قلت: فما معنى ثم؟ قلت: استبعاد أن يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته، وكذلك ثم أنتم تمترون استبعاد لأن يمتروا فيه بعد ما ثبت أنه محييهم ومميتهم وباعثهم. **ثم قضى أجلا** أجل الموت، وأجل مسمى عنده أجل القيامة. وقيل: الأجل الأول ما بين أن يخلق إلى أن يموت، والثاني ما بين الموت والبعث وهو البرزخ. وقيل: الأول النوم والثاني الموت. فإن قلت: المبتدأ النكرة إذا كان خبره ظرفا وجب تأخيره، فلم جاز تقديمه في قوله: وأجل مسمى عنده؟ قلت: لأنه تخصص بالصفة فقارب المعرفة كقوله: ولعبد مؤمن خير من مشرك. فإن قلت: الكلام السائر أن يقال: عندي ثوب جيد ولي عبد كيس، وما أشبه ذلك، فما أوجب التقديم؟ قلت: أوجبه أن المعنى: وأي أجل مسمى عنده، تعظيما لشأن الساعة، فلما جرى فيه هذا المعنى وجب التقديم. في السماوات متعلق بمعنى اسم الله، كأنه قيل: وهو المعبود فيها، ومنه قوله: وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله، أي وهو المعروف بالإلهية أو المتوحد بالإلهية فيها، أو هو الذي يقال له الله فيها لا يشرك به في هذا الاسم. ويجوز أن يكون: وهو الله، خبرا بعد خبر على معنى أنه الله وأنه في السماوات والأرض بمعنى أنه عالم بما فيهما لا يخفى عليه منه شيء كأن ذاته فيهما. فإن قلت: كيف موقع قوله: يعلم سركم وجهركم؟ قلت: إن أردت المتوحد بالإلهية كان تقريرا له، لأن الذي استوى في علمه السر والعلانية هو الله وحده، وكذلك إذا جعلت في السماوات خبرا بعد خبر، وإلا فهو كلام مبتدأ بمعنى هو يعلم سركم وجهركم، أو خبر ثالث. ويعلم ما تكسبون من الخير والشر ويثيب عليه ويعاقب. من في من آية للاستغراق، وفي من آيات للتبعيض، يعني: وما يظهر لهم دليل قط من الأدلة التي يجب فيها النظر والاستدلال والاعتبار إلا كانوا عنه معرضين استوى

تاركين

تاركين للنظر لا يلتفتون إليه ولا يرفعون به رأسا لقلة خوفهم وتدبرهم للعواقب. فقد كذبوا مردود على كلام محذوف كأنه قيل: إن كانوا معرضين عن الآيات فقد كذبوا بما هو أعظم آية وأكبرها وهو الحق لما جاءهم، يعني القرآن الذي تحدوا به على تبالغهم في الفصاحة فعجزوا عنه. فسوف يأتيهم أنباء الشيء الذي كانوا به يستهزئون، وهو القرآن، أي أخباره وأحواله، بمعنى سيعلمون بأي شيء استهزؤوا، وسيظهر لهم أنه لم يكن بموضع استهزاء، وذلك عند إرسال العذاب عليهم في الدنيا أو يوم القيامة، أو عند ظهور الإسلام وعلو كلمته. مكن له في الأرض جعل له مكانا فيها، ونحوه: أو لم نمكن لهم، إنا مكنا له في الأرض، وأما مكنته في الأرض فأثبته فيها، ومنه قوله: ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه، ولتقارب المعنيين جمع بينهما في قوله: مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم، والمعنى: لم نعط أهل مكة ما أعطينا عادا وثمود وغيرهم من البسطة في الأجسام والسعة في الأموال والاستظهار بأسباب الدنيا. والسماء المظلة لأن الماء ينزل منها إلى السحاب، أو السحاب، أو المطر. والمدرار المغزار. فإن قلت: أي فائدة في ذكر إنشاء قرن آخرين بعدهم؟ قلت: الدلالة على أنه لا يتعاظمه أن يهلك قرنا ويخرب بلاده منهم، فإنه قادر على أن ينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده، كقوله: ولا يخاف عقباها. كتابا مكتوبا في قرطاس في ورق، فلمسوه بأيديهم ولم يقتصر بهم على الرؤية لئلا يقولوا سكرت أبصارنا، ولا تبقى لهم علة، لقالوا إن هذا إلا سحر مبين تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره. لقضي الأمر لقضي أمر إهلاكهم، ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين، إما لأنهم إذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله في صورته وهي آية لا شيء أبين منها وأيقن، ثم لا يؤمنون كما قال: ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة، لم يكن بد من إهلاكهم كما أهلك أصحاب المائدة. وإما لأنه يزول الاختيار الذي هو قاعدة التكليف عند نزول الملائكة فيجب إهلاكهم. وإما لأنهم إذا شاهدوا ملكا في صورته زهقت أرواحهم من هول ما يشاهدون. ومعنى ثم بعد ما بين الأمرين قضاء الأمر وعدم الإنظار، جعل عدم الإنظار أشد من قضاء الأمر لأن مفاجأة الشدة أشد من نفس الشدة. ولو جعلناه ملكا ولو جعلنا الرسول ملكا كما اقترحوا، لأنهم كانوا يقولون: لولا أنزل على محمد ملك، وتارة يقولون: ما هذا إلا بشر مثلكم، ولو شاء ربنا لأنزل ملائكة. لجعلناه رجلا لأرسلناه في صورة رجل كما كان ينزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أعم الأحوال في صورة دحية الكلبي، لأنهم لا يبقون مع رؤية الملائكة في صورهم. وللبسنا عليهم ولخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حينئذ، فإنهم يقولون إذا رأوا الملك في صورة إنسان: هذا إنسان وليس بملك. فإن قال لهم: الدليل على أني ملك أني جئت بالقرآن المعجز، وهو ناطق بأني ملك لا بشر، كذبوه كما كذبوا محمدا، فإذا فعلوا ذلك خذلوا كما هم مخذولون الآن، فهو لبس الله عليهم. ويجوز أن يراد: ولبسنا عليهم حينئذ مثل ما يلبسون على أنفسهم الساعة في كفرهم بآيات الله البينة. وقرأ ابن محيصن: ولبسنا بلام واحدة. وقرأ الزهري: وللبسنا عليهم ما يلبسون بالتشديد. **ولقد استهزئ** تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من قومه. فحاق بهم فأحاط بهم الشيء الذي كانوا يستهزئون به، وهو الحق حيث أهلكوا من أجل الاستهزاء به. فإن قلت: أي فرق بين قوله: فانظروا، وبين قوله: ثم انظروا؟ قلت: جعل النظر مسببا عن السير في قوله: فانظروا، فكأنه قيل: سيروا لأجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين. وأما قوله: سيروا في الأرض ثم انظروا، فمعناه إباحة السير في الأرض للتجارة وغيرها من المنافع، وإيجاب النظر في آثار الهالكين، ونبه على ذلك بثم لتباعد ما بين الواجب والمباح. لمن ما في السماوات والأرض سؤال تبكيت، وقل لله تقرير لهم، أي هو الله لا خلاف بيني وبينكم، ولا تقدرون أن تضيفوا شيئا منه إلى غيره. **كتب على نفسه الرحمة** أي أوجبها على ذاته في هدايتكم إلى معرفته ونصب الأدلة لكم على توحيده بما أنتم مقرون به من خلق السماوات والأرض، ثم أوعدهم على إغفالهم النظر وإشراكهم به من لا يقدر على خلق شيء بقوله: ليجمعنكم إلى يوم القيامة فيجازيكم على إشراككم. وقوله: الذين خسروا أنفسهم نصب على الذم، أو رفع أي أريد الذين خسروا أنفسهم، أو أنتم الذين خسروا أنفسهم. فإن قلت: كيف جعل عدم إيمانهم مسببا عن خسرانهم والأمر على العكس؟ قلت: معناه الذين خسروا أنفسهم في علم الله لاختيارهم الكفر فهم لا يؤمنون. **وله** عطف على لله. ما سكن في الليل والنهار من السكنى وتعديه بفي كما في قوله: وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم. وهو السميع العليم يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم فلا يخفى عليه شيء مما يشتمل عليه الملوان. أغير الله همزة الاستفهام دخلت على المفعول لا على الفعل الذي هو أتخذ، لأن الإنكار في اتخاذ غير الله وليا لا في اتخاذ الولي، فكان أولى بالتقديم، ونحوه: أفغير الله تأمروني أعبد، آلله أذن لكم. وقرئ: فاطر السماوات بالجر صفة لله، وبالرفع على المدح. وقرأ الزهري: فطر. وعن ابن عباس: ما عرفت ما فاطر السماوات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي ابتدأتها. وهو يطعم ولا يطعم وهو يرزق ولا يرزق، كقوله: ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون. والمعنى أن المنافع كلها من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع. وقرئ: ولا يطعم بفتح الياء. وروى ابن المأمون عن يعقوب: وهو يطعم ولا يطعم على بناء الأول للمفعول

والمعنى للفاعل والضمير لغير الله وقرأ الأشهب وهو يُطعم ولا يَطعم على بنائهما للفاعل وفسر بأن معناه وهو يطعم ولا يستطعم وحكى
الأزهري أطعمت بمعنى استطعمت ونحوه أفدت ويجوز أن يكون المعنى وهو يطعم تارة ولا يطعم أخرى على حسب المصالح كقولك هو يعطي
ويمنع ويبسط ويقدر ويغني ويفقر أول من أسلم لأن النبي سابق أمته في الإسلام كقوله وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين وكقول موسى
سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين ولا تكونن وقيل لي ولا تكونن من المشركين ومعناه أمرت بالإسلام ونهيت عن الشرك من يصرف عنه
العذاب يومئذ فقد رحمه الرحمة العظمى وهي النجاة كقولك إن أطعمتني بعد أن جوعتني فقد أحسنت إلي تريد فقد أتممت الإحسان إلي أو
فقد أدخله الجنة لأن من لم يعذب لم يكن له بد من الثواب وقرئ من يصرف عنه على البناء للفاعل والمعنى من يصرف الله عنه في ذلك اليوم
فقد رحمه بمعنى من يدفع الله عنه ويحفظه وقد علم من المدفوع عنه وترك ذكر المصروف لكونه معلوما أو مذكورا قبله وهو العذاب
ويجوز أن ينتصب يومئذ بيصرف انتصاب المفعول به أي من يصرف الله عنه ذلك اليوم أي هوله فقد رحمه وينصره قراءة أبي
من يصرفه الله عنه وإن يمسسك الله بضر من مرض أو فقر أو غير ذلك من بلاياه فلا قادر على كشفه إلا هو وإن يمسسك بخير من غنى
أو صحة فهو على كل شيء قدير فكان قادرا على إدامته وإزالته فوق عباده تصوير للقهر والعلو بالغلبة والقدرة كقوله وإنا فوقهم قاهرون
الشيء أعم العام لوقوعه على كل ما يصح أن يعلم ويخبر عنه فيقع على القديم والجرم والعرض والمحال والمستقيم ولذلك صح أن يقال في الله
شيء لا كالأشياء كأنك قلت معلوم لا كسائر المعلومات ولا يصح جسم لا كالأجسام وأراد أي شهيد أكبر شهادة فوضع شيئا مقام
شهيد ليبالغ بالتعميم قل الله شهيد بيني وبينكم يحتمل أن يكون تمام الجواب عند قوله قل الله بمعنى الله أكبر شهادة ثم ابتدئ شهيد بيني وبينكم
أي هو شهيد بيني وبينكم وأن يكون الله شهيد بيني وبينكم هو الجواب لدلالته على أن الله عز وجل إذا كان هو الشهيد بينه وبينهم فأكبر شيء شهادة
شهيد له ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين من أهل مكة أي لأنذركم به وأنذر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم وقيل من الثقلين
وقيل من بلغه إلى يوم القيامة وعن سعيد بن جبير من بلغه القرآن فكأنما رأى محمدا صلى الله عليه وسلم أئنكم لتشهدون تقرير لهم مع
إنكار واستبعاد قل لا أشهد شهادتكم الذين آتيناهم الكتاب يعني اليهود والنصارى يعرفونه يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليته ونعته
الثابت في الكتابين معرفة خالصة كما يعرفون أبناءهم بحلاهم ونعوتهم لا يخفون عليهم ولا يلتبسون بغيرهم وهذا استشهاد لأهل مكة بمعرفة أهل
الكتاب به وبصحة نبوته ثم قال الذين خسروا أنفسهم من المشركين ومن أهل الكتاب الجاحدين فهم لا يؤمنون جمعوا بين أمرين متناقضين
كذبوا على الله بما لا حجة عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة البينة والبرهان الصحيح حيث قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا وقالوا والله أمرنا بها وقالوا
الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله ونسبوا إليه تحريم البحائر والسوائب وذهبوا فكذبوا القرآن والمعجزات وسموها سحرا
ولم يؤمنوا بالرسول ويوم نحشرهم ناصبه محذوف تقديره ويوم نحشرهم كان كيت وكيت فترك ليبقى على الإبهام الذي هو أدخل في التخويف
أين شركاؤكم أي آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله وقوله الذين كنتم تزعمون معناه تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان وقرئ
يحشرهم ثم يقول بالياء وإنما يقال لهم ذلك على جهة التوبيخ ويجوز أن يشاهدوهم إلا أنه حيل بينهم وبين نفعهم والكون معهم فجاز أن يقال لهم
غيب عنهم وإن حيل بينهم وبينهم في وقت التوبيخ لتفقدوهم في الساعة التي علقوا بهم الرجاء فيها فيروا مكان خزيهم وحسرتهم فتنتهم كفرهم
والمعنى ثم لم يكن عاقبة كفرهم الذي لزموه أعمارهم وقاتلوا عليه وافتخروا به وقالوا دين آبائنا إلا جحوده والتبرؤ منه والحلف
على الانتفاء من التدين به ويجوز أن يراد ثم لم يكن جوابهم إلا أن قالوا فسمي فتنة لأنه كذب وقرئ يكن بالياء وفتنتهم بالنصب وإنما
أنث أن قالوا لوقوع الخبر مؤنثا كقولهم من كانت أمك وقرئ بالياء ونصب الفتنة وبالياء والتاء مع رفع الفتنة وقرئ
ربنا بالنصب على النداء وضل عنهم وغاب عنهم ما كانوا يفترونه أي يفترون إلاهيته وشفاعته فإن قلت كيف يصح أن يكذبوا
حين يطلعون على حقائق الأمور وعلى أن الكذب والجحود لا وجه لمنفعته قلت الممتحن ينطق بما ينفعه وبما لا ينفعه من غير تمييز بينهما
حيرة ودهشا ألا تراهم يقولون ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون وقد أيقنوا بالخلود ولم يشكوا فيه وقالوا يا مالك ليقض علينا ربك
وقد علموا أنه لا يقضى عليهم وأما قول من يقول معناه ما كنا مشركين عند أنفسنا وما علمنا أنا على خطأ في معتقدنا وحمل قوله انظر
كيف كذبوا على أنفسهم يعني في الدنيا فمتمحل وتعسف وتحريف لأفصح الكلام إلى ما هو عي وإقحام لأن المعنى الذي ذهبوا إليه
ليس

من هذا الكلام بمترجم عنه وللمنطيق عليه وهو ناب عنه أشد النبو وما أدري ما يصنع من ذلك تفسيره بقوله يوم يبعثهم الله جميعا
فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون بعد قوله ويحلفون على الكذب وهم يعلمون فشبه كذبهم في الآخرة
بكذبهم في الدنيا ومنهم من يستمع إليك حين تتلو القرآن روي أنه اجتمع أبو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وأبو جهل وأضرابهم
يستمعون تلاوة رسول الله فقالوا للنضر يا أبا قتيلة ما يقول محمد فقال والذي جعلها بيته يعني الكعبة ما أدري ما يقول إلا أنه يحرك لسانه
ويقول أساطير الأولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال أبو سفيان إني لأراه حقا فقال أبو جهل كلا فنزلت والأكنة على القلوب
والوقر في الآذان مثل في نبو قلوبهم ومسامعهم عن قبوله واعتقاد صحته ووجه إسناد الفعل إلى ذاته وهو قوله وجعلنا الدلالة على أنه
أمر ثابت فيهم لا يزول عنهم كأنهم مجبولون عليه أو هي حكاية لما كانوا ينطقون به من قولهم وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب وقرأ طلحة
وقرا بكسر الواو حتى إذا جاءوك يجادلونك هي حتى التي تقع بعدها الجمل والجملة قوله إذا جاءوك في محل الجر بمعنى حتى وقت مجيئهم
مجادلين لك وقوله يقول الذين كفروا تفسير له والمعنى أنه بلغ تكذيبهم الآيات إلى أنهم يجادلونك ويناكرونك وفسر مجادلتهم بأنهم يقولون
إن هذا إلا أساطير الأولين فيجعلون كلام الله وأصدق الحديث خرافات وأكاذيب وهي الغاية في التكذيب وهم ينهون الناس عن القرآن أو عن
الرسول واتباعه ويثبطونهم عن الإيمان به وينأون عنه بأنفسهم فيضلون ويضلون وإن يهلكون بذلك إلا أنفسهم ولا يتعداهم الضرر إلى غيرهم
وإن كانوا يظنون أنهم يضرون رسول الله وقيل هو أبو طالب لأنه كان ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله وينأى عنه فلا يؤمن به وروي أنهم اجتمعوا
إلى أبي طالب وأرادوا برسول الله سوءا فقال: والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة وأبشر بذاك وقر منه عيونا ○ ودعوتني وزعمت أنك ناصحي ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت دينا لا محالة أنه من خير أديان البرية دينا ○ لولا الملامة أو حذاري سبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا
فنزلت ولو ترى جوابه محذوف تقديره ولو ترى لرأيت أمرا شنيعا وقفوا على النار أروها حتى يعاينوها أو اطلعوا عليها اطلاعا هي تحتهم
أو أدخلوها فعرفوا مقدار عذابها من قولك وقفته على كذا إذا فهمته وعرفته وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه ووقف
يا ليتنا نرد تم تمنيهم ثم ابتدءوا ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين واعدين الإيمان كأنهم قالوا ونحن لا نكذب ونؤمن على وجه الإثبات
وشبهه سيبويه بقولهم دعني ولا أعود بمعنى دعني وأنا لا أعود تركتني أو لم تتركني ويجوز أن يكون معطوفا على نرد أو حالا
على معنى يا ليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين فيدخل تحت حكم التمني فإن قلت يدفع ذلك قوله وإنهم لكاذبون لأن المتمني لا يكون
كاذبا قلت هذا تمن قد تضمن معنى العدة فجاز أن يتعلق به التكذيب كما يقول الرجل ليت الله يرزقني مالا فأحسن إليك وأكافئك على
صنيعك فهذا متمن في معنى الواعد فلو رزق مالا ولم يحسن إلى صاحبه ولم يكافئه كذب كأنه قال إن رزقني الله مالا كافأتك على الإحسان
وقرئ ولا نكذب ونكون بالنصب بإضمار أن على جواب التمني ومعناه إن رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من الناس
من قبائحهم وفضائحهم في صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم فلذلك تمنوا ما تمنوا ضجرا لا أنهم عازمون على أنهم لو ردوا لآمنوا وقيل هو في المنافقين
وأنه يظهر نفاقهم الذي كانوا يسرونه وقيل هو في أهل الكتاب وأنه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوة رسول الله ولو ردوا إلى الدنيا
بعد وقوفهم على النار لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي وإنهم لكاذبون فيما وعدوا من أنفسهم لا يوفون به وقالوا عطف على لعادوا أي
ولو ردوا لكفروا ولقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا كما كانوا يقولون قبل معاينة القيامة ويجوز أن يعطف على قوله وإنهم لكاذبون على معنى وإنهم لقوم
كاذبون في كل شيء وهم الذين قالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وكفى به دليلا على كذبهم وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال
كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده ليعاتبه وقيل وقفوا على جزاء ربهم وقيل عرفوه حق التعريف قال مردود على قول قائل قال ماذا قال
لهم ربهم إذ وقفوا عليه فقيل قال أليس هذا بالحق وهذا تعيير من الله لهم على التكذيب وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث والجزاء ما هو
بحق وما هو إلا باطل بما كنتم تكفرون بكفركم بلقاء الله ببلوغ الآخرة وما يتصل بها وقد حقق الكلام فيه في موضع آخر حتى غاية
لكذبوا لا لخسر لأن خسرانهم لا غاية له أي ما زال بهم التكذيب إلى حسرتهم وقت مجيء الساعة فإن قلت أما يتحسرون عند موتهم قلت
لما كان الموت وقوعا في أحوال الآخرة ومقدماتها جعل من جنس الساعة وسمي باسمها ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته

اخبار بمجي الساعة بعد الموت لسرعته كالواقع بعد فترة. بغتة فجأة ونصبها على الحال بمعنى باغتة أو على المصدر كأنه قيل بغتتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا الضمير للحياة الدنيا جيء بضميرها وإن لم يجر لها ذكر لكونها معلومة أو للساعة على معنى قصرنا في شأنها وفي الإيمان بها كما تقول فرطت في فلان ومنه فرطت في جنب الله يحملون أوزارهم على ظهورهم كقوله فبما كسبت أيديكم لأن اعتياد حمل الأثقال على الظهور كما ألف الكسب بالأيدي ساء ما يزرون بئس شيئا يزرون وزرهم كقوله ساء مثلا القوم جعل أعمال الدنيا لعبا ولهوا واشتغالا بما لا يعني ولا يعقب منفعة كما تعقب أعمال الآخرة المنافع العظيمة وقوله للذين يتقون دليل على أن ما سوى أعمال المتقين لعب ولهو وقرأ ابن عامر ولدار الآخرة وقرئ يعقلون بالتاء والياء قد في قد نعلم بمعنى ربما الذي تجيء لزيادة الفعل وكثرته كقوله ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء في إنه ضمير الشأن ليحزنك قرئ بفتح الياء وضمها والذي يقولون هو قولهم ساحر كذاب لا يكذبونك قرئ بالتشديد والتخفيف من كذبه إذا جعله كاذبا في زعمه وأكذبه إذا وجده كاذبا والمعنى أن تكذيبك أمر راجع إلى الله لأنك رسوله المصدق بالمعجزات فهم لا يكذبونك في الحقيقة وإنما يكذبون الله بجحود آياته فانته عن حزنك لنفسك وأنهم كذبوك وأنت صادق وليشغلك عن ذلك ما هو أهم وهو استعظامك بجحود آيات الله والاستهانة بكتابه ونحوه قول السيد لغلامه وقد أهانه بعض الناس إنهم لم يهينوك وإنما أهانوني وفي هذه الطريقة قوله إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله وقيل فإنهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون بآيات الله وعن ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى الأمين فعرفوا أنه لا يكذب في شيء ولكنهم كانوا يجحدون وكان أبو جهل يقول ما نكذبك وإنك عندنا لمصدق وإنما نكذب ما جئتنا به وروي أن الأخنس بن شريق قال لأبي جهل يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فإنه ليس عندنا أحد غيرنا فقال له والله إن محمدا لصادق وما كذب قط ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت **وقوله** ولكن الظالمين من إقامة الظاهر مقام المضمر للدلالة على أنهم ظلموا في جحودهم ولقد كذبت تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا دليل على أن قوله فإنهم لا يكذبونك ليس بنفي لتكذيبه وإنما هو من قولك لغلامك ما أهانوك ولكنهم أهانوني على ما كذبوا وأوذوا على تكذيبهم وإيذائهم ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون ولقد جاءك من نبإ المرسلين بعض أنبائهم وقصصهم وما كابدوا من مصابرة المشركين كان يكبر على النبي صلى الله عليه وسلم كفر قومه وإعراضهم عما جاء به فنزل لعلك باخع نفسك أنك لا تهدي من أحببت وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقا منفذا تنفذ فيه إلى ما تحت الأرض حتى تطلع لهم آية يؤمنون بها أو سلما في السماء فتأتيهم منها بآية فافعل يعني أنك لا تستطيع ذلك والمراد بيان حرصه عليه السلام على إسلام قومه وتهالكه عليه وأنه لو استطاع أن يأتيهم بآية من تحت الأرض أو من فوق السماء لأتى بها رجاء إيمانهم وقيل كانوا يقترحون الآيات فكان يود أن يجابوا إليها لتمادي حرصه على إيمانهم فقيل له إن استطعت كذا فافعل دلالة على أنه بلغ من حرصه أنه لو استطاع ذلك لفعله حتى يأتيهم بما اقترحوا من الآيات لعلهم يؤمنون ويجوز أن يكون ابتغاء النفق في الأرض أو السلم في السماء هو الإتيان بالآية كأنه قيل لو استطعت النفوذ إلى ما تحت الأرض أو الرقي في السماء لعل ذلك يكون لك آية يؤمنون عندها وحذف جواب إن كما تقول إن شئت أن تقوم بنا إلى فلان نزوره **ولو شاء الله لجمعهم على الهدى** بأن يأتيهم بآية ملجئة ولكنه لا يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين من الذين يجهلون ذلك ويرومون خلافه إنما يستجيب الذين يسمعون يعني أن الذين تحرص على أن يصدقوك بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون وإنما يستجيب من يسمع كقوله إنك لا تسمع الموتى والموتى يبعثهم الله مثل لقدرته على إلجائهم إلى الاستجابة بأنه هو الذي يبعث الموتى من القبور يوم القيامة ثم إليه يرجعون للجزاء فكان قادرا على هؤلاء الموتى بالكفر أن يحييهم بالإيمان وأنت لا تقدر على ذلك وقيل معناه وهؤلاء الموتى يعني الكفرة يبعثهم الله ثم إليه يرجعون فحينئذ يسمعون وأما قبل ذلك فلا سبيل إلى استماعهم وقرئ يرجعون بفتح الياء لولا نزل عليه آية نزل بمعنى أنزل وقرئ أن ينزل بالتشديد والتخفيف وذكر الفعل والفاعل مؤنث لأن تأنيث آية غير حقيقي وحسن للفصل وإنما قالوا ذلك مع تكاثر ما أنزل من الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم لتركهم الاعتداد بما أنزل عليه كأنه لم ينزل عليه شيء من الآيات عنادا منهم قل إن الله قادر على أن ينزل آية تضطرهم إلى الإيمان كنتق الجبل على بني إسرائيل ونحوه ولكن أكثرهم لا يعلمون أن الله قادر على أن ينزل تلك الآية وأن صارفا من الحكمة يصرفه عن إنزالها أمم أمثالكم مكتوبة أرزاقها وآجالها وأعمالها كما كتبت أرزاقكم وآجالكم وأعمالكم ما فرطنا ما تركنا وما أغفلنا في الكتاب في اللوح المحفوظ من شيء من ذلك لم نكتبه ولم نثبت ما وجب أن يثبت مما يختص

به ثم إلى ربهم يحشرون يعني الأمم كلها من الدواب والطير فينصفها وينصف بعضها من بعض كما روي أنه يأخذ للجماء من القرناء فإن قلت كيف قيل الأمم مع إفراد الدابة والطائر قلت لما كان قوله وما من دابة ولا طائر دالا على معنى الاستغراق ومغنيا عن أن يقال وما من دواب ولا طير حمل قوله إلا أمم على المعنى فإن قلت فما معنى زيادة قوله في الأرض ويطير بجناحيه قلت معنى ذلك زيادة التعميم والإحاطة كأنه قيل وما من دابة قط في جميع الأرضين السبع وما من طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم محفوظة أحوالها غير مهمل أمرها فإن قلت فما الغرض في ذكر ذلك قلت الدلالة على عظم قدرته ولطف علمه وسعة سلطانه وتدبيره تلك الخلائق المتفاوتة الأجناس المتكاثرة الأصناف وهو حافظ لما لها وما عليها مهيمن على أحوالها لا يشغله شأن عن شأن وأن المكلفين ليسوا بمخصوصين بذلك دون من عداهم من سائر الحيوان وقرأ ابن أبي عبلة ولا طائر بالرفع على المحل كأنه قيل وما دابة ولا طائر وقرأ علقمة ما فرطنا بالتخفيف فإن قلت كيف أتبعه قوله والذين كذبوا بآياتنا قلت لما ذكر من خلائقه وآثار قدرته ما يشهد لربوبيته وينادي على عظمته قال والمكذبون صم لا يسمعون كلام المنبه بكم لا ينطقون بالحق خابطون في ظلمات الكفر فهم غافلون عن تأمل ذلك والتفكر فيه ثم قال إيذانا بأنهم من أهل الطبع من يشإ الله يضلله أي يخذله ويخله وضلاله لم يلطف به لأنه ليس من أهل اللطف ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم أي يلطف به لأن اللطف يجدي عليه أرأيتكم أخبروني والضمير الثاني لا محل له من الإعراب لأنك تقول أرأيتك زيدا ما شأنه فلو جعلت للكاف محلا لكنت كأنك تقول أرأيت نفسك زيدا ما شأنه وهو خلف من القول ومتعلق الاستخبار محذوف تقديره إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة من تدعون ثم بكتهم بقوله أغير الله تدعون بمعنى أتخصون آلهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم إذا أصابكم ضر أم تدعون الله دونها بل إياه تدعون بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة فيكشف ما تدعون إليه أي ما تدعونه إلى كشفه إن شاء إن أراد أن يتفضل عليكم ولم يكن مفسدة وتنسون ما تشركون وتتركون آلهتكم أو لا تذكرونها في ذلك الوقت لأن أذهانكم مغمورة بذكر ربكم وحده إذ هو القادر على كشف الضر دون غيره ويجوز أن يتعلق الاستخبار بقوله أغير الله تدعون كأنه قيل أغير الله تدعون إن أتاكم عذاب الله فإن قلت إن علقت الشرطية به فما تصنع بقوله فيكشف ما تدعون إليه مع قوله أو أتتكم الساعة وقوارع الساعة لا تكشف عن المشركين قلت قد اشترط في الكشف المشيئة وهو قوله إن شاء إيذانا بأنه إن فعل كان له وجه من الحكمة إلا أنه لا يفعل لوجه آخر من الحكمة أرجح منه بالبأساء والضراء البؤس والضر وقيل البأساء القحط والجوع والضراء المرض ونقصان الأنفس والأموال والمعنى ولقد أرسلنا إليهم الرسل فكذبوهم فأخذناهم لعلهم يتضرعون يتذللون ويتخشعون لربهم ويتوبون عن ذنوبهم فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا معناه نفي التضرع كأنه قيل فلم يتضرعوا إذ جاءهم بأسنا ولكنه جاء بلولا ليفيد أنه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع إلا عنادهم وقسوة قلوبهم وإعجابهم بأعمالهم التي زينها الشيطان لهم فلما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء أي تركوا الاتعاظ به ولم ينفع فيهم ولم يزجرهم **فتحنا عليهم أبواب كل شيء** من الصحة والسعة وصنوف النعمة لنزاوج عليهم بين نوبتي الضراء والسراء كما يفعل الأب المشفق بولده يخاشنه تارة ويلاطفه أخرى طلبا لصلاحه حتى إذا فرحوا بما أوتوا من الخير والنعم ولم يزيدوا على الفرح والبطر من غير انتداب لشكر ولا تصد لتوبة واعتذار أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون واجمون متحسرون آيسون فقطع دابر القوم آخرهم لم يترك منهم أحد قد استؤصلت شأفتهم والحمد لله رب العالمين إيذان بوجوب الحمد لله عند هلاك الظلمة وأنه من أجل النعم وأجزل القسم وقرئ فتحنا بالتشديد إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم بأن يصمكم ويعميكم وختم على قلوبكم بأن يغطي عليها ما يذهب عنده فهمكم وعقلكم يأتيكم به أي يأتيكم بذلك إجراء للضمير مجرى اسم الإشارة أو بما أخذ وختم عليه يصدفون يعرضون عن الآيات بعد ظهورها لما كانت البغتة أن يقع الأمر من غير أن يشعر به وتظهر أماراته قيل بغتة أو جهرة وعن الحسن ليلا أو نهارا وقرئ بغتة أو جهرة هل يهلك أي ما يهلك هلاك تعذيب وسخط إلا الظالمون وقرئ هل يهلك بفتح الياء مبشرين ومنذرين من آمن بهم وأجابوا بالجنة ومن كذبهم وعصاهم ولم نرسلهم ليقترح عليهم الآيات بعد وضوح أمرهم بالبراهين القاطعة وأصلح ما يجب عليه إصلاحه مما كلف جعل العذاب ماسا كأنه حي يفعل بهم ما يريد من الآلام ومنه قولهم لقيت منه الأمرين والأقورين حيث جمع جمع العقلاء وقوله إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا أي لا أدعي ما يستبعد في العقول أن يكون لبشر من ملك خزائن الله وهي قسمه بين الخلق وأرزاقه

ويعلم الغيب وأني من الملائكة الذين هم أشرف جنس خلقه الله وأفضله وأقربه منزلة منه أي لم أدع الإلهية ولا الملكية لأنه ليس بعد
الإلهية منزلة أرفع من منزلة الملائكة حتى تستبعدوا دعواي وتستنكروها وإنما أدعي ما كان مثله لكثير من البشر وهو النبوة
هل يستوي الأعمى والبصير مثل للضال والمهتدي ويجوز أن يكون مثلا لمن اتبع ما يوحى إليه ومن لم يتبع أو لمن ادعى المستقيم وهو النبوة
والمحال وهو الإلهية أو الملكية أفلا تتفكرون فلا تكونوا ضالين أشباه العميان أو فتعلموا أني ما ادعيت ما لا يليق بالبشر أو فتعلموا أن اتباع
ما يوحى إلي مما لا بد منه فإن قلت أعلم الغيب ما محله من الإعراب قلت النصب عطفا على محل قوله عندي خزائن الله لأنه من جملة المقول
كأنه قال لا أقول لكم هذا القول ولا هذا القول وأنذر به الضمير راجع إلى قوله ما يوحى إلي والذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم هم
داخلون في الإسلام أو مقرون بالبعث إلا أنهم مفرطون في العمل فينذرهم بما أوحى الله إليه لعلهم يتقون أي يدخلون في زمرة أهل التقوى من
المسلمين وأهل الكتاب لأنهم مقرون بالبعث وأما ناس من المشركين علم من حالهم أنهم يخافون إذا سمعوا بحديث البعث أن يكون حقا فيهلكوا
فهم ممن يرجى أن ينجع فيهم الإنذار دون المتمردين منهم وأمره أن ينذر هؤلاء وقوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا
يعني يخافون أن يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا لهم ولا بد من هذه الحال لأن كلا محشور فالمخوف إنما هو الحشر على هذه الحال
ذكر غير المتقين من المسلمين وأمر بإنذارهم ليتقوا ثم أردفهم ذكر المتقين منهم وأمره بتقريبهم وإكرامهم وأن لا يطردهم ترضية لذلك وأثنى
عليهم بأنهم يواصلون دعاء ربهم أي عبادته ويواظبون عليها والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل معناه يصلون صلاة الصبح والعصر ووسمهم
بالإخلاص في عبادتهم بقوله يريدون وجهه والوجه يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته روي أن رؤساء من المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لو طردت هؤلاء الأعبد يعنون فقراء المسلمين وهم عمار وصهيب وخباب وسلمان وأضرابهم وأرواح جبابهم وكانت عليهم جباب من صوف
جلسنا إليك وحادثناك فقال عليه السلام ما أنا بطارد المؤمنين قالوا فأقمهم عنا إذا جئنا فإذا قمنا فأقعدهم معك إن شئت قال نعم طمعا في
إيمانهم وروي أن عمر رضي الله عنه قال له لو فعلت حتى ننظر إلى ما يصيرون فلما أتوا كتب بذلك كتابا فدعا بالصحيفة وبعلي ليكتب فنزلت
فرمى بالصحيفة واعتذر عمر من مقالته قال سلمان وخباب فينا نزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا ويدنو منا حتى تمس ركبتنا
ركبته وكان يقوم عنا إذا أراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا إلى أن نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني
حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أمتي معكم المحيا ومعكم الممات ما عليك من حسابهم من شيء كقوله إن حسابهم إلا على ربي وذلك أنهم طعنوا في
دينهم وإخلاصهم فقال ما عليك من حسابهم من شيء بعد شهادته لهم بالإخلاص وبإرادة وجه الله في أعمالهم على معنى وإن كان الأمر على ما يقولون عند الله فما يلزمك
إلا اعتبار الظاهر والاتسام بسيمة المتقين وإن كان لهم باطن غير مرضي فحسابهم عليهم لازم لهم لا يتعداهم إليك كما أن حسابك عليك لا يتعداك إليهم كقوله ولا
تزر وازرة وزر أخرى فإن قلت أما كفى قوله ما عليك من حسابهم من شيء حتى ضم إليه وما من حسابك عليهم من شيء قلت قد جعلت الجملتان
بمنزلة جملة واحدة وقصد بهما مؤدى واحد وهو المعنى في قوله ولا تزر وازرة وزر أخرى ولا يستقل بهذا المعنى إلا الجملتان جميعا كأنه قيل
لا تؤاخذ أنت ولا هم بحساب صاحبه وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا تؤاخذ أنت بحسابهم ولا هم بحسابك حتى يهمك إيمانهم ويحركك الحرص عليه
إلى أن تطرد المؤمنين فتطردهم جواب النفي فتكون من الظالمين جواب النهي ويجوز أن يكون عطفا على فتطردهم على وجه التسبيب
لأن كونه ظالما مسبب عن طردهم وقرئ بالغدوة والعشي وكذلك فتنا ومثل ذلك الفتن العظيم فتنا بعض الناس ببعض أي ابتلينا الأغنياء
بهم ودللنا المشركين ليقولوا للمسلمين أهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا أي أنعم عليهم بالتوفيق لإصابة الحق ولما يسعدهم عنده من دوننا
ونحن المقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء إنكارا لأن يكون أمثالهم على الحق وممنونا عليهم من بينهم بالخير ونحوه لو كان خيرا ما سبقونا
إليه من بيننا لو كان خيرا ما سبقونا إليه ومعنى فتناهم ليقولوا ذلك خذلناهم فافتتنوا حتى كان افتتانهم سببا لهذا القول لأنه لا
يقول مثل قولهم هذا إلا مخذول مفتون أليس الله بأعلم بالشاكرين أي الله أعلم بمن يقع منه الإيمان والشكر فيوفقه للإيمان
وبمن يصمم على كفره فيخذله ويمنعه التوفيق فقل سلام عليكم إما أن يكون أمرا بتبليغ سلام الله إليهم وإما أن يكون أمرا بأن يبدأهم
بالسلام إكراما لهم وتطييبا لقلوبهم وكذلك قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة من جملة ما يقول لهم ليسرهم ويبشرهم بسعة رحمة الله
وقبوله التوبة منهم وقرئ إنه فإنه بالكسر على الاستئناف كأن الرحمة استفسرت فقيل إنه من عمل منكم وبالفتح على الإبدال من الرحمة

بجهالة

بجهالة في موضع الحال أي عمله وهو جاهل وفيه معنيان أحدهما أنه فاعل فعل الجهلة لأن من عمل ما يؤدي إلى الضرر في العاقبة وهو عالم بذلك
أو ظان فهو من أهل السفه والجهل لا من أهل الحكمة والتدبير ومنه قول الشاعر على أنها قالت عشية زرتها جهلت على عمد ولم تك جاهلا
والثاني أنه جاهل بما يتعلق به من المكروه والمضرة ومن حق الحكيم أن لا يقدم على شيء حتى يعلم حاله وكيفيته وقيل إنها نزلت في عمر حين أشار
بإجابة الكفرة إلى ما سألوا ولم يعلم أنها مفسدة وقرئ ولتستبين بالياء والتاء مع رفع السبيل لأنها تذكر وتؤنث وبالتاء على خطاب
الرسول مع نصب السبيل يقال استبان الأمر وتبين واستبنته وتبينته والمعنى ومثل ذلك التفصيل البين نفصل آيات القرآن ونلخصها في
صفة أحوال المجرمين من هو مطبوع على قلبه لا يرجى إسلامه ومن ترى فيه أمارة القبول وهو الذي يخاف إذا سمع ذكر القيامة ومن دخل في
الإسلام إلا أنه لا يحفظ حدوده ولتستوضح سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يجب أن تعامل به فصلنا ذلك التفصيل نهيت صرفت وزجرت
بما ركب في من أدلة العقل وبما أوتيت من أدلة السمع عن عبادة ما تعبدون من دون الله وفيه استجهال لهم ووصف بالاقتحام فيما كانوا فيه
على غير بصيرة قل لا أتبع أهواءكم أي لا أجري في طريقتكم التي سلكتموها في دينكم من اتباع الهوى دون اتباع الدليل وهو بيان للسبب
الذي منه وقعوا في الضلال وتنبيه لكل من أراد إصابة الحق ومجانبة الباطل قد ضللت إذا أي إن اتبعت أهواءكم فأنا ضال وما
أنا من الهدى في شيء يعني أنكم كذلك ولما نفى أن يكون الهوى متبعا نبه على ما يجب اتباعه بقوله قل إني على بينة من ربي ومعنى قوله قل
إني على بينة من ربي وكذبتم به أي من معرفة ربي وأنه لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد صدق وكذبتم به أنتم حيث أشركتم به غيره ويقال أنا على
بينة من هذا الأمر وأنا على يقين منه إذا كان ثابتا عندك بدليل ثم عقبه بما دل على استعظام تكذيبهم بالله وشدة غضبه عليهم لذلك وأنهم أحقاء
بأن يعاقبوا بالعذاب المستأصل فقال ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه في قولهم فأمطر علينا حجارة من السماء إن الحكم
إلا لله في تأخير عذابكم يقض الحق أي القضاء الحق في كل ما يقضي من التأخير والتعجيل في أقسامه وهو خير الفاصلين أي القاضين وقرئ يقص
الحق أي يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره من قص أثره لو أن عندي أي في قدرتي وإمكاني ما تستعجلون به من العذاب لقضي الأمر
بيني وبينكم لأهلكتكم عاجلا غضبا لربي وامتعاضا من تكذيبكم به ولتخلصت منكم سريعا والله أعلم بالظالمين وبما يجب في الحكمة من كنه
عقابهم وقيل على بينة من ربي على حجة من ربي وهو القرآن وكذبتم به أي بالبينة وذكر الضمير على تأويل البيان أو القرآن فإن قلت
بم انتصب الحق قلت لأنه صفة لمصدر يقضي أي يقضي القضاء الحق ويجوز أن يكون مفعولا به من قولهم قضى الدرع إذا صنعها أي
يصنع الحق ويدبره وفي قراءة عبد الله يقضي بالحق فإن قلت لم أسقطت الياء في الخط قلت اتباعا للخط اللفظ وسقوطها
في اللفظ لالتقاء الساكنين جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة لأن المفاتح يتوصل بها إلى ما في المخازن المستوثق منها بالأغلاق
والأقفال ومن علم مفاتحها وكيف تفتح توصل إليها فأراد أنه هو المتوصل إلى المغيبات وحده لا يتوصل إليها غيره كمن عنده مفاتح أقفال
المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل إلى ما في المخازن والمفاتح جمع مفتح وهو المفتاح وقرئ مفاتيح وقيل هي جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن
والحبة والرطب واليابس عطف على ورقة وداخل في حكمها كأنه قيل وما يسقط من شيء من هذه الأشياء إلا يعلمه وقوله إلا في كتاب
مبين كالتكرير لقوله إلا يعلمها لأن معنى إلا يعلمها ومعنى إلا في كتاب مبين واحد والكتاب المبين علم الله أو اللوح وقرئ والحبة
والرطب واليابس بالرفع وفيه وجهان أن يكون عطفا على محل من ورقة وأن يكون رفعا على الابتداء وخبره إلا في كتاب مبين كقولك لا رجل منهم
ولا امرأة إلا في الدار وهو الذي يتوفاكم بالليل الخطاب للكفرة أي أنتم منسدحون الليل كله كالجيف ويعلم ما جرحتم بالنهار ما كسبتم من
الآثام فيه ثم يبعثكم فيه ثم يبعثكم من القبور في شأن ذلك الذي قطعتم به أعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار أو من أجله كقولك
فيم دعوتني فيقول في أمر كذا ليقضى أجل مسمى وهو الأجل الذي علقه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على أعمالهم ثم إليه مرجعكم وهو المرجع
إلى موقف الحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون في ليلكم ونهاركم حفظة ملائكة حافظين لأعمالكم وهم الكرام الكاتبون وعن أبي حاتم
السجستاني أنه كان يكتب عن الأصمعي كل شيء يلفظ به من فوائد العلم حتى قال فيه
أنت شبيه الحفظة تكتب لفظ اللفظة فقال أبو حاتم وهذا أيضا مما يكتب فإن قلت الله تعالى غني بعلمه عن كتبة الملائكة
فما فائدتها قلت لطف للعباد لأنهم إذا علموا أن الله تعالى رقيب عليهم والملائكة الذين هم أشرف خلقه موكلون بهم يحفظون عليهم أعمالهم

يكتبونها في صحائف تعرض على رؤوس الاشهاد في مواقف القيمة كان ذلك ازجر لهم عن القبيح وابعد من السوء توفته رسلنا اي استوفته وهم ملك الموت واعوانه وعن مجاهد جعلت الارض له مثل الطست يتناول من يتناوله وما من اهل بيت الا ويطوف عليهم في كل يوم مرتين وقرئ توفاه ويحتمل ان يكون ماضيا ومضارعا بمعنى تتوفاه وهم لا يفرطون بالتشديد والتخفيف فالتفريط التواني والتأخير عن الحد والافراط مجاوزة الحد اي لا ينقصون مما امروا به او لا يزيدون فيه ثم ردوا الى الله اي الى حكمه وجزائه مولاهم مالكهم الذي يلي عليهم امورهم الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق الا له الحكم يومئذ لا حكم فيه لغيره وهو اسرع الحاسبين لا يشغله حساب عن حساب وقرئ الحق بالنصب على المدح كقولك الحمد لله الحق قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر مجاز عن مخاوفهما واهوالهما يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب اي اشتدت ظلمته حتى عاد كالليل ويجوز ان يراد ما يشفقون عليه من الخسف والغرق فيهما او من ظلماتهما لئن انجينا على ارادة القول من هذه من هذه الظلمة والشدة وقرئ ينجيكم بالتخفيف والتشديد وانجانا وخفية بالضم والكسر **هو القادر** هو الذي عرفتموه قادرا وهو الكامل القدرة عذابا من فوقكم كما امطر على قوم لوط وعلى اصحاب الفيل الحجارة وارسل على قوم نوح الطوفان او من تحت ارجلكم كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم من قبل اكابركم وسلاطينكم ومن تحت ارجلكم من قبل سفلتكم وعبيدكم وقيل هو حبس المطر والنبات او يلبسكم شيعا او يخلطكم فرقا مختلفين على اهواء شتى كل فرقة منكم متابعة لامام ومعنى خلطهم ان ينشب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتال من قوله وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدي وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت الله ان لا يبعث على امتي عذابا من فوقهم او من تحت ارجلهم فاعطاني ذلك وسألته ان لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني واخبرني جبريل ان فناء امتي بالسيف وعن جابر ابن عبد الله لما نزل من فوقكم قال رسول الله اعوذ بوجهك فلما نزل او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا قال هاتان اهون ومعنى الآية الوعيد باحد اصناف العذاب المعدودة والضمير في قوله وكذب به راجع الى العذاب وهو الحق اي لا بد ان ينزل بهم قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الي امركم امنعكم من التكذيب اجبارا انما انا منذر لكل نبأ لكل شيء ينبأ به يعني انباءهم بانهم يعذبون وايعادهم به مستقر وقت استقرار وحصول لا بد منه وقيل الضمير في به للقرآن يخوضون في آياتنا في الاستهزاء بها والطعن فيها وكانت قريش في انديتهم يفعلون ذلك فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره فلا بأس ان تجالسهم حينئذ واما ينسينك الشيطان وان شغلك بوسوسته حتى تنسى النهي عن مجالستهم فلا تقعد معهم بعد الذكرى بعد ان تذكر النهي وقرئ ينسينك بالتشديد ويجوز ان يراد وان كان الشيطان ينسيك قبل النهي قبح مجالسة المشركين لانها مما تنكره العقول فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان ذكرناك قبحها ونبهناك عليه معهم وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم شيء مما يحاسبون عليه من ذنوبهم ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى اي اذا سمعوهم يخوضون بالقيام عنهم واظهار الكراهة لهم وموعظتهم لعلهم يتقون لعلهم يجتنبون الخوض حياء او كراهة لمساءتهم ويجوز ان يكون الضمير للذين يتقون اي يذكرونهم ارادة ان يثبتوا على تقواهم ويزدادوها وروي ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤوا بالقرآن لم نستطع ان نجلس في المسجد الحرام وان نطوف فرخص لهم فان قلت ما محل ذكرى قلت يجوز ان يكون نصبا على ولكن يذكرونهم ذكرى اي تذكيرا او رفعا على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز ان يكون عطفا على محل من شيء كقولك ما في الدار من احد ولكن زيد لان قوله من حسابهم يأبى ذلك اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اي دينهم الذي كان يجب ان يأخذوا به لعبا ولهوا وذلك ان عبادة الاصنام وما كانوا عليه من تحريم البحائر والسوائب وغير ذلك من باب اللعب واللهو واتباع هوى النفس والعمل بالشهوة ومن جنس الهزل دون الجد او اتخذوا ما هو لعب ولهو من عبادة الاصنام وغيرها دينا لهم او اتخذوا دينهم الذي كلفوه ودعوا اليه وهو دين الاسلام لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزؤوا وقيل جعل الله لكل قوم عيدا يعظمونه ويصلون فيه ويعمرونه بذكر الله والناس كلهم من المشركين واهل الكتاب اتخذوا عيدهم لهوا ولعبا غير المسلمين فانهم اتخذوا عيدهم كما شرع الله ومعنى ذرهم اعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم ولا تشغل قلبك بهم وذكر به اي بالقرآن ان تبسل نفس مخافة ان تسلم الى الهلكة والعذاب وترتهن بسوء كسبها واصل الابسال المنع لان المسلم اليه يمنع المسلم قال

وابسالي بني بغير جرم •

ومنه هذا عليك بسل اي حرام محظور والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه او لانه شديد البسور يقال بسر الرجل اذا اشتد عبوسه فاذا زاد قالوا بسل والعابس منقبض الوجه وان تعدل كل عدل وان تفد كل فداء والعدل الفدية

الفدية لان الفادي يعدل المفدى بمثله وكل عدل نصب على المصدر ولا يؤخذ منها قوله منها الا ضمير العدل لان العدل ههنا مصدر فلا يسند اليه الاخذ واما في قوله ولا يؤخذ منها عدل فبمعنى المفدى به فصح اسناده اليه اولئك اشارة الى المتخذين دينهم لعبا ولهوا قيل نزلت في ابي بكر رضي الله عنه حين دعاه ابنه عبد الرحمن الى عبادة الاوثان قل اندعوا انعبد من دون الله الضار النافع ما لا يقدر على نفعنا ولا مضرتنا ونرد على اعقابنا راجعين الى الشرك بعد اذ هدانا الله فانقذنا منه ورزقنا الاسلام كالذي استهوته الشياطين كالذي ذهبت به مردة الجن والغيلان في الارض في المهمه حيران تائها ضالا عن الجادة لا يدري كيف يصنع له اي لهذا المستهوى اصحاب رفقة يدعونه الى الهدى الى ان يهدوه الطريق المستوى او سمي الطريق المستقيم بالهدى يقولون له ائتنا وقد اعتسف المهمه تابعا للجن لا يجيبهم ولا يأتيهم وهذا مبني على ما تزعمه العرب وتعتقده ان الجن تستهوي الانسان والغيلان تستولي عليه كقوله كالذي يتخبطه الشيطان فشبه به الضال عن طريق الاسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه اليه فلا يلتفت اليهم **قل ان هدى الله** وهو الاسلام **هو الهدى** وحده وما وراءه ضلال وغي ومن يبتغ غير الاسلام دينا فماذا بعد الحق الا الضلال فان قلت ما محل الكاف في قوله كالذي استهوته قلت النصب على الحال من الضمير في نرد على اعقابنا اي انكص مشبهين من استهوته الشياطين فان قلت ما معنى استهوته قلت استفعال من هوى في الارض اذا ذهب فيها كان معناه طلبت هويه وحرصت عليه فان قلت ما محل امرنا قلت النصب عطفا على محل قوله ان هدى الله هو الهدى على انهما مقولان كأنه قيل قل هذا القول وقل امرنا لنسلم فان قلت ما معنى اللام في لنسلم قلت هي تعليل للامر بمعنى امرنا وقيل لنا اسلموا لاجل ان نسلم فان قلت فاذا كان هذا واردا في شأن ابي بكر فكيف قيل للرسول قل اندعوا قلت للاتحاد الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين خصوصا بينه وبين الصديق رضوان الله عليه فان قلت علام عطف قوله وان اقيموا قلت على موضع لنسلم كأنه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا ويجوز ان يكون التقدير وامرنا لان نسلم ولان اقيموا اي للاسلام ولاقامة الصلاة **قوله الحق** مبتدأ ويوم يقول خبره مقدما عليه وانتصابه بمعنى الاستقرار كقولك يوم الجمعة القتال واليوم بمعنى الحين والمعنى انه خلق السموات والارض قائما بالحق والحكمة وحين يقول لشيء من الاشياء كن فيكون ذلك الشيء قوله الحق والحكمة اي لا يكون شيئا من السموات والارض وسائر المكونات الا عن حكمة وصواب ويوم ينفخ ظرف لقوله وله الملك كقوله لمن الملك اليوم ويجوز ان يكون قوله الحق فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق اي لقضائه الحق كن فيكون قوله الحق وانتصاب اليوم بمحذوف دل عليه قوله بالحق كأنه قيل وحين يكون ويقدر يقوم بالحق عالم الغيب هو عالم الغيب وارتفاعه على المدح آزر اسم ابي ابراهيم وفي كتب التواريخ ان اسمه بالسريانية تارخ والاقرب ان يكون وزن آزر فاعل مثل تارخ وعابر وعازر وشالخ وفالغ وما اشبهها من اسمائهم وهو عطف بيان لابيه وقرئ آزر بالضم على النداء وقيل آزر اسم صنم فيجوز ان ينبز به للزومه عبادته كما نبز ابن قيس بالرقيات اللاتي كان يشبب بهن فقيل ابن قيس الرقيات وفي شعر بعض المحدثين

ادعى باسماء نبزا في قبائلها ۞ كأن اسماء اضحت بعض اسمائي

او اريد عابد آزر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقرئ أإزرا تتخذ اصناما آلهة بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاي ساكنة وراء منونة وهو اسم صنم ومعناه أتعبد إزرا على الانكار ثم قال تتخذ اصناما آلهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو داخل في حكم الانكار لانه كالبيان له فلما جن عليه الليل عطف على قال ابراهيم لابيه **وقوله** وكذلك نري ابراهيم جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه والمعنى ومثل ذلك التعريف والتبصير نعرف ابراهيم ونبصره ملكوت السموات والارض يعني الربوبية والالهية ونوفقه لمعرفتها ونرشده بشرحنا صدره وسداد نظره وهدايته لطريق الاستدلال وليكون من الموقنين فعلنا ذلك ونري حكاية حال ماضية وكان ابوه وقومه يعبدون الاصنام والشمس والقمر والكواكب فاراد ان ينبههم على الخطأ في دينهم وان يرشدهم الى طريق النظر والاستدلال ويعرفهم ان النظر الصحيح مؤد الى ان شيئا منها لا يصح ان يكون الها لقيام دليل الحدوث فيها وان وراءها محدثا احدثها وصانعا صنعها ومدبرا دبر طلوعها وافولها وانتقالها ومسيرها وسائر احوالها هذا ربي قول من ينصف خصمه مع علمه انه مبطل فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لان ذلك ادعى الى الحق وانجى من الشغب ثم يكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة لا احب الآفلين لا احب عبادة الارباب المتغيرين من حال الى

حال المنتقلين من مكان إلى مكان المحتجبين بستر فإن ذلك من صفات الأجرام بازغا مبتدئا في الطلوع لئن لم يهدني ربي لئن لم يثبتني لقوية على أن
من اتخذ القمر إلها وهو نظير الكوكب في الأفول فهو ضال وأن الهداية إلى الحق بتوفيق الله ولطفه هذا أكبر من باب استعمال النصفة
التضامع خصومه إني بريء مما تشركون من الأجرام التي تجعلونها شركاء لخالقها إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض أي
للذي دلت هذه المحدثات عليه وعلى أنه مبتدئها ومبدعها وقيل هذا كان نظرا واستدلالا في نفسه فحكاه الله والأول أظهر لقوله
لئن لم يهدني ربي وقوله يا قوم إني بريء مما تشركون فإن قلت لم احتج عليهم بالأفول دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال إلى حال قلت
الاحتجاج بالأفول أظهر لأنه انتقال مع خفاء واحتجاب فإن قلت ما وجه التذكير في قوله هذا ربي والإشارة للشمس قلت
جعل المبتدأ مثل الخبر لكونهما عبارة عن شيء واحد كقولهم ما جاءت حاجتك ومن كانت أمك ولم يكن تحاشيا من الأنوثة وكان
اختيار هذه الطريقة واجبا لصيانة الرب عن شبهة التأنيث ألا تراهم قالوا في صفة الله علام ولم يقولوا علامة وإن كان العلامة
أبلغ احترازا من علامة التأنيث وقرئ ترى إبراهيم ملكوت السموات بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية وحاجه
قومه قال أتحاجوني في الله في وحدانيته ونفي الشركاء عنه وقد هدان إلى التوحيد ولا أخاف ما تشركون
به وقد خوفوه أن معبوداتهم تصيبه بسوء إلا أن يشاء ربي شيئا إلا وقت مشيئة ربي شيئا يخاف فحذف الوقت يعني لا أخاف معبوداتكم في
وقت قط لأنها لا تقدر على منفعة ومضرة إلا أن يشاء ربي أن يصيبني بمكروه من جهتها إن أصبت ذنبا أستوجب به إنزال المكروه مثل أن
يرجمني بكوكب أو بشقة من الشمس أو القمر أو يجعلها قادرة على مضرتي وسع ربي كل شيء علما أي ليس بعجب ولا مستبعد
أن يكون في علمه إنزال المخوف بي من جهتها أفلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف أخاف ما أشركتم
مأمون الخوف لا يتعلق به ضرر بوجه وأنتم لا تخافون ما يتعلق به كل خوف وهو إشراككم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا أي حجة لأن
الإشراك لا يصح أن يكون عليه حجة كأنه قال وما لكم تنكرون علي الأمن في موضع الأمن ولا تنكرون على أنفسكم الأمن في موضع الخوف
ولم يقل فأينا أحق بالأمن أنا أم أنتم احترازا من تزكيته نفسه فعدل عنه إلى قوله فأي الفريقين يعني فريقي المشركين والموحدين ثم استأنف
الجواب عن السؤال بقوله الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أي لم يخلطوا إيمانهم بمعصية تفسقهم وأبى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس
وتلك حجتنا إشارة إلى جميع ما احتج به إبراهيم على قومه من قوله فلما جن عليه الليل إلى قوله وهم مهتدون ومعنى آتيناها أرشدناه إليها ووفقناه لها
نرفع درجات من نشاء في العلم والحكمة وقرئ بالتنوين ومن ذريته الضمير لنوح أو لإبراهيم وداود عطفا على نوحا أي وهدينا
داود ومن آبائهم في موضع النصب عطفا على كلا بمعنى وفضلنا بعض آبائهم ولو أشركوا مع فضلهم وتقدمهم وما رفع لهم من الدرجات
لكانوا كغيرهم في حبوط أعمالهم كما قال لئن أشركت ليحبطن عملك أولئك الذين آتيناهم الكتاب فإن يكفر بها الكتاب والحكم
والنبوة هؤلاء يعني أهل مكة فقد وكلنا بها الأنبياء المذكورين ومتابعيهم بدليل قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وبدليل وصل قوله
فإن يكفر بها هؤلاء بما قبله وقيل هم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكل من آمن به وقيل كل مؤمن من بني آدم وقيل الملائكة وادعى الاتصال
أنهم عن مجاهدهم القرآن ومعنى توكيلهم بها أنهم وفقوا للإيمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم به ويتعهده ويحافظ
عليه والباء في بها صلة كافرين وفي بكافرين تأكيد النفي فبهداهم اقتده فاختص طريقهم بالاقتداء ولا تقتد إلا بهم وهذا معنى
تقديم المفعول والمراد بهداهم طريقتهم في الإيمان بالله وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع فإنها مختلفة وهي هدى ما لم تنسخ فإذا نسخت لم تبق هدى
بخلاف أصول الدين فإنها هدى أبدا والهاء في اقتده للوقف تسقط في الدرج واستحسن إيثار الوقف لثبات الهاء في المصحف وما قدروا
الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته في الرحمة على عباده واللطف بهم حين أنكروا بعثة الرسل والوحي إليهم وذلك من أعظم رحمته وأجل نعمته
وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين أو ما عرفوه حق معرفته في سخطه على الكافرين وشدة بطشه بهم ولم يخافوه حين جسروا على
المقالة العظيمة من إنكار النبوة وقائلو ذلك اليهود بدليل قراءة من قرأ تجعلونه بالتاء وكذلك تبدونها وتخفون وإنما قالوا ذلك مبالغة
في إنكار إنزال القرآن على رسول الله فألزموا ما لا بد لهم من الإقرار به من إنزال التوراة على موسى وأدرج تحت الإلزام توبيخهم وأن نعى
عليهم سوء جهلهم لكتابهم وتحريفهم له بإبداء بعض وإخفاء بعض فقيل جاء به موسى وهو نور وهدى للناس حتى غيروه ونقصوه وجعلوه
قراطيس

قراطيس مقطعة وورقات متفرقة ليتمكنوا مما راموا من الإبداء والإخفاء وروي أن مالك بن الصيف من أحبار اليهود
وعلمائهم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها أن الله يبغض الحبر السمين فأنت
الحبر السمين وقد سمنت من مالك الذي يطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت إلى عمر فقال ما أنزل الله على بشر من شيء فقال
له قومه ويلك ما هذا الذي بلغنا عنك فقال إنه أغضبني فنزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف وقيل القائلون قريش وقد ألزموا
إنزال التوراة لأنهم كانوا يسمعون من اليهود بالمدينة ذكر موسى والتوراة وكانوا يقولون لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم
وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم الخطاب لليهود أي علمتم على لسان محمد بما أوحي إليه ما لم تعلموا أنتم وأنتم حملة التوراة ولم يعلمه آباؤكم الأقدمون
الذين كانوا أعلم منكم إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش كقوله لتنذر
قوما ما أنذر آباؤهم قل الله أي أنزله الله فإنهم لا يقدرون أن يناكروك ثم ذرهم في خوضهم في باطلهم الذي يخوضون فيه فلا عليك بعد
إلزام الحجة وسال لمن كان فعمل لا يجدي عليه إلا أنه لاعب يلعبون حال من هم الأول أو من ضمير في خوضهم ويجوز أن يكون في خوضهم حالا من يلعبون
وأن يكون صلة له أو لذرهم مبارك كثير الفائدة والعوائد ولتنذر معطوف على ما دل عليه صفة الكتاب كأنه قيل أنزلناه للبركات
وتصديق ما تقدمه من الكتب والإنذار وقرئ لينذر بالياء أي الكتاب وسميت مكة أم القرى لأنها مكان أول بيت وضع للناس ولأنها قبلة
أهل القرى كلها ومحجهم ولأنها أعظم القرى شأنا وليعض المجاورين
من سيأتي في سائر البلدان فأم القرى مكة ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يصدقون بالعاقبة
ويخافونها يؤمنون به بالكتاب وذلك أن أصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن وخص الصلاة لأنها عماد الدين
ومن حافظ عليها كانت لطفا له في المحافظة على أخواتها ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم أن الله بعثه نبيا أو قال أوحي إلي
ولم يوح إليه شيء وهو مسيلمة الحنفي الكذاب أو كذاب صنعاء الأسود العنسي وعن النبي صلى الله عليه وسلم رأيت فيما يرى
النائم كأن في يدي سوارين من ذهب فكبرا علي وأهماني فأوحى الله إلي أن انفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما الكذابين
اللذين أنا بينهما كذاب اليمامة مسيلمة وكذاب صنعاء الأسود العنسي ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله هو عبد الله بن سعد بن أبي
سرح القرشي كان يكتب لرسول الله فكان إذا أملى عليه سميعا عليما كتب هو عليما حكيما وإذا قال عليما حكيما كتب غفورا رحيما
فلما نزلت ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين إلى آخر الآية عجب عبد الله من تفصيل خلق الإنسان فقال تبارك الله أحسن الخالقين فقال
عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد أوحي إلي كما أوحي إليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال
فارتد عن الإسلام ولحق بمكة ثم رجع مسلما قبل فتح مكة وقيل هو النضر بن الحارث والمستهزئون ولو ترى جوابه محذوف أي لرأيت أمرا
عظيما إذ الظالمون يريد الذين ذكرهم من اليهود والمتنبئة فتكون اللام للعهد ويجوز أن يكون للجنس فيدخل فيه هؤلاء لاشتماله في غمرات الموت
شدائده وسكراته وأصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة الغالبة والملائكة باسطوا أيديهم يبسطون إليهم أيديهم يقولون هاتوا أرواحكم
أخرجوها إلينا من أجسادكم وهذه عبارة عن العنف في السياق والإلحاح والتشديد في الإزهاق من غير تنفيس وإمهال وأنهم يفعلون بهم فعل
الغريم الملازم يبسط يده إلى من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة ولا يمهله ويقول له أخرج ما لك علي الساعة ولا أريم مكاني حتى أنزعه
من أحداقك وقيل معناه باسطوا أيديهم بالعذاب أخرجوا أنفسكم خلصوها من أيدينا أي لا تقدرون على الخلاص اليوم تجزون يجوز أن يراد به
وقت الإماتة وما يعذبون به من شدة النزع وأن يراد به الوقت الممتد المتطاول الذي يلحقهم فيه العذاب في البرزخ والقيامة عذاب الهون الهوان
الشديد وإضافة العذاب إليه كقولك رجل سوء يريد العراقة في الهوان والتمكن فيه عن آياته تستكبرون فلا تؤمنون بها ولقد جئتمونا فرادى منفردين
عن أموالكم وأولادكم وما حرصتم عليه وآثرتموه من الدنيا وعن أوثانكم التي زعمتم أنها شفعاؤكم وشركاء لله كما خلقناكم أول مرة على
الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم لم تستعملوا
ولم تعملوا لنفسكم ولا قدمتموه النسكم وتكرر كان في استعبادكم لأنهم حين دعوهم آلهة وعبدوها فقد جعلوها لله شركاء فيهم
وفي استعبادهم وقرئ فردا بالتنوين وفراد مثل ثلاث وفردى مثل سكرى فإن قلت كما خلقناكم في أي محل هو قلت في محل

النصب فقد لقد جئتمونا أي مجيئا مثل خلقنا لكم لقد تقطع بينكم وقع التقطع بينكم كما تقول جمع بين الشيئين تريد أوقع الجمع بينهما
على إسناد الفعل إلى مصدره بهذا التأويل ومن رفع فقد أسند الفعل إلى الظرف كما تقول قوتل خلفكم وأمامكم وفي قراءة عبد الله لقد تقطع
ما بينكم فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وعن مجاهد أراد الشقين اللذين في النواة والحنطة يخرج الحي من الميت الحيوان
والنامي من النطف والبيض والحب والنوى ومخرج هذه الأشياء الميتة من الحيوان والنامي فإن قلت كيف قال ومخرج الميت
من الحي بلفظ اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحي من الميت قلت عطفه على فالق الحب والنوى لا على الفعل ويخرج الحي من الميت موقع
الجملة المبينة لقوله فالق الحب والنوى لأن فلق الحب والنوى بالنبات والشجر النامين من جنس إخراج الحي من الميت لأن النامي في
حكم الحيوان ألا ترى إلى قوله يحيي الأرض بعد موتها ذلكم الله ذلكم المحيي المميت هو الله الذي تحق له الربوبية فأنى تؤفكون فكيف
تصرفون عنه وعن توليه إلى غيره الإصباح مصدر سمي به الصبح وقرأ الحسن بفتح الهمزة جمع صبح وأنشد قوله

أفنى رياحا وبني رياح ... تناسخ الإمساء والإصباح

بالكسر والفتح مصدرين وجمع مسي وصبح فإن قلت
ما معنى فلق الصبح والظلمة هي التي تنفلق عن الصبح كما قال ... تفرّي ليل عن بياض نهار ... قلت فيه وجهان
أحدهما أن يراد فالق ظلمة الإصباح وهي الغبش في آخر الليل ومنقضاه الذي يلي الصبح والثاني أن يراد فالق الإصباح الذي
هو عمود الفجر عن بياض النهار وإسفاره وقالوا انشق عمود الفجر وانصدع الفجر وسموا الفجر فلقا بمعنى مفلوق قال الطائي
وأزرق الفجر يبدو قبل أبيضه ... وقرئ فالق الإصباح وجاعل الليل بالنصب على المدح وقرأ النخعي فلق الإصباح
وجعل الليل السكن ما يسكن إليه الرجل ويطمئن استئناسا به واسترواحا إليه من زوج أو حبيب ومنه قيل للنار سكن لأنها
يستأنس بها ألا تراهم سموها المؤنسة والليل يطمئن إليه المتعب بالنهار لاستراحته فيه وجمامه ويجوز أن يراد وجعل الليل مسكونا فيه من قوله لتسكنوا فيه والشمس والقمر قرئ بالحركات
الثلاث فالنصب على إضمار فعل دل عليه جاعل الليل أي وجعل الشمس والقمر حسبانا أو يعطفان على محل الليل فإن قلت كيف يكون
لليل محل والإضافة حقيقية لأن اسم الفاعل المضاف إليه في معنى المضي ولا تقول زيد ضارب عمرا أمس قلت ما هو في معنى المضي
وإنما هو دال على جعل مستمر في الأزمنة المختلفة وكذلك فالق الحب وفالق الإصباح كما تقول الله قادر عالم فلا تقصد زمانا دون زمان
والجر عطف على لفظ الليل والرفع على الابتداء والخبر محذوف تقديره والشمس والقمر مجعولان حسبانا أو محسوبان حسبانا ومعنى
جعل الشمس والقمر حسبانا جعلهما على حسبان لأن حساب الأوقات يعلم بدورهما وسيرهما والحسبان بالضم مصدر حسب كما أن
الحسبان بالكسر مصدر حسب ونظيره الكفران والشكران ذلك إشارة إلى جعلهما حسبانا أي ذلك التسيير بالحساب المعلوم
تقدير العزيز الذي قهرهما وسخرهما العليم بتدبيرهما وتدويرهما في ظلمات البر والبحر في ظلمات الليل بالبر والبحر وأضافها إليهما لملابستها
لهما أو شبه مشتبهات الطرق بالظلمات من فتح قاف المستقر كان المستودع اسم مكان مثله أو مصدرا ومن كسرها كان اسم فاعل والمستودع
اسم مفعول والمعنى فلكم مستقر في الرحم ومستودع في الصلب أو مستقر فوق الأرض ومستودع تحتها أو فمنكم مستقر ومنكم مستودع فإن قلت
لم قيل يعلمون مع ذكر النجوم ويفقهون مع ذكر إنشاء بني آدم قلت كان إنشاء الإنس من نفس واحدة وتصريفهم بين أحوال مختلفة
ألطف وأدق صنعة وتدبيرا فكان ذكر الفقه الذي هو استعمال فطنة وتدقيق نظر مطابقا له فأخرجنا به بالماء نبات كل شيء نبت
كل صنف من أصناف النامي يعني أن السبب واحد وهو الماء والمسببات صنوف مفتنة كما قال يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض
في الأكل فأخرجنا منه من النبات خضرا شيئا غضا أخضر يقال أخضر وخضر كأعور وعور وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج
من الحبة نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل وقنوان رفع بالابتداء ومن النخل خبره ومن طلعها بدل منه كأنه قيل
وحاصلة من طلع النخل قنوان ويجوز أن يكون الخبر محذوفا لدلالة أخرجنا عليه تقديره ومخرجة من طلع النخل قنوان ومن قرأ يخرج
منه حب متراكب كان قنوان عنده معطوفا على قوله حب والقنوان جمع قنو ونظيره صنو وصنوان وقرئ بضم القاف وبفتحها على أنه اسم جمع
كركب لأن فعلان ليس من زنات التكسير دانية سهلة المجتنى معرضة للقاطف كالشيء الداني القريب المتناول ولأن النخلة وإن
كانت صغيرة ينالها القاعد فإنها تأتي بالثمر لا ينتظر الطول وقال الحسن دانية قريب بعضها من بعض وقيل ذكر القريبة وترك ذكر
البعيدة

البعيدة لأن النعمة فيها أظهر وأدل بذكر القريبة على ذكر البعيدة كقوله سرابيل تقيكم الحر وقوله وجنات من أعناب فيه
وجهان أحدهما أن يراد وثم جنات من أعناب أي مع النخل والثاني أن يعطف على قنوان على معنى وحاصلة أو ومخرجة من النخل قنوان
وجنات من أعناب أي من نبات أعناب وقرئ وجنات بالنصب عطفا على نبات كل شيء أي وأخرجنا به جنات من أعناب وكذلك
قوله والزيتون والرمان والأحسن أن ينتصبا على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلاة لفضل هذين الصنفين مشتبها وغير
متشابه يقال اشتبه الشيئان وتشابها كقولك استويا وتساويا والافتعال والتفاعل يشتركان كثيرا وقرئ متشابها
وغير متشابه وتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان كذلك كقوله ... رماني بأمر كنت منه ووالدي بريئا
والمعنى بعضه متشابها وبعضه غير متشابه في القدر واللون والطعم وذلك دليل على التعمد دون الإهمال انظروا إلى
ثمره إذا أثمر إذا أخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا ضعيفا لا يكاد ينتفع به وانظروا إلى حال ينعه ونضجه كيف يعود
شيئا جامعا للمنافع والملاذ نظر اعتبار واستبصار واستدلال على قدرة مقدره ومدبره وناقله من حال إلى حال وقرئ وينعه
بالضم يقال ينعت الثمرة ينعا وينعا وقرأ ابن محيصن ويانعه وقرئ وثمره بضمتين إن جعلت لله شركاء مفعولي جعلوا
نصبت الجن بدلا من شركاء وإن جعلت لله لغوا كان شركاء الجن مفعولين قدم ثانيهما على الأول فإن قلت فما فائدة
التقديم قلت فائدته استعظام أن يتخذ لله شريك من كان ملكا أو جنيا أو إنسيا أو غير ذلك ولذلك قدم اسم الله على الشركاء
وقرئ الجن بالرفع كأنه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الإضافة التي للتبيين والمعنى أشركوهم في عبادته لأنهم أطاعوهم كما يطاع الله وقيل
هم الذين زعموا أن الله خالق الخير وكل نافع وإبليس خالق الشر وكل ضار وخلقهم وخلق الجاعلين لله شركاء ومعناه وعلموا
أن الله خالقهم دون الجن ولم يمنعهم علمهم أن يعدوا من لا يخلق شريكا للخالق وقيل الضمير للجن وقرئ وخلقهم أي اختلاقهم للإفك
يعني وجعلوا لله خلقهم حيث نسبوا قبائحهم إلى الله في قولهم والله أمرنا بها وخرقوا له وخلقوا له أي افتعلوا له بنين وبنات وهو قول
أهل الكتابين في المسيح وعزير وقول قريش في الملائكة يقال خلق الإفك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى وسئل الحسن عنه
فقال كلمة عربية كانت العرب تقولها كان الرجل إذا كذب كذبة في نادي القوم يقول له بعضهم قد خرقها والله ويجوز أن يكون من خرق
الثوب إذا شقه أي اشتقوا له بنين وبنات وقرئ وخرقوا بالتشديد للتكثير لقوله بنين وبنات وقرأ ابن عمر وابن عباس وحرفوا
له بمعنى وزوروا له أولادا لأن المزور محرف مغير للحق إلى الباطل بغير علم من غير أن يعلموا حقيقة ما قالوه من خطأ أو
صواب ولكن رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية بديع السموات من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها كقولك
فلان بديع الشعر أي بديع شعره أو هو بديع في السموات والأرض كقولك فلان ثبت الغدر أي ثابت فيه والمعنى أنه عديم
النظير والمثل فيها وقيل البديع بمعنى المبدع وارتفاعه على الخبر لمبتدأ محذوف أو على الابتداء وخبره أنى يكون له ولد
أو فيه كل تعالى وقرئ بالجر ردا على قوله وجعلوا لله أو على سبحانه وبالنصب على المدح وفيه إبطال الولد من ثلاثة أوجه أحدها
أن مبدع السموات والأرض وهي أجسام عظيمة لا يستقيم أن يوصف بالولادة لأن الولادة من صفات الأجسام ومخترع الأجسام
لا يكون جسما حتى يكون والدا والثاني أن الولادة لا تكون إلا بين زوجين من جنس واحد وهو متعال عن مجانس فلم يصح أن تكون له صاحبة فلم تصح
الولادة والثالث أنه ما من شيء إلا وهو خالقه والعالم به ومن كان بهذه الصفة كان غنيا عن كل شيء والولد إنما يطلبه المحتاج
وقرئ ولم يكن له صاحبة بالياء وإنما جاز للفصل كقوله ... لقد ولد الأخيطل أم سوء ... ذلكم إشارة إلى الموصوف بما تقدم
من الصفات وهو مبتدأ وما بعده أخبار مترادفة وهي الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء أي ذلكم الجامع لهذه الصفات فاعبدوه
مسبب عن مضمون الجملة على معنى أن من استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه بعض خلقه ثم قال
وهو على كل شيء وكيل يعني وهو مع تلك الصفات مالك لكل شيء من الأرزاق والآجال رقيب على الأعمال البصر هو الجوهر
اللطيف الذي ركبه الله تعالى في حاسة النظر به تدرك المبصرات فالمعنى أن الأبصار لا تتعلق به ولا تدركه لأنه متعال أن يكون
مبصرا في ذاته لأن الأبصار إنما تتعلق بما كان في جهة أصلا أو تابعا كالأجسام والهيئات وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف

ادراكه لتمدركات بدرك تلك الجواهر اللطيفة التي لا يدركها مدرك وهو اللطيف يلطف عن ان تدركه الابصار الخبير بكل لطيف فهو يدرك
الابصار لا يلطف عن ادراكه وهذا من باب اللطيف **قد جاءكم بصائر من ربكم** هو وارد على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله وما انا عليكم
بحفيظ والبصيرة نور القلب الذي به يستبصر كما ان البصر نور العين الذي به تبصر اي جاءكم من الوحي والتنبيه على ما يجوز على الله وما لا يجوز
ما هو للقلوب كالابصار فمن ابصر الحق وآمن فلنفسه ابصر واياها نفع ومن عمي عنه فعلى نفسه عمي واياها ضر بالعمى وما انا عليكم بحفيظ احفظ
اعمالكم واجازيكم عليها انما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم وليقولوا جوابه محذوف تقديره وليقولوا درست نصرفها ومعنى درست
قرأت كتب اهل الكتاب وقرئ دارست اي دارست العلماء ودرست بمعنى قدمت هذه الآية وعفت كما قالوا اساطير الاولين ودرست بضم الراء
مبالغة في درست اي اشتد دروسها ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست وفسروها بدارست اليهود محمدا
وجاز الاضمار لان الشهرة بالدراسة كانت لليهود عندهم ويجوز ان يكون الفعل للآيات وهو لاهلها اي دارس اهل الآيات وحملتها محمدا
وهم اهل الكتاب ودرس اي درس محمد ودارسات على هي دارسات اي قديمات او ذات دروس كعيشة راضية **فان قلت** اي فرق بين
اللامين في ليقولوا ولنبينه **قلت** الفرق بينهما ان الاولى مجاز والثانية حقيقة وذلك ان الآيات صرفت للتبيين ولم تصرف ليقولوا دارست ولكن
لما حصل هذا القول بتصريف الآيات كما حصل التبيين شبه به فسيق مساقه وقيل ليقولوا كما قيل لنبينه **فان قلت** الام يرجع الضمير
في قوله ولنبينه **قلت** الى الآيات لانها في معنى القرآن كانه قيل وكذلك نصرف القرآن او الى القرآن وان لم يجر له ذكر لكونه معلوما
او الى التبيين الذي هو مصدر الفعل كقولهم ضربته زيدا ويجوز ان يراد فيمن قرأ درست ودارست درست الكتاب ودارسته فيعود الى الكتاب
المقدر لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب اتباع الوحي لا محل له من الاعراب ويجوز ان يكون حالا من ربك وهي حال مؤكدة كقوله وهو الحق
مصدقا ولا تسبوا الآلهة الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله وذلك انهم قالوا عند نزول قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم
لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك وقيل كان المسلمون يسبون آلهتهم فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله **فان قلت**
سب الآلهة حق وطاعة فكيف صح النهي عنه وانما يصح النهي عن المعاصي **قلت** رب طاعة علم انها تكون مفسدة فتخرج عن ان تكون
طاعة فيجب النهي عنها لانها معصية لا لانها طاعة كالنهي عن المنكر هو من اجل الطاعات فاذا علم انه يؤدي الى زيادة الشر انقلب معصية ووجب
النهي عن ذلك النهي كما يجب النهي عن المنكر **فان قلت** فقد روي عن الحسن وابن سيرين انهما حضرا جنازة فرأى محمد نساء فرجع فقال
الحسن لو تركنا الطاعة لاجل المعصية لاسرع ذلك في ديننا **قلت** ليس هذا مما نحن بصدده لان حضور الرجال الجنازة طاعة
وليس بسبب لحضور النساء فانهن يحضرنها حضر الرجال او لم يحضروا بخلاف سب الآلهة وانما خيل الى محمد رحمه الله انه مثله حتى نبه عليه
الحسن عدوا ظلما وعدوانا وقرئ عدوا بضم العين وتشديد الواو وبمعناه يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعدوانا وعداء وعن
ابن كثير عدوا بفتح العين بمعنى اعداء بغير علم على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به **كذلك زينا لكل امة** مثل ذلك التزيين زينا لكل امة
من امم الكفار سوء عملهم اي خليناهم وشانهم ولم نكفهم حتى حسن عندهم سوء عملهم او امهلنا الشيطان حتى زين لهم او زيناه في زعمهم
وقولهم ان الله امرنا بهذا وزينه لنا فينبئهم فيوبخهم عليه ويعاقبهم عليه لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل انما الآيات
عند الله وهو قادر عليها ولكنه لا ينزلها الا على موجب الحكمة او انما الآيات عند الله لا عندي فكيف اجيئكم بها
واتيكم بها وما يشعركم وما يدريكم انها ان الآية التي يقترحونها اذا جاءت لا يؤمنون بها يعني انا اعلم انها اذا جاءت لا يؤمنون بها وانتم لا تدرون بذلك وذلك ان المؤمنين كانوا
يطمعون في ايمانهم اذا جاءت تلك الآية ويتمنون مجيئها فقال عز وجل وما يدريكم انهم لا يؤمنون على معنى انكم لا تدرون ما سبق علمي به من انهم لا يؤمنون
الا ترى الى قوله كما لم يؤمنوا به اول مرة وقيل انها بمعنى لعلها من قول العرب ائت السوق انك تشتري لحما وقال امرؤ القيس

عوجا على الطلل المحيل لاننا ... نبكي الديار كما بكى ابن خذام

وتقويها قراءة ابي لعلها اذا جاءتهم لا يؤمنون
وقرئ انها بالكسر على ان الكلام قد تم قبله بمعنى وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم بعلمه فيهم فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون البتة
ومنهم من جعل لا مزيدة في قراءة الفتح وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم لا يؤمنون اي يحلفون بانهم يؤمنون عند مجيئها وما يشعرهم ان
تكون قلوبهم حينئذ كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات مطبوعا عليها فلا يؤمنوا بها ونقلب افئدتهم وابصارهم عطف على لا
يؤمنون

[illegible]

يؤمنون داخل في حكم وما يشعركم بمعنى وما يشعركم انهم لا يؤمنون وما يشعركم انا نقلب افئدتهم وابصارهم اي نطبع على قلوبهم وابصارهم فلا يفقهون
ولا يبصرون الحق كما كانوا عند نزول آياتنا اولا لا يؤمنون بها لكونهم مطبوعا على قلوبهم وما يشعركم انا نذرهم في طغيانهم اي نخليهم وشأنهم
لا نكفهم عن الطغيان حتى يعمهوا فيه وقرئ ويقلب ويذرهم بالياء اي الله عز وجل وقرئ وتقلب افئدتهم وابصارهم على البناء للمفعول ولو اننا نزلنا
اليهم الملائكة كما قالوا لولا انزل علينا الملائكة وكلمهم الموتى كما قالوا فاتوا بآبائنا وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما قالوا او تأتي بالله
والملائكة قبيلا قبلا كفلاء بصحة ما بشرنا به وانذرنا جمع قبيل وقبلا مقابلة وقرئ قبلا اي عيانا الا ان يشاء الله
مشيئة اكراه واضطرار ولكن اكثرهم يجهلون فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون من حال قلوبهم عند نزول الآيات او ولكن اكثر المسلمين
يجهلون ان هؤلاء لا يؤمنون الا ان يضطرهم فيطمعون في ايمانهم اذا جاءت الآية المقترحة وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا وكما خلينا بينك وبين
اعدائك كذلك فعلنا بمن قبلك من الانبياء واعدائهم لم نمنعهم من العداوة لما فيه من الامتحان الذي هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والاجر
وانتصب شياطين على البدل من عدوا او على انهما مفعولان كقوله وجعلوا لله شركاء الجن يوحي بعضهم الى بعض يوسوس شياطين الجن الى شياطين
الانس وكذلك بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض وعن مالك بن دينار ان شيطان الانس اشد علي من شيطان الجن لاني اذا تعوذت بالله ذهب شيطان
الجن عني وشيطان الانس يجيئني فيجرني الى المعاصي عيانا زخرف القول ما يزينه من القول والوسوسة والاغراء على المعاصي ويموهه غرورا
خدعا واخذا على غرة ولو شاء ربك ما فعلوه اي ما فعلوا ذلك اي اولا ايحاء بعضهم الى بعض زخرف القول بان يكفهم ولا يخليهم وشأنهم
ولتصغى جوابه محذوف تقديره وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا على ان اللام لام الصيرورة وتحقيقها ما ذكر والضمير في اليه يرجع الى ما رجع اليه
الضمير في فعلوه اي وليميل الى ما ذكر من عداوة الانبياء ووسوسة الشياطين افئدة الكفار وليرضوه لانفسهم وليقترفوا ما هم مقترفون من الآثام
افغير الله ابتغي حكما على ارادة القول اي قل يا محمد افغير الله اطلب حاكما يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وهو الذي انزل اليكم الكتاب
المعجز مفصلا مبينا فيه الفصل بين الحق والباطل والشهادة لي بالصدق وعليكم بالافتراء ثم عضد الدلالة على ان القرآن حق بعلم اهل الكتاب انه حق
لتصديقه ما عندهم وموافقته له فلا تكونن من الممترين من باب التهييج والالهاب كقوله ولا تكونن من المشركين او فلا تكونن من الممترين في ان اهل الكتاب
يعلمون انه منزل بالحق ولا يريبك جحود اكثرهم وكفرهم به ويجوز ان يكون فلا تكونن خطابا لكل احد على معنى انه اذا تعاضدت الادلة على صحته وصدقه فما ينبغي
ان يمتري فيه احد وقيل الخطاب لرسول الله خطاب لامته وتمت كلمات ربك اي تم كل ما اخبر به وامر ونهى ووعد واوعد صدقا وعدلا لا
مبدل لكلماته لا احد يبدل شيئا من ذلك بما هو اصدق واعدل وصدقا وعدلا نصب على الحال وقرئ كلمة ربك اي ما تكلم به وقيل هي القرآن
وان تطع اكثر من في الارض يضلوك لان الاكثر في غالب الامر يتبعون هواهم ثم قال ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان آباءهم كانوا على الحق فهم يقلدونهم وان هم
الا يخرصون يقدرون انهم على شيء او يكذبون في ان الله حرم كذا واحل كذا وقرئ من يضل بضم الياء اي يضله الله فكلوا مسبب عن انكار اتباع
المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تزعمون انكم تعبدون الله فما قتل الله احق ان تأكلوا مما قتلتم انتم فقيل للمسلمين
ان كنتم متحققين بالايمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه خاصة دون ما ذكر عليه اسم غيره من آلهتهم او مات حتف انفه وما ذكر اسم الله عليه هو المذكى ببسم الله
وما لكم الا تأكلوا واي غرض لكم في ان لا تأكلوا وقد فصل لكم وقد بين لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم وهو قوله حرمت عليكم الميتة وقرئ فصل لكم ما حرم عليكم
الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم فانه حلال لكم في حال الضرورة وان كثيرا ليضلون وقرئ يضلون باهوائهم بغير علم يحرمون ويحلون باهوائهم وشهواتهم من غير تعلق بشريعة وذروا ظاهر
الاثم وباطنه ما اعلنتم منه وما اسررتم وقيل ما عملتم وما نويتم وقيل ظاهره الزنا في الحوانيت وباطنه الصديقة في السر ولا تأكلوا الضمير راجع
الى مصدر الفعل الذي دخل عليه حرف النهي يعني وان الاكل منه لفسق او الى الموصول على ان اكله لفسق او جعل ما لم يذكر اسم الله عليه في نفسه فسقا
فان قلت قد ذهب جماعة من المجتهدين الى جواز اكل ما لم يذكر اسم الله عليه بنسيان او عمد **قلت** قد تأولوه بالميتة وبما ذكر
غير اسم الله عليه كقوله او فسقا اهل لغير الله به ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم من المشركين ليجادلوكم بقولهم ولا تأكلون مما قتله الله
وبهذا يرجح تأويل من تأوله بالميتة انكم لمشركون لان من اتبع غير الله في دينه فقد اشرك ومن حق ذي البصيرة في دينه ان لا يأكل مما لم يذكر
اسم الله عليه كيفما كان لما يرى في الآية من التشديد العظيم وان كان ابو حنيفة رحمه الله مرخصا في النسيان دون العمد ومالك والشافعي فيهما مثل الذي
هديناه بعد الضلالة ومنحه التوفيق لليقين الذي يميز به بين المحق والمبطل والمهتدي والضال من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به

في الناس مستضيئا به فيميز بعضهم من بعض ويفصل بين حلالهم وحرامهم، ومن بقي على الضلالة بالخابط في الظلمات لا ينفك منها ولا يتخلص، ومعنى قوله كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كمن صفته هذه وهي قوله في الظلمات ليس بخارج منها بمعنى هو في الظلمات ليس بخارج منها، كقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار أي صفتها هذه وهي قوله فيها أنهار. زين للكافرين أي زينه الشيطان أو الله عز وجل على قوله زينا لهم أعمالهم، ويدل عليه قوله وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها يعني وكما جعلنا في مكة صناديدها ليمكروا فيها كذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها لذلك، ومعناه خليناهم ليمكروا وما كففناهم عن المكر، وخص الأكابر لأنهم هم الحاملون على الضلال والماكرون بالناس كقوله أمرنا مترفيها. وقرئ أكبر مجرميها على قولك هم أكبر قومهم وأكابر قومهم. وما يمكرون إلا بأنفسهم لأن مكرهم يحيق بهم، وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدمة موعد بالنصرة عليهم. روي أن الوليد بن المغيرة قال لو كانت النبوة حقا لكنت أولى بها منك لأني أكبر منك سنا وأكثر منك مالا، وروي أن أبا جهل قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى إذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى إليه، والله لا نرضى به ولا نتبعه أبدا إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه، فنزلت. ونحوها قوله بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة. الله أعلم كلام مستأنف للإنكار عليهم وأن الله لا يصطفي للنبوة إلا من علم أنه يصلح لها وهو أعلم بالمكان الذي يضعها فيه منهم. سيصيب الذين أجرموا من أكابرها صغار وقماءة بعد كبرهم وعظمتهم، وعذاب شديد في الدارين من الأسر والقتل وعذاب النار. فمن يرد الله أن يهديه أن يلطف به، ولا يريد أن يلطف إلا بمن له لطف، يشرح صدره للإسلام يلطف به حتى يرغب في الإسلام وتسكن إليه نفسه ويحب الدخول فيه. ومن يرد أن يضله أن يخذله ويخليه وشأنه وهو الذي لا لطف له، يجعل صدره ضيقا حرجا يمنعه ألطافه حتى يقسو قلبه وينبو عن قبول الحق وينسد فلا يدخله الإيمان. وقرئ ضيقا بالتخفيف والتشديد، حرجا بالكسر، وحرجا بالفتح وصفا بالمصدر. كأنما يصعد في السماء كأنما يزاول أمرا غير ممكن، لأن صعود السماء مثل فيما يمتنع ويبعد من الاستطاعة وتضيق عنه المقدرة. وقرئ يصعد وأصله يتصعد، وقرأ عبد الله يتصعد، ويصاعد وأصله يتصاعد، ويصعد من صعد، ويصعد من أصعد. يجعل الله الرجس يعني الخذلان ومنع التوفيق، وصفه بنقيض ما يوصف به التوفيق من الطيب، أو أراد الفعل المؤدي إلى الرجس وهو العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب. **وهذا صراط ربك** وهذا طريقه الذي اقتضته الحكمة وعادته في التوفيق والخذلان. مستقيما عادلا مطردا، وانتصابه على أنه حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا. لقوم يذكرون. دار السلام دار الله يعني الجنة أضافها إلى نفسه تعظيما لها، أو دار السلامة من كل آفة وكدر. عند ربهم في ضمانه كما تقول لفلان عندي حق لا ينسى، أو ذخيرة لهم لا يعلمون كنهها كقوله فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين. وهو وليهم مواليهم ومحبهم وناصرهم على أعدائهم، بما كانوا يعملون بسبب أعمالهم، أو متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون. ويوم نحشرهم منصوب بمحذوف أي واذكر يوم نحشرهم، أو ويوم نحشرهم قلنا يا معشر الجن، أو ويوم نحشرهم وقلنا يا معشر الجن كان ما لا يوصف لفظاعته. والضمير لمن يحشر من الثقلين وغيرهم، والجن هم الشياطين. قد استكثرتم من الإنس أضللتم منهم كثيرا أو جعلتموهم أتباعكم فحشر معكم منهم الجم الغفير، كما تقول استكثر الأمير من الجنود واستكثر فلان من الأشياع. وقال أولياؤهم من الإنس الذين أطاعوهم واستمعوا إلى وسوستهم. ربنا استمتع بعضنا ببعض أي انتفع الإنس بالشياطين حيث دلوهم على الشهوات وعلى أسباب التوصل إليها، وانتفع الجن بالإنس حيث أطاعوهم وساعدوهم على مرادهم وشهوتهم في إغوائهم. وقيل استمتاع الإنس بالجن ما في قوله وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن، وأن الرجل كان إذا نزل واديا وخاف قال أعوذ برب هذا الوادي يعني به كبير الجن، واستمتاع الجن بالإنس اعتراف الإنس لهم بأنهم يقدرون على الدفع عنهم وإجارتهم لهم. وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا يعنون يوم البعث، وهذا الكلام اعتراف بما كان منهم من طاعة الشياطين واتباع الهوى والتكذيب بالبعث، واستسلام لربهم، وتحسر على حالهم. خالدين فيها إلا ما شاء الله أي يخلدون في عذاب النار الأبد كله إلا ما شاء الله، إلا الأوقات التي ينقلون فيها من عذاب النار إلى عذاب الزمهرير، فقد روي أنهم يدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يميز بعض أوصالهم من بعض فيتعاوون ويطلبون الرد إلى الجحيم. أو يكون من قول الموتور الذي ظفر بواتره ولم يزل يحرق عليه أنيابه وقد طلب إليه أن ينفس عن خناقه: أهلكني الله إن نفست عنك إلا إذا شئت، وقد علم أنه لا يشاء إلا التشفي منه بأقصى ما يقدر عليه من التعنيف والتشديد، فيكون قوله إلا إذا شئت من أشد الوعيد مع تهكم بالموعد لخروجه في صورة الاستثناء الذي فيه إطماع. إن ربك حكيم لا يفعل شيئا إلا بموجب الحكمة، عليم بأن الكفار يستوجبون عذاب الأبد. نولي بعض الظالمين بعضا نخليهم حتى يتولى بعضهم بعضا كما فعل الشياطين وغواة الإنس، أو يجعل بعضهم أولياء

بعض

بعض يوم القيامة وقرناءهم كما كانوا في الدنيا، بما كانوا يكسبون بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصي. يقال لهم يوم القيامة على جهة التوبيخ ألم يأتكم رسل منكم، واختلف في أن الجن هل بعث إليهم رسل منهم، فتعلق بعضهم بظاهر الآية ولم يفرق بين مكلف ومكلف أن يبعث إليهم رسول من جنسهم لأنهم به آنس وله آلف. وقال آخرون الرسل من الإنس خاصة، وإنما قيل رسل منكم لأنه لما جمع الثقلان في الخطاب صح ذلك وإن كان من أحدهما كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان. وقيل أراد رسل الرسل من الجن إليهم كقوله ولوا إلى قومهم منذرين. وعن الكلبي كانت الرسل قبل أن يبعث محمد يبعثون إلى الإنس ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجن والإنس. **قالوا شهدنا على أنفسنا** حكاية لتصديقهم وإيجابهم قوله ألم يأتكم، لأن الهمزة الداخلة على نفي إتيان الرسل للإنكار، فكان تقريرا لهم. وقولهم شهدنا على أنفسنا إقرار منهم بأن حجة الله لازمة لهم وأنهم محجوجون بها. فإن قلت ما لهم مقرين في هذه الآية جاحدين في قوله والله ربنا ما كنا مشركين؟ قلت تتفاوت الأحوال والمواطن فيقرون في بعضها ويجحدون في بعض، أو أريد شهادة أيديهم وأرجلهم وجلودهم حين يختم على أفواههم. فإن قلت لم كرر ذكر شهادتهم على أنفسهم؟ قلت الأولى حكاية لقولهم كيف يقولون ويعترفون، والثانية ذم لهم وتخطئة لرأيهم ووصف لقلة نظرهم لأنفسهم، وأنهم قوم غرتهم الحياة الدنيا واللذات الحاضرة وكانت عاقبة أمرهم أن اضطروا إلى الشهادة على أنفسهم بالكفر والاستسلام لربهم واستيجاب عذابه، وإنما قال ذلك تحذيرا للسامعين من مثل حالهم. ذلك إشارة إلى ما تقدم من بعثة الرسل وإنذارهم سوء العاقبة، وهو خبر مبتدأ محذوف أي الأمر ذلك. أن لم يكن ربك مهلك القرى تعليل أي الأمر ما قصصنا عليك لانتفاء كون ربك مهلك القرى بظلم، على أن أن هي التي تنصب الأفعال، ويجوز أن تكون مخففة من الثقيلة على معنى لأن الشأن والحديث لم يكن ربك مهلك القرى بظلم، ولك أن تجعله بدلا من ذلك كقوله وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع. بظلم بسبب ظلم أقدموا عليه، أو ظالما على أنه لو أهلكهم وهم غافلون لم ينبهوا برسول وكتاب لكان ظالما، وهو متعال عن الظلم وعن كل قبيح. ولكل من المكلفين درجات منازل مما عملوا من جزاء أعمالهم. وما ربك بغافل عما يعملون بساه عنه يخفى عليه مقاديره وأحواله وما يستحق عليه من الأجر. وربك الغني عن عباده وعن عبادتهم، ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف ليعرضهم للمنافع الدائمة. إن يشأ يذهبكم أيها العصاة ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق المطيع، كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين من أولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم أهل سفينة نوح عليه السلام. المكانة تكون مصدرا، يقال مكن مكانة إذا تمكن أبلغ التمكن، وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة. **وقوله** اعملوا على مكانتكم يحتمل اعملوا على تمكنكم من أمركم وأقصى استطاعتكم وإمكانكم، أو اعملوا على جهتكم وحالكم التي أنتم عليها، يقال للرجل إذا أمر أن يثبت على حاله على مكانتك يا فلان أي اثبت على ما أنت عليه لا تنحرف عنه. إني عامل أي عامل على مكانتي التي أنا عليها، والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم لي فإني ثابت على الإسلام وعلى مصابرتكم. فسوف تعلمون أينا تكون له العاقبة المحمودة، وطريقة هذا الأمر طريقة قوله اعملوا ما شئتم وهي التخلية والتسجيل على المأمور بأنه لا يأتي منه إلا الشر، فكأنه مأمور به وهو واجب عليه حتم ليس له أن يتقصى عنه ويعمل بخلافه. فإن قلت ما موضع من؟ قلت الرفع إذا كان بمعنى أي وعلق عنه فعل العلم، أو النصب إذا كان بمعنى الذي. وعاقبة الدار العاقبة الحسنى التي خلق الله هذه الدار لها. وهذا طريق من الإنذار لطيف المسلك فيه إنصاف في المقال وأدب حسن مع تضمن شدة الوعيد والوثوق بأن المنذر محق والمنذر مبطل. كانوا يعينون أشياء من حرث ونتاج لله وأشياء منها لآلهتهم، فإذا رأوا ما جعلوا لله زاكيا ناميا يزيد في نفسه خيرا رجعوا فجعلوه للآلهة، وإذا زكا ما جعلوه للأصنام تركوه لها واعتلوا بأن الله غني، وإنما ذاك لحبهم آلهتهم وإيثارهم لها. **وقوله** مما ذرأ فيه أن الله كان أولى بأن يجعل له الزاكي لأنه هو الذي ذرأه وزكاه، ولا يرد إلى ما لا يقدر على ذرء ولا زكاء. بزعمهم وقرئ بالضم، أي قد زعموا أنه لله والله لم يأمرهم بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة التي هي من الشرك، لأنهم أشركوا بين الله وبين أصنامهم في القربة. فلا يصل إلى الله أي لا يصل إلى الوجوه التي كانوا يصرفونه إليها من قرى الضيفان والتصدق على المساكين، فهو يصل إلى شركائهم من إنفاق عليها وذبح نسائك عندها والإجراء على سدنتها ونحو ذلك. ساء ما يحكمون في إيثار آلهتهم على الله وعملهم على ما لم يشرع لهم. وكذلك ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القربان بين الله والآلهة، أو ومثل ذلك التزيين البليغ الذي

علم من الشياطين والمعنى ان شركاءهم من الشياطين او من سدنة الاصنام زينوا لهم قتل اولادهم بالوأد او بنحرهم للآلهة وكان الرجل يحلف
في الجاهلية لئن ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم كما حلف عبد المطلب وقرئ زين على البناء للفاعل الذي هو شركاؤهم
ما لم يسم فاعله ورفع قتل اولادهم ونصب شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين كانه قيل لما قيل زين لهم قتل اولادهم من زينه فقيل زينه لهم شركاؤهم واما قراءة ابن عامر قتل اولادهم
شركائهم برفع القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء على اضافة القتل الى الشركاء والفصل بينهما بغير الظرف فشيء لو كان
في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجا مردودا كما سمج ورد زج القلوص ابي مزاده فكيف به في الكلام المنثور
فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته والذي حمله على ذلك ان رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوبا بالياء ولو قرأ بجر الاولاد
والشركاء لان الاولاد شركاؤهم في اموالهم لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم
دينهم وليخلطوه عليهم ويشبهوه ودينهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل حتى زلوا الى الشرك وقيل دينهم الذي وجب ان يكونوا عليه وقيل معناه وليوقعوهم
في دين ملتبس فان قلت ما معنى اللام قلت ان كان التزيين من الشياطين فهي على حقيقة التعليل وان كان من السدنة فعلى معنى الصيرورة
ولو شاء الله مشيئة قسر ما فعلوه لما فعل المشركون ما زين لهم من القتل او لما فعل الشياطين او السدنة التزيين او الارداء او اللبس او جميع ذلك
ان جعلت الضمير جاريا مجرى اسم الاشارة وما يفترون وما يفترونه من الافك او وافتراءهم حجر فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن
ويستوي في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات وقرأ الحسن وقتادة حجر بضم الحاء وعن
ابن عباس حرج وهو من الضيق وكانوا اذا عينوا اشياء من حرثهم وانعامهم لآلهتهم قالوا لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان
والرجال دون النساء وانعام حرمت ظهورها هي البحائر والسوائب والحوامي وانعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وانما يذكرون عليها
اسماء الاصنام وقيل لا يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها والمعنى انهم قسموا انعامهم فقالوا هذه انعام حجر وهذه انعام محرمة الظهور
وهذه انعام لا يذكر عليها اسم الله فجعلوها اجناسا بهواهم ونسبوا ذلك التجنيس الى الله افتراء عليه اي فعلوا ذلك كله على جهة الافتراء
وانتصابه على انه مفعول له او حال او مصدر مؤكد لان قولهم ذلك في معنى الافتراء كانوا يقولون في اجنة البحائر والسوائب ما
ولد منها حيا فهو خالص للذكور لا يأكل منه الاناث وما ولد ميتا اشترك فيه الذكور والاناث وانث خالصة للحمل على المعنى
لان ما في معنى الاجنة وذكر ومحرم للحمل على اللفظ ونظيره ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك ويجوز ان تكون التاء للمبالغة
مثلها في راوية الشعر وان تكون مصدرا وقع موقع الخالص كالعافية اي ذو خالصة ويدل عليه قراءة من قرأ خالصة بالنصب على ان قوله
لذكورنا هو الخبر وخالصة مصدر مؤكد ولا يجوز ان يكون حالا متقدمة لان المجرور لا يتقدم عليه حاله وقرأ ابن عباس خالصه على
الاضافة وفي مصحف عبد الله خالص وان يكن ميتة وان يكن ما في بطونها ميتة وقرئ وان تكن بالتاء وان تكن الاجنة ميتة وقرأ
اهل مكة وان تكن ميتة بالتأنيث والرفع على كان التامة وتذكير الضمير في قوله فهم فيه شركاء لان الميتة لكل ميت ذكر او انثى فكأنه قيل وان
يكن ميت فهم فيه سواء سيجزيهم وصفهم اي جزاء وصفهم الكذب على الله في التحليل والتحريم من قوله وتصف السنتهم الكذب هذا حلال وهذا حرام
نزلت في ربيعة ومضر والعرب الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر سفها بغير علم لخفة احلامهم وجهلهم بان الله هو رازق اولادهم
لا هم وقرئ قتلوا بالتشديد ما رزقهم الله من البحائر والسوائب وغيرها انشأ جنات من الكروم معروشات مسموكات وغير معروشات متروكات
على وجه الارض لم تعرش وعن ابن عباس المعروشات ما في الارياف والعمران مما غرسه الناس واهتموا به وغير معروشات مما انبته الله وحشيا في البراري
والجبال فهو غير معروش يقال عرشت الكرم اذا جعلت له دعائم وسمكا تعطف عليه القضبان وسقف البيت عرشه مختلفا اكله في اللون
والطعم والحجم والرائحة وقرئ اكله بالضم والسكون وهو ثمره الذي يؤكل والضمير للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه
ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن وقت الانشاء كذلك كقوله فادخلوها خالدين وقرئ ثمره بضمتين فان قلت ما فائدة قوله
اذا اثمر وقد علم انه اذا لم يثمر لم يؤكل منه قلت لما ابيح لهم الاكل من ثمره قيل اذا اثمر ليعلم ان اول وقت الاباحة وقت اطلاع
الشجر الثمر لئلا يتوهم انه لا يباح الا اذا ادرك واينع والواجبة قيل هذه الآية مكية والزكاة انما فرضت بالمدينة فاريد بالحق
ما كان يتصدق به على المساكين يوم الحصاد وكان ذلك واجبا حتى نسخه افتراض العشر ونصف العشر وقيل مدنية والحق هو الزكاة المفروضة ومعناه
واعزموا

واعزموا على ايتاء الحق واقصدوه واهتموا به يوم الحصاد حتى لا تؤخروه عن اول وقت يمكن فيه الايتاء ولا تسرفوا في الصدقة كما
روي عن ثابت بن قيس انه صرم خمسمائة نخلة ففرق ثمرها كله ولم يدخل منه شيئا الى منزله ولا تبسطها كل البسط فتقعد
ملوما محسورا حمولة وفرشا عطف على جنات اي وانشأ من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ينسج من وبره وصوفه وشعره
الفرش وقيل الحمولة الكبار التي تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل والغنم لانها دانية من الارض للطافة اجرامها
مثل الفرش المفروش عليها ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند انفسكم كما فعل اهل الجاهلية **ثمانية ازواج**
بدل من حمولة وفرشا الزوج اسم لواحد معه آخر من جنسه الذكر والانثى كالجمل والناقة والثور والبقرة والكبش والنعجة والتيس والعنز والواحد
اذا كان وحده فهو فرد فاذا كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منهما زوجا وهما زوجان بدليل قوله خلق الزوجين الذكر والانثى
والدليل عليه قوله تعالى ثمانية ازواج ثم فسرها بقوله من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ويجوز تسمية الفرد
بالزوج بشرط ان يكون معه آخر من جنسه تسمية ملابسة كما يشترط ان يكون فيها خمر والضأن والمعز جمع ضائن وماعز
كتاجر وتجر وقرئ بفتح العين وقرأ ابي ومن المعزى وقرئ اثنان على الابتداء آلذكرين الهمزة في آلذكرين للانكار والمراد بالذكرين
الذكر من الضأن والذكر من المعز وبالانثيين الانثى من الضأن والانثى من المعز على طريق الجنسية والمعنى انكار ان يحرم الله تعالى من
جنسي الغنم ضأنها ومعزها شيئا من نوعي ذكورها واناثها ولا مما تحمل اناث الجنسين وكذلك الذكران من جنسي الابل والبقر
والانثيان منهما وما تحمل اناثهما وذلك انهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيفما كانت ذكورا واناثا او مختلطة
تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله فانكر ذلك عليهم نبئوني بعلم اخبروني بامر معلوم من جهة الله يدل على تحريم ما حرمتم ان كنتم صادقين في ان
الله حرمه ام كنتم شهداء بل اكنتم شهداء ومعنى الهمزة الانكار يعني ام شاهدتم ربكم حين امركم بهذا التحريم وذلك انهم على مذهبهم
لانهم كانوا لا يؤمنون برسول وهم يقولون الله حرم هذا الذي نحرمه فتهكم بهم في قوله ام كنتم شهداء على معنى اعرفتم التوصية به مشاهدين لانكم
لا تؤمنون بالرسل فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم ليضل الناس وهو عمرو بن لحي بن قمعة الذي بحر البحائر
وسيب السوائب فان قلت كيف فصل بين بعض المعدود وبعضه ولم يوال بينه قلت قد وقع الفاصل بينهما اعتراضا غير اجنبي
من المعدود وذلك ان الله عز وجل من على عباده بانشاء الانعام لمنافعهم وباباحتها لهم فاعترض بالاحتجاج على من حرمها والاحتجاج على من حرمها
تأكيد وتشديد للتحليل والاعتراضات في الكلام لا تساق الا للتوكيد فيما اوحي الي تنبيه على ان التحريم انما يثبت بوحي الله وشرعه لا بهوى
الانفس محرما طعاما محرما من المطاعم التي حرمتموها الا ان يكون ميتة الا ان يكون الشيء المحرم ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا سائلا كالدم
في العروق لا كالكبد والطحال وقد رخص في دم العروق بعد الذبح او فسقا عطف على المنصوب قبله سمي ما اهل به لغير الله فسقا لتوغله
في باب الفسق ومنه قوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق واهل صفة له منصوبة المحل ويجوز ان يكون مفعولا له من اهل اي اهل لغير
الله به فسقا فان قلت فعلام تعطف اهل وأين الضمير فيه على هذا القول قلت يعطف على يكون ويرجع الضمير الى ما يرجع اليه
المستكن في يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة الى اكل شيء من هذه المحرمات غير باغ غير مضطر مثله تارك لمواساته ولا عاد متجاوز
قدر حاجته من تناوله فان ربك غفور رحيم لا يؤاخذه ذو الظفر ما له اصبع من دابة او طائر وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا
حرم ذلك عليهم فعم التحريم كل ذي ظفر بدليل قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم **وقوله** ومن البقر والغنم حرمنا
عليهم شحومهما كقولك من زيد اخذت ماله تريد بالاضافة زيادة الربط والمعنى انه حرم عليهم لحم كل ذي ظفر وشحمه وكل شيء منه وترك البقر
والغنم على التحليل لم يحرم منهما الا الشحوم الخالصة وهي الثروب وشحوم الكلى وقوله الا ما حملت ظهورهما يعني الا ما اشتمل على الظهور والجنوب
من السحفة او الحوايا او اشتمل على الامعاء او ما اختلط بعظم وهو شحم الالية وقيل الحوايا عطف على شحومهما واو بمنزلتها في قولهم جالس
الحسن او ابن سيرين ذلك الجزاء جزيناهم وهو تحريم الطيبات ببغيهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون فيما اوعدنا به العصاة لا نخلفه كما لا
نخلف ما وعدناه اهل الطاعة فلما عصوا وبغوا الحقنا بهم الوعيد واحللنا بهم العقاب فان كذبوك في ذلك وزعموا ان الله واسع المغفرة
وانه لا يؤاخذ بالبغي ويخلف الوعيد جودا وكرما فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لاهل طاعته ولا يرد بأسه مع سعة رحمته عن القوم المجرمين

ظاهرة وجاحدة عن خبره ونعمته سيقول الذين اشركوا إخبار بما سوف يقولونه ولما قالوه قال وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا
من دونه من شيء يعنون بكفرهم وتمردهم أن شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم ما أحل الله بمشيئته وإرادته ولولا مشيئته لم يكن شيء من ذلك كمذهب
المجبرة بعينه كذلك كذب الذين من قبلهم أي جاؤوا بالتكذيب المطلق لأن الله عز وجل ركب في العقول وأنزل في الكتب ما دل على غناه وبراءته
من مشيئة القبائح وإرادتها والرسل أخبروا بذلك فمن علق وجود القبائح من الكفر والمعاصي بمشيئة الله وإرادته فقد كذب التكذيب كله وهو
تكذيب الله وكتبه ورسله ونبذ أدلة العقل والسمع وراء ظهره حتى ذاقوا بأسنا حتى أنزلنا عليهم العذاب بتكذيبهم قل هل عندكم من علم
من أمر معلوم يصح الاحتجاج به فيما قلتم فتخرجوه لنا وهذا من التهكم والشهادة بأن مثل قولهم محال أن يكون له حجة إن تتبعون إلا الظن في قولكم
هذا وإن أنتم إلا تخرصون تقدرون أن الأمر كما تزعمون أو تكذبون وقرئ كذلك كذب بالتخفيف قل فلله الحجة البالغة يعني فإن كان الأمر
كما زعمتم أن ما أنتم عليه بمشيئة الله فلله الحجة البالغة عليكم على قود مذهبكم فلو شاء لهداكم أجمعين منكم ومن مخالفيكم في الدين فإن تعليقكم دينكم
بمشيئة الله يقتضي أن تعلقوا دين من يخالفكم أيضا بمشيئته فتوالوهم ولا تعادوهم وتوافقوهم ولا تخالفوهم لأن المشيئة تجمع بين ما أنتم عليه وبين ما هم
عليه هلم يستوي فيه الواحد والجمع والذكر والمؤنث عند الحجازيين وبنو تميم تؤنث وتجمع والمعنى هاتوا شهداءكم وقربوهم فإن قلت
كيف أمره باستحضار شهدائهم الذين يشهدون أن الله حرم ما زعموه محرما ثم أمره بأن لا يشهد معهم قلت أمره باستحضارهم وهم شهداء بالباطل
ليلزمهم الحجة ويلقمهم الحجر ويظهر للمشهود لهم بانقطاع الشهداء أنهم ليسوا على شيء لتساوي أقدام الشاهدين والمشهود لهم في أنهم لا يرجعون
إلى ما يصح التمسك به وقوله فلا تشهد معهم يعني فلا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لأنه إذا سلم لهم فكأنه شهد معهم مثل شهادتهم وكان واحدا منهم ولا
تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أن من كذب بآيات الله وعدل به غيره فهو متبع للهوى لا غير لأنه لو تبع
الدليل لم يكن إلا مصدقا بالآيات موحدا لله فإن قلت هلا قيل قل هلم شهداء يشهدون أن الله حرم هذا وأي فرق بينه وبين المنزل قلت
المراد أن يحضروا شهداءهم الذين علم أنهم يشهدون لهم وينصرون قولهم وكان المشهود لهم يقلدونهم ويثقون بهم ويعتضدون بشهادتهم ليهدم ما يقومون به
فيحق الحق ويبطل الباطل فأضيفت الشهداء لذلك وجيء بالذي للدلالة على أنهم شهداء معروفون موسومون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم والدليل عليه قوله
فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولو قيل هلم شهداء يشهدون لكان معناه هاتوا أناسا يشهدون بتحريم ذلك فكان الظاهر طلب شهداء بالحق وذلك
ليس بالغرض ويناقضه قوله فإن شهدوا فلا تشهد معهم تعالوا من الخاص الذي صار عاما وأصله أن يقوله من كان في مكان عال لمن هو أسفل
منه ثم كثر واتسع فيه حتى عم ما حرم منصوب بفعل التلاوة بمعنى أتل الذي حرمه ربكم أو بحرم بمعنى أتل أي شيء حرم ربكم لأن التلاوة من القول
وأن في ألا تشركوا مفسرة ولا للنهي فإن قلت هلا قلت هي التي تنصب الفعل وجعلت ألا تشركوا بدلا مما حرم قلت وجب أن يكون
لا تشركوا ولا تقربوا ولا تقتلوا ولا تتبعوا السبل نواهي لانعطاف الأوامر عليها وهي قوله وبالوالدين إحسانا لأن التقدير وأحسنوا بالوالدين إحسانا
وأوفوا وإذا قلتم فاعدلوا وبعهد الله أوفوا فإن قلت فما تصنع بقوله وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه فيمن قرأ بالفتح وإنما يستقيم عطفه
على أن لا تشركوا إذا جعلت أن هي الناصبة للفعل حتى يكون المعنى أتل عليكم نفي الإشراك والتوحيد وأتل عليكم أن هذا صراطي مستقيما قلت
أجعل قوله وأن هذا صراطي مستقيما علة للاتباع بتقدير اللام كقوله وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا بمعنى ولأن هذا صراطي مستقيما
فاتبعوه والدليل عليه القراءة بالكسر كأنه قيل واتبعوا صراطي لأنه مستقيم أو واتبعوا صراطي إنه مستقيم فإن قلت إذا جعلت أن مفسرة لفعل
التلاوة وهو معلق بما حرم ربكم وجب أن يكون ما بعده منهيا عنه محرما كله كالشرك وما بعده مما دخل عليه حرف النهي فما تصنع بالأوامر قلت
لما وردت هذه الأوامر مع النواهي وتقدمهن جميعا فعل التحريم واشتركن في الدخول تحت حكمه علم أن التحريم راجع إلى أضدادها وهي الإساءة إلى
الوالدين وبخس الكيل والميزان وترك العدل في القول ونكث عهد الله من إملاق من أجل فقر ومن خشيته كقوله خشية إملاق ما ظهر
منها وما بطن مثل قوله ظاهر الإثم وباطنه إلا بالحق كالقصاص والقتل على الردة والرجم إلا بالتي هي أحسن إلا بالخصلة التي هي أحسن ما يفعل بمال اليتيم وهي حفظه
وتثميره والمعنى احفظوه عليه حتى يبلغ أشده فادفعوه إليه بالقسط بالسوية والعدل لا نكلف نفسا إلا وسعها إلا ما يسعها ولا تعجز
عنه وإنما أتبع الأمر بإيفاء الكيل والميزان ذلك لأن مراعاة الحد من القسط الذي لا زيادة فيه ولا نقصان مما يجري فيه الحرج فأمر ببلوغ الوسع
وأن ما وراءه معفو عنه ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له أو عليه في شهادة أو غيرها من أهل قرابة القائل كقوله ولو على أنفسكم أو

ولو

ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين وقرئ وأن هذا صراطي بتخفيف أن وأصله وأنه هذا صراطي على أن الهاء ضمير الشأن والحديث وقرأ الأعمش
وهذا صراطي وفي مصحف عبد الله وهذا صراط ربكم وفي مصحف أبي وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل الطرق المختلفة في الدين
من اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر البدع والضلالات فتفرق بكم فتفرقكم أيادي سبا عن سبيله عن صراطه المستقيم
وهو دين الإسلام وقرئ فتفرق بإدغام التاء وروى أبو وائل عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خط خطا ثم قال هذا سبيل الرشد
ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطا ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم تلا هذه الآية وأن هذا صراطي مستقيما
فاتبعوه وعن ابن عباس رضي الله عنه هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وقيل إنهن أم الكتاب من عمل بهن دخل
الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب الأحبار والذي نفس كعب بيده إن هذه الآيات لأول شيء في التوراة فإن قلت علام
عطف قوله ثم آتينا موسى الكتاب قلت على وصاكم به فإن قلت كيف صح عطفه عليه بثم والإيتاء قبل التوصية بدهر
طويل قلت هذه التوصية قديمة لم تزل توصاها كل أمة على لسان نبيها كما قال ابن عباس محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب فكأنه
قيل ذلكم وصاكم به يا بني آدم قديما وحديثا ثم أعظم من ذلك أنا آتينا موسى الكتاب وأنزلنا هذا الكتاب المبارك وقيل هو معطوف على ما تقدم
قبل شطر السورة من قوله ووهبنا له إسحاق ويعقوب تماما على الذي أحسن تماما للكرامة والنعمة على الذي أحسن على من كان محسنا صالحا
يريد جنس المحسنين ويدل عليه قراءة عبد الله على الذين أحسنوا أو أراد به موسى عليه السلام أي تتمة للكرامة على العبد الذي أحسن الطاعة في التبليغ
وفي كل ما أمر به أو تماما على الذي أحسن موسى من العلم والشرائع من أحسن الشيء إذا أجاد معرفته أي زيادة على علمه على وجه التتميم وقرأ يحيى بن يعمر على
الذي أحسن أي على الذي هو أحسن بحذف المبتدأ كقراءة من قرأ مثلا ما بعوضة بالرفع أي على الدين الذي هو أحسن دين وأرضاه أو آتينا
موسى الكتاب تماما أي تاما كاملا على أحسن ما تكون عليه الكتب أي على الوجه والطريق الذي هو أحسن وهو معنى قول الكلبي أتم له الكتاب على أحسنه
أن تقولوا كراهة أن تقولوا على طائفتين يريد أهل التوراة وأهل الإنجيل وإن كنا هي إن المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين
النافية والأصل وإنه كنا عن دراستهم لغافلين على أن الهاء ضمير الشأن عن دراستهم عن قراءتهم أي لم نعرف مثل دراستهم لكنا أهدى
منهم لحدة أذهاننا وثقابة أفهامنا وغزارة حفظنا لأيام العرب ووقائعها وخطبها وأشعارها وأسجاعها وأمثالها على أنا أميون
وقرئ أن يقولوا أو يقولوا بالياء فقد جاءكم بينة من ربكم تبكيت لهم وهي على قراءة من قرأ يقولوا على لفظ الغيبة أحسن لما فيه من الالتفات
والمعنى إن صدقتم فيما كنتم تعدون من أنفسكم فقد جاءكم بينة من ربكم فحذف الشرط وهو من أحاسن الحذوف فمن أظلم ممن كذب بآيات الله
بعدما عرف صحتها وصدقها أو تمكن من معرفتها وصدف عنها الناس فضل وأضل سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب كقوله
الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب الملائكة ملائكة الموت أو العذاب أو يأتي ربك أو أمر ربك وهو العذاب أو يأتي بعض آيات ربك آيات
بدليل قوله أو يأتي بعض آيات ربك يريد آيات القيامة والهلاك الكلي وبعض الآيات أشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك وعن البراء
ابن عازب كنا نتذاكر الساعة إذ أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال إنها لا تقوم حتى
تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الأرض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها
ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن لم تكن آمنت من قبل صفة لقوله نفسا وقوله أو كسبت في إيمانها خيرا عطف
على آمنت والمعنى أن أشراط الساعة إذا جاءت وهي آيات ملجئة مضطرة ذهب أوان التكليف عندها فلم ينفع الإيمان حينئذ نفسا غير
مقدمة إيمانها من قبل ظهور الآيات أو مقدمة إيمانها غير كاسبة خيرا في إيمانها فلم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة إذا آمنت في غير وقت
الإيمان وبين النفس التي آمنت في وقته ولم تكسب خيرا ليعلم أن قوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات جمع بين قرينتين لا ينبغي أن تنفك إحداهما عن
الأخرى حتى يفوز صاحبها ويسعد وإلا فالشقوة والهلكة قل انتظروا إنا منتظرون وعيد وقرئ أن تأتيهم الملائكة بالتاء
والياء وقرأ ابن سيرين لا تنفع بالتاء لكون الإيمان مضافا إلى ضمير المؤنث الذي هو بعضه كقولك ذهبت بعض أصابعه فرقوا دينهم
اختلفوا فيه كما اختلفت اليهود والنصارى وفي الحديث افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة وهي الناجية وافترقت
النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين كلها في الهاوية إلا واحدة وقيل فرقوا دينهم

فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وقرئ فارقوا دينهم أي تركوه وكانوا شيعاً فرقاً كل فرقة تشيع إماماً لها لست منهم في شيء أي من السؤال عنهم وعن تفرقهم وقيل من عقابهم وقيل هي منسوخة بآية السيف عشر أمثالها على إقامة الصفة مقام الموصوف تقديره عشر حسنات أمثالها وقرئ عشرٌ أمثالُها برفعهما جميعاً على الوصف وهذا أقل ما وعد من الأضعاف وقد وعد بالواحد سبعمائة ووعد ثواباً بغير حساب ومضاعفة الحسنات فضل ومكافأة السيئات عدل وهم لا يظلمون لا ينقص من ثوابهم ولا يزاد على عقابهم ديناً نصب على البدل من محل إلى صراط لأن معناه هداني صراطاً بدليل قوله ويهديكم صراطاً مستقيماً والقيم فيعل من قام كسيد من ساد وهو أبلغ من القائم وقرئ قيماً فالقيم مصدر بمعنى القيام وصف به ملة إبراهيم عطف بيان حنيفاً حال من إبراهيم **قل إن صلاتي ونسكي** وعبادتي وتقربي كله وقيل وذبحي وجمع بين الصلاة والذبح كما في قوله فصل لربك وانحر وقيل صلاتي وحجي من مناسك الحج ومحياي ومماتي وما آتيه في حياتي وأموت عليه من الإيمان والعمل الصالح لله رب العالمين خالصة لوجهه وبذلك من الإخلاص أمرت وأنا أول المسلمين لأن إسلام كل نبي متقدم لإسلام أمته قل أغير الله أبغي رباً جواب عن دعائهم له إلى عبادة آلهتهم والهمزة للإنكار أي منكر أن أبغي رباً غيره وهو رب كل شيء وكل من دونه مربوب ليس في الوجود من له الربوبية غيره كما قال أفغير الله تأمروني أعبد ولا تكسب كل نفس إلا عليها جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم جعلكم خلائف الأرض لأن محمداً خاتم النبيين فخلفت أمته سائر الأمم أو جعلهم يخلف بعضهم بعضاً أو هم خلفاء الله في أرضه يملكونها ويتصرفون فيها ورفع بعضكم فوق بعض في الشرف والرزق ليبلوكم فيما آتاكم من الجاه والمال كيف تشكرون تلك النعمة وكيف يصنع الشريف بالوضيع والحر بالعبد والغني بالفقير إن ربك سريع العقاب لمن كفر نعمته وإنه لغفور رحيم لمن قام بشكرها ووصف العقاب بالسرعة لأن ما هو آت قريب

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزلت علي سورة الأنعام جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك
لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الأنعام صلى عليه واستغفر له أولئك السبعون ألف ملك
بعدد كل آية من سورة الأنعام يوماً وليلة

سورة الأعراف مكية غير ثمان آيات واسألهم عن القرية إلى وإذ نتقنا وهي مائتان وخمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم كتاب خبر مبتدأ محذوف أي هو كتاب وأنزل إليك صفة له والمراد بالكتاب السورة فلا يكن في صدرك حرج منه أي شك منه كقوله فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك وسمي الشك حرجاً لأن الشاك ضيق الصدر حرجه كما أن المتيقن منشرح الصدر منفسحه أي لا تشك في أنه منزل من الله أو حرج من تبليغه لأنه كان يخاف قومه وتكذيبهم له وإعراضهم عنه وأذاهم فكان يضيق صدره من الأداء ولا ينبسط له فأمنه الله ونهاه عن المبالاة بهم فإن قلت بم تعلق قوله لتنذر قلت بأنزل أي أنزل إليك لإنذارك به أو بالنهي لأنه إذا لم يخفهم أنذرهم وكذلك إذا أيقن أنه من عند الله شجعه اليقين على الإنذار لأن صاحب اليقين جسور متوكل على ربه متكل على عصمته فإن قلت فما محل ذكرى قلت يحتمل الحركات الثلاث النصب بإضمار فعلها كأنه قيل لتنذر به وتذكر تذكيراً لأن الذكرى اسم بمعنى التذكير والرفع عطفاً على كتاب أو بأنه خبر مبتدأ محذوف والجر للعطف على محل أن تنذر أي للإنذار وللذكرى فإن قلت النهي في قوله فلا يكن متوجه إلى الحرج فما وجهه قلت هو من قولهم لا أرينك هاهنا اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم من القرآن والسنة ولا تتبعوا من دونه من دون الله أولياء أي ولا تتولوا من دونه من شياطين الجن والإنس فيحملوكم على عبادة الأوثان والأهواء والبدع ويضلوكم عن دين الله وما أنزل إليكم وأمركم باتباعه وعن الحسن يا ابن آدم أمرت باتباع كتاب الله وسنة محمد والله ما نزلت آية إلا وهو يحب أن تعلم فيما أنزلت وما معناها وقرئ ولا تبتغوا من الابتغاء ومن يبتغ غير الإسلام ديناً ويجوز أن يكون الضمير في من دونه لما أنزل على ولا تتبعوا من دون دين الله دين أولياء قليلاً ما تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وقرئ تذكرون بحذف التاء ويتذكرون بالياء وقليلاً نصب بتذكرون أي تذكرون تذكراً قليلاً وما مزيدة لتوكيد القلة فجاءها بأسنا بياتاً مصدر واقع موقع الحال بمعنى بائتين يقال بات بياتاً حسناً وبيتة حسنة وقوله أو هم قائلون حال معطوفة على بياتاً كأنه قيل فجاءهم بأسنا بائتين أو قائلين فإن قلت هل يقدر حذف المضاف الذي هو الأهل قبل قرية أو قبل الضمير في أهلكناها قلت إنما

يقدر

تقدير المضاف للحاجة ولا حاجة فإن القرية تهلك كما يهلك أهلها وإنما قدرناه قبل الضمير في فجاءها لقوله أو هم قائلون فإن قلت لا يقال جاءني زيد هو فارس بغير واو فما بال قوله أو هم قائلون قلت قدر بعض النحويين الواو محذوفة ورده الزجاج وقال لو قلت جاءني زيد راجلاً أو هو فارس أو جاءني زيد هو فارس لم يحتج فيه إلى واو لأن الذكر قد عاد إلى الأول والصحيح أنها إذا عطفت على حال قبلها حذفت الواو استثقالاً لاجتماع حرفي عطف لأن واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل فقولك جاءني زيد راجلاً أو هو فارس كلام فصيح وارد على حده وأما جاءني زيد هو فارس فخبيث فإن قلت فما معنى قوله أهلكناها فجاءها بأسنا والإهلاك إنما هو بعد مجيء البأس قلت معناه أردنا إهلاكها كقوله إذا قمتم إلى الصلاة وإنما خص هذان الوقتان وقت البيات ووقت القيلولة لأنهما وقتا الغفلة والدعة فيكون نزول العذاب فيهما أشد وأفظع وقوم لوط أهلكوا بالليل وقت السحر وقوم شعيب وقت القيلولة فما كان دعواهم ما كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من مذهبهم إلا اعترافهم ببطلانه وفساده وقولهم إنا كنا ظالمين فيما كنا عليه ويجوز فما كان استغاثتهم إلا قولهم هذا لأنه لا مستغاث من الله بغيره من قولهم دعواهم يال كعب ويجوز فما كان دعاؤهم ربهم إلا اعترافهم لعلمهم أن الدعاء لا ينفعهم وأن لات حين دعاء فلا يزيدون على ذم أنفسهم وتحسرهم على ما كان منهم ودعواهم نصب خبر لكان وأن قالوا رفع اسمه ويجوز العكس **فلنسألن الذين أرسل إليهم** أسند السؤال إلى الجار والمجرور وهو إليهم ومعناه فلنسألن المرسل إليهم وهم الأمم يسألهم عما أجابوا به رسلهم كما قال ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين ولنسألن المرسلين عما أجيبوا به كما قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم فلنقصن عليهم على الرسل والمرسل إليهم ما كان منهم بعلم عالمين بأحوالهم الظاهرة والباطنة وأقوالهم وأفعالهم وما كنا غائبين عنهم وعما وجد منهم فإن قلت فإذا كان عالماً بذلك وكان يقصه عليهم فما معنى سؤالهم قلت معناه التوبيخ والتقريع والتقرير إذا فاهوا به بألسنتهم وشهد عليهم أنبياؤهم والوزن يومئذ الحق يعني وزن الأعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها ورفعه على الابتداء وخبره يومئذ والحق صفته أي والوزن يوم يسأل الله الأمم ورسلهم الوزن الحق أي العدل وقرئ القسط واختلف في كيفية الوزن فقيل توزن صحف الأعمال بميزان له لسان وكفتان تنظر الخلائق إليه تأكيداً للحجة وإظهاراً للنصفة وقطعاً للمعذرة كما يسألهم عن أعمالهم فيعترفون بها بألسنتهم وتشهد عليهم أيديهم وأرجلهم وجلودهم وتشهد عليهم الأنبياء والملائكة والأشهاد وكما تثبت في صحائفهم فيقرؤونها في موقف الحساب وقيل هي عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل فمن ثقلت موازينه جمع ميزان أو موزون أي فمن رجحت أعماله الموزونة التي لها وزن وقدر وهي الحسنات أو ما توزن به حسناتهم وعن الحسن وحق لميزان توضع فيه الحسنات أن يثقل وحق لميزان توضع فيه السيئات أن يخف بما كانوا بآياتنا يظلمون يكذبون بها ظلماً كقوله فظلموا بها مكناكم في الأرض جعلنا لكم فيها مكاناً وقراراً أو مكناكم فيها وأقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها أو ما يتوصل به إلى ذلك والوجه تصريح الياء وعن ابن عباس أنه همز على التشبيه بصحائف ولقد خلقناكم ثم صورناكم يعني خلقنا أباكم آدم طيناً غير مصور ثم صورناه بعد ذلك ألا ترى إلى قوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم من الساجدين ممن سجد لآدم ألا تسجد لا في أن لا تسجد صلة بدليل قوله ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ومثلها لئلا يعلم أهل الكتاب بمعنى ليعلم فإن قلت ما فائدة زيادتها قلت توكيد معنى الفعل الذي تدخل عليه وتحقيقه كأنه قيل ليتحقق علم أهل الكتاب وما منعك أن تحقق السجود وتلزمه نفسك إذ أمرتك لأن أمري لك بالسجود أوجبه عليك إيجاباً وأحتمه عليك حتماً لا بد لك منه فإن قلت لم سأله عن المانع من السجود وقد علم ما منعه قلت للتوبيخ ولإظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره بأصله وازدرائه بأصل آدم وأنه خالف أمر ربه معتقداً أنه غير واجب عليه لما رأى أن سجود الفاضل للمفضول خارج عن الصواب فإن قلت كيف يكون قوله أنا خير منه جواباً لما منعك وإنما الجواب أن يقول منعني كذا قلت قد استأنف قصة أخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم وبعلة فضله عليه وهو أن أصله من نار وأصل آدم من طين فعلم منها الجواب وزيادة عليه وهو إنكار الأمر واستبعاد أن يكون مثله مأموراً بالسجود لمثله كأنه يقول من كان على هذه الصفة كان مستبعداً أن يؤمر بما أمر به فاهبط منها من السماء التي هي مكان المطيعين المتواضعين من الملائكة إلى الأرض التي هي مقر العاصين المتكبرين من الثقلين فما يكون لك فما يصح لك أن تتكبر فيها وتعصي فاخرج إنك من الصاغرين من أهل الصغار والهوان على الله وعلى أوليائه لتكبرك كما يقول الرجل قم صاغراً إذا أهنته وفي ضده قم راشداً وذلك أنه لما أظهر الاستكبار

ابليس الصغار وعن عمر رضي الله عنه من تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك الله ومن تكبر وعدا طوره وهصه الله الى الارض
فان قلت لم اجيب الى استنظاره وانما استنظر ليفسد عباده ويغويهم قلت لما في ذلك من ابتلاء العباد وفي مخالفته من اعظم الثواب
وحكمه حكم ما خلق في الدنيا من صنوف الزخارف وانواع الملاذ والملاهي وما ركب في الانفس من الشهوات ليمتحن بها عباده فبما اغويتني فبسبب
اغوائك اياي لاقعدن لهم وهو تكليفه اياه ما وقع به في الغي ولم يثبت كما ثبتت الملائكة مع كونهم افضل منه ومن آدم انفسا ومناصب
وعن الاصم امرتني بالسجود فحملني الانف على معصيتك والمعنى فبسبب وقوعي في الغي لاجتهدن في اغوائهم حتى يفسدوا بسببي كما فسدت بسببهم
فان قلت بم تعلقت الباء فان تعلقها بلاقعدن يصد عنه لام القسم لا تقول والله بزيد لامرن قلت تعلقت بفعل القسم المحذوف
تقديره فبما اغويتني اقسم بالله لاقعدن اي فبسبب اغوائك اقسم ويجوز ان تكون الباء للقسم اي فاقسم باغوائك لاقعدن وانما اقسم بالاغواء لانه
كان تكليفا والتكليف من احسن افعال الله لكونه تعريضا لسعادة الابد فكان جديرا بان يقسم به ومن تكاذيب المجبرة ما حكوا عن طاوس انه
كان في المسجد الحرام فجاء رجل من كبار الفقهاء يرمى بالقدر فجلس اليه فقال له طاوس تقوم او تقام فقام الرجل فقيل له اتقول هذا لرجل
فقيه فقال ابليس افقه منه قال رب بما اغويتني وهذا يقول انا اغوي نفسي وما ظنك بقوم بلغ من تهالكهم على اضافة القبائح الى الله
ان لفقوا الاكاذيب على الرسول والصحابة والتابعين وقيل ما للاستفهام كانه قيل باي شيء اغويتني ثم ابتدأ لاقعدن واثبات الالف اذا
ادخل حرف الجر على ما الاستفهامية قليل شاذ واصل الغي الفساد ومنه غوى الفصيل اذا بشم والبشم فساد لاقعدن لهم صراطك
المستقيم لاعترضن لهم على طريق الاسلام كما يعترض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة وانتصابه على الظرف كقوله
كما عسل الطريق الثعلب وشبهه الزجاج بقولهم ضرب زيد الظهر والبطن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قعد لابن آدم
باطرقه فقعد له بطريق الاسلام فقال له تدع دين آبائك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال له تدع ديارك وتتغرب فعصاه فهاجر
ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له تقاتل فتقتل فيقسم مالك وتنكح امراتك فعصاه فقاتل ثم لآتينهم من الجهات الاربع التي ياتي منها
العدو في الغالب وهذا مثل لوسوسته اليهم وتسويله ما امكنه وقدر عليه كقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم
بخيلك ورجلك فان قلت كيف قيل من بين ايديهم ومن خلفهم بحرف الابتداء وعن ايمانهم وعن شمائلهم بحرف المجاوزة قلت المفعول
فيه عدي اليه الفعل نحو تعديته الى المفعول به فكما اختلفت حروف التعدية في ذاك اختلفت في هذا وكانت لغة تؤخذ ولا تقاس
وانما يفتش عن صحة موقعها فقط فلما سمعناهم يقولون جلس عن يمينه وعلى يمينه وعن شماله وعلى شماله قلنا معنى على يمينه انه تمكن من جهة اليمين تمكن
المستعلي من المستعلى عليه ومعنى عن يمينه انه جلس متجافيا عن صاحب اليمين منحرفا عنه غير ملاصق له ثم كثر حتى استعمل في المتجافي وغيره كما ذكرنا
في تعال ونحوه من المفعول به قولهم رميت عن القوس وعلى القوس ومن القوس لان السهم يبعد عنها ويستعليها اذا وضع على كبدها للرمي ويبتدئ الرمي
منها وكذلك قالوا جلس بين يديه وخلفه بمعنى في لانهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل يقع في بعض الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد
بعض الليل وعن شقيق ما من صباح الا قعد لي الشيطان على اربعة مراصد من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي اما من بين يدي فيقول لا تخف فان
الله غفور رحيم فاقرأ واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا واما من خلفي فيخوفني الضيعة على مخلفي فاقرأ وما من دابة في الارض الا على الله رزقها
واما من قبل يميني فياتيني من قبل الثناء فاقرأ والعاقبة للمتقين واما من قبل شمالي فياتيني من قبل الشهوات فاقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ولا تجد
اكثرهم شاكرين قاله تظننا بدليل قوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقيل سمعه من الملائكة باخبار الله لهم مذؤما من ذأمه اذا ذمه
وقرأ الزهري مذوما بالتخفيف مثل مسول في مسؤول واللام في لمن تبعك موطئة للقسم ولأملأن جوابه وهو ساد مسد جواب الشرط منكم
منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب كما في قوله انكم قوم تجهلون وروى عصمة عن عاصم لمن تبعك بكسر اللام بمعنى لمن تبعك منهم هذا الوعيد وهو قوله
لاملأن جهنم منكم اجمعين على ان لاملأن في محل الابتداء ولمن تبعك خبره ويا آدم وقلنا يا آدم وقرئ هذي الشجرة وهو الاصل لان الهاء
بدل منها فوسوس لهما وسوس اذا تكلم كلاما خفيا يكرره ومنه وسوس الحلي وهو فعل غير متعد كولولت المراة ووعوع الذئب ورجل موسوس
بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح ولكن موسوس له وموسوس اليه وهو الذي يلقى اليه الوسوسة ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لاجله
ووسوس اليه القاها اليه ليبدي جعل ذلك غرضا له ليسوءهما اذا رأيا ما يؤثران ستره وان لا يطلع عليه مكشوفا وفيه دليل على ان
كشف

كشف العورة من عظائم الامور وانه لم يزل مستهجنا في الطباع مستقبحا في العقول فان قلت ما للواو المضمومة في وورى لم تقلب
همزة كما في اويصل قلت لان الثانية مدة كالف وادي وقد جاء في قراءة عبد الله اوري بالقلب الا ان تكونا ملكين الا كراهة
ان تكونا ملكين وفيه دليل على ان الملائكة بالمنظر الاعلى وان البشرية تلمح مرتبتها كلا ولا وقرئ ملكين بكسر اللام لقوله وملك
لا يبلى من الخالدين من الذين لا يموتون ويبقون في الجنة ساكنين وقرئ سوءتهما بالتوحيد وسواتهما بالواو والتشديد وقاسمهما
واقسم لهما اني لكما لمن الناصحين فان قلت المقاسمة ان تقسم لصاحبك ويقسم لك تقول قاسمت فلانا حالفته وتقاسما تحالفا ومنه قوله
تعالى تقاسموا بالله لنبيتنه قلت كانه قال لهما اقسم لكما اني لمن الناصحين وقالا له اتقسم بالله انك لمن الناصحين فجعل ذلك مقاسمة بينهم او اقسم
لهما بالنصيحة واقسما له بقبولها او اخرج قسم ابليس على زنة المفاعلة لانه اجتهد فيها اجتهاد المقاسم فدلاهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة
بغرور بما غرهما به من القسم بالله وعن قتادة وانما يخدع المؤمن بالله وعن ابن عمر انه كان اذا راى من عبده طاعة وحسن صلاة اعتقه فكان
عبيده يفعلون ذلك طلبا للعتق فقيل له انهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا له فلما ذاقا الشجرة وجدا طعمها آخذين في الاكل
منها وقيل الشجرة هي السنبلة وقيل شجرة الكرم بدت لهما سوآتهما اي تهافت عنهما اللباس وظهرت لهما عوراتهما وكانا لا يريانها من
انفسهما ولا احدهما من الآخر وعن عائشة رضي الله عنها ما رايت منه ولا راى مني وعن سعيد بن جبير كان لباسهما من جنس الاظفار وعن وهب
كان لباسهما نورا يحول بينهما وبين النظر ويقال طفق يفعل كذا بمعنى جعل يفعل وقرا ابو السمال وطفقا بالفتح يخصفان ورقة فوق
ورقة على عوراتهما ليستترا بها كما يخصف النعل بان تجعل طرقة على طرقة وتوثق بالسيور وقرا الحسن يخصفان بكسر الخاء وتشديد
الصاد واصله يختصفان وقرا الزهري يخصفان من اخصف وهو منقول من خصف اي يخصفان انفسهما وقرئ يخصفان من خصف بالتشديد
من ورق الجنة قيل كان ورق التين الم انهكما عتاب من الله وتوبيخ وتنبيه على الخطا حيث لم يتحذرا ما حذرهما الله من عداوة ابليس
وروي انه قال لآدم الم يكن لك فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا من خلقك يحلف بك
كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كدا فاهبط وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وسقى
وحصد وداس وذرى وعجن وخبز وسميا ذنبهما وان كان صغيرا مغفورا ظلما انفسهما وقالا لنكونن من الخاسرين على عادة الاولياء
والصالحين في استعظامهم الصغير من السيئات واستصغارهم العظيم من الحسنات اهبطوا الخطاب لآدم وحواء وابليس بعضكم
لبعض عدو في موضع الحال اي متعادين يعاديهما ابليس ويعاديانه مستقر استقرار او موضع استقرار ومتاع وانتفاع بعيش الى
حين انقضاء آجالكم وعن ثابت البناني لما اهبط آدم وحضرته الوفاة احاطت به الملائكة فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها خلي
ملائكة ربي فانما اصابني الذي اصابني فيك فلما توفي غسلته الملائكة بالماء والسدر وترا وحنطته وكفنته في وتر من الثياب
وحفروا له ولحدوا ودفنوه بسرنديب بارض الهند وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده جعل ما في الارض منزلا من السماء لانه قضي
ثم وكتب ومنه وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج والريش لباس الزينة استعير من ريش الطير لانه لباسه وزينته اي انزلنا عليكم
لباسين لباسا يواري سوآتكم ولباسا يزينكم لان الزينة غرض صحيح كما قال لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال وعن عمر رضي الله عنه
ورياشا جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى ولباس الورع والخشية من الله وارتفاعه على الابتداء وخبره اما الجملة التي هي ذلك
خير كانه قيل ولباس التقوى هو خير لان اسماء الاشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع الى عود الذكر واما المفرد الذي هو خير
وذلك صفة للمبتدا كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير ولا تخلو الاشارة من ان يراد بها تعظيم لباس التقوى او ان
تكون اشارة الى اللباس المواري للسوءة لان مواراة السوءة من التقوى تفضيلا له على لباس الزينة وقيل لباس التقوى خبر
مبتدا محذوف اي وهو لباس التقوى ثم قيل ذلك خير وفي قراءة عبد الله وابي ولباس التقوى خير وقيل المراد بلباس التقوى ما
يلبس من الدروع والجواشن والمغافر وغيرها مما يتقى به في الحروب وقرئ ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا وريشا ذلك
من آيات الله الدالة على فضله ورحمته على عباده يعني انزال اللباس لعلهم يذكرون فيعرفوا عظيم النعمة فيه وهذه الآية واردة
على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوآت وخصف الورق عليهما اظهارا للمنة فيما خلق الله من اللباس ولما في العري

وكتب العورة من الجماعة والفضيحة وإشعارا بأن التستر باب عظيم من أبواب التقوى **لا يفتننكم الشيطان** لا يمحننكم
بأن لا تدخلوا الجنة كما محن أبويكم بأن أخرجهما منها ينزع عنهما لباسهما حال أي أخرجهما نازعا لباسهما بأن كان سببا في أن نزع عنهما إنه يراكم
هو تعليل للنهي وتحذير من فتنته بأنه بمنزلة العدو المداجي يكيدكم ويغتالكم من حيث لا تشعرون وعن مالك بن دينار أن عدوا
يراك ولا تراه لشديد المؤنة إلا من عصم الله وقبيله وجنوده من الشياطين وفيه دليل بين أن الجن لا يرون ولا يظهرون للإنس
وأن إظهارهم أنفسهم ليس في استطاعتهم وأن زعم من يدعي رؤيتهم زور ومخرقة إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون أي خلينا
بينهم وبينهم لم نكفهم عنهم حتى تولوهم وأطاعوهم فيما سولوا لهم من الكفر والمعاصي وهذا تحذير آخر أبلغ من الأول فإن قلت علام
عطف وقبيله قلت على الضمير في يراكم المؤكد بهو والضمير في إنه ضمير الشأن والحديث وقرأ اليزيدي وقبيله بالنصب
وفيه وجهان أن يعطف على اسم إن وهو الضمير وأن يكون الواو بمعنى مع الفاحشة ما تبالغ في قبحه من الذنوب أي إذا فعلوها
اعتذروا بأن آباءهم كانوا يفعلونها فاقتدوا بهم وبأن الله أمرهم بأن يفعلوها وكلاهما باطل من العذر لأن أحدهما تقليد والتقليد ليس
بطريق للعلم والثاني افتراء على الله وإلحاد في صفاته كانوا يقولون لو كره الله منا ما نفعله لنقلنا عنه وعن الحسن إن الله
بعث محمدا صلى الله عليه وسلم إلى العرب وهم قدرية مجبرة يحملون ذنوبهم على الله وتصديقه قول الله عز وجل وإذا فعلوا فاحشة قل إن
الله لا يأمر بالفحشاء لأن فعل القبيح مستحيل عليه لعدم الداعي ووجود الصارف فكيف يأمر بفعله أتقولون على الله ما لا تعلمون إنكار
لإضافتهم القبيح إليه وشهادة على أن مبنى أمرهم على الجهل المفرط وقيل المراد بالفاحشة طوافهم بالبيت عراة بالقسط بالعدل وبما قام في
النفوس أنه مستقيم حسن عند كل مميز وقيل بالتوحيد وقيل أقيموا وجوهكم أي اقصدوا عبادته مستقيمين إليها غير عادلين إلى
غيرها عند كل مسجد في كل وقت سجود أو في كل مكان سجود وهو الصلاة وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين أي الطاعة مبتغين بها وجهه
خالصا كما بدأكم تعودون كما أنشأكم ابتداء يعيدكم احتج عليهم في إنكارهم الإعادة بابتداء الخلق والمعنى أنه يعيدكم فيجازيكم على
أعمالكم فأخلصوا له العبادة فريقا هدى وهم الذين أسلموا أي وفقهم للإيمان وفريقا حق عليهم الضلالة أي كلمة الضلالة وعلم الله أنهم
يضلون ولا يهتدون وانتصاب قوله وفريقا بفعل يفسره ما بعده كأنه قيل وخذل فريقا حق عليهم الضلالة إنهم الفريق الذين حق عليهم الضلالة
اتخذوا الشياطين أولياء أي تولوهم بالطاعة فيما أمروهم به وهذا دليل على أن علم الله لا أثر له في ضلالهم وأنهم هم الضالون باختيارهم وتوليهم
الشياطين دون الله **خذوا زينتكم** أي ريشكم ولباس زينتكم عند كل مسجد كلما صليتم أو طفتم وكانوا يطوفون عراة وعن
طاوس لم يأمرهم بالحرير والديباج وإنما كان أحدهم يطوف عريانا ويدع ثيابه وراء المسجد وإن طاف وهي عليه ضرب وانتزعت منه
لأنهم قالوا لا نعبد الله في ثياب أذنبنا فيها وقيل تفاؤلا ليتعروا من الذنوب كما تعروا من الثياب وقيل الزينة المشط وقيل الطيب
وقيل الطيب والسنة أن يأخذ الرجل أحسن هيئته للصلاة وكان بنو عامر في أيام حجهم لا يأكلون الطعام إلا قوتا ولا يأكلون دسما
يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون فإنا أحق أن نفعل فقيل لهم وكلوا واشربوا ولا تسرفوا وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت
ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة ويحكى أن الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب
شيء والعلم علمان علم الأبدان وعلم الأديان فقال قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه قال وما هي قال قوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا
فقال النصراني ولا يؤثر من رسولكم شيء من الطب فقال قد جمع رسولنا صلى الله عليه وسلم الطب في ألفاظ يسيرة قال وما هي قال قوله المعدة
بيت الداء والحمية رأس كل دواء وأعط كل بدن ما عودته فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا زينة الله من
الثياب وكل ما يتجمل به والطيبات من الرزق المستلذات من المآكل والمشارب ومعنى الاستفهام في من إنكار تحريم هذه الأشياء
ولقد كانوا إذا أحرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا غير خالصة لهم لأن المشركين
شركاؤهم فيها خالصة يوم القيامة لا يشركهم فيها أحد فإن قلت هلا قيل للذين آمنوا ولغيرهم قلت لينبه على أنها خلقت للذين
آمنوا على طريق الأصالة وأن الكفرة تبع لهم كقوله ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وقرئ خالصة بالنصب على الحال
وبالرفع على أنها خبر بعد خبر الفواحش ما تفاحش قبحه أي تزايد وقيل هي ما يتعلق بالفروج والإثم عام لكل ذنب وقيل شرب الخمر
والبغي

والبغي الظلم والكبر أفرده بالذكر كما قال وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ما لم ينزل به سلطانا فيه تهكم لأنه لا يجوز أن ينزل
برهانا بأن يشرك به غيره وأن تقولوا على الله وأن تتقولوا عليه وتفتروا الكذب من التحريم وغيره ولكل أمة أجل وعيد لأهل
مكة بالعذاب النازل في أجل معلوم عند الله كما نزل بالأمم وقرئ فإذا جاء آجالهم وقال ساعة لأنها أقل الأوقات في استعمال الناس
يقول المستعجل لصاحبه في ساعة يريد أقصر وقت وأقربه إما يأتينكم هي إن الشرطية ضمت إليها ما مؤكدة لمعنى الشرط ولذلك
لزمت فعلها النون الثقيلة أو الخفيفة فإن قلت فما جزاء هذا الشرط قلت الفاء وما بعده من الشرط والجزاء والمعنى فمن
اتقى وأصلح منكم والذين كذبوا منكم وقرئ تأتينكم بالتاء فمن أظلم فمن أشنع ظلما ممن يقول على الله ما لم يقله أو كذب ما قاله أولئك
ينالهم نصيبهم من الكتاب أي مما كتب لهم من الأرزاق والأعمار حتى إذا جاءتهم رسلنا حتى غاية لنيلهم واستيفائهم له إلى وقت وفاتهم
وهي حتى التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام ههنا الجملة الشرطية وهي إذا جاءتهم رسلنا قالوا يتوفونهم حال من الرسل أي متوفيهم
والرسل ملك الموت وأعوانه وما وقعت موصولة بأين في خط المصحف وكان حقها أن تفصل لأنها موصولة بمعنى أين الآلهة التي
تدعون ضلوا عنا غابوا عنا فلا نراهم ولا ننتفع بهم اعترافهم بأنهم لم يكونوا على شيء فيما كانوا عليه وأنهم لم يجدوه في العاقبة قال
ادخلوا أي يقول الله تعالى يوم القيامة لأولئك الذين قال فيهم فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته وهم كفار العرب
في أمم في موضع الحال أي كائنين في جملة أمم وفي غمارهم مصاحبين لهم أي ادخلوا في النار مع أمم قد خلت من قبلكم وتقدم زمانهم زمانكم
لعنت أختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى إذا اداركوا فيها أي تداركوا بمعنى تلاحقوا واجتمعوا في النار قالت أخراهم منزلة وهم الأتباع
والسفلة لأولاهم منزلة وهي القادة والرؤوس ومعنى لأولاهم لأجل أولاهم لأن خطابهم مع الله لا معهم عذابا ضعفا مضاعفا لكل
ضعف لأن كلا من القادة والأتباع كانوا ضالين مضلين ولكن لا تعلمون قرئ بالياء والتاء **فما كان لكم علينا من فضل**
عطفوا هذا الكلام على قول الله تعالى للسفلة لكل ضعف أي فقد ثبت أن لا فضل لكم علينا وأنا متساوون في استحقاق الضعف فذوقوا
العذاب من قول القادة أو من قول الله لهم جميعا لا تفتح لهم أبواب السماء لا يصعد لهم عمل صالح إليه يصعد الكلم الطيب كلا إن كتاب
الأبرار لفي عليين وقيل إن الجنة في السماء فالمعنى لا يؤذن لهم في صعود السماء ولا يطرق لهم إليها ليدخلوا الجنة وقيل لا تصعد أرواحهم
إذا ماتوا كما تصعد أرواح المؤمنين وقيل لا تنزل عليهم البركة ولا يغاثون ففتحنا أبواب السماء وقرئ لا تفتح بالتشديد ولا يفتح بالياء
ونفتح بالنون والياء للفعل وبنصب الأبواب على أن الفعل للآيات وبالياء على أن الفعل لله عز وجل وقرأ ابن عباس الجمل بوزن القمل
وسعيد بن جبير الجمل بوزن النغر وقرئ الجمل بوزن القفل والجمل بوزن النصب والجمل بوزن الحبل ومعناها القلس الغليظ
لأنه حبال جمعت وجعلت جملة واحدة وعن ابن عباس إن الله تعالى أحسن تشبيها من أن يشبه بالجمل يعني أن الحبل مناسب للخيط
الذي يسلك في سم الإبرة والبعير لا يناسبه إلا أن قراءة العامة أوقع لأن سم الإبرة مثل في ضيق المسلك يقال أضيق من خرت الإبرة
وقالوا للدليل الماهر خريت لاهتدائه في المضايق المشبهة بأخرات الإبر والجمل مثل في عظم الجرم قال
جسم الجمال وأحلام العصافير إن الرجال ليسوا بجزر تراد منهم الأجسام فقيل لا يدخلون الجنة حتى يكون ما لا يكون أبدا من
ولوج هذا الحيوان الذي لا يلج إلا في باب واسع في ثقب الإبرة وعن ابن مسعود أنه سئل عن الجمل فقال زوج الناقة استجهالا للسائل
وإشارة إلى أن طلب معنى آخر تكلف وقرئ في سم بالحركات الثلاث وقرأ عبد الله في سم المخيط والخياط والمخيط كالحزام والمحزم
ما يخاط به وهو الإبرة وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين ليؤذن أن الإجرام هو السبب الموصل إلى العقاب وأن كل
من أجرم عوقب وقد كرره فقال وكذلك نجزي الظالمين لأن كل مجرم ظالم لنفسه مهاد فراش غواش أغطية وقرئ غواش بالرفع
كقوله وله الجوار المنشآت في قراءة عبد الله لا نكلف نفسا إلا وسعها جملة معترضة بين المبتدأ والخبر للترغيب في اكتساب
ما لا يكتنهه وصف الواصف من النعيم الخالد مع التعظيم بما هو في الوسع وهو الإمكان الواسع غير الضيق من الإيمان والعمل الصالح وقرأ
الأعمش لا تكلف نفس من كان في قلبه غل على أخيه في الدنيا نزع منه فسلمت قلوبهم وطهرت ولم يكن بينهم إلا التوادد والتعاطف
وعن علي رضي الله عنه إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم هدانا لهذا أي وفقنا لموجب هذا الفوز العظيم وهو الإيمان

نصيبهم

والعمل الصالح وما كنا لنهتدي اللام لتوكيد النفي يعني وما كان يستقيم أن نكون مهتدين لولا هداية الله وتوفيقه وفي مصاحف أهل الشام
ما كنا لنهتدي بغير واو على أنها جملة موضحة للأولى **لقد جاءت رسل ربنا بالحق** فكان لنا لطفا وتنبيها على الاهتداء فاهتدينا
يقولون ذلك سرورا واغتباطا بما نالوا وتلذذا بالتكلم به لا تقربا وتعبدا كما ترى من رزق خيرا في الدنيا يتكلم بنحو ذلك ولا يتمالك
أن يقوله للفرح لا للقربة أن تلكم الجنة أن مخففة من الثقيلة تقديره ونودوا بأنه تلكم الجنة أورثتموها والضمير ضمير
الشأن والحديث أو تكون بمعنى أي لأن المناداة من القول كأنه قيل وقيل لهم تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون بسبب أعمالكم لا بالتفضل
كما تقوله المبطلة أن قد وجدنا يحتمل أن تكون مخففة من الثقيلة وأن تكون مفسرة كالتي سبقت آنفا وكذلك أن لعنة الله
على الظالمين وإنما قالوا لهم ذلك اغتباطا بحالهم وشماتة بأصحاب النار وزيادة في غمهم ولتكون حكايته لطفا لمن سمعها وكذلك
قول المؤذن بينهم لعنة الله على الظالمين وهو ملك يأمره الله فينادي بينهم نداء يسمع أهل الجنة وأهل النار وقرئ أن لعنة الله
بالتشديد والنصب وقرأ الأعمش إن لعنة الله على إرادة القول أو على إجراء أذن مجرى قال فإن قلت هل قيل ما وعدكم
ربكم كما قيل ما وعدنا ربنا قلت حذف ذلك تخفيفا لدلالة وعدنا عليه ولقائل أن يقول أطلق ليتناول كل ما وعد الله من البعث
والحساب والثواب والعقاب وسائر أحوال القيامة لأنهم كانوا مكذبين بذلك أجمع ولأن الموعود كله مما ساءهم وما نعيم أهل الجنة إلا
عذاب لهم فأطلق لذلك وبينهما حجاب يعني بين الجنة والنار أو بين الفريقين وهو السور المذكور في قوله فضرب بينهم بسور

وعلى الأعراف وعلى أعراف الحجاب وهو السور المضروب بين الجنة والنار وهي أعاليه جمع عرف مستعار من عرف الفرس وعرف الديك
رجال من المسلمين من آخرهم دخولا في الجنة لقصور أعمالهم كأنهم المرجون لأمر الله يحبسون بين الجنة والنار إلى أن يأذن الله لهم في دخول
الجنة يعرفون كلا من زمر السعداء والأشقياء بسيماهم بعلامتهم التي أعلمهم الله بها يلهمهم الله ذلك أو تعرفهم الملائكة
إذا نظروا إلى أصحاب الجنة نادوهم بالتسليم عليهم وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار ورأوا ما هم فيه من العذاب استعاذوا بالله
وفزعوا إلى رحمته أن لا يجعلهم معهم ونادى رجال الأعراف من رؤوس الكفرة يقولون لهم أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة إشارة لهم إلى
أهل الجنة الذين كان الرؤساء يستهينون بهم ويحتقرونهم لفقرهم وقلة حظوظهم من الدنيا وكانوا يقسمون أن الله لا يدخلهم الجنة
ادخلوا الجنة يقال لأصحاب الأعراف [illegible] ونحن قوم بسيماهم ويقولوا ما يقولون وفائدة ذلك بيان أن الجزاء
على قدر الأعمال وأن التقدم والتأخر على حسبها وأن أحدا لا يسبق عند الله إلا بسبقه في العمل ولا يتخلف عنه إلا بتخلفه فيه وليرغب
السامعون في حال السابقين ويحرصوا على إحراز قصبتهم وليتصوروا أن كل أحد يعرف ذلك اليوم بسيماه التي استوجب أن يوسم بها من
أهل الخير والشر فيرتدع المسيء عن إساءته ويزيد المحسن في إحسانه وليعلم أن العصاة يوبخهم كل أحد حتى أقصر الناس عملا

وقوله وإذا صرفت أبصارهم فيه أن صارفا يصرف أبصارهم لينظروا فيستعيذوا ويوبخوا وقرأ الأعمش وإذا قلبت أبصارهم ثم
وقرئ أدخلوا الجنة على البناء للمفعول وقرأ عكرمة دخلوا الجنة فإن قلت كيف لاءم هذا الكلام قوله لا خوف
عليكم ولا أنتم تحزنون قلت تأويله ادخلوا الجنة أو دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون فإن قلت
ما محل قوله لم يدخلوها وهم يطمعون قلت لا محل له لأنه استئناف كأن سائلا سأل عن حال أصحاب الأعراف فقيل لم يدخلوها
وهم يطمعون يعني حالهم أن دخولهم الجنة استأخر عن دخول أهل الجنة فلم يدخلوها لكونهم محبوسين وهم يطمعون لم ييأسوا ويجوز أن يكون
له محل بأن يقع صفة لرجال ما أغنى عنكم جمعكم المال أو كثرتكم واجتماعكم وما كنتم تستكبرون واستكباركم عن الحق
وعلى الناس وقرئ تستكثرون من الكثرة أن أفيضوا علينا فيه دليل أن الجنة فوق النار أو مما رزقكم الله من سائر الأشربة
لتدخله في حكم الإفاضة ويجوز أن يراد وألقوا علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة كقوله
علفتها تبنا وماء باردا وإنما يطلبون ذلك مع يأسهم من الإجابة إليه حيرة في أمرهم كما يفعل المضطر الممتحن حرمهما على الكافرين
منعهم شراب الجنة وطعامها كما يمنع المكلف ما حرم عليه ويحظر كقوله حرام على عين أن تطعم الكرى فاليوم ننساهم نفعل
بهم فعل الناسين الذين ينسون عبيدهم من الخير لا يذكرونهم به كما نسوا لقاء يومهم هذا كما فعلوا بلقائه فعل الناسين فلم يخطروه

بالهم

بالهم ولم يهتموا به فصلناه على علم عالمين كيف نفصل أحكامه ومواعظه وقصصه وسائر معانيه حتى جاء حكيما قيما غير ذي عوج وقرأ
ابن محيصن فضلناه بالضاد المعجمة يعني فضلناه على جميع الكتب عالمين أنه أهل للتفضيل عليها هدى ورحمة حال من منصوب فصلناه
كما أن على علم حال من فاعله إلا تأويله إلا عاقبة أمره وما يؤول إليه من تبين صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد
قد جاءت رسل ربنا بالحق أي تبين وصح أنهم جاؤوا بالحق أو نرد جملة معطوفة على الجملة التي قبلها داخلة معها في حكم الاستفهام
كأنه قيل هل لنا من شفعاء أو هل نرد ورافعه وقوعه موقعا يصلح للاسم كما تقول ابتداء هل يضرب زيد ولا يطلب له فعل آخر يعطف عليه
فلا يقدر هل يشفع لنا شافع أو نرد وقرأ ابن أبي إسحاق أو نرد بالنصب عطفا على فيشفعوا أو لكون أو بمعنى حتى أن أي يشفعون لنا حتى
نرد فنعمل وقرأ الحسن بنصب نرد ورفع فنعمل بمعنى فنحن نعمل يغشي الليل النهار وقرئ يغشي بالتشديد أي يلحق الليل بالنهار
أو النهار بالليل يحتملهما جميعا والدليل على الثاني قراءة حميد بن قيس يغشى الليل النهار بفتح الياء ونصب الليل ورفع النهار أي يدرك النهار
الليل يطلبه حثيثا حسن الملاءمة لقراءة حميد أي يطلبه حثيثا وهو متعلق مسخرات أي خلقهن جاريات بمقتضى حكمته
وتدبيره وكما يريد أن يصرفها سمي ذلك أمرا على التشبيه كأنهن مأمورات بذلك وقرئ والشمس والقمر والنجوم مسخرات بالرفع ولما ذكر أنه
خلقهن مسخرات بأمره قال ألا له الخلق والأمر أي هو الذي خلق الأشياء وهو الذي صرفها على حسب إرادته تضرعا وخفية نصب على الحال
وكذلك خوفا وطمعا والتضرع تفعل من الضراعة وهي الذل أي تذللا وتملقا وقرئ وخفية وعن الحسن رحمه الله إن الله يعلم القلب التقي
والدعاء الخفي إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره ولقد كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس ولقد كان الرجل ليصلي
الصلاة الطويلة وعنده الزوار وما يشعرون به ولقد أدركنا أقواما ما كان على الأرض من عمل يقدرون على أن يعملوه في السر فيكون علانية أبدا ولقد كان
المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت إن كان إلا همسا بينهم وبين ربهم وذلك أن الله تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعا وخفية وأثنى على
زكريا فقال إذ نادى ربه نداء خفيا وبين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا إنه لا يحب المعتدين أي المجاوزين ما أمروا به في
كل شيء من الدعاء وغيره وعن ابن جريج هو رفع الصوت بالدعاء وعنه الصياح في الدعاء مكروه وبدعة وقيل هو الإسهاب في الدعاء وعن
النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء أن يقول اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك
من النار وما قرب إليها من قول وعمل ثم قرأ قوله إنه لا يحب المعتدين **إن رحمة الله قريب من المحسنين** كقوله وإني لغفار لمن تاب
وآمن وعمل صالحا وإنما ذكر قريب على تأويل الرحمة بالرحم أو الترحم أو لأنه صفة موصوف محذوف أي شيء قريب أو على تشبيهه بفعيل الذي
بمعنى مفعول كما شبه ذاك به فقيل قتلاء وأسراء أو على أنه بزنة المصدر الذي هو النقيض والضغيب أو لأن تأنيث الرحمة غير حقيقي
وقرئ نشرا وهو مصدر نشر وانتصابه إما لأن أرسل ونشر متقاربان معا كأنه قيل نشرها نشرا أو على الحال بمعنى منتشرات ونشرا جمع
نشور ونشرا تخفيف نشر كرسل ورسل وقرأ مسروق نشرا بمعنى منشورات فعل بمعنى مفعول كنقض وحسب ومنه قولهم ضم نشره
وبشرا جمع بشير وبشرا بتخفيفه وبشرا بفتح الباء مصدر من بشره بمعنى بشره أي باشرات وبشرى بين يدي رحمته
أمام نعمته وهو الغيث الذي هو من أجل النعم وأحسنها أثرا أقلت حملت ورفعت واشتقاق الإقلال من القلة لأن الرافع المطيق
يرى ما يرفعه قليلا سحابا ثقالا لأن السحاب جمع سحابة سقناه الضمير للسحاب على اللفظ ولو حمل على المعنى كالثقال
لأنث كما لو حمل الوصف على اللفظ لقيل ثقيلا لبلد ميت لأجل بلد ليس فيه حيا لسقيه وقرئ ميت فأنزلنا به بالبلد أو بالسحاب
أو بالسوق وكذلك فأخرجنا به كذلك مثل ذلك الإخراج وهو إخراج الثمرات نخرج الموتى لعلكم تذكرون فيؤديكم التذكر إلى أنه لا فرق
بين الإخراجين لأن كل واحد منهما إعادة الشيء بعد إنشائه والبلد الطيب الأرض الكريمة التربة والذي خبث الأرض السبخة التي لا
تنبت ما ينتفع به بإذن ربه بتيسيره وهو في موضع الحال كأنه قيل يخرج نباته حسنا وافيا لأنه واقع في مقابلة نكدا والنكد الذي لا
خير فيه وقرئ يخرج نباته أي يخرجه البلد وينبته وقوله والذي خبث صفة للبلد ومعناه والبلد الخبيث لا يخرج نباته إلا نكدا
فحذف المضاف الذي هو النبات وأقيم المضاف إليه الذي هو الراجع إلى البلد مقامه إلا أنه كان مجرورا بارزا فانقلب مرفوعا مستكنا لوقوعه
موقع الفاعل أو يقدر ونبات الذي خبث وقرئ نكدا بفتح الكاف على المصدر أي ذا نكد ونكدا بالسكون للتخفيف كقوله نزه عن الريبة

يعني نزرا وهذا مثل لمن ينجع فيه الوعظ والتنبيه من المكلفين ولمن لا يؤثر فيه شيء من ذلك وعن مجاهد آدم وذريته منهم خبيث وطيب
وعن قتادة المؤمن سمع كتاب الله فوعاه بعقله وانتفع به كالارض الطيبة اصابها الغيث فانبتت والكافر بخلاف ذلك وهذا التمثيل
واقع على اثر ذكر المطر وانزاله بالبلد الميت واخراج الثمرات به على طريق الاستطراد كذلك مثل ذلك التصريف نصرف الآيات
نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله وهم المؤمنون ليفكروا فيها ويعتبروا بها وقرئ يصرف بالياء اي يصرفها الله لقد
ارسلنا جواب قسم محذوف فان قلت ما لهم لا يكادون ينطقون بهذه اللام الا مع قد وقل عنهم نحو قوله حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا
قلت انما كان ذلك لان الجملة القسمية لا تساق الا تأكيدا للجملة المقسم عليها التي هي جوابها فكانت مظنة لمعنى التوقع الذي هو معنى
قد عند استماع المخاطب كلمة القسم قيل ارسل نوح وهو ابن خمسين سنة وكان نجارا وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ واخنوخ اسم
ادريس النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ غيره بالحركات الثلاث فالرفع على المحل كانه قيل ما لكم اله غيره والجر على اللفظ والنصب على الاستثناء
بمعنى ما لكم من اله الا اياه كقولك ما في الدار من احد الا زيدا وغير زيد فان قلت فما موقع الجملتين بعد قوله اعبدوا الله قلت
الاولى بيان لوجه اختصاصه بالعبادة والثانية بيان للداعي الى عبادته لانه هو المحذور عقابه دون ما كانوا يعبدونه من دون الله واليوم
العظيم يوم القيامة او يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان الملأ الاشراف والسادة وقيل الرجال ليس معهم نساء في ضلال اي في ذهاب عن طريق الصواب
والحق ومعنى الرؤية رؤية القلب فان قلت لم قال ليس بي ضلالة ولم يقل ضلال كما قالوا قلت الضلالة اخص من الضلال فكانت
ابلغ في نفي الضلال عن نفسه كانه قال ليس بي شيء من الضلال كما لو قيل لك الك تمر فقلت ما لي تمرة فان قلت كيف وقع قوله ولكني رسول استدراكا
للانتفاء عن الضلالة قلت كونه رسولا من الله مبلغا رسالاته ناصحا في معنى كونه على الصراط المستقيم فصح لذلك ان يكون استدراكا للانتفاء
عن الضلالة وقرئ ابلغكم بالتخفيف فان قلت كيف وقع قوله ابلغكم قلت فيه وجهان احدهما ان يكون كلاما مستأنفا بيانا لكوني
رسول رب العالمين والثاني ان يكون صفة لرسول فان قلت كيف جاز ان يكون صفة والرسول لفظه لفظ الغائب قلت جاز ذلك
لان الرسول وقع خبرا عن ضمير المخاطب فكان في معناه كما قال: انا الذي سمتني امي حيدره. رسالات ربي ما اوحي الي في الاوقات المتطاولة
او في المعاني المختلفة من الاوامر والنواهي والمواعظ والزواجر والبشائر والنذائر ويجوز ان يريد رسالاته اليه والى الانبياء قبله من صحف
جده ادريس وهي ثلاثون صحيفة ومن صحف شيث وهي خمسون صحيفة. وانصح لكم يقال نصحته ونصحت له وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على
امحاض النصيحة وانها وقعت خالصة للمنصوح له مقصودا بها جانبه لا غير فرب نصيحة ينتفع بها الناصح فيقصد النفعين جميعا ولا نصيحة امحض
من نصيحة الله ورسله واعلم من الله ما لا تعلمون اي من صفات الله واحواله يعني قدرته الباهرة وشدة بطشه على اعدائه وان بأسه لا يرد عن
القوم المجرمين وقيل لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا آمنين لا يعلمون ما علمه نوح بوحي الله اليه او اراد واعلم من جهته اشياء لا
علم لكم بها قد اوحى الي بها او عجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كانه قيل أكذبتم وعجبتم ان جاءكم
من ان جاءكم ذكر موعظة من ربكم على رجل منكم على لسان رجل منكم كقوله ما وعدتنا على رسلك وذلك انهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح ويقولون
ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين يعنون ارسال البشر ولو شاء ربنا لانزل ملائكة لينذركم وليحذركم عاقبة الكفر ولتتقوا ولتوجد منكم
التقوى وهي الخشية بسبب الانذار ولعلكم ترحمون ولترجوا بالتقوى ان ترحموا ان وجدت منكم والذين معه قيل كانوا اربعين رجلا واربعين امرأة وقيل تسعة
بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به فان قلت في الفلك بم يتعلق قلت هو متعلق بمعه كانه قيل والذين استقروا معه في الفلك
او صحبوه في الفلك ويجوز ان يتعلق بفعل الانجاء اي انجيناهم في السفينة من الطوفان عمين عمي القلوب غير مستبصرين وقرئ عامين والفرق بين العمي
والعامي ان العمي يدل على عمى ثابت والعامي على عمى حادث ونحوه قوله وضائق به صدرك اخاهم واحدا منهم من قولك يا اخا العرب للواحد منهم
وانما جعل واحدا منهم لانهم افهم عن رجل منهم واعرف بحاله في صدقه وامانته وهو هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح واخاهم عطف
على نوحا وهودا عطف بيان له فان قلت لم حذف العاطف من قوله قال يا قوم ولم يقل فقال كما في قصة نوح قلت هو على تقدير سؤال
سائل قال فما قال لهم هود فقيل قال يا قوم اعبدوا الله وكذلك قال الملأ فان قلت لم وصف الملأ بالذين كفروا دون الملأ من قوم نوح
قلت كان في اشراف قوم هود من آمن به منهم مرثد بن سعد الذي اسلم وكان يكتم اسلامه فاريدت التفرقة بالوصف ولم يكن في اشراف قوم نوح

مؤمن ونحوه قوله وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة ويجوز ان يكون وصفا واردا للذم لا غير في سفاهة في خفة
حلم وسخافة عقل حيث تهجر دين قومك الى دين آخر وجعلت السفاهة ظرفا على طريق المجاز اراد انه متمكن فيها غير منفك عنها وفي
اجابة الانبياء عليهم السلام من نسبهم الى الضلال والسفاهة بما اجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والاغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع
علمهم بان خصومهم اضل الناس واسفههم ادب حسن وخلق عظيم وحكاية الله عز وجل ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف
يغضون عنهم ويسبلون اذيالهم على ما يكون منهم ناصح امين اي عرفت فيما بينكم بالنصح والامانة فما حقي ان اتهم او انا لكم ناصح فيما
ادعوكم اليه امين على ما اقول لكم لا اكذب فيه خلفاء من بعد قوم نوح اي خلفتموهم في الارض او جعلكم ملوكا في الارض قد استخلفكم
فيها بعدهم في الخلق بسطة ما كان من احد من اهل زمانهم في ذلك وقيل كان اقصرهم ستين ذراعا واطولهم مائة ذراع
فاذكروا آلاء الله في استخلافكم وبسطة اجرامكم وما سواهما من عطاياه والواحد الى نحو اني وآناء وضلع واضلاع
وعنب واعناب فان قلت اذ في قوله اذ جعلكم خلفاء ما وجه انتصابه قلت هو مفعول به وليس بظرف اي
اذكروا وقت استخلافكم اجئتنا لنعبد الله وحده انكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين
الآباء في اتخاذ الاصنام شركاء معه حبا لما نشأوا عليه والفا لما صادفوا آباءهم يتدينون به فان قلت ما معنى المجيء في
قوله اجئتنا قلت فيه اوجه ان يكون لهود عليه السلام مكان معتزل عن قومه يتحنث فيه كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء قبل
المبعث فلما اوحي اليه جاء قومه يدعوهم وان يريدوا به الاستهزاء لانهم كانوا يعتقدون ان الله لا يرسل الا الملائكة فكانهم
قالوا اجئتنا من السماء كما يجيء الملك وان لا يريدوا حقيقة المجيء ولكن التعرض بذلك والقصد كما يقال ذهب يشتمني ولا يراد
حقيقة الذهاب كانهم قالوا اقصدتنا لنعبد الله وحده وتعرضت لنا بتكليف ذلك فأتنا بما تعدنا استعجال منهم للعذاب
قد وقع عليكم اي حق عليكم ووجب او قد نزل عليكم جعل المتوقع الذي لا بد من نزوله بمنزلة الواقع ونحوه قولك لمن طلب اليك بعض
المطالب قد كان ذلك وعن حسان بن ثابت ان ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور وهو طفل فجاء يبكي فقال له يا بني ما لك فقال لسعني طوير
كانه ملتف في بردي حبرة فضمه الى صدره فقال يا بني قد قلت الشعر والرجس العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب
في اسماء سميتموها في اشياء ما هي الا اسماء ليس تحتها مسميات لانكم تسمونها الهة ومعنى الالهية فيها معدوم ومحال وجوده
وهذا كقوله ما تدعون من دونه من شيء ومعنى سميتموها سميتم بها من قولك سميته زيدا وقطعنا دابرهم استأصلناهم ودمرناهم عن آخرهم
وقصتهم ان عادا قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم اصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث
الله اليهم هودا نبيا وكان من اوسطهم وافضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فامسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى
جهدوا وكان الناس اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الله الفرج منه عند بيته المحرم مسلمهم ومشركهم واهل مكة اذ ذاك العماليق اولاد عمليق
ابن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت عاد الى مكة من اماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذي كان
يكتم اسلامه فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فانزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فاقاموا عنده
شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان كانتا لمعاوية فلما رأى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا له اهمه ذلك وقال قد هلك
اخوالي واصهاري وهؤلاء على ما هم عليه وكان يستحيي ان يكلمهم خيفة ان يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل
شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية: الا يا قيل ويحك قم فهينم. لعل الله يسقينا غماما
فيسقي ارض عاد ان عادا. قد امسوا ما يبينون الكلاما. فلما غنتا قالوا ان قومكم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم
وقد ابطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى
الله سقيتم واظهر اسلامه فقالوا لمعاوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا
مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل
اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا

عارض ممطرنا فجاءتهم ريح عقيم فأهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فأتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا فان قلت ما فائدة
نفي الايمان عنهم في قوله وما كانوا مؤمنين مع اثبات التكذيب بآيات الله قلت هو تعريض بمن آمن منهم كمرثد بن سعد ومن نجا مع هود
عليه السلام كأنه قال وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا منهم ولم يكونوا مثل من آمن منهم ليؤذن ان الهلاك خص المكذبين ونجى الله المؤمنين
وقرئ الى ثمود بمنع الصرف بتأويل القبيلة والى ثمود بالصرف بتأويل الحي او باعتبار الاصل لانه اسم ابيهم الاكبر وهو ثمود بن عابر
ابن ارم بن سام بن نوح اخو جديس وقيل سميت ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام
الى وادي القرى قد جاءتكم بينة آية ظاهرة وشاهد على صحة نبوتي فكأنه قيل ما هذه البينة فقال هذه ناقة الله لكم آية وآية
نصب على الحال والعامل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل كأنه قيل أشير اليها آية ولكم بيان لمن هي له آية موجبة عليه
الايمان خاصة وهم ثمود لانهم عاينوها وسائر الناس اخبروا عنها وليس الخبر كالمعاينة كأنه قال لكم خصوصا وانما اضيفت الى اسم الله
تعظيما لها وتفخيما لشأنها وانها جاءت من عنده مكونة من غير فحل وطروقة آية من آياته كما تقول آية الله وروي ان عادا
لما أهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الارض وكثروا وعمروا اعمارا طوالا حتى ان الرجل كان يبني المسكن
المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا على الله وافسدوا في الارض وعبدوا الاوثان
فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم
وانذرهم فسألوه آية فقال اية آية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو الهك وندعو آلهتنا فان استجيب
لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسألوها الاستجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن
عمرو واشار الى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة
التي شاكلت البخت فان فعلت صدقناك واجبناك فأخذ صالح عليه السلام عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى
ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله
وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع ورهط من قومه ومنع اعقابهم ناس من رؤوسهم ان يؤمنوا فمكثت الناقة
مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا فاذا كان يومها وضعت رأسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج
فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون قال ابو موسى الاشعري اتيت ارض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته
ستين ذراعا وكانت الناقة اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم فتهبط الى بطنه واذا وقع البرد تشتت
ببطن الوادي فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امرأتان عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار لما اضرت به
من مواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقي جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا وكان
صالح قال لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون
غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد ووجوهكم محمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات هموا
ان يقتلوه فأنجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فأتتهم صيحة من السماء فتقطعت
قلوبهم فهلكوا **تأكل في ارض الله** اي الارض ارض الله والناقة ناقة الله فذروها تأكل في ارض ربها فليست الارض لكم ولا ما فيها من النبات من انباتكم
ولا تمسوها بسوء لا تضربوها ولا تطردوها ولا تقربوها بشيء من الاذى اكراما لآية الله وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر
بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين
ان يصيبكم مثل الذي اصابهم وقال صلى الله عليه وسلم يا علي أتدري من اشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح أتدري من اشقى
الآخرين قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك وعن ابي جعفر في رواية تأكل رفعا وهو في موضع الحال بمعنى آكلة وبوأكم ونزلكم
والمباءة المنزل في الارض في ارض الحجر بين الحجاز والشام من سهولها قصورا اي تبنونها من سهولة الارض بما تعملون منها من الرهص واللبن
والآجر وتنحتون الجبال بيوتا وتنحتون بفتح الحاء وتنحاتون باشباع الفتحة كقوله ينباع من ذفرى غضوب جسرة فان قلت

علام انتصب بيوتا قلت على الحال كما تقول خط هذا الثوب قميصا وابر هذه القصبة قلما وهي من الحال المقدرة لان الجبل لا
يكون بيتا في حال النحت ولا الثوب والقصبة قميصا وقلما في حال الخياطة والبري وقيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء
للذين استضعفوا للذين استضعفهم رؤساء الكفار واستذلوهم لمن آمن منهم بدل من الذين استضعفوا فان قلت الضمير في منهم
راجع الى ماذا قلت الى قومه او الى الذين استضعفوا فان قلت هل لاختلاف المرجعين اثر في اختلاف المعنى قلت نعم
وذلك ان الراجع اذا رجع الى قومه فقد جعل من آمن مفسرا لمن استضعف منهم فدل ان استضعافهم كان مقصورا على المؤمنين واذا رجع الى
الذين استضعفوا لم يكن الاستضعاف مقصورا عليهم ودل ان المستضعفين كانوا مؤمنين وكافرين أتعلمون ان صالحا مرسل من ربه
قالوه على سبيل الطنز والسخرية كما تقول للمجسمة أتعلمون ان الله فوق العرش فان قلت كيف صح قولهم انا بما ارسل به مؤمنون جوابا عنه
قلت سألوهم عن العلم بارساله فجعلوا ارساله امرا معلوما مكشوفا مسلما لا يدخله ريب كأنهم قالوا العلم بارساله وبما ارسل به ما لا
كلام فيه ولا شبهة تدخله لوضوحه وانارته وانما الكلام في وجوب الايمان به فنخبركم انا به مؤمنون ولذلك كان جواب الكفرة انا بالذي آمنتم
به كافرون فوضعوا آمنتم به موضع ارسل به ردا لما جعله المؤمنون معلوما واخذوه مسلما فعقروا الناقة اسند العقر الى جميعهم لانه كان
برضاهم وان لم يباشره الا بعضهم وقد يقال للقبيلة الضخمة انتم فعلتم كذا وما فعله الا واحد منهم وعتوا عن امر ربهم وتولوا عنه واستكبروا
عن امتثاله وعاتين وامر ربهم ما امر به على لسان صالح عليه السلام من قوله فذروها تأكل في ارض الله او شأن ربهم وهو دينه ويجوز ان يكون المعنى
وصدر عتوهم عن امر ربهم كأن امر ربهم بتركها كان هو السبب في عتوهم ونحو عن هذه ما في قوله وما فعلته عن امري ائتنا بما تعدنا
اراد من العذاب وانما جاز الاطلاق لانه كان معلوما واستعجالهم له لتكذيبهم به ولذلك علقوه بما هم به كافرون وهو كونه من المرسلين
الرجفة الصيحة التي زلزلت لها الارض واضطربوا لها في دارهم في بلادهم او في مساكنهم جاثمين هامدين لا يتحركون موتى يقال الناس جثم
اي قعود لا حراك بهم ولا ينبسون نبسة ومنه المجثمة التي جاء النهي عنها وهي البهيمة التي تربط وتجمع قوائمها لترمى وعن جابر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما مر بالحجر قال لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح فأخذتهم الصيحة فلم يبق منهم الا رجل واحد كان في حرم الله قالوا
من هو قال ذاك ابو رغال فلما خرج من الحرم اصابه ما اصاب قومه وروي ان صالحا كان بعثه الى قوم فخالف امره وروي انه مر بقبر ابي رغال
فقال أتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم فذكر قصة ابي رغال وانه دفن ههنا ودفن معه غصن من ذهب فابتدروه وبحثوا عنه
بأسيافهم فاستخرجوا الغصن فتولى عنهم الظاهر انه كان مشاهدا لما جرى عليهم وانه تولى عنهم بعدما ابصرهم جاثمين تولي مغتم متحسر
على ما فاته من ايمانهم يتحزن لهم ويقول يا قوم لقد ابلغتكم ونصحت لكم ولم آل جهدا في ابلاغكم والنصيحة لكم ولكن لا تحبون الناصحين
ويجوز ان يتولى عنهم تولي ذاهب عنهم منكر لاصرارهم حين رأى العلامات قبل نزول العذاب وروي ان عقرهم الناقة كان يوم الاربعاء
ونزل بهم العذاب يوم السبت وروي انه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فرأى الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا
الفا وخمسمائة دار وروي انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم فان قلت كيف صح خطاب الموتى وقوله ولكن لا تحبون الناصحين
قلت قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت وكان قد نصحه حيا فلم يسمع منه حتى ألقى بنفسه في التهلكة يا اخي كم نصحتك وكم قلت لك فلم
تقبل مني **وقوله** ولكن لا تحبون الناصحين حكاية حال ماضية ولوطا وارسلنا لوطا او واذكر لوطا واذ بدل
منه بمعنى واذكر وقت قال لقومه أتأتون الفاحشة أتفعلون السيئة المتمادية في القبح ما سبقكم بها من احد من العالمين الباء للتعدية
من قولك سبقته بالكرة اذا ضربتها قبله ومنه قوله عليه السلام سبقك بها عكاشة ومن الاولى لتأكيد النفي
وافادة معنى الاستغراق والثانية للتبعيض فان قلت ما موقع هذه الجملة قلت هي جملة مستأنفة انكر عليهم اولا بقوله
أتأتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال انتم اول من عملها او على انه جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا لم لا نأتيها فقال ما سبقكم بها احد
فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به انكم لتأتون الرجال بيان لقوله أتأتون الفاحشة والهمزة مثلها في أتأتون للانكار والتعظيم وقرئ
انكم على الاخبار المستأنف لتأتون الرجال من أتى المرأة اذا غشيها شهوة مفعول له اي للاشتهاء لا حامل لكم عليه الا مجرد الشهوة
من غير داع آخر ولا ذم اعظم منه لانه وصف لهم بالبهيمية وانه لا داعي لهم من جهة العقل البتة كطلب النسل ونحوه او حال

يعني متبعين تابعين للشهوة غير ملتفتين إلى السماجة بل أنتم قوم مسرفون أضرب عن الإنكار إلى الإخبار عنهم بالحال التي توجب ارتكاب القبائح
وتدعو إلى اتباع الشهوات وهو أنهم قوم عادتهم الإسراف وتجاوز الحدود في كل شيء فمن ثم أسرفوا في باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا
المعتاد إلى غير المعتاد ونحوه بل أنتم قوم عادون وما كان جواب قومه إلا أن قالوا يعني ما أجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط عليه السلام
من إنكار الفاحشة وتعظيم أمرها ووسمهم بسمة الإسراف الذي هو أصل الشر كله ولكنهم جاؤوا بشيء آخر لا يتعلق بكلامه
ونصيحته من الأمر بإخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم ضجرا بهم وبما يسمعونه من وعظهم ونصحهم وقولهم إنهم أناس يتطهرون سخرية
بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخارا بما كانوا فيه من القذارة كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء إذا وعظهم أبعدوا عنا
هذا المتقشف وأريحونا من هذا المتزهد وأهله ومن يختص به من ذويه أو من المؤمنين من الغابرين من الذين غبروا في ديارهم
أي بقوا فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور على الإناث وكانت كافرة موالية لأهل سدوم وروي أنها التفتت فأصابها حجر فماتت
وقيل كانت المؤتفكة خمس مدائن وقيل كانوا أربعة آلاف بين الشام والمدينة فأمطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين
منهم وأمطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل أمطر عليهم ثم خسف بهم وروي أن تاجرا منهم كان في الحرم فوقف له الحجر
أربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه فإن قلت أي فرق بين مطر وأمطر قلت يقال مطرتهم السماء وواد
ممطور وفي نوابغ الكلم حري غير مطور حري أن يكون غير ممطور ومعنى مطرتهم أصابتهم بالمطر كقولهم غاثتهم ووبلتهم وجادتهم ورهمتهم
ويقال أمطرت عليهم كذا بمعنى أرسلته عليهم إرسال المطر فأمطر علينا حجارة من السماء وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ومعنى وأمطرنا
عليهم مطرا وأرسلنا عليهم نوعا من المطر عجبا أعني الحجارة ألا ترى إلى قوله فساء مطر المنذرين كان يقال لشعيب خطيب الأنبياء
لحسن مراجعته قومه وكانوا أهل بخس للمكاييل والموازين قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة شاهدة بصحة نبوتي أوجبت عليكم الإيمان
بي والأخذ بما آمركم به والانتهاء عما أنهاكم عنه فأوفوا ولا تبخسوا فإن قلت ما كانت معجزته قلت قد وقع العلم
بأنه كانت له معجزة لقوله قد جاءتكم بينة من ربكم ولأنه لا بد لمدعي النبوة من معجزة تشهد له وتصدقه وإلا لم تصح دعواه وكان متنبئا لا
نبيا غير أن معجزته لم تذكر في القرآن كما لم تذكر أكثر معجزات نبينا ومن معجزات شعيب ما روي من محاربة عصا موسى
التنين حين دفع إليه غنمه وولادة الغنم الدرع خاصة حين وعده أن يكون له الدرع من أولادها ووقوع عصا آدم على يده في المرات
السبع وغير ذلك من الآيات لأن هذه كلها كانت قبل أن يستنبأ موسى فكانت معجزات لشعيب فإن قلت كيف قيل الكيل والميزان
وهلا قيل المكيال والميزان كما في سورة هود قلت أريد بالكيل آلة الكيل وهو المكيال أو سمي ما يكال به بالكيل كما قيل العيش
لما يعاش به أو أريد فأوفوا الكيل ووزن الميزان ويجوز أن يكون الميزان كالميعاد والميلاد بمعنى المصدر ولا تبخسوا يقال بخسته حقه إذا
نقصته إياه ومنه قيل للمكس البخس وفي أمثالهم تحسبها حمقاء وهي باخس وقيل أشياءهم لأنهم كانوا يبخسون الناس كل شيء
في مبايعاتهم أو كانوا مكاسين لا يدعون شيئا إلا مكسوه كما يفعل أمراء الحرمين وروي أنهم كانوا إذا دخل الغريب بلدهم أخذوا
دراهمه الجياد وقالوا هي زيوف فقطعوها قطعا ثم أخذوها بنقصان ظاهر أو أعطوه بدلها زيوفا بعد إصلاحها بعد الإصلاح فيها
أي لا تفسدوا فيها بعد ما أصلح فيها الصالحون من الأنبياء وأتباعهم العاملين بشرائعهم وإضافته كإضافة قوله بل مكر الليل والنهار بمعنى بل مكركم
في الليل والنهار أو بعد إصلاح أهلها على حذف المضاف ذلكم إشارة إلى ما ذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك البخس
والإفساد في الأرض أو إلى العمل بما أمرهم به ونهاهم عنه ومعنى خير لكم يعني في الإنسانية وحسن الأحدوثة وما تطلبونه من التكسب والربح
لأن الناس أرغب في متاجرتكم إذا عرفوا منكم الأمانة والتسوية إن كنتم مؤمنين إن كنتم مصدقين لي في قولي ذلكم خير لكم
ولا تقعدوا بكل صراط ولا تقتدوا بالشيطان في قوله لأقعدن لهم صراطك المستقيم فتقعدوا بكل صراط أي بكل منهاج ومناهج
الدين والدليل على أن المراد بالصراط سبيل الحق قوله وتصدون عن سبيل الله من آمن به
تقعدوا موعدين وصادين عن سبيل الله وباغينها عوجا فإن قلت صراط الحق واحد وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا
السبل فتفرق بكم عن سبيله فكيف قيل بكل صراط قلت صراط الحق واحد ولكنه يتشعب إلى معارف وحدود وأحكام
كثيرة

كيف جعلوا فكانوا إذا رأوا أحدا يشرع في شيء منها أوعدوه وصدوه فإن قلت الام يرجع الضمير في آمن به قلت
إلى كل صراط تقديره توعدون من آمن به وتصدون عنه فوضع الظاهر الذي هو سبيل الله موضع الضمير زيادة في تقبيح أمرهم ودلالة
على عظم ما يصدون عنه وقيل كانوا يجلسون على الطرق والمراصد فيقولون لمن مر بهم إن شعيبا كذاب فلا يفتننكم عن دينكم كما
كان يفعل قريش بمكة وقيل كانوا يقطعون الطرق وقيل كانوا عشارين وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا أي تصفونها للناس بأنها
سبيل معوجة غير مستقيمة لتصدوهم عن سلوكها والدخول فيها أو يكون تهكما بهم وأنهم يطلبون لها ما هو محال لأن طريق الحق لا يعوج
واذكروا إذ كنتم قليلا إذ مفعول به غير ظرف أي واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلا عددكم فكثركم الله
ووفر عددكم قالوا إن مدين بن إبراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله في نسلها بالبركة والنماء فكثروا وفشوا ويجوز إذ
كنتم مقلين فقراء فكثركم فجعلكم مكثرين موسرين أو كنتم أقلة أذلة فأعزكم بكثرة العدد والعدد عاقبة المفسدين
آخر أمر من أفسد قبلكم من الأمم كقوم نوح وهود وصالح ولوط وكانوا قريبي العهد مما أصاب المؤتفكة فاصبروا فتربصوا وانتظروا
حتى يحكم الله بيننا أي بين الفريقين بأن ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله منهم كقوله
فتربصوا إنا معكم متربصون أو هو موعظة للمؤمنين وحث على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من أذى المشركين إلى أن يحكم الله بينهم وينتقم
لهم منهم ويجوز أن يكون خطابا للفريقين أي ليصبر المؤمنون على أذى الكفار وليصبر الكفار على ما يسوؤهم من إيمان من آمن منهم حتى يحكم الله
فيميز الخبيث من الطيب وهو خير الحاكمين لأن حكمه حق وعدل لا يخاف فيه الحيف أو لتعودن أي ليكونن أحد الأمرين إما إخراجكم وإما عودكم
في الكفر فإن قلت كيف خاطبوا شعيبا عليه السلام بالعود في الكفر في قولهم أو لتعودن في ملتنا وكيف أجابهم بقوله إن عدنا في ملتكم
بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها والأنبياء لا يجوز عليهم من الصغائر إلا ما ليس فيه تنفير فضلا عن الكبائر فضلا عن الكفر
قلت لما قالوا لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك فعطفوا على ضميره الذين دخلوا في الإيمان منهم بعد كفرهم قالوا لتعودن
فغلبوا الجماعة على الواحد فجعلوهم عائدين جميعا إجراء للكلام على حكم التغليب وعلى ذلك أجرى شعيب عليه السلام جوابه فقال إن عدنا في ملتكم
بعد إذ نجانا الله منها وهو يريد عود قومه إلا أنه نظم نفسه في جملتهم وإن كان بريئا من ذلك إجراء للكلام على حكم التغليب فإن قلت
ما معنى قوله وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله والله تعالى متعال أن يشاء ردة المؤمنين وعودهم في الكفر قلت
معناه إلا أن يشاء الله خذلاننا ومنعنا الألطاف لعلمه أنها لا تنفع فينا وتكون عبثا والعبث قبيح لا يفعله الحكيم والدليل عليه
قوله وسع ربنا كل شيء علما أي هو عالم بكل شيء مما كان وما يكون فهو يعلم أحوال عباده كيف تتحول وقلوبهم كيف تقلب وكيف
تقسو بعد الرقة وتمرض بعد الصحة وترجع إلى الكفر بعد الإيمان على الله توكلنا في أن يثبتنا على الإيمان ويوفقنا لازدياد الإيقان
ويجوز أن يكون قوله إلا أن يشاء الله حسما لطمعهم في العود لأن مشيئة الله لعودهم في الكفر محال خارج عن الحكمة أولو كنا كارهين
الهمزة للاستفهام والواو واو الحال تقديره أتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا ومع كوننا كارهين وما يكون لنا وما ينبغي لنا
وما يصح ربنا افتح بيننا احكم بيننا والفتاحة الحكومة أو أظهر أمرنا حتى ينفتح ما بيننا وبين قومنا وينكشف بأن تنزل عليهم عذابا يتبين
معه أنهم على الباطل وأنت خير الفاتحين كقوله وهو خير الحاكمين فإن قلت كيف أسلوب قوله قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في
ملتكم قلت هو إخبار مقيد بالشرط وفيه وجهان أحدهما أن يكون كلاما مستأنفا فيه معنى التعجب كأنهم قالوا ما أكذبنا على الله إن عدنا
في الكفر بعد الإسلام لأن المرتد أبلغ في الافتراء من الكافر لأن الكافر مفتر على الله الكذب حيث يزعم أن لله ندا ولا ند له والمرتد
مثله في ذلك وزائد عليه حيث يزعم أنه قد تبين له ما خفي عليه من التمييز بين الحق والباطل والثاني أن يكون قسما على تقدير حذف اللام بمعنى والله لقد
افترينا على الله كذبا وقال الملأ الذين كفروا من قومه أي أشرافهم الذين دونهم يثبطونهم عن الإيمان لئن اتبعتم شعيبا إنكم إذا لخاسرون
لاستبدالكم الضلالة بالهدى كقوله أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وقيل تخسرون باتباعه فوائد البخس والتطفيف
لأنه ينهاكم عنهما ويحملكم على الإيفاء والتسوية فإن قلت ما جواب القسم الذي وطأته اللام في لئن اتبعتم وجواب الشرط قلت
قوله إنكم إذا لخاسرون ساد مسد الجوابين الذين كذبوا شعيبا مبتدأ خبره كأن لم يغنوا فيها وكذلك كانوا هم الخاسرين

وفي هذا الابتداء معنى الاختصاص كأنه قيل الذين كذبوا شعيباً هم المخصوصون بأن أهلكوا واستؤصلوا كأن لم يغنوا في ديارهم لأن الذين اتبعوا
شعيباً قد أنجاهم الله الذين كذبوا شعيباً هم المخصوصون بالخسران العظيم دون أتباعه فإنهم الرابحون وفي هذا الاستئناف والابتداء
وهذا التكرير مبالغة في رد مقالة الملأ لأشياعهم وتسفيه لرأيهم واستهزاء بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم فكيف آسى اشتد
حزنه على قومه ثم أنكر على نفسه فقال فكيف يشتد حزني على قوم
ليسوا بأهل للحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم ما نزل بهم ويجوز أن يريد لقد أعذرت إليكم في الإبلاغ والنصيحة والتحذير مما حل بكم
فلم تسمعوا قولي ولم تصدقوني فكيف آسى عليكم يعني أنه لا يأسى عليهم لأنهم ليسوا أحقاء بالأسى وقرأ يحيى بن وثاب فكيف إيسى بكسر الهمزة
إلا أخذنا أهلها بالبأساء بالبؤس والفقر والضراء بالضر والمرض لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه لعلهم يضرعون ليتضرعوا
ويتذللوا ويحطوا أردية الكبر والعزة ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة أي أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء
والسعة والصحة كقوله ولنبلونكم بالحسنات والسيئات حتى عفوا كثروا ونموا في أنفسهم وأموالهم من قولهم عفا النبات وعفا الشحم والوبر
إذا كثرت ومنه قوله عليه السلام واعفوا اللحى وقال ... ولكنا نعض السيف منها بأسوق عافيات الشحم كوم وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء يعني وأبطرتهم النعمة
وأشروا فقالوا هذه عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا نحو ذلك وما هو بابتلاء من الله لعباده فلم يتوبوا بعد
ابتلائهم بالسيئات والحسنات إلا أن يأخذهم بالعذاب فأخذناهم أشد الأخذ وأفظعه وهو أخذهم فجأة من غير شعور منهم اللام
في القرى إشارة إلى القرى التي دل عليها قوله وما أرسلنا في قرية من نبي كأنه قال ولو أن أهل تلك القرى الذين كذبوا وأهلكوا آمنوا بدل
كفرهم واتقوا المعاصي مكان ارتكابها لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض لآتيناهم بالخير من كل وجه وقيل أراد المطر والنبات ولكن
كذبوا فأخذناهم بسوء كسبهم ويجوز أن تكون اللام في القرى للجنس فإن قلت ما معنى فتح البركات عليهم قلت تيسيرها عليهم
كما تيسر أمر الأبواب المستغلقة بفتحها ومنه قولهم فتحت على القارئ إذا تعذرت عليه القراءة فيسرتها عليه بالتلقين بياتاً يجوز أن يكون
بمعنى البيتوتة يقال بات بياتاً ومنه قوله فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون ويكون بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم يقال بيته العدو بياتاً
فيجوز أن يراد أن يأتيهم بأسنا بائتاً أو وقت بيات أو مبيتاً أو مبيتين أو بمعنى تبييتاً كأنه قيل أن يبيتهم بأسنا بياتاً وضحى
نصب على الظرف يقال أتيته ضحى وضحياً وضحاء والضحى في الأصل اسم لضوء الشمس إذا أشرقت وارتفعت والفاء والواو في أفأمن
وأوأمن حرفا عطف دخلت عليهما همزة الإنكار فإن قلت ما المعطوف عليه ولم عطفت الأولى بالفاء والثانية بالواو قلت
المعطوف عليه قوله فأخذناهم بغتة وقوله ولو أن أهل القرى إلى يكسبون وقع اعتراضاً بين المعطوف والمعطوف عليه وإنما عطفت بالفاء لأن
المعنى فعلوا وصنعوا فأخذناهم بغتة أبعد ذلك أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وأمنوا أن يأتيهم بأسنا ضحى وقرئ أو أمن على
العطف بأو وهم يلعبون يشتغلون بما لا يجدي عليهم كأنهم يلعبون فإن قلت فلم رجع فعطف بالفاء قوله أفأمنوا مكر الله قلت
هو تكرير لقوله أفأمن أهل القرى ومكر الله استعارة لأخذه العبد من حيث لا يشعر ولاستدراجه فعلى العاقل أن يكون في خوفه من مكر الله
كالمحارب الذي يخاف من عدوه الكمين والبيات والغيلة وعن الربيع بن خثيم أن ابنته قالت له ما لي أرى الناس ينامون ولا أراك تنام
قال يا بنتاه إن أباك يخاف البيات أراد قوله أن يأتيهم بأسنا بياتاً أو لم يهد للذين قرئ بالنون والياء وكأن أن لو نشاء مرفوعاً بأنه فاعله بمعنى
أو لم يهد للذين يخلفون من خلا قبلهم في ديارهم ويرثونهم أرضهم هذا الشأن وهو أنا لو نشاء أصبناهم بذنوبهم كما أصبنا من قبلهم وأهلكنا الوارثين
كما أهلكنا الموروثين وإذا قرئ بالنون فهو منصوب كأنه قيل أو لم نهد للوارثين هذا الشأن بمعنى أو لم نبين لهم أنا لو نشاء أصبناهم بذنوبهم كما
أصبنا من قبلهم وإنما عدي فعل الهداية باللام لأنه بمعنى التبيين فإن قلت بم تعلق قوله ونطبع على قلوبهم قلت فيه أوجه أن يكون
معطوفاً على ما دل عليه معنى أو لم يهد كأنه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم أو على يرثون الأرض أو يكون منقطعاً بمعنى ونحن نطبع على
قلوبهم فإن قلت هل يجوز أن يكون ونطبع بمعنى وطبعنا كما كان لو نشاء بمعنى لو شئنا ويعطف على أصبناهم قلت لا يساعد
عليه المعنى لأن القوم كانوا مطبوعاً على قلوبهم موصوفين بصفة من قبلهم من اقتراف الذنوب والإصابة بها وهذا التفسير يؤدي إلى خلوهم عن هذه

الصفة

الصفة وأن الله لو شاء لاتصفوا بها تلك القرى نقص عليك من أنبائها كقوله هذا بعلي شيخاً في أنه مبتدأ وخبر وحال ويجوز أن
يكون القرى صفة لتلك ونقص خبراً وأن يكون القرى نقص خبراً بعد خبر فإن قلت ما معنى تلك القرى حتى يكون كلاماً مفيداً قلت
هو مفيد ولكن بشرط التقييد بالحال كما يفيد بشرط التقييد بالصفة في قولك هو الرجل الكريم فإن قلت ما معنى الإخبار عن
القرى بنقص عليك من أنبائها قلت معناه أن تلك القرى المذكورة نقص عليك بعض أنبائها ولها أنباء غيرها لم نقصها عليك فما كانوا ليؤمنوا
عند مجيء الرسل بالبينات بما كذبوه من آيات الله من قبل مجيء الرسل أو فما كانوا ليؤمنوا إلى آخر أعمارهم بما كذبوا به أولاً حين جاءتهم الرسل
أي استمروا على التكذيب من لدن مجيء الرسل إليهم إلى أن ماتوا مصرين لا يرعوون ولا تلين شكيمتهم في كفرهم وعنادهم مع تكرر
المواعظ عليهم وتتابع الآيات واللام لتأكيد النفي وأن الإيمان كان منافياً لحالهم في التصميم على الكفر وعن مجاهد هو كقوله
ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه كذلك مثل ذلك الطبع الشديد نطبع على قلوب الكافرين وما وجدنا لأكثرهم من عهد
الضمير للناس على الإطلاق أي وما وجدنا لأكثر الناس من عهد يعني أن أكثرهم نقض عهد الله وميثاقه في الإيمان والتقوى وإن وجدنا
وإن الشأن والحديث وجدنا أكثرهم فاسقين خارجين عن الطاعة مارقين والآية اعتراض ويجوز أن يرجع الضمير إلى الأمم المذكورين وأنهم
كانوا إذا عاهدوا الله في ضر ومخافة لئن أنجيتنا لنكونن من المؤمنين ثم أنجاهم نكثوا كما قال قوم فرعون لموسى عليه السلام لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن
لك إلى قوله إذا هم ينكثون والوجود بمعنى العلم من قولك وجدت زيداً ذا الحفاظ بدليل دخول إن المخففة واللام الفارقة ولا يسوغ
ذلك إلا في المبتدأ والخبر والأفعال الداخلة عليهما من بعدهم الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم أو للأمم فظلموا بها فكفروا بآياتها
أجرى الظلم مجرى الكفر لأنهما من واد واحد إن الشرك لظلم عظيم أو فظلموا الناس بسببها حين أوعدوهم وصدوهم عنها وآذوا من آمن بها
ولأنه إذا وجب الإيمان بها فكفروا بدل الإيمان كان كفرهم بها ظلماً ولذلك قال فظلموا بها أي كفروا بها واضعين الكفر غير موضعه وهو موضع
الإيمان يقال لملوك مصر الفراعنة كما يقال لملوك فارس الأكاسرة فكأنه قال يا ملك مصر وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن
الريان حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق فيه أربع قراءات المشهورة وحقيق على أن لا أقول وهي قراءة نافع وحقيق أن لا أقول
وهي قراءة عبد الله وحقيق بأن لا أقول وهي قراءة أبي وفي المشهورة إشكال ولا تخلو من وجوه أحدها أن يكون مما يقلب من الكلام لأمن
الإلباس كقوله وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر ومعناه وتشقى الضياطرة بالرماح والثاني أن ما لزمك فقد لزمته فلما كان
قول الحق حقيقاً عليه كان هو حقيقاً على قول الحق أي لازماً له والثالث أن يضمن حقيق معنى حريص كما ضمن هيجني معنى ذكرني
في بيت الكتاب والرابع وهو الأوجه الأدخل في نكت القرآن أن يغرق موسى عليه السلام في وصف نفسه بالصدق في ذلك المقام لا سيما
وقد روي أن عدو الله فرعون قال له لما قال إني رسول من رب العالمين كذبت فيقول أنا حقيق على قول الحق أي واجب علي قول الحق أن أكون أنا قائله
والقائم به ولا يرضى إلا بمثلي ناطقاً به فأرسل معي بني إسرائيل فخلهم حتى يذهبوا معي راجعين إلى الأرض المقدسة التي هي وطنهم ومولد
آبائهم وذلك أن يوسف عليه السلام لما توفي وانقرضت الأسباط غلب فرعون نسلهم واستعبدهم فأنقذهم الله بموسى وكان بين اليوم الذي دخل
يوسف مصر واليوم الذي دخل موسى عليهما السلام أربعمائة عام فإن قلت كيف قال له فأت بها بعد قوله إن كنت جئت بآية قلت
معناه إن كنت جئت من عند من أرسلك بآية فأتني بها وأحضرها عندي ليصح دعواك ويثبت صدقك ثعبان مبين ظاهر
أمره لا يشك في أنه ثعبان وروي أنه كان ثعباناً ذكراً أشعر فاغراً فاه بين لحييه ثمانون ذراعاً وضع لحيه الأسفل في الأرض ولحيه
الأعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون ليأخذه فوثب فرعون من سريره وهرب وأحدث ولم يكن أحدث قبل ذلك وهرب الناس
وصاحوا وحمل على الناس فانهزموا فمات منهم خمسة وعشرون ألفاً قتل بعضهم بعضاً ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى خذه وأنا أؤمن بك
وأرسل معك بني إسرائيل فأخذه موسى فعاد عصا فإن قلت بم يتعلق للناظرين قلت يتعلق ببيضاء والمعنى فإذا هي بيضاء
للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة إلا إذا كان بياضها بياضاً عجيباً خارجاً عن العادة يجتمع الناس للنظر إليه كما تجتمع النظارة للعجائب
وذلك ما يروى أنه أرى فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم أدخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فإذا هي بيضاء بياضاً نورانياً غلب
شعاعها شعاع الشمس وكان موسى عليه السلام آدم شديد الأدمة إن هذا لساحر عليم أي عالم بالسحر ماهر به قد أخذ عيون الناس

تحدثه نفسه بعد عن حيز الجبلة الطبيعية والادمة فان قلت قد عزي هذا الكلام الى فرعون في سورة الشعراء وانه
قاله للملأ وعزي هنا اليهم قلت قد قاله هو وقالوه هم فحكي قوله ثمة وقولهم هنا او قاله ابتداء فتلقنته منه الملأ فقالوه
لاعقابهم او قالوه عنه للناس على طريق التبليغ كما يفعل الملوك يرى الواحد منهم الرأي فيكلم به من يليه من الخاصة ثم تبلغه الخاصة العامة
والدليل عليه انهم اجابوه في قولهم ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم وقرئ سحار اي يأتوك بكل ساحر مثله في
العلم والمهارة بالسحر منه وكانت هذه مؤامرة مع القبط وقولهم فماذا تأمرون من أمرته فامرني بكذا اذا شاورته فاشار عليك
براي وقيل فماذا تأمرون من كلام فرعون قاله للملأ لما قالوا له ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم كانه قيل فقال فماذا تأمرون
قالوا ارجه واخاه ومعنى ارجه واخاه اخرهما واصدرهما عنك حتى ترى رأيك فيهما وتدبر امرهما وقيل احبسهما وقرئ ارجئه بالهمز وارجه
من ارجاه وارجاه فان قلت هلا قيل وجاء السحرة فرعون فقالوا قلت هو على تقدير سائل سأل ما قالوا اذ جاؤه فاجيب
بقوله قالوا ائن لنا لاجرا اي جعلا على الغلبة وقرئ ان لنا لاجرا على الاخبار واثبات الاجر العظيم وايجابه كانهم قالوا لا بد لنا من اجر
والتنكير للتعظيم كقول العرب ان له لابلا وان له لغنما يقصدون الكثرة فان قلت وانكم لمن المقربين ما الذي عطف عليه قلت
هو معطوف على محذوف سد مسده حرف الايجاب كانه قال ايجابا لقولهم ائن لنا لاجرا نعم ان لكم لاجرا وانكم لمن المقربين اراد اني لا
اقتصر بكم على الثواب وحده وان لكم مع الثواب ما يقل معه الثواب وهو التقريب والتعظيم لان المثاب انما يتهنأ بما يصل اليه ويغتبط به
اذا نال معه الكرامة والرفعة وروي انه قال لهم تكونون اول من يدخل واخر من يخرج وروي انه دعا برؤساء السحرة ومعلميهم فقال لهم
ما صنعتم قالوا قد عملنا سحرا لا يطيقه سحرة اهل الارض الا ان يكون امرا من السماء فانه لا طاقة لنا به وروي انهم كانوا ثمانين الفا
وقيل سبعين الفا وقيل بضعة وثلاثين الفا واختلفت الروايات فمن مقل ومن مكثر وقيل كان يعلمهم مجوسيان من اهل نينوى وقيل قال
فرعون لا نغالب موسى الا بما هو منه يعني السحر تخييرهم اياه ادب حسن راعوه معه كما يفعل اهل الصناعات اذا التقوا كالمتناظرين
قبل ان يتخاوضوا في الجدال والمتصارعين قبل ان ياخذوا في الصراع وقولهم واما ان نكون نحن الملقين فيه ما يدل على رغبتهم في ان يلقوا قبله
من تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر او تعريف الخبر واقحام الفصل وقد سوغ لهم موسى ما تراغبوا فيه ازدراء لشانهم وقلة
مبالاة بهم وثقة بما كان بصدده من التأييد السماوي وان المعجزة لن يغلبها سحر ابدا سحروا اعين الناس اروها بالحيل والشعوذة وخيلوا
اليها ما الحقيقة بخلافه كقوله يخيل اليه من سحرهم انها تسعى روي انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فاذا هي امثال الحيات قد
ملأت الارض وركب بعضها بعضا واسترهبوهم وارهبوهم ارهابا شديدا كانهم استدعوا رهبتهم بسحر عظيم في باب السحر روي انهم
لوّنوا حبالهم وخشبهم وجعلوا فيها ما يوهم الحركة قيل جعلوا فيها الزئبق ما يأفكون ما موصولة او مصدرية بمعنى ما يأفكونه اي يقلبونه
عن الحق الى الباطل ويزورونه وافكهم تسمية للمأفوك بالافك روي انها لما تلقفت ملء الوادي من الخشب والحبال رفعها موسى فرجعت
عصا كما كانت واعدم الله بقدرته تلك الاجرام العظيمة او فرقها اجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا

فوقع الحق فحصل وثبت ومن بدع التفاسير فوقع قلوبهم فاثر فيها من قولهم قاس وقع
والقي السحرة وحرروا سجدا كانما القاهم ملق لشدة خرورهم وقيل لم يتمالكوا مما راوا فكانهم القوا عن ما راوه كانوا اول النهار كفارا
سحرة وفي اخره شهداء بررة وعن الحسن تراه ولد في الاسلام ونشأ بين المسلمين يبيع دينه بكذا وكذا وهؤلاء كفار نشأوا في
الكفر بذلوا انفسهم لله آمنتم به على الاخبار اي فعلتم هذا الفعل الشنيع توبيخا لهم وتقريعا وقرئ أآمنتم بحرف الاستفهام
ومعناه الانكار والاستبعاد ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة ان صنيعكم هذا لحيلة احتلتموها انتم وموسى في مصر قبل ان تخرجوا
متواطئين على ذلك لغرض لكم وهو ان تخرجوا منها القبط وتسكنوا بني اسرائيل وكان هذا الكلام من فرعون
تمويها على الناس لئلا يتبعوا السحرة في الايمان وروي ان موسى قال للساحر الاكبر اتؤمن بي ان غلبتك قال لآتين بسحر لا يغلبه سحر
وان غلبتني لأومنن بك وفرعون يسمع فلذلك قال ما قال فسوف تعلمون وعيد اجمله ثم فصله بقوله لاقطعن وقرئ لاقطعن
بالتخفيف وكذلك لاصلبنكم من خلاف من كل شق طرفا قيل اول من قطع من خلاف وصلب لفرعون انا الى ربنا منقلبون

فيه

فيما يحل بنا من الوعيد وانا لابالي بالموت لانقلابنا الى لقاء ربنا ورحمته وخلاصنا منك ومن لقائك او ينقلب الى الله يوم الجزاء فيثيبنا
على شدائد القطع والصلب او انا جميعا ننقلب الى الله فيحكم بيننا او انا لا محالة ميتون منقلبون الى الله فما
تقدر ان تفعل بنا الا ما لا بد لنا منه وما تنقم منا الا ان آمنا وما تعيب منا الا الايمان بآيات الله اراد وما تعيب منا الا ما هو اصل المناقب
والمفاخر كلها وهو الايمان ومنه قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم افرغ علينا صبرا هب لنا صبرا واسعا
واكثره علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ الماء افراغا وعن بعض السلف ان احدكم ليفرغ على اخيه ذنوبا ثم يقول قد
مازحتك تمثيل يقول قد اغرقه بالحياء والخجل او صب علينا ما يطهرنا من اوضار الآثام وهو الصبر على ما توعدنا به فرعون
لانهم علموا انهم اذا استعانوا بالله وصبروا كان ذلك مطهرة لهم وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام ويذرك عطف على ليفسدوا لانه اذا تركهم ولم
يمنعهم كان ذلك مؤديا الى ما دعوه فسادا والى تركه وترك آلهته فكانه تركهم لذلك او هو جواب للاستفهام بالواو كما يجاب بالفاء نحو
قول الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء والنصب باضمار ان تقديره ايكون منك ترك موسى ويكون
تركه اياك وآلهتك وقرئ ويذرك وآلهتك بالرفع عطفا على اتذر بمعنى اتذره ويذرك وآلهتك وبالحسن ويذرك بالجزم كانه
قيل يفسدوا كما قرئ واكن من الصالحين كانه قيل اصدق وعن انس رضي الله عنه قرئ بالنون والنصب اي يصرفنا عن عبادتك فيذرها
وقرئ ويذرك والاهتك اي عبادتك وروي انهم قالوا له ذلك لانه وافق السحرة على الايمان ستمائة الف نفس فارادوا بالفساد في الارض ذلك
وخافوا ان يغلبوا على الملك وقيل صنع فرعون لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه كما يعبد عبدة الاصنام الاصنام ويقولون
ليقربونا الى الله زلفى ولذلك قال انا ربكم الاعلى سنقتل ابناءهم يعني سنعيد عليهم ما كنا محناهم به من قتل الابناء ليعلموا انا على
ما كنا عليه من الغلبة والقهر وانهم مقهورون تحت ايدينا كما كانوا وان غلبة موسى لا اثر لها في ملكنا واستيلائنا ولئلا يتوهم
العامة انه هو المولود الذي تحدث المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده فيثبطهم ذلك عن طاعتنا ويدعوهم الى اتباعه وانه منتظر
بعد قال موسى لقومه استعينوا بالله قال لهم ذلك حين قال فرعون سنقتل ابناءهم تسلية لهم وتصبيرا وعدة بالنصر ويبشرهم ويعدهم
النصر عليهم ويذكرهم ما وعد الله بني اسرائيل من اهلاك القبط وتوريثهم ارضهم وديارهم فان قلت لم اخليت هذه الجملة
عن الواو وادخلت على التي قبلها قلت هي جملة مستأنفة واما وقال الملأ فمعطوفة على ما سبقها من قوله قال الملأ من قوم فرعون
وقوله ان الارض لله يجوز ان تكون اللام للعهد ويراد ارض مصر خاصة كقوله واورثنا الارض وان تكون للجنس فتتناول ارض مصر لانها
من جنس الارض كما قال ضمرة الا انما الكرم باصغريه فاراد بالمرء الجنس وغرضه ان ينبه ولم يرد ولادتها والعاقبة للمتقين بشارة
بان الخاتمة المحمودة للمتقين منهم ومن القبط وان المشيئة متناولة لهم وقرئ والعاقبة للمتقين بالنصب عطفا على الارض اوذينا
من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا يعنون قتل ابنائهم قبل مولد موسى الى ان استنبئ واعادته عليهم بعد ذلك وما كانوا يستعبدون
به ويمتهنون فيه من انواع الخدم والمهن ويمسون به من العذاب عسى ربكم ان يهلك عدوكم تصريح بما رمز اليه من البشارة
قبل وكشف عنه وهو اهلاك فرعون واستخلافهم بعده في ارض مصر فينظر كيف تعملون فيرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه
وشكر النعمة وكفرانها ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم وعن عمرو بن عبيد رحمه الله انه دخل على المنصور قبل
الخلافة وعلى مائدته رغيف او رغيفان وطلب زيادة لعمرو فلم توجد فقرأ عمرو هذه الآية ثم دخل عليه بعد ما استخلف فذكر
له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون بالسنين بسني القحط والسنة من الاسماء الغالبة كالدابة والنجم ونحو ذلك وقد
اشتقوا منها فقالوا اسنت القوم بمعنى اقحطوا وقال ابن عباس اما السنون فكانت لباديتهم واهل مواشيهم واما نقص الثمرات فكان في امصارهم
وعن كعب يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة الا ثمرة لعلهم يذكرون فينتبهوا على ان ذلك لاصرارهم على الكفر وتكذيبهم لآيات الله ولان
الناس في حال الشدة اضرع خدودا والين اعطافا وارق افئدة وقيل عاش فرعون اربعمائة سنة ولم ير مكروها في ثلاثمائة وعشرين سنة
ولو اصابه في تلك المدة وجع او جوع او حمى لما ادعى الربوبية فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب والرخاء قالوا لنا هذه اي هذه مختصة بنا
ونحن مستحقوها ولم نزل في النعمة والرفاهية واللام مثلها في قولك الجل للفرس وان تصبهم سيئة من ضيقة وجدب يطيروا بموسى

ومن معه تطيروا بهم وتشاءموا وقالوا هذا بشؤمهم ولولا مكانهم لما اصابتنا كما قالت الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذه من عندك فان قلت
كيف قيل فاذا جاءتهم الحسنة باذا وتعريف الحسنة وان تصبهم سيئة بان وتنكير السيئة قلت لان جنس الحسنة وقوعه كالواجب
لكثرته واتساعه واما السيئة فلا تقع الا في الندرة ولا يقع الا شيء منها ومنه قول بعضهم قد عددت ايام البلاء فهل عددت ايام
الرخاء طائرهم عند الله اي سبب خيرهم وشرهم عند الله وهو حكمه ومشيئته والله هو الذي شاء ما يصيبهم من الحسنة والسيئة وليس
شؤم احد ولا يمنه بسبب فيه كقوله قل كل من عند الله ويجوز ان يكون معناه الا انما سبب شؤمهم عند الله وهو عملهم المكتوب عنده
الذي يجري عليهم ما يسوءهم لاجله ويعاقبون له بعد موتهم بما وعدهم الله في قوله النار يعرضون عليها الاية ولا طائر اشأم من هذا وقرئ
انما طيرهم عند الله وهو اسم لجمع طائر غير تكسير ونظيره التجر والركب وعند ابي الحسن هو تكسير مهما هي ما المضمنة معنى الجزاء ضمت
اليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء في قولك متى ما تخرج اخرج اينما تكونوا يدرككم الموت فاما نذهبن بك الا ان الالف قلبت هاء استثقالا
لتكرير المتجانسين وهو المذهب السديد البصري ومن الناس من زعم ان مه هي الصوت الذي يصوت به الكاف وما للجزاء كانه قيل كف
ما تاتنا به من اية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فان قلت ما محل مهما قلت الرفع بمعنى ايما شيء تاتنا به او النصب بمعنى ايما شيء تحضرنا
تاتنا به ومن اية تبيين لها والضميران في به وبها راجعان الى مهما الا ان احدهما ذكر على اللفظ والثاني انث على المعنى لانها في معنى الاية ونحوه قول
زهير ومهما تكن عند امرئ من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم وهذه الكلمة في عداد الكلمات التي يحرفها من لا يد له
في علم العربية فيضعها غير موضعها ويحسب مهما بمعنى متى ما ويقول مهما جئتني اعطيتك وهذا من وضعه وليس من كلام واضع العربية في شيء
ثم يذهب فيفسر مهما تاتنا به من اية بمعنى الوقت فيلحد في ايات الله وهو لا يشعر وهذا وامثاله مما يوجب الجثو بين يدي الناظر في كتاب
سيبويه فان قلت كيف سموها اية ثم قالوا لتسحرنا بها قلت ما سموها اية لاعتقادهم انها اية وانما سموها اية اعتبارا لتسمية
موسى وقصدوا بذلك الاستهزاء والتلهي الطوفان ما طاف بهم وغلبهم من مطر او سيل قيل طفا الماء فوق حروثهم وذلك انهم مطروا ثمانية ايام
في ظلمة شديدة لا يرون شمسا ولا قمرا ولا يقدر احد منهم ان يخرج من داره وقيل ارسل الله عليهم السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بني اسرائيل
وبيوت القبط مشتبكة فامتلأت بيوت القبط حتى قاموا في الماء الى تراقيهم من جلس غرق ولم يدخل بيوت بني اسرائيل من الماء قطرة وفاض على
وجه ارضهم وركد فمنعهم من الحرث والبناء والتصرف ودام عليهم سبعة ايام وعن ابي قلابة الطوفان الجدري وهو اول عذاب وقع
فيهم فبقي في الارض وقيل هو الموتان وقيل الطاعون فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فرفع عنهم فما امنوا فنبت لهم
تلك السنة من الكلاء والزرع ما لم يعهد مثله فاقاموا شهرا فبعث الله عليهم الجراد فاكلت عامة زروعهم وثمارهم ثم اكلت كل شيء حتى
الابواب وسقوف البيوت والثياب ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منها شيء ففزعوا الى موسى ووعدوه التوبة فكشف عنهم بعد سبعة ايام
خرج موسى عليه السلام الى الفضاء فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد الى النواحي التي جاء منها فقالوا ما نحن بتاركي ديننا فاقاموا
شهرا فسلط الله عليهم القمل وهو الحمنان في قول ابي عبيدة كبار القردان وقيل الدبا وهو اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها وقيل
البراغيث وعن سعيد بن جبير السوس فاكل ما ابقاه الجراد ولحس الارض وكان يدخل بين ثوب احدهم وبين جلده فيمصه وكان ياكل احدهم
طعاما فيمتلئ قملا وكان يخرج احدهم عشرة اجربة الى الرحى فلا يرد منها الا يسيرا وعن سعيد بن جبير كان الى جنبهم كثيب اعفر
فضربه موسى بعصاه فصار قملا فاخذت في ابشارهم واشعارهم واشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كانه الجدري فصاحوا
وصرخوا وفزعوا الى موسى فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الان انك ساحر وعزة فرعون لا نصدقك ابدا فارسل الله عليهم بعد شهر الضفادع
وكان الرجل اذا اراد ان يتكلم وثب الضفدع الى فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وانيتهم وطعامهم وكانت تقذف انفسها في القدور وهي تغلي
وفي التنانير وهي تفور فشكوا الى موسى وقالوا ارحمنا هذه المرة فما بقي الا ان نتوب التوبة النصوح ولا نعود فاخذ عليهم العهود ودعا
فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهد فارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما فشكوا الى فرعون فقال انه سحركم فكان يجمع بين القبطي والاسرائيلي
على اناء واحد فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما ويستقيان من ماء واحد فيخرج للقبطي الدم وللاسرائيلي الماء حتى ان المراة القبطية
تقول لجارتها الاسرائيلية اجعلي الماء في فيك ثم مجيه في فيّ فيصير الماء في فيها دما وعطش فرعون حتى اشفى على الهلاك فكان يمص الاشجار
الرطبه

نزلت عليهم وانزلت عليهم القمل واطعمتهم فلا يكشف عنا احد [illegible] ولا طعام ولا شراب الا وجدوا فيها الضفادع [illegible]

الرطب فاذا مضغها صار ماؤها الطيب ملحا اجاجا وعن سعيد بن جبير سال عليهم النيل دما وقيل سلط الله عليهم الرعاف وروي
ان موسى عليه السلام مكث فيهم بعدما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الايات وروي انه لما اراهم اليد والعصا ونقص النفوس والثمرات
قال يا رب ان عبدك هذا قد علا في الارض وعتا وطغى فخذه بعقوبة تجعلها له ولقومه نقمة ولقومي عظة ولمن بعدي اية فحينئذ بعث الله عليهم الطوفان
ثم الجراد ثم القمل ثم الضفادع ثم الدم وقرأ الحسن والقمل بفتح القاف وسكون الميم يريد القمل المعروف ايات مفصلات نصب على الحال ومعنى مفصلات
مبينات ظاهرات لا يشكل على عاقل انها من ايات الله التي لا يقدر عليها غيره وانها عبرة لهم ونقمة على كفرهم او فصل بين بعضها وبعض بزمان
تمتحن فيه احوالهم وينظر ايستقيمون على ما وعدوا من انفسهم ام ينكثون الزاما للحجة عليهم بما عهد عندك ما مصدرية والمعنى بعهده عندك وهو
النبوة والباء اما ان تتعلق بقوله ادع لنا ربك على وجهين احدهما اسعفنا الى ما نطلب اليك من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهد الله وكرامته
بالنبوة او ادع الله لنا متوسلا اليه بعهده عندك واما ان يكون قسما مجابا بلنؤمنن اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك
الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه لا محالة فمعذبون فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من الامهال وكشف العذاب الى حلوله اذا هم ينكثون
جواب لما يعني فلما كشفنا عنهم فاجأوا النكث وبادروه ولم يؤخروه ولكن كما كشف عنهم نكثوا فانتقمنا منهم فاردنا الانتقام منهم فاغرقناهم
في اليم البحر الذي لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه واشتقاقه من التيمم لان المستنفعين به يقصدونه بانهم كذبوا باياتنا اي كان
اغراقهم بسبب تكذيبهم بالايات وغفلتهم عنها وقلة فكرهم فيها القوم الذين كانوا يستضعفون هم بنو اسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه
في الارض بالارض ارض مصر والشام ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا كيف شاءوا في اطرافها ونواحيها الشرقية والغربية
باركنا فيها بالخصب وسعة الارزاق كلمة ربك الحسنى قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا الى قوله ما كانوا يحذرون والحسنى تانيث
الاحسن صفة للكلمة ومعنى تمت على بني اسرائيل مضت عليهم واستمرت من قولك تم على الامر اذا مضى عليه بما صبروا بسبب صبرهم وحسبك به حاثا على الصبر
ودالا على ان من قابل البلاء بالجزع وكله الله اليه ومن قابله بالصبر وانتظار النصر ضمن الله له الفرج وعن الحسن عجبت ممن خف
كيف خف وقد سمع قوله وتلا الاية ومعنى خف طار جزعا وقلة صبر ولم يرزن رزانة اولي الصبر وقرا عاصم في رواية وتمت كلمات ربك الحسنى
ونظيره من ايات ربه الكبرى ما كان يصنع فرعون وقومه ما كانوا يعملون ويسوون من العمارات وبناء القصور وما كانوا يعرشون من الجنات وهو
البنيان كصرح هامان وغيره وقرئ يعرشون بالكسر والضم وذكر اليزيدي ان
الكسر افصح وبلغني انه قرأ بعض الناس يغرسون من غرس الاشجار وما احسبه الا تصحيفا منه وهذا اخر ما اقتص الله من نبأ فرعون والقبط
وتكذيبهم بايات الله وظلمهم ومعاصيهم ثم اتبعه اقتصاص نبأ بني اسرائيل وما احدثوه بعد انقاذهم من ملكة فرعون واستعباده ومعاينتهم الايات
العظام ومجاوزتهم البحر من عبادة البقر وطلب رؤية الله جهرة وغير ذلك من انواع الكفر والمعاصي ليعلم حال الانسان وانه كما وصف ظلوم
كفار جهول كنود الا من عصمه الله وليسلي رسول الله صلى الله عليه وسلم مما راى من بني اسرائيل بالمدينة وروي
انه عبر بهم موسى يوم عاشوراء بعدما اهلك الله فرعون وقومه فصاموه شكرا لله فاتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون على اصنام لهم يواظبون
على عبادتها ويلازمونها قال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك اول شان العجل وقيل كانوا قوما من لخم وقيل كانوا من الكنعانيين الذين امر
موسى بقتالهم وقرئ يعكفون بضم الكاف وكسرها اجعل لنا الها صنما نعكف عليه كما لهم الهة اصنام يعكفون عليها وما كافة للكاف ولذلك وقعت الجملة بعدها وعن علي رضي
الله عنه انه قال له يهودي اختلفتم بعد نبيكم قبل ان يجف ماؤه فقال قلتم اجعل لنا الها ولم تجف اقدامكم انكم قوم تجهلون تعجب من
قولهم على اثر ما راوا الاية العظمى والمعجزة الكبرى فوصفهم بالجهل المطلق واكده لانه لا جهل اعظم مما راى منهم ولا اشنع
ان هؤلاء يعني عبدة تلك التماثيل متبر ما هم فيه مدمر مكسر ما هم فيه من قولهم اناء متبر اذا كان فضاضا ويقال لكسار الذهب التبر
اي يتبر الله ويهدم دينهم الذي هم عليه على يدي ويحطم اصنامهم هذه ويتركها رضاضا وباطل ما كانوا يعملون اي ما عملوا شيئا من عبادتها
فيما سلف الا وهو باطل مضمحل لا ينتفعون به وان كان في زعمهم تقربا الى الله كما قال وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وفي
ايقاع هؤلاء اسما لان وتقديم خبر المبتدا من الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الاصنام بانهم هم المعرضون للتبار وانه لا يعدوهم البتة

والعلم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغض إليهم ما أحبوا. أغير الله أبغيكم إلهاً أغير المستحق للعبادة أطلب لكم معبوداً وهو
فضلكم على العالمين فعل بكم ما فعل دون غيركم من الاختصاص بالنعمة التي لم يعطها أحداً غيركم لتختصوه بالعبادة ولا تشركوا به غيره ومعنى الهمزة الإنكار
والتعجب من طلبتهم مع كونهم مغمورين في نعمة الله عبادة غير الله. يسومونكم سوء العذاب يبغونكم شدة العذاب من سام السلعة
إذا طلبها. فإن قلت ما محل يسومونكم قلت هو استئناف لا محل له ويجوز أن يكون حالاً من المخاطبين أو من آل فرعون وذلكم
إشارة إلى الإنجاء أو إلى العذاب والبلاء النعمة أو المحنة وقرئ يقتلون بالتخفيف روي أن موسى عليه السلام وعد بني إسرائيل وهو بمصر إن
أهلك الله عدوهم أتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فأمره بصوم ثلاثين
وهو شهر ذي القعدة فلما أتم الثلاثين أنكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك وقيل
أوحى الله إليه أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك فأمره الله تعالى أن يزيد عليها عشرة أيام من ذي الحجة لذلك وقيل أمره الله
أن يصوم ثلاثين وأن يعمل فيها بما يقربه من الله ثم أنزلت عليه التوراة في العشر وكلم فيها ولقد أجمل ذكر الأربعين في سورة البقرة وفصلها هاهنا
وميقات ربه ما وقت له من الوقت وضربه له وأربعين ليلة نصب على الحال أي تم بالغاً هذا العدد وهارون عطف بيان لأخيه وقرئ بالضم
على النداء. اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم وأصلح وكن مصلحاً أو وأصلح ما يجب أن يصلح من أمور بني إسرائيل ومن دعاك منهم إلى الإفساد
فلا تتبعه ولا تطعه. لميقاتنا لوقتنا الذي وقتنا له وحددنا ومعنى اللام الاختصاص فكأنه قيل واختص مجيئه بميقاتنا كما تقول أتيته لعشر
خلون من الشهر. وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه أن يخلق الكلام منطوقاً به في بعض الأجرام كما خلقه مخطوطاً في اللوح
وروي أن موسى كان يسمع الكلام من كل جهة وعن ابن عباس كلمه أربعين يوماً وأربعين ليلة وكتب له الألواح وقيل إنما كلمه في أول ذلكم
الأربعين. أرني أنظر إليك ثاني مفعولي أرني محذوف أي أرني نفسك أنظر إليك. فإن قلت الرؤية عين النظر فكيف قيل أرني
أنظر إليك قلت معنى أرني نفسك اجعلني متمكناً من رؤيتك بأن تتجلى لي فأنظر إليك وأراك. فإن قلت فكيف قال لن تراني
ولم يقل لن تنظر إلي لقوله أنظر إليك قلت لما قال أرني بمعنى اجعلني متمكناً من الرؤية التي هي الإدراك علم أن الطلبة هي
الرؤية لا النظر الذي لا إدراك معه فقيل لن تراني ولم يقل لن تنظر إلي. فإن قلت كيف طلب موسى عليه السلام ذلك وهو من أعلم الناس
بالله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز وبتعاليه عن الرؤية التي هي إدراك ببعض الحواس وذلك إنما يصح فيما كان في جهة وما ليس بجسم ولا
عرض فمحال أن يكون في جهة ومنع المجبرة إحالته في العقول غير لازم لأنه ليس بأول مكابرتهم وارتكابهم وكيف يكون طالبه وقد قال
حين أخذت الرجفة الذين قالوا أرنا الله جهرة أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إلى قوله تضل بها من تشاء فتبرأ من فعلهم ودعاهم سفهاء
وضلالاً. قلت ما كان طلبه الرؤية إلا ليبكت هؤلاء الذين دعاهم سفهاء وضلالاً وتبرأ من فعلهم وليلقمهم الحجر وذلك أنهم
حين طلبوا الرؤية أنكر عليهم وأعلمهم الخطأ ونبههم على الحق فلجوا وتمادوا في لجاجهم وقالوا لا بد ولن نؤمن لك حتى نراه فأراد أن يسمعوا النص
من عند الله باستحالة ذلك وهو قوله لن تراني ليتيقنوا وينزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة فلذلك قال رب أرني أنظر إليك. فإن قلت فهلا
قال أرهم ينظروا إليك قلت لأن الله سبحانه إنما كلم موسى عليه السلام وهم يسمعون فلما سمعوا كلام رب العزة أرادوا أن يري موسى ذاته
فيبصروه معه كما أسمعه كلامه فسمعوه معه إرادة مبنية على قياس فاسد فلذلك قال موسى أرني أنظر إليك ولأنه إذا زجر عما طلب
وأنكر عليه في نبوته واختصاصه وزلفته عند الله وقيل له لن يكون ذلك كان غيره أولى بالإنكار ولأن الرسول إمام أمته فكان ما يخاطب
به أو يخاطب راجعاً إليهم وقوله أنظر إليك وما فيه من معنى المقابلة التي هي محض التشبيه والتجسيم دليل على أنه ترجمة عن مقترحهم وحكاية
لقولهم وجل صاحب الجمل أن يجعل الله منظوراً إليه مقابلاً بحاسة النظر فكيف بمن هو أعرق في معرفة الله من واصل بن عطاء وعمرو
ابن عبيد والنظام وأبي الهذيل والشيخين وجميع المتكلمين. فإن قلت ما معنى لن قلت تأكيد النفي الذي تعطيه لا وذلك أن لا
تنفي المستقبل تقول لا أفعل غداً فإذا أكدت نفيها قلت لن أفعل غداً والمعنى أن فعله ينافي حالي كقوله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا
له فقوله لا تدركه الأبصار نفي للرؤية فيما يستقبل ولن تراني تأكيد وبيان لأن المنفي مناف لصفاته. فإن قلت كيف
اتصل الاستدراك في قوله ولكن انظر إلى الجبل بما قبله قلت اتصل به على معنى أن النظر إلي محال فلا تطلبه ولكن عليك بنظر آخر

وهو

وهو أن تنظر إلى الجبل الذي يرجف بك وبمن طلبت الرؤية لأجلهم كيف أفعل به وكيف أجعله دكاً بسبب طلبك الرؤية لتستعظم
ما أقدمت عليه بما أريك من عظم أثره كأنه عز وعلا حقق عند طلب الرؤية ما مثله عند نسبة الولد إليه في قوله وتخر الجبال هداً
أن دعوا للرحمن ولداً. فإن استقر مكانه كما كان مستقراً ثابتاً ذاهباً في جهاته فسوف تراني تعليق لوجود الرؤية بوجود ما لا يكون من
استقرار الجبل مكانه حين يدكه دكاً ويسويه بالأرض وهذا كلام مدمج بعضه في بعض وارد على أسلوب عجيب ونمط بديع ألا ترى
كيف تخلص من النظر إلى النظر بكلمة الاستدراك ثم كيف بنى الوعيد بالرجفة الكائنة بسبب طلب النظر على الشريطة في وجود الرؤية
أعني قوله فإن استقر مكانه فسوف تراني. فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهر له اقتداره وتصدى له أمره وإرادته جعله دكاً أي مدكوكاً
مصدر بمعنى مفعول كضرب الأمير والدك والدق أخوان كالشك والشق وقرئ دكاء والدكاء اسم للرابية الناشزة
من الأرض كالدكة أو أرضاً دكاء مستوية ومنه قولهم ناقة دكاء متواضعة السنام وعن الشعبي قال لي الربيع بن خثيم ابسط
يدك دكاء أي مدها مستوية وقرأ يحيى بن وثاب دكاً أي قطعاً دكاً جمع دكاء. وخر موسى صعقاً من هول ما رأى وصعق
من باب فعلته ففعل يقال صعقته فصعق وأصله من الصاعقة ويقال لها الصاقعة من صقعه إذا ضربه على رأسه ومعناه خر مغشياً
عليه غشية كالموت وروي أن الملائكة مرت عليه وهو مغشي عليه فجعلوا يلكزونه بأرجلهم ويقولون يا ابن النساء الحيض أطمعت في رؤية
رب العزة. فلما أفاق من صعقته قال سبحانك أنزهك مما لا يجوز عليك من الرؤية وغيرها تبت إليك من طلب الرؤية وأنا أول المؤمنين بأنك
لست بمرئي ولا مدرك بشيء من الحواس. فإن قلت فإن كان طلب الرؤية للغرض الذي ذكرته فمم تاب قلت من إجرائه تلك
امرج المقالة العظيمة وإن كان لغرض صحيح على لسانه من غير إذن فيه من الله فانظر إلى إعظام الله أمر الرؤية في هذه الآية وكيف أرجف الجبل
بطالبيها وجعله دكاً وكيف أصعقهم ولم يخل كليمه من نفيان ذلك مبالغة في إعظام الأمر وكيف سبح ربه ملتجئاً إليه وتاب
من إجراء تلك الكلمة على لسانه وقال أنا أول المؤمنين ثم تعجب من المتسمين بالإسلام المتسمين بأهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه
العظيمة مذهباً ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة فإنه من منصوبات أشياخهم والقول ما قال بعض العدلية فيهم
لجماعة سموا هواهم سنة ... وجماعة حمر لعمري موكفه
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا ... شنع الورى فتستروا بالبلكفة
وتفسير آخر وهو أن يريد بقوله أرني أنظر إليك عرفني نفسك تعريفاً واضحاً جلياً كأنها إراءة في جلائها بآية مثل آيات القيامة التي
تضطر الخلق إلى معرفتك أنظر إليك أعرفك معرفة اضطرار كأني أنظر إليك كما جاء في الحديث سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر بمعنى
ستعرفونه معرفة جلية هي في الجلاء كإبصاركم القمر إذا امتلأ واستوى قال لن تراني أي لن تطيق معرفتي على هذه الطريقة ولن تحتمل
قوتك تلك الآية المضطرة ولكن انظر إلى الجبل فإني أورد عليه وأظهر له آية من تلك الآيات فإن ثبت لتجليها واستقر مكانه ولم يتضعضع
فسوف تثبت لها وتطيقها فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهرت له آية من آيات قدرته وعظمته جعله دكاً وخر موسى صعقاً لعظم ما رأى فلما
أفاق قال سبحانك تبت إليك مما اقترحت وتجاسرت وأنا أول المؤمنين بعظمتك وجلالك وأن شيئاً لا يقوم لبطشك وبأسك
اصطفيتك على الناس اخترتك على أهل زمانك وآثرتك عليهم برسالاتي وهي أسفار التوراة وبكلامي وبتكليمي إياك فخذ ما آتيتك ما أعطيتك
من شرف النبوة والحكمة وكن من الشاكرين على النعمة في ذلك فهي من أجل النعم وقيل خر موسى صعقاً يوم عرفة وأعطي التوراة يوم النحر
فإن قلت كيف قيل اصطفيتك على الناس وكان هارون مصطفى مثله ونبياً قلت أجل ولكنه كان تابعاً له وردءاً ووزيراً والكليم
هو موسى عليه السلام والأصيل في حمل الرسالة ذكروا في عدد الألواح وفي جوهرها وطولها أنها كانت عشرة ألواح وقيل سبعة وقيل لوحين وأنها كانت
موتي من زمرد جاء بها جبريل وقيل من زبرجد خضراء وياقوتة حمراء وقيل أمر الله بقطعها من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده وشققها بأصابعه
وعن الحسن كانت من خشب نزلت من السماء فيها التوراة وأن طولها كان عشرة أذرع وقوله من كل شيء في محل النصب مفعول كتبنا وموعظة
وتفصيلاً بدل منه والمعنى كتبنا له كل شيء كان بنو إسرائيل محتاجين إليه في دينهم من المواعظ وتفصيل الأحكام وقيل أنزلت التوراة
وهي سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها إلا أربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى وعن مقاتل كتب في الألواح
إني أنا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئاً ولا تقطعوا السبيل ولا تحلفوا باسمي كاذباً فإن من حلف باسمي كاذباً فلا أزكيه ولا تقتلوا ولا تزنوا

ولا تعقّوا الوالدين فخذها فقلنا له خذها عطفاً على كتبنا ويجوز أن يكون بدلاً من قوله فخذ ما آتيتك والضمير في فخذها للألواح أو
لكل شيء لأنه في معنى الأشياء أو للرسالات أو للتوراة ومعنى بقوة بجدّ وعزيمة فعل أولي العزم من الرسل بأحسنها أي
فيها ما هو حسن وأحسن كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر فمرهم أن يعملوا على الأخذ بما هو أدخل في الحسن وأكثر
للثواب كقوله واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم وقيل يأخذوا بما هو واجب أو ندب لأنه أحسن من المباح ويجوز أن يراد يأخذوا بما أمروا به
دون ما نهوا عنه على قولك الصيف أحرّ من الشتاء سأريكم دار الفاسقين يريد دار فرعون وقومه وهي مصر كيف أقفرت منهم
ودمّروا لفسقهم لتعتبروا ولا تفسقوا مثل فسقهم فينكّل بكم مثل نكالهم وقيل منازل عاد وثمود والقرون الذين أهلكهم الله لفسقهم
في ممرّكم عليها في أسفاركم وقيل دار الفاسقين نار جهنم وقرأ الحسن سأوريكم وهي لغة فاشية بالحجاز يقال أورني كذا وأوريته
ووجهه أن يكون من أوريت الزند كأن المعنى بيّنه لي وأنره لأستبينه وقرئ سأورثكم وهي قراءة حسنة يصححها قوله وأورثنا القوم
الذين كانوا يستضعفون سأصرف عن آياتي بالطبع على قلوب المتكبرين وخذلانهم فلا يفكرون فيها ولا يعتبرون بها غفلة وانهماكاً فيما يشغلهم
عنها من شهواتهم وعن الفضيل بن عياض ذكر لنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عظّمت أمتي الدنيا نزع عنها هيبة الإسلام وإذا تركوا الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي وقيل سأصرفهم عن إبطالها وإن اجتهدوا كما اجتهد فرعون أن يبطل آية موسى بأن جمع لها السحرة
فأبى الله إلا علوّ الحق وانتكاس الباطل ويجوز سأصرفهم عنها وعن الطعن فيها والاستهانة بها وتسميتها سحراً بإهلاكهم وفيه إنذار للمخاطبين من
عاقبة الذين يصرفون عن الآيات لتكبرهم وكفرهم بها لئلا يكونوا أمثالهم فيسلك بهم سبيلهم بغير الحق فيه وجهان أن يكون حالاً بمعنى يتكبرون
غير محقين لأن التكبر بالحق لله وحده وأن يكون صلة لفعل التكبر أي يتكبرون بما ليس بحق وما هم عليه من دينهم وإن يروا كل آية من الآيات
المنزلة عليهم لا يؤمنوا بها وقرأ مالك بن دينار وإن يُروا بضم الياء وقرئ سبيل الرُّشد والرَّشَد والرشاد كقولهم السُّقم والسَّقَم والسقام
والسقم من ركب المتاه فإن رأى طريقاً مستقيماً أعرض عنه وتركه وإن رأى معتسفاً مردياً أخذ فيه وسلكه ففعل نحو ذلك وجه أن
ذلك في محل الرفع أو النصب على معنى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم أو صرفهم الله ذلك الصرف بسببه ولقاء الآخرة يجوز أن يكون من إضافة المصدر
إلى المفعول به أي ولقائهم الآخرة ومشاهدتهم أحوالها ومن إضافة المصدر إلى الظرف بمعنى ولقاء ما وعد الله في الآخرة من بعده من بعد فراقه
إياهم إلى الطور فإن قلت لم قيل واتخذ قوم موسى عجلاً والمتخذ هو السامري قلت فيه وجهان أحدهما أن ينسب الفعل إليهم لأن رجلاً
منهم باشره ووجد فيما بين ظهرانيهم كما يقال بنو تميم قالوا كذا وفعلوا والقائل والفاعل واحد ولأنهم كانوا مريدين لاتخاذه راضين به فكأنهم
أجمعوا عليه والثاني أن يراد واتخذوه إلهاً وعبدوه وقرئ من حُليّهم بضم الحاء والتشديد جمع حَلْي كثدي وثُديّ ومن حِليّهم بالكسر
للإتباع كدِليّ ومن حَليهم على التوحيد والحلي اسم ما يتحسن به من الذهب والفضة فإن قلت لم قال من حليهم ولم يكن الحلي
لهم وإنما كانت عواري في أيديهم قلت الإضافة تكون بأدنى ملابسة وكونها عواري في أيديهم كفى به ملابسة على أنهم قد ملكوها بعد
المهلكين كما ملكوا غيرها من أملاكهم ألا ترى إلى قوله عز وجل فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بني إسرائيل
جسداً بدناً ذا لحم ودم كسائر الأجساد له خوار صوت البقر قال الحسن إن السامري قبض قبضة من تراب من أثر فرس جبريل عليه السلام يوم قطع البحر
فقذفه في فم العجل فكان عجلاً له خوار وقرأ علي رضي الله عنه جؤار بالجيم والهمزة من جأر إذا صاح وانتصاب جسداً على البدل من عجلاً ألم يروا حين
اتخذوه إلهاً أنه لا يقدر على كلام ولا على هداية سبيل حتى لا يختاروه على من لو كان البحر مداداً لكلماته لنفد البحر قبل أن تنفد كلماته وهو الذي هدى
الخلق إلى سبيل الحق بما ركز في العقول من الأدلة وبما أنزل في كتبه ثم ابتدأ فقال اتخذوه أي أقدموا على ما أقدموا عليه من الأمر
المنكر وكانوا ظالمين واضعين كل شيء في غير موضعه فلم يكن اتخاذ العجل بدعاً منهم ولا أول مناكيرهم **ولما سقط في أيديهم**
ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل لأن من شأن من اشتد ندمه وحسرته أن يعض يده غماً فتصير يده مسقوطاً فيها لأن فاه
قد وقع فيها وسُقط مسند إلى في أيديهم وهو من باب الكناية وقرأ أبو السميفع سَقَط في أيديهم على تسمية الفاعل أي وقع العض فيها
وقال الزجاج معناه سقط الندم في أيديهم أي في قلوبهم وأنفسهم كما يقال حصل في يده مكروه وإن كان محالاً أن يكون في اليد تشبيهاً لما يحصل في القلب الزجاج
وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى في العين ورأوا أنهم قد ضلوا وتبينوا ضلالهم تبيناً كأنهم أبصروه بعيونهم وقرئ لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر
لنا

لنا بالتاء وربنا بالنصب على النداء وهذا كلام التائبين كما قال آدم وحواء عليهما السلام وإن لم تغفر لنا وترحمنا أسفاً الأسف الشديد الغضب
ومنه قوله فلما آسفونا انتقمنا منهم وقيل هو الحزين خلفتموني قمتم مقامي وكنتم خلفائي من بعدي وهذا الخطاب إما أن يكون لعبدة العجل من
السامري وأشياعه أو لوجوه بني إسرائيل وهم هرون عليه السلام والمؤمنون معه ويدل عليه قوله اخلفني في قومي والمعنى بئسما خلفتموني حيث عبدتم العجل
مكان عبادة الله أو حيث لم تكفوا من عبد غير الله فإن قلت أين ما تقتضيه بئس من الفاعل والمخصوص بالذم قلت الفاعل مضمر
يفسره ما خلفتموني والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم فإن قلت أي معنى لقوله من بعدي بعد
قوله خلفتموني قلت معناه من بعد ما رأيتم مني من توحيد الله ونفي الشركاء عنه وإخلاص العبادة له أو من بعد ما كنت أحمل بني إسرائيل
على التوحيد وأكفهم عما طمحت نحوه أبصارهم من عبادة البقر حين قالوا اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء أن يسيروا سيرة المستخلف من بعده
والثاني ونحوه فخلف من بعدهم خلف أي من بعد أولئك الموصوفين بما وصفوا به أعجلتم يقال عجل عن الأمر إذا تركه غير تام ونقيضه تمّ عليه
وأعجله عنه غيره ويضمّن معنى سبق فيعدّى تعديته فيقال عجلت الأمر والمعنى أعجلتم عن أمر ربكم وهو انتظار موسى حافظين لعهده وما وصّاكم
به فبنيتم الأمر على أن الميعاد قد بلغ آخره ولم أرجع إليكم فحدثتم أنفسكم بموتي فغيرتم كما غيرت الأمم بعد أنبيائهم وروي أن السامري قال لهم حين
أخرج لهم العجل وقال هذا إلهكم وإله موسى إن موسى لن يرجع وإنه قد مات وروي أنهم عدوا عشرين يوماً بلياليها فجعلوها أربعين ثم أحدثوا ما
أحدثوا وألقى الألواح وطرحها لما لحقه من فرط الدهش وشدة الضجر عند استماعه حديث العجل غضباً لله وحمية لدينه وكان في نفسه حديداً
شديد الغضب وكان هرون ألين منه جانباً ولذلك كان أحب إلى بني إسرائيل من موسى وروي أن التوراة كانت سبعة أسباع فلما ألقى الألواح
تكسرت فرفع منها ستة أسباعها وبقي سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل كل شيء وفيما بقي الهدى والرحمة وأخذ برأس أخيه بشعر رأسه
يجره إليه بذؤابته وذلك لشدة ما ورد عليه من الأمر الذي استفزه وذهب بفطنته وظناً بأخيه أنه فرّط في الكف ابن أم قرئ بالفتح تشبيهاً قرئ
بخمسة عشر وبالكسر على طرح ياء الإضافة وابن أمي بالياء وابن إم بكسر الهمزة والميم وقيل كان أخاه لأبيه وأمه فإن صح فإنما أضافه إلى الأم إشارة إلى
أنهما من بطن واحد وذلك أدعى إلى العطف والرقة وأعظم للحق الواجب ولأنها كانت مؤمنة فاعتد بنسبها ولأنها هي التي قاست فيه المخاوف والشدائد
فذكّره بحقها إن القوم استضعفوني يعني أني لم آل جهداً في كفهم بالوعظ والإنذار وبما بلغته طاقتي من بذل القوة في مضادتهم حتى قهروني
واستضعفوني ولم يبق إلا أن يقتلوني فلا تشمت بي الأعداء فلا تفعل بي ما هو أمنيتهم من الاستهانة بي والإساءة إليّ وقرئ فلا تَشمت بي الأعداء
على نهي الأعداء عن الشماتة والمراد أن لا يحل به ما يشمتون به لأجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين ولا تجعلني في موجدتك عليّ وعقوبتك لي قريناً لهم
وصاحباً أو ولا تعتقد أني واحد من الظالمين مع براءتي منهم ومن ظلمهم لما اعتذر إليه أخوه وذكر له شماتة الأعداء قال رب اغفر لي ولأخي ليرضي
أخاه ويظهر لأهل الشماتة رضاه عنه فلا تتم لهم شماتتهم واستغفر لنفسه مما فرط منه إلى أخيه ولأخيه أن عسى فرط في حسن الخلافة وطلب
أن لا يتفرقا عن رحمته ولا تزال منتظمة لهما في الدنيا والآخرة غضب من ربهم وذلة هو ما أمروا به من قتل أنفسهم والذلة خروجهم من ديارهم
لأن ذل الغربة مثل مضروب وقيل هو ما نال أبناءهم وهم بنو قريظة والنضير من غضب الله بالقتل والجلاء ومن الذلة بضرب الجزية وكذلك نجزي
المفترين المكذبين على الله ولا فرية أعظم من قول السامري هذا إلهكم وإله موسى ويجوز أن يتعلق في الحياة الدنيا بالذلة وحدها ويراد
سينالهم غضب في الآخرة وذلة في الحياة الدنيا كقوله وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله والذين عملوا السيئات من الكفر
والمعاصي كلها ثم تابوا ثم رجعوا من بعدها إلى الله واعتذروا إليه وآمنوا وأخلصوا الإيمان إن ربك من بعدها من بعد تلك العظائم
لغفور لستور عليهم محّاء لما كان منهم رحيم منعم عليهم بالجنة وهذا حكم عام يدخل تحته متخذو العجل ومن عداهم عظّم جنايتهم أولاً ثم أردفها
تعظيم رحمته ليعلم أن الذنوب وإن جلت وعظمت فإن عفوه وكرمه أعظم وأجل ولكن لا بد من حفظ الشريطة وهي وجوب التوبة والإنابة
وما وراءه طمع فارغ وأشعبية باردة لا يلتفت إليها حازم ولما سكت عن موسى الغضب هذا مثل كأن الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول
له قل لقومك كذا وألق الألواح وجرّ برأس أخيك إليك فترك النطق بذلك وقطع الإغراء ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل
ذي طبع سليم وذوق صحيح إلا لذلك ولأنه من قبيل شعب البلاغة وإلا فما لقراءة معاوية بن قرة ولما سكن عن موسى الغضب لا تجد النفس
عندها شيئاً من تلك الهزة وطرفاً من تلك الروعة وقرئ ولما سُكّت وأُسكت أي أسكته الله أو أخوه باعتذاره إليه وتنصّله

المعنى ولما طفئ غضبه اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها وفيما نسخ فيها اي كتب والنسخة فعلة بمعنى مفعول كالخطبة
لربهم يرهبون دخلت اللام لتقدم المفعول لان تأخر الفعل عن مفعوله يكسبه ضعفا ونحوه للرؤيا تعبرون وتقول لك ضربت ۞
واختار موسى قومه اي من قومه فحذف الجار واوصل الفعل كقوله منا الذي اختير الرجال سماحة قيل اختار
من اثني عشر سبطا من كل سبط ستة حتى تناموا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاجروا فقال ان لمن قعد منكم مثل اجر من خرج
فقعد كالب ويوشع وروي انه لم يصب الا ستين شيخا فاوحى الله تعالى اليه ان يختار من الشبان عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخا
وقيل كانوا ابناء ما عدا العشرين ولم يجاوزوا الاربعين قد ذهب عنهم الجهل والصبى فامرهم موسى ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم
ثم خرج بهم الى طور سيناء لميقات ربه وكان امره ربه ان يأتيه في سبعين من بني اسرائيل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام
حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى ودخل فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى اذا دخلوا في الغمام وقعوا سجدا فسمعوه وهو يكلم موسى
يأمره وينهاه افعل ولا تفعل ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه فطلبوا الرؤية فوعظهم وزجرهم وانكر عليهم فقالوا يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى
الله جهرة فقال رب ارني انظر اليك يريد ان يسمعوا الرد والانكار من جهته فاجيب بلن تراني ورجف بهم الجبل فصعقوا ولما كانت
الرجفة قال موسى رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي تمنى منه للاهلاك قبل ان يرى ما يرى من تبعة طلب الرؤية كما يقول النادم
على الامر اذا رأى سوء المغبة لو شاء الله لاهلكني قبل هذا اتهلكنا بما فعل السفهاء منا يعني اتهلكنا جميعا يعني نفسه واياهم لانه
انما طلب الرؤية زجرا للسفهاء وهم طلبوه سفها وجهلا ان هي الا فتنتك اي محنتك وابتلاؤك حين كلمتني وسمعوا كلامك
فاستدلوا بالكلام على الرؤية استدلالا فاسدا حتى افتتنوا وضلوا تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء تضل بالمحنة الجاهلين غير الثابتين
في معرفتك وتهدي العالمين بك الثابتين بالقول الثابت وجعل ذلك اضلالا من الله وهدى منه لان محنته لما كانت سببا لان ضلوا واهتدوا
فكانه اضلهم بها وهداهم على الاتساع في الكلام انت ولينا مولانا القائم بامورنا واكتب لنا واثبت لنا واقسم في هذه الدنيا حسنة
عافية وحياة طيبة وتوفيقا في الطاعة وفي الآخرة الجنة انا هدنا اليك تبنا اليك من هاد يهود اذا رجع وتاب والهود جمع هائد
وهو التائب ولبعضهم يا راكب الذنب هدهد واسجد كانك هدهد وقرأ ابو وجزة السعدي هدنا بكسر
الهاء من هاده يهيده اذا حركه واماله ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل والمفعول بمعنى حركنا اليك انفسنا واملناها
او حركنا اليك واملنا على تقدير فعلنا كقولك عدت يا مريض بكسر العين فعلت من العيادة ويجوز عدت بالاشمام وعدت باخلاص الضمة
فيمن قال عود المريض وقول القول ويجوز على هذه اللغة ان يكون هدنا بالضم من هاده يهيده قال عذابي من حاله وصفته اصيب به من اشاء
اي من يجب علي في الحكمة تعذيبه ولم يكن في العفو عنه مساغ لكونه مفسدة ورحمتي من حالها وصفتها انها واسعة وسعت كل شيء
ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص الا وهو متقلب في نعمتي وقرأ الحسن من اساء من الاساءة فساكتبها هذه الرحمة كتبة خاصة
منكم يا بني اسرائيل للذين يكونون في آخر الزمان من امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين هم بجميع آياتنا وكتبنا يؤمنون لا يكفرون بشيء منها الذين
يتبعون الرسول الذي نوحي اليه كتابا مختصا به وهو القرآن النبي صاحب المعجزات الذي يجدونه يجدون نعته اولئك الذين يتبعونه
من بني اسرائيل مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ويحل لهم الطيبات ما حرم عليهم من الاشياء الطيبة كالشحوم وغيرها او ما طاب
في الشريعة والحكم مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح وما خلا كسبه من السحت ويحرم عليهم الخبائث كالدم والميتة ولحم الخنزير
او ما خبث في الحكم كالربا والرشوة وغيرهما من المكاسب الخبيثة الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه من الحراك
لثقله وهو مثل لثقل تكليفهم وصعوبته نحو اشتراط قتل الانفس في صحة توبتهم وكذلك الاغلال مثل لما كان في شرائعهم من الاشياء الشاقة نحو بت
القضاء بالقصاص عمدا كان او خطأ من غير شرع الدية وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم
وتحريم العروق في اللحم وتحريم السبت وعن عطاء كانت بنو اسرائيل اذا قامت تصلي لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما ثقب الرجل
ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة وقرئ آصارهم على الجمع وعزروه ووقروه حتى لا يقوى
عليه عدو وقرئ بالتخفيف واصل العزر المنع ومنه التعزير من الضرب دون الحد لانه منع من معاودة القبيح الا ترى الى تسميته الحد

مع النبي والنور القرآن فان قلت ما معنى قوله انزل معه وانما انزل مع جبريل قلت معناه مع نبوته لان استنباءه كان مصحوبا بالقرآن
مشفوعا به ويجوز ان يتعلق باتبعوا اي واتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي والعمل بسنته وبما امر به ونهى عنه او واتبعوا القرآن كما اتبعه
مصاحبين له في اتباعه فان قلت كيف انطبق هذا الجواب على قول موسى عليه السلام ودعائه قلت لما دعا لنفسه ولبني اسرائيل
اجيب بما هو منطو على توبيخ بني اسرائيل على استجازتهم الرؤية على الله وعلى كفرهم بآيات الله العظام التي اجراها على يد موسى وعرض بذلك
في قوله والذين هم بآياتنا يؤمنون واراد ان يكون استماع اوصاف اعقابهم الذين آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به كعبد الله بن سلام
وغيره من اهل الكتابين لطفا بهم وترغيبا في اخلاص الايمان والعمل الصالح وفي ان يحشروا معهم ولا يفرق بينهم وبين اعقابهم عن رحمة الله التي
وسعت كل شيء اني رسول الله اليكم جميعا قيل بعث كل رسول الى قومه خاصة وبعث محمد صلى الله عليه وسلم الى كافة الانس وكافة الجن جميعا نصب على
الحال من اليكم فان قلت الذي له ملك السموات والارض ما محله قلت الاحسن ان يكون منتصبا باضمار اعني وهو الذي يسمى النصب على المدح
ويجوز ان يكون جرا على الوصف وان حيل بين الصفة والموصوف بقوله اليكم جميعا **وقوله** لا اله الا هو بدل من الصلة التي هي له ملك السموات
والارض وكذلك يحيي ويميت وفي لا اله الا هو بيان للجملة قبلها لان من ملك العالم كان هو الاله على الحقيقة وفي يحيي ويميت بيان لاختصاصه بالالهية
لانه لا يقدر على الاحياء والاماتة غيره وكلماته وما انزل عليه وعلى من تقدمه من الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على الافراد وهي القرآن او اراد
جنس ما كلم به وعن مجاهد اراد عيسى بن مريم وقيل هي الكلمة التي تكون عنها عيسى وجميع خلقه وهي قوله كن وانما قيل ان عيسى كلمة الله فخص بهذا الاسم لانه
لم يكن لكونه سبب غير الكلمة ولم يكن من نطفة تمنى لعلكم تهتدون فان قلت هلا قيل فآمنوا بالله وبي بعد قوله اني رسول الله اليكم قلت
عدل عن المضمر الى الاسم الظاهر لتجري عليه الصفات التي اجريت عليه ولما في طريقة الالتفات من مزية البلاغة وليعلم ان الذي وجب الايمان
به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بانه النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان انا او غيري اظهارا للنصفة وتفاديا من العصبية لنفسه
ومن قوم موسى امة هم المؤمنون التائبون من بني اسرائيل لما ذكر الذين تزلزلوا منهم في الدين وارتابوا حتى اقدموا على العظيمتين عبادة العجل
واستجازة رؤية الله تعالى ذكر ان منهم امة موقنين ثابتين يهدون الناس بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة ويرشدونهم وبالحق يعدلون بينهم
في الحكم لا يجورون وقيل اراد الذين وصفهم ممن ادرك النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به من اعقابهم وقيل ان بني اسرائيل لما قتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا
اثني عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله ان يفرق بينهم وبينهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا فيه سنة
ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم هناك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان جبريل ذهب به ليلة الاسراء
نحوهم فكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا فقال هذا محمد النبي الامي فآمنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا من ادرك
منكم احمد فليقرأ عليه مني السلام فرد محمد على موسى عليهما السلام ثم اقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم يكن نزلت فريضة غير الصلاة والزكاة
وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت [illegible] فقال رجل اني منهم فقال عبد الله
كان يطلبه من المؤمنين وهل تريد ملجأ لم علمهم شيئا من يهدي بالحق وبه يعدل ولو كانوا في طرف من الدنيا لم يبلغهم نسخها
كانوا معذورين وهذا من باب الفرض والتقدير والا فقد طار الخبر بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم الى كل افق وتغلغل في كل نفق ولم يبق الله اهل
مدر ولا وبر ولا سهل ولا جبل ولا بر ولا بحر في مشارق الارض ومغاربها الا وقد القاه اليهم وملأ به مسامعهم والزمهم به الحجة وهو سائلهم عنه يوم
القيامة وقطعناهم وصيرناهم قطعا اي فرقا وميزنا بعضهم من بعض لقلة الالفة بينهم وقرئ وقطعناهم بالتخفيف اثنتي عشرة اسباطا كقولك
اثنتي عشرة قبيلة والاسباط اولاد الولد جمع سبط وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولدا من ولد يعقوب عليه السلام فان قلت مميز ما عدا
العشرة مفرد فما وجه مجيئه مجموعا وهلا قيل اثني عشر سبطا قلت لو قيل ذلك لم يكن تحقيقا لان المراد وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة وكل
قبيلة اسباط لا سبط فوضع اسباطا موضع قبيلة ونظيره بين رماحي مالك ونهشل وامما بدل من اثنتي عشرة بمعنى وقطعناهم امما
لان كل اسباط كانت امة عظيمة وجماعة كثيفة العدد وكل امة تؤم خلاف ما تؤمه الاخرى لا تكاد تأتلف وقرئ اثنتي عشرة بكسر
الشين فانبجست فانفجرت والمعنى واحد وهو الانفتاح بسعة وكثرة قال العجاج وكيف غربي دالج تبجسا
فان قلت فهلا قيل فضرب فانبجست قلت لعدم الالباس وليجعل الانبجاس مسببا عن الايحاء بضرب الحجر للدلالة على ان الموحى

اليه لم يتوقف عن اتباع الامر ولانه من انتفاء الشك عنه بحيث لا حاجة الى الايضاح وقوله كل اناس نظير قوله اثنتي
عشرة اسباطا يعني كل امة من تلك الامم الثنتي عشرة والاناس اسم جمع غير تكسير نحو رخال وثناء وتوام واخوات لها
ويجوز ان يقال ان الاصل الكسر والتكسير والضمة بدل من الكسرة كما ابدلت في نحو سكارى وغيارى من الفتحة وظللنا
عليهم الغمام وجعلناه ظليلا عليهم في التيه وكلوا على ارادة القول وما ظلمونا وما رجع الينا ضرر ظلمهم بكفرانهم
النعم ولكن كانوا يظلمون انفسهم يرجع وبال ظلمهم اليهم واذ قيل لهم واذكروا اذ قيل لهم والقرية بيت
المقدس فان قلت كيف اختلفت العبارة ههنا وفي سورة البقرة قلت لا باس باختلاف العبارتين اذا لم يكن هناك
تناقض ولا تناقض بين قوله اسكنوا هذه القرية وكلوا منها وبين قوله فكلوا لانهم اذا سكنوا القرية فتسببت سكناهم
للاكل منها فقد جمعوا في الوجود بين سكناها والاكل منها وسواء قدموا الحطة على دخول الباب او اخروها فهم جامعون
في الايجاد بينهما وترك ذكر الرغد لا يناقض اثباته وقوله نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين موعد بشيئين
بالغفران والزيادة وطرح الواو لا يخل بذلك لانه استيناف مرتب على تقدير قول القائل وماذا بعد الغفران فقيل
له سنزيد المحسنين فقيل له سنزيد المحسنين وكذلك زيادة منهم زيادة بيان وارسلنا وانزلنا ويظلمون
ويفسقون من واد واحد وقرئ يغفر لكم خطيئاتكم وتغفر لكم خطاياكم وخطيئتكم على البناء للمفعول
وسئلهم وسل اليهود وقرئ واسألهم وهذا السؤال معناه التقرير والتقريع بقديم كفرهم وتجاوزهم حدود
الله والاعلام بان هذا من علومهم التي لا تعلم الا بكتاب او وحي فاذا اعلمهم به من لم يقرأ كتابهم علموا انه من جهة
الوحي ونظيره همزة الاستفهام التي يراد بها التقرير في قولك اعدوتم في السبت والقرية ايلة وقيل مدين وقيل
طبرية والعرب تسمي المدينة قرية وعن ابي عمرو بن العلاء ما رايت قرويين افصح من الحسن والحجاج يعني رجلين من
اهل المدن حاضرة البحر قريبة منه راكبة لشاطئه اذ يعدون في السبت اذ يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم في
يوم السبت وقد نهوا عنه وقرئ يعدون بمعنى يعتدون ادغمت التاء في الدال ونقلت حركتها الى العين ويعدون
من الاعداد وكانوا يعدون آلات الصيد يوم السبت وهم مامورون بان لا يشتغلوا فيه بغير العبادة والسبت
مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بترك الصيد والاشتغال بالتعبد فمعناه يعدون في تعظيم هذا اليوم
وكذلك قوله يوم سبتهم معناه يوم تعظيمهم امر السبت ويدل عليه قوله ويوم لا يسبتون وقراءة عمر بن عبد
العزيز يوم اسباتهم وقرئ لا يسبتون بضم الياء من اسبتوا وعن الحسن لا يسبتون على البناء للمفعول اي لا
يدار عليهم السبت ولا يؤمرون بان يسبتوا فان قلت اذ يعدون واذ تاتيهم ما محلهما من الاعراب قلت
اما الاول فمجرور بدل من القرية والمراد باهلها كانه قيل واسألهم عن اهل القرية وقت عدوانهم
في السبت وهو من بدل الاشتمال ويجوز ان يكون منصوبا بكانت او بحاضرة واما الثاني فمنصوب بيعدون
ويجوز ان يكون بدلا بعد بدل والحيتان السمك واكثر ما تستعمل العرب الحوت في معنى السمكة شرعا ظاهرة
على وجه الماء وعن الحسن تشرع على ابوابهم كانها الكباش البيض يقال شرع علينا فلان اذا دنا منا واشرف
علينا قال وشرعت على فلان في بيته فرايته يفعل كذا كذلك نبلوهم مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم
بسبب فسقهم واذ قالت معطوف على اذ يعدون وحكمه حكمه في الاعراب امة منهم جماعة من اهل
القرية من صلحائهم الذين ركبوا الصعب والذلول في موعظتهم حتى ايسوا من قبولهم لآخرين كانوا لا يقلعون عن
وعظهم واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم اي مخترمهم ومطهر الارض منهم او معذبهم
عذابا شديدا لتماديهم في الشر وانما قالوا ذلك لعلمهم ان الوعظ لا ينفع فيهم قالوا معذرة الى ربكم اي
موعظتنا ابلاء عذر الى الله ولئلا ننسب في النهي عن المنكر الى بعض التفريط ولعلهم يتقون ولطمعنا في ان

يتقوا بعض الاتقاء وقرئ معذرة بالنصب اي وعظناهم معذرة الى ربكم او اعتذرنا معذرة فلما نسوا يعني اهل القرية
فلما تركوا ما ذكرهم به الصالحون ترك الناسي لما ينساه انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا الراكبين المنكر
فان قلت الامة الذين قالوا لم تعظون من اي الفريقين هم امن فريق الناجين ام المعذبين قلت من فريق الناجين
لانهم من فريق الناهين وما قالوا ما قالوا الا سائلين عن علة الوعظ والغرض فيه حيث لم يروا فيه غرضا صحيحا لعلمهم
بحال القوم واذا علم الناهي حال المنهي وان النهي لا يؤثر فيه سقط عنه النهي وربما وجب الترك لدخوله في
باب العبث الا ترى انك لو ذهبت الى المكاسين القاعدين على المآصر والجلادين المرتبين للتعذيب لتعظهم وتكفهم
عما هم فيه كان ذلك عبثا منك ولم يكن الا سببا للتلهي بك واما الآخرون فانما لم يعرضوا عنهم اما لان ياسهم لم
يستحكم كما استحكم ياس الاولين ولم يخبروهم كخبرهم او لفرط حرصهم وجدهم في امرهم كما وصف الله
رسوله في قوله فلعلك باخع نفسك وقيل الامة هم الموعوظون لما وعظوا قالوا للواعظين لم تعظون منا قوما
تزعمون ان الله مهلكهم او معذبهم وعن ابن عباس انه قال ليت شعري ما فعل بهؤلاء الذين قالوا لم تعظون قوما
قال عكرمة جعلني الله فداك الا ترى انهم كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم فلم ازل
به حتى عرفته انهم قد نجوا وعن الحسن نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين اخذوا الحيتان وروي ان اليهود امروا باليوم الذي امرنا
به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا يوم السبت فابتلوا به وحرم عليهم فيه الصيد وامروا بتعظيمه فكانت الحيتان تاتيهم
يوم السبت شرعا بيضا سمانا كانها المخاض لا يرى الماء من كثرتها ويوم لا يسبتون لا تاتيهم فكانوا كذلك برهة من
الدهر ثم جاءهم ابليس فقال لهم انما نهيتم عن اخذها فاتخذوا حياضا تسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلا تقدر
على الخروج منها وتاخذونها يوم الاحد واخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا الى خشبة في الساحل
ثم شواه يوم الاحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع في تنوره فقال له اني ارى الله سيعذبك فلما لم يره عذب اخذ
في السبت القابل حوتين فلما راوا ان العذاب لا يعاجلهم صادوا واكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحوا من سبعين الفا
فصار اهل القرية اثلاثا ثلث نهوا وكانوا نحوا من اثني عشر الفا وثلث قالوا لم تعظون قوما وثلث هم اصحاب الخطيئة
فلما لم ينتهوا قال المسلمون انا لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عليه السلام
فاصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين احد فقال الناس ان لهم لشانا فعلوا الجدار فنظروا فاذا هم قردة
ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القرود انسابها من الانس والانس لا يعرفون انسابهم من القرود فجعل
القرد ياتي نسيبه فيشم ثيابه ويبكي فيقول الم ننهك فيقول براسه بلى وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير
وعن الحسن اكلوا والله اوخم اكلة اكلها اهلها اثقلها خزيا في الدنيا واطولها عذابا في الآخرة هاه وايم الله ما حوت اخذه
قوم فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدا والساعة ادهى وامر بئيس شديد يقال بؤس
يبؤس باسا اذا اشتد فهو بئيس وقرئ بئس بوزن حذر وبئس على تخفيف العين ونقل حركتها الى الفاء كما يقال كبد في كبد وبيس
على قلب الهمزة ياء كذيب في ذئب وبئس على فعل بكسر الهمزة وفتحها وبيئس بوزن ريس على قلب همزة بئيس
ياء وادغام الياء فيها وبيس على تخفيف بيس كهين في هين وبائس على فاعل فلما عتوا عما نهوا عنه فلما تكبروا عن
ترك ما نهوا عنه كقوله وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة عبارة عن مسخهم قردة كقوله انما امره اذا اراد
شيئا ان يقول له كن فيكون والمعنى ان الله عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم وقيل فلما عتوا تكرير
لقوله فلما نسوا والعذاب البئيس هو المسخ واذ تاذن ربك عزم ربك وهو تفعل من الايذان وهو الاعلام لان العازم
على الامر يحدث نفسه به ويؤذنها بفعله واجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بما يجاب
به القسم وهو قوله ليبعثن والمعنى واذ حتم ربك وكتب على نفسه ليبعثن على اليهود الى يوم القيمة من يسومهم

يوم السبت

و فكانوا يؤدون الجزية إلى المجوس إلى أن بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم
إلى آخر الدهر ومعنى ليبعثن عليهم ليسلطن عليهم كقوله بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد وقطعناهم في
الأرض أمما وفرقناهم فيها فلا يكاد يخلو بلد من فرقة منهم منهم الصالحون الذين آمنوا منهم بالمدينة
أو الذين وراء الصين ومنهم دون ذلك ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه وهم الكفرة
والفسقة فإن قلت ما محل دون ذلك قلت الرفع وهو صفة لموصوف محذوف معناه ومنهم
ناس منحطون عن الصلاح ونحوه وما منا إلا له مقام معلوم بمعنى وما منا أحد إلا له مقام وبلوناهم
بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم ينتهون فينيبون فخلف من بعد المذكورين خلف وهم الذين
كانوا في زمن رسول الله ورثوا الكتاب التوراة بقيت في أيديهم بعد سلفهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها
من الأوامر والنواهي والتحليل والتحريم ولا يعملون بها يأخذون عرض هذا الأدنى أي حطام هذا الشيء
الأدنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها وفي قوله هذا الأدنى تخسيس وتحقير والأدنى إما من الدنو بمعنى القرب
لأنه عاجل قريب وإما من دنو الحال وسقوطها وقلتها والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشى في الأحكام
وعلى تحريف الكلم للتسهيل على العامة ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بما أخذنا والفعل مسند إلى الجار
والمجرور وهو لنا ويجوز أن يكون الأخذ الذي هو مصدر يأخذون وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه الواو
للحال أي يرجون المغفرة وهم مصرون عائدون إلى مثل فعلهم غير تائبين وغفران الذنوب لا يصح إلا
بالتوبة والمصر لا غفران له ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب يعني قوله في التوراة من ارتكب ذنبا عظيما لا
يغفر له إلا بالتوبة ودرسوا ما فيه في الكتاب من اشتراط التوبة في غفران الذنوب والذي عليه المجبرة هو مذهب
اليهود بعينه كما ترى وعن مالك بن دينار رحمه الله يأتي على الناس زمان إن قصروا عما أمروا به قالوا
سيغفر لنا لم نشرك بالله شيئا كل أمرهم إلى الطمع خيارهم فيهم المداهنة فهؤلاء من هذه الأمة أشباه
الذين ذكرهم الله وتلا الآية والدار الآخرة خير من ذلك العرض الخسيس للذين يتقون الرشى ومحارم الله
وقرئ ودارسوا الكتاب وأن لا تقولوا بالتاء وادارسوا بمعنى تدارسوا أفلا تعقلون بالياء والتاء فإن قلت
ما موقع قوله أن لا يقولوا على الله إلا الحق قلت هو عطف بيان لميثاق الكتاب ومعنى ميثاق الكتاب الميثاق
المذكور في الكتاب وفيه أن إثبات المغفرة بغير توبة خروج عن ميثاق الكتاب وافتراء على الله وتقول عليه ما
ليس بحق وإن فسر ميثاق الكتاب بما تقدم ذكره كان أن لا يقولوا مفعولا له ومعناه لئلا يقولوا ويجوز أن
يكون أن مفسرة ولا تقولوا نهيا كأنه قيل ألم يقل لهم لا تقولوا على الله إلا الحق فإن قلت علام
عطف قوله ودرسوا قلت على ألم يؤخذ لأنه تقرير فكأنه قيل أخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه والذين يمسكون بالكتاب فيه وجهان
أحدهما أن يكون مرفوعا بالابتداء وخبره إنا لا نضيع أجر المصلحين والمعنى إنا لا نضيع أجرهم لأن المصلحين
في معنى الذين يمسكون بالكتاب كقوله إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا والثاني أن
يكون مجرورا عطفا على للذين يتقون ويكون قوله إنا لا نضيع اعتراضا وقرئ يمسكون بالتشديد وتنصره قراءة
أبي والذين مسكوا بالكتاب فإن قلت التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة ومنها إقامة الصلاة فكيف أفردت
قلت إظهارا لمزية الصلاة لكونها عماد الدين وفارقة بين الكفر والإيمان وقرأ ابن مسعود والذين
استمسكوا بالكتاب وإذ نتقنا الجبل فوقهم قلعناه ورفعناه كقوله ورفعنا فوقهم الطور ومنه نتق السقاء إذا
نفضه ليقتلع الزبدة منه والظلة كل ما أظلك من سقيفة أو سحاب وقرئ بالطاء من أطل عليه إذا أشرف وظنوا
أنه واقع بهم وعلموا أنه ساقط عليهم وذلك أنهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لغلظها وثقلها فرفع الله الطور

على رؤوسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ وقيل لهم إن قبلتموها بما فيها وإلا ليقعن عليكم فلما نظروا إلى الجبل
خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الأيسر وهو ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا
يسجد إلا على حاجبه الأيسر ويقولون هي السجدة التي رفعت بها عنا العقوبة ولما نشر موسى الألواح وفيها
كتاب الله لم يبق جبل ولا شجر ولا حجر إلا اهتز فلذلك لا ترى يهوديا تقرأ عليه التوراة إلا اهتز وانفض
لها رأسه خذوا ما آتيناكم على إرادة القول أي وقلنا خذوا ما آتيناكم أو قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب
بقوة وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه واذكروا ما فيه من الأوامر والنواهي ولا تنسوه أو واذكروا ما فيه من
التعريض للثواب العظيم والعقاب ويجوز أن يراد خذوا ما آتيناكم من الآية العظيمة بقوة إن كنتم تطيقونه
كقوله إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا واذكروا ما فيه من الدلالة على القدرة الباهرة
والإنذار لعلكم تتقون ما أنتم عليه وقرأ ابن مسعود وتذكروا وقرئ واذكروا بمعنى وتذكروا من ظهورهم
بدل من بني آدم بدل البعض من الكل ومعنى أخذ ذرياتهم من ظهورهم إخراجهم من أصلابهم نسلا وإشهادهم
على أنفسهم وقوله ألست بربكم قالوا بلى شهدنا من باب التمثيل والتخييل ومعنى ذلك أنه نصب لهم الأدلة
على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى
فكأنه أشهدهم على أنفسهم وقررهم وقال لهم ألست بربكم وكأنهم قالوا بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا وأقررنا
بوحدانيتك وباب التمثيل واسع في كلام الله ورسوله وفي كلام العرب ونظيره قوله عز وعلا إنما قولنا
لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين
... إذ ما لنا إلا الاتباع ... الحق قالت له ... ومعلوم أنه لا قول ثم وإنما هو تمثيل وتصوير
للمعنى أن تقولوا مفعول له أي فعلنا ذلك من نصب الأدلة الشاهدة على صحتها العقول كراهة أن تقولوا
يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه أو كراهة أن تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية
من بعدهم فاقتدينا بهم لأن نصب الأدلة على التوحيد وما نبهوا عليه قائم معهم فلا عذر لهم في الإعراض عنه والإقبال
على التقليد والاقتداء بالآباء كما لا عذر لآبائهم في الشرك وأدلة التوحيد منصوبة لهم فإن قلت بنو آدم وذرياتهم
من هم قلت عنى ببني آدم أسلاف اليهود الذين أشركوا بالله حيث قالوا عزير ابن الله وبذرياتهم الذين كانوا
في عهد رسول الله من أخلافهم المقتدين بآبائهم والدليل على أنها في المشركين وأولادهم قوله أو تقولوا إنما أشرك
آباؤنا من قبل والدليل على أنها في اليهود الآيات التي عطفت عليها وهي على نمطها وأسلوبها وذلك
قوله واسألهم عن القرية وإذ قالت أمة منهم وإذ تأذن ربك وإذ نتقنا الجبل فوقهم واتل عليهم نبأ الذي
آتيناه آياتنا أفتهلكنا بما فعل المبطلون أي كانوا السبب في شركنا لتأسيسهم الشرك وتقدمهم فيه وتركه سنة
لنا وكذلك ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل الآيات لهم ولعلهم يرجعون وإرادة أن يرجعوا عن شركهم نفصلها
وقرئ ذريتهم على التوحيد وأن يقولوا بالياء واتل على اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها هو
عالم من علماء بني إسرائيل وقيل من الكنعانيين اسمه بلعم بن باعوراء أوتي علم بعض كتب الله فانسلخ منها من الآيات بأن
كفر بها ونبذها وراء ظهره فأتبعه فلحقه الشيطان وأدركه وصار قرينا له أو فأتبعه خطواته وقرئ
فاتبعه بمعنى فتبعه فكان من الغاوين فصار من الضالين الكافرين روي أن قومه طلبوا إليه أن يدعو على موسى ومن
معه فأبى وقال كيف أدعو على من معه الملائكة فألحوا عليه ولم يزالوا به حتى فعل ولو شئنا لرفعناه بها لعظمناه و
رفعناه إلى منازل الأبرار من العلماء بتلك الآيات ولكنه أخلد إلى الأرض مال إلى الدنيا ورغب فيها وقيل مال إلى
السفالة فإن قلت كيف علق رفعه بمشيئة الله ولم يعلق بفعله الذي يستحق به الرفع قلت المعنى ولو لزم العمل

بالآيات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها وذلك أن مشيئة الله تابعة للزومه الآيات فذكرت المشيئة والمراد ما هي تابعة
له ومسببة عنه كأنه قيل ولو لزمها لرفعناه بها ألا ترى إلى قوله ولكنه أخلد إلى الأرض فاستدرك المشيئة
بإخلاده الذي هو فعله فوجب أن يكون ولو شئنا في معنى ما هو فعله ولو كان الكلام على ظاهره لوجب أن
يقال ولو شئنا لرفعناه بها ولكنا لم نشأ فمثله كمثل الكلب فصفته التي هي مثل في الخسة والضعة كصفة
الكلب في أخس أحواله وأذلها وهي دوام اللهث واتصاله سواء حمل عليه أي شد عليه وهيج فطرد أو
ترك غير متعرض له بالحمل عليه وذلك أن سائر الحيوان لا يكون منه اللهث إلا إذا هيج منه وحرك وإلا لم يلهث
والكلب يتصل لهثه في الحالتين جميعا وكان حق الكلام أن يقال ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض
فحططناه ووضعنا منزلته فوضع قوله فمثله كمثل الكلب موضع فحططناه أبلغ حط لأن تمثيله بالكلب
في أخس أحواله وأذلها في معنى ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنه الكلب منقطع الفؤاد يلهث إن حمل عليه
أو لم يحمل عليه وقيل معناه إن وعظته فهو ضال وإن لم تعظه فهو ضال كالكلب إن طردته فسعى لهث
وإن تركته لهث فإن قلت ما محل الجملة الشرطية قلت النصب على الحال كأنه قيل كمثل الكلب ذليلا
دائم الذلة لاهثا في الحالتين وقيل لما دعا بلعم على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما
يلهث الكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا من اليهود بعدما قرؤوا نعت رسول الله في التوراة وذكر
القرآن المعجز وما فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فاقصص قصص بلعم الذي هو
نحو قصصهم لعلهم يتفكرون فيحذرون مثل عاقبته إذا ساروا نحو سيرته وزاغوا شبه زيغه ويعلمون
أنك علمته من جهة الوحي فيزدادوا إيقانا بك وتزداد الحجة لزوما لهم ساء مثلا القوم أي مثل القوم أو ساء
أصحاب مثل القوم وقرأ الجحدري ساء مثل القوم وأنفسهم كانوا يظلمون إما أن يكون معطوفا على كذبوا
فيدخل في حيز الصلة بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم أنفسهم وإما أن يكون كلاما منقطعا
عن الصلة بمعنى وما ظلموا إلا أنفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول به للاختصاص كأنه قيل وخصوا أنفسهم
بالظلم لم يتعدها إلى غيرها فهو المهتدي حمل على اللفظ فأولئك هم الخاسرون حمل على المعنى كثيرا
من الجن والإنس هم المطبوع على قلوبهم الذين علم الله أنه لا لطف لهم وجعلهم في أنهم لا يلقون أذهانهم
إلى معرفة الحق ولا ينظرون بعيونهم إلى ما خلق الله نظر اعتبار ولا يسمعون ما يتلى عليهم من آيات الله سماع
تدبر كأنهم عدموا فهم القلوب وإبصار العيون وأسماع الآذان وجعلهم لإغراقهم في الكفر وشدة
شكائمهم فيه وأنه لا يأتي منهم إلا أفعال أهل النار مخلوقين للنار دلالة على توغلهم في الموجبات وتمكنهم
فيما يؤهلهم لدخول النار ومنه كتاب عمر رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد بلغني أن أهل الشام اتخذوا
لك دلوكا عجن بخمر وإني لأظنكم آل المغيرة ذرء النار ويقال لمن كان عريقا في بعض الأمور ما خلق فلان
إلا لكذا والمراد وصف حال اليهود في عظم ما أقدموا عليه من تكذيب رسول الله مع علمهم أنه النبي
الموعود وأنهم من جملة الكثير الذين لا يكاد الإيمان يتأتى منهم كأنهم خلقوا للنار أولئك كالأنعام في عدم
الفقه والنظر للاعتبار والاستماع للتدبر بل هم أضل من الأنعام عن الفقه والاعتبار والتدبر أولئك هم الغافلون
الكاملون في الغفلة وقيل الأنعام تبصر منافعها ومضارها فتلزم بعض ما تبصره وهؤلاء أكثرهم يعلم
أنه معاند فيقدم على النار ولله الأسماء الحسنى التي هي أحسن الأسماء لأنها تدل على معان حسنة من
تمجيد وتقديس وغير ذلك فادعوه بها فسموه بتلك الأسماء وذروا الذين يلحدون في أسمائه واتركوا
تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الأسماء الحسنى وذلك أن يسموه بما لا يجوز

يجوز عليه كما سمعنا البدو يقولون بجهلهم يا أبا المكارم يا أبيض الوجه يا سخي أو أن يأبوا تسميته ببعض أسمائه الحسنى
نحو أن يقولوا يا الله ولا يقولوا يا رحمن وقد قال الله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء
الحسنى ويجوز أن يراد ولله الأوصاف الحسنى وهو الوصف بالعدل والخير والإحسان وانتفاء شبه الخلق
فصفوه بها وذروا الذين يلحدون في أوصافه فيصفونه بمشيئة القبائح وخلق الفحشاء والمنكر وبما يدخل في
التشبيه كالرؤية ونحوها وقيل إلحادهم في أسمائه تسميتهم الأصنام آلهة واشتقاقهم اللات والعزى
من العزيز لما قال ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا فأخبر أن كثيرا من الثقلين عاملون بأعمال أهل النار
أتبعه قوله وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول إذا قرأها هذه
لكم وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وعنه عليه السلام إن من أمتي
قوما على الحق حتى ينزل عيسى وعن الكلبي هم الذين آمنوا من أهل الكتاب وقيل هم العلماء والدعاة إلى الدين
الاستدراج استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد أو الاستنزال درجة بعد درجة قال الأعشى
فلو كنت في جب ثمانين قامة ورقيت أسباب السماء بسلم ليستدرجنك القول حتى تهره وتعلم أني عنكم
غير مفحم ومنه درج الصبي إذا قارب بين خطاه وأدرج الكتاب طواه شيئا بعد شيء ودرج القوم مات
بعضهم في إثر بعض ومعنى سنستدرجهم سنستدنيهم قليلا قليلا إلى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من
حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك أن يواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم في الغي فكلما جدد عليهم نعمة
ازدادوا بطرا وجددوا معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم ظانين أن مواترة النعم أثرة من الله
وتقريب وإنما هو خذلان منه وتبعيد فهو استدراج الله نعوذ بالله منه وأملي لهم عطف على سنستدرجهم
وهو داخل في حكم السين إن كيدي متين سماه كيدا لأنه شبيه بالكيد من حيث إنه في الظاهر إحسان وفي
الحقيقة خذلان ما بصاحبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم من جنة من جنون وكانوا يقولون شاعر مجنون
وعن قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم علا الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله فقال قائلهم إن صاحبكم
هذا المجنون بات يهوت إلى الصباح أولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السماوات والأرض فيما
تدلان عليه من عظم الملك والملكوت الملك العظيم وما خلق الله من شيء وفيما خلق الله مما يقع عليه
اسم الشيء من أجناس لا يحصرها العدد ولا يحيط بها الوصف وأن عسى أن مخففة من الثقيلة والأصل وأنه
عسى على أن الضمير ضمير الشأن والمعنى أولم ينظروا في أن الشأن والحديث عسى أن يكون قد اقترب أجلهم
ولعلهم يموتون عما قليل فيسارعوا إلى النظر وطلب الحق وما ينجيهم قبل مغافصة الأجل وحلول العقاب
ويجوز أن يراد باقتراب الأجل اقتراب الساعة ويكون من كان التي فيها ضمير الشأن فإن قلت
بم يتعلق قوله فبأي حديث بعده يؤمنون قلت بقوله عسى أن يكون قد اقترب أجلهم كأنه
قيل لعل أجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الإيمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح
الحق وبأي حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا ويذرهم قرئ بالياء والنون والرفع على الاستئناف وبالياء
والجزم عطفا على محل فلا هادي له كأنه قيل من يضلل الله لا يهده أحد ويذرهم يسألونك قيل إن قوما
من اليهود قالوا يا محمد أخبرنا متى الساعة إن كنت نبيا فإنا نعلم متى هي وكان ذلك امتحانا منهم مع علمهم
أن الله قد استأثر بعلمها وقيل السائلون قريش والساعة من الأسماء الغالبة كالنجم للثريا وسميت القيامة بالساعة
لوقوعها بغتة أو لسرعة حسابها أو على العكس لطولها أو لأنها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق
أيان بمعنى متى وقيل اشتقاقه من أي فعلان منه لأن معناه أي وقت وأي فعل من أويت إليه لأن البعض آوٍ إلى الكل

مُتَسابِقِينَ. قال ابن جني ولا يكون من أين لانه زمان وأين مكان. وقرأ السلمي إيان بكسر الهمزة. مرساها إرساؤها او
وقت إرسائها اي إثباتها وإقرارها، وكل شيء ثقيل رسوه ثباته واستقراره، ومنه رسى الجبل وأرسى السفينة، والمرسى
الانجر الذي ترسى به، ولا اثقل من الساعة بدليل قوله ثقلت في السموات والارض. والمعنى متى يرسيها الله. انما
علمها اي علم وقت إرسائها عنده قد استأثر به لم يخبر به احداً من ملك مقرب ولا نبي مرسل يكاد يخفيها
من نفسه ليكون ذلك ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية كما اخفى الاجل الخاص وهو وقت الموت
لذلك. لا يجليها لوقتها الا هو اي لا تزال خفية لا يظهر امرها ولا يكشف خفاء علمها الا هو وحده اذا جاء
بها في وقتها بغتة لا يجليها بالخبر عنها قبل مجيئها احد من خلقه لاستمرار الخفاء بها على غيره الى وقت
وقوعها. ثقلت في السموات والارض اي كل من اهلها من الملائكة والثقلين اهمه شان الساعة ويوده
ان يتجلى له علمها وشق عليه خفاؤها وثقل عليه او ثقلت فيها لان اهلها يتوقعونها ويخافون شدائدها
واهوالها ولان كل شيء لا يطيقها ولا يقوم لها فهي ثقيلة فيها. لا تأتيكم الا بغتة الا فجأة على غفلة منكم. وعن النبي صلى
الله عليه ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل
يخفض ميزانه ويرفعه. كأنك حفي عنها كأنك عالم بها وحقيقته كأنك بليغ في السؤال عنها لان من بالغ
في المسألة عن الشيء والتنقير عنه استحكم علمه فيه ورصن فيه، وهذا التركيب معناه المبالغة، ومنه إحفاء الشارب
واحتفاء البقل استئصاله، والحفي في المسألة اذا الحف، وحفي بفلان وتحفى به بالغ في البر به. وعن مجاهد استحفيت
عنها السؤال حتى علمت. وقرأ ابن مسعود كأنك حفي بها اي عالم بها. وقيل عنها متعلق بيسألونك اي
يسألونك عنها كأنك حفي اي عالم بها. وقيل ان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة، فقيل
يسألونك عنها كأنك حفي تتحفى بهم فتختصهم بتعليم وقتها لاجل القرابة وتزوي علمها عن غيرهم، ولو اخبرت
بوقتها لمصلحة عرفها الله في اخبارك به لكنت مبلغه القريب والبعيد من غير تخصيص كسائر ما اوحي اليك.
وقيل كأنك حفي بالسؤال عنها تحبه فتؤثره يعني انك تكره السؤال عنها لانه من علم الغيب الذي استأثر الله به ولم
يؤته احداً من خلقه. **فان قلت** لم كرر يسألونك وانما علمها عند الله. **قلت** للتأكيد ولما جاء به
من زيادة قوله كأنك حفي عنها، وعلى هذا تكرير العلماء الحذاق في كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة زائدة،
منهم محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة رحمه الله. ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه العالم بها وانه المختص بالعلم بها.
قل لا املك لنفسي هو اظهار للعبودية والانتفاء عما يختص بالربوبية من علم الغيب اي انا عبد ضعيف لا املك
لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضرر كالمماليك والعبيد الا ما شاء ربي ومالكي من النفع لي والدفع عني. ولو
كنت اعلم الغيب لكانت حالي على خلاف ما هي عليه من استكثار الخير واستغزار المنافع واجتناب السوء والمضار حتى
لا يمسني شيء منها، ولم اكن غالبا مرة ومغلوبا اخرى في الحروب، ورابحا وخاسرا في التجارات، ومصيبا ومخطئا
في التدابير. ان انا الا عبد ارسلت نذيرا وبشيرا وما من شأني ان اعلم الغيب. **لقوم يؤمنون** يجوز ان يتعلق
بالنذير والبشير جميعا لان النذارة والبشارة انما ينفعان فيهم، او يتعلق بالبشير وحده ويكون المتعلق بالنذير محذوفا
اي الا نذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون. من نفس واحدة وهي نفس آدم. **وجعل منها زوجها** وهي حواء خلقها من جسد
آدم من ضلع من اضلاعه او من جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا. ليسكن اليها ليطمئن اليها ويميل ولا ينفر
لان الجنس الى الجنس اميل وبه آنس، واذا كانت بعضا منه كان السكون والمحبة ابلغ كما يسكن الانسان الى ولده ويحبه
محبة نفسه لكونه بضعة منه. وقال ليسكن فذكر بعد ما انث في **قوله** واحدة منها وزوجها ذهابا الى معنى النفس
ليبين ان المراد بها آدم، ولان الذكر هو الذي يسكن الى الانثى ويتغشاها، فكان التذكير احسن طباقا للمعنى. والتغشي

كناية عن الجماع وكذلك الغشيان والاتيان. حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما يلقى بعض الحبالى
من حملهن من الكرب والاذى ولم تستثقله كما يستثقلنه، وقد تسمع بعضهن تقول في ولدها ما كان اخفه
علي كبدي حين حملته. **فمرت به** فمضت به الى وقت ميلاده من غير اخداج ولا ازلاق. وقيل حملت حملا
خفيفا يعني النطفة. فمرت به فقامت به وقعدت. وقرأ ابن عباس فاستمرت به. وقرأ يحيى بن يعمر فمرت
به بالتخفيف. وقرئ فمارت به من المرية كقوله افتمارونه وافتمرونه، ومعناه فوقع في نفسها ظن الحمل
وارتابت به. فلما اثقلت حان وقت ثقل حملها كقولك اقربت، وقرئ اثقلت على البناء للمفعول اي اثقلها
الحمل. دعوا الله ربهما دعا آدم وحواء ربهما ومالك امرهما الذي هو الحقيق بان يدعى ويلتجأ اليه. **فقالا
لئن آتيتنا** لئن وهبت لنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه وبرئ. وقيل ولدا ذكرا لان الذكورة من الصلاح
والجودة. والضمير في آتيتنا ولنكونن لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما. فلما آتاهما ما طلباه من الولد الصالح
السوي جعلا له شركاء اي جعل اولادهما له شركاء على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه، وكذلك
فيما آتاهما اي آتى اولادهما، وقد دل على ذلك بقوله فتعالى الله عما يشركون حيث جمع الضمير، وآدم وحواء
بريئان من الشرك، ومعنى اشراكهم فيما آتاهم الله تسميتهم اولادهم بعبد العزى وعبد مناة وعبد شمس وما
اشبه ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم. ووجه آخر وهو ان يكون الخطاب لقريش الذين كانوا
في عهد رسول الله وهم آل قصي، الا ترى الى قوله في قصة ام معبد: فيا لقصي ما زوى الله عنكم به من
فخار لا يبارى وسودد. ويراد هو الذي خلقكم من نفس واحدة قصي وجعل من جنسها زوجها عربية
قرشية ليسكن اليها. **فلما آتاهما ما طلبا** من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء فيما آتاهما حيث سميا اولادهما
الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار، وجعل الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما الذين اقتدوا
بهما في الشرك. وهذا تفسير حسن لا اشكال فيه. وقرئ شركا اي ذوي شرك وهم الشركاء، او احدثا لله اشراكا
في الولد. ايشركون الاصنام اجرى اولي العلم في قوله وهم يخلقون بناء على اعتقادهم فيها وتسميتهم اياها آلهة. والمعنى
ايشركون ما لا يقدر على خلق شيء كما يخلق الله وهم يخلقون لان الله خالقهم، او لا يقدر على اختلاق شيء لانه جماد
وهم يخلقون لان عبدتهم يختلقونهم فهم اعجز من عبدتهم. **ولا يستطيعون لهم** لعبدتهم نصرا ولا انفسهم
ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها من الحوادث، بل عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم ويحامون عليهم.
وان تدعوهم وان تدعوا هذه الاصنام الى الهدى اي الى ما هو هدى ورشاد، والى ان يهدوكم، والمعنى
وان تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى لا يتبعوكم الى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم
كما يجيبكم الله، ويدل عليه قوله فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين. سواء عليكم ادعوتموهم
ام انتم صامتون عن دعائهم في انه لا فلاح معهم. **فان قلت** هلا قيل ام صمتم ولم وضعت الجملة الاسمية موضع
الفعلية. **قلت** لانهم كانوا اذا حزبهم امر دعوا الله دون اصنامهم كقوله واذا مس الناس ضر
دعوا ربهم، فكانت حالهم المستمرة ان يكونوا صامتين عن دعوتهم. فقيل ان دعوتموهم لم تفترق الحال بين
احداثكم دعاءهم وبين ما انتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم. **ان الذين تدعون من دون الله** اي
تعبدونهم وتسمونهم آلهة من دون الله عباد امثالكم. **وقوله** عباد امثالكم استهزاء بهم اي قصارى حالهم
ان يكونوا احياء عقلاء، فان ثبت ذلك فهم عباد امثالكم لا تفاضل بينكم، ثم ابطل ان يكونوا عبادا امثالهم
فقال الهم ارجل يمشون بها. وقيل عبادا امثالكم مملوكون امثالكم. وقرأ سعيد بن جبير ان الذين تدعون
من دون الله عبادا امثالكم بتخفيف ان والمعنى ما الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم على اعمال

ان الثانيه عسى ان تكون الجاريه قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون جميعا انتم وشركاؤكم
فلا تنظرون فاني لا ابالي بكم ولا يقول هذا الا واثق بعصمة الله وكانوا قد خوفوه آلهتهم فامر ان يخاطبهم
بذلك كما قال قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء فقال لهم اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني
جميعا ثم لا تنظرون ان وليي الله ان ناصري عليكم الله الذي نزل الكتاب الذي اوحى الي كتابه واعزني برسالته وهو
يتولى الصالحين ومن عادته ان ينصر الصالحين من عباده وانبيائه ولا يخذلهم ينظرون اليك يشبهون
الناظرين اليك لانهم صوروا اصنامهم بصورة من قلب حدقته الى الشيء ينظر اليه وهم لا يبصرون
وهم لا يدركون المرئي العفو ضد الجهد اي خذ ما عفا لك من افعال الناس واخلاقهم وما اتى منهم
وتسهل من غير كلفة ولا تداقهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا كقوله عليه
السلام يسروا ولا تعسروا قال خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين اغضب
وقيل خذ الفضل وما تسهل من صدقاتهم وذلك قبل نزول آية الزكاة فلما نزلت امر ان ياخذهم بها طوعا
او كرها والعرف المعروف والجميل من الافعال واعرض عن الجاهلين ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم
ولا تمارهم واحلم عنهم واغض على ما يسوؤك منهم وقيل لما نزلت الآية سأل جبريل فقال لا ادري حتى اسأل
ثم رجع فقال يا محمد ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن
جعفر الصادق عليه السلام امر الله نبيه بمكارم الاخلاق منها واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله
ولا تطعه والنزغ والنسغ الغرز والنخس كانه ينخس الناس حين يغريهم على المعاصي وجعل النزغ نازغا
كما قيل جد جده وروي انه لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه كيف يا رب والغضب فنزل واما ينزغنك
ويجوز ان يراد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب كقول ابي بكر رضي الله عنه ان لي شيطانا يعتريني طيف
من الشيطان لمة مصدر من قولهم طاف به الخيال يطيف طيفا او هو تخفيف طيف فيعل من طاف
يطيف كلين او من طاف يطوف وقرئ طائف وهو يحتمل الامرين وهذا تاكيد وتقرير لما تقدم من
وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وان المتقين هذه عادتهم اذا اصابهم ادنى نزغ من الشيطان والمام
بوسوسته تذكروا ما امر الله به ونهى عنه فابصروا السداد ودفعوا ما وسوس به اليهم ولم يتبعوه انفسهم
واما اخوان الشياطين الذين ليسوا بمتقين فان الشياطين يمدونهم في الغي اي يكونون مددا لهم فيه
ويعضدونهم وقرئ يمدونهم من الامداد ويمادونهم بمعنى يعاونونهم ثم لا يقصرون ثم لا يمسكون عن
اغوائهم حتى يصروا ولا يرجعوا وقوله واخوانهم يمدونهم كقوله • قوم اذا الخيل جالوا في كواثبها
في ان الخبر جار على غير ما هو له ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير المتعلق به الى الجاهلين
فيكون الخبر جاريا على ما هو له والاول اوجه لان اخوانهم في مقابلة الذين اتقوا فان قلت لم
جمع الضمير في اخوانهم والشيطان مفرد قلت المراد به الجنس كقوله اولياؤهم الطاغوت
لاجتبيتها اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه اي جمعه كقولك اجتمعه او جبي اليه فاجتباه اي اخذه كقولك
جليت اليه العروس فاجتلاها والمعنى هلا اجتبيتها هلا اجتمعتها افتعالا من عند نفسك لانهم كانوا يقولون
ان هذا الا افك مفترى او هلا اخذتها منزلة عليك مقترحة قل انما اتبع ما يوحى الي ولست بمفتعل للآيات
او لست بمقترح لها هذا بصائر هذا القرآن بصائر من ربكم اي حجج بينة يعود المؤمنون بها بصراء بعد العمى
او هو بمنزلة بصائر القلوب واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا ظاهره وجوب الاستماع والانصات
وقت قراءة القرآن في صلاة وغير صلاة وقيل كانوا يتكلمون في الصلاة فنزلت ثم صار سنة في غير الصلاة

ان ينصت القوم اذا كانوا في مجلس يقرأ فيه القرآن وقيل معناه واذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا
له وقيل معنى فاستمعوا له فاعملوا بما فيه ولا تجاوزوه واذكر ربك في نفسك هو عام في الاذكار من قراءة
القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا ودون الجهر ومتكلما
كلاما دون الجهر لان الاخفاء ادخل في الاخلاص واقرب الى حسن التفكر بالغدو والآصال لفضل
هذين الوقتين او اراد الدوام ومعنى بالغدو باوقات الغدو وهي الغدوات وقرئ والايصال من آصل اذا دخل في
الاصيل كاقصر واعتم وهو مطابق للغدو ولا تكن من الغافلين من الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون
عنه ان الذين عند ربك هم الملائكة صلوات الله عليهم ومعنى عند دنو الزلفة والقرب من
رحمة الله وفضله لتوفرهم على طاعته وابتغاء مرضاته وله يسجدون ويخصونه بالعبادة لا يشركون
به غيره وهو تعريض بمن سواهم من المكلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعراف جعل
الله يوم القيمة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيمة ٥

سورة الانفال مدنية ست وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

النفل الغنيمة لانها من فضل الله وعطائه قال لبيد ان تقوى ربنا خير نفل والنفل ما ينفله
الغازي اي يعطاه زائدا على سهمه من المغنم وهو ان يقول الامام تحريضا على البلاء في الحرب من قتل قتيلا فله
سلبه او قال لسرية ما اصبتم فهو لكم او فلكم نصفه او ربعه ولا يخمس النفل ويلزم الامام الوفاء بما
وعد منه وعند الشافعي في احد قوليه لا يلزم ولقد وقع الاختلاف بين المسلمين في غنائم بدر وفي قسمتها فسألوا
رسول الله كيف تقسم ولمن الحكم في قسمتها اللمهاجرين ام للانصار ام لهم جميعا فقيل لهم هي لرسول
الله وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها كيف شاء ليس لاحد فيها حكم وقيل شرط لمن كان له بلاء
في ذلك اليوم ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين فلما يسر الله الفتح اختلفوا فيما بينهم
وتنازعوا فقال الشبان نحن المقاتلون وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة
تنحازون اليها ان انهزمتم وقالوا لرسول الله المغنم قليل والناس كثير وان تعط هؤلاء ما شرطت لهم
حرمت اصحابك فنزلت وعن سعد بن ابي وقاص قتل اخي عمير يوم بدر فقتلت به سعيد بن العاص واخذت
سيفه فاعجبني فجئت به الى رسول الله فقلت ان الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف
فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت
الا قليلا حتى جاءني رسول الله وقد انزلت سورة الانفال فقال يا سعد انك سألتني السيف وليس لي وانه الآن
قد صار لي فاذهب فخذه وعن عبادة بن الصامت نزلت فينا يا معشر اصحاب بدر حين اختلفنا في النفل
وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا وجعله لرسول الله فقسمه على المسلمين على السواء وكان في ذلك
تقوى الله وطاعة رسوله واصلاح ذات البين • وقرأ ابن محيصن يسئلونك علنفال بحذف الهمزة والقاء
حركتها على اللام وادغام نون عن في اللام • وقرأ ابن مسعود يسألونك الانفال اي يسألك الشبان ما شرطت
لهم من الانفال فان قلت ما معنى الجمع بين ذكر الله والرسول في قوله قل الانفال لله والرسول
قلت معناه ان حكمها مختص بالله ورسوله يأمر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمتثل الرسول
امر الله فيها وليس الامر في قسمتها مفوضا الى رأي احد والمراد ان الذي اقتضته حكمة الله وامر به
رسوله ان يواسي المقاتلة المشروط لهم التنفيل الشيوخ الذين كانوا عند الرايات فيقاسموهم على السوية
ولا يستأثروا بما شرط لهم فانهم ان فعلوا لم يؤمن ان يقدح ذلك فيما بين المسلمين من التحاب والتصافي

فاتقوا الله في الاختلاف والتخاصم وكونوا متحدين متآخين في الله واصلحوا ذات بينكم وتآسوا وتساعدوا
فيما رزقكم الله وتفضل به عليكم • وعن عطاء كان الاصلاح بينهم ان دعاهم وقال اقسموا غنائمكم
بالعدل فقالوا قد اكلنا وانفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض فان قلت ما حقيقة قوله ذات بينكم
قلت احوال بينكم يعني ما بينكم من الاحوال حتى تكون احوال الفة ومحبة واتفاق كقوله بذات
الصدور وهي مضمراتها لما كانت الاحوال ملابسة للبين قيل لها ذات البين كقولهم اسقني ذا
انائك يريدون ما في انائك من الشراب وقد جعل التقوى واصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله
من لوازم الايمان وموجباته ليعلمهم ان كمال الايمان موقوف على التوفر عليها ومعنى قوله ان كنتم
مؤمنين ان كنتم كاملي الايمان واللام في قوله انما المؤمنون اشارة اليهم اي انما الكاملوا الايمان الذين من
صفتهم كيت وكيت والدليل عليه قوله اولئك هم المؤمنون حقا وجلت قلوبهم فزعت وعن ام الدرداء
الوجل في القلب كاحتراق السعفة اما تجد له قشعريرة قال بلى قال فادع الله فان الدعاء يذهبه يعني فزعت
لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وعزه وسلطانه وبطشه بالعصاة وعقابه وهذا الذكر خلاف
الذكر في قوله ثم تلين قلوبهم وجلودهم الى ذكر الله لان ذلك ذكر رحمته ورأفته وثوابه وقيل
هو الرجل يريد ان يظلم او يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة نحو وبق
في وبق وقرأ عبد الله فرقت زادتهم ايمانا ازدادوا بها يقينا وطمأنينة نفس لان تظاهر الادلة اقوى للمدلول
عليه واثبت لقدمه وقد حمل على زيادة العمل وعن ابي هريرة الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا اله
الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان وعن عمر بن عبد العزيز ان للايمان سننا وفرائض
وشرائع فمن استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان وعلى ربهم يتوكلون ولا يفوضون امورهم الى غير ربهم
لا يخشون ولا يرجون الا اياه جمع بين اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل وبين اعمال الجوارح من الصلاة
والصدقة حقا صفة للمصدر المحذوف اي اولئك هم المؤمنون ايمانا حقا او هو مصدر مؤكد للجملة التي هي اولئك هم المؤمنون كقولك هو عبد الله حقا اي حق ذلك حقا
وعن الحسن ان رجلا سأله امؤمن انت قال الايمان ايمانان فان كنت تسألني عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله
واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا مؤمن وان كنت تسألني عن قوله انما المؤمنون فوالله لا ادري امنهم
انا ام لا وعن الثوري من زعم انه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد انه من اهل الجنة فقد آمن بنصف الآية وهذا الزام
منه يعني كما لا يقطع بانه من اهل ثواب المؤمنين حقا فلا يقطع بانه مؤمن حقا وبهذا تعلق من يستثني في الايمان وكان ابو
حنيفة ممن لا يستثني فيه وحكي عنه انه قال لقتادة لم تستثني في ايمانك قال اتباعا لابراهيم في قوله والذي اطمع
ان يغفر لي خطيئتي فقال له هلا اقتديت به في قوله اولم تؤمن قال بلى درجات شرف وكرامة وعلو منزلة
ومغفرة وتجاوز لسيئاتهم ورزق كريم نعيم الجنة يعني لهم منافع حسنة دائمة على سبيل التعظيم وهذا معنى الثواب
كما اخرجك ربك فيه وجهان احدهما ان يرتفع محل الكاف على انه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه
الحال كحال اخراجك يعني ان حالهم في كراهة ما رأيت من تنفيل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجك للحرب والثاني
ينتصب على انه صفة مصدر الفعل المقدر في قوله الانفال لله والرسول اي الانفال استقرت لله والرسول وثبتت
مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك وهم كارهون ومن بيتك يريد بيته بالمدينة او المدينة نفسها
لانها مهاجره ومسكنه فهي في اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه بالحق اي اخراجا ملتبسا بالحكمة والصواب
الذي لا محيد عنه وان فريقا من المؤمنين لكارهون في موضع الحال اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان عير
قريش اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام

فاخبر جبريل رسول الله فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ اهل
مكة خبر خروجهم فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم
ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت اخت العباس ابن عبد المطلب رؤيا فقالت لاخيها اني
رأيت البارحة عجبا رأيت كأن ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة
الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال ابو جهل ما ترضى رجالهم ان يتنبؤوا حتى تتنبأ نساؤهم
فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم النفير في المثل السائر لا في العير ولا في النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل
ونجت فارجع الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف
ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وان محمدا لم يصب العير وانا قد اعضضناه فمضى بهم الى بدر وبدر ماء
كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما في السنة ونزل جبريل فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى
الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه اصحابه وقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من
مكة على كل صعب وذلول فالعير احب اليكم ام النفير قالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو فتغير
وجه رسول الله ثم ردد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول
الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبي صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فاحسنا
ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم
قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك الله فانا معك حيث ما احببت لا نقول لك كما قال بنو
اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون
ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا له حين
بايعوه انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه آباءنا
ونساءنا فكان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لا تكون الانصار ترى عليهم نصرته الا على عدو
دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك
وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما
اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره
ان تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على
بركة الله ففرح رسول الله ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله وعدني احدى الطائفتين
والله لكأني الآن انظر الى مصارع القوم وروي انه قيل لرسول الله حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شيء
فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له النبي صلى الله عليه لم قال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد
اعطاك ما وعدك وكانت الكراهة من بعضهم لقوله • وان فريقا من المؤمنين • والحق الذي جادلوا فيه
تلقي رسول الله النفير لايثارهم عليه تلقي العير بعد ما تبين بعد اعلام رسول الله بانهم منصورون وجدالهم
قولهم ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتأهب وذلك لكراهتهم القتال ثم شبه حالهم
في فرط فزعهم ورعبهم وهم يسار بهم الى الظفر والغنيمة بحال من يعتل الى القتل ويساق على الصغار الى الموت
المتيقن وهو مشاهد لاسبابه ناظر اليها لا يشك فيها وقيل كان خوفهم لقلة العدد وانهم كانوا رجالة
ويروى انه ما كان فيهم الا فارسان اذ منصوب باضمار اذكروا وانها لكم بدل من احدى الطائفتين والطائفتان
العير والنفير وغير ذات الشوكة • العير لانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا • والشوكة كانت في النفير

مرهم وعددتهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويقال شوك القنا لشباها ومنه قولهم
شائك السلاح اي تتمنون ان تكون لكم العير لانها الطائفة التي لا حدة لها ولا شدة ولا تريدون الطائفة الاخرى
ان يحق الحق ان يثبته ويعليه بكلماته بآياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة وبما امر الملائكة من نزولهم للنصرة
وبما قضى من اسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر والدابر الآخر فاعل من دبر اذا ادبر ومنه دابرة الطائر
وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال يعني انكم تريدون الفائدة العاجلة وسفساف الامور وان لا تلقوا ما يرزاكم
في ابدانكم واحوالكم والله عز وعلا يريد معالي الامور وما يرجع الى عمارة الدين ونصرة الحق وعلو الكلمة
والفوز في الدارين وشتان ما بين المرادين ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم
وغلب كثرتهم بقلتكم واعزكم واذلهم وحصل لكم ما لا تعارض ادناه العير وما فيها وقرئ بكلمته على
التوحيد **فان قلت** بم تعلق ليحق الحق **قلت** بمحذوف تقديره ليحق الحق ويبطل الباطل فعل
ذلك ما فعله الا لهما وهو اثبات الاسلام واظهاره وابطال الكفر ومحقه **فان قلت** اليس هذا
تكريرا **قلت** لا لان المعنيين متباينان وذلك ان الاول تمييز بين الارادتين وهذا بيان لغرضه
فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم عليها وانه ما نصرهم وخذل اولئك الا لهذا
الغرض الذي هو سيد الاغراض ويجب ان يقدر المحذوف متأخرا حتى يفيد معنى الاختصاص وينطبق عليه
المعنى وقيل قد تعلق بيقطع **فان قلت** بم يتعلق اذ تستغيثون **قلت** هو بدل من اذ يعدكم
وقيل بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم انهم لما علموا انه لا بد من القتال طفقوا يدعون الله يقولون
اي رب انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين اغثنا وعن عمر رضي الله عنه ان رسول الله نظر الى المشركين
وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان
تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فاخذه ابو بكر فالقاه على منكبه والتزمه
من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك **اني ممدكم** اصله باني ممدكم
فحذف الجار وسلط عليه استجاب فنصب محله وعن ابي عمرو انه قرئ اني ممدكم بالكسر على ارادة القول او
على اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول **فان قلت** هل قاتلت الملائكة يوم بدر **قلت**
اختلف فيه فقيل نزل جبريل في خمسمائة ملك على الميمنة وفيها ابو بكر وميكائيل في خمسمائة على الميسرة وفيها
علي بن ابي طالب في صور الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد ارخوا اذنابها بين اكتافهم فقاتلت وقيل
قاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوم الاحزاب ويوم حنين وعن ابي جهل انه قال لابن مسعود من اين كان ذلك
الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى شخصا قال من الملائكة فقال ابو جهل هم غلبونا لا انتم وروي ان رجلا
من المسلمين بينا هو يشتد في اثر رجل من المشركين اذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر الى المشرك قد خر
مستلقيا وشق وجهه فحدث الانصاري رسول الله فقال صدقت ذاك من مدد السماء وعن ابي داود المازني
تبعت رجلا من المشركين لاضربه يوم بدر فوقع راسه بين يدي قبل ان يصل اليه سيفي وقيل لم يقاتلوا
وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين والا فملك واحد كاف في اهلاك اهل الدنيا كلهم
فان جبريل اهلك بريشة من جناحه مدائن قوم لوط واهلك بلاد ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة وقرئ
مردفين بكسر الدال وفتحها من قولك ردفه اذا تبعه ومنه قوله تعالى ردف لكم بعض الذي تستعجلون بمعنى
ردفكم وأردفته اذا جئت بعده فلا يخلو المكسور الدال من ان يكون بمعنى متبعين او متبعين فان كان بمعنى
متبعين فلا يخلو من ان يكون بمعنى متبعين بعضهم بعضا او متبعين بعضهم لبعض او بمعنى متبعين اياهم ه
... اردفته كقولك اتبعته

امنة

المؤمنين اي يقدمونهم يتبعونهم او متبعين لهم يتبعونهم ويتقدمونهم بين ايديهم وهم على ساقتهم ليكونوا
على اعينهم وحفظهم او بمعنى متبعين انفسهم ملائكة آخرين او متبعين غيرهم من الملائكة ويعضد هذا الوجه
قوله تعالى في سورة آل عمران بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين وبخمسة آلاف من الملائكة مسومين ومن قرأ
مردفين بفتح الدال فهو بمعنى متبعين او متبعين وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها وتشديد الدال واصله مرتدفين
اي مرتدفين او متبعين من ارتدفه فادغمت تاء الافتعال في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او على اتباع الميم وعن
السدي بآلاف من الملائكة على الجمع ليوافق ما في سورة آل عمران **فان قلت** فبم يعتذر لمن قرأ على التوحيد
ولم يفسر المردفين بإرداف الملائكة ملائكة اخرين والمردفين بارتدافهم غيرهم **قلت** بان المراد بالالف من قاتل منهم
او الوجوه منهم الذين من سواهم اتباع لهم **فان قلت** الام يرجع الضمير في وما جعله **قلت** الى قوله
اني ممدكم لان المعنى فاستجاب لكم بامدادكم **فان قلت** ففيمن قرأ بالكسر **قلت** الى قوله اني
ممدكم لانه مفعول القول المضمر فهو في معنى القول ويجوز ان يرجع الى الامداد الذي يدل عليه ممدكم
الا بشرى الا بشارة لكم بالنصرة كالسكينة لبني اسرائيل يعني انكم استغثتم وتضرعتم لقلتكم وذلتكم
فكان الامداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر وتسكينا منكم وربطا على قلوبكم **وما النصر الا من عند
الله** يريد ولا تحسبوا النصر من الملائكة فان الناصر هو الله لكم وللملائكة او وما النصر بالملائكة وغيرهم
من الاسباب الا من عند الله والمنصور من نصره الله **اذ يغشيكم النعاس** بدل ثان من اذ يعدكم او
منصوب بالنصر او بما في عند الله من معنى الفعل او بما جعله الله او باضمار اذكر وقرئ يغشيكم بالتخفيف والتشديد
ونصب النعاس والضمير لله عز وجل وامنة مفعول له **فان قلت** اما وجب ان يكون فاعل الفعل المعلل
والعلة واحدا **قلت** بلى ولكن لما كان معنى يغشاكم النعاس تنعسون انتصب امنة على ان النعاس والامنة
لهم والمعنى اذ تنعسون امنة بمعنى امنا اي لامنكم ومنه صفة لها اي امنة حاصلة لكم من الله **فان قلت**
فعلى غير هذه القراءة **قلت** يجوز ان يكون الامنة بمعنى الايمان اي ينعسكم ايمانا امنة او على يغشيكم النعاس
فتنعسون امنا **فان قلت** هل يجوز ان ينتصب على ان الامنة للنعاس الذي هو فاعل يغشاكم اي يغشاكم
النعاس لامنه على ان اسناد الامن الى النعاس اسناد مجازي وهو لاصحاب النعاس على الحقيقة او على انه انامكم
في وقت كان من حق النعاس في مثل ذلك الوقت المخوف ان لا يقدم على غشيانكم وانما غشيكم امنة حاصلة له من
الله لولاها لم يغشكم على طريقة التمثيل والتخييل **قلت** لا تبعد فصاحة القرآن عن احتماله وله فيه نظائر
وقد الم به من قال يهاب النوم ان يغشى عيونا تهابك فهو نفار شرود وقرئ امنة بسكون الميم ونظير
امن امنة حي حياة ونحو امن امنة رحم رحمة والمعنى ان ما كان بهم من الخوف كان يمنعهم من النوم فلما
طامن الله قلوبهم وامنهم رقدوا وعن ابن عباس النعاس في القتال امنة من الله وفي الصلاة وسوسة من
الشيطان وينزل قرئ بالتخفيف والتثقيل وقرئ الشعبي ما ليطهركم به قال ابن جني ما موصولة وصلتها حرف
الجر بما جره فكانه قال ما للطهور ورجز الشيطان وسوسته اليهم وتخويفه اياهم من العطش وقيل
الجنابة لانها من تخييله وقرئ رجس الشيطان وذلك ان ابليس تمثل لهم وكان المشركون قد سبقوهم الى الماء
ونزل المؤمنون في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم فقال لهم انتم يا اصحاب
محمد تزعمون انكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على حق ما غلبكم هؤلاء
على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع العطش رقابكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا
بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا واشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذ رسول الله

صلى الله عليه واصحابه الحياض على عدوة الوادى وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤا وتلبد الرمل الذى كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس والضمير فى به للماء ويجوز ان يكون للربط لان القلب اذا تمكن فيه الصبر والجرأة ثبتت القدم فى مواطن القتال **اذ يوحى** يجوز ان يكون بدلا ثانيا من اذ يعدكم وان ينتصب بيثبت انى معكم مفعول يوحى وقرئ انى بالكسر على ارادة القول او على اجراء يوحى مجرى يقول كقوله انى معكم ممدكم والمعنى انى معكم على التثبيت فثبتوهم **وقوله** سالقى فاضربوا يجوز ان يكون تفسيرا لقوله انى معكم فثبتوا ولا معونة اعظم من القاء الرعب فى قلوب الكفرة ولا تثبيت ابلغ من ضرب اعناقهم واجتماعهما غاية النصر ويجوز ان يكون غير تفسير وان يراد بالتثبيت ان يخطروا ببالهم ما تقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم فى القتال وان يظهروا ما يتيقنون به انهم ممدون بالملائكة وقيل كان الملك يتشبه بالرجل الذى يعرفون وجهه فياتى فيقول انى سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشى بين الصفين فيقول ابشروا فان الله ناصركم لانكم تعبدونه وهؤلاء لا يعبدونه وقرئ الرعب بالتثقيل **فوق الاعناق** اراد اعالى الاعناق التى هى المذابح لانها مفاصل فكان ايقاع الضرب فيها حزا او تطييرا للرؤس وقيل اراد الرؤس لانها فوق الاعناق يعنى ضرب الهام قال

واضرب هامة البطل المشيح

وقال

غشيته وهو فى جأواء باسلة عضبا اصاب سواء الراس فانفلقا

والبنان الاصابع يريد الاطراف والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى لان الضرب اما واقع على مقتل او غير مقتل فامرهم ان يجمعوا عليهم النوعين معا ويجوز ان يكون قوله سالقى الى قوله كل بنان عقيب قوله فثبتوا الذين آمنوا تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به كانه قال قولوا لهم قولى سالقى فى قلوب الذين كفروا الرعب او كانهم قالوا كيف نثبتهم فقيل قولوا لهم قولى سالقى فالضاربون على هذا هم المؤمنون ذلك اشارة الى ما اصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل ومحله الرفع على الابتداء وبانهم خبره اى ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم والمشاقة مشتقة من الشق لان كلا المتعاديين فى شق خلاف شق صاحبه وسئلت فى المنام عن اشتقاق المعاداة فقلت لان هذا فى عدوة كما قيل المخاصمة والمشاقة لان هذا فى خصم اى جانب وذلك فى خصم وهذا فى شق وذاك فى شق والكاف فى ذلك لخطاب الرسول او لخطاب كل احد **وفى ذلكم** للكفرة على طريقة الالتفات ومحل ذلكم الرفع على ذلكم العقاب او العقاب ذلكم فذوقوه ويجوز ان يكون نصبا على عليكم **ذلكم فذوقوه** كقولك زيدا فاضربه **وان للكافرين** عطف على ذلكم فى وجهيه او نصب على ان الواو بمعنى مع والمعنى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذى لكم فى الآخرة فوضع الظاهر موضع المضمر وقرأ الحسن وان للكافرين بالكسر **زحفا** حال من الذين كفروا والزحف الجيش الدهم الذى يرى لكثرته كانه يزحف اى يدب دبيبا من زحف الصبى اذا دب على استه قليلا قليلا سمى بالمصدر والجمع زحوف والمعنى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وانتم قليل فلا تفروا فضلا ان تدانوهم فى العدد او تساووهم او حال من الفريقين اى اذا لقيتموهم متزاحفين هم وانتم او حال من المؤمنين كانهم اشعروا بما كان سيكون منهم يوم حنين حين تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر الفا وتقدمة نهى لهم عن الفرار يومئذ وفى قوله ومن يولهم يومئذ امارة عليه **الا متحرفا لقتال** هو الكر بعد الفر يخيل عدوه انه منهزم ثم يعطف عليه وهو باب من خدع الحرب ومكايدها **او متحيزا** او منحازا الى فئة الى جماعة اخرى من المسلمين سوى الفئة التى هو فيها وعن ابن عمر رضى الله عنه خرجت سرية وانا فيهم ففروا فلما رجعوا الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانهزم رجل من القادسية فاتى المدينة الى عمر رضى الله عنه فقال هلكت فررت من الزحف فقال عمر انا فئتك وعن ابن عباس ان الفرار من الزحف من اكبر

الكبائر

الكبائر **فان قلت** بم انتصب الا متحرفا **قلت** على الحال والا لغو او على الاستثناء من المولين اى ومن يولهم الا رجلا منهم متحرفا او متحيزا وقرأ الحسن دبره بالسكون ووزن متحيز متفيعل لا متفعل لانه من حاز يحوز فبناء متفعل منه متحوز لما كسروا اهل بدر وقتلوا واسروا اقبلوا على التفاخر فكان القائل يقول قتلت واسرت ولما طلعت قريش قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم انى اسألك ما وعدتنى فاتاه جبريل فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال لما التقى الجمعان لعلى عليه السلام اعطنى قبضة من حصباء الوادى فرمى بها فى وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم فقيل لهم فلم تقتلوهم والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم لانه هو الذى انزل الملائكة والقى الرعب فى قلوبهم وشاء النصر والظفر وقوى قلوبكم واذهب عنها الجزع والفزع وما رميت انت يا محمد اذ رميت ولكن الله رمى يعنى ان الرمية التى رميتها لم ترمها انت على الحقيقة لانك لو رميتها لما بلغ اثرها الا ما يبلغه اثر رمى البشر ولكنها كانت رمية الله حيث اثرت ذلك الاثر العظيم فاثبت الرمية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لان صورتها وجدت منه ونفاها عنه لان اثرها الذى لا تطيقه البشر فعل الله عز وعلا فكأن الله هو فاعل الرمية على الحقيقة وكأنها لم توجد من الرسول اصلا وقرئ ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف لكن ورفع ما بعده وليبلى المؤمنين وليعطيهم بلاء حسنا عطاء جميلا قال زهير

فابلاهما خير البلاء الذى يبلو

والمعنى وللاحسان الى المؤمنين فعل ما فعل وما فعله الا لذلك ان الله سميع لدعائهم عليم باحوالهم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع اى الغرض ذلكم وان الله موهن معطوف على ذلكم يعنى ان الغرض ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وقرئ موهن بالتشديد وقرئ على الاضافة وعلى الاصل الذى هو التنوين والاعمال ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا ان ينفروا تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اقرانا للضيف واوصلنا للرحم وافكنا للعانى ان كان محمد على حق فانصره وان كنا على حق فانصرنا وروى انهم قالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وروى ان ابا جهل قال يوم بدر اللهم اينا كان اهجر واقطع للرحم فاحنه اليوم اى فاهلكه وقيل ان تستفتحوا خطاب للمؤمنين وان تنتهوا خطاب للكافرين يعنى وان تنتهوا عن عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو خير لكم واسلم وان تعودوا لمحاربته نعد لنصرته عليكم وان الله قرئ بالفتح على ولان الله معين المؤمنين كان ذلك وقرئ بالكسر وهذا اوجه ويعضدها قراءة ابن مسعود والله مع المؤمنين وقرئ ولن يغنى عنكم بالياء للفصل ولا تولوا قرئ بطرح احدى التاءين وادغامها والضمير فى عنه لرسول الله لان المعنى واطيعوا رسول الله كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه ولان طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد من يطع الرسول فقد اطاع الله فكان رجوع الضمير الى احدهما كرجوعه اليهما كقولك الاحسان والاجمال لا ينفع فى فلان ويجوز ان يرجع الى الامر بالطاعة اى ولا تولوا عن هذا الامر وامتثاله وانتم تسمعونه او ولا تتولوا عن رسول الله ولا تخالفوه وانتم تسمعون اى تصدقون لانكم مؤمنون لستم كالصم المكذبين من الكفرة ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا اى ادعوا السماع وهم لا يسمعون لانهم ليسوا بمصدقين فكانهم غير سامعين والمعنى انكم تصدقون بالقرآن والنبوة فاذا توليتم عن طاعة الرسول فى بعض الامور من قسمة الغنائم وغيرها كان تصديقكم كلا تصديق واشبه سماعكم سماع من لا يؤمن ثم قال ان شر الدواب اى ان شر من يدب على وجه الارض او ان شر البهائم الذين هم صم عن الحق لا يعقلونه جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها ولو علم الله فى هؤلاء الصم البكم خيرا اى انتفاعا باللطف لاسمعهم اللطف بهم حتى يسمعوا سماع المصدقين ثم قال ولو اسمعهم لتولوا يعنى ولو لطف بهم

لما نفع فيهم اللطف فلذلك منعهم ألطافه أو لو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا • وقيل
هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم إلا رجلان مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم
عمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا جميعا بأحد وكانوا أصحاب اللواء • عن ابن جريج هم المنافقون
وعن الحسن أهل الكتاب • إذا دعاكم • وحد الضمير كما وحده فيما قبله لأن استجابة رسول الله كاستجابته
وإنما يذكر أحدهما مع الآخر للتوكيد والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال • وبالدعوة البعث والتحريض
وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه مر على باب أبي بن كعب فناداه وهو في الصلاة فعجل في صلاته ثم جاء
فقال ما منعك عن إجابتي قال كنت أصلي قال ألم تخبر فيما أوحي إلي استجيبوا لله وللرسول قال لا جرم لا تدعوني
إلا أجبتك • وفيه قولان أحدهما أن هذا مما اختص به رسول الله • والثاني أن دعاءه كان لأمر لم يحتمل التأخير
وإذا وقع مثله للمصلي فله أن يقطع صلاته • لما يحييكم من علوم الديانات والشرائع لأن العلم حياة كما أن
الجهل موت ولبعضهم • لا تعجبن الجهول حلته فذاك ميت وثوبه كفن • وقيل لمجاهدة الكفار لأنهم
لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم • كقوله ولكم في القصاص حياة • وقيل للشهادة لقوله بل أحياء عند ربهم
واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه يعني أنه يميته فتفوته الفرصة التي هو واجدها وهي التمكن من إخلاص
القلب ومعالجة أدوائه وعلله ورده سليما كما يريده الله فاغتنموا هذه الفرصة وأخلصوا قلوبكم لطاعة
الله ورسوله • واعلموا أنكم إليه تحشرون • فيثيبكم على حسب سلامة القلوب وإخلاص الطاعة • وقيل
معناه أن الله قد يملك على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويبدله بالخوف أمنا وبالأمن خوفا
وبالذكر نسيانا وبالنسيان ذكرا وما أشبه ذلك مما هو جائز على الله عز وجل • فأما ما يثاب عليه العبد ويعاقب
من أفعال القلوب فلا • والمجبرة على أنه يحول بين المرء والإيمان إذا كفر وبينه وبين الكفر إذا آمن • تعالى عما
يقول الظالمون علوا كبيرا • وقيل معناه على أنه يطلع على كل ما يخطره المرء بباله لا يخفى عليه شيء من
ضمائره فكأنه بينه وبين قلبه • وقرئ بين المرء بتشديد الراء ووجهه أنه قد حذف الهمزة وألقى حركتها
على الراء كالخب ثم نوى الوقف على لغة من يقول مررت بعمر • فتنة ذنبا • قيل هو إقرار المنكر بين أظهرهم
وقيل افتراق الكلمة • وقيل فتنة عذابا • وقوله لا تصيبن لا يخلو من أن يكون جوابا للأمر أو نهيا بعد
أمر أو صفة لفتنة فإذا كانت جوابا فالمعنى إن أصابتكم لا تصب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم
وهذا كما يحكى أن علماء بني إسرائيل نهوا عن المنكر تعذيرا فعمهم الله بالعذاب وإذا كانت نهيا بعد أمر
فكأنه قيل واحذروا ذنبا أو عقابا ثم قيل لا تتعرضوا للظلم فيصيب العقاب أو أثر الذنب ووباله من ظلم
منكم خاصة وكذلك إذا جعلته صفة على إرادة القول كأنه قيل واتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن
ونظيره قوله • حتى إذا جن الظلام واختلط جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط • أي بمذق مقول فيه
هذا القول لأنه سمار فيه لون الورقة التي هي لون الذئب • ويعضد المعنى الأخير قراءة ابن مسعود لتصيبن
على جواب القسم المحذوف • وعن الحسن نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير وهو يوم الجمل خاصة قال
الزبير نزلت فينا وقرأناها زمانا وما أرانا من أهلها فإذا نحن المعنيون بها • وعن السدي نزلت في أهل بدر فاقتتلوا
يوم الجمل • وروي أن الزبير كان يسامر النبي صلى الله عليه يوما إذ أقبل علي عليه السلام فقال رسول الله لعلك
تحبه فقال يا رسول الله بأبي أنت وأمي إني أحبه كحبي لولدي أو أشد حبا قال فكيف أنت إذا سرت
إليه تقاتله • **فإن قلت** كيف جاز أن تدخل النون المؤكدة في جواب الأمر • **قلت** لأن فيه معنى
النهي إذا قلت انزل عن الدابة لا تطرحك ولا تطرحنك فكذلك جاز لا تصيبن ولا يحطمنكم

فإن قلت فما معنى من في قوله الذين ظلموا منكم **قلت** التبعيض على الوجه الأول والتبيين على الثاني لأن المعنى
لا تصيبنكم خاصة على ظلمكم لأن الظلم أقبح منكم من سائر الناس • إذ أنتم نصب على أنه مفعول به لا ظرف
أي اذكروا وقت كونكم أقلة أذلة مستضعفين في الأرض أرض مكة قبل الهجرة يستضعفكم قريش • تخافون أن يتخطفكم الناس
لأن الناس كانوا جميعا لهم أعداء منافين مضادين فآواكم إلى المدينة وأيدكم بنصره بمظاهرة الأنصار وبإمداد الملائكة
يوم بدر • ورزقكم من الطيبات • من الغنائم • لعلكم تشكرون • إرادة أن تشكروا هذه النعم • وعن قتادة كان هذا
الحي من العرب أذل الناس وأشقاهم عيشا وأعراهم جلدا وأبينهم ضلالا يؤكلون ولا يأكلون فمكن الله لهم في البلاد و
وسع لهم في الرزق والغنائم وجعلهم ملوكا • معنى الخون النقص كما أن معنى الوفاء التمام ومنه تخونه إذا تنقصه
ثم استعمل في ضد الأمانة والوفاء لأنك إذا خنت الرجل في شيء فقد أدخلت عليه النقصان فيه • وقد استعير فقيل خان الدلو
الكرب وخان المشتار السبب لأنه إذا انقطع به فكأنه لم يف له • ومنه قوله وتخونوا أماناتكم • وروي أن نبي الله
صلى الله عليه حاصر يهود بني قريظة إحدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح إخوانهم بني النضير على أن يسيروا إلى أذرعات
وأريحاء من أرض الشام فأبى رسول الله إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فأبوا وقالوا أرسل إلينا أبا لبابة مروان بن عبد المنذر وكان
مناصحا لهم لأن عياله وماله في أيديهم فبعثه إليهم فقالوا له ما ترى هل ننزل على حكم سعد فأشار إلى حلقه أنه الذبح
قال أبو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت أني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال
والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله علي فمكث سبعة أيام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له
قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا أحلها حتى يكون رسول الله هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال إن من تمام
توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالي فقال عليه السلام يجزئك الثلث أن تتصدق به • وعن
المغيرة نزلت في قتل عثمان رضي الله عنه • وقيل أماناتكم ما ائتمنكم الله عليه من فرائضه وحدوده • **فإن قلت**
وتخونوا جزم هو أم نصب • **قلت** يحتمل أن يكون جزما داخلا في حكم النهي وأن يكون نصبا بإضمار أن كقوله
ولا تكتموا الحق • وقرأ مجاهد وتخونوا أمانتكم على التوحيد • جعل الأموال والأولاد فتنة لأنهم سبب الوقوع
في الفتنة وهي الإثم أو العذاب أو محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده • وأن الله عنده أجر
عظيم فعليكم أن تنوطوا بطلبه وبما يؤدي إليه هممكم وتزهدوا في الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد
حتى تورطوا أنفسكم من أجلهما كقوله المال والبنون الآية • وقيل هي من جملة ما نزل في أبي لبابة وما فرط فيه
لأجل ماله وولده • فرقانا نصرا لأنه يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر بإذلال حزبه والإسلام بإعزاز أهله
ومنه قوله تعالى يوم الفرقان • أو بيانا وظهورا يشهر أمركم ويبث صيتكم وآثاركم في أقطار الأرض من
قولهم بت أفعل كذا حتى سطع الفرقان أي طلع الفجر • أو مخرجا من الشبهات وتوفيقا وشرحا للصدور أو تفرقة
بينكم وبين غيركم من أهل الأديان وفضلا ومزية في الدنيا والآخرة • لما فتح الله عليه ذكره مكر قريش به حين كان
بمكة ليشكر نعمة الله في نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم وما أتاح الله له من حسن العاقبة واذكر إذ يمكرون بك وذلك
أن قريشا لما أسلمت الأنصار وبايعوه فرقوا أن يتفاقم أمره فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين في أمره فدخل عليهم
إبليس في صورة شيخ وقال أنا شيخ من نجد ما أنا من تهامة دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم ولن
تعدموا مني رأيا ونصحا فقال أبو البختري رأيي أن تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون إليه
طعامه وشرابه وتتربصوا به ريب المنون فقال إبليس بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم
فقال هشام بن عمرو رأيي أن تحملوه على جمل وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنع واسترحتم فقال إبليس بئس
الرأي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال أبو جهل أنا أرى أن تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا صارما

فيضربوه ضربة رجل فيتفرق دمه في القبائل فلا تقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فإذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا
فقال الشيخ صدق هذا الفتى هو أجودكم رأيا فتفرقوا على رأي أبي جهل مجمعين على قتله فأخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأمره أن لا يبيت في مضجعه وأذن الله له في الهجرة فأمر عليا رضي الله عنه فنام في مضجعه وقال له اتشح ببردتي فإنه لن
يخلص إليك أمر تكرهه وباتوا مترصدين فلما أصبحوا ثاروا إلى مضجعه فأبصروا عليا فبهتوا وخيب الله سعيهم و
اقتصوا أثره فأبطل مكرهم ؛ ليثبتوك ليحبسوك أو يوثقوك أو يثخنوك بالضرب والجرح من قولهم ضربوه حتى
أثبتوه لا حراك به ولا براح ؛ وفلان مثبت وجعا ؛ وقرئ ليثبّتوك بالتشديد ؛ وقرأ النخعي ليبيتوك من البيات
وعن ابن عباس ليقيدوك وهو دليل لمن فسر بالإيثاق ؛ ويمكرون ويخفون المكايد له ويمكر الله ويخفي
الله ما أعد لهم حتى يأتيهم بغتة ؛ والله خير الماكرين أي مكره أنفذ من مكر غيره وأبلغ تأثيرا ولأنه لا ينزل إلا ما
هو حق وعدل ولا يصيب إلا بما هو مستوجب ؛ لو نشاء لقلنا مثل هذا نفاجة منهم وصلف تحت الراعدة فإنهم
لم يتوانوا في مشيئتهم لو ساعدتهم الاستطاعة وإلا فما منعهم إن كانوا مستطيعين أن يشاؤوا غلبة من تحداهم
وقرعهم بالعجز حتى يفوزوا بالقدح المعلى دونه مع فرط أنفتهم واستنكافهم أن يغلبوا في باب البيان خاصة وأن
يماتنهم واحد فيتعللوا بامتناع المشيئة ومع ما علم وظهر ظهور الشمس من حرصهم على أن يقهروا رسول الله وتهالكهم
على أن يغمروه ؛ وقيل قائله النضر بن الحارث المقتول صبرا حين سمع اقتصاص أحاديث القرون ؛ لو شئت
لقلت مثل هذا ؛ وهو الذي جاء من بلاد فارس بنسخة حديث رستم واسفنديار فزعم أن هذا مثل ذاك وأنه
من جملة تلك الأساطير وهو القائل إن كان هذا هو الحق وهذا أسلوب من الجحود بليغ يعني إن كان القرآن
هو الحق فعاقبنا على إنكاره بالسجيل كما فعلت بأصحاب الفيل أو بعذاب آخر ومراده نفي كونه حقا وإذا انتفى
كونه حقا لم يستوجب منكره عذابا فكان تعليق العذاب بكونه حقا مع اعتقاد أنه ليس بحق كتعليقه بالمحال
في قولك إن كان الباطل حقا فأمطر علينا حجارة ؛ وقوله هو الحق تهكم بمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين هذا هو الحق
وقرأ الأعمش هو الحق بالرفع على أنه مبتدأ وهو في القراءة الأولى فصل ويقال أمطرت السماء كقولك
أنجمت وأسبلت ومطرت كقولك هتنت وهتلت وقد كثر الإمطار في معنى العذاب فإن قلت ما
فائدة قوله من السماء والإمطار لا يكون إلا منها قلت كأنه أريد أن يقال فأمطر علينا السجيل وهي
الحجارة المسومة للعذاب فوضع حجارة من السماء موضع السجيل كما تقول صب عليه مسرودة من حديد تريد درعا
بعذاب أليم أي بنوع آخر من جنس العذاب الأليم تعذبنا به أو بنوع آخر من أنواعه ؛ وعن معاوية أنه قال لرجل
من سبأ ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال أجهل من قومي قومك قالوا لرسول الله لما دعاهم إلى الحق إن كان
هذا هو الحق فأمطر علينا حجارة ولم يقولوا إن كان هذا هو الحق فاهدنا له ؛ اللام لتأكيد النفي والدلالة على أن
تعذيبهم وأنت بين أظهرهم غير مستقيم في الحكمة لأن عادة الله وقضية حكمته أن لا يعذب قوما عذاب استئصال
ما دام نبيهم بين أظهرهم وفيه إشعار بأنهم مرصدون بالعذاب إذا هاجر عنهم والدليل على هذا الإشعار قوله
وما لهم ألا يعذبهم الله وإنما صح هذا بعد إثبات التعذيب كأنه قال وما كان ليعذبهم وأنت منهم وهو معذبهم
إذا فارقتهم وما لهم لا يعذبهم وهم يستغفرون في موضع الحال ومعناه نفي الاستغفار عنهم أي ولو كانوا ممن يؤمن
ويستغفر من الكفر لما عذبهم كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ولكنهم لا يؤمنون
ولا يستغفرون ولا يتوقع ذلك منهم ؛ وقيل معناه وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر وهم المسلمون
بين أظهرهم ممن تخلف عن رسول الله من المستضعفين ؛ وما لهم ألا يعذبهم الله وأي شيء لهم في انتفاء العذاب
عنهم يعني لا حظ لهم في ذلك وهم معذبون لا محالة وكيف لا يعذبون وحالهم أنهم يصدون عن المسجد

الحرام كما صدوا رسول الله عام الحديبية وإخراجهم رسول الله والمؤمنين من الصد وكانوا يقولون نحن ولاة
البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء وما كانوا أولياءه وما استحقوا مع إشراكهم وعداوتهم للدين أن
يكونوا ولاة أمره وأربابه إن أولياؤه إلا المتقون من المسلمين ليس كل مسلم أيضا ممن يصلح لأن يلي أمره إنما يستأهل ولايته
من كان برا تقيا فكيف بالكفرة عبدة الأصنام ولكن أكثرهم لا يعلمون كأنه استثنى من كان يعلم وهو
يعاند ويطلب الرياسة أو أراد بالأكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم ؛ المكاء فعال بوزن الثغاء والرغاء من مكا
يمكو إذا صفر ومنه المكاء كأنه سمي بذلك لكثرة مكائه وأصله الصفة نحو الوضاء والقراء ؛ وقرئ
مكا بالقصر ونظيرهما البكا والبكاء ؛ والتصدية التصفيق تفعلة من الصدى أو من صد يصد إذا قومك منه
يصدون ؛ وقرأ الأعمش وما كان صلاتهم بالنصب على تقديم خبر كان على اسمه فإن قلت ما وجه
الكلام قلت هو نحو قوله: وما كنت أخشى أن يكون عطاؤه أداهم سودا أو محدرجة سمرا ؛ والمعنى
أنه وضع القيود والسياط موضع العطاء ووضعوا المكاء والتصدية موضع الصلاة وذلك أنهم كانوا يطوفون
بالبيت عراة الرجال والنساء وهم مشبكون بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون ذلك
إذا قرأ رسول الله في صلاته يخلطون عليه ؛ فذوقوا العذاب القتل والأسر يوم بدر بسبب كفركم وأفعالكم
التي لا يقدم عليها إلا الكفرة ؛ قيل نزلت في المطعمين يوم بدر كان يطعم كل واحد منهم كل يوم
عشر جزائر ؛ وقيل قالوا لكل من كانت له تجارة في العير أعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثأرنا
بما أصيب منا ببدر ؛ وقيل نزلت في أبي سفيان وقد استأجر ليوم أحد ألفين من الأحابيش سوى من استجاش من
العرب وأنفق عليهم أربعين أوقية والأوقية اثنان وأربعون مثقالا ليصدوا عن سبيل الله أي كان غرضهم
في الإنفاق الصد عن اتباع محمد وهو سبيل الله وإن لم يكن عندهم كذلك ثم تكون عليهم حسرة
أي تكون عاقبة إنفاقها ندما وحسرة فكأن ذاتها تصير ندما وتنقلب حسرة ثم يغلبون آخر الأمر وإن كانت
الحرب بينهم وبين المؤمنين سجالا قبل ذلك يرجعون طلقا كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ؛ والذين كفروا
والكافرون منهم إلى جهنم يحشرون لأن منهم من أسلم وحسن إسلامه ليميز الله الخبيث الفريق الخبيث
من الكفار من الفريق الطيب من المؤمنين فيجعل الفريق الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا عبارة عن الجمع
والضم حتى يتراكبوا كقوله كادوا يكونون عليه لبدا يعني لفرط ازدحامهم ؛ أولئك إشارة إلى الفريق الخبيث ؛ وقيل ليميز المال
الخبيث الذي أنفقه المشركون في عداوة رسول الله من المال الطيب الذي أنفقه المسلمون كأبي بكر وعثمان في نصرته
فيركمه فيجعله في جهنم في جملة ما يعذبون به كقوله فتكوى بها جباههم وجنوبهم الآية ؛ واللام على هذا متعلقة
بقوله ثم تكون عليهم حسرة وعلى الأول بيحشرون ؛ وأولئك إشارة إلى الذين كفروا ؛ وقرئ ليميز على التخفيف ؛ قل
للذين كفروا يعني أبا سفيان وأصحابه أي قل لأجلهم هذا القول وهو إن ينتهوا ولو كان بمعنى خاطبهم به لقيل إن تنتهوا
يغفر لكم وهي قراءة ابن مسعود ونحوه ؛ وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه ؛ خاطبوا به
غيرهم لأجلهم ليسمعوه ؛ إن ينتهوا عما هم عليه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وقتاله بالدخول في الإسلام
يغفر لهم ما قد سلف لهم من العداوة وإن يعودوا لقتاله فقد مضت سنة الأولين منهم الذين حاق بهم مكرهم
يوم بدر ؛ أو وقد مضت سنة الذين تحزبوا على أنبيائهم من الأمم فدمروا فليتوقعوا مثل ذلك إن لم ينتهوا ؛ وقيل معناه
أن الكفار إذا انتهوا عن الكفر وأسلموا غفر لهم ما سلف لهم من الكفر والمعاصي وخرجوا منها كما تنسل الشعرة من
العجين ومنه قوله عليه السلام الإسلام يجب ما قبله ؛ وقال الحنفي إذا أسلم لم يبق عليه تبعة قط ؛ وأما الذمي
فلا يلزمه قضاء حقوق الله وتبقى عليه حقوق الآدميين ؛ وبه احتج أبو حنيفة أن المرتد إذا أسلم لم يلزمه قضاء العبادات

المتروكة في حال الردة وقبلها فقيل ان يعودوا بالارتداد وقرئ يغفر لهم على ان الضمير لله عز وجل
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة الى ان لا يوجد فيهم شرك قط ويكون الدين كله لله ويضمحل عنهم كل دين
باطل ويبقى فيهم دين الاسلام وحده فان انتهوا عن الكفر واسلموا فان الله بما يعملون بصير يثيبهم على توبتهم
واسلامهم وقرئ تعملون بالتاء فيكون المعنى فان الله بما تعملون من الجهاد في سبيله والدعوة الى دينه
والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الاسلام بصير يجازيكم عليه احسن الجزاء وان تولوا ولم ينتهوا فان الله مولاكم
اي ناصركم ومعينكم فثقوا بولايته ونصرته **ان ما غنمتم** ما موصولة ومن شيء حتى الخيط والمخيط فان لله
مبتدا خبره محذوف تقديره فحق او فواجب ان لله خمسه وروى الجعفي عن ابي عمرو فان لله بالكسر وتقويه
قراءة النخعي فلله خمسه والمشهور آكد واثبت للايجاب كانه قيل فلا بد من ثبات الخمس فيه ولا سبيل الى
الاخلال به والتفريط فيه من حيث انه اذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك ثابت واجب
لازم حق وما اشبه ذلك كان اقوى لايجابه من النص على واحد وقرئ خمسه بالسكون **فان قلت** كيف قسمة
الخمس **قلت** عند ابي حنيفة انها كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه على خمسة اسهم سهم لرسول الله وسهم
لذوي قرباه من بني هاشم وبني المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل استحقوه حينئذ بالنصرة والمظاهرة
لما روي عن عثمن وجبير بن مطعم انهما قالا لرسول الله هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي
جعلك الله منهم ارايت اخواننا بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال عليه السلام
انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين اصابعه وثلثة اسهم لليتامى
والمساكين وابن السبيل واما بعد رسول الله فسهمه ساقط بموته وكذلك سهم ذوي القربى وانما يعطون لفقرهم
فهم اسوة سائر الفقراء ولا يعطى اغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل واما عند الشافعي فيقسم
على خمسة اسهم سهم لرسول الله يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من الكراع والسلاح
ونحو ذلك وسهم لذوي القربى من اغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين والباقي للفرق
الثلث وعند مالك ان الامر فيه مفوض الى اجتهاد الامام ان راى قسمه بين هؤلاء وان راى اعطاه بعضهم دون
بعض وان راى غيرهم اولى واهم فغيرهم **فان قلت** ما معنى ذكر الله وعطف الرسول وغيره عليه **قلت**
يحتمل ان يكون معنى لله وللرسول لرسول الله كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان يراد بذكره ايجاب سهم سادس
لله يصرف الى وجه من وجوه القرب وان يراد بقوله فان لله خمسه ان من حق الخمس ان يكون متقربا به
اليه لا غير ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلا لها على غيرها كقوله وجبريل وميكايل فعلى الاحتمال
الاول مذهب الامامين وعلى الثاني ما قال ابو العالية انه يقسم على ستة اسهم سهم لله تعالى يصرف الى الكعبة
وعنه كان رسول الله صلى الله عليه ياخذ الخمس فيضرب بيده فيه فياخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة وهو سهم الله ثم
يقسم ما بقي على خمسة وقيل ان سهم الله لبيت المال وعلى الثالث مذهب مالك وعن ابن عباس رضي الله عنه
انه كان على ستة لله وللرسول سهمان وسهم لاقاربه حتى قبض فاجرى ابو بكر رضي الله عنه الخمس على ثلثة وكذلك
روي عن عمر ومن بعده من الخلفاء وروي ان ابا بكر رضي الله عنه منع بني هاشم الخمس وقال انما لكم ان يعطى فقيركم
ويزوج ايمكم ويخدم من لا خادم له منكم فاما الغني منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غني لا يعطى من الصدقة شيا ولا يتيم
موسر وعن زيد بن علي رضي الله عنه كذلك قال ليس لنا ان نبني منه قصورا ولا ان نركب منه البراذين وقيل
الخمس كله للقرابة وعن علي رضي الله عنه انه قيل له ان الله تعالى قال واليتامى والمساكين فقال ايتامنا ومساكيننا
وعن الحسن في سهم رسول الله انه لولي الامر من بعده وعن الكلبي ان الآية نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس

في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام للنصف من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة **فان قلت**
بم تعلق قوله ان كنتم آمنتم بالله **قلت** بمحذوف يدل عليه واعلموا المعنى ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا ان الخمس من
الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه اطماعكم واقنعوا بالاخماس الاربعة وليس المراد بالعلم المجرد ولكنه العلم
المضمن بالعمل والطاعة لامر الله لان العلم المجرد يستوي فيه المؤمن والكافر • وما انزلنا معطوف على بالله اي ان كنتم
آمنتم بالله وبالمنزل على عبدنا وقرئ عبدنا كقوله وعبد الطاغوت بضمتين يوم الفرقان يوم بدر
والجمعان الفريقان من المسلمين والكافرين • والمراد ما انزل عليه من الآيات والملائكة والفتح يومئذ • والله على
كل شيء قدير • يقدر على ان ينصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم • اذ بدل من يوم
الفرقان والعدوة شط الوادي بالكسر والضم والفتح • وقرئ بهن وبالعدية على قلب الواو ياء لان بينها وبين
الكسرة حاجزا غير حصين كما في الفتية والدنيا والقصوى تانيث الادنى والاقصى **فان قلت** كلتاهما
فعلى من بنات الواو فلم جاءت احداهما بالياء والثانية بالواو **قلت** القياس هو قلب الواو ياء كالعليا واما القصوى
فكالقود في مجيئه على الاصل وقد جاء القصيا الا ان استعمال القصوى اكثر كما كثر استعمال استصوب
مع مجيء استصاب واغيلت مع اغالت • والعدوة الدنيا مما يلي المدينة والقصوى مما يلي مكة • والركب
اسفل منكم يعني الركب الاربعين الذين كانوا يقودون العير اسفل منكم بالساحل • واسفل نصب على الظرف
معناه مكانا اسفل من مكانكم وهو مرفوع المحل لانه خبر المبتدا **فان قلت** ما فائدة هذا التوقيت وذكر
مراكز الفريقين وان العير كان اسفل منهم **قلت** الفائدة فيه الاخبار عن الحال الدالة على قوة شان العدو
وشوكته وتكامل عدته وتمهد اسباب الغلبة له وضعف شان المسلمين والتياث امرهم وان غلبتهم في مثل
هذه الحال ليست الا صنعا من الله ودليلا على ان ذلك امر لم يتيسر الا بحوله وقوته وباهر قدرته وذلك
ان العدوة القصوى التي اناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت ارضا لا باس بها ولا ماء بالعدوة الدنيا وهي
خبار تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ومشقة وكانت العير وراء ظهر العدو مع كثرة عددهم
فكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم وتشحذ في المقاتلة عنها نياتهم ولهذا كانت العرب تخرج الى الحرب
بظعنهم واموالهم ليبعثهم الذب عن الحريم والغيرة على الحرم على بذل جهيداهم في القتال وان لا يتركوا وراءهم
ما يحدثون انفسهم بالانحياز اليه فيجمع ذلك قلوبهم ويضبط هممهم ويوطن نفوسهم على ان لا يبرحوا مواطنهم ولا يخلوا
مراكزهم ويبذلوا منتهى نجدتهم وقصارى شدتهم وفيه تصوير ما دبر سبحانه وتعالى من امر وقعة بدر
ليقضي امرا كان مفعولا من اعزاز دينه واعلاء كلمته حين وعد المسلمين احدى الطائفتين مبهمة غير مبينة حتى خرجوا
لياخذوا العير راغبين في الخروج وشخص بقريش مرعوبين مما بلغهم من تعرض رسول الله لاموالهم حتى نفروا ليمنعوا
عيرهم وسبب الاسباب حتى اناخ هؤلاء بالعدوة الدنيا وهؤلاء بالعدوة القصوى ووراءهم العير يحامون عليها
حتى قامت الحرب على ساق وكان ما كان **ولو تواعدتم** انتم واهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال
لخالف بعضكم بعضا فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم ما في قلوبهم من تهيب رسول الله والمؤمنين
فلم يتفق لكم من التلاقي ما وفقه الله وسبب له **ليقضي** متعلق بمحذوف اي ليقضي امرا كان واجبا ان يفعل وهو
نصر اوليائه وقهر اعدائه دبر ذلك **وقوله** ليهلك بدل منه واستعير الهلاك والحياة للكفر والاسلام ليصدر
كفر من كفر عن وضوح بينة لا عن مخالجة شبهة حتى لا تبقى له على الله حجة ويصدر اسلام من اسلم ايضا عن يقين
وعلم بانه دين الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك ان ما كان من وقعة بدر من الآيات الغر المحجلة التي
من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطا لها وقرئ ليهلك بفتح اللام وحيي باظهار التضعيف **لسميع عليم**

ليعلم ليفيد تدبير اموركم ويسوى مصالحكم او لسميع عليم بمن يكفر ويعاقبه وبايمان من آمن ويثيبه **اذ يريكهم** الله
نصبه باضمار اذكر او هو بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بقوله لسميع عليم اى يعلم المصالح اذ يقللهم فى
عينك **فى منامك** فى رؤياك وذلك ان الله عز وجل اراهم اياه فى رؤياه قليلا فاخبر اصحابه بذلك فكان
تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم وعن الحسن فى منامك فى عينك لانها مكان النوم كما قيل للقطيفة المنامة لانه
ينام فيها وهذا تفسير فيه تعسف وما احسب الرواية فيه صحيحة عن الحسن وما يلائم علمه بكلام العرب وفصاحته
لفشلتم لجبنتم وهبتم الاقدام ولتنازعتم فى الراى وتفرقت فيما تصنعون كلمتكم وترجحتم بين الثبات
والفرار **ولكن الله سلم** اى عصم وانعم بالسلامة من الفشل والتنازع والاختلاف انه عليم بذات الصدور
يعلم ما سيكون فيها من الجرأة والجبن والصبر والجزع واذ يريكموهم الضميران مفعولان يعنى واذ يبصركم
اياهم وقليلا نصب على الحال وانما قللهم فى اعينهم تصديقا لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وليعاينوا ما اخبرهم به
فيزداد يقينهم ويجدوا ويثبتوا قال ابن مسعود لقد قللوا فى اعيننا حتى قلت لرجل الى جنبى تراهم سبعين فقال
اراهم مائة فاسرنا رجلا منهم فقلنا له كم كنتم قال الفا ويقللكم فى اعينهم حتى قال قائل منهم انما هم اكلة
جزور **فان قلت** الغرض فى تقليل الكفار فى اعين المؤمنين ظاهر فما الغرض فى تقليل المؤمنين فى اعينهم
قلت قد قللهم فى اعينهم قبل اللقاء ثم كثرهم فيها بعده ليجترؤا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجأهم
الكثرة فيبهتوا ويهابوا وتفل شوكتهم حين يرون ما لم يكن فى حسابهم وتقديرهم وذلك قوله يرونهم
مثليهم راى العين ولئلا يستعدوا لهم وليعظم الاحتجاج عليهم باستيضاح الاية البينة من قلتهم اولا وكثرتهم
اخرا **فان قلت** باى طريق يبصرون الكثير قليلا **قلت** بان يستر الله عنهم بعضه بساتر او يحدث فى عيونهم
ما يستقلون به الكثير كما احدث فى اعين الحول ما يرون به الواحد اثنين وكان بين يديه ديك واحد فقال
ما لى لا ارى هذين الديكين اربعة **اذا لقيتم فئة** اذا حاربتم جماعة من الكفار وترك ان يصفها لان المؤمنين
ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء اسم للقتال غالب فاثبتوا لقتالهم ولا تفروا واذكروا الله كثيرا فى مواطن
الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له على عدوكم اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم **لعلكم
تفلحون** لعلكم تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه اشعار بان على العبد ان لا يفتر عن ذكر ربه اشغل ما
يكون قلبا واكثر ما يكون هما وان تكون نفسه مجتمعة لذلك وان كانت متوزعة عن غيره وناهيك بما فى
خطب امير المؤمنين فى ايام صفين وفى مشاهده مع البغاة والخوارج من البلاغة والبيان ولطائف المعانى وبليغات
المواعظ والنصائح دليلا على انهم كانوا لا يشغلهم عن ذكر الله شاغل وان تفاقم **ولا تنازعوا** قرئ بتشديد
التاء فتفشلوا منصوب باضمار ان او مجزوم لدخوله فى حكم النهى ويدل عليه قراءة من قرأ وتذهب ريحكم
بالتاء والنصب وقراءة من قرأ ويذهب ريحكم بالياء والجزم والريح الدولة شبهت فى نفوذ امرها وتمشيه بالريح
وهبوبها فقيل هبت رياح فلان اذا دالت له الدولة ونفذ امره **ومنه قوله** اتنظران قليلا ريث غفلتهم ام
تعدوان فان الريح للعادى وقيل لم يكن قط نصر الا بريح يبعثها الله وفى الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور
حذرهم بالنهى عن التنازع واختلاف الراى نحو ما وقع لهم باحد لمخالفتهم رسول الله من فشلهم وذهاب ريحهم **كالذين
خرجوا من ديارهم** هم اهل مكة حين نفروا لحماية العير فاتاهم رسول ابى سفيان وهم بالجحفة ان ارجعوا فقد
سلمت عيركم فابى ابو جهل حتى نقدم بدرا نشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب
فذلك بطرهم ورئاؤهم الناس باطعامهم فوافوها فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان
فنهاهم ان يكونوا امثالهم بطرين طربين مرائين باعمالهم وان يكونوا من اهل التقوى والكآبة والحزن من واذكر اذ زين

لهم الشيطان اعمالهم التى عملوها فى معاداة رسول الله ووسوس اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون واوهمهم
ان اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجيرهم فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان وتبرأ منهم اى بطل كيده
حين نزلت جنود الله وكذا عن الحسن رحمه الله كان ذلك على سبيل الوسوسة ولم يتمثل لهم وقيل لما اجتمعت
قريش على المسير ذكرت الذى بينها وبين بنى كنانة من الحرب فكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس فى صورة سراقة بن مالك
بن جعشم الشاعر الكنانى وكان من اشرافهم فى جند من الشياطين معه راية وقال لا غالب لكم اليوم وانى مجيركم
من بنى كنانة فلما راى الملائكة تنزل نكص وقيل كانت يده فى يد الحرث بن هشام فلما نكص قال له الحرث الى اين اتخذلنا
فى هذه الحال فقال انى ارى ما لا ترون ودفع فى صدر الحرث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ
ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتنى هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان • وفى الحديث ما روى
ابليس يوما هو فيه اصغر ولا ادحر ولا احقر ولا اغيظ منه فى يوم عرفة لما يرى من تنزل الرحمة الا ما روى يوم بدر **فان قلت**
هلا قيل لا غالبا لكم كما يقال لا ضاربا زيدا عندنا **قلت** لو كان لكم مفعولا لغالب بمعنى لا غالب اياكم لكان
الامر كما قلت ولكنه خبر تقديره لا غالب كائن لكم **اذ يقول المنافقون بالمدينة والذين فى قلوبهم مرض**
يجوز ان يكون من صفة المنافقين وان يراد الذين هم على حرف ليسوا بثابتى الاقدام فى الاسلام وعن الحسن
هم المشركون **غر هؤلاء دينهم** يعنون ان المسلمين اعتزوا بدينهم وانهم يتقوون به وينصرون من اجله
فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف ثم قال جوابا لهم **ومن يتوكل على الله فان الله عزيز**
غالب يسلط القليل الضعيف على الكثير القوى **ولو ترى** ولو عاينت وشاهدت لان لو ترد المضارع الى معنى الماضى كما ترد
ان الماضى الى معنى الاستقبال واذ نصب على الظرف • وقرئ يتوفى بالياء والتاء والملائكة رفعها بالفعل ويضربون
حال منهم ويجوز ان يكون فى يتوفى ضمير الله عز وجل والملائكة مرفوعة بالابتداء ويضربون خبر وعن مجاهد
ادبارهم استاههم ولكن الله كريم يكنى وانما خصوهما بالضرب لان الخزى والنكال فى ضربهما اشد وبلغنى عن
اهل الصين ان عقوبة الزانى عندهم ان يشبر ثم يعطى الرجل القوى البطش شاعلا من حديد لهيئة الطبق فيه
زنانة وله مقبض فيضربه على دبره ضربة واحدة بقوته محمد فى مكانه وقيل يضربون ما اقبل منهم وما ادبر
وذوقوا معطوف على يضربون على ارادة القول اى ويقولون ذوقوا عذاب الحريق اى مقدمة عذاب النار او ذوقوا
عذاب الحريق الاخرة بشارة لهم به وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهبت النار او يقال
لهم يوم القيامة ذوقوا وجواب لو محذوف اى لرايت امرا فظيعا منكرا ذلك بما قدمت ايديكم يحتمل ان يكون
من كلام الله ومن كلام الملائكة وذلك رفع بالابتداء وبما قدمت خبره وان الله عطف عليه اى ذلك العذاب
بسببين بسبب كفركم ومعاصيكم وبان الله ليس بظلام للعبيد لان تعذيب الكفار من العدل كاثابة المؤمنين
وقيل ظلام للتكثير لاجل العبيد او لان العذاب من العظم بحيث لولا الاستحقاق لكان المعذب بمثله ظلاما بليغ
الظلم متفاقمه الكاف فى محل الرفع اى داب هؤلاء مثل داب آل فرعون وداب ما ذكر عادتهم وعملهم الذى دابوا
فيه اى داوموا عليه وواظبوا وكفروا تفسير لداب آل فرعون وذلك اشارة الى ما حل بهم يعنى ذلك العذاب
او الانتقام بسبب ان الله لم ينبغ له ولم يصح فى حكمته ان يغير نعمته عند قوم حتى يغيروا ما بهم من الحال **فان
قلت** فما كان من تغيير آل فرعون ومشركى مكة حتى غير الله نعمته عليهم ولم يكن لهم حال مرضية فيغيروها
الى حال مسخوطة **قلت** كما تغير الحال المرضية الى المسخوطة تغير الحال المسخوطة الى اسخط منها واولئك كانوا قبل
بعثة الرسول اليهم كفرة عبدة اصنام فلما بعث اليهم بالآيات البينات فكذبوه وعادوه وتحزبوا عليه ساعين اراقة
دمه غيروا حالهم الى اسوا مما كانت فغير الله ما انعم به عليهم من الامهال وعاجلهم بالعذاب وان الله سميع

لم يقول محمد كذبوا الرسل عليهم بما يفعلون **كدأب آل فرعون** تكرير للتأكيد وفي قوله بآيات ربهم زيادة دلالة
على كفران النعم وجحود الحق وفي ذكر الإغراق بيان للأخذ بالذنوب وكل كانوا ظالمين وكلهم من غرقى
القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصي **الذين كفروا فهم لا يؤمنون** أي أصروا على الكفر
ولجوا فيه فلا يتوقع منهم إيمان وهم بنو قريظة عاهدهم رسول الله أن لا يمالئوا عليه فنكثوا بأن أعانوا مشركي مكة بالسلاح
وقالوا نسينا وأخطأنا ثم عاهدهم فنكثوا ومالوا معهم يوم الخندق وانطلق معهم كعب بن الأشرف إلى مكة فعاهدهم
فحالفهم **الذين عاهدت منهم** بدل من الذين كفروا جعلهم شر الدواب لأن شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون
منهم وشر المصرين الناكثون للعهود **وهم لا يتقون** لا يخافون عاقبة الغدر ولا يبالون ما فيه من العار والنار
فإما تثقفنهم في الحرب فإما تصادفنهم وتظفرن بهم **فشرد بهم من خلفهم** ففرق عن محاربتك
ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكاية فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك بعدهم أحد اعتبارا
بهم واتعاظا بحالهم وقرأ ابن مسعود فشرذ بالذال المعجمة بمعنى ففرق وكأنه مقلوب شذر من قولهم
ذهبوا شذر مذر ومنه الشذر الملتقط من المعدن لتفرقه وقرأ أبو حيوة من خلفهم ومعناه فافعل
التشريد من ورائهم لأنه إذا شرد الذين وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء وأوقعه فيه لأن الوراء جهة
المشردين فإذا جعل الوراء ظرفا للتشريد فقد دل على تشريد من فيه فلم يبق فرق بين القراءتين **لعلهم**
يذكرون لعل المشردين من ورائهم يتعظون **وإما تخافن من قوم** معاهدين خيانة ونكثا بأمارات
تلوح لك فانبذ إليهم فاطرح إليهم العهد على سواء على طريق مستو قصد وذلك أن تظهر لهم نبذ العهد
وتخبرهم إخبارا مكشوفا بينا أنك قطعت ما بينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد
فيكون ذلك خيانة منك **إن الله لا يحب الخائنين** فلا يكن منك إخفاء العهد والخداع وقيل على السواء في العلم بنقض
العهد وقيل على استواء في العداوة والجار والمجرور في موضع الحال كأنه قيل فانبذ إليهم ثابتا على طريق
قصد سوي أو حاصلين على استواء في العلم أو العداوة على أنها حال من النابذ والمنبوذ إليهم معا سبقوا فاتوا وأفلتوا
من أن يظفر بهم **إنهم لا يعجزون** إنهم لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن إدراكهم وقرئ أنهم بمعنى
لأنهم كل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل إلا أن المكسورة على طريقة الاستئناف والمفتوحة تعليل
صريح وقرئ يعجزون بالتشديد وقرأ ابن محيصن يعجزون بكسر النون وقرأ الأعمش ولا تحسب الذين كفروا
بكسر الباء وفتحها على حذف النون الخفيفة وقرأ حمزة ولا يحسبن بالياء على أن الفعل للذين كفروا وقيل فيه
أصله أن سبقوا فحذف أن كقوله ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا واستدل عليه بقراءة ابن مسعود
أنهم سبقوا وقيل وقع الفعل على أنهم لا يعجزون على أن لا صلة وسبقوا في محل الحال بمعنى سابقين أي مفلتين هاربين
وقيل معناه ولا يحسبنهم الذين كفروا سبقوا فحذف الضمير لكونه مفهوما وقيل ولا يحسبن قبيل المؤمنين الذين كفروا
سبقوا وهذه الأقاويل كلها متمحلة وليست هذه القراءة التي تفرد بها حمزة بنيرة وعن الزهري أنها
نزلت فيمن أفلت من فل المشركين من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب من عددها وعن عقبة بن عامر سمعت
رسول الله صلى الله عليه يقول على المنبر ألا إن القوة الرمي قالها ثلاثا ومات عقبة عن سبعين قوسا في سبيل الله وعن
عكرمة هي الحصون والرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله ويجوز أن تسمى بالرباط الذي هو بمعنى المرابطة
ويجوز أن يكون جمع ربيط كفصيل وفصال وقرأ الحسن ومن ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط
ويجوز أن يكون قوله ومن رباط الخيل تخصيصا للخيل من بين ما يتقوى به كقوله وجبريل وميكال وعن ابن سيرين
أنه سئل عمن أوصى بثلث ماله في الحصون فقال يشترى به الخيل فترابط في سبيل الله ويغزى عليها فقيل له إنما أوصى

في الحصون فقال ألم تسمع قول الشاعر إن الحصون الخيل لا مدر القرى **ترهبون** قرئ بالتخفيف والتشديد
وقرأ ابن عباس ومجاهد تخزون به والضمير في به راجع إلى ما استطعتم **عدو الله وعدوكم** هم أهل
مكة **وآخرين من دونهم** هم اليهود وقيل المنافقون وعن السدي هم أهل فارس وقيل كفرة الجن
وجاء في الحديث أن الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروي أن صهيل الخيل يرهب
الجن جنح له وإليه إذا مال والسلم تؤنث تأنيث نقيضها وهي الحرب قال الشاعر السلم تأخذ
منها ما رضيت به والحرب يكفيك من أنفاسها جرع وقرئ بفتح السين وكسرها وعن ابن عباس أن الآية
منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله وعن مجاهد بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
والصحيح أن الأمر موقوف على ما يرى فيه الإمام صلاح الإسلام وأهله من حرب أو سلم وليس بحتم أن
يقاتلوا أبدا أو يجابوا إلى الهدنة أبدا وقرأ الأشهب العقيلي فاجنح بضم النون وتوكل على الله ولا تخف
من إبطانهم المكر في جنوحهم إلى السلم فإن الله كافيك وعاصمك من مكرهم وخديعتهم قال مجاهد
يريد قريظة فإن حسبك الله فإن محسبك الله قال جرير إني وجدت من المكارم حسبكم أن تلبسوا
حر الثياب وتشبعوا **وألف بين قلوبهم** التأليف بين قلوب من بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات
الباهرة لأن العرب لما فيهم من الحمية والعصبية والانطواء على الضغينة في أدنى شيء وإلقائه بين أعينهم إلى أن ينتقموا
لا يكاد يأتلف فيهم قلبان ثم ائتلفت قلوبهم على اتباع رسول الله واتحدوا وأنشأوا يرمون عن قوس واحدة
وذلك لما نظم الله من ألفتهم وجمع من كلمتهم وأحدث بينهم من التحاب والتوادد وأماط عنهم من التباغض
والتماقت وكلفهم من الحب في الله والبغض في الله ولا يقدر على ذلك إلا من يملك القلوب فهو يقلبها كما شاء ويصنع فيها
ما أراد وقيل هم الأوس والخزرج كان بينهم من الحروب والوقائع ما أهلك ساداتهم ورؤساءهم ودق جماجمهم
ولم يكن لبغضائهم أمد ومنتهى وبينهما التجاور الذي يهيج الضغائن ويديم التحاسد والتنافس وعادة كل طائفتين
كانتا بهذه المثابة أن تتجنب هذه ما آثرته أختها وتكرهه وتنفر عنه فأنساهم الله ذلك كله حتى اتفقوا
على الطاعة وتصافوا وصاروا أنصارا وعادوا أعوانا وما ذاك إلا بلطيف صنعه وبليغ قدرته ومن اتبعك
الواو بمعنى مع وما بعده منصوب تقول حسبك وزيدا درهم ولا تجر لأن عطف الظاهر المجرور
على المكنى ممتنع قال فحسبك والضحاك عضب مهند والمعنى كفاك وكفى تباعك من المؤمنين الله ناصرا
أو يكون في محل الرفع أي كفاك الله وكفاك المؤمنون وهذه الآية نزلت بالبيداء في غزوة
بدر قبل القتال وعن ابن عباس نزلت في إسلام عمر وعن سعيد بن جبير أسلم مع رسول الله صلى الله عليه ثلاثة وثلاثون
رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر فنزلت التحريض المبالغة في الحث على الأمر من الحرض وهو أن ينهكه المرض ويتبالغ
فيه حتى يشفي على الموت أو أن يسميه حرضا ويقول له ما أراك إلا حرضا في هذا الأمر ومحرضا فيه ليهيجه ويحرك
منه ويقال حرضه وحرشه وحربه وقرئ حرص بالصاد غير المعجمة حكاها الأخفش من الحرص
وهذه عدة من الله وبشارة بأن الجماعة من المؤمنين إن صبروا غلبوا عشرة أمثالهم من الكفار بعون الله تعالى
وتأييده ثم قال بأنهم قوم لا يفقهون أي بسبب أن الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب
كالبهائم فيقل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته ويستحقون خذلانه خلاف من يقاتل على بصيرة
ومعه ما يستوجب به النصر والإظهار من الله وعن ابن جريج كان عليهم أن لا يفروا ويثبت الواحد
للعشرة وكان رسول الله صلى الله عليه بعث حمزة في ثلاثين راكبا فلقي أبا جهل في ثلاثمائة راكب قيل ثم ثقل
عليهم ذلك وضجوا منه وذلك بعد مدة طويلة فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم

قلة في الابتداء ثم لما كثروا بعد نزل التخفيف وقرئ ضعفا بالفتح والضم كالمكث والمكث والفقر والفقر وضعفا جمع ضعيف وقرئ الفعل المسند الى المائة بالتاء والياء في الموضعين والمراد بالضعف الضعف في البدن وقيل في البصيرة والاستقامة في الدين وكانوا متفاوتين في ذلك **فان قلت** لم كرر المعنى الواحد وهو مقاومة الجماعة لاكثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده **قلت** للدلالة على ان الحال مع القلة والكثرة واحدة لا تتفاوت لان الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الالف وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والالف الالفين وقرئ للنبي على التعريف واسارى وحتى يثخن بالتشديد ومعنى الاثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من قولهم اثخنته الجراحات اذا اثبتته حتى تثقل عليه الحركة واثخنه المرض اذا اثقله من الثخانة التي هي الغلظ والكثافة يعني حتى يذل الكفر ويضعفه باشاعة القتل في اهله ويعز الاسلام ويقويه بالاستيلاء والقهر ثم الاسر بعد ذلك ومعنى ما كان ما صح له وما استقام وكان هذا يوم بدر فلما كثر المسلمون نزل فاما منا بعد واما فداء وروي ان رسول الله اتي بسبعين اسيرا فيهم العباس عمه وعقيل ابن ابي طالب فاستشار ابا بكر فيهم فقال قومك واهلك استبقهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر كذبوك واخرجوك فقدمهم واضرب اعناقهم فان هؤلاء ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان لنسيب له فلنضرب اعناقهم فقال عليه السلام ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ثم قال لاصحابه انتم اليوم عالة فلا يفلتن احد منهم الا بفداء او ضربة عنق وروي انه قال لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل نأخذ الفداء فاستشهدوا باحد وكان فداء الاسارى عشرين اوقية وفداء العباس اربعين اوقية وعن محمد بن سيرين كان فداؤهم مائة اوقية والاوقية اربعون درهما وستة دنانير وروي انهم لما اخذوا الفداء نزلت الآية فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي انه قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله كان الاثخان في القتل احب الي عرض الدنيا حطامها سمي بذلك لانه حدث قليل اللبث يريد الفداء والله يريد الآخرة يعني ما هو سبب الجنة من اعزاز الاسلام بالاثخان في القتل وقرئ يريدون بالياء وقرأ بعضهم والله يريد الآخرة بجر الآخرة على حذف المضاف وابقاء المضاف اليه على حاله كقوله ونار توقد بالليل نارا ومعناه والله يريد عرض الآخرة على التقابل يعني ثوابها والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه ويمكنون منهم قتلا واسرا ويطلق لهم الفداء ولكنه حكيم يؤخر ذلك الى ان يكثروا ويعزوا وهم يعجلون **لولا كتاب من الله سبق** لولا حكم منه سبق اثباته في اللوح وهو انه لا يعاقب احدا بخطاء وكان هذا خطاء في الاجتهاد لانهم نظروا في ان استبقاءهم كان سببا في اسلامهم وتوبتهم وان فداءهم يتقوى به على الجهاد في سبيل الله وخفي عليهم ان قتلهم اعز للاسلام واهيب لمن وراءهم واقل لشوكتهم وقيل كتابه انه سيحل لهم الفدية التي اخذوها وقيل ان اهل بدر مغفور لهم وقيل انه لا يعذب قوما الا بعد تأكيد الحجة وتقديم النهي ولم يتقدم نهي عن ذلك **فكلوا مما غنمتم** روي انهم امسكوا عن الغنائم ولم يمدوا ايديهم اليها فنزلت وقيل هو اباحة للفداء لانه من جملة الغنائم **واتقوا الله** ولا تقدموا على شيء لم يعهد فيه اليكم **فان قلت** ما معنى الفاء **قلت** التسبيب والسبب محذوف معناه قد ابحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم حلالا نصب

على الحال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا **وقوله** ان الله غفور رحيم معناه انكم اذا اتقيتموه بعد ما فرط منكم من استباحة الفداء قبل ان يؤذن لكم فيه غفر لكم ورحمكم وتاب عليكم في ايديكم في ملككم كأن ايديكم قابضة عليهم وقرئ من الاسرى في قلوبكم خيرا خلوص ايمان وصحة نية يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء اما ان يخلفكم في الدنيا اضعافه او يثيبكم في الآخرة وفي قراءة الاعمش يثبكم خيرا وعن العباس انه قال كنت مسلما لكنهم استكرهوني فقال رسول الله صلى الله عليه ان يكن ما تذكر حقا فالله يجزيك فاما ظاهر امرك فقد كان علينا وكان احد الذين ضمنوا الطعام لاهل بدر وروي ان رسول الله صلى الله عليه قال للعباس افد ابني اخيك عقيل بن ابي طالب ونوفل ابن الحرث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال له فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس وما يدريك فقال اخبرني به ربي قال العباس فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في امرك فاما اذا اخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي وروي انه قدم على رسول الله مال البحرين ثمانون الفا فتوضأ لصلاة الظهر وما صلى حتى فرقه وامر العباس ان يأخذ منه فاخذ ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما اخذ مني وارجو المغفرة وقرأ الحسن وشيبة مما اخذ منكم على البناء للفاعل **وان يريدوا خيانتك** نكث ما بايعوك عليه من الاسلام والردة واستحباب دين آبائهم **فقد خانوا الله من قبل** في كفرهم به ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه **فامكن منهم** كما رأيتم يوم بدر فسيمكن منهم ان اعادوا الخيانة وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفداء **الذين هاجروا** اي فارقوا اوطانهم وقومهم حبا لله ولرسوله هم المهاجرون والذين آووهم الى ديارهم ونصروهم هم الانصار **بعضهم اولياء بعض** اي يتولى بعضهم بعضا في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون ذوي القرابات حتى نسخ ذلك بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وقرئ من ولايتهم بالفتح والكسر اي من توليهم في الميراث ووجه الكسر ان تولي بعضهم بعضا شبه بالعمل والصناعة كأنه بتوليه صاحبه يزاول امرا ويباشر عملا فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم بينكم وبينهم عهد فانه لا يجوز لكم نصرهم عليهم لانهم لا يبتدئون بالقتال اذ الميثاق مانع من ذلك **والذين كفروا بعضهم اولياء بعض** ظاهره اثبات الموالاة بينهم كقوله في المسلمين اولئك بعضهم اولياء بعض ومعناه نهي المسلمين عن موالاة الذين كفروا وموارثتهم وايجاب مباعدتهم ومصارمتهم وان كانوا اقارب وان يتركوا يتوارثون بعضهم بعضا ثم قال **الا تفعلوه** اي ان لا تفعلوا ما امرتكم به من تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضا حتى في التوارث تفضيلا لنسبة الاسلام على نسبة القرابة ولم تقطعوا العلائق بينكم وبين الكفار ولم تجعلوا قرابتهم كلا قرابة تحصل فتنة في الارض ومفسدة عظيمة لان المسلمين ما لم يصيروا يدا واحدة على الشرك كان الشرك ظاهرا والفساد زائدا وقرئ كثير بالثاء **اولئك هم المؤمنون حقا** لانهم صدقوا ايمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الاهل والانسلاخ من المال لاجل الدين وليس بتكرار لان الآية واردة للثناء عليهم والشهادة لهم مع الموعد الكريم والاولى للامر بالتواصل **والذين آمنوا من بعد** يريد اللاحقين بعد السابقين الى الهجرة كقوله والذين جاؤوا من بعدهم **يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان** الحقهم بهم وجعلهم منهم تفضلا منه وترغيبا **واولوا الارحام** اولوا القرابات اولى بالتوارث وهو نسخ

للتوارث بالهجرة والنصرة في كتاب الله في حكمه وقسمته وقيل في اللوح وقيل في القرآن وهو آية المواريث وقد استدل به اصحاب ابي حنيفة على توريث ذوي الارحام عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيمة وشاهد انه بريء من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حياته في الدنيا

سورة التوبة

• مدنية وهي مائة وثلثون آية وقيل وتسع وعشرون آية •
• لها عدة اسماء براءة • التوبة • المقشقشة • المبعثرة • المشردة • المخزية • الفاضحة
• المثيرة • الحافرة • المنكلة • المدمدمة • سورة العذاب

لان فيها التوبة على المؤمنين وهي تقشقش من النفاق اي تبرئ منه وتبعثر عن اسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشرد بهم وتخزيهم وتدمدم عليهم • وعن حذيفة انكم تسمونها سورة التوبة وانما هي سورة العذاب والله ما تركت احدا الا نالت منه فان قلت هلا صدرت بآية التسمية كما في سائر السور قلت سأل عن ذلك ابن عباس عثمن رضي الله عنهما فقال ان رسول الله صلى الله عليه اذا نزلت عليه السورة او الآية قال اجعلوها في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا وتوفي رسول الله ولم يبين لنا اين نضعها وكانت قصتها شبيهة بقصتها فلذلك قرنت بينهما وكانتا تدعيان القرينتين وعن ابي بن كعب انما توهموا ذلك لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذ العهود وسئل ابن عيينة فقال اسم الله سلام وامان فلا يكتب في النبذ والمحاربة قال الله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا قيل فان النبي صلى الله عليه قد كتب الى اهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم قال انما ذلك ابتداء يدعوهم ولم ينبذ اليهم الا تراه يقول سلام على من اتبع الهدى فمن دعي الى الله فاجاب ودعي الى الجزية فاجاب فقد اتبع الهدى واما النبذ فانما هو البراءة واللعنة واهل الحرب لا يسلم عليهم ولا يقال لا تفرق ولا تخف ومترس ولا باس هذا امان كله وقيل سورة الانفال والتوبة سورة واحدة كلتاهما نزلت في القتال تعدان السابعة من الطول وهي سبع وما بعدها المئون وهذا قول ظاهر لانهما معا مائتان وست فهما بمنزلة احدى الطول وقيل اختلف اصحاب رسول الله صلى الله عليه فقال بعضهم الانفال وبراءة سورة واحدة وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان وتركت بسم الله لقول من قال هما سورة واحدة براءة خبر مبتدا محذوف اي هذه براءة ومن لابتداء الغاية متعلق بمحذوف وليس بصلة كما في قولك برئت من الدين والمعنى هذه براءة واصلة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم كما تقول كتاب من فلان الى فلان ويجوز ان تكون براءة مبتدا لتخصصها بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم كما تقول رجل من بني تميم في الدار وقرئ براءة على النصب على اسمعوا براءة وقرأ اهل نجران من الله بكسر النون • والوجه الفتح مع لام التعريف لكثرته والمعنى ان الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانه منبوذ اليهم فان قلت لم علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين قلت قد اذن الله في معاهدة المشركين اولا فاتفق المسلمون مع رسول الله وعاهدوهم فلما نقضوا العهد اوجب الله النبذ اليهم فخوطب المسلمون بما تجدد من ذلك فقيل لهم اعلموا ان الله ورسوله قد برئا مما عاهدتم به المشركين روي انهم عاهدوا المشركين من اهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا الا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد الى الناكثين وامروا ان يسيحوا في الارض اربعة اشهر آمنين اين شاؤا لا يتعرض لهم وهي الاشهر الحرم في قوله تعالى فاذا انسلخ الاشهر الحرم وذلك لصيانة الاشهر الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها

سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الامير فيها عتاب بن اسيد فامر رسول الله ابا بكر على موسم سنة تسع ثم اتبعه عليا راكب العضباء ليقرأها على اهل الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله فلما لحقه قال امير او مأمور قال مأمور وروي ان ابا بكر لما كان ببعض الطريق هبط جبريل فقال يا محمد لا يبلغن رسالتك الا رجل منك فارسل عليا فرجع ابو بكر الى رسول الله فقال يا رسول الله انزل في شيء قال نعم فسر وانت على الموسم وعلي ينادي بالآي فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلثين او اربعين آية وعن مجاهد ثلث عشرة ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وانه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن بالرماح وضرب بالسيوف وقيل انما امر ان لا يبلغ عنه الا رجل منه لان العرب عادتها في نقض عهودها ان يتولى ذلك على القبيلة رجل منها فلو تولاه ابو بكر لجاز ان يقولوا هذا خلاف ما يعرف فينا في نقض العهود فازيحت علتهم بتولية ذلك عليا رضي الله عنه

الاشهر الاربعة ما هي عن الزهري ان براءة نزلت في شوال فهي اربعة اشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الآخر وكانت حرما لانهم اومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم او على التغليب لان ذا الحجة والمحرم منها وقيل العشر من ذي القعدة الى العشر من شهر ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسيء الذي كان فيهم ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة ما وجه اطباق سائر العلماء على جواز مقاتلة المشركين في الاشهر الحرم وقد صانها الله عن ذلك قالوا قد نسخ وجوب الصيانة وابيح قتال المشركين فيها غير معجزي الله لا تفوتونه وان امهلكم وهو مخزيكم اي مذلكم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالعذاب واذان ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها ولا وجه لقول من قال انه معطوف على براءة كما لا يقال عمرو معطوف على زيد في قولك زيد قائم وعمرو قاعد والاذان بمعنى الايذان وهو الاعلام كما ان الامان والعطاء بمعنى الايمان والاعطاء اي فرق بين معنى الجملة الاولى والثانية تلك اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بما ثبت لم علقت البراءة بالذين عوهدوا من المشركين وعلق الاذان بالناس لان البراءة مختصة بالمعاهدين والناكثين واما الاذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث يوم الحج الاكبر يوم عرفة وقيل يوم النحر لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله من الطواف والنحر والحلق والرمي وعن علي رضي الله عنه ان رجلا اخذ بلجام دابته فقال ما الحج الاكبر قال يومك هذا خل عن دابتي وعن ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او جعل الوقوف بعرفة هو الحج الاكبر لانه معظم واجباته لانه اذا فات فات الحج وكذلك ان اريد به يوم النحر لان ما يفعل فيه معظم افعال الحج فهو الحج الاكبر وعن الحسن سمي يوم الحج الاكبر لاجتماع المسلمين والمشركين فيه وموافقته لاعياد اهل الكتاب ولم يتفق ذلك قبله ولا بعده فعظم في قلب كل مؤمن وكافر حذفت الباء التي هي صلة الاذان تخفيفا وقرئ ان الله بالكسر لان الاذان في معنى القول ورسوله عطف على المنوي في بريء او على محل ان المكسورة واسمها وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع اي بريء

معه منه على الجوار وقيل على القسم كقوله لعمرك ويحكى ان اعرابيا سمع رجلا يقرأها فقال ان كان الله بريئا
من رسوله فانا منه بريء فلببه الرجل الى عمر فحكى الاعرابي قراءته فعندها امر عمر بتعلم العربية
فان تبتم من الكفر والغدر فهو خير لكم وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي والاعراض عن الاسلام
والوفاء فاعلموا انكم غير سابقي الله ولا فائتين اخذه وعقابه فان قلت مم استثنى قوله الا
الذين عاهدتم قلت وجهه ان يكون مستثنى من قوله فسيحوا في الارض لان الكلام خطاب للمسلمين
ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم
ثم لم ينقصوا فاتموا اليهم عهدهم والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه قيل بعد ان امروا في الناكثين
ولكن الذين لم ينكثوا فاتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر ان الله يحب
المتقين يعني ان قضية التقوى ان لا يسوى بين الفريقين فاتقوا الله في ذلك لم ينقصوكم شيئا لم يقتلوا منكم
احدا ولم يضروكم قط ولم يظاهروا ولم يعاونوا عليكم عدوا كما عدت بنو بكر على خزاعة عيبة رسول الله
وظاهرتهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم الخزاعي على رسول الله فانشده

لاهم اني ناشد محمدا • حلف ابينا وابيه الاتلدا • ان قريشا اخلفوك الموعدا • ونقضوا ذمامك المؤكدا •
هم بيتونا بالحطيم هجدا • وقتلونا ركعا وسجدا • فقال عليه السلام لا نصرت ان لم انصركم وقرئ لم ينقضوكم
بالضاد معجمة اي لم ينقضوا عهدكم ومعنى فاتموا اليهم فادوه اليهم تاما كاملا قال ابن عباس رضي الله عنه بقي لحي من
كنانة من عهدهم تسعة اشهر فاتم اليهم عهدهم انسلخ الشهر كقولهم انجرد الشهر وسنة جرداء والاشهر
الحرم التي ابيح فيها للناكثين ان يسيحوا فاقتلوا المشركين يعني الذين نقضوكم وظاهروا عليكم حيث
وجدتموهم من حل او حرم وخذوهم وأسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم وقيدوهم وامنعوهم
من التصرف في البلاد وعن ابن عباس حصرهم ان يحال بينهم وبين المسجد الحرام كل مرصد كل ممر ومجاز
ترصدونهم به وانتصابه على الظرف كقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فخلوا سبيلهم فاطلقوا عنهم بعد الاسر
والحصر او فكفوا عنهم ولا يتعرضوا لهم كقوله خل السبيل لمن يبني المنار به وعن ابن عباس رضي الله عنه دعوهم
واتيان المسجد الحرام ان الله غفور رحيم يغفر لهم ما سلف منهم من الكفر والغدر احد مرتفع بفعل الشرط
مضمرا يفسره الظاهر تقديره ان استجارك احد استجارك ولا يرتفع بالابتداء لان ان من عوامل الفعل لا يدخل على
غيره والمعنى وان جاءك احد من المشركين بعد انقضاء الاشهر لا عهد بينك وبينه ولا ميثاق فاستأمنك ليسمع
ما تدعو اليه من التوحيد والقرآن وتبين ما بعثت له فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة
الامر ثم ابلغه بعد ذلك داره التي يأمن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت من غير غدر ولا خيانة وهذا الحكم ثابت
في كل وقت وعن الحسن هي محكمة الى يوم القيمة وعن سعيد بن جبير جاء رجل من المشركين الى علي عليه
السلام فقال ان اراد الرجل منا ان يأتي محمدا بعد انقضاء هذا الاجل يسمع كلام الله او يأتيه لحاجة قتل قال
لا لان الله يقول وان احد من المشركين استجارك الآية وعن السدي هي منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين ذلك
اي ذلك الامر يعني الامر بالاجارة في قوله فاجره بسبب انهم قوم جهلة لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقة ما تدعو
اليه فلا بد من اعطائهم الامان حتى يسمعوا ويفهموا الحق كيف استفهام في معنى الانكار والاستبعاد لان
يكون للمشركين عهد عند رسول الله وهم اضداد وغرة صدورهم يعني محال ان يثبت لهؤلاء عهد فلا تطمعوا
في ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا في قتلهم ثم استدرك ذلك بقوله الا الذين عاهدتم اي ولكن الذين
عاهدتم منهم عند المسجد الحرام ولم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني ضمرة فتربصوا امرهم ولا تقاتلوهم

فما استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله ان الله يحب المتقين يعني ان التربص بهم من اعمال المتقين
كيف تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما كما قال وخبرتماني انما الموت
بالقرى فكيف وها هاتا هضبة وكثيب يريد فكيف مات اي كيف يكون لهم عهد وحالهم انهم ان يظهروا عليكم بعد
ما سبق لهم من تأكيد الايمان والمواثيق لم ينظروا في حلف ولا عهد ولم يبقوا عليكم لا يرقبوا فيكم الا لا يراعوا
حلفا وقيل قرابة وانشد لحسان لعمرك ان الك من قريش كال السقب من رال النعام وقيل الا الها
وقرئ ايلا بمعناه وقيل جبريل وجبرائيل من ذلك وقيل منه اشتق الال بمعنى القرابة كما اشتق الرحم من
الرحمن والوجه ان اشتقاق الال بمعنى الحلف لانهم اذا تماسحوا او تحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه من الال وهو
الجؤار وله اليل اي انين يرفع به صوته ودعت الليها اذا ولولت ثم قيل لكل عهد وميثاق ال وسميت به القرابة
لان القرابة عقدت بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق يرضونكم بافواههم كلام مبتدأ في وصف حالهم من مخالفة
الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد واباء القلوب مخالفة ما فيها من الاضغان لما يجرونه على السنتهم
من الكلام الجميل واكثرهم فاسقون متمردون خلعاء لا مروءة تزعهم ولا شمائل مرضية تردعهم كما
يوجد ذلك في بعض الكفرة من التفادي عن الكذب والنكث والتعفف عما يثلم العرض ويجر احدوثة السوء ٥
اشتروا استبدلوا بآيات الله بالقرآن والاسلام ثمنا قليلا وهو اتباع الاهواء والشهوات فصدوا عن سبيله
فعدلوا عنه او صرفوا غيرهم وقيل هم الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم هم المعتدون المجاوزون
الغاية في الظلم والشرارة فان تابوا عن الكفر ونقض العهد فاخوانكم فهم اخوانكم على حذف المبتدأ كقوله
فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم ونفصل الآيات ونبينها وهذا اعتراض كانه قيل وان من تأمل تفصيلها فهو العالم
بعثا وتحريضا على تأمل ما فصل من احكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها وطعنوا في دينكم وثلبوه وعابوه
فقاتلوا ائمة الكفر فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع ضميرهم اشعارا بانهم اذا نكثوا في حال الشرك تمردا او طغيانا
وطرحا لعادات الكرام الاوفياء من العرب ثم آمنوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وصاروا اخوانا للمسلمين في الدين ثم
رجعوا فارتدوا عن الاسلام ونكثوا ما بايعوا عليه من الايمان والوفاء بالعهود وقعدوا يطعنون في دين الله ويقولون
ليس دين محمد بشيء فهم ائمة الكفر وذوو الرئاسة والتقدم فيه لا يشق كافر غبارهم وقالوا اذا طعن الذمي في دين
الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على ان لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة
انهم لا ايمان لهم جمع يمين وقرئ لا ايمان لهم اي لا اسلام لهم او لا يعطون الامان بعد الردة والنكث ولا سبيل اليه
فان قلت كيف اثبت لهم الايمان في قوله وان نكثوا ايمانهم ثم نفاها عنهم قلت اراد ايمانهم التي اظهروها
ثم قال لا ايمان لهم على الحقيقة وايمانهم ليست بايمان وبه استشهد ابو حنيفة على ان يمين الكافر لا تكون يمينا وعند الشافعي
يمينهم يمين وقال معناه انهم لا يوفون بها بدليل انه وصفها بالنكث لعلهم ينتهون متعلق بقوله فقاتلوا ائمة الكفر
اي ليكن غرضكم في مقاتلتهم بعد ما وجد منهم ما وجد من العظائم ان تكون المقاتلة سببا في انتهائهم عما هم
عليه وهذا من غاية كرمه وفضله وعوده على المسيء بالرحمة كلما عاد فان قلت كيف لفظ ائمة قلت
همزة بعدها همزة بين بين اي بين مخرج الهمزة والياء وتحقيق الهمزتين قراءة مشهورة وان لم تكن مقبولة عند البصريين
واما التصريح بالياء فليس بقراءة ولا يجوز ان تكون ومن صرح بها فهو لاحن محرف الا تقاتلون دخلت الهمزة
على لا تقاتلون تقريرا بانتفاء المقاتلة ومعناه الحض عليها على سبيل المبالغة نكثوا ايمانهم التي حلفوها في المعاهدة وهموا
باخراج الرسول من مكة حين تشاوروا في امره بدار الندوة حتى اذن الله له في الهجرة فخرج بنفسه وهم بدؤكم
اول مرة اي وهم الذين كانت منهم البداءة بالمقاتلة لان رسول الله جاءهم اولا بالكتاب المنير وتحداهم به

بعد لواعج المعارضة لعجزهم عنها الى القتال فهم البادئون بالقتال والبادي اظلم فما يمنعكم ان تقابلوهم بمثله وان
تصدموهم بالشر كما صدموكم وبخهم بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها ويقرر
ان من كان في مثل صفاتهم من نكث العهد واخراج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب حقيق بان لا تترك مصادمته
وان يوبخ من فرط فيها **اتخشونهم** تقرير بالخشية منهم وتوبيخ عليها **فالله احق ان تخشوه** فقاتلوا اعداءه ان
كنتم مؤمنين يعني ان قضية الايمان الصحيح ان لا يخشى المؤمن الا ربه ولا يبالي بمن سواه كقوله ولا يخشون احدا
الا الله لما وبخهم الله على ترك القتال جرد لهم الامر به فقال قاتلوهم ووعدهم ليثبت قلوبهم وتصحح نياتهم انه يعذبهم بايديكم على ص
قتلا ويخزيهم اسرا ويوليهم النصر والغلبة عليهم ويشفي صدور طائفة من المؤمنين وهم خزاعة قال ابن عباس
هم بطون من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه يشكون اليه
فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا منهم من المكروه وقد حصل الله لهم هذه المواعيد كلها
فكان ذلك دليلا على صدق رسول الله وصحة نبوته ويتوب الله على من يشاء ابتداء كلام واخبار بان بعض اهل مكة يتوب
عن كفره وكان ذلك ايضا فقد اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ ويتوب بالنصب على اضمار ان ودخول التوبة
في جملة ما اجيب به الامر من طريق المعنى والله عليم يعلم ما سيكون كما يعلم ما كان حكيم لا يفعل الا ما اقتضته
الحكمة ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على وجود الحسبان والمعنى انكم لا تتركون على ما انتم عليه حتى يتبين الخلص
منكم وهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله ولم يتخذوا وليجة اي بطانة من الذين يضادون رسول الله والمؤمنين ولما
معناها التوقع وقد دلت على ان تبين ذلك واتضاحه متوقع كائن وان الذين لم يخلصوا دينهم لله يميز بينهم وبين المخلصين
وقوله ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا داخل في حيز الصلة كانه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير
المتخذين من دون الله وليجة فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كقول القائل ما علم بعه ص
الله مني ما قيل فيّ يريد ما وجد ذلك مني ما كان للمشركين ما صح لهم وما استقام ان يعمروا مساجد الله يعني المسجد
الحرام لقوله وعمارة المسجد الحرام واما القراءة بالجمع ففيها وجهان ان يراد المسجد الحرام وانما قيل مساجد لانه قبلة
المساجد كلها وامامها فعامره كعامر جميع المساجد ولان كل بقعة منه مسجد والثاني ان يراد جنس المساجد واذا لم
يصلحوا لان يعمروا جنسها دخل تحت ذلك ان لا يعمروا المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ومقدمته وهو آكد لان
طريقته طريقة الكناية كما لو قلت فلان لا يقرأ كتب الله كنت انفى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك وشاهدين
حال من الواو في يعمروا والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته
ومعنى شهادتهم على انفسهم بالكفر ظهور كفرهم وانهم نصبوا اصنامهم حول البيت وكانوا يطوفون عراة ويقولون
لا نطوف عليها بثياب قد اصبنا فيها المعاصي وكلما طافوا شوطا سجدوا لها وقيل هو قولهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو
لك تملكه وما ملك وقيل اقبل المهاجرون والانصار على اسارى بدر فعيروهم بالشرك وطفق علي بن ابي طالب رضي الله مص
عنه يوبخ العباس بقتال رسول الله وقطيعة الرحم واغلظ له في القول فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا
فقالوا اولكم محاسن قالوا نعم ونحن افضل منكم اجرا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني ٥
فنزلت حبطت اعمالهم التي هي العمارة والحجابة والسقاية وفك العناة واذا هدم الكفر او الكبيرة الاعمال الثابتة الصحيحة
اذا تعقبها فما ظنك بالمقارن والى ذلك اشار في قوله شاهدين حال عنهم ودل على انهم قارنوا بين العمارة والشهادة بالكفر حيث جعلهم
على انفسهم في حال واحد وذلك محال غير مستقيم **انما يعمر مساجد الله** وقرئ بالتوحيد اي انما تستقيم عمارة
هؤلاء وتكون معتدا بها والعمارة تتناول رم ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وتعظيمها واعتيادها للعبادة والذكر
ومن الذكر درس العلم بل هو اجله واعظمه وصيانتها مما لم تبن له المساجد من احاديث الدنيا فضلا عن فضول الحديث وعن

النبي صلى الله عليه وسلم يأتي في آخر الزمان ناس من امتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم
فليس لله بهم حاجة وفي الحديث الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال عليه السلام قال
الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم
زائره وعنه من الف المسجد الفه الله وقال صلى الله عليه اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان وعن
انس رضي الله عنه من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش تستغفر له ما دام في ذلك المسجد ضوءه
فان قلت هلا ذكر الايمان برسول الله **قلت** لما علم وشهر ان الايمان بالله قرينته الايمان بالرسول
لاشتمال كلمة الشهادة والاذان والاقامة وغيرها عليهما مقترنين مزدوجين كانهما شيء واحد غير منفك
احدهما عن صاحبه انطوى تحت ذكر الايمان بالله الايمان بالرسول وقيل دل عليه بذكر اقامة الصلاة وايتاء الزكاة
فان قلت كيف قيل ولم يخش الا الله والمؤمن يخشى المحاذير ولا يتمالك ان لا يخشاها **قلت** هي الخشية
والتقوى في ابواب الدين وان لا يختار على رضى الله رضى غيره لتوقع مخوف واذا اعترضه امران احدهما حق الله والآخر
حق نفسه ان خاف الله فآثر حق الله على حق نفسه وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فاريد نفي تلك الخشية عنهم
فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم لاطماعهم في
الانتفاع باعمالهم التي استعظموها وافتخروا بها واملوا عاقبتها بان الذين آمنوا وضموا الى ايمانهم العمل بالشرائع مع
استشعار الخشية والتقوى اهتداؤهم دائر بين عسى ولعل فما بال المشركين يقطعون انهم مهتدون ونائلون عند
الله الحسنى وفي هذا الكلام ونحوه لطف للمؤمنين في ترجيح الخشية على الرجاء ورفض الاغترار بالله السقاية والعمارة
مصدران من سقى وعمر كالصيانة والوقاية ولا بد من مضاف محذوف تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج وعمارة المسجد
الحرام كمن آمن بالله وتصدقه قراءة ابن الزبير وابي وجزة السعدي وكان من القراء سقاة الحاج وعمرة المسجد
الحرام والمعنى انكار ان يشبه المشركون بالمؤمنين واعمالهم المحبطة باعمالهم المثبتة وان يسوى بينهم وجعل تسويتهم ظلما
بعد ظلمهم بالكفر وروي ان المشركين قالوا لليهود نحن سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام افنحن افضل ام محمد واصحابه
فقالت لهم اليهود انتم افضل وقيل ان عليا قال للعباس يا عم الا تهاجرون الا تلحقون برسول الله فقال الست في افضل
من الهجرة اسقي حاج بيت الله واعمر المسجد الحرام فلما نزلت قال العباس ما اراني الا تارك سقايتنا فقال عليه السلام اقيموا على سقا تيكم
فان لكم فيها خيرا هم درجة عند الله من اهل السقاية والعمارة عندكم واولئك هم الفائزون لا اعظم ص
انتم المختصون بالفوز دونهم وقرئ يبشرهم بالتخفيف والتثقيل وتنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف
المعرف وعن ابن عباس هي في المهاجرين خاصة كان قبل فتح مكة من لم يتم ايمانه الا بان يهاجر ويصارم اقاربه الكفرة
ويقطع موالاتهم فقالوا يا رسول الله ان نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا آباءنا وابناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا و
هلكت اموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت فهاجروا فجعل الرجل يأتيه ابنه او ابوه او اخوه او بعض اقاربه فلا يلتفت اليه
ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك وقيل نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الله عن موالاتهم وعن النبي صلى الله
عليه لا يطعم احدكم طعم الايمان حتى يحب في الله ويبغض في الله حتى يحب في الله ابعد الناس ويبغض في الله اقرب الناس اليه وقرئ
عشيراتكم وعشائركم وقرأ الحسن وعشائركم فتربصوا حتى يأتي الله بامره وعيد عن ابن عباس هو فتح مكة وعن
الحسن عقوبة عاجلة او آجلة وهذه آية شديدة لا ترى اشد منها كانها تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب
حبل اليقين فلينصف اورع الناس واتقاهم من نفسه هل يجد عنده من التصلب في ذات الله والثبات على دين الله ما ٥

يصحب له دينه على الآباء والأبناء والإخوان والمال والمساكن وجميع حظوظ الدنيا ويتجرد منها لأجله أم يزوي
الله عنه أحقر شيء منها لمصلحته فلا يدري أي طرفيه أطول ويغويه الشيطان عن أجل حظ من حظوظ الدين فلا يبالي كأنما
وقع على أنفه ذباب فطيّره مواطن الحروب مقاماتها ومواقفها قال
وكم موطن لولاي طحت كما هوى بأجرامه من قلة النيق منهوي وامتناعه من الصرف لأنه جمع وعلى صيغة لم
يأت عليها واحد والمواطن الكثيرة وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة كيف
عطف الزمان على المكان وهو يوم حنين على المواطن معناه وموطن يوم حنين أو في أيام مواطن كثيرة
ويوم حنين ويجوز أن يراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين على أن الواجب أن يكون يوم حنين منصوبا بفعل مضمر
لا بهذا الظاهر وموجب قوله ذلك أن قوله إذ أعجبتكم بدل من يوم حنين فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح لأن
كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيرا في جميعها فبقي أن يكون ناصبه فعلا خاصا به إلا إذا نصبت إذ
بإضمار اذكر وحنين واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر ألفا الذين حضروا فتح مكة منضما
إليهم ألفان من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وهم أربعة آلاف فيمن ضامهم من إمداد سائر العرب وكانوا الجم الغفير
فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله وقيل قائلها رسول الله وقيل أبو بكر وذلك
قوله أعجبتكم كثرتكم فاقتتلوا قتالا شديدا وأدركت المسلمين كلمة الإعجاب بالكثرة وزل عنهم أن الله هو الناصر لا كثرة الجنود
فانهزموا حتى بلغ فلّهم مكة وبقي رسول الله وحده وهو ثابت في مركزه لا يتحلحل ليس معه إلا عمه العباس آخذا بلجام دابته
وأبو سفيان بن الحرث ابن عمه وناهيك بهذه الواحدة شهادة صدق على تناهي شجاعته ورباطة جأشه وما هي إلا من آيات النبوة
وقال يا رب ائتني بما وعدتني وقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى الأنصار فخذا فخذا ثم نادى يا أصحاب الشجرة يا أصحاب ب
البقرة فكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة عليهم الثياب البيض على خيول بلق فنظر رسول الله إلى قتال المسلمين
فقال هذا حين حمي الوطيس ثم أخذ كفا من تراب فرماهم به ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا قال العباس لكأني أنظر
إلى رسول الله يركض خلفهم على بغلته بما رحبت ما مصدرية والباء بمعنى مع أي مع رحبها وحقيقته ملتبسة برحبها
على أن الجار والمجرور في موضع الحال كقولك دخلت عليه بثياب السفر أي ملتبسا بها لم تحلها تعني مع ثياب السفر والمعنى لا
تجدون موضعا تستصلحونه لهربكم إليه ونجاتكم لفرط الرعب فكأنها ضاقت عليكم ثم وليتم مدبرين ثم انهزمتم سكينته
رحمته التي سكنوا بها وأمنوا وعلى المؤمنين الذين انهزموا وقيل هم الذين ثبتوا مع رسول الله حين وقع الهرب وأنزل جنودا
يعني الملائكة وكانوا ثمانية آلاف وقيل خمسة آلاف وقيل ستة عشر ألفا وعذب الذين كفروا بالقتل والأسر وسبي
النساء والذراري ثم يتوب أي يسلم بعد ذلك ناس منهم وروي أن ناسا منهم جاءوا فبايعوا رسول الله على الإسلام وقالوا
يا رسول الله أنت خير الناس وأبر الناس وقد سبي أهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا قيل سبي يومئذ ستة آلاف نفس وأخذ
من الإبل والغنم ما لا يحصى فقال إن عندي ما ترون إن خير القول أصدقه اختاروا إما ذراريكم ونساءكم وإما أموالكم قالوا ما
كنا نعدل بالأحساب شيئا فقام رسول الله فقال إن هؤلاء جاءوا مسلمين وإنا خيرناهم بين الذراري والأموال فلم يعدلوا
بالأحساب شيئا فمن كان بيده سبي وطابت نفسه أن يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه
قالوا رضينا فقال إني لا أدري لعل منكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك إلينا فرفعت إليه العرفاء أن قد رضوا نجس ٣٢٨
مصدر يقال نجس نجسا وقذر قذرا ومعناه ذوو نجس لأن معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس ولأنهم لا يتطهرون ولا يغتسلون
ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم أو جعلوا كأنهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم بها وعن ابن عباس أعيانهم نجسة
كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا توضأ وأهل المذاهب على خلاف هذين القولين وقرئ نجس بكسر

النون وسكون الجيم على تقدير الموصوف كأنه قيل إنما المشركون جنس نجس أو ضرب نجس وأكثر ما جاء تابعا لرجس
وهو تخفيف نجس نحو كبد في كبد فلا يقربوا المسجد الحرام فلا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون في
الجاهلية بعد عامهم هذا بعد حج عامهم هذا وهو عام تسع من الهجرة حين أمّر أبو بكر رضي الله عنه على الموسم وهو
مذهب أبي حنيفة وأصحابه ويدل عليه قول علي رضي الله عنه حين نادى ببراءة ألا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك
ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عندهم وعند الشافعي يمنعون من المسجد الحرام خاصة
وعند مالك يمنعون منه ومن غيره من المساجد وعن عطاء أن المراد بالمسجد الحرام الحرم وأن على المسلمين أن لا
يمكنوهم من دخوله ونهي المشركين أن يقربوه راجع إلى نهي المسلمين عن تمكينهم منه وقيل المراد أن
يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك وإن خفتم عيلة أي فقرا بسبب منع المشركين
من الحج وما كان لكم في قدومهم عليكم من الأرفاق والمكاسب فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه أو من
تفضله بوجه آخر فأرسل السماء عليهم مدرارا أغزر بها خيرهم وأكثر ميرهم وأسلم أهل تبالة وجرش فحملوا
الطعام وما يعاش به فكان ذلك أعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته وعن ابن عباس ألقى الشيطان في قلوبهم
الخوف وقال من أين تأكلون فأمرهم الله بقتال أهل الكتاب وأغناهم بالجزية وقيل بفتح البلاد والغنائم وقرئ
عائلة بمعنى المصدر كالعافية أو حالا عائلة ومعنى قوله إن شاء أن أوجبت الحكمة إغناءكم وكان مصلحة لكم في دينكم إن
الله عليم بأحوالكم حكيم لا يعطي [illegible] إلا عن حكمة وصواب من الذين أوتوا الكتاب بيان للذين مع ما في حيزه نفى
عنهم الإيمان بالله لأن اليهود مثنية والنصارى مثلثة وإيمانهم باليوم الآخر لأنهم فيه على خلاف ما يجب وحرم ما حرم
الله ورسوله لأنهم لا يحرمون ما حرم في الكتاب والسنة وعن أبي روق لا يعملون بما في التوراة والإنجيل وأن يدينوا دين الحق
وأن يعتقدوا دين الإسلام الذي هو الحق وما سواه الباطل وقيل دين الله يقال فلان يدين بكذا إذا اتخذه دينه
ومعتقده سميت جزية لأنها طائفة مما على أهل الذمة أن يجزوه أي يقضوه أو لأنهم يجزون بها من منّ عليهم
بالإعفاء عن القتل عن يد إما أن يراد يد المعطي أو الآخذ فمعناه على إرادة المعطي حتى يعطوها عن يد أي عن
يد مواتية غير ممتنعة لأن من أبى وامتنع لم يعط يده بخلاف المطيع المنقاد ولذلك قالوا أعطى بيده إذا انقاد وأصحب ألا
ترى إلى قولهم نزع يده عن الطاعة كما يقال خلع ربقة الطاعة عن عنقه أو حتى يعطوها عن يد إلى يد نقدا غير نسيئة لا مبعوثا
على يد أحد ولكن عن يد المعطي إلى يد الآخذ وأما على إرادة يد الآخذ فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية أو إنعام
عليهم لأن قبول الجزية منهم وترك أرواحهم لهم نعمة عظيمة عليهم وهم صاغرون أي تؤخذ منهم على الصغار
والذل وهو أن يأتي بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس وأن يتلتل تلتلة ويقال له أدّ الجزية وإن كان
يؤديها ويزج في قفاه وتسقط بالإسلام عند أبي حنيفة ولا يسقط به خراج الأرض واختلف فيمن تضرب عليه فعند أبي
حنيفة أنها تضرب على كل كافر من ذمي ومجوسي وصابئ وحربي إلا على مشركي العرب وحدهم وروى الزهري أن
رسول الله صلى الله عليه صالح عبدة الأوثان على الجزية إلا من كان من العرب وقال لأهل مكة هل لكم في كلمة إذا قلتموها دانت
لكم بها العرب وأدت إليكم الجزية العجم وعند الشافعي لا تؤخذ من مشركي العجم والمأخوذ عند أبي حنيفة في أول
كل سنة من الفقير الذي له كسب اثنا عشر درهما ومن المتوسط في الغنى ضعفها ومن المكثر ضعف الضعف ثمانية وأربعون
ولا تؤخذ من فقير لا كسب له وعند الشافعي تؤخذ في آخر السنة من كل واحد دينار فقيرا كان أو غنيا كان له
كسب أو لم يكن عزير ابن الله مبتدأ وخبر كقوله المسيح ابن الله وعزير اسم أعجمي كعازر وعيزار وعزرائيل
ولعجمته وتعريفه امتنع صرفه ومن نون فقد جعله عربيا وأما قول من قال سقوط التنوين لالتقاء الساكنين كقراءة
من قرأ أحد الله أو لأن الابن وقع وصفا والخبر محذوف وهو معبودنا فتمحل عنه مندوحة وهو قول ناس من

اليهود ممن كان بالمدينة وما هو بقول كلهم عن ابن عباس جاء رسول الله صلى الله عليه سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص وسبب هذا القول أن اليهود قتلوا الأنبياء بعد موسى عليه السلام فرفع الله عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام يسيح في الأرض فأتاه جبريل فقال له إلى أين تذهب قال أطلب العلم فحفظه التوراة فأملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع الله التوراة في صدره وهو غلام إلا أنه ابنه والدليل على أن هذا القول كان فيهم أن الآية تليت عليهم فما أنكروا ولا كذبوا مع تهالكهم على التكذيب كل قول يقال بالفم فما معنى قوله ذلك قولهم بأفواههم فيه وجهان أحدهما أن يراد أنه قول لا يعضده برهان فما هو إلا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته كالألفاظ المهملة التي هي أجراس ونغم لا تدل على معان وذلك أن القول الدال على معنى لفظه مقول بالفم ومعناه مؤثر في القلب وما لا معنى له مقول بالفم لا غير والثاني أن يراد بالقول المذهب كقولهم قول أبي حنيفة يريدون مذهبه وما يقول به كأنه قيل ذلك مذهبهم ودينهم بأفواههم لا بقلوبهم لأنه لا حجة معه ولا شبهة حتى يؤثر في القلوب وذلك أنهم إذا اعترفوا أنه لا صاحبة له لم تبق شبهة في انتفاء الولد يضاهؤن لا بد فيه من حذف مضاف تقديره يضاهي قولهم ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فانقلب مرفوعا والمعنى أن الذين كانوا في عهد رسول الله من اليهود والنصارى يضاهي قولهم قول قدمائهم يعني أنه كفر قديم فيهم غير مستحدث أو يضاهي قول المشركين الملائكة بنات الله وقيل الضمير للنصارى أي يضاهي قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لأنهم أقدم منهم وقرئ يضاهئون بالهمز من قولهم امرأة ضهيأ على فعيل وهي التي ضاهأت الرجال في أنها لا تحيض وهمزته مزيدة كما في غرقئ قاتلهم الله أي هم أحقاء بأن يقال لهم هذا تعجبا من شناعة قولهم كما يقال لقوم ركبوا شنعاء قاتلهم الله ما أعجب فعلهم أنى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق اتخذوا أحبارهم أربابا أنهم أطاعوهم في الأمر بالمعاصي وتحليل ما حرم الله وتحريم ما حلله كما تطاع الأرباب في أوامرهم ونحوه تسمية اتباع الشيطان فيما وسوس به عبادة بل كانوا يعبدون الجن يا أبت لا تعبد الشيطان وعن عدي بن حاتم انتهيت إلى رسول الله وفي عنقي صليب من ذهب فقال أليسوا يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرمه فتحلونه قلت بلى قال فتلك عبادتهم وعن فضيل ما أبالي أطعت مخلوقا في معصية الخالق أو صليت لغير القبلة وأما المسيح فحين جعلوه ابنا لله فقد أهلوه للعبادة ألا ترى إلى قوله قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا أمرتهم بذلك أدلة العقل والنصوص في الإنجيل والمسيح عليه السلام إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة سبحانه تنزيه له عن الإشراك به واستبعاد له ويجوز أن يكون الضمير في وما أمروا للمتخذين أربابا أي وما أمر هؤلاء الذين هم عندهم أرباب إلا ليعبدوا الله ويوحدوه فكيف يصح أن يكونوا أربابا وهم مأمورون مستعبدون مثلهم مثل حالهم في طلبهم أن يبطلوا نبوة محمد صلى الله عليه بالتكذيب بحال من يريد أن ينفخ في نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله أن يزيده ويبلغه الغاية القصوى من الإشراق والإضاءة ليطفئه بنفخه ويطمسه ليظهره ليظهر الرسول على الدين كله على أهل الأديان كلهم أو ليظهر دين الحق على كل دين كيف جاز أبى الله إلا كذا ولا يقال كرهت أو أبغضت إلا زيدا قد أجرى أبى مجرى لم يرد ألا ترى كيف قوبل يريدون أن يطفئوا بقوله ويأبى الله وكيف أوقع موقع ولا يريد الله إلا أن يتم نوره معنى أكل الأموال على وجهين إما أن يستعار الأكل للأخذ ألا ترى إلى قولهم أخذ الطعام وتناوله وإما على أن الأموال يؤكل بها فهي سبب للأكل ومنه قوله يأكلن كل ليلة إكافا يريد علفا يشترى بثمن إكاف ومعنى أكلهم بالباطل أنهم كانوا يأخذون الرشا في الأحكام والتخفيف والمسامحة في الشرائع والذين يكنزون يجوز أن يكون إشارة إلى الكثير من الأحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين مذمومتين فيهم أخذ البراطيل وكنز

الأموال والضن بها عن الإنفاق في سبيل الخير ويجوز أن يراد المسلمون الكانزون غير المنفقين ويقرن بينهم وبين المرتشين من اليهود والنصارى تغليظا ودلالة على أن من يأخذ منهم السحت ومن لا يعطي منكم طيب ماله سواء في استحقاق البشارة بالعذاب الأليم وقيل نسخت الزكاة آية الكنز وقيل هي ثابتة وإنما عني بترك الإنفاق في سبيل الله منع الزكاة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما أدي زكاته فليس بكنز وإن كان باطنا وما بلغ أن يزكى فلم يزك فهو كنز وإن كان ظاهرا وعن عمر رضي الله عنه أن رجلا كان له أرض باعها فقال أحرز مالك الذي أخذت احفر له تحت فراش امرأتك قال أليس بكنز قال لا ما أدي زكاته فليس بكنز وعن ابن عمر كل ما أديت زكاته فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين وما لم تؤد زكاته فهو الذي ذكره الله تعالى وإن كان على وجه الأرض فما تصنع بما روى سالم بن الجعد أنها لما نزلت قال رسول الله تبا للذهب تبا للفضة قالها ثلاثا فقالوا له أي مال نتخذ قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين أحدكم على دينه وبقوله عليه السلام من ترك صفراء أو بيضاء كوي بها وتوفي رجل فوجد في مئزره دينار فقال رسول الله كية وتوفي رجل آخر فوجد في مئزره ديناران فقال كيتان كان هذا قبل أن تفرض الزكاة فأما بعد فرض الزكاة فالله أعدل وأكرم من أن يجمع عبده مالا من حيث أذن له فيه ويؤدي عنه ما أوجب عليه فيه ثم يعاقبه ولقد كان كثير من الصحابة كعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله يقتنون الأموال ويتصرفون فيها وما عابهم أحد ممن أعرض عن القنية لأن الإعراض اختيار للأفضل والأدخل في الورع والزهد في الدنيا والاقتناء مباح موسع لا يذم صاحبه ولكل شيء حد وما روي عن علي رضي الله عنه أربعة آلاف فما دونها نفقة فما زاد فهو كنز كلام في الأفضل ولا ينفقونها وقد ذكر شيئان لم قيل ولا ينفقونها ذهابا بالضمير إلى المعنى دون اللفظ لأن كل واحد منهما جملة وافية وعدة كثيرة ودنانير ودراهم فهو كقوله وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل ذهب به إلى الكنوز وقيل إلى الأموال وقيل معناه ولا ينفقونها والذهب كما أن معنى قوله فإني وقيار بها لغريب وقيار كذلك لم خصا بالذكر من بين سائر الأموال لأنهما قانون التمول وأثمان الأشياء ولا يكنزهما إلا من فضلا عن حاجته ومن كثرا عنده حتى يكنزهما لم يعدم سائر أجناس المال فكان ذكر كنزهما دليلا على ما سواهما ما معنى قوله يحمى عليها وهلا قيل تحمى من قولك حمي الميسم وأحميته ولا تقول أحميت على الحديد معناه أن النار تحمى عليها أي توقد ذات حمى وحر شديد من قوله نار حامية ولو قيل يوم تحمى لم يعط هذا المعنى فإذا كان الإحماء للنار فلم ذكر الفعل لأنه مسند إلى الجار والمجرور أصله يوم تحمى النار عليها فلما حذفت النار قيل يحمى عليها لانتقال الإسناد عن النار إلى عليها كما تقول رفعت القصة إلى الأمير فإن لم تذكر القصة قلت رفع إلى الأمير وعن ابن عامر أنه قرأ تحمى بالتاء وقرأ أبو حيوة فيكوى بالياء لم خصت هذه الأعضاء لأنهم لم يطلبوا بأموالهم حيث لم ينفقوها في سبيل الله إلا الأغراض الدنيوية من وجاهة عند الناس وتقدم وأن يكون ماء وجوههم مصونا عندهم يتلقون بالجميل ويحيون بالإكرام ويبجلون ويحتشمون ومن أكل طيبات يتضلعون منها وينفخون جنوبهم ومن لبس ناعمة من الثياب يطرحونها على ظهورهم كما ترى أغنياء زمانك هذه أغراضهم وطلباتهم من أموالهم لا يخطرون ببالهم قول رسول الله صلى الله عليه ذهب أهل الدثور بالأجور وقيل لأنهم كانوا إذا أبصروا الفقير عبسوا وإذا ضمهم وإياه مجلس ازوروا عنه وتولوا بأركانهم وولوه ظهورهم وقيل معناه يكوون على الجهات الأربع مقاديمهم ومآخيرهم وجنوبهم هذا ما كنزتم على إرادة القول وقوله لأنفسكم أي كنزتموه لتنتفع به نفوسكم وتلتذ وتحصل لها الأغراض التي حامت حولها وما علمتم أنكم لم تكنزوه إلا لتستضر به أنفسكم وتتعذب وهو توبيخ لهم فذوقوا ما كنتم تكنزون وقرئ تكنزون بضم النون أي وبال المال الذي كنتم تكنزونه أو وبال كونكم كانزين في كتاب الله فيما أثبته وأوجبه من حكمه ورآه حكمة وصوابا وقيل في اللوح أربعة

حرم منها سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب ومنه قوله عليه السلام في خطبته في حجة الوداع
ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلث متواليات
ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الأشهر إلى ما كانت عليه وعاد
الحج إلى ذي الحجة وبطل النسيء الذي في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت حجة أبي بكر قبلها في ذي
القعدة ذلك الدين القيم يعني أن تحريم الأشهر الأربعة هو الدين المستقيم دين إبراهيم وإسماعيل
وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما وكانوا يعظمون الأشهر الحرم ويحرمون القتال فيها حتى لو لقي الرجل قاتل
أبيه أو أخيه لم يهجه وسموا رجبا الأصم ومنصل الأسنة حتى أحدثت النسيء فغيروا فلا تظلموا فيهن أنفسكم
أي في الحرم أي لا تجعلوا حرامها حلالا وعن عطاء بالله ما يحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الأشهر الحرم إلا أن
يقاتلوا وما نسخت وعن عطاء الخراساني أحلت القتال في الأشهر الحرم براءة من الله ورسوله وقيل معناه لا تأثموا فيهن
بيانا لعظم حرمتهن كما عظم أشهر الحج بقوله فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق الآية وإن كان ذلك محرما في سائر اشهر
الشهور كافة حال من الفاعل أو المفعول مع المتقين ناصر لهم حثهم على التقوى بضمان النصر لأهلها النسيء تأخير
حرمة الشهر إلى شهر آخر وذلك أنهم كانوا أصحاب حروب وغارات فإذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم
ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهرا آخر حتى رفضوا تخصيص الأشهر الحرم بالتحريم فكانوا يحرمون من شهور
العام أربعة أشهر وذلك قوله تعالى ليواطئوا عدة ما حرم الله أي ليوافقوا العدة التي هي الأربعة ولا يخالفوها
وقد خالفوا التخصيص الذي هو أحد الواجبين وربما زادوا في عدد الشهور فيجعلونها ثلثة عشر أو أربعة عشر ليتسع لهم
الوقت ولذلك قال عز وجل إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا يعني من غير زيادة زادوها والضمير في
يحلونه ويحرمونه للنسيء يعني إذا أحلوا شهرا من الأشهر الحرم عاما رجعوا فحرموه في العام القابل يروى أنه حدث
ذلك في كنانة لأنهم كانوا فقراء محاويج إلى الغارة وكان جنادة بن عوف الكناني مطاعا في الجاهلية وكان يقوم على جمل
في الموسم فيقول بأعلى صوته إن آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ثم يقوم في القابل فيقول إن آلهتكم قد حرمت عليكم
المحرم فحرموه جعل النسيء زيادة في الكفر لأن الكافر كلما أحدث معصية ازداد كفرا فزادتهم رجسا إلى رجسهم كما أن
المؤمن إذا أحدث طاعة ازداد إيمانا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وقرئ يضل على البناء للمفعول ويضل
بفتح الياء والضاد ويضل على أن الفعل لله عز وجل وقرأ الزهري ليوطئوا بالتشديد والنسيء مصدر نسأه إذا أخره
يقال نسأه نسأ ونساء ونسيئا كقولك مسه مسا ومساسا ومسيسا وقرئ بهن جميعا وقرئ النسي بوزن الندى والنسي
بوزن النهي وهما تخفيف النسيء والنسء ما معنى قوله فيحلوا ما حرم الله معناه فيحلوا بمواطأة
العدة وحدها من غير تخصيص ما حرم الله من القتال أو من ترك الاختصاص للأشهر بعينها زين لهم سوء أعمالهم خذلهم
الله فحسبوا أعمالهم القبيحة حسنة والله لا يهدي أي لا يلطف بهم بل يخذلهم وقرئ زين لهم سوء أعمالهم على البناء
للفاعل وهو الله عز وجل اثاقلتم وقرأه الأعمش تثاقلتم أي تباطأتم وتقاعستم وضمن معنى الميل والإخلاد فعدي
بإلى والمعنى ملتم إلى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه ونحوه أخلد إلى الأرض واتبع هواه
وقيل ملتم إلى الإقامة بأرضكم ودياركم وقرئ أثاقلتم على الاستفهام الذي معناه الإنكار والتوبيخ
فما العامل في إذا وحرف الاستفهام مانعه أن يعمل فيه ما دل عليه أو ما في مالكم
من معنى الفعل كأنه قيل ما تصنعون إذا قيل لكم كما تعمله في الحال إذا قلت مالك قائما وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة
عشر بعد رجوعهم من الطائف استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق
ذلك عليهم وقيل ما خرج رسول الله في غزوة إلا ورى عنها بغيرها إلا في غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة

من الآخرة بدل الآخرة كقوله لجعلنا منكم ملائكة في الأرض في جنب الآخرة إلا تنفروا سخط عظيم على المتثاقلين حيث
أوعدهم بعذاب أليم مطلق يتناول عذاب الدارين وأنه يهلكهم ويستبدل بهم قوما آخرين خيرا منهم وأطوع وأنه
غني عنهم في نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم فيها شيئا وقيل الضمير للرسول أي ولا تضروه لأن الله وعده أن يعصمه
من الناس وأن ينصره ووعد الله كائن لا محالة وقيل يريد بقوله قوما غيركم أهل اليمن وقيل أهل فارس والظاهر
مستغن عن التخصيص كيف يكون قوله فقد نصره الله جوابا للشرط فيه وجهان
أحدهما إلا تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه إلا رجل واحد ولا أقل من الواحد فدل بقوله فقد نصره
الله على أنه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت والثاني أنه أوجب له النصرة وجعله منصورا في ذلك الوقت
فلن يخذل من بعده وأسند الإخراج إلى الكفار كما أسنده إليهم في قوله من قريتك التي أخرجتك لأنهم حين هموا بإخراجه
أذن الله له في الخروج فكأنهم أخرجوه ثاني اثنين أحد اثنين كقوله ثالث ثلثة وهما رسول الله صلى الله عليه وأبو بكر الصديق
رضي الله عنه يروى أن جبريل صلوات الله عليه لما أمره بالخروج قال من يخرج معي قال أبو بكر وانتصابه على الحال وقرئ
ثاني اثنين بالسكون وإذ هما بدل من إذ أخرجه والغار ثقب في أعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكانه
لما إذ يقول بدل ثان قيل طلع المشركون فوق الغار فأشفق أبو بكر على رسول الله فقال إن تصب اليوم ذهب
دين الله فقال عليه السلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في أسفله و
العنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله اللهم أعم أبصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد أخذ
الله بأبصارهم عنه وقالوا من أنكر صحبة أبي بكر كان كافرا لإنكاره كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة سكينته ما ألقى في
قلبه من الأمنة التي سكن عندها وعلم أنهم لا يصلون إليه والجنود الملائكة يوم بدر والأحزاب وحنين وكلمة
الذين كفروا دعوتهم إلى الكفر وكلمة الله دعوته إلى الإسلام وقرئ وكلمة الله بالنصب والرفع أوجه وهي فصل
أو مبتدأ وفيها تأكيد فضل كلمة الله في العلو وأنها المختصة به دون سائر الكلم خفافا وثقالا خفافا في النفور
لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم أو خفافا لقلة عيالكم وثقالا لكثرتها أو خفافا من السلاح وثقالا منه أو
ركبانا أو مشاة أو شبانا أو شيوخا أو مهازيل وسمانا أو صحاحا ومراضا وعن ابن أم مكتوم أنه قال لرسول الله أعلي أن أنفر
قال نعم حتى نزل قوله ليس على الأعمى حرج وعن ابن عباس نسخت بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى وعن
صفوان بن عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا كبيرا قد سقط حاجباه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزو
فقلت يا عم لقد عذرك الله فرفع حاجبيه وقال يا ابن أخي استنفرنا الله خفافا وثقالا إلا أنه من يحبه الله يبتله وعن
الزهري خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه فقيل له إنك عليل صاحب ضرر فقال استنفر الله
الخفيف والثقيل فإن لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم إيجاب للجهاد
بهما إن أمكن أو بأحدهما على حسب الحال والحاجة العرض ما عرض لك من منافع الدنيا يقال الدنيا عرض
حاضر يأكل منه البر والفاجر أي لو كان ما دعوا إليه غنما قريبا سهل المنال وسفرا قاصدا وسطا مقاربا والشقة المسافة
الشاطة الشاقة وقرأ عيسى بن عمر بعدت عليهم الشقة بكسر العين والشين وسيحلفون [illegible]
ولا بعده إلا ما تواري الصفائح بالله متعلق بسيحلفون أو من جملة كلامهم والقول مراد في الوجهين أي سيحلفون يعني المتخلفين
عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم أو سيحلفون بالله يقولون لو استطعنا وقوله لخرجنا
سد مسد جواب القسم ولو جميعا والإخبار بما سوف يكون بعد القفول من حلفهم واعتذارهم وقد كان من جملة المعجزات ومعنى
الاستطاعة استطاعة العدة أو استطاعة الأبدان كأنهم تمارضوا وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الجمع في قوله
فتمنوا الموت يهلكون أنفسهم إما أن يكون بدلا من سيحلفون أو حالا بمعنى مهلكين والمعنى أنهم يوقعونها في الهلاك بحلفهم

الكاذبين وملجئون عليه من التخلف ويجوز أن يكون حالا من قوله لخرجنا أي لخرجنا معكم وإن أهلكنا أنفسنا وألقيناها في التهلكة بما نحملها من المسير في تلك الشقة وجاء به على لفظ الغائب لأنه مخبر عنهم ألا ترى أنه لو قيل سيحلفون بالله لو استطاعوا لخرجوا معك لكان سديدا يقال حلف بالله ليفعلن ولأفعلن فالغيبة على حكم الإخبار والتكلم على الحكاية لأن العفو مرادف لها ومعناه أخطأت وبئس ما فعلت. لم أذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو ومعناه ما لك أذنت لهم في القعود عن الغزو حين استأذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلا استأنيت بالإذن حتى يتبين لك من صدق في عذره ممن كذب فيه وقيل شيئان فعلهما النبي ولم يؤمر بهما إذنه للمنافقين وأخذه من الأسارى فعاتبه الله. لا يستأذنك ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا وكان الخلص من المهاجرين والأنصار يقولون لا نستأذن النبي صلى الله عليه وسلم أبدا ولنجاهدن معه بأموالنا وأنفسنا ومعنى أن يجاهدوا في أن يجاهدوا أو كراهة أن يجاهدوا. والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين وعدة لهم بأجزل الثواب. إنما يستأذنك يعني المنافقين وكانوا تسعة وثلثين رجلا. يترددون عبارة عن التحير لأن التردد ديدن المتحير كما أن الثبات والاستقرار ديدن المستبصر. وقرئ عده بمعنى عدته فعل بالعدة ما فعل بالعدة من قال وأخلفوك عد الأمر الذي وعدوا من حذف تاء التأنيث وتعويض المضاف إليه منها. وقرئ عده بكسر العين بغير إضافة. كيف موقع حرف الاستدراك. لما كان قوله ولو أرادوا الخروج معطيا معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو قيل ولكن كره الله انبعاثهم كأنه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم كما تقول ما أحسن إلى زيد ولكن أساء إليه. فثبطهم فكسلهم وخذلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث. وقيل اقعدوا جعل إلقاء الله في قلوبهم كراهة الخروج أمرا بالقعود وقيل هو قول الشيطان بالوسوسة وقيل هو قولهم لأنفسهم وقيل هو إذن رسول الله لهم في القعود. كيف جاز أن يوقع الله في نفوسهم كراهة الخروج إلى الغزو وهي قبيحة وتعالى الله عن إلهام القبيح. خروجهم كان مفسدة لقوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا فكان إيقاع كراهة ذلك الخروج في نفوسهم حسنا ومصلحة. فلم خطأ رسول الله في الإذن لهم فيما هو مصلحة. لأن إذن رسول الله لهم لم يكن للنظر في هذه المصلحة ولا علمها إلا بعد القفول بإعلام الله ولكن لأنهم استأذنوه في ذلك واعتذروا إليه وكان عليه أن يفحص عن كنه معاذيرهم ولا يتجوز في قبولها فمن ثم أتاه العتاب ويجوز أن يكون في ترك رسول الله الإذن لهم مع تثبيط الله إياهم مصلحة أخرى فبإذنه لهم فقدت تلك المصلحة وذلك أنه إذا ثبطهم الله فلم ينبعثوا وكان قعودهم بغير إذن الله قامت عليهم الحجة ولم تبق لهم معذرة ولقد تدارك الله ذلك حيث هتك أستارهم وكشف أسرارهم وشهد عليهم بالنفاق وأنهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر. ما معنى قوله مع القاعدين. هو ذم لهم وتعجيز وإلحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شأنهم القعود والجثوم في البيوت وهم القاعدون والخالفون والخوالف ويبينه قوله تعالى رضوا بأن يكونوا مع الخوالف. إلا خبالا ليس من الاستثناء المنقطع في شيء كما يقولون لأن الاستثناء المنقطع هو أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقولك ما زادوكم خيرا إلا خبالا والمستثنى منه في هذا الكلام غير مذكور وإذا لم يذكر وقع الاستثناء من أعم العام الذي هو الشيء فكان استثناء متصلا لأن الخبال بعض أعم العام كأنه قيل ما زادوكم شيئا إلا خبالا. والخبال الفساد والشر. ولأوضعوا خلالكم ولسعوا بينكم بالتضريب والنمائم وإفساد ذات البين يقال وضع البعير وضعا إذا أسرع وأوضعته أنا والمعنى ولأوضعوا ركائبهم بينكم والمراد الإسراع بالنمائم لأن الراكب أسرع من الماشي. وقرأ ابن الزبير ولأرقصوا من رقصت الناقة رقصا إذا أسرعت وأرقصتها. قال والراقصات إلى منى فالغبغب. وقرئ ولأوفضوا. كيف خط في المصحف ولا أوضعوا بزيادة الألف. كانت الفتحة تكتب ألفا قبل الخط العربي والخط العربي اخترع قريبا من نزول القرآن وقد بقي من ذلك الألف أثر في الطباع فكتبوا صورة

الهمزة ألفا وفتحتها ألفا أخرى ونحوه أو لا أذبحنه. يبغونكم الفتنة يحاولون أن يفتنوكم بأن يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم في مغزاكم. وفيكم سماعون لهم أي نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه إليهم أو فيكم قوم يسمعون للمنافقين ويطيعونهم. لقد ابتغوا الفتنة أي العنت ونصب الغوائل والسعي في تشتيت شملك وتفريق أصحابك عنك كما فعل عبد الله بن أبي يوم أحد حين انصرف بمن معه. وعن ابن جريج وقفوا لرسول الله على الثنية ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلا ليفتكوا به من قبل غزوة تبوك. وقلبوا لك الأمور ودبروا لك الحيل والمكائد ودوروا الآراء في إبطال أمرك. وقرئ وقلبوا بالتخفيف. حتى جاء الحق وهو تأييدك ونصرك وظهر أمر الله وغلب دينه وعلا شرعه. ائذن لي في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة وهي الإثم بأن لا تأذن لي فإني إن تخلفت بغير إذنك أثمت. وقيل ولا تلقني في الهلكة فإني إذا خرجت معك هلك مالي وعيالي. وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الأنصار أني مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الأصفر يعني نساء الروم ولكني أعينك بمال فاتركني. وقرئ ولا تفتني من أفتنه. ألا في الفتنة سقطوا أي إن الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف. وفي مصحف أبي سقط لأن من موحد اللفظ مجموع المعنى. لمحيطة بالكافرين يعني أنها تحيط بهم يوم القيمة أو هي محيطة بهم الآن لأن أسباب الإحاطة معهم فكأنهم في وسطها. إن تصبك في بعض الغزوات حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم وإن تصبك مصيبة نكبة وشدة في بعضها نحو ما جرى في يوم أحد يفرحوا بما صنعوا من الانحراف عنك. ويقولوا قد أخذنا أمرنا أي أمرنا الذي نحن متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم من قبل ما وقع. ويتولوا عن مقام التحدث بذلك والاجتماع له إلى أهاليهم وهم فرحون مسرورون. وقيل ويتولوا أعرضوا عن رسول الله. وقرأ ابن مسعود قل هل يصيبنا. وقرأ طلحة هل يصيبنا بتشديد الياء ووجهه أن يكون يفيعل لا يفعل لأنه من بنات الواو لقولهم الصواب وصاب السهم يصوب ومصاوب في جمع مصيبة فحق يفعل منه يصوب ألا ترى إلى قولهم صوب رأيه إلا أن يكون من لغة من يقول صاب السهم يصيب ومنه قوله أسهمي الصائبات والصيب. واللام في قوله إلا ما كتب الله لنا مفيدة معنى الاختصاص كأنه قيل لن يصيبنا إلا ما اختصنا الله بإثباته وإيجابه من النصرة عليكم أو الشهادة ألا ترى إلى قوله هو مولانا أي الذي يتولانا ونتولاه ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم. وعلى الله فليتوكل المؤمنون وحق المؤمنين أن لا يتوكلوا على غير الله فليفعلوا ما هو حقهم. إلا إحدى الحسنيين إلا إحدى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هي حسنى العواقب وهما النصرة والشهادة. ونحن نتربص بكم إحدى السوأيين من العواقب إما أن يصيبكم الله بعذاب من عنده وهو قارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود أو بعذاب بأيدينا وهو القتل على الكفر. فتربصوا بنا ما ذكرنا من عواقبنا إنا معكم متربصون ما هو عاقبتكم فلا بد أن يلقى كلنا ما يتربصه لا يتجاوزه. أنفقوا يعني في سبيل الله ووجوه البر. طوعا أو كرها نصب على الحال أي طائعين أو مكرهين. كيف أمرهم بالإنفاق ثم قال لن يتقبل منكم. هو أمر في معنى الخبر كقوله قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا ومعناه لن يتقبل منكم أنفقتم طوعا أو كرها. ونحوه قوله تعالى استغفر لهم أو لا تستغفر لهم. وقول الشاعر أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة. أي لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أو لم تستغفر لهم ولا نلومك أسأت إلينا أو أحسنت. متى يجوز نحو هذا. إذا دل الكلام عليه كما جاز عكسه في قولك رحم الله زيدا وغفر له. لم فعل ذلك. لنكتة فيه وهو أن كثيرا كأنه يقول لعزة امتحني لطف محلك عندي وقوة محبتي لك وعامليني بالإساءة والإحسان وانظري هل يتفاوت حالي معك مسيئة كنت أو محسنة. وفي معناه قول القائل أخوك الذي إن قمت بالسيف عامدا لتضربه لم يستغشك في الود. وكذلك المعنى أنفقوا وانظروا

هل يتقبل منهم ام لا واستغفر لهم او لا تستغفر لهم وانظر هل ترى اختلافا بين حال الاستغفار وتركه
ما الغرض في نفي التقبل امور ترك رسول الله تقبله منهم ورده عليهم ما يبذلون منه ام هو قولنا غير مقبول عند الله
ذاهبا ضياعا لا ثواب له   تحتمل الامرين جميعا   وقوله طوعا او كرها معناه طائعين من غير
الزام من الله ورسوله او ملزمين وسمي الالزام اكراها لانهم منافقون فكان الزامهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه
او طائعين من غير اكراه من رؤسائكم لان رؤساء اهل النفاق كانوا يحملون على الانفاق لما يرون من المصلحة فيه
او مكرهين من جهتهم   وروي انها نزلت في الجد بن قيس حين تخلف عن غزوة تبوك وقال لرسول الله هذا
مالي اعينك به فاتركني   انكم تعليل لرد انفاقهم والمراد بالفسق التمرد والعتو   انهم فاعل منع وهم وان
تقبل مفعولاه   وقرئ ان تقبل بالتاء والياء على البناء للمفعول   نفقاتهم ونفقتهم على الجمع والتوحيد
وقرئ السلمي ان يقبل منهم نفقاتهم على ان الفعل لله عز وجل   كسالى بالضم والفتح جمع كسلان نحو
سكارى وغيارى في سكران وغيران وكسلهم لانهم لا يرجون بصلاتهم ثوابا ولا يخشون بتركها
عقابا فهي ثقيلة عليهم كقوله وانها لكبيرة الا على الخاشعين   وقرأت في بعض الاخبار ان رسول الله صلى
الله عليه كره للمؤمن ان يقول كسلت كانه ذهب الى هذه الاية   وان الكسل من صفات المنافقين
فما ينبغي ان يسند المؤمن الى نفسه   الكراهية خلاف الطواعية وقد جعلهم الله طائعين في
قوله طوعا ثم وصفهم بانهم لا ينفقون الا وهم كارهون   المراد بطوعهم انهم يبذلونه من غير
الزام من رسول الله او من رؤسائهم وما طوعهم ذاك الا عن كراهة واضطرار لا عن رغبة واختيار   الاعجاب
بالشيء ان تسر به سرور راض به متعجب من حسنه   والمعنى فلا تستحسن ولا تفتتن بما اوتوا من زينة الدنيا كقوله
ولا تمدن عينيك فان الله انما اعطاهم ما اعطاهم للعذاب بان عرضه للتغنم والسبي وبلاهم فيه بالآفات والمصا
وكلفهم الانفاق منه في ابواب الخير وهم كارهون له على رغم انوفهم واذاقهم انواع الكلف والمحاشم في
جمعه واكتسابه وفي تربية اولادهم   ان صح تعليق التعذيب بارادة الله فبما بال زهوق انفسهم وهم
كافرون   المراد الاستدراج بالنعم كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما   كانه قيل ويريد ان
يديم عليهم نعمته الى ان يموتوا وهم كافرون ملتهون بالتمتع عن النظر للعاقبة   لمنكم لمن جملة المسلمين
يفرقون يخافون القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالاسلام تقية   ملجأ مكانا يلجؤون اليه متحصنين به
من راس جبل او قلعة او جزيرة او مغارات او غيرانا   وقرئ بضم الميم من اغار الرجل وغار اذا دخل الغور   وقيل
هو تعدية غار الشيء واغرته انا يعني امكنة يغيرون فيها اشخاصهم ويجوز ان يكون من اغار الثعلب اذا اسرع
بمعنى مهارب ومغار او متدخلا   او نفقا يندسون فيه وينجحرون وهو مفتعل من الدخول   وقرئ مدخلا من
دخل ومدخلا من ادخل مكانا يدخلون فيه انفسهم   وقرأ ابي بن كعب متدخلا   وقرئ لوالوا
اليه لالتجأوا اليه   يجمحون يسرعون اسراعا لا يردهم شيء من الفرس الجموح وهو الذي اذا حمل لم يرده اللجام
وقرأ انس يجمزون   فسئل عنه فقال يجمحون ويجمزون ويشتدون واحد   يلمزك يعيبك في قسمة الصدقات
ويطعن عليك   قيل هم المؤلفة قلوبهم   وقيل هو ابن ذي الخويصرة راس الخوارج كان رسول الله صلى الله
عليه يقسم غنائم حنين فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل   وقيل هو ابو الجواظ من
المنافقين قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم وهو يزعم انه يعدل فقال رسول الله لا
ابا لك اما كان موسى راعيا اما كان داود راعيا فلما ذهب قال عليه السلام احذروا هذا واصحابه فانهم منافقون
وقرئ يلمزك بالضم ويلمزك ويلامزك التثقيل والبناء على المفاعلة مبالغة ثم وصفهم بان رضاهم وسخطهم لانفسهم

لا للدين وما فيه صلاح اهله لان رسول الله استعطف قلوب اهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون
منه واذا للمفاجاة اي وان لم يعطوا منها فاجؤوا السخط   جواب لو محذوف تقديره ولو انهم رضوا لكان خيرا لهم
والمعنى ولو انهم رضوا ما اصابهم به النبي من الغنيمة وطابت به نفوسهم وان قل نصيبهم وقالوا كفانا فضل الله و
صنعه وحسبنا ما قسم لنا سيرزقنا غنيمة اخرى فيؤتينا رسول الله اكثر مما آتانا اليوم   انا الى الله في ان
يغنمنا ويخولنا فضله لراغبون   انما الصدقات للفقراء   قصر لجنس الصدقات على الاصناف المعدودة
وانها مختصة بها لا تتجاوزها الى غيرها كانه قيل انما هي لهم لا لغيرهم ونحوه قولك انما الخلافة لقريش
تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم فيحتمل ان تصرف الى الاصناف كلها وان تصرف الى بعضها وعليه مذهب
ابي حنيفة   وعن حذيفة وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين انهم قالوا في اي صنف وضعتها اجزاك
وعن سعيد بن جبير لو نظرت الى اهل بيت من المسلمين فقراء متعففين فجبرتهم بها كان احب الي   وعند
الشافعي لا بد من صرفها الى الاصناف   وعن عكرمة انها تفرق في الاصناف الثمانية   وعن الزهري انه كتب
لعمر بن عبد العزيز تفريق الصدقات على الاصناف الثمانية   والعاملين عليها السعاة الذين يقبضونها   والمؤلفة قلوبهم
اشراف من العرب كان رسول الله يتألفهم على ان يسلموا فيرضخ لهم شيئا منها حين كان في المسلمين قلة   والرقاب
المكاتبون يعانون منها   وقيل الاسارى   وقيل تبتاع الرقاب فتعتق   والغارمين الذين ركبتهم الديون ولا
يملكون بعدها ما يبلغ النصاب   وقيل الذين تحملوا الحمالات فتداينوا فيها وغرموا   وفي سبيل الله فقراء الغزاة والحجيج
المنقطع بهم   وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فهو فقير حيث هو غني حيث ماله   فريضة في معنى المصدر
المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات لهم   وقرئ فريضة بالرفع على تلك
فريضة   لم عدل عن اللام الى في في الاربعة الاخيرة   للايذان بانهم ارسخ في استحقاق التصدق
عليهم ممن سبق ذكره لان في للوعاء فنبه على انهم احقاء بان توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها ومصبا وذلك لما في فك
الرقاب من الكتابة او الرق او الاسر وفي فك الغارمين من الغرم من التخليص والانقاذ ولجمع الغازي الفقير او المنقطع في
الحج بين الفقر والعبادة وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الاهل وتكرير في في قوله وفي سبيل الله وابن السبيل
فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين   فكيف وقعت هذه الاية في تضاعيف ذكر المنافقين
ومكايدهم   دل بكون هذه الاصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على انهم ليسوا منهم حسما
لاطماعهم واشعارا باستيجابهم الحرمان وانهم بعداء عنها وعن مصارفها فما لهم وما لها وما سلطهم على التكلم فيها ولمز
قاسمها   الاذن الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل احد سمي بالجارحة التي هي آلة السماع كأن
جملته اذن سامعة   ونظيره قولهم للربيئة عين   وايذاؤهم له هو قولهم فيه هو اذن   واذن خير كقولك رجل صدق
تريد الجودة والصلاح كانه قيل نعم هو اذن ولكن نعم الاذن   ويجوز ان يريد هو اذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه
وقبوله وليس باذن في غير ذلك ودل عليه قراءة حمزة ورحمة بالجر عطفا عليه اي هو اذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله
ثم فسر كونه اذن خير بانه يصدق بالله لما قام عنده من الادلة ويقبل من المؤمنين الخلص من المهاجرين والانصار وهو رحمة
لمن آمن منكم اي اظهر الايمان ايها المنافقون حيث يسمع منكم ويقبل ايمانكم الظاهر ولا يكشف اسراركم ولا يفضحكم
ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين مراعاة لما راى الله من المصلحة في الابقاء عليكم فهو اذن كما قلتم الا انه اذن خير لكم لا اذن
سوء فسلم لهم قولهم فيه الا انه فسره بما هو مدح له وثناء عليه وان كانوا قصدوا به المذمة والتقصير بفطنته وشهامته وانه من اهل سلامة
القلوب والغرة   وقيل ان جماعة منهم ذموه وبلغه ذلك فاشتغلت قلوبهم فقال بعضهم لا عليكم فانما هو اذن سامعة

تسمع كلام المبلغ ونادى فقد تراه ثم يعتذر اليه فيسمع عذره فينصاف فقيل هو اذن خير لكم وقرئ اذن خيرٌ لكم
على ان اذن خبر مبتدأ محذوف وخير كذلك اى هو اذن هو خير لكم يعنى ان كان كما تقولون فهو خير لكم لانه
يقبل معاذيركم ولا يكافئكم على سوء دخلتكم وقرأ نافع بتخفيف الذال لم عدى فعل
الايمان بالباء الى الله والى المؤمنين باللام لانه قصد التصديق بالله الذى هو نقيض الكفر به فعدى بالباء وقصد
السماع من المؤمنين وان يسلم لهم ما يقولونه ويصدقه لكونهم صادقين عنده فعدى باللام الا ترى الى قوله وما انت
بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ما ابناه عن الباء ونحوه فما آمن لموسى الا ذرية من قومه انؤمن لك واتبعك الارذلون آمنتم
له قبل ان آذن لكم ما وجه قراءة ابن ابى عبلة ورحمة بالنصب هى علة معللها محذوف
تقديره ورحمة لكم يأذن لكم فحذف لان قوله اذن خير لكم يدل عليه ليرضوكم الخطاب للمسلمين
وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن او يتخلفون عن الجهاد ثم يأتونهم فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم
بالحلف ليعذروهم ويرضوا عنهم فقيل لهم ان كنتم مؤمنين كما تزعمون فاحق من ارضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاق
وانما وحد الضمير لانه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله فكانا فى حكم مرضى واحد كقولك احسان زيد واجماله
نعشنى وجبر منى او والله احق ان يرضوه ورسوله كذلك المحادة مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق فان له على حذف
الخبر اى فحق ان له نار جهنم وقيل معناه فله وان تكرير لان فى قوله انه توكيدا ويجوز ان يكون فان له معطوفا
على انه على ان جواب من محذوف تقديره الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله يهلك فان له نار جهنم وقرئ الم تعلموا
بالتاء كانوا يستهزئون بالاسلام واهله وكانوا يحذرون ان يفضحهم الله بالوحى فيهم حتى قال بعضهم والله لا
ارانا الا شر خلق الله لوددت انى قدمت فجلدت مائة جلدة وان لا ينزل فينا شئ يفضحنا والضمير فى عليهم وتنبئهم
للمؤمنين وفى قلوبهم للمنافقين وصح ذلك لان المعنى يقود اليه ويجوز ان تكون الضمائر للمنافقين لان السورة
اذا نزلت فى معناهم فهى نازلة عليهم ومعنى تنبئهم بما فى قلوبهم كانها تقول لهم فى قلوبكم كيت وكيت يعنى
انها تذيع اسرارهم عليهم حتى يسمعوها مذاعة منتشرة فكانها تخبرهم بها وقيل معنى يحذر الامر بالحذر اى ليحذر
المنافقون الحذر واقع على السورة فى قوله يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة فما معنى قوله مخرج
ما تحذرون معناه محصل مبرز انزال السورة او ان الله مظهر ما كنتم تحذرونه اى تحذرون اظهاره من نفاقكم
بينا رسول الله صلى الله عليه يسير فى غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان
يفتتح قصور الشام وحصونه فقالوا هيهات هيهات فاطلع الله نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فاتاهم فقال
قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبى الله ما كنا فى شئ من امرك ولا من امر اصحابك ولكن كنا فى شئ مما يخوض فيه الركب
ليقصر بعضنا على بعض السفر ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لم يعبأ باعتذارهم لانهم كانوا كاذبين
فيه فجعلوا كانهم معترفون باستهزائهم وبانه موجود منهم حتى وبخوا باخطائهم موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزأ
به يلى حرف التقرير وذلك انما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء وثبوته لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة فانها لا
تنفعكم بعد ظهور سركم قد كفرتم قد اظهرتم كفركم باستهزائكم بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان ان
نعف عن طائفة منكم باحداثهم التوبة واخلاصهم الايمان بعد النفاق نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين
على النفاق غير تائبين منه او ان نعف عن طائفة منكم لم يؤذوا رسول الله ولم يستهزئوا فلا نعذبهم فى العاجل نعذب
فى العاجل طائفة بانهم كانوا مجرمين مؤذين لرسول الله مستهزئين وقرأ مجاهد ان تعف عن طائفة على البناء للمفعول
مع التأنيث والوجه التذكير لان المسند اليه الظرف كما تقول سير بالدابة ولا تقول سيرت بالدابة ولكنه ذهب الى المعنى

كانه قيل ان ترحم طائفة فانث لذلك وهو غريب والجيد قراءة العامة ان يعف عن طائفة بالتذكير وتعذب طائفة
بالتأنيث وقرئ ان يعف عن طائفة تعذب طائفة على البناء للفاعل وهو الله عز وجل بعضهم من بعض اريد
به نفى ان يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم فى قولهم ويحلفون بالله انهم لمنكم وتقرير قوله وما هم
منكم ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين يأمرون بالمنكر بالكفر والمعاصى وينهون
عن المعروف عن الايمان والطاعات ويقبضون ايديهم شحا بالمبار والصدقات والانفاق فى سبيل الله نسوا الله اغفلوا
ذكره فنسيهم فتركهم من رحمته وفضله هم الفاسقون هم الكاملون فى الفسق الذى هو التمرد فى الكفر والانسلاخ
عن كل خير وكفى المسلم زاجرا ان يلم بما يكسبه هذا الاسم الفاحش الذى وصف الله به المنافقين حين بالغ فى ذمهم
واذا كره رسول الله للمسلم ان يقول كسلت لان المنافقين وصفوا بالكسل فى قوله كسالى فما ظنك بالفسق
خالدين فيها مقدرين الخلود هى حسبهم دلالة على عظم عذابها وانه لا شئ ابلغ منه وانه بحيث لا يزاد عليه
نعوذ بالله من سخطه وعذابه ولعنهم الله واهانهم مع التعذيب وجعلهم مذمومين ملحقين بالشياطين الملاعين كما
عظم اهل الجنة والحقهم بالملائكة المكرمين ولهم عذاب مقيم ولهم نوع من العذاب سوى الصلى بالنار مقيم دائم
كعذاب النار ويجوز ان يريد ولهم عذاب مقيم معهم فى العاجل لا ينفكون عنه وهو ما يقاسونه من تعب النفاق
والظاهر المخالف للباطن خوفا من المسلمين وما يحذرونه ابدا من الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على اسرارهم الكاف
محلها رفع على انتم مثل الذين من قبلكم او نصب على فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم وهو انكم استمتعتم وخضتم كما استمتعوا وخاضوا
ونحوه قول النمر كاليوم مطلوبا ولا طلبا باضمار لم ار وقوله كانوا اشد منكم تشبيههم بهم وتمثيل فعلهم
بفعلهم والخلاق النصيب وهو ما خلق للانسان اى قدر من خير كما قيل له قسم لانه قسم ونصيب لانه نصب اى اثبت
والخوض الدخول فى الباطل واللهو كالذى خاضوا كالفوج الذى خاضوا وكالخوض الذى خاضوه
اى فائدة فى قوله فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم مغن عنه كما اغنى قوله كالذى خاضوا
عن ان يقال وخاضوا فخضتم كالذى خاضوا فائدته ان يذم الاولين بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ
الدنيا ورضاهم بها والتهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر فى العاقبة وطلب الفلاح فى الآخرة وان يخسس امر الاستمتاع
ويهجن امر الراضى به ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم كما تريد ان تنبه بعض الظلمة على سماجة فعله فتقول انت
مثل فرعون كان يقتل بغير جرم ويعذب ويعسف وانت تفعل مثل فعله واما وخضتم كالذى خاضوا فمعطوف على
ما قبله مستند اليه مستغن باسناده اليه عن تلك التقدمة حبطت اعمالهم فى الدنيا والآخرة نقيض قوله وآتيناه اجره فى
الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين واصحاب مدين واهل مدين وهم قوم شعيب والمؤتفكات مدائن قوم لوط وقيل
قريات قوم لوط وائتفاكهن انقلاب احوالهن عن الخير الى الشر فما كان الله ليظلمهم فما صح منه ان يظلمهم وهو حكيم
لا يجوز عليه القبيح وان يعاقبهم بغير جرم ولكن ظلموا انفسهم حيث كفروا به فاستحقوا عقابه بعضهم اولياء بعض فى
مقابلة قوله فى المنافقين بعضهم من بعض سيرحمهم الله السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهى تؤكد الوعد
كما تؤكد الوعيد فى قولك سانتقم منك يوما تعنى انك لا تفوتنى وان تباطأ ذلك ونحوه سيجعل لهم الرحمن ودا
ولسوف يعطيك ربك فترضى سوف نؤتيهم اجورهم عزيز غالب على كل شئ قادر عليه فهو يقدر على الثواب
والعقاب حكيم واضع كلا موضعه على حسب الاستحقاق ومساكن طيبة عن الحسن قصورا من اللؤلؤ والياقوت
الاحمر والزبرجد وعدن علم بدليل قوله جنات عدن التى وعد الرحمن ويدل عليه ما روى ابو الدرداء عن
رسول الله صلى الله عليه عدن دار الله التى لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون
والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك وقيل هى مدينة فى الجنة وقيل نهر جناته على حافاته ورضوان من الله

البر وشيء من رضوان الله أكبر من ذلك كله لأن رضاه هو سبب كل فوز وسعادة ولأنهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه
وكرامته والكرامة أكبر أصناف الثواب ولأن العبد إذا علم أن مولاه راض عنه فهو أكبر في نفسه مما وراءه
من النعم وإنما تتهنأ له برضاه كما إذا علم بسخطه تنغصت عليه ولم يجد لها لذة وإن عظمت وسمعت بعض أولي الهمة البعيدة
والنفس المرة من مشايخنا يقول لا تطمح عيني ولا تنازع نفسي إلى شيء مما وعد الله في دار الكرامة كما تطمح وتنازع
إلى رضاه عني وأن أحشر في زمرة المهديين المرضيين عنده ذلك إشارة إلى ما وعد الله أو إلى الرضوان أي هو الفوز
العظيم وحده دون ما يعده الناس فوزا وروي أن الله عز وجل يقول لأهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا
نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول أنا أعطيكم أفضل من ذلك قالوا وأي شيء أفضل من ذلك قال أحل
عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبدا جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم في الجهادين جميعا ولا تحابهم
وكل من وقف منه على فساد في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة وتستعمل معه الغلظة ما أمكن منها عن
ابن مسعود إن لم يستطع بيده فبلسانه فإن لم يستطع فليكفهر في وجهه فإن لم يستطع فبقلبه يريد الكراهة والبغضاء والتبرؤ
منه وقد حمل الحسن جهاد المنافقين على إقامة الحدود عليهم إذا تعاطوا أسبابها أقام رسول الله في غزوة تبوك شهرين
ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمع من معه منهم الجلاس بن سويد فقال الجلاس والله
لئن كان ما يقول محمد حقا لإخواننا الذين خلفناهم وهم سادتنا وأشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الأنصاري
للجلاس أجل والله إن محمدا لصادق وأنت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله فاستحضر فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده
فقال اللهم أنزل على عبدك ونبيك تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فنزل يحلفون بالله ما قالوا فقال الجلاس
يا رسول الله لقد عرض الله علي التوبة والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته وكفروا بعد إسلامهم
وأظهروا كفرهم بعد إظهارهم الإسلام وهموا بما لم ينالوا وهو الفتك برسول الله وذلك عند مرجعه من تبوك تواثق
خمسة عشر منهم على أن يدفعوه عن راحلته إلى الوادي إذا تسنم العقبة بالليل وأخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها
وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك إذ سمع حذيفة بوقع أخفاف الإبل وقعقعة السلاح فالتفت فإذا قوم
متلثمون فقال إليكم إليكم يا أعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بقتل عامر لرده على الجلاس وقيل أرادوا أن
يتوجوا عبد الله بن أبي وإن لم يرض رسول الله وما نقموا وما أنكروا وما عابوا إلا أن أغناهم الله وذلك أنهم كانوا
حين قدم رسول الله المدينة في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فأثروا بالغنائم وقتل للجلاس
مولى فأمر رسول الله بديته اثني عشر ألفا فاستغنى فإن يتوبوا هي الآية التي تاب عندها الجلاس في الدنيا والآخرة بالقتل والنار
وروي أن ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال عليه السلام يا ثعلبة قليل تؤدي شكره
خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالا لأعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما
فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله فقيل كثر ماله حتى
لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله مصدقين لأخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة
فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله الذي فيه الفرائض فقال ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية وقال ارجعا
حتى أرى رأيي فلما رجعا قال لهم رسول الله قبل أن يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال
إن الله منعني أن أقبل منك فجعل التراب على رأسه فقال هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فقبض رسول الله فجاء بها إلى
أبي بكر فلم يقبلها وجاء بها إلى عمر في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمن عثمان وقرئ لنصدقن ولنكونن بالنون الخفيفة
من الصالحين قال ابن عباس يريد الحج فأعقبهم نفاقا عن الحسن وقتادة أن الضمير للبخل يعني فأورثهم البخل نفاقا متمكنا
في قلوبهم لأنه كان سببا فيه وداعيا إليه والظاهر أن الضمير لله عز وجل والمعنى فخذلهم حتى نافقوا وتمكن في قلوبهم

نفاقهم فلا ينفك عنها إلى أن يموتوا بسبب إخلافهم ما وعدوا الله من التصدق والصلاح وكونهم كاذبين ومنه جعل
خلف الوعد ثلث النفاق وقرئ بالتشديد ألم تعلموا بالتاء عن علي رضي الله عنه سرهم ونجواهم ما أسروه من النفاق
والعزم على إخلاف ما وعدوه وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير
منعها الذين يلمزون محله النصب أو الرفع على الذم ويجوز أن يكون في محل الجر بدلا من الضمير في سرهم ونجواهم وقرئ
يلمزون بالضم المطوعين المتطوعين المتبرعين روي أن رسول الله حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف
بأربعين أوقية من الذهب الأحمر وقيل بأربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فأقرضت ربي أربعة وأمسكت أربعة لعيالي
فقال رسول الله بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله له حتى صولحت امرأته تماضر عن ربع الثمن على ثمانين ألفا و
وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء أبو عقيل بصاع من تمر فقال بت ليلتي أجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع
فأمره رسول الله أن ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم إلا رياء وإن كان الله
ورسوله لغنيين عن صاع أبي عقيل ولكنه أحب أن يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت إلا جهدهم إلا طاقتهم وقرئ
بالفتح والضم سخر الله منهم كقوله الله يستهزئ بهم في أنه خبر غير دعاء ألا ترى إلى قوله ولهم عذاب أليم سأل عبد الله بن
عبد الله بن أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رجلا صالحا أن يستغفر لأبيه في مرضه ففعل فنزلت فقال عليه السلام
إن الله قد رخص لي فسأزيد على السبعين فنزلت سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم وقد دللنا أن هذا الأمر
في معنى الخبر كأنه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر وأن فيه معنى الشرط وذكرنا النكتة في المجيء به
على لفظ الأمر والسبعون جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير قال علي بن أبي طالب عليه السلام لأصبحن العاص وابن العاص
سبعين ألفا عاقدي النواصي كيف خفي على رسول الله وهو أفصح العرب وأخبرهم بأساليب الكلام وتمثيلاته
والذي يفهم من ذكر هذا العدد كثرة الاستغفار كيف وقد تلاه بقوله ذلك بأنهم كفروا الآية فبين الصارف
عن المغفرة لهم حتى قال قد رخص لي ربي فسأزيد على السبعين لم يخف عليه ذلك ولكنه خيل بما قال إظهارا
لغاية رحمته ورأفته على من بعث إليه كقول إبراهيم ومن عصاني فإنك غفور رحيم وفي إظهار النبي الرحمة والرأفة
لطف لأمته ودعاء لهم إلى ترحم بعضهم على بعض المخلفون الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه من المنافقين فأذن
لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك أو الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان بمقعدهم بقعودهم عن الغزو و
خلاف رسول الله خلفه يقال أقام خلاف الحي بمعنى بعدهم ظعنوا ولم يظعن معهم وتشهد له قراءة أبي حيوة خلف
رسول الله وقيل هو بمعنى المخالفة لأنهم خالفوه حيث قعدوا ونهض وانتصابه على أنه مفعول له أو حال أي قعدوا
لمخالفته أو مخالفين له أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم تعريض بالمؤمنين وبتحملهم المشاق العظام لوجه الله وبما
فعلوا من بذل أرواحهم وأموالهم في سبيل الله وإيثارهم ذلك على الدعة والخفض وكره المنافقون ذلك وكيف لا يكرهونه
وما فيهم ما في المؤمنين من باعث الإيمان وداعي الإيقان قل نار جهنم أشد حرا استجهال لهم لأن من تصون من مشقة
ساعة فوقع بذلك التصون في مشقة الأبد كان أجهل من كل جاهل ولبعضهم مسرة أحقاب تلقيت بعدها مساءة يوم
أريها شبه الصاب فكيف بأن تلقى مسرة ساعة وراء تقضيها مساءة أحقاب معناه فيضحكون قليلا ويبكون
كثيرا جزاء إلا أنه أخرج على لفظ الأمر للدلالة على أنه حتم واجب لا يكون غيره يروى أن أهل النفاق يبكون في
النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم وإنما قال إلى طائفة منهم لأن منهم من تاب من النفاق وندم
على التخلف أو اعتذر بعذر صحيح وقيل لم يكن المخلفون كلهم منافقين فأراد بالطائفة المنافقين منهم
فاستأذنوك للخروج يعني إلى غزوة بعد غزوة تبوك وأول مرة هي الخرجة إلى غزوة تبوك وكان إسقاطهم عن ديوان
الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم الذي علم الله أنه لم يدعهم إليه إلا النفاق بخلاف غيرهم من المتخلفين مع الخالفين قد

من تفسيره   وقرأ مالك بن دينار رحمه الله مع الخلفين على قصر الخالفين   مرة بكرة وضعت
موضع المرات للتفصيل ولم يذكر اسم التفضيل المضاف اليها وهو دال على واحدة من المرات   اكثر اللغتين هند
اكبر النساء وهى اكبر امرأة ولا تكاد تعثر عليه ولكن هى اكبر امرأة واول مرة وآخر مرة   وعن قتادة ذكر لنا
انهم كانوا اثنى عشر رجلا قيل فيهم ما قيل   روى ان رسول الله كان يقوم على مخصص للمنافقين ويدعو لهم فلما مرض رأس النفاق
عبد الله بن ابى بعث اليه ليأتيه فلما دخل عليه قال اهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله بعثت اليك لتستغفر لى لا لتؤنبنى و
سأله ان يكفنه فى شعاره الذى يلى جلده ويصلى عليه فلما مات دعاه ابنه حباب الى الجنازة فسأله عن اسمه فقال انت عبد
الله بن عبد الله الحباب اسم شيطان فلما هم بالصلاة عليه قال له عمر أتصلى على عدو الله فنزلت   وقيل اراد ان
يصلى عليه فجذبه جبريل   كيف جاز له تكرمة المنافق وتكفينه فى قميصه   كان ذلك
مكافأة له صنيع سبق له وذلك ان العباس عم رسول الله لما اخذ اسيرا ببدر لم يجدوا له قميصا وكان رجلا طويلا فكساه
عبد الله قميصه وقال له المشركون يوم الحديبية انا لا نأذن لمحمد ولكنا نأذن لك فقال لا ان لى فى رسول الله اسوة حسنة
فشكر له رسول الله ذلك   واجابة له لمسألته اياه فقيل كان عليه السلام لا يرد سائلا وكان يوقر على
دواعى المروة ويعمل بعادات الكرام واكراما لابنه الرجل الصالح فقد روى انه قال اسألك ان تكفنه فى بعض مساتك
وان تقوم على قبره ولا يشمت به الاعداء وعلما بان تكفينه فى قميصه لا ينفعه مع كفره فلا فرق بينه وبين غيره من الاكفان
وليكون الباسه اياه لطفا لغيره فقد روى انه قيل له لم وجهت اليه بقميصك وهو كافر فقال ان قميصى لن يغنى عنه
من الله شيئا وانى اؤمل من الله ان يدخل فى الاسلام كثير بهذا السبب فيروى انه اسلم الف من الخزرج لما رأوه طلب الاستشفاء
بثوب رسول الله وكذلك كان ترحمه واستغفاره للدعاء الى التراحم والتعاطف لانهم اذا رأوه يترحم على من يظهر
الايمان وباطنه على خلاف ذلك دعا المسلم الى ان يتعطف على من واطأ قلبه لسانه ورآه حتما عليه
فكيف جازت الصلاة عليه   لم يتقدم نهى عن الصلاة عليهم وكانوا يجرون مجرى المسلمين لظاهر
ايمانهم لما فى ذلك من المصلحة   وعن ابن عباس ما ادرى ما هذه الصلاة الا انى اعلم ان رسول الله لا يخادع مات
صفة لاحد وانما قيل مات وماتوا بلفظ الماضى والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود لانه كائن موجود
لا محالة   انهم كفروا تعليل للنهى وقد اعيد قوله ولا تعجبك لان تجدد النزول له شأن فى تقرير ما نزل له وتأكيده
وارادة ان يكون على بال من المخاطب لا ينساه ولا يسهو عنه وان يعتقد ان العمل به مهم يفتقر الى فضل عناية به لا
سيما اذا تراخى ما بين النزولين فاشبه الشىء الذى اهم صاحبه فهو يرجع اليه فى اثناء حديثه ويتخلص اليه وانما اعيد هذا
المعنى لقوته فيما يجب ان يحذر منه   يجوز ان يراد السورة بتمامها وان يراد بعضها فى قوله   واذا انزلت سورة
كما يقع القرآن والكتاب على كله وعلى بعضه   وقيل هى براءة لان فيها الامر بالايمان والجهاد   ان آمنوا اى بان
آمنوا   اولوا الطول ذووا الفضل والسعة من طال عليه طولا لانهم الذين لهم علة وعذر فى التخلف   فهم لا يفقهون
ما فى الجهاد من الفوز والسعادة وما فى التخلف من الشقاء والهلاك   لكن الرسول اى ان تخلف هؤلاء فقد نهد
الى الغزو من هو خير منهم واخلص نية ومعتقدا   كقوله فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما   فان استكبروا
فالذين عند ربك   الخيرات تتناول منافع الدارين لاطلاق اللفظ   وقيل الحور لقوله فيهن خيرات
المعذرون من عذر فى الامر اذا توانى فيه ولم يجد وحقيقته ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له او المعتذرون
بادغام التاء فى الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز فى العربية كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها لاتباع الميم
ولكن لم تثبت بهما قراءة   وهم الذين يعتذرون بالباطل كقوله يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم وقرئ المعذرون
بالتخفيف وهو الذى يجهد فى العذر ويحتشد فيه   قيل هم اسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا جهدا فائذن

لنا فى التخلف   وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طيئ على اهالينا ومواشينا فقال عليه السلام   وعن مجاهد
سينبئنى الله عن امركم وسيغنى الله عنكم   وعن ابى عمرو ان اقواما تكلفوا عذرا بباطل   وعن قتادة اعتذروا بالكذب   وقرئ المعذرون
بتشديد العين والذال من تعذر بمعنى اعتذر   وهذا غير صحيح لان التاء لا تدغم فى العين ادغامها فى الطاء والزاى
والصاد فى المطوعين واذكى واصدق   وقيل المعذرون بالتخفيف والتشديد المعتذرون والمعذرون على قراءة ابن عباس   اراد ابن عباس
الذين لم يفرطوا فى العذر   وقعد الذين كذبوا الله ورسوله   هم منافقوا الاعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا
وظهر بذلك انهم كذبوا الله ورسوله فى ادعائهم الايمان   وقرأ ابى كذبوا بالتشديد   سيصيب الذين
كفروا منهم من الاعراب عذاب اليم   فى الدنيا بالقتل وفى الآخرة بالنار   الضعفاء الهرمى والزمنى والذين لا يجدون
الفقراء   قيل هم مزينة وجهينة وبنو عذرة   والنصح لله ورسوله الايمان بهما وطاعتهما فى السر والعلن وتوليهما والحب
والبغض فيهما كما يفعل الموالى الناصح بصاحبه   على المحسنين على المعذورين الناصحين   ومعنى لا سبيل
عليهم لا جناح عليهم ولا طريق للعاتب عليهم   تولوا حال من الكاف فى اتوك وقد قبله مضمرة كما قيل فى قوله او جاؤكم
حصرت صدورهم اى اذا ما اتوك قائلا لا اجد تولوا   ولقد حصر الله المعذورين فى التخلف الذين ليس فى ابدانهم استطاعة
والذين عدموا آلة الخروج والذين سألوا المعونة فلم يجدوها   وقيل المستحملون ابو موسى الاشعرى واصحابه
وقيل البكاؤن وهم ستة نفر من الانصار   تفيض من الدمع كقولك تفيض دمعا وهو ابلغ من يفيض دمعها لان
العين جعلت كأن كلها دمع فائض ومن للبيان كقولك افديك من رجل ومحل الجار والمجرور النصب على التمييز   الا
يجدوا لئلا يجدوا ومحله نصب على انه مفعول له وناصبه المفعول له الذى هو حزنا   رضوا
ما موقعه   هو استئناف كأنه قيل ما بالهم استأذنوا وهم اغنياء فقيل رضوا بالدناءة والضعة والانتظام فى
جملة الخوالف   وطبع الله على قلوبهم يعنى ان السبب فى استئذانهم رضاهم بالدناءة وخذلان الله اياهم
فهل يجوز ان يكون قوله   قلت لا اجد استئنافا مثله كأنه قيل اذا ما اتوك لتحملهم تولوا فقيل
ما لهم تولوا باكين فقيل قلت لا اجد ما احملكم عليه الا انه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض   نعم
ويحسن لن نؤمن لكم علة للنهى عن الاعتذار لان غرض المعتذر ان يصدق فيما يعتذر به فاذا علم انه مكذب وجب
عليه الاخلال به   وقوله قد نبأنا الله من اخباركم علة لانتفاء تصديقهم لان الله عز وجل اوحى الى رسوله الاعلام باحوالهم
ولخوالهم وما فى ضمائرهم من الشر والفساد لم يستقم مع ذلك تصديقهم فى معاذيرهم   وسيرى الله عملكم اتتوبون
ام تثبتون على كفركم   ثم تردون اليه وهو عالم كل غيب وشهادة وسر وعلانية فيجازيكم على حسب ذلك
لتعرضوا عنهم فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم   فاعرضوا عنهم   فاعطوهم طلبتهم انهم رجس تعليل لترك
معاتبتهم يعنى ان المعاتبة لا تنفع فيهم ولا تصلحهم انما يعاتب الاديم ذو البشرة والمؤمن يوبخ على زلة تفرط منه
ليطهره التوبيخ بالحمل على التوبة والاستغفار   واما هؤلاء فارجاس لا سبيل الى تطهيرهم   ومأواهم جهنم
ولعنهم النار وعابا او توبيخا فلا تتكلفوا عتابهم   لترضوا عنهم اى غرضهم بالحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم
ذلك فى دنياهم   فان ترضوا عنهم فان رضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كان الله ساخطا عليهم وكانوا عرضة لعاجل
عقوبته وآجلها   وقيل انما قيل ذلك لئلا يتوهم متوهم ان رضى المؤمنين يقتضى رضى الله عنهم   قيل هم جد
ابن قيس ومعتب بن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين رجلا منافقين فقال النبى صلى الله عليه حين قدم المدينة
لا تجالسوهم ولا تكلموهم   وقيل جاء عبد الله بن ابى يحلف ان لا يتخلف عنه ابدا   الاعراب اهل البدو اشد كفرا
ونفاقا من اهل الحضر لجفائهم وقسوتهم وتوحشهم ونشئهم فى بعد من مشاهدة العلماء ومعرفة الكتاب والسنة

وأجدر أن لا يعلموا وأحق بجهل حدود الدين وما أنزل الله من الشرائع والأحكام ومنه قوله عليه السلام إن الجفا
والقسوة في الفدادين والله عليم يعلم حال كل أحد من أهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم
من عقابه وثوابه مغرما غرامة وخسرانا والغرامة ما ينفقه الرجل وليس يلزمه لأنه لا يلزمه ينفق إلا تقية من
المسلمين ورياء لا لوجه الله وابتغاء المثوبة عنده ويتربص بكم الدوائر دوائر الزمان دوله وعقبه لتذهب
غلبتكم عليه فيتخلص من إعطاء الصدقة عليهم دائرة السوء دعاء معترض دعا عليهم بنحو ما دعوا به كقوله عز
وعلا وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم وقرئ السوء بالضم وهو العذاب كما قيل له سيئة والسوء بالفتح هو
ذم للدائرة كقولك رجل سوء في نقيض قولك رجل صدق لأن من دارت عليه ذام لها والله سميع لما يقولون إذا
توجهت عليهم الصدقة عليم بما يضمرون وقيل هم أعراب أسد وغطفان وتميم قربات مفعول ثان
ليتخذ والمعنى أن ما ينفقه سبب لحصول القربات عند الله وصلوات الرسول لأن الرسول كان يدعو للمتصدقين بالخير
والبركة ويستغفر لهم كقوله اللهم صل على آل أبي أوفى وقال تعالى وصل عليهم فلما كان ما ينفق سببا لذلك قيل يتخذ
ما ينفق قربات وصلوات ألا إنها شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات وتصديق
لرجائه على طريق الاستيناف مع حرفي التنبيه والتحقيق المؤذنين بثبات الأمر وتمكنه وكذلك سيدخلهم وما في
السين من تحقيق الوعد وما أدل هذا الكلام على رضا الله عن المتصدقين وأن الصدقة منه بمكان إذا خلصت النية
من صاحبها وقرئ قربة بضم الراء وقيل هم عبد الله ذو البجادين ورهطه السابقون الأولون من المهاجرين
هم الذين صلوا إلى القبلتين وقيل الذين شهدوا بدرا وعن الشعبي من بايع بالحديبية وهي بيعة الرضوان ما بين الهجرتين ومن
الأنصار أهل بيعة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة مصعب بن عمير فعلمهم القرآن وقرئ
عمر رضي الله عنه والأنصار بالرفع عطفا على السابقون وعن عمر أنه كان يرى أن قوله والذين اتبعوهم بإحسان بغير
واو صفة للأنصار حتى قال له زيد إنه بالواو فقال ائتوني بأبي فقال تصديق ذلك في أول الجمعة وآخرين منهم وأوسط
الحشر والذين جاءوا من بعدهم وآخر الأنفال والذين آمنوا من بعد وروي أنه سمع رجلا يقرؤه بالواو فقال من
أقرأك قال أبي فدعاه فقال أقرأنيه رسول الله وإنك لتبيع القرظ بالبقيع قال صدقت وإن شئت قلت شهدنا وغبتم ونصرنا
وخذلتم وآوينا وطردتم ومن ثم قال عمر لقد كنت أرانا رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا وارتفع السابقون بالابتداء
وخبره رضي الله عنهم ومعناه رضي عنهم لأعمالهم ورضوا عنه لما أفاض عليهم من نعمته الدينية والدنيوية وفي
مصاحف أهل مكة تجري من تحتها وهي قراءة ابن كثير وفي سائر المصاحف تحتها بغير من وممن حولكم يعني حول
بلدتكم وهي المدينة منافقون وهم جهينة وأسلم وأشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن أهل المدينة عطف
على خبر المبتدأ الذي هو ممن حولكم ويجوز أن يكون جملة معطوفة على المبتدأ والخبر إذا قدرت ومن أهل
المدينة قوم مردوا على النفاق صفة موصوف محذوف كقوله أنا ابن جلا وعلى الوجه الأول لا يخلو أن
يكون كلاما مبتدأ أو صفة لمنافقون فصل بينها وبينه بمعطوف على خبره مردوا على النفاق تمهروا فيه من مرن
فلان على عمله ومرد عليه إذا درب به وضري حتى لان عليه ومهر فيه ودل على مرانتهم عليه ومهارتهم فيه
بقوله لا تعلمهم أي يخفون عليك مع فطنتك وشهامتك وصدق فراستك لفرط توقيهم في تحامي ما يشكك في أمرهم
ثم قال نحن نعلمهم أي لا يعلمهم إلا الله ولا يطلع على سرهم غيره لأنهم يبطنون الكفر في سويداوات قلوبهم إبطانا
ويبرزون لك ظاهرا كظاهر المخلصين من المؤمنين لا تشك معه في إيمانهم وذلك أنهم مردوا على النفاق وضروا
به ولهم فيه اليد الطولى سنعذبهم مرتين قيل هما القتل وعذاب القبر وقيل الفضيحة وعذاب القبر وعن
ابن عباس أنهم اختلفوا في هاتين المرتين فقال قام رسول الله خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فإنك منافق

فأخرج ناسا وفضحهم فهذا العذاب الأول والثاني عذاب القبر وعن الحسن أخذ الزكاة من أموالهم ونهك أبدانهم إلى عذاب
عظيم إلى عذاب النار اعترفوا بذنوبهم أي لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا على أنفسهم
بأنهم بئس ما فعلوا متذممين نادمين وكانوا ثلاثة أبو لبابة مروان بن عبد المنذر وأوس بن ثعلبة ووديعة بن
حزام وقيل كانوا عشرة فسبعة منهم أوثقوا أنفسهم بلغهم ما نزل في المتخلفين فأيقنوا بالهلاك فأوثقوا أنفسهم
على سواري المسجد فقدم رسول الله صلى الله عليه فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته كلما قدم من سفر
فرآهم موثقين فسأل عنهم فذكر له أنهم أقسموا أن لا يحلوا أنفسهم حتى يكون رسول الله هو الذي يحلهم فقال
وأنا أقسم أن لا أحلهم حتى أومر فيهم فنزلت فأطلقهم وعذرهم فقالوا يا رسول الله هذه أموالنا التي خلفتنا عنك
فتصدق بها وطهرنا فقال ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئا فنزلت خذ من أموالهم عملا صالحا خروجا إلى
الجهاد وآخر سيئا تخلفا عنه عن الحسن وعن الكلبي التوبة والإثم فإن قلت قد جعل
كل واحد منهما مخلوطا فما المخلوط به قلت كل واحد منهما مخلوط ومخلوط به لأن المعنى خلط كل
واحد بالآخر كقولهم خلطت الماء واللبن تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه وفيه ما ليس في قولك خلطت الماء باللبن
لأنك جعلت الماء مخلوطا واللبن مخلوطا به وإذا قلته بالواو جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما كأنك
قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ويجوز أن يكون من قولهم بعت الشاء شاة ودرهما بمعنى شاة بدرهم
كيف قيل أن يتوب عليهم وما ذكرت توبتهم إذا ذكر اعترافهم بذنوبهم
وهو دليل على التوبة فقد ذكرت توبتهم تطهرهم صفة لصدقة وقرئ تطهرهم من أطهره بمعنى طهره وتطهرهم
وتزكيهم بالجزم جوابا للأمر ولم يقرأ وتزكيهم إلا بإثبات الياء والتاء في تطهرهم للخطاب أو لغيبة
المؤنث والتزكية مبالغة في التطهير وزيادة فيه أو بمعنى الإنماء والبركة في المال وصل عليهم واعطف عليهم
وترحم والسنة أن يدعو المصدق لصاحب الصدقة إذا أخذها وعن الشافعي رحمه الله أحب أن يقول الوالي
عند أخذ الصدقة أجرك الله فيما أعطيت وجعله طهورا وبارك لك فيما أبقيت وقرئ إن صلاتك على التوحيد
سكن لهم يسكنون إليه وتطمئن قلوبهم بأن الله قد تاب عليهم والله سميع يسمع اعترافهم بذنوبهم ودعاءهم
عليم بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم قرئ ألم يعلموا بالتاء والياء وفيه وجهان أحدهما أن يراد
المتوب عليهم يعني ألم يعلموا قبل أن يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم أن الله هو يقبل التوبة إذا صحت ويقبل
الصدقات إذا صدرت عن خلوص النية وهو للتخصيص والتأكيد وأن الله من شأنه قبول توبة التائبين وقيل معنى
التخصيص في هو أن ذلك ليس إلى رسول الله إنما الله هو الذي يقبل التوبة ويردها فاقصدوه بها ووجهوها إليه
وقل لهؤلاء التائبين اعملوا فإن عملكم لا يخفى خيرا كان أو شرا على الله وعباده كما رأيتم وتبين لكم والثاني أن يراد
غير التائبين ترغيبا لهم في التوبة فقد روي أنهم لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالأمس
معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت فما معنى قوله ويأخذ الصدقات
هو مجاز عن قبوله لها وعن ابن مسعود أن الصدقة تقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل والمعنى أنه يتقبلها ويضاعف
عليها فقوله فسيرى الله وعيد وتحذير من عاقبة الإصرار والذهول عن التوبة وقرئ مرجون ومرجأون
من أرجيته وأرجأته إذا أخرته ومنه المرجئة يعني وآخرون من المتخلفين موقوف أمرهم إما يعذبهم إن
بقوا على الإصرار ولم يتوبوا وإما يتوب عليهم إن تابوا وهم ثلاثة كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن
الربيع أمر رسول الله أصحابه أن لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل أبو لبابة وأصحابه من شد أنفسهم على
السواري وإظهار الجزع والغم فلما علموا أن أحدا لا ينظر إليهم فوضوا أمرهم إلى الله وأخلصوا نياتهم ونصحت
توبتهم فرحمهم الله والله عليم حكيم وفي قراءة عبد الله غفور رحيم وإما للعباد أي خافوا عليهم العذاب وارجوا

حاشية
الواو ها هنا بمعنى ال... لأن الواو للجمع وا... للإلصاق والجمع ... من واد واحد ... بطريق الاستعا...

في يجتمع اهل الشام لتخذوا بنيروا ولانها على جبالها او في سايبه الا والواو على عطف مسجد الضرار الذين احدثه المنافقون
على سائر قصصهم روي ان بني عمرو ابن عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا الى رسول الله ان يأتيهم فاتاهم فصلى
فيه فحسدتهم اخوتهم بنو غنم ابن عوف وقالوا نبني مسجدا ونرسل الى رسول الله يصلي فيه ويصلي فيه ابو عامر الراهب
اذا قدم من الشام ليثبت لهم الفضل والزيادة على اخوتهم وهو الذي سماه رسول الله الفاسق وقال لرسول الله يوم احد
لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج هاربا الى الشام وارسل الى
المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر وآت بجنود ومخرج محمدا واصحابه من المدينة
فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قباء وقالوا للنبي صلى الله عليه بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب ان تصلي
لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال اني على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قدم من غزوة تبوك
سألوه اتيان المسجد فنزلت عليه فدعا بمالك ابن الدخشم ومعن ابن عدي وعامر ابن السكن ووحشي قاتل حمزة فقال لهم
انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل وامر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيه الجيف والقمامة
ومات ابو عامر بقنسرين ضرارا مضارة لاخوانهم اصحاب مسجد قباء ومعازة وكفرا وتقوية للنفاق وتفريقا بين المؤمنين
لانهم كانوا يصلون مجتمعين في مسجد قباء فيغتص بهم فارادوا ان يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم وارصادا واعدادا لاجل من
حارب الله ورسوله وهو الراهب اعدوه له ليصلي فيه ويظهر على رسول الله وقيل كل مسجد بني مباهاة او سمعة
او لغرض سوى ابتغاء وجه الله او بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار وعن شقيق انه لم يدرك الصلاة في مسجد بني عامر
فقيل له مسجد بني فلان لم يصلوا فيه بعد فقال لا احب ان اصلي فيه فانه بني على ضرار وكل مسجد بني ضرارا او رياء او سمعة فان اصله ينتهي الى
المسجد الذي بني ضرارا وعن عطاء لما فتح الله الامصار على يد عمر رضي الله عنه امر المسلمين ان يبنوا المساجد وان لا
يتخذوا في مدينة مسجدين يضار احدهما الآخر   والذين اتخذوا ما محله من الاعراب
محله النصب على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلاة وقيل هو مبتدأ خبره محذوف معناه
وفيمن وصفنا الذين اتخذوا كقوله والسارق والسارقة   من قبل متعلق بحارب   اتخذوا اي
اتخذوا مسجدا من قبل بنيانهم هؤلاء وليحلفن ان اردنا ما اردنا ببناء هذا المسجد الا الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى
وهي الصلاة وذكر الله والتوسعة على المصلين   لمسجد اسس على التقوى قيل هو مسجد قباء اسسه رسول الله صلى الله
عليه وصلى فيه ايام مقامه بقباء وهو يوم الاثنين والثلثاء والاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة وهو اولى لان الموازنة
بين مسجدي قباء اوقع وقيل هو مسجد رسول الله بالمدينة وعن ابي سعيد الخدري سألت رسول الله عن المسجد
الذي اسس على التقوى فأخذ حصباء فضرب بها الارض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة من اول يوم   من اول يوم
من ايام وجوده   فيه رجال يحبون ان يتطهروا   قيل لما نزلت مشى رسول الله ومعه المهاجرون حتى
وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال أمؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر يا رسول الله انهم
لمؤمنون وانا معهم فقال عليه السلام أترضون بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون
في الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم
فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا النبي
صلى الله عليه رجال يحبون ان يتطهروا   وقرئ ان يطهروا بالادغام   وقيل هو عام في التطهر من النجاسات كلها
وقيل كانوا لا ينامون الليل على الجنابة ويتبعون الماء اثر البول   وعن الحسن هو التطهر من الذنوب بالتوبة   وقيل يحبون
ان يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن آخرهم   ما معنى المحبتين   يحبهم
للتطهر انهم يؤثرونه ويحرصون عليه حرص المحب للشيء المشتهى له على ايثاره ومحبة الله اياهم انه يرضى عنهم
ويحسن اليهم كما يفعل المحب بمحبوبه   افمن اسس بنيانه وأسس بنيانه على البناء للفاعل والمفعول وأسس بنيانه جمع

جمع اساس على الاضافة واساس بنيانه بالفتح والكسر جمع اس وآساس بنيانه على افعال جمع اس ايضا واس بنيانه والمعنى افمن اسس بنيان
دينه على قاعدة قوية محكمة وهي الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه خير امن اسسه على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها واقلها
بقاء وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل شفا جرف هار في قلة الثبات والاستمساك وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى لانه جعل
مجازا عما ينافي التقوى   ما يعني قوله فانهار به في نار جهنم   لما جعل الجرف الهائر مجازا عن الباطل قيل
فانهار به في نار جهنم على معنى فطاح به الباطل في نار جهنم الا انه رشح المجاز فجيء بلفظ الانهيار الذي هو للجرف وليصور ان المبطل
كانه اسس بنيانا على شفا جرف من اودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهوى به في قعرها والشفا الحرف والشفير وجرف الوادي
جانبه الذي يتحفر اصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيا والهار الهائر وهو المتصدع الذي اشفى على التهدم والسقوط ووزنه فعل قصر
عن فاعل كخلف من خالف ونظيره شاك وصات في شائك وصائت والفه ليست بالف فاعل انما هي عينه واصله هور وشوك
وصوت ولا ترى ابلغ من هذا الكلام ولا ادل على حقيقة الباطل وكنه امره   وقرئ جرف بسكون الراء
فما وجه ما روى سيبويه عن عيسى ابن عمر على تقوى من الله بالتنوين   قد جعل الالف للالحاق لا للتأنيث كتترى فيمن
نونه الحقها بجعفر   وفي مصحف ابي فانهارت به قواعده   وقيل خرجت بقعة من مسجد الضرار   قيل الدخان يخرج منه   وروي
ان مجمع ابن جارية كان امامهم في مسجد الضرار فكلم بنو عمرو ابن عوف اصحاب مسجد قباء عمر ابن الخطاب رضي
الله عنه في خلافته ان يأذن لمجمع ان يؤمهم في مسجدهم فقال لا ولا نعمة عين أليس بامام مسجد الضرار فقال يا امير المؤمنين
لا تعجل علي فوالله لقد صليت بهم والله يعلم اني لا اعلم ما اضمروا فيه ولو علمت ما صليت معهم فيه كنت غلاما قارئا للقرآن
وكانوا شيوخا لا يقرؤون من القرآن شيئا فعذره وصدقه وامره بالصلاة بقومه   ريبة شكا في الدين ونفاقا   وكان
القوم منافقين وانما حملهم على بناء ذلك المسجد كفرهم ونفاقهم كما قال عز وجل ضرارا وكفرا فلما هدمه رسول الله ازدادوا
لما غاظهم من ذلك وعظم عليهم تصميما على النفاق ومقتا للاسلام فمعنى قوله لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم لا يزال
هدمه سبب شك ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم لا يزول وسمه عن قلوبهم ولا يضمحل اثره الا ان تقطع قلوبهم قطعا وتفرق
اجزاء فحينئذ يسلون عنه واما ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة فيجوز ان يكون ذكر التقطيع تصويرا لحال زوال الريبة
عنها ويجوز ان يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم او في القبور او في النار   وقرئ يقطع بالياء وتقطع بالتخفيف وتقطع بفتح
الياء بمعنى تتقطع وتقطع قلوبهم على ان الخطاب للرسول اي الا ان تقطع انت قلوبهم بقتلهم   وقرئ الى ان   وفي قراءة عبد
الله ولو قطعت قلوبهم   وعن طلحة ولو قطعت قلوبهم على خطاب الرسول او كل مخاطب   وقيل معناه الا ان يتوبوا توبة
تتقطع بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم   مثل الله اثابتهم بالجنة على بذلهم انفسهم واموالهم في سبيله بالشروى   وروي تاجرهم
فاغلى لهم الثمن   وعن عمر رضي الله عنه فجعل لهم الصفقتين جميعا   وعن الحسن انفسا هو خلقها واموالا هو رزقها   وروي ان الانصار
لما بايعوه على العقبة قال عبد الله ابن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط
لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم قالوا فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل   ومر برسول
الله اعرابي وهو يقرؤها فقال كلام من قال كلام الله قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو واستشهد   يقاتلون
فيه معنى الامر كقوله تجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم   وقرئ فيقتلون ويقتلون على بناء الاول للفاعل والثاني للمفعول
وعلى العكس   وعدا مصدر مؤكد   ولحق بان هذا الوعد الذي وعده للمجاهدين في سبيله وعد ثابت قد اثبته في التوراة والانجيل
كما اثبته في القرآن ثم قال ومن اوفى بعهده من الله لان اخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكرام من الخلق مع جوازه عليهم لحاجتهم
اليه فكيف بالغني الذي لا يجوز عليه قبيح قط ولا ترى ترغيبا في الجهاد ابلغ منه   التائبون رفع على المدح اي هم التائبون يعني
المؤمنين المذكورين ويدل عليه قراءة عبد الله وابي رضي الله عنهما التائبين بالياء الى قوله والحافظين نصبا على المدح
ويجوز ان يكون جرا صفة للمؤمنين وجوز الزجاج ان يكون مبتدأ خبره محذوف اي التائبون العابدون من اهل الجنة

ايضا وان لم يجاهدوا لقوله وكلا وعد الله الحسنى وقيل هو رفع على البدل من الضمير في يقاتلون ويجوز ان يكون مبتدأ وخبره
العابدون وما بعده خبر بعد خبر اى التائبون من الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه الخصال وعن الحسن هم الذين تابوا
من الشرك وتبرؤوا من النفاق والعابدون الذين عبدوا الله وحده واخلصوا له العبادة وحرصوا عليها والسائحون الصائمون
شبهوا بذى السياحة فى الارض فى امتناعهم من شهواتهم وقيل هم طلبة العلم يسيحون فى الارض يطلبونه فى مظانه قيل
لعمه ابى طالب ان اعظم الناس علىّ حقا ولك عندى يدا فقل كلمة تجب لك بها شفاعتى فابى فقال لا ازال استغفر لك ما لم
انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة سال اى ابويه احدث به عهدا فقيل امه فزار قبرها بالابواء ثم قام مستعبرا فقال
انى استاذنت ربى فى زيارة قبر امى فاذن لى واستاذنته فى الاستغفار لها فلم ياذن لى ونزلت وهذا اصح لان موت ابى طالب
كان قبل الهجرة وهذا آخر ما نزل بالمدينة وقيل استغفر لابيه وقيل قال المؤمنون ما يمنعنا ان نستغفر لآبائنا وذوى
قرابتنا وقد استغفر ابرهيم لابيه وهذا محمد يستغفر لعمه ما كان للنبى ما صح له الاستغفار فى حكم الله وحكمته من بعد
ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم لانهم ماتوا على الشرك وقرأ طلحة وما استغفر ابرهيم على حكاية الحال الماضية الا
عن موعدة وعدها اياه اى وعدها ابرهيم اباه وهو قوله لاستغفرن لك ويدل عليه قراءة الحسن وحماد الراوية وعدها اباه
كيف خفى على ابرهيم ان الاستغفار للكافر غير جائز حتى وعده
يجوز ان يظن انه ما دام يرجى
منه الايمان جاز الاستغفار له على ان امتناع جواز الاستغفار للكافر انما علم بالوحى لان العقل يجوز ان يغفر الله للكافر الا ترى
الى قوله عليه السلام لعمه لاستغفرن لك ما لم انه وعن الحسن قيل لرسول الله ان فلانا يستغفر لآبائه المشركين فقال
ونحن نستغفر لهم فنزلت وعن على رضى الله عنه رأيت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت له فقال اليس قد استغفر
ابرهيم فما معنى قوله فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه معناه فلما تبين له انه من جهة
الوحى انه لن يؤمن وانه يموت كافرا وانقطع رجاؤه عنه قطع استغفاره فهو كقوله من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب
الجحيم اواه فعال من اوه كلال من اللؤلؤ وهو الذى يكثر التاوه ومعناه انه لفرط ترحمه ورقته وحلمه كان يتعطف
على ابيه الكافر ويستغفر له مع شكاسته عليه وقوله لارجمنك يعنى ما امر الله باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهى
عنه وبين انه محظور لا يؤاخذ به عباده الذين هداهم للاسلام ولا يسميهم ضلالا ولا يخذلهم الا اذا اقدموا عليه بعد
بيان حظره عليهم وعلمهم بانه واجب الاتقاء والاجتناب واما قبل العلم والبيان فلا سبيل عليهم كما لا يؤاخذون بشرب الخمر
ولا ببيع الصاع بالصاعين قبل التحريم وهذا بيان لعذر من خاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين قبل ورود النهى عنه وفى هذه
الآية شديدة ما ينبغى ان يغفل عنها وهى ان المهدى للاسلام اذا اقدم على بعض محظورات الله تعالى داخل فى حكم الاضلال
والمراد بما يتقون ما يجب اتقاؤه للنهى فاما ما يعلم بالعقل كالصدق فى الخبر ورد الوديعة فغير موقوف على التوقيف تاب الله
على النبى كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقوله واستغفر لذنبك وهو بعث للمؤمنين على التوبة وانه
ما من مؤمن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار حتى النبى والمهاجرين والانصار وابانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله وان صفة
التوابين الاوابين صفة الانبياء كما وصفهم بالصالحين ليظهر فضيلة الصلاح وقيل معناه تاب الله عليه من اذنه للمنافقين
فى التخلف عنه لقوله عفا الله عنك فى ساعة العسرة فى وقتها والساعة مستعملة فى معنى الزمان المطلق كما استعملت
الغداة والعشية فى اليوم واليوم غداة طفت علماء بكر بن وائل وعاجت صدور الخيل شطر تميم
اذا جاء يوما وارثى يبتغى الغنى والعسرة حالهم فى غزوة تبوك كانوا فى عسرة من الظهر كان يعتقب العشرة على بعير واحد
وفى عسرة من الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة ان اقتسم التمرة اثنان وربما مصها
الجماعة ليشربوا عليها الماء وفى عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فروثها وفى شدة زمان من حمارة القيظ ومن
الجدب والقحط والضيقة الشديدة كاد يزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان او اتباع الرسول فى تلك الغزوة والخروج

معه وفى كاد ضمير الشأن وشبهه سيبويه بقولهم ليس خلق الله مثله وقرئ يزيغ بالياء وفى قراءة عبد الله من بعد ما زاغت قلوب فريق
منهم يريد المتخلفين من المؤمنين كابى لبابة وامثاله ثم تاب عليهم تكرير للتوكيد ويجوز ان يكون الضمير للفريق تاب عليهم لكيدودتهم
الثلاثة كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية ومعنى خلفوا خلفوا عن الغزو وقيل عن ابى لبابة واصحابه حيث تيب عليهم
وقرئ خلفوا اى خلفوا الغازين بالمدينة او فسدوا من الخالفة وخلوف الفم وقرأ جعفر الصادق رضى الله عنه خالفوا وقرأ
الاعمش وعلى الثلاثة المخلفين بما رحبت اى برحبها اى مع سعتها وهو مثل للحيرة فى امرهم كانهم لا يجدون فيها مكانا
يقرون فيه قلقا وجزعا مما هم فيه وضاقت عليهم انفسهم اى قلوبهم لا يسعها انس ولا سرور لانها حرجت من فرط الوحشة والغم
وظنوا وعلموا ان لا ملجأ من سخط الله الا الى استغفاره ثم تاب عليهم ليتوبوا ثم رجع عليهم بالقبول والرحمة كرة بعد
اخرى ليستقيموا على توبتهم ويثبتوا او ليتوبوا ايضا فيما يستقبل ان فرطت منهم خطيئة علما منهم ان الله تواب على من تاب ولو
عاد فى اليوم مائة مرة روى ان ناسا من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به عن الحسن بلغنى انه كان
لاحدهم حائط كان خيرا من مائة الف درهم فقال يا حائطاه ما خلفنى الا ظلك وانتظار ثمرك اذهب فانت فى سبيل الله ولم
يكن لآخر الا اهله فقال يا اهلاه ما بطأنى ولا خلفنى الا الضن بك لا جرم والله لاكابدن الشدائد حتى الحق برسول الله فركب ولحق
به ولم يكن لآخر الا نفسه لا اهل ولا مال فقال يا نفس ما خلفنى الا حب الحياة لك والله لاكابدن الشدائد حتى الحق برسول الله فتأبط
زاده ولحق به قال الحسن كذلك والله المؤمن يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها وعن ابى ذر الغفارى ان بعيره ابطأ به فحمل
متاعه على ظهره واتبع اثر رسول الله ماشيا فقال رسول الله كن ابا ذر فقال الناس هو ذاك فقال رحم الله ابا ذر يمشى وحده
ويموت وحده ويبعث وحده وعن ابى خيثمة انه بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له فى الظل وقربت اليه
الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله فى الضح والريح ما هذا بخير
فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا
خيثمة فكانه ففرح به رسول الله واستغفر له ومنهم من بقى لم يلحق به منهم الثلاثة قال كعب لما قفل رسول الله سلمت
عليه فرد علىّ كالمغضب بعد ما ذكرنى وقال ليت شعرى ما خلف كعبا فقيل له ما خلفه الا حسن برديه والنظر فى عطفيه فقال
معاذ الله ما اعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا ايها الثلاثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد
فلما مضت اربعون ليلة امرنا ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بنداء من ذروة سلع ابشر يا كعب بن
مالك فخررت ساجدا وكنت كما وصفنى ربى وضاقت علىّ الارض بما رحبت وضاقت علىّ نفسى وتتابعت البشارة و
لبست ثوبى وانطلقت الى رسول الله فاذا هو جالس فى المسجد وحوله المسلمون فقام الىّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى
صافحنى وقال لتهنك توبة الله عليك فلن انساها لطلحة وقال رسول الله وهو يستنير استنارة القمر ابشر يا كعب بخير يوم مر
عليك منذ ولدتك امك ثم تلا علينا الآية وعن ابى بكر الوراق انه سئل عن التوبة النصوح فقال ان تضيق على التائب
الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه مع الصادقين وقرئ من الصادقين وهم الذين صدقوا فى
دين الله نية وقولا وعملا او الذين صدقوا فى ايمانهم ومعاهدتهم الله ورسوله على الطاعة من قوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه وقيل هم الثلاثة اى كونوا مثلهم فى صدقهم وثباتهم وعن ابن عباس الخطاب لمن آمن من اهل الكتاب اى كونوا مع المهاجرين
والانصار ووافقوهم وانتظموا فى جملتهم واصدقوا مثل صدقهم وقيل لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك وعن
ابن مسعود رضى الله عنه لا يصلح الكذب فى جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم صبيه ثم لا ينجز اقرؤوا ان شئتم وكونوا مع
الصادقين فهل فيها من رخصة ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه امروا ان يصحبوه على البأساء والضراء وان يكابدوا معه الاهوال
برغبة ونشاط واغتباط وان يلقوا انفسهم من الشدائد ما تلقاه نفسه علما بانها اعز نفس عند الله واكرمها عليه فاذا تعرضت
مع كرامتها وعزتها للخوض فى شدة وهول وجب على سائر الانفس ان تتهافت فيما تعرضت ولا يكترث لها اصحابها ولا يقيموا

لما تدنا في نفوسهم اخف شيء عليهم واهونه فضلا ان يربأوا بانفسهم عن متابعتها في مصاحبتها او يطلبوا بها على ما سمح بنفسه عليه وهذا نهي بليغ
مع تقبيح لامرهم وتوبيخ لهم عليه وتهييج لمتابعته بانفة وحمية ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان لهم ان يتخلفوا من وجوب متا
كانه قيل ذلك الوجوب بسبب انهم لا يصيبهم شيء من عطش ولا تعب ولا مجاعة في طريق الجهاد ولا يدوسون مكانا من امكنة الكفار
بحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم وارجلهم ولا يتصرفون في ارضهم تصرفا يغيظهم ويضيق صدورهم ولا ينالون من عدو
نيلا ولا يرزؤونهم شيئا بقتل او اسر او غنيمة او هزيمة او غير ذلك الا كتب لهم به عمل صالح مخلصا واستوجبوا الثواب ونيل
الزلفى عند الله وذلك مما يوجب المشايعة ويجوز ان يراد بالوطء الايقاع والابادة لا الوطء بالاقدام والحوافر كقوله عليه السلام آخر
وطأة وطئها الله بوج والموطئ اما مصدر كالمورد واما مكان فان كان مكانا فمعنى يغيظ الكفار يغيظهم وطؤه والنيل ايضا يجوز
ان يكون مصدرا مؤكدا وان يكون بمعنى المنيل ويقال نال منه اذا رزأه ونقصه وهو عام في كل ما يسوءهم وينكيهم ويلحق بهم
ضررا وفيه دليل على ان من قصد خيرا كان سعيه فيه مشكورا من قيام وقعود ومشي وكلام وغير ذلك وكذلك الشروع وبه
الاية استشهد اصحاب ابي حنيفة رحمه الله ان المدد اللاحق بعد انقضاء الحرب يشارك الجيش في الغنيمة لان وطء ديارهم مما يغيظهم
وينكي فيهم ولقد اسهم النبي صلى الله عليه لابني عامر وقد قدما بعد تقضي الحرب وامد ابو بكر الصديق رضي الله عنه المهاجر بن ابي امية
وزياد بن لبيد بعكرمة بن ابي جهل مع خمسمائة نفس فلحقوا بعد ما فتحوا فاسهم لهم وعند الشافعي لا يسهم لهم يشارك المدد الغانمين
وقرى عبد الله بن عمير ظماء بالمد يقال ظمئ ظماءة وظماء ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو تمرة ولو علاقة سوط ولا كبيرة مثل ما انفق
عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة ولا يقطعون واديا اي ارضا في ذهابهم ومجيئهم والوادي كل منفرج ينفذ فيه السيل وهو
في الاصل فاعل من ودى اذا سال ومنه الودي وقد شاع في استعمال العرب بمعنى الارض يقولون لا تصل في وادي غيرك الا كتب لهم
ذلك من الانفاق وقطع الوادي ويجوز ان يرجع الضمير الى عمل صالح وقوله ليجزيهم متعلق بكتب اي اثبت في صحائفهم لاجل
الجزاء اللام لتأكيد النفي ومعناه ان نفير الكافة عن اوطانهم لطلب العلم غير صحيح ولا ممكن وفيه انه لو صح وامكن ولم يؤد الى مفسدة
لوجب لوجوب التفقه على الكافة ولان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة فلولا نفر فحين لم يمكن نفير الكافة ولم
يكن مصلحة فهلا نفر من كل فرقة طائفة اي من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا
الفقاهة فيه ويتجشموا المشاق في اخذها وتحصيلها ولينذروا قومهم وليجعلوا غرضهم ومرمى همتهم في التفقه انذار قومهم وارشادهم
والنصيحة لهم لا ما ينتحيه الفقهاء من الاغراض الخسيسة ويؤمونه من المقاصد الركيكة من التصدر والترؤس والتبسط في البلاد والتشبه
بالظلمة في ملابسهم ومراكبهم ومنافسة بعضهم بعضا وفشو داء الضرائر بينهم وانقلاب حماليق احدهم اذا لمح ببصره مدرسة لآخر
او شرذمة جثوا بين يديه وتهالكه على ان يكون موطأ العقب دون الناس كلهم فما ابعد هؤلاء من قوله عز وجل لا يريدون علوا في الارض
ولا فسادا والعاقبة لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا الله فيعملوا عملا صالحا ووجه آخر ان رسول الله صلى الله عليه كان اذا بعث
بعثا بعد غزوة تبوك وبعد ما انزل في المتخلفين من الآيات الشداد استبق المؤمنون عن آخرهم الى النفير وانقطعوا جميعا عن استماع الوحي والتفقه
في الدين فامروا ان ينفر من كل فرقة منهم طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد الاكبر
لان الجدال بالحجة اعظم اثرا من الجلاد بالسيف وقوله ليتفقهوا الضمير فيه للفرق الباقية بعد الطوائف النافرة من بينهم ولينذروا
قومهم ولينذر الفرق الباقية قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا ايام غيبتهم من العلوم وعلى الاول الضمير للطائفة النافرة الى
المدينة للتفقه يلونكم من الكفار القتال واجب مع كافة الكفرة قريبهم وبعيدهم ولكن الاقرب فالاقرب اوجب ونظيره
وانذر عشيرتك الاقربين وقد حارب رسول الله صلى الله عليه قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم الشام وقيل هم قريظة والنضير
وفدك وخيبر وقيل الروم لانهم كانوا يسكنون الشام والشام اقرب الى المدينة من العراق وغيره وهكذا المفروض على اهل
كل ناحية ان يقاتلوا من وليهم ما لم يضطر اليهم اهل ناحية اخرى وعن ابن عمر انه سئل عمن قاتل الديلم فقال عليكم بالروم
وقرئ غلظة بالحركات الثلث فالغلظة كالشدة والغلظة كالضغطة والغلظة كالسخطة ونحوه واغلظ عليهم ولا تهنوا وهو يجمع

الجرأة والصبر على القتال وشدة العداوة والعنف في القتل والاسر ومنه ولا تأخذكم بهما رأفة مع المتقين ينصرهم [illegible] على
عدوه فمنهم من يقول فمن المنافقين من يقول بعضهم لبعض ايكم زادته هذه السورة ايمانا انكارا واستهزاء بالمؤمنين واعتقادهم
زيادة الايمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل به وايكم مرفوع بالابتداء وقرئ عبيد بن عمير ايكم بالنصب على اضمار فعل
يفسره زادته تقديره ايكم زادت زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا لانها ازيد لليقين والثبات واثلج للصدر او فزادتهم عملا فان زيادة العمل
زيادة في الايمان لان الايمان يقع على الاعتقاد والعمل فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا مضموما الى كفرهم لانهم كلما جددوا [illegible]
الله الوحي كفروا به ونافقوا فازداد كفرهم واستحكم وتضاعف عقابهم وقرئ ولا يرون بالياء وبالتاء يفتنون يبتلون بالمرض والقحط وغيرهما من
بلاء الله ثم لا يتوبون ولا ينتهون ولا يتوبون من نفاقهم ولا هم يذكرون ولا يعتبرون ولا يتفكرون في امرهم او يبتلون بالجهاد مع رسول الله ويعاينون امره
وما ينزل الله عليه من نصره وتأييده او يفتنهم الشيطان فيكذبون وينقضون العهود مع رسول الله فيقتلهم وينكل بهم ثم لا
ينزجرون نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا للوحي وسخرية به قائلين هل يراكم من احد من المسلمين لننصرف فانا لا نصبر على
استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم او ترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال لواذا يقولون هل يراكم من احد
وقيل معناه اذا ما انزلت سورة في عيب المنافقين صرف الله قلوبهم دعاء عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم عما في قلوب اهل الايمان
من الانشراح بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لا يتدبرون حتى يفقهوا من انفسكم من جنسكم ومن نسبكم عربي قرشي
مثلكم ثم ذكر ما يتبع المجانسة والمناسبة من النتائج بقوله عزيز عليه ما عنتم اي شديد عليه شاق لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاؤكم
المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب حريص عليكم حتى لا يخرج احد منكم عن اتباعه والاستسعاد بدين الحق الذي
جاء به بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤوف رحيم وقرئ من انفسكم اي من اشرفكم وافضلكم وقيل هي قراءة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفاطمة وعائشة رضي الله عنهما وقيل لم يجمع الله اسمين من اسمائه لاحد غير رسول الله في قوله رؤوف رحيم فان تولوا فان
اعرضوا عن الايمان بك وناصبوك فاستعن بالله وفوض اليه فهو كافيك معرتهم ولا يضرونك وهو ناصرك عليهم وقرئ العظيم بالرفع
وعن ابن عباس العرش لا يقدر احد قدره وعن ابي بن كعب آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول من انفسكم وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل علي القرآن الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

سورة يونس مكية وهي مائة وتسع آيات بسم الله الرحمن الرحيم

الر تعديد للحروف على طريق التحدي تلك آيات الكتاب اشارة الى ما تضمنته السورة والكتاب السورة والحكيم ذو الحكمة لاشتماله
عليها او نطقه بها او وصف بصفة محدثه قال الاعشى وغريبة تأتي الملوك حكيمة قد قلتها ليقال من ذا قالها اكان
للانكار والتعجب منه وان اوحينا اسم كان وعجبا خبره وقرأ ابن مسعود عجب فجعله اسما وهي نكرة وان اوحينا خبرا وهو معرفة
كقوله يكون مزاجها عسل وماء والاجود ان تكون تامة وان اوحينا بدلا من عجب فما معنى اللام في قوله اكان
للناس عجبا وما الفرق بينه وبين قولك اكان عند الناس عجبا معناه انهم جعلوه لهم اعجوبة يتعجبون منها ونصبوه
علما لهم يوجهون نحوه استهزاءهم وانكارهم وليس في عند الناس هذا المعنى والذي تعجبوا منه ان يوحى الى بشر وان يكون رجلا من افناء
رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وان يذكر لهم
البعث وينذرهم بالنار ويبشر بالجنة وكل واحد من هذه الامور ليس بعجب لان الرسل المبعوثين الى الامم لم يكونوا الا بشرا
مثلهم وقال الله قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا وارسال اليتيم او الفقير ليس
بعجب ايضا لان الله انما يختار من يستحق الاختيار لجمعه اسباب الاستقلال بما اختير له من النبوة والغنى والتقدم في الدنيا ليس من
تلك الاسباب في شيء وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى والبعث للجزاء على الخير والشر هو الحكمة العظمى
فكيف يكون عجبا انما العجب العجيب والمنكر في العقول تعطيل الجزاء ان انذر الناس ان هي المفسرة لان الايحاء فيه معنى
القول ويجوز ان تكون المخففة من الثقيلة واصله انه انذر الناس على معنى ان الشان قولنا انذر الناس وان لهم الباء معه محذوف

قدم صدق عند ربهم أي سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة لم سميت السابقة قدما لما كان
السعي والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لأنها تعطى باليد وباعا لأن صاحبها يبوع بها
فقيل لفلان قدم في الخير وإضافته إلى صدق دلالة على زيادة فضل وأنه من السوابق العظيمة وقيل مقام صدق إن هذا إن هذا
الكتاب وما جاء به محمد لسحر ومن قرأ لساحر فهذا إشارة إلى رسول الله فهو دليل عجزهم واعترافهم به وإن كانوا كاذبين في تسميته
سحرا وفي قراءة أبي ما هذا إلا سحر يدبر يقضي ويقدر على حسب مقتضى الحكمة ويفعل ما يفعل المتحري للصواب الناظر
في أدبار الأمور وعواقبها كيلا يلقاه ما يكره آخرا والأمر أمر الخلق كله وأمر ملكوت السموات والأرض والعرش
ما موقع هذه الجملة قد دل بالجملة قبلها على عظمة شأنه وملكه بخلق السموات والأرض مع
بسطتها واتساعها في وقت يسير وبالاستواء على العرش وأتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة وأنه لا يخرج أمر من الأمور
من قضائه وتقديره وكذلك قوله ما من شفيع إلا من بعد إذنه دليل على العزة والكبرياء كقوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون
إلا من أذن له الرحمن ذلكم إشارة إلى ذلك العظمة أي ذلك العظيم الموصوف بما وصف به هو ربكم وهو الذي يستحق منكم
العبادة فاعبدوه وحده ولا تشركوا به بعض خلقه من ملك أو إنسان فضلا عن جماد لا يبصر ولا يسمع أفلا تذكرون
فأدنى التفكر والنظر ينبهكم على الخطأ فيما أنتم عليه إليه مرجعكم جميعا أي لا ترجعون في العاقبة إلا إليه فاستعدوا
للقائه وعد الله مصدر مؤكد لقوله إليه مرجعكم وعد الله إنه يبدأ الخلق ثم يعيده استئناف معناه التعليل لوجوب المرجع إليه وهو أن
الغرض ومقتضى الحكمة بابتداء الخلق وإعادته هو جزاء المكلفين على أعمالهم وقرئ أنه يبدأ الخلق بمعنى لأنه وهو منصوب
بالفعل الذي نصب وعد الله أي وعد الله وعدا بدء الخلق ثم إعادته والمعنى إعادة الخلق بعد بدئه وقرئ وعد الله على لفظ الفعل
ويبدئ من أبدأ ويجوز أن يكون مرفوعا بما نصب حقا أي حق حقا بدء الخلق كقوله أحقا عباد الله أن لست جائيا ولا
ذاهبا إلا علي رقيب وقرئ حق أنه يبدأ الخلق كقولك حق أن زيدا منطلق بالقسط بالعدل وهو متعلق بيجزي والمعنى
ليجزيهم بقسطه ويوفيهم أجورهم أو بقسطهم أو بما أقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين آمنوا وعملوا الصالحات لأن الشرك ظلم قال
الله تعالى إن الشرك لظلم عظيم والعصاة ظلام لأنفسهم وهذا أوجه لمقابلة قوله بما كانوا يكفرون الياء في ضياء
منقلبة عن واو ضوء لكسرة ما قبلها وقرئ ضئاء بهمزتين بينهما ألف على القلب بتقديم اللام على العين كما قيل في عاق
عقاء والضياء أقوى من النور وقدره وقدر القمر والمعنى وقدر مسيره أو وقدره ذا منازل كقوله والقمر قدرناه منازل
والحساب وحساب الأوقات من الأشهر والأيام والليالي ذلك إشارة إلى المذكور أي ما خلقه إلا ملتبسا بالحق الذي هو الحكمة البالغة
ولم يخلقه عبثا وقرئ يفصل بالياء خص المتقين لأنهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر إلى النظر والتدبر لا يرجون لقاءنا
لا يتوقعونه أصلا ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم المستولية عليهم المذهلة باللذات وحب العاجل عن التفطن للحقائق أو لا
يأملون حسن لقائنا كما يأمله السعداء أو لا يخافون سوء لقائنا الذي يجب أن يخاف ورضوا بالحياة الدنيا من الآخرة وآثروا
القليل الفاني على الكثير الباقي كقوله أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة وآثروا القليل الفاني واطمأنوا بها أي وسكنوا فيها
سكون من لا يزعج عنها فبنوا شديدا وأملوا بعيدا يهديهم ربهم بإيمانهم يسددهم بسبب إيمانهم للاستقامة على سلوك السبيل
المؤدي إلى الثواب ولذلك جعل تجري من تحتهم الأنهار بيانا له وتفسيرا لأن التمسك بسبب السعادة كالوصول إليها ويجوز
أن يريد يهديهم في الآخرة بنور إيمانهم إلى طريق الجنة كقوله يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم
وبأيمانهم ومنه الحديث أن المؤمن إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول له أنا عملك فيكون له نورا وقائدا
إلى الجنة والكافر إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول له أنا عملك فينطلق به حتى يدخله النار
ولقد دلت هذه الآية على أن الإيمان الذي يستحق به العبد الهداية والتوفيق والنور يوم القيامة هو إيمان مقيد وهو الإيمان المقرون
بالعمل الصالح والإيمان الذي لم يقترن بالعمل الصالح فصاحبه لا توفيق له ولا نور الأمر كذلك ألا ترى

كيف أوقع الصلة مجموعا فيها بين العمل والإيمان كأنه قال إن الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح ثم قال بإيمانهم أي بإيمانهم هذا
المضموم إليه العمل الصالح وهو واضح بين لا شبهة فيه دعواهم دعاؤهم لأن اللهم نداء لله ومعناه اللهم إنا نسبحك
كقول القانت في دعاء القنوت اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد ويجوز أن يراد بالدعاء العبادة وأعتزلكم وما تدعون من
دون الله على معنى أن لا تكليف في الجنة ولا عبادة وما عبادتهم إلا أن يسبحوا الله ويحمدوه وذلك ليس بعبادة إنما يلهمونه
فينطقون به تلذذا بلا كلفة كقوله وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية وآخر دعواهم وخاتمة دعائهم الذي هو
التسبيح أن يقولوا الحمد لله رب العالمين ومعنى تحيتهم فيها سلام أن بعضهم يحيي بعضا بالسلام وقيل هي تحية الملائكة إياهم
إضافة المصدر إلى المفعول وقيل تحية الله لهم وأن هي المخففة من الثقيلة وأصله أنه الحمد لله على أن الضمير للشأن كقوله أن
هالك كل من يحفى وينتعل وقرئ أن الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير
أصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير إشعارا بسرعة إجابته لهم وإسعافه بطلبتهم حتى كأن استعجالهم بالخير تعجيل لهم
والمراد أهل مكة وقولهم فأمطر علينا حجارة من السماء يعني ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم إليه
لقضي إليهم أجلهم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وتنصره قراءة عبد الله لقضينا إليهم أجلهم فكيف
اتصل به قوله فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم وما معناه قوله ولو يعجل الله متضمن معنى نفي التعجيل كأنه قيل ولا
نعجل لهم الشر ولا نقضي إليهم أجلهم فنذرهم في طغيانهم أي نمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم إلزاما للحجة عليهم
لجنبه في موضع الحال بدليل عطف الحالين عليه أي دعانا مضطجعا أو قاعدا أو قائما فما فائدة ذكر هذه الأحوال
معناه أن المضرور لا يزال داعيا لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا في حالاته كلها إن كان
منبطحا عاجز النهض متخاذل النوء أو كان قاعدا لا يقدر على القيام أو كان قائما لا يطيق المشي والمضطرب إلى أن يخف كل
الخفة ويرزق الصحة بكمالها والمسحة بتمامها ويجوز أن يراد أن من المضرورين من هو أشد حالا وهو صاحب الفراش ومنهم
من هو أخف وهو القادر على القعود ومنهم المستطيع للقيام وكلهم لا يستغنون عن الدعاء واستدفاع البلاء لأن
الإنسان للجنس مر أي مضى على طريقته الأولى قبل مس الضر ونسي حال الجهد أو مر عن موقف الابتهال والتضرع لا يرجع
إليه كأنه لا عهد له به كأن لم يدعنا كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن قال كأن ثدياه حقان كذلك مثل ذلك التزيين
زين للمسرفين زين الشيطان بوسوسته أو الله عز وجل بخذلانه وتخليته ما كانوا يعملون من الإعراض عن الذكر واتباع
الشهوات لما ظلموا ظرف لأهلكنا والواو في وجاءتهم للحال أي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالحجج والشواهد
على صدقهم وهي المعجزات وقوله وما كانوا ليؤمنوا يجوز أن يكون عطفا على ظلموا وأن يكون اعتراضا واللام لتأكيد
النفي يعني وما كانوا يؤمنون حقا تأكيدا لنفي إيمانهم وأن الله قد علم منهم أنهم مصرون على كفرهم وأن الإيمان
مستبعد منهم والمعنى أن السبب في إهلاكهم تكذيبهم الرسل وعلم الله أنه لا فائدة في إمهالهم بعد أن ألزموا
الحجة ببعثة الرسل كذلك مثل ذلك الجزاء يعني الإهلاك نجزي كل مجرم وهو وعيد لأهل مكة على إجرامهم
بتكذيب رسول الله وقرئ يجزي بالياء ثم جعلناكم الخطاب للذين بعث إليهم محمد صلى الله عليه وسلم استخلفناكم
في الأرض بعد القرون التي أهلكناها لننظر أتعملون خيرا أو شرا فنعاملكم على حسب عملكم وكيف في محل النصب
بتعملون لا بننظر لأن معنى الاستفهام فيه يحجب أن يتقدم عليه عامله كيف جاز النظر على الله تعالى
وفيه معنى المقابلة هو مستعار للعلم المحقق الذي هو العلم بالشيء موجودا شبه بنظر الناظر وعيان
المعاين في تحققه غاظهم ما في القرآن من ذم عبادة الأوثان والوعيد للمشركين فقالوا ائت بقرآن آخر
ليس فيه ما يغيظنا من ذلك أو بدله بأن تجعل مكان آية عذاب آية رحمة وتسقط ذكر الآلهة وذم عبادتها فأمر بأن يجيب
عن التبديل لأنه داخل تحت قدرة الإنسان وهو أن يضع مكان آية عذاب آية رحمة مما أنزل وأن يسقط ذكر الآلهة وأما

واما الاتيان بقرآن آخر فغير مقدور عليه للانسان ما يكون لي ما ينبغي لي وما يحل لي ان اقول ما ليس لي بحق ان
ابدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي وقرئ بفتح التاء من غير ان يأمرني بذلك ربي ان اتبع الا ما يوحى الي لا آتي ولا اذر
شيئا من نحو ذلك الا متبعا لوحي الله واوامره ان نسخت آية تبعت النسخ وان بدلت آية مكان آية تبعت التبديل وليس لي تبديل
ولا نسخ اني اخاف ان عصيت ربي بالتبديل والنسخ من عند نفسي عذاب يوم عظيم اما ظهر وتبين لهم
العجز عن الاتيان بمثل القرآن حتى قالوا ائت بقرآن غير هذا بلى ولكنهم كانوا لا يعترفون بالعجز وكانوا يقولون
لو نشاء لقلنا مثل هذا ويقولون افترى على الله كذبا فينسبونه الى الرسول ويزعمونه قادرا عليه وعلى مثله مع علمهم بان
العرب مع كثرة فصحائها وبلغائها اذا عجزوا عنه كان الواحد منهم اعجز لعلهم ارادوا ائت
بقرآن غير هذا او بدله من جهة الوحي كما اتيت بالقرآن من جهته فاراد بقوله ما يكون لي ما يتسهل لي وما يمكنني ان
ابدله يرده قوله اني اخاف ان عصيت ربي فما كان غرضهم وهم ادهى الناس وانكرهم
في هذا الاقتراح الكيد والمكر اما اقتراح ابدال قرآن بقرآن ففيه انه من عندك وانك قادر على مثله
فابدل مكانه آخر واما اقتراح التبديل والتغيير فللطمع ولاختبار الحال وانه ان وجد منه تبديل فاما ان يهلكه
الله فينجوا منه او لا يهلكه فيسخروا منه ويجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحا لافترائه على الله لو شاء الله ما تلوته
عليكم يعني ان تلاوته ليست الا بمشية الله واحداثه امرا عجيبا خارجا عن العادات وهو ان يخرج رجل امي لم يتعلم
ولم يستمع ولم يشاهد العلماء ساعة من عمره ولا نشأ في بلد فيه علماء فيقرأ عليكم كتابا فصيحا بهر كل كلام
فصيح ويعلوا على كل منثور ومنظوم مشحونا بعلوم من علوم الاصول والفروع واخبار مما كان وما يكون ناطقا
بالغيوب التي لا يعلمها الا الله وقد بلغ بين ظهرانيكم اربعين سنة تطلعون على احواله ولا يخفى عليكم شيء من اسراره
وما سمعتم منه حرفا من ذلك ولا عرفه به احد من اقرب الناس منه والصقهم به ولا ادراكم به ولا اعلمكم
به على لساني وقرأ الحسن ولا ادرأتكم به على لغة من يقول اعطأته وارضأته في معنى اعطيته وارضيته وتعضده
قراءة ابن عباس ولا انذرتكم به بالهمزة وفيه وجهان احدهما ان تقلب الالف همزة كما قيل لبأت بالحج
ورثأت الميت وحلأت السويق وذلك لان الالف اذا اعطيتها الحركة انقلبت همزة والثاني ان يكون من
درأته اذا دفعته وادرأته جعلته دارئا والمعنى ولا جعلكم بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال وتكذبونني وعن
ابن كثير ولادراكم به بلام الابتداء لاثبات الادراء ومعناه لو شاء الله ما تلوته عليكم ولاعلمكم به على لسان
غيري ولكنه يمن على من يشاء من عباده فخصني بهذه الكرامة ورآني لها اهلا دون سائر الناس فقد لبثت
فيكم عمرا وقرئ عمرا بالسكون يعني فقد اقمت فيما بينكم يافعا وكهلا فلم تعرفوني
متعاطيا شيئا من نحوه ولا قدرت عليه ولا كنت متواصفا بعلم وبيان فتتهموني باختراعه افلا تعقلون
فتعلموا انه ليس الا من الله لا من مثلي وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم ائت بقرآن غير هذا من اضافة الافتراء
اليه ممن افترى على الله كذبا يحتمل ان يريد افتراء المشركين على الله في قولهم انه ذو شريك وذو ولد وان
يكون تفاديا مما اضافوه اليه من الافتراء ما لا يضرهم ولا ينفعهم الاوثان التي هي جماد لا تقدر على نفع ولا
ضر وقيل ان عبدوه لم ينفعهم وان تركوا عبادته لم يضرهم ومن حق المعبود ان يكون مثيبا على الطاعة
معاقبا على المعصية وكان اهل الطائف يعبدون اللات واهل مكة العزى ومناة وهبل واسافا ونائلة
وكانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وعن النضر بن الحرث اذا كان يوم القيامة شفعت لي اللات والعزى
اتنبئون الله بما لا يعلم اتخبرونه بكونهم شفعاء عنده وهو انباء بما ليس بمعلوم لله واذا لم يكن معلوما له وهو
العالم الذات المحيط بجميع المعلومات لم يكن شيئا لان الشيء ما يعلم ويخبر عنه فكان خبرا ليس له مخبر عنه

عنه فكان خبرا ليس له مخبر عنه كيف انبأوا الله بذلك هو تهكم بهم وبما ادعوه من المحال الذي
هو شفاعة الاصنام واعلام بان الذي انبأوا به باطل غير منطو تحت الصحة فكأنهم يخبرونه بشيء لا يتعلق به علمه كما يخبر الرجل الرجل
بما لا يعلمه وقرئ اتنبئون بالتخفيف وقوله في السموات ولا في الارض تأكيد لنفيه لان ما لم يوجد فيهما فهو منتف معدوم
تشركون قرئ بالتاء والياء وما موصولة او مصدرية اي عن الشركاء الذين يشركونهم به او عن اشراكهم وما كان الناس الا امة
واحدة حنفاء متفقين على ملة واحدة من غير ان يختلفوا بينهم وذلك في عهد آدم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل وقيل
بعد الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا ولولا كلمة سبقت من ربك وهو تأخير الحكم بينهم الى يوم القيامة لقضي بينهم عاجلا
فيما اختلفوا فيه ولميز المحق من المبطل وسبق كلمته بالتأخير لحكمة اوجبت ان تكون هذه الدار دار تكليف وتلك دار ثواب وعقاب
وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه ارادوا آية من الآيات التي كانوا يقترحونها وكانوا لا يعتدون بما انزل عليه من الآيات العظام
المتكاثرة التي لم ينزل على احد من الانبياء مثلها وكفى بالقرآن وحده آية باقية على وجه الدهر بديعة غريبة في الآيات دقيقة المسلك
من بين المعجزات وجعلوا نزولها كلا نزول وكأنه لم ينزل عليه آية قط حتى قالوا لولا انزل عليه آية واحدة من ربه وذلك لفرط
عنادهم وتماديهم في التمرد وانهماكهم في الغي فقل انما الغيب لله اي هو المختص بعلم الغيب المستأثر به لا علم لي ولا
لاحد به يعني ان الصارف عن انزال الآيات المقترحة امر مغيب لا يعلمه الا هو فانتظروا نزول ما اقترحتموه اني معكم
من المنتظرين لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم الآيات سلط الله القحط سبع سنين على اهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم
رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا يطعنون في آيات ويعادون رسول الله ويكيدونه واذا الاولى للشرط والاخرى
جواب لها وهي للمفاجأة والمكر اخفاء الكيد وطيه من الجارية الممكورة المطوية الخلق ومعنى مستهم خالطتهم حتى احسوا
بسوء اثرها فيهم ما وصفهم بسرعة المكر فكيف صح قوله اسرع مكرا قلت دل على ذلك كلمة
المفاجأة كأنه قال واذا رحمناهم من بعد ضراء فاجأوا وقوع المكر منهم وسارعوا اليه من قبل ان يغسلوا رؤوسهم
من مس الضراء ولم يتلبثوا ريثما يسيغون غصتهم والمعنى ان الله قد دبر عقابكم وهو موقعه بكم قبل ان تدبروا كيف
تعملون في اطفاء نور الاسلام ان رسلنا يكتبون اعلام بان ما تظنونه خافيا مطويا لا يخفى على الله وهو منتقم منكم وروي
تمكرون بالتاء والياء وقيل مكرهم قولهم سقينا بنوء كذا وعن ابي هريرة ان الله ليصبح القوم بالنعمة ويمسيهم
بها فتصبح طائفة منهم بها كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا وقرأ زيد بن ثابت ينشركم ومثله فانتشروا في الارض
ثم اذا انتم بشر تنتشرون كيف جعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر والتسيير في البحر انما هو
بالكون في الفلك لم يجعل الكون في الفلك غاية للتسيير ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعدها في
حيزها كأنه قيل يسيركم حتى اذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت من مجيء الريح العاصف وتراكم الامواج والظن للهلاك
والدعاء بالانجاء ما جواب اذا جاءتها فما دعوا الله بدل من ظنوا
لان دعاءهم من لوازم ظنهم بالهلاك فهو ملتبس به ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة
المبالغة كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الانكار والتقبيح
ما وجه قراءة ام الدرداء في الفلكي بزيادة ياء النسب قلت هما زائدتان كما في الخارجي والاحمري ويجوز
ان يراد به اللج والماء الغمر الذي لا تجري الفلك الا فيه والضمير في جرين للفلك لانه جمع فلك كالاسد في فعل اخي
فعل جاءتها جاءت الريح الطيبة اي تلقتها وقيل الضمير للفلك في كل مكان من جميع امكنة الموج احيط بهم جعل
احاطة العدو بالحي مثلا في الهلاك مخلصين له الدين من غير اشراك به لانهم لا يدعون حينئذ غيره معه لئن
انجيتنا على ارادة القول او لان دعوا من جملة القول يبغون في الارض يفسدون فيها ويعيثون مترقين في
ذلك ممعنين فيه من قولك بغى الجرح اذا ترامى الى الفساد ما معنى قوله بغير الحق والبغي لا يكون

بلى وقعوا أشياء الا المسلمين على ارض الكافرين وهدم دورهم وإحراق زروعهم وقلع أشجارهم كما فعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم ببني قريظة قرئ متاع الحيوة الدنيا بالنصب ما الفرق بين القراءتين
اذا رفعت كان المتاع خبرا عن المبتدا الذي هو بغيكم وعلى انفسكم صلته كقوله فبغى عليهم ومعناه انما بغيكم
على امثالكم والذين جنسهم جنسكم يعني بغي بعضكم على بعض منفعة الحيوة الدنيا لا بقاء لها واذا نصبت فعلى انفسكم
خبر غير صلة معناه انما بغيكم وبال على انفسكم ومتاع الحيوة الدنيا في موضع المصدر المؤكد كانه قيل تتمتعون متاع الحيوة الدنيا
ويجوز ان يكون الرفع على هو متاع الحيوة الدنيا بعد تمام الكلام وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تمكر ولا تعن ماكرا ولا تبغ
باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا وكان يتلوها وعنه عليه السلام اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغي واليمين
الفاجرة وروي ثنتان يعجلهما الله في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضي الله عنه لو بغى جبل على جبل لدك الباغي
وكان المامون رحمة الله عليه يتمثل بهذين البيتين في اخيه

يا صاحب البغي ان البغي مصرعة فاربع فخير فعال المرء اعدله
فلو بغى جبل يوما على جبل لاندك منه اعاليه واسفله

وعن محمد بن كعب ثلث من كن فيه كن عليه البغي والمكر والنكث قال الله تعالى انما بغيكم على انفسكم هذا من التشبيه المركب
شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الاقبال بحال نبات الارض في جفافه وذهابه حطاما بعدما التف وتكاثف
وزين الارض بخضرته ورفيفه فاختلط به فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا اخذت الارض زخرفها وازينت كلام فصيح
جعلت الارض اخذة زخرفها على التمثيل بالعروس اذا اخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت بغيرها من الوان الزين
واصل ازينت تزينت فادغمت وبالاصل قرأ عبد الله وقرئ وازينت على افعلت من غير اعلال كاغيلت وفي اعلال الفعل كاغلت اي صارت
ذات زينة وازيانت كابياضت قادرون عليها متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها اتاها امرنا وهو ضرب
زرعها ببعض العاهات بعد امنهم واستيقانهم انه قد سلم فجعلناها حصيدا شبيها بالحصيد من الزرع في قطعه واستيصاله كان
لم تغن زرعها لم يلبث على حذف المضاف في هذه المواضع لا بد منه والا لم يستقم المعنى وقرأ الحسن كان لم يغن بالياء على ان
الضمير للمضاف المحذوف الذي هو الزرع وعن مروان انه قرأ على المنبر كان لم تتغن بالامس من قول الاعشى طويل الثواء
طويل التغني والامس مثل في الوقت القريب كانه قيل كان لم تغن انفا دار السلام الجنة اضافها الى اسمه تعظيما لها وقيل
السلام السلامة لان اهلها سالمون من كل مكروه وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم الا قيلا سلاما سلاما
ويهدي ويوفق من يشاء وهم الذين علم ان اللطف يجدي عليهم لان مشيته تابعة لحكمته ومعناه يدعو العباد كلهم
الى دار السلام ولا يدخلها الا المهديون الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة وهي التفضل ويدل عليه قوله ويزيدهم من فضله
وعن علي رضي الله عنه الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس الحسنى الجنة والزيادة عشر امثالها وعن الحسن عشر امثالها
الى سبعمائة ضعف وعن مجاهد الزيادة مغفرة من الله ورضوان وعن يزيد بن شجرة الزيادة ان تمر السحابة باهل الجنة
فتقول ما تريدون ان امطركم فلا يريدون شيئا الا امطرتهم وزعمت المشبهة والمجبرة ان الزيادة النظر الى وجه
الله وجاءت بحديث مرفوع اذا دخل اهل الجنة الجنة نودوا ان يا اهل الجنة فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم
الله شيئا احب اليهم منه ولا يرهق وجوههم لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة ولا اثر هوان وكسوف بال
والمعنى ولا يرهقهم ما يرهق اهل النار اذكارا بما ينقذهم منه برحمته الا ترى الى قوله ترهقها قترة وترهقهم
ذلة فان قلت ما وجه قوله والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وكيف يتلاءم قلت لا يخلو
اما ان يكون والذين كسبوا معطوفا على قوله للذين احسنوا كانه قيل للذين احسنوا الحسنى وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها واما ان
يقدر وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها على معنى جزاؤهم ان تجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها
لا يزاد عليها وهذا اوجه من الاول لان في الاول عطفا على عاملين وان كان الاخفش يجيزه وفي هذا دليل على

ان المراد بالزيادة الفضل لانه دل بترك الزيادة على السيئة على عدله ودل ثم بالزيادة على المثوبة على فضله وقرئ يرهقهم بالياء من الله من
عاصم اي لا يعصمهم احد من سخط الله وعذابه ويجوز ما لهم من جهة الله ومن عنده من يعصمهم كما يكون للمؤمنين مظلما حال من الليل
ومن قرأ قطعا بالسكون من قولهم تقطع من الليل جعل مظلما صفة له ويعضده قراءة ابي بن كعب كانما تغشى وجوههم قطع من
الليل مظلم فان قلت اذا جعلت مظلما حالا من الليل فما العامل فيه قلت لا يخلو اما ان يكون اغشيت من قبل ان من
الليل صفة لقوله قطعا فكان افضاؤه الى الموصوف كافضائه الى الصفة واما ان يكون العامل في من الليل مكانكم الزموا مكانكم
لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم وانتم تأكيد للضمير في مكانكم لسده مسد قوله الزموا وشركاؤكم عطف عليه وقرئ وشركاءكم
على ان الواو بمعنى مع والعامل فيه ما في مكانكم من معنى الفعل فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا اقرانهم والوصل التي كانت بينهم
في الدنيا او فباعدنا بينهم بعد الجمع بينهم في الموقف وتبرؤ شركائهم منهم ومن عبادتهم كقوله اين شركاؤكم الذين كنتم
تزعمون قالوا ضلوا عنا وقرئ فزايلنا بينهم كقولك صاعر خده وصعره وكالمه وكلمه ما كنتم ايانا تعبدون انما كنتم
تعبدون الشياطين حيث امروكم ان تتخذوا لله اندادا فاطعتموهم ان كنا هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية
وهم الملائكة والمسيح ومن عبدوه من دون الله من اولي العقل وقيل الاصنام ينطقها الله عز وجل فتشافههم بذلك مكان الشفاعة
التي زعموها وعلقوا بها اطماعهم هنالك في ذلك المقام وفي ذلك الموقف او في ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان تبلوا
كل نفس تختبر وتذوق ما اسلفت من العمل فتعرف كيف هو اقبيح ام حسن انافع ام ضار امقبول ام مردود كما يتعرف الرجل
الشيء باختباره لتكتنه حاله ومنه قوله تعالى يوم تبلى السرائر وعن عاصم نبلوا كل نفس بالنون ونصب كل اي نختبرها باختبار
ما اسلفت من العمل فنعرف حالها بمعرفة حال عملها ان كان حسنا فهي سعيدة وان كان سيئا فهي شقية والمعنى نفعل بها فعل الخابر كقوله
ليبلوكم ايكم احسن عملا ويجوز ان يراد نصيب بالبلاء وهو العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت وقرئ تتلو اي تتبع ما
اسلفت لان عمله هو الذي يهديه الى طريق الجنة او الى طريق النار او تقرأ في صحيفتها ما قدمت من خير او شر مولاهم الحق
ربهم الصادق ربوبيته لانهم كانوا يتولون ما ليس لربوبيته حقيقة او الذي يتولى حسابهم وثوابهم العدل الذي لا يظلم احدا
وقرئ الحق بالنصب على تأكيد قوله ردوا الى الله كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل او على المدح كقولك الحمد لله اهل الحمد وضل عنهم
ما كانوا يفترون وضاع عنهم ما كانوا يدعون انهم شركاء الله او بطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب وشفاعة الالهة من
السماء والارض اي يرزقكم منهما جميعا لم يقتصر برزقكم على جهة واحدة ليفيض عليكم نعمته ويوسع رحمته امن يملك السمع والابصار
من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذي سويا عليه من الفطرة العجيبة او من يحميهما ويحصنهما من الافات مع كثرتها في المدد
الطوال وهما لطيفان يؤذيهما ادنى شيء بكلائته وحفظه ومن يدبر الامر ومن يلي تدبير العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص
افلا تتقون افلا تقون انفسكم ولا تحذرون عليها عقابه فيما انتم بصدده من الضلال فذلكم اشارة الى من هذه قدرته وافعاله
ربكم الحق الثابت ربوبيته ثباتا لا ريب فيه لمن حقق النظر فماذا بعد الحق الا الضلال يعني ان الحق والضلال لا واسطة بينهما
فمن تخطى الحق وقع في الضلال فانى تصرفون عن الحق الى الضلال وعن التوحيد الى الشرك وعن السعادة الى الشقاء كذلك مثل
ذلك الحق حقت كلمة ربك اي كما حق وثبت ان الحق بعده الضلال او كما حق انهم مصروفون عن الحق فكذلك حقت كلمة ربك على
الذين فسقوا اي تمردوا في كفرهم وخرجوا الى الحد الاقصى فيه وانهم لا يؤمنون بدل من الكلمة اي حق عليهم انتفاء الايمان وعلم
الله منهم ذلك اي حق عليهم كلمة الله وانهم من اهل الخذلان وان ايمانهم غير كائن او اراد بالكلمة العدة بالعذاب وانهم لا يؤمنون
تعليل يعني لانهم لا يؤمنون فان قلت كيف قيل لهم هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده وهم غير معترفين بالاعادة
قد وضعت اعادة الخلق لظهور برهانها موضع ما ان دفعه دافع كان مكابرا رادا للظاهر البين الذي لا مدخل للشبهة فيه دلالة على انهم
في انكارهم لها منكرون لامر مسلم معترف بصحته عند العقلاء وقال لنبيه قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فامره بان ينوب عنهم
في الجواب يعني انهم لا يدعهم لجاجهم ومكابرتهم ان ينطقوا بكلمة الحق فكلم عنهم يقال هداه للحق والى الحق فجمع

بين الشيئين، ويقال لنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قوله أمّن لا يهدّي وقرئ لا يهدي بفتح الهاء وكسرها
مع تشديد الدال والأصل يهتدي فأدغم وفتحت الهاء بحركة التاء أو كسرت لالتقاء الساكنين وقد كسرت الياء لاتباع ما بعدها وقرئ إلا أن
يهدى من هداه وهداه للمبالغة ومنه قولهم تهدّى بمعناه أن الله وحده هو الذي يهدي للحق بما ركب في المكلفين من العقول
وأعطاهم من التمكين للنظر في الأدلة التي نصبها لهم وبما لطف بهم ووفقهم وألهمهم وأخطر ببالهم ووقفهم على الشرائع
فهل من شركائكم الذين جعلتم أندادا لله أحد من أشرفهم كالملائكة والمسيح وعزير يهدي إلى الحق مثل هداية الله ثم قال أفمن يهدي إلى الحق أحق
بالاتباع أم الذي لا يهدي أي لا يهتدي بنفسه أو لا يهدي غيره إلا أن يهديه الله وقيل معناه أم من لا يهتدي من الأوثان إلى مكان فينتقل
إليه إلا أن يهدى إلا أن ينقل أو لا يهتدي ولا يصح منه الاهتداء إلا أن ينقله الله من حاله إلى أن يجعله حيوانا مكلفا فيهديه فما لكم
كيف تحكمون بالباطل حيث تزعمون أنهم أنداد الله وما يتبع أكثرهم في إقرارهم بالله إلا ظنا لأنه قول غير مستند إلى برهان
عندهم إن الظن في معرفة الله لا يغني من الحق وهو العلم شيئا وقيل وما يتبع أكثرهم في قولهم للأصنام إنها آلهة وإنها شفعاء عند
الله إلا الظن والمراد بالأكثر الجميع إن الله عليم وعيد على ما يفعلون من اتباع الظن وتقليد الآباء وقرئ تفعلون بالتاء وما كان
هذا القرآن افتراء من دون الله ولكن كان تصديق الذي بين يديه وهو ما تقدمه من الكتب المنزلة لأنه معجز دونها فهو عيار عليها
وشاهد لصحتها كقوله هو الحق مصدقا لما بين يديه وقرئ ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب على ولكن هو
تصديق وتفصيل ومعنى وما كان أن يفترى وما صح وما استقام وكان محالا أن يكون مثله في علو أمره وإعجازه مفترى وتفصيل
الكتاب وتبيين ما كتب وفرض من الأحكام والشرائع من قوله كتاب الله عليكم فإن قلت بم اتصل قوله لا ريب فيه من رب
العالمين قلت هو داخل في حيز الاستدراك كأنه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب كائنا من رب
العالمين ويجوز أن يراد ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لا ريب في ذلك فيكون من رب العالمين متعلقا
بتصديق وتفصيل ويكون لا ريب فيه اعتراضا كما تقول زيد لا شك فيه كريم أم يقولون افتراه بل أيقولون اختلقه على
أن الهمزة تقرير لإلزام الحجة عليهم أو إنكار لقولهم واستبعاد والمعنيان متقاربان قل إن كان الأمر كما تزعمون فأتوا أنتم
على وجه الافتراء بسورة مثله فأنتم مثلي في العربية والفصاحة ومعنى بسورة مثله أي شبيهة به في البلاغة وحسن
النظم وقرئ بسورة مثله على الإضافة أي بسورة كتاب مثله وادعوا من دون الله من استطعتم من خلقه للاستعانة
به على الإتيان بمثله يعني أن الله وحده هو القادر على أن يأتي بمثله لا يقدر على ذلك أحد غيره فلا تستعينوا وحده
ثم استعينوا بكل من دونه إن كنتم صادقين أنه افتراه بل كذبوا بل سارعوا إلى التكذيب بالقرآن وفاجأوه في
بديهة السماع قبل أن يفقهوه ويعلموا كنه أمره وقبل أن يتدبروه ويقفوا على تأويله ومعانيه وذلك لفرط
نفورهم عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم كالناشئ على التقليد من الحشوية إذا أحس بكلمة لا توافق ما
نشأ عليه وألفه وإن كانت أضوأ من الشمس في ظهور الصحة وبيان الاستقامة أنكرها في أول وهلة واشمأز منها
قبل أن يحس إدراكها بحاسة سمعه من غير فكر في صحة أو فساد لأنه لم يشعر قلبه إلا صحة مذهبه وفساد ما عداه من المذاهب
فإن قلت ما معنى التوقع في قوله ولما يأتهم تأويله قلت معناه أنهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر
ومعرفة التأويل تقليدا للآباء وكذبوه بعد التدبر تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع إلى التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة
التوقع ليؤذن أنهم علموا بعد علو شأنه وإعجازه لما كرر عليهم التحدي وذاقوا قواهم في المعارضة واستيقنوا عجزهم عن
مثله فكذبوا به بغيا وحسدا كذلك أي مثل ذلك التكذيب كذب الذين من قبلهم يعني قبل النظر في معجزات الأنبياء
وقبل تدبرها من غير إنصاف من أنفسهم ولكن قلدوا الآباء وعاندوا ويجوز أن يراد الذين كذبوا وهم شاكون ويجوز أن يكون
معنى ولما يأتهم تأويله ولما يأتهم بعد تأويل ما فيه من الإخبار بالغيوب أي عاقبته حتى يتبين لهم أهو كذب أم صدق
يعني أنه كتاب معجز من جهتين من جهة إعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الإخبار بالغيوب فتسرعوا إلى التكذيب به

قبل أن ينظروا في نظمه وبلوغه حد الإعجاز وقبل أن يخبروا أخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه ومنهم من يؤمن به من يصدق به
في نفسه ويعلم أنه حق ولكنه يعاند بالتكذيب ومنهم من يشك فيه لا يصدق به أو يكون للاستقبال أي ومنهم من سيؤمن به
ومنهم من سيصر وربك أعلم بالمفسدين بالمعاندين أو المصرين وإن كذبوك وإن تموا على تكذيبك ويئست من إجابتهم
فتبرأ منهم وخلهم فقد أعذرت كقوله فإن عصوك فقل إني بريء وقيل هي منسوخة بآية السيف ومنهم من يستمعون إليك
معناه ومنهم ناس يستمعون إليك إذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم لا يعون ولا يقبلون وناس ينظرون إليك ويعاينون
أدلة الصدق وأعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون ثم قال أفأنت تطمع أنك تقدر على إسماع الصم ولو انضم إلى صممهم عدم عقولهم
لأن الأصم العاقل ربما تفرس واستدل إذا وقع في صماخه دوي الصوت فإذا اجتمع سلب العقل والسمع جميعا فقد
تم الأمر وأتحسب أنك تقدر على هداية العمي ولو انضم إلى العمى وهو فقد البصر فقد البصيرة لأن الأعمى الذي له في قلبه
بصيرة قد يحدس ويتظنى وأما العمى مع الحمق فجهد البلاء يعني أنهم في اليأس من أن يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمي الذين
لا عقول لهم ولا بصائر وقوله أفأنت أفأنت دلالة على أنه لا يقدر على إسماعهم وهدايتهم إلا الله عز وجل بالقسر
والإلجاء كما لا يقدر على رد الأصم والأعمى المسلوبي العقل حديدي السمع والبصر راجحي العقل إلا هو وحده إن الله لا
يظلم الناس شيئا أي لا ينقصهم شيئا مما يتصل بمصالحهم من بعثة الرسل وإنزال الكتب ولكنهم يظلمون أنفسهم بالكفر والتكذيب
ويجوز أن يكون وعيدا للمكذبين يعني أن ما يلحقهم يوم القيامة من العذاب لاحق بهم على سبيل العدل والاستيجاب ولا
يظلمهم الله به ولكنهم ظلموا أنفسهم باقتراف ما كان سببا فيه كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يستقربون وقت لبثهم في الدنيا وقيل في
القبور لهول ما يرون يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتفارقوا إلا قليلا وذلك عند خروجهم من القبور
ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الأمر عليهم فإن قلت كأن لم يلبثوا ويتعارفون كيف موقعهما قلت
أما الأولى فحال من هم أي نحشرهم مشبهين بمن لم يلبث إلا ساعة وأما الثانية فإما أن تتعلق بالظرف وإما أن تكون مبينة
لقوله كأن لم يلبثوا إلا ساعة لأن التعارف لا يبقى مع طول العهد وينقلب تناكرا قد خسر على إرادة القول أي يتعارفون
بينهم قائلين ذلك أو هي شهادة من الله تعالى على خسرانهم والمعنى أنهم وضعوا في تجارتهم وبيعهم الإيمان بالكفر وما كانوا مهتدين
للتجارة عارفين بها وهو استئناف فيه معنى التعجب كأنه قيل ما أخسرهم فإلينا مرجعهم جواب نتوفينك وجواب نرينك
محذوف كأنه قيل وإما نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك أو نتوفينك قبل أن نريكه فنحن نريكه في الآخرة
فإن قلت الله شهيد على ما يفعلون في الدارين فما معنى ثم قلت ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها ونتيجتها
وهو العقاب كأنه قال ثم الله معاقب على ما يفعلون وقرأ ابن أبي عبلة ثم بالفتح أي هنالك ويجوز أن يراد أن
الله مؤد شهادته على أفعالهم يوم القيامة حين ينطق جلودهم وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم شاهدة عليهم ولكل
أمة رسول يبعث إليهم لينبههم على التوحيد ويدعوهم إلى دين الحق فإذا جاءهم رسولهم بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه
قضي بينهم أي بين النبي ومكذبيه بالقسط بالعدل فأنجي الرسول وعذب المكذبون لقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا أو
ولكل أمة من الأمم يوم القيامة رسول تنسب إليه وتدعى به فإذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والإيمان
كقوله وجيء بالنبيين والشهداء قضي بينهم متى هذا الوعد استعجال لما وعدوا من العذاب استبعادا له لا أملك لنفسي
ضرا من مرض أو فقر ولا نفعا من صحة أو غنى إلا ما شاء الله استثناء منقطع أي ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فكيف
أملك لكم الضرر وجلب العذاب لكل أمة أجل يعني أن عذابكم له أجل مضروب عند الله وحد محدود من
الزمان إذا جاء أجلهم ذلك الوقت أنجز وعدكم لا محالة فلا تستعجلوا وقرأ ابن سيرين فإذا جاء آجالهم بياتا نصب على
الظرف بمعنى وقت بيات فإن قلت هلا قيل ليلا أو نهارا قلت لأن البيات متى أتى عذابه وقت بيات فبيتم
وأنتم ساهون نائمون لا تشعرون كما يبيت العدو المباغت والبيات بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وكذلك قوله

قوله نهارا معناه في وقت أنتم فيه مشتغلون بطلب المعاش والكسب ونحوه بياتا وقت أنتم نائمون وضحى وهم يلعبون الضمير في منه
للعذاب والمعنى أن العذاب كله مكروه مر المذاق موجب للنفار فأي شيء يستعجلون منه وليس شيء منه يوجب الاستعجال
ويجوز أن يكون معناه التعجب كأنه قيل أي شيء هول شديد يستعجلون منه ويجوز أن يكون من للبيان في هذا الوجه
وقيل الضمير في منه لله تعالى فإن قلت بم يتعلق الاستفهام وأين جواب الشرط قلت تعلق بأرأيتم لأن
المعنى أخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال أو تعرفوا الخطأ فيه
فإن قلت فهلا قيل ماذا تستعجلون منه قلت أريدت الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الإجرام
لأن من حق المجرم أن يخاف التعذيب على إجرامه ويهلك فزعا من مجيئه وإن أبطأ فضلا أن يستعجله ويجوز أن يكون
ماذا يستعجل منه المجرمون جوابا للشرط كقولك إن أتيتك ماذا تطعمني ثم تتعلق الجملة بأرأيتم وأن يكون أثم إذا ما
وقع آمنتم به جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا والمعنى إن أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه
حين لا ينفعكم الإيمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء في قوله أفأمن أهل القرى أوأمن
أهل القرى الآن على إرادة القول أي قيل لهم إذا آمنوا بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به وقد كنتم به تستعجلون يعني
وقد كنتم به تكذبون لأن استعجالهم كان على جهة التكذيب والإنكار وقرئ آلان بحذف الهمزة التي
بعد اللام وإلقاء حركتها على اللام ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المضمر قبل آلآن ويستنبئونك ويستخبرونك فيقولون
أحق هو وهو استفهام على جهة الإنكار والاستهزاء لتضمنه معنى التعريض بأنه باطل وذلك أن اللام للجنس فكأنه
قيل أهو الحق لا الباطل أو هو الذي سميتموه الحق والضمير للعذاب الموعود وإي بمعنى نعم في القسم خاصة كما كان هل
بمعنى قد في الاستفهام خاصة وسمعتهم يقولون في التصديق إيو فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده
وما أنتم بمعجزين بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة ظلمت صفة لنفس على ولو أن لكل نفس ظالمة ما في الأرض
أي ما في الدنيا اليوم من خزائنها وأموالها وجميع منافعها على كثرتها لافتدت به لجعلته فدية لها يقال فداه فافتدى
ويقال افتداه أيضا بمعنى فداه وأسروا الندامة لما رأوا العذاب لأنهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه ولم يخطر ببالهم
وعاينوا من شدة الأمر وتفاقمه ما سلبهم قواهم وبهرهم فلم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخا ولا ما يفعله الجازع
سوى إسرار الندم والحسرة في القلوب كما ترى المقدم للصلب يثخنه ما دهمه من فظاعة الخطب ويغلب حتى لا
ينبس بكلمة ويبقى جامدا مبهوتا وقيل أسر رؤساؤهم الندامة من سفلتهم الذين أضلوهم حياء منهم وخوفا
من توبيخهم وقيل أسروها أخلصوها إما لأن إخفاءها إخلاصها وإما من قولهم سر الشيء لخالصه وفيه تهكم
بهم وبإخطائهم وقت إخلاص الندامة وقيل أسروا الندامة أظهروها من قولهم أسر الشيء وأشره إذا أظهره
وليس هنالك تجلد وقضي بينهم أي بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم ثم أتبع ذلك الإعلام
بأن له الملك كله وأنه المثيب المعاقب وما وعده من الثواب والعقاب فهو حق وهو القادر على الإحياء والإماتة
لا يقدر عليهما غيره وإلى حسابه وجزائه المرجع ليعلم أن الأمر كذلك فيخاف ويرجى ولا يغتر به المغترون
قد جاءتكم موعظة أي قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد وهو شفاء أي دواء
لما في صدوركم من العقائد الفاسدة ودعاء إلى الحق ورحمة لمن آمن به منكم أصل الكلام بفضل الله وبرحمته
فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتأكيد والتقرير وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح
دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كأنه قيل إن
فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح فإنه لا مفروح به أحق منهما ويجوز أن يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك
فليفرحوا ويجوز أن يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك فبمجيئها فليفرحوا وقرئ فلتفرحوا بالتاء

وهو الأصل والقياس وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي عنه لتأخذوا مصافكم قالها في بعض الغزوات
وفي قراءة أبي فافرحوا وهو راجع إلى ذلك وقرئ مما تجمعون بالتاء والياء وعن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا
قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والإسلام وقيل فضله الإسلام ورحمته ما وعد عليه أرأيتم أخبروني وما أنزل
الله ما في موضع النصب بأنزل أو بأرأيتم في معنى أخبرونيه فجعلتم منه حلالا وحراما أي أنزله الله رزقا حلالا
كله فبعضتموه وقلتم هذا حلال وهذا حرام كقولهم هذه أنعام وحرث حجر ما في بطون هذه الأنعام خالصة
لذكورنا ومحرم على أزواجنا آلله أذن لكم متعلق بأرأيتم وقل تكرير للتوكيد والمعنى أخبروني آلله أذن لكم
في التحليل والتحريم فأنتم تفعلون ذلك بإذنه أم تكذبون على الله في نسبة ذلك إليه ويجوز أن تكون الهمزة للإنكار
وأم منقطعة بمعنى بل أتفترون على الله تقريرا للافتراء وكفى بهذه الآية زاجرة زجرا بليغا عن التجوز فيما يسأل
عنه من الأحكام وباعثة على وجوب الاحتياط فيه وأن لا يقول أحد في شيء جائز أو غير جائز إلا بعد إتقان وإيقان
ومن لم يوقن فليتق الله وليصمت وإلا فهو مفتر على الله يوم القيامة منصوب بالظن وهو ظن واقع فيه يعني أي
شيء ظن المفترين في ذلك اليوم ما يصنع بهم فيه وهو يوم الجزاء بالإحسان والإساءة وهو وعيد عظيم حيث
أبهم أمره وقرأ عيسى بن عمر وما ظن على لفظ الفعل ومعناه وأي ظن ظنوا يوم القيامة وجيء به على لفظ
الماضي لأنه كائن فكان قد كان إن الله لذو فضل على الناس حيث أنعم عليهم بالعقل ورحمهم بالوحي وتعليم
الحلال والحرام ولكن أكثرهم لا يشكرون هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا إليه وما تكون في شأن ما نافية
والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والشأن الأمر وأصله الهمز بمعنى القصد من شأنت شأنه إذا قصدت قصده
والضمير في منه للشأن لأن تلاوة القرآن شأن من شأن رسول الله بل هو من معظم شأنه أو للتنزيل كأنه قيل وما تتلو
من التنزيل من قرآن لأن كل جزء منه قرآن والإضمار قبل الذكر تفخيم له أو لله ولا تعملون أنتم جميعا من عمل
أي عمل كان إلا كنا عليكم شهودا شاهدين رقباء نحصي عليكم إذ تفيضون فيه من أفاض في الأمر إذا اندفع
فيه وما يعزب قرئ بالضم والكسر وما يبعد وما يغيب ومنه الروض العازب ولا أصغر ولا أكبر القراءة بالرفع
والنصب والوجه النصب على نفي الجنس والرفع على الابتداء ليكون كلاما برأسه وفي العطف على محل من مثقال ذرة
أو على لفظ مثقال ذرة فتحا في موضع الجر لامتناع الصرف إشكال لأن قولك لا يعزب عنه شيء إلا في كتاب مشكل
فإن قلت لم قدمت الأرض على السماء بخلاف قوله في سورة سبأ عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا
في الأرض قلت حق السماء أن تقدم على الأرض ولكنه لما ذكر شهادته على شؤون أهل الأرض وأحوالهم وأعمالهم
ووصل بذلك قوله لا يعزب عنه لاءم ذلك أن قدم الأرض على السماء على أن العطف بالواو وحكمه حكم التثنية
أولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وقد فسر ذلك في قوله الذين آمنوا وكانوا يتقون فهو توليهم
إياه لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة فهو توليه إياهم وعن سعيد بن جبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
سئل من أولياء الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم يعني السمت والهيئة وعن ابن عباس رضي الله عنه الإخبات
والسكينة وقيل هم المتحابون في الله وعن عمر رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه يقول إن من عباد الله عبادا ما
هم بأنبياء ولا شهداء تغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما
أعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور
وإنهم لعلى منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ثم قرأ الآية الذين آمنوا نصب أو رفع
على المدح أو على وصف الأولياء أو على الابتداء والخبر لهم البشرى في الدنيا ما بشر الله به المؤمنين المتقين في غير مكان
من كتابه وعن النبي صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له وعنه عليه السلام ذهبت

النبوة وبقيت المبشرات وقيل هي محبة الناس والذكر الحسن وعن أبي ذر قلت لرسول الله الرجل يعمل العمل لله ويحبه
الناس فقال تلك عاجل بشرى المؤمن وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تأتيهم الملائكة بالرحمة قال الله تعالى تتنزل
عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة وأما البشرى في الآخرة فتلقي الملائكة إياهم مسلمين مبشرين
بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم وإعطاء الصحائف بأيمانهم وما يقرؤون منها وغير ذلك من البشارات
لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لأقواله ولا إخلاف لمواعيده كقوله ما يبدل القول لدي وذلك إشارة إلى كونهم مبشرين
في الدارين وكلتا الجملتين اعتراض ولا يحزنك وقرئ ولا يُحزنك من أحزنه قولهم تكذيبهم لك وتهديدهم
وتشاورهم في تدبير هلاكك وإبطال أمرك وسائر ما يتكلمون به في شأنك إن العزة استئناف بمعنى التعليل كأنه
قيل ما لي لا أحزن فقيل إن العزة لله جميعا أي إن الغلبة والقهر في مملكة الله جميعا لا يملك أحد شيئا منها لا
هم ولا غيرهم فهو يغلبهم وينصرك عليهم كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إنا لننصر رسلنا وقرأ أبو حيوة أن العزة لله جميعا
بالفتح بمعنى لأن العزة على صريح التعليل ومن جعله بدلا من قولهم ثم أنكره فالمنكر هو تخريجه لا ما أنكر من القراءة
به هو السميع العليم يسمع ما يقولون ويعلم ما يدبرون ويعزمون عليه وهو مكافيهم بذلك من في السموات ومن في الأرض
يعني العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان وإنما خصهم ليؤذن أن هؤلاء إذا كانوا له وفي مملكته فهم عبيد
كلهم وهو سبحانه وتعالى ربهم ولا يصلح أحد منهم للربوبية ولا أن يكون شريكا له فيها فما وراءهم مما لا
يعقل أحق أن لا يكون له ندا وشريكا وليدل على أن من اتخذ غيره ربا من ملك أو إنسي فضلا عن صنم أو غير ذلك فهو
مبطل تابع لما أدى إليه التقليد وترك النظر ومعنى وما يتبعون شركاء أي وما يتبعون حقيقة الشركاء وإن
كانوا يسمونها شركاء لأن شركة الله في الربوبية محال إن يتبعون إلا ظنهم أنها شركاء وإن هم إلا يخرصون
يحزرون ويقدرون أن تكون شركاء تقديرا باطلا ويجوز أن يكون وما يتبع في معنى الاستفهام يعني وأي شيء يتبعون
وشركاء نصب على هذا بيدعون وعلى الأول بيتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء
فاقتصر على أحدهما للدلالة ويجوز أن تكون ما موصولة معطوفة على من كأنه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله
شركاء أي وله شركاؤهم وقرأ علي بن أبي طالب عليه السلام تدعون بالتاء ووجهه أن يحمل وما يتبع على الاستفهام
أي وأي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين يعني أنهم يتبعون الله ويطيعونه فما لكم لا تفعلون مثل
فعلهم كقوله أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة فقال إن
يتبع هؤلاء المشركون إلا الظن ولا يتبعون ما يتبع الملائكة والنبيون من الحق ثم نبه على عظيم قدرته ونعمته
الشاملة لعباده التي يستحقون بها أن يوحدوه بالعبادة بأنه جعل لهم الليل مظلما ليسكنوا فيه مما يقاسون في نهارهم
من تعب التردد في المعاش والنهار مبصرا يبصرون فيه مطالب أرزاقهم ومكاسبهم لقوم يسمعون سماع معتبر
مدكر سبحانه تنزيه له عن اتخاذ الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لنفي الولد لأن ما يطلب به
الولد من يلد وما يطلبه له السبب في كله الحاجة فمن الحاجة منتفية عنه كان الولد عنه منتفيا له ما في السموات
وما في الأرض فهو مستغن بملكه لهم عن اتخاذ أحد منهم ولدا إن عندكم من سلطان بهذا ما عندكم من
حجة بهذا القول والباء حقها أن تتعلق بقوله إن عندكم على أن يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم بأرضكم
موز كأنه قيل إن عندكم فيما تقولون سلطان أتقولون على الله ما لا تعلمون لما نفى عنهم البرهان جعلهم غير
عالمين فدل على أن كل قول لا برهان عليه لقائله فذاك جهل وليس بعلم يفترون على الله الكذب بإضافة الولد إليه
متاع في الدنيا أي افتراؤهم هذا منفعة قليلة في الدنيا وذلك حيث يقيمون رياستهم في الكفر ومناصبة
النبي صلى الله عليه وسلم بالتظاهر به ثم يلقون الشقاء المؤبد بعده كبر عليكم مقامي عظم عليكم وشق وثقل ومنه

ومنه قوله تعالى وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ويقال تعاظمه الأمر مقامي مكاني يعني نفسه كما تقول فعلت كذا لمكان فلان
وفلان ثقيل الظل ومنه ولمن خاف مقام ربه بمعنى خاف ربه أو قيامي ومكثي بين أظهرهم مددا طوالا ألف سنة إلا خمسين
عاما أو مقامي وتذكيري لأنهم كانوا إذا وعظوا الجماعة قاموا على أرجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا
كما يحكى عن عيسى صلوات الله عليه أنه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود فأجمعوا أمركم وشركاءكم من أجمع الأمر
وأزمعه إذا نواه وعزم عليه قال الشاعر هل أغدون يوما وأمري مجمع والواو بمعنى مع يعني فأجمعوا أمركم
مع شركائكم وقرأ الحسن وشركاؤكم بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير تأكيد بالمنفصل لقيام الفاصل
مقامه لطول الكلام كما تقول اضرب زيدا وعمرو وقرئ فاجمعوا من الجمع وشركاءكم نصب للعطف على
المفعول أو لأن الواو بمعنى مع وفي قراءة أبي فأجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم فإن قلت كيف جاز إسناد
الإجماع إلى الشركاء قلت على وجه التهكم كقوله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدوني فإن قلت
ما معنى الأمرين أمرهم الذي يجمعونه وأمرهم الذي لا يكون عليهم غمة قلت أما الأمر الأول فالقصد إلى إهلاكه
يعني فأجمعوا ما تريدون من إهلاكي واحتشدوا فيه وابذلوا وسعكم في كيدي وإنما قال ذلك إظهارا لقلة مبالاته
وثقته بما وعده ربه من كلاءته وعصمته وأنهم لن يجدوا إليه سبيلا وأما الثاني ففيه وجهان أحدهما أن يراد
مصاحبتهم له وما كانوا فيه معه من الحال الشديدة عليهم المكروهة عندهم يعني ثم أهلكوني لئلا يكون عيشكم
بسببي غصة وحالكم عليكم غمة أي غما وهما والغم والغمة كالكرب والكربة والثاني أن يراد به ما أريد بالأمر
الأول والغمة السترة من غمه إذا ستره ومنها قوله عليه السلام ولا غمة في فرائض الله أي لا تستر ولكن يجاهر بها
يعني ولا يكن قصدكم إلى إهلاكي مستورا عليكم ولكن مكشوفا مشهورا تجاهرونني به ثم اقضوا إلي ذلك الأمر
الذي تريدون بي أي أدوا إلي قطعه وتصحيحه كقوله وقضينا إليه ذلك الأمر أو أدوا إلي ما هو حق عليكم عندكم
من هلاكي كما يقضي الرجل غريمه ولا تنظرون ولا تمهلوني وقرئ ثم أفضوا إلي بالفاء بمعنى ثم انتهوا إلي بشركم
وقيل من أفضى الرجل إذا خرج إلى الفضاء أي أصحروا به إلي وأبرزوه لي فإن توليتم فإن أعرضتم عن تذكيري ونصيحتي
فما سألتكم من أجر فما كان عندي ما ينفركم عني وتتهموني لأجله من طمع في أموالكم وطلب أجر على عظتكم
إن أجري إلا على الله وهو الثواب الذي يثيبني به في الآخرة أي ما نصحتكم إلا لوجه الله تعالى لا لغرض من أغراض الدنيا
وأمرت أن أكون من المسلمين الذين لا يأخذون على تعليم الدين شيئا ولا يطلبون به دنيا يريد أن ذلك مقتضى الإسلام
والذي كل مسلم مأمور به والمراد أن يجعل الحجة لازمة لهم بريئا ساحته فذكر أن توليهم لم يكن عن تفريط منه
في سوق الأمر معهم على الطريق الذي يجب أن يساق عليه وإنما ذلك لعنادهم وتمردهم لا غير فكذبوه فتموا على
تكذيبه وكان تكذيبهم له في آخر المدة المتطاولة كتكذيبهم في أولها وذلك عند مشارفة الهلاك بالطوفان
وجعلناهم خلائف يخلفون الهالكين بالغرق كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير
لمن أنذرهم رسول الله عن مثله وتسلية له من بعده من بعد نوح رسلا إلى قومهم يعني هودا وصالحا وإبراهيم ولوطا
وشعيبا فجاءوهم بالبينات بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما كان إيمانهم إلا ممتنعا كالمحال لشدة
شكيمتهم في الكفر وتصميمهم عليه بما كذبوا به من قبل يريد أنهم كانوا قبل بعثة الرسل أهل جاهلية مكذبين بالحق
فما وقع فصل بين حالتيهم بعد بعثة الرسل وقبلها كأن لم يبعث إليهم أحد كذلك نطبع مثل ذلك الطبع
المحكم نطبع على قلوب المعتدين والطبع جار مجرى الكناية عن عنادهم ولجاجهم لأن الخذلان يتبعه ألا ترى كيف
أسند إليهم الاعتداء ووصفهم به من بعدهم من بعد الرسل بآياتنا بالآيات التسع فاستكبروا عن قبولها وهو أعظم
الكبر أن يتهاونوا بعبيد برسالة ربهم بعد تبينها ويتعظموا عن تقبلها وكانوا قوما مجرمين كفارا ذوي آثام عظام

فلذلك استكبروا عنها واجترؤا على تكذيبها فلما جاءهم الحق من عندنا فلما عرفوا انه هو الحق وانه من عند الله لا من قبل موسى
وهرون قالوا لحبهم الشهوات ان هذا لسحر مبين وهم يعلمون ان الحق ابعد شيء من السحر الذي ليس الا تمويها وباطلا
فان قلت هم قطعوا بقولهم ان هذا لسحر مبين على انه سحر فكيف قيل لهم أتقولون أسحر هذا قلت
فيه اوجه ان يكون معنى قوله أتقولون للحق تعيبونه وتطعنون فيه وكان عليكم ان تذعنوا له وتعظموه ويقولوا من
قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول اذا قال بعضهم لبعض ما يسوءه ونحو القول الذكر في قوله سمعنا فتى يذكرهم ثم
قال أسحر هذا فانكر ما قالوه في عيبه والطعن عليه وان يحذف مفعول أتقولون وهو ما دل عليه قولهم ان هذا لسحر
مبين ثم قيل أسحر هذا وان يكون جملة قوله أسحر هذا ولا يفلح الساحرون حكاية لكلامهم كانهم قالوا أجئتما بالسحر تطلبان
به الفلاح ولا يفلح الساحرون كما قال موسى للسحرة ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح لتلفتنا لتصرفنا واللفت
والفتل اخوان ومطاوعهما الالتفات والانفتال عما وجدنا عليه آباءنا يعنون عبادة الاصنام وتكون لكما الكبرياء اي الملك
لان الملوك موصوفون بالكبر ولذلك قيل للملك الجبار ووصف بالصيد والشوس ولذا وصف ابن الرقيات مصعبا
في قوله ملكه ملك رأفة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء ينفي ما عليه الملوك من ذلك ويجوز ان يقصد
ذمهما وانهما ان ملكا ارض مصر تجبرا وتكبرا كما قال القبطي لموسى ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض وما نحن لكما بمؤمنين
اي مصدقين لكما فيما جئتما به وقرئ ويكون لكما الكبرياء بالياء ما جئتم به ما موصولة واقعة مبتدأ والسحر خبر اي
الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحرا من آيات الله وقرئ آلسحر على الاستفهام فعلى هذه القراءة
ما استفهامية اي اي شيء جئتم به أهو السحر وقرأ عبد الله ما جئتم به سحر وقرأ أبي ما أتيتم به سحر والمعنى لما
اتيتم به ان الله سيبطله سيمحقه او يظهر بطلانه باظهار المعجزة على الشعوذة لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته
ولا يديمه ولكن يسلط عليه الدمار ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته بامره ومشيئته فما
آمن لموسى في اول امره الا ذرية من قومه الا طائفة من ذراري بني اسرائيل كانه قيل الا اولاد من اولاد قومه وذلك
انه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طائفة من ابنائهم مع الخوف وقيل الضمير في قومه لفرعون والذرية
مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة خازنه وماشطته الام يرجع الضمير في قوله وملإيهم
الى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر او لانه ذو اصحاب يأتمرون له ويجوز
ان يرجع الى الذرية اي خوف من فرعون وخوف من اشراف بني اسرائيل لانهم كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون
عليهم وعلى انفسهم ويدل عليه قوله ان يفتنهم يريد ان يعذبهم لعال في الارض لغالب فيها قاهر وانه لمن المسرفين
في الظلم والفساد وفي الكبر والعتو بادعاء الربوبية ان كنتم آمنتم بالله صدقتم به وبآياته فعليه توكلوا فاليه اسندوا
امركم في العصمة من فرعون ثم شرط في التوكل الاسلام وهو ان يسلموا نفوسهم لله اي يجعلوها له سالمة
خالصة لا حظ للشيطان فيها لان التوكل لا يكون مع التخليط ونظيره في الكلام ان ضربك زيد فاضربه ان كانت بك
قوة فقالوا على الله توكلنا انما قالوا ذلك لان القوم كانوا مخلصين لا جرم ان الله سبحانه قبل توكلهم واجاب
دعاءهم ونجاهم واهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء في ارضه فمن اراد ان يصلح للتوكل على ربه والتفويض
اليه فعليه برفض التخليط الى الاخلاص لا تجعلنا فتنة موضع فتنة لهم اي عذاب يعذبوننا ويفتنوننا عن ديننا او فتنة
لهم يفتنون بنا ويقولون لو كان هؤلاء على الحق لما اصيبوا تبوءا المكان اتخذه مباءة كقولك توطنه
اذا اتخذه وطنا والمعنى مباءة كقولك توطنه اذا اتخذه وطنا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا من بيوته مباءة
لقومكما ومرجعا يرجعون اليه للعبادة والصلاة فيه واجعلوا بيوتكم تلك قبلة اي مساجد متوجهة نحو
القبلة وهي الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون الى الكعبة وكانوا في اول امرهم مأمورين بان يصلوا في

بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المؤمنون على ذلك في اول
الاسلام بمكة كيف نوع الخطاب فثني اولا ثم جمع ثم وحد آخرا خوطب موسى وهرون
عليهما السلام ان يتبوءا لقومهما بيوتا ويختاراها للعبادة وذلك مما يفوض الى الانبياء ثم سيق الخطاب عاما لهما ولقومهما
باتخاذ المساجد والصلاة فيها لان ذلك واجب على الجمهور ثم خص موسى صلوات الله عليه بالبشارة التي هي الغرض تعظيما
لها وللمبشر بها الزينة ما يتزين به من لباس او حلي او فرش او اثاث او غير ذلك وعن ابن عباس كانت لهم من فسطاط
مصر الى ارض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت ما معنى قوله ربنا ليضلوا
عن سبيلك هو دعاء بلفظ الامر كقوله ربنا اطمس واشدد وذلك انه لما عرض عليهم آيات الله وبيناته
عرضا مكررا وردد عليهم النصائح والمواعظ زمانا طويلا وحذرهم من عذاب الله وانتقامه وانذرهم عاقبة
ما كانوا عليه من الكفر والضلال المبين ورآهم لا يزيدون على عرض الآيات الا كفرا وعلى الانذار الا استكبارا وعن
النصيحة الا نبوا ولم يبق له مطمع فيهم وعلم بالتجربة وطول الصحبة انه لا يجيء منهم الا الغي والضلال وان ايمانهم
كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة او علم ذلك بوحي من الله اشتد غضبه عليهم وافرط مقته وكراهته فدعا
الله عليهم بما علم انه لا يكون غيره كما تقول لعن الله ابليس واخزى الله الكفرة مع علمك انه لا يكون غير ذلك وليشهد عليهم
بانه لم يبق له فيهم حيلة وانهم لا يستأهلون الا ان يخذلوا ويخلى بينهم وبين ضلالهم يتسكعون فيه كانه قال ليثبتوا
على ما هم عليه من الضلال وليكونوا ضلالا وليطبع الله على قلوبهم فلا يؤمنوا وما علي منهم هم احق بذلك واحق كما
يقول الاب المشفق لولده اذا لم يتقبل منه حسرة على ما فاته من نصيحته وحردا عليه لا ان يريد خلاعته واتباعه
هواه ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الايمان فلا يؤمنوا جواب للدعاء الذي هو اشدد او دعاء
بمعنى النهي وقد حملت اللام في ليضلوا على التعليل على انهم جعلوا نعمة الله سببا في الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا
وقوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم دعاء معترض بين المعطوف والمعطوف عليه وقرئ ليضلوا بالضم
أإنك آتيت على الاستفهام واطمس بضم الميم وقرئ دعواتكما قيل كان موسى يدعو وهرون يؤمن ويجوز ان يكونا
جميعا يدعوان والمعنى ان دعاءكما مستجاب وما طلبتما كائن ولكن في وقته فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من
الدعوة والزيادة في الزام الحجة فقد لبث نوح في قومه الف عام الا قليلا ولا تستعجلا وقال ابن جريج فمكث موسى
بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون اي لا تتبعا طريق الجهلة في عادة الله في تعليق الامور
بالمصالح ولا تعجلا فان العجلة ليست بمصلحة وهذا كما قال لنوح عليه السلام اني اعظك ان تكون من الجاهلين وقرئ
ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية وبتخفيف التاء من تبع وقرأ الحسن
وجوزنا من اجاز المكان وجاوزه وجوزه وليس من جوز الذي في بيت الاعشى واذا تجوزها حبال قبيلة لانه لو كان منه
لكان حقه ان يقال وجوزنا بني اسرائيل في البحر كما قال كما جوز السكي في الباب فيتق يقال تبعته حتى
اتبعته وقرأ الحسن وعدوا وقرئ انه بالفتح على حذف الباء التي هي صلة الايمان وانه بالكسر على الاستيناف
بدلا من آمنت كرر المخذول المعنى ثلث مرات في ثلث عبارات حرصا على القبول ثم لم يقبل منه حيث اخطأ
وقته وقاله حين لم يبق له اختيار قط وكانت المرة الواحدة كافية في حال الاختيار وعند بقاء التكليف آلآن
اتؤمن الساعة في وقت الاضطرار حين ادركك الغرق وأيست من نفسك قيل قال ذلك حين الجمه الغرق يعني
حين اوشك ان يغرق وقيل قاله بعد ان غرق في نفسه والذي يحكى انه حين قال آمنت اخذ جبريل عليه السلام من
حال البحر فدسه في فيه فللغضب لله على الكافر في وقت قد علم ان ايمانه لا ينفعه واما ما يضم اليه من
قولهم خشية ان تدركه رحمة الله فمن زيادات الباهتين لله وملائكته وفيه جهالتان احداهما ان الايمان يصح

بالقلب كايمان الاخرس غاد البحر لا ينفعه والاخرى ان من كره ايمان الكافر واحب بقاءه على الكفر فهو كافر لان الرضا
بالكفر كفر من المفسدين من الضالين المضلين عن الايمان لقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا
فوق العذاب بما كانوا يفسدون وروى ان جبريل اتاه بفتيا ما قول الامير في عبد لرجل نشا في ماله ونعمته
فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون فيه يقول ابو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد
الخارج على سيده الكافر نعماه ان يغرق في البحر فلما الجمه الغرق ناوله جبريل خطه فعرفه ننجيك نلقيك
والتخفيف نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر وقيل نلقيك بنجوة من الارض وقرى ننجيك بالحاء نلقيك
بناحية مما يلي البحر وذلك انه طرح بعد الغرق بجانب البحر قال كعب رماه الماء الى الساحل كانه ثور ببدنك في
موضع الحال اي في الحال التي لا روح فيك وانما انت بدن او ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه شيء ولم يتغير او
عريانا لست الا بدنا من غير لباس او بدرعك قال عمرو بن معدي كرب   اعاذل شكتي بدني وسيفي
وكل مقلص سلس القياد   وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرى ابو حنيفة رحمه الله بابدانك وهو
على وجهين اما ان يكون مثل قولهم هوى باجرامه يبدنك كله وافيا باجزائه او يريد بدروعك كانه كان مظاهرا
بينها لمن خلفك آية لمن وراءك من الناس علامة وهم بنو اسرائيل وكان في انفسهم ان فرعون اعظم شانا
من ان يغرق وروى انهم قالوا ما مات فرعون ولا يموت ابدا وقيل اخبرهم موسى بهلاكه فلم يصدقوه فالقاه
الله على الساحل حتى عاينوه وكان مطرحه كان على ممر من بني اسرائيل حتى قيل لمن خلفك وقيل لمن خلفك لمن
ياتي بعدك من القرون ومعنى كونه آية ان يظهر للناس عبوديته ومهانته وان ما كان يدعيه من الربوبية
باطل ومحال وانه مع ما كان فيه من عظم الشان وكبرياء الملك آل امره الى ما ترون لعصيانه ربه فما
الظن بغيره او لتكون عبرة يعتبر بها الامم فلا يجترئوا على مثل ما اجترأ عليه اذا سمعوا بحالك وبهوانك
على الله وقرى لمن خلقك بالقاف اي لتكون لخالقك آية كسائر آياته ويجوز ان يراد ليكون طرحك على الساحل
وحدك وتمييزك من بين المغرقين لئلا يشتبه على الناس امرك ولئلا يقولوا لادعائك العظمة ان مثله لا يغرق
ولا يموت آية من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره وليعلموا ان ذلك تعمد منه لاماطة الشبهة مبوا صدق
منزلا صالحا مرضيا وهو مصر والشام فما اختلفوا في دينهم وما تشعبوا فيه شعبا الا من بعد ما قرءوا
التوراة وكسبوا العلم بدين الحق ولزمهم اثبات عليه واتحاد الكلمة وعلموا ان الاختلاف فيه تفرق عنه
وقيل العلم محمد صلى الله عليه واختلاف بني اسرائيل وهم اهل الكتاب اختلافهم في صفته ونعته وانه هو ام
ليس به بعد ما جاءهم العلم والبيان انه هو لم يرتابوا فيه كما قال الله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما
يعرفون ابناءهم   كيف قال لرسوله صلى الله عليه فان كنت في شك مما انزلنا اليك مع قوله
في الكفرة وانهم لفي شك منه مريب   فرق عظيم بين قوله وانهم لفي شك منه مريب باثبات
الشك لهم على سبيل التاكيد والتحقيق وبين قوله فان كنت في شك بمعنى الفرض والتمثيل كانه قيل فان وقع لك
شك مثلا وخيل لك الشيطان خيالا منه تقديرا فسل الذين يقرءون الكتاب والمعنى ان الله عز وجل قدم ذكر بني
اسرائيل وهم قرأة الكتاب ووصفهم بان العلم قد جاءهم لان امر رسول الله مكتوب عندهم في التوراة
والانجيل يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فاراد ان يؤكد عليهم بصحة القرآن وصحة نبوة محمد عليه السلم
ويبالغ في ذلك فقال فان وقع لك شك فرضا وتقديرا وسبيل من خالجته شبهة في الدين ان يسارع الى حلها واماطتها
اما بالرجوع الى قوانين الدين وادلته واما بمباحثة العلماء المنبهين على الحق فسل علماء اهل الكتاب يعني انهم من

الاحاطة بصحة ما انزل اليك وقتلها علما بحيث يصلحون لمراجعة مثلك ومسائلتهم فضلا عن غيرهم فالغرض وصف
الاحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل الى رسول الله لا وصف رسول الله بالشك فيه ثم قال لقد جاءك الحق من
ربك اي ثبت عندك بالآيات والبراهين القاطعة ان ما اتاك هو الحق الذي لا مدخل فيه للمرية فلا تكونن من
الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله اي فاثبت ودم على ما انت عليه من انتفاء المرية عنك والتكذيب بآيات الله
ويجوز ان يكون على طريقة التهييج والالهاب كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ انزلت
اليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال عليه السلم عند نزوله لا اشك ولا اسال بل اشهد انه الحق وعن ابن عباس لا والله ما شك
طرفة عين ولا سال احدا منهم وقيل خوطب رسول الله والمراد خطاب امته ومعناه فان كنتم في شك مما انزلنا
اليكم كقوله وانزلنا اليكم نورا مبينا وقيل الخطاب للسامع ممن يجوز عليه الشك كقول العرب اذا عز اخوك فهن
وقيل ان للنفي اي فما كنت في شك فسل يعني لا نامرك بالسوال لانك شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد ابراهيم عليه السلم بمعاينة
احياء الموتى وقرى فاسأل الذين يقرءون الكتب حقت عليهم كلمة ربك ثبت عليهم قول الله الذي كتبه في
اللوح واخبر به الملائكة انهم يموتون كفارا فلا يكون غيره وتلك كتابة معلوم لا كتابة مقدر ومراد تعالى الله
عن ذلك فلولا قرية واحدة من القرى التي اهلكناها تابت عن الكفر واخلصت الايمان قبل المعاينة ووقت بقاء التكليف
ولم تؤخر كما اخر فرعون الى ان اخذ بمخنقه فنفعها ايمانها بان يقبله الله منها لوقوعه في وقت الاختيار وقرا
ابي وعبد الله فهلا كانت الا قوم يونس استثناء منقطع ولكن قوم يونس لما آمنوا ويجوز ان يكون متصلا والجملة في
معنى النفي كانه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس وانتصابه على اصل الاستثناء وقرى بالرفع على البدل
هكذا روي عن الجرمي والكسائي روي ان يونس عليه السلم بعث الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما
فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا اربعين ليلة وقيل قال لهم يونس ان اجلكم اربعون ليلة فقالوا
ان راينا اسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلثون اغامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط
حتى يغشى مدينتهم ويسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم
وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب واولادها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واظهروا الايمان
والتوبة وتضرعوا فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود بلغ من توبتهم
ان ترادوا المظالم حتى ان رجلا كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه فيرده وقيل خرجوا الى شيخ من بقية
علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا
انت فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها
واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله ولو شاء ربك مشيئة القسر والالجاء لآمن من في الارض
كلهم على وجه الاحاطة والشمول جميعا مجتمعين على الايمان مطبقين عليه لا يختلفون فيه الا ترى الى قوله افانت
تكره الناس يعني انما يقدر على اكراههم واضطرارهم الى الايمان هو لا انت وايلاء الاسم حرف الاستفهام للاعلام
بان الاكراه ممكن مقدور عليه وانما الشان في المكره من هو وما هو الا هو وحده لا يشارك فيه لانه هو
القادر على ان يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر وما كان لنفس
من النفوس التي علم انها تؤمن الا باذن الله اي بتسهيله وهو منح الالطاف ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون قابل الاذن
بالرجس وهو الخذلان والنفس المعلوم ايمانها بالذين لا يعقلون وهم المصرون على الكفر كقوله صم بكم عمي
فهم لا يعقلون وسمي الخذلان رجسا وهو العذاب لانه سببه وقرى الرجز بالزاي وقرى ونجعل بالنون ماذا
في السموات والارض من الآيات والعبر وما تغني الآيات والنذر والرسل المنذرون والانذارات عن قوم لا يؤمنون

لا يتوقع ايمانهم وهم لا يعقلون وقرئ وما تغني بالياء وما نافية او استفهامية ايام الذين خلوا من قبلهم وقايع الله
فيهم كما يقال ايام العرب لوقايعها ثم ننجي رسلنا على حكاية الاحوال الماضية والذين امنوا ومن امن معهم كذلك
ننجي المؤمنين مثل ذلك الانجاء ننجي المؤمنين منكم ونهلك المشركين وحقا علينا اعتراض يعني حق ذلك علينا حقا
وقرئ ننجي بالتشديد يا ايها الناس يا اهل مكة ان كنتم في شك من ديني وصحته وسداده فهذا ديني فاسمعوا واعرضوه
على عقولكم وانظروا فيه بعين الانصاف لتعلموا انه دين لا مدخل فيه للشك وهو اني لا اعبد الحجارة التي تعبدونها من دون
من هو الهكم ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وانما وصفه بالتوفي ليريهم انه الحقيق بان يخاف ويتقى فيعبد دون
ما لا يقدر على شيء وامرت ان اكون من المؤمنين يعني ان الله امرني بذلك بما ركب في من العقل وبما اوحى الي في كتابه
وقيل معناه ان كنتم في شك من ديني وما انا عليه أأثبت عليه ام اتركه واوافقكم فلا تحدثوا انفسكم
بالمحال ولا تشكوا في امري واقطعوا عني اطماعكم واعلموا اني لا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولا اختار الضلالة
على الهدى كقوله قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون وامرت ان اكون اصله بان اكون فحذف الجار وهذا
الحذف يحتمل ان يكون من الحذف المطرد الذي هو حذف الحروف الجارة مع ان وان وان يكون من الحذف غير المطرد
وهو قوله امرتك الخير فاصدع بما تؤمر فان قلت عطف قوله وان اقم على ان اكون فيه اشكال لان ان
لا تخلو من ان تكون التي للعبارة او التي تكون مع الفعل في تاويل المصدر فلا يصح ان تكون التي للعبارة وان كان الامر
مما يتضمن معنى القول لان عطفها على الموصولة يأبى ذلك والقول بكونها موصولة مثل الاولى لا يساعد عليه لفظ
الامر وهو اقم لان الصلة حقها ان تكون جملة تحتمل الصدق والكذب قلت قد سوغ سيبويه ان توصل
ان بالامر والنهي وشبه ذلك بقولهم انت الذي تفعل على الخطاب لان الغرض وصلها بما تكون معه في معنى المصدر
والامر والنهي دالان على المصدر دلالة غيرهما من الافعال اقم وجهك استقم اليه ولا تلتفت يمينا ولا شمالا
وحنيفا حال من الدين او من الوجه فان فعلت معناه فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنى عنه
بالفعل ايجازا فانك اذا من الظالمين اذا جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كان سائلا سأل عن تبعة
عبادة الاوثان وجعل من الظالمين لانه لا ظلم اعظم من الشرك ان الشرك لظلم عظيم اتبع النهي عن عبادة الاوثان
ووصفها بانها لا تنفع ولا تضر ان الله عز وجل هو الضار النافع الذي ان اصابك بضر لم يقدر على كشفه الا هو وحده
دون كل احد فكيف بالجماد الذي لا شعور به وكذلك ان ارادك بخير لم يرد احد ما يريده بك من فضله واحسانه
فكيف بالاوثان فهو الحقيق اذا بان توجه اليه العبادة دونها وهو ابلغ من قوله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات
ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته فان قلت لم ذكر المس في احدهما والارادة في الثاني
قلت كانه اراد ان يذكر الامرين جميعا الارادة والاصابة في كل واحد من الضر والخير وانه لا راد لما
يريد منهما فاوجز الكلام بان ذكر المس وهو الاصابة في احدهما والارادة في الاخر ليدل بما ذكر على ما ترك
على انه قد ذكر الاصابة بالخير في قوله يصيب به من يشاء من عباده والمراد بالمشيئة مشيئة المصلحة قد جاءكم
الحق فلم يبق لكم عذر ولا على الله حجة فمن اختار الهدى واتباع الحق فما نفع باختياره الا نفسه ومن اثر
الضلال فما ضر الا نفسه واللام وعلى دلا على معنى النفع والضر وكل اليهم الامر بعد ابانة الحق وازاحة
العلل وفيه حث على ايثار الهدى واطراح الضلال مع ذلك وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول
الي امركم وحملكم على ما اريد انما انا بشير ونذير واصبر على دعوتهم واحتمال اذاهم واعراضهم حتى يحكم
الله بالنصرة لك عليهم والغلبة وروي انها لما نزلت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار فقال انكم ستجدون
بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني يعني اني امرت في هذه الاية بالصبر على ما سامني الكفرة فصبرت فاصبروا

حتى

انتم على ما يسومكم الامراء الجورة قال انس فلم نصبر وروي ان قتادة رضي الله عنه تخلف عن تلقي معوية حين
قدم المدينة وقد تلقته الانصار ثم دخل عليه فقال له ما لك لم تتلقنا قال لم تكن عندنا دواب قال فاين النواضح
قال قطعناها في طلبك وطلب ابيك يوم بدر وقد قال رسول الله صلى الله عليه يا معشر الانصار انكم ستلقون بعدي اثرة
قال معوية فماذا قال فاصبروا حتى تلقوني قال فاصبر قال اذن نصبر قال عبد الرحمن بن حسان
الا ابلغ معوية ابن حرب امير الظالمين نثا كلامي
بانا صابرون فمنظروكم الى يوم التغابن والخصام

سورة هود مكية وهي مائة وثلث وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم

احكمت اياته نظمت نظما رصينا محكما لا يقع فيه نقص ولا خلل كالبناء المحكم المرصف ويجوز ان يكون نقلا بالهمزة
من حكم بضم الكاف اذا صار حكيما اي جعلت حكيمة كقوله ايات الكتاب الحكيم وقيل منعت من الفساد
من قولهم احكمت الدابة اذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح قال جرير ابني حنيفة احكموا سفهاءكم
اني اخاف عليكم ان اغضبا وعن قتادة احكمت من الباطل ثم فصلت كما تفصل القلائد بالفوائد من دلائل التوحيد والاحكام
والمواعظ والقصص او جعلت فصولا سورة سورة واية اية او فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة او فصل فيها ما يحتاج
اليه العباد اي بين ولخص وقرئ احكمت اياته ثم فصلت اي احكمتها انا ثم فصلتها وعن عكرمة والضحاك ثم فصلت
اي فرقت بين الحق والباطل فان قلت ما معنى ثم قلت ليس معناها التراخي في الوقت ولكن في الحال كما
تقول هي محكمة احسن الاحكام ثم مفصلة احسن التفصيل وفلان كريم الاصل ثم كريم الفعل وكتاب خبر مبتدا
محذوف واحكمت صفة له وقوله من لدن حكيم خبير صفة ثانية ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان
يكون صلة لاحكمت وفصلت اي من عنده احكامها وتفصيلها وفيه طباق حسن لان المعنى احكمها حكيم وفصلها اي
بينها وشرحها خبير عالم بكيفيات الامور ان لا تعبدوا مفعول له على معنى لان لا تعبدوا او تكون ان مفسرة لان
في تفصيل الايات معنى القول كانه قيل قال لا تعبدوا الا الله او امركم ان لا تعبدوا الا الله واستغفروا اي امركم
بالتوحيد والاستغفار ويجوز ان يكون كلاما مبتدا منقطعا عما قبله على لسان النبي صلى الله عليه اغراء منه على اختصاص
الله بالعبادة ويدل عليه انني لكم منه نذير وبشير كانه قال ترك عبادة غير الله انني لكم منه نذير من جهته
كقوله رسول من الله او هي صلة لنذير اي انذركم منه ومن عذابه ان كفرتم وابشركم بثوابه ان امنتم
فان قلت ما معنى ثم في قوله ثم توبوا اليه قلت معناه استغفروا من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة او استغفروا
والاستغفار توبة ثم اخلصوا التوبة واستقيموا عليها كقوله ثم استقاموا يمتعكم يطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة
مرضية من عيشة واسعة ونعمة متتابعة الى اجل مسمى الى ان يتوفاكم لقوله فلنحيينه حياة طيبة ويؤت
كل ذي فضل فضله ويعط في الاخرة كل من كان له فضل في العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا يبخس منه او فضله
في الثواب والدرجات تتفاضل في الجنة على قدر تفاضل الطاعات وان تولوا وان تتولوا عذاب يوم كبير هو يوم
القيمة وصف بالكبر كما وصف بالعظم والثقل وبين عذاب اليوم الكبير بان مرجعهم الى من هو قادر على كل
شيء فكان قادرا على اشد ما اراد من عذابهم لا يعجزه وقرئ وان تولوا من ولى يثنون صدورهم يزورون
عن الحق وينحرفون عنه لان من اقبل على الشيء استقبله بصدره ومن ازور عنه وانحرف ثنى عنه صدره
وطوى عنه كشحه ليستخفوا منه يعني ويريدون ليستخفوا من الله فلا يطلع رسوله والمؤمنين على ازورارهم ونظير
اضمار يريدون لعود المعنى الى اضماره الاضمار في قوله اضرب بعصاك البحر فانفلق معناه فضرب فانفلق الا
حين يستغشون ثيابهم ويريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم ايضا كراهة لاستماع كلام الله كقول نوح عليه
السلام جعلوا اصابعهم في اذانهم واستغشوا ثيابهم ثم قال يعلم ما يسرون وما يعلنون يعني انه لا تفاوت في

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق [illegible] يونس وكذب [illegible] من [illegible]

عليه من سرائرهم واعلانهم فلا وجه لتوصلهم الى ما يريدون من الاستخفاء والله مطلع على ثنيهم صدورهم
واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم غير نافق عنده روي انها نزلت في الاخنس بن شريق وكان يظهر لرسول الله
صلى الله عليه المحبة وله منطق حلو وحسن سياق للحديث وكان يعجب رسول الله صلى الله عليه مجالسته ومحادثته
وهو يضمر خلاف ما يظهر وقيل نزلت في المنافقين وقرى تثنوني صدورهم واثنوني افعوعل من الثني كاحلولي
من الحلاوة وهو بناء مبالغة قرى بالتاء والياء وعن ابن عباس رضي الله عنه لتثنوني صدورهم وقرى تثنون واصله
تثنونن تفعوعل من الثن وهو ما هش وضعف من الكلا يريد مطاوعة صدورهم للثني كما ينثني الهش من النبات
او اراد ضعف ايمانهم ومرض قلوبهم وقرى تثنئن من اثنان افعال منه ثم همز كما قيل ابياضت وادهامت
وقرى تثنوي بوزن ترعوي فان قلت كيف قال على الله رزقها بلفظ الوجوب وانما هو تفضل قلت هو
تفضل الا انه لما ضمن ان يتفضل به عليهم رجع التفضل واجبا كنذور العباد والمستقر مكانه من الارض ومسكنه والمستودع
حيث كان مودعا قبل الاستقرار من صلب او رحم او بيضة كل كل واحد من الدواب ومستقرها ومستودعها
في اللوح يعني ذكرها مكتوب فيه مبين وكان عرشه على الماء اي ما كان تحته خلق قبل خلق السموات والارض
وارتفاعه فوقها الا الماء وفيه دليل على ان العرش والماء كانا مخلوقين قبل السموات والارض وقيل وكان الماء على متن الريح
والله اعلم بذلك وكيفما كان فالله ممسك كل ذلك بقدرته وكلما ازدادت الاجرام كانت احوج الى امساك الله
ليبلوكم متعلق بخلق اي خلقهن لحكمة بالغة وهو ان يجعلها مساكن لعباده وينعم عليهم فيها بفنون النعم
ويكلفهم الطاعات واجتناب المعاصي فمن شكر واطاع اثابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما اشبه ذلك اختبار
المختبر قال ليبلوكم يريد ليفعل بكم ما يفعل المبتلي لاحوالكم كيف تعملون فان قلت كيف جاز تعليق
البلوى قلت لما في الاختبار من معنى العلم لانه طريق اليه فهو ملابس له كما تقول انظر ايهم احسن
وجها واسمع ايهم احسن صوتا لان النظر والاستماع من طرق العلم فان قلت كيف قيل ايكم احسن عملا واعمال
المؤمنين هي التي تتفاوت الى حسن واحسن فاما اعمال المؤمنين والكافرين فتفاوتها الى حسن وقبيح قلت
الذين هم احسن عملا هم المتقون وهم الذين استبقوا الى تحصيل ما هو غرض الله من عباده فخصهم بالذكر
واطرح ذكر من وراءهم تشريفا لهم وتنبيها على مكانهم منه وليكون ذلك لطفا للسامعين وترغيبا في حيازة
فضلهم وعن النبي صلى الله عليه ليبلوكم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله وقرى ولئن
قلت انكم مبعوثون بفتح الهمزة ووجهه ان يكون من قولهم ائت السوق علك تشتري لنا لحما وانك تشتري
بمعنى علك اي ولئن قلت لهم لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم وظنوه ولا تبتوا القول بانكاره لقالوا ان هذا
سحر مبين يعني ان القول ببطلانه ويجوز ان يضمن قلت معنى ذكرت ومعنى قولهم ان هذا الا سحر مبين ان السحر
امر باطل وان بطلانه كبطلان السحر تشبيها له او اشاروا بهذا الى القران لان القران هو الناطق بالبعث فاذا
جعلوه سحرا فقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث وغيره وقرى ان هذا الا ساحر يريدون الرسول والساحر
كاذب مبطل العذاب عذاب الاخرة وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن عباس قتل جبريل المستهزئين الى امة الى جماعة
من الاوقات ما يحبسه ما يمنعه من النزول استعجالا على وجه التكذيب والاستهزاء ويوم يأتيهم منصوب بخبر
ليس ويستدل به من يستجيز تقديم خبر ليس على ليس وذلك انه اذا جاز تقديم معمول خبرها عليها كان ذلك دليلا
على جواز تقديم خبرها اذ المعمول تابع للعامل فلا يقع الا حيث يقع العامل وحاق بهم واحاط بهم ما كانوا به يستهزءون
العذاب الذي كانوا به يستعجلون وانما وضع يستهزءون موضع يستعجلون لان استعجالهم كان على جهة الاستهزاء
والمعنى ويحيق بهم الا انه جاء على عادة تعالى في اخباره الانسان للجنس رحمة نعمة من صحة وامن وجدة ثم نزعناها

نزعناها عنه ثم سلبناه تلك النعمة انه ليؤوس شديد اليأس من ان تعود اليه مثل تلك النعمة المسلوبة قاطع رجاءه من سعة
فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه ولا استرجاع كفور عظيم الكفران لما سلف له من التقلب في نعمة الله نساء لها ذهب
السيئات عني اي المصائب التي ساءتني انه لفرح اشر بطر فخور على الناس بما اذاقه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر
عن الشكر الا الذين صبروا فان عادتهم ان نالتهم رحمة ان يشكروا وان زالت عنهم نعمة ان يصبروا كانوا يقترحون
عليه ايات تعنتا لا استرشادا لانهم لو كانوا مسترشدين لكانت اية واحدة مما جاء به كافية في رشادهم ومن اقتراحاتهم
لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وكانوا لا يعتدون بالقران ويتهاونون به وبما جاء به من البينات فكان يضيق صدر
رسول الله ان يلقي اليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه فحرك الله منه وهيجه لاداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم
واقتراحهم بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك اي لعلك تترك ان تلقيه اليهم وتبلغه اياهم مخافة ردهم له وتهاونهم
به وضائق به صدرك ان تتلوه عليهم ان يقولوا مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز اي هلا انزل عليه ما اقترحنا نحن من
الكنز والملائكة ولم انزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه ثم قال انما انت نذير اي ليس عليك الا ان تنذرهم بما اوحي
اليك وتبلغهم ما امرت بتبليغه ولا عليك ردوا او تهاونوا او اقترحوا والله على كل شيء وكيل يحفظ ما يقولون وهو
فاعل بهم ما يجب ان تفعل فتوكل عليه وكل امرك اليه وعليك بتبليغ الوحي بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت الى
استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم فان قلت لم عدل عن ضيق الى ضائق قلت ليدل على
انه ضيق عارض غير ثابت لان رسول الله صلى الله عليه كان افسح الناس صدرا ومثله قولك زيد سيد وجواد تريد السيادة
والجود الثابتين المستقرين فاذا اردت الحدوث قلت سائد وجائد ونحوه كانوا قوما عامين في بعض القراءات وقول
السمهري العكلي بمنزلة اما اللئيم فسمين ورجاء وكرام الناس باد شحوبها ام منقطعة والضمير في افتراه لما يوحى اليك
تحداهم اولا بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخاير في الخط لصاحبه اكتب عشرة اسطر نحو ما اكتب
فاذا تبين له العجز عن مثل خطه قال قد اقتصرت منك على سطر واحد مثله بمعنى امثاله ذهابا الى مماثلة كل
واحد منها له مفتريات صفة لعشر سور لما قالوا افتريت القران واختلقته من عند نفسك وليس من عند الله ارخى
على دعواهم وارخى معهم العنان وقال هبوا اني اختلقته من عند نفسي ولم يوح الي وان الامر كما قلتم فاتوا انتم
ايضا بكلام مثله مختلق من عند انفسكم فانتم عرب فصحاء مثلي لا تعجزون عن مثل ما اقدر عليه من الكلام فان
قلت كيف يكون ما ياتون به مثله وما ياتون به مفترى وهذا غير مفترى قلت معناه مثله في حسن
النظم والبيان وان كان مفترى فان قلت ما وجه جمع الخطاب بعد افراده وهو قوله لكم فاعلموا بعد
قوله قل قلت معناه فان لم يستجيبوا لك وللمؤمنين لان رسول الله والمؤمنين كانوا يتحدونهم وقد قال في
موضع اخر فان لم يستجيبوا لك فاعلم ويجوز ان يكون الجمع لتعظيم رسول الله كقوله فان شئت حرمت النساء سواكم
ووجه اخر وهو ان يكون الخطاب للمشركين والضمير في فان لم يستجيبوا لمن استطعتم يعني فان لم يستجب لكم من
تدعون من دون الله الى المظاهرة على معارضته لعلمهم بالعجز عنه وان طاقتهم اقصر من ان تبلغه فاعلموا انما
انزل بعلم الله اي انزل ملتبسا بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب لا سبيل لهم اليه واعلموا عند
ذلك ان لا اله الا الله وحده وان توحيده واجب والاشراك به ظلم عظيم فهل انتم مسلمون مبايعون
للاسلام بعد هذه الحجة القاطعة وهذا وجه حسن مطرد ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على
العلم الذي انتم عليه وازدادوا يقينا وثبات قدم على انه منزل من عند الله وعلى التوحيد ومعنى فهل انتم مخلصون نوف
اليهم نوصل اليهم اجور اعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الصحة والرزق وقيل
هم اهل الرياء يقال للقراء منهم اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ولمن وصل الرحم وتصدق فعلت

حتى يقال هو جري ولمن قاتل فقتل فانما قاتل حتى يقال فلان جري فقيل وعن انس بن مالك هم اليهود والنصارى ان اعطوا
سائلا او وصلوا رحما عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول
الله فاسهم لهم من الغنائم وقرئ يوف بالياء على ان الفعل لله عز وجل وتوف اليهم اعمالهم بالتاء على البناء للمفعول
وفي قراءة نوفي بالتخفيف واثبات الياء لان الشرط وقع ماضيا كقوله يقول لا غائب مالي ولا حرم وحبط ما صنعوا فيها
وحبط في الآخرة ما صنعوا او صنيعهم يعني لم يكن له ثواب لانهم لم يريدوا به الآخرة انما ارادوا به الدنيا وقد وفي
اليهم ما ارادوا به الدنيا وباطل ما كانوا يعملون اي كان عملهم في نفسه باطلا لانه لم يعمل لوجه صحيح والعمل
الباطل لا ثواب له وقرئ وبطل على لفظ الفعل وعن عاصم وباطلا بالنصب وفيه وجهان ان تكون ما ابهامية [?]
وتنتصب بيعملون ومعناه وباطلا اي باطل ما كانوا يعملون وان تكون بمعنى المصدر على وبطل بطلانا ما كانوا
يعملون افمن كان على بينة معناه امن كان يريد الحياة الدنيا فمن كان على بينة اي لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم
يريد ان بين الفريقين تفاوتا بعيدا وتباينا بينا واراد بهم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره من كان على بينة من
ربه اي على برهان من الله وبيان ان دين الاسلام حق وهو دليل العقل ويتلوه ويتبع ذلك البرهان شاهد منه اي شاهد
يشهد بصحته وهو القرآن منه من الله او شاهد من القرآن فقد تقدم ذكره آنفا ومن قبله ومن قبل القرآن كتاب موسى
وهو التوراة اي ويتلو ذلك البرهان ايضا من قبل القرآن كتاب موسى بالنصب ومعناه كان على بينة من ربه وهو
الدليل على ان القرآن حق ويتلوه ويقرأ القرآن شاهد منه ممن كان على بينة لقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل
على مثله قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ومن قبله كتاب موسى ويتلو من قبل القرآن التوراة
اماما كتابا مؤتما به في الدين قدوة فيه ورحمة ونعمة عظيمة على المنزل اليهم اولئك يعني من كان على بينة يؤمنون
به يؤمنون بالقرآن ومن يكفر به من الاحزاب يعني اهل مكة ومن تحزب معهم من المتحزبين على رسول الله فالنار موعده
فلا تك في مرية وقرئ مرية بضم الميم وهما الشك منه من القرآن او من الموعد يعرضون على ربهم يحبسون في
الموقف وتعرض اعمالهم ويشهد عليهم الاشهاد من الملائكة والنبيين بانهم الكاذبون على الله بانه اتخذ ولدا وشريكا
ويقال الا لعنة الله على الظالمين تهويل لخزيهم وافتضاحهم والاشهاد جمع شاهد او شهيد كاصحاب او اشراف ويبغونها
عوجا يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة او يبغون اهلها ان يعوجوا بالارتداد وهم ثانية للتاكيد لكفرهم بالآخرة
واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا يعجزون الله في الدنيا ان يعاقبهم لو اراد عقابهم
وما كان لهم من دون الله من اولياء فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه ولكنه اراد انظارهم وتاخير عقابهم الى هذا
اليوم وهو من كلام الاشهاد يضاعف لهم العذاب وقرئ يضعف ما كانوا يستطيعون السمع اراد انهم
لفرط تصامهم عن استماع الحق وكراهتهم له لا يستطيعون السمع ولعل بعض المجبرة يتوثب اذا عثر عليه موضوع
على اهل العدل كانه لم يسمع الناس يقولون في كل لسان هذا كلام لا استطيع ان اسمعه وهذا مما يمجه سمعي
ويحتمل ان يريد بقوله وما كان لهم من دون الله من اولياء انهم جعلوا آلهتهم اولياء من دون الله وولايتها ليست بشيء فما كان
لهم في الحقيقة من اولياء ثم بين نفي كونهم اولياء بقوله ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون فكيف
يصلحون للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض بوعيد خسروا انفسهم اشتروا عبادة الآلهة
بعبادة الله فكان خسرانهم في تجارتهم ما لا خسران اعظم منه وهو انهم خسروا انفسهم وضل عنهم
وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو ما كانوا يفترون من الآلهة وشفاعتها لا جرم فسر في مكان لا جرم [?]
الا ترى احدا ابعد خسرانا منهم واخبتوا الى ربهم واطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع والتواضع
من الخبت وهي الارض المطمئنة ومنه قولهم للشيء الدني الخبيث قال ينفع الطيب القليل من الرزق

ولا ينفع الكثير الخبيث وقيل التافه يبذل من الشاء شبه فريق الكافرين بالاعمى والاصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع وهو
من اللف والطباق وفيه معنيان ان يشبه الفريق تشبيهين اثنين كما شبه امرؤ القيس قلوب الطير بالحشف والعناب وان يشبهه
بالذي جمع بين العمى والصمم او الذي جمع بين البصر والسمع على ان تكون الواو في والاصم وفي والسميع لعطف الصفة لقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح
فالغانم فالآيب هل يستويان يعني الفريقين مثلا تشبيها اني لكم اي ارسلنا نوحا اني لكم نذير ومعناه ارسلناه بهذا الكلام وهو قوله
اني لكم نذير مبين بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في كأن والمعنى على الكسر وهو قولك ان زيدا كالاسد وقرئ
بالكسر على ارادة القول ان لا تعبدوا بدل من اني لكم نذير اي ارسلناه بان لا تعبدوا الا الله او تكون ان مفسرة
متعلقة بارسلنا او بنذير وصف اليوم باليم من الاسناد المجازي لوقوع الالم فيه فاذا وصف به
العذاب مجازي مثله لان الاليم في الحقيقة هو المعذب ونظيرهما قولك نهارك صائم وجد جده الملأ
الاشراف من قولهم فلان ملي بكذا اذا كان مطيقا له وقد ملؤوا بالامر لانهم ملؤوا بكفايات الامور واضطلعوا بها او لانهم
متمالئون يتظاهرون ويتساندون او لانهم يملؤون القلوب هيبة والمجالس ابهة او لانهم ملاء بالاحلام والآراء
الصائبة ما نراك الا بشرا مثلنا تعريض بانهم احق منه بالنبوة وان الله لو اراد ان يجعلها في احد من البشر لجعلها فيهم
فقالوا هب انك واحد من الملأ وموازيهم في المنزلة فما جعلك احق منهم الا ترى الى قولهم وما نرى لكم علينا من فضل
او ارادوا انه كان ينبغي ان يكون ملكا لا بشرا اراذلنا جمع الارذل كقوله اكابر مجرميها احاسنكم اخلاقا وقرئ
بادي الرأي بالهمز وغير الهمز يعني اتبعوك اول الرأي وانتصابه على الظرف اصله وقت حدوث اول رأيهم او وقت
حدوث ظاهر رأيهم فحذف ذلك واقيم المضاف اليه مقامه ارادوا ان اتباعهم لك شيء عن لهم بديهة من غير روية
ونظر وانما استرذلوا المؤمنين لفقرهم وتأخرهم في الاسباب الدنيوية لانهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون الا
ظاهرا من الحياة الدنيا فكان الاشرف عندهم من له جاه ومال كما ترى اكثر المتسمين بالاسلام يعتقدون ذلك
ويبنون عليه اكرامهم واهانتهم ولقد زل عنهم ان التقدم في الدنيا لا يقرب احدا من الله وانما يبعده ولا يرفعه
بل يضعه فضلا ان جعله سببا في الاختيار للنبوة والتأهيل لها على ان الانبياء بعثوا مرغبين في طلب الآخرة ورفض الدنيا
مزهدين فيها مصغرين لشأنها وشأن من اخلد اليها فما ابعد حالهم من الاتصاف بما يبعد من الله والتشرف بما
هو ضعة عند الله من فضل من زيادة شرف علينا تؤهلكم للنبوة بل نظنكم كاذبين فيما تدعونه ارأيتم اخبروني ان
كنت على بينة على برهان من ربي وشاهد منه يشهد بصحة دعواي وآتاني رحمة من عنده بايتاء البينة على
ان البينة في نفسها هي الرحمة ويجوز ان يريد بالبينة المعجزة وبالرحمة النبوة فقوله فعميت
ظاهر على الوجه الاول فما وجهه على الوجه الثاني وحقه ان يقال فعميتا الوجه ان يقدر فعميت
بعد البينة وان يكون حذفه للاقتصار على ذكره مرة ومعنى عميت وقرئ فعميت بمعنى اخفيت وفي قراءة ابي
فعماها عليكم فما حقيقته ان الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء
لان الاعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره فعميت عليكم البينة فلم تهدكم كما لو عمي على القوم دليلهم في المفازة
بقوا بغير هاد فما معنى قراءة ابي المعنى صمموا على الاعراض عنها فخلاهم الله
وتصميمهم فجعلت تلك التخلية تعمية منه والدليل عليه قوله انلزمكموها وانتم لها كارهون يعني انكرهكم على
قبولها ونقسركم على الاهتداء بها وانتم تكرهونها ولا تختارونها ولا اكراه في الدين وقد جيء بضميري المفعولين
متصلين جميعا ويجوز ان يكون الثاني منفصلا كقولك انلزمكم اياها ونحوه فسيكفيكهم ويجوز فسيكفيك اياهم
وحكي عن ابي عمرو اسكان الميم ووجهه ان الحركة لم تكن الا خلسة خفيفة فظنها الراوي سكونا والاسكان الصريح
لحن عند الخليل وسيبويه وحذاق البصريين لان الحركة الاعرابية لا يسوغ طرحها الا في ضرورة الشعر والشهير

في قوله لا أسألكم عليه راجع الى قوله اني لكم نذير مبين ان لا تعبدوا الا الله وقرئ وما انا بطارد الذين آمنوا بالتنوين على الاصل ما معنى قوله انهم ملاقوا ربهم معناه انهم ملاقوا الله فيعاقب من طردهم او ملاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من ايمان صحيح ثابت كما ظهر لي منهم وما اعرف غيره منهم او على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من بناء ايمانهم على بادي الراي من غير نظر وتفكر وما علي ان اشق قلوبهم واتعرف سر ذلك منهم حتى اطردهم ان كان الامر كما تزعمون ونحوه ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية او هم مصدقون بلقاء ربهم موقنون به عالمون انهم ملاقوه لا محالة تجهلون تسافهون على المؤمنين وتدعونهم اراذل من قولهم الا لا يجهلن احد علينا او تجهلون لقاء ربكم او تجهلون انهم خير منكم من ينصرني من الله من يمنعني من انتقامه ان طردتهم وكانوا يسألونه ان يطردهم ليؤمنوا به انفة من ان يكونوا معهم على سواء اعلم الغيب معطوف على عندي خزائن الله اي لا اقول عندي خزائن الله ولا اقول انا اعلم الغيب ومعناه لا اقول لكم عندي خزائن الله فادعي فضلا عليكم في الغنى حتى تجحدوا فضلي بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل ولا ادعي علم الغيب حتى تنسبوني الى الكذب والافتراء او حتى اطلع على ما في نفوس اتباعي وضمائر قلوبهم ولا اقول اني ملك حتى تقولوا لي ما انت الا بشر مثلنا ولا احكم على من استرذلتم من المؤمنين لفقرهم ان الله لن يؤتيهم خيرا في الدنيا والآخرة ما قوم
لهوانهم عليه كما تقولون مساعدة لكم ونزولا على هواكم اني اذا لمن الظالمين ان قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه وازرى به قصر به يقال ازدرته عينه واقتحمته عينه جادلتنا فاكثرت جدالنا معناه افتعال
اردت جدالنا وشرعت فيه فاكثرته كقولك فلان فاكثر وطاب فأتنا بما تعدنا من العذاب المعجل انما يأتيكم به الله اي ليس الاتيان بالعذاب الي انما هو الى من كفرتم به وعصيتموه ان شاء يعني ان اقتضت حكمته ان يعجله لكم وقرأ ابن عباس رضي الله عنه فاكثرت جدلنا ما وجه ترادف هذين الشرطين
قوله ان كان الله يريد ان يغويكم جزاؤه ما دل عليه لا ينفعكم نصحي وهذا الدال في حكم ما دل قوله
عليه فوصل بشرط كما وصل الجزاء بالشرط في قولك ان احسنت الي احسنت اليك ان امكنني
فما معنى قوله ان كان الله يريد ان يغويكم اذا عرف الله من الكافر الاصرار فخلاه وشأنه ولم يلجئه
سمي ذلك اغواء واضلالا كما انه اذا عرف منه انه يتوب ويرعوي فلطف به سمي ارشادا وهداية وقيل
ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك ومعناه انكم اذا كنتم من التصميم على الكفر
بالمنزلة التي لا ينفعكم نصائح الله ومواعظه وسائر الطافه كيف ينفعكم نصحي فعلي اجرامي ولجرائمي المصدر والجمع لقوله والله يعلم اسرارهم واسرارهم ونحو جرم واجرام قفل واقفال وينصر الجمع ان اي
فسر الاولون بآثامي والمعنى ان صح وثبت اني افتريته فعلي عقوبة اجرامي افترائي وكان حقي حينئذ
ان تعرضوا عني وتتألبوا علي وانا بريء يعني ولم يثبت ذلك وانا بريء منه ومعنى ما تجرمون من اجرامكم
في اسناد الافتراء الي فلا وجه لمعاداتكم واعراضكم لن يؤمن اقناط من ايمانهم وانه كالمحال الذي لا تعلق به
للتوقع الا من قد آمن الا من قد وجد منه ما كان يتوقع من ايمانه وقد للتوقع وقد اصابت محزها فلا تبتئس فلا
تحزن حزن بائس مستكين قال ما يقسم الله اقبل غير مبتئس منه واقعد كريما ناعم البال والمعنى فلا
تحزن بما فعلوه من تكذيبك وايذائك ومعاداتك فقد حان وقت الانتقام منهم باعيننا في موضع الحال
بمعنى اصنعها محفوظا حقيقته ملتبسا باعيننا كان لله معه اعينا تكلأه ان يزيغ في صنعته عن الصواب
وان لا يحول بينه وبين عمله احد من اعدائه ووحينا وانا نوحي اليك ونلهمك كيف تصنع عن ابن عباس لم
يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله اليه ان يصنعها مثل جؤجؤ الطائر ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تدعني

في شأن قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك انهم مغرقون انهم محكوم عليهم بالاغراق قد وجب
ذلك وقضي به القضاء وجف القلم فلا سبيل الى كفه لقوله يا ابراهيم اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك
وانهم آتيهم عذاب غير مردود ويصنع الفلك حكاية حال ماضية سخروا منه ومن عمله السفينة وكان يعملها
في برية بهماء في ابعد موضع من الماء وفي وقت عز الماء فيه عزة شديدة فكانوا يتضاحكون ويقولون له
يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا فانا نسخر منكم يعني في المستقبل كما تسخرون منا الساعة اي نسخر منكم سخرية
مثل سخريتكم اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل ان تستجهلونا فيما نصنع فانا نستجهلكم فيما
انتم عليه من الكفر والتعرض لسخط الله وعذابه فانتم اولى بالاستجهال منا وان تستجهلونا فانا نستجهلكم في
استجهالكم لانكم لا تستجهلون الا عن جهل بحقيقة الحال وبناء على ظاهر الحال كما هو عادة الجهلة في البعد
عن الحقائق وروي ان نوحا عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين وكان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسون
ذراعا وطولها في السماء ثلاثون ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاث بطون فحمل في البطن الاسفل
الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وركب هو ومن معه في البطن الاعلى مع ما
يحتاج اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم وجعله معترضا بين النساء والرجال وعن الحسن كان طولها الفا ومائتي
ذراع وعرضها ستمائة ذراع وقيل ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا
عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك التراب فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله
اعلم قال هذا كعب بن حام قال فضرب الكثيب بعصاه فقال قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه
وقد شاب فقال له عيسى اهكذا هلكت قال لا مت وانا شاب ولكن ظننت انها الساعة فمن ثم شبت قال حدثنا
عن سفينة نوح قال كان طولها الف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة
للدواب والوحوش وطبقة للطير ثم قال له عد باذن الله كما كنت ترابا من يأتيه عذاب يخزيه في محل النصب بتعلمون او
فسوف تعلمون الذي يأتيه عذاب يخزيه ويعني به اياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق ويحل عليه
حلول الدين والحق اللازم لا انفكاك له عنه عذاب مقيم وهو عذاب الآخرة حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام
دخلت على الجملة من الشرط والجزاء وقعت غاية لماذا وقوله ويصنع الفلك اي
وكان يصنعها الى ان جاء وقت الموعد فاذا اتصلت حتى بيصنع فما تصنع بما بينهما من الكلام
هو حال من يصنع كانه قال يصنعها والحال انه كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه
فما جواب كلما اين تجعل سخروا جوابا وقال استئناف على
تقدير سؤال سائل او تجعل سخروا بدلا من مر او صفة لملأ وقال جوابا واهلك عطف على اثنين وكذلك
ومن آمن يعني واحمل اهلك والمؤمنين من غيرهم واستثنى من اهله من سبق عليه القول انه من اهل النار وما سبق
عليه القول بذلك الا للعلم بانه يختار الكفر لا لتقديره عليه واراد ابنه كنعان وامه وامرأته الا قليل روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم
وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأة واولاد
نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء يجوز ان يكون
كلاما واحدا وكلامين فالكلام الواحد ان يتصل بسم الله باركبوا حالا من الواو بمعنى اركبوا فيها مسمين
الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها ووقت ارسائها اما لان المجرى والمرسى للوقت واما لانهما مصدران
كالاجراء والارساء حذف منهما الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم ومقدم الحاج ويجوز ان يراد مكان

مكانا الاجراء والارساء وانتصابهما بما في بسم الله من معنى الفعل او بما فيه من ارادة القول والكلام ان يكون بسم الله
مجراها ومرساها جملة من مبتدا وخبر مقتضبة اى بسم الله اجراؤها وارساؤها وروى انه كان اذا اراد ان
تجرى قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يقحم الاسم لقوله ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله
اجراؤها وارساؤها اى بقدرته وامره وقرى مجراها ومرساها بفتح الميم من جرى ورسى اما مصدرين او وقتين
او مكانين وقرا مجاهد مجريها ومرسيها بلفظ اسم الفاعل مجرورى المحل صفتين لله **فان قلت** ما معنى
قولك جملة مقتضبة **قلت** معناه ان نوحا عليه السلام امرهم بالركوب ثم اخبرهم بان مجراها ومرساها بذكر
اسم الله وقدرته ويحتمل ان تكون غير مقتضبة بان تكون في موضع الحال كقوله وجاؤا بهم سكر علينا فلا
يكون كلاما براسه ولكن فضلة من فضلات الكلام الاول وانتصاب هذه الحال عن ضمير الفلك كانه قيل اركبوا فيها
مجراة ومرساة بسم الله بمعنى التقدير كقوله ادخلوها خالدين ان ربى لغفور رحيم لولا مغفرته لذنوبكم ورحمته اياكم
لما نجاكم **فان قلت** بم اتصل قوله وهى تجرى بهم **قلت** بمحذوف دل عليه اركبوا فيها بسم الله كانه
قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهى تجرى بهم اى تجرى وهم فيها في موج كالجبال يريد موج الطوفان شبه كل
موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها **فان قلت** ما يرتفع فوق الماء عند اضطرابه وزخيره وكان الماء
قد التقى وطبق ما بين السماء والارض وكانت الفلك تجرى في جوف الماء كما تسبح السمكة فما معنى جريها في الموج
قلت كان ذلك قبل التطبيق وقبل ان يغمر الطوفان الجبال الا ترى الى قول ابنه ساوى الى جبل يعصمنى من
الماء قيل كان اسم ابنه كنعان وقيل يام وقرا على ابنها والضمير لامراته وقرا محمد بن على وعروة بن الزبير
ابنه بفتح الهاء يريدان ابنها فاكتفيا بالفتحة عن الالف وبه ينصر مذهب الحسن قال قتادة سالته فقال والله ما كان
ابنه فقلت ان الله حكى عنه ان ابنى من اهلى وانت تقول لم يكن ابنه واهل الكتاب لا يختلفون في انه كان ابنه
فقال ومن ياخذ دينه من اهل الكتاب واستدل بقوله من اهلى ولم يقل منى ولنسبته الى امه وجهان احدهما
ان يكون ربيبا له كعمرو بن ابى سلمة لرسول الله وان يكون لغير رشدة وهذه غضاضة عصمت منها الانبياء عليهم السلام
وقرى السدى ونادى نوح ابناه على الندبة والترثى اى قال يا ابناه والمعزل مفعل من عزله عنه اذا نحاه وابعده
يعنى وكان في مكان عزل فيه نفسه عن ابيه وعن مركب المؤمنين وقيل كان في معزل عن دين ابيه يا بنى قرى
بكسر الياء اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء الاضافة في قولك يا بنيا او سقطت الياء والالف لالتقاء الساكنين
لان الراء بعدهما ساكنة الا من رحم الا الراحم وهو الله تعالى او لا عاصم اليوم من الطوفان الا من رحم الله
من المؤمنين وكان لهم غفورا رحيما في قوله ان ربى لغفور رحيم وذلك انه لما جعل الجبل عاصما من الماء
قال له لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعنى
السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة الا من رحمه الله كقوله ماء دافق وعيشة راضية وقيل الا من رحم
على البناء للمفعول نداء الارض والسماء بما ينادى به الحيوان المميز على لفظ التخصيص والاقبال عليهما بالخطاب من
بين سائر المخلوقات وهو قوله يا ارض ويا سماء ثم امرهما بما يؤمر به اهل التمييز والعقل من قوله ابلعى ماءك واقلعى
من الدلالة على الاقتدار العظيم وان السموات والارض وهذه الاجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة
عليه كانها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمته وجلالته وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقدور وتبينوا تحتم طاعته
عليهم وانقيادهم له وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون الامتثال له والنزول على مشيئته على الفور
من غير ريث فكما يرد عليهم امره كان المامور به مفعولا لا حبس ولا ابطاء والبلع عبارة عن النشف والاقلاع الامساك
يقال اقلع المطر واقلعت الحمى وغيض الماء من غاضه اذا نقصه وقضى الامر وانجز ما وعد الله نوحا من هلاك

قومه واستوت واستقرت السفينة على الجودى وهو جبل بالموصل يقال بعد بعدا وبعدا اذا ارادوا البعد البعيد من حيث
الهلاك والموت ونحو ذلك ولذلك اختص بدعاء السوء ومجئ اخباره على الفعل المبنى للمفعول للدلالة على الجلال والكبرياء
وان تلك الامور العظام لا تكون الا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وان فاعلها فاعل واحد لا يشارك في
افعاله فلا يذهب الوهم الى ان يقول غيره يا ارض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى ولا ان يقضى ذلك الامر الهائل غيره
ولا ان تستوى السفينة على متن الجودى وتستقر عليه الا بتسويته واقراره ولما ذكرنا من المعانى والنكت استفصح
علماء البيان هذه الاية ورقصوا لها رؤسهم لا لتجانس الكلمتين وهما ابلعى واقلعى وذلك وان كان لا يخلى الكلام
من حسن فهو غير ملتفت اليه بازاء تلك المحاسن التى هى اللب وما عداها قشور وعن قتادة استقلت بهم السفينة لعشر
خلون من رجب وكانت في الماء خمسين ومائة يوم واستقرت بهم على الجودى شهرا وهبط بهم يوم عاشورا
وروى انها مرت بالبيت فطافت به سبعا وقد اعتقه الله من الغرق وروى ان نوحا عليه السلام صام يوم الهبوط وامر
من معه فصاموا شكرا لله تعالى نداؤه ربه دعاؤه له وهو قوله رب ما يعنى من اقتضاء وعدك في تنجية اهلى
فان قلت فاذا كان النداء هو قوله فكيف عطف قال رب على نادى بالفاء **قلت** اريد بالنداء
ارادة النداء ولو اريد النداء نفسه لجاء كما جاء قوله اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب بغير فاء ان ابنى من اهلى
او كان ربيبا له فهو بعض اهله وان وعدك الحق وان كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذى لا شك في انجازه والوفاء
به وقد وعدتنى ان تنجى اهلى فما بال ولدى وانت احكم الحاكمين اى اعلم الحكام واعدلهم لانه لا فضل لحاكم على
غيره الا بالعلم والعدل ورب غريق في الجهل والجور من متقلدى الحكومة في زمانك قد لقب اقضى القضاة ومعناه
احكم الحاكمين فاعتبر واستعبر ويجوز ان يكون من الحكمة على حاكم بمعنى النسبة كما قيل دارع من الدرع
وحائض وطالق على مذهب الخليل انه عمل غير صالح تعليل لانتفاء كونه من اهله وفيه ايذان بان قرابة الدين غامرة
لقرابة النسب وان نسيبك في دينك ومعتقدك من الاباعد في المنصب وان كان حبشيا وكنت قرشيا لصيقك
وخصيصك ومن لم يكن على دينك وان كان امس اقاربك رحما فهو ابعد بعيد منك وجعلت ذاته عملا غير صالح
مبالغة في ذمه كقولها فانما هى اقبال وادبار وقيل الضمير لنداء نوح عليه السلام اى ان نداءك هذا عمل غير صالح
وليس بذاك **فان قلت** فهلا قيل انه عمل فاسد **قلت** لما نفاه عن اهله نفى عنه صفتهم بكلمة النفى
التى يستبقى معها لفظ المنفى وآذن بذلك انه انما نجى من نجى من اهله لصلاحهم لا لانهم اهلك واقاربك وان هذا
لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه ابوتك كقوله كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما
من الله شيئا وقرى عمل غير صالح وقرى فلا تسألن بكسر النون بغير ياء الاضافة وبالنون الثقيلة وبغير ياء يعنى فلا
تلتمس منى ملتمسا او التماسا لا تعلم اصواب هو ام غير صواب حتى تقف على كنهه وذكر المسالة دليل على ان النداء
كان قبل ان يغرق حين خاف عليه **فان قلت** لم سمى نداؤه سؤالا ولا سؤال فيه **قلت** قد تضمن دعاؤه
معنى السؤال وان لم يصرح به لانه اذا ذكر الموعد بنجاء اهله في وقت مشارفة ولده الغرق فقد استنجز وجعل سؤال
ما لا يعرف كنهه جهلا وغباوة ووعظه ان لا يعود اليه والى امثاله من افعال الجاهلين **فان قلت** قد وعده
ان ينجى اهله وما كان عنده ان ابنه ليس منهم دينا فلما اشفى على الغرق تشابه عليه الامر لان العدة قد سبقت له
وقد عرف الله حكيما لا يجوز عليه القبيح وخلف الميعاد فطلب اماطة الشبهة وطلب اماطة الشبهة واجب
فلم زجر وسمى سؤاله جهلا **قلت** ان الله عز وجل قدم له الوعد بانجاء اهله مع استثناء من سبق عليه
القول منهم فكان عليه ان يعتقد ان في جملة اهله من هو مستوجب للعذاب لكونه غير صالح وان كلهم
ليسوا بناجين وان لا تخالجه شبهة حين شارف ولده الغرق في انه من المستثنين لا من المستثنى منهم

علي ان اشتبه عليه ما يجب ان لا يشتبه ان اسالك من ان اطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته تادبا بادبك
واتعاظا بموعظتك وان لا تغفر لي ما فرط مني من ذلك وترحمني بالتوبة علي اكن من الخاسرين اعمالا وقرئ يا نوح اهبط
بضم الباء بسلام منا مسلما محفوظا من جهتنا او مسلما عليك مكرما وبركات عليك ومباركا عليك والبركات
الخيرات النامية وقرئ وبركة على التوحيد وعلى امم ممن معك يحتمل ان تكون من للبيان فتراد الامم
الذين كانوا معه في السفينة لانهم كانوا جماعات او قيل لهم امم لان الامم تتشعب منهم وان تكون لابتداء
الغاية اي على امم ناشئة ممن معك وهي الامم الى اخر الدهر وهو الوجه وقوله وامم رفع بالابتداء وسنمتعهم
صفة والخبر محذوف تقديره وممن معك دل عليه والمعنى ان السلام منا والبركات عليك وعلى امم مؤمنين ينشؤون
ممن معك وممن معك امم ممتعون بالدنيا منقلبون الى النار وكان نوح عليه السلام ابا الانبياء والخلق بعد الطوفان
منه وممن كان معه في السفينة وعن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم
القيمة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا منهم
من رحم ومنهم من عذب وقيل المراد بالامم الممتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب تلك اشارة الى قصة
نوح ومحلها الرفع على الابتداء والجمل بعدها اخبار اي تلك القصة بعض انباء الغيب موحاة اليك
مجهولة عندك وعند قومك من قبل هذا من قبل ايحائي اليك واخبارك بها او من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي
او من قبل هذا الوقت فاصبر على تبليغ واذى قومك كما صبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولمن كذبك
نحو ما لنوح ولقومه ان العاقبة في الفوز والنصر والغلبة للمتقين وقوله ولا قومك معناه ان قومك الذي
انت منهم على كثرتهم ووفور عددهم اذا لم يكن ذلك شانهم ولا سمعوه ولا عرفوه فكيف برجل منهم
كما تقول لم يعرف هذا عبد الله ولا اهل بلده اخاهم واحدا منهم وانتصابه للعطف على ارسلنا نوحا وهودا
عطف بيان غيره بالرفع صفة على محل الجار والمجرور وقرئ غيره بالجر صفة على اللفظ ان انتم الا مفترون
تفترون على الله الكذب باتخاذكم الاوثان له شركاء ما من رسول الا واجه قومه بهذا القول لان
شانهم النصيحة والنصيحة لا يمحضها الا حسم المطامع وما دام يتوهم شيء منها لم تنجع ولم تنفع افلا تعقلون
اذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها اجرا الا من الله وهو ثواب الاخرة ولا شيء انفى للتهمة من ذلك وقيل استغفروا
ربكم امنوا به ثم توبوا اليه من عبادة غيره لان التوبة لا تصح الا بعد الايمان والمدرار الكثير الدرور كالمغزار
وانما قصد استمالتهم الى الايمان وترغيبهم فيه بكثرة المطر وزيادة القوة لان القوم كانوا اصحاب زروع
وبساتين وعمارات حراصا عليها اشد الحرص فكانوا احوج شيء الى الماء وكانوا مدلين بما اوتوا من شدة
القوة والبطش والباس والنجدة مستحرزين بها من العدو مهيبين في كل ناحية وقيل اراد القوة في المال
وقيل القوة على النكاح وقيل حبس عنهم القطر ثلث سنين وعقمت ارحام نسائهم وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما
انه وفد على معوية فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال اني رجل ذو مال ولا يولد لي فعلمني شيئا لعل الله
يرزقني ولدا فقال عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر في يوم واحد سبعمائة مرة
فولد له عشرة بنين فبلغ ذلك معوية فقال هلا سألته مم قال ذلك فوفد وفدة اخرى فسأله الرجل
فقال الم تسمع قول هود ويزدكم قوة الى قوتكم وقول نوح ويمددكم باموال وبنين ولا تتولوا ولا تعرضوا
عني وعما ادعوكم اليه وارغبكم فيه مصرين على اجرامكم واثامكم ما جئتنا ببينة كذب وجحود
كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه لولا انزل عليه اية من ربه مع فوت اياته الحصر عن قولك حال من الضمير
في تاركي الهتنا كانه قيل وما نترك الهتنا صادرين عن قولك وما نحن لك بمؤمنين وما يصح من امثالنا ان يصدقوا

امم سنمتعهم وانما حذف لان قوله ممن معك

الرسالة صح

ولا يمحصها صح

القوة على النكاح

مثلك فيما تدعوهم اليه اقناطا له من الاجابة اعتراك مفعول نقول والا لغو والمعنى ما نقول الا قولنا اعتراك بعض الهتنا بسوء
اي خبلك ومسك بجنون لسبك اياها وصدك عنها وعداوتك لها مكافاة لك منها على سوء فعلك بسوء الجزاء فمن ثم تتكلم
بكلام المجانين وتهذي بهذيان المبرسمين وليس بعجب من اولئك ان يسموا التوبة والاستغفار خبلا وجنونا وهم
عباد اعلام الكفر واوتاد الشرك وانما العجب من قوم من المتظاهرين بالاسلام سمعناهم يقولون يسمون التائب
عن ذنوبه مجنونا والمنيب الى ربه مخبلا ولم نجدهم على عشر مما كانوا عليه في ايام جاهليته من الموادة وما ذاك الا
لعرق من الالحاد ابى الا ان ينبض وضب من الزندقة اراد ان يطلع راسه وقد دلت اجوبتهم المتقدمة على ان القوم
كانوا جفاة غلاظ الاكباد لا يبالون بالبهت ولا يلتفتون الى النصح ولا تلين شكيمتهم للرشد وهذا الاخير
دال على جهل مفرط وبله متناه حيث اعتقدوا في حجارة انها تنتصر وتنتقم ولعلهم حين جازوا العقاب كانوا
يعتبرون الثواب من اعظم الايات ان يواجه بهذا الكلام رجل واحد امة عطاشا الى اراقة دمه يرمونه
عن قوس واحدة وذلك لثقته بربه وانه يعصمه منهم فلا ينشبون فيه مخالبهم ونحو ذلك قال نوح عليه السلام
ثم اقضوا الي ولا تنظرون اكد براءته من الهتهم وشركهم ووثقها بما جرت به عادة الناس من توثيقهم
الامور بشهادة الله وشهادة العباد فيقول الرجل الله شهيد على اني لا افعل كذا ويقول لقومه كونوا شهداء
علي اني لا افعله هلا قيل اشهد الله واشهدكم لان اشهاد الله على البراءة من الشرك
اشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده واما اشهادهم فما هو الا تهاون بدينهم ودلالة
على قلة المبالاة بهم فحسب فعدل به عن لفظ الاول لاختلاف ما بينهما وجيء به على لفظ الامر بالشهادة كما يقول الرجل
لمن يبس الثرى بينه وبينه اشهد علي اني لا احبك تهكما به واستهانة بحاله مما تشركون من دونه من اشراككم الهة
من دونه او مما تشركونه من الهة من دونه اي انتم تجعلونها شركاء له ولم يجعلها هو شركاء ولم ينزل بذلك
سلطانا فكيدوني جميعا انتم والهتكم اعجل ما تفعلون من غير انظار فاني لا ابالي بكم وبكيدكم ولا اخاف معرتكم
وان تعاونتم علي وانتم الاقوياء الشداد فكيف تضرني الهتكم وما هي الا جماد لا يضر وكيف تنتقم مني اذا
نلت منها وصددت عنها وعن عبادتها بان تخبلني وتذهب بعقلي ولما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه
وكلاءته وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم ومن كون كل دابة في قبضته
وملكته وتحت قهره وسلطانه والاخذ بنواصيها تمثيل لذلك ان ربي على صراط مستقيم يريد انه على طريق
الحق والعدل في ملكه لا يفوته ظالم ولا يضيع عنده معتصم به فان تولوا فان تولوا
الابلاغ كان قبل التولي فكيف وقع جزاء للشرط معناه فان تتولوا لم اعاتب على تفريط في الابلاغ
وكنتم محجوجين بان ما ارسلت به اليكم قد بلغكم فابيتم الا تكذيب الرسالة وعداوة الرسل و
ويستخلف كلام مستانف يريد ويهلككم الله ويجيء بقوم اخرين يخلفونكم في دياركم واموالكم ولا تضرونه
بتوليكم شيئا من ضرر قط لانه لا تجوز عليه المضار والمنافع وانما تضرون انفسكم وفي قراءة عبد الله
ويستخلف بالجزم وكذلك ولا تضروه عطفا على محل فقد ابلغتكم والمعنى ان تتولوا يعذبني ويستخلف
قوما غيركم ولا تضروه الا انفسكم على كل شيء حفيظ اي رقيب عليه مهيمن فما تخفى عليه اعمالكم ولا
يغفل عن مواخذتكم او من كان رقيبا على الاشياء كلها حافظا لها وكانت مفتقرة الى حفظه من المضار لم
يضر مثله مثلكم والذين امنوا معه قيل كانوا اربعة الاف ما معنى تكرير التنجية
قلت ولا انه حين اهلك عدوهم نجاهم ثم قال ونجيناهم من عذاب غليظ على معنى وكانت تلك التنجية من
عذاب غليظ وذلك ان الله عز وجل بعث عليهم السموم فكانت تدخل في انوفهم وتخرج من ادبارهم فتقطعهم عضوا

ولا ينفع صح

فتقطعهم صح

عصوا وقد أرادوا بالثانية التنجية من عذاب الآخرة ولا عذاب أغلظ منه وأشد. وقوله برحمة منا يريد بسبب الإيمان
الذي أنعمنا عليهم بالتوفيق. فإن قلت تلك إشارة إلى قبورهم وآثارهم كأنه قال سيحوا في الأرض فانظروا إليها واعتبروا
ثم استأنف وصف أحوالهم فقال جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله لأنهم إذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع
رسل الله لا نفرق بين أحد من رسله قيل لم يرسل إليهم إلا هود عليه السلام وحده كل جبار عنيد يريد رؤساءهم
وكبراءهم ودعاتهم إلى تكذيب الرسل ومعنى اتباع أمرهم طاعتهم ولما كانوا تابعين لهم دون الرسل
جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم على وجوههم في عذاب الله ألا وتكرارها مع النداء على كفرهم
والدعاء عليهم تهويل لأمرهم وتفظيع له وبعث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم
بعدا دعاء بالهلاك فما معنى الدعاء عليهم بعد هلاكهم معناه الدلالة على أنهم كانوا مستأهلين له
ألا ترى إلى قوله إخوتي لا تبعدوا أبدا وبلى والله قد بعدوا قوم هود عطف بيان لعاد ما الفائدة
في هذا البيان والبيان حاصل بدونه الفائدة أن يوسموا بهذه الدعوة وسما ويجعل فيهم أمرا محققا لا
شبهة فيه بوجه من الوجوه ولأن عادا عادان الأولى القديمة التي هي قوم هود والقصة فيهم والأخرى إرم
هو أنشأكم من الأرض لم ينشئكم منها إلا هو ولم يستعمركم فيها غيره وإنشاؤهم منها خلق آدم من التراب
واستعمركم وأمركم بالعمارة والعمارة متنوعة إلى واجب وندب ومباح ومكروه وكان ملوك فارس قد أكثروا
من حفر الأنهار وغرس الأشجار وعمروا الأعمار الطوال مع ما كان فيهم من عسف الرعية فسأل نبي من
أنبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فأوحى الله إليه أنهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي وعن معاوية بن أبي
سفيان أنه أخذ في إحياء أرض في آخر عمره فقيل له فقال ما حملني عليه إلا قول القائل ليس الفتى بفتى لا يستضاء
به ولا يكون له في الأرض آثار وقيل استعمركم من العمر نحو استبقاكم من البقاء وقد جعل من العمرى وفيه
وجهان أحدهما أن يكون استعمر في معنى أعمر كقولك استهلكه في معنى أهلكه ومعنى أعمركم فيها دياركم
والثاني أن يكون بمعنى جعلكم معمرين دياركم فيها لأن الرجل إذا ورث داره من بعده فكأنما أعمره إياها لأنه
يسكنها عمره ثم يتركها لغيره قريب داني الرحمة سهل المطلب مجيب لمن دعاه وسأله فينا مرجوا
كانت تلوح فيك مخايل الخير وأمارات الرشد فكنا نرجوك لننتفع بك وتكون مشاورا في الأمور ومسترشدا
في التدابير فلما نطقت بهذا القول انقطع رجاؤنا منك وعلمنا أن لا خير فيك وعن ابن عباس فاضلا خيرا
نقدمك على الناس جميعا وقيل كنا نرجو أن تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه يعبد آباؤنا حكاية حال ماضية
مريب من أرابه إذا أوقعه في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمأنينة باليقين أو من أراب الرجل إذا كان ذا ريبة على
الإسناد المجازي قيل إن كنت على بينة من ربي حرف الشك وكان على يقين أنه على بينة لأن خطابه للجاحدين
فكأنه قال قدروا أني على بينة من ربي وأني نبي على الحقيقة وانظروا إن تابعتكم وعصيت ربي في أوامره فمن
يمنعني من عذاب الله فما تزيدونني إذن غير تخسير يعني تخسرون أعمالي وتبطلونها أو فما تزيدونني بما
تقولون لي وتحملونني عليه غير أن أخسركم أي أنسبكم إلى الخسران وأقول لكم إنكم خاسرون آية نصب على
الحال قد عمل فيها ما دل عليه اسم الإشارة من معنى الفعل فبم يتعلق لكم بآية حالا
منها متقدمة لأنها لو تأخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال عذاب قريب عاجل لا يستأخر عن
مسكم لها بسوء إلا يسيرا وذلك ثلاثة أيام ثم يقع عليكم تمتعوا استمتعوا بالعيش في داركم في بلدكم وتسمى البلاد
الديار لأنه يدار فيها أي يتصرف يقال ديار بكر لبلادهم وتقول العرب الذين حوالي مكة نحن من عرب الدار
يريدون من عرب البلد وقيل في دار الدنيا وقيل عقروها يوم الأربعاء وهلكوا يوم السبت غير مكذوب

فيه فاتسع في الظرف بحذف الحرف وإجرائه مجرى المفعول به كقولك يوم مشهود من قوله ويوم مشهود تاه أو
على المجاز كأنه قيل للوعد نفي بك فإذا وفى به فقد صدق ولم يكذب أو وعد غير كذب على أن المكذوب
مصدر كالمجلود والمعقول وكالمصدوقة بمعنى الصدق ومن خزي يومئذ قرئ مفتوح الميم لأنه مضاف إلى
إذ وهو غير متمكن كقوله على حين عاتبت المشيب علام عطف على نجينا لأن تقديره
ونجيناهم من خزي يومئذ كما قال ونجيناهم من عذاب غليظ على وكانت التنجية من خزي يومئذ أي من ذله
ومهانته وفضيحته ولا خزي أعظم من خزي من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه ويجوز أن يريد بيومئذ يوم
القيامة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة وقرئ ألا إن ثمود ولثمود كلاهما بالصرف وامتناعه
فالصرف للذهاب إلى الحي أو الأب الأكبر ومنعه للتعريف والتأنيث بمعنى القبيلة رسلنا يريد الملائكة عن ابن عباس
جاء جبريل وملكان معه وقيل جبريل وميكائيل وإسرافيل وقيل كانوا تسعة وعن السدي أحد عشر بالبشرى
في البشارة بالولد وقيل بهلاك قوم لوط والظاهر الولد سلاما سلمنا عليك سلاما سلام أمركم سلام وقرئ فقالوا
سلما قال سلم بمعنى السلام وقيل سلم وسلام كحرم وحرام وأنشد مررنا فقلنا إيه سلم فسلمت كما اكتل بالبرق
الغمام اللوائح فما لبث أن جاء بمعنى فما لبث في المجيء بل عجل فيه أو فما لبث مجيئه والعجل ولد البقرة ويسمى الحسيل والحبش
بلغة أهل السراة وكان مال إبراهيم البقر حنيذ مشوي بالرضف في أخدود وقيل حنيذ يقطر دسمه من
حنذت الفرس إذا ألقيت عليها الجل حتى تقطر عرقا ويدل عليه بعجل سمين نكرهم وأنكرهم واستنكرهم
ومنكور قليل في كلامهم وكذلك أنا أنكرك ولكن منكر ومستنكر وأنكرك وقال الأعشى
وأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعا قيل كان ينزل في طرف من الأرض فخاف أن يريدوا
به مكروها وقيل كانت عادتهم أنه إذا مس من يطرقهم طعامهم أمنوه وإلا خافوه والظاهر أنه أحس بأنهم
ملائكة ونكرهم لأنه تخوف أن يكون نزولهم لأمر أنكره الله عليه أو لتعذيب قومه ألا ترى إلى قولهم لا تخف
إنا أرسلنا إلى قوم لوط وإنما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيم أرسلوا فأوجس فأضمر وإنما قالوا لا تخف
لأنهم رأوا أثر الخوف والتغير في وجهه أو عرفوه بتعريف الله أو علموا أن علمه بأنهم ملائكة موجب للخوف
لأنهم كانوا لا ينزلون إلا بعذاب وامرأته قائمة وراء الستر تسمع تحاورهم أو قيل كانت قائمة على رؤوسهم
تخدمهم وفي مصحف عبد الله وامرأته قائمة وهو قاعد فضحكت سرورا بزوال الخيفة أو بهلاك أهل الخبائث أو
كان ضحكها ضحك إنكار لغفلتهم وقد أظلهم العذاب وقيل كانت تقول لإبراهيم اضمم لوطا ابن أخيك إليك فإني
أعلم أنه ينزل بهؤلاء القوم عذاب فضحكت سرورا لما أتى الأمر على ما توهمت وقيل فضحكت فحاضت وقرأ محمد
ابن زياد الأعرابي فضحكت بفتح الحاء يعقوب رفع بالابتداء كأنه قيل ومن وراء إسحاق يعقوب مولود أو موجود
أي من بعده وقيل الوراء ولد الولد وعن الشعبي أنه قيل له أهذا ابنك قال نعم من الوراء وكان ولد ولده وقرئ
يعقوب بالنصب كأنه قيل ووهبنا له إسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب على طريقة قوله ليسوا مصلحين عشيرة
ولا ناعب الألف في يا ويلتا مبدلة من ياء الإضافة وكذلك في يا لهفا ويا عجبا وقرأ الحسن يا ويلتي بالياء على
الأصل وشيخا نصب بما دل عليه اسم الإشارة وقرئ شيخ على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هذا بعلي هو شيخ أو بعلي
بدل من المبتدأ وشيخ خبر أو يكونان معا خبرين قيل بشرت ولها تسعون سنة ولإبراهيم مائة وعشرون إن هذا
لشيء عجيب أن يولد ولد من هرمين وهو استبعاد من حيث العادة التي أجراها الله تعالى وإنما أنكرت عليها الملائكة تعجبها
فقالوا أتعجبين من أمر الله لأنها كانت في بيت الآيات ومهبط المعجزات والأمور الخارقة للعادات فكان عليها أن
توقر ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء الناشئات في غير بيوت النبوة وأن تسبح الله وتمجده مكان التعجب وإلى

ذلك اشارة الى الملائكة صلوات الله عليهم في قوله رحمت الله وبركاته عليكم اهل البيت ان هذه وامثالها مما يكرمكم به رب
العزة ويخصكم بالانعام به يا اهل بيت النبوة فليست بمكان عجب وامر الله قدرته وحكمته وقوله رحمت الله
وبركاته كلام مستانف علل به انكار التعجب كانه قيل اياك والتعجب فان امثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة عليكم
من الله وقيل الرحمة والنبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولد ابرهيم حميد فاعل ما يستوجب
به الحمد من عباده مجيد كريم كثير الاحسان واهل البيت نصب على النداء او على الاختصاص لان اهل البيت مدح لهم
اذ المراد اهل بيت خليل الرحمن الروع ما اوجس من الخيفة حين نكر اضيافه والمعنى انه لما اطمان قلبه بعد الخوف
وملئ سرورا بسبب البشرى بدل الجادلة اين جواب لما هو محذوف كما حذف في قوله فلما
ذهبوا به واجمعوا وقوله يجادلنا كلام مستانف دال على الجواب وتقديره اجترا على خطابنا او فطن لمجادلتنا او ق
ال كيت وكيت ثم ابتدا فقال يجادلنا في قوم لوط وقيل في يجادلنا هو جواب لما وانما جيء به مضارعا على حكاية الحال
وقيل ان لما ترد المضارع الى معنى الماضي كما ترد ان الماضي الى معنى الاستقبال وقيل معناه اخذ يجادلنا واقبل يجادلنا
والمعنى يجادل والمعنى يجادل رسلنا ومجادلته اياهم انهم قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية فقال ارايتم
لو كان فيها خمسون رجلا من المومنين اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلثون قالوا لا حتى بلغ
عشرة قالوا لا قال ارايتم ان كان فيها رجل واحد مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن
فيها لننجينه واهله وفي قوم لوط في معناهم وعن ابن عباس قالوا له ان كان فيها خمسة يصلون رفع عنهم
العذاب وعن قتادة ما قوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير وقيل كان فيهم اربعة الاف الف انسان ان ابرهيم لحليم
غير عجول على كل من اساء اليه اواه كثير التاوه من الذنوب منيب تائب راجع الى الله تعالى بما يحب ويرضى و
وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرافة والرحمة فبين ان ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء ان يرفع
عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة والانابة كما حمله على الاستغفار لابيه يا ابرهيم على ارادة القول
اي قالت له الملائكة اعرض عن هذا الجدال وان كانت الرحمة ديدنك فلا فائدة فيه انه قد جاء امر ربك وهو
قضاؤه وحكمه الذي لا يصدر الا عن صواب وحكمة والعذاب نازل بالقوم لا محالة لا مرد له بجدال
ولا دعاء ولا غير ذلك كانت مساءة لوط وضيق ذرعه لانه حسب انهم انس فخاف عليهم خبث قومه وان
يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم وروي ان الله تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات
فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرهم قال اشهد بالله
انها لشر قرية في الارض عملا يقول ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امراته
فاخبرت بهم قومها يقال يوم عصيب وعصبصب اذا كان شديدا من قولك عصبه اذا شده يهرعون
يسرعون كانما يدفعون دفعا ومن قبل كانوا يعملون الفواحش ويكثرونها ويولعون بها فضروا
بها ومرنوا عليها وقل عندهم استقباحها فلذلك جاؤا يهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء وقيل معناه وقد
عرف لوط عادتهم في عمل الفواحش قبل ذلك هؤلاء بناتي اراد ان يقي اضيافه ببناته وذلك غاية الكرم فتزوجوهن
وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزا كما زوج رسول الله صلى الله عليه ابنتيه من عتبة ابن ابي لهب وابي
العاص ابن وائل قبل نزول الوحي وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما
ابنتيه وقرا ابن مروان هن اطهر لكم بالنصب ضعفه سيبويه وقال ابن جني ابن مروان في لحنه وعن
ابي عمرو ابن العلاء من قرا هن اطهر بالنصب فقد تربع في لحنه وذلك ان انتصابه على ان يجعل
حالا قد عمل فيها ما في هؤلاء من معنى الفعل كقوله هذا بعلي شيخا او ينصب هؤلاء بفعل مضمر

كانه قيل خذوا هؤلاء وبناتي بدل ويعمل هذا المضمر في الحال وهن فصل وهذا لا يجوز لان الفصل مختص
بالوقوع بين جزئي الجملة ولا يقع بين الحال وذي الحال وقد خرج له وجه لا يكون هن فيه فصلا وذلك ان يكون هؤلاء
مبتدا وبناتي هن جملة في موضع خبر المبتدا كقولك هذا اخي هو ويكون اطهر حالا فاتقوا الله بايثارهن عليهم ولا
تخزوني ولا تهينوني ولا تفضحوني من الخزي او لا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء في ضيفي في حق ضيوفي فانه اذا اخزي
ضيف الرجل او جاره فقد اخزي الرجل وذلك من عراقة الكرم واصالة المروة اليس منكم رجل رشيد رجل واحد
يهتدي الى سبيل الحق وفعل الجميل والكف عن السوء وقرئ ولا تخزون بطرح الياء ويجوز ان يكون عرض البنات
عليهم مبالغة في تواضعه لهم واظهارا لشدة امتعاضه مما اوردوا عليه طمعا في ان يستحيوا منه ويرقوا له اذا سمعوا
ذلك فينزجروا عن ضيوفه مع ظهور الامر واستقرار العلم عنده وعندهم ان لا مناكحة بينه وبينهم ومن ثم قالوا لقد
مستشهدين بعلمه ما لنا في بناتك من حق لانك لا ترى مناكحتنا وما هو الا عرض سابري وقيل لما اتخذوا اتيان الذكران
مذهبا ودينا لتواطيهم عليه كان عندهم انه هو الحق وان نكاح الاناث من الباطل فلذلك قالوا ما لنا في بناتك
من حق قط لان نكاح الاناث امر خارج من مذهبنا الذي نحن عليه ويجوز ان يقولوه على وجه الخلاعة والغرض
نفي الشهوة لتعلم ما نريد يعنون اتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة جواب لو محذوف كقوله ولو ان قرانا سيرت
به الجبال يعني لو ان لي بكم قوة لفعلت بكم وصنعت يقال ما لي به قوة وما لي به طاقة ونحوه لا قبل لهم بها وما لي
به يدان لانه في معنى لا اضطلع به ولا استقل به والمعنى لو قويت عليكم بنفسي او اويت الى قوي استند اليه واتمنع
به فيحميني منكم فشبه القوي العزيز بالركن من الجبل في شدته ومنعته ولذلك قالت الملائكة وقد وجدت
عليه انك لركن شديد وقال النبي صلى الله عليه رحم الله اخي لوطا كان ياوي الى ركن شديد وقرئ او اوي
بالنصب باضمار ان كانه قيل لو ان لي بكم قوة او اويا وهو كقولها للبس عباءة وتقر عيني وقرئ الى ركن بضمتين وروي
انه اغلق بابه حين جاؤا وجعل يرادهم ما حكى الله عنهم ويجادلهم فتسوروا الجدار فلما رات الملائكة ما لقي
لوط من الكرب قالوا يا لوط ان ركنك لشديد انا رسل ربك لن يصلوا اليك فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب
فدخلوا فاستاذن جبريل ربه في عقوبتهم فاذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان
وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم فاعماهم كما قال الله عز
وعلا فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط سحرة لن
يصلوا اليك جملة موضحة للتي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصلوا اليه ولم يقدروا على ضرره قرئ فاسر
بالقطع والوصل الا امراتك بالرفع والنصب وروي انه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا الصبح فقال اريد
اسرع من ذلك فقالوا اليس الصبح بقريب وقرئ الصبح بضمتين ما وجه قراءة من قرا الا امراتك
بالنصب استثناها من قوله فاسر باهلك والدليل عليه قراءة عبد الله فاسر باهلك بقطع من الليل الا امراتك
ويجوز ان ينتصب عن لا يلتفت على اصل الاستثناء وان كان الفصيح هو البدل اعني قراءة من قرا بالرفع فابدلها عن
احد وفي اخراجها مع اهله روايتان روي انه اخرجها معهم وامر ان لا يلتفت منهم احد الا هي فلما سمعت
هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وروي انه امر بان يخلفها مع قومها فان هواها
اليهم فلم يسر بها واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين جعلنا عاليها سافلها جعل جبريل جناحه
في اسفلها ثم رفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واتبعوا
الحجارة من فوقهم من سجيل قيل هي كلمة معربة من سنك كل بدليل قوله حجارة من طين وقيل هي من
اسجله اذا ارسله لانها ترسل على الظالمين ويدل عليه قوله لنرسل عليهم حجارة وقيل مما كتب الله ان يعذب بهم

السجيل وبجعل الفلان منضود نضد في السماء نضدا معدا للعذاب وقيل يرسل بعضه في اثر بعض تتابعا مسومة
معلمة للعذاب وعن الحسن كانت معلمة ببياض وحمرة وقيل عليها سيما تعرف بها انها ليست من حجارة الارض
وقيل مكتوب على كل واحد اسم من يرمى به وما هي من الظالمين ببعيد وفيه وعيد لاهل مكة وعن رسول
الله صلى الله عليه انه سأل جبريل فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه
من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم بعيد تذكير بعيد وتجوز
ان يراد وما هي بشيء بعيد او بمكان بعيد لانها وان كانت في السماء وهي مكان بعيد الا انها اذا هوت منها فهي اسرع شيء لحوقا
بالمرمي فكانها بمكان قريب منه اني اراكم بخير بسعة تغنيكم عن التطفيف او اراكم بنعمة من الله
حقها ان تقابل بغير ما تفعلون او اراكم بخير فلا تزيلوه عنكم بما انتم عليه كقول مومن ال فرعون يا قوم لكم
الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا يوم محيط مهلك من قوله واحيط بثمره و
واصله من احاطة العدو وصف العذاب بالاحاطة ابلغ من وصف اليوم بها بل
وصف اليوم لان اليوم زمان يشتمل على الحوادث فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه
كما اذا احاط بنعيمه النهي عن النقص فائدة قوله اوفوا نهوا اولا عن عين القبيح
الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان لان في التصريح بالقبيح نعيا على المنهي وتعييرا له ثم ورد الامر
بالايفاء الذي هو حسن في العقول مصرحا بلفظه زيادة ترغيب وبعث عليه وجيء به مقيدا بالقسط اي ليكن
الايفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان امرا بما هو الواجب فيه توفيق على ان الموفي عليه
ان يوفي بالوفاء القسط لان الايفاء وجه حسنه انه قسط وعدل وهذه ثلث فوائد البخس الهضم والنقص ويقال
للمكس البخس قال زهير وفي كل ما باع امرؤ بخس درهم ويروى مكس درهم وكانوا ياخذون من كل
شيء يباع شيئا كما يفعل السماسرة او كانوا يمكسون الناس او كانوا ينقصون من اثمان ما يشترون من الاشياء فنهوا
عن ذلك ولا تعثوا في الارض نحو السرقة والغارة وقطع السبيل ويجوز ان تجعل التطفيف والبخس منهما عثيا
في الارض بقية الله ما ابقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم خير لكم ان كنتم مؤمنين شرط
ان تؤمنوا بقية الله خير للكفرة لانهم يسلمون معها من تبعة البخس والتطفيف فلم شرط
الايمان لظهور فائدتها مع الايمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب وخفاء فائدتها مع
فقده لانغماس صاحبها في غمرات الكفر وفي ذلك استعظام للايمان وتنبيه على جلالة شأنه ويجوز ان يراد ان كنتم
مصدقين لي فيما اقول لكم وانصح به اياكم ويجوز ان يريد ما يبقى لكم عند الله من الطاعات خير لكم كقوله والباقيات
الصالحات خير عند ربك واضافة البقية الى الله من حيث انها رزقه الذي يجوز ان يضاف اليه واما الحرام فلا يضاف
الى الله ولا يسمى رزقا واذا اريد بها الطاعة فكما تقول وقرئ بقية الله بالتاء وهي تقواه ومراقبته التي تصرف عن
المعاصي والقبائح وما انا عليكم بحفيظ وما بعثت لاحفظ عليكم اعمالكم واجازيكم عليها وانما بعثت مبلغا ونبها
على الخير وناصحا وقد اعذرت حين انذرت كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات وكان قومه اذا راوه يصلي
تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم اصلاتك تامرك السخرية والهزء والصلاة وان جاز ان تكون امرة
على طريق المجاز كما كانت ناهية في قوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وان يقال ان الصلاة تامر بالجميل
والمعروف كما يقال تدعو اليه وتبعث عليه الا انهم ساقوا الكلام مساق الطنز وجعلوا الصلاة امرة على سبيل
التهكم بصلاته وارادوا ان هذا الذي تامر به من ترك عبادة الاصنام والاوثان باطل لا وجه لصحته وان
مثله لا يدعوك اليه داعي عقل ولا يامرك به امر فطنة فلم يبق الا ان يامرك به امر هذيان ووسوسة شيطان

وهو صلاتك التي تداوم عليها في ليلك ونهارك وعندهم انها من باب الجنون وانما يتولع به المجانين والموسوسون من بعض
الاقوال والافعال ومعنى تامرك ان نترك تامرك بتكليف ان نترك ما يعبد اباؤنا فحذف المضاف الذي هو التكليف لان
الانسان لا يؤمر بفعل غيره وقرئ اصلاتك على التوحيد وقرأ ابن ابي عبلة او ان تفعل في اموالنا ما تشاء بالخطاب فيهما
وهو ما كان يامرهم به من ترك التطفيف والبخس والاقتناع بالحلال القليل من الحرام الكثير وقيل كان ينهاهم
عن حذف الدراهم والدنانير وتقطيعها وارادوا بقولهم انك لانت الحليم الرشيد نسبته الى غاية السفه والغي فعكسوا
ليتهكموا به كما يتهكم بالشحيح الذي لا يبض حجره فيقال له لو ابصرك حاتم لسجد لك وقيل معناه انك للمواصف
بالحلم والرشد في قومك يعنون ان ما تامر به لا يطابق حالك وما شهرت به ورزقني منه اي من لدنه رزقا حسنا وهو ما
رزقه من النبوة والحكمة وقيل رزقا حسنا حلالا طيبا من غير بخس ولا تطفيف ارايتم جواب ارايتم وما له
ان يثبت كما اثبت في قصة نوح ولوط جوابه محذوف واتمام لان اثباته في القصتين دل على مكانه
ومعنى الكلام ينادي عليه والمعنى اخبروني ان كنت على حجة واضحة ويقين من ربي وكنت نبيا على الحقيقة ايصح ان لا
امركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصي والانبياء لا يبعثون الا كذلك يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده
وانت مول عنه وخالفني عنه اذا ولى عنه وانت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتساله عن صاحبه فيقول خالفني
الى الماء يريد انه قد ذهب اليه واردا وانا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم
عنه يعني ان اسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم ان اريد الا الاصلاح ما استطعت ما اريد الا
ان اصلحكم بموعظتي ونصيحتي وامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما استطعت ظرف اي مدة استطاعتي للاصلاح
وما دمت متمكنا منه لا الوفيه جهدا او بدل من الاصلاح اي المقدار الذي استطعته منه ويجوز ان يكون على
تقدير حذف المضاف على قولك الا الاصلاح اصلاح ما استطعت او مفعول له لقوله ضعيف النكاية اعداءه اي
ما اريد الا ان اصلح ما استطعت من فاسدكم اصلاحه وما توفيقي الا بالله وما كوني موفقا لاصابة الحق فيما اتي واذر ووقوعه
موافقا لرضا الله تعالى الا بمعونته وتاييده والمعنى انه استوفق ربه في امضاء الامر على سننه وطلب منه التاييد
والاظهار على عدوه وفي ضمنه تهديد للكفار وحسم لاطماعهم فيه يجرمنكم مثل كسب في تعديته الى مفعول واحد
والى مفعولين تقول جرم ذنبا وكسبه وجرمته ذنبا وكسبته اياه وقال ولقد جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا
ومنه قوله تعالى لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم اي لا يكسبنكم شقاقي اصابة العذاب وقرأ ابن كثير بضم الياء
من اجرمته ذنبا اذا جعلته جارما له اي كاسبا وهو منقول من جرم المتعدي الى مفعول واحد كما نقل اكسبه المال
من كسب المال وكما لا فرق بين كسبته واكسبته اياه فكذلك لا فرق بين جرمته ذنبا واجرمته اياه والقراءتان مستويتان
في المعنى لا تفاوت بينهما الا ان المشهورة افصح لفظا كما ان كسبته مالا افصح من اكسبته والمراد بالفصاحة انه
على السنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم ادور وهم له اكثر استعمالا وقرأ ابو حيوة فروي عن نافع مثل ما
اصاب بالفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت وما قوم لوط منكم ببعيد يعني انهم
اهلكوا في عهد قريب من عهدكم فهم اقرب الهالكين منكم او لا يبعدون منكم في الكفر والمساوي وما
يستحق به الهلاك وما ببعيد لم يرد على ما يقتضيه قومه من حمله على لفظه او معناه
اما ان يراد وما اهلاكهم ببعيد او وما هم بشيء بعيد او بزمان او مكان بعيد ويجوز ان يسوى في بعيد وقريب
وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل والنهيق ونحوهما رحيم ودود
عظيم الرحمة للتائبين فاعل بهم ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من الاحسان والاجمال ما نفقه ما نفهم كثيرا
مما تقول لانهم كانوا لا يلقون اليه اذهانهم رغبة عنه وكراهية له كقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه

أو كانوا يفقهونه ولكنهم لم يقبلوه فكأنهم لا يفقهونه أو قالوا ذلك على وجه الاستهانة به كما يقول الرجل لصاحبه إذا
لم يعبأ بحديثه ما أدري ما تقول أو جعلوا كلامه هذيانا وتخليطا لا ينفعهم كثير منه وكيف لا ينفعهم كلامه
وهو خطيب الأنبياء وقيل كان ألثغ وفينا ضعيفا لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا إن أردنا بك
مكروها وعن الحسن ضعيفا مهينا وقيل ضعيفا أعمى وحمير تسمي المكفوف ضعيفا كما تسمى ضريرا وليس بسديد
لأن فينا يأباه ألا ترى أنه لو قيل إنا لنراك فينا أعمى لم يكن كلاما لأن الأعمى يستوي فيه وفي غيرهم ولذلك قللوا قومه حيث
جعلوهم رهطا والرهط من الثلاثة إلى العشرة وقيل إلى السبعة وإنما قالوا ولولا رهطك احتراما لهم واعتدادا بهم
لأنهم كانوا على ملتهم لا خوفا من شوكتهم وعزتهم لرجمناك لقتلناك شر قتلة وما أنت علينا بعزيز أي لا
تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وإنما يعز علينا رهطك لأنهم من أهل ديننا لم
يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا وقد دل إيلاء ضميره حرف النفي على أن الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل كأنه
قيل وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الأعزة علينا ولذلك قال في جوابهم أرهطي أعز عليكم من الله ولو قيل وما عززت
علينا لم يصح هذا الجواب فإن قلت الكلام واقع فيه وفي رهطه وأنهم الأعزة عليهم دونه فكيف صح
قوله أرهطي أعز عليكم من الله قلت تهاونهم به وهو نبي الله تهاون بالله فحين عز عليهم رهطه دونه كان
رهطه أعز عليهم من الله ألا ترى إلى قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ونسيتموه
وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به والظهري منسوب إلى الظهر والكسر من تغييرات النسب
ونظيره قولهم في النسبة إلى الأمس إمسي إن ربي بما تعملون محيط قد أحاط بأعمالكم علما فلا يخفى عليه شيء منها على مكانتكم لا
تخلو المكانة من أن تكون بمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة أو تكون مصدرا من مكن مكانة فهو
مكين والمعنى اعملوا قارين على جهتكم التي أنتم عليها من الشرك والشنآن لي أو اعملوا متمكنين من عداوتي مطيقين لها إني
عامل على حسب ما يؤتيني الله من النصرة والتأييد ويمكنني من يأتيه يجوز أن تكون من استفهامية معلقة لفعل العلم
عن عمله فيها كأنه قيل سوف تعلمون أينا يأتيه عذاب يخزيه وأينا هو كاذب وأن تكون موصولة قد عمل فيها كأنه
قيل سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب فإن قلت أي فرق بين إدخال الفاء
ونزعها في سوف تعلمون قلت إدخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها وصل خفي
تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا فماذا يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت
أنت فقال سوف تعلمون فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب وأقوى
الوصلين وأبلغهما الاستئناف وهو باب من أبواب علم البيان تتكاثر محاسنه وارتقبوا وانتظروا العاقبة
وما أقول لكم إني معكم رقيب منتظر والرقيب بمعنى الراقب من رقبه كالضريب والصريم بمعنى الضارب
والصارم أو بمعنى المراقب كالعشير والنديم أو بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع
قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على مكانته ثم أتبعه ذكر عاقبة العاملين منه
ومنهم فكان القياس أن تقول من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق حتى ينصرف من يأتيه عذاب يخزيه إلى الجاحدين
ومن هو صادق إلى النبي المبعوث إليهم قلت القياس ما ذكرت ولكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال
ومن هو كاذب يعني في زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم فإن قلت ما بال ساقتي قصة عاد وقصة مدين
جاءتا بالواو والساقتان الوسطيان بالفاء قلت قد وقعت الوسطيان بعد ذكر الوعد وذلك قوله إن موعدهم
الصبح وذلك وعد غير مكذوب فجيء بالفاء الذي هو للتسبيب كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت وأما
الأخريان فلم تقعا بتلك المثابة وإنما وقعتا مبتدأتين فكان حقهما أن تعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف

قصة على قصة الجاثم اللازم لمكانه لا يريم يعني أن جبريل صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث
هو قاعدا كأن لم يغنوا كأن لم يقيموا في ديارهم أحياء متصرفين مترددين البعد بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد
بمعنى الرشد ألا ترى إلى قوله كما بعدت وقرأ السلمي بعدت بضم العين والمعنى في البناءين واحد وهو نقيض القرب إلا
أنهم أرادوا التفرقة بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء كما فرقوا بين ضماني الخير والشر فقالوا وعد وأوعد
وقراءة السلمي جاءت على الأصل اعتبارا لمعنى البعد من غير تخصيص كما يقال ذهب فلان ومضى في معنى الموت
وقيل معناه بعدا لهم من رحمة الله كما بعدت ثمود منها بآياتنا وسلطان مبين فيه وجهان أن يراد أن هذه الآيات فيها
سلطان لموسى على صدق نبوته وأن يراد بالسلطان المبين العصا لأنها أبهرها وما أمر فرعون برشيد تجهيل لمتبعيه حيث
شايعوه على أمره وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيه أدنى مسكة من العقل وذلك أنه ادعى الإلهية وهو
بشر مثلهم وجاهر بالعسف والظلم والشر الذي لا يأتي إلا من شيطان مارد ومثله بمعزل من الإلهية ذاتا وأفعالا
فاتبعوه وسلموا له دعواه وتتابعوا على طاعته والأمر الرشيد الذي فيه رشد أي وما أمره برشد إنما هو غي صريح وضلال
ظاهر مكشوف وإنما يتبع العقلاء من يرشدهم ويهديهم لا من يضلهم ويغويهم وفيه أنهم عاينوا الآيات
والسلطان المبين في أمر موسى عليه السلام وعلموا أن معه الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه إلى اتباع من ليس في أمره
رشد قط يقدم قومه أي كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم إلى النار وهم يتبعونه ويجوز أن يريد بقوله وما
أمر فرعون برشيد وما أمره بصالح حميد العاقبة ويكون قوله يقدم قومه تفسيرا لذلك وإيضاحا أي كيف يرشد أمر
من هذه عاقبته والرشد يستعمل في كل ما يحمد ويرتضى كما استعمل الغي في كل ما يذم ويتسخط ويقال قدمه
بمعنى تقدمه ومنه قادمة الرحل كما يقال قدمة بمعنى تقدمة ومنه مقدمة الجيش وأقدم بمعنى تقدم ومنه مقدم
العين فإن قلت هلا قيل يقدم قومه فيوردهم ولم جيء بلفظ الماضي قلت لأن الماضي يدل على أمر موجود
مقطوع به فكأنه قيل يقدمهم فيوردهم النار لا محالة والورد المورد الذي وردوه شبه بالفارط الذي يتقدم الواردة
إلى الماء وشبه أتباعه بالواردة ثم قيل بئس الورد المورود الذي يردونه النار لأن الورد إنما يراد لتسكين العطش وتبريد
الأكباد والنار ضده وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة أي يلعنون في الدنيا ويلعنون في الآخرة بئس الرفد المرفود
أي بئس العون المعان وذلك أن اللعنة في الدنيا رفد للعذاب ومدد له وقد رفدت باللعنة في الآخرة وقيل بئس
العطاء المعطى ذلك مبتدأ من أنباء القرى نقصه عليك خبر بعد خبر أي ذلك النبأ بعض أنباء القرى المهلكة مقصوص
عليك منها الضمير للقرى أي بعضها باق وبعضها عافي الأثر كالزرع القائم على ساقه والذي حصد
فإن قلت ما محل هذه الجملة قلت هي مستأنفة لا محل لها وما ظلمناهم بإهلاكنا ولكن ظلموا أنفسهم بارتكاب ما
به أهلكوا فما أغنت عنهم آلهتهم فما قدرت أن ترد بأس الله التي يدعون يعبدون وهي حكاية حال ماضية ولما
منصوب بما أغنت أمر ربك عذابه ونقمته تتبيب تخسير يقال تب إذا خسر وتببه غيره أوقعه في الخسران
محل الكاف الرفع تقديره ومثل ذلك الأخذ أخذ ربك والنصب فيمن قرأ وكذلك أخذ ربك بلفظ الفعل
وقرئ إذ أخذ القرى وهي ظالمة حال من القرى أليم شديد وجيع صعب على المأخوذ وهذا تحذير من
وخامة عاقبة الظلم لكل أهل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها بل لكل من ظلم غيره أو نفسه بذنب يقترفه
فعلى كل مذنب أن يحذر أخذ ربه الأليم الشديد فيبادر التوبة ولا يغتر بالإمهال ذلك إشارة إلى ما قص الله
من قصص الأمم الهالكة بذنوبهم لآية لمن خاف لعبرة له لأنه ينظر إلى ما أحل الله بالمجرمين في الدنيا وما هو إلا
أنموذج مما أعد لهم في الآخرة فإذا رأى عظمه وشدته اعتبر به عظم العذاب الموعود فيكون له عظة ولطفا في
زيادة التقوى والخشية من الله ونحوه إن في ذلك لعبرة لمن يخشى ذلك إشارة إلى يوم القيامة لأن عذاب الآخرة دل

عليه والناس رفع باسم المفعول الذي هو مجموع كما يرفع بفعله إذا قلت يجمع له الناس   لأي فائدة أوثر اسم المفعول
على فعله   لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وأنه يوم لا بد من أن يكون ميعادا مضروبا
لجمع له الناس وأنه الموصوف بذلك صفة لازمة وهو أثبت أيضا لإسناد الجمع إلى الناس وأنهم لا ينفكون منه ونظيره
قول المتهدد إنك لمنهوب مالك محروب قومك فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس في الفعل وإن شئت فوازن بينه وبين
قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع تعثر على صحة ما قلت لك ومعنى يجمعون له يجمعون لما فيه من الحساب والثواب
والعقاب يوم مشهود فيه فاتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به كقوله   ويوم شهدناه سليما وعامرا
أي تشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه أحد والمراد بالمشهود الذي كثر شاهدوه ومنه قولهم
لفلان مجلس مشهود وطعام محضور قال في محفل من نواصي الناس مشهود   ما منعك أن
تجعل اليوم مشهودا في نفسه دون أن تجعله مشهودا فيه كما قال الله فمن شهد منكم الشهر فليصمه
الغرض وصف ذلك اليوم بالهول والعظم وتميزه من بين الأيام فإن جعلته مشهودا في نفسه فسائر الأيام كذلك
مشهودات كلها ولكن يجعل مشهودا فيه حتى يحصل التميز كما تميز يوم الجمعة عن أيام الأسبوع بكونه مشهودا
فيه دونها ولم يجز أن يكون مشهودا في نفسه لأن سائر أيام الأسبوع مثله يشهدها كل من يشهده وكذلك قوله
فمن شهد منكم الشهر فليصمه الشهر منتصب ظرفا لا مفعولا به وكذلك الضمير في فليصمه والمعنى فمن
شهد منكم في الشهر فليصم فيه يعني فمن كان منكم مقيما حاضرا في الوطن في شهر رمضان فليصم فيه ولو نصبته
مفعولا فالمسافر والمقيم كلاهما يشهدان الشهر لا يشهده المقيم ويغيب عنه المسافر والأجل يطلق على مدة
التأجيل كلها وعلى منتهاها فيقولون انتهى الأجل وبلغ الأجل فإذا جاء أجلهم يراد آخر مدة التأجيل
والعد إنما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها فمعنى قوله وما نؤخره إلا لأجل معدود إلا لانتهاء مدة معدودة
بحذف المضاف وقرئ وما يؤخره بالياء وقرئ فيوم يأت بغير ياء ونحوه قولهم لا أدر حكاه الخليل وسيبويه
وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسر كثير في لغة هذيل   فاعل يأتي ما هو   الله عز وجل
كقوله هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله أو يأتي ربك وجاء ربك ويعضده قراءة من قرأ وما يؤخره بالياء وقوله بإذنه
ويجوز أن يكون الفاعل ضمير اليوم كقوله أن تأتيهم الساعة   بم انتصب الظرف
إما أن ينتصب بلا تكلم وإما بإضمار اذكر وإما بالانتهاء المحذوف في قوله إلا لأجل معدود أي ينتهي الأجل يوم
يأتي   فإذا جعلت الفاعل ضمير اليوم فقد جعلت اليوم وقتا لإتيان اليوم وحددت الشيء بنفسه
المراد إتيان هوله وشدائده لا تكلم لا تتكلم وهو نظير قوله لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن
كيف يوفق بين هذا وبين قوله يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وقوله هذا يوم لا ينطقون
ولا يؤذن لهم فيعتذرون   ذلك يوم طويل له مواقف ومواطن ففي بعضها يجادلون عن أنفسهم
وفي بعضها يكفون عن الكلام فلا يؤذن لهم وفي بعضها يؤذن لهم فيتكلمون وفي بعضها يختم على أفواههم
وتكلم أيديهم وتشهد أرجلهم فمنهم الضمير لأهل الموقف ولم يذكروا لأن ذلك معلوم ولأن قوله لا تكلم نفس
يدل عليه وقد مر ذكر الناس في قوله مجموع له والشقي الذي وجبت له النار لإساءته والسعيد الذي وجبت له الجنة
لإحسانه قراءة العامة بفتح الشين وقرأ الحسن شقوا بالضم كما قرئ سعدوا والزفير إخراج النفس والشهيق
رده قال الشماخ   بعيد مدى التطريب أول صوته زفير ويتلوه شهيق محشرج   ما دامت السماوات
والأرض فيه وجهان أحدهما أن تراد سماوات الآخرة وأرضها وهي دائمة مخلوقة للأبد والدليل على أن لها سماوات
وأرضا قوله يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وقوله وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء ولأنه

لا بد لأهل الآخرة مما يقلهم ويظلهم إما سماء يخلقها الله أو يظلهم العرش وكل ما أظلك فهو سماء والثاني
أن يكون عبارة عن التأبيد ونفي الانقطاع كقول العرب ما دام تعار وما أقام ثبير وما لاح كوكب وغير ذلك من
كلمات التأبيد   فما معنى الاستثناء في قوله إلا ما شاء ربك وقد ثبت خلود أهل الجنة والنار في الأبد
من غير استثناء   هو استثناء من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم الجنة وذلك أن أهل النار
لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وبأنواع من العذاب سوى عذاب النار وبما هو أغلظ منها
كلها وهو سخط الله عليهم وخسؤه لهم وإهانته إياهم وكذلك أهل الجنة لهم سوى الجنة ما هو أكبر منها
وأجل موقعا منهم وهو رضوان الله كما قال وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين ومساكن
طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ولهم ما يتفضل الله به عليهم سوى ثواب الجنة مما لا يعرف كنهه
إلا هو فهو المراد بالاستثناء والدليل عليه قوله عطاء غير مجذوذ ومعنى قوله في مقابلته إن ربك فعال لما يريد
أنه يفعل بأهل النار ما يريد من العذاب كما يعطي أهل الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له فتأمله فإن القرآن يفسر
بعضه بعضا ولا يخدعنك عنه قول المجبرة إن المراد بالاستثناء خروج أهل الكبائر من النار بالشفاعة فإن
الاستثناء الثاني ينادي على تكذيبهم ويسجل بافترائهم وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله لما روى لهم بعض النوابت
عن عبد الله بن عمرو ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابا وقد بلغني
أن من الضلال من اغتر بهذا الحديث فاعتقد أن الكفار لا يخلدون في النار وهذا ونحوه من الخذلان المبين زادنا
الله هداية إلى الحق ومعرفة بكتابه وتنبيها على أن نعقل عنه ولئن صح هذا عن ابن العاص فمعناه أنهم يخرجون من حر
النار إلى برد الزمهرير فذلك خلو جهنم وصفق أبوابها وأقول ما كان لابن عمرو في سيفيه ومقاتلته بهما علي
ابن أبي طالب رضوان الله عليه ما يشغله عن تسيير هذا الحديث غير مجذوذ غير مقطوع ولكنه ممتد إلى غير نهاية
كقوله لهم أجر غير ممنون لما قص قصص عبدة الأوثان وذكر ما أحل بهم من نقمه وما أعد لهم من عذابه قال فلا
تك في مرية مما يعبد هؤلاء أي فلا تشك بعد ما أنزل عليك من هذه القصص في سوء عاقبة عبادتهم وتعرضهم
بها لما أصاب أمثالهم قبلهم تسلية لرسول الله وعدة بالانتقام منهم ووعيدا لهم ثم قال ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم
يريد أن حالهم في الشرك مثل حال آبائهم من غير تفاوت بين الحالين وقد بلغك ما نزل بآبائهم فسينزل بهم
مثله وهو استئناف معناه تعليل النهي عن المرية وما في مما وكما يجوز أن تكون مصدرية وموصولة أي من عبادتهم
وكعبادتهم أو مما يعبدون من الأصنام ومثل ما يعبدون منها وإنا لموفوهم نصيبهم أي حظهم من العذاب
أي كما وفينا آباءهم أنصباءهم   كيف نصب غير منقوص حالا عن النصيب الموفى
يجوز أن يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل ألا تراك تقول وفيته شطر حقه وثلث حقه وحقه كاملا وناقصا
فاختلف فيه آمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف في القرآن ولولا كلمة يعني كلمة الإنظار إلى يوم القيامة لقضي
بينهم بين قوم موسى أو قومك وهذه من جملة التسلية أيضا وإن كلا التنوين عوض من المضاف إليه يعني وإن
كلهم وإن جميع المختلفين ليوفينهم جواب قسم محذوف واللام في لما موطئة للقسم وما مزيدة والمعنى
وإن جميعهم والله ليوفينهم ربك أعمالهم من حسن وقبيح وإيمان وجحود وقرئ وإن كلا بالتخفيف على إعمال المخففة
عمل الثقيلة اعتبارا لأصلها الذي هو التثقيل وقرأ أبي وإن كل لما ليوفينهم على أن إن نافية ولما بمعنى إلا وقراءة عبد
الله مفسرة لها وإن كل إلا ليوفينهم وقرأ الزهري وسليمان بن أرقم وإن كلا لما ليوفينهم بالتنوين كقوله أكلا لما
والمعنى وإن كلا ملمومين بمعنى مجموعين كأنه قيل وإن كلا جميعا كقوله فسجد الملائكة كلهم أجمعون فاستقم
كما أمرت فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي أمرت بها على جادة الحق غير عادل عنها ومن تاب معك معطوف

على المستتر في استقم وانما جاز العطف عليه ولم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه والمعنى فاستقم انت وليستقم من
تاب عن الكفر وآمن معك ولا تطغوا ولا تخرجوا عن حدود الله انه بما تعملون بصير عالم فهو مجازيكم فاتقوه وعن ابن عباس
رضي الله عنه ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع القرآن آية كانت اشد ولا اشق عليه من هذه الآية ولهذا
قال شيبتني هود والواقعة واخواتهما وروي ان اصحابه قالوا لقد اسرع فيك الشيب فقال شيبتني هود وعن بعضهم رايت
رسول الله صلى الله عليه فقلت له روي عنك انك قلت شيبتني هود قال نعم قلت ما الذي شيبك منها اقصص الانبياء
وهلاك الامم فقال لا ولكن قوله فاستقم كما امرت وعن جعفر الصادق عليه السلام قال فاستقم كما امرت قال افتقر
الى الله بصحة العزم قرئ ولا تركنوا بفتح الكاف وضمها مع فتح التاء وعن ابي عمرو بكسر التاء وفتح الكاف على لغة تميم في
كسرهم حروف المضارعة الا الياء في كل ما كان من باب علم يعلم ونحوه قراءة من قرا فتمسكم النار بكسر
التاء وقرا ابن ابي عبلة ولا تركنوا على البناء للمفعول من اركنه اذا اماله والنهي متناول للانحطاط في هواهم والانقطاع
اليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضى باعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد
العين وذكرهم بما فيه تعظيم لهم وتامل قوله ولا تركنوا فان الركون هو الميل اليسير وقوله الى الذين ظلموا اي
الذين وجد منهم الظلم ولم يقل الى الظالمين وحكي ان الموفق صلى خلف الامام فقرا بهذه الآية فغشي عليه
فلما افاق قيل له فقال هذا فيمن ركن الى من ظلم فكيف بالظالم وعن الحسن رحمه الله جعل الله الدين بين
لاءين ولا تطغوا ولا تركنوا ولما خالط الزهري السلاطين كتب اليه اخ له في الدين عافانا الله واياك ابا بكر من الفتن
فقد اصبحت بحال ينبغي لمن عرفك ان يدعو لك الله اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله بما فهمك من كتابه
وعلمك من سنة نبيه وليس كذلك اخذ الله الميثاق على العلماء وقال الله سبحانه لتبيننه ولا تكتمونه واعلم
ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت انك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك
باطلا حين ادناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى باطلهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيك
الى ضلالهم يدخلون الشك بك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما ايسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك
وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا عليك من دينك فما يؤمنك ان تكون ممن قال الله فيهم فخلف من بعدهم
خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا فانك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو
دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر السفر البعيد وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء والسلام
وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون للملوك وعن الاوزاعي ما من شيء ابغض الى الله من عالم
يزور عاملا وعن محمد بن سلمة الذباب على العذرة احسن من قارئ على باب هؤلاء وقال رسول الله صلى الله عليه من
دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه ولقد سئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل يسقى
شربة ماء فقيل لا فقيل يموت فقال دعه يموت وما لكم من دون الله من اولياء حال من قوله فتمسكم النار
وانتم على هذه الحال ومعناه وما لكم من دون الله من انصار يقدرون على منعكم من عذابه لا يقدر على منعكم
منه غيره ثم لا تنصرون ثم لا ينصركم هو لانه وجب في حكمته تعذيبكم وترك الابقاء عليكم
فما معنى ثم معناها الاستبعاد لان النصر من الله مستبعد مع استيجابهم العذاب وقضائه بتعذيبهم
طرفي النهار غدوة وعشية وزلفا من الليل وساعات من الليل وهي ساعاته القريبة من آخر النهار من ازلفه
اذا قربه وازدلف اليه وصلاة الغدوة الفجر وصلاة العشية الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلاة
الزلف المغرب والعشاء وانتصاب طرفي النهار على الظرف لانهما مضافان الى الوقت كقولك اقمت عنده جميع
النهار واتيته نصف النهار واوله وآخره تنصب هذا كله على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه ونحوه واطراف النهار وآوله

النهار وقرئ وزلفا بضمتين وزلفا بسكون اللام وزلفى بوزن قربى فالزلف جمع زلفة كظلم في ظلمة والزلف بالسكون
نحو بسرة وبسر والزلف بضمتين نحو يسر في يسر والزلفى بمعنى الزلفة كما ان القربى بمعنى القربة وهو ما يقرب من
آخر النهار من النهار وقيل وزلفا من الليل وقربا من الليل وحقها على هذا التفسير ان تعطف على الصلاة اي اقم
الصلاة طرفي النهار واقم زلفا من الليل على معنى اقم صلوات تتقرب بها الى الله في بعض الليل ان الحسنات يذهبن
السيئات فيه وجهان احدهما ان يراد تكفير المعاصي بالطاعات وفي الحديث ان الصلاة الى الصلاة كفارة ما بينهما
ما اجتنبت الكبائر والثاني ان الحسنات يذهبن السيئات بان يكن لطفا في تركها كقوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء
والمنكر وقيل نزلت في ابي اليسر عمرو بن غزية الانصاري كان يبيع التمر فاتته امراة فاعجبته فقال لها ان في
هذا البيت اجود من هذا التمر فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم فاتى
رسول الله صلى الله عليه فاخبره بما فعل فقال له انتظر امر ربي فلما صلى صلاة العصر نزلت فقال له نعم
اذهب فانها كفارة لما عملت وروي انه اتى ابا بكر فاخبره فقال له استر على نفسك وتب الى الله فاتى عمر
فقال له مثل ذلك فاتى رسول الله فنزلت فقال عمر هذا خاصة ام للناس عامة فقال بل للناس عامة وروي
ان رسول الله صلى الله عليه قال له توضا وضوءا حسنا وصل ركعتين ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك اشارة
الى قوله فاستقم فما بعده ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين ثم ذيل التذكير بالصبر بعد ما جاء بما هو خاتمة
التذكير وهذا كالافراد لفضل خصوصية ومزية وتنبيه على مكان الصبر ومحله كانه قال وعليك بما هو
اهم مما ذكرت به واحق بالتوصية وهو الصبر على امتثال ما امرت به والانتهاء عما نهيت عنه فلا يتم شيء منه
الا به فان الله لا يضيع اجر المحسنين جاء بما هو مشتمل على الاستقامة واقامة الصلوات والانتهاء عن الطغيان والركون
الى الظالمين والصبر وغير ذلك من الحسنات فلولا كان من القرون فهلا كان وقد حكوا عن الخليل كل لولا
في القرآن فمعناها هلا الا التي في الصافات ~~ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما~~ ولولا رجال مؤمنون ولولا ان
ثبتناك لقد كدت تركن اليهم اولو بقية اولو فضل وسمي الفضل والجودة بقية لان الرجل يستبقي مما يخرجه اجوده
وافضله فصار مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم وبه فسر بيت الحماسة
ان تذنبوا ثم تاتيني بقيتكم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ويجوز ان تكون البقية بمعنى البقوى
كالتقية بمعنى التقوى اي فهلا كان منهم ذوو ابقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه وقرئ اولو بقية بوزن
لقية من بقاه يبقيه اذا راقبه وانتظره والبقية المرة من مصدره والمعنى فلولا كان منهم
اولو مراقبة وخشية من انتقام الله كانهم ينتظرون ايقاعه بهم لاشفاقهم الا قليلا استثناء منقطع معناه ولكن
قليلا ممن انجينا من القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهي ومن في ممن انجينا حقها ان تكون للبيان لا
للتبعيض لان النجاة انما هي للناهين وحدهم بدليل قوله عز وجل انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين
ظلموا هل لوقوع هذا الاستثناء متصلا وجه يحمل عليه ان جعلته متصلا على ما عليه ظاهر
الكلام كان المعنى فاسدا لانه يكون تحضيضا لاولي البقية على النهي عن الفساد الا للقليل من الناجين منهم كما
تقول هلا قرا قومك القرآن الا الصلحاء منهم تريد استثناء الصلحاء من المحضضين على قراءة القرآن وان قلت
في تحضيضهم على النهي عن الفساد معنى نفيه عنهم فكانه قيل ما كان من القرون اولو بقية الا قليلا كان
استثناء متصلا ومعنى صحيحا وكان انتصابه على اصل الاستثناء وان كان الافصح ان يرفع على البدل واتبع الذين ظلموا
ما اترفوا فيه اراد بالذين تاركي النهي عن المنكرات اي لم يهتموا بما هو ركن عظيم من اركان الدين وهو الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر وعقدوا هممهم بالشهوات واتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والترف من حب الرياسة والثروة وطلب

اسباب العيش الهني ورفضوا ما وراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم وقرأ ابو عمرو في رواية الجعفي واتبع الذين ظلموا
يعني واتبعوا جزاء ما اترفوا فيه ويجوز ان يكون المعنى في القراءة المشهورة انهم اتبعوا جزاء اترافهم وهذا معنى قوي
لتقدم الانجاء كانه قيل الا قليلا ممن انجينا منهم وهلك السائر **فان قلت** علام عطف قوله واتبع الذين
ظلموا **قلت** ان كان معناه واتبعوا الشهوات كان معطوفا على مضمر لان المعنى الا قليلا ممن انجينا منهم نهوا
عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا وان كان معناه واتبعوا جزاء الاتراف فالواو للحال كانه
قيل انجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاءهم فقوله وكانوا مجرمين على اترفوا اي
اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالاثام او اريد بالاجرام اغفالهم للشكر او على اتبعوا اي
اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك ويجوز ان يكون اعتراضا وحكما عليهم بانهم مجرمون كان ليهلك
واللام لتاكيد النفي وبظلم حال من الفاعل والمعنى واستحال في الحكمة ان يهلك الله القرى ظالما لها واهلها
قوم مصلحون تنزيها لذاته عن الظلم وايذانا بان اهلاك المصلحين من الظلم وقيل الظلم الشرك ومعناه انه لا يهلك
القرى بسبب شرك اهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمون الى شركهم فسادا اخر ولو شاء ربك
لجعل الناس امة واحدة يعني لاضطرهم الى ان يكونوا اهل امة واحدة اي ملة واحدة وهي ملة الاسلام كقوله
ان هذه امتكم امة واحدة وهذا الكلام يتضمن نفي الاضطرار وانه لم يضطرهم الى الاتفاق على دين الحق
ولكنه مكنهم من الاختيار الذي هو اساس التكليف فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل فاختلفوا فلذلك
قال ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه ولذلك
خلقهم ذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام الاول وتضمنه يعني ولذلك من التمكين والاختيار الذي كان عنه الاختلاف
خلقهم ليثيب مختار الحق بحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره وتمت كلمة ربك وهي قوله للملائكة
لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين لعلمه بكثرة من يختار الباطل وكلا التنوين فيه عوض من المضاف
اليه كانه قيل وكل نبإ نقص عليك من انباء الرسل لكل وما نثبت به فؤادك بدل من كلا ويجوز ان يكون
المعنى وكل اقتصاص نقص عليك على معنى وكل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك يعني على الاساليب المختلفة
وما نثبت به مفعول نقص عليك ومعنى تثبيت فؤاده زيادة يقينه وما فيه طمأنينة قلبه لان تكاثر الادلة اثبت
للقلب وارسخ للعلم وجاءك في هذه الحق في هذه السورة او في هذه الانباء المقتصة فيها ما هو حق وموعظة
وذكرى وقل للذين لا يؤمنون من اهل مكة وغيرهم اعملوا على حالكم وجهتكم التي انتم عليها انا عاملون وانتظروا
بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما اقتص الله من النقم النازلة باشباهكم ولله غيب السموات والارض
لا تخفى عليه خافية مما يجري فيهما فلا تخفى عليه اعمالكم واليه يرجع الامر كله فلا بد ان ترجع اليه امرهم وامرك
فينتقم لك منهم فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وكافلك وما ربك بغافل عما تعملون بالتاء اي انت
وهم على تغليب المخاطب عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة هود اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من
صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيمة من السعداء ان شاء الله

سورة يوسف مكية وهي مائة واحدى عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

تلك اشارة الى آيات السورة والكتاب المبين السورة اي تلك الآيات التي انزلت اليك في هذه السورة آيات السورة الظاهر
امرها في اعجاز العرب وتبكيتهم او التي تبين لمن تدبرها انها من عند الله لا من عند البشر او الواضحة التي لا تشتبه على
العرب معانيها لنزوله بلسانهم او قد ابين فيها ما سألت عنه اليهود من قصة يوسف فقد روي ان علماء اليهود قالوا
لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف انا انزلناه اي انزلنا هذا الكتاب الذي فيه
قصة يوسف في حال كونه قرآنا عربيا وسمي بعض القرآن قرآنا لان القرآن اسم جنس يقع على كله وبعضه لعلكم
تعقلون ارادة ان تفهموه وتحيطوا بمعانيه ولا يلتبس عليكم ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته القصص
على وجهين يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص تقول قص الحديث يقصه قصصا كقولك شله يشله شلا اذا طرده ويكون
فعلا بمعنى مفعول كالنفض والحسب ونحوه النبأ والخبر في معنى المنبأ به والمخبر به ويجوز ان يكون من تسمية
المفعول بالمصدر كالخلق والصيد فان اريد المصدر فمعناه نحن نقص عليك احسن الاقتصاص بما اوحينا اليك هذا
القرآن اي بايحائنا اليك هذه السورة على ان يكون احسن منصوبا نصب المصدر لاضافته اليه ويكون المقصوص محذوفا
لان قوله بما اوحينا اليك هذا القرآن مغن عنه ويجوز ان ينتصب هذا القرآن بنقص كانه قيل نحن نقص عليك
احسن الاقتصاص هذا القرآن بايحائنا اليك والمراد باحسن الاقتصاص انه اقتص على احسن طريقة واعجب اسلوب
الا ترى ان هذا الحديث مقتص في كتب الاولين وفي كتب التواريخ ولا ترى اقتصاصه في كتاب منها مقاربا لاقتصاصه
في القرآن وان اريد بالقصص المقصوص فمعناه نحن نقص عليك احسن ما يقص من الاحاديث وانما كان احسنه
لما يتضمن من العبر والنكت والحكم والعجائب التي ليست في غيره والظاهر انه احسن ما يقتص في بابه كما يقال في الرجل
هو اعلم الناس وافضلهم يراد في فنه **فان قلت** مم اشتقاق القصص **قلت** من قص اثره اذا اتبعه لان
الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا كما يقال تلا القرآن اذا قرأه لانه يتلو اي يتبع ما حفظ منه آية بعد آية وان كنت
ان مخففة من الثقيلة واللام هي التي تفرق بينها وبين النافية والضمير في قبله راجع الى قوله ما اوحينا والمعنى وان الشان
والحديث كنت من قبل ايحائنا اليك من الغافلين عنه اي من الجاهلين به ما كان لك فيه علم قط ولا طرق سمعك طرف منه اذ قال يوسف
بدل من احسن القصص وهو من بدل الاشتمال لان الوقت مشتمل على القصص وهو المقصوص فاذا قص وقته فقد قص او باضمار اذكر
ويوسف اسم عبراني وقيل عربي وليس بصحيح لانه لو كان عربيا لانصرف لخلوه عن سبب آخر سوى التعريف **فان قلت**
فما تقول فيمن قرأ يوسف بكسر السين او يوسف بفتحها هل يجوز على قراءته ان يقال هو عربي لانه على وزن الفعل المضارع
المبني للفاعل والمفعول من آسف وانما منع الصرف للتعريف ووزن الفعل **قلت** لا لان القراءة المشهورة قامت
بالشهادة على ان الكلمة اعجمية فلا تكون عربية تارة واعجمية اخرى ونحو يوسف يونس رويت فيه هذه اللغات الثلاث ولا
يقال هو عربي لانه في لغتين منها بوزن المضارع من آنس وأونس وعن النبي صلى الله عليه اذا قيل من الكريم فقولوا
الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم يا ابت قرئ بالحركات الثلث
فان قلت ما هذه التاء **قلت** تاء تأنيث وقعت عوضا من ياء الاضافة والدليل على انها تاء تأنيث قلبها
هاء في الوقف **فان قلت** كيف جاز الحاق تاء التأنيث بالمذكر **قلت** كما جاز قولك حمامة ذكر وشاة ذكر
ورجل ربعة وغلام يفعة **فان قلت** فلم ساغ تعويض تاء التأنيث من ياء الاضافة **قلت** لان التأنيث والاضافة
يتناسبان في ان كل واحد منهما زيادة مضمومة الى الاسم في آخره **فان قلت** فما هذه الكسرة **قلت**
هي الكسرة التي كانت قبل الياء في قولك يا ابي قد زحلقت الى التاء لاقتضاء تاء التأنيث ان يكون ما قبلها مفتوحا
فان قلت فما بال الكسرة لم تسقط بالفتحة التي اقتضتها التاء وتبقى ساكنة **قلت** امتنع ذلك فيها
لانها اسم والاسماء حقها التحريك لاصالتها في الاعراب وانما جاز تسكين الياء واصلها ان تحرك تخفيفا
لانها حرف لين واما التاء فحرف صحيح نحو الكاف والضمير فلزم تحريكها **فان قلت** يشبه الجمع بين التاء وبين هذه الكسرة
الجمع بين العوض والمعوض منه لانها في حكم الياء اذا قلت يا غلام فكما لا يجوز يا ابتي فلا يجوز يا ابت **قلت**
الياء والكسرة قبلها شيئان والتاء عوض من احدى الشيئين وهي الياء والكسرة غير متعرض لها فلا جمع بين العوض
والمعوض منه الا اذا جمع بين التاء والياء لا غير الا ترى الى قولهم يا ابتا مع كون الالف فيه بدلا من الياء كيف جاز

لجمع بينها وبين التاء ولم يعد ذلك جمعا بين العوض والمعوض منه فالالف ابعد من ذلك قال قلت فقد دلت
الالف في يا غلاما على الاضافة لانها قرينة الياء ولصيقتها فان دلت على مثل ذلك في يا ابتا فالتاء المعوضة لغو وجودها
كعدمها قلت بل حالها مع التاء كحالها مع الياء اذا قلت يا ابي قال فما وجه من قرا بفتح التاء وضمها
قلت اما من فتح فقد حذف الالف من يا ابتا واستبقى الفتحة قبلها كما فعل من حذف الياء في يا غلامي ويجوز
ان يقال حركها بحركة الياء المعوض منها في قولك يا ابي واما من ضم فقد راى اسما في آخره تاء تانيث فاجراه مجرى
الاسماء المؤنثة بالتاء فقال يا ابة من غير اعتبار لكونها عوضا من ياء الاضافة وقرئ اني رايت بتحريك الياء واحد عشر
بسكون العين تخفيفا لتوالي المتحركات فيما هو في حكم اسم واحد وكذلك الى تسعة عشر الا اثني عشر لئلا
يلتقي ساكنان ورايت من الرؤيا لا من الرؤية لان ما ذكره معلوم انه منام لان الشمس والقمر لو اجتمعا مع الكواكب
ساجدة ليوسف في حال اليقظة لكانت اية عظيمة ليعقوب عليه السلام ولما خفيت عليه وعلى الناس قال قلت
ما اسماء تلك الكواكب قلت روي ان يهوديا جاء الى النبي صلى الله عليه فقال يا محمد اخبرني عن النجوم
التي راهن يوسف فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل فاخبره بذلك فقال النبي صلى الله عليه لليهودي ان
اخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين
رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها وقيل الشمس والقمر
ابواه وقيل ابوه وخالته والكواكب اخوته وعن وهب ان يوسف راى وهو ابن سبع سنين ان احد عشر عصا طوالا
كانت مركوزة في الارض كهيئة الدارة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك
ان تذكر هذا لاخوتك ثم راى وهو ابن ثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه فقال لا تقصها
عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومسير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون قال قلت
لم اخر الشمس والقمر قلت اخرهما ليعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص بيانا لفضلهما واستبدادهما
بالمزية على غيرهما من الطوالع كما اخر جبريل وميكائيل عن الملائكة ثم عطفهما كذلك ويجوز ان تكون الواو
بمعنى مع اي رايت الكواكب مع الشمس والقمر قال قلت ما معنى تكرار رايت قلت ليس بتكرار انما
هو كلام مستانف على تقدير سؤال وقع جوابا له كان يعقوب عليه السلام قال له عند قوله اني رايت احد
عشر كوكبا كيف رايتها سائلا عن حال رؤيتها فقال رايتهم لي ساجدين قال قلت فلم اجريت مجرى العقلاء
في رايتهم لي ساجدين قلت لانه لما وصفها بما هو خاص بالعقلاء وهو السجود اجرى عليها حكمهم كانها عاقلة
وهذا كثير شائع في كلامهم ان يلابس الشيء الشيء من بعض الوجوه فيعطى حكما من احكامه اظهارا لاثر الملابسة
والمقاربة عرف يعقوب عليه السلام دلالة الرؤيا على ان يوسف يبلغه الله مبلغا من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم
عليه بشرف الدارين كما فعل بآبائه فخاف عليه حسد الاخوة وبغيهم والرؤيا بمعنى الرؤية الا انها مختصة بما كان
منها في المنام دون اليقظة فرق بينهما بحرفي التانيث كما قيل القربة والقربى وقرئ رؤياك بقلب الهمزة واوا
وسمع الكسائي رياك ورياك بالادغام وضم الراء وكسرها وهي ضعيفة لان الواو في تقدير الهمزة فلا
يقوى ادغامها كما لم يقو الادغام في قولهم اتزر من الازار واتجر من الاجر فيكيدوا منصوب باضمار ان والمعنى
ان قصصتها عليهم كادوك قال قلت هلا قيل فيكيدوك كما قيل فكيدوني قلت ضمن معنى فعل يتعدى
باللام ليفيد معنى الكيد مع افادة معنى الفعل المضمن فيكون آكد وابلغ في التخويف وذلك نحو فيحتالوا لك الا ترى
الى تاكيده بالمصدر ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة كما فعل بآدم وحواء وكقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم
فهو يحمل على الكيد والمكر وكل شر ليورط من يحمله ولا يؤمن ان يحملهم على مثله وكذلك ومثل ذلك

الاجتباء يجتبيك ربك يعني وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز وكبرياء شان
كذلك يجتبيك لامور عظام وقوله ويعلمك كلام مبتدا غير داخل في حكم التشبيه كانه قيل وهو يعلمك ويتم
نعمته عليك والاجتباء الاصطفاء افتعال من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك وجبيت الماء في الحوض جمعته والاحاديث
الرؤى لان الرؤيا اما حديث نفس او ملك او شيطان وتاويلها عبارتها وتفسيرها وكان يوسف اعبر الناس للرؤيا واصحهم
عبارة لها ويجوز ان يراد بتاويل الاحاديث معاني كتب الله وسنن الانبياء وما غمض واشتبه على الناس من
اغراضها ومقاصدها يفسرها لهم ويشرحها ويدلهم على مودعات حكمها وسميت احاديث لانه يحدث بها عن الله ورسله
فيقال قال الله وقال الرسول كذا وكذا الا ترى الى قوله فباي حديث بعده يؤمنون الله نزل احسن الحديث وهو اسم جمع
للحديث وليس بجمع احدوثة ومعنى اتمام النعمة عليهم انه وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة بان جعلهم انبياء في الدنيا
وملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات العلى في الجنة وقيل اتمها على ابراهيم بالخلة والانجاء من النار ومن ذبح الولد وعلى
اسحق باخراج يعقوب والاسباط من صلبه وقيل علم يعقوب ان يوسف يكون نبيا
واخوته انبياء استدلالا بضوء الكواكب فلذلك قال وعلى آل يعقوب وقيل لما بلغت الرؤيا اخوة يوسف حسدوه وقالوا
ما رضي ان يسجد له اخوته حتى يسجد له ابواه وقيل كان يعقوب مؤثرا له بزيادة المحبة والشفقة لصغره ولما يرى فيه من
المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما راى الرؤيا ضاعف له المحبة وكان يضمه كل ساعة الى صدره ولا يصبر عنه فتبالغ فيهم
الحسد وقيل الا قميص رؤياه على يعقوب قال هذا امر مشتت يجمعه الله بعد دهر طويل وآل الرجل اهله وهم نسله وغيرهم واصل
آل اهل بدليل تصغيره على اهيل الا انه لم يستعمل الا فيمن له خطر يقال آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحائك ولا
آل الحجام ولكن اهلهما واراد بالابوين الجد وابا الجد لانهما في حكم الاب في الاضافة ومن ثم يقولون ابن فلان
وان كان بينه وبين فلان عدة وابرهيم واسحق عطف بيان لابويك ان ربك عليم يعلم من يحق له الاجتباء حكيم
لا يتم نعمته الا على من يستحقها في يوسف واخوته اي في قصتهم وحديثهم آيات علامات ودلائل على قدرة الله
وحكمته في كل شيء للسائلين لمن سال عن قصتهم وعرفها وقيل آيات على نبوة محمد صلى الله عليه للذين سالوه من اليهود
عنها فاخبرهم بالصحة من غير سماع من احد ولا قراءة كتاب وقرئ آية في بعض المصاحف عبرة وقيل انما قص الله على
النبي عليه السلام خبر يوسف وبغي اخوته عليه لما راى من بغي قومه عليه ليتاسى به اسماؤهم يهوذا وروبيل وشمعون
ولاوي وزبالون ويشجر ودينة ودان ونفتالي وجاد واشر السبعة الاولون كانوا من ليا بنت خالة يعقوب والاربعة الآخرون
كانوا من سريتين زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف ليوسف اللام لام الابتداء
وفيها تاكيد وتحقيق لمضمون الجملة ارادوا ان زيادة محبته لهما امر ثابت لا شبهة فيه واخوه هو بنيامين وانما
قالوا اخوه وهم جميعا اخوته لان امهما كانت واحدة وقيل احب في الاثنين لان افعل من لا يفرق فيه بين
الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث اذا كان معه من ولا بد من الفرق مع لام التعريف واذا اضيف جاز
الامران والواو في ونحن عصبة واو الحال يعني انه يفضلهما في المحبة علينا وهما اثنان صغيران لا كفاية فيهما
ولا منفعة ونحن جماعة عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه فنحن احق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة
عليهما ان ابانا لفي ضلال مبين اي في ذهاب عن طريق الصواب في ذلك والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا وقيل
الى الاربعين سموا بذلك لانهم جماعة تعصب بهم الامور ويستكفون النوائب وروى النزال بن سبرة عن علي
رضي الله عنه ونحن عصبة بالنصب وقيل معناه ونحن نجتمع عصبة وعن ابن الانباري هذا كما تقول العرب انما العامري
عمته اي يتعهد عمته اقتلوا يوسف من جملة ما حكي بعد قوله اذ قالوا كانهم اطبقوا على ذلك الا من قال
لا تقتلوا يوسف وقيل الآمر بالقتل شمعون وقيل دان والباقون كانوا راضين فجعلوا آمرين ارضا ارضا منكورة

غطيا ان تلبسوه من يوسف وهو شيء ذو غيلة استدل على فعلهم به بما كان يعرف من حسدهم وبالامة القميص واوحي اليه
بانهم قصدوه فصبر جميل خبر او مبتدا لكونه موصوفا اي فامري صبر جميل او فصبر جميل امثل وفي قراءة ابي فصبرا جميلا
والصبر الجميل جاء في الحديث المرفوع انه لا شكوى فيه ومعناه لا شكوى فيه الى الخلق الا ترى الى قوله انما اشكو
بثي وحزني الى الله وقيل لا اعايشكم على كآبة الوجه بل اكون لكم كما كنت وقيل سقط حاجبا يعقوب على عينيه فكان يرفعهما
بعصابة فقيل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله تعالى اليه يا يعقوب اتشكوني قال يا رب خطيئة
فاغفرها لي والله المستعان اي استعينه على احتمال ما تصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه وجاءت سيارة رفقة
تسير من قبل مدين الى مصر وذلك بعد ثلثة ايام من القاء يوسف في الجب فاخطاوا الطريق فنزلوا قريبا منه وكان الجب
في قفرة بعيدة من العمران لم يكن الا للرعاة وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين القوا فيه يوسف فارسلوا رجلا يقال
له مالك ابن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء والوارد الذي يرد الماء ليستقي للقوم يا بشرى نادى البشرى كانه يقول تعالى فهذا
من اوانك وقرئ يا بشري على اضافتها الى نفسه وفي قراءة الحسن وغيره يا بشري بالياء مكان الالف جعلت
الياء بمنزلة الكسرة قبل ياء الاضافة وهي لغة للعرب مشهورة سمعت اهل السروات يقولون في دعائهم يا سيدي ومولي
وعن نافع يا بشراي بالسكون وليس بالوجه لما فيه من التقاء الساكنين على غير حده الا ان يقصد الوقف قيل لما ادلى دلوه
اي ارسلها في الجب تعلق يوسف بالحبل فلما خرج اذا هو بغلام احسن ما يكون فقال يا بشراي هذا غلام وقيل ذهب به
فلما دنا من اصحابه صاح بذلك يبشرهم به واسروه الضمير للوارد واصحابه اخفوه من الرفقة وقيل اخفوا امره ووجدانهم
له في الجب وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وعن ابن عباس ان الضمير لاخوة يوسف وانهم قالوا للرفقة
هذا غلام لنا قد ابق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه وبضاعة منصوب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة
والبضاعة ما بضع من المال للتجارة اي قطع والله عليم بما يعملون لم يخف عليه اسرارهم او هو وعيد لهم حيث استبضعوا
ما ليس لهم اي والله عليم بما يعمل اخوة يوسف بابيهم واخيهم من سوء الصنيع وشروه وباعوه بثمن بخس مبخوس ناقص
عن القيمة نقصانا ظاهرا او زيف ناقص العيار دراهم لا دنانير معدودة قليلة تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا
لا يزنون الا ما بلغ الاوقية وهي الاربعون ويعدون ما دونها وقيل للقليلة معدودة لان الكثيرة تمنع من عدها لكثرتها
وعن ابن عباس كانت عشرين درهما وعن السدي اثنين وعشرين وكانوا فيه من الزاهدين ممن يرغب عما في يده
فيبيعه بما طف من الثمن لانهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به لا يبالي بما باعه ولانه يخاف ان يعرض له مستحق
ينتزعه من يده فيبيعه من اول مساوم باوكس الثمن ويجوز ان يكون معنى شروه واشتروه يعني الرفقة من اخوته وكانوا
فيه من الزاهدين لانهم اعتقدوا انه آبق فخافوا ان يخطروا بما لهم فيه ويروى ان اخوته اتبعوهم يقولون استوثقوا منه
لا يابق وقوله فيه ليس من صلة الزاهدين لان الصلة لا تتقدم على الموصول الا تراك لا تقول وكانوا زيدا من الضاربين
وانما هو بيان كانه قيل في اي شيء زهدوا فقال زهدوا فيه الذي اشتراه هو قطفير او اطفير وهو العزيز الذي كان
على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق وقد آمن بيوسف ومات في حياة يوسف فملك
بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف الى الاسلام فابى واشتراه العزيز وهو ابن سبعة عشر سنة واقام في منزله
ثلاث عشرة سنة واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ثلثين سنة وآتاه الله الحكمة والملك وهو ابن ثلث وثلثين
سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك في ايامه فرعون موسى عاش اربعمائة سنة بدليل قوله
ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف وقيل اشتراه العزيز بعشرين
دينارا وزوجي نعل وثوبين ابيضين وقيل ادخلوه السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا
وورقا وحريرا فابتاعه قطفير بذلك المبلغ اكرمي مثواه اجعلي منزله ومقامه عندنا كريما اي حسنا مرضيا

بدليل قوله انه ربي احسن مثواي والمراد تفقديه بالاحسان وتعهديه بحسن الملكة حتى تكون نفسه طيبة في
صحبتنا ساكنة في كنفنا ويقال للرجل كيف ابو مثواك وام مثواك لمن ينزل به من رجل او امراة يراد هل
تطيب نفسك بثوائك عنده وهل يراعي حق نزولك به واللام في لامراته متعلقة بقال لا باشتراه عسى ان
ينفعنا لعله اذا تدرب وراض الامور وفهم مجاريها نستظهر به على بعض ما نحن بسبيله فينفعنا فيه بكفايته
وامانته او نتبناه ونقيمه مقام الولد وكان قطفير عقيما لا يولد له ولد وقد تفرس فيه الرشد فقال ذلك وقيل
افرس الناس ثلثة العزيز حين تفرس في يوسف فقال لامراته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا والمراة التي اتت
موسى وقالت يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر رضي الله عنه وروي انه ساله عن نفسه فاخبره
بنسبه فعرفه وكذلك الاشارة الى ما تقدم من انجائه وعطف قلب العزيز عليه والكاف منصوب تقديره
ومثل ذلك الانجاء والعطف مكنا له اي كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز كذلك مكنا له في ارض مصر وجعلناه ملكا
يتصرف فيها بامره ونهيه ولنعلمه من تاويل الاحاديث كان ذلك الانجاء والتمكين لان غرضنا ليس الا ما تحمد عاقبته
من علم وعمل والله غالب على امره اي على امر نفسه لا يمنع عما يشاء ولا ينازع فيما يريد ويقضي او على امر يوسف يدبره
ولا يكله الى غيره وقد ارادت اخوته به ما ارادوا ولم يكن الا ما اراد الله ودبره ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيد
الله قيل في الاشد ثماني عشرة سنة وعشرون وثلث وثلثون واربعون وقيل اقصاه ثنتان وستون حكما حكمة
وهو العلم بالعمل واجتناب ما يجهل فيه وقيل حكما بين الناس وفقها وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه
كان محسنا في عمله متقيا في عنفوان امره وان الله آتاه الحكم والعلم جزاء على احسانه وعن الحسن من احسن
عبادة ربه في شبيبته آتاه الله الحكمة في اكتهاله المراودة مفاعلة من راد يرود اذا جاء وذهب كان المعنى خادعته
عن نفسه اي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد ان يخرجه من يده يحتال ان يغلبه عليه وياخذه
منه وهي عبارة عن التمحل لمواقعته اياها وغلقت الابواب قيل كانت سبعة وقرئ هيت بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وبناؤها
كبناء اين وعيط وهيت بكسر الهاء وضم التاء كحيث بمعنى تعال وهلم ويقال هاء يهيء كجاء يجيء اذا تهيا وهيت لك واللام
من صلة الفعل واما في الاصوات فللبيان كانه قيل لك اقول هذا كما تقول هلم لك معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه ان الشان والحديث
ربي سيدي ومالكي يريد قطفير احسن مثواي حين قال لك اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخلفه في اهله سوء
الخلافة واخونه فيهم انه لا يفلح الظالمون الذين يجازون الحسن بالسيء وقيل اراد الزناة لانهم ظالمون
انفسهم وقيل اراد بقوله ربي الله تعالى لانه مسبب الاسباب هم بالامر اذا قصده وعزم عليه قال
هممت ولم افعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله ومنه قولك لا افعل ذلك ولا همه ولا كيدا ولا هما
اي ولا اكاد ان افعله كيدا ولا اهم بفعله هما حكاه سيبويه ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بامر امضاه ولم
ينكل عنه وقوله هممت به وهم بها معناه ولقد همت بمخالطته ولولا ان راى برهان ربه جوابه محذوف
تقديره لولا ان راى برهان ربه لخالطها فحذف لان قوله وهم بها يدل عليه كقولك هممت بقتله لولا اني خفت الله
معناه لولا اني خفت الله لقتلته قال قلت كيف جاز على نبي الله ان يكون منه هم بالمعصية وقصد اليها قلت
المراد ان نفسه مالت الى المخالطة ونازعت اليها عن شهوة الشباب وقرمه ميلا يشبه الهم به والقصد اليه وكما تقتضيه
صورة تلك الحال التي تكاد تذهب بالعقول والعزائم وهو يكسر ما به ويرده بالنظر في برهان الله المأخوذ على المكلفين
من وجوب اجتناب المحارم ولو لم يكن ذلك الميل الشديد المسمى هما لشدته لما كان صاحبه ممدوحا عند الله بالامتناع
لان استعظام الصبر على الابتلاء على حسب عظم الابتلاء وشدته ولو كان همه كهمها عن عزيمة لما مدحه الله بانه من
عباده المخلصين ويجوز ان يريد بقوله وهم بها وشارف ان يهم بها كما يقول الرجل قتلته لو لم اخف الله يريد مشارفة القتل

مجهولة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها واخلائها من الوصف ولابهامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة يخل
لكم وجه ابيكم يقبل عليكم اقبالة واحدة لا يلتفت عنكم الى غيركم والمراد سلامة محبته لهم ممن يشاركهم فيها وينازعهم
اياها فكان ذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم لان الرجل اذا اقبل على الشيء اقبل بوجهه ويجوز ان يراد بالوجه الذات كما قال ويبقى وجه
ربك وقيل يخل لكم يفرغ لكم من الشغل بيوسف من بعده من بعد يوسف اي من بعد كفايته بالقتل او التغريب او يرجع
الضمير الى مصدر اقتلوا او اطرحوا قوما صالحين تائبين الى الله مما جنيتم عليه او يصلح ما بينكم وبين ابيكم بعذر
تمهدونه او تصلح دنياكم وتنتظم اموركم بعده بخلو وجه ابيكم وتكونوا اما مجزوم عطفا على يخل لكم واما منصوب
باضمار ان والواو بمعنى مع كقوله وتكتموا الحق قائل منهم هو يهوذا وكان احسنهم فيه رايا وهو الذي قال فلن ابرح
الارض قال لهم القتل عظيم القوه في غيابة الجب وهي غوره وما غاب منه عن عين الناظر واظلم من اسفله قال المتنخل
ان انا يوما غيبتني غيابتي فسيروا بسيري في العشيرة والاهل اراد غيابة حفرته التي يدفن فيها وقرئ غيابات
على الجمع وغيابات بالتشديد وقرا الجحدري غيبة والجب البئر لم تطو لان الارض تجب جبا لا غير يلتقطه ياخذه
بعض السيارة بعض الاقوام الذين يسيرون في الطريق وقرئ تلتقطه بالتاء على المعنى لان بعض السيارة سيارة كقوله
كما شرقت صدر القناة من الدم ومنه ذهبت بعض اصابعه ان كنتم فاعلين ان كنتم على ان تفعلوا ما يحصل به غرضكم
فهذا هو الراي ما لك لا تامنا قرئ باظهار النونين وبالادغام باشمام وبغير اشمام وتيمنا بكسر التاء مع الادغام والمعنى
لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونحبه ونشفق عليه وما وجد منا في بابه ما يدل على خلاف النصيحة والمقة وارادوا
بذلك لما عزموا على كيد يوسف استنزاله عن رايه وعادته في حفظه منهم وفيه دليل على انه احس منهم بما
اوجب ان لا يامنهم عليه نرتع نتسع في اكل الفواكه وغيرها واصل الرتعة الخصب والسعة وقرئ نرتع من ارتعى
يرتعي وقرئ يرتع ويلعب بالياء ويرتع من ارتع ماشيته وقرا العلاء بن سيابة يرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء
فان قلت كيف استجاز لهم يعقوب عليه السلام اللعب قلت كان لعبهم الاستباق والانتضال
ليضروا انفسهم بما يحتاج اليه لقتال العدو لا للهو بدليل قوله انا ذهبنا نستبق وانما سموه لعبا لانه في صورته
ليحزنني اللام لام الابتداء كقوله ان ربك ليحكم بينهم ودخولها احد ما ذكره سيبويه من سببي المضارعة
اعتذر اليهم بشيئين احدهما ان ذهابهم به ومفارقته اياه مما يحزنه لانه كان لا يصبر عنه ساعة والثاني
خوفه عليه من عدوة الذئب اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم او قل به اهتمامهم ولم تصدق بحفظه عنايتهم
وقيل راى في النوم ان الذئب قد شد على يوسف فكان يحذره فمن ثم قال ذلك فلقنهم العلة وفي امثالهم البلاء
موكل بالمنطق وقرئ الذئب بالهمزة على الاصل وبالتخفيف وقيل اشتقاقه من تذاءبت الريح اذا اتت من كل جهة القسم محذوف
تقديره والله لئن اكله الذئب واللام موطئة للقسم وقوله انا اذا لخاسرون جواب للقسم مجزئ عن جزاء الشرط
والواو في ونحن عصبة واو الحال حلفوا له لئن كان ما خافه من خطفة الذئب اخاهم من بينهم وحالهم انهم
عشرة رجال بمثلهم تعصب الامور وتكفى الخطوب انهم اذا لقوم خاسرون اي هالكون ضعفا وخورا وعجزا
او مستحقون ان يهلكوا لانه لا غناء عندهم ولا جدوى في حياتهم او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار
والدمار وان يقال خسرهم الله ودمرهم حين اكل الذئب بعضهم وهم حاضرون وقيل ان لم نقدر على
حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا اذا وخسرناها فان قلت قد اعتذر اليهم بعذرين فلم اجابوا عن احدهما
دون الاخر قلت هو الذي كان يغيظهم ويذيقهم الامرين فاعاروه اذانا صما ولم يعباوا به ان يجعلوه
مفعول اجمعوا من قولك اجمع الامر وازمعه فاجمعوا امرهم وقرئ غيابات الجب قيل هو بئر بيت المقدس
وقيل بارض الاردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وجواب لما محذوف

ومعناه فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روي انهم لما برزوا به الى البرية اظهروا له العداوة واخذوا يضربونه ويهينونه وكلما استغاث
بواحد منهم لم يغثه الا بالاهانة والضرب حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح يا ابتاه لو تعلم ما يصنع بابنك اولاد الاماء
فقال يهوذا اما اعطيتموني موثقا ان لا تقتلوه فلما ارادوا القاءه في الجب تعلق بثيابهم فنزعوها من يديه
فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به وانما نزعوه ليلطخوه بالدم
ويحتالوا به على ابيهم فقالوا له ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تؤنسك ودلوه في البئر فلما بلغ نصفها القوه
ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه فظن انها رحمة ادركتهم
فاجابهم فارادوا ان يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهوذا وكان يهوذا ياتيه بالطعام ويروى ان ابرهيم صلوات الله
عليه حين القي في النار وجرد عن ثيابه اتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابرهيم الى
اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة علقها في عنق يوسف فجاء جبريل فاخرجه فالبسه اياه واوحينا
اليه قيل اوحي اليه في الصغر كما اوحي الى يحيى وعيسى وقيل كان اذ ذاك مدركا وعن الحسن كان له سبع عشرة
سنة لتنبئنهم بامرهم هذا وانما اوحي اليه ليونس في الظلمة والوحشة ويبشر بما يؤول اليه امره ومعناه لتتخلصن
مما انت فيه ولتحدثن اخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شانك وكبرياء سلطانك وبعد حالك
عن اوهامهم ولطول العهد المبدل للهيئات والاشكال وذلك انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون
دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف
وكان يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به والقيتموه في غيابة الجب وقلتم لابيكم اكله الذئب وبعتموه بثمن بخس ويجوز
ان يتعلق وهم لا يشعرون بقوله واوحينا على انا انسناه بالوحي وازلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون ذلك ويحسبون
انه مستوحش لا انيس له وقرئ لننبئنهم بالنون على انه وعيد لهم وقوله وهم لا يشعرون متعلق باوحينا لا غير
وعن الحسن عشيا على تصغير عشي يقال لقيته عشيا وعشيانا واصيلالا واصيلانا وقرواه ابن جني عشى بضم العين
والقصر وقال عشوا من البكاء وروي ان امراة حاكمت الى شريح فبكت فقال له الشعبي يا ابا امية اما تراها تبكي قال
قد جاء اخوة يوسف يبكون وهم ظلمة ولا ينبغي لاحد ان يقضي الا بما امر ان يقضي به من السنة المرضية وروي انه
لما سمع صوتهم فزع وقال ما لكم يا بني هل اصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما لكم واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي
نتسابق والافتعال والتفاعل يشتركان كالانتضال والتناضل والارتماء والترامي وغير ذلك والمعنى نتسابق في العدو او في
الرمي وجاء في التفسير ننتضل بمؤمن لنا بمصدق لنا ولو كنا صادقين ولو كنا من اهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف
فكيف وانت سيئ الظن بنا غير واثق بقولنا بدم كذب ذي كذب او وصف بالمصدر مبالغة كانه نفس الكذب وعينه
كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته ونحوه فهن به جود وانتم به بخل وقرئ كذبا نصبا على الحال
بمعنى جاءوا به كاذبين ويجوز ان يكون مفعولا له وقرات عائشة رضي الله عنها كدب بالدال غير المعجمة اي كدر وقيل طري
وقال ابن جني اصله من الكدب وهو الفوف البياض الذي يخرج على اظفار الاحداث كانه دم قد اثر في قميصه روي
انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم ان يمزقوه وروي ان يعقوب لما سمع بخبر يوسف صاح باعلى صوته وقال
اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رايت كاليوم ذئبا اكل ابني
ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف ثلاث آيات كان دليلا ليعقوب على كذبهم والقاه على وجهه فارتد
بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قد من دبر فان قلت على قميصه ما محله قلت محله النصب على الظرف
كانه قيل وجاءوا فوق قميصه بدم كما تقول جاءوا على جماله باحمال فان قلت هل يجوز ان يكون حالا متقدمة قلت
لا لان حال المجرور لا تتقدم عليه سولت سهلت من السول وهو الاسترخاء اي سهلت لكم انفسكم امرا

ومنا فهنه كانه شرع فيه فان قلت قوله وهم بها داخل تحت حكم القسم في قوله ولقد همت به ام هو خارج منه
قلت الامران جائزان ومن حق القارى اذا قدر خروجه من حكم القسم وجعله كلاما برأسه ان يقف على قوله ولقد همت
به ويبتدى بقوله وهم بها لولا ان راى برهان ربه وفيه ايضا اشعار بالفرق بين الهمين فان قلت لم جعلت جواب لولا
محذوفا يدل عليه هم بها وهلا جعلته هو الجواب مقدما قلت لان لولا لا يتقدم عليها جوابها من قبل انه في حكم
الشرط وللشرط صدر الكلام وهو مع ما في حيزه من الجملتين مثل كلمة واحدة ولا يجوز تقديم بعض الكلمة على بعض
واما حذف بعضها اذا دل الدليل فجائز فان قلت فلم جعلت لولا متعلقة بجملة قوله ولقد همت به وهم بها لان الهم لا
يتعلق بالجواهر ولكن بالمعاني فلا بد من تقدير المخالطة والمخالطة لا تكون الا من اثنين معا فكانه قيل ولقد هما بالمخالطة
لولا ان منع مانع احدهما قلت نعم ما قلت ولكن الله سبحانه قد جاء بالهمين على سبيل التفصيل حيث قال ولقد همت
به وهم بها وكان اعقاله العاقوحب ان يكون التقدير ولقد همت بمخالطته وهم بمخالطتها على ان المراد بالمخالطتين
توصلها الى ما هو حظها من قضاء شهوتها منه وتوصله الى ما هو حظه من قضاء شهوته منها لولا ان راى برهان
ربه فترك التوصل الى حظه من الشهوة فلذلك كانت لولا حقيقة بان تعلق بهم بها وحده وقد فسر هم يوسف
بانه حل الهميان وجلس منها مجلس المجامع وبانه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الاربع وهي مستلقية على قفاها
وفسر البرهان بانه سمع صوتا اياك واياها فلم يكترث له فسمعه ثانيا فلم يعمل به فسمع ثالثا اعرض عنها فلم ينجع فيه
حتى مثل له يعقوب عاضا على انملته وقيل ضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من انامله وقيل كل ولد يعقوب له
اثنا عشر ولدا الا يوسف فانه ولد له احد عشر ولدا من اجل ما نقص من شهوته حين هم وقيل صيح به يا يوسف لا
تكن كالطائر كان له ريش فلما زنى قعد لا ريش له وقيل بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب
فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته
ثم رأى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فلم ينجع فيه فقال الله لجبريل ادرك عبدي قبل ان يصيب الخطيئة فانحط
جبريل وهو يقول يا يوسف اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب في جملة الانبياء وقيل رأى تمثال العزيز وقيل قامت المرأة
الى صنم كان هناك فسترته وقالت استحيي ان يرانا فقال يوسف استحييت ممن لا يسمع ولا يبصر ولا استحيي من السميع
البصير العليم بذات الصدور وهذا ونحوه مما يورده اهل الحشو والجبر الذين دينهم بهت الله وانبيائه واهل العدل والتوحيد
ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بحمد الله بسبيل ولو وجدت من يوسف عليه السلام ادنى زلة لنعيت عليه وذكرت توبته
واستغفاره كما نعيت على آدم صلوات الله عليه زلته وعلى داود وعلى نوح زلته وعلى ايوب وعلى ذي النون وذكرت توبتهم
واستغفارهم كيف وقد اثنى عليه وسمي مخلصا فعلم بالقطع انه ثبت في ذلك المقام الدحض وانه جاهد نفسه مجاهدة
اولي القوة والعزم ناظرا في دليل التحريم ووجه القبح حتى استحق من الله الثناء فيما انزل من كتب الاولين ثم في القرآن الذي
هو حجة على سائر كتبه ومصداق لها ولم يقتصر الا على استيفاء قصته وضرب سورة كاملة عليها ليجعل له لسان صدق
في الآخرين كما جعله لجده الخليل ابرهيم وليقتدي به الصالحون الى آخر الدهر في العفة وطيب الازار والتثبت في مواقف
العثار فاخزى الله اولئك في ايرادهم ما يؤدي الى ان يكون انزال الله السورة التي هي احسن القصص في القرآن العربي المبين ليقتدى بنبي
من انبياء الله في القعود بين شعب الزانية وفي حل تكته للوقوع عليها وفي ان ينهاه ربه ثلاث كرات ويصاح به من عنده ثلاث
صيحات بقوارع القرآن وبالتوبيخ العظيم وبالوعيد الشديد وبالتشبيه بالطائر الذي سقط ريشه حين سفد غير انثاه وهو
جاثم في مربضه لا يتحلحل ولا ينتهي ولا ينتبه حتى يتداركه الله بجبريل ولو ان اوقح الزناة واشطرهم واحدهم حدقة
واجلحهم وجها لقي بادنى ما لقي به مما ذكروا لما بقي له عرق ينبض ولا عضو يتحرك فيا له من مذهب ما افحشه
ومن ضلال ما ابينه كذلك الكاف منصوب المحل اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه او مرفوعه اي الامر مثل ذلك لنصرف

عنه السوء من خيانة السيد والفحشاء من الزنا انه من عبادنا المخلصين الذين اخلصوا دينهم لله وبالفتح الذين اخلصهم
الله لطاعته بان عصمهم ويجوز ان يريد بالسوء مقدمات الفاحشة من القبلة والنظر لشهوة ونحو ذلك وقوله من
عبادنا معناه بعض عبادنا اي هو مخلص من جملة المخلصين او هو ناشئ منهم لانه من ذرية ابرهيم الذين قال فيهم
انا اخلصناهم بخالصة واستبقا الباب وتسابقا الى الباب على حذف الجار وايصال الفعل كقوله تعالى واختار موسى قومه
او على تضمين استبقا معنى ابتدرا نفر منها يوسف فاسرع يريد الباب ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه الخروج
فان قلت كيف وحد الباب وقد جمعه في قوله وغلقت الابواب قلت اراد الباب البراني الذي هو المخرج من الدار والمخلص
روى كعب انه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب وقدت قميصه من دبر اجتذبته من
خلفه فانقد اي انشق حين هرب منها الى الباب وتبعته تمنعه والفيا سيدها وصادفا بعلها وهو قطفير تقول المرأة لبعلها
سيدي وقيل انما لم يقل سيدهما لان ملك يوسف لم يصح فلم يكن سيدا له على الحقيقة قيل الفياه مقبلا يريد ان يدخل وقيل
جالسا مع ابن عم للمرأة ولما اطلع زوجها على تلك الهيئة المريبة وهي مغتاظة على يوسف اذ لم يواتها جاءت بحيلة جمعت فيها
غرضيها وهما تبرئة ساحتها عند زوجها من الريبة والغضب على يوسف وتخويفه طمعا في ان يواتيها خيفة منها ومن مكرها
وكرها لما ايست من مواتاته طوعا الا ترى الى قولها ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وما نافية اي ليس جزاؤه الا السجن
ويجوز ان تكون استفهامية بمعنى اي شيء جزاؤه الا السجن كما تقول من في الدار الا زيد فان قلت كيف لم تصرح في قولها بذكر
يوسف وانه اراد بها سوءا قلت قصدت العموم وان كل من اراد باهلك سوءا فحقه ان يسجن او يعذب لان ذلك ابلغ
فيما قصدت من تخويف يوسف وقيل العذاب الاليم الضرب بالسياط ولما اغرت به وعرضته للسجن والعذاب وجب
عليه الدفع عن نفسه فقال هي راودتني عن نفسي ولولا ذلك لكتم عليها وشهد شاهد من اهلها قيل كان ابن عم لها
وانما القى الله الشهادة على لسان من هو من اهلها ليكون اوجب للحجة عليها واوثق لبراءة يوسف وانفى للتهمة عنه وقيل هو الذي
كان جالسا مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكيما يرجع اليه الملك ويستشيره ويجوز ان يكون بعض اهلها كان في الدار
بصر بها من حيث لا تشعر فاغضبه الله ليوسف بالشهادة له والقيام بالحق وقيل كان ابن خال لها صبيا في المهد وعن النبي
صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى فان قلت
لم سمي قوله شهادة وما هو بلفظ الشهادة قلت لما ادى مؤدى الشهادة في ان ثبت به قول يوسف وبطل قولها
سمي شهادة فان قلت الجملة الشرطية كيف جازت حكايتها بعد فعل الشهادة قلت لانها قول من القول
او على ارادة القول كانه قيل وشهد شاهد فقال ان كان قميصه فان قلت ان دل قميصه قد من دبر على انها كاذبة
وانها هي التي تبعته واجتذبت قميصه اليها فقدته فمن اين دل قده من قبل على انها صادقة وانه اتبعها قلت من
وجهين احدهما انه اذا كان تابعها وهي دافعة عن نفسها قدت قميصه من قدامه بالدفع والثاني ان يسرع خلفها ليلحقها فيعثر
في مقادم قميصه فيشقه وقرئ من قبل ومن دبر بالضم على مذهب الغايات والمعنى من قبل القميص ودبره واما التنكير
فمعناه من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر وعن ابن ابي اسحق انه قرأ من قبل ومن دبر بالفتح كانه جعلهما علمين
للجهتين فمنعهما الصرف للعلمية والتانيث وقرئ باسكان العين فان قلت كيف جاز الجمع بين ان التي للاستقبال
وبين كان قلت لان المعنى ان يعلم انه كان قميصه قد ونحوه قولك ان احسنت الي فقد احسنت اليك من قبل لمن
يمتن عليك باحسانه تريد ان تمتن علي امتن عليك فلما راى يعني قطفير وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها قال انه ان
قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان هذا الامر وهو طمعها في يوسف من كيدكن الخطاب لها ولامتها وانما استعظم
كيد النساء لانه وان كان في الرجال الا ان النساء الطف كيدا وانفذ حيلة ولهن في ذلك رفق وبذلك يغلبن الرجال
ومنه قوله ومن شر النفاثات في العقد والقصرات من بينهن ما ليس مع غيرهن من البوائق وعن بعض العلماء انا اخاف

من النساء اكثر مما اخاف من الشيطان لان الله تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن عظيم يوسف
حذف منه حرف النداء لانه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله اعرض عن هذا الامر واكتمه ولا تحدث
به واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين من جملة القوم المتعمدين للذنب يقال خطئ اذا اذنب متعمدا وانما قال من
الخاطئين بلفظ التذكير تغليبا للذكور على الاناث وما كان العزيز الا رجلا حليما وروي انه كان قليل الغيرة وقال نسوة
وقال جماعة من النساء وكن خمسا امراة الساقي وامراة الخباز وامراة صاحب الدواب وامراة صاحب السجن وامراة
الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المراة وتانيثه غير حقيقي كتانيث اللمة ولذلك لم يلحق فعله تاء التانيث وفيه
لغتان كسر النون وضمها في المدينة في مصر امراة العزيز يريدون قطفير والعزيز الملك بلسان العرب فتاها غلامها وفتاي وفتاتي
اي غلامي وجاريتي شغفها خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل الى الفؤاد والشغاف حجاب القلب وقيل جلدة رقيقة يقال لها
لسان القلب قال النابغة وقد حال هم دون ذلك والج مكان الشغاف تبتغيه الاصابع وقرئ شغفها
بالعين من شغف البعير اذا هناه فاحرقه بالقطران قال كما شغف المهنوءة الرجل الطالي انا لنراها في
التيه في ضلال مبين في خطا وبعد عن طريق الصواب بمكرهن باغتيابهن وسوء قالتهن وقولهن امراة العزيز عشقت
عبدها الكنعاني ومقتها وسمي الاغتياب مكرا لانه في خفية وحال غيبة كما يخفي الماكر مكره وقيل كانت استكتمتهن
سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن دعتهن قيل دعت اربعين امراة منهن الخمس المذكورات واعتدت لهن متكأ
ما يتكئن عليه من نمارق قصدت بتلك الهيئة وهي قعودهن متكئات والسكاكين في ايديهن ان يدهشن ويبهتن
عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فتقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها لان المتكئ اذا بهت لشيء وقعت يده على يده ولا يبعد
ان تقصد الجمع بين المكر بهن وبهن فضع الخناجر في ايديهن ليقطعن ايديهن فتبكتهن بالحجة ولتبكت و لتهول يوسف
من مكرها اذا خرج على اربعين نسوة مجتمعات في ايديهن الخناجر اذ هن يثبن عليه وقيل متكأ مجلس طعام لانهم
كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك نهي ان ياكل متكئا واتين السكاكين ليعالجن بها ما
ياكلن وقيل متكأ من قولك اتكأنا عند فلان طعمنا على سبيل الكناية لان من دعوته ليطعم عندك اتخذت له تكأة
يتكئ عليها وقال جميل فظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلله وعن مجاهد متكأ طعاما يحز حزا
كان المعنى يعتمد بالسكين وقرئ متكا بغير همز وعن الحسن متكاء بالمد كانه مفتعال وذلك لاشباع فتحة الكاف
كقوله منتزاح بمعنى منتزح ونحوه ينباع وقرئ متكا وهو الاترج وانشد فاهدت متكة لبني ابيها تخب بها العثمثمة
الوقاح وكانت اهدت اترجة على ناقة وكانها الاترجة التي ذكرها ابو داود في سننه انها شقت بنصفين
وحملا كالعدلين على جمل وقيل الزماورد وعن وهب اترجا وموزا وبطيخا وقيل اعتدت لهن ما يقطع من متك الشيء بمعنى
بتكه اذا قطعه وقرا الاعرج متكا مفعلا من تكا يتكا اذا اتكا اكبرنه اعظمنه وهبن ذلك الحسن الرائع والجمال
الفائق قيل كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء وعن النبي صلى الله عليه
وسلم مررت بيوسف الليلة التي عرج بي الى السماء فقلت لجبريل من هذا فقيل يا رسول الله كيف رايته قال القمر ليلة البدر
وقيل كان يوسف اذا سار في ازقة مصر يرى تلالؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من الماء عليها وقيل ما كان احد
يستطيع وصف يوسف وقيل كان يشبه ادم يوم خلقه ربه وقيل ورث الجمال من جدته سارة وقيل اكبرن بمعنى حضن
والهاء للسكت يقال اكبرت المراة اذا حاضت وحقيقته دخلت في الكبر لانها بالحيض تخرج من حد الصغر الى حد
الكبر وكان ابا الطيب اخذ من هذا التفسير قوله خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت في الخدور
العواتق فقطعن ايديهن جرحنها كما تقول كنت اقطع اللحم فقطعت يدي تريد جرحتها حاشا كلمة تفيد معنى
التنزيه في باب الاستثناء تقول اساء القوم حاشا زيد قال حاشا ابي ثوبان ان به ضنا على الملحاة والشتم وهو حرف من

حروف

حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة فمعنى حاشا الله براءة الله وتنزيه الله وهي قراءة ابن مسعود على اضافة
حاشا الى الله اضافة البراءة ومن قرا حاشا لله فنحو قولك سقيا لك كانه قال براءة ثم قال لله لبيان من يبرأ وينزه
والدليل على تنزيل حاشا منزلة المصدر قراءة ابي السمال حاشا لله بالتنوين وقراءة ابي عمرو حاش لله بحذف الالف
الاخرة وقراءة الاعمش حش لله بحذف الالف الاولى وقرئ حاش الإله بسكون الشين على ان الفتحة اتبعت الالف
في الاسقاط وهي ضعيفة لما فيها من التقاء الساكنين على غير حده وقرئ حاشا الاله فان قلت فلم جاز
في حاشى لله ان لا ينون بعد اجرائه مجرى براءة لله قلت مراعاة لاصله الذي هو الحرفية الا ترى الى قولهم جلست
من عن يمينه كيف تركوا عن غير معرب على اصله وعلى في قوله غدت من عليه منقلب الالف الى الياء مع الضمير والمعنى
تنزيه الله من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله واما قوله حاشا لله ما علمنا عليه من سوء فالتعجب من قدرته
على خلق عفيف مثله ما هذا بشرا نفين عنه البشرية لغرابة جماله ومباعدة حسنه لما عليه محاسن الصور واثبتن له
الملكية وبتتن بها الحكم وذلك لان الله عز وجل ركز في الطباع ان لا احسن من الملك كما ركز فيها ان
لا اقبح من الشيطان ولذلك يشبه كل متناه في الحسن والقبح بهما وما ركز ذلك فيها الا لان الحقيقة
كذلك كما ركز في الطباع ان لا ادخل في الشر من الشياطين ولا اجمع من الخير والملائكة الا ما عليه الفئة
الخاسئة المجبرة من تفضيل الانسان على الملك وما هو الا من تعكيسهم للحقائق وجحودهم للعلوم الضرورية ومكابرتهم
في كل باب واعمال ما عمل ليس في اللغة القدمى الحجازية وبها ورد القرآن ومنها قوله ما هن امهاتهم ومن قرا
على سليقته من بني تميم قرا بشر بالرفع وهي قراءة ابن مسعود وقرئ ما هذا بشرى اي ما هو بعبد مملوك لئيم ان هذا الا
ملك كريم تقول هذا بشرى اي حاصل بشرى بمعنى هذا مشترى وتقول هذا لك بشرى ام بكرى والقراءة هي
الاولى لموافقتها المصحف ومطابقة بشر لملك قالت فذلكن ولم تقل فهذا وهو حاضر رفعا لمنزلته في الحسن و
واستحقاق ان يحب ويفتتن به وربا بحاله واستبعادا لمحله ويجوز ان يكون اشارة الى المعنى بقوله عشقت عبدها
الكنعاني الذي صورتن في انفسكن ثم لمتنني فيه تعني انكن لم تصورنه حق صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني في
الافتتان به لاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كانه في عصمة وهو مجتهد في الاستزادة
منها ونحوه استمسك واستوسع الفتق واستجمع الراي واستفحل الخطب وهذا بيان لما كان من يوسف عليه السلام لا
مزيد عليه وبرهان لا شيء انور منه على انه بريء مما اضاف اليه اهل الحشو مما فسروا به الهم والبرهان فان قلت
الضمير في امره راجع الى الموصول ام الى يوسف قلت بل الى الموصول والمعنى ما امر به فحذف الجار كما في قوله
امرتك الخير ويجوز ان تجعل ما مصدرية فيرجع الى يوسف ومعناه ولئن لم يفعل امري اياه اي موجب امري ومقتضاه
قرئ وليكونن بالتشديد والتخفيف اولى لان النون كتبت في المصحف الفا على حكم الوقف وذلك لا يكون الا في
الخفيفة وقرئ السجن بالفتح على المصدر وقال يدعونني على اسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن تنصحن له وزين له مطاوعتها و
وقلن له اياك والقاء نفسك في السجن والصغار فالتجأ الى ربه عند ذلك وقال رب نزول السجن احب الي من
ركوب المعصية فان قلت نزول السجن مشقة على النفس شديدة وما دعونه اليه لذة عظيمة فكيف كانت
المشقة احب اليه من اللذة قلت كانت احب اليه واثر عنده نظرا في حسن الصبر على احتمالها لوجه الله وفي
قبح المعصية وفي عاقبة كل واحدة منهما لا نظرا في مشتهى النفس ومكروهها والا تصرف عني كيدهن فزع منه الى
الطاف الله وعصمته كعادة الانبياء والصالحين فيما عزم عليه ووطن عليه نفسه من الصبر لا ان يطلب منه الاجبار
على التعفف والالجاء اليه اصب اليهن اميل اليهن والصبوة الميل الى الهوى ومنها الصبا لان النفوس تصبو اليها لطيب
نسيمها وروحها وقرئ اصب اليهن من الصبابة من الجاهلين من الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى

لعلمه هو ومن لا يعلم سواء او من السفهاء لان الحليم لا يفعل القبيح وانما ذكر الاستجابة ولم يتقدم الدعاء لان قوله والا
تصرف عني فيه معنى طلب الصرف والدعاء باللطف السميع لدعوات الملتجئين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم بدا لهم
فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء اي ظهر لهم رأي ليسجننه والضمير في لهم
للعزيز واهله من بعد ما راوا الآيات وهي الشواهد على براءته وما كان ذلك الا باستنزال المرأة زوجها وفتلها
منه في الذروة والغارب وكان مطواعا لها وجملا ذلولا زمامه في يدها حتى انساه ذلك ما عاين من الآيات وعمل
برأيها في سجنه والحاق الصغار به كما اوعدته به وذلك لما ايست من طاعته لها او لطمعها في ان يذلله السجن ويسخره
لها وفي قراءة الحسن لتسجننه بالتاء على الخطاب خاطب به بعضهم العزيز ومن يليه او العزيز وحده على وجه التعظيم
حتى حين الى زمان كانها اقترحت ان يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه وفي قراءة ابن مسعود عتى حين وهي لغة
هذيل وعن عمر رضي الله عنه سمع رجلا يقرأ عتى حين فقال من اقرأك قال ابن مسعود فكتب اليه ان الله انزل هذا
القرآن فجعله عربيا وانزله بلغة قريش فاقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل والسلام مع يدل على معنى الصحبة
واستحداثها تقول خرجت مع الامير تريد مصاحبا له فيجب ان يكون دخولهما السجن مصاحبين له فتيان عبدان
للملك خبازه وشرابيه رقي اليه انهما يسمانه فامر بهما الى السجن فادخلا السجن ساعة ادخل يوسف اني اراني
يعني في المنام وهي حكاية حال ماضية اعصر خمرا يعني عنبا تسمية للعنب بما يؤول اليه وفي قراءة ابن مسعود اعصر عنبا
من المحسنين من الذين يحسنون عبارة الرؤيا اي يجيدونها راياه يقص عليه بعض اهل السجن رؤياه فيؤولها له فقالا
له ذلك او من العلماء لانهما سمعاه يذكر للناس ما علما به انه عالم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بان
تفرج عنا الغمة بتأويل ما رأيناه ان كانت لك يد في تأويل الرؤيا روي انه كان اذا مرض رجل منهم قام
عليه واذا ضاق اوسع عليه واذا احتاج جمع له وعن قتادة كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم
فجعل يقول ابشروا واصبروا تؤجروا ان لهذا لاجرا فقالوا بارك الله عليك ما احسن وجهك واحسن خلقك لقد بورك
لنا في جوارك فمن انت يا فتى قال انا يوسف ابن صفي الله يعقوب ابن ذبيح الله اسحق ابن خليل الله ابرهيم فقال له عامل السجن لو
استطعت خليت سبيلك ولكني احسن جوارك فكن في اي بيوت السجن شئت وروي ان الفتيين قالا له انا لنحبك من حين
رأيناك فقال انشدكما الله ان لا تحباني فوالله ما احبني احد قط الا دخل علي من حبه بلاء لقد احبتني عمتي فدخل علي من
حبها بلاء ثم احبني ابي فدخل علي من حبه بلاء فلا تحباني بارك الله فيكما وعن الشعبي انهما تحالما ليمتحناه فقال
الشرابي اراني في بستان فاذا باصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطعتها وعصرتها في كأس الملك وسقيته وقال الخباز اني
اراني وفوق رأسي ثلاث سلال فيها انواع الاطعمة واذا سباع الطير تنهش منها فان قلت الام يرجع الضمير في
نبئنا بتأويله قلت الى ما قصا عليه والضمير يجري مجرى اسم الاشارة في نحوه كانه قيل نبئنا بتأويل ذلك لما استعبراه
ووصفاه بالاحسان افترص ذلك فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو الاخبار بالغيب وانه ينبئهما بما
يحمل اليهما من الطعام في السجن قبل ان يأتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه
كما اخبرهما وجعل ذلك تخلصا الى ان يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الايمان ويزينه لهما ويقبح اليهما الشرك
بالله وهذه طريقة على كل ذي علم ان يسلكها مع الجهال والفسقة اذا استفتاه واحد منهم ان يقدم الهداية
والارشاد والموعظة والنصيحة اولا ويدعوه الى ما هو اولى به واوجب عليه مما استفتى فيه ثم يفتيه بعد ذلك وفيه
ان العالم اذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه ان يقتبس منه وينتفع به في الدين لم يكن
من باب التزكية بتأويله ببيان ماهيته وكيفيته لان ذلك يشبه تفسير المشكل والاعراب عن معناه ذلكما اشارة
لهما الى التأويل اي ذلك التأويل والاخبار بالمغيبات مما علمني ربي واوحى به الي ولم اقله عن تكهن وتنجم اني تركت

يجوز ان يكون كلاما مبتدأ وان يكون تعليلا لما قبله اي علمني ذلك واوحى الي لاني رفضت ملة اولئك واتبعت ملة الانبياء المذكورين
وهي الملة الحنيفية واراد باولئك الذين لا يؤمنون اهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم وتكريرهم للدلالة على انهم خصوصا كافرون
بالآخرة وان غيرهم كانوا قوما مؤمنين بها وهم الذين على ملة ابرهيم ولتوكيد كفرهم بالجزاء تنبيها على ما هم عليه من الظلم والكبائر
التي لا يرتكبها الا من هو كافر بدار الجزاء ويجوز ان يكون فيه تعريض بما مني به من جهتهم حين اودعوه السجن بعد ما رأوا
الآيات الشاهدة على براءته وان ذلك لا يقدم عليه الا من هو شديد الكفر بالجزاء وذكر آباءه ليريهما انه من بيت النبوة
بعد ان عرفهما انه نبي يوحى اليه بما ذكر من اخباره بالغيوب لتقوى رغبتهما في الاستماع اليه واتباع قوله ما كان لنا ما صح لنا
معشر الانبياء ان نشرك بالله اي شيء كان من ملك او جني فضلا ان نشرك به صنما لا يسمع ولا يبصر ثم ذلك التوحيد من
فضل الله علينا وعلى الناس او على الرسل وعلى المرسل اليهم لانهم نبهوهم عليه وارشدوهم اليه ولكن اكثر الناس المبعوث
اليهم لا يشكرون فضل الله فيشركون ولا ينتبهون وقيل ان ذلك من فضل الله علينا لانه نصب لنا الادلة التي ننظر
فيها ونستدل بها وقد نصب مثل تلك الادلة لسائر الناس من غير تفاوت ولكن اكثر الناس لا ينظرون ولا يستدلون اتباعا لاهوائهم
فيبقون كافرين غير شاكرين يا صاحبي السجن يريد يا صاحبي في السجن فاضافهما الى السجن كما تقول يا سارق الليلة فكما ان الليلة
مسروق فيها غير مسروقة فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب وانما المصحوب غيره وهو يوسف عليه السلام
ونحوه قولك لصاحبك يا صاحبي الصدق فتضيفه الى الصدق ولا تريد انه صحب الصدق ولكن كما تقول رجل صدق وسميتهما
صاحبين لانهما صحباه ويجوز ان يراد يا ساكني السجن كقوله اصحاب النار واصحاب الجنة أأرباب متفرقون يريد
التفرق في العدد والتكاثر يقول أأن تكون لكما ارباب شتى يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا خير لكما ام ان يكون لكما
رب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك في الربوبية بل هو القهار الغالب وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الاصنام
ما تعبدون خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر الا اسماء يعني انكم سميتم ما لا يستحق الالهية آلهة ثم طفقتم
تعبدونها فكانكم لا تعبدون الا اسماء فارغة لا مسميات تحتها ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته بزيد وسميته زيدا ما
انزل الله بها اي بتسميتها من سلطان من حجة ان الحكم في امر العبادة والدين الا لله ثم بين ما حكم به فقال امر الا تعبدوا
الا اياه ذلك الدين القيم الثابت الذي دلت عليه البراهين اما احدكما يريد الشرابي فيسقي ربه وقرأ عكرمة
فيسقى ربه اي يسقى ما يروى به على البناء للمفعول يروى انه قال للاول ما رأيت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن حالك
عنده واما القضبان الثلاثة فانها ثلاثة ايام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال للثاني ما رأيت من السلال ثلاثة
ايام ثم تخرج فتقتل قضي الامر قطع وتم ما تستفتيان فيه من امركما وشأنكما فان قلت ما استفتيا في امر واحد
بل في امرين مختلفين فما وجه التوحيد قلت المراد بالامر ما اتهما به من سم الملك وما سجنا من اجله وظنا ان
ما رأياه في معنى ما نزل بهما فكأنهما كانا يستفتيانه في الامر الذي نزل بهما أعاقبته نجاة ام هلاك فقال لهما قضي
الامر الذي فيه تستفتيان اي ما يجر اليه من العاقبة وهي هلاك احدهما ونجاة الآخر وقيل جحدا وقالا ما رأينا شيئا
على ما روي انهما تحالما له فاخبرهما ان ذلك كائن صدقتما او كذبتما ظن الظان هو يوسف عليه السلام ان كان تأويله
بطريق الاجتهاد وان كان بطريق الوحي فالظان هو الشرابي او يكون الظن بمعنى اليقين اذكرني عند ربك صفني عند
الملك بصفتي وقص عليه قصتي لعله يرحمني وينتاشني من هذه الورطة فانساه الشيطان فانسى الشرابي ذكر ربه
ان يذكره لربه وقيل فانسى يوسف ذكر الله حين وكل امره الى غيره بضع سنين البضع ما بين الثلث الى التسع و
اكثر الاقاويل على انه لبث فيه سبع سنين فان قلت كيف يقدر الشيطان على الانساء قلت يوسوس
الى العبد بما يشغله عن الشيء من اسباب النسيان حتى يذهب عنه ويزل عن قلبه ذكره واما الانساء ابتداء فلا يقدر عليه الا
الله عز وجل ما ننسخ من آية او ننسها فان قلت ما وجه اضافة الذكر الى ربه اذا اريد به الملك وما هي باضافة المصدر

إلى الفاعل ولا إلى المفعول قلت قد لابسه في قولك فأنساه الشيطان ذكره لربه أو عند ربه فجازت إضافته إليه لأن الإضافة
تكون بأدنى ملابسة أو على تقدير فأنساه ذكر إخبار ربه فحذف المضاف الذي هو الإخبار فإن قلت لم أنكر على يوسف
عليه السلام الاستعانة بغير الله في كشف ما كان فيه وقد قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال حكاية عن
عيسى عليه السلام من أنصاري إلى الله وفي الحديث الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه المسلم من فرج عن مؤمن
كربة فرج الله عنه كربة من كرب الآخرة وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأخذه
النوم ليلة من الليالي وكان يطلب من يحرسه حتى جاء سعد فسمعت غطيطه وهل ذلك إلا مثل التداوي بالأدوية
والتقوي بالأشربة والأطعمة وإن كان ذلك الملك كافرا فلا خلاف في جواز أن يستعان بالكفار في دفع الظلم والغرق
والحرق ونحو ذلك من المضار قلت كما اصطفى الله الأنبياء على خليقته فقد اصطفى لهم أحسن الأمور وأفضلها
وأولاها والأحسن والأولى بالنبي أن لا يكل أمره إذا ابتلي ببلاء إلا إلى ربه ولا يعتضد إلا به خصوصا إذا كان
المعتضد به كافرا لئلا يشمت به الكفار ويقولوا لو كان هذا على الحق وكان له رب يغيثه لما استغاث بنا وعن
الحسن أنه كان يبكي إذا قرأها ويقول نحن إذا نزل بنا أمر فزعنا إلى الناس لما دنا فرج يوسف رأى ملك مصر الريان بن
الوليد رؤيا عجيبة هالته أنه رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان ورأى
سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا أخر يابسات قد استحصدت وأدركت فالتوت اليابسات على الخضر
حتى غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها سمان جمع سمين وسمينة وكذلك رجال ونسوة
كرام قلت هل من فرق بين إيقاع سمان صفة للمميز وهو بقرات دون المميز وهو سبع وأن يقال سبع بقرات
سمانا قلت إذا أوقعتها صفة لبقرات فقد قصدت إلى أن تميز السبع بنوع من البقرات وهي السمان منهن لا بجنسهن
ولو وصفت بها السبع لقصدت إلى تمييز السبع بجنس البقرات لا بنوع منها ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس بالسمن
فإن قلت هلا قيل سبع عجاف على الإضافة قلت التمييز موضوع لبيان الجنس والعجاف وصف لا يقع البيان
به وحده فإن قلت فقد يقولون ثلاثة فرسان وخمسة أصحاب قلت الفارس والصاحب والراكب ونحوها
صفات جرت مجرى الأسماء فأخذت حكمها وجاز فيها ما لم يجز في غيرها ألا تراك لا تقول عندي ثلاثة ضخام وأربعة
غلاظ فإن قلت ذاك مما يشكل وما نحن بسبيله لا إشكال فيه ألا ترى أنه لم يقل بقرات سبع عجاف لوقوع
العلم بأن المراد البقرات قلت ترك الأصل لا يجوز مع وقوع الاستغناء بقولك سبع عجاف عما تقترحه من
التمييز بالوصف والعجف الهزال الذي ليس بعده والسبب في وقوع عجاف جمعا لعجفاء وأفعل وفعلاء لا يجمعان على فعال
حمله على سمان لأنه نقيضه ومن دأبهم حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض فإن قلت هل في الآية
دليل على أن السنبلات اليابسة كانت سبعا كالخضر قلت الكلام مبني على انصبابه إلى هذا العدد في
البقرات السمان والعجاف والسنابل الخضر فوجب أن يتناول معنى الأخر السبع ويكون قوله وأخر يابسات بمعنى وسبعا
أخر فإن قلت هل يجوز أن يعطف قوله وأخر يابسات على سنبلات خضر فيكون مجرور المحل
قلت يؤدي إلى تدافع وهو أن عطفها على سنبلات خضر يقتضي أن تدخل في حكمها فيكون معها مميزا
للسبع المذكور ولفظ الآخر يقتضي أن يكون غير السبع بيانه أنك تقول عنده سبعة رجال قيام وقعود بالجر
فيصح لأنك ميزت السبع برجال موصوفين بالقيام والقعود على أن بعضهم قيام وبعضهم قعود تدافع ففسد
يا أيها الملأ كأنه أراد الأعيان من العلماء والحكماء واللام في قوله للرؤيا إما أن تكون للبيان كقوله وكانوا
فيه من الزاهدين وإما أن تدخل لأن العامل إذا تقدم عليه معموله لم يكن في قوته على العمل فيه مثله إذا تأخر
عنه فعضد بها كما يعضد اسم الفاعل إذا قلت هو عابر للرؤيا لانحطاطه عن الفعل في القوة ويجوز أن يكون للرؤيا

خبر

خبر كان كما تقول كان فلان لهذا الأمر إذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبرا آخر أو حالا وأن يضمن تعبرون
معنى فعل يتعدى باللام كأنه قيل إن كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر أمرها
كما تقول عبرت النهر إذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبره ونحوه أولت الرؤيا بالتخفيف اعتمده الأثبات ورأيتهم
ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر وقد عثرت على بيت أنشده المبرد في كتاب الكامل لبعض الأعراب
رأيت رؤيا ثم عبرتها وكنت للأحلام عبارا أضغاث أحلام تخاليطها وأباطيلها وما يكون منها من حديث
نفس أو وسوسة شيطان وأصل الأضغاث ما جمع من أخلاط النبات وحزم الواحد ضغث فاستعيرت
لذلك والإضافة بمعنى من أي أضغاث من أحلام والمعنى هي أضغاث أحلام فإن قلت ما هو إلا حلم واحد فلم قالوا
أضغاث أحلام فجمعوا قلت هو كما تقول فلان يركب الخيل ويلبس عمائم الخز لمن لا يركب إلا فرسا واحدا
وما له إلا عمامة فردة تزيدا في الوصف فهؤلاء أيضا تزيدوا في وصف الحلم بالبطلان فجعلوه أضغاث أحلام ويجوز
أن يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا رؤيا غيرها وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين إما أن يريدوا بالمنامات الباطلة خاصة
فيقولوا ليس لها عندنا تأويل فإن التأويل إنما هو للمنامات الصحيحة الصالحة وإما أن يعترفوا بقصور علمهم وأنهم ليسوا
في تأويل الأحلام بنحارير وقرئ وادكر بالدال وهو الفصيح وعن الحسن واذكر بالذال أي تذكر الذي نجا من الفتيين من
القتل وما شاهد منه بعد أمة بعد مدة طويلة وذلك أنه حين استفتى الملك في رؤياه وأعضل على الملأ تأويلها تذكر الناجي
يوسف وتأويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه إليه أن يذكره عند الملك وقرأ الأشهب العقيلي بعد إمة بكسر الهمزة
والإمة النعمة قال عدي ثم بعد الفلاح والملك والإمة وارتهم هناك القبور أي بعد ما أنعم عليه بالنجاة
وقرئ بعد أمه بعد نسيان يقال أمه يأمه أمها إذا نسي ومن قرأ بسكون الميم فقد خطئ أنا أنبئكم بتأويله أنا أخبركم
به عمن عنده علمه وفي قراءة الحسن أنا آتيكم بتأويله فأرسلون فابعثوني إليه لأسأله ومروني باستعباره وعن ابن عباس
رضي الله عنه لم يكن السجن في المدينة يعني فأرسلوه إلى يوسف فأتاه فقال يوسف أيها الصديق أيها البليغ في الصدق
وإنما قال له ذلك لأنه ذاق أحواله وتعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاء كما أول ولذلك
كلمه كلام محترز فقال لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون لأنه ليس على يقين من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من
علمهم فربما لم يعلموا أو معنى لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك من محنتك تزرعون خبر
في معنى الأمر كقوله تؤمنون بالله واليوم الآخر وتجاهدون وإنما يخرج الأمر في صورة الخبر للمبالغة في إيجاب إيجاد
المأمور به فيجعل كأنه يوجد فهو يخبر عنه والدليل على كونه في معنى الأمر قوله فذروه في سنبله دأبا بسكون
الهمزة وتحريكها فهما مصدرا دأب في العمل وهو حال من المأمورين أي دائبين إما على تدأبون دأبا وإما على إيقاع
المصدر حالا بمعنى ذوي دأب فذروه في سنبله لئلا يتسوس يأكلن من الإسناد المجازي جعل أكل أهلهن مسندا
إليهن تحصنون تحرزون وتخبؤون يغاث الناس من الغوث أو من الغيث يقال غيثت البلاد إذا مطرت ومنه
قول الأعرابية غثنا ما شئنا يعصرون بالياء والتاء يعصرون فيه العنب والزيتون والسمسم وقيل يحلبون الضروع
وقرئ يعصرون على البناء للمفعول من عصره إذا أنجاه وهو مطابق للإغاثة ويجوز أن يكون المبني للفاعل بمعنى ينجون
كأنه قيل فيه يغاث الناس وفيه يغيثون أي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا وقيل يعصرون يمطرون من أعصرت
السحابة وفيه وجهان إما أن يضمن أعصرت معنى مطرت فيعدى تعديته وإما أن يقال الأصل أعصرت عليهم فحذف
الجار وأوصل الفعل تأول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف اليابسات بسنين مجدبة
ثم بشرهم بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بأن العام الثامن يجيء مباركا خصيبا كثير الخير غزير النعم وذلك من
جهة الوحي وعن قتادة زاده الله علم سنة فإن قلت معلوم أن السنين المجدبة إذا انتهت كان انتهاؤها بالخصب

والا لم توصف بالاستشهاد فلم قلت ان علمه ذلك من جهة الوحي قلت معلوما علما مطلقا لا مفصلا او قوله فيه يغاث الناس
وفيه يعصرون تفصيل لحال العام وذلك لا يعلم الا بالوحي وانما تأنى وتثبت في اجابة الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر براءة
ساحته عما قرف به وسجن فيه لئلا يتسلق به الحاسدون الى تقبيح امره عنده ويجعلوه سلما الى حط منزلته لديه
ولئلا يقولوا ما خلد في السجن سبع سنين الا لامر عظيم وجرم كبير حق به ان يسجن ويعذب ويستكف شره وفيه
دليل على ان الاجتهاد في نفي التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقفها قال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم
الآخر فلا يقفن مواقف التهم ومنه قال رسول الله للمارين به في معتكفه وعنده بعض نسائه هي فلانة اتقاء
للتهمة وعن النبي صلى الله عليه لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف
والسمان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترط ان يخرجوني ولقد عجبت منه حين اتاه الرسول فقال ارجع
الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وبادرتهم الباب ولما ابتغيت العذر ان كان لحليما
ذا اناة وانما قال سل الملك عن حال النسوة ولم يقل سله ان يفتش عن شانهن لان السؤال مما يهيج الانسان ويحركه للبحث
عما سئل عنه فاراد ان يورد عليه السؤال ليجد في التفتيش عن حقيقة القصة وفص الحديث حتى يتبين له براءته بيانا
مكشوفا يتميز فيه الحق من الباطل وقرئ النسوة بضم النون ومن كرمه وحسن ادبه انه لم يذكر سيدته مع ما صنعت
به وتسببت فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المقطعات ايديهن ان ربي ان الله تعالى بكيدهن عليم اراد انه
كيد عظيم لا يعلمه الا الله تعالى لبعد غوره او استشهد بعلم الله على انهن كدنه وانه بريء مما قرف به او اراد الوعيد
لهن او هو عليم بكيدهن فمجازيهن عليه ما خطبكن ما شانكن اذ راودتن يوسف هل وجدتن فيه ميلا اليكن
قلن حاش لله تعجبا من عفته وذهابه بنفسه عن شيء من الريبة ومن نزاهته عنها قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق اي ثبت
واستقر وقرئ حصحص على البناء للمفعول وهو من حصحص البعير اذا القى ثفناته للاناخة قال الشاعر
فحصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوءة ثم صمما ولا مزيد على شهادتهن له بالبراءة والنزاهة واعترافهن على
انفسهن بانه لم يتعلق بشيء مما قرفنه به لانهن خصومه واذا اعترف الخصم بان صاحبه على الحق وهو على الباطل لم يبق
لاحد مقال وقالت المجبرة والحشوية نحن قد بقي لنا مقال ولا بد لنا ان ننبق في وجه من شهد بنزاهته ذلك ليعلم من
كلام يوسف اي ذلك التثبت والتشمر لظهور البراءة ليعلم العزيز اني لم اخنه بظهر الغيب في حرمته ومحل بالغيب
الحال من الفاعل او المفعول على معنى وانا غائب عنه خفي عن عينه او وهو غائب عني ويجوز ان يكون ظرفا اي بمكان الغيب وهو
الخفاء والاستتار وراء الابواب السبعة المغلقة وليعلم ان الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده وكانه
تعريض بامرأته في خيانتها امانة زوجها وبه في خيانته امانة الله حين ساعدها بعد ظهور الآيات على حبسه ويجوز
ان يكون تاكيدا لامانته وانه لو كان خائنا لما هدى الله كيده ولا سدده ثم اراد ان يتواضع لله ويهضم
نفسه لئلا يكون لها مزكيا وبحالها في الامانة معجبا ومفتخرا كما قال رسول الله انا سيد ولد آدم ولا فخر ولا يبين
ان ما فيه من الامانة ليس به وحده وانما هو بتوفيق الله ولطفه وعصمته فقال وما ابرئ نفسي من الزلل وما اشهد
لها بالبراءة الكلية ولا ازكيها ولا تخلو اما ان يريد في هذه الحادثة لما ذكرنا من الهم الذي هو ميل النفس
عن طريق الشهوة البشرية لا عن طريق القصد والعزم واما ان يريد عموم الاحوال ان النفس لامارة بالسوء اراد
الجنس اي ان هذا الجنس يأمر بالسوء ويحمل عليه بما فيه من الشهوات الا ما رحم ربي الا البعض الذي رحمه ربي
بالعصمة كالملائكة ويجوز ان يكون ما رحم في معنى الزمان اي الا وقت رحمة ربي يعني انها امارة بالسوء في
كل وقت وزمان الا وقت العصمة ويجوز ان يكون استثناء منقطعا اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة
كقوله ولا هم ينقذون الا رحمة وقيل معناه ذلك ليعلم الله اني لم اخنه لان المعصية خيانة وقيل هو من

كلام

وقيل علم ان ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لا يستحلون امساكها فيرجعون لاجلها وقيل معنى لعلهم يرجعون يردونها
منع منا الكيل يريدون قول يوسف فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي لانهم اذا انذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل نكتل نرفع المانع
من الكيل ونكتل من الطعام ما نحتاج اليه وقرئ يكتل بمعنى يكتل اخونا فينضم اكتياله الى اكتيالنا او يكن سببا للاكتيال فان
امتناعه بسببه هل آمنكم عليه يريد انكم قلتم في يوسف وانا له لحافظون كما تقولونه في اخيه ثم خنتم بضمانكم فما يؤمنني
من مثل ذلك ثم قال فالله خير حافظا فتوكل على الله فيه ودفعه اليهم وحافظا تمييز كقولك لله دره
فارسا ويجوز ان يكون حالا وقرئ حفظا وقرأ الاعمش فالله خير حافظ وقرأ ابو هريرة خير الحافظين وهو ارحم
الراحمين فارجو ان ينعم علي بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين وقرئ ردت الينا بكسر الراء على ان كسرة الدال المدغمة
نقلت الى الراء كما قيل قيل وبيع وحكى قطرب ضرب زيد على نقل كسرة الراء فيمن سكنها الى الضاد ما نبغي للنفي
اي ما نبغي في القول وما نتزيد فيما وصفنا لك من احسان الملك واكرامه وكانوا قالوا له انا قدمنا على خير
رجل انزلنا واكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما اكرمنا كرامته او ما نبتغي شيئا وراء ما فعل بنا من الاحسان او على
الاستفهام بمعنى اي شيء نطلب وراء هذا وفي قراءة ابن مسعود ما تبغي بالتاء على مخاطبة يعقوب معناه اي شيء وراء
هذا من الاحسان او من الشاهد على صدقنا وقيل معناه ما نريد منك بضاعة اخرى وقوله هذه بضاعتنا ردت الينا
جملة مستانفة موضحة لقوله ما نبغي والجمل بعدها معطوفة عليها على معنى ان بضاعتنا ردت الينا فنستظهر بها ونمير
اهلنا في رجوعنا الى الملك ونحفظ اخانا فما يصيبه شيء مما تخافه ونزداد باستصحاب اخينا وسق بعير زائدا على اوساق
اباعرنا فاي شيء نبغي وراء هذه المباغي التي نستصلح بها احوالنا ونوسع ذات ايدينا وانما قالوا ونزداد كيل بعير
لما ذكرنا انه كان لا يزيد للرجل على حمل بعير للتقسيط [illegible] هذا اذا فسر البغي بالطلب فاما اذا فسرته
بالكذب والتزيد في القول كانت الجملة الاولى وهي قوله هذه بضاعتنا ردت الينا بيانا لانهم صادقون وانما التزيد
فما تصنع بالجمل البواقي قلت اعطفها على قوله ما نبغي على معنى لا نبغي فيما نقول ونمير اهلنا ونفعل كيت
وكيت ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ كقولك وينبغي ان نمير اهلنا كما تقول سعيت في حاجة فلان واجتهدت في تحصيل
غرضه ويجب ان اسعى وينبغي لي ان لا اقصر ويجوز ان يراد ما نبغي ما ننطق الا بالصواب فيما نشير به من تجهيزنا مع
اخينا ثم قالوا هذه بضاعتنا نستظهر بها ونمير اهلنا ونفعل ونصنع بيانا لانهم في رايهم وانهم مصيبون فيه
وهو وجه حسن واضح ذلك كيل يسير اي ذلك مكيل قليل لا يكفينا يعنون ما يكال لهم فارادوا ان يزدادوا
اليه ما يكال لاخيهم او يكون ذلك اشارة الى كيل بعير اي ذلك الكيل شيء قليل يجيبنا اليه الملك ولا يضايقنا فيه
او سهل عليه متيسر لا يتعاظمه ويجوز ان يكون من كلام يعقوب وان حمل بعير شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد
كقوله ذلك ليعلم لن ارسله معكم مناف لحالي وقد رايت منكم ما رايت حتى تؤتوني موثقا من
الله حتى تعطوني ما اتوثق به من عند الله اراد ان يحلفوا له بالله وانما جعل الحلف بالله موثقا منه لان الحلف به مما تؤكد
به العهود وتشدد وقد اذن الله في ذلك فهو اذن منه لتأتنني به جواب اليمين لان المعنى حتى تحلفوا لتأتنني به الا
ان يحاط بكم الا ان تغلبوا فلم تطيقوا الاتيان به او الا ان تهلكوا فان قلت اخبرني عن حقيقة هذا الاستثناء
ففيه اشكال قلت ان يحاط بكم مفعول له والكلام المثبت الذي هو قوله لتأتنني به في تأويل النفي معناه
لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم اي لا تمتنعون منه لعلة من العلل الا لعلة واحدة وهي ان يحاط بكم
فهو استثناء من اعم العام في المفعول له والاستثناء من اعم العام لا يكون الا في النفي وحده فلا بد من تاويله
بالنفي ونظيره من المتأول بمعنى النفي قولهم اقسمت بالله لما فعلت والا فعلت تريد ما اطلب منك الا الفعل على
ما نقول من طلب الموثق واعطائه وكيل رقيب مطلع وانما نهاهم ان يدخلوا من باب واحد لانهم كانوا ذوي بهاء

كلام امراة العزيز اي ذلك الذي قلت ليعلم يوسف اني لم اخنه ولم اكذب عليه في حال الغيبة وجئت بالصحيح والصدق
فيما سئلت عنه وما ابرئ نفسي مع ذلك من الخيانة فاني قد خنته حين قرفته وقلت ما جزاء من اراد باهلك سوءا
الا ان يسجن واودعته السجن تريد الاعتذار مما كان منها ان كل نفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي الا نفسا رحمها الله
بالعصمة كنفس يوسف ان ربي غفور رحيم استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت قلت كيف صح ان
يجعل من كلام يوسف ولا دليل على ذلك قلت كفى بالمعنى دليلا قائدا الى ان يجعل من كلامه ونحوه
قوله قال الملا من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره ثم قال فماذا تامرون
وهو من كلام فرعون يخاطبهم ويستشيرهم وعن ابن جريج هذا من تقديم القران وتاخيره ذهب ان ذلك
ليعلم متصل بقوله فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ولقد لفقت المبطلة روايات مصنوعة فزعموا
ان يوسف حين قال اني لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت بها وقالت له امراة العزيز ولا حين
حللت تكة سراويلك يا يوسف وذلك لتهالكهم على بهت الله ورسله نقالنا استخلصه واجعله اذ جعله
خالصا لنفسه فخاصا به فلما كلمه وشاهد منه ما لم يحتسب قال يا ايها الصديق انك اليوم لدينا مكين
ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن على كل شيء روي ان الرسول جاءه فقال اجب الملك فخرج من السجن ودعا لاهله
اللهم اعطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم اعلم الناس بالاخبار في الواقعات وكتب على باب
السجن هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن
السجن ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسالك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك
من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان فقال لسان ابي وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا
فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب الملك منه وقال ايها الصديق اني احب ان اسمع رؤياي منك قال رايت بقرات
فوصف لونهن واحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التي راها الملك
لا تخرم منها حرفا وقال له من حقك ان تجمع الطعام في الاهراء فيأتيك الخلق من النواحي فيمتارون منك وتجمع
لك من الكنوز ما لم يجتمع لاحد قبلك قال اجعلني على خزائن الارض ولي خزائن ارضك اني حفيظ عليم امين احفظ ما
تستحفظنيه عالم بوجوه التصرف وصف نفسه بالامانة والكفاية اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه وانما قال ذلك
ليتوصل الى امضاء احكام الله واقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لاجله بعث الانبياء الى العباد ولعلمه
ان احدا غيره لا يقوم مقامه في ذلك فطلب التولية ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا وعن النبي صلى الله عليه
ورحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكنه اخر ذلك سنة قلت
كيف جاز ان يتولى عملا من يد كافر ويكون تبعا له من تحت امره وطاعته قلت روي مجاهد
انه قد اسلم وعن قتادة هو دليل على انه يجوز ان يتولى الانسان عملا من يد سلطان جائر وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة
البغاة ورعاه واذا علم النبي والعالم انه لا سبيل الى الحكم بامر الله ودفع الظلم الا بتمكين الملك الكافر والفاسق
فله ان يستظهر به وقيل كان الملك يصدر عن رايه ولا يعترض عليه في كل ما راى فكان في حكم التابع له
والمطيع وكذلك ومثل ذلك التمكين الظاهر مكنا ليوسف في ارض مصر روي انها كانت اربعين فرسخا في
اربعين يتبوأ منها حيث يشاء قرئ بالنون والياء اي كل مكان اراد ان يتخذه منزلا ومتبوأ له لم يمنع منه لاستيلائه على
جميعها ودخولها تحت ملكته وسلطانه روي ان الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من
ذهب مكللا بالدر والياقوت وروي انه قال له اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج
فليس من لباسي ولا لباس آبائي فقال قد وضعته اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير وكانت له الملوك

وشارة حسنة وقد اشتهروا عند اهل مصر بالقربة عند الملك والكرامة الخاصة التي لم تكن لغيرهم فكانوا مظنة لطرح
الابصار اليهم من بين الوفود وان يشار اليهم بالاصابع ويقال هؤلاء اضياف الملك انظروا اليهم ما احسنهم من
فتيان وما احقهم بالاكرام لامر ما اكرمهم الملك وقربهم وفضلهم على الوافدين عليه فخاف لذلك ان يدخلوا
كوكبة واحدة فيعانوا لجمالهم وجلالة امرهم في الصدور فيصيبهم ما يسوءهم ولذلك لم يوصهم بالتفرق
في المرة الاولى لانهم كانوا مجهولين مغمورين بين الناس عا قلت وهل للاصابة بالعين وجه تصح عليه قلت
يجوز ان يحدث الله عز وجل عند النظر الى الشيء والاعجاب به نقصانا فيه وخللا من بعض الوجوه ويكون ذلك
ابتلاء من الله وامتحانا للعباده ليتميز المحققون من اهل الحشو فيقول المحقق هذا فعل الله ويقول الحشوي هو اثر العين
كما قال وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الاية وعن النبي صلى الله عليه انه كان يعوذ الحسن والحسين اعيذ
بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة وما اغني عنكم من الله من شيء يعني ان اراد الله بكم سوءا لم ينفعكم
ولم يدفع عنكم ما اشرت به عليكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة ان الحكم الا لله ثم قال ولما دخلوا من حيث
امرهم ابوهم اي متفرقين ما كان يغني عنهم راي يعقوب ودخولهم متفرقين شيئا قط حيث اصابهم ما ساءهم
مع تفرقهم من اضافة السرقة اليهم وافتضاحهم بذلك واخذ اخيهم بوجدان الصواع في رحله وتضاعف
المصيبة على ابيهم الا حاجة استثناء منقطع على معنى ولكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهي شفقته
عليهم واظهارها بما قاله لهم ووصاهم به وانه لذو علم يعني قوله وما اغني عنكم وعلمه بان القدر لا يغني
عنه الحذر آوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين وروي انهم قالوا له هذا اخونا قد جئناك به فقال لهم احسنتم و
اصبتم وستجدون ذلك عندي فانزلهم واكرمهم ثم اضافهم واجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين
وحده فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف بقي اخوكم وحيدا فاجلسه على مائدته
وجعل يواكله وقال انتم عشرة فلينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات يوسف
يضمه اليه ويشم ريحه حتى اصبح وساله عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتققت اسماءهم من اسم اخ لي هلك
فقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى
يوسف وقام اليه وعانقه وقال له اني انا اخوك يوسف فلا تبتئس فلا تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما مضى
فان الله تعالى قد احسن الينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما اعلمتك وعن ابن عباس تعرف اليه وعن وهب انما قال له
انا اخوك بدل اخيك المفقود فلا تبتئس بما كنت تلقى منهم من الحسد والاذى فقد امنتهم وروي انه
قال له فانا لا افارقك قال قد علمت اغتمام والدي بي فاذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا ان انسبك
الى ما لا يحمل قال لا ابالي فافعل ما بدا لك قال فاني ادس صاعي في رحلك ثم انادي عليك بانك سرقته ليتهيا
لي ردك بعد تسريحك قال افعل السقاية مشربة يسقى بها وهي الصواع قيل كان يسقى بها الملك ثم جعلت صاعا
يكال به وقيل كانت الدواب تسقى بها ويكال بها وقيل كانت اناء مستطيلا يشبه المكوك وقيل هي المكوك
الفارسي الذي يلتقي طرفاه تشرب به الاعاجم وقيل كانت من فضة مموهة بالذهب وقيل كانت من ذهب
وقيل كانت مرصعة بالجواهر ثم اذن مؤذن ثم نادى مناد يقال اذنه اعلمه واذن اكثر الاعلام ومنه
المؤذن لكثرة ذلك منه روي انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى انطلقوا ثم امر بهم فادركوا وحبسوا ثم
قيل لهم ذلك والعير الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تذهب وتجيء وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر حتى
قيل لكل قافلة عير كانها جمع عير واصلها فعل كسقف وسقف فعل به ما فعل ببيض وغيد والمراد اصحاب العير
كقوله يا خيل الله اركبي وقرا ابن مسعود وجعل السقاية على جذف جواب لما كانه قيل فلما جهزهم بجهازهم

وفوض الملك امره اليه وعزل قطفير ثم مات بعد فزوجه الملك امراته فلما دخل عليها قال اليس هذا خيرا مما
طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين افرائيم وميشا واقام العدل بمصر واحبته الرجال والنساء واسلم على يديه الملك
وكثير من الناس وباع من اهل مصر في سني القحط الطعام بالدنانير والدراهم في السنة الاولى حتى لم يبق
معهم شي منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا والله
ما راينا كاليوم ملكا اجل ولا اعظم منه فقال للملك كيف رايت صنع الله بي فيما خولني فما ترى قال الراي رايك
فاني اشهد الله تعالى واشهدك اني اعتقت اهل مصر عن اخرهم ورددت عليهم املاكهم وكان لا يبيع لاحد من
الممتارين اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس واصاب ارض كنعان وبلاد الشام نحو ما اصاب مصر فارسل يعقوب
بنيه ليمتاروا واحتبس بنيامين برحمتنا بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم من نشاء من اقتضت
الحكمة ان نشاء له ذلك ولا نضيع اجر المحسنين بل نجزيهم في الدنيا ولاجر الاخرة خير لهم قال سفين ابن
عيينة المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والاخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق وتلا
هذه الاية لم يعرفوه لطول العهد ومفارقته اياهم في سن الحداثة ولاعتقادهم انه قد هلك ولذهابه عن اوهامهم
لقلة فكرهم فيه واهتمامهم بشانه ولبعد حاله التي بلغها من الملك والسلطان عن حاله التي فارقوه عليها طريحا
في البير مشريا بدراهم معدودة حتى لو تخيل لهم انه هو لكذبوا انفسهم ولظنهم ان الملك ما يبدل الزي وليس
صلحبه من التهيب والاستعظام ما ينكر له المعروف وقيل راوه على زي فرعون عليه ثياب الحرير جالسا على
سرير في عنقه طوق من ذهب وعلى راسه تاج فما خطر ببالهم انه هو وقيل ما راوه الا من بعيد بينهم وبينه
مسافة وحجاب وما وقفوا الا حيث يقف طلاب الحوائج وانما عرفهم لانه فارقهم وهم رجال وراى زيهم
قريبا من زيهم اذ ذاك ولان همته كانت معقودة بهم وبمعرفتهم وكان يتامل ويتفطن وعن الحسن ما عرفهم حتى
تعرفوا اليه ولما جهزهم بجهازهم اي اصلحهم بعدتهم وهي عدة السفر من الزاد وما يحتاج اليه المسافر وقرئ
واوقر ركائبهم بما جاوا له من الميرة وقرئ بجهازهم بكسر الجيم قال ايتوني باخ لكم من ابيكم لا بد من
مقدمة سبقت له معهم حتى اجتر القول هذه المسئلة روي انه لما راهم وكلموه بالعبرانية قال لهم اخبروني
من انتم وما شانكم فاني انكركم قالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجينا نمتار فقال لعلكم جيتم
عيونا تنظرون عورة بلادي قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب
قال كم انتم قالوا اثني عشر فهلك منا واحد قال فكم انتم ها هنا قالوا عشرة قال فاين الاخ الحادي عشر
قالوا هو عند ابيه يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم انكم لستم بعيون وان الذي تقولون حق قالوا انا ببلاد
لا يعرفنا فيها احد فيشهد قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وايتوني باخيكم من ابيكم وهو يحمل رسالة من ابيكم
حتى اصدقكم فاقترعوا بينهم فاصابت القرعة شمعون وكان احسنهم رايا في يوسف فخلفوه عنده وكان
احسن انزالهم وضيافتهم ولا تقربون فيه وجهان احدهما ان يكون داخلا في حكم الجزاء مجزوما عطفا على
محل قوله فلا كيل لكم كانه قال فان لم تاتوني به تحرموا ولا تقربوا وان يكون بمعنى النهي سنراود عنه اباه سنخادعه عنه
ونجتهد ونحتال حتى ننتزعه من يده وانا لفاعلون وانا لقادرون على ذلك لا نتعايا به او وانا لفاعلون ذلك لا محالة
لا نفرط فيه ولا نتوانى لفتيته وقرئ لفتيانه وهما جمع فتى كاخوة واخوان في اخ وفعلة للقلة وفعلان
للكثرة اي لغلمانه الكايلين لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها وحق التكرم باعطاء البدلين اذا انقلبوا الى
اهلهم وفرغوا ظروفهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم بذلك تدعوهم الى الرجوع الينا وكانت بضاعتهم النعال
والادم وقيل تخوف ان لا يكون عند ابيه من المتاع ما يرجعون به وقيل لم ير من الكرم ان ياخذ من ابيه واخوته ثمنا

وقيل

وجعل السقاية في رحل اخيه امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن وقرا عبد الرحمن السلمي تفقدون من افقدته
اذا وجدته فقيدا وقرئ صواع وصاع وصوع وصوع بفتح الصاد وضمها والعين معجمة وغير معجمة وانا به
زعيم يقوله المؤذن يريد وانا بحمل البعير كفيل اوديه الى من جاء به واراد وسق بعير من طعام جعلا لمن
حصله تالله قسم فيه معنى التعجب مما اضيف اليهم وانما قالوا لقد علمتم فاستشهدوا بعلمهم لما ثبت عنده من
دلايل دينهم وامانتهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك ولانهم دخلوا وافواه رواحلهم مكعومة لئلا
تتناول زرعا او طعاما لاحد من اهل السوق ولانهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم وما كنا
سارقين وما كنا نوصف قط بالسرقة وهي منافية لحالنا فما جزاؤه الضمير للصواع اي فما جزاء سرقته
ان كنتم كاذبين في جحودكم وادعايكم البراءة منه قالوا جزاؤه من وجد في رحله اي جزاء سرقته
اخذ من وجد في رحله وكان حكم السارق في ال يعقوب ان يسترق سنة فلذلك استفتوا في جزائه
وقولهم فهو جزاؤه تقرير للحكم اي اخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير كقولك حق زيد ان
يكسى ويطعم وينعم عليه فذلك حقه او فهو حقه لتقرر ما ذكرته من استحقاقه وتلزمه ويجوز ان يكون
جزاؤه مبتدا والجملة الشرطية كما هي خبره على اقامة الظاهر فيها مقام المضمر والاصل جزاؤه من وجد
في رحله فهو هو فوضع الجزاء موضع هو كما تقول لصاحبك من اخو زيد فيقول لك اخوه من تقعد الى جنبه
فهو هو يرجع الضمير الاول الى من والثاني الى الاخ ثم تقول فهو اخوه مقيما للمظهر مقام المضمر ويحتمل
ان يكون جزاؤه خبر مبتدا محذوف اي المسؤول عنه جزاؤه ثم افتوا بقولهم من وجد في رحله
فهو جزاؤه كما تقول من يستفتي في جزاء صيد المحرم جزاء صيد المحرم ثم تقول ومن قتله منكم متعمدا
فجزاء مثل ما قتل من النعم فبدا باوعيتهم قيل قال لهم من وكل بهم لا بد من تفتيش اوعيتكم فانصرف
بهم الى يوسف فبدا بتفتيش اوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ما اظن هذا اخذ شيا
فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر في رحله لانه اطيب لنفسك وانفسنا فاستخرجوه وقرئ وعا اخيه بضم الواو
وهي لغة وقرا سعيد ابن جبير اعا اخيه بقلب الواو همزة فان قلت لم ذكر ضمير الصواع مرات
ثم انثه قلت رجع بالتانيث على السقاية او انث الصواع لانه يذكر ويونث ولعل يوسف كان يسميه سقاية
وعبيده صواعا فقد وقع فيما يتصل به من الكلام سقاية وفيما يتصل بهم منه صواعا كذلك لذلك الكيد
العظيم كدنا ليوسف يعني علمناه اياه واوحينا به اليه ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك تفسير للكيد وبيان له لانه
كان في دين ملك مصر وما كان يحكم به في السارق ان يغرم مثلي ما اخذ لا ان يلزم ويستعبد الا ان يشاء الله اي ما
كان ياخذه الا بمشيئة الله واذنه فيه نرفع درجات من نشاء في العلم كما رفعنا درجة يوسف فيه وقرئ يرفع بالياء
ودرجات بالتنوين وفوق كل ذي علم عليم فوقه ارفع درجة منه في علمه او فوق العلماء كلهم عليم هم
دونه في العلم وهو الله عز وعلا فان قلت ما اذن الله فيه يجب ان يكون حسنا فمن اي وجه حسن
هذا الكيد وما هو الا بهتان وتسريق لمن لا يسرق وتكذيب لمن لا يكذب وهو قوله انكم لسارقون فما
جزاؤه ان كنتم كاذبين قلت هو في صورة البهتان وليس ببهتان في الحقيقة لان قوله انكم لسارقون
تورية عما جرى مجرى السرقة من فعلهم بيوسف وقيل كان ذلك القول من المؤذن لا من يوسف وقوله
ان كنتم كاذبين فرض لانتفاء براءتهم وفرض التكذيب لا يكون تكذيبا على انهم لو صرح لهم بالتكذيب
كما صرح لهم بالتسريق لكان له وجه لانهم كانوا كاذبين في قولهم وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذيب
هذا وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها الى مصالح ومنافع دينية لقوله لايوب عليه السلام

وخذ بيدك ضغثا لتتخلص من جلدها ولا تحنث وكقول ابرهيم هي اختي لتسلم من يد الكافر وما الشرايع كلها الا
مصالح وطرق الى التخلص من الوقوع في المفاسد وقد علم الله تعالى في هذه الحيلة التي لقنها يوسف مصالح
عظيمة فجعلها سلما وذريعة اليها فكانت حسنة جميلة وانزاحت عنها وجوه القبح لما ذكرنا اخ له ارادوا
يوسف روي انهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤوسهم حياء واقبلوا عليه
وقالوا له ماذا الذي صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل ما يزال لنا منكم بلاء متى اخذت هذا
الصاع فقال بنو راحيل الذين لا يزال منكم عليهم البلاء ذهبتم باخي فاهلكتموه ووضع هذا الصواع في رحلي
الذي وضع البضاعة في رحالكم واختلف فيما اضافوا الى يوسف من السرقة فقيل كان اخذ في صباه صنما
لجده ابي امه فكسره والقاه بين الجيف في الطريق وقيل دخل الكنيسة فاخذ تمثالا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه وقيل
كانت في المنزل عناق او دجاجة فاعطاها السائل وقيل كانت لابرهيم عليه السلام منطقة يتوارثها اكابر
ولده فورثها اسحق ثم وقعت الى ابنته وكانت اكبر اولاده فحضنت يوسف وهي عمته بعد وفاة امه وكانت
لا تصبر عنه فلما شب اراد يعقوب ان ينتزعه منها فعمدت الى المنطقة فحزمتها على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت
منطقة محزومة على يوسف فقالت انه لي سلم افعل به ما شئت فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت فاسرها اضمار
على شريطة التفسير انتم شر مكانا وانما انث لان قوله انتم شر مكانا جملة او كلمة على تسميتهم الطائفة من الكلام
كلمة كانه قيل فاسر الجملة او الكلمة التي هي قوله انتم شر مكانا والمعنى قال في نفسه انتم شر مكانا لان
قوله انتم شر مكانا بدل من اسرها وفي قراءة ابن مسعود فاسره على التذكير يريد القول او الكلام ومعنى
انتم شر مكانا انتم شر منزلة في السرق لانكم سارقون بالصحة لسرقتكم من ابيكم والله اعلم بما تصفون يعلم
انه لم يصح لي ولا لاخي سرقة وليس الامر كما تصفون استعطفوه باذكارهم اياه حق ابيه يعقوب وانه شيخ كبير
السن او القدر وان بنيامين احب اليه منهم وكانوا قد اخبروه بان ولدا له قد هلك وهو عليه ثكلان
وانه مستانس باخيه فخذ احدنا مكانه بدله على وجه الاسترهان او الاستعباد انا نراك من المحسنين الينا فاتمم
احسانك او من عادتك الاحسان فاجر على عادتك ولا تغيرها معاذ الله هو كلام موجه ظاهره انه وجب
على قضية فتواكم اخذ من وجد الصواع في رحله واستعباده فلو اخذنا غيره كان ذلك ظلما في مذهبكم
فلم تطلبون ما عرفتم انه ظلم وباطنه ان الله امرني واوحى الي باخذ بنيامين واحتباسه لمصلحة او لمصالح جمة
علمها في ذلك فلو اخذت غير من امرني باخذه كنت ظالما وعاملا على خلاف الوحي ومعنى معاذ الله ان ناخذ نعوذ بالله
معاذا من ان ناخذ فاضيف المصدر الى المفعول به وحذف من واذا جواب لهم وجزاء لان المعنى ان اخذنا
بدله ظلمنا استياسوا يئسوا وزيادة السين والتاء في المبالغة نحو ما مر في استعصم والنجي على معنيين يكون
بمعنى المناجي كالسمير والعشير بمعنى المسامر والمعاشر ومنه قوله تعالى وقربناه نجيا وبمعنى المصدر الذي هو
التناجي كما قيل النجوى بمعناه ومنه قيل قوم نجي كما قيل واذ هم نجوى تنزيلا للمصدر منزلة الاوصاف ويجوز
ان يقال هم نجي كما قيل هم صديق لانه بزنة المصادر وجمع انجية قال اني اذا ما القوم كانوا انجيه ومعنى
خلصوا اعتزلوا وانفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم نجيا ذوي نجوى او فوجا نجوى اي مناجيا
لمناجاة بعضهم بعضا واحسن منه انهم تمحضوا تناجيا لاستجماعهم لذلك وافاضتهم فيه بجد واهتمام كانهم
في انفسهم صورة التناجي وحقيقته وكان تناجيهم في تدبير امرهم على اي صفة يذهبون وماذا يقولون
لابيهم في شان اخيهم كقوم تعايوا بما دهمهم من الخطب فاحتاجوا الى التشاور كبيرهم في السن وهو روبيل
وقيل رئيسهم وهو شمعون وقيل كبيرهم في العقل والراي وهو يهوذا ما فرطتم في يوسف فيه وجوه ان تكون ما صلة

اي ومن قبل هذا قصرتم في شان يوسف ولم تحفظوا عهد ابيكم وان تكون مصدرية على ان محل المصدر الرفع على الابتداء
وخبره الظرف ومعناه ووقع من قبل تفريطكم في يوسف او النصب عطفا على مفعول الم تعلموا وهو ان اباكم كانه قيل
الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم من قبل في يوسف وان تكون موصولة بمعنى ومن قبل هذا ما فرطتموه اي قدمتموه
في حق يوسف من الجناية العظيمة ومحله الرفع او النصب على الوجهين فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى ياذن لي
في الانصراف اليه ابي او يحكم الله لي بالخروج منها او بالانتصاف ممن اخذ اخي او بخلاصه من يده بسبب من الاسباب
وهو خير الحاكمين لانه لا يحكم الا بالعدل والحق وقرئ سرق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه بالسرقة
الا بما علمنا من سرقته وتيقناه لان الصواع استخرج من وعائه ولا شيء ابين من هذا وما كنا للغيب حافظين
وما علمنا انه سيسرق حين اعطيناك الموثق او ما علمنا انك تصاب به كما اصبت بيوسف ومن قرا سرق
فمعناه وما شهدنا الا بقدر ما علمنا من التسريق وما كنا للغيب للامر الخفي حافظين اسرق بالصحة ام
دس الصاع في رحله ولم يشعر القرية التي كنا فيها هي مصر اي ارسل الى اهلها فسلهم عن كنه القصة
والعير التي اقبلنا فيها واصحاب العير وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب وقيل من اهل صنعاء معناه فرجعوا
الى ابيهم فقالوا له ما قال لهم اخوهم فقال بل سولت لكم انفسكم امرا اردتموه والا فما ادرى ذلك الرجل ان
السارق يؤخذ بسرقته لولا فتواكم وتعليمكم بهم جميعا بيوسف واخيه وروبيل او غيره انه هو العليم بحالي
في الحزن والاسف الحكيم الذي لم يبتلني بذلك الا لحكمة ومصلحة وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة لما جاؤوا
به يا اسفى اضاف الاسف الذي هو اشد الحزن والحسرة الى نفسه والالف بدل من ياء الاضافة والتجانس الذي بين لفظتي
الاسف ويوسف مما يقع مطبوعا غير متعمد فيملح ويبدع ونحوه اثاقلتم الى الارض ارضيتم وهم ينهون عنه
وينأون عنه يحسبون انهم يحسنون من سبا بنبا وعن النبي صلى الله عليه لم تعط امة من الامم انا لله وانا
اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وانما قال يا اسفى
فان قلت كيف تاسف على يوسف دون اخيه ودون الثالث والرزء الاحدث اشد على النفس واظهر
اثرا قلت هو دليل على تمادي اسفه على يوسف وانه لم يقع فايت عنده موقعه وان الرزء فيه مع تقادم عهده
كان غضا عنده طريا ولم ينسني او في المصيبات بعده ولان الرزء في يوسف كان قاعدة مصيباته التي
ترتبت عليها الرزايا في ولده فكان الاسف عليه اسفا على من لحق به وابيضت عيناه اذا كثر الاستعبار محقت
العبرة سواد العين وقلبته الى بياض كدر قيل عمي بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا قرئ من الحزن ومن
الحزن الحزن كان سبب البكاء الذي حدث منه البياض فكانه حدث من الحزن قيل ما جفت عينا يعقوب
من وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على الله من يعقوب وعن النبي
صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل عليه السلام ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما
كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله ساعة قط فان قلت كيف جاز لنبي الله ان يبلغ به
الجزع ذلك المبلغ قلت الانسان مجبول على ان لا يملك نفسه عند الشدائد ولذلك حمد صبره وان يضبط
نفسه حتى لا يخرج الى ما لا يحسن ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابرهيم وقال القلب يجزع والعين
تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابرهيم لمحزونون وانما الجزع المذموم ما يقع من الجهلة من الصياح والنياحة
ولطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول
الله تبكي وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وانما نهيتكم عن صوتين احمقين صوت عند الفرح وصوت
عند الترح وعن الحسن رحمه الله انه بكى على ولد او غيره فقيل له في ذلك فقال ما رايت الله جعل الحزن عارا على يعقوب

فهو كظيم فهو مملوء من الغيظ على اولاده ولا يظهر ما يسوؤهم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله وهو مكظوم من كظم
السقاء اذا شده على ملئه والكظم بفتح الظاء مخرج النفس يقال اخذ باكظامه تفتأ اراد لا تفتأ فحذف حرف
النفي لانه لا يلتبس بالاثبات لانه لو كان اثباتا لم يكن بد من اللام والنون ونحوه فقلت يمين الله ابرح قاعدا اي
لا تفتأ لا تزال وعن مجاهد لا تفتر من حبه كانه جعل الفتوء والفتور اخوين يقال ما فتئ يفعل قال اوس
فما فتئت خيل تثوب وتدعي ويلحق منها لاحق وتقطع حرضا مشفيا على الهلاك مرضا واحرضه المرض
ويستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه مصدر والصفة حرض بكسر الراء ونحوهما دنف ودنف
وجاءت القراءة بهما جميعا وقرأ الحسن حرضا بضمتين ونحوه في الصفات رجل جنب وغرب البث اصعب الهم
الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس اي ينشره ومنه باثه اشكوه واثبته اياه ومعنى انما اشكو اني لا اشكو الى
احد منكم ومن غيركم انما اشكو الى ربي داعيا له وملتجئا اليه فخلوني وشكايتي وهذا معنى توليه عنهم اي فتولي عنهم
الى الله والشكاية اليه وقيل دخل على يعقوب جار له فقال له يا يعقوب قد تهشمت وفنيت وما بلغت من العمر ما بلغ ابوك
فقال هشمني واهمني ما ابتلاني الله به من هم يوسف فاوحى الله اليه يا يعقوب اتشكوني الى خلقي فقال يا رب خطيئة
اخطأتها فاغفر لي فغفر له فكان بعد ذلك اذا سئل قال انما اشكو بثي وحزني الى الله وروي انه اوحي الى يعقوب
انما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه وان احب خلقي الي الانبياء ثم المساكين فاصنع
طعاما وادع عليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت واعلم من الله ما لا تعلمون اي اعلم
من صنعه ورحمته وحسن ظني به انه ياتيني بالفرج من حيث لا احتسب وروي انه رأى ملك الموت في منامه فسأله
هل قبضت روح يوسف فقال لا والله هو حي فاطلبه وقرأ الحسن وحزني بفتحتين وحزني بضمتين قتادة فتحسسوا
من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما وقرئ بالجيم كما قرئ في الحجرات وهما تفعل من الاحساس وهو
المعرفة ومن الجس الذي هو الطلب ومنه قالوا للمشاعر الانسان الحواس والجواس من روح
الله من فرجه وتنفيسه وقرأ الحسن وقتادة من روح الله بالضم اي من رحمته التي يحيا بها العباد الضر
الهزال من الشدة والجوع مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من ازجيته اذا دفعته
وطردته والريح تزجي السحاب قيل كانت من متاع الاعراب صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل
سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة فاوف لنا الكيل الذي هو حقنا وتصدق علينا وتفضل
علينا بالمسامحة والاغماض عن رداءة البضاعة او زدنا على ما هو حقنا فسموا ما هو فضل وزيادة لا تلزمه صدقة
لان الصدقات محظورة على الانبياء وقيل كانت تحل لغير نبينا صلى الله عليه وسلم وسئل ابن عيينة عن ذلك فقال الم
تسمع وتصدق علينا اراد انها كانت حلالا لهم والظاهر انهم تمسكنوا له وطلبوا ان يتصدق عليهم ومن ثم رق
قلبه وملكته الرحمة عليهم فلم يتمالك ان عرفهم نفسه وقوله ان الله يجزي المتصدقين شاهد لذلك لذكر
الله وجزائه والصدقة العطية التي يبتغى بها المثوبة من الله ومنه قول الحسن لمن سمعه يقول اللهم تصدق
علي ان الله تعالى لا يتصدق وانما يتصدق الذي يبتغي الثواب قل اللهم اعطني او تفضل علي او ارحمني قال هل علمتم
اتاهم من جهة الدين وكان حليما موفقا فكلمهم مستفهما عن معرفة وجه القبح الذي يجب ان يراعيه التائب
فقال هل علمتم قبح ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون لا تعلمون قبحه فلذلك اقدمتم عليه يعني هل علمتم
قبحه فتبتم الى الله منه لان علم القبح يدعو الى الاستقباح والاستقباح يجر الى التوبة فكان كلامه شفقة
عليهم وتنصحا لهم في الدين لا معاتبة وتثريبا ايثارا لحق الله على حق نفسه في ذلك المقام الذي ينفس فيه المكروب
وينفث المصدور ويتشفى المغيظ المحنق ويدرك ثاره الموتور فلله اخلاق الانبياء ما اوطأها واسجحها ولله حصى

عقو

عقولهم ما ارزنها وارجحها وقيل لم يرد نفي العلم عنهم لانهم كانوا علماء ولكنهم لما لم يفعلوا ما يقتضيه العلم ولا
يقدم عليه الا جاهل سماهم جاهلين وقيل معناه اذ انتم صبيان في حد السفه والطيش قبل ان تبلغوا اوان الحلم
والرزانة روي انهم لما قالوا مسنا واهلنا الضر وتضرعوا اليه ارفضت عيناه ثم قال هذا القول وقيل ادوا اليه كتاب
يعقوب من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء
اما جدي فشدت يداه ورجلاه ورمي في النار ليحرق فنجاه الله وجعل النار عليه بردا وسلاما واما ابي فوضع
السكين على قفاه ليقتل ففداه الله واما انا فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم
اتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان اخاه
وكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا
فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك وعيل صبره
فقال لهم ذلك وروي انه لما قرأ الكتاب بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا **فان قلت**
ما فعلهم باخيه **قلت** تعريضهم اياه للغم وافراده عن اخيه لابيه وامه وجفاؤهم به حتى كان لا
يستطيع ان يكلم احدا منهم الا كلام الذليل للعزيز وايذاؤهم له بانواع الاذى قرئ ائنك على الاستفهام وانك
على الايجاب وفي قراءة ابي أانك او انت يوسف فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وهذا كلام متعجب مستغرب
لما يسمع فهو يكرر الاستثبات **فان قلت** كيف عرفوه **قلت** رأوا في روائه وشمائله حين كلمهم
بذلك ما شعروا به انه هو مع علمهم بان ما خاطبهم به لا يصدر مثله الا عن حنيف مسلم من سنخ ابراهيم لا عن اعراب
مصر وقيل تبسم عند ذلك فعرفوه بثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم وقيل ما عرفوه حتى رفع التاج عن راسه فنظروا
الى علامة بقرنه كانت ليعقوب وسارة مثلها تشبه الشامة البيضاء **فان قلت** قد سألوه عن نفسه فلم اجابهم
عنها وعن اخيه **قلت** لانه كان في ذكر اخيه بيان لما سألوه عنه من يتق من يخف
الله لا يضيع اجرهم فوضع المحسنين موضع الضمير على المتقين والصابرين لقد آثرك الله علينا اي فضلك علينا بالتقوى والصبر
وسيرة المحسنين وان شأننا وحالنا انا كنا خاطئين متعمدين للاثم لم نتق ولم نصبر لا جرم ان الله اعزك بالملك و
اذلنا بالتمسكن بين يديك لا تثريب عليكم لا تعنيف عليكم ولا عتب واصل التثريب من الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية
الكرش ومعناه ازالة الثرب كما ان التجليد والتقريع ازالة الجلد والقرع لانه اذا ذهب كان ذلك غاية الهزال والعجف
الذي ليس بعده فضرب مثلا للتقريع الذي يمزق الاعراض ويذهب بماء الوجوه **فان قلت** بم تعلق اليوم
قلت بالتثريب او بالمقدر في عليكم من معنى الاستقرار او بيغفر والمعنى لا اثربكم اليوم وهو اليوم الذي هو
مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من الايام ثم ابتدأ فقال يغفر الله لكم فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم يقال غفر
الله لك ويغفر الله لك على لفظ الماضي والمضارع جميعا ومنه قول المشمت يهديكم الله ويصلح بالكم او اليوم
يغفر الله لكم بشارة بعاجل غفران الله لما تجدد يومئذ من توبتهم وندمهم على خطيئتهم وروي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اخذ بعضادتي باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش ما ترونني فاعلا بكم قالوا نظن خيرا اخ كريم وابن اخ
كريم وقد قدرت فقال اقول ما قال اخي يوسف لا تثريب وروي ان ابا سفيان لما جاء ليسلم قال له العباس اذا اتيت
الرسول فاتل عليه قال لا تثريب عليكم ففعل فقال رسول الله صلى الله عليه غفر الله لك ولمن علمك ويروى ان اخوته لما عرفوه
ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك لما فرط منا فقال يوسف ان اهل مصر وان
ملكت فيهم فانهم ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد
شرفت الآن بكم وعظمت في العيون حيث علم الناس انكم اخوتي واني من حفدة ابراهيم اذهبوا بقميصي هذا

قيل هو القميص المتوارث الذي كان في تعويذ يوسف وكان من الجنة أمره جبريل أن يرسله إليه فإن فيه ريح الجنة لا يقع على
مبتلى أو سقيم إلا عوفي يأت بصيرا يصر بصيرا كقولك جاء البناء محكما بمعنى صار ويشهد له فارتد بصيرا أو يأت إليّ
وهو بصير وينصره قوله وأتوني بأهلكم أي يأتني أبي ويأتني آله جميعا وقيل يهوذا هو الحامل قال أنا أحزنته بحمل
القميص ملطوخا بالدم إليه فأفرحه كما أحزنته وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر إلى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا
فصلت العير خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا إذا انفصل منه وجاوز حيطانه وقرأ
ابن عباس فلما انفصل العير قال لولده وولد ولده ومن حوله إني لأجد ريح يوسف أوجده الله ريح القميص حين أقبل من
مسيرة ثمان والتفنيد النسبة إلى الفند وهو الخرف وإنكار العقل يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة لأنها لم
تكن في شبيبتها ذات رأي فتفند في كبرها والمعنى لولا تفنيدكم إياي لصدقتموني لفي ضلالك القديم لفي ذهابك
عن الصواب قدما في إفراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره ورجائك للقائه وكان عندهم أنه قد مات ألقاه
طرح البشير القميص على وجه يعقوب أو ألقاه يعقوب فارتد فرجع بصيرا يقال رده فارتد وارتده إذا ارتجعه
ألم أقل لكم يعني قوله إني لأجد ريح يوسف أو قوله ولا تيأسوا من روح الله وقوله إني أعلم كلام مبتدأ لم
يقع عليه القول وذلك أن توقف عليه وتبتدئ قوله إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون وروي أنه
سأل البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر فقال ما أصنع بالملك على أي دين تركته قال على دين الإسلام
قال الآن تمت النعمة سوف أستغفر لكم قيل أخر الاستغفار إلى وقت السحر وقيل إلى ليلة الجمعة ليتعمد به وقت الإجابة
وقيل ليتعرف حالهم في صدق التوبة وإخلاصها وإن أراد الاستغفار لهم فقد روي أنه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة
في نيف وعشرين سنة وقيل قام إلى الصلاة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال اللهم اغفر جزعي على يوسف وقلة صبري
عنه واغفر لولدي ما أتوا إلى أخيهم فأوحى إليه أن الله قد غفر لك ولهم أجمعين وروي أنهم قالوا له وقد غلبتهم
الكآبة ما يغني عنا عفوكما إن لم يعف عنا ربنا فإن لم يوح إليك بالعفو فلا قرت لنا عين أبدا فاستقبل الشيخ القبلة
قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما أذلة خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا أنها الهلكة
نزل جبريل فقال إن الله قد أجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وقد اختلف في استنبائهم
فلما دخلوا على يوسف قيل وجه يوسف إلى أبيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز إليه بمن معه وخرج يوسف والملك
في أربعة آلاف من الجند والعظماء وأهل مصر بأجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشي يتوكأ على يهوذا فنظر إلى
الخيل والناس فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا هذا ولدك فلما لقيه قال يعقوب السلام عليك يا مذهب الأحزان
وقيل إن يوسف قال له لما التقيا يا أبت بكيت علي حتى ذهب بصرك ألم تعلم أن القيامة تجمعنا فقال بلى ولكن خشيت
أن تسلب دينك فيحال بيني وبينك وقيل إن يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة
وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمى
وكانت الذرية ألف ألف ومائتي ألف آوى إليه أبويه ضمهما إليه واعتنقهما قال ابن إسحق كانت أمه تحته وقيل
هما أبوه وخالته ماتت أمه فتزوجها وجعلها أحد الأبوين لأن الرابة تدعى أما لقيامها مقام الأم أو لأن الخالة
أم كما أن العم أب ومنه قوله وإله آبائك إبرهيم وإسمعيل وإسحق فإن قلت ما معنى دخولهم عليه قبل
دخولهم مصر قلت كأنه حين استقبلهم نزل لهم في مضرب أو بيت ثم دخلوا عليه وضم إليه أبويه ثم قال
لهم ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين ولما دخل مصر وجلس في مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا إليه أكرم أبويه
فرفعهما على السرير وخروا له يعني الإخوة الأحد عشر والأبوين سجدا ويجوز أن يكون قد خرج في قبة من قباب
الملوك التي تحمل على البغال فأمر أن يرفع إليه أبواه فدخلا عليه القبة فآواهما إليه بالضم والاعتناق وقربهما منه

١٥٥

منه وقال ذلك ادخلوا مصر فإن قلت بم تعلقت المشيئة قلت بالدخول مكيفا بالأمن لأن القصد إلى اتصافهم بالأمن في
دخولهم فكأنه قيل اسلموا وأمنوا في دخولكم إن شاء الله ونظيره قولك للغازي ارجع سالما غانما إن شاء الله فلا تعلق المشيئة بالرجوع
مطلقا ولكن مقيدا بالسلامة والغنيمة مكيفا بهما والتقدير ادخلوا مصر آمنين إن شاء الله دخلتم آمنين ثم حذف الجزاء لدلالة
الكلام ثم اعترض بالجملة الجزائية بين الحال وذي الحال ومن بدع التفاسير أن قوله إن شاء الله من باب التقديم والتأخير
وأن موضعها ما بعد قوله سوف أستغفر لكم ربي في كلام يعقوب وما أدري ما أقول فيه وفي نظائره فإن قلت
كيف جاز لهم أن يسجدوا لغير الله قلت كانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل
اليد ونحوها مما جرت عليه عادة الناس من أفعال شهرت في التعظيم والتوقير وقيل ما كانت إلا انحناء دون تعفير الجباه
وخرورهم سجدا يأباه وقيل معناه وخروا لأجل يوسف سجدا لله شكرا وهذا أيضا فيه نبوة يقال أحسن إليه وبه وكذلك
أساء إليه وبه قال أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة من البدو من البادية لأنهم كانوا أهل عمد وأصحاب مواش يتنقلون
في المياه والمناجع نزغ أفسد بيننا وأغرى وأصله من نخس الرائض الدابة وحمله على الجري يقال نزغه ونسغه إذا نخسه لطيف
لما يشاء لطيف التدبير لأجله رفيق حتى يجيء على وجه الحكمة والصواب وروي أن يوسف أخذ بيد يعقوب فطاف به في خزائنه
فأدخله خزائن الورق والذهب وخزائن الحلي وخزائن الثياب وخزائن السلاح وغير ذلك فلما أدخله خزانة القراطيس
قال يا بني ما أعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت إلي على ثمان مراحل قال أمرني جبريل قال أو ما تسأله قال أنت أبسط إليه مني
فسله فقال جبريل الله أمرني بذلك لقولك وأخاف أن يأكله الذئب قال فهلا خفتني وروي أن يعقوب أقام معه أربعا وعشرين
سنة ثم مات وأوصى أن يدفنه بالشام إلى جنب أبيه إسحق فمضى بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد إلى مصر وعاش بعد أبيه ثلاثا وعشرين سنة
فلما تم أمره وعلم أنه لا يدوم له طلبت نفسه الملك الدائم الخالد فتاقت نفسه إليه فتمنى الموت وقيل ما تمناه نبي قبله ولا بعده
فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم أهل مصر وتشاحوا في دفنه كل يحب أن يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال فرأوا
من الرأي أن عملوا له صندوقا من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه في النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل إلى مصر ليكونوا فيه
شرعا واحدا وولد له افرائيم وميشا وولد لافرائيم نون ولنون يوشع فتى موسى ولقد توارثت الفراعنة من العماليق
بعده مصر ولم تزل بنو إسرائيل تحت أيديهم على بقايا دين يوسف وآبائه إلى أن بعث الله موسى صلى الله عليه وسلم
من الملك من تأويل الأحاديث للتبعيض لأنه لم يؤت إلا بعض ملك الدنيا أو بعض ملك مصر وبعض التأويل أنت
وليي في الدنيا والآخرة أنت الذي تتولاني بالنعمة في الدارين وتوصل الملك الفاني بالباقي توفني مسلما طلب للوفاة على حال الإسلام ولأن يختم
بالخير والحسنى كما قال يعقوب لولده ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ويجوز أن يكون تمنيا للموت على ما قيل وألحقني
بالصالحين من آبائي أو على العموم وعن عمر بن عبد العزيز أن ميمون بن مهران بات عنده فرآه كثير البكاء والمسألة
للموت فقال له صنع الله على يديك خيرا كثيرا أحييت سننا وأمت بدعا وفي حياتك خير وراحة للمسلمين
فقال أفلا أكون كالعبد الصالح لما أقر الله عينه وجمع له أمره قال توفني مسلما وألحقني بالصالحين
فإن قلت علام انتصب فاطر السموات قلت على أنه وصف لقوله رب كقولك أخا زيد حسن الوجه أو
على النداء ذلك إشارة إلى ما سبق من نبأ يوسف والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومحله الابتداء وقوله من أنباء الغيب نوحيه
إليك خبران ويجوز أن يكون اسما موصولا بمعنى الذي ومن أنباء الغيب صلته ونوحيه الخبر والمعنى أن هذا النبأ
غيب لم يحصل لك إلا من جهة الوحي لأنك لم تحضر بني يعقوب حين أجمعوا أمرهم وهو إلقاؤهم أخاهم
في البئر كقوله وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب وهذا تهكم بقريش وبمن كذبه لأنه لم يخف على أحد أنه
لم يلق فيها أحدا ولا سمع منه ولم يكن من علم قومه فإذا أخبر به وقصه هذا القصص العجيب الذي أعجز حملته
ورواته لم تقع شبهة في أنه ليس منه وأنه من جهة الوحي فإذا أنكروه تهكم به وقيل لهم قد علمتم يا مكابرة أنه

ليكن شاهدا لمن مضى من القرون الخالية وما كنت حاضر الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وهم يكيدون يوسف ويبغون له
الغوائل وما اكثر الناس لا يؤمنون وعن ابن عباس اراد اهل مكة اي وما هم بمؤمنين ولو حرصت وتهالكت على
ايمانهم لتصميمهم على الكفر وعنادهم وما تسألهم على ما تحدثهم به وتذكرهم ان ينيلوك منفعة وجدوى
كما يعطي حملة الاحاديث والاخبار ان هو الا ذكر من الله للعالمين عظة عامة وحث على طلب النجاة على لسان
رسول من رسله وكأين من آية من علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده يمرون عليها ويشاهدونها وهم معرضون
عنها لا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على الابتداء ويمرون عليها خبره وقراءة السدي والارض بالنصب على ويطؤن
يمرون عليها وفي مصحف عبد الله والارض يمشون عليها برفع الارض والمراد ما يرون من آثار الامم الهالكة وغير ذلك من
العبر وما يؤمن اكثرهم في اقراره بالله وبانه خلقه وخلق السموات والارض الا وهم مشركون بعبادة الوثن
وعن الحسن هم اهل الكتاب معهم شرك وايمان وعن ابن عباس هم الذين يشبهون الله بخلقه غاشية نقمة تغشاهم وقيل
ما يغمرهم من العذاب ويجللهم وقيل الصواعق هذه سبيلي هذه السبيل التي هي الدعوة الى الايمان والتوحيد سبيلي
والسبيل والطريق يذكران ويؤنثان ثم فسر سبيله بقوله ادعو الى الله على بصيرة اي ادعو الى دينه مع حجة واضحة
غير عمياء وانا تأكيد للمستتر في ادعو ومن اتبعني عطف عليه يريد ادعو اليها انا ويدعو اليها من اتبعني ويجوز ان
يكون انا مبتدأ وعلى بصيرة خبرا مقدما ومن اتبعني عطفا على انا اخبارا مبتدأ بانه ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على
هوى ويجوز ان يكون على بصيرة حالا من ادعو عاملة الرفع في انا ومن اتبعني وسبحان الله وانزهه من الشركاء الا
رجالا لا ملائكة وعن ابن عباس يريد ليست فيهم امرأة وقيل في سجاح المتنبئة ولم يكن انبياء الله ذكرانا وقرئ نوحي
اليهم بالنون من اهل القرى لانهم اعلم واحلم واهل البوادي فيهم الجهل والجفاء والقسوة ولدار الآخرة ولدار الساعة
او الحال الآخرة خير للذين اتقوا خافوا الله فلم يشركوا به ولم يعصوه وقرئ افلا يعقلون بالياء والتاء حتى متعلقة بمحذوف
دل عليه الكلام كأنه قيل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا فتراخى نصرهم حتى اذا استيأسوا من النصر وظنوا انهم قد كذبوا
اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او رجاؤهم لقولهم رجاء صادق ورجاء كاذب والمعنى ان مدة
التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله وتأميله قد تطاولت عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا
ان لا نصر لهم في الدنيا فجاءهم نصرنا فجأة من غير احتساب وعن ابن عباس رضي الله عنه وظنوا حين ضعفوا وغلبوا
انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من النصر وقال وكانوا بشرا وتلا قوله تعالى وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا
معه متى نصر الله فان صح هذا عن ابن عباس فقد اراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس في القلب من شبه الوسوسة وحديث
النفس على ما عليه البشرية واما الظن الذي هو ترجيح احد الجانبين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين
فما بال رسل الله الذين هم اعرف الناس بربهم وانه متعال عن خلف الميعاد منزه عن كل قبيح وقيل وظن المرسل
اليهم ان الرسل قد كذبوا اي اخلفوا او وظن المرسل اليهم انهم كذبوا من جهة الرسل اي كذبتهم الرسل في انهم ينصرون
عليهم ولم يصدقوهم فيه وقرئ كذبوا بالتشديد على وظن الرسل انهم قد كذبتهم قومهم فيما وعدوهم
من العذاب والنصرة وقراءة مجاهد كذبوا بالتخفيف على البناء للفاعل على وظن الرسل انهم قد كذبوا فيما حدثوا
به قومهم من النصرة اما على تأويل ابن عباس واما على ان قومهم اذا لم يروا لموعدهم اثرا قالوا لهم انكم قد كذبتمونا
فيكونون كاذبين عند قومهم او وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا ولو قرئ بهذا مشددا لكان معناه
وظن الرسل ان قومهم كذبوهم في موعدهم فنجي قرئ بالتخفيف والتشديد من انجاه ونجاه وفنجي على
لفظ الماضي المبني للمفعول وقراءة ابن محيصن فنجا والمراد بمن نشاء المؤمنون لانهم الذين يستأهلون ان نشاء
نجاتهم وقد بين ذلك بقوله ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين لقد كان في قصصهم للرسل وقصتهم قراءة من

في له مردود على من كأنه قيل لمن اسر ومن جهر
سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والضمير
ومن استخفى ومن سرب معقبات جماعات من الملائكة تعتقب في حفظه وكلاءته والاصل معتقبات فادغمت التاء
في القاف لقوله وجاء المعذرون يعني المعتذرون ويجوز معقبات بكسر العين ولم يقرأ به او هو مفعلات من عقبه
اذا جاء على عقبه كما يقال قفاه لان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه يحفظونه من امر الله
هما صفتان جميعا وليس من امر الله بصلة للحفظ كأنه قيل له معقبات من امر الله او يحفظونه من اجل امر الله اي من
اجل ان الله امرهم بحفظه والدليل عليه قراءة علي وابن عباس وزيد بن علي وجعفر بن محمد وعكرمة يحفظونه
بامر الله او يحفظونه من بأس الله ونقمته اذا اذنب بدعائهم له ومسألتهم ربهم ان يمهله رجاء
ان يتوب وينيب لقوله قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان
يحفظونه في توهمه وتقديره من امر الله اي من قضاياه ونوازله او على التهكم به وقرئ له معاقيب جمع معقب او معقبة
والياء عوض من حذف احد القافين في التكسير ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم
من الحال الجميلة بكثرة المعاصي ومن وال ممن يلي امرهم ويدفع عنهم خوفا وطمعا لا يصح ان يكونا مفعولا لهما
لانهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل الا على تقدير حذف المضاف اي ارادة خوف وطمع او على معنى اخافة واطماعا
ويجوز ان يكونا منتصبين على الحال من البرق كأنه في نفسه خوف وطمع او على ذا خوف وذا طمع او من المخاطبين اي
خائفين وطامعين ومعنى الخوف والطمع ان وقوع الصواعق يخاف عند لمع البرق ويطمع في الغيث وقال ابو الطيب
فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى يرجى الحيا منها ويخشى الصواعق وقيل يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن في
جرينه التمر والزبيب ومن له بيت يكف ومن البلاد ما لا ينتفع اهله بالمطر كاهل مصر ويطمع فيه من له فيه نفع ويحيا
به وينشئ السحاب اسم الجنس والواحدة سحابة والثقال جمع ثقيلة لانك تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما تقول امرأة كريمة
ونساء كرام وهي الثقال بالماء ويسبح الرعد بحمده ويسبح سامعو الرعد من العباد الراجين للمطر حامدين له اي يصيحون
سبحان الله والحمد لله وعن النبي صلى الله عليه انه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده وعن علي عليه السلام سبحان
من سبحت له وكان اذا اشتد الرعد قال رسول الله اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا
قبل ذلك وعن ابن عباس ان اليهود سألت النبي صلى الله عليه عن الرعد ما هو فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه
مخاريق من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن خلق من خلق الله ليس بملك ومن بدع المتصوفة الرعد صعقات الملائكة والبرق
زفرات افئدتهم والمطر بكاؤهم والملائكة من خيفته ويسبح الملائكة من هيبته واجلاله ذكر علمه النافذ في
كل شيء واستواء الظاهر والخفي عنده وما دل على قدرته الباهرة ووحدانيته ثم قال وهم يعني الذين
كذبوا رسول الله وانكروا آياته يجادلون في الله حيث ينكرون على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث
واعادة الخلائق بقولهم من يحيي العظام وهي رميم ويردون الوحدانية باتخاذ الشركاء والانداد ويجعلونه
بعض الاجسام المتوالدة بقولهم الملائكة بنات الله فهذا جدالهم بالباطل كقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق
وقيل الواو للحال فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم وذلك ان اربد اخا لبيد بن ربيعة العامري قال لرسول
الله صلى الله عليه وسلم حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله فرمى الله عامر بن الطفيل بغدة كغدة البعير
وموت في بيت سلولية وارسل على اربد صاعقة فقتلته اخبرنا عن ربنا امن نحاس هو ام من حديد المحال المماحلة
وهي شدة المماكرة والمكايدة ومنه تمحل لكذا اذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان اذا كاده وسعى به
الى السلطان ومنه الحديث ولا تجعله علينا ماحلا مصدقا وقال الاعشى فرع نبع يهتز في غصن
المجد غزير الندى شديد المحال والمعنى شديد المكر والكيد لاعدائه يأتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون

وقرئ في قصصهم بكسر القاف وقيل هو راجع الى يوسف واخوته **فان قلت** فالام يرجع الضمير في ما كان حديثا يفترى فيمن قرأ بالكسر **قلت** الى القران اي ما كان القران حديثا يفترى ولكن كان تصديق الذي بين يديه اي قبله من الكتب السماوية وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين لانه القانون الذي تستند اليه السنة والاجماع والقياس بعد ادلة العقل وانتصاب ما نصب بعد لكن للعطف على خبر كان وقرئ ذلك بالرفع على ولكن هو تصديق الذي بين يديه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

سورة الرعد

مختلف فيها وهي خمس واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم تلك اشارة الى ايات السورة والمراد بالكتاب السورة اي تلك الايات ايات السورة الكاملة العجيبة في بابها ثم قال والذي انزل اليك من ربك من القران كله هو الحق الذي لا مزيد عليه لا هذه السورة وحدها وفي اسلوب هذا الكلام قول الانمارية هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها تريد الكملة الله مبتدا والذي رفع خبره بدليل قوله وهو الذي مد الارض ويجوز ان يكون صفة وقوله يدبر الامر يفصل الايات خبرا بعد خبر وينصره ما تقدمه من ذكر الايات رفع السموات بغير عمد ترونها كلام مستانف استشهاد برؤيتهم لها كذلك وقيل هي صفة لعمد ويعضده قراءة ابي ترونه وقرئ عمد بضمتين يدبر الامر يدبر امر ملكوته وربوبيته يفصل الايات في كتبه المنزلة لعلكم توقنون بالجزاء وبان هذا المدبر والمفصل لا بد لكم من الرجوع اليه وقرا الحسن ندبر بالنون جعل فيها زوجين اثنين خلق فيها من جميع انواع الثمرات زوجين زوجين حين مدها ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت وقيل اراد بالزوجين الاسود والابيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما اشبه ذلك من الاصناف المختلفة يغشي الليل النهار يلبسه مكانه فيصير اسود مظلما بعد ما كان ابيض منيرا وقرئ يغشي بالتشديد قطع متجاورات بقاع مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة وصلبة الى رخوة وصالحة للزرع لا للشجر الى اخرى على عكسها مع انتظامها جميعا في جنس الارضية وذلك دليل على قادر مريد موقع لافعاله على وجه دون وجه وكذلك الكروم والزروع والنخيل النابتة في هذه القطع مختلفة الاجناس والانواع وهي تسقى بماء واحد وتراها متغايرة الثمر في الاشكال والالوان والطعوم والروائح متفاضلة فيها وفي بعض المصاحف قطعا متجاورات على وجعل وقرئ وجنات بالنصب للعطف على زوجين او بالجر على كل الثمرات وقرئ وزرع ونخيل بالجر عطفا على اعناب او جنات والصنوان جمع صنو وهي النخلة لها راسان واصلهما واحد وقرئ بالضم والكسر لغة اهل الحجاز والضم لغة بني تميم وقيس يسقى بالتاء والياء ونفضل بالنون والياء على البناء للفاعل والمفعول جميعا في الاكل بضم الكاف وسكونها وان تعجب يا محمد من قولهم في انكار البعث فقولهم عجب حقيق بان يتعجب منه لان من قدر على انشاء ما عدد من الفطر العظيمة ولم يعي بخلقهن كانت الاعادة اهون شيء عليه وايسره فكان انكارهم اعجوبة من الاعاجيب ااذا كنا الى اخر قولهم يجوز ان يكون في محل الرفع بدلا من قولهم وان يكون منصوبا بالقول واذا نصب بما دل عليه قوله انا لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم اولئك الكاملون المتمادون في كفرهم واولئك الاغلال في اعناقهم وصف بالاصرار كقوله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا وهو من جملة الوعيد بالسيئة قبل الحسنة بالنقمة قبل العافية والاحسان اليهم بالامهال وذلك انهم سالوا رسول الله ان ياتيهم بالعذاب استهزاء منهم بانذاره وقد خلت من قبلهم المثلات اي عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزئوا والمثلة العقوبة بوزن السمرة والمثلة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة وجزاء سيئة سيئة مثلها ويقال امثلت الرجل من صاحبه واقصصته منه والمثال القصاص وقرئ المثلات بضمتين لاتباع الفاء العين والمثلات بفتح الميم وسكون الثاء كما يقال السمرة والمثلات بضمتين والمثلات جمع مثلة كركبة وركبات لذو مغفرة للناس على ظلمهم اي مع ظلمهم انفسهم

وقرا الاعرج بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول محالا اذا احتال ومنه احول من ذئب اي اشد حيلة ويجوز ان يكون المعنى شديد الفقار ويكون مثلا في القوة والقدرة كما جاء فساعد الله اشد وموساه احد لان الحيوان اذا اشتد محاله كان منعوتا بشدة القوة والاضطلاع بما يعجز عنه غيره الا ترى الى قولهم فقرته الفواقر وذلك ان الفقار عمود الظهر وقوامه دعوة الحق فيه وجهان احدهما ان تضاف الدعوة الى الحق الذي هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة اليه في قولك كلمة الحق للدلالة على ان الدعوة ملابسة للحق مختصة به وانها بمعزل من الباطل والمعنى ان الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سؤاله ان كان مصلحة له فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا بان يوجه اليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينفع ولا يجدي دعاؤه والثاني ان تضاف الى الحق الذي هو الله عز وعلا على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب وعن الحسن رحمه الله الحق هو الله وكل دعاء اليه دعوة الحق **فان قلت** ما وجه اتصال هذين الوصفين بما قبله **قلت** اما على قصة اربد فظاهر لان اصابته بالصاعقة محال من الله ومكر به من حيث لم يشعر وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وعلى صاحبه بقوله اللهم اخسفهما بما شئت فاجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق واما على الاول فوعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله بحلول محاله بهم واجابة دعوة رسول الله ان دعا عليهم فيهم والذين يدعون والالهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله لا يستجيبون لهم بشيء من طلباتهم الا استجابة كاستجابة باسط كفيه اي كاستجابة الماء من بسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته اليه ولا يقدر ان يجيب دعاءه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لالهتهم بمن اراد ان يغرف الماء بيديه ليشربه فبسطهما ناشرا اصابعه فلم تلق كفاه منه شيئا ولم يبلغ طلبته من شربه وقرئ تدعون بالتاء وكباسط كفيه بالتنوين الا في ضلال الا في ضياع لا منفعة فيه لانهم ان دعوا الله لم يجبهم وان دعوا الالهة لم تستطع اجابتهم ولله يسجد اي ينقادون لاحداث ما اراده فيهم من افعاله شاؤوا او ابوا لا يقدرون ان يمتنعوا عليه وتنقاد له ظلالهم ايضا حيث تتصرف على مشيئته في الامتداد والتقلص والفيء والزوال وقرئ بالغدو والايصال من اصلوا اذا دخلوا في الاصيل قل الله حكاية لاعترافهم وتاكيد له عليهم لانه اذا قال من رب السموات والارض لم يكن لهم بد من ان يقولوا الله لقوله قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله وهذا كما يقول المناظر لصاحبه اهذا قولك فاذا قال هذا قولي قال هذا قولك فيحكي اقراره تقريرا له عليه واستيثاقا منه ثم يقول له فلزمك على هذا القول كيت وكيت ويجوز ان يكون تلقينا اي ان لم تتواعن الجواب فلقنهم فانهم يلقنونه ولا يقدرون ان ينكروه افاتخذتم من دونه اولياء ابعد ان علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه اولياء فجعلتم ما كان يجب ان يكون سبب التوحيد من علمكم واقراركم سبب الاشراك لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يستطيعون لانفسهم ان ينفعوها او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد اثرتموهم على الخالق الرازق المثيب المعاقب فما ابين ضلالتكم ام جعلوا بل اجعلوا ومعنى الهمزة الانكار خلقوا كخلقه صفة لشركاء يعني انهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله فتشابه عليهم خلق الله وخلقهم حتى يقولوا قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فنتخذهم له شركاء ونعبدهم كما يعبد اذ لا فرق بين خالق وخالق ولكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا ان يقدروا على ما يقدر عليه الخالق قل الله خالق كل شيء لا خالق غير الله ولا يستقيم ان يكون له شريك في الخلق فلا يكون له شريك في العبادة وهو الواحد المتوحد بالربوبية القهار لا يغالب وما عداه مربوب ومقهور هذا مثل ضربه الله للحق واهله والباطل وحزبه كما ضرب الاعمى والبصير والظلمات والنور مثلا لهما فمثل الحق واهله بالماء الذي ينزله من

بالذنوب وعلى ظلمهم محله الحال بمعنى ظالمين لانفسهم وفيه اوجه ان يريد السيئات المكفرة لمجتنب الكبائر او الكبائر بشرط التوبة
او يريد بالمغفرة الستر والامهال وروى انها لما نزلت قال النبي صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه ما هنا لاحد العيش
ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد لولا انزل عليه آية من ربه لم يعتدوا بالآيات المنزلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
عنادا فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى من انقلاب العصا حية واحياء الموتى فقيل لرسول الله انما انت رجل ارسلت منذرا
مخوفا لهم من سوء العاقبة وناصحا كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما يصح به انك رسول منذر وصحة ذلك حاصلة
بأية آية كانت والآيات كلها سواء في صحة الدعوى بها لا تفاوت بينها والذي عنده كل شيء بمقدار يعطي كل نبي آية
على حسب ما اقتضاه علمه بالمصالح وتقديره لها ولكل قوم هاد من الانبياء يهديهم الى الدين ويدعوهم الى الله
بوجه من الهداية وبآية خص بها لم يجعل الانبياء شرعا واحدا في آيات مخصوصة ووجه آخر وهو ان
يكون المعنى انهم يجحدون كون ما انزل عليك آيات ويعاندون فلا يهمنك ذلك انما انت منذر فما عليك الا
ان تنذر الا ان تثبت الايمان في صدورهم ولست بقادر عليه ولكل قوم هاد قادر على هدايتهم بالالجاء وهو الله
تعالى ولقد دل بما اردفه من ذكر آيات علمه وتقديره الاشياء على قضايا حكمته ان اعطاءه كل منذر آيات
خلاف آيات غيره امر مدبر بالعلم النافذ مقدر بالحكمة الربانية ولو علم في اجابتهم الى مقترحهم خيرا ومصلحة
لاجابهم اليه واما الوجه الثاني فقد دل به على ان من هذه قدرته وهذا علمه هو القادر وحده على هدايتهم العالم
بأي طريق يهديهم ولا سبيل الى ذلك لغيره الله يعلم يحتمل ان يكون كلاما مستأنفا وان يكون المعنى هو الله تفسيرا لهاد
على الوجه الاخير ثم ابتدئ فقيل الله يعلم ما تحمل كل انثى وما في ما تحمل وما تغيض وما تزداد اما موصولة واما
مصدرية فان كانت موصولة فالمعنى انه يعلم ما تحمله من الولد على اي حال هو من ذكورة وانوثة وتمام وخداج
وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك من الاحوال الحاضرة والمترقبة ويعلم ما تغيضه الارحام اي تنقصه يقال
غاض الماء وغضته انا ومنه قوله تعالى وغيض الماء وما تزداده اي تأخذه زائدا تقول اخذت منه حقي وازددت
منه كذا ومنه قوله تعالى وازدادوا تسعا ويقال زدته فزاد بنفسه وازداد وما تنقصه الرحم وتزداده عدد
الولد فانها تشتمل على واحد واثنين وثلاثة واربعة ويروى ان شريكا كان رابع اربعة في بطن امه ومنه جسد الولد فانه يكون تاما
ومخدجا ومنه مدة ولادته فانها تكون اقل من تسعة اشهر وازيد عليها الى سنتين عند ابي حنيفة والى اربع عند
الشافعي والى خمس عند مالك وقيل ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان بقي في بطن امه اربع سنين ولذلك سمي
هرما ومنه الدم فانه يقل ويكثر وان كانت مصدرية فالمعنى انه يعلم حمل كل انثى ويعلم غيض الارحام وازديادها
لا يخفى عليه شيء من ذلك ومن اوقاته واحواله ويجوز ان يراد غيوض ما في الارحام وزيادته فاسند الفعل الى
الارحام وهو لما فيها على ان الفعلين غير متعديين ويعضده قول الحسن الغيضوضة ان تضع لثمانية اشهر او اقل
من ذلك والازدياد ان تزيد على تسعة اشهر وعنه الغيض الذي يكون سقطا لغير تمام والازدياد ما ولد لتمام بمقدار
بقدر وحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر الكبير العظيم الشأن الذي كل شيء دونه
المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها سارب ذاهب في سربه بالفتح
اي في طريقه ووجهه يقال سرب في الارض سروبا والمعنى سواء عنده من استخفى اي طلب الخفاء في مختبأ
بالليل في ظلمته ومن يضطرب في الطرقات ظاهرا بالنهار يبصره كل احد فان قلت كان حق العبارة
ان يقال ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار حتى يتناول معنى الاستواء المستخفي والسارب والا
فقد تناول واحدا هو مستخف وسارب قلت فيه وجهان احدهما ان قوله وسارب عطف على من هو مستخف لا
على مستخف والثاني انه عطف على مستخف الا ان من في معنى الاثنين كقوله نكن مثل من يا ذئب يصطحبان كانه قيل

من الماء او فسيل به اودية الناس يحيون به وينفعهم انواع المنافع وبالفلز الذي ينتفعون به في صوغ الحلي منه واتخاذ الاواني
والآلات المختلفة ولو لم يكن الا الحديد الذي فيه البأس الشديد لكفى به وان ذلك ماكث في الارض باق بقاء ظاهرا يثبت
الماء في منافعه وتبقى آثاره في العيون والآبار والحبوب والثمار التي تنبت به مما يدخر ويكنز وكذلك الجواهر
تبقى ازمنة متطاولة وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك زواله وانسلاخه عن المنفعة بزبد السيل الذي يرمي
به وبزبد الفلز الذي يطفو فوقه اذا اذيب فان قلت لم نكرت الاودية قلت لان المطر لا يأتي الا على
طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض اودية الارض دون بعض فان قلت ما معنى قوله بقدرها قلت بمقدارها
الذي عرف الله انه نافع للممطور عليهم غير ضار الا ترى الى قوله واما ما ينفع الناس لانه ضرب المطر مثلا للحق فوجب ان يكون
مطرا خالصا للنفع خاليا من المضرة ولا يكون كبعض الامطار والسيول الجواحف فان قلت فما فائدة قوله ابتغاء حلية
او متاع قلت الغاية فيه كالغاية في قوله بقدرها لانه جمع الماء والفلز في النفع في قوله واما ما ينفع الناس من الماء
والفلز فذكر وجه الانتفاع بما يوقد عليه منه ويذاب وهو الحلية والمتاع وقوله ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء
حلية او متاع عبارة جامعة لانواع الفلز مع اظهار الكبرياء في ذكره على وجه التهاون به كما هو هجيرى الملوك نحو ما
جاء في ذكر الآجر فاوقد لي يا هامان على الطين ومن لابتداء الغاية اي ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء او للتبعيض بمعنى وبعضه زبد
رابيا منتفخا مرتفعا على وجه السيل جفاء يجفاه السيل اي يرمي به وجفأت القدر بزبدها واجفأ السيل واجفل
وفي قراءة رؤبة ابن العجاج جفالا وعن ابي حاتم لا تقرأ بقراءة رؤبة لانه كان يأكل الفأر وقرئ يوقدون بالياء اي يوقد الناس
للذين استجابوا اللام متعلقة بيضرب اي كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين استجابوا وللكافرين الذين لم يستجيبوا
اي هما مثلا الفريقين والحسنى صفة لمصدر استجابوا اي استجابوا الاستجابة الحسنى وقوله لو ان لهم كلام مبتدأ
في ذكر ما اعد لغير المستجيبين وقيل قد تم الكلام عند قوله كذلك يضرب الله الامثال وما بعده كلام مستأنف والحسنى
مبتدأ خبره للذين استجابوا والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره لو مع ما في حيزه
سوء الحساب المناقشة فيه وعن النخعي ان يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر منه شيء دخلت همزة الانكار على الفاء
في قوله افمن يعلم لانكار ان تقع شبهة بعد ما ضرب من المثل في ان حال من علم ان ما انزل اليك من ربك الحق فاستجاب
بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والابريز انما يتذكر اولوا الالباب الذين
عملوا على قضيات عقولهم فنظروا واستبصروا الذين يوفون بعهد الله مبتدأ واولئك لهم عقبى الدار خبره كقوله
والذين ينقضون عهد الله اولئك لهم اللعنة ويجوز ان يكون صفة لاولي الالباب والاول اوجه وعهد الله ما عقدوه
على انفسهم من الشهادة بربوبيته واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى ولا ينقضون الميثاق ولا ينقضون كل ما
وثقوه على انفسهم وقبلوه من الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص ما امر
الله به ان يوصل من الارحام والقرابات ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الايمان
انما المؤمنون اخوة بالاحسان اليهم على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم والنصيحة
لهم وطرح التفرقة بين انفسهم وبينهم وافشاء السلام عليهم وعيادة مرضاهم وشهود جنائزهم ومنه
مراعاة حق الاصحاب والخدم والجيران والرفقاء في السفر وكل ما تعلق منهم بسبب حتى الهرة والدجاجة وعن
الفضيل بن عياض ان جماعة دخلوا عليه بمكة فقال من اين انتم فقالوا من اهل خراسان قال اتقوا الله وكونوا من
حيث شئتم واعلموا ان العبد لو احسن الاحسان كله وكانت له دجاجة فاساء اليها لم يكن محسنا ويخشون
ربهم اي يخشون وعيده كله ويخافون خصوصا سوء الحساب فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا صبروا
مطلق فيما يصبر عليه من المصائب في النفوس والاموال ومشاق التكليف ابتغاء وجه الله لا ليقال ما اصبره

ولحمله للنوازل وأوقره عند الزلازل ولئلا يعاب بالجزع ولئلا يشمت به الأعداء كقوله وتجلدي للشامتين
ولا لأنه لا طائل تحت الهلع ولا مرد فيه للفائت ما إن جزعت لقوله ولا هلعت ولا يرد بكاي زندا وكل عمل له
وجوه يعمل عليها فعلى المؤمن أن ينوي منها ما به كان حسنا عند الله وإلا لم يستحق به ثوابا وكان فعلا كلا فعل
مما رزقناهم من الحلال لأن الحرام لا يكون رزقا ولا يسند إلى الله سرا وعلانية يتناول النوافل لأنها في السر
أفضل والفرائض لوجوب المجاهرة بها نفيا للتهمة ويدرؤون بالحسنة السيئة ويدفعونها وعن ابن عباس يدفعون
بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيئ غيرهم وعن الحسن إذا حرموا أعطوا وإذا ظلموا عفوا وإذا قطعوا وصلوا
وعن ابن كيسان إذا أذنبوا تابوا وقيل إذا رأوا منكرا أمروا بتغييره عقبى الدار عاقبة الدنيا ومرجع أهلها وجنات
عدن بدل من عقبى الدار وقرئ فنعم بفتح النون والأصل نعم فمن كسر النون فلنقل كسرة العين إليها ومن فتح فقد
سكن العين ولم ينقل وقرئ يدخلونها على البناء للمفعول وقرأ ابن أبي عبلة صلح بضم اللام والفتح أفصح
أعلم أن الأنساب لا تنفع إذا تجردت من الأعمال الصالحة وآباؤهم جمع أبوي كل واحد منهم فكأنه قيل من
آبائهم وأمهاتهم سلام عليكم في موضع الحال لأن المعنى قائلين سلام عليكم أو مسلمين فإن قلت
بم تعلق قوله بما صبرتم قلت بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم يعنون هذا الثواب بسبب صبركم أو بدل
مما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه هذه الملاذ والنعم والمعنى لئن تعبتم في الدنيا لقد استرحتم الساعة
كقوله بما قد أرى فيها أوانس بدنا وعن النبي صلى الله عليه أنه كان يأتي قبور الشهداء على رأس كل حول فيقول
السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ويجوز أن يتعلق بسلام أي نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم
من بعد ميثاقه من بعد ما أوثقوه به من الاعتراف والقبول سوء الدار يحتمل أن يراد سوء عاقبة الدنيا لأنه في مقابلة عقبى
الدار ويجوز أن يراد بالدار جهنم وبسوئها عذابها الله يبسط الرزق أي الله وحده هو يبسط الرزق ويقدره دون
غيره وهو الذي بسط رزق أهل مكة ووسعه عليهم وفرحوا بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر وأشر لا فرح سرور
بفضل الله وإنعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الآخرة وخفي عليهم أن نعيم الدنيا في
جنب نعيم الآخرة ليس إلا شيئا نزرا يتمتع به كعجالة الراكب وهي ما يتعجله من تميرات أو شربة سويق أو نحو ذلك
فإن قلت كيف طابق قولهم لولا أنزل عليه آية من ربه قوله قل إن الله يضل من يشاء قلت هو كلام
يجري مجرى التعجب من قولهم وذلك أن الآيات الباهرة المتكاثرة التي أوتيها رسول الله لم يؤتها نبي قبله وكفى بالقرآن
وحده آية وراء كل آية فإذا جحدوها ولم يعتدوا بها وجعلوه كأن آية لم تنزل عليه قط كان موضعا للتعجب
والاستنكار فكأنه قيل لهم ما أعظم عنادكم وما أشد تصميمكم على كفركم إن الله يضل من يشاء من كان على صفتكم
من التصميم وشدة الشكيمة في الكفر فلا سبيل إلى اهتدائهم وإن أنزلت كل آية ويهدي إليه من كان على خلاف صفتكم
أناب أقبل إلى الحق وحقيقته دخل في نوبة الخير والذين آمنوا بدل ممن أناب وتطمئن قلوبهم بذكر الله بذكر رحمته
ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله أو تطمئن بالقرآن لأنه
معجزة بينة تسكن القلوب وتثبت اليقين فيها الذين آمنوا مبتدأ وطوبى لهم خبره ويجوز أن يكون بدلا من
القلوب على تقدير حذف المضاف أي تطمئن قلوب الذين آمنوا وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى ومعنى طوبى
لك أصبت خيرا وطيبا ومحلها النصب أو الرفع كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما لك وسلام لك والقراءة
في قوله وحسن مآب بالرفع والنصب تدلك على محليها واللام في لهم للبيان مثلها في سقيا لك والواو في طوبى
منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها كموقن وموسر وقرأ مكوزة الأعرابي طيبى لهم فكسر الطاء لتسلم الياء كما قيل
بيض ومعيشة كذلك أرسلناك مثل ذلك الإرسال أرسلناك يعني أرسلناك إرسالا له شأن وفضل على سائر الإرسالات

ثم فسر كيف أرسله فقال في أمة قد خلت من قبلها أمم أي أرسلناك في أمة قد تقدمتها أمم كثيرة فهي آخر الأمم
وأنت خاتم الأنبياء لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذي أوحينا إليك وهم يكفرون
وحال هؤلاء أنهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة الذي وسعت رحمته كل شيء وما بهم من نعمة فمنه فكفروا
بنعمته في إرسال مثلك إليهم وإنزال هذا القرآن المعجز المصدق لسائر الكتب عليهم قل هو ربي الواحد المتعالي عن
الشركاء عليه توكلت في نصرتي عليكم وإليه متاب فيثيبني على مصابرتكم ومجاهدتكم ولو أن قرآنا جوابه محذوف
كما تقول لغلامك لو أني قمت إليك وتترك الجواب والمعنى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال عن مقارها وزعزعت
عن مضاجعها أو قطعت به الأرض حتى تتصدع وتتزايل قطعا أو كلم به الموتى فتسمع وتجيب لكان هذا القرآن
لكونه غاية في التذكير ونهاية في الإنذار والتخويف كما قال لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من
خشية الله وهذا يعضده ما فسرت به قوله لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك من إرادة تعظيم ما أوحي إلى رسول الله من
القرآن وقيل معناه ولو أن قرآنا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الأرض وتكليم الموتى وتنبيههم لما آمنوا به ولما تنبهوا عليه
كقوله ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وقيل إن أبا جهل بن هشام قال لرسول الله صلى الله عليه سير بقرآنك الجبال عن مكة
حتى تتسع لنا فنتخذ فيها البساتين والقطائع كما سخرت لداود إن كنت نبيا كما تزعم فلست بأهون على الله من
داود وسخر لنا به الريح لنركبها ونتجر إلى الشام ثم نرجع في يومنا فقد شق قطع المسافة البعيدة كما سخرت لسليمان أو
ابعث لنا به رجلين أو ثلاثة ممن مات من آبائنا منهم قصي بن كلاب فنزلت ومعنى تقطيع الأرض على هذا قطعها
بالسير ومسافتها وعن الفراء هو متعلق بما قبله والمعنى وهم يكفرون بالرحمن ولو أن قرآنا سيرت به الجبال وما
بينهما اعتراض وليس بمعتمد من السداد وقيل قطعت به الأرض شققت فجعلت أنهارا وعيونا بل لله الأمر جميعا
على معنيين أحدهما بل لله القدرة على كل شيء وهو قادر على الآيات التي اقترحوها إلا أن علمه بأن إظهارها مفسدة
والثاني بل لله أن يلجئهم إلى الإيمان وهو قادر على الإلجاء لولا أنه بنى أمر التكليف على الاختيار ويعضده قوله أفلم
ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله يعني مشيئة الإلجاء والقسر لهدى الناس جميعا ومعنى أفلم ييأس أفلم يعلم قيل هي لغة
قوم من النخع وقيل إنما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لأن اليائس عن الشيء عالم بأنه لا يكون كما استعمل
الرجاء في معنى الخوف والنسيان في معنى الترك لتضمن ذلك قال سحيم بن وثيل الرياحي أقول
لهم بالشعب إذ ييسرونني ألم تيأسوا أني ابن فارس زهدم ويدل عليه أن عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة
والتابعين قرؤوا أفلم يتبين وهو تفسير أفلم ييأس وقيل إنما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوي السينات وهذا ونحوه مما
لا يصدق في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتا بين دفتي
الإمام وكان متقلبا في أيدي أولئك الأعلام المحتاطين في دين الله المهيمنين عليه لا يغفلون عن جلائله ودقائقه
خصوصا عن القانون الذي إليه المرجع والقاعدة التي عليها البناء وهذه والله فرية ما فيها مرية ويجوز أن يتعلق
أن لو يشاء بآمنوا على أو لم يقنط عن إيمان هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بأن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولهداهم تصيبهم
بما صنعوا من كفرهم وسوء أعمالهم قارعة داهية تقرعهم بما أحل الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصائب في
نفوسهم وأولادهم وأموالهم أو تحل القارعة قريبا منهم فيفزعون ويضطربون ويتطاير إليهم شررها ويتعدى
إليهم شرورها حتى يأتي وعد الله وهو موتهم أو يوم القيامة وقيل ولا يزال الكفار من أهل مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله من
العداوة والتكذيب قارعة لأن رسول الله كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حول مكة وتختطف منهم وتصيب
من مواشيهم أو تحل أنت يا محمد قريبا من دارهم عام الحديبية حتى يأتي وعد الله وهو فتح مكة وكان
الله قد وعده ذلك الإملاء والإمهال وأن يترك ملاوة من الزمان في خفض وأمن كالبهيمة يملى لها في المرعى

وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله استهزاء به وتسلية له افمن هو قائم احتجاج عليهم في اشراكهم
بالله يعني أفالله الذي هو قائم رقيب على كل نفس صالحة او طالحة بما كسبت يعلم خيره وشره ويعد لكل جزاءه
كمن ليس كذلك ويجوز أن يقدر ما يقع خبرا للمبتدأ ويعطف عليه وجعلوا وتمثيله أفمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه
وجعلوا له وهو الله الذي يستحق العبادة وحده شركاء قل سموهم اي جعلتم له شركاء فسموهم له من هم ونبئوه
بأسمائهم ثم قال ام تنبئونه على أم المنقطعة كقولك للرجل قل لي من زيد أم هو أقل من أن يعرف ومعناه بل
أتنبئونه بشركاء لا يعلمهم في الأرض وهو العالم بما في السموات والأرض فإذا لم يعلمهم علم أنهم ليسوا بشيء يتعلق
به العلم والمراد نفي أن يكون له شركاء ونحوه قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض أم بظاهر من القول
بل أتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير أن يكون لذلك حقيقة كقوله ذلك قولهم بأفواههم ما تعبدون من دونه — قولهم
إلا أسماء سميتموها وهذا الاحتجاج وأساليبه العجيبة التي ورد عليها مناد على نفسه بلسان طلق ذلق انه ليس من
كلام البشر لمن عرف وأنصف من نفسه فتبارك الله أحسن الخالقين وقرئ أتنبئونه بالتخفيف مكرهم كيدهم
للإسلام بشركهم وصدوا قرئ بالحركات الثلاث وقرأ ابن أبي إسحق وصدٌّ بالتنوين ومن يضلل الله ومن يخذله لعلمه
انه لا يهتدي فما له من هاد فما له من أحد يقدر على هدايته لهم عذاب في الحيوة الدنيا وهو ما ينالهم من القتل والأسر
وسائر المحن ولا يلحقهم إلا عقوبة لهم على الكفر ولذلك سماه عذابا وما لهم من الله من واق وما لهم من الله من حافظ
من عذابه او ما لهم من جهته واق من رحمته مثل الجنة صفتها التي هي في غرابة المثل وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف — ق
على مذهب سيبويه اي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقال غيره الخبر تجري من تحتها الأنهار كما تقول صفة زيد
أسمر وقال الزجاج معناه مثل الجنة جنة تجري من تحتها الأنهار على حذف الموصوف تمثيلا لما غاب عنا بما نشاهد
وقرأ علي عليه السلام أمثال الجنة على الجمع اي صفاتها أكلها دائم لقوله لا مقطوعة ولا ممنوعة وظلها دائم
لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس والذين آتيناهم الكتاب يريد من أسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب وأصحابهما ومن
أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا أربعون بنجران واثنان وثلاثون بأرض الحبشة هؤلاء يفرحون بما أنزل إليك
ومن الأحزاب يعني من أحزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله بالعداوة نحو كعب بن الأشرف وأصحابه
والسيد والعاقب أسقفي نجران وأشياعهما من ينكر بعضه لأنهم كانوا لا ينكرون الأقاصيص وبعض الأحكام
والمعاني مما هو ثابت في كتبهم غير محرف وكانوا ينكرون ما هو نعت الإسلام ونعت رسول الله وغير ذلك مما حرفوه — ينكرونه
وبدلوه من الشرائع فإن قلت كيف اتصل قوله قل إنما أمرت أن أعبد الله بما قبله قلت هو جواب
للمنكرين معناه قل إنما أمرت فيما أنزل إلي بأن أعبد الله ولا أشرك به فإنكاركم له إنكار لعبادة الله وتوحيده
فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة الله وأن لا يشرك به قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة
سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا وقرأ نافع في رواية أبي خليد ولا أشرك به على الاستئناف
كأنه قال وأنا لا أشرك به ويجوز أن يكون في موضع الحال على معنى أمرت أن أعبد الله غير مشرك به إليه أدعو
خصوصا لا أدعو إلى غيره وإليه لا إلى غيره مرجعي وأنتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لإنكاركم وكذلك ومثل
ذلك الإنزال أنزلناه مأمورا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة إليه وإلى دينه والإنذار بدار الجزاء حكما عربيا حكمة
عربية مترجمة بلسان العرب وانتصابه على الحال كانوا يدعون رسول الله إلى أمور يوافقهم عليها منها أن
يصلي إلى قبلتهم بعد ما حوله الله عنها فقيل له لئن اتبعتهم على دين ما هو إلا أهواء وشبه بعد ثبوت العلم عندك
بالبراهين والحجج القاطعة خذلك الله فلا ينصرك ناصر وأهلكك فلا يقيك منه واق وهذا من باب الإلهاب
والتهييج والبعث للسامعين على الثبات في الدين والتصلب فيه وأن لا يزل زال عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة
وإلا

والإنكار للرسول المعصوم شدة الشكيمة كانوا يعيبونه بالزواج والولاد كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول يأكل
يقترحون — الطعام وكانوا يقترحون عليه الآيات وينكرون النسخ فقيل كان الرسل قبله بشرا مثله ذوي أزواج وذرية وما كان
لهم أن يأتوا بآيات برأيهم ولا يأتون بما يقترح عليهم والشرائع مصالح تختلف باختلاف الأحوال والأوقات فلكل وقت
حكم يكتب على العباد اي يفرض عليهم على ما تقتضيه استصلاحهم يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت بدله
ما يرى المصلحة في إثباته أو يتركه غير منسوخ وقيل يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة لأنهم مأمورون
بكتبة كل قول وفعل ويثبت غيره وقيل يمحو كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة ويثبت إيمانهم وطاعاتهم وقيل يمحو
بعض الخلائق ويثبت بعضا من الأناسي وسائر الحيوان والنبات والأشجار وصفاتها وأحوالها والكلام في نحو هذا
واسع وعنده أم الكتاب أصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لأن كل كائن مكتوب فيه وقرئ ويثبت وإما نرينك وكيف
ما دارت الحال أريناك مصارعهم وما وعدناهم من إنزال العذاب عليهم أو توفيناك قبل ذلك فما يجب عليك إلا
تبليغ الرسالة فحسب وعلينا لا عليك حسابهم وجزاؤهم على أعمالهم ولا يهمنك إعراضهم ولا تستعجل بعذابهم أولم يروا
أنا نأتي الأرض أرض الكفر ننقصها من أطرافها بما نفتح على المسلمين من بلادهم فننقص دار الحرب ونزيد في دار الإسلام
وذلك من آيات النصرة والغلبة ونحوه أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون سنريهم آياتنا في
الآفاق والمعنى عليك بالبلاغ الذي حملته ولا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك
تأخره فإن ذلك لما نعلم من المصالح التي لا تعلمها ثم طيب نفسه ونفس عنها بما ذكر من طلوع تباشير الظفر وقرئ
ننقصها بالتشديد لا معقب لحكمه لا راد لحكمه والمعقب الذي يكر على الشيء فيبطله وحقيقته الذي يعقبه اي يقفيه
بالرد والإبطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لأنه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب قال لبيد: طلب
المعقب حقه المظلوم والمعنى أنه حكم للإسلام بالغلبة والإقبال وعلى الكفر بالإدبار والانتكاس وهو سريع الحساب
فعما قليل يحاسبهم في الآخرة بعد عذاب الدنيا فإن قلت ما محل قوله لا معقب لحكمه قلت هو جملة محلها
النصب على الحال كأنه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاءني زيد لا عمامة على رأسه ولا قلنسوة تريد حاسرا
وقد مكر الذين من قبلهم وصفهم بالمكر ثم جعل مكرهم كلا مكر بالإضافة إلى مكره فقال فلله المكر جميعا
ما تكسب — ثم فسر ذلك بقوله يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار لأن من علم ما تكسب كل نفس وأعد لها جزاءها فهو المكر
كله لأنه يأتيهم من حيث لا يعلمون وهم في غفلة مما يراد بهم وقرئ الكفار والكافرون والذين كفروا والكفر أي أهله
والمراد بالكافر الجنس وقرأ جناح بن حبيش وسيعلم الكافر من أعلمه أي سيخبر كفى بالله شهيدا لما أظهر من الأدلة
على رسالتي ومن عنده علم الكتاب والذي عنده علم القرآن وما ألف عليه من النظم المعجز الفائت لقوى البشر وقيل
ط — ومن هو من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا لأنهم يشهدون بنعته في كتبهم وقيل هو الله عز وعلا والكتاب اللوح المحفوظ
وعن الحسن لا والله ما يعني إلا الله والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح إلا هو شهيدا بيني وبينكم
وتعضده قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة اي ومن لدنه علم الكتاب لأن علم من علمه من فضله
ولطفه وقرئ ومن عنده علم الكتاب فإن قلت بم ارتفع علم الكتاب قلت في القراءة التي وقع فيها عنده
صلة يرتفع العلم بالمقدر في الظرف فيكون فاعلا لأن الظرف إذا وقع صلة أوغل في شبه الفعل لاعتماده على
الموصول فعمل عمل الفعل كقولك مررت بالذي في الدار أخوه فأخوه فاعل كما تقول بالذي استقر في الدار أخوه
وفي القراءة التي لم يقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالابتداء عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الرعد
أعطي من الأجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون إلى يوم القيمة من الموفين بعهد الله ٥

سورة ابرهيم مكية وهي احدى وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب هو كتاب يعني السورة وقرئ ليخرج الناس والظلمات والنور استعارتان للضلال والهدى باذن ربهم بتسهيله
وتيسيره مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وذلك ما يمنحهم من اللطف والتوفيق الى صراط العزيز الحميد بدل من
قوله الى النور بتكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم ويجوز ان يكون على وجه الاستئناف كانه قيل
الى اي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد وقوله الله عطف بيان للعزيز الحميد لانه جرى مجرى الاسماء الاعلام
لغلبته واختصاصه بالمعبود الذي تحق له العبادة كما غلب النجم في الثريا وقرئ بالرفع على هو الله الويل نقيض
الوأل وهو النجاة اسم معنى كالهلاك الا انه لا يشتق منه فعل انما يقال ويلا له فينصب نصب المصادر ثم يرفع
رفعها لافادة معنى الثبات فيقال ويل لك كقولك سلام عليك ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر الى نور الايمان
توعد الكافرين بالويل فان قلت ما وجه قوله من عذاب شديد بالويل قلت لان المعنى انهم يولولون من
عذاب شديد ويضجون منه ويقولون يا ويلاه كقوله دعوا هنالك ثبورا الذين يستحبون مبتدأ خبره اولئك في
ضلال بعيد ويجوز ان يكون مجرورا صفة للكافرين ومنصوبا على الذم او مرفوعا على اعني الذين يستحبون او هم
الذين يستحبون والاستحباب الايثار والاختيار وهو استفعال من المحبة لان المؤثر للشيء على غيره كانه يطلب من نفسه
ان يكون احب اليها وافضل عندها من الآخر وقرأ الحسن ويصدون بضم الياء وكسر الصاد يقال صده عن كذا
واصده قال اناس اصدوا الناس بالسيف عنهم والهمزة فيه داخلة على صد صدودا لنقله من غير المتعدي
الى التعدي واما صده فموضوع على التعدية كمنعه وليست بفصيحة كاوقفه لان الفصحاء استغنوا بصده
ووقفه عن تكلف التعدية بالهمزة ويبغونها عوجا ويطلبون لسبيل الله زيغا واعوجاجا وان يدلوا الناس على انها
سبيل ناكبة عن الحق غير مستوية والاصل ويبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل في ضلال بعيد اي ضلوا عن
طريق الحق ووقعوا دونه بمراحل فان قلت فما معنى وصف الضلال بالبعد قلت هو من الاسناد المجازي
والبعد في الحقيقة للضال لانه هو الذي يتباعد من الطريق فوصف به فعله كما تقول جد جده ويجوز ان يراد
في ضلال ذي بعد او فيه بعد لان الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وبعيدا الا بلسان قومه ليبين لهم اي ليفقهوا
عنه ما يدعوهم اليه فلا يكون لهم حجة ولا يقولوا لم نفهم ما خوطبنا به كما قال ولو جعلناه اعجميا لقالوا لولا
فصلت آياته فان قلت لم يبعث رسول الله صلى الله عليه الى العرب وحدهم وانما بعث الى الناس جميعا قل يا ايها الناس
اني رسول الله اليكم جميعا بل الى الثقلين وهم على السنة مختلفة فان لم يكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة وان لم
تكن لغيرهم حجة فلو نزل بالعجمية لم تكن للعرب حجة ايضا قلت لا يخلو اما ان ينزل بجميع الالسنة او بواحد منها
فلا حاجة الى نزوله بجميع الالسنة لان الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل فبقي ان ينزل بلسان واحد فكان
اولى الالسنة لسان قوم الرسول لانهم اقرب اليه فاذا فهموا عنه وتبينوه وتنوقل عنهم وانتشر قامت التراجم
ببيانه وتفهيمه كما ترى الحال وتشاهدها من نيابة التراجم في كل امة من امم العجم مع ما في ذلك من اتفاق
اهل البلاد المتباعدة والاقطار المتنازحة والامم المختلفة والاجيال المتفاوتة على كتاب واحد واجتهادهم في
تعلم لفظه وتعلم معانيه وما يتشعب من ذلك من جلائل الفوائد وما يتكاثر في اتعاب النفوس وكد
القرائح فيه من القرب والطاعات المفضية الى جزيل الثواب ولانه ابعد من التحريف والتبديل واسلم من التنازع
والاختلاف ولانه لو نزل بالسنة الثقلين كلها مع اختلافها وكثرتها وكان مستقلا بصفة الاعجاز في
كل واحد منها وكلم الرسول العربي كل امة بلسانها كما كلم امته التي هو منها يتلوه عليهم معجزا لكان
ذلك امرا قريبا من الالجاء ومعنى بلسان قومه بلغة قومه وقرئ بلسن قومه واللسن واللسان كالريش والرياش
بمعنى اللغة وقرئ بلسن قومه بضم اللام والسين مضمومة او ساكنة وهو جمع لسان كعماد وعمد وعمد

على التخفيف وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم ورووه عن الضحاك وان الكتب كلها نزلت بالعربية ثم اداها كل نبي بلغة
قومه وليس بصحيح لان قوله ليبين لهم ضمير القوم وهم العرب فيؤدي الى ان الله انزل التوراة بالعربية ليبين للعرب
وهذا معنى فاسد فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء كقوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن لان الله لا يضل الا من يعلم
انه لن يؤمن ولا يهدي الا من يعلم انه يؤمن والمراد بالاضلال التخلية ومنع الالطاف وبالهداية التوفيق واللطف فكان
ذلك كناية عن الكفر والايمان وهو العزيز فلا يغلب على مشيئته الحكيم فلا يخذل الا اهل الخذلان ولا يلطف الا
باهل اللطف ان اخرج بمعنى اي اخرج لان الارسال فيه معنى القول كانه قيل ارسلناه وقلنا له اخرج ويجوز
ان تكون ان الناصبة للفعل وانما صلح ان توصل بفعل الامر لان الغرض وصلها بما تكون معه في تأويل المصدر
وهو الفعل والامر وغيره سواء في الفعلية والدليل على جواز ان تكون الناصبة للفعل قولهم اوعز اليه بان افعل فادخلوا
عليها حرف الجر وكذلك التقدير بان اخرج قومك وذكرهم بايام الله وانذرهم بوقائعه التي وقعت على الامم
قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ومنه ايام العرب لحروبها وملاحمها كيوم ذي قار ويوم الفجار ويوم قضة وغيرها
وهو الظاهر وعن ابن عباس نعماؤه وبلاؤه فاما نعماؤه فانه ظلل عليهم الغمام وانزل عليهم المن والسلوى
وفلق لهم البحر واما بلاؤه فاهلاك القرون لكل صبار شكور يصبر على بلاء الله ويشكر نعماءه فاذا سمع
بما انزل الله من البلاء على الامم او افاض عليهم من النعم تنبه على ما يجب عليه من الصبر والشكر واعتبر وقيل اراد
لكل مؤمن لان الشكر والصبر من سجاياهم تنبيها عليهم اذ انجاكم ظرف للنعمة بمعنى الانعام اي انعامه عليكم
ذلك الوقت فان قلت هل يجوز ان ينتصب بعليكم قلت لا يخلو ان يكون صلة للنعمة بمعنى الانعام او
غير صلة اذا اردت بالنعمة العطية فاذا كان صلة لم يعمل فيه واذا كان غير صلة بمعنى اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم
عمل فيه ويتبين الفرق بين الوجهين انك اذا قلت نعمة الله عليكم فان جعلته صلة لم يكن كلاما حتى تقول فائضة او
نحوها والا كان كلاما ويجوز ان تكون اذ بدلا من نعمة الله اي اذكروا وقت انجائكم وهو من بدل الاشتمال فان قلت
في سورة البقرة يذبحون وفي الاعراف يقتلون وههنا ويذبحون مع الواو فما الفرق قلت الفرق ان التذبيح
حيث طرح الواو جعل تفسيرا للعذاب وبيانا له وحيث اثبت جعل التذبيح لانه اوفى على جنس العذاب وزاد عليه
زيادة ظاهرة كانه جنس آخر فان قلت كيف كان فعل آل فرعون بلاء من ربهم قلت تمكينهم وامهالهم
حتى فعلوا ما فعلوا ابتلاء من الله ووجه آخر وهو ان ذلك اشارة الى الانجاء وهو بلاء عظيم والبلاء يكون ابتلاء
بالنعمة والمحنة قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال زهير فابلاهما خير البلاء الذي يبلو واذ
تأذن ربكم من جملة ما قال موسى لقومه وانتصابه للعطف على قوله نعمة الله عليكم كانه قيل واذ قال موسى لقومه
اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم ومعنى تأذن ربكم اذن ربكم ونظير تأذن واذن توعد
واوعد وتفضل وافضل ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في افعل كانه قيل واذ اذن ربكم ايذانا بليغا تنتفي عنده الشكوك
وتنزاح الشبه والمعنى واذ تأذن ربكم فقال لئن شكرتم او اجرى تأذن مجرى قال لانه ضرب من القول وفي قراءة
ابن مسعود واذ قال ربكم لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها من النعم بالايمان الخالص
والعمل الصالح لازيدنكم نعمة الى نعمة ولاضاعفن لكم ما آتيتكم ولئن كفرتم وغمطتم ما انعمت به عليكم ان
عذابي لشديد لمن كفر نعمتي وقال موسى ان تكفروا انتم يا بني اسرائيل والناس كلهم فانما ضررتم انفسكم وحرمتموها
الخير الذي لا بد لكم منه وانتم محاويج والله غني عن شكركم حميد مستوجب للحمد بكثرة انعمه واياديه وان لم يحمده
الحامدون والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة من مبتدأ وخبر وقعت اعتراضا او عطف الذين من بعدهم على
قوم نوح ولا يعلمهم الا الله اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله وعن ابن عباس بين عدنان

وإسمعيل يلون ابا لا يعرفون وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب وقد
نفى الله علمها عن العباد فردوا ايديهم في افواههم فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل
من الغيظ او ضحكا واستهزاء كمن غلبه الضحك فوضع يده على فيه او اشاروا بايديهم الى السنتهم وما نطقت به من قولهم
انا كفرنا بما ارسلتم به اي هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره اقناطا لهم من التصديق الا ترى الى قوله فردوا ايديهم في
افواههم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وهذا اقوى او وضعوها على افواههم يقولون للانبياء اطبقوا افواهكم واسكتوا
او ردوها في افواه الانبياء يشيرون لهم الى السكوت او وضعوها على افواههم يسكتونهم ولا يذرونهم يتكلمون
وقيل الايدي جمع يد وهي النعمة بمعنى الايادي اي ردوا نعم الانبياء التي هي اجل النعم من مواعظهم ونصائحهم وما اوحي
اليهم من الشرائع والآيات في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها الى افواههم ورجعوها
الى حيث جاءت منه على طريق المثل مما تدعوننا اليه من الايمان بالله وقرئ تدعونا بادغام النون مريب موقع في الريبة
او ذي ريبة من ارابه واراب الرجل وهي قلق النفس وان لا تطمئن الى الامر افي الله شك ادخلت همزة الانكار على الظرف
لان الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك فيه وانه لا يحتمل الشك لظهور الادلة وشهادتها عليه يدعوكم ليغفر
لكم من ذنوبكم اي يدعوكم الى الايمان ليغفر لكم او يدعوكم لاجل المغفرة كقولك دعوته لينصرني ودعوته ليأكل
معي وقال الشاعر دعوت لما نابني مسورا فلبى فلبي يدي مسور فان قلت ما معنى التبعيض في قوله من
ذنوبكم قلت ما علمته جاء هكذا الا في خطاب الكافرين كقوله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم
يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال في خطاب المؤمنين هل ادلكم على تجارة تنجيكم الى
ان قال يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يقفك عليه الاستقراء وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولئلا يسوي بين
الفريقين في الميعاد وقيل اريد انه يغفر لهم ما بينهم وبينه لا ما بينهم وبين العباد من المظالم ونحوها ويؤخركم
الى اجل مسمى الى وقت قد سماه وبين مقداره يبلغكموه ان آمنتم والا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت ان انتم الا
بشر مثلنا لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تختصون بالنبوة دوننا ولو ارسل الله الى البشر رسلا لجعلهم
من جنس افضل منهم وهم الملائكة بسلطان مبين بحجة بينة وقد جاءتهم رسلهم بالبينات والحجج وانما ارادوا بالسلطان المبين
آية قد اقترحوها تعنتا ولجاجا ان نحن الا بشر مثلكم تسليم لقولهم وانهم بشر مثلهم يعنون انهم مثلهم في البشرية
وحدها فاما ما وراء ذلك فما كانوا مثلهم ولكنهم لم يذكروا فضلهم تواضعا منهم واقتصروا على قولهم ولكن
الله يمن على من يشاء من عباده بالنبوة لانه قد علم انهم لا يختصهم بتلك الكرامة الا وهم اهل لاختصاصهم بها لخصائص
فيهم قد استأثروا بها على ابناء جنسهم الا باذن الله ارادوا ان الاتيان بالآية التي قد اقترحتموها ليس الينا ولا في استطاعتنا
وما هو الا امر يتعلق بمشيئة الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون امر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به انفسهم
قصدا اوليا وامروها به كانهم قالوا ومن حقنا ان نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وما يجري
علينا منكم الا ترى الى قوله وما لنا ان لا نتوكل على الله ومعناه واي عذر لنا في ان لا نتوكل عليه وقد هدانا
وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا وهو التوفيق لهداية كل واحد منا سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين فان قلت
كيف كرر الامر بالتوكل قلت الاول لاستحداث التوكل وقوله فليتوكل المتوكلون معناه فليثبت المتوكلون على
ما استحدثوا من توكلهم وقصدهم الى انفسهم على ما تقدم لنخرجنكم او لتعودن ليكونن احد الامرين لا محالة اما
اخراجكم واما عودكم حالفين على ذلك فان قلت كانهم كانوا على ملتهم حتى يعودوا فيها قلت معاذ
الله ولكن العود بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب كثرة فاشية لا تكاد تسمعهم يستعملون صار ولكن عاد
ما عدت اراه عاد لا يكلمني ما عاد لفلان مال او خاطبوا به كل رسول ومن آمن به فغلبوا في الخطاب الجماعة على

الواحد لنهلكن الظالمين حكاية تقتضي اضمار القول او اجراء الايحاء مجرى القول لانه ضرب منه وقرأ ابو حيوة ليهلكن وليسكننكم
بالياء اعتبارا لاوحى ولان لفظه لفظ الغيبة ونحوه قولك اقسم زيد ليخرجن ولاخرجن والمراد بالارض ارض الظالمين
وديارهم ونحوه واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها واورثكم ارضهم وديارهم وعن النبي
صلى الله عليه وسلم من آذى جاره ورثه الله داره ولقد عاينت هذا في مدة قريبة كان لي خال يظلمه عظيم القرية
التي انا منها ويؤذيني فيه فمات ذلك العظيم وملكني الله ضيعته فنظرت يوما الى ابناء خالي يترددون فيها ويدخلون
في دورها ويخرجون ويأمرون وينهون فذكرت قول رسول الله وحدثتهم به وسجدنا شكرا لله تعالى ذلك اشارة الى
ما قضى الله به من اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم اي ذلك الامر حق لمن خاف مقامي موقفي وهو موقف
الحساب لانه موقف الله الذي يقف فيه عباده يوم القيامة او على اقامتي المقام وقيل خاف قيامي عليه وحفظي لاعماله والمعنى
ان ذلك حق للمتقين كقوله والعاقبة للمتقين واستفتحوا واستنصروا الله على اعدائهم ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح او استحكموا الله وسألوه
القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على اوحي اليهم وقرئ
واستفتحوا بلفظ الامر وعطفه على لنهلكن اي اوحي اليهم وقال لهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا وخاب كل جبار عنيد
وهم قومهم وقيل واستفتح الكفار على الرسل ظنا منهم بانهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم
ولم يفلح باستفتاحه من ورائه جهنم من بين يديه وقال عسى الكرب الذي امسيت فيه يكون وراءه فرج قريب
وهذا وصف حاله وهو في الدنيا لانه مرصد لجهنم فكانها بين يديه وهو على شفيرها او وصف حاله في الآخرة
حين يبعث ويوقف فان قلت علام عطف ويسقى قلت على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى
فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد كانه اشد عذابها فخص بالذكر مع قوله ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت
فان قلت ما وجه قوله من ماء صديد قلت صديد عطف بيان لماء قال ويسقى من ماء فابهمه ابهاما ثم بينه
بقوله صديد وهو ما يسيل من جلود اهل النار يتجرعه يتكلف جرعه ولا يكاد يسيغه دخل كاد للمبالغة يعني ولا يقارب
ان يسيغه فكيف تكون الاساغة كقوله لم يكد يراها اي لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها ويأتيه الموت من كل مكان
كان اسباب الموت واصنافه كلها قد تألبت عليه واحاطت به من جميع الجهات تفظيعا لما يصيبه من الآلام وقيل
من كل مكان من جسده حتى من ابهام رجله وقيل من اصل كل شعرة ومن ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ اي في كل وقت
يستقبله يتلقى عذابا اشد مما قبله واغلظ وعن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها في الاجساد ويحتمل ان يكون
اهل مكة قد استفتحوا اي استمطروا والفتح المطر في سني القحط التي ارسلت عليهم بدعوة رسول الله فلم يسقوا
فذكر سبحانه ذلك وانه خيب كل جبار عنيد وانه يسقى في جهنم بدل سقياه ماء آخر وهو صديد اهل النار
واستفتحوا على هذا التفسير كلام مستأنف منقطع عن حديث الرسل واممهم مثل مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه
تقديره فيما يقص عليكم مثل الذين كفروا بربهم والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة وقوله اعمالهم كرماد
جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقيل اعمالهم كرماد ويجوز ان يكون المعنى مثل اعمال الذين
كفروا بربهم او هذه الجملة خبر للمبتدأ اي صفة الذين كفروا اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون
وماله مبذول او يكون اعمالهم بدلا من مثل الذين كفروا على تقدير مثل اعمالهم وكرماد الخبر وقرئ الرياح في
يوم عاصف جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح او الرياح كقولك يوم ماطر وليلة ساكرة وانما السكور لريحها
وقرئ في يوم عاصف بالاضافة واعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلة الارحام وعتق الرقاب
وفداء الاسارى وعقر الابل للاضياف واغاثة الملهوفين والاجارة وغير ذلك من صنائعهم شبهها في حبوطها لذهابها
هباء منثورا لبنائها على غير اساس من معرفة الله والايمان به وكونها لوجهه برماد طيرته الريح العاصف لا يقدرون

يوم القيمة مما كسبوا من اعمالهم على شيء اي لا يرون له اثرا من ثواب كما لا يقدرون من الرماد المطير في الريح على شيء ذلك هو
الضلال البعيد اشارة الى بعد ضلالهم عن طريق الحق او عن الثواب الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق بالحكمة والغرض الصحيح والامر العظيم ولم
يخلقها عبثا ولا شهوة وقرئ خالق السموات والارض ان يشأ يذهبكم اي هو قادر على ان يعدم الناس ويخلق
مكانهم خلقا اخر على شكلهم او على خلاف شكلهم اعلاما منه باقتداره على اعدام الموجود وايجاد المعدوم
يقدر على الشيء وجنس ضده وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر بل هو هين عليه يسير لانه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور
دون مقدور فاذا خلص له الداعي الى الشيء وانتفى الصارف تكون من غير توقف كتحرك اصبعك اذا
دعاك اليه داع ولم يعترض دونه صارف وهذه الآية بيان لابعادهم في الضلال وعظيم خطائهم في الضلال
بالله لوضوح آياته الشاهدة الدالة على قدرته الباهرة وحكمته البالغة وانه هو الحقيق بان يعبد ويخاف عقابه
ويرجى ثوابه في دار الجزاء وبرزوا لله جميعا يبرزون يوم القيمة وانما جيء بلفظ الماضي لان ما اخبر به عز وعلا لصدقه
كانه قد كان ووجد ونحوه ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب النار ومعنى بروزهم لله والله تعالى لا يتوارى
عنه شيء حتى يبرز له انهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون ان ذلك خاف على الله تعالى
فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله عند انفسهم وعلموا ان الله لا يخفى عليه خافية او خرجوا من قبورهم فبرزوا
لحساب الله وحكمه فان قلت لم كتب الضعفؤا بواو قبل الهمزة قلت كتب على لفظ من يفخم الالف
قبل الهمزة فيميلها الى الواو ونظيره علمؤا بني اسرائيل فقال الضعفاء الاتباع والعوام والذين استكبروا لسادتهم ورؤسائهم
الذين استتبعوهم واستغووهم وصدوهم عن الاستماع الى الانبياء واتباعهم انا كنا لكم تبعا تابعين جمع تابع على تبع كقولهم
خادم وخدم وغائب وغيب او ذوي تبع والتبع الاتباع يقال تبعه تبعا فان قلت اي فرق بين من في من عذاب
الله وبين من في من شيء قلت الاولى للتبيين والثانية للتبعيض كانه قيل هل انتم مغنون عنا بعض الشيء الذي هو
بعض عذاب الله اي بعض بعض عذاب الله فان قلت ما معنى قوله لو هدانا الله لهديناكم قلت الذي قال لهم
الضعفاء كان توبيخا لهم وعتابا على استتباعهم واستغوائهم وقولهم فهل انتم مغنون عنا من باب التبكيت لانهم
قد علموا انهم لا يقدرون على الاغناء عنهم فاجابوهم معتذرين عما كان منهم اليهم بان الله لو هداهم الى الايمان
لهدوهم ولم يضلوهم اما موركين للذنب في ضلالهم واضلالهم على الله كما حكى الله عنهم وقالوا لو شاء الله ما اشركنا
ولا آباؤنا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء يقولون ذلك في الآخرة كما كانوا يقولونه في الدنيا ويدل عليه قوله
حكاية عن المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء واما ان يكون المعنى
لو كنا من اهل اللطف فلطف ربنا بنا واهتدينا لهديناكم الى الايمان وقيل معناه لو هدانا الله طريق النجاة لهديناكم سبيل
المكة سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستو علينا الجزع والصبر والهمزة وام للتسوية ونحوه اصبروا او لا تصبروا
سواء عليكم وروي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون
كذلك ثم يقولون سواء علينا فان قلت كيف اتصل قوله سواء علينا بما قبله قلت اتصاله به من حيث ان
عتابهم لهم كان تجزعا مما هم فيه فقالوا لهم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا يريدون انفسهم واياهم لاجتماعهم في
عقاب الضلالة التي كانوا مجتمعين عليها يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة في الجزع كما لا فائدة في الصبر
والامر من ذلك اشد او لما قالوا لو هدانا الله طريق النجاة لاغنينا عنكم واجنيناكم اتبعوه بالاقناط من النجاة
فقالوا ما لنا من محيص اي منجى ومهرب جزعنا ام صبرنا ويجوز ان يكون من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا كانه
قيل قالوا جميعا سواء علينا كقوله ذلك ليعلم اني لم اخنه والمحيص يكون مصدرا كالمغيب والمشيب ومكانا كالمبيت
والمصيف ويقال حاص عنه وجاض بمعنى واحد لما قضي الامر لما قطع الامر وفرغ منه وهو الحساب وتصادر

وتصادر الفريقين ودخول احدهما الجنة ودخول الاخر النار روي ان الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا في الاشقياء
من الجن والانس فيقول ذلك ان الله وعدكم وعد الحق وهو البعث والجزاء على الاعمال فوفى لكم ووعدتكم خلاف
ذلك فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان من تسلط وقهر فاقسركم على الكفر والمعاصي والجئكم اليها الا ان
دعوتكم الا دعائي اياكم الى الضلالة بوسوستي وتزييني وليس الدعاء من جنس السلطان ولكنه كقولك ما تحيتهم الا
الضرب فلا تلوموني ولوموا انفسكم حيث اغتررتم بي واطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم اذ دعاكم وهذا دليل على
ان الانسان هو الذي يختار الشقاوة او السعادة ويحصلهما لنفسه وليس من الله الا التمكين ولا من الشيطان الا التزيين
ولو كان الامر كما تزعم المجبرة لقال فلا تلوموني ولا انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر واجبركم عليه فان قلت
قول الشيطان باطل لا يصح التعلق به قلت لو كان هذا القول منه باطلا لبين الله بطلانه واظهر
انكاره على انه لا طائل له في النطق بالباطل في ذلك المقام الا ترى الى قوله ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم
كيف اتى فيه بالحق والصدق وفي قوله وما كان لي عليكم من سلطان وهو مثل قول الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم
سلطان الا من اتبعك من الغاوين ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي لا ينجي بعضنا بعضا من عذاب الله ولا يغيثه
والاصراخ الاغاثة وقرئ بمصرخي بكسر الياء وهي ضعيفة واستشهدوا لها ببيت مجهول قال لها هل لك يا تا في
قالت له ما انت بالمرضي وكانه قدر ياء الاضافة ساكنة وقبلها ياء ساكنة فحركها بالكسر لما عليها اصل التقاء
الساكنين ولكنه غير صحيح لان ياء الاضافة لا تكون الا مفتوحة حيث قبلها الف في نحو عصاي فما بالها وقبلها ياء
فان قلت جرت الياء الاولى مجرى الحرف الصحيح لاجل الادغام فكانها ياء وقعت ساكنة بعد حرف صحيح ساكن
فحركت بالكسر على الاصل قلت هذا قياس حسن ولكن الاستعمال المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر تتضاءل
اليه القياسات ما في بما اشركتمون مصدرية ومن قبل متعلقة باشركتمون يعني كفرت اليوم باشراككم
اياي من قبل هذا اليوم اي في الدنيا كقوله ويوم القيمة يكفرون بشرككم ومعنى كفره باشراكهم اياه تبرؤه منه واستنكاره
له كقوله انا برءاؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وقيل من قبل يتعلق بكفرت وما موصولة اي
كفرت من قبل حين ابيت السجود لآدم بالذي اشركتمونيه وهو الله عز وجل تقول شركت زيدا فاذا نقلت بالهمزة
قلت اشركت زيدا فلانا اي جعلته شريكا له ونحو ما هذه ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومعنى اشراكهم الشيطان بالله
طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عبادة الاوثان وغيرها وقوله ان الظالمين قول الله عز وعلا ويحتمل ان يكون من
جملة قول ابليس وانما حكى الله عز وجل ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون لطفا للسامعين في النظر لعاقبتهم
والاستعداد لما لا بد لهم من الوصول اليه وان يتصوروا في انفسهم ذلك المقام الذي يقول فيه الشيطان ما يقول
فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم منه وينجيهم وقرئ فلا يلوموني بالياء على طريقة الالتفات كقوله حتى اذا كنتم في الفلك
وجرين بهم وقراءة الحسن وعمرو بن عبيد رحمهما الله وادخل الذين آمنوا على فعل المتكلم بمعنى وادخلهم انا وهذا
دليل على انه من قول الله لا من قول ابليس باذن ربهم متعلق بادخل اي ادخلتهم الملائكة الجنة باذن الله وامره
فان قلت فبم يتعلق في القراءة الاخرى وقولك ادخلهم انا باذن ربهم كلام غير ملتئم قلت الوجه
في هذه القراءة ان يتعلق قوله باذن ربهم بما بعده اي تحيتهم فيها سلام باذن ربهم وقرئ الم تر ساكنة الراء كما
قرئ من يتقه ضرب الله مثلا اعتمد مثلا ووضعه وكلمة طيبة نصب بمضمر اي جعل كلمة طيبة
كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس ويجوز
ان ينتصب مثلا وكلمة بضرب اي ضرب كلمة طيبة مثلا على انها خبر مبتدا محذوف بمعنى هي كشجرة طيبة اصلها
ثابت يعني ضارب في الارض بعروقه وفرعها واعلاها وراسها في السماء ويجوز ان يريد وفروعها على الاكتفاء

بلفظ الجنس وقرأ انس بن مالك كشجرة طيبة ثابت اصلها فان قلت اي فرق بين القراءتين قلت قراءة الجماعة اقوى
معنى لان في قراءة انس قد اجريت الصفة على الشجرة واذا قلت مررت برجل ابوه قائم فهو اقوى معنى من مررت
برجل قائم ابوه لان المخبر عنه انما هو الاب لا رجل والكلمة الطيبة كلمة التوحيد وقيل كل كلمة حسنة كالتسبيحة
والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة وعن ابن عباس شهادة ان لا اله الا الله واما الشجرة فكل شجرة مثمرة
طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين والعنب والرمان وغير ذلك وعن ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
قال ذات يوم ان الله ضرب مثل المؤمن شجرة فاخبروني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي وكنت صبيا فوقع في
قلبي النخلة فهبت رسول الله ان اقولها وانا اصغر القوم وروي فمنعني مكان عمر واستحييت فقال لي عمر يا بني لو كنت
قلتها لكانت احب الي من حمر النعم فقال رسول الله صلى الله عليه الا انها النخلة وعن ابن عباس شجرة في الجنة وقوله في
السماء معناه في جهة العلو والصعود ولم يرد المظلة كقولك في الجبل طويل في السماء تريد ارتفاعه وشموخه تؤتي
اكلها كل حين تعطي ثمرها كل وقت وقته الله لاثمارها باذن ربها بتيسير خالقها وتكوينه لعلهم يتذكرون لان في
ضرب الامثال زيادة افهام وتذكير وتصوير للمعاني كشجرة خبيثة اي صفتها كصفتها وقرئ ومثل كلمة بالنصب
عطفا على كلمة طيبة والكلمة الخبيثة كلمة الشرك وقيل كل كلمة قبيحة واما الشجرة الخبيثة فكل شجرة لا يطيب
ثمرها كشجرة الحنظل والكشوث ونحو ذلك وقوله اجتثت من فوق الارض في مقابلة قوله اصلها ثابت ومعنى اجتثت استؤصلت
وحقيقة الاجتثاث اخذ الجثة كلها ما لها من قرار اي استقرار يقال قر الشيء قرارا كقولك ثبت ثباتا شبه بها القول
الذي لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت والذي لا يبقى انما يضمحل عن قرب لبطلانه من قولهم الباطل لجلج وعن قتادة
انه قيل لبعض العلماء ما تقول في كلمة خبيثة فقال لا اعلم لها مستقرا في الارض ولا في السماء مصعدا الا ان تلزم عنق
صاحبها حتى يوافي بها القيامة القول الثابت الذي ثبت بالحجة والبرهان في قلب صاحبه وتمكن فيه فاعتقده وكان
واطمأنت اليه نفسه وتثبيتهم به في الدنيا انهم اذا فتنوا في دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتنهم اصحاب الاخدود
والذين نشروا بالمناشير ومشطت لحومهم بامشاط الحديد وكما ثبت جرجيس وشمعون وغيرهما وتثبيتهم
في الآخرة انهم اذا سئلوا عند تواقف الاشهاد عن معتقدهم ودينهم لم يتلعثموا ولم يبهتوا ولم تحيرهم اهوال الحشر
وقيل معناه الثبات عند سؤال القبر وعن البراء بن عازب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه ذكر قبض روح المؤمن
فقال ثم تعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك
فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين
آمنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين الذين لم يتمسكوا بحجة في دينهم وانما اقتصروا على تقليد كبارهم وشيوخهم
كما قلد المشركون آباءهم فقالوا انا وجدنا آباءنا على امة واضلالهم في الدنيا انهم لا يثبتون في مواقف الفتن وتزل اقدامهم
اول شيء وهم في الآخرة اضل واذل ويفعل الله ما يشاء اي ما توجبه الحكمة لان مشيئة الله تابعة للحكمة من
تثبيت المؤمنين وتأييدهم وعصمتهم عند ثباتهم وعزمهم ومن اضلال الظالمين وخذلانهم والتخلية بينهم وبين
شانهم عند زللهم بدلوا نعمة الله اي شكر نعمة الله كفرا لان شكرها الذي وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا
فكانهم غيروا الشكر الى الكفر وبدلوه تبديلا ونحوه وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي شكر رزقكم حيث
وضعتم التكذيب موضعه ووجه آخر وهو انهم بدلوا نفس النعمة كفرا على انهم لما كفروها سلبوها فبقوا
مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر حاصلا لهم الكفر بدل النعمة وهم اهل مكة اسكنهم الله حرمه وجعلهم قوام
بيته واكرمهم بمحمد صلى الله عليه فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر العظيم او اصابهم الله بالنعمة في
الرخاء والسعة لايلافهم الرحلتين فكفروا نعمته فضربهم بالقحط سبع سنين فحصل لهم الكفر بدل النعمة وكذلك

وكذلك حين اسروا وقتلوا يوم بدر قد ذهب عنهم النعمة وبقي الكفر طوقا في اعناقهم وعن عمر رضي الله عنه
هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية اما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا حتى حين وقيل
هم متنصرة العرب جبلة بن الايهم واصحابه واحلوا قومهم ممن تابعهم على الكفر دار البوار دار الهلاك وعطف
جهنم على دار البوار عطف بيان وقرئ ليضلوا بفتح الياء وضمها فان قلت الضلال او الاضلال لم يكن غرضهم
في اتخاذ الانداد فما معنى اللام قلت لما كان الضلال او الاضلال نتيجة اتخاذ الانداد كما كان الاكرام في قولك جئتك
لتكرمني نتيجة المجيء دخلته اللام وان لم يكن غرضا على طريق التشبيه والتقريب تمتعوا ايذان بانهم لانغماسهم في
التمتع بالحاضر وانهم لا يعرفون غيره ولا يريدونه مامورون به قد امرهم آمر مطاع لا يسعهم ان يخالفوه ولا
يملكون لانفسهم امرا دونه وهو امر الشهوة والمعنى ان دمتم على ما انتم عليه من الامتثال لامر الشهوة فان مصيركم
الى النار ويجوز ان يراد الخذلان والتخلية ونحوه قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار المقول محذوف لان
جواب قل يدل عليه وتقديره قل لعبادي الذين آمنوا اقيموا الصلاة وانفقوا يقيموا الصلاة وينفقوا وجوزوا ان يكون
يقيموا وينفقوا بمعنى ليقيموا ولينفقوا ويكون هذا هو المقول قالوا وانما جاز حذف اللام لان الامر الذي هو قل عوض
منه ولو قيل يقيموا الصلاة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز فان قلت علام انتصب سرا وعلانية قلت
على الحال اي ذوي سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين او على الظرف اي وقتي سر وعلانية او على المصدر اي انفاق سر
وانفاق علانية والمعنى اخفاء المتطوع به من الصدقات والاعلان بالواجب والخلال المخالة فان قلت كيف
طابق الامر بالانفاق وصف اليوم بانه لا بيع فيه ولا خلال قلت من قبل ان الناس يخرجون اموالهم في
عقود المعاوضات فيعطون بدلا ليأخذوا مثله وفي المكارمات ومهاداة الاصدقاء ليستجروا بهداياهم امثالها او
خيرا منها واما الانفاق لوجهه خالصا كقوله وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى فلا يفعله
الا المؤمنون الخلص فبعثوا عليه ليأخذوا بدله في يوم لا بيع فيه ولا خلال اي لا انتفاع فيه بمبايعة ولا بمخالة ولا بما
ينفقون فيه اموالهم من المعاوضات والمكارمات وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله وقرئ لا بيع ولا خلال بالرفع
الله مبتدا والذي خلق خبره ومن الثمرات بيان للرزق اي اخرج به رزقا هو ثمرات ويجوز ان يكون من الثمرات
مفعول اخرج ورزقا حالا من المفعول او نصبا على المصدر من اخرج لانه في معنى رزق دائبين
يدأبان في سيرهما وانارتهما ودرئهما الظلمات واصلاحهما ما يصلحان من الارض والابدان والنبات وسخر لكم الليل
والنهار يتعاقبان خلفة لمعاشكم وسباتكم وآتاكم من كل ما سألتموه من للتبعيض اي آتاكم بعض جميع ما سألتموه نظرا
في مصالحكم وقرئ من كل بالتنوين وما سألتموه نفي ومحله النصب على الحال اي آتاكم من جميع ذلك غير سائليه ويجوز ان
تكون ما موصولة على وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه ولم تصلح احوالكم ومعايشكم الا به فكانكم سألتموه
او طلبتموه بلسان الحال لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا عدها وبلوغ آخرها هذا اذا ارادوا ان يعدوها على الاجمال
واما التفصيل فلا يقدر عليه ولا يعلمه الا الله تعالى لظلوم كفار يظلم النعمة باغفال شكرها كفار شديد الكفران
لها وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع والانسان للجنس فيتناول الاخبار بالظلم
والكفران من توجدان منه هذا البلد يعني البلد الحرام زاده الله امنا وكفاه كل باغ ظالم واجاب فيه دعوة
خليله ابراهيم اياه آمنا ذا امن فان قلت اي فرق بين قوله اجعل هذا بلدا آمنا وبين قوله اجعل هذا البلد آمنا
قلت قد سأل في الاول ان يجعله من جملة البلاد التي يأمن اهلها ولا يخافون وفي الثاني ان يخرجه من صفة
كان عليها من الخوف الى ضدها من الامن كانه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا واجنبني وقرئ واجنبني وفيه
ثلاث لغات جنبه الشر وجنبه واجنبه واهل الحجاز يقولون جنبني شره بالتشديد واهل نجد جنبني شره

وَاجنبني وَالمعنى ثبتنا وادمنا على اجتناب عبادتها وبنيّ اراد بنيه من صلبه وسُئل ابن عيينة كيف عبدت العرب الاصنام
فقال ما عبد احد من ولد اسمعيل صنما واحتج بقوله واجنبني وبنيّ ان نعبد الاصنام انما كانت انصاب حجارة لكل
قوم قالوا البيت حجر فحيثما نصبنا حجرا فهو بمنزلة البيت وكانوا يدورون بذلك الحجر ويسمونه الدوار فاستحب ان
يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت انهن اضللن كثيرا من الناس فاعوذ بك ان تعصمني وبنيّ من ذلك وانما
جعلن مضلات لان الناس ضلوا بسببهن فكانهن اضللنهم كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم اي افتتنوا بها واغتروا
بسببها فمن تبعني على ملتي وكان حنيفا مسلما مثلي فانه مني فهو بعضي لفرط اختصاصه بي وملابسته لي
وكذلك قوله من غشنا فليس منا اي ليس بعض المؤمنين على ان الغش من افعالهم واوصافهم ومن عصاني
فانك غفور رحيم تغفر له ما سلف منه من عصياني اذا بدا له فيه واستحدث الطاعة لي وقيل معناه ومن عصاني
فيما دون الشرك من ذريتي بعض اولادي وهم اسمعيل ومن ولد منه بواد هو وادي مكة غير ذي زرع لا
يكون فيه شيء من زرع قط كقوله قرآنا عربيا غير ذي عوج بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج ما فيه الا الاستقامة لا
غير عند بيتك المحرم لان الله حرّم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لمكانه او لانه لم يزل ممتنعا عزيزا
يهابه كل جبار كالشيء المحرم الذي حقه ان يجتنب او لانه محترم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها او لانه حرم على
الطوفان اي منع منه كما سمي عتيقا لانه اعتق منه ليقيموا الصلاة اللام متعلقة باسكنت اي ما اسكنتهم
بهذا الوادي الخالي البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا ليقيموا الصلاة عند بيتك المحرم ويعمروه بذكرك وعبادتك
وما تعمر به مساجدك ومتعبداتك متبركين بالبقعة التي شرفتها على البقاع مستسعدين بجوارك الكريم متقربين
اليك بالعكوف عند بيتك والطواف به والركوع والسجود حوله مستنزلين الرحمة التي آثرت بها سكان حرمك
افئدة من الناس من افئدة الناس ومن للتبعيض ويدل عليه ما روي عن مجاهد لو قال افئدة الناس لزحمتكم عليه
فارس والروم وقيل لما لو لم يقل من لازدحموا عليه حتى الروم والترك والهند ويجوز ان تكون من للابتداء كقولك
القلب مني سقيم تريد قلبي فكانه قيل افئدة ناس وانما نكرت المضاف اليه في هذا التمثيل لتنكير افئدة لانها
في الآية نكرة ليتناول بعض الافئدة وقرئ آفدة بوزن عاقدة وفيه وجهان احدهما ان يكون من القلب كقوله
ادؤر في ادور والثاني ان يكون اسم فاعلة من افدت الرحلة اذا عجلت اي جماعة او جماعات يرحلون اليهم ويعجلون
نحوهم وقرئ افدة وفيه وجهان ان تطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه ان تخفف باخراجها بين بين وان
يكون من افد تهوي اليهم تسرع اليهم وتطير نحوهم شوقا ونزاعا من قوله يهوي مخارمها هوي الاجدل
وقرئ تهوى اليهم على البناء للمفعول من هوى اليه واهواه غيره وتهوى اليهم من هوى يهوى اذا احب
ضمن معنى تنزع فعدي تعديته وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا ليس فيه شيء منها بان تجلب اليهم
من البلاد لعلهم يشكرون النعمة في ان يرزقوا انواع الثمرات حاضرة في واد يباب ليس فيه نجم ولا شجر ولا ماء
لا جرم ان الله عز وجل اجاب دعوته فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنه ثم فضله في وجود
اصناف الثمار فيه على كل ريف وعلى اخصب البلاد واكثرها ثمارا وفي اي بلد من بلاد الشرق والغرب
ترى الاعجوبة التي يريكها الله بواد غير ذي زرع وهو اجتماع البواكير والفواكه المختلفة الازمان من الربيعية
والصيفية والخريفية في يوم واحد وليس ذلك من آياته بعجيب متعنا الله بسكنى حرمه ووفقنا لشكر
نعمه وادام لنا التشرف بالدخول تحت دعوة ابرهيم ورزقنا طرفا من سلامة ذلك القلب السليم النداء المكرر
دليل التضرع واللجا الى الله انك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم السر كما تعلم العلن علما لا تفاوت فيه لان غيبا
من الغيوب لا يحتجب عنك والمعنى انك اعلم باحوالنا وما يصلحنا ويفسدنا منا وانت ارحم بنا وانصح لنا منا

بانفسنا ولها فلا حاجة الى الدعاء والطلب وانما ندعوك اظهارا للعبودية لك وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك
وافتقارا الى ما عندك واستعجالا لنيل اياديك وولها الى رحمتك وكما يتملق العبد بين يدي سيده رغبة في اصابة معروفه
مع توفر السيد على حسن الملكة وعن بعضهم انه رفع حاجته الى كريم فابطأ عليه النجح فاراد ان يذكره فقال مثلك
لا يذكر استقصارا ولا توهما للغفلة عن حوائج السائلين ولكن ذا الحاجة لا تدعه حاجته ان لا يتكلم فيها وقيل ما نخفي
من الوجد لما وقع بيننا من الفرقة وما نعلن من البكاء والدعاء وقيل ما نخفي من كآبة الافتراق وما نعلن يريد ما
جرى بينه وبين هاجر حين قالت له عند الوداع الى من تكلنا قال الى الله اكلكم قالت آلله امرك بهذا قال نعم قالت
اذن لا نخشى تركتنا الى كاف وما يخفى على الله من شيء من كلام الله عز وجل تصديقا لابرهيم عليه السلام كقوله
وكذلك يفعلون او من كلام ابرهيم يعني وما يخفى على الله الذي هو عالم الغيب من شيء في كل مكان ومن للاستغراق
كانه قيل وما يخفى عليه شيء ما على في قوله على الكبر بمعنى مع كقوله اني على ما ترين من كبري اعلم من حيث
توكل وهو في موضع الحال ومعناه وهب لي وانا كبير وفي حال الكبر روي ان اسمعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين
سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة وثنتي عشرة سنة وقد روي انه ولد له اسمعيل لاربع واسحق لتسعين وعن سعيد ابن
جبير لم يولد لابرهيم الا بعد مائة وسبع عشرة سنة وانما ذكر حال الكبر لان المنة بهبة الولد فيها اعظم من
حيث انها حال وقوع الياس من الولادة والظفر بالحاجة على عقب الياس من اجل النعم واحلاها في نفس الظافر ولان
الولادة في تلك السن العالية كانت آية لابرهيم ان ربي لسميع الدعاء كان قد دعا ربه وسأله الولد فقال رب هب
لي من الصالحين فشكر لله ما اكرمه به من اجابته فان قلت الله تعالى يسمع كل دعاء اجابه او لم يجبه
قلت هو من قولك سمع الملك كلام فلان اذا اعتد به وقبله ومنه سمع الله لمن حمده وما اذن الله لشيء كاذنه
لنبي يتغنى بالقرآن فان قلت ما معنى الاضافة اضافة السميع الى الدعاء قلت اضافة الصفة الى مفعولها و
اصله لسميع الدعاء وقد ذكر سيبويه فعيلا في جملة ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك هذا ضروب
زيدا وضراب اخاه ومنحار ابله وحذر امورا ورحيم اباه ويجوز ان يكون من اضافة فعيل الى فاعله ويجعل
دعاء الله سميعا على الاسناد المجازي والمراد سماع الله تعالى ومن ذريتي وبعض ذريتي عطفا على المنصوب في
اجعلني وانما بعض لانه علم باعلام الله انه يكون في ذريته كفار وذلك قوله لا ينال عهدي الظالمين وتقبل دعاي
اي عبادتي واعتزلكم وما تدعون من دون الله وقرأ سعيد بن جبير ولوالدي على الافراد يعني اباه وقرأ الحسين ولولدي
وقرأ الحسن بن علي ولولدي يعني اسمعيل واسحق وقرئ ولولدي بضم الواو والولد بمعنى الولد كالعدم والعدم
وقيل جمع ولد كاسد في اسد وفي بعض المصاحف ولذريتي فان قلت كيف جاز له ان يستغفر لابويه وكانا
كافرين قلت هو من مجوزات العقل لا يعلم امتناع جوازه الا بالتوقيف وقيل اراد بوالديه آدم وحواء
وقيل بشرط الاسلام ويأباه قوله الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك لانه لو شرط الاسلام لكان استغفارا صحيحا
لا مقال فيه فكيف يستثنى الاستغفار الصحيح من جملة ما يؤتسى فيه بابرهيم يوم يقوم الحساب اي يثبت وهو
مستعار من قيام القائم على الرجل والدليل عليه قولهم قامت الحرب على ساقها ونحوه قولهم ترجلت الشمس اذا اشرقت
وثبت ضوءها كانها قامت على رجل ويجوز ان يسند الى الحساب قيام اهله اسنادا مجازيا او يكون مثل واسأل القرية
وعن مجاهد قد استجاب الله له فيما سأل فلم يعبد احد من ولده صنما بعد دعوته وجعل البلد آمنا ورزق
اهله وجعله اماما وجعل في ذريته من يقيم الصلاة واراه مناسكه وتاب عليه وعن ابن عباس انه قال كانت
الطائف من ارض فلسطين فلما قال ابرهيم ربنا اني اسكنت الآية رفعها الله فوضعها حيث وضعها رزقا للحرم
فان قلت تعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله وهو اعلم الناس به غافلا حتى قيل

ولا تحسبن الله غافلا قلت ان كان خطابا لرسول الله ففيه وجهان احدهما التثبيت على ما كان عليه من انه لا يحسب الله
تعالى غافلا كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر كما جاء في الامر يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله
والثاني ان المراد بالنهي عن حسبانه غافلا الايذان بانه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شيء وانه معاقبهم على قليله
وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون عليم يريد الوعيد ويجوز ان يكون ولا تحسبنه يعاملهم معاملة
الغافل عما يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير وان كان خطابا لغيره ممن يجوز ان يحسبه
غافلا لجهله بصفاته فلا سؤال فيه وعن ابن عيينة تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فقيل له من قال هذا فغضب وقال
انما قاله من علمه وقرئ نؤخرهم بالنون والياء تشخص فيه الابصار اي ابصارهم لا تقر في اماكنها من هول ما ترى
مهطعين مسرعين الى الداعي وقيل الاهطاع ان تقبل ببصرك على المرئي تديم النظر اليه لا تطرف عنه مقنعي رؤوسهم
رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم لا يرجع اليهم ان يطرفوا بعيونهم اي لا يطرفون ولكن عيونهم مفتوحة ممدودة
من غير تحريك للاجفان او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم هواء الخلاء الذي لم تشغله الاجرام فوصف
به فقيل قلب فلان هواء اذا كان جبانا لا قوة في قلبه ولا جرأة ويقال للاحمق ايضا قلبه هواء قال زهير
من الظلمان جؤجؤه هواء وقال جنان فانت مجوف نخب هواء وعن ابن جريج افئدتهم هواء صفر من الخير
خاوية منه وقال ابو عبيدة جوف لا عقول لهم يوم يأتيهم العذاب مفعول ثان لانذر وهو يوم القيمة ومعنى اخرنا
الى اجل قريب ردنا الى الدنيا وامهلنا الى امد وحد من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة دعوتك واتباع
رسلك او اريد باليوم يوم هلاكهم بالعذاب العاجل او يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة
بلا بشرى وانهم يسألون يومئذ ان يؤخرهم ربهم الى اجل قريب كقوله لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق او
لم تكونوا اقسمتم على ارادة القول وفيه وجهان ان يقولوا ذلك بطرا واشرا ولما استولى عليهم من الجهل والسفه
وان يقولوه بلسان الحال حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وما لكم جواب القسم وانما جاء بلفظ الخطاب لقوله اقسمتم
ولو حكي لفظ المقسمين لقيل ما لنا من زوال والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت والفناء وقيل لا
تنتقلون الى دار اخرى يعني كفرهم بالبعث كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت يقال سكن
الدار وسكن فيها ومنه قوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم لان السكنى من السكون الذي هو
اللبث والاصل تعديه بفي كقولك قر في الدار وغني فيها واقام ولكنه لما نقل الى سكون خاص تصرف فيه فقيل
سكن الدار كما قيل تبوأها واوطنها ويجوز ان يكون من السكون اي قروا فيها واطمأنوا طيبي النفوس سائرين
سيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقي الاولون من ايام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا
ويرتدعوا وتبين لكم بالاخبار والمشاهدة كيف اهلكناهم وانتقمنا منهم وقرئ ونبين بالنون وضربنا لكم الامثال
اي صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم وقد مكروا مكرهم اي مكرهم
العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم وعند الله مكرهم لا يخلو ان يكون مضافا الى الفاعل كالاول على ان المعنى
ومكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم عليه بمكر هو اعظم منه او يكون مضافا الى المفعول على معنى وعند
الله مكرهم الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي يستجلبونه باتيانهم من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون وان كان
مكرهم لتزول منه الجبال وان عظم مكرهم وتبالغ في الشدة فضرب زوال الجبال منه مثلا لتفاقمه وشدته
اي وان كان مكرهم مسوى لازالة الجبال معدا لذلك وقد جعلت ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان
الله ليضيع ايمانكم والمعنى ومحال ان تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال مثل لآيات الله وشرائعه لانها بمنزلة
الجبال الراسية ثباتا وتمكنا وتنصره قراءة ابن مسعود وما كان مكرهم وقرئ لتزول بلام الابتداء على وان كان

مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقلع عن اماكنها وقرأ علي وعمر رضي الله عنهما وان كاد مكرهم
مخلف وعده رسله يعني قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي فان قلت هلا قيل مخلف رسله وعده
ولم قدم المفعول الثاني على الاول قلت قدم الوعد اولا ليعلم انه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليؤذن
انه اذا لم يخلف وعده احدا وليس من شانه اخلاف المواعيد كيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته وقرئ
مخلف وعده رسله بجر الرسل ونصب الوعد وهذه في الضعف كمن قرأ قتل اولادهم شركائهم عزيز غالب لا
يماكر ذو انتقام لاوليائه من اعدائه يوم تبدل الارض انتصابه على البدل من يوم يأتيهم او على الظرف للانتقام والمعنى
يوم تبدل هذه الارض التي تعرفونها ارضا اخرى غير هذه المعروفة وكذلك السموات والتبديل التغيير وقد
يكون في الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير ومنه بدلناهم جلودا غيرها وبدلناهم بجنتيهم وفي الاوصاف
كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل ومنه قوله تعالى فاولئك
يبدل الله سيئاتهم حسنات واختلف في تبديل الارض والسموات فقيل تبدل اوصافها فتسير عن الارض جبالها
وتفجر بحارها وتسوى فلا ترى فيها عوج ولا امت وعن ابن عباس هي تلك الارض وانما تغير وانشد
وما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت تعلم وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها
وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا وقيل يخلق بدلها ارض وسموات اخر وعن ابن مسعود وانس يحشر الناس
على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن علي رضي الله عنه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن
الضحاك ارضا من فضة بيضاء كالصحائف وقرئ يوم نبدل الارض بالنون فان قلت كيف قال الواحد القهار
قلت هو كقولك لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لان الملك اذا كان لواحد غلاب لا يغالب ولا يعاز فلا
مستغاث لاحد غيره ولا مستجار كان الامر في غاية الصعوبة والشدة مقرنين قرن بعضهم مع بعض او مع الشياطين
او قرنت ايديهم الى ارجلهم مغللين وقوله في الاصفاد اما ان يتعلق بمقرنين او بيقرنون في الاصفاد واما ان لا
يتعلق به فيكون المعنى مقرنين مصفدين والاصفاد القيود وقيل الاغلال وانشد لسلامة بن جندل وزيد
الخيل قد لاقى صفادا يعض بساعد وبعظم ساق القطران فيه لغات قطران وقطران وقطران بفتح القاف
وكسرها مع سكون الطاء وهو ما يتحلب من شجر يسمى الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحره وحدته
والجلد وقد يبلغ حرارته الجوف ومن شانه ان يسرع اشتعال النار وقد يستسرج به وهو اسود اللون منتن الريح
فتطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل وهي القمص لتجتمع عليهم الاربع لذع القطران وحرقته
واسراع النار في جلودهم واللون الوحش ونتن الريح على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين وكل ما وعده
الله به او وعد به في الآخرة فبينه وبين ما نشاهد من جنسه ما لا يقادر قدره وكانه ما عندنا منه الا الاسامي والمسميات
ثمه فبكرمه الواسع نعوذ من سخطه ونسأله التوفيق فيما ينجينا من عذابه وقرئ من قطر آن والقطر النحاس او الصفر
المذاب والآني المتناهي حره وتغشى وجوههم النار كقوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم يسحبون في النار
على وجوههم لان الوجه اعز شيء في ظاهر البدن واشرفه كالقلب في باطنه ولذلك قال تطلع على الافئدة وقرئ
وتغشى وجوههم بمعنى تتغشى اي تتغشى ليجزي الله كل نفس مجرمة ما كسبت او كل نفس من مجرمة
ومطيعة لانه اذا عاقب المجرمين لاجرامهم علم انه يثيب المطيعين لطاعتهم هذا بلاغ للناس كفاية في التذكير
والموعظة يعني بهذا ما وصفه من قوله ولا تحسبن الى قوله سريع الحساب ولينذروا معطوف على محذوف
اي لينصحوا ولينذروا به بهذا البلاغ وقرئ ولينذروا بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد له وليعلموا انما هو
اله واحد لانهم اذا خافوا ما انذروا به دعتهم المخافة الى النظر حتى يتوصلوا الى التوحيد لان الخشية ام الخير كله

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ابراهيم كتب له من الاجر عشر حسنات بعدد كل من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم تلك آيات اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتابا واي قرآن مبين كانه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان قرئ ربما وربما بالتشديد والتخفيف وربتما وربتما بالتاء والفتح والضم فان قلت لم دخلت على المضارع وقد ابوا دخولها الا على الماضي قلت لان المترقب في اخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكانه قيل ربما ود فان قلت متى تكون ودادتهم قلت عند الموت او يوم القيمة اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين وقيل اذا راوا المسلمين يخرجون من النار وهذا ايضا باب من الودادة فان قلت فما معنى التقليل قلت هو وارد على مذهب العرب في قولهم لعلك ستندم على فعلك وربما ندم الانسان على ما فعل ولا يشكون في تندمه ولا يقصدون تقليله ولكنهم ارادوا لو كان الندم مشكوكا فيه او كان قليلا لحق عليك ان لا تفعل هذا الفعل لان العقلاء يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن ومن القليل منه كما من الكثير وكذلك المعنى في الآية لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه في كل ساعة لو كانوا مسلمين حكاية ودادتهم وانما جيء بها على لفظ الغيبة لانهم مخبر عنهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل حلف بالله لافعلن ولو كنا مسلمين لكان حسنا سديدا وقيل تدهشهم اهوال ذلك اليوم فيبقون مبهوتين فان كانت منهم افاقة في بعض الاوقات من سكرتهم تمنوا فلذلك قلل ذرهم يعني اقطع طمعك من ارعوائهم ودعهم عن النهي عما هم عليه والصد عنه بالتذكرة والنصيحة وخلهم ياكلوا ويتمتعوا بدنياهم وتنفيذ شهواتهم ويلههم املهم وتوقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال وان لا يلقوا في العاقبة الا خيرا فسوف يعلمون سوء صنيعهم والغرض الايذان بانهم من اهل الخذلان وانهم لا يجيء منهم الا ما هم فيه وانه لا زاجر لهم ولا واعظ الا معاينة ما ينذرون حين لا ينفعهم الوعظ ولا سبيل الى اتعاظهم قبل ذلك فامر رسوله بان يخليهم وشانهم ولا يشتغل بما لا طائل تحته وان يبالغ في تخليتهم حتى يامرهم بما لا يزيدهم الا ندما في العاقبة وفيه الزام للحجة ومبالغة في الانذار واعذار فيه وفيه تنبيه على ان ايثار التلذذ والتنعم وما يؤدي اليه طول الامل ومنه محمدة لبعض الناس ليس من اخلاق المؤمنين وعن بعضهم التمرغ في الدنيا من اخلاق الهالكين ولها كتاب جملة واقعة صفة لقرية والقياس ان لا تتوسط الواو بينهما كما في قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون وانما توسطت لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال في الحال جاءني زيد عليه ثوب وجاءني وعليه ثوب كتاب معلوم مكتوب وهو اجلها الذي كتب في اللوح وبين الا انهى الى قوله ما تسبق من امة اجلها في موضع كتابها وانث الامة ثم ذكرها الحملا على اللفظ والمعنى وقال يستاخرون بحذف عنه لانه معلوم قراءة الاعمش يا ايها الذي القي عليه الذكر وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وكيف يقرون بنزول الذكر عليه وينسبونه الى الجنون والتعكيس في كلامهم للاستهزاء والتهكم مذهب واسع وقد جاء في كتاب الله في مواضع منها فبشرهم بعذاب اليم انك لانت الحليم الرشيد وقد يوجد كثيرا في كلام العجم والمعنى انك لتقول قول المجانين حين تدعي ان الله نزل عليك الذكر لو ركب مع لا وهل لمعنيين معنى امتناع الشيء لوجود غيره ومعنى التحضيض واما هل فلم تركب الا مع لا وحدها للتحضيض قال ابن مقبل لوما الحياء ولوما الدين عبتكما ببعض ما فيكما اذ عبتما عوري والمعنى هلا تاتينا بالملائكة يشهدون بصدقك ويعضدونك على انذارك كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او هلا تاتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لنا ان كنت صادقا كما كانت تاتي الامم المكذبة برسلها قرئ تنزل بمعنى تتنزل وتنزل على البناء للمفعول من نزل وننزل الملائكة بالنون ونصب الملائكة الا بالحق الا تنزيلا ملتبسا بالحكمة والمصلحة ولا حكمة في ان تاتيكم عيانا تشاهدونهم ويشهدون لكم بصدق النبي عليه السلام لانكم حينئذ مصدقون عن اضطرار ومثله قوله عز وجل وما خلقنا السموات

والارض وما بينهما الا بالحق وقيل الحق الوحي او العذاب واذن جواب وجزاء لانه جواب لهم وجزاء للشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما اخر عذابهم انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم في قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر ولذلك قال انا نحن فاكد عليهم انه هو المنزل على القطع والثبات وانه هو الذي بعث به جبريل عليه السلام الى محمد صلى الله عليه وسلم ومن بين يديه ومن خلفه رصد حتى نزل وبلغ محفوظا من الشياطين وهو حافظه في كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وانما استحفظها الربانيين والاحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فكان التحريف ولم يكل القرآن الى غير حفظه فان قلت فحين كان قوله انا نحن نزلنا الذكر ردا لانكارهم واستهزائهم فكيف اتصل به قوله وانا له لحافظون قلت قد جعل ذلك دليلا على انه منزل من عنده آية لانه لو كان من قول البشر او غير آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه وقيل الضمير في له لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله والله يعصمك في شيع الاولين في فرقهم وطوائفهم والشيعة الفرقة اذا اتفقوا على مذهب وطريقة ومعنى ارسلناه فيهم نباناه فيهم وجعلناه رسولا فيما بينهم وما ياتيهم حكاية حال ماضية لان ما لا تدخل على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال يقال سلكت الخيط في الابرة واسلكته اذا ادخلته فيها ونظمته وقرئ نسلكه والضمير للذكر اي مثل ذلك السلك ونحوه نسلك الذكر في قلوب المجرمين على معنى انه يلقيه في قلوبهم مكذبا مستهزا به غير مقبول كما لو انزلت بلئيم حاجة فلم يجبك اليها فقلت كذلك انزلها باللئام تعني مثل هذا الانزال انزلها بهم مردودة غير مقضية ومحل قوله لا يؤمنون به النصب على الحال اي غير مؤمن به او هو بيان لقوله كذلك نسلكه سنة الاولين طريقتهم التي سنها الله في اهلاكهم حين كذبوا برسلهم والذكر المنزل عليهم وهو وعيد لاهل مكة على تكذيبهم فظلوا يعرجون بالظلمة والكفر وسكرت حيرت او حبست من الابصار من السكر او السكر وقرئ سكرت بالتخفيف اي حبست كما يحبس النهر من الجري وقرئ سكرت من السكر اي حارت كما يحار السكران والمعنى ان هؤلاء المشركين بلغ من غلوهم في العناد ان لو فتح لهم باب من ابواب السماء ويسر لهم معراج يصعدون فيه اليها وراوا من العيان ما راوا لقالوا هو شيء نتخايله لا حقيقة له ولقالوا قد سحرنا محمد بذلك وقيل الضمير للملائكة اي لو اريناهم الملائكة يصعدون في السماء عيانا لقالوا ذلك وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقالوا انما ليدل على انهم يبتون القول بان ذلك ليس الا تسكيرا للابصار من استرق في محل النصب على الاستثناء وعن ابن عباس انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها شهاب مبين ظاهر للمبصرين موزون وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار تقتضيه لا تصلح فيه زيادة ولا نقصان او له وزن وقدر في ابواب النعمة والمنفعة وقيل ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها معايش بياء صريحة بخلاف الشمائل والخبائث ونحوها فان تصريح الياء فيها خطا والصواب الهمزة او اخراجها بين بين وقد قرئ معائش بالهمزة على التشبيه ومن لستم له برازقين عطف على معايش او على محل لكم كانه قيل وجعلنا لكم فيها معايش وجعلنا لكم من لستم له برازقين واراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين يحسبون انهم يرزقونهم ويخطئون فان الله هو الرزاق يرزقهم واياهم ويدخل فيه الانعام والدواب وكل ما بتلك المثابة مما الله رازقه وقد سبق الى ظنهم انهم هم الرازقون ولا يجوز ان يكون مجرورا عطفا على الضمير المجرور في لكم لانه لا يعطف على الضمير المجرور ذكر الخزائن تمثيل والمعنى وما من شيء ينتفع به العباد الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه والانعام به وما نعطيه الا بمقدار معلوم نعلم انه مصلحة له فضرب الخزائن مثلا

لاقتداره على كل مقدور ولواقح فيه قولان احدهما ان الريح لاقح اذا جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر كما قيل للتي لا تاتي بخير ريح عقيم والثاني ان اللواقح بمعنى الملاقح كما قال ومختبط مما تطيح الطوائح يريد المطاوح جمع مطيحة وقرئ وارسلنا الريح على تاويل الجنس فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين نفى عنهم ما اثبته لنفسه في قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه كانه قال نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على خلقه في السماء وانزاله منها وما انتم عليه بقادرين دلالة على عظيم قدرته واظهارا لعجزهم ونحن الوارثون اي الباقون بعد هلاك الخلق كله وقيل للباقي وارث استعارة من وارث الميت لانه يبقى بعد فنائه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في دعائه واجعله الوارث منا ولقد علمنا من استقدم ولادة وموتا ومن تاخر من الاولين والآخرين ومن خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام وسبق الى الطاعة ومن تاخر وقيل المستقدمين في صفوف الجماعة والمستاخرين وروي ان امراة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان بعض القوم يستقدم لئلا ينظر اليها وبعض القوم يستاخر ليبصرها فنزلت هو يحشرهم اي هو القادر على حشرهم والعالم بحصرهم مع افراط كثرتهم وتباعد اطراف عددهم انه حكيم عليم باهر الحكمة واسع العلم يفعل كل ما يفعل على مقتضى الحكمة والصواب وقد احاط علما بكل شيء والصلصال الطين اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ واذا طبخ فهو فخار قالوا اذا توهمت في صوته مدا فهو صليل وان توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل اذا انتن والحما الطين الاسود المتغير والمسنون المصور في سنة الوجه وقيل المصبوب المفرغ اي افرغ صورة انسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذوبة في امثلتها وقيل المنتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته فالذي يسيل بينهما سنين ولا يكون الا منتنا من حما صفة لصلصال اي خلقه من صلصال كائن من حما وحق مسنون بمعنى مصور ان يكون صفة لصلصال كانه افرغ الحما فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غيره بعد ذلك الى جوهر آخر والجان للجن كآدم للناس وقيل هو ابليس وقرا الحسن وعمرو بن عبيد رحمهما الله والجان بالهمزة من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام قيل هذه السموم جزء من سبعين جزءا من سموم النار التي خلق الله منها الجان واذ قال ربك واذكر وقت قوله سويته عدلت خلقته واكملتها وهياتها لنفخ الروح فيها ونفخت فيه من روحي واحييته وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لتحصيل ما يحيا به فيه واستثنى ابليس من الملائكة لانه كان بينهم مامورا معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة ثم استثني بعد التغليب كقولك رايتهم الا هندا وان استثناء على تقدير قولك فالا فعلوا الا واحدا منهم وقيل الا ابليس ابى واستكبر عنه وقيل معناه ولكن ابليس ابى جوز ما يحمل من ان يجعله وتقديره مالك الا تكون مع الساجدين بمعنى اي غرض لك في ابائك السجود واي داع لك اليه واللام في لاسجد لتاكيد النفي ومعناه لا يصح مني وينافي حالي ويستحيل ان اسجد لبشر رجيم شيطان من الذين يرجمون بالشهب او مطرود من رحمة الله لان من يطرد يرجم بالحجارة ومعناه ملعون لان اللعن هو الطرد من الرحمة والابعاد منها والضمير في منها للجنة او السماء او لزمرة الملائكة وضرب يوم الدين حدا للعنة اما لانه ابعد غاية يضربها الناس في كلامهم كقوله ما دامت السموات والارض في التابيد واما ان يراد انك مذموم مدعو عليك باللعنة في السموات والارض الى يوم الدين من غير ان تعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسي اللعن معه يوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم في معنى واحد ولكن خولف بين العبارات سلوكا بالكلام طريقة البلاغة وقيل انما سال الانظار الى اليوم الذي فيه يبعثون لئلا يموت لان يوم البعث لا موت بعده فلم يجب الى ذلك وانظر الى آخر ايام التكليف بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجواب القسم لازينن والمعنى اقسم باغوائك اياي لازينن لهم ومعنى اغوائه اياه تسبيبه لغيه بان امره بالسجود لآدم عليه السلام فافضى ذلك الى غيه وما الامر بالسجود الا حسن وتعريض للثواب بالتواضع والخضوع

لامر الله ولكن ابليس اختار الاباء والاستكبار فهلك والله تعالى بريء من غيه ومن ارادته والرضا به ونحو قوله بما اغويتني لازينن قوله فبعزتك لاغوينهم في انه اقسام الا ان احدهما اقسام بصفته والثاني اقسام بفعله وقد فرق الفقهاء بينهما ويجوز ان لا يكون قسما ويقدر قسم محذوف ويكون المعنى بسبب تسبيبك لاغوائي اقسم لافعلن بهم نحو ما فعلت بي من التسبيب لاغوائهم بان ازين لهم المعاصي واوسوس اليهم ما يكون سبب هلاكهم في الارض في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تعالى اخلد الى الارض واتبع هواه او اراد اني اقدر على الاحتيال لآدم عليه السلام والتزيين له الاكل من الشجرة وهو في السماء فانا على التزيين لاولاده في الارض اقدر او اراد لاجعلن مكان التزيين عندهم الارض ولاوقعن تزييني فيها اي لازيننها في اعينهم ولاحدثنهم بان الزينة في الدنيا وحدها حتى يستحبوها على الآخرة ويطمئنوا اليها دونها ونحوه يخرج في عراقيبها نصلي استثنى المخلصين لانه علم ان كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلون منه اي هذا طريق حق علي ان اراعيه وهو ان لا يكون لك سلطان على عبادي الا من اختار اتباعك منهم لغوايته وقرئ علي من علو الشرف والفضل لموعدهم الضمير للغاوين وقيل ابواب النار اطباقها وادراكها فاعلاها للموحدين والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وعن ابن عباس ان جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين وقرئ جزء بالتخفيف والتثقيل وقرا الزهري جز بالتشديد كانه حذف الهمزة والقى حركتها على الزاي كقولك خب في خبء ثم وقف عليه بالتشديد كقولهم الرجل ثم اجرى الوصل مجرى الوقف المتقي على الاطلاق من يتقي ما يجب اتقاؤه مما نهي عنه وعن ابن عباس رضي الله عنه اتقوا الكفر والفواحش ولهم ذنوب تكفرها الصلوات وغيرها ادخلوها على ارادة القول وقرا الحسن ادخلوها بسلام سالمين او مسلما عليكم تسلم عليكم الملائكة الغل الحقد الكامن في القلب من انغل في جوفه وتغلغل اي ان كان لاحدهم في الدنيا غل على آخر نزع الله ذلك من قلوبهم وطيب نفوسهم وعن علي عليه السلام ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم وعن الحارث الاعور كنت جالسا عنده اذ جاء ابن طلحة فقال له علي عليه السلام مرحبا بك يا ابن اخي اما والله اني لارجو ان اكون انا وابوك ممن قال الله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل فقال له قائل كلا الله اعدل من ان يجمعك وطلحة في مكان واحد فقال فلمن هذه الآية لا ام لك وقيل معناه طهر الله قلوبهم من ان يتحاسدوا على الدرجات في الجنة ونزع منها كل غل والقى فيها التوادد والتحاب اخوانا نصب على الحال وعلى سرر متقابلين كذلك وعن مجاهد تدور بهم الاسرة حيثما داروا فيكونون في جميع احوالهم متقابلين لما اتم ذكر الوعد والوعيد اتبعه نبئ عبادي تقريرا لما ذكر وتمكينا له في النفوس وعن ابن عباس غفور لمن تاب وعذابه لمن لم يتب وعطف ونبئهم على نبئ عبادي ليتخذوا ما احل من العقاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عنده ان عذابه هو العذاب الاليم سلاما اي نسلم عليك سلاما او سلمت سلاما وجلون خائفون وكان خوفه لامتناعهم من الاكل وقيل لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت وقرا الحسن لا توجل بضم التاء من اوجله يوجله اذا اخافه وقرئ لا تاجل ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله وقرئ نبشرك بفتح النون والتخفيف انا نبشرك استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل اراد وا انك بمثابة الآمن المبشر فلا توجل بغي ابشرتموني مع مس الكبر بان يولد لي اي ان الولادة امر عجيب مستنكر في العادة مع الكبر فبم تبشرون هي ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كانه قال فباي اعجوبة تبشروني او اراد انكم تبشرونني بما هو غير متصور في العادة فباي شيء تبشرون يعني لا تبشروني في الحقيقة بشيء لان البشارة بمثل هذا بشارة بغير شيء ويجوز ان لا يكون صلة للبشر ويكون

بالاعن الوجه والطريقة يعني اي طريقة تبشرون يعني ما الولد البتة به لا طريقة لها في العادة وقوله بشرناك بالحق يحتمل ان تكون الباء
فيه صلة اي بشرناك باليقين الذي لا لبس فيه او بشرناك بطريقة هي حق وهو قول الله ووعده وانه قادر على ان يوجد ولدا
من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وقرئ تبشرون بفتح النون وبكسرها على حذف نون الجمع والاصل تبشرونني
وتبشرون بادغام نون الجمع في نون العماد وقرئ من القنطين من قنط يقنط وقرئ ومن يقنط بالحركات الثلاث في النون
اراد ومن يقنط من رحمة ربه الا المخطئون طريق الصواب او الا الكافرون لقوله لا ييأس من روح الله الا القوم
الكافرون يعني لم استنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعادا له في العادة التي اجراها الله فان قلت
قوله تعالى الا آل لوط استثناء متصل ام منقطع قلت لا يخلو من ان يكون استثناء من قوم فيكون منقطعا لان القوم
موصوفون بالاجرام فاختلف لذلك الجنسان وان يكون استثناء من الضمير في مجرمين فيكون متصلا كانه قيل الى قوم قد اجرموا
كلهم الا آل لوط وحدهم كما قال فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين فان قلت فهل يختلف المعنى لاختلاف الاستثناءين
قلت نعم وذلك ان آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم الارسال وعلى انهم ارسلوا الى القوم المجرمين خاصة كارسال
الحجر او السهم الى المرمي في انه في معنى التعذيب والاهلاك كانه قيل انا اهلكنا قوما مجرمين ولكن آل لوط انجيناهم
واما في المتصل فهم داخلون في حكم الارسال وعلى ان الملائكة ارسلوا اليهم جميعا ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء فلا
يكون الارسال مخلصا بمعنى الاهلاك والتعذيب كما في الوجه الاول فان قلت فقوله انا لمنجوهم بم يتعلق على الوجهين
قلت اذا انقطع الاستثناء جرى مجرى خبر لكن في الاتصال بآل لوط لان المعنى لكن آل لوط منجون واذا اتصل كان كلاما
مستانفا كان ابراهيم صلوات الله عليه قال لهم فما حال آل لوط فقالوا انا لمنجوهم فان قلت فقوله الا امرأته
مم استثني وهل هو استثناء من استثناء قلت استثني من الضمير المجرور في قوله لمنجوهم وليس من الاستثناء من الاستثناء
في شيء لان الاستثناء من الاستثناء انما يكون فيما اتحد الحكم فيه وان يقال اهلكناهم الا آل لوط الا امرأته كما اتحد الحكم في
قول المطلق انت طالق ثلاثا الا اثنتين الا واحدة وفي قول المقر لفلان علي عشرة دراهم الا ثلاثة الا درهما فاما في الآية
فقد اختلف الحكمان لان الا آل لوط متعلق بارسلنا او بمجرمين والا امرأته قد تعلق بمنجوهم فانى يكون استثناء من استثناء وقرئ
لمنجوهم بالتخفيف والتثقيل فان قلت لم جاز تعليق فعل التقدير في قوله قدرنا انها لمن الغابرين والتعليق
من خصائص افعال القلوب قلت لتضمن فعل التقدير معنى العلم ولذلك فسر العلماء تقدير الله اعمال العباد بالعلم
فان قلت فلم اسند الملائكة فعل التقدير وهو لله وحده الى انفسهم ولم يقولوا قدر الله قلت لما لهم من
القرب والاختصاص بالله الذي ليس لاحد غيرهم كما يقول خاصة الملك دبرنا كذا وامرنا بكذا والمدبر والآمر هو الملك
لا هم وانما يظهرون بذلك اختصاصهم وانهم لا يتميزون عنه وقرئ قدرنا بالتخفيف منكرون اي تنكركم نفسي وتنفر
منكم فاخاف ان تطرقوني بشر بدليل قوله بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك
بما فيه فرحك وسرورك وتشفيك من عدوك وهو العذاب الذي كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه ويكذبونك
بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون في الاخبار بنزوله بهم وقرئ فاسر بقطع الهمزة ووصلها من اسرى
وسرى وروى صاحب الاقليد فسر من السير والقطع في آخر الليل قال افتح الباب وانظر في النجوم كم علينا من ليل
ليلهم وقيل هو بعد ما مضى منه شيء صالح من الليل فان قلت ما معنى امره باتباع ادبارهم ونهيهم عن الالتفات
قلت قد بعث الله الهلاك على قومه ونجاه واهله اجابة لدعوته عليهم وخرج مهاجرا فلم يكن له بد من الاجتهاد
في شكر الله وادامة ذكره وتفريغ باله لذلك فامر بان يقدمهم لئلا يشتغل بمن خلفه قلبه وليكون مطلعا عليهم وعلى احوالهم

فلا

فلا تفرط منه التفاتة احتشاما منه ولا غير ذلك من الهفوات في تلك الحالة المهولة المحذورة ولئلا يتخلف منهم احد لغرض له
فيصيبه العذاب وليكون مسيره مسير الهارب الذي تقدم سربه ويفوت به ونهوا عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم
من العذاب فيرقوا لهم وليوطنوا انفسهم على المهاجرة ويطيبوها عن مساكنهم ويمضوا قدما غير ملتفتين الى ما وراءهم كالذي
يتحسر على مفارقة وطنه فلا يزال يلوي اليه اخادعه كما قال
تلفت نحو الحي حتى وجدتني ... وجعت من الاصغاء ليتا واخدعا ... وجعل النهي عن الالتفات كناية عن
مواصلة السير وترك التواني والتوقف لان من يلتفت لا بد له في ذلك من ادنى وقفة حيث تؤمرون قيل هو مصر وعدى
وامضوا الى حيث تعديته الى الظرف المبهم لان حيث مبهم في الامكنة وكذلك الضمير في تؤمرون وعدى قضينا بالى لانه
ضمن معنى اوحينا كانه قيل واوحينا اليه مقضيا مبتوتا وفسر ذلك الامر بقوله ان دابر هؤلاء مقطوع
وفي ابهامه وتفسيره تفخيم للامر وتعظيم له وقرأ الاعمش ان بالكسر على الاستئناف كان قائلا قال اخبرنا عن ذلك الامر
فقال ان دابر هؤلاء وفي قراءة ابن مسعود وقلنا ان دابر هؤلاء ودابرهم آخرهم يعني يستأصلون عن آخرهم حتى
لا يبقى منهم احد اهل المدينة اهل سدوم التي ضرب بقاضيها المثل في الجور مستبشرين بالملائكة فلا تفضحون
بفضيحة ضيفي لان من اساء الى ضيفه او جاره فقد اساء اليه كما ان من اكرم من يتصل به فقد اكرمه ولا تخزون
ولا تذلوني باذلال ضيفي من الخزي وهو الهوان او ولا تشوروا بي من الخزاية وهو الحياء عن العالمين عن ان تجير
منهم احدا او تدفع عنهم او تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان صلى الله عليه وسلم يقوم بالنهي
عن المنكر والحجز بينهم وبين المتعرض له فاوعدوه وقالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين وقيل عن ضيافة
الناس وانزالهم وكانوا نهوه ان يضيف احدا قط هؤلاء بناتي اشارة الى النساء لان كل امة اولاد نبيها رجالهم بنوه
ونساؤهم بناته فكانه قال لهم هؤلاء بناتي فانكحوهن وخلوا بني فلا تتعرضوا لهم ان كنتم فاعلين شك في قبولهم لقوله
كانه قال ان فعلتم ما اقول لكم وما اظنكم تفعلون وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما احل الله دون ما حرم
لعمرك على ارادة القول اي قالت الملائكة للوط عليه السلام لعمرك انهم لفي سكرتهم اي في غوايتهم التي اذهبت
عقولهم وتمييزهم بين الخطا الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به عليهم من ترك البنين الى البنات يعمهون
يتحيرون فكيف يقبلون قولك ويصغون الى نصيحتك وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانه اقسم بحياته
وما اقسم بحياة احد قط كرامة له والعمر والعمر واحد الا انهم خصوا القسم بالمفتوح لايثار الاخف فيه وذلك
لان الحلف كثير الدور على السنتهم ولذلك حذفوا الخبر وتقديره لعمرك مما اقسم به كما حذفوا الفعل في قولك بالله
وقرئ في سكرهم وفي سكراتهم الصيحة صيحة جبريل عليه السلام مشرقين داخلين في الشروق وهو بزوغ
الشمس من سجيل قيل من طين عليه كتاب من السجل ودليله قوله حجارة من طين مسومة عند ربك اي معلمة بكتاب
للمتوسمين للمتفرسين المتاملين وحقيقة المتوسمين النظار المتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء يقال توسمت
في فلان كذا اي عرفت وسمه فيه والضمير في عاليها سافلها لقرى قوم لوط وانها وان هذه القرى يعني آثارها
لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد وهم يبصرون تلك الآثار وهو تنبيه لقريش كقوله وانكم
لتمرون عليهم مصبحين اصحاب الايكة قوم شعيب وانهما يعني قرى قوم لوط والايكة وقيل الضمير للايكة
ومدين لان شعيبا عليه السلام كان مبعوثا اليهما فلما ذكر الايكة دل بذكرها على مدين فجاء بضميرهما لبامام مبين
لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق ومطمر البناء واللوح الذي يكتب فيه لانها مما يؤتم به اصحاب الحجر

ثمود والحجر واديهم وهو بين المدينة والشام المرسلين يعني بتكذيبهم صالحا لان من كذب واحدا منهم فكانما كذبهم
جميعا او اراد صالحا ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبون في ابن الزبير واصحابه وعن جابر رضي الله عنه مررنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصاب
هؤلاء ثم زجر رسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته فاسرع حتى خلفها آمنين لوثاقة البيوت واستحكامها من ان تنهدم
ويتداعى بنيانها ومن نقب اللصوص ومن الاعداء وحوادث الدهر او آمنين من عذاب الله يحسبون ان الجبال تحميهم منه
ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة والاموال والعدد الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة لا باطلا
وعبثا او بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال وان الساعة لآتية وان الله ينتقم لك فيها من اعدائك ويجازيك
واياهم على حسناتك وسيئاتهم فانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا لذلك فاصفح فاعرض عنهم واحتمل ما تلقى
منهم اعراضا جميلا بحلم واغضاء وقيل هو منسوخ باية السيف ويجوز ان يراد به المخالقة فلا يكون منسوخا ان ربك
هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وهو العليم بحالك وحالهم فلا يخفى عليه ما يجري بينكم وهو يحكم بينكم او ان ربك هو
الذي خلقكم وعلم ما هو الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح الى ان يكون السيف اصلح وفي مصحف ابي وعثمان
ان ربك هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق للكثير لا غير كقولك قطع الثياب وقطع الثوب والثياب
سبعا سبع آيات وهي الفاتحة او سبع سور وهي الطوال واختلف في السابعة فقيل الانفال وبراءة لانهما في
حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما باية التسمية وقيل سورة يونس وقيل هي آل حم او سبع صحائف وهي الاسباع
والمثاني من التثنية وهي التكرير لان الفاتحة مما تكرر قراءتها في الصلاة وغيرها او من الثناء لاشتمالها على ما
هو ثناء على الله الواحدة مثناة او مثنية صفة للاية واما السور والاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ
والوعد والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الثناء كانها تثني على الله بافعاله العظمى وصفاته الحسنى ومن اما للبيان
او للتبعيض اذا اردت بالسبع الفاتحة او الطوال وللبيان اذا اردت الاسباع ويجوز ان يكون كتب الله كلها مثاني لانها تثني
عليه ولما فيها من المواعظ المكررة ويكون القرآن بعضها فان قلت كيف صح عطف القرآن العظيم على السبع وهل
هو الا عطف الشيء على نفسه قلت اذا عني بالسبع الفاتحة او الطوال فما وراءهن ينطلق عليه اسم القرآن لانه اسم
يقع على البعض كما يقع على الكل الا ترى الى قوله بما اوحينا اليك هذا القرآن يعني سورة يوسف عليه السلام واذا عنيت الاسباع فالمعنى
ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم اي الجامع لهذين النعتين وهو الثناء او التثنية والعظم لا
تطمحن ببصرك طموح راغب فيه متمن له الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفار فان قلت
كيف وصل هذا بما قبله قلت يقول لرسوله قد اوتيت النعمة العظمى التي كل نعمة وان عظمت فهي اليها حقيرة
ضئيلة وهي القرآن العظيم فعليك ان تستغني به ولا تمدن عينيك الى متاع الحياة الدنيا ومنه الحديث
ليس منا من لم يتغن بالقرآن وحديث ابي بكر رضي الله عنه من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي
فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وقيل وافت من بصرى واذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها
انواع البز والطيب والجوهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها في
سبيل الله عز وجل فقال لهم الله عز وجل لقد اعطيتكم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع ولا
تحزن عليهم يعني لا تتمن اموالهم ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الاسلام وينتعش بهم المؤمنون
وتواضع لمن معك من فقراء المسلمين وضعفائهم وطب نفسا عن ايمان الاغنياء والاقوياء وقل لهم اني انا النذير

المبين

المبين انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم فان قلت بم تعلق قوله كما انزلنا قلت فيه وجهان احدهما
ان يتعلق بقوله ولقد آتيناك اي انزلنا عليك مثل ما انزلنا على اهل الكتاب وهم المقتسمون الذين جعلوا القرآن
عضين حيث قالوا بعنادهم وعدوانهم بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه الى حق وباطل و
عضوه وقيل كانوا يستهزئون به فيقول بعضهم سورة البقرة لي ويقول الآخر سورة آل عمران لي ويجوز ان يراد بالقرآن
ما يقرؤونه من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم وبان اليهود اقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض والنصارى اقرت
ببعض الانجيل وكذبت ببعض وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن صنيع قومه بالقرآن وتكذيبهم وقولهم
سحر وشعر واساطير بان غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم والثاني ان يتعلق بقوله وقل اني انا النذير
المبين اي وانذر قريشا مثل ما انزلنا من العذاب على المقتسمين يعني اليهود وهو ما جرى على قريظة والنضير جعل المتوقع بمنزلة
الواقع وهو من الاعجاز لانه اخبار بما سيكون وقد كان ويجوز ان يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوبا بالنذير اي انذر
المعضين الذين يجزئون القرآن الى شعر وسحر واساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة
ايام الموسم فقعدوا في كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لا تغتروا
بالخارج منا فانه ساحر ويقول الآخر كذاب والآخر شاعر فاهلكهم الله يوم بدر وقبله بآفات كالوليد بن المغيرة والعاص
بن وائل والاسود بن المطلب وغيرهم او مثل ما انزلنا على الرهط الذين تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام والاقتسام
بمعنى التقاسم فان قلت اذا علق قوله كما انزلنا بقوله ولقد آتيناك فما معنى توسط لا تمدن الى آخره بينهما
قلت لما كان ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدد لمعنى التسلية
من النهي عن الالتفات الى دنياهم والتأسف على كفرهم ومن الامر بان يقبل بمجامعه على المؤمنين عضين اجزاء جمع عضة
واصلها عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء قال ... وليس دين الله بالمعضى ... وقيل هي فعلة من
عضهه اذا بهته وعن عكرمة العضه السحر بلسان قريش يقولون للساحرة عاضهة ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
العاضهة والمستعضهة نقصانها على الاول واو وعلى الثاني هاء لنسألنهم عبارة عن الوعيد وقيل يسألهم
سؤال تقريع وعن ابي العالية يسأل العباد عن خلتين عما كانوا يعبدون وماذا اجابوا المرسلين فاصدع بما
تؤمر فاجهر به واظهره يقال صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا كقولك صرح بها من الصديع وهو الفجر والصدع
في الزجاجة الابانة وقيل فاصدع فافرق بين الحق والباطل بما تؤمر والمعنى بما تؤمر به من الشرائع فحذف الجار
كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به ويجوز ان تكون ما مصدرية اي بامرك مصدر من المبني للمفعول عن عروة بن الزبير في المستهزئين
هم خمسة نفر ذوو اسنان وشرف الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب
والحارث بن الطلاطلة وعن ابن عباس ماتوا كلهم قبل بدر قال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه
وسلم امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب
عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص بن وائل فدخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت رجله حتى صارت
كالرحا ومات واشار الى عيني الاسود بن المطلب فعمي واشار الى انف الحارث بن قيس فامتخط قيحا فمات
والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح راسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات
بما يقولون من اقاويل الطاعنين فيك وفي القرآن فسبح فافزع فيما نابك الى الله والفزع الى الله هو

الذكر الدائم وكثرة السجود تكفك ويكشف عنك الغم ودم على عبادة ربك حتى يأتيك اليقين أي الموت أي ما دمت حيا فلا تخل بالعبادة. وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الأجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والأنصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم.

سورة النحل مكية غير ثلاث آيات في آخرها وتسمى سورة النعم وهي مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة أو نزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا بالوعد فقيل لهم **أتى أمر الله** أي هو بمنزلة الآتي الواقع وإن كان منتظرا لقرب وقوعه **فلا تستعجلوه** روي أنه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم إن هذا يزعم أن القيامة قد قربت فأمسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم فأشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الأيام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت أتى أمر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤوسهم فنزلت فلا تستعجلوه. وقرئ فلا تستعجلوه بالتاء والياء **سبحانه وتعالى عما يشركون** تبرأ وجل عن أن يكون له شريك وأن يكون آلهتهم له شركاء أو عن إشراكهم على أن ما موصولة أو مصدرية **فإن قلت** كيف اتصل هذا باستعجالهم **قلت** لأن استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك وقرئ تشركون بالتاء والياء **ينزل** قرئ بالتخفيف والتشديد وقرئ تنزل الملائكة أي تتنزل **بالروح من أمره** بما يحيي القلوب الميتة بالجهل من وحيه أو بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد **أن أنذروا** بدل من الروح أي ينزلهم بأن أنذروا وتقديره بأنه أنذروا أي بأن الشأن أقول لكم أنذروا أو تكون أن مفسرة لأن تنزل الملائكة بالوحي فيه معنى القول ومعنى أنذروا **أنه لا إله إلا أنا** أعلموا بأن الأمر ذلك من نذرت بكذا إذا علمته والمعنى يقول لهم أعلموا الناس قولي لا إله إلا أنا **فاتقون** ثم دل على وحدانيته وأنه لا إله إلا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السماوات والأرض وخلق الإنسان وما يصلحه وما لا بد له منه من خلق البهائم لأكله وركوبه وجر أثقاله وسائر حاجاته وخلق ما لا يعلمون من أصناف خلائقه ومثله متعال عن أن يشرك به غيره وقرئ تشركون بالتاء والياء **فإذا هو خصيم مبين** فيه معنيان أحدهما فإذا هو منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم مبين للحجة بعدما كان نطفة من مني جمادا لا حس به ولا حركة دلالة على قدرته والثاني فإذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم وصفا للإنسان بالإفراط في الوقاحة والجهل والتمادي في كفران النعمة وقيل نزلت في أبي بن خلف الجمحي حين جاء بالعظم الرميم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أترى الله يحيي هذا بعدما قد رم **الأنعام** الأزواج الثمانية وأكثر ما يقع على الإبل وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر كقوله والقمر قدرناه ويجوز أن يعطف على الإنسان أي خلق الإنسان والأنعام ثم قال **خلقها لكم** أي ما خلقها إلا لكم ولمصالحكم يا جنس الإنسان والدفء اسم ما يدفأ به كما أن الملء اسم ما يملأ به وهو الدفاء من لباس معمول من صوف أو وبر أو شعر وقرئ دف بطرح الهمزة وإلقاء حركتها على الفاء **ومنافع** هي نسلها ودرها وغير ذلك **فإن قلت** تقديم الظرف في قوله **ومنها تأكلون** مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها **قلت** الأكل منها هو الأصل الذي يعتمده الناس في معايشهم وأما الأكل من غيرها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد به وكالجاري مجرى التفكه ويحتمل أن طعمتكم منها لأنكم تحرثون بالبقر فالحب والثمار التي تأكلونها منها وتكتسبون بإكراء الإبل وتبيعون نتاجها وألبانها وجلودها. من الله تعالى بالتجمل بها كما من بالانتفاع

بها لأنه من أغراض أصحاب المواشي بل هو من معاظمها لأن الرعيان إذا روحوها بالعشي وسرحوها بالغداة فزينت بإراحتها وتسريحها الأفنية وتجاوب فيها الثغاء والرغاء آنست أهلها وفرحت أربابها وأجلتهم في عيون الناظرين إليها وكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس ونحوه لتركبوها وزينة يواري سوآتكم وريشا **فإن قلت** لم قدمت الإراحة على التسريح **قلت** لأن الجمال في الإراحة أظهر إذا أقبلت ملأى البطون حافلة الضروع ثم أوت إلى الحظائر حاضرة لأهلها. وقرأ عكرمة حينا تريحون وحينا تسرحون على أن تريحون وتسرحون وصف للحين والمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه كقوله تعالى يوما لا تجزي نفس **بشق الأنفس** بكسر الشين وفتحها وقيل هما لغتان في معنى المشقة وبينهما فرق وهو أن المفتوح مصدر شق الأمر عليه شقا وحقيقته راجعة إلى الشق الذي هو الصدع وأما الشق فالنصف كأنه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد **فإن قلت** ما معنى قوله لم تكونوا بالغيه كأنهم كانوا زمانا يتحملون المشاق في بلوغه حتى حملت الإبل أثقالهم **قلت** معناه وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه في التقدير لو لم تخلق الإبل إلا بجهد أنفسكم لا أنهم لم يكونوا بالغيه في الحقيقة **فإن قلت** كيف طابق قوله لم تكونوا بالغيه قوله وتحمل أثقالكم وهلا قيل لم تكونوا حامليها إليه **قلت** طابقه من حيث أن معناه وتحمل أثقالكم إلى بلد بعيد قد علمتم أنكم لا تبلغونه بأنفسكم إلا بجهد ومشقة فضلا أن تحملوا على ظهوركم أثقالكم ويجوز أن يكون المعنى لم تكونوا بالغيه بها إلا بشق الأنفس وقيل أثقالكم أجرامكم. وعن عكرمة البلد مكة **لرؤوف رحيم** حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح **والخيل والبغال والحمير** عطف على الأنعام أي وخلق هذه للركوب والزينة وقد احتج على حرمة أكل لحومهن بأن علل خلقها بالركوب والزينة ولم يذكر الأكل بعدما ذكره في الأنعام **فإن قلت** لم انتصب وزينة **قلت** لأنه مفعول له وهو معطوف على محل لتركبوها **فإن قلت** فهلا ورد المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد **قلت** لأن الركوب فعل المخاطبين وأما الزينة ففعل الزائن وهو الخالق وقرئ لتركبوها زينة بغير واو أي وخلقها زينة لتركبوها أو يجعل زينة حالا من الهاء أي وخلقها لتركبوها وهي زينة وجمال **ويخلق ما لا تعلمون** يجوز أن يريد به ما يخلق فينا ولنا مما لا نعلم كنهه وتفاصيله ويمن علينا بذكره كما من بالأشياء المعلومة مع الدلالة على قدرته. ويجوز أن يخبرنا بأن له من الخلائق ما لا علم لنا به ليزيدنا دلالة على اقتداره بالإخبار بذلك وإن طوى عنا علمه لحكمة له في طيه وقد حمل على ما خلق في الجنة والنار مما لم يبلغه وهم أحد ولا خطر على قلبه. المراد بالسبيل الجنس ولذلك أضاف إليها القصد وقال ومنها جائر والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد أي مستقيم كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعنى قوله **وعلى الله قصد السبيل** أن هداية الطريق الموصل إلى الحق واجبة عليه كقوله إن علينا للهدى **فإن قلت** لم غير أسلوب الكلام في قوله ومنها جائر **قلت** ليعلم ما يجوز إضافته إليه من السبيلين وما لا يجوز ولو كان الأمر كما تزعم المجبرة لقيل وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها أو وعليه الجائر وقرأ عبد الله ومنكم جائر يعني ومنكم جائر عن القصد بسوء اختياره والله بريء منه **ولو شاء لهداكم أجمعين** قسرا وإلجاء منكم متعلق بأنزل أو شراب خبر له والشراب ما يشرب. شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وفي حديث عكرمة لا تأكلوا ثمن الشجر فإنه سحت يعني الكلأ **تسيمون** من سامت الماشية إذا رعت فهي سائمة وأسامها صاحبها وهو من السومة وهي العلامة لأنها تؤثر بالرعي علامات في الأرض وقرئ ننبت بالياء والنون **فإن قلت** لم قيل ومن كل الثمرات **قلت** لأن كل الثمرات لا تكون إلا في الجنة وإنما أنبت في الأرض بعض من كلها للتذكرة **يتفكرون** ينظرون فيستدلون بها عليه وعلى قدرته وحكمته والآية الدلالة الواضحة وعن بعضهم ينبت بالتشديد وقرأ أبي ينبت لكم به الزرع والزيتون

والنخيل والأعناب بالرفع وقرئ كلها بالنصب على وجعل النجوم مسخرات أو على أن معنى تسخيرها للناس تصييرها نافعة لهم حيث يسكنون بالليل ويبتغون من فضله بالنهار ويعلمون عدد السنين والحساب بمسير الشمس والقمر ويهتدون بالنجوم فكأنه قيل ونفعكم بها في حال كونها مسخرات لما خلقن له بأمره ويجوز أن يكون المعنى أنه سخرها أنواعا من التسخير جمع مسخر بمعنى تسخير من قولك سخره الله مسخرا كقولك سرحه مسرحا كأنه قيل وسخرها لكم تسخيرات بأمره وقرئ بنصب الليل والنهار وحدهما ورفع ما بعدهما على الابتداء والخبر وقرئ والنجوم مسخرات بالرفع وما قبله بالنصب **إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون** جمع الآية وذكر العقل لأن الآثار العلوية أظهر دلالة على القدرة الباهرة وأبين شهادة للكبرياء والعظمة **وما ذرأ لكم** معطوف على الليل والنهار يعني ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك مختلف الهيئات والمناظر **لحما طريا** هو السمك ووصفه بالطراوة لأن الفساد يسرع إليه فيسارع إلى أكله خيفة الفساد عليه **فإن قلت** ما بال الفقهاء قالوا إذا حلف الرجل لا يأكل لحما فأكل سمكا لم يحنث والله سماه لحما كما ترى **قلت** مبنى الأيمان على العادة وعادة الناس إذا ذكر اللحم على الإطلاق أن لا يفهم منه السمك وإذا قال الرجل لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحما فجاء بالسمك كان حقيقا بالإنكار ومثاله أن الله تعالى سمى الكافر دابة في قوله إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فلو حلف حالف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث **حلية** هي اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم لأنهن من جملتهم ولأنهن إنما يتزين بها من أجلهم فكأنها زينتهم ولباسهم المحرمون مواخر شواق للماء حيث تجريها وعن الفراء هو صوت جري الفلك بالرياح وابتغاء الفضل التجارة **أن تميد بكم** كراهة أن تميل بكم وتضطرب والمائد الذي يدار به إذا ركب البحر قيل خلق الله الأرض فجعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر أحد على ظهرها فأصبحت وقد أرسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت **وأنهارا** وجعل فيها أنهارا لأن ألقى فيه معنى جعل ألا ترى إلى قوله ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا **وعلامات** هي معالم الطرق وكل ما يستدل به السابلة من جبل ومنهل وغير ذلك والمراد بالنجم الجنس كقولك كثر الدرهم في أيدي الناس وعن السدي هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي وقرئ وبالنجم بضمتين وبضمة وسكون وهو جمع نجم كرهن ورهن والسكون تخفيف وقيل حذف الواو من النجوم تخفيفا **فإن قلت** قوله **وبالنجم هم يهتدون** مخرج عن سنن الخطاب مقدم فيه النجم مقحم فيه هم كأنه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فمن المراد بهم **قلت** كأنه أراد قريشا كان لهم اهتداء بالنجوم في مسايرهم وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر أوجب عليهم والاعتبار ألزم لهم فخصصوا **فإن قلت** من لا يخلق أريد به الأصنام فلم جيء بمن الذي هو لأولي العلم **قلت** فيه أوجه أحدها أنهم سموها آلهة وعبدوها فأجروها مجرى أولي العلم ألا ترى إلى قوله على أثره والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون والثاني المشاكلة بينه وبين من يخلق والثالث أن يكون المعنى أن من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولي العلم فكيف بما لا علم عنده كقوله ألهم أرجل يمشون بها يعني أن الآلهة حالهم منحطة عن حال من لهم أرجل وأيد وآذان وقلوب لأن هؤلاء أحياء وهم أموات فكيف تصح لهم العبادة لا أنها لو صحت لهم هذه الأعضاء لصح أن يعبدوا **فإن قلت** هو إلزام للذين عبدوا الأوثان وسموها آلهة تشبيها بالله فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق فكان حق الإلزام أن يقال لهم أفمن لا يخلق كمن يخلق **قلت** حين جعلوا غير الله مثل الله في تسميته باسمه والعبادة له وسووا بينه وبينه فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبيها بها فأنكر عليهم ذلك بقوله **أفمن يخلق كمن لا يخلق** **لا تحصوها** لا تضبطوا عددها ولا تبلغوا طاقتكم فضلا أن تطيقوا القيام بحقها من أداء الشكر أتبع ذلك ما عدد من نعمه تنبيها على أن وراءها ما لا ينحصر ولا يعد **إن الله لغفور رحيم** حيث يتجاوز عن تقصيركم في أداء شكر

النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها **والله يعلم ما تسرون وما تعلنون** من أعمالكم وهو وعيد **والذين يدعون** والآلهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله وقرئ بالتاء وقرئ يدعون على البناء للمفعول نفى عنهم خصائص الإلهية بنفي كونهم خالقين وأحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث وأثبت لهم صفات الخلق بأنهم مخلوقون وأنهم أموات وأنهم جاهلون بالغيب ومعنى **أموات غير أحياء** أنهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا أحياء غير أموات أي غير جائز عليها الموت كالحي الذي لا يموت وأمرهم على العكس من ذلك والضمير في يبعثون للداعين أي لا يشعرون متى تبعث عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين وأن آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم وفيه دلالة على أنه لا بد من البعث وأنه من لوازم التكليف. ووجه آخر وهو أن يكون المعنى أن الناس يخلقونهم بالنحت والتصوير وهم لا يقدرون على نحو ذلك وهم أعجز من عبدتهم أموات جمادات لا حياة فيها غير أحياء يعني أن من الأموات ما يعقب موته حياة كالنطف التي ينشئها الله تعالى حيوانا وأجساد الحيوان التي تبعث بعد موتها وأما الحجارة فأموات لا يعقب موتها حياة وذلك أعرق في موتها **وما يشعرون أيان يبعثون** أي وما يعلم هؤلاء الآلهة متى تبعث الأحياء تهكما بها لأن شعور الجماد محال فكيف بشعور ما لا يعلمه حي إلا الحي القيوم سبحانه ووجه ثالث وهو أن يراد بالذين يدعون الملائكة وكان ناس منهم يعبدونهم وأنهم أموات أي لا بد لهم من الموت غير أحياء باق حياتهم وما يشعرون ولا علم لهم بوقت بعثهم وقرئ إيان بكسر الهمزة **إلهكم إله واحد** يعني أنه قد ثبت بما تقدم من إبطال أن تكون الإلهية لغيره وأنها له وحده لا شريك له فيها فكان من نتيجة ثبات الوحدانية ووضوح دليلها استمرارهم على شركهم وأن قلوبهم منكرة للوحدانية **وهم مستكبرون** عنها وعن الإقرار بها لا جرم حقا أن الله تعالى يعلم سرهم وعلانيتهم فيجازيهم وهو وعيد **إنه لا يحب المستكبرين** يجوز أن يريد المستكبرين عن التوحيد يعني المشركين ويجوز أن يعم كل مستكبر ويدخل هؤلاء تحت عمومه ماذا منصوب بأنزل بمعنى أي شيء أنزل ربكم أو مرفوع بالابتداء بمعنى أي شيء أنزله ربكم فإذا نصبت فمعنى أساطير الأولين ما تدعون نزوله أساطير الأولين وإذا رفعته فالمعنى المنزل أساطير الأولين كقوله ماذا ينفقون قل العفو فيمن رفع **فإن قلت** هو كلام متناقض لأنه لا يكون منزلا ربهم وأساطير الأولين **قلت** هو على السخرية كقوله إن رسولكم وهو كلام بعضهم لبعض أو قول المسلمين لهم وقيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سألهم وفود الحاج عما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا أحاديث الأولين وأباطيلهم **ليحملوا أوزارهم** أي قالوا ذلك إضلالا للناس وصدا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فحملوا أوزار ضلالهم **كاملة** وبعض أوزار من ضل بضلالهم وهو وزر الإضلال لأن المضل والضال شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه على إضلاله فيتحاملان الوزر ومعنى اللام التعليل من غير أن يكون غرضا كقولك خرجت من البلد مخافة الشر **بغير علم** حال من المفعول أي يضلون من لا يعلم أنهم ضلال وإنما وصف بالضلال واحتمال الوزر من أضلوه وإن لم يعلم لأنه كان عليه أن يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين المحق والمبطل القواعد أساطين البناء التي تعمده وقيل الأساس وهذا تمثيل يعني أنهم سووا منصوبات ليمكروا بها الله ورسوله فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالأساطين فأتي البنيان من الأساطين بأن ضعضعت فسقط عليهم السقف

وهلكوا وبحوه من حفر لأخيه جبا وقع فيه منكبا وقيل هو نمرود بن كنعان حين بنى الصرح ببابل
طوله خمسة آلاف ذراع وقيل فرسخان فأهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ومعنى إتيان الله إتيان أمره
من القواعد من جهة القواعد من حيث لا يشعرون من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون وقرئ فأتى
الله بنيانهم فخر عليهم السقف بضمتين يخزيهم يذلهم بعذاب الخزي ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته
يعني هذا لهم في الدنيا ثم العذاب في الآخرة شركاءي على الإضافة إلى نفسه حكاية لإضافتهم ليوبخهم
على طريق الاستهزاء بهم تشاقون فيهم تعادون وتخاصمون المؤمنين في شأنهم ومعناهم وقرئ تشاقون
بكسر النون بمعنى تشاقونني لأن مشاقة المؤمنين كأنها مشاقة الله قال الذين أوتوا العلم هم الأنبياء والعلماء
من أممهم الذين كانوا يدعونهم إلى الإيمان ويعظونهم فلا يلتفتون إليهم ويتكبرون عليهم ويشاقونهم ويقولون
ذلك شماتة بهم وحكى الله ذلك من قولهم ليكون لطفا لمن سمعه وقيل هم الملائكة وقرئ يتوفاهم
بالتاء والياء وقرئ الذين توفاهم بإدغام التاء في التاء فألقوا السلم فسالموا وأخبتوا وجاؤوا بخلاف ما كانوا
عليه في الدنيا من الشقاق والكبر وقالوا ما كنا نعمل من سوء وجحدوا ما وجد منهم من الكفر والعدوان
فرد عليهم أولوا العلم إن الله عليم بما كنتم تعملون فهو مجازيكم عليه وهذا أيضا من الشماتة وكذلك
فادخلوا أبواب جهنم خيرا أي أنزل خيرا فإن قلت لم نصب هذا ورفع الأول قلت فصلا بين جواب
المقر وجواب الجاحد يعني أن هؤلاء لما سئلوا لم يتلعثموا وأطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوفا مفعولا
للإنزال فقالوا خيرا أي أنزل خيرا وأولئك عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو أساطير الأولين وليس من الإنزال في
شيء وروي أن أحياء العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فإذا جاء الوافد
لقيه المقتسمون وأمروه بالانصراف وقالوا إن لم تلقه كان خيرا لك فيقول أنا شر وافد إن رجعت إلى قومي دون
أن أستطلع أمر محمد وأراه فيلقى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبرونه بصدقه وأنه نبي مبعوث فهم الذين قالوا
خيرا وقوله للذين أحسنوا وما بعده بدل من خيرا حكاية لقول الذين اتقوا أي قالوا هذا القول فقدم عليه تسمية
خيرا ثم حكاه ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ عدة للقائلين ويجعل قولهم من جملة إحسانهم ويحمدوا عليه حسنة
مكافأة في الدنيا بإحسانهم ولهم في الآخرة ما هو خير منها لقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة
ولنعم دار المتقين دار الآخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره جنات عدن خبر مبتدأ محذوف
ويجوز أن يكون المخصوص بالمدح طيبين طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصي لأنه في مقابلة ظالمي أنفسهم
يقولون سلام عليكم قيل إذا أشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك فقال السلام عليك يا ولي الله الله يقرئك
السلام ويبشره بالجنة يأتيهم الملائكة وقرئ بالياء والتاء يعني تأتيهم لقبض الأرواح أو يأتي أمر ربك العذاب
المستأصل أو القيامة كذلك أي مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله
بتدميرهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون لأنهم فعلوا ما استوجبوا به التدمير سيئات ما عملوا جزاء
سيئات أعمالهم وهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها هذا من جملة ما عدد من أصناف كفرهم وعنادهم من شركهم
بالله وإنكار وحدانيته بعد قيام الحجج وإنكار البعث واستعجاله استهزاء منهم وتكذيبهم الرسول وشقاقهم واستكبارهم
عن قبول الحق يعني أنهم أشركوا بالله وحرموا ما أحل من البحيرة والسائبة وغيرهما ثم نسبوا فعلهم إلى الله وقالوا لو شاء
الله لم نفعل وهذا مذهب المجبرة بعينه كذلك فعل الذين من قبلهم أي أشركوا وحرموا حلال الله فلما نبهوا

على قبح أفعالهم ونبه على قبحهم فهل على الرسل إلا أن يبلغوا الحق وأن الله لا يشاء الشرك والمعاصي بالبيان والبرهان
ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه وبراءة الله من أفعال العباد وأنهم فاعلوها بقصدهم وإرادتهم واختيارهم والله
عز وجل باعثهم على جميلها وموفقهم له وزاجرهم عن قبيحها وموعدهم عليه ولقد أمد إبطال قدر الشر ومشيئة الشر
بأنه ما من أمة إلا وقد بعث فيهم رسولا يأمرهم بالخير الذي هو الإيمان وعبادة الله وباجتناب الشر الذي هو طاعة الطاغوت
فمنهم من هدى الله أي لطف به لأنه عرفه من أهل اللطف ومنهم من حقت عليه الضلالة أي ثبت عليه الخذلان
والترك من اللطف لأنه عرفه مصمما على الكفر لا يأتي منه خير فسيروا فانظروا ما فعلت بالمكذبين حتى لا يبقى لكم
شبهة في أني لا أقدر الشر ولا أشاؤه حيث أفعل ما أفعل بالأشرار ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله صلى الله عليه
وسلم على إيمانهم وعرفه أنهم من قسم من حقت عليهم الضلالة وأنه لا يهدي من يضل أي لا يلطف بمن يخذل لأنه عبث والله
متعال عن العبث لأنه من قبيل القبائح التي لا تجوز عليه وقرئ لا يهدي أي لا يقدر أنت ولا أحد على هدايته وقد خذله الله
قوله وما لهم من ناصرين دليل على أن المراد بالإضلال الخذلان الذي هو نقيض النصرة ويجوز أن يكون لا يهدي
بمعنى لا يهتدي يقال هداه الله فهدى وفي قراءة أبي فإن الله لا هادي لمن يضل ولمن أضل وهي معاضدة لمن قرأ
لا يهدي على البناء للمفعول وفي قراءة عبد الله يهدي بإدغام تاء يهتدي وهي معاضدة للأول وقرئ يضل بالفتح وقرأ
النخعي إن تحرص بفتح الراء وهي لغة وأقسموا بالله معطوف على وقال الذين أشركوا إيذانا بأنهما كفرتان عظيمتان
موصوفتان حقيقتان بأن تحكيا وتدونا توريك ذنوبهم على مشيئة الله وإنكارهم البعث مقسمين عليه بلى إثبات
لما بعد النفي أي بلى يبعثهم ووعدا مصدر مؤكد لما دل عليه بلى لأن يبعث موعد من الله وبين أن الوفاء بهذا
الموعد حق واجب عليه في الحكمة ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنهم يبعثون أو أنه وعد واجب على الله لأنهم
يقولون لا يجب على الله شيء لا ثواب عامل ولا غيره من مواجب الحكمة ليبين لهم متعلق بما دل عليه بلى أي يبعثهم ليبين
لهم والضمير لمن يموت وهو عام للمؤمنين والكافرين والذي اختلفوا فيه هو الحق وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين في قولهم
لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء وفي قولهم لا يبعث الله من يموت وقيل يجوز أن يتعلق بقوله ولقد بعثنا
في كل أمة رسولا أي بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه وأنهم كانوا على الضلالة قبله مفترين على الله الكذب
قولنا مبتدأ وأن نقول خبره وكن فيكون من كان التامة التي بمعنى الحدوث والوجود أي إذا أردنا وجود شيء فليس إلا أن
نقول له احدث فهو يحدث عقيب ذلك لا يتوقف وهذا مثل لأن مرادا لا يمتنع عليه وأن وجوده عند إرادته غير
متوقف كوجود المأمور به عند أمر الآمر المطاع إذا ورد على المأمور المطيع الممتثل ولا قول ثم والمعنى أن إيجاد كل مقدور
على الله تعالى بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من شق المقدورات وقرئ فيكون عطفا على أن نقول
والذين هاجروا هم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ظلمهم أهل مكة ففروا بدينهم إلى الله منهم من هاجر إلى الحبشة
ثم إلى المدينة فجمع بين الهجرتين ومنهم من هاجر إلى المدينة وقيل هم الذين كانوا محبوسين معذبين بعد هجرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلما خرجوا تبعوهم فردوهم منهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعن
صهيب أنه قال لهم أنا رجل كبير إن كنت معكم لم أنفعكم وإن كنت عليكم لم أضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما
رآه أبو بكر قال له ربح البيع يا صهيب وقال له عمر نعم الرجل صهيب لو لم يخف الله لم يعصه وهو ثناء عظيم يريد
لو لم يخلق الله نارا لأطاعه فكيف وقد خلقها في الله في حقه ولوجهه حسنة صفة للمصدر أي لنبوئنهم تبوئة حسنة
وفي قراءة علي عليه السلام لنثوينهم ومعناه أثواة حسنة وقيل لننزلنهم في الدنيا منزلة حسنة وهي الغلبة على أهل

مكة الذين ظلموهم وعلى العرب قاطبة وعلى أهل المشرق والمغرب. وعن عمر رضي الله عنه أنه كان إذا أعطى رجلا
من المهاجرين عطاء قال خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ذخر لك في الآخرة أكثر وقيل لنبوئنهم
مباءة حسنة وهي المدينة حيث آواهم أهلها ونصروهم لو كانوا يعلمون الضمير للكفار أي لو علموا أن الله يجمع
لهؤلاء المستضعفين في أيديهم الدنيا والآخرة لرغبوا في دينهم ويجوز أن يرجع الضمير إلى المهاجرين أي لو كانوا يعلمون
ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا أي هم الذين صبروا أو أعني الذين صبروا وكلاهما مدح أي
صبروا على العذاب وعلى مفارقة الوطن الذي هو حرم الله المحبوب في كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط رؤوسهم
وعلى المجاهدة وبذل الأرواح في سبيل الله. قالت قريش .. من قبلك إلا رجالا يوحى إليهم على ألسنة الملائكة
فاسألوا أهل الذكر وهم أهل الكتاب ليعلموكم أن الله لم يبعث إلى الأمم السالفة إلا البشر فإن قلت بم تعلق
قوله بالبينات قلت له متعلقات شتى فإما أن يتعلق بما أرسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء مع رجالا أي وما أرسلنا
إلا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت إلا زيدا بالسوط لأن أصله ضربت زيدا بالسوط وإما برجالا صفة له أي رجالا
ملتبسين بالبينات وإما بأرسلنا مضمرا كأنما قيل بم أرسلوا فقلت بالبينات فهو على كلامين والأول على كلام واحد
وإما بيوحى أي يوحى إليهم بالبينات وإما بلا تعلمون على أن الشرط في معنى التبكيت والإلزام كقول الأجير إن كنت
عملت لك فأعطني حقي. وقوله فاسألوا أهل الذكر اعتراض على الوجوه المتقدمة وأهل الذكر أهل الكتاب وقيل
للكتاب الذكر لأنه موعظة وتنبيه للغافلين. ما نزل إليهم يعني ما نزل الله إليهم في الذكر مما أمروا به ونهوا عنه
ووعدوا وأوعدوا ولعلهم يتفكرون وإرادة أن يصغوا إلى تنبيهاته فينتبهوا ويتأملوا مكروا السيئات أي المكرات
السيئات وهم أهل مكة وما مكروا به رسول الله صلى الله عليه وسلم في تقلبهم متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم وأسباب دنياهم
على تخوف متخوفين وهو أن يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم العذاب وهم متخوفون متوقعون وهو خلاف
قوله من حيث لا يشعرون وقيل هو من قولك تخوفته إذا تنقصته قال زهير
تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن أي يأخذهم على أن ينقصهم شيئا بعد شيء في أنفسهم وأموالهم
حتى يهلكوا. وعن عمر رضي الله عنه أنه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف
التنقص قال فهل تعرف العرب ذلك في أشعارها قال نعم قال شاعرنا وأنشد البيت فقال عمر أيها الناس عليكم بديوانكم لا
يضل قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم فإن ربكم لرؤوف رحيم حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم
مع استحقاقكم. وقرئ أولم يروا وتتفيأ بالتاء والياء وما موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين
بمعنى الأيمان وعن الشمائل سجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير في ظلاله لأنه في معنى الجمع وهو ما خلق
الله من كل شيء له ظل وجمع بالواو لأن الدخور من أوصاف العقلاء أو لأن في جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى أولم يروا
إلى ما خلق الله من الأجرام التي لها ظلال متفيئة عن أيمانها وشمائلها أي عن جانبي كل واحد منها وشقيه استعارة من يمين
الإنسان وشماله لجانبي الشيء أي ترجع الظلال من جانب إلى جانب منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والأجرام
في أنفسها داخرة أيضا صاغرة منقادة لأفعال الله فيها لا تمتنع من دابة يجوز أن يكون بيانا لما في السماوات وما في
الأرض جميعا على أن في السماوات خلقا لله يدبون فيها كما تدب الأناسي في الأرض وأن يكون بيانا لما في الأرض وحده ويراد
بما في السماوات الخلق الذي يقال له الروح وأن يكون بيانا لما في الأرض ويراد بما في السماوات الملائكة وكرر ذكرهم
على معنى والملائكة خصوصا من بين الساجدين لأنهم أطوع الخلق وأعبدهم ويجوز أن يراد بما في السماوات ملائكتهن

ويقوله

ويقوله والملائكة ملائكة الأرض من الحفظة وغيرهم فإن قلت سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف
سجود غيرهم فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد قلت المراد بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم وبسجود غيرهم
انقياده لإرادة الله وأنها غير ممتنعة عليها وكلا السجودين يجمعهما معنى الانقياد فلم يختلفا فلذلك جاز أن يعبر عنهما بلفظ
واحد فإن قلت فهلا جيء بمن دون ما تغليبا للعقلاء من الدواب على غيرهم قلت لأنه لو جيء بمن لم يكن فيه دليل
على التغليب فكان متناولا للعقلاء خاصة فجيء بما هو صالح للعقلاء وغيرهم إرادة العموم يخافون يجوز أن يكون حالا
من الضمير في لا يستكبرون أي لا يستكبرون خائفين وأن يكون بيانا لنفي الاستكبار وتأكيدا له لأن من خاف الله
لم يستكبر عن عبادته من فوقهم إن علقته بيخافون فمعناه يخافونه أن يرسل عليهم عذابا من فوقهم وإن علقته بربهم
حالا منه فمعناه يخافون ربهم غالبا لهم قاهرا كقوله وهو القاهر فوق عباده وإنا فوقهم قاهرون وفيه دليل
على أن الملائكة مكلفون مدارون على الأمر والنهي والوعد والوعيد كسائر المكلفين وأنهم بين الخوف والرجاء
فإن قلت إنما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندي رجال ثلاثة وأفراس أربعة
لأن المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص وأما رجل ورجلان وفرس وفرسان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة
إلى أن يقال رجل واحد ورجلان اثنان فما وجه قوله إلهين اثنين قلت الاسم الحامل لمعنى الإفراد والتثنية دال على
شيئين على الجنسية والعدد المخصوص فإذا أريدت الدلالة على أن المعني به منهما والذي يساق إليه الحديث هو العدد شفع
بما يؤكده فدل به على القصد إليه والعناية به ألا ترى أنك لو قلت إنما هو إله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل أنك
تثبت الإلهية لا الوحدانية فإياي فارهبون نقل للكلام عن الغيبة إلى التكلم وجاز لأن الغائب هو المتكلم
وهو من طريقة الالتفات وهو أبلغ في الترهيب من قوله وإياه فارهبوه ومن أن يجيء ما قبله على لفظ المتكلم الدين
الطاعة واصبا واجبا ثابتا لأن كل نعمة منه فالطاعة واجبة له على
كل منعم عليه ويجوز أن يكون من الوصب أي وله الدين ذا كلفة ومشقة ولذلك سمي تكليفا أو وله الجزاء دائما يعني ثابتا
سرمدا لا يزول يعني الثواب والعقاب. وما بكم من نعمة وأي شيء حل بكم أو اتصل بكم فإليه تجأرون فما تتضرعون
إلا إليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الأعشى
يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا. وقرئ تجرون بطرح الهمزة وإلقاء حركتها على الجيم.
وقرأ قتادة كاشف الضر على فاعل بمعنى فعل وهو أقوى من كشف لأن بناء المغالبة يدل على المبالغة فإن قلت فما
معنى قوله إذا فريق منكم بربهم يشركون قلت يجوز أن يكون الخطاب في قوله وما بكم من نعمة من
الله عاما ويريد بالفريق فريق الكفرة وأن يكون الخطاب للمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض كأنه قال فإذا فريق
كافر وهم أنتم ويجوز أن يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد ليكفروا بما آتيناهم من
نعمة الكشف عنهم كأنهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة فتمتعوا فسوف تعلمون تخلية ووعيد
وقرئ فيمتعوا بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا وقيل فيمتعوا أمر وارد في معنى الخذلان والتخلية واللام لام
الأمر لما لا يعلمون أي لآلهتهم ومعنى لا يعلمونها أنهم يسمونها آلهة ويعتقدون فيها أنها تضر وتنفع وتشفع عند
الله وليس كذلك وحقيقتها أنها جماد لا تضر ولا تنفع فهم إذا جاهلون بها وقيل الضمير في لا يعلمون للآلهة
أي لأشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر أجعلوا لها نصيبا في أنعامهم وزروعهم أم لا وكانوا يجعلون لهم ذلك
تقربا إليهم لتسألن وعيد عما كنتم تفترون من الإفك في زعمكم أنها آلهة وأنها أهل للتقرب

الهًا كانت تقول الملائكة بنات الله **سبحانه** تنزيه لذاته من نسبة الولد إليه أو تعجب من قولهم **ولهم ما يشتهون**
يعني البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع على الابتداء والنصب على أن يكون معطوفا على البنات أي جعلوا لأنفسهم ما
يشتهون من الذكور **ظل** بمعنى صار كما يستعمل بات وأصبح وأمسى بمعنى الصيرورة ويجوز أن يجيء ظل لأن أكثر الوضع
يتفق بالليل فيظل نهاره مغتما مربدا الوجه من الكآبة والحياء من الناس **وهو كظيم** مملوء حنقا على المرأة.
يتوارى من القوم يستخفي منهم من أجل سوء المبشر به ومن أجل تعييرهم ويحدث نفسه وينظر ما يصنع به على
هون على هوان وذل **أم يدسه في التراب** أم يئده وقرئ أيمسكها على هون أم يدسها على التأنيث وقرئ
على هوان **ألا ساء ما يحكمون** حيث يجعلون الولد الذي هذا محله عندهم لله ويجعلون لأنفسهم من هو على
عكس هذا الوصف **مثل السوء** صفة السوء وهي الحاجة إلى الأولاد الذكور وكراهة الإناث ووأدهن خشية
الإملاق وإقرارهم على أنفسهم بالشح البالغ **ولله المثل الأعلى** وهو الغنى عن العالمين والنزاهة عن
صفات المخلوقين وهو الجواد الكريم **بظلمهم** بكفرهم ومعاصيهم **ما ترك عليها** على الأرض من دابة
قط بإهلاكها كلها بشؤم ظلم الظالمين. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رجلا يقول إن الظالم لا يضر
إلا نفسه فقال بلى والله حتى إن الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم. وعن ابن مسعود رضي الله عنه
كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم أو من دابة ظالمة. وعن ابن عباس من دابة من مشرك يدب عليها.
وقيل لو أهلك الآباء بكفرهم لم تكن الأبناء **ويجعلون لله ما يكرهون** لأنفسهم من البنات
ومن شركاء في رياستهم ومن الاستخفاف برسلهم والتهاون برسالاتهم ويجعلون له أرذل أموالهم ولأصنامهم
أكرمها **وتصف ألسنتهم** مع ذلك **أن لهم الحسنى** عند الله كقوله ولئن رجعت إلى ربي
إن لي عنده للحسنى. وعن بعضهم أنه قال لرجل من ذوي اليسار كيف تكون يوم القيامة إذا قال الله
هاتوا ما دفع إلى السلاطين وأعوانهم فيؤتى بالدواب والثياب وأنواع الأموال الفاخرة وإذا قال هاتوا ما
دفع إلي فيؤتى بالكسر والخرق وما لا يؤبه له أما تستحي من ذلك الموقف وقرأ هذه الآية. وعن مجاهد
أن لهم الحسنى هو قول قريش لنا البنون وأن لهم الحسنى بدل من الكذب وقرئ الكذب جمع كذوب
صفة للألسنة **مفرطون** وقرئ بفتح الراء ومكسورها مخففا ومشددا فالمفتوح بمعنى مقدمون إلى
النار معجلون إليها من أفرطت فلانا وفرطته في طلب الماء إذا قدمته وقيل منسيون من أفرط
فلانا خلفه إذا خلفه ونسيه والمكسور المخفف من الإفراط في المعاصي والمشدد من التفريط في الطاعات
وما يلزمهم **فهو وليهم اليوم** حكاية الحال الماضية التي كان يزين لهم الشيطان أعمالهم فيها
أي وهو وليهم في الدنيا أو جعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا ومعنى وليهم قرينهم فبئس القرين أو يجعل يوم لهم
اليوم حكاية للحال الآتية وهو حال كونهم معذبين في النار أي فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره نفيا للناصر
لهم على أبلغ الوجوه ويجوز أن يرجع الضمير إلى مشركي قريش وأنه زين للكفار قبلهم أعمالهم فهو ولي هؤلاء
لأنهم منهم ويجوز أن يكون على حذف المضاف أي فهو ولي أمثالهم اليوم **وهدى ورحمة** معطوفان
على محل لتبين إلا أنهما انتصبا على أنهما مفعول لهما لأنهما فعلا الذي أنزل الكتاب ودخل اللام على لتبين
لأنه فعل المخاطب لا فعل المنزل وإنما ينتصب مفعولا له ما كان فعل فاعل الفعل المعلل. والذي اختلفوا
فيه البعث لأنه كان فيهم من يؤمن به ومنهم عبد المطلب وأشياء من التحريم والتحليل والإنكار والإقرار

القوم

لقوم يسمعون سماع إنصاف وتدبر لأن من لم يسمع بقلبه فكأنه أصم لا يسمع. ذكر سيبويه الأنعام
في باب ما لا ينصرف في الأسماء المفردة الواردة على أفعال كقولهم ثوب أكياش ولذلك رجع الضمير إليه
مفردا وأما في بطونها في سورة المؤمنين فلأن معناه الجمع ويجوز أن يقال في الأنعام وجهان أحدهما أن يكون
تكسير نعم كأجبال في جبل وأن يكون اسما مفردا مقتضيا لمعنى الجمع كنعم فإذا ذكر فكما يذكر نعم في قوله
في كل عام نعم تحوونه يلقحه قوم وتنتجونه. وإذا أنث ففيه وجهان أنه تكسير نعم وأنه في معنى
الجمع. وقرئ نسقيكم بالفتح والضم وهو استئناف كأنه قيل كيف العبرة فقيل نسقيكم **من بين
فرث ودم** أي يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله لا يبغي أحدهما
عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله. قيل إذا أكلت البهيمة العلف فاستقر في كرشها
طبخته فكان أسفله فرثا وأوسطه لبنا وأعلاه دما والكبد مسلطة على هذه الأصناف الثلاثة تقسمها فتجري
الدم في العروق واللبن في الضروع ويبقى الفرث في الكرش فسبحان الله ما أعظم قدرته وألطف حكمته لمن تفكر
وتأمل. وسئل شقيق عن الإخلاص فقال تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم **سائغا** سهل
المرور في الحلق ويقال لم يغص أحد باللبن قط. وقرئ سيّغا بالتشديد وسيغا بالتخفيف كهين ولين. فإن
قلت أي فرق بين من الأولى والثانية **قلت** الأولى للتبعيض لأن اللبن بعض ما في بطونها كقولك أخذت
من مال زيد ثوبا والثانية لابتداء الغاية لأن بين الفرث والدم مكان الإسقاء الذي منه يبتدئ فهو صلة لنسقيكم
كقولك سقيته من الحوض ويجوز أن يكون حالا من قوله لبنا مقدما عليه فيتعلق بمحذوف أي كائنا من بين فرث
ودم ألا ترى أنه لو تأخر فقيل لبنا من بين فرث ودم كان صفة له وإنما قدم لأنه موضع العبرة فهو قمن بالتقديم
وقد احتج بعض من يرى أن المني طاهر على من جعله نجسا لجريه في مسلك البول بهذه الآية وأنه ليس بمستنكر أن يسلك
مسلك البول وهو طاهر كما خرج اللبن من بين فرث ودم طاهرا. فإن قلت بم تعلق قوله **ومن ثمرات النخيل
والأعناب قلت** بمحذوف تقديره ونسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب أي من عصيرها وحذف لدلالة
نسقيكم قبله عليه وقوله **تتخذون منه سكرا** بيان وكشف عن كنه الإسقاء أو تعلق بتتخذون ومنه
من تكرير الظرف للتوكيد كقولك زيد في الدار فيها ويجوز أن يكون تتخذون صفة موصوف محذوف كقوله بكفي
كان من أمي البشر. تقديره ومن ثمرات النخيل والأعناب ثمر تتخذون منه سكرا **ورزقا حسنا** لأنهم يأكلون
بعضها ويتخذون من بعضها السكر. فإن قلت فلام يرجع الضمير في منه إذا جعلته ظرفا مكررا قلت
إلى المضاف المحذوف الذي هو العصير كما رجع في قوله تعالى أو هم قائلون إلى الأهل المحذوف. والسكر الخمر سميت
بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا. قال: وجاؤونا بهم سكر علينا فأجلى اليوم والسكران صاحي
وفيه وجهان أحدهما أن تكون منسوخة وممن قال بنسخها الشعبي والنخعي والثاني أن يجمع بين العتاب والمنة وقيل
السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر إذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند أبي
حنيفة إلى حد السكر ويحتج بهذه الآية وبقوله عليه السلام الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب وبأخبار
جمة ولقد صنف شيخنا الجار الله رحمه الله كتابا في تحليل النبيذ [illegible] وأخذت منه [illegible]
فقيل له لو شربت منه ما تتقوى به فأبى فقيل له قد صنفت في تحليله فقال [illegible]
وقيل السكر الطعم وأنشد جعلت أعراض الكرام سكرا أي تنقلت بأعراضهم وقيل هو من الخمر [illegible]

إذا أنبزك في أعراض الناس فإنه يخمّرها. والرزق الحسن الخل والرُّب والتمر والزبيب وغير ذلك. ويجوز أن يجعل السكر
رزقاً حسناً كأنه قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن. **الإيحاء** إلى النحل إلهامها والقذف في قلوبها وتعليمها
على وجه هو أعلم به لا سبيل لأحد إلى الوقوف عليه، وإلا فنيقتها في صنعها ولطفها في تدبير أمرها وإصابتها فيما يصلحها دلائل
بيّنة شاهدة على أن الله أودعها علماً بذلك وفطّنها كما أولى أولي العقول عقولهم. وقرأ يحيى بن وثاب إلى النحَل بفتحتين
وهو مذكّر كالنخل وما أشبهه على المعنى. **أن اتخذي** هي أن المفسرة لأن الإيحاء فيه معنى القول. وقرئ بيوتاً
بكسر الباء لأجل الياء. **ومما يعرشون** بكسر الراء وضمها يرفعون من سقوف البيوت، وقيل ما يبنون للنحل في الجبال
والشجر والبيوت من الأماكن التي تعسّل فيها، والضمير في يعرشون للناس. **فإن قلت** ما معنى من في قوله أن اتخذي
من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون وهلا قيل في الجبال وفي الشجر. **قلت** أريد معنى البعضية وأن لا
تبني بيوتها في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش، ولا في كل مكان منها. **من كل الثمرات** إحاطة بالثمرات
التي تجرسها النحل وتعتاد أكلها أي ابني البيوت ثم كلي من كل ثمرة تشتهينها فإذا أكلتها **فاسلكي سبل ربك**
أي الطرق التي ألهمك وأفهمك في عمل العسل، أو فاسلكي ما أكلتِ في سبل ربك أي في مسالكه التي يحيل فيها
بقدرته النَّور المرّ عسلاً من أجوافك ومنافذ مآكلك، أو إذا أكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي إلى بيوتك
راجعة سبل ربك لا تتوعّر عليك ولا تلتبسي فيها فقد بلغني أن النحل ربما أجدب عليها ما حولها فتسافر إلى البلد البعيد في
طلب النجعة، وأراد بقوله ثم كلي ثم اقصدي أكل الثمرات فاسلكي في طلبها في مظانها سبل ربك. **ذللاً** جمع
ذلول وهي حال من السبل لأن الله ذللها ووطّأها وسهّلها كقوله هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً، أو من الضمير
في فاسلكي أي وأنت ذلل منقادة لما أمرت به غير ممتنعة. **شراب** يريد العسل لأنه مما يشرب **مختلف
ألوانه** منه أبيض وأصفر وأحمر وأسود. **فيه شفاء للناس** لأنه من جملة الأشفية والأدوية المشهورة
النافعة وقلّ معجون من المعاجين لم يذكر الأطباء فيه العسل وليس الغرض أنه شفاء لكل مريض كما أن كل دواء
كذلك وتنكيره إما لتعظيم الشفاء الذي فيه أو لأن فيه بعض الشفاء وكلاهما محتمل. وعن النبي صلى الله عليه وسلم أن
رجلاً جاء إليه فقال إن أخي يشتكي بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال
اذهب واسقه عسلاً فقد صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فشفاه الله فبرأ كأنما أنشط من عقال. وعن عبد الله
ابن مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفاءين القرآن والعسل. ومن بدع
تأويلات الرافضة أن المراد بالنحل علي وقومه. وعن بعضهم أنه قال عند المهدي إنما النحل بنو هاشم يخرج من
بطونهم العلم فقال له رجل جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك المهدي وحدّث به المنصور فاتخذوه
أضحوكة من أضاحيكهم. **إلى أرذل العمر** إلى أخسّه وأحقره وهو خمس وسبعون سنة عن علي رضي الله
عنه وتسعون سنة عن قتادة لأنه لا عمر أسوأ من عمر الهرم. **لكي لا يعلم بعد علم شيئاً**
ليصير إلى حالة شبيهة بحالة الطفولية في النسيان وأن يعلم شيئاً ثم يسرع في نسيانه فلا يعلمه إن سئل عنه.
وقيل لئلا يعقل من بعد عقله الأول شيئاً. وقيل لئلا يعلم زيادة علم على علمه. أي جعلكم متفاوتين في الرزق
فرزقكم أفضل مما رزق مماليككم وهم بشر مثلكم وإخوانكم وكان ينبغي أن تردوا فضل ما رزقتموه عليهم حتى تتساووا
في الملبس والمطعم. كما يحكى عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنما هم إخوانكم
فاكسوهم مما تلبسون وأطعموهم مما تطعمون. فما رؤي عبده بعد ذلك إلا ورداؤه رداؤه وإزاره إزاره من غير تفاوت.

أفبنعمة الله يجحدون فجعل ذلك من جملة جحود النعم. وقيل هو مثل ضربه الله للذين جعلوا له شركاء فقال
لهم أنتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما أنعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيه شركاء ولا ترضون ذلك لأنفسكم فكيف
رضيتم أن تجعلوا عبيدي لي شركاء. وقيل إن الموالي والمماليك أنا رازقهم جميعاً فهم في رزقي سواء فلا تحسبن الموالي
أنهم يردون على مماليكهم من عندهم شيئاً من الرزق فإنما ذلك رزقي أجريه إليهم على أيديهم. وقرئ تجحدون بالتاء.
من أنفسكم من جنسكم. وقيل هو خلق حواء من ضلع آدم. **وحفدة** جمع حافد وهو الذي يحفد أي
يسرع في الطاعة والخدمة ومنه قول القانت وإليك نسعى ونحفد. قال
حفد الولائد حولهن وأسلمت بأكفهن أزمة الأجمال. واختلف فيهم فقيل هم الأختان على البنات. وقيل
أولاد الأولاد. وقيل أولاد المرأة من الزوج الأول. وقيل المعنى وجعل لكم حفدة أي خدماً يحفدون
في مصالحكم ويعينونكم. ويجوز أن يراد بالحفدة البنون أنفسهم كقوله سكراً ورزقاً حسناً كأنه قيل
وجعل لكم منهن أولاداً هم بنون وهم حافدون أي جامعون بين الأمرين. **من الطيبات** يريد بعضها لأن
كل الطيبات في الجنة وما طيبات الدنيا إلا أنموذج منها. **أفبالباطل يؤمنون** وهو ما يعتقدون من منفعة
الأصنام وبركتها وشفاعتها وما هو إلا وهم باطل لم يتوصلوا إليه بدليل ولا أمارة فليس لهم إيمان إلا به كأنه
شيء معلوم مستيقن. ونعمة الله المشاهدة المعاينة التي لا شبهة فيها لذي عقل وتمييز **هم يكفرون** بها
منكرون لها كما ينكر المحال الذي لا تتصوره العقول. وقيل الباطل ما يسول لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة
وغيرهما، ونعمة الله ما أحل لهم. **الرزق** يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق، فإذا أردت المصدر نصبت به
شيئاً كقوله أو إطعام يتيماً على لا يملك أن يرزق شيئاً، وإن أردت المرزوق كان شيئاً بدلاً منه بمعنى قليلاً، ويجوز
أن يكون تأكيداً للا يملك أي لا يملك شيئاً من الملك. **ومن السماوات والأرض** صلة للرزق إن كان مصدراً
بمعنى لا يرزق من السماوات مطراً ولا من الأرض نباتاً، أو صفة إن كان اسماً لما يرزق. والضمير في ولا يستطيعون لما
لأنه في معنى الآلهة بعد ما قيل لا يملك على اللفظ. ويجوز أن يكون للكفار يعني ولا يستطيع هؤلاء مع أنهم أحياء
متصرفون أولو ألباب من ذلك شيئاً فكيف بالجماد الذي لا حس به. **فإن قلت** ما معنى قوله ولا يستطيعون بعد قوله
لا يملك وهل هما إلا شيء واحد. **قلت** ليس في لا يستطيعون تقدير راجع وإنما المعنى لا يملكون أن يرزقوا
والاستطاعة منفية عنهم أصلاً لأنهم أموات إلا أن يقدّر الراجع ويراد بالجمع بين نفي الملك والاستطا
عة للتوكيد، أو يراد أنهم لا يملكون الرزق ولا يمكنهم أن يملكوه ولا يتأتى ذلك منهم ولا يستقيم. **فلا تضربوا
لله الأمثال** تمثيل للإشراك بالله والتشبيه به لأن من يضرب الأمثال مشبّه حالاً بحال وقصة بقصة.
إن الله يعلم كنه ما تفعلون وعظمه وهو معاقبكم عليه بما يوازيه في العظم لأن العقاب على مقدار
الإثم **وأنتم لا تعلمون** كنهه وكنه عقابه فذلك هو الذي جركم إليه وجرأكم عليه فهو تعليل للنهي عن
الشرك. ويجوز أن يراد فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم كيف تضرب الأمثال وأنتم لا تعلمون. ثم علمهم كيف
تضرب فقال مثلكم في إشراككم بالله الأوثان مثل من سوّى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حرّ
مالك قد رزقه الله مالاً فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف يشاء. **فإن قلت** لم قال **مملوكاً لا يقدر
على شيء** وكل عبد مملوك وغير قادر على التصرف. **قلت** أما ذكر المملوك فليميز من الحر لأن اسم العبد يقع عليهما جميعاً
لأنهما من عباد الله، وأما لا يقدر على شيء فليجعل غير مكاتب ولا مأذون له لأنهما يقدران على التصرف. واختلفوا

في العبد هل يصح له ملك والمذهب الظاهر أنه لا يصح. فإن قلت من في قوله ومن رزقناه ما هي قلت
الظاهر أنها موصوفة كأنه قيل وحرا رزقناه ليطابق عبدا ولا يمتنع أن تكون موصولة. فإن قلت
لم قيل يستوون على الجمع قلت معناه هل يستوي الأحرار والعبيد. الأبكم الذي ولد أخرس
فلا يفهم ولا يفهم وهو كل على مولاه أي ثقل وعيال على من يلي أمره ويعوله أينما يوجهه حيثما
يرسله ويصرفه في مطلب حاجة أو كفاية مهم لم ينفع ولم يأت بنجح هل يستوي هو ومن هو
سليم الحواس نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو يأمر الناس بالعدل والخير وهو في نفسه على صراط
مستقيم على سيرة صالحة ودين قويم وهذا مثل ثان ضربه لنفسه ولما يفيض على عباده ويشملهم من آثار
رحمته وألطافه ونعمه الدينية والدنيوية وللأصنام التي هي أموات لا تضر ولا تنفع. وقرئ أينما يوجه بمعنى
أينما يتوجه من قولهم أينما أوجه ألق سعدا. وقرأ ابن مسعود أينما يوجه على البناء للمفعول ولله غيب السموات
والأرض أي يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه أو أراد بغيب السموات والأرض يوم القيامة
على أن علمه غائب عن أهل السموات والأرض لم يطلع عليه أحد منهم إلا كلمح البصر أو هو أقرب
أي هو عند الله وإن تراخى كما يقولون أنتم في الشيء الذي تستقربونه هو كلمح البصر أو أقرب إذا بالغتم في استقرابه
ونحوه قوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون
أي هو عنده دان وهو عندكم بعيد وقيل المعنى أن إقامة الساعة وإماتة الأحياء وإحياء الأموات من الأولين
والآخرين يكون في أقرب وقت وأوحاه إن الله على كل شيء قدير فهو يقدر على أن يقيم الساعة ويبعث الخلق
لأنه بعض المقدورات ثم دل على قدرته بما بعده. وقرئ إمهاتكم بضم الهمزة وكسرها والهاء مزيدة في أمات كما زيدت
في أراق فقيل أهراق وشذت زيادتها في الواحدة قال أمهتي خندف والياس أبي. لا تعلمون شيئا
في موضع الحال ومعناه غير عالمين شيئا من حق المنعم الذي خلقكم في البطون وسواكم وصوركم ثم أخرجكم من
الضيق إلى السعة وقوله وجعل لكم معناه وما ركب فيكم هذه الأشياء إلا آلات لإزالة الجهل الذي ولدتم
عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقي إلى ما يسعدكم. والأفئدة
في فؤاد كالأغربة في غراب وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة والقلة إذا لم يرد في السماع غيرها كما جاء
شسوع في جمع شسع لا غير فجرت ذلك المجرى. وقرئ أولم يروا بالتاء والياء مسخرات مذللات للطيران
بما خلق لها من الأجنحة والأسباب المواتية لذلك والجو الهواء المتباعد من الأرض في سمت العلو والسكاك أبعد منه
واللوح مثله ما يمسكهن في قبضهن وبسطهن ووقوفهن إلا الله بقدرته من بيوتكم التي تسكنونها
من الحجر والمدر والأخبية وغيرها والسكن فعل بمعنى مفعول وهو ما يسكن إليه وينقطع إليه من بيت أو
إلف من بيوتا هي القباب والأبنية من الأدم والأنطاع تستخفونها ترونها خفيفة المحمل في الضرب والنقض
والنقل يوم ظعنكم ويوم إقامتكم أي ترحلون خفيفا عليكم حملها ونقلها ويوم تنزلون
وتقيمون في مكان لم يثقل عليكم ضربها أو هي خفيفة عليكم في أوقات السفر والحضر جميعا على أن اليوم بمعنى
الوقت ومتاعا وشيئا ينتفع به إلى حين إلى أن تقضوا منه أوطاركم أو إلى أن يبلى ويفنى أو إلى أن تموتوا.
وقرئ يوم ظعنكم بالسكون مما خلق من الشجر وسائر المستظلات أكنانا جمع كن وهو ما يستكن به من البيوت
المنحوتة في الجبال والغيران والكهوف سرابيل هي القمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن وغيرها

بعونه

تقيكم الحر لم يذكر البرد لأن الوقاية من الحر أهم عندهم وقلما يهمهم البرد لكونه يسيرا محتملا.
وقيل ما يقي من الحر يقي من البرد فدل ذكر الحر على البرد وسرابيل تقيكم بأسكم يريد الدروع والجواشن والسرابيل
عام يقع على ما كان من حديد وغيره لعلكم تسلمون أي تنظرون في نعمته الفايضة فتؤمنون به وتنقادون له.
وقرئ تسلمون من السلامة أي تشكرون فتسلمون من العذاب أو تسلم قلوبكم من الشرك وقيل تسلمون من
الجراح بلبس الدروع فإن تولوا فلم يقبلوا منك فقد تمهد عذرك بعد ما أديت ما وجب عليك من التبليغ فذكر
سبب العذر وهو البلاغ ليدل على المسبب يعرفون نعمت الله التي عددناها حيث يعترفون بها وأنها من الله ثم ينكرونها
بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم هي من الله ولكنها بشفاعة آلهتنا وقيل إنكارهم قولهم ورثناها من آبائنا.
وقيل قولهم لولا فلان ما أصبت كذا لبعض نعم الله وإنما لا يجوز التكلم بنحو هذا لمن يعتقد أنها من الله وأنه
أجراها على يد فلان وجعله سببا في نيلها وأكثرهم الكافرون أي الجاحدون غير المعترفين وقيل نعمة الله نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عنادا وأكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم. فإن قلت
ما معنى ثم قلت الدلالة على أن إنكارهم أمر مستبعد بعد حصول المعرفة لأن حق من عرف النعمة أن يعترف
لا أن ينكر شهيدا نبيها يشهد لهم وعليهم بالإيمان والتصديق والكفر والتكذيب ثم لا يؤذن للذين كفروا
في الاعتذار والمعنى لا حجة لهم فدل ترك الإذن على أن لا حجة لهم ولا عذر. وكذا عن الحسن رحمه الله
ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون أي لا يقال لهم أرضوا ربكم لأن الآخرة ليست بدار عمل. فإن قلت
فما معنى ثم هذه قلت معناها أنهم يمنون بعد شهادة الأنبياء عليهم السلام بما هو أطم منها وهو أنهم يمنعون
الكلام فلا يؤذن لهم في إلقاء معذرة ولا إدلاء بحجة وانتصاب اليوم بمحذوف تقديره واذكر يوم نبعث أو
يوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه وكذلك وإذا رأوا العذاب بغتهم وثقل عليهم فلا يخفف عنهم
ولا هم ينظرون كقوله بل تأتيهم بغتة فتبهتهم الآية أرادوا بالشركاء آلهتهم بمعنى شركاؤنا آلهتنا التي دعونا
شركاء في الغي ندعوا بمعنى نعبد. فإن قلت لم قالوا إنكم لكاذبون وكانوا يعبدونهم على الصحة قلت
لما كانوا غير راضين بعبادتهم فكأن عبادتهم لم تكن عبادة والدليل عليه قول الملائكة كانوا يعبدون الجن
يعنون أن الجن كانوا راضين بعبادتهم لا نحن فهم المعبودون دوننا أو كذبوهم في تسميتهم شركاء وآلهة تنزيها
لله من الشرك وإن أريد بالشركاء الشياطين جاز أن يكونوا كاذبين في قولهم إنكم لكاذبون كما يقول الشيطان إني
كفرت بما أشركتمون من قبل وألقوا يعني الذين ظلموا وألقوا السلم للاستسلام لأمر الله وحكمه بعد الإباء
والاستكبار في الدنيا وضل عنهم وبطل عنهم ما كانوا يفترون من أن لله شركاء وأنهم ينصرونهم ويشفعون
لهم حين كذبوهم وتبرأوا منهم الذين كفروا في أنفسهم وحملوا غيرهم على الكفر يضاعف الله عقابهم
كما ضاعفوا كفرهم وقيل في زيادة عذابهم حيات أمثال البخت وعقارب أمثال البغال تلسع إحداهن
اللسعة فيجد صاحبها حمتها أربعين خريفا وقيل يخرجون من النار إلى الزمهرير فيبادرون من شدة برده
إلى النار بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين الناس بصدهم عن سبيل الله شهيدا عليهم من أنفسهم
يعني نبيهم لأنه كان يبعث أنبياء الأمم فيهم منهم وجئنا بك يا محمد على هؤلاء على أمتك تبيانا بيانا بليغا ونظيره
تلقاء في كونه بالكسر وقد جوز الزجاج فتحه في غير القرآن. فإن قلت كيف كان القرآن تبيانا لكل شيء قلت
المعنى أنه بين كل شيء من أمور الدين حيث كان نصا على بعضها وإحالة على السنة حيث أمر فيه باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم

وطاعته وقيل وما ينطق عن الهوى وحث على الاجماع في قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد رضي رسول الله صلى
الله عليه وسلم لامته اتباع اصحابه والاقتداء بآثارهم في قوله اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا
وقاسوا ووطأوا طرق القياس والاجتهاد فكانت السنة والاجماع والقياس والاجتهاد مستندة الى بيان الكتاب فمن ثم
كان تبيانا لكل شيء. العدل هو الواجب لان الله عز وجل عدل فيه على عباده فجعل ما فرضه عليهم واقعا تحت طاقتهم
والاحسان الندب وانما علق امره بهما جميعا لان الفرض لا بد من ان يقع فيه تفريط فيجبره الندب ولذلك قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لمن علمه الفرائض فقال والله لا زدت فيها ولا نقصت افلح ان صدق فعقد الفلاح بشرط الصدق
والسلامة من التفريط وقال عليه السلام استقيموا ولن تحصوا فما ينبغي ان يترك ما يجبر كسر التفريط
من النوافل والفواحش ما جاوز حدود الله والمنكر ما تنكره العقول والبغي طلب التطاول بالظلم وحين اسقطت من
الخطب لعنة الملاعين على امير المؤمنين عليه السلام اقيمت هذه الآية مقامها ولعمري انها كانت فاحشة ومنكرا وبغيا
ضاعف الله لمن سنها غضبا ونكالا وخزيا اجابة لدعوة نبيه وعاد من عاداه. وكانت سبب اسلام عثمان بن مظعون رضي الله عنه
عهد الله هي البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ولا تنقضوا الايمان ايمان البيعة
بعد توكيدها بعد توثيقها باسم الله واكد ووكد لغتان فصيحتان والاصل الواو والهمزة بدل كفيلا شاهدا ورقيبا
لان الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن عليه ولا تكونوا في نقض الايمان كالمرأة التي نقضت غزلها بعد ان احكمته وابرمته
فجعلته انكاثا جمع نكث وهو ما ينكث فتله قيل هي ريطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع
وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها وكانت تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن فينقضن
ما غزلن تتخذون حال دخلا احد مفعولي اتخذ يعني ولا تنقضوا ايمانكم متخذيها دخلا بينكم اي مفسدة
ودغلا ان تكون امة بسبب ان تكون امة يعني جماعة قريش هي اربى من امة هي ازيد عددا واوفر اموالا من
جماعة المؤمنين انما يبلوكم الله به الضمير لقوله ان تكون امة لانه في معنى المصدر اي انما يختبركم بكونهم
اربى لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما عقدتم على انفسكم ووكدتم من ايمان البيعة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ام تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقوتهم وقلة المؤمنين وفقرهم وضعفهم وليبينن لكم انذار
وتحذير من مخالفة ملة الاسلام ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة حنيفة مسلمة على طريق الالجاء والاضطرار وهو
قادر على ذلك ولكن الحكمة اقتضت ان يضل من يشاء وهو ان يخذل من علم انه يختار الكفر ويصمم عليه ويهدي
من يشاء وهو ان يلطف بمن علم انه يختار الايمان يعني انه بنى الامر على الاختيار وعلى ما يستحق به اللطف والخذلان
والثواب والعقاب ولم يبنه على الاجبار الذي لا يستحق به شيء من ذلك وحققه بقوله ولتسئلن عما كنتم تعملون
ولو كان هو المضطر الى الضلال والاهتداء لما اثبت لهم عملا يسألون عنه ثم كرر النهي عن اتخاذ الايمان دخلا
بينهم تأكيدا عليهم واظهارا لعظم ما يرتكب منه فتزل قدم بعد ثبوتها فتزل اقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها
عليها وتذوقوا السوء في الدنيا بصدودكم عن سبيل الله وخروجكم من الدين او بصدكم غيركم لانهم لو
نقضوا ايمان البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها ولكم عذاب عظيم في الآخرة
كان قوم ممن اسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم مما رأوا من غلبة قريش واستضعافهم المسلمين وايذائهم لهم
ولما كانوا يعدونهم ان رجعوا من المواعيد ان ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبتهم الله
ولا تشتروا ولا تستبدلوا بعهد الله وبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمنا قليلا عرضا من الدنيا يسيرا

وهو

وهو ما كانت قريش يعدونهم ويمنونهم ان رجعوا ان ما عند الله من اظهاركم وتغنيمكم ومن ثواب الآخرة خير لكم ما
عندكم من اعراض الدنيا ينفد وما عند الله من خزائن رحمته باق لا ينفد وقرئ لنجزين بالنون والياء الذين صبروا
على اذى المشركين ومشاق الاسلام فان قلت لم وحدت القدم ونكرت قلت لاستعظام ان تزل قدم واحدة
عن طريق الحق بعد ان ثبتت عليه فكيف باقدام كثيرة فان قلت من متناول في نفسه للذكر والانثى فما معنى تبيينه
بهما قلت هو مبهم صالح على الاطلاق للنوعين الا انه اذا ذكر كان الظاهر تناوله للذكور فقيل من ذكر او انثى على
التبيين ليعم الموعد النوعين جميعا حياة طيبة يعني في الدنيا وهو الظاهر لقوله ولنجزينهم وعده الله ثواب الدنيا
والآخرة لقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وذلك ان المؤمن مع العمل الصالح موسرا كان او معسرا يعيش
عيشا طيبا ان كان موسرا فلا مقال فيه وان كان معسرا فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله واما
الفاجر فامره على العكس ان كان معسرا فلا اشكال في امره وان كان موسرا فالحرص لا يدعه ان يتهنأ بعيشه. وعن ابن عباس
الحياة الطيبة الرزق الحلال. وعن الحسن القناعة وعن قتادة يعني في الجنة وقيل هي حلاوة الطاعة والتوفيق
في قلبه. لما ذكر العمل الصالح ووعد عليه وصل به قوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ايذانا بان الاستعاذة
من جملة الاعمال الصالحة التي يجزل الله عليها الثواب والمعنى فاذا اردت قراءة القرآن فاستعذ كقوله اذا قمتم الى
الصلاة فاغسلوا وجوهكم وكقولك اذا اكلت فسم الله فان قلت لم عبر عن ارادة الفعل بلفظ الفعل قلت
لان الفعل يوجد عند القصد والارادة بغير فاصل وعلى حسبه فكان منه بسبب قوي وملابسة ظاهرة. وعن عبد الله
ابن مسعود قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لي يا ابن ام
عبد قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرأنيه جبريل عليه السلام عن القلم عن اللوح المحفوظ
ليس له سلطان اي تسلط وولاية على اولياء الله يعني انهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريد منهم من اتباع خطواته
انما سلطانه على من يتولاه ويطيعه به مشركون الضمير يرجع الى ربهم ويجوز ان يرجع الى الشيطان على
معنى بسببه. تبديل الآية مكان الآية هو النسخ والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع لانها مصالح وما كان مصلحة
امس يجوز ان يكون مفسدة اليوم وخلافه مصلحة والله عز وجل عالم بالمصالح والمفاسد فيثبت ما يشاء وينسخ
ما يشاء بحكمته وهذا معنى قوله والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر وجدوا مدخلا للطعن فطعنوا
وذلك لجهلهم وبعدهم عن العلم بالناسخ والمنسوخ وكانوا يقولون ان محمدا يسخر من اصحابه يأمرهم
اليوم بأمر وينهاهم عنه غدا ويأتيهم بما هو اهون ولقد افتروا فقد كان ينسخ الاشق بالاهون والاهون
بالاشق والاهون بالاهون والاشق بالاشق لان الغرض المصلحة لا الهوان والمشقة فان قلت
هل في ذكر تبديل الآية دليل على ان القرآن انما ينسخ بمثله ولا يصح بغيره من السنة والاجماع والقياس
قلت فيه ان قرآنا ينسخ بمثله وليس فيه نفي نسخه بغيره على ان السنة المكشوفة المتواترة مثل القرآن
في ايجاب العلم فنسخه بها كنسخه بمثله واما [illegible] لا يصح نسخ القرآن بهما وفي ينزل ونزله وما فيهما من التنزيل شيئا فشيئا على حسب
الحوادث والمصالح اشارة الى ان التبديل من باب المصالح كالتنزيل وان ترك النسخ بمنزلة انزاله دفعة
واحدة في خروجه عن الحكمة. روح القدس جبريل صلوات الله عليه اضيف الى القدس
وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وزيد الخير والمراد الروح المقدس وحاتم الجواد وزيد الخير والمقدس
المطهر من المآثم. وقرئ بضم الدال وسكونها بالحق في موضع الحال اي نزله ملتبسا بالحكمة يعني ان

النسخ من جملة الحق ليثبت الذين آمنوا ليبلوهم بالنسخ حتى إذا قالوا فيه هو الحق من ربنا والحكمة حكم لهم
بثبات القدم وصحة اليقين وطمأنينة القلوب على أن الله حكيم فلا يفعل إلا ما هو حكمة وصواب
وهدى وبشرى مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت والتقدير تثبيتا لهم وإرشادا وبشارة وفيه
تعريض بحصول أضداد هذه الخصال لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف أرادوا بالبشر غلاما كان لحويطب بن
عبد العزى قد أسلم وحسن إسلامه عائش أو يعيش وكان صاحب كتب وقيل هو جبر غلام رومي كان
لعامر بن الحضرمي وقيل جبر ويسار كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والإنجيل وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم إذا مر وقف عليهما يسمع ما يقرآن فقالوا يعلمانه فقيل لأحدهما فقال بل هو يعلمني وقيل
هو سلمان الفارسي واللسان اللغة ويقال ألحد القبر ولحده وهو ملحد وملحود إذا أمال حفره عن الاستقامة
فحفر في شق منه ثم استعير لكل إمالة عن استقامة فقالوا ألحد فلان في قوله وألحد في دينه ومنه الملحد لأنه
أمال مذهبه عن الأديان كلها لم يمله عن دين إلى دين والمعنى لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة
إليه لسان أعجمي غير بين وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو فصاحة وبيان ردا لقولهم وإبطالا لطعنهم
وقرئ يلحدون بفتح الياء والحاء وفي قراءة الحسن اللسان الذي يلحدون إليه بتعريف اللسان فإن قلت
الجملة التي هي قوله لسان الذي يلحدون إليه أعجمي ما محلها قلت لا محل لها لأنها مستأنفة جواب
لقولهم ومثله قوله الله أعلم حيث يجعل رسالاته بعد قوله وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل
ما أوتي رسل الله إن الذين لا يؤمنون بآيات الله أي يعلم الله منهم أنهم لا يؤمنون لا يهديهم الله لا يلطف
بهم لأنهم من أهل الخذلان في الدنيا والعذاب في الآخرة لا من أهل اللطف والثواب إنما يفتري الكذب
رد لقولهم إنما أنت مفتر يعني إنما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لأنه لا يترقب عقابا عليه وأولئك إشارة
إلى قريش هم الكاذبون أي هم الذين لا يؤمنون فهم الكاذبون أو إلى الذين لا يؤمنون أي أولئك هم
الكاذبون على الحقيقة الكاملون في الكذب لأن تكذيب آيات الله أعظم الكذب أو أولئك الذين عادتهم
الكذب لا يبالون به في كل شيء لا تحجبهم عنه مروءة ولا دين أو أولئك هم الكاذبون في قولهم إنما أنت مفتر
من كفر بدل من الذين لا يؤمنون بآيات الله على أن يجعل وأولئك هم الكاذبون اعتراضا بين البدل
والمبدل منه والمعنى إنما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم
الافتراء ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا أي طاب به نفسا واعتقده فعليهم غضب من الله
ويجوز أن يكون بدلا من المبتدأ الذي هو أولئك على ومن كفر بالله بعد إيمانه هم الكاذبون أو من
الخبر الذي هو الكاذبون على أولئك هم من كفر بالله من بعد إيمانه ويجوز أن ينتصب على الذم وقد
جوزوا أن يكون من كفر بالله شرطا مبتدأ ويحذف جوابه لأن جواب من شرح دال عليه كأنه قيل
من كفر بالله فعليهم غضب إلا من أكره ولكن من شرح بالكفر صدرا روي أن ناسا من أهل مكة فتنوا فارتدوا عن
الإسلام بعد دخولهم فيه وكان فيهم من أكره فأجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للإيمان منهم
عمار وأبواه ياسر وسمية وصهيب وبلال وخباب وسالم عذبوا فأما سمية فقد كانت ربطت
بين بعيرين ووجئ في قبلها بحربة وقالوا إنك أسلمت من أجل الرجال فقتلت وقتل ياسر وهما أول
قتيلين في الإسلام وأما عمار فقد أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرها فقيل يا رسول الله إن عمارا

كفر

كفر فقال كلا إن عمارا ملئ إيمانا من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ما لك إن عادوا لك فعد
لهم بما قلت ومنهم جبر مولى الحضرمي أكرهه سيده فكفر ثم أسلم مولاه وأسلم وحسن إسلامهما وهاجرا
فإن قلت أي الأمرين أفضل أفعل عمار أم فعل أبويه قلت بل فعل أبويه لأن في ترك التقية والصبر
على القتل إعزاز للإسلام وروي أن مسيلمة أخذ رجلين فقال لأحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله قال
فما تقول في قال أنت أيضا ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال أنا أصم فأعاد
ذلك عليه ثلاثا فأعاد جوابه فقتله فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما الأول فقد أخذ
برخصة الله وأما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له ذلك إشارة إلى الوعيد وأن الغضب والعذاب يلحقانهم
بسبب استحبابهم الدنيا على الآخرة واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم أولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة
الذين لا أحد أغفل منهم لأن الغفلة عن تدبر العواقب هي غاية الغفلة ومنتهاها ثم إن ربك دلالة على تباعد
حال هؤلاء من حال أولئك وهم عمار وأصحابه ومعنى إن ربك لهم أنه لهم لا عليهم بمعنى أنه وليهم وناصرهم
لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محميا منفوعا غير مضرور من بعد ما فتنوا بالعذاب والإكراه
على الكفر وقرئ فتنوا على البناء للفاعل أي بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي وأشباهه من بعدها من بعد
هذه الأفعال وهي الهجرة والجهاد والصبر يوم تأتي منصوب برحيم أو بإضمار اذكر فإن قلت ما معنى النفس
المضافة إلى النفس قلت يقال لعين الشيء وذاته نفسه وفي نقيضه غيره والنفس الجملة كما هي فالنفس الأولى هي
الجملة والثانية عينها وذاتها فكأنه قيل يوم يأتي كل إنسان يجادل عن ذاته لا يهمه شأن غيره كل يقول نفسي نفسي
ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم هؤلاء أضلونا ما كنا مشركين ونحو ذلك ضرب الله مثلا قرية
أي جعل القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فأنزل الله بهم
نقمته فيجوز أن تراد قرية مقدرة على هذه الصفة وأن تكون في قرى الأولين قرية كانت هذه حالها فضربها
الله مثلا لمكة إنذارا من مثل عاقبتها مطمئنة لا يزعجها خوف لأن الطمأنينة مع الأمن والانزعاج والقلق مع
الخوف رغدا واسعا والأنعم جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وأدرع أو جمع نعم كبؤس وأبؤس
وفي الحديث نادى منادي النبي صلى الله عليه وسلم بالموسم بمنى إنها أيام طعم ونعم فلا تصوموا فإن قلت
الإذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتهما والإذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة إيقاعها
عليه قلت أما الإذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس
منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر وأذاقه العذاب شبه ما يدرك من أثر الضرر والألم بما يدرك من طعم المر
والبشع وأما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشي الإنسان والتبس به من بعض الحوادث وأما
إيقاع الإذاقة على لباس الجوع والخوف فلأنه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكأنه قيل فأذاقهم
ما غشيهم من الجوع والخوف ولهم في نحو هذا طريقان لا بد من الإحاطة بهما فإن الاستنكار لا يقع إلا لمن
فقدهما أحدهما أن ينظروا فيه إلى المستعار له كما نظر إليه هاهنا ونحوه قول كثير
غمر الرداء إذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال
استعار الرداء للمعروف لأنه يصون
عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا صفة الرداء

نظراً إلى المستعار له، والثاني أن ينظروا فيه إلى المستعار كقوله:
ينازعني ردائي عبد عمرو رويدك يا أخا عمرو بن بكر … لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر
أراد بردائه سيفه ثم قال فاعتجر منه بشطر فنظر إلى المستعار في لفظ الاعتجار ولو نظر إليه فيما نحن فيه لقيل فكساهم
لباس الجوع والخوف ولقال كثير: غمر الرداء إذا تبسم ضاحكاً. **وهم ظالمون** في حال التباسهم بالظلم
كقوله الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم، نعوذ بالله من مفاجأة النقمة والموت على الغفلة. وقرئ والخوف
عطفاً على اللباس أو على تقدير حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه أصله ولباس الخوف. وقرئ
لباس الخوف والجوع لما وعظهم بما ذكر من حال القرية وما أثيب به من كفر بأنعم الله وصنيعها وصل ذلك
بالفاء في قوله **فكلوا** صدهم عن أفعال الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة التي كانوا عليها بأن أمرهم بأكل ما رزقهم الله
من الحلال الطيب وشكر إنعامه بذلك وقال **إن كنتم إياه تعبدون** يعني تطيعون أو إن صح زعمكم أنكم
تعبدون الله بعبادة الآلهة لأنها شفعاؤكم عنده. ثم عدد عليهم محرمات الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم
بأهوائهم وجهالاتهم دون اتباع ما شرع الله على لسان أنبيائه وانتصاب الكذب بلا تقولوا على ولا تقولوا الكذب
لما تصفه ألسنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا
من غير استناد ذلك الوصف إلى وحي من الله أو إلى قياس مستند إليه، واللام مثلها في قولك ولا تقولوا لما أحل الله هو حرام
وقوله **هذا حلال وهذا حرام** بدل من الكذب ويجوز أن يتعلق بتصف على إرادة القول، ولا تقولوا الكذب
لما تصفه ألسنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام، ولك أن تنصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية وتعلق هذا
حلال وهذا حرام بلا تقولوا، وهذا حرام لوصف ألسنتكم الكذب أي لا تحرموا ولا تحللوا لأجل قول تنطق به ألسنتكم ولا تقولوا
ويجول في أفواهكم لا لأجل حجة وبينة ولكن قول ساذج ودعوى فارغة. فإن قلت: ما معنى وصف
ألسنتهم الكذب؟ قلت: هو من فصيح الكلام وبليغه، جعل قولهم كأنه عين الكذب ومحضه فإذا نطقت
به ألسنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته بصورته كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر.
وقرئ الكذب بالجر صفة لما المصدرية كأنه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله تعالى
بدم كذب، والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة. وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع صفة للألسنة
وبالنصب على الشتم أو بمعنى الكلم الكواذب أو هو جمع الكذاب من قولك كذب كذاباً ذكره ابن جني. واللام
في لتفتروا من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض. **متاع قليل** خبر مبتدأ محذوف أي منفعتهم فيما هم
عليه من أفعال الجاهلية منفعة قليلة وعقاب عظيم. **ما قصصنا عليك** يعني في سورة الأنعام. **بجهالة**
في موضع الحال أي عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه أو غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم.
من بعدها من بعد التوبة. **كان أمة** فيه وجهان أحدهما أنه كان وحده أمة من الأمم لكماله في جميع صفات
الخير كقوله: وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد. وعن مجاهد كان مؤمناً وحده والناس كلهم كفار.
والثاني أن يكون أمة بمعنى مأموم أي يؤمه الناس ليأخذوا منه الخير أو بمعنى مؤتم به كالرحلة والنخبة وما
أشبه ذلك مما جاء من فعلة بمعنى مفعول فيكون مثل قوله إني جاعلك للناس إماماً. وروى الشعبي عن فروة بن
نوفل الأشجعي عن ابن مسعود أنه قال إن معاذاً كان أمة قانتاً لله فقلت غلطت إنما هو إبراهيم صلى الله
عليه فقال الأمة الذي يعلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله وكان معاذ كذلك. وعن عمر رضي الله عنه

أنه

أنه قال حين قيل له ألا تستخلف: لو كان أبو عبيدة حياً لاستخلفته ولو كان معاذ حياً لاستخلفته
ولو كان سالم حياً لاستخلفته فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أبو عبيدة أمين هذه الأمة، ومعاذ
أمة لله قانت لله ليس بينه وبين الله يوم القيامة إلا المرسلون، وسالم شديد الحب لله لو كان لا يخاف الله
لم يعصه. وهو ذلك المعنى أي كان إماماً في الدين لأن الأئمة معلمو الخير. والقانت القائم بما أمره الله.
والحنيف المائل إلى ملة الإسلام غير الزائل عنه. ونفى عنه الشرك تكذيباً لكفار قريش في زعمهم أنهم على ملة أبيهم
إبراهيم. **شاكراً لأنعمه** روي أنه كان لا يتغدى إلا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفاً فأخر غداءه فإذا
هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم إلى الطعام فخيلوا له أن بهم جذاماً فقال الآن وجبت مؤاكلتكم كلكم
شكراً لله على أنه عافاني وابتلاكم. **اجتباه** اختصه واصطفاه للنبوة **وهداه إلى صراط مستقيم**
إلى ملة الإسلام. **حسنة** عن قتادة هي تنويه الله بذكره حتى ليس من أهل دين إلا وهم يتولونه. وقيل الأموال
والأولاد. وقيل قول المصلي منا كما صليت على آل إبراهيم. **لمن الصالحين** لمن أهل الجنة. **ثم أوحينا إليك**
في ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجلال محله والإيذان بأن أشرف ما أوتي خليل الله
إبراهيم عليه السلام من الكرامة وأجل ما أولي من النعمة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملته من قبل
أنها دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة من بين سائر النعوت التي أثنى الله عليه بها. **السبت** مصدر سبتت
اليهود إذا عظمت سبتها، والمعنى إنما جعل وبال السبت وهو المسخ **على الذين اختلفوا فيه** واختلافهم
فيه أنهم أحلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم أن يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة
بعد ما حتم الله عليهم الصبر عن الصيد فيه وتعظيمه، والمعنى في ذكر ذلك نحو المعنى في ضرب القرية
التي كفرت بأنعم الله مثلاً وغير ما ذكر وهو الإنذار من سخط الله على العصاة والمخالفين لأوامره والخالعين
ربقة طاعته. فإن قلت: فما معنى الحكم بينهم إذا كانوا جميعاً محلين أو محرمين؟ قلت:
معناه أنه يجازيهم جزاء اختلافهم في كونهم محلين تارة ومحرمين أخرى. ووجه آخر وهو أن
موسى عليه السلام أمرهم أن يجعلوا في الأسبوع يوماً للعبادة وأن يكون يوم الجمعة فأبوا عليه وقالوا نريد
اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق السموات والأرض وهو السبت إلا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم
في السبت لأن بعضهم اختاروه وبعضهم اختار عليه الجمعة فأذن الله لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه
فأطاع أمر الله الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون وأعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله دون أولئك
وهو يحكم بينهم يوم القيامة فيجازي كل واحد من الفريقين بما يستوجبه. ومعنى جعل السبت فرض عليهم
تعظيمه وترك الاصطياد فيه. وقرئ إنما جعل السبت على البناء للفاعل. وقرأ عبد الله إنما أنزلنا
السبت. **إلى سبيل ربك** إلى الإسلام **بالحكمة** بالمقالة المحكمة الصحيحة وهي الدليل الموضح
للحق المزيل للشبهة. **والموعظة الحسنة** وهي التي لا يخفى عليهم أنك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها
ويجوز أن يريد القرآن أي ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة. **وجادلهم بالتي
هي أحسن** بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف. **إن ربك
أعلم** بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل والنصيحة اليسيرة، ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل
وكأنك تضرب منه في حديد بارد. سمى الفعل الأول باسم الثاني للمزاوجة، والمعنى إن صنع بكم صنيع

يوم من قتل او نحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه وقرئ: وان عقبتم اي وان قفيتم بالانتصار فقفوا
بمثل ما فعل بكم. روي ان المشركين مثلوا بالمسلمين يوم احد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم ما تركوا
احدا غير ممثول به الا حنظلة بن الراهب فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة عمه رضي الله عنه وقد
مثل به. وروي فرآه مبقور البطن فقال اما والذي احلف به لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك
فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما اراده ولا خلاف في تحريم المثلة. وقد وردت الاخبار بالنهي عنها حتى بالكلب
العقور. الا ان يرجع الى الضمير في لهو الى صبرهم وهو مصدر صبرتم ويراد بالصابرين المخاطبون اي ولئن صبرتم
لصبركم خير لكم فوضع الصابرون موضع الضمير ثناء من الله عليهم بانهم صابرون على الشدائد او وصفهم
بالصفة التي تحصل لهم اذا صبروا عن المعاقبة. واما ان يرجع الى جنس الصبر وقد دل عليه صبرتم ويراد
بالصابرين جنسهم كانه قيل والصبر خير للصابرين. ونحوه قوله عز وجل فمن عفا واصلح فاجره على الله وان
تعفوا اقرب للتقوى. ثم قال لرسوله عليه السلام واصبر اثر تعميم عليه بالصبر وما صبرك
الا بالله اي بتوفيقه وتثبيته وربطه على قلبك ولا تحزن عليهم اي على الكافرين لقوله فلا تاس على القوم
الكافرين اي او على المؤمنين وما فعل بهم الكافرون ولا تك في ضيق ولا تك في ضيق اي ولا يضيقن
من مكرهم والضيق تخفيف الضيق اي في امر ضيق ويجوز ان يكون الضيق والضيق مصدرين كالقيل والقول
ان الله مع الذين اتقوا اي هو ولي الذين اجتنبوا المعاصي وولي الذين هم محسنون في اعمالهم. وعن هرم
ابن حيان انه قيل له حين احتضر اوص فقال انما الوصية من المال ولا مال لي واوصيكم بخواتيم سورة النحل.
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات
في يوم تلاها او ليلته كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية. سورة بني اسرائيل مكية وهي مائة وعشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك اظهاره تقديره اسبح الله سبحان ثم نزل سبحان
منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ من جميع القبائح التي يضيفها اليه اعداء الله. واسرى
وسرى لغتان. ليلا نصب على الظرف. فان قلت الاسراء لا يكون الا بالليل فما معنى ذكر الليل
قلت اراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسراء وانه اسري به في بعض الليل من مكة الى الشام
مسيرة اربعين ليلة وذلك ان التنكير فيه قد دل على معنى البعضية. ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة
من الليل اي بعض الليل كقوله ومن الليل فتهجد به يعني الامر بالقيام في بعض الليل. واختلف في المكان
الذي اسري منه فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبريل بالبراق. وقيل
اسري به من دار ام هانئ بنت ابي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به. وعن ابن
عباس الحرم كله مسجد. وروي انه كان نائما في بيت ام هانئ بعد صلاة العشاء فاسري به ورجع من ليلته وقص
القصة على ام هانئ وقال مثل لي النبيون فصليت بهم وقام ليخرج الى المسجد فتشبثت ام هانئ بثوبه
فقال ما لك قالت اخشى ان يكذبك قومك ان اخبرتهم قال وان كذبوني فخرج فجلس اليه ابو جهل
فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث الاسراء فقال ابو جهل يا معشر بني كعب بن لؤي هلم

فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى رجال الى
ابي بكر فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك فقال اني لاصدقه على ابعد من ذلك
فسمي الصديق. وفيهم من سافر الى ثم فاستنعتوه المسجد فجلي له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته
لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا
مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله
الشمس قد شرقت فقال آخر وهذه والله العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا وقالوا
ما هذا الا سحر مبين. وقد عرج به الى السماء في تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس واخبر قريشا
ايضا بما رأى في السماء من العجائب وانه لقي الانبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى. واختلفوا في وقت الاسراء
فقيل كان قبل الهجرة بسنة. وعن انس والحسن انه كان قبل البعث. واختلف في انه كان في اليقظة ام
في المنام. فعن عائشة رضي الله عنها انها قالت والله ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عرج
بروحه. وعن الحسن كان في المنام رؤيا رآها. واكثر الاقاويل بخلاف ذلك. المسجد الاقصى
بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد. باركنا حوله يريد بركات الدين والدنيا لانه متعبد الانبياء عليهم
السلام من وقت موسى عليه السلام ومهبط الوحي وهو محفوف بالانهار الجارية والاشجار المثمرة. وقرأ
الحسن ليريه بالياء. ولقد تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلم فقيل اسرى ثم باركنا ثم ليريه
على قراءة الحسن ثم من آياتنا ثم انه هو وهي طريقة الالتفات التي هي من طرق البلاغة. انه هو السميع لاقوال
محمد البصير بافعاله العالم بتهذيبها وخلوصها فيكرمه ويقربه على حسب ذلك. وكيلا
ربا تكلون اليه اموركم. ذرية من حملنا نصب على الاختصاص وقيل على النداء فيمن قرأ لا تتخذوا بالتاء على
النهي يعني قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا يا ذرية من حملنا مع نوح وقد يجعل وكيلا ذرية من حملنا
مفعولي تتخذوا اي لا تجعلوهم اربابا كقوله ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا. ومن ذرية
المحمولين مع نوح عليه السلام عيسى عليه السلام وعزير. وقرئ ذرية من حملنا بالرفع بدلا من واو تتخذوا
وقرأ زيد بن ثابت ذرية بكسر الذال. وروي عنه انه فسرها بولد الولد ذكرهم الله النعمة في انجاء آبائهم
من الغرق. انه ان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا قيل كان اذا اكل قال الحمد لله الذي اطعمني ولو
شاء اجاعني واذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني ولو شاء لاظمأني واذا اكتسى قال الحمد لله الذي
كساني ولو شاء اعراني واذا احتذى قال الحمد لله الذي حذاني ولو شاء احفاني واذا قضى حاجته قال
الحمد لله الذي اخرج عني اذاه في عافية ولو شاء حبسه. وروي انه اذا اراد الافطار عرض
طعامه على من آمن به فان وجده محتاجا آثره به. فان قلت قوله انه كان عبدا شكورا ما وجه ملائمته
لما قبله قلت كانه قيل لا تتخذوا من دوني وكيلا ولا تشركوا بي لان نوحا عليه السلام كان عبدا
شكورا وانتم ذرية من آمن به وحمل معه فاجعلوه اسوتكم كما جعله آباؤكم اسوتهم ويجوز ان يكون تعليلا لاختصاصهم
والثناء عليهم بانهم اولاد المحمولين مع نوح عليه السلام فهم متصلون به فاستأهلوا لذلك الاختصاص ويجوز
ان يقال ذلك عند ذكره على سبيل الاستطراد. وقضينا الى بني اسرائيل واوحينا اليهم وحيا
مقضيا اي مقطوعا مبتوتا بانهم يفسدون في الارض لا محالة ويعلون اي يتعظمون ويبغون

في الكتاب في التوراة ولتفسدن جواب قسم محذوف ويجوز ان يجري القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون
لتفسدن جوابا له كانه قال واقسمنا لتفسدن. وقرئ لتفسدن على البناء للمفعول ولتفسدن بفتح التاء من فسد.
مرتين اولاهما قتل زكريا عليه السلام وحبس ارمياء حين انذرهم سخط الله والآخرة قتل يحيى بن زكريا وقصد
قتل عيسى عليه السلام. عبادا لنا وقرئ عبيدا لنا واكثر ما يقال عباد الله وعبيد الناس سنجاريب
وجنوده وقيل بختنصر. وعن ابن عباس جالوت قتلوا علماءهم واحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا منهم
سبعين الفا. فان قلت كيف جاز ان يبعث الله الكفرة على ذلك ويسلطهم عليهم قلت معناه خلينا
بينهم وبين ما فعلوا ولم نمنعهم على ان الله عز وعلا اسند بعث الكفرة عليهم الى نفسه فهو كقوله وكذلك نولي
بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون. وكقول الداعي وخالف بين كلمتهم واسند الجوس وهو التردد خلال الديار
بالفساد اليهم فتخريب المسجد واحراق التوراة من جملة الجوس المسند اليهم. وقرأ طلحة فحاسوا بالحاء. وقرئ
فجوسوا وخلل الديار. فان قلت ما معنى وعد اولاهما قلت معناه وعد عقاب اولاهما. وكان
وعدا مفعولا يعني وكان وعد العقاب وعدا لا بد ان يفعل. ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة على
الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو. قيل هي قتل بختنصر واستنقاذ بني اسرائيل اسراهم
واموالهم ورجوع الملك اليهم. وقيل هي قتل داود جالوت. اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل
من قومه. وقيل جمع نفر كالعبيد والمعيز. اي الاحسان والاساءة كلاهما مختص بانفسكم لا يتعدى النفع والضرر
الى غيركم. وعن علي عليه السلام ما احسنت الى احد ولا اسأت اليه وتلاها. فاذا جاء وعد المرة الآخرة
بعثناهم ليسوءوا وجوهكم حذف لدلالة ذكره اولا عليه. ومعنى ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها بادية آثار المساءة
والكآبة فيها كقوله سيئت وجوه الذين كفروا. وقرئ ليسوء والضمير لله عز وجل او للوعد او للبعث ولنسوء بالنون
وفي قراءة علي عليه السلام لنسوءن ولنسوءن. وقرئ لنسوءن بالنون الخفيفة. واللام في ليدخلوا على هذا متعلق بمحذوف
وهو وبعثناهم ليدخلوا ولنسوءن جواب اذا جاء. ما علوا مفعول ليتبروا اي ليهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا
عليه او بمعنى مدة علوهم. عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الثانية ان تبتم توبة اخرى وانزجرتم عن المعاصي.
وان عدتم مرة ثالثة عدنا الى عقوبتكم وقد عادوا فاعاد الله اليهم النقمة بتسليط الاكاسرة وضرب الاتاوة
عليهم. وعن الحسن عادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون. وعن
قتادة ثم كان آخر ذلك ان بعث الله عليهم هذا الحي من العرب فهم منهم في عذاب الى يوم القيامة. حصيرا
محبسا يقال للسجن محصر وحصير. وعن الحسن بساطا كما يبسط الحصير المرمول. للتي هي اقوم للحالة التي هي اقوم
الحالات واسدها او للملة او للطريقة. واينما قدرت لم تجد مع الاثبات ذوق البلاغة الذي تجده مع الحذف لما في
ابهام الموصوف بحذفه من فخامة تفقد مع ايضاحه. وقرئ ويبشر بالتخفيف. فان قلت كيف ذكر
المؤمنين الابرار والكفار ولم يذكر الفسقة قلت كان الناس حينئذ اما مؤمن تقي واما مشرك وانما
حدث اصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك. فان قلت علام عطف وان الذين لا يؤمنون قلت على
ان لهم اجرا كبيرا على معنى انه بشر المؤمنين ببشارتين بثوابهم وبعقاب اعدائهم. ويجوز ان يراد ويخبر
بان الذين لا يؤمنون معذبون. اي ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله كما يدعوه لهم بالخير
كقوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير. وكان الانسان عجولا يتسرع الى طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر

بباله لا يتأنى فيه تأني المتبصر. وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه دفع الى سودة بنت زمعة اسيرا فاقبل يئن بالليل
فقالت له ما لك تئن فشكا الم القد فارخت من كتافه فلما نامت اخرج يده وهرب فلما اصبح النبي صلى الله عليه وسلم دعا
به فاعلم بشأنه فقال عليه السلام اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها تتوقع الاجابة وان يقطع الله يديها فقال
النبي صلى الله عليه وسلم اني سألت الله ان يجعل لعنتي ودعائي على من لا يستحق من اهلي رحمة لاني بشر اغضب كما يغضب
البشر فلترد سودة يديها. او رفعت سودة يديها للاجابة. ويجوز ان يريد بالانسان الكافر وانه يدعو بالعذاب استهزاء
ويستعجل به كما يدعو بالخير اذا مسته الشدة. وكان الانسان عجولا يعني ان العذاب آت لا محالة فما هذا الاستعجال.
وعن ابن عباس هو النضر بن الحارث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فاجيب له فضربت عنقه صبرا.
فيه وجهان احدهما ان يراد ان الليل والنهار آيتان في انفسهما فتكون الاضافة في آية الليل وآية النهار للتبيين
كاضافة العدد الى المعدود اي فمحونا الآية التي هي الليل وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة. والثاني ان يراد وجعلنا
نيري الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر فمحونا آية الليل اي جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسه مظلما لا يستبان
فيه شيء كما لا يستبان ما في اللوح الممحو وجعلنا النهار مبصرا اي تبصر فيه الاشياء وتستبان. او فمحونا آية الليل التي هي القمر
حيث لم يخلق له شعاعا كشعاع الشمس فترى به الاشياء رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شيء. لتبتغوا
فضلا من ربكم لتتوصلوا ببياض النهار الى استبانة اعمالكم والتصرف في معايشكم. ولتعلموا باختلاف الجديدين
عدد السنين وجنس الحساب وما تحتاجون اليه منه ولولا ذلك لما علم احد حسبان الاوقات ولتعطلت الامور.
وكل شيء مما تفتقرون اليه في دينكم ودنياكم فصلناه بيناه بيانا غير ملتبس فازحنا عللكم وما تركنا لكم
حجة علينا. طائره عمله وقد حققنا القول فيه في سورة النمل. وعن ابن عيينة هو من قولك طار له سهم
اذا خرج يعني الزمناه ما طار من عمله. والمعنى ان عمله لازم له لزوم القلادة او الغل لا يفك عنه. ومنه
مثل العرب تقلدها طوق الحمامة. وقولهم الموت في الرقاب وهذا ربقة في رقبته. وعن الحسن رحمه
الله يا ابن آدم بسطت لك صحيفة اذا بعثت قلدتها في عنقك. وقرئ في عنقه بسكون النون. وقرئ يخرج بالياء
ويخرج بالياء والضمير لله عز وجل ويخرج على البناء للمفعول ويخرج من خرج والضمير للطائر اي يخرج الطائر كتابا
وانتصاب كتابا على الحال. وقرئ يلقاه بالتشديد مبنيا للمفعول. يلقاه منشورا صفتان للكتاب او يلقاه
صفة ومنشورا حال من يلقاه. اقرأ على ارادة القول. عن قتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئا. ونفسك
فاعل كفى وحسيبا تمييز وهو بمعنى حاسب كضريب القداح بمعنى ضاربها وصريم بمعنى صارم ذكرهما سيبويه. وعلى
متعلق به من قولك حسب عليه كذا. ويجوز ان يكون بمعنى الكافي ووضع موضع الشهيد فعدي بعلى لان الشاهد يكفي
المدعي ما اهمه. فان قلت لم ذكر حسيبا قلت لانه بمنزلة الشهيد والقاضي والامير لان الغالب ان
هذه الامور يتولاها الرجال فكانه قيل كفى بنفسك رجلا حسيبا. ويجوز ان يتأول النفس بالشخص كما يقال
ثلاثة انفس. وكان الحسن اذا قرأها قال يا ابن آدم انصفك والله من جعلك حسيب نفسك. اي كل نفس حاملة وزرا
فانما تحمل وزرها لا وزر نفس اخرى. وما كنا معذبين وما صح منا صحة تدعو اليها الحكمة ان نعذب قوما الا
بعد ان نبعث اليهم رسولا فتلزمهم الحجة. فان قلت الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسول لان معهم ادلة العقل التي بها يعرف الله
وقد اغفلوا النظر وهم متمكنون منه واستيجابهم العذاب لاغفالهم النظر فيما معهم وكفرهم لذلك لا لاغفال
الشرائع التي لا سبيل اليها الا بالتوقيف والعمل بها لا يصح الا بعد الايمان. قلت بعثة الرسول من

جملة التنبيه على النظر والايقاظ من رقدة الغفلة لئلا يقولوا انا كنا غافلين فلولا بعثت الينا رسولا ينبهنا على النظر في
ادلة العقل وإذا أردنا وإذا دنا وقت اهلاك قوم ولم يبق من زمان امهالهم الا قليل امرناهم ففسقوا اي امرناهم
بالفسق ففعلوا والامر مجاز لان حقيقة امرهم بالفسق ان يقول لهم افسقوا وهذا لا يكون فبقي ان يكون مجازا ووجه
المجاز انه صب عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة الى المعاصي واتباع الشهوات فكانهم مامورون بذلك لتسبب ايلاء
النعمة فيه وانما خولهم اياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا من الاحسان والبر كما خلقهم اصحاء اقوياء واقدرهم
على الخير والشر وطلب منهم ايثار الطاعة على المعصية فآثروا الفسوق فلما فسقوا حق عليهم القول وهو كلمة العذاب فدمرهم
فان قلت هلا زعمت ان معناه امرناهم بالطاعة ففسقوا قلت لان حذف ما لا دليل عليه غير جائز
فكيف حذف ما الدليل قائم على نقيضه وذلك ان المامور به انما حذف لان ففسقوا يدل عليه وهو كلام مستفيض يقال
امرته فقام وامرته فقرأ لا يفهم منه الا ان المامور به قيام او قراءة ولو ذهبت تقدر غيره فقد رمت من مخاطبك
علم الغيب ولا يلزم هذا قولهم امرته فعصاني او فلم يمتثل امري لان ذلك مناف للامر مناقض له ولا يكون ما يناقض
الامر مامورا به فكان محالا ان يقصد اصلا حتى يجعل على المامور به فكان المامور به في هذا الكلام غير مدلول
عليه ولا منوي لان من يتكلم بهذا الكلام فانه لا ينوي لامره مامورا به وكانه يقول كان مني امر فلم تكن منه طاعة كما ان
من يقول فلان يعطي ويمنع ويامر وينهى غير قاصد الى مفعول فان قلت هلا كان ثبوت العلم بان الله لا يامر
بالفحشاء وانما يامر بالقسط والخير دليلا على ان المراد امرناهم بالخير ففسقوا قلت لا يصح ذلك لان قوله
ففسقوا يدافعه فكانك اظهرت شيئا وانت تدعي اضمار خلافه فكان صرف الامر الى المجاز هو الوجه ونظير امر شاء في
ان مفعوله استفاض فيه الحذف لدلالة ما بعده عليه تقول لو شاء لاحسن اليك ولو شاء لاساء اليك تريد لو شاء الاحسان
ولو شاء الاساءة فلو ذهبت تضمر خلاف ما اظهرت وقلت قد دلت حال من اسندت اليه المشيئة انه من اهل
الاحسان او من اهل الاساءة فاترك الظاهر المنطوق به واضمر ما دلت عليه حال صاحب المشيئة لم تكن على سداد
وقد فسر بعضهم امرنا بكثرنا وجعل امرته فامر من باب فعلته ففعل كثبرته فثبر وفي الحديث خير المال سكة
مابورة ومهرة مامورة اي كثيرة النتاج . وروي ان رجلا من المشركين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني
ارى امرك هذا حقيرا فقال عليه السلام انه سيامر اي سيكثر ويكبر . وقرئ امرنا من امر وامره غيره وامرنا
بمعنى امرنا او من امر امارة وامره الله اي جعلناهم امراء وسلطناهم . كم مفعول أهلكنا ومن القرون
بيان لكم وتمييز له كما يميز العدد بالجنس يعني عادا وثمود وقرونا بين ذلك كثيرا . ونبه بقوله وكفى
بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا على ان الذنوب هي اسباب الهلكة لا غير وانه عالم بها فمعاقب عليها .
من كانت العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة والفسقة تفضلنا عليه من منافعها بما نشاء لمن نريد فقيد الامر
تقييدين احدهما تقييد المعجل بمشيئته والثاني تقييد المعجل له بارادته وهكذا الحال ترى كثيرا من هؤلاء
يتمنون ما يتمنون ولا يعطون الا بعضا منه وكثيرا منهم يتمنون ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع عليهم فقر
الدنيا وفقر الاخرة . واما المؤمن التقي فقد اختار مراده وهو غنى الاخرة فما يبالي اوتي حظا من الدنيا ام
لم يؤت فان اوتي فبها والا فربما كان الفقر خيرا له واعود على مراده . وقوله لمن نريد بدل من له بدل البعض من الكل
لان الضمير يرجع الى من وهو في معنى الكثرة . وقرئ ما يشاء وقيل الضمير لله عز وجل فلا فرق اذن بين القراءتين
في المعنى ويجوز ان يكون للعبد على ان للعبد ما يشاء من الدنيا وان ذلك لواحد من الدهماء يريد به الله ذلك وقيل
هو

هو من يريد الدنيا بعمل الاخرة كالمنافق والمرائي والمهاجر للدنيا والمجاهد للغنيمة والذكر كما قال
عليه السلام فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها او امراة يتزوجها
فهجرته الى ما هاجر اليه مدحورا من رحمة الله تعالى سعيها حقها من السعي وكفاها من الاعمال الصالحة
اشترط ثلاث شرائط في كون السعي مشكورا ارادة الاخرة بان يعقد بها همه ويتجافى عن دار الغرور والسعي فيما
كلف من الفعل والترك والايمان الصحيح الثابت . وعن بعض المتقدمين من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله
ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الاية وشكر الله الثواب على الطاعة كلا كل واحد من الفريقين
والتنوين عوض من المضاف اليه نمد هؤلاء نزيدهم من عطائنا ونجعل الانف منه مددا للسالف لا نقطعه
فنرزق المطيع والعاصي جميعا على وجه التفضل وما كان عطاء ربك وفضله محظورا ممنوعا لا
يمنعه من عاص لعصيانه انظر بعين الاعتبار كيف جعلناهم متفاوتين في التفضل وفي الاخرة التفاوت اكبر لانها ثواب
واعواض وكلها متفاوتة . وروي ان قوما من الاشراف فمن دونهم اجتمعوا بباب عمر رضي الله عنه فخرج الاذن
لبلال وصهيب فشق على ابي سفيان فقال سهيل بن عمرو انما اتينا من قبلنا انهم دعوا ودعينا يعني الى الاسلام فا
سرعوا وابطانا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الاخرة ولئن حسدتموهم على باب عمر لما اعد الله لهم في
الجنة اكثر . وقرئ واكثر تفضيلا . وعن بعضهم ايها المباهي بالرفع منك في مجالس الدنيا اما ترغب
في المباهاة بالرفع في مجالس الاخرة وهي اكبر وافضل . فتقعد من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها
حربة بمعنى صارت يعني فتصير جامعا على نفسك الذم وما يتبعه من الهلاك من الهك والخذلان والعجز عن
النصرة ممن جعلته شريكا له وقضى ربك وامر امرا مقطوعا به ألا تعبدوا ان مفسرة ولا تعبدوا نهي او
بان لا تعبدوا وبالوالدين احسانا واحسنوا بالوالدين احسانا او بان تحسنوا بالوالدين احسانا وقرئ واوصى
وعن ابن عباس ووصى . وعن بعض ولد معاذ بن جبل وقضاء ربك ولا يجوز ان يتعلق الباء في بالوالدين بالاحسان
لان المصدر لا يتقدم عليه صلته إما هي ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا لها ولذلك دخلت النون المؤكدة
في الفعل ولو افردت ان لم يصح دخولها لا تقول ان تكرمن زيدا يكرمك ولكن اما تكرمنه واحدهما فا
عل يبلغن وهو فيمن قرأ يبلغان بدل من الف الضمير الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا
وبدلا فان قلت لو قيل اما يبلغان كلاهما كان كلاهما توكيدا لا بدلا فما لك زعمت انه بدل قلت
لانه معطوف على ما لا يصح ان يكون توكيدا للاثنين فانتظم في حكمه فوجب ان يكون مثله فان قلت
ما ضرك لو جعلته توكيدا مع كون المعطوف عليه بدلا وعطفت التوكيد على البدل قلت لو اريد
توكيد التثنية لقيل كلاهما فحسب فلما قيل احدهما او كلاهما علم ان التوكيد غير مراد فكان بدلا مثل
الاول أف صوت يدل على تضجر وقرئ اف بالحركات الثلاث منونا وغير منون الكسر على اصل البناء والفتح
تخفيف للضمة والتشديد كثم والضم اتباع كمنذ فان قلت ما معنى عندك قلت هو ان
يكبرا ويعجزا وكانا كلا على ولدهما لا كافل لهما غيره فهما عنده في بيته وكنفه وذلك اشق عليه واشد
احتمالا وصبرا وربما تولى منهما ما كانا يتوليان منه في حال الطفولة فهو مامور بان يستعمل معهما وطأة
الخلق ولين الجانب والاحتمال حتى لا يقول لهما اذا اضجره ما يستقذر منهما او يستثقل من مؤنهما اف
فضلا عما يزيد عليه ولقد بالغ سبحانه في التوصية بهما حيث افتتحها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده

ونظمهما في سلك القضاء بهما معا ثم ضيق الامر في مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى كلمة تنفلت من المتضجر
مع موجبات الضجر ومقتضياته ومع احوال لا يكاد يدخل صبر الانسان معها في الاستطاعة . ولا تنهرهما
ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك والنهي والنهر والنهم اخوات وقل لهما بدل التافيف والنهر
قولا كريما جميلا كما يقتضيه حسن الادب والنزول على المروءة وقيل هو ان يقول يا ابتاه يا اماه كما قال ابراهيم
عليه السلام لابيه يا ابت مع كفره ولا يدعوهما باسمائهما فانه من الجفاء وسوء الادب وعادة الدعار قالوا
ولا باس به في غير وجهه كما قالت عائشة رضي الله عنها نحلني ابو بكر كذا . وقرئ جناح الذل والذل بالضم
والكسر فان قلت ما معنى قوله جناح الذل قلت فيه وجهان احدهما ان يكون المعنى واخفض
لهما جناحك كما قال واخفض جناحك للمؤمنين فاضافه الى الذل او الذل كما اضيف حاتم الى الجود على معنى
واخفض لهما جناحك الذليل او الذلول والثاني ان يجعل لذله او لذله لهما جناحا خفيضا كما جعل لبيد
للشمال يدا وللقرة زماما مبالغة في التذلل والتواضع لهما من الرحمة من فرط رحمتك لهما وعطفك
عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم الى من كان افقر خلق الله اليهما بالامس ولا تكتف برحمتك عليهما التي لا بقاء لها
وادع الله ان يرحمهما رحمته الباقية واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك في صغرك وتربيتهما لك فان قلت الاسترحام
لهما انما يجوز اذا كانا مسلمين قلت واذا كانا كافرين فله ان يسترحم لهما بشرط الايمان وان يدعو الله تعالى لهما
بالهداية والارشاد . ومن الناس من قال كان الدعاء للكفار جائزا ثم نسخ . وسئل ابن عيينة عن الصدقة عن الميت
فقال كل ذلك واصل اليه ولا شيء انفع له من الاستغفار ولو كان شيء افضل منه لامركم به في الابوين ولقد
كرر الله سبحانه في كتابه الوصية بالوالدين . وعن النبي صلى الله عليه وسلم رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في
سخطهما . وروي يفعل البار ما شاء ان يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما شاء ان يفعل فلن يدخل الجنة .
وروى سعيد بن المسيب ان البار لا يموت ميتة سوء . وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا
من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك
وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما . وشكا رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اباه وانه ياخذ ماله فدعا به
فاذا شيخ يتوكا على عصا فسأله فقال انه كان ضعيفا وانا قوي وفقيرا وانا غني فكنت لا امنعه شيئا من مالي واليوم
انا ضعيف وهو قوي وانا فقير وهو غني ويبخل علي بماله فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما من حجر ولا مدر يسمع هذا الا بكى
ثم قال انت ومالك لابيك انت ومالك لابيك . وشكا اليه آخر سوء خلق امه فقال لم تكن سيئة الخلق حين حملتك
تسعة اشهر قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين ارضعتك حولين قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك
حين اسهرت لك ليلها واظمات نهارها قال لقد جازيتها قال ما فعلت قال حججت بها على عاتقي قال ما جزيتها ولو
طلقة . وعن عمر انه رأى رجلا في الطواف يحمل امه ويقول

اني لها مطية لا تذعر … اذا الركاب نفرت لا تنفر
ما حملت وارضعتني اكثر … الله ربي ذو الجلال الاكبر
تظنني جزيتها يا ابن عمر

قال لا ولو زفرة واحدة . وعنه عليه السلام اياكم وعقوق الوالدين فان الجنة يوجد ريحها من مسيرة الف عام ولا
يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء ان الكبرياء لله رب العالمين . وقال
الفقهاء لا يذهب بابيه الى البيعة واذا بعث اليه منها ليحمله فعل ولا يناوله الخمر ويأخذ الاناء منه اذا شربها .
وعن ابي يوسف اذا امره ان يوقد تحت قدره وفيها لحم الخنزير اوقد

وعن حذيفة انه استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل ابيه وهو في صف المشركين فقال دعه يله غيرك . وسئل الفضيل
ابن عياض عن بر الوالدين فقال ان لا تقوم الى خدمتهما عن كسل . وسئل بعضهم فقال ان لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر
شزرا اليهما ولا يريا منك مخالفة في ظاهر ولا باطن وان تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما اذا ماتا وتقوم بخدمة اودائهما
من بعدهما فعن النبي صلى الله عليه وسلم ان من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه . بما في نفوسكم بما في ضمائركم
من قصد البر الى الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير ان تكونوا صالحين قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم
في حال الغضب وعند حرج الصدر وما لا يخلو منه البشر او لحمية الاسلام هنة تؤدي الى اذاهما ثم انبتم الى الله
واستغفرتم منها فانه كان للاوابين غفورا للتوابين . وعن سعيد بن جبير هي في البادرة تكون في الرجل الى ابيه لا
يريد بذلك الا الخير . وعن سعيد بن المسيب الاواب الرجل كلما اذنب بادر بالتوبة ويجوز ان يكون هذا عاما لكل
من فرطت منه جناية ثم تاب منها ويندرج تحته الجاني على ابويه التائب من جنايته لوروده على اثره . وآت ذا القربى
حقه وصى بغير الوالدين من الاقارب بعد التوصية بهما وان يؤتوا حقهم وحقهم اذا كانوا محارم كالابوين
والولد وفقراء عاجزين عن الكسب وكان الرجل موسرا ان ينفق عليهم عند ابي حنيفة . والشافعي لا يرى النفقة الا على الولد
والوالدين فحسب وان كانوا مياسير او لم يكونوا محارم كابناء العم فحقهم صلتهم بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة
على السراء والضراء والمعاضدة ونحو ذلك والمسكين وابن السبيل يعني وآت هذين حقهما من الزكاة وهذا دليل
على ان المراد بما يؤتى ذوي القربى من الحق هو تعهدهم بالمال وقيل اراد بذي القربى اقارب رسول الله صلى الله عليه
وسلم التبذير تفريق المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف وكانت الجاهلية تنحر ابلها وتتياسر عليها وتبذر اموالها
في الفخر والسمعة وتذكر ذلك في اشعارها فامر الله بالنفقة في وجوهها مما يقرب منه ويزلف . وعن عبد الله هو
انفاق المال في غير حقه . وعن مجاهد لو انفق مدا في باطل كان تبذيرا . وقد انفق بعضهم نفقة في خير فاكثر فقال
له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير . وعن عبد الله بن عمر مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسعد
وهو يتوضا فقال ما هذا السرف يا سعد فقال او في الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار اخوان
الشياطين امثالهم في الشرارة وهي غاية المذمة لانه لا شر من الشيطان او هم اخوانهم واصدقاؤهم لانهم
يطيعونهم فيما يامرونهم به من الاسراف او هم قرناؤهم في النار على سبيل الوعيد وكان الشيطان لربه كفورا
فما ينبغي ان يطاع فانه لا يدعو الا الى مثل فعله . وقرأ الحسن اخوان الشيطان وإما تعرضن عنهم عن ذي القربى والمسكين
وابن السبيل حياء من الرد فقل لهم قولا ميسورا ولا تتركهم غير مجابين اذا سألوك . وكان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا سئل شيئا وليس عنده اعرض عن السائل وسكت حياء . وقوله ابتغاء رحمة من ربك اما ان يتعلق بجواب الشرط
مقدما عليه اي فقل لهم قولا سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا رحمة لهم وتطييبا لقلوبهم ابتغاء رحمة من ربك
اي ابتغ رحمة الله التي ترجوها برحمتك عليهم . واما ان يتعلق بالشرط اي وان اعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجوا
ان يفتح لك فسمى الرزق رحمة فردهم ردا جميلا . فوضع الابتغاء موضع الفقد لان فاقد الرزق مبتغ له
فكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء مسببا عنه فوضع المسبب موضع السبب ويجوز ان يكون معنى وإما تعرضن
عنهم وان لم تنفعهم ولم ترفع خصاصتهم لعدم الاستطاعة ولا تريد الاعراض بالوجه كنى بالاعراض عن
ذلك لان من ابى ان يعطي اعرض بوجهه يقال يسر الامر وعسر مثل سعد الرجل ونحس فهو مفعول وقيل
معناه فقل لهم رزقنا الله واياكم من فضله على انه دعاء لهم ييسر عليهم فقرهم كان معناه قولا ذا ميسور

وهو النهي ان دعا في يسر هذا تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المسرف امر بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف والتقتير
فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله لان المسرف غير مرضي عنده وعند الناس يقول المحتاج اعطى فلانا وحرمني
ويقول المستغني ما يحسن تدبير امر المعيشة وعند نفسك اذا احتجت فندمت على ما فعلت محسورا منقطعا بك لا شيء عندك
من حسره السفر اذا بلغ منه وحسره بالمسألة وعن جابر بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك
درعا فقال من ساعة الى ساعة يظهر فعد الينا فذهب الى امه فقالت له قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل
داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا فلم يخرج الى الصلاة وقيل اعطى الاقرع بن حابس مائة
من الابل وعيينة بن حصن فجاء عباس بن مرداس وانشأ يقول اتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والاقرع
وما كان حصن ولا حابس يفوقان جدي في مجمع وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع
فقال يا ابا بكر اقطع لسانه عني اعطه مائة من الابل فنزلت ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يرهقه من الاضاقة
بان ذلك ليس لهوان منك عليه ولا لبخل به عليك ولكن لان مشيئته في بسط الارزاق وقدرها تابعة للحكمة و
المصلحة ويجوز ان يريد ان البسط والقبض انما هما من امر الله الذي الخزائن في يده فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا
فيه يحمل انه عز وعلا يبسط لعباده او يقبض فانه يراعي اوسط الحالين لا يبلغ بالمبسوط له غاية مراده ولا بالمقبوض
عليه اقصى مكروهه فاستنوا بسنته قتلهم اولادهم هو وادهم بناتهم كانوا يئدونهن خشية الفاقة وهو الاملاق
فنهاهم الله وضمن لهم ارزاقهم وقرئ خشية بكسر الخاء وقرئ خطأ وهو الاثم يقال خطئ خطأ كاثم اثما وخطأ
وهو ضد الصواب اسم من اخطأ وقيل هو الخطأ كالحذر والحذر وخطأ بالكسر والمد وخطأ بالفتح والمد
وخطأ بالفتح والسكون وعن الحسن خطا بالفتح وحذف الهمزة كالخب وعن ابي رجاء بكسر الخاء غير مهموز
فاحشة قبيحة زائدة على حد القبح وساء سبيلا وبئس طريقا وهو ان تغصب على غيرك امرأته او اخته
او بنته من غير سبب والسبب ممكن وهو الصهر الذي شرعه الله الا بالحق الا باحدى ثلاث الا بان يكفر او يقتل مؤمنا
عمدا او يزني بعد احصان مظلوما غير راكب واحدة منهن لوليه للذي بينه وبينه قرابة توجب المطالبة
بدمه فان لم يكن له ولي فالسلطان وليه سلطانا تسلطا على القاتل في الاقتصاص منه او حجة يثبت بها عليه
فلا يسرف الضمير للولي اي فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية كان اذا قتل منهم
واحد قتلوا به جماعة حتى قال مهلهل حين قتل بجير بن الحارث بن عباد بؤ بشسع نعل كليب وقال
كل قتيل في كليب غرة حتى ينال القتل آل مرة وكانوا يقتلون غير القاتل اذا لم يكن بواء وقيل الاسراف
المثلة وقرأ ابو مسلم صاحب الدولة فلا يسرف بالرفع على انه خبر في معنى الامر وفيه مبالغة ليست في الامر
وعن مجاهد ان الضمير للقاتل الاول وقرئ فلا تسرف على خطاب الولي او القاتل المظلوم في قراءة ابي فلا تسرفوا
رده على ولا تقتلوا انه كان منصورا الضمير اما للولي يعني حسبه ان الله قد نصره بان اوجب له القصاص فلا يستزد
على ذلك وبان الله نصره بمعونة السلطان وباظهار المؤمنين على استيفاء الحق فلا يبغ ما وراء حقه واما للمظلوم
لان الله ناصره حيث اوجب القصاص بقتله وينصره في الآخرة بالثواب واما للذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في
قتله فانه منصور بايجاب القصاص على المسرف بالتي هي احسن بالخصلة او الطريقة التي هي احسن وهي حفظه
عليه وتثميره ان العهد كان مسؤولا اي مطلوبا يطلب من العاهد ان لا يضيعه ويفي به ويجوز ان يكون تخييلا
كانه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفي بك تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت ويجوز ان يراد ان صاحب

العهد

العهد كان مسؤولا عنه بالقسطاس بالضم والكسر وهو القرسطون وقيل كل ميزان صغر او كبر من
موازين الدراهم وغيرها واحسن تأويلا واحسن عاقبة وهو تفعيل من آل اذا رجع وهو ما يؤول اليه
ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا تقف يقال قفا اثره وقافه ومنه القافة يعني ولا تكن في اتباعك ما لا
علم لك به من قول او فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري انه يوصله الى مقصده فهو ضال والمراد النهي عن ان يقول
الرجل ما لا يعلم وان يعمل بما لا يعلم ويدخل فيه النهي عن التقليد دخولا ظاهرا لانه اتباع لما لا يعلم صحته من فساده وعن ابن الحنفية
شهادة الزور وعن الحسن لا تقف اخاك المسلم اذا مر بك فتقول هذا يفعل كذا ورأيته يفعل وسمعته
ولم تر ولم تسمع وقيل القفو شبيه بالعضيهة ومنه الحديث من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله
في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج وانشد ومثل الدمى شم العرانين ساكن بهن الحياء لا يشعن التقافيا
وقد استدل به مبطل الاجتهاد ولم يصح لان ذلك نوع من العلم فقد اقام الشرع غالب الظن مقام العلم وامر
بالعمل به اولئك اشارة الى السمع والبصر والفؤاد لقوله والعيش بعد اولئك الايام وعنه في موضع الرفع بالفاعلية
اي كل واحد منها كان مسؤولا عنه فمسؤول مسند الى الجار والمجرور كالمغضوب في قوله غير المغضوب عليهم
يقال للانسان لم سمعت ما لم يحل لك سماعه ولم نظرت الى ما لم يحل لك النظر اليه ولم عزمت على ما لم يحل لك
العزم عليه وقرئ والفواد بفتح الفاء والواو قلبت الهمزة واوا بعد الضمة في الفؤاد ثم استصحب القلب مع
الفتح مرحا حال اي ذا مرح وقرئ مرحا وفضل الاخفش المصدر على اسم الفاعل لما فيه من التأكيد
لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطأتك وقرئ لن تخرق بضم الراء ولن تبلغ الجبال
طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال وقرئ سيئة وسيئه على اضافة سيء الى ضمير كل وسيئا في بعض المصاحف
وسيئات وفي قراءة الصديق رضي الله عنه كان شانه فان قلت كيف قيل سيئة مع قوله مكروها
قلت السيئة في حكم الاسماء بمنزلة الذنب والاثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتأنيثه ولا
فرق بين من قرأ سيئة وسيئا الا ترى انك تقول الزنا سيئة كما تقول السرقة سيئة فلا تفرق بين اسنادها
الى مذكر ومؤنث فان قلت فما ذكر من الخصال بعضها حسن ولذلك قرأ من قرأ سيئه بالاضافة فما
وجه من قرأ سيئة قلت كل ذلك احاطة بما نهي عنه خاصة لا بجميع الخصال المعدودة ذلك
اشارة الى ما تقدم من قوله لا تجعل مع الله الها آخر الى هذه الغاية وسماه حكمة لانه كلام محكم لا مدخل
للفساد فيه بوجه وعن ابن عباس رضي الله عنه هذه الثماني عشرة آية كانت في الواح موسى عليه السلام
اولها لا تجعل مع الله الها آخر قال الله تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وهي عشر آيات
في التوراة ولقد جعل الله عز وجل فاتحتها وخاتمتها النهي عن الشرك لان التوحيد هو راس كل حكمة
وملاكها ومن عدمه لم تنفعه حكمه وعلومه وان بذ فيها الحكماء وحك بيافوخه السماء وما اغنت عن الفلاسفة
اسفار الحكم وهم عن دين الله اضل من النعم افأصفاكم خطاب للذين قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار
يعني افخصكم على وجه الخلوص والصفاء بافضل الاولاد وهم البنون لم يجعل فيهم نصيبا لنفسه واتخذ ادونهم
وهي البنات وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم فان العبيد لا يؤثرون باجود الاشياء و
واصفاها من الشوب ويكون اردؤها وادونها للسادات انكم لتقولون قولا عظيما باضافتكم اليه الاولاد
وهي خاصة بالاجسام ثم بانكم تفضلون عليه انفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون ثم تجعلون الملائكة وهم

أعلى خلق الله وأشرفهم أدون خلق الله وهم الإناث ولقد صرفنا في هذا القرآن يجوز أن يريد بهذا
القرآن إبطال إضافتهم إلى الله البنات لأنه مما صرفه وكرر ذكره والمعنى ولقد صرفنا القول في هذا المعنى
أو أوقعنا التصريف فيه وجعلناه مكانا للتكرير ويجوز أن يشير بهذا القرآن إلى التنزيل ويريد ولقد
صرفناه يعني هذا المعنى في مواضع من التنزيل فترك الضمير لأنه معلوم وقرئ صرفنا بالتخفيف وكذلك
ليذكروا وقرئ ليذكروا مشددا ومخففا أي كررناه ليتعظوا ويعتبروا ويطمئنوا إلى ما يحتج به وما يزيدهم إلا نفورا عن
الحق وقلة طمأنينة إليه. وعن سفيان كان إذا قرأها قال زادني لك خضوعا ما زاد أعداءك نفورا. وقرئ كما تقولون
بالتاء والياء وإذن دالة على أن ما بعدها وهو لابتغوا جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو ومعنى لابتغوا إلى ذي
العرش سبيلا لطلبوا إلى من له الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض كقوله لو كان فيهما
آلهة إلا الله لفسدتا. وقيل لتقربوا إليه كقوله الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة علوا في معنى
تعاليا والمراد البراءة عن ذلك والنزاهة ومعنى وصف العلو بالكبر المبالغة في معنى البراءة والبعد مما وصفوه
به. والمراد أنها تسبح له بلسان الحال حيث تدل على الصانع وعلى قدرته وحكمته فكأنها تنطق بذلك وكأنها
تنزه الله تعالى مما لا يجوز عليه من الشركاء وغيرها فإن قلت فما تصنع بقوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم
وهذا التسبيح مفقوه معلوم قلت الخطاب للمشركين وإنهم وإن كانوا إذا سئلوا عن خالق السماوات والأرض قالوا الله
إلا أنهم لما جعلوا معه آلهة مع إقرارهم فكأنهم لم ينظروا ولم يقروا لأن نتيجة النظر الصحيح والإقرار الثابت
خلاف ما كانوا عليه فإذا لم يفقهوا التسبيح ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق فإن قلت من فيهن يسبحون
على الحقيقة وهم الملائكة والثقلان وقد عطفوا على السماوات والأرض فما وجهه قلت التسبيح المجازي
حاصل في الجميع فوجب الحمل عليه وإلا كانت الكلمة الواحدة محمولة على الحقيقة والمجاز إنه كان حليما غفورا
حين لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء نظركم وجهلكم بالتسبيح وشرككم حجابا مستورا ذا ستر
كقولهم سيل مفعم ذو إفعام وقيل هو حجاب لا يرى فهو مستور ويجوز أن يراد أنه حجاب من دونه حجاب
أو حجب فهو مستور بغيره أو حجاب يستر أن يبصر المحتجب به وهذه حكاية لما كانوا يقولونه وقالوا قلوبنا في أكنة مما
تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كأنه قال وإذا قرأت القرآن جعلنا على قلوبهم أن يفقهوه
كراهة أن يفقهوه أو لأن قوله وجعلنا على قلوبهم أكنة فيه معنى المنع من الفقه فكأنه قيل ومنعناهم
أن يفقهوه يقال وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد يعد وعدا وعدة ووحده من باب رجع عوده على بدئه
وافعله جهدك وطاقتك في أنه مصدر ساد مسد الحال أصله يحد وحده بمعنى واحدا وحده والنفور مصدر
بمعنى التولية أو جمع نافر كقاعد وقعود أي يحبون أن تذكر معه آلهتهم لأنهم مشركون وإذا سمعوا بالتوحيد
نفروا بما يستمعون به من الهزء بك وبالقرآن ومن اللغو كان يقوم عن يمينه إذا قرأ رجلان من عبد الدار
ورجلان منهم عن يساره فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالأشعار وبه في موضع الحال كما تقول يستمعون
بالهزء أي هازئين وإذ يستمعون نصب بأعلم أي أعلم وقت استماعهم بما به يستمعون وإذ هم نجوى وبما
يتناجون به إذ هم ذوو نجوى إذ يقول بدل من إذ هم مسحورا سحر فجن وقيل هو من السحر وهو الرئة
أي هو بشر مثلكم ضربوا لك الأمثال مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون فضلوا في جميع ذلك ضلال من
يطلب في التيه طريقا يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير في أمره لا يدري ما يصنع لما قالوا أئذا كنا عظاما قيل

لهم كونوا حجارة أو حديدا فرد قوله كونوا على قولهم كأنه قيل كونوا حجارة أو حديدا فرد قوله ولا
تكونوا عظاما فإنه يقدر على إحيائكم والمعنى أنكم تستبعدون أن يجدد الله خلقكم ويرده إلى حال الحياة وإلى
رطوبة الحي وغضاضته بعد ما كنتم عظاما يابسة مع أن العظام بعض أجزاء الحي بل هو عمود خلقه الذي يبنى عليه
سائره فليس ببدع أن يردها الله بقدرته إلى الحالة الأولى ولكن لو كنتم أبعد شيء من الحياة ورطوبة الحي ومن جنس ما
ركب منه البشر وهو أن تكونوا حجارة يابسة أو حديدا مع أن طباعها الجساوة والصلابة لكان قادرا على أن يردكم
إلى حال الحياة أو خلقا مما يكبر في صدوركم يعني أو خلقا مما يكبر عندكم عن قبول الحياة ويعظم في زعمكم على
الخالق إحياؤه فإنه يحييه وقيل ما يكبر في صدورهم الموت وقيل السماوات والأرض فسينغضون
فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء أو الدعاء والاستجابة كلاهما مجاز والمعنى يوم يبعثكم فتنبعثون مطاوعين منقادين
لا تمتنعون وقوله بحمده حال منهم أي حامدين وهي مبالغة في انقيادهم للبعث كقولك لمن تأمره بركوب
ما يشق عليه فيتأبى ويمتنع ستركبه وأنت حامد شاكر يعني أنك تحمل عليه وتقسر قسرا حتى إنك تلين لين المسمح الراغب
فيه الحامد عليه. وعن سعيد بن جبير ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك وتظنون
ترون الهول فعنده تستقصرون مدة لبثكم في الدنيا وتحسبونها يوما أو بعض يوم. وعن قتادة تحاقرت الدنيا
في أنفسهم حين عاينوا الآخرة وقل لعبادي وقل للمؤمنين يقولوا للمشركين الكلمة التي هي أحسن يقولوا
ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم وإن يشأ يعذبكم يعني يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم إنكم من أهل
النار وإنكم معذبون وما أشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر وقوله إن الشيطان ينزغ بينهم اعتراض
يعني يلقي بينهم الفساد ويغري بعضهم على بعض ليقع بينهم المشادة والمشاقة وما أرسلناك عليهم وكيلا
أي ربا موكولا إليك أمرهم تقسرهم على الإسلام وتجبرهم عليه وإنما أرسلناك بشيرا ونذيرا فمر أصحابك بالمداراة
والاحتمال وترك المحاقة والمكاشفة وذلك قبل نزول آية السيف. وقيل نزلت في عمر رضي الله عنه
شتمه رجل فأمره الله بالعفو وقيل أفرط إيذاء المشركين للمسلمين فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
وقيل الكلمة التي هي أحسن أن يقولوا يهديكم الله يرحمكم الله. وقرأ طلحة ينزغ بالكسر وهما لغتان
نحو يعرشون ويعرشون هو رد على أهل مكة في إنكارهم واستبعادهم أن يكون يتيم أبي طالب عليه السلام نبيا
وأن يكون العراة الجوع أصحابه كصهيب وبلال وخباب وغيرهم دون أن يكون في بعض أكابرهم وصناديدهم
يعني وربك أعلم بمن في السماوات والأرض وبأحوالهم ومقاديرهم وبما يستأهل كل واحد منهم وقوله
ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض إشارة إلى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله وآتينا داود زبورا
دلالة على وجه تفضيله وهو أنه خاتم الأنبياء وأن أمته خير الأمم لأن ذلك مكتوب في زبور داود عليه السلام
قال الله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون وهم محمد عليه
السلام وأمته فإن قلت هلا عرف الزبور كما عرف في قوله ولقد كتبنا في الزبور قلت يجوز أن يكون الزبور
وزبور كالعباس وعباس والفضل وفضل وأن يريد وآتينا داود بعض الزبر وهي الكتب وأن يريد ما ذكر
فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الزبور فسمى ذلك زبورا لأنه بعض الزبور كما سمي بعض القرآن
قرآنا هم الملائكة وقيل عيسى بن مريم عليه السلام وعزير. وقيل نفر من الجن عبدهم ناس من العرب
ثم أسلم الجن ولم يشعروا أي ادعوهم فهم لا يستطيعون أن يكشفوا عنكم الضر من مرض أو فقر أو

عذاب ولا ان يحولوه من واحد الى آخر او يبدلوه اولئك مبتدأ والذين يدعون صفته ويبتغون خبره يعني
ان آلهتهم اولئك يبتغون الوسيلة وهي القربة الى الله عز وجل وايهم بدل من واو يبتغون واي موصولة
اي يبتغي من هو اقرب منهم وازلف الوسيلة الى الله فكيف بغير الاقرب او ضمن يبتغون الوسيلة معنى
يحرصون فكانه قيل يحرصون ايهم اقرب الى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير والصلاح ويرجون
ويخافون كما غيرهم من عباد الله فكيف تزعمون انهم آلهة ان عذاب ربك كان حقيقا بان يحذره
كل احد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم نحن مهلكوها بالموت والاستئصال او معذبوها بالقتل
وانواع العذاب وقيل الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة وعن مقاتل وجدت في كتب الضحاك بن مزاحم في تفسيرها
اما مكة فتخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف
واما خراسان فعذابها ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا في الكتاب في اللوح المحفوظ استعير المنع لترك ارسال الايات
من اجل صارف الحكمة وان الاولى منصوبة والثانية مرفوعة تقديره وما منعنا ارسال الايات الا تكذيب
الاولين والمراد الايات التي اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا ومن احياء الموتى وغير ذلك وعادة الله
في الامم ان من اقترح منهم آية فاجيب اليها ثم لم يؤمن ان يعاجل بعذاب الاستئصال والمعنى وما صرفنا
عن ارسال ما يقترحونه من الايات الا ان كذب بها الذين هم امثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد
وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك وقالوا هذا سحر مبين كما يقولون في غيرها واستوجبوا
العذاب المستأصل وقد عزمنا ان نؤخر امر من بعثت اليهم الى يوم القيامة ثم ذكر من تلك الايات التي اقترحها
الاولون ثم كذبوا بها لما اهلكوا واحدة وهي ناقة صالح عليه السلام لان آثار هلاكهم في بلاد العرب قريبة
من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم مبصرة بينة وقرئ مبصرة بفتح الميم فظلموا بها فكفروا بها
وما نرسل بالايات ان اراد بها الايات المقترحة فالمعنى لا نرسلها الا تخويفا من نزول العذاب العاجل كا
لطليعة والمقدمة له فان لم يخافوا وقع عليهم وان اراد غيرها فالمعنى وما نرسل ما نرسل من الايات كآيات
القرآن وغيرها الا تخويفا وانذارا بعذاب الآخرة وإذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس واذكر اذ اوحينا
اليك ان ربك احاط بقريش يعني بشرناك بوقعة بدر وبالنصرة عليهم وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون
الدبر قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون وغير ذلك فجعله كأن قد كان ووجد فقال احاط بالناس
على عادته في اخباره وحين تزاحف الفريقان يوم بدر ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش مع ابي بكر
رضي الله عنه كان يدعو ويقول اللهم اني اسالك عهدك ووعدك ثم خرج وعليه الدرع يحرض الناس
ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ولعل الله تعالى اراه مصارعهم في منامه فقد كان يقول حين
ورد ماء بدر والله لكاني انظر الى مصارع القوم وهو يومئ الى الارض هذا مصرع فلان فتسامعت قريش
بما اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من امر بدر وما اري في منامه من مصارعهم فكانوا يضحكون
ويستعجلون به استهزاء وحين سمعوا بقوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم جعلوها سخرية وقالوا ان محمدا يزعم
ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجرة من حيث لا تاكلها النار فهذا وبر السمندل وهو دويبة ببلاد
الترك تتخذ منه مناديل اذا اتسخت طرحت في النار فذهب الوسخ وبقي المنديل سالما لا تعمل فيه النار
وترى النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد الحمر كالجمر باحماء النار فلا تضرها ثم اقرب من ذلك انه خلق في كل

شجرة نارا فلا تحرقها فما انكروا ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها والمعنى ان الايات انما نرسل بها تخويفا للعباد
وهؤلاء قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر فما كان ما اريناك منه في منامك بعد الوحي اليك
الا فتنة لهم حيث اتخذوه سخريا وخوفوا بعذاب الآخرة وبشجرة الزقوم فما اثر فيهم ثم قال ونخوفهم
اي نخوفهم بمخاوف الدنيا والآخرة فما يزيدهم التخويف الا طغيانا كبيرا فكيف يخاف قوم هذه حالهم بارسال
ما يقترحون من الايات وقيل الرؤيا هي الاسراء وبه تعلق من يقول كان الاسراء في المنام ومن قال كان في اليقظة
فسر الرؤيا بالرؤية وقيل انما سماها رؤيا على قول المكذبين حيث قالوا لعلها رؤيا رأيتها وخيال خيل
اليك استبعادا منهم كما سمى اشياء باساميها عند الكفرة نحو قوله فراغ الى آلهتهم اين شركائي ذق انك انت
العزيز الكريم وقيل هي رؤياه انه سيدخل مكة وقيل رأى في المنام ان ولد الحكم يتداولون منبره
كما يتداول الصبيان الكرة فان قلت اين لعنت شجرة الزقوم في القرآن قلت لعنت حيث لعن طاعموها
من الكفرة والظلمة لان الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن على الحقيقة وانما وصفت بلعن اصحابها على المجاز وقيل
وصفها الله باللعن لان اللعن الابعاد من الرحمة وهي في اصل الجحيم في ابعد مكان من الرحمة وقيل تقول العرب لكل طعام
مكروه ضار ملعون وسألت بعضهم فقال نعم الطعام الملعون القشب الممحوق وعن ابن عباس هي الكشوث
التي تلتوي بالشجر تجعل في الشراب وقيل هي الشيطان وقيل ابو جهل وقرئ والشجرة الملعونة بالرفع على انها
مبتدأ محذوف الخبر كانه قيل والشجرة الملعونة في القرآن كذلك طينا حال اما من الموصول والعامل فيه
أأسجد على أأسجد له وهو طين اي اصله طين او من الراجع اليه من الصلة على أأسجد لمن كان في وقت خلقه طينا
أرأيتك الكاف للخطاب وهذا مفعول به والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي اي فضلته لم كرمته علي وانا
خير منه فاختصر الكلام بحذف ذلك ثم ابتدأ فقال لئن اخرتني واللام موطئة للقسم المحذوف لاحتنكن
ذريته لاستأصلنهم بالاغواء من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا وهو من الحنك ومنه ما ذكر سيبويه
من قولهم احنك الشاتين اي آكلهما فان قلت من اين علم ان ذلك يتسهل له وهو من الغيب قلت اما ان
سمعه من الملائكة صلوات الله عليهم وقد اخبرهم الله به او خرجه من قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها او نظر اليه
فتوسم في مخايله انه خلق شهواني وقيل قال ذلك لما علمت وسوسته في آدم عليه السلام والظاهر انه قال
ذلك قبل اكل آدم من الشجرة اذهب ليس من الذهاب الذي هو نقيض المجيء وانما معناه امض لشانك الذي
اخترته خذلانا وتخلية وعقبه بذكر ما جره سوء اختياره في قوله فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم كما قال
موسى صلى الله عليه وسلم للسامري فاذهب فان لك في الحياة ان تقول لا مساس فان قلت اما كان من حق
الضمير في الجزاء ان يكون على لفظ الغيبة ليرجع الى من تبعك قلت بلى ولكن التقدير فان جهنم جزاؤهم
وجزاؤك ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل جزاؤكم ويجوز ان يكون للتابعين على طريقة الالتفات وانتصب
جزاء موفورا بما في فان جهنم جزاؤكم من معنى تجازون او على الحال لان الجزاء موصوف بالموفور والموفور المكمل
من قولهم فر لصاحبك عرضه فرة استفزز استخفه والفز الخفيف واجلب من الجلبة وهي الصياح والخيل الخيالة
ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل ونظيره الركب والصحب
وقرئ ورجلك على ان فعلا بمعنى فاعل نحو تعب وتاعب ومعناه وجمعك الرجل وتضم جيمه ايضا فيكون مثل حدث

وحدث وندس وندس واخوات لهما يقال رجل رجل وقرئ ورجالك ورجالك فان قلت ما معنى استفزاز
ابليس بصوته واجلابه بخيله ورجله قلت هو كلام ورد مورد التمثيل مثلت حاله في تسلطه على من يغويه
بمغوار اوقع على قوم فصوت بهم صوتا يستفزهم من اماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم واجلب عليهم بجنده من
خيالة ورجالة حتى استاصلهم وقيل بصوته بدعائه الى الشر وخيله ورجله كل راكب وماش من اهل العيث
وقيل يجوز ان يكون لابليس خيل ورجال واما المشاركة في الاموال والاولاد فكل معصية يحملهم عليها في بابهما
كالربا والمكاسب المحرمة والبحيرة والسائبة والانفاق في الفسوق والاسراف ومنع الزكاة والتوصل الى الاولاد
بالسبب الحرام ودعوى ولد بغير سبب والتسمية بعبد العزى وعبد الحرث والتهويد والتنصير والحمل على الحرف
الذميمة والاعمال المحظورة وغير ذلك وعدهم المواعيد الكاذبة من شفاعة الالهة والكرامة على الله بالانساب
الشريفة وتسويف التوبة ومغفرة الذنوب بدونها والاتكال على الرحمة وشفاعة الرسول في الكبائر والخروج من
النار بعد ان يصيروا حمما وايثار العاجل على الآجل **ان عبادي** يريد الصالحين **ليس لك عليهم سلطان** اي لا تقدر ان
تغويهم **وكفى بربك وكيلا** لهم يتوكلون به في الاستعاذة منك ونحوه قوله الا عبادك منهم المخلصين فان قلت
كيف جاز ان يامر الله تعالى ابليس بان يتسلط على عباده مغويا مضلا داعيا الى الشر صادا عن الخير قلت هو من الاوامر
على سبيل الخذلان والتخلية كما قال للعصاة اعملوا ما شئتم يزجي يجري ويسير والضر خوف الغرق **ضل من تدعون
الا اياه** ذهب عن اوهامكم وخواطركم كل من تدعونه في حوادثكم الا اياه وحده فانكم لا تذكرون سواه ولا تدعونه
في ذلك الوقت ولا تعتقدون في حمايته رجاءكم ولا تخطرون ببالكم ان غيره يقدر على اغاثتكم او لم يهتد لانقاذكم
احد غيره من سائر المدعوين ويجوز ان يراد ضل من تدعون من الالهة عن اغاثتكم ولكن الله وحده هو الذي ترجونه
على الاستثناء المنقطع **افامنتم** الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض
فان قلت بم انتصب **جانب البر** قلت يخسف مفعول به كالارض في قوله فخسفنا به وبداره الارض وبكم حال
والمعنى ان يخسف جانب البر اي يقلبه وانتم عليه فان قلت فما معنى ذكر الجانب قلت معناه ان الجوانب والجهات
كلها في قدرته سواء وله في كل جانب برا كان او بحرا سبب مرصد من اسباب الهلكة ليس جانب البحر وحده مختصا بذلك
بل ان كان الغرق في جانب البحر ففي جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لانه تغييب تحت التراب كما ان الغرق تغييب
تحت الماء فالبر والبحر عنده سيان يقدر في البر على نحو ما يقدر عليه في البحر فعلى العاقل ان يستوي خوفه من الله
في جميع الجوانب وحيث كان **او يرسل عليكم حاصبا** وهي الريح التي تحصب اي ترمي بالحصباء يعني او ان لم يصبكم
بالهلاك من تحتكم بالخسف اصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء يرجمكم بها فيكون اشد عليكم
من الغرق في البحر **وكيلا** من يتوكل بصرف ذلك عنكم ام امنتم ان يقوي دواعيكم ويوفر حوائجكم
الى ان ترجعوا فتركبوا البحر الذي نجاكم منه فاعرضتم فينتقم منكم بان يرسل عليكم قاصفا وهي الريح التي لها قصيف وهو
الصوت الشديد كانها تتقصف اي تتكسر وقيل التي لا تمر بشيء الا قصفته **فيغرقكم** وقرئ فتغرقكم اي الريح وبالنون
وكذلك نخسف ونرسل ونعيدكم فنرسل بالياء والنون **تبيعا** مطالبا من قوله فاتباع بالمعروف اي مطالبة قال
الشماخ كما لاذ الغريم من التبيع يقال فلان على فلان تبيع بحقه اي مسيطر عليه مطالب له بحقه والمعنى
انا نفعل ما نفعل بهم ثم لا تجدوا احدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثار من جهتنا وهذا نحو قوله ولا يخاف

عقباها

عقباها بما كفرتم بكفرانكم النعمة يريد اغراقهم حين نجاهم قيل في تكرمة ابن آدم كرمه الله بالعقل والنطق
والتمييز والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير امر المعاش والمعاد وقيل بتسليطهم على ما في الارض
وتسخيره لهم وقيل كل شيء ياكل بفيه الا ابن آدم وعن الرشيد انه احضر طعاما فدعا بالملاعق وعنده ابو يوسف
فقال له جاء في تفسير جدك ابن عباس قوله تعالى **ولقد كرمنا بني آدم** جعلنا لهم اصابع ياكلون بها فاحضرت الملاعق فردها
واكل باصابعه **على كثير ممن خلقنا** هو ما سوى الملائكة صلوات الله عليهم وحسب بني آدم تفضيلا ان ترفع عليهم الملائكة وهم
هم ومنزلتهم عند الله منزلتهم والعجب من المجبرة كيف عكسوا في كل شيء وكابروا حتى جسرتهم عادة المكابرة على العظيمة التي
هي تفضيل الانسان على الملك وذلك بعد ما سمعوا تفخيم الله امرهم وتكثيره مع التعظيم ذكرهم وعلموا اين اسكنهم وانى
قربهم وكيف نزلهم من انبيائه منزلة انبيائه من اممهم ثم جرهم فرط التعصب عليهم الى ان لفقوا اقوالا واخبارا منها قالت الملائكة ربنا
انك اعطيت بني آدم الدنيا ياكلون منها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فاعطناه في الآخرة فقال وعزتي وجلالي لا اجعل
ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان ورووا عن ابي هريرة انه قال المؤمن اكرم على الله من الملائكة الذين عنده
ومن ارتكابهم انهم فسروا كثيرا بمعنى جميع في هذه الآية وخذلوا حتى سلبوا الذوق فلم يحسوا ببشاعة قولهم وفضلناهم
على جميع ممن خلقنا على ان معنى قولهم على جميع ممن خلقنا اشجى لحلوقهم واقذى لعيونهم ولكنهم لا يشعرون فانظر الى تمحلهم وتشبثهم بالتاويلات البعيدة في
عداوة الملا الاعلى كان جبريل عليه السلام غاظهم حين اهلك مدائن قوم لوط فتلك السخيمة لا تنحل عن قلوبهم **يوم ندعو** بالياء والنون
ويدعى كل اناس على البناء للمفعول وقرا الحسن يدعوا كل اناس على قلب الالف واوا في لغة من يقول افعو والظرف نصب
باضمار اذكر ويجوز ان يقال ان الواو علامة الجمع كما في واسروا النجوى الذين ظلموا والرفع مقدر كما في يدعى ولم يؤت
بالنون قلة مبالاة بها لانها غير ضمير ليست الا علامة **بامامهم** بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين
فيقال يا اتباع فلان يا اهل دين كذا وكتاب كذا وقيل بكتاب اعمالهم فيقال يا اصحاب كتاب الخير ويا اصحاب
كتاب الشر وفي قراءة الحسن بكتابهم ومن بدع التفاسير ان الامام جمع ام وان الناس رعاية حق عيسى واظهار
شرف الحسن والحسين عليهما السلام وان لا تفتضح اولاد الزنا وليت شعري ايهما ابدع اصحة لفظه ام بهاء حكمته
فمن اوتي من هؤلاء المدعوين **كتابه بيمينه فاولئك يقرؤون كتابهم** قيل اولئك لان من اوتي في معنى الجمع
فان قلت لم خص اصحاب اليمين بقراءة كتابهم كان اصحاب الشمال لا يقرؤون كتابهم قلت بلى ولكن اذا اطلعوا على
ما في كتابهم اخذهم ما ياخذ المطالب بالنداء على جناياته والاعتراف بمساويه امام التنكيل والانتقام منه من الحياء
والخجل والانخزال وحبسة اللسان والتتعتع والعجز عن اقامة حروف الكلام والذهاب عن تسوية القول فكان قراءتهم
كلا قراءة واما اصحاب اليمين فامرهم على عكس ذلك لا جرم انهم يقرؤون كتابهم احسن قراءة واثبتها ولا يقنعون بقراءتهم
لهم حتى يقول القارئ لاهل المحشر هاؤم اقرؤوا كتابيه **ولا يظلمون فتيلا** ولا ينقصون من ثوابهم ادنى شيء
جله ولا يظلمون شيئا فلا يخاف ظلما ولا هضما معنا **ومن كان** في الدنيا **اعمى فهو في الآخرة اعمى** كذلك
واضل سبيلا من الاعمى والاعمى مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدي الى طريق النجاة اما
في الدنيا فلفقد النظر واما في الآخرة فلانه لا ينفعه الاهتداء اليه وقد جوزوا ان يكون الثاني بمعنى التفضيل
ومن ثم قرا ابو عمرو الاول ممالا والثاني مفخما لان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه في حكم الواقعة
في وسط الكلام كقولك اعمالهم واما الاول فلم يتعلق به شيء فكانت الفه واقعة في الطرف معرضة للامالة
وان كادوا ليفتنونك قالت ثقيف للنبي صلى الله عليه وسلم لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب

ص

عليهم

س

يدعون ... في القيامة ... لا بابائهم

ولا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة
ولا نكسرها بايدينا عند راس الحول وان تمنع من قصد وادينا وج فعضد شجره فاذا سألتك العرب لم فعلت ذلك
فقل ان الله امرني به وجاؤوا بكتابهم فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب
من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لثقيف لا يعشرون ولا يحشرون فقالوا ولا يجبون فسكت رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم قالوا للكاتب اكتب ولا يجبون والكاتب ينظر الى رسول الله فقام عمر بن الخطاب فسل سيفه
وقال اسعرتم قلب نبينا يا معشر ثقيف اسعر الله قلوبكم نارا فقالوا لسنا نكلمك انما نكلم محمدا فنزلت ∴
وروي ان قريشا قالوا اجعل آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة حتى نؤمن بك فنزلت وان
كادوا ليفتنونك ان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والمعنى ان الشأن قاربوا ان يفتنوك
اي يخدعوك فاتنين عن الذي اوحينا اليك من اوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا لتفتري علينا لتتقول علينا ما
لم نقل يعني ما ارادوه عليه من تبديل الوعد وعيدا والوعيد وعدا وما اقترحته ثقيف من ان يضيف الى الله
ما لم ينزل عليه واذا لاتخذوك اي ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا ولكنت لهم وليا وخرجت من ولايتي ولولا
ان ثبتناك ولولا تثبيتنا لك وعصمتنا لقد كدت تركن اليهم لقاربت ان تميل الى خدعهم ومكرهم وهذا
تهييج من الله له وفضل تثبيت وفي ذلك لطف للمؤمنين اذن لو قاربت تركن اليهم ادنى ركنة لاذقناك
ضعف الحياة وضعف الممات اي لاذقناك عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفين فان قلت
كيف حقيقة هذا الكلام قلت اصله لاذقناك عذاب الحياة وعذاب الممات لان العذاب عذابان عذاب
في الممات وهو عذاب القبر وعذاب في حياة الآخرة وهو عذاب النار والضعف يوصف به نحو قوله تعالى
فآتهم عذابا ضعفا من النار بمعنى مضاعفا فكان اصل الكلام لاذقناك عذابا ضعفا في الحياة وعذابا ضعفا في
الممات ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم اضيفت الصفة اضافة الموصوف فقيل
ضعف الحياة وضعف الممات كما لو قيل لاذقناك اليم الحياة واليم الممات ويجوز ان يراد بضعف الحياة عذاب
الدنيا وبضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار والمعنى لضاعفنا لك العذاب المعجل
للعصاة في الحياة الدنيا وما نؤخره لما بعد الموت وفي ذكر الكيدودة وتقليلها مع اتباعها الوعيد الشديد
بالعذاب المضاعف في الدارين دليل بين على ان القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شانه وارتفاع منزلته ومن فاعله
ثم استعظم مشايخ العدل والتوحيد رضوان الله عليهم نسبة المجبرة القبائح الى الله تعالى الله عن ذلك
علوا كبيرا وفيه دليل على ان ادنى مداهنة للغواة مضادة لله وخروج عن ولايته وسبب موجب لغضبه
ونكاله فعلى المؤمن اذا تلا هذه الآية ان يجثو عندها ويتدبرها فهي جديرة بالتدبر وبان يستشعر الناظر
فيها الخشية وازدياد التصلب في دين الله ∴ وعن النبي صلى الله عليه وسلم انها لما نزلت كان يقول اللهم لا تكلني الى نفسي
طرفة عين وان كادوا اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم من الارض من ارض
مكة واذا لا يلبثون لا يبقون بعد اخراجك الا زمانا قليلا فان الله مهلكهم وكان كما قال فقد اهلكوا ببدر
بعد اخراجه بقليل ∴ وقيل معناه ولو اخرجوك لاستؤصلوا عن بكرة ابيهم ولم يخرجوه بل هاجر بامر ربه
وقيل من ارض العرب وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم فاجتمعوا
اليه وقالوا يا ابا القاسم ان الانبياء انما بعثوا في الشام وهي بلاد مقدسة وكانت مهاجر ابراهيم عليه السلام فلو خرجت

الى

الى الشام لآمنا بك واتبعناك وقد علمنا انه لا يمنعك من الخروج الا خوف الروم فان كنت رسول الله فالله مانعك منهم
فعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على اميال من المدينة وقيل بذي الحليفة حتى يجتمع اليه اصحابه ويراه الناس
عازما على الخروج الى الشام لحرصه على دخول الناس في دين الله فنزلت فرجع ∴ وقرئ لا يلبثون وفي قراءة ابي لا
يلبثوا على اعمال اذن فان قلت ما وجه القراءتين قلت اما الشائعة فقد عطف فيها الفعل على الفعل
وهو مرفوع لوقوعه خبر كاد والفعل في خبر كاد واقع موقع الاسم واما قراءة ابي ففيها الجملة برأسها التي هي
اذن لا يلبثوا عطف على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك وقرئ خلافك قال
عفت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا ∴ اي يعذبهم سنة من قد ارسلنا يعني ان كل قوم
اخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فسنة الله ان يهلكهم ونصبت نصب المصدر المؤكد اي سن الله ذلك سنة ∴
دلوك الشمس غروبها وقيل زوالها وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم اتاني جبريل عليه السلام لدلوك الشمس حين زالت
الشمس فصلى بي الظهر واشتقاقه من الدلك لان الانسان يدلك عينه عند النظر اليها فان كان الدلوك الزوال
فالآية جامعة للصلوات الخمس وان كان الغروب فقد خرجت منها الظهر والعصر ∴ والغسق الظلمة وهو وقت صلاة
العشاء وقرآن الفجر صلاة الفجر سميت قرآنا وهو القراءة لانها ركن كما سميت ركوعا وسجودا وقنوتا وهي
حجة على ابن علية والاصم في زعمهما ان القراءة ليست بركن مشهودا تشهده ملائكة الليل ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء والنهار
وهو في آخر ديوان الليل واول ديوان النهار او يشهده الكثير من المصلين في العادة او من حقه ان يكون مشهودا
بالجماعة الكثيرة ويجوز ان يكون وقرآن الفجر حثا على طول القراءة في صلاة الفجر لكونها مكثورا عليها ليسمع الناس
القرآن فيكثر الثواب ولذلك كانت الفجر اطول الصلوات قراءة ومن الليل وعليك بعض الليل فتهجد به
والتهجد ترك الهجود للصلاة ونحوه التأثم والتحرج ويقال ايضا في النوم تهجد نافلة لك عبادة زائدة على الصلوات
الخمس وضع نافلة موضع تهجدا لان التهجد عبادة زائدة فكان التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد والمعنى ان
التهجد زيد لك على الصلوات المفروضة فريضة عليك خاصة دون غيرك لانه تطوع لهم مقاما محمودا
نصب على الظرف اي عسى ان يبعثك يوم القيامة فيقيمك مقاما محمودا او ضمن يبعثك معنى يقيمك ويجوز ان
يكون حالا بمعنى ان يبعثك ذا مقام محمود ومعنى المقام المحمود المقام الذي يحمده القائم فيه وكل من رآه وعرفه وهو
مطلق في كل ما يجلب الحمد من انواع الكرامات وقيل المراد الشفاعة وهي نوع واحد مما يتناوله ∴
وعن ابن عباس مقاما يحمدك فيه الاولون والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسأل فتعطى وتشفع
فتشفع ليس احد الا تحت لوائك ∴ وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم هو المقام الذي اشفع فيه لامتي
وعن حذيفة يجمع الناس في صعيد فلا تتكلم نفس فاول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك و
سعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجأ ولا منجا الا اليك
تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت ∴ قال فهذا قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وقرئ مدخل
ومخرج بالضم والفتح بمعنى المصدر ومعنى الفتح ادخلني فادخل مدخل صدق اي ادخلني القبر مدخل صدق
ادخالا مرضيا على طهارة وطيب من السيئات واخرجني منه عند البعث اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة آمنا
من السخط يدل عليه ذكره على اثر ذكر البعث وقيل نزلت حين امر بالهجرة يريد ادخال المدينة والاخراج

من مكة وقيل ادخله مكة ظاهرا عليها بالفتح واخرجه منها امنا من المشركين ∴ وقيل ادخله
الغار واخرجه منه سالما وقيل ادخله فيما حمّله من عظيم الامر وهو النبوة واخرجه منه مؤديا
لما كلفه من غير تفريط ∴ وقيل الطاعة وقيل هو عام في كل ما يدخله فيه ويلابسه من امر ومكان
سلطانا نصيرا حجة تنصرني على من خالفني او ملكا وعزا قويا ناصرا للاسلام على الكفر مظهرا له عليه فاجيبت دعوته
بقوله والله يعصمك من الناس الا ان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم
في الارض ووعده لينزعن ملك فارس والروم فيجعله له ∴ وعنه صلى الله عليه وسلم انه استعمل عتاب
ابن اسيد على اهل مكة وقال انطلق فقد استعملتك على اهل الله وكان شديدا على المريب لينا على المؤمن
وقال لا والله لا اعلم متخلفا يتخلف عن الصلوة في جماعة الا ضربت عنقه فانه لا يتخلف عن الصلوة الا منافق
فقال اهل مكة يا رسول الله لقد استعملت على اهل الله عتاب بن اسيد اعرابيا جافيا فقال صلى الله عليه وسلم
اني رأيت فيما يرى النائم كان عتاب بن اسيد اتى باب الجنة فاخذ بحلقة الباب فقلقلها قلقالا شديدا حتى فتح له فدخلها
فاعز الله به الاسلام لنصرته المسلمين على من يريد ظلمهم فذلك السلطان النصير ∴ كان حول البيت ثلثمائة وستون
صنما لكل قوم بحيالهم ∴ وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت لقبائل العرب يحجون اليها وينحرون لها فشكا البيت الى الله
فقال اي رب حتى متى تعبد هذه الاصنام حولي دونك فاوحى الله الى البيت اني لاحدث لك نوبة جديدة فاملأك
خدودا سجدا يدفون اليك دفيف النسور ويحنون اليك حنين الطير الى بيضها لهم عجيج حولك بالتلبية ∴ ولما
نزلت هذه الاية يوم الفتح قال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم خذ مخصرتك ثم القها فجعل ياتي صنما
صنما وهو ينكت بالمخصرة في عينه ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب الصنم لوجهه حتى القاها جميعا وبقي صنم
خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر فقال يا علي ارم به فحمله رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد
فرمى به فكسره فجعل اهل مكة يتعجبون ويقولون ما راينا رجلا اسحر من محمد وحكاية البيت والوحي انه تمثيل
وتخييل وزهق الباطل ذهب وهلك من قولهم زهقت نفسه اذا خرجت والحق الاسلام والباطل الشرك
كان زهوقا كان مضمحلا غير ثابت في كل وقت وننزل بالتخفيف والتشديد من القرآن من للتبيين كقوله
من الاوثان او للتبعيض اي كل شيء نزل من القرآن فهو شفاء للمؤمنين يزدادون به ايمانا ويستصلحون به دينهم
فموقعه منهم موقع الشفاء من المرضى وعن النبي صلى الله عليه وسلم من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله ولا يزداد
به الظالمون الا خسارا اي نقصانا لتكذيبهم به وكفرهم كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم واذا انعمنا
على الانسان بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله كانه مستغن عنه مستبد بنفسه ونأى بجانبه تاكيد
للاعراض لان الاعراض عن الشيء ان يوليه عرض وجهه والنأي بالجانب ان يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره او اراد
الاستكبار لان ذلك من عادة المستكبرين واذا مسه الشر من فقر او مرض او نازلة من النوازل كان يؤوسا
شديد اليأس من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وناء بجانبه بتقديم الالف على الهمزة
شامي ويجوز ان يكون من ناء بمعنى نهض قل كل يعمل على شاكلته اي على مذهبه وطريقته التي
تشاكل حاله في الهدى والضلالة من قولهم طريق ذو شواكل وهي الطرق التي تتشعب منه والدليل عليه قوله
فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اي اسد مذهبا وطريقة والاكثر على انه الروح الذي في الحيوان سألوه عن حقيقته

فاخبر

فاخبر انه من امر الله اي مما استأثر بعلمه ∴ وعن ابن بريدة لقد مضى النبي صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح وقيل
هو خلق عظيم روحاني اعظم من الملك وقيل جبريل عليه السلام وقيل القرآن ومن امر ربي اي من وحيه
وكلامه ليس من كلام البشر ∴ بعثت اليهود الى قريش ان سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن
الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر
الروح وهو مبهم في التوراة فندموا على سؤالهم وما اوتيتم الخطاب عام ∴ وروي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب ام انت معنا فيه فقال بل نحن وانتم لم نؤت من العلم الا
قليلا فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت
ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وليس ما قالوه بلازم لان القلة والكثرة تدوران مع الاضافة فيوصف الشيء
بالقلة مضافا الى ما فوقه وبالكثرة مضافا الى ما تحته فالحكمة التي اوتيها العبد خير كثير في نفسها الا انها اذا اضيفت الى علم الله فهي
قليلة ∴ وقيل هو خطاب لليهود خاصة لانهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم قد اوتينا التوراة وفيها الحكمة وقد
تلوت ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فقيل لهم ان علم التوراة قليل في جنب علم الله لنذهبن جواب
قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط واللام الداخلة على ان موطئة للقسم والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه
عن الصدور والمصاحف فلم نترك له اثرا وبقيت كما كنت ما تدري ما الكتاب ثم لا تجد لك بعد الذهاب من
يتوكل علينا باسترداده واعادته محفوظا مسطورا الا رحمة من ربك الا ان يرحمك ربك فيرده عليك كان رحمته
تتوكل عليه بالرد او يكون على الاستثناء المنقطع بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان
من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة في تنزيله وتحفيظه فعلى كل ذي علم ان لا يغفل عن هاتين
المنتين والقيام بشكرهما وهما منة الله عليه بحفظ العلم ورسوخه في صدره ومنته عليه في بقاء المحفوظ ∴
وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان اول ما تفقدون من دينكم الامانة وآخر ما تفقدون الصلاة وليصلين قوم ولا دين
لهم وان هذا القرآن تصبحون يوما وما فيكم منه شيء فقال رجل كيف ذلك وقد اثبتناه في قلوبنا واثبتناه في
مصاحفنا نعلمه ابناءنا ويعلمه ابناؤنا ابناءهم فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس منه فقراء ترفع المصاحف وينزع
ما في القلوب لا يأتون جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز ان يكون جوابا للشرط كقوله
يقول لا غائب مالي ولا حرم ∴ لان الشرط وقع ماضيا اي لو تظاهروا على ان يأتوا بمثل القرآن في بلاغته وحسن نظمه
وتاليفه وفيهم العرب العاربة ارباب البيان لعجزوا عن الاتيان بمثله والعجب من النوابت ومن زعمهم ان القرآن
قديم مع اعترافهم بانه معجز وانما يكون العجز حيث تكون القدرة فيقال الله قادر على خلق الاجسام والعباد عاجزون
عنه ∴ واما المحال الذي لا مجال فيه للقدرة ولا مدخل لها فيه كثاني القديم فلا يقال للفاعل قد عجز عنه ولا
هو معجز ولو قيل ذلك لجاز وصف الله بالعجز لانه لا يوصف بالقدرة على المحال الا ان يكابروا فيقولوا هو قادر على
المحال فان راس مالهم المكابرة وقلب الحقائق ولقد صرفنا رددنا وكررنا من كل مثل من كل معنى هو
كالمثل في غرابته وحسنه ∴ والكفور الجحود فان قلت كيف جاز فابى اكثر الناس الا كفورا ولم يجز ضربت
الا زيدا قلت لان ابى متأول بالنفي كانه قيل فلم يرضوا الا كفورا ∴ لما تبين اعجاز القرآن وانضمت
اليه المعجزات الاخر والبينات ولزمتهم الحجة وغلبوا اخذوا يتعللون باقتراح الآيات فعل المبهوت المحجوج المتحير في
[illegible] فقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر وقرئ تفجر بالتخفيف من الارض يعنون ارض مكة ينبوعا

عنا. عدوة من بائها أن ينبع بالماء لا ينقطع يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء. كما زعمت تعنون قول الله تعالى
إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء. قرئ كسفا بسكون السين جمع كسفة كسدرة وسدر وبتحريكها
قبيلا كفيلا بما تقول شاهدا بصحته والمعنى أو تأتي بالله قبيلا وبالملائكة قبيلا كقوله:
كنت منه ووالدي بريا ... وإني وقيار بها لغريب. أو مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه لولا أنزل علينا
الملائكة أو نرى ربنا أو جماعة حالا من الملائكة. من زخرف من ذهب. في السماء في معارج السماء فحذف المضاف يقال
رقي في السلم وفي الدرجة. ولن نؤمن لرقيك ولن نؤمن لأجل رقيك. حتى تنزل علينا كتابا من السماء فيه تصديقك
عن ابن عباس قال عبد الله بن أبي أمية لن نؤمن لك حتى تتخذ إلى السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها
ثم تأتي معك بصك منشور معه أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول وما كانوا يقصدون بهذه الاقتراحات
إلا العناد واللجاج ولو جاءتهم كل آية لقالوا هذا سحر كما قال عز وعلا ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس. ولو فتحنا
عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون. وحين أنكروا الآية الباقية التي هي القرآن وسائر الآيات وليست بدون ما
اقترحوه بل هي أعظم لم يكن إلا تعنتهم. قل سبحان ربي وقرئ قال سبحان ربي أي قال الرسول سبحان
ربي تعجبا من اقتراحاتهم عليه. هل كنت إلا بشرا رسولا كسائر الرسل بشرا مثلهم وكان الرسل لا يأتون قومهم إلا بما يظهره
الله عليهم من الآيات إلى ما هو إلى الله مما لا تحكم فيه. أن الأولى نصب مفعول ثان لمنع والثانية رفع فاعل
له. والهدى الوحي وما منعهم الإيمان بالقرآن ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم إلا شبهة تلجلجت في صدورهم وهي
إنكارهم أن يرسل الله البشر. والهمزة في أبعث الله للإنكار وما أنكروه فخلافه هو المنكر عند الله لأن قضية حكمته
أن لا يرسل ملك الوحي إلا إلى أمثاله أو إلى الأنبياء ثم قرر ذلك بأنه لو كان في الأرض ملائكة يمشون على أقدامهم
كما يمشي الإنس ولا يطيرون بأجنحتهم إلى السماء فيسمعوا من أهلها ويعلموا ما يجب علمه. مطمئنين ساكنين في الأرض قارين
لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا يعلمهم الخير ويهديهم المراشد. فأما الإنس فما هم بهذه المثابة إنما يرسل الملك
إلى المختار منهم للنبوة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وإرشادهم. فإن قلت هل يجوز أن يكون بشرا وملكا منصوبين
على الحال من رسولا. قلت وجه حسن والمعنى له أجوب. شهيدا بيني وبينكم على أني بلغت ما أرسلت به إليكم وأنكم
كذبتم وعاندتم. إنه كان بعباده المنذرين والمنذرين خبيرا عالما بأحوالهم فهو مجازيهم وهذه تسلية لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ووعيد للكفرة. وشهيدا تمييز أو حال. ومن يهد الله ومن يوفقه ويلطف به فهو المهتد
لأنه لا يلطف إلا بمن عرف أن اللطف ينفع فيه. ومن يضلل الله ومن يخذله فلن تجد لهم أولياء أنصارا. على وجوههم كقوله
يسحبون في النار على وجوههم. وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم فقال إن الذي أمشاهم
على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم. عميا وبكما وصما كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق
ويتصامون عن استماعه فهم في الآخرة كذلك لا يبصرون ما يقر أعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون
بما يقبل منهم. ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى. ويجوز أن يحشروا مؤوفي الحواس من الموقف إلى النار بعد
الحساب فقد أخبر عنهم في موضع آخر أنهم يقرءون ويتكلمون. كلما خبت كلما أكلت جلودهم ولحومهم وأفنتها
فسكن لهبها بدلوا غيرها فرجعت ملتهبة مستعرة. كأنهم لما كذبوا بالإعادة بعد الإفناء جعل الله جزاءهم أن سلط النار
على أجزائهم تأكلها وتفنيها ثم يعيدها لا يزالون على الإفناء والإعادة ليزيد ذلك في تحسرهم على تكذيبهم البعث
ولأنه أدخل في الانتقام من الجاحد. وقد دل على ذلك بقوله ذلك جزاؤهم إلى قوله أئنا لمبعوثون خلقا جديدا. فإن قلت

علام

علام عطف قوله وجعل لهم أجلا. قلت على قوله أولم يروا لأن المعنى قد علموا بدليل العقل أن من قدر على خلق السماوات
والأرض فهو قادر على خلق أمثالهم من الإنس لأنهم ليسوا بأشد خلقا منهن كما قال أأنتم أشد خلقا أم السماء.
وجعل لهم أجلا لا ريب فيه وهو الموت أو القيامة فأبوا مع وضوح الدليل إلا جحودا. لو حقها أن تدخل على الأفعال
دون الأسماء فلا بد من فعل بعدها في لو أنتم تملكون وتقديره لو تملكون تملكون فأضمر تملك إضمارا على شريطة التفسير وأبدل من الضمير المتصل الذي
هو الواو ضمير منفصل وهو أنتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ فأنتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره. وهذا هو الوجه
الذي يقتضيه علم الإعراب. فأما ما يقتضيه علم البيان فهو أن أنتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وأن الناس هم
المختصون بالشح المتبالغ. ونحوه قول حاتم: لو ذات سوار لطمتني. وقول المتلمس: ولو غير أخوالي أرادوا نقيصتي
وذلك لأن الفعل الأول لما سقط لأجل المفسر برز الكلام في صورة المبتدأ والخبر. ورحمة الله رزقه وسائر نعمه
على خلقه. ولقد بلغ هذا الوصف بالشح الغاية التي لا يبلغها الوهم. وقيل هو لأهل مكة الذين اقترحوا
ما اقترحوا من الينبوع والأنهار وغيرها وأنهم لو ملكوا خزائن الأرزاق لبخلوا بها. قتورا ضيقا بخيلا. فإن قلت
هل يقدر لأمسكتم مفعول. قلت لا لأن معناه لبخلتم من قولك للبخيل ممسك. عن ابن عباس هي العصا واليد
والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذي نتقه على بني إسرائيل. وعن الحسن الطوفان
والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور. وعن عمر بن عبد العزيز أنه سأل محمد بن كعب فذكر اللسان
والطمس فقال عمر كيف يكون الفقيه إلا هكذا يا غلام أخرج ذلك الجراب فأخرجه فنفضه فإذا بيض مكسور
نصفين وجوز مكسور وفوم وحمص وعدس كلها حجارة. وعن صفوان بن عسال أن بعض اليهود سأل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن ذلك فقال أوحى الله إلى موسى عليه السلام أن قل لبني إسرائيل لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا
تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا ببريء إلى
ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وأنتم يا يهود خاصة لا تعدوا في السبت. فاسأل بني إسرائيل
فقلنا له سل بني إسرائيل أي سلهم من فرعون وقل له أرسل معي بني إسرائيل أو سلهم عن إيمانهم وعن حال
دينهم أو سلهم أن يعاضدوك وتكون قلوبهم وأيديهم معك ويدل عليه قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسال بني إسرائيل على لفظ الماضي بغير همز وهي لغة قريش. وقيل فسل يا رسول الله المؤمنين من بني إسرائيل
وهم عبد الله بن سلام وأصحابه عن الآيات ليزدادوا يقينا وطمأنينة. قلت لأن الأدلة إذا تظاهرت كان
ذلك أقوى وأثبت كقول إبراهيم عليه السلام ولكن ليطمئن قلبي. فإن قلت بم تعلق إذ جاءهم. قلت
أما على الوجه الأول فبالقول المحذوف أي فقلنا له سلهم حين جاءهم أو بسال في القراءة الثانية. وأما
على الآخر فبآتينا أو بإضمار اذكر أو يخبروك ومعنى إذ جاءهم إذ جاء آباءهم. مسحورا سحرت فخولط عقلك
لقد علمت يا فرعون ما أنزل هؤلاء الآيات إلا الله عز وجل بصائر بينات مكشوفات ولكنك معاند
مكابر ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا. وقرئ علمت بالضم على معنى أني لست بمسحور كما وصفتني
بل أنا عالم بصحة الأمر وأن هذه الآيات منزلها رب السماوات والأرض. ثم قارع ظنه بظنه كأنه
قال إن ظننتني مسحورا فأنا أظنك مثبورا هالكا وظني أصح من ظنك لأن له أمارة ظاهرة وهي إنكارك ما عرفت
صحته ومكابرتك لآيات الله بعد وضوحها وأما ظنك فكذب بحت لأن قولك مع علمك بصحة أمري إني

لأظنك مسحوراً قول كذاب وقال الفراء مثبوراً مصروفاً عن الخير مطبوعاً على قلبك من قولهم ما ثبرك عن هذا
أي ما منعك وصرفك وقرأ أبي بن كعب وإن أخالك يا فرعون لمثبوراً على إن المخففة واللام هي الفارقة فأراد
فرعون أن يستخف موسى عليه السلام وقومه من أرض مصر ويخرجهم منها أو ينفيهم عن ظهر الأرض بالقتل والاستئصال
فحاق به مكره بأن استفزه الله بإغراقه مع قبطه **اسكنوا الأرض** التي أراد فرعون أن يستفزكم منها **فإذا جاء
وعد الآخرة** يعني قيام الساعة **جئنا بكم لفيفاً** جمعاً مختلطين إياكم وإياهم ثم نحكم بينكم ونميز بين
سعدائكم وأشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى **وبالحق أنزلناه** وما أنزلنا القرآن إلا بالحكمة
المقتضية لإنزاله وما نزل إلا ملتبساً بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية إلى كل خير وما أنزلناه من السماء
إلا بالحق محفوظاً بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول إلا محفوظاً بهم من تخليط الشياطين **وما أرسلناك**
إلا لتبشرهم بالجنة وتنذرهم من النار ليس إليك وراء ذلك شيء من إكراه على الدين أو نحو ذلك **وقرآناً**
منصوب بفعل يفسره فرقناه وقرأ أبي فرقناه بالتشديد أي جعلنا نزوله مفرقاً منجماً وعن ابن عباس
أنه قرأ مشدداً وقال لم ينزل في يومين أو ثلاثة بل كان بين أوله وآخره عشرون سنة يعني أن فرق بالتخفيف
يدل على فصل متقارب **على مكث** بالفتح والضم على مهل وتؤدة وتثبت **ونزلناه تنزيلاً** على حسب الحوادث
قل آمنوا به أو لا تؤمنوا أمر بالإعراض عنهم واحتقارهم والازدراء بشأنهم وأن لا يكترث بهم وبإيمانهم
وامتناعهم عنه وأنهم إن لم يدخلوا في الإيمان ولم يصدقوا بالقرآن وهم أهل جاهلية وشرك فإن خيراً
منهم وأفضل وهم العلماء الذين قرأوا الكتب وعلموا ما الوحي وما الشرائع قد آمنوا به وصدقوه وثبت
عندهم أنه النبي العربي الموعود في كتبهم فإذا تلي عليهم **خروا سجداً** وسبحوا الله تعظيماً لأمره
ولإنجازه ما وعد في الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وإنزال القرآن عليه وهو
المراد بالوعد في قوله **إن كان وعد ربنا لمفعولاً** **ويزيدهم خشوعاً** أي يزيدهم القرآن لين قلب
ورطوبة عين فإن قلت **إن الذين أوتوا العلم من قبله** تعليل لماذا قلت يجوز أن يكون تعليلاً
لقوله آمنوا به أو لا تؤمنوا وأن يكون تعليلاً لقل على سبيل التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتطييب
نفسه كأنه قيل تسل عن إيمان الجهلة بإيمان العلماء وعلى الأول إن لم تؤمنوا به لقد آمن به من هو خير منكم
فإن قلت ما معنى الخرور للأذقان قلت السقوط على الوجه وإنما ذكر الذقن وهو مجتمع اللحيين لأن
الساجد أول ما يلقى به الأرض من وجهه الذقن فإن قلت حرف الاستعلاء ظاهر المعنى إذا قلت خر على وجهه
وعلى ذقنه فما معنى اللام في خر لذقنه ولوجهه قال فخر صريعاً لليدين وللفم قلت معناه جعل
ذقنه ووجهه للخرور واختصه به لأن اللام للاختصاص فإن قلت لم كرر يخرون للأذقان
قلت لاختلاف الحالين وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين وخرورهم في حال كونهم باكين
عن ابن عباس رضي الله عنه سمعه أبو جهل يقول يا الله يا رحمن فقال إنه ينهانا أن نعبد إلهين وهو يدعو إلهاً آخر
وقيل إن أهل الكتاب قالوا إنك لتقل ذكر الرحمن وقد أكثر الله في التوراة هذا الاسم فنزلت
والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وهو يتعدى إلى مفعولين تقول دعوته زيداً ثم يترك أحدهما
استغناء عنه فيقال دعوت زيداً والله والرحمن المراد بهما الاسم لا المسمى وأو للتخيير يعني ادعوا

الله

الله أو ادعوا الرحمن سموا بهذا الاسم أو بهذا واذكروا إما هذا وإما هذا والتنوين في أياً عوض من المضاف إليه
وما صلة للإبهام المؤكد لما في أي أي أي هذين الاسمين سميتم وذكرتم **فله الأسماء الحسنى**
والضمير في فله ليس براجع إلى أحد الاسمين المذكورين ولكن إلى مسماهما وهو ذاته عز وعلا لأن التسمية
للذات لا للاسم والمعنى أياً ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الأسماء الحسنى لأنه إذا
حسنت أسماؤه كلها حسن هذان الاسمان لأنهما منها ومعنى كونها أحسن الأسماء أنها مستقلة بمعاني التمجيد
والتقديس والتعظيم **بصلاتك** بقراءة صلاتك على حذف المضاف لأنه لا يلبس من قبل أن الجهر
والمخافتة صفتان تعتقبان على الصوت لا غير والصلاة أفعال وأذكار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يرفع صوته بقراءته فإذا سمعها المشركون لغوا وسبوا فأمر بأن يخفض من صوته والمعنى ولا تجهر حتى تسمع
المشركين ولا تخافت حتى لا تسمع من خلفك **وابتغ بين** الجهر والمخافتة **سبيلاً** وسطاً وروي أن أبا
بكر رضي الله عنه كان يخفي صوته بالقراءة في صلاته ويقول أناجي ربي وقد علم حاجتي وكان عمر يرفع
صوته ويقول أزجر الشيطان وأوقظ الوسنان فأمر أبا بكر أن يرفع قليلاً وعمر أن يخفض قليلاً وقيل
معناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلاً بأن تجهر بصلاة الليل وتخافت
بصلاة النهار وقيل بصلاتك بدعائك وذهب قوم إلى أن الآية منسوخة بقوله ادعوا ربكم
تضرعاً وخفية وابتغاء السبيل مثل لانتحاء الوجه الوسط في القراءة **ولم يكن له ولي من الذل** ناصر من الذل
ومانع له منه لاعتزازه به أو لم يوال أحداً من أجل مذلة به ليدفعها بموالاته فإن قلت كيف لاق
وصفه بنفي الولد والشريك والذل بكلمة التحميد قلت لأن من هذا وصفه هو الذي يقدر على إيلاء
كل نعمة فهو الذي يستحق جنس الحمد وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أفصح الغلام من بني عبد المطلب
علمه هذه الآية عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة بني إسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان
له قنطار في الجنة والقنطار ألف أوقية ومائتا أوقية

سورة الكهف مكية وهي مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

لقن الله عباده وفقههم كيف يثنون عليه ويحمدونه على أجزل نعمائه عليهم وهي نعمة الإسلام وما أنزل على عبده محمد
صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم **ولم يجعل له عوجاً** ولم يجعل له شيئاً من العوج
قط والعوج في المعاني كالعوج في الأعيان والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شيء منه من
الحكمة والإصابة فيه فإن قلت بم انتصب قيماً قلت الأحسن أن ينتصب بمضمر ولا يجعل حالاً
من الكتاب لأن قوله ولم يجعل له معطوف على أنزل فهو داخل في حيز الصلة فجاعله حالاً من الكتاب فاصل
بين الحال وذي الحال ببعض الصلة وتقديره ولم يجعل له عوجاً جعله قيماً لأنه إذا نفى عنه العوج فقد
أثبت له الاستقامة فإن قلت ما فائدة الجمع بين نفي العوج وإثبات الاستقامة وفي أحدهما غنى عن الآخر
قلت فائدته التأكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج عند السبر والتصفح وقيل
قيماً بمصالح العباد وما لا بد لهم منه من الشرائع وقرئ قيماً أنذر متعد إلى مفعولين كقوله إنا أنذرناكم عذاباً قريباً
فاقتصر على أحدهما وأصله لينذر الذين كفروا بأساً شديداً والبأس من قوله بعذاب بئيس وقد بؤس العذاب

الا

ونون لدنه باسباع او باسه من لدنه صادرا من عنده وقرئ من لدنه بسكون الدال مع اشمام الضمة وكسر النون ويبشر
بالتخفيف والتثقيل فان قلت لم اقتصر على مفعول انذر قلت فجعل المنذر به هو العرض المسوق له فوجب
الاقتصار عليه والدليل عليه تكرار الانذار في قوله وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا متعلقا بالمنذرين من غير
ذكر المنذر به كما ذكر المبشر به في قوله ان لهم اجرا حسنا استغناء بتقدم ذكره والجزاء الجنة ما لهم به من علم
اي بالولد وبالتخاذه يعني ان قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد للآباء وقد استعملهم الآباء من
الشيطان وتسويله فان قلت اتخاذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم قلت معناه ما لهم
به من علم لانه ليس مما يعلم لاستحالته وانتفاء العلم بالشيء اما للجهل بالطريق الموصل اليه واما لانه في نفسه محال
لا يستقيم تعلق العلم به وقرئ كبرت كلمة وكلمة بالنصب على التمييز والرفع على الفاعلية والنصب اقوى وابلغ
وفيه معنى التعجب كانه قيل ما اكبرها كلمة تخرج من افواههم صفة للكلمة تفيد استعظاما لاجترائهم
على النطق بها واخراجها من افواههم فان كثيرا مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس ويحدثون به انفسهم من
المنكرات لا يتمالكون ان يتفوهوا به ويطلقوا به السنتهم بل يكظمون عليه تشورا من اظهاره فكيف بمثل هذا المنكر
وقرئ كبرت بسكون الباء مع اشمام الضمة فان قلت الام يرجع الضمير في كبرت قلت الى قولهم اتخذ الله ولدا
وسميت كلمة كما يسمون القصيدة كلمة فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا شبهه واياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الوجد والاسف على توليهم
برجل فارقه احبته واعزته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم وقرئ
باخع نفسك على الاصل وعلى الاضافة اي قاتلها ومهلكها وهو للاستقبال فيمن قرا ان لم يؤمنوا والمضي
فيمن قرا ان لم يؤمنوا بمعنى لان لم يؤمنوا بهذا الحديث بالقرآن اسفا مفعول له اي لفرط الحزن ويجوز ان يكون
حالا والاسف المبالغة في الحزن والغضب يقال رجل اسف واسيف ما على الارض يعني ما يصلح ان يكون
زينة لها ولاهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها لنبلوهم ايهم احسن عملا ثم زهد في الميل اليها بقوله
وانا لجاعلون ما عليها من هذه الزينة صعيدا جرزا يعني مثل ارض بيضاء لا نبات فيها بعد ان كانت خضراء معشبة
في ازالة بهجته واماطة حسنه وابطال ما به كان زينة من اماتة الحيوان وتجفيف النبات والاشجار ونحو ذلك
ذكر من الآيات الكلية تزيين الارض بما خلق الله فوقها من الاجناس التي لا حصر لها وازالة ذلك كله كان لم يكن ثم قال
ام حسبت يعني ان ذلك اعظم من قصة اصحاب الكهف وابقاء حياتهم مدة طويلة والكهف الغار الواسع في
الجبل والرقيم اسم كلبهم قال امية بن ابي الصلت وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم
والقوم في الكهف همد وقيل هو لوح من رصاص رقمت فيه اسماؤهم جعل على باب الكهف وقيل
ان الناس رقموا حديثهم نقرا في الجبل وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف وقيل الجبل وقيل
قريتهم وقيل مكانهم بين غضبان وايلة دون فلسطين كانوا آية عجبا من آياتنا وصفا بالمصدر او على ذات
عجب من لدنك رحمة اي رحمة من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق والامن من الاعداء وهيئ لنا من امرنا
الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا حتى نكون بسببه راشدين مهتدين او اجعل امرنا رشدا كله كقولك
ما رايت منك اسدا فضربنا على آذانهم اي ضربنا عليها حجابا من ان تسمع يعني انمناهم انامة ثقيلة لا تنبههم
فيها الاصوات كما ترى المستثقل في نومه يصاح به فلا يسمع ولا يستنبه فحذف المفعول الذي هو الحجاب كما يقال

بنى على امراته يريدون بنى عليها القبة سنين عددا ذوات عدد فيحتمل ان يريد الكثرة وان يريد القلة
لان الكثير قليل عنده كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار قال الزجاج اذا قل فهم مقدار عدده
فلم يحتج ان يعد واذا كثر احتاج الى ان يعد اي يفيد معنى الاستفهام لتعلق عنه لنعلم فلم يعمل فيه
وقرئ ليعلم وهو معلق عنه ايضا لان ارتفاعه بالابتداء لا بالاسناد بعلم اليه وفاعل يعلم مضمون الجملة كما انه
مفعول نعلم اي الحزبين المختلفين منهم في مدة لبثهم لانهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك وذلك قوله
قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم اعلم بما لبثتم
هم الذين علموا ان لبثهم قد تطاول او اي الحزبين المختلفين من غيرهم واحصى فعل ماض اي ايهم ضبط امدا
لاوقات لبثهم فان قلت فما تقول فيمن جعله من افعل التفضيل قلت ليس بالوجه السديد وذلك ان بناءه
من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس ونحو اعدى من الجرب وافلس من ابن المذلق شاذ والقياس على الشاذ في غير القرآن
ممتنع فكيف به ولان امدا لا يخلو اما ان ينتصب بافعل فافعل لا يعمل واما ان ينتصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى فان
زعمت اني انصبه باضمار فعل يدل عليه احصى كما اضمر في قوله واضرب منا بالسيوف القوانسا
على نضرب القوانس فقد ابعدت المتناول وهو قريب حيث ابيت ان يكون احصى فعلا ثم رجعت مضطرا الى تقديره واضماره
فان قلت كيف جعل الله تعالى العلم باحصائهم المدة غرضا في الضرب على آذانهم قلت الله عز وعلا لم يزل
عالما بذلك وانما اراد ما تعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا ايمانا واعتبارا ويكون لطفا لمؤمني زمانهم وآية
بينة لكفاره وزدناهم هدى بالتوفيق والتثبيت وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر الاوطان
والنعيم والفرار بالدين الى بعض الغيران وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالاسلام اذ قاموا بين يدي
الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم فقالوا ربنا رب السموات
والارض شططا قولا ذا شطط وهو الافراط في الظلم والابعاد فيه من شط اذا بعد ومنه اشط في السوم
وفي غيره هؤلاء مبتدا وقومنا عطف بيان واتخذوا خبر وهو اخبار في معنى انكار لولا يأتون عليهم هلا
يأتون على عبادتهم فحذف المضاف بسلطان بين وهو تبكيت لان الاتيان بالسلطان على عبادة الاوثان محال وهو
دليل على فساد التقليد وانه لا بد في الدين من الحجة حتى يصح ويثبت افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه
واذ اعتزلتموهم خطاب من بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم وما يعبدون عطف على
الضمير يعني واذ اعتزلتموهم واعتزلتم معبودهم الا الله يجوز ان يكون استثناء متصلا على ما روي انهم كانوا
يقرون بالخالق ويشركون معه كما اهل مكة وان يكون منقطعا وقيل هو كلام معترض اخبار من الله
تعالى عن الفتية انهم لم يعبدوا الا الله مرفقا قرئ بفتح الميم وكسرها وهو ما يرتفق به اي ينتفع اما ان
يقولوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم واما ان يخبرهم به نبي
في عصرهم واما ان يكون بعضهم نبيا اصله تتزاور فخفف بادغام التاء في الزاي او حذفها وقد قرئ بهما
وقرئ تزور وتزوار بوزن تحمر وتحمار وكلها من الزور وهو الميل ومنه زاره اذا مال اليه
والزور الميل عن الصدق ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين تقرضهم تقطعهم
لا تقربهم من معنى القطيعة والصرم قال ذو الرمة الى ظعن يقرضن اقواز مشرف شمالا وعن ايمانهن الفوارس
وهم في فجوة منه وهم في متسع من الكهف والمعنى انهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس في طلوعها

ولا غرو فما مع انهم في مكان واسع منفتح معرض لاصابة الشمس لولا ان حجبها عنهم . وقيل في متسع
من غارهم ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار ذلك من آيات الله اي ما صنعه الله
بهم من ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة آية من آياته يعني ما كان في ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم
اختصاصا لهم بالكرامة وقيل باب الكهف شمالي مستقبل لبنات نعش فهم في مقناة ابدا ومعنى ذلك من
آيات الله ان شانهم وحديثهم من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ثناء عليهم بانهم جاهدوا في الله واسلموا
له وجوههم فلطف بهم واعانهم وارشدهم الى نيل تلك الكرامات السنية والاختصاص بالآية العظيمة وان
كل من سلك طريقة المهتدين الراشدين فهو الذي اصاب الفلاح واهتدى الى السعادة ومن تعرض للخذلان
فلن تجد من يليه ويرشده بعد خذلان الله . وتحسبهم بكسر السين وفتحها خطاب لكل احد والايقاظ جمع
يقظ كانكاد في نكد قيل عيونهم منفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك ايقاظا وقيل لكثرة تقلبهم
وقيل لهم تقلبتان في السنة وقيل تقلبة واحدة في يوم عاشوراء وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله عز وجل
وقرئ وتقلبهم على المصدر منصوبا وانتصابه بفعل مضمر يدل عليه وتحسبهم ايقاظا كانه قيل وترى وتشاهد
تقلبهم . وقرأ جعفر الصادق عليه السلم وكالبهم اي صاحب كلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية
لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان في معنى المضي واضافته اذا اضيف حقيقية معرفة كغلام زيد الا اذا نويت
حكاية الحال الماضية والوصيد الفناء وقيل العتبة وقيل الباب وانشد .
بارض فضاء لا يسد وصيدها علي ومعروفي بها غير منكر . وقرئ لملئت بتشديد اللام للمبالغة وقرئ
بتخفيف الهمزة وقلبها ياء ورعبا بالتخفيف والتثقيل وهو الخوف الذي يرعب الصدر اي يملاه وذلك لما
البسهم الله من الهيبة وقيل لطول اظفارهم وشعورهم وعظم اجرامهم وقيل لوحشة مكانهم .
وعن معوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هولاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضي
الله عنه ليس لك ذلك قد منع الله تعالى من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فقال معوية
لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله تعالى
ريحا فاخرجتهم . وقرئ لو اطلعت بضم الواو وكذلك بعثناهم وكما انمناهم تلك النومة كذلك
بعثناهم ادكارا بقدرته على الانامة والبعث جميعا ليسال بعضهم بعضا ويعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيعتبروا
ويستدلوا على عظم قدرة الله ويزدادوا يقينا ويشكروا ما انعم به عليهم وكرموا به قالوا لبثنا يوما
او بعض يوم جواب مبني على غالب الظن وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب وانه لا يكون
كذبا وان جاز ان يكون خطا قالوا ربكم اعلم بما لبثتم انكار عليهم من بعضهم وان الله اعلم بمدة لبثهم كان هولاء قد
علموا بالادلة او بالهام من الله ان المدة متطاولة وان مقدارها مبهم لا يعلمه الا الله . وروي انهم دخلوا
الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا انهم في يومهم فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم
قالوا ذلك فان قلت كيف وصلوا قولهم فابعثوا بتذاكر حديث المدة قلت كانهم قالوا ربكم
اعلم بذلك لا طريق لكم الى علمه فخذوا في شيء آخر مما يهمكم والورق الفضة مضروبة كانت او غير مضروبة .
ومنه الحديث ان عرفجة اصيب انفه يوم الكلاب فاتخذ انفا من ورق فانتن فامره رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يتخذ انفا من ذهب . وقرئ بورقكم بكسر الراء والواو مفتوحة او مكسورة وقرأ ابن كثير

بورقكم

بورقكم بكسر الراء وادغام القاف في الكاف . وعن ابن محيصن انه كسر الواو واسكن الراء وادغم وهذا غير جائز
لالتقاء الساكنين لا على حده . وقيل المدينة طرسوس قالوا وتزودهم ما كان معهم من الورق عند فرارهم دليل
على ان حمل النفقة وما يصلح للمسافر هو راي المتوكلين على الله دون المتكلين على الاتفاقات وعلى ما في اوعية القوم
من النفقات . ومنه قول عائشة رضي الله عنها لمن سالها عن محرم يشد عليه هميانه اوثق عليك نفقتك . وما حكي
عن بعض صعاليك العلماء انه كان شديد الحنين الى ان يرزق حج بيت الله وكان يقول ممن ذلك كانت مياسير اهل بلده كلما
عزم منهم فوج على الحج اتوه فبذلوا له ان يحجوا به والحوا عليه فيعتذر اليهم ويحمد اليهم بذلهم فاذا انفضوا عنه
قال لمن عنده ما لهذا السفر الا شيئان شد الهميان والتوكل على الرحمن . ايها اي اهلها فحذف الاهل كما في قوله
واسال القرية ازكى طعاما احل واطيب او اكثر وارخص وليتلطف وليتكلف اللطف والتنيق فيما يباشره من امر
المبايعة حتى لا يغبن او في امر التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا يعني ولا يفعلن ما يؤدي من غير قصد منه الى
الشعور بنا فسمي ذلك اشعارا منه بهم لانه سبب فيه والضمير في انهم راجع الى الاهل المقدر في ايها يرجموكم
يقتلوكم اخبث القتلة وهي الرجم وكانت عادة لهم او يعيدوكم او يدخلوكم في ملتهم بالاكراه العنيف ويصيروكم
اليها والعود في معنى الصيرورة اكثر شيء في كلامهم يقولون ما عدت افعل كذا يريدون ابتدا الفعل ولن تفلحوا
اذا ابدا ان دخلتم في دينهم وكذلك اعثرنا عليهم وكما انمناهم وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة اطلعنا
عليهم ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم ان وعد الله حق وهو البعث لان حالهم في نومتهم وانتباههم بعدها كحال
من يموت ثم يبعث اذ يتنازعون متعلق باعثرنا اي اعثرناهم عليهم حين يتنازعون بينهم امر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث
فكان بعضهم يقول تبعث الارواح دون الاجساد وبعضهم يقول تبعث الاجساد مع الارواح ليرتفع الخلاف وليتبين
ان الاجساد تبعث حية حساسة فيها ارواحها كما كانت قبل الموت فقالوا حين توفى الله اصحاب الكهف ابنوا
عليهم بنيانا اي على باب كهفهم لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالحظيرة قال الذين غلبوا على امرهم من المسلمين وملكهم وكانوا اولى بهم وبالبناء عليهم لنتخذن
على باب الكهف مسجدا يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم وقيل اذ يتنازعون بينهم امرهم اي يتذاكر الناس
بينهم امر اصحاب الكهف ويتكلمون في قصتهم وما اظهر الله من الآية فيهم او يتنازعون بينهم تدبير امرهم حين
توفوا كيف يخفون مكانهم وكيف يسدون الطريق اليهم فقالوا ابنوا على باب كهفهم بنيانا . وروي ان اهل الانجيل
عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الاصنام واكرهوا على عبادتها وممن شدد في ذلك دقيانوس
اراد فتية من اشراف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل فابوا الا الثبات على الايمان والتصلب فيه ثم هربوا الى
الكهف ومروا بكلب فتبعهم فطردوه فانطقه الله فقال ما تريدون مني انا احب احباء الله فناموا وانا احرسكم
وقيل مروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف فكانوا يعبدون الله فيه ثم ضرب الله على آذانهم
وقبل ان يبعثهم الله ملك مدينتهم رجل صالح مؤمن وقد اختلف اهل مملكته في البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك
بيته واغلق بابه ولبس مسحا وجلس على رماد وسال ربه ان يبين لهم الحق فالقى الله في نفس رجل من رعيانهم فهدم
ما سد به فم الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام واخرج الورق وكان من
ضرب دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فانطلق الملك واهل المدينة معه وابصروهم
وحمدوا الله على الآية الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم

ثم رجعوا إلى مضاجعهم وتوفى الله أنفسهم فألقى الملك عليهم ثيابه وأمر أن يجعل لكل واحد منهم تابوت من ذهب
فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجداً **ربهم أعلم بهم** من كلام المتنازعين
كأنهم تذاكروا أمرهم وتناقلوا الكلام في أنسابهم وأحوالهم ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا إلى حقيقة ذلك قالوا ربهم
أعلم بهم أو هو من كلام الله عز وجل رد لقول الخائضين في حديثهم من أولئك المتنازعين أو من الذين تنازعوا فيهم على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب **سيقولون** الضمير لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من أهل الكتاب والمؤمنين سألوا رسول الله عنهم فأخر الجواب إلى أن يوحى إليه فيهم فنزلت إخباراً بما سيجري
بينهم من اختلافهم في عددهم وأن المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم قال ابن عباس رضي الله عنه
أنا من أولئك القليل وروي أن السيد والعاقب وأصحابهما من أهل نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى
ذكر أصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبياً كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطورياً كانوا
خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق الله قول المسلمين وإنما عرفوا ذلك بإخبار
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لسان جبريل وعن علي عليه السلام هم سبعة نفر أسماؤهم يمليخا ومكشلينيا
ومشلينيا هؤلاء أصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في
أمره والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم أفسوس واسم كلبهم قطمير فإن قلت لم جاء
بسين الاستقبال في الأول دون الآخرين قلت فيه وجهان أن تدخل الآخرين في حكم السين كما تقول قد أكرم وأنعم
تريد معنى التوقع في الفعلين جميعاً وأن تريد بيفعل معنى الاستقبال الذي هو صالح له **رجماً بالغيب** رمياً بالخبر الخفي
وإتياناً به كقوله ويقذفون بالغيب أي يأتون به أو وضع الرجم موضع الظن فكأنه قيل ظناً بالغيب لأنهم أكثروا أن يقولوا
رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين ألا ترى إلى قول زهير وما هو عنها بالحديث
المرجم أي المظنون وقرئ ثلاث رابعهم بإدغام الثاء في تاء التأنيث وثلاثة خبر مبتدأ محذوف أي هم
ثلاثة وكذلك خمسة وسبعة ورابعهم كلبهم جملة من مبتدأ وخبر واقعة صفة لثلاثة وكذلك سادسهم كلبهم
وثامنهم كلبهم فإن قلت فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة ولم دخلت عليها دون الأوليين قلت
هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالاً عن المعرفة في نحو قولك جاءني رجل ومعه
آخر ومررت بزيد وفي يده سيف ومنه قوله عز وعلا وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم وفائدتها تأكيد لصوق
الصفة بالموصوف والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر وهذه الواو هي التي آذنت بأن الذين قالوا سبعة وثامنهم
كلبهم قالوه عن ثبات علم وطمأنينة نفس ولم يرجموا بالظن كما غيرهم والدليل عليه أن الله سبحانه أتبع القولين
الأولين قوله رجماً بالغيب وأتبع القول الثالث قوله **ما يعلمهم إلا قليل** وقال ابن عباس رضي الله عنه
حين وقعت الواو انقطعت العدة أي لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت إليها وثبت أنهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع
والثبات وقيل إلا قليل من أهل الكتاب والضمير في سيقولون على هذا لأهل الكتاب خاصة أي سيقول أهل
الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك إلا في قليل منهم وأكثرهم على ظن وتخمين **فلا تمار فيهم** فلا تجادل أهل
الكتاب في شأن أصحاب الكهف إلا جدالاً ظاهراً غير متعمق فيه وهو أن تقص عليهم ما أوحى الله إليك فحسب
ولا تزيد من غير تجهيل لهم ولا تعنيف بهم في الرد عليهم كما قال وجادلهم بالتي هي أحسن **ولا تستفت** ولا
تسأل أحداً منهم عن قصتهم سؤال متعنت له حتى يقول شيئاً فترده عليه وتزيف ما عنده لأن ذلك خلاف ما وصيت

به من المداراة والمجاملة ولا سؤال مسترشد لأن الله قد أرشدك بأن أوحى إليك قصتهم **ولا تقولن لشيء** ولا تقولن لأجل
شيء تعزم عليه **إني فاعل ذلك** الشيء **غداً** أي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة **إلا أن يشاء الله** متعلق بالنهي
لا بقوله إني فاعل لأنه لو قال إني فاعل كذا إلا أن يشاء الله كان معناه إلا أن تعترض مشيئة الله دون فعله وذلك ما لا يدخل
فيه النهي وتعلقه بالنهي على وجهين أحدهما ولا تقولن ذلك القول إلا أن يشاء الله أن تقوله بأن يأذن لك فيه والثاني
ولا تقولنه إلا بأن يشاء الله أي إلا بمشيئته وهو في موضع الحال يعني إلا ملتبساً بمشيئة الله قائلاً إن شاء الله وفيه وجه ثالث
وهو أن يكون إن شاء الله في معنى كلمة تأبيد كأنه قيل ولا تقولنه أبداً ونحوه قوله وما كان لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء
الله لأن عودهم في ملتهم مما لن يشاء الله وهذا نهي تأديب من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن أصحاب
الكهف وذي القرنين فسألوه فقال ائتوني غداً أخبركم ولم يستثن فأبطأ عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش
واذكر ربك أي مشيئة ربك وقل إن شاء الله إذا فرط منك نسيان لذلك والمعنى إذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت
فتداركها بالذكر وعن ابن عباس رضي الله عنه ولو بعد سنة ما لم يحنث وعن سعيد بن جبير ولو بعد يوم أو أسبوع
أو شهر أو سنة وعن طاوس هو على ثنياه ما دام في مجلسه وعن الحسن نحوه وعن عطاء يستثني على مقدار حلب ناقة غزيرة
وعند عامة الفقهاء أنه لا أثر له في الأحكام ما لم يكن موصولاً ويحكى أنه بلغ المنصور أن أبا حنيفة خالف ابن عباس في الاستثناء
المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال أبو حنيفة هذا يرجع عليك إنك تأخذ البيعة بالأيمان أفترضى أن يخرجوا من عندك
فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه ورضي عنه ويجوز أن يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت كلمة لكونه
الاستثناء تشديداً في البعث على الاهتمام بها وقيل واذكر ربك إذا تركت بعض ما أمرك الله به وقيل واذكره إذا اعتراك
النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل على أداء الصلاة المنسية عند ذكرها وهذا إشارة إلى نبأ أصحاب الكهف ومعناه لعل الله
يؤتيني من البينات والحجج على أني نبي صادق ما هو أعظم في الدلالة **وأقرب رشداً** من نبأ أصحاب الكهف وقد فعل ذلك
حيث آتاه من قصص الأنبياء والإخبار بالغيوب ما هو أعظم من ذلك وأدل والظاهر أن يكون المعنى إذا نسيت شيئاً فاذكر
ربك وذكر ربك عند نسيانه أن تقول عسى ربي أن يهديني لشيء آخر بدل هذا المنسي أقرب منه رشداً وأدنى خيراً ومنفعة عنه
ولعل النسيان كان خيرة كقوله أو ننسها نأت بخير منها **ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين** يريد لبثهم فيه أحياء مضروباً
على آذانهم هذه المدة وهو بيان لما أجمل في قوله فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً ومعنى قوله **قل الله
أعلم بما لبثوا** أنه أعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم والحق ما أخبرك به وعن قتادة أنه حكاية لكلام أهل الكتاب
وقل الله أعلم رد عليهم وقال في حرف عبد الله وقالوا لبثوا وسنين عطف بيان لثلاث مائة وقرئ ثلاث مائة سنين
بالإضافة على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله بالأخسرين أعمالاً وفي قراءة أبي ثلاث مائة سنة **تسعاً**
تسع سنين لأن ما قبله يدل عليه ثم ذكر اختصاصه بما غاب في السماوات والأرض وخفي فيها من أحوال أهلها ومن غيرها
وأنه هو وحده العالم به وجاء بما دل على التعجب من إدراكه المسموعات والمبصرات للدلالة على أن أمره في الإدراك خارج
عن حد ما عليه إدراك السامعين والمبصرين لأنه يدرك ألطف الأشياء وأصغرها كما يدرك أكبرها حجماً وأكثفها
جرماً ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر **ما لهم** الضمير لأهل السماوات والأرض **من ولي** من متول لأمورهم
ولا يشرك في حكمه في قضائه **أحداً** منهم وقرأ الحسن ولا تشرك بالتاء والجزم على النهي كانوا يقولون له ائت
بقرآن غير هذا أو بدله فقيل له **واتل ما أوحي إليك من القرآن** ولا تسمع ما يهذون به من طلب التبديل فلا
مبدل لكلمات ربك أي لا يقدر أحد على تبديلها وتغييرها إنما يقدر على ذلك هو وحده وإذا بدلنا آية مكان آية

ولن تجد من دونه ملتحدا ملجأ تعدل اليه ان هممت بذلك . قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
نح هؤلاء الموالي الذين كان ريحهم ريح الضأن وهم صهيب وعمار وخباب وغيرهم من فقراء المسلمين
حتى نجالسك كما قال قوم نوح انؤمن لك واتبعك الارذلون فنزلت واصبر نفسك احبسها معهم وثبتها
قال ابو ذؤيب . فصبرت عارفة لذلك حرة ترسو اذا نفس الجبان تطلع . بالغداة والعشي
دائبين على الدعاء في كل وقت وقيل المراد صلاة الفجر والعصر وقرئ بالغدوة وبالغداة اجود لان غدوة
علم في اكثر الاستعمال وادخال اللام على تأويل التنكير كما قال . والزيد زيد المعارك . ونحوه قليل في
كلامهم يقال عداه اذا جاوزه ومنه قولهم عدا طوره وجاء القوم عدا زيدا وانما عدي بعن لتضمين عدا
معنى نبا وعلا في قولك نبت عنه عينه وعلت عنه عينه اذا اقتحمته ولم تعلق به . فان قلت اي
غرض في هذا التضمين وهلا قيل ولا تعدهم عيناك او ولا تعل عيناك عنهم قلت الغرض فيه اعطاء
مجموع معنيين وذلك اقوى من اعطاء معنى فذ الا ترى كيف رجع المعنى الى قولك ولا تقتحمهم عيناك مجاوزين
الى غيرهم ونحوه قوله تعالى ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم اي ولا تضموها اليها آكلين لها وقرئ ولا تعد عينيك
ولا تعد عينيك من اعداه وعداه نقلا بالهمزة وتثقيل الحشو ومنه قوله . فعد عما ترى اذ لا ارتجاع له .
لان معناه فعد همك عما ترى . نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يزدري بفقراء المؤمنين وان تنبو عيناه عن
رثاثة زيهم طموحا الى زي الاغنياء وحسن شارتهم تريد زينة الحيوة الدنيا في موضع الحال من
اغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر بالخذلان او وجدناه غافلا عنه كقولك اجبنته وافحمته
وابخلته اذا وجدته كذلك او من اغفل ابله اذا تركها غفلا من غير سمة اي لم نسمه بالذكر ولم نجعلهم من الذين كتبنا
في قلوبهم الايمان وقد ابطل الله توهم المجبرة بقوله واتبع هواه وقرئ اغفلنا قلبه باسناد الفعل الى
القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين من اغفلته اذا وجدته غافلا فرطا متقدما للحق والصواب نابذا له وراء
ظهره من قولهم فرس فرط متقدم للخيل وقل الحق من ربكم الحق خبر مبتدأ محذوف والمعنى جاء الحق وزاحت
العلل فلم يبق الا اختياركم لانفسكم ما شئتم من الاخذ في طريق النجاة او في طريق الهلاك وجيء بلفظ الامر والتخيير
لانه لما مكن من اختيار ايهما شاء فكأنه مخير مأمور بان يتخير ما شاء من النجدين . شبه ما يحيط بهم من النار
بالسرادق وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط وبيت مسردق ذو سرادق وقيل هو دخان يحيط بالكفار قبل
دخولهم النار وقيل حائط من نار يطيف بهم يغاثوا بماء كالمهل كقوله فاعتبوا بالصيلم وفيه تهكم
والمهل ما اذيب من جواهر الارض وقيل دردي الزيت يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب انشوى الوجه من
حرارته . عن النبي صلى الله عليه وسلم هو كعكر الزيت اذا قرب اليه سقطت فروة وجهه . بئس الشراب
ذلك وساءت النار مرتفقا متكأ من المرفق وهذا لمشاكلة قوله حسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار
ولا اتكاء الا ان يكون من قوله . اني ارقت فبت الليل مرتفقا كأن عيني فيها الصاب مذبوح . اولئك
خبر ان وانا لا نضيع اعتراض ولك ان تجعل انا لا نضيع واولئك خبرين معا او تجعل اولئك كلاما مستأنفا
بيانا للاجر المبهم فان قلت اذا جعلت انا لا نضيع خبرا فاين الضمير الراجع منه الى المبتدأ قلت
من احسن عملا والذين آمنوا وعملوا الصالحات ينتظمهما معنى واحد فقام من احسن مقام الضمير او اردت
من احسن عملا منهم فكان كقولك السمن منوان بدرهم . من الاولى للابتداء والثانية للتبيين وتنكير اساور

لابهام

لابهام امرها في الحسن وجمع بين السندس وهو ما رق من الديباج وبين الاستبرق وهو الغليظ منه جمعا بين
النوعين وخص الاتكاء لانه هيئة المتنعمين والملوك على اسرتهم واضرب لهم مثلا رجلين اي ومثل حال
الكافرين والمؤمنين بحال رجلين وكانا اخوين في بني اسرائيل احدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا
وقيل هما المذكوران في سورة والصافات في قوله قال قائل منهم اني كان لي قرين ورثا من ابيهما ثمانية
آلاف دينار فتشاطراها فاشترى الكافر ارضا بالف فقال المؤمن اللهم ان اخي اشترى ارضا بالف دينار
وانا اشتري منك ارضا في الجنة فتصدق به ثم بنى اخوه دارا بالف دينار فقال اللهم اني اشتري منك دارا
في الجنة بالف دينار فتصدق به ثم تزوج اخوه امرأة بالف فقال اللهم اني جعلت الفا صداقا للحور ثم اشترى
اخوه خدما ومتاعا بالف فقال اللهم اني اشتريت منك الولدان المخلدين بالف فتصدق به ثم اصابته حاجة
فجلس لاخيه على طريقه فمر به في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله وقيل هما مثل لاخوين
من بني مخزوم مؤمن وهو ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد وكان زوج ام سلمة قبل رسول الله وكافر وهو الاسود
بن عبد الاسد جنتين من اعناب بساتين من كروم وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطا بالجنتين
وهذا مما يؤثره الدهاقين في كرومهم ان يجعلوها مؤزرة بالاشجار المثمرة يقال حفوه اذا طافوا به وحففته
بهم اي جعلتهم حافين حوله وهو متعد الى مفعول واحد فتزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته وغشيته به
وجعلنا بينهما زرعا جعلناها ارضا جامعة للاقوات والفواكه ووصف العمارة بانها متواصلة متشابكة لم
يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينها مع الشكل الحسن والترتيب الانيق ونعتهما بوفاء الثمار وتمام الاكل من غير
نقص ثم بما هو اصل الخير ومادته من امر الشرب فجعله افضل ما يسقى به وهو السيح بالنهر الجاري فيها والاكل
الثمر وقرئ بضم الكاف ولم تظلم ولم تنقص وآتت حمل على اللفظ لان كلتا لفظه لفظ مفرد ولو قيل
آتتا على المعنى لجاز وقرئ وفجرنا على التخفيف . وقرأ عبد الله كل الجنتين آتى اكله برد الضمير على كل
وكان له ثمر اي انواع من المال من ثمر ماله اذا كثره . وعن مجاهد الذهب والفضة اي كانت له الى الجنتين
الموصوفتين الاموال الكثيرة من الذهب والفضة وغيرهما فكان وافر اليسار من كل وجه متمكنا من عمارة الارض
كيف شاء واعز نفرا يعني انصارا وحشما وقيل اولادا ذكورا لانهم ينفرون معه دون الاناث يحاوره
يراجعه الكلام من حار يحور اذا رجع وسألته فما احار كلمة يعني قطروس اخذ بيد المسلم يطوف به في
الجنتين ويريه ما فيهما ويعجبه منهما ويفاخره بما ملك من المال دونه فان قلت لم افرد الجنة بعد التثنية
قلت معناه ودخل ما هو جنته ما له جنة غيرها يعني انه لا نصيب له في الجنة التي وعد المؤمنون فما
ملكه في الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما وهو ظالم لنفسه وهو معجب بما
اوتي مفتخر به كافر لنعمة ربه معرض بذلك نفسه لسخط الله وهو افحش الظلم اخباره عن نفسه بالشك
في بيدودة جنته لطول امله واستيلاء الحرص عليه وتمادي غفلته واغتراره بالمهلة واطراحه النظر
في عواقب امثاله وترى اكثر الاغنياء من المسلمين وان لم يطلقوا بنحو هذا ألسنتهم فان ألسنة احوالهم
ناطقة به منادية عليه ولئن رددت الى ربي اقسام منه على انه ان رد الى ربه على سبيل الفرض والتقدير
وكما يزعم صاحبه ليجدن في الآخرة خيرا من جنته في الدنيا تطمعا وتمنيا على الله وادعاء لكرامته عليه
ومكانته عنده وانه ما اولاه الجنتين الا لاستحقاقه واستئهاله وان معه هذا الاستحقاق اين توجه

كقوله إن لي عنده للحسنى [illegible] أنا أقل منك مالا وولدا وقرئ خيرا منهما ردا على الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة وانتصابه
على التمييز أي منقلب تلك خير من منقلب هذه لأنها فانية وتلك باقية خلقك من تراب أي خلق أصلك لأن خلق أصله
سبب في خلقه فكان خلقه خلقا له سواك عدلك وكملك إنسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعله كافرا بالله جاحدا
لأنعمه لشكه في البعث كما يكون المكذب بالرسول كافرا لكنا هو الله ربي أصله لكن أنا فحذفت الهمزة وألقيت
حركتها على نون لكن فتلاقت النونان فكان الادغام ونحوه قول القائل
وترمينني بالطرف أي أنت مذنب وتقلينني لكن إياك لا أقلي أي لكن أنا لا أقليك وهو ضمير
الشأن والشأن الله ربي والجملة خبر أنا والراجع منها إليه ياء الضمير وقرأ ابن عامر بإثبات ألف أنا في الوصل
والوقف جميعا وحسن ذلك وقوع الألف عوضا من حذف الهمزة وغيره لا يثبتها إلا في الوقف وعن أبي عمرو أنه وقف
بالهاء لكنه وقرئ لكن هو الله ربي بسكون النون وطرح أنا وقرأ أبي بن كعب لكن أنا على الأصل
وفي قراءة عبد الله لكن أنا لا إله إلا هو ربي فإن قلت هو استدراك لماذا قلت لقوله أكفرت قال لأخيه
أنت كافر بالله لكني مؤمن موحد كما تقول زيد غائب لكن عمرو حاضر ما شاء الله يجوز أن تكون ما موصولة مرفوعة
المحل على أنها خبر مبتدأ محذوف تقديره الأمر ما شاء الله أو شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف بمعنى أي شيء
شاء الله كان ونظيرها في حذف الجواب لو في قوله ولو أن قرآنا سيرت به الجبال والمعنى هلا قلت عند دخولها
والنظر إلى ما رزقك الله منها الأمر ما شاء الله اعترافا بأنها وكل خير فيها إنما حصل بمشيئة الله وفضله وأن أمرها
بيده إن شاء تركها عامرة وإن شاء خربها وقلت لا قوة إلا بالله إقرارا بأن ما قويت به على عمارتها وتدبير أمرها فبمعونته
وتأييده إذ لا يقوى أحد في بدنه ولا في ملك يده إلا بالله وعن عروة بن الزبير أنه كان يثلم حائطه أيام الرطب
فيدخل من شاء وكان إذا دخله ردد هذه الآية حتى يخرج من قرأ أنا بالنصب فقد جعل أنا فصلا ومن رفع جعله مبتدأ
وأقل خبره والجملة مفعولا ثانيا لترني وفي قوله وولدا نصرة لمن فسر النفر بالأولاد في قوله وأعز نفرا
والمعنى إن ترني أفقر منك فأنا أتوقع من صنع الله أن يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لإيماني جنة
خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب بستانك والحسبان مصدر كالغفران والبطلان بمعنى الحساب
أي مقدارا قدره الله وحسبه وهو الحكم بتخريبها وقال الزجاج [illegible] حسبان وذلك الحسبان حساب
ما كسبت يداك وقيل حسبانا مرامي الواحدة حسبانة وهي الصواعق صعيدا زلقا أرضا بيضاء يزلق عليها
لملاستها زلقا وغورا كلاهما وصف بالمصدر وأحيط به عبارة عن إهلاكه وأصله من أحاط به العدو لأنه إذا أحاط
به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل في كل إهلاك ومنه قوله تعالى إلا أن يحاط بكم ومثله قولهم أتى
عليه إذا أهلكه من أتى عليهم العدو إذا جاءهم مستعليا عليهم وتقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر
لأن النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن كما كنى عن ذلك بعض الكف والسقوط في اليد ولأنه في معنى الندم عدي
تعديته بعلى كأنه قيل فأصبح يندم على ما أنفق فيها أي أنفق في عمارتها وهي خاوية على عروشها يعني أن كرومها
المعرشة سقطت عروشها على الأرض وسقطت فوقها الكروم قيل أرسل الله عليها نارا فأكلها يا ليتني
تذكر موعظة أخيه فعلم أنه أتي من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه ويجوز
أن يكون توبة من الشرك وندما على ما كان منه ودخولا في الإيمان وقرئ ولم تكن له فئة بالياء والتاء وحمل
ينصرونه على المعنى دون اللفظ كقوله فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة وإن قلت ما معنى قوله ينصرونه

من دون الله قلت معناه يقدرون على نصرته من دون الله أي هو وحده القادر على نصرته لا يقدر أحد غيره أن ينصره
إلا أنه لم ينصره لصارف وهو استيجابه أن يخذل وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله الولاية بالفتح النصرة
والتولي وبالكسر السلطان والملك وقد قرئ بهما والمعنى هنالك أي في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها
غيره ولا يستطيعها أحد سواه تقريرا لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله أو هنالك السلطان والملك لله
لا يغلب ولا يمتنع منه أو في مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر يعني أن قوله يا ليتني لم أشرك بربي
أحدا كلمة ألجئ إليها فقالها جزعا مما دهاه من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها ويجوز أن يكون المعنى هنالك الولاية
لله ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم ويشفي صدورهم من أعدائهم يعني أنه نصر فيما فعل بالكافر أخاه
المؤمن وصدق قوله عسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء ويعضده قوله هو خير ثوابا
وخير عقبا أي لأوليائه وقيل هنالك إشارة إلى الآخرة أي في تلك الدار الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم
وقرئ الحق بالرفع والجر صفة للولاية والله وقرأ عمرو بن عبيد رحمه الله بالنصب على التأكيد كقولك
هذا عبد الله الحق لا الباطل وهي قراءة حسنة فصيحة وكان عمرو بن عبيد من أفصح الناس وأنصحهم وقرئ عقبا
بضم القاف وسكونها وعقبى على فعلى وكلها بمعنى العاقبة فاختلط به نبات الأرض فالتف بسببه وتكاثف
حتى خالط بعضه بعضا وقيل نجع في النبات الماء فاختلط به حتى روي ورف رفيفا وكان حق اللفظ على
هذا التفسير فاختلط بنبات الأرض ووجه صحته أن كل مختلطين موصوف كل واحد منهما بصفة صاحبه
والهشيم ما تهشم وتحطم الواحدة هشيمة وقرئ تذروه الريح وعن ابن عباس تذريه الرياح من أذرى
شبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون أخضر وارفا ثم يهيج فتطيره
الرياح كأن لم يكن وكان الله على كل شيء من الإنشاء والإفناء مقتدرا الباقيات الصالحات أعمال الخير
التي تبقى ثمرتها للإنسان ويبقى عنه كلما تطمح إليه نفسه من حظوظ الدنيا وقيل هي الصلوات الخمس وقيل
سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وعن قتادة كل ما أريد به وجه الله خير ثوابا أي ما
يتعلق بها من الأمل لأن صاحبها [illegible] ثواب الله ونصيبه في الآخرة وقرئ تسير من سيرت
ويسير من سير [illegible] في الجو ويذهب بها بأن يجعلها هباء منبثا وقرئ وترى الأرض على
البناء للمفعول بارزة [illegible] ما كان عليها وحشرناهم [illegible] إلى الموقف وقرئ فلا نغادر
بالنون والياء يقال غادره وأغدره إذا تركه ومنه الغدر ترك الوفاء [illegible] ما غادره السيل وشبهت
حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان صفا مصطفين ظاهرين [illegible] لا يحجب
أحد أحدا لقد جئتمونا أي قلنا لهم لقد جئتمونا وهذا المضمر يجوز أن يكون عامل النصب في يوم نسير ويجوز أن ينتصب
بإضمار اذكر والمعنى لقد بعثناكم كما أنشأناكم أول مرة وقيل [illegible] عراة لا شيء معكم كما خلقناكم أولا
كقوله ولقد جئتمونا فرادى فإن قلت لم جيء بحشرناهم ماضيا [illegible] وترى قلت للدلالة على
أن حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الأهوال والعظائم كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك
موعدا [illegible] وقتا لإنجاز ما وعدتم على ألسنة الأنبياء من البعث والنشور والكتاب الجنس وهو صحف الأعمال
يا ويلتنا [illegible] دعوا بالهلكة من بين الهلكات لا يغادر صغيرة ولا كبيرة هنة صغيرة ولا كبيرة
[illegible] من الإحاطة يعني لا يترك شيئا من المعاصي إلا أحصاها أي أحصاها كلها كما يقول ما أعطاني قليلا ولا

كبيرًا لأن الآثام إما صغائر وإما كبائر ويجوز أن يريد وإما كان عندهم صغائر وكبائر وقيل لم يجتنبوا الكبائر
فكتبت عليهم الصغائر وهي المناقشة ۞ وعن ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة ۞ وعن سعيد
ابن جبير الصغيرة المسيس والكبيرة الزنا ۞ وعن الفضيل كان إذا قرأها قال ضجوا والله من الصغائر قبل الكبائر
إلا أحصاها إلا ضبطها وحصرها **ووجدوا ما عملوا حاضرًا** في الصحف عتيدًا أو جزاء ما عملوا
ولا يظلم ربك أحدًا فيكتب عليه ما لم يعمل أو يزيد في عقابه المستحق أو يعذبه بغير جرم كما يزعم من
ظلم الله في تعذيب أطفال المشركين بذنوب آبائهم **كان من الجن** كلام مستأنف جار مجرى التعليل بعد استثناء
إبليس من الساجدين كأن قائلًا قال ما له لم يسجد فقيل كان من الجن **ففسق عن أمر ربه** والفاء للتسبيب أيضًا
جعل كونه من الجن سببًا في فسقه يعني أنه لو كان ملكًا كسائر من سجد لآدم لم يفسق عن أمر الله لأن الملائكة معصومون
البتة لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والإنس كما قال لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وهذا الكلام
المعترض تعمد من الله عز وجل لصيانة الملائكة عن وقوع شبهة في عصمتهم فما أبعد البون بين ما تعمده الله وبين
قول من ضاده فزعم أنه كان ملكًا ورئيسًا على الملائكة فعصى فلعن ومسخ شيطانًا ثم وركه على ابن عباس ومعنى
فسق عن أمر ربه خرج عما أمره به ربه من السجود قال فواسقًا عن قصدها جوائرا أو صار فاسقًا كافرًا
بسبب أمر ربه الذي هو قوله اسجدوا لآدم **أفتتخذونه** الهمزة للإنكار والتعجب كأنه قيل أعقيب ما وجد منه
تتخذونه وذريته **أولياء من دوني** وتستبدلونهم بي **بئس للظالمين بدلًا** بئس البدل من الله إبليس لمن استبدله فأطاعه بدل
طاعته **ما أشهدتهم** وقرئ ما أشهدناهم يعني أنكم اتخذتموهم شركاء لي في العبادة وإنما كانوا يكونون شركاء
فيها لو كانوا شركاء في الإلهية فنفى مشاركتهم في الإلهية بقوله ما أشهدتهم **خلق السماوات والأرض** لأعتضد
بهم في خلقها **ولا خلق أنفسهم** أي ولا أشهدت بعضهم خلق بعض كقوله ولا تقتلوا أنفسكم **وما كنت**
متخذ المضلين يعني وما كنت متخذهم **عضدًا** أي أعوانًا فوضع المضلين موضع الضمير ذمًا لهم بالإضلال
فإذا لم يكونوا عضدًا لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة ۞ وقرئ وما كنتَ بالفتح والخطاب
لرسول الله والمعنى وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغي لك أن تعتز [illegible] ۞ وقرأ علي عليه السلام متخذًا
المضلين بالتنوين على الأصل ۞ وقرأ الحسن عضدًا بسكون الضاد ونقل ضمتها [illegible] ۞ وقرئ عضدًا
بالفتح وسكون العين وعُضُدًا بضمتين وعَضَدًا بفتحتين جمع عاضد كخادم وخدم وراصد ورصد من عضده
إذا قواه وأعانه **يقول** بالياء والنون وإضافة الشركاء إليه على زعمهم توبيخًا لهم وأراد الجن **موبقًا** مهلكًا
من وبق يبق وبوقًا ووبق يوبق وبقًا إذا هلك وأوبقه غيره ويجوز أن يكون مصدرًا كالمورد والموعد يعني
وجعلنا بينهم واديًا من أودية جهنم هو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشتركًا يهلكون فيه جميعًا
وعن الحسن موبقًا عداوة والمعنى عداوة هي في شدتها هلاك كقوله ۞ لا يكن حبك كلفًا ولا بغضك تلفًا
وقال الفراء البين الوصل أي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكًا يوم القيامة ويجوز أن يريد الملائكة وعزيرًا
وعيسى ومريم وبالموبق البرزخ البعيد أي وجعلنا بينهم أمدًا بعيدًا تهلك فيه الأشواط لفرط بعده لأنهم
في قعر جهنم وهم في أعلى الجنان **فظنوا** فأيقنوا **مواقعوها** مخالطوها واقعون فيها **مصرفًا** معدلًا قال
أزهير هل عن شيبة من مصرف ۞ **أكثر شيء جدلًا** أكثر الأشياء التي يتأتى منها الجدل إن فصلتها واحدًا
بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل وانتصاب جدلًا على التمييز يعني أن جدل الإنسان أكثر من جدل كل
ونحوه

ونحوه فإذا هو خصيم مبين ۞ أن الأولى نصب والثانية رفع وقبلها مضاف محذوف تقديره **وما منع**
الناس الإيمان والاستغفار إلا انتظار **أن تأتيهم سنة الأولين** وهي الإهلاك أو انتظار أن يأتيهم العذاب
يعني عذاب الآخرة **قبلًا** عيانًا وقرئ قبلًا أنواعًا جمع قبيل وقبلًا بفتحتين مستقبلًا **ليدحضوا** ليزيلوا
ويبطلوا من إدحاض القدم وهو إزلاقها وإزالتها عن موطئها **وما أنذروا** يجوز أن تكون ما موصولة ويكون
الراجع من الصلة محذوفًا وما أنذروه من العقاب أو مصدرية بمعنى وإنذارهم ۞ وقرئ هزؤًا بالسكون
أي اتخذوها موضع استهزاء وجدالهم قولهم للرسل ما أنتم إلا بشر مثلنا ولو شاء الله لأنزل ملائكة وما أشبه
ذلك **بآيات ربه** بالقرآن ولذلك رجع إليها الضمير مذكرًا في قوله أن يفقهوه **فأعرض عنها** فلم يتذكر حين ذكر
ولم يتدبر **ونسي عاقبة ما قدمت يداه** من الكفر والمعاصي غير متفكر فيها ولا ناظر في أن المسيء والمحسن لا بد لهما
من جزاء ثم علل إعراضهم ونسيانهم بأنهم مطبوع على قلوبهم وجمع بعد الإفراد حملًا على لفظ من ومعناه
فلن يهتدوا إذًا فلا يكون منهم اهتداء البتة كأنه محال منهم لشدة تصميمهم **أبدًا** مدة التكليف كلها وإذًا جزاء
وجواب فدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول بمعنى أنهم جعلوا ما يجب أن يكون سبب وجود الاهتداء سببًا في
انتفائه وعلى أنه جواب للرسول على تقدير قوله ما لي لا أدعوهم حرصًا على إسلامهم فقيل وإن تدعهم إلى الهدى
فلن يهتدوا **الغفور** البليغ المغفرة **ذو الرحمة** الموصوف بالرحمة ثم استشهد على ذلك بترك مؤاخذة
أهل مكة عاجلًا من غير إمهال مع إفراطهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم **بل لهم موعد** وهو يوم بدر ۞
لن يجدوا من دونه موئلًا منجى ولا ملجأ يقال وأل إذا نجا ووأل إليه إذا لجأ إليه **وتلك القرى** يريد قرى
الأولين من ثمود وقوم لوط وغيرهم أشار لهم إليها ليعتبروا وتلك مبتدأ والقرى صفة لأن أسماء الإشارة توصف
بأسماء الأجناس **وأهلكناهم** خبر ويجوز أن يكون تلك القرى نصبًا بإضمار أهلكنا على شريطة التفسير والمعنى
وتلك أصحاب القرى أهلكناهم **لما ظلموا** مثل ظلم أهل مكة **وجعلنا لمهلكهم موعدًا** وضربنا لإهلاكهم وقتًا
معلومًا لا يستأخرون عنه كما ضربنا لأهل مكة يوم بدر والمهلك الإهلاك ووقته ۞ وقرئ لمهلكهم بفتح الميم واللام
مفتوحة أو مكسورة أي لهلاكهم أو وقت هلاكهم والموعد وقت أو مصدر **لفتاه** لعبده وفي الحديث ليقل
أحدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وأمتي وقيل هو يوشع بن نون وإنما قيل فتاه لأنه كان يخدمه ويتبعه
وقيل كان يأخذ منه العلم [illegible] فإن قلت لا أبرح إن كان بمعنى لا أزول من برح المكان فقد دل على الإقامة
لا على السفر وإن كان بمعنى لا أزال فلا بد من الخبر قلت هو بمعنى لا أزال وقد حذف الخبر لأن الحال والكلام
معًا يدلان عليه أما الحال فلأنها كانت حال سفر وأما الكلام فلأن قوله **حتى أبلغ مجمع البحرين** غاية
مضروبة تستدعي ما هي غاية له فلا بد أن يكون المعنى لا أبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين ۞ ووجه آخر وهو أن يكون
المعنى لا يبرح مسيري حتى أبلغ على أن حتى أبلغ هو الخبر فلما حذف المضاف أقيم المضاف إليه مقامه وهو ضمير المتكلم
فانقلب الفعل عن لفظ الغائب إلى لفظ المتكلم وهو وجه لطيف ويجوز أن يكون المعنى لا أبرح ما أنا عليه بمعنى
ألزم المسير والطلب ولا أتركه ولا أفارقه حتى أبلغ كما تقول لا أبرح المكان ۞ ومجمع البحرين المكان الذي
وعد فيه موسى لقاء الخضر عليهما السلام وهو ملتقى بحر فارس والروم مما يلي المشرق ۞ وقيل طنجة وقيل إفريقية
ومن بدع التفاسير أن البحرين موسى والخضر عليهما السلام لأنهما كانا بحرين في العلم ۞ وقرئ مجمع بكسر
الميم وهو في الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع من يفعُل **أو أمضي حقبًا** أو أسير زمانًا طويلًا والحقب

ثمانون سنة ۝ وروي انه لما ظهر موسى على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط امره الله ان يذكر قومه
النعمة فقام فيهم خطيبا فذكر نعمة الله وقال ان الله اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا له قد علمنا هذا فاي
الناس اعلم قال انا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم الى الله فاوحى اليه بل اعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر
وكان الخضر في ايام افريدون قبل موسى وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى ۝ وقيل ان موسى
سال ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق
ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى
او ترده عن ردى ۝ فقال ان كان في عبادك من هو اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين
اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يا رب كيف لي به قال تاخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال
لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع في البحر فلما جاء وقت الغداء طلب
الحوت فاخبره فتاه بوقوعه [illegible] فاتيا الصخرة فاذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى فقال واني بارضنا السلام
[illegible] فقال الخضر ما ينقص علمي وعلمك من علم الله
اعلمه انا فلما ركبا السفينة جاء عصفور فوقع على حرفها فنقر في الماء وما يكون منه مما جعل امارة على الظفر بالطلبة
مقدار ما اخذ هذا العصفور من البحر **نسيا حوتهما** اي نسيا تفقد امره وقيل نسي يوشع
ان يقدمه ونسي موسى ان يامره فيه بشيء ۝ وقيل كان الحوت سمكة مملوحة وقيل ان يوشع
حمل الحوت والخبز في المكتل فنزلا ليلة على شاطئ عين تسمى عين الحياة ونام موسى فلما اصاب السمكة روح الماء وبرده
عاشت ۝ وروي انهما اكلا منها وقيل توضا يوشع من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش ووقع في الماء **سربا** فلما جاوزا
الله جرية الماء على الحوت فصار عليه مثل الطاق وحصل منه في مثل السرب معجزة لموسى او الخضر ووقوعه في البحر
الموعد وهو الصخرة لنسيان موسى تفقد امر الحوت وما كان منه ونسيان يوشع ان يذكر لموسى ما راى من حياته
وقيل سارا بعد مجاوزة الصخرة الليلة والغد الى الظهر والقي على موسى النصب والجوع حين جاوز الموعد ولم يتعب
ولا جاع قبل ذلك فتذكر الحوت وطلبه وقوله **من سفرنا هذا** اشارة الى مسيرهما وراء الصخرة فان قلت
كيف نسي يوشع ذلك ومثله لا ينسى لكونه امارة لهما على الطلبة التي تناهضا لها ولكونه معجزتين ثنتين وهما حياة
السمكة المملوحة الماكول منها وقيل ما كانت الا شق سمكة وقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب
منه ثم كيف استمر به النسيان حتى خلفا الموعد وسارا مسيرة ليلة الى ظهر الغد وحتى طلب موسى عليه السلام الحوت
قلت قد شغله الشيطان بوسواسه فذهب بفكره كل مذهب حتى اعتراه النسيان [illegible] انه ضري بمشاهدة
امثاله عند موسى من العجائب فاستانس باخواته فاعان الالف على قلة الاهتمام **ارايت** بمعنى اخبرني فان قلت
ما وجه التئام هذا الكلام فان كل واحد من ارايت واذ اوينا وفاني نسيت الحوت لا متعلق له قلت لما طلب
موسى الحوت ذكر يوشع ما راى منه وما اعتراه من نسيانه الى تلك الغاية فدهش فطفق يسال موسى عن سبب ذلك كانه قال
ارايت ما دهاني اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت فحذف ذلك وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت
وان اذكره بدل من الهاء في انسانيه وما انسانيه [illegible] الشيطان ۝ وفي قراءة عبد الله ان اذكركه **واتخذ سبيله في البحر عجبا** مفعول
ثان لاتخذ [illegible] سبيلا عجبا وهو كونه كالسرب او قال عجبا في آخر كلامه تعجبا من حاله في رؤية
تلك العجيبة ونسيانه لها او مما راى من المعجزتين وقوله **وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره** اعتراض بين المعطوف
والمعطوف عليه وقيل ان عجبا حكاية لتعجب موسى وليس بذاك **قال ذلك** اي ذلك الذي

نظر

نطلب لانه امارة الظفر بالطلبة من لقاء الخضر ۝ وقرئ نبغ بغير ياء في الوصل واثباتها احسن وهي قراءة ابن عمرو
واما الوقف فالاكثر فيه طرح الياء اتباعا لخط المصحف **فارتدا** فرجعا **على آثارهما قصصا** يقصان قصصا اي
يتبعان آثارهما اتباعا او فارتدا مقتصين **رحمة من عندنا** هي الوحي والنبوة **من لدنا** مما يختص بنا من العلم وهو
الاخبار عن الغيوب **رشدا** ۝ قرئ بفتحتين وبضمة وسكون اي علما ذا رشد ارشد به في ديني فان قلت
اما دلت حاجته الى التعلم من آخر في عهده انه كما قيل ۝ موسى بن ميشا لا موسى بن عمران لان النبي يجب ان يكون اعلم اهل
زمانه وامامهم المرجوع اليه في ابواب الدين ۝ قلت لا غضاضة بالنبي في اخذ العلم من نبي مثله وانما يغض
منه ان ياخذه ممن دونه ۝ وعن سعيد بن جبير انه قال لابن عباس ان نوفا ابن امراة كعب يزعم ان الخضر ليس بصاحب موسى
وان موسى هو موسى بن ميشا فقال كذب عدو الله ۝ نفى استطاعة الصبر معه على وجه التاكيد كانها مما لا
يصح ولا يستقيم وعلل ذلك بانه يتولى امورا هي في ظاهرها مناكير والرجل الصالح فكيف اذا كان نبيا لا يتمالك
ان يشمئز ويغضب ويجزع اذا راى ذلك وياخذ في الانكار **وخبرا** تمييز اي لم يحط به خبرك او لانك لم تخبر به
بمعنى لم تخبره فنصبه نصب المصدر ۝ **ولا اعصي** في محل النصب عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص او لا في محل
عطفا على ستجدني رجا موسى عليه السلام لحرصه على العلم ازدياده ان يستطيع معه صبرا بعدما افصح الخضر عليه
السلام عن حقيقة الامر فوعد الصبر معلقا بمشية الله علما منه بشدة الامر وصعوبته وان الحمية التي تاخذ الصالح عند
مشاهدة الفساد شيء لا يطاق هذا مع علمه ان النبي المعصوم الذي امره الله بالمسافرة اليه واتباعه واقتباس العلم
منه بريء من ان يامر بما فيه غميزة في الدين وانه لا بد لما يستهجن ظاهره من باطن حسن جميل فكيف اذا لم
يعلم ۝ وقرئ فلا تسالني بالنون الثقيلة يعني ان شرط اتباعك لي انك اذا رايت مني شيئا وقد علمت انه صحيح الا انه
خفي عليك وجه صحته فحميت وانكرت في نفسك ان لا تفاتحني بالسؤال ولا تراجعني فيه حتى اكون انا الفاتح عليه
وهذا من ادب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع **فانطلقا** على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركبا قال
اهلها هما من اللصوص وامرهما بالخروج فقال صاحب السفينة ارى وجوه الانبياء وقيل عرفوا الخضر
فحملوهما بغير نول فلما لججوا اخذ الخضر الفاس فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها مما يلي الماء فجعل موسى
يسد الخرق بثيابه ويقول اخرقتها لتغرق اهلها وقرئ ليغرق اهلها من غرق واهلها مرفوع **لقد جئت**
شيئا امرا اتيت شيئا عظيما من امر الامر اذا عظم قال [illegible] داهية دهياء ادا امرا **بما نسيت** بالذي
نسيته او بشيء نسيته او بنسياني اراد انه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي اخرج الكلام في معرض النهي
عن المؤاخذة بالنسيان يوهمه انه قد نسي ليبسط عذره في الانكار وهو [illegible] اراد نفس الكلام الذي [illegible] الكذب
مع التوسل الى الغرض كقول ابراهيم عليه السلام هذه اختي واني سقيم او اراد بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني
بما تركت من وصيتك اول مرة ويقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه اي ولا تغشني عسرا من امري وهو اتباعه
اياك يعني ولا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالاغضاء وترك المناقشة ۝ وقرئ عسرا بضمتين **فقتله** قيل
كان قتله فتل عنقه وقيل ضرب براسه الحائط ۝ وعن سعيد بن جبير اضجعه ثم ذبحه بالسكين فان قلت
لم قيل حتى اذا ركبا في السفينة خرقها بغير فاء وحتى اذا لقيا غلاما فقتله بالفاء قلت جعل خرقها
جزاء للشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه والجزاء قال اقتلت فان قلت فلم خولف بينهما
قلت لان خرق السفينة لم يعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام ۝ وقرئ زاكية وزكية وهي الطاهرة

من الذنوب أما لأنها طاهرة عنده لأنه لم يرها قد أذنبت وأما لأنها صغيرة لم تبلغ الحنث بغير نفس يعني لم
تقتل نفسا فتقتص منها ۞ وعن ابن عباس أن نجدة الحروري كتب إليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب إليه إن علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك أن تقتل نكرا
وقرئ بضمتين وهو المنكر وقيل النكر أقل من الإمر لأن قتل نفس واحدة أهون من إغراق أهل السفينة
وقيل معناه جئت شيئا أنكر من الأول لأن ذاك كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل إلى تداركه
فإن قلت ما معنى زيادة لك قلت زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية والوسم بقلة الصبر عند
الكرة الثانية بعدها بعد هذه الكرة أو المسألة فلا تصاحبني فلا تقارني وإن طلبت صحبتك فلا
تتابعني على ذلك وقرئ فلا تصحبني فلا تكن صاحبي وقرئ فلا تصحبني أي فلا تصحبني إياك ولا تجعلني
صاحبك من لدني عذرا قد أعذرت وقرئ لدني بتخفيف النون ولدني بسكون الدال وكسر النون كقولهم
في عضد عضد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي موسى استحيا فقال ذلك وقال رحمة
الله علينا وعلى أخي موسى لو لبث مع صاحبه لأبصر أعجب الأعاجيب أهل قرية هي أنطاكية وقيل الأبلة
وهي أبعد أرض الله من السماء أن يضيفوهما وقرئ يضيفوهما يقال ضافه إذا كان له ضيفا وحقيقته مال إليه من ضاف
السهم عن الغرض ونظيره زاره من الازورار وأضافه وضيفه أنزله وجعله ضيفه وعن النبي صلى الله عليه
وسلم كانوا أهل قرية لئاما وقيل شر القرى التي لا يضاف الضيف فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه
يريد أن ينقض استعيرت الإرادة للمداناة والمشارفة كما استعير الهم والعزم لذلك قال الراعي
في مهمه قلقت به هاماتها ... قلق الفؤوس إذا أردن نصولا ... وقال [illegible]
يريد الرمح صدر أبي براء ... ويعدل عن دماء بني عقيل ... وقال حسان
إن دهرا يلف شملي بجمل ... لزمان يهم بالإحسان ... وسمعت من يقول عزم السراج أن
يطفأ وطلب أن يطفأ وإذا كان القول والنطق والشكاية والصدق والكذب والسكوت والتمرد والإباء
والعزة والطواعية وغير ذلك مستعارة للجماد ولما لا يعقل فما بال الإرادة قال إذا قالت
الأنساع للبطن الحقي ... يقول سني للنواة طني ... لا ينطق اللهو [illegible] والعود ... وشكا إلي [illegible]
فإن يك ظني صادقا وهو صادقي ... ولما سكت عن موسى الغضب ... تمرد مارد [illegible] الأبلق ... ولبعضهم
أبى على الخطابة إعفاءه هم إذا [illegible] عموم تمردا ... أبت الروادف والثدي لقمصها مس البطون وأن تمس ظهورا
قالتا أتينا طائعين ... [illegible] أن بعض الحروفيين لكلام الله ممن لا يعلم كان يجعل الضمير للخضر لأن
ما كان فيه من آفة الجهل وسقم الفهم أراه أعلى الكلام طبقة أدناها منزلة فتمحل ليرده إلى ما هو عنده أصح
وأفصح وعنده أن ما كان أبعد من المجاز كان أدخل في الإعجاز وانقض إذا أسرع سقوطه من انقضاض الطائر
وهو انفعل مطاوع قضضته وقيل [illegible] افعل من النقض كاحمر من الحمرة وقرئ أن ينقض من النقض وأن
ينقاض من انقاضت السن إذا انشقت طولا قال ذو الرمة ... منقاض ومنكثب ... بالقاع غير مجمه
فأقامه قيل أقامه بيده وقيل مسحه بيده فقام واستوى وقيل أقامه بعمود عمده به وقيل
نقضه وبناه وقيل كان طول الجدار في السماء مائة ذراع كانت الحال حال اضطرار وافتقار إلى المطعم
وقد لزتهما الحاجة إلى آخر كسب المرء وهو المسألة فلم يجدا مواسيا فلما أقام الجدار لم يتمالك موسى لما رأى من
الحرمان

الحرمان ومساس الحاجة أن قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا وطلبت على عملك جعلا حتى ننتعش ونستدفع به الضرورة
وقرئ لتخذت والتاء في تخذ أصل كما في تبع واتخذ افتعل منه كاتبع من تبع وليس من الأخذ في شيء فإن قلت
هذا إشارة إلى ماذا قلت قد تصور فراق بينهما عند حلول ميعاده على ما قال موسى عليه السلام إن سألتك عن
شيء بعدها فلا تصاحبني فأشار إليه وجعله مبتدأ وأخبر عنه كما تقول هذا أخوك فلا يكون هذا إشارة إلى غير الأخ
ويجوز أن يكون إشارة إلى السؤال الثالث أي هذا الاعتراض سبب الفراق والأصل هذا فراق بيني وبينك وقد
قرأ به ابن أبي عبلة فأضيف المصدر إلى الظرف كما يضاف إلى المفعول به لمساكين قيل كانت لعشرة إخوة خمسة
منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر وراءهم أمامهم كقوله من ورائهم برزخ وقيل خلفهم وكان طريقهم
في رجوعهم وما كان عندهم خبره فأعلم الله به الخضر وهو جلندى فإن قلت قوله فأردت أن أعيبها مسبب خلفهم
عن خوف الغصب عليها فكان حقه أن يتأخر عن السبب فلم قدم عليه قلت النية به التأخير وإنما قدم للعناية
ولأن خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع كونها للمساكين فكان بمنزلة قولك زيد ظني مقيم وقيل
في قراءة أبي وعبد الله كل سفينة صالحة وقرأ الجحدري وكان أبواه مؤمنان على أن فيه ضمير الشأن فخشينا
أن يرهقهما طغيانا وكفرا فخفنا أن يغشى الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه
ويلحق بهما شرا وبلاء أو يقرن بإيمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر أو يعديهما بدائه
ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه ويطغيا ويكفرا بعد الإيمان وإنما خشي الخضر منه ذلك لأن الله عز وعلا أعلمه
بحاله وأطلعه على سر أمره وأمره إياه بقتله كاخترامه لمفسدة عرفها في حياته وفي قراءة أبي فخاف ربك
والمعنى فكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة الأمر فغيره ويجوز أن يكون قوله فخشينا حكاية لقول الله عز وجل
بمعنى فكرهنا كقوله لأهب لك وقرئ بالتشديد والزكاة الطهارة والنقاء من الذنوب والرحم الرحمة والعطف
روي أنه ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله على يديه أمة من الأمم وقيل ولدت سبعين نبيا
وقيل أبدلهما ابنا مؤمنا مثلهما وقيل اسما الغلامين أصرم وصريم والغلام المقتول اسمه الحيسور واختلف
في الكنز فقيل مال مدفون من ذهب وفضة وقيل لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف
يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل
وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها لا إله إلا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم
والظاهر لإطلاقه أنه مال وعن قتادة أحل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم وأحل لنا أراد
قوله تعالى والذين يكنزون الآية وكان أبوهما صالحا اعتداد بصلاح أبيهما وحفظ لحقه فيهما وعن جعفر بن
محمد كان بين الغلامين وبين الأب الذي حفظا فيه سبعة آباء وعن الحسن بن علي عليهما السلام أنه قال لبعض الخوارج عليهما السلام
في كلام جرى بينهما بم حفظ الله مال الغلامين قال بصلاح أبيهما قال فأبي وجدي خير منه قال قد أنبأنا الله
أنكم قوم خصمون رحمة مفعول له أو مصدر منصوب بأراد ربك لأنه في معنى رحمهما وما فعلته وما فعلت
ما رأيت عن أمري عن اجتهادي ورأيي وإنما فعلته بأمر الله ذو القرنين هو الإسكندر الذي ملك الدنيا قيل
ملكها مؤمنان ذو القرنين وسليمان وكافران نمرود وبختنصر وكان بعد نمرود واختلف فيه فقيل كان
عبدا صالحا ملكه الله الأرض وأعطاه العلم والحكمة وألبسه الهيبة وسخر له النور والظلمة فإذا سرى يهديه
النور من أمامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل نبيا وقيل ملكا من الملائكة وعن عمر أنه سمع رجلا

يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا اما رضيتم ان تسموا باسماء الانبياء حتى تسميتم باسماء الملائكة ؞ وعن علي
السلام سخر له السحاب ومدت له الاسباب وبسط له النور وسئل عنه فقال احب الله فاحبه ؞ وسأله ابن الكواء
ما ذو القرنين املك ام نبي فقال ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الايمن في طاعة الله
فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الايسر فمات فبعثه الله فسمي ذا القرنين وفيكم مثله قيل كان يدعوهم
الى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم سمي ذا القرنين لانه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها
وغربها وقيل كان له قرنان اي ضفيرتان وقيل انقرض في وقته قرنان من الناس وعن وهب لانه ملك الروم
وفارس وروي الروم والترك وعنه كانت صفحتا راسه من نحاس وقيل كان لتاجه قرنان ؞ وقيل كان على راسه ما
يشبه القرنين ؞ ويجوز ان يلقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا كانه ينطح اقرانه وكان من الروم ولد عجوز ليس لها
ولد غيره والسائلون هم اليهود سألوه على جهة الامتحان ؞ وقيل سأله ابو جهل واشياعه والخطاب في عليكم لاحد
الفريقين ؞ من كل شيء اي من اسباب كل شيء اراده من اغراضه ومقاصده في ملكه سببا طريقا موصلا اليه والسبب
ما يتوصل به الى المقصود من علم او قدرة او آلة فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه حتى بلغ وكذلك اراد المشرق
فاتبع سببا واراد بلوغ السدين فاتبع سببا ؞ وقرئ فاتبع ؞ من حمئة من حمئت البئر اذا صارت فيها الحمأة وحامية بمعنى
حارة ؞ وعن ابي ذر رضي الله عنه كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمل فراى الشمس حين غابت فقال
اتدري يا ابا ذر اين تغرب هذه قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تغرب في عين حامية وهي قراءة ابن مسعود وطلحة وابن
عامر وابن عمرو والحسن ؞ وقرأ ابن عباس حمئة وكان ابن عباس عند معوية فقرأ معوية حامية فقال ابن عباس
حمئة فقال معوية لعبد الله بن عمرو كيف تقرأ قال كما يقرأ امير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب
قال في ماء وطين كذلك نجده في التوراة وروي في ثاط فوافق قول ابن عباس وكان ثم رجل فانشد قول تبع
فراى مغيب الشمس عند مآبها في عين ذي خلب وثاط حرمد ؞ اي في عين ماء ذي طين وحمأ اسود ولا
تنافي بين الحمئة والحامية فجائز ان تكون العين جامعة للوصفين جميعا وكانوا كفرة فخيره الله بين ان يعذبهم بالقتل وان
يدعوهم الى الاسلام فاختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم فقال [illegible] فاما من ظلم فاقام على الظلم العظيم
الذي هو الشرك فذاك هو المعذب في الدارين واما من آمن وعمل ما يقتضيه الايمان فله جزاء الحسنى وقيل
خيره بين القتل والاسر وسماه احسانا [illegible] مقابلة القتل فله جزاء الحسنى فله ان يجازي المثوبة الحسنى او فله جزاء
الفعلة الحسنى التي هي كلمة الشهادة [illegible] وقرئ فله جزاء الحسنى اي فله الفعلة الحسنى جزاء ؞ وعن قتادة كان يطبخ
من كفر في القدور وهو العذاب النكر [illegible] من الفعطاء وكذا من امرنا يسرا اي لا نامر بالصعب الشاق ولكن بالسهل
المتيسر من الزكاة والخراج وغير ذلك وتقديره ذا يسر كقوله قولا ميسورا وقرئ يسرا بضمتين ؞ وقرئ مطلع
بفتح اللام وهو مصدر والمعنى بلغ مكان مطلع الشمس كقوله كان مجر الراسيات ذيولها يريد كان مكان
مجر الراسيات ذيولها على قوم قيل هم الزنج والستر الابنية وعن كعب ارضهم لا تمسك الابنية وبها اسراب فاذا طلعت
الشمس دخلوها فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم ؞ وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسالت عن هؤلاء فقيل
بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم يفرش اذنه ويلبس الاخرى ومعي صاحب يعرف لسانهم فقالوا جئتنا
تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينا نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم افقت وهم يمسحونني بالدهن
فلما طلعت الشمس على الماء اذا هي فوق الماء كهيئة الزيت فادخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا

يصطادون

يصطادون السمك يطرحونه في الشمس فينضج لهم وقيل الستر اللباس ؞ وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان
عند مطلع الشمس اكثر من جميع اهل الارض كذلك اي امر ذي القرنين كذلك اي كما وصفناه تعظيما لامره ؞ وقد
احطنا بما لديه من الجنود والآلات واسباب الملك خبرا تكثيرا لذلك وقيل لم نجعل لهم من دونها سترا مثل
ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والحصون والابنية والاكنان من كل جنس والثياب من كل صنف وقيل
بلغ مطلع الشمس مثل ذلك اي كما بلغ مغربها وقيل تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم يعني انهم كفرة
مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي منهم على الكفر واحسانه الى من آمن منهم بين السدين بين
الجبلين وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما قرئ بالضم والفتح وقيل ما كان من خلق الله فهو مضموم وما كان
من عمل العباد فهو مفتوح لان السد بالضم فعل بمعنى مفعول اي هو مما فعله الله وخلقه والسد بالفتح مصدر حدث
يحدثه الناس وانتصب بين على انه مفعول به مبلوغ كما انجر على الاضافة في قوله هذا فراق بيني وبينك وكما ارتفع
في قوله لقد تقطع بينكم لانه من الظروف التي تستعمل اسماء وظروفا وهذا المكان في منقطع ارض الترك مما يلي
المشرق ؞ ومن دونهما قوما هم الترك لا يكادون يفقهون قولا لا يكادون يفهمونه الا بجهد ومشقة من اشارة
ونحوها كما يفهم البكم ؞ وقرئ يفقهون اي لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لان لغتهم غريبة مجهولة ؞
ياجوج وماجوج اسمان اعجميان بدليل منع الصرف ؞ وقرئا مهموزين وقرأ رؤبة آجوج وماجوج وهما من
ولد يافث وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل والديلم مفسدون في الارض قيل كانوا ياكلون
الناس وقيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون لهم شيئا اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وكانوا يلقون منهم اذى كثيرا
وقتلا ؞ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفتهم لا يموت احد منهم حتى ينظر الى الف ذكر من صلبه كلهم قد
حمل السلاح ؞ وقيل هم على صنفين طوال مفرطو الطول وقصار مفرطو القصر ؞ وقرئ خرجا وخراجا اي جعلا نخرجه
من اموالنا ونظيرهما النول والنوال ؞ وقرئ سدا وسدا بالفتح والضم ؞ ما مكني فيه ربي خير ما جعلني فيه مكينا
من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لي من الخراج فلا حاجة بي اليه كما قال سليمان عليه السلام فما آتاني الله
خير مما آتاكم ؞ وقرئ بالادغام وبفكه ؞ فاعينوني بقوة بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبالآلات
ردما حاجزا حصينا موثقا والردم اكبر من السد من قولهم ثوب مردم رقاع فوق رقاع ؞ قيل حفر الاساس
حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سد
ما بين الجبلين الى اعلاهما ثم وضع المنافخ حتى اذا صارت كالنار صب [illegible] المذاب على الحديد المحمى فاختلط
والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا ؞ وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ ؞ وقرئ سوى وسووى ؞ وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا اخبره به فقال كيف رايته قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال
قد رايته والصدفان بفتحتين جانبا الجبلين لانهما يتصادفان اي يتقابلان ؞ وقرئ الصدفين بضمتين والصدفين
بضمة وسكون والصدفين بفتحة وضمة والقطر النحاس المذاب لانه يقطر وقطرا منصوب بافرغ وتقديره
آتوني قطرا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه ؞ وقرئ قال ائتوني اي جيئوني ؞ فما
اسطاعوا بحذف التاء للخفة لان التاء قريبة المخرج من الطاء ؞ وقرئ فما اصطاعوا بقلب السين صادا
واما من قرأ بادغام التاء في الطاء فملاق بين ساكنين على غير الحد ؞ ان يظهروه ان يعلوه اي لا حيلة لهم
فيه من صعود لارتفاعه وانملاسه ولا نقب لصلابته وثخانته هذا اشارة الى السد اي هذا السد نعمة من الله

ورحمة على عباده او هذا الاقتدار والتمكين من تسويته فاذا جاء وعد ربي يعني فاذا دنا مجيء يوم القيمة وشارف
ان ياتي جعل السد دكا اي مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك ؞ ومنه الجمل
الادك المنبسط السنام ؞ وقرئ دكاء بالمد اي ارضا مستوية ؞ وكان وعد ربي حقا آخر حكاية قول ذي
القرنين ؞ وتركنا وجعلنا بعضهم بعض الخلق يموج في بعض اي يضطربون ويختلطون انسهم وجنهم
حيارى ويجوز ان يكون الضمير لياجوج وماجوج وانهم يموجون حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين في
البلاد ؞ وروي ياتون البحر فيشربون ماءه وياكلون دوابه ثم ياكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم
من الناس ولا يقدرون ان ياتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله عليهم نغفا في اقفائهم فيدخل
في آذانهم فيموتون ؞ وعرضنا جهنم وبرزناها لهم فراوها وشاهدوها عن ذكري عن آياتي التي ينظر اليها
فاذكر بالتعظيم او عن القرآن وتامل معانيه وتبصرها ونحوه صم عمي ؞ وكانوا لا يستطيعون سمعا يعني
وكانوا صما عنه الا انه ابلغ لان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كانهم اصمت اسماعهم فلا استطاعة
بهم للسمع ؞ عبادي من دوني اولياء هم الملائكة يعني انهم لا يكونون لهم اولياء كما حكى عنهم ؞
سبحانك انت ولينا من دونهم ؞ وقرأ ابن مسعود افظن الذين كفروا ؞ وقرأ علي عليه السلام افحسب
الذين كفروا اي اكافيهم ومحسبهم ان يتخذوهم اولياء على الابتداء والخبر او على الفعل والفاعل لان اسم الفاعل
اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل كقولك اقائم الزيدان والمعنى ان ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم
عند الله كما حسبوا وهي قراءة محكمة جيدة النزل ما يقام للنزيل وهو الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب
اليم ؞ ضل سعيهم ضاع وبطل وهم الرهبان ؞ عن علي عليه السلام كقوله عاملة ناصبة ؞ وعن
مجاهد اهل الكتاب ؞ وعن علي عليه السلام ان ابن الكواء ساله عنهم فقال منهم اهل حروراء ؞ وعن ابي سعيد
الخدري ياتي ناس باعمال يوم القيامة هي عندهم في العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيئا فلا نقيم
لهم يوم القيمة وزنا فنزدري بهم ولا يكون لهم عندنا وزن ومقدار ؞ وقيل لا نقيم لهم ميزانا لان
الميزان انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين ؞ وقرئ فلا يقيم بالياء فان قلت
الذين ضل سعيهم في اي محل هو قلت الاوجه ان يكون في محل الرفع على هم الذين ضل سعيهم لانه
جواب عن السؤال ويجوز ان يكون [illegible] الذم او جرا على البدل جهنم عطف بيان لقوله جزاؤهم لا حولا تحول
يقال حال من مكانه حولا كقوله [illegible] لا يزيد عليها حتى تنازعهم انفسهم الى الجمع لاغراضهم
واما نيتهم وهذه غاية الوصف [illegible] الانسان في الدنيا واي نعيم كان فهو طامح الطرف الى ارفع منه
ويجوز ان يراد نفي التحول وتاكيد الخلود المداد اسم ما تمد به الدواة من الحبر وما يمد به السراج من
السليط ويقال السماد مداد الارض والمعنى لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مدادا لها والمراد
بالبحر الجنس لنفد قبل ان تنفد الكلمات ولو جئنا بمثل البحر مدادا لنفد ايضا والكلمات غير نافدة ومددا
تمييز كقولك لي مثله رجلا والمدد مثل المداد وهو ما يمد به ؞ وعن ابن عباس بمثله مدادا ؞ وقرأ الاعرج
بمثله مددا بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب فيكتب به ؞ وقرئ ينفد بالياء ؞ وقيل قال حيي
ابن اخطب في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقرؤون وما اوتيتم من العلم الا قليلا
فنزلت يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله فمن كان يرجو لقاء ربه فمن كان يامل

حسن

حسن لقاء ربه وان يلقاه لقاء رضا وقبول ؞ وقد فسرنا اللقاء او فمن كان يخاف سوء لقائه والمراد بالنهي عن الاشراك
بالعبادة ان لا يرائي بعمله وان لا يبتغي به الا وجه الله خالصا لا يخلط به غيره ؞ وقيل نزلت في جندب بن زهير
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني اعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك
فيه ؞ وروي انه قال لك اجران اجر السر واجر العلانية وذلك اذا قصد ان يقتدى به ؞ وعنه عليه السلام
اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء ؞ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف من
آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء ؞ وعنه عليه السلام من قرأ
عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم يوحى كان له في مضجعه نورا يتلالا الى مكة حشو ذلك النور ملائكة
يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلالا من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة
يصلون عليه حتى يستيقظ ؞

سورة مريم مكية وهي تسعون وثماني او تسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم ؞ بفتح
الهاء وكسر الياء حمزة وبكسرهما عاصم وبضمهما الحسن ؞ وقرأ الحسن ذكر رحمة ربك هذا المتلو من القرآن
ذكر رحمة ربك ؞ وقرئ ذكر على الامر راعى سنة الله في اخفاء دعوته لان الجهر والاخفاء عند الله سيان فكان
الاخفاء اولى لانه ابعد من الرياء وادخل في الاخلاص ؞ وعن الحسن نداء لا رياء فيه او اخفاه لئلا يلام على طلب الولد
في ابان الكبرة والشيخوخة او اسره من مواليه الذين خافهم او خفت صوته لضعفه وهرمه كما جاء في صفة الشيخ
صوته خفات وسمعه تارات واختلف في سن زكريا عليه السلام فقيل ستون او خمس وستون او سبعون
او خمس وسبعون او خمس وثمانون ؞ وقرئ وهن بالحركات الثلاث وانما ذكر العظم لانه عمود البدن وبه
قوامه وهو اصل بنائه فاذا وهن تداعى وتساقطت قوته ولانه اشد ما فيه واصلبه فصلح ان هذا
الجنس هو العمود والقوام واشد ما تركب منه الجسد فقد اصابه الوهن ولو جمع لكان قصدا الى معنى آخر
وهو انه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها ؞ ادغام السين في الشين عن ابي عمرو شبه الشيب بشواظ النار
في بياضه وانارته وانتشاره في الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل ماخذ باشتعال النار ثم اخرجه مخرج
الاستعارة ثم اسند الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس واخرج الشيب مميزا ولم يضف الرأس اكتفاء
بعلم المخاطب انه رأس زكريا فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة ؞ توسل الى الله بما سلف له معه
من الاستجابة ؞ وعن بعضهم ان محتاجا ساله وقال انا الذي احسنت الي وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل بنا الينا
وقضى حاجته كان مواليه وهم عصبته اخوته وبنو عمه شرار بني اسرائيل فخافهم على الدين ان يغيروه ويبدلوه وان
لا يحسنوا الخلافة على امته فطلب عقبا من صلبه صالحا يقتدى به في احياء الدين ويرتسم مراسمه فيه ؞ من
ورائي بعد موتي ؞ وقرأ ابن كثير من وراي بالقصر وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لفساد المعنى ولكن بمحذوف
او بمعنى الولاية في الموالي اي خفت فعل الموالي وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائي او خفت الذين يلون
الامر من ورائي ؞ وقرأ عثمن ومحمد بن علي وعلي بن الحسين خفت الموالي من ورائي وهذا على معنيين احدهما
ان يكون وراي بمعنى خلفي وبعدي فيتعلق الظرف بالموالي اي قلوا او عجزوا عن اقامة امر الدين فسال ربه
تقويتهم ومظاهرتهم بولي يرزقه ؞ والثاني ان يكون بمعنى قدامي فيتعلق بخفت ويريد انهم خفوا قدامه
ودرجوا ولم يبق منهم من به تقو واعتضاد من لدنك تاكيد لكونه وليا مرضيا بكونه مضافا الى الله وصادرا من

عنده والاهب لي من لدنك وليا يرثني كاف اذا اراد اخبر اعامك بلا سبب لاني وامرأتي لا نصلح للولادة يرثني ويرث
الجزم جواب الامر والرفع صفة ونحوه ردا يصدقني وعن ابن عباس والجحدري يرثني وارث آل يعقوب ... وعن
الجحدري أو يرث على تصغير وارث وقال غليّم صغير ... وعن علي عليه السلام وجماعة وارث من آل يعقوب
اي يرثني به وارث ويسمى التجريد في علم البيان والمراد بالارث ارث الشرع والعلم لان الانبياء لا تورث المال
وقيل يرثني الحبورة وكان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك يقال ورثته وورثت منه لغتان وقيل من
للتبعيض لا للتعدية لان آل يعقوب لم يكونوا كلهم انبياء ولا علماء وكان زكريا عليه السلام من نسل يعقوب بن اسحق
وقيل هو يعقوب بن ماثان اخو زكريا وقيل يعقوب هذا وعمران ابو مريم من نسل سليمان بن داود سميا لم يسم احد يحيى
قبله وهذا شاهد على ان الاسامي السنع جديرة بالاثرة واياها كانت العرب تنتحي في التسمية لكونها انبه وانوه وانزه عن
النبز حتى قال القائل في مدح قوم ... سنع الاسامي مسبلي ازرهم ... من الارض بالهدب ... وقال
رؤبة للنسابة البكري وقد سأله عن نسبه انا ابن العجاج فقال قصرت وعرفت وقيل مثلا وشبيها عن مجاهد كقوله
هل تعلم له سميا وانما قيل للمثل سمي لان كل متشاكلين يسمى كل واحد منهما باسم المثل والشبيه والشكل والنظير
وكل واحد منهما سمي لصاحبه ونحو يحيى في اسمائهم يعمر ويعيش ان كانت التسمية عربية وقد سموا بيموت ايضا وهو
يموت بن المزرع قالوا لم يكن له مثل في انه لم يعص ولم يهم بمعصية قط وانه ولد من شيخ فان وعجوز عاقر وانه كان
حصورا اي كانت على صفة العقر حين انا شاب وكهل فما رزقت الولد لاختلال احد السببين افحين اختل السببان جميعا
ارزق فان قلت لم طلب الا وهو وامرأته على صفة العتي والعقر فلما اسعف بطلبته استبعد واستعجب قلت
ليجاب بما اجيب به فيزداد المؤمنون ايقانا ويرتدع المبطلون والا فمعتقد زكريا اولا واخرا كان على منهاج واحد
في ان الله غني عن الاسباب اي بلغت عتيا وهو اليبس والجساوة في المفاصل والعظام كالعود القاحل يقال عتا العود وعسا
من اجل الكبر والطعن في السن العالية او بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا وقرأ ابن وثاب وحمزة
والكسائي عتيا بكسر العين وكذلك صليا وابن مسعود بفتحهما فيهما وقرأ ابي ومجاهد عسيا كذلك الكاف رفع اي الامر
كذلك تصديق له ثم ابتدأ قال ربك او نصب بقال وذلك اشارة الى مبهم تفسيره هو علي هين ونحوه وقضينا اليه
ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وقرأ الحسن وهو علي هين ولا يخرج هذا الا على الوجه الاول اي الامر كما
قلت وهو علي ذلك يهون علي ووجه آخر وهو ان يشار بذلك الى ما تقدم من وعد الله لا الى قول زكريا وقال محذوف في كلتا
القراءتين اي قال هو علي هين قال ... علي هين وان شئت لم تنوه لان الله هو المخاطب والمعنى انه قال ذلك ووعده
وقوله ولم تك شيئا لان المعدوم ليس بشيء او شيئا يعتد به كقولهم عجبت من لا شيء وقوله ... اذا رأى غير شيء ظنه رجلا
وقرأ الاعمش والكسائي وابن وثاب خلقناك اي اجعل لي علامة اعلم بها وقوع ما بشرت به قال علامتك ان تمنع الكلام
فلا تطيقه وانت سليم الجوارح سوي الخلق ما بك خرس ولا بكم دل ذكر الليالي هنا والايام في آل عمران على ان المنع
من الكلام استمر به ثلاثة ايام ولياليهن فاوحى اشار عن مجاهد ويشهد له الا رمزا وعن ابن عباس كتب لهم على الارض
سبحوا صلوا او على الظاهر وانت في المعرة اي خذ التوراة بجد واستظهار بالتوفيق والتأييد الحكم الحكمة
ومنه ... الحكم فهم التوراة والفقه في الدين عن ابن عباس وقيل دعاه الصبيان
الى اللعب وهو صبي فقال ما للعب خلقنا وعن الضحاك وعن معمر العقل وقيل النبوة لان الله احكم عقله في صباه
واوحى اليه حنانا رحمة لابويه وغيرهما وتعطفا وشفقة انشد سيبويه

وقالت حنانك ما اتى بك هاهنا ... اذو نسب أم انت بالحي عارف ... وقيل حنانا من الله عليه وحن في معنى ارتاح واشتاق
ثم استعمل في العطف والرأفة وقيل لله حنان كما قيل رحيم على سبيل الاستعارة والزكوة الطهارة وقيل
الصدقة اي يتعطف على الناس ويتصدق عليهم سلم الله عليه في هذه الاحوال قال ابن عيينة انها اوحش المواطن
اذ بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها وفيه ان المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا لوقوع هذه
القصة العجيبة فيه والانتباذ الاعتزال والانفراد تخلت للعبادة في مكان مما يلي شرقي بيت المقدس او من دارها
معتزلة عن الناس وقيل قعدت في مشرفة للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط او بشيء يسترها وكان موضعها المسجد فاذا
حاضت تحولت الى بيت خالتها فاذا طهرت عادت الى المسجد فبينا هي في مغتسلها اتاها الملك في صورة آدمي شاب امرد وضيء
الوجه جعد الشعر سويا سوي الخلق لم ينقص من نعوت الآدمية شيئا او حسن الصورة مستوي الخلق وانما مثل
لها في صورة الانسان لتأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها في صورة الملكية لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه
ودل على عفافها وورعها انها تعوذت بالله من تلك الصورة الجميلة الفائقة الحسن وكان تمثيله على تلك الصفة ابتلاء
لها وسبرا لعفتها وقيل كانت في منزل زوج اختها زكريا ولها محراب على حدة تسكنه وكان زكريا اذا خرج
اغلق عليها فتمنت ان تجد خلوة في الجبل لتفلي رأسها فانفجر السقف لها فخرجت فجلست في المشرفة وراء الجبل فاتاها
الملك وقيل قام بين يديها في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وقيل ان النصارى اتخذت
المشرق قبلة لانتباذ مريم مكانا شرقيا الروح جبريل لان الدين يحيى به وبوحيه او سماه روحه على المجاز
محبة له وتقريبا كما تقول لحبيبك انت روحي وقرأ ابو حيوة روحنا بالفتح لانه سبب لما فيه روح العباد
واصابة الروح عند الله الذي هو عدة المقربين في قوله فاما ان كان من المقربين فروح وريحان او لانه من المقربين
وهم الموعودون بالروح اي مقربنا وذا روحنا اراد ان كان يرجى منك ان تتقي الله وتخشاه وتحفل بالاستعاذة
فاني عائذة منك كقوله تعالى بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين اي انما انا رسول من استعذت به لاهب لك
لاكون سببا في هبة الغلام بالنفخ في الدرع وفي بعض المصاحف انما انا رسول ربك امرني ان اهب لك او هي حكاية
لقول الله عز وجل جعل المس عبارة عن النكاح الحلال لانه كناية عنه كقوله من قبل ان تمسوهن او لامستم
النساء والزنا ليس كذلك انما يقال فيه فجر بها وخبث بها وما اشبه ذلك وليس بقمن ان تراعى فيه الكنايات
والآداب والبغي الفاجرة التي تبغي الرجال وهي فعول عند المبرد بغوي فادغمت الواو في الياء وقال ابن
جني في كتاب التمام هي فعيل ولو كانت فعولا لقيل بغو كما قيل فلان نهو عن المنكر ولنجعله تعليل معلله محذوف اي
ولنجعله آية للناس فعلنا ذلك او هو معطوف على تعليل مضمر اي لنبين به قدرتنا ولنجعله آية ونحوه وخلق السموات والارض
ولتجزى كل نفس بما كسبت وقوله وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه مقضيا مقدرا مسطورا في
اللوح لا بد لك من جريه عليك او كان امرا حقيقا بان يكون ويقضى لكونه آية ورحمة والمراد بالآية العبرة والبرهان
على قدرة الله وبالرحمة الشرائع والالطاف وما كان سببا في قوة الاعتقاد والتوسل الى الطاعة والعمل الصالح فهو
جدير بالتكوين عن ابن عباس فاطمأنت الى قوله فدنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة الى بطنها فحملت
وقيل كانت مدة الحمل ستة اشهر وعن عطاء وابي العالية والضحاك سبعة اشهر وقيل ثمانية ولم يعش مولود
وضع لثمانية الا عيسى وقيل ثلاث ساعات وقيل حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة
حين زالت الشمس من يومها وعن ابن عباس كانت مدة الحمل ساعة واحدة كما حملته نبذته وقيل حملته وهي بنت ثلاث عشرة

وقيل بنت عشرين وقد كانت حاضت حيضتين قبل ان تحمل وقالوا ما من مولود الا يستهل غيره فانتبذت به اي اعتزلت
وهو في بطنها كقوله ... تدوس بنا الجماجم والتريبا ... اي تدوس الجماجم ونحن على ظهورها ونحوه قوله تعالى تنبت
بالدهن اي تنبت ودهنها فيها الجار والمجرور في موضع الحال قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار وقيل
كانت سميت لابن عم لها اسمه يوسف فلما قيل حملت من الزنا خاف عليها قتل الملك فهرب بها فلما كان ببعض الطريق
حدثته نفسه بان يقتلها فاتاه جبريل فقال انه من روح القدس فلا تقتلها فتركها اجاء منقول من جاء الا ان
استعماله قد تغير بعد النقل الى معنى الالجاء الا تراك لا تقول جئت المكان واجاءنيه زيد كما تقول بلغته وابلغنيه ونظيره
آتى حيث لم يستعمل الا في الاعطاء ولم يقل أتيت المكان وآتانيه فلان وقرأ ابن كثير في رواية المخاض بالكسر يقال
مخضت الحامل مخاضا وهو تمخض الولد في بطنها طلبت الجذع لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وكان جذع نخلة
يابسة في الصحراء ليس لها رأس ولا ثمرة ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف لا يخلو اما ان يكون من تعريف الاسماء الغالبة
كتعريف النجم والصعق كان تلك الصحراء كان فيها جذع نخلة معروف عند الناس فاذا قيل جذع النخلة فهم منه ذلك
دون غيره من جذوع النخل واما ان يكون تعريف الجنس اي جذع هذه الشجرة خاصة كان الله تعالى انما ارشدها الى
النخلة ليطعمها منها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها ولان النخلة اقل شيء صبرا على البرد وثمارها انما هي من جمارها
فلموافقتها لها مع جمع الآيات فيها اختارها لها والجأها اليها قرئ مت بالضم والكسر يقال مات يموت ومات
يمات النسي ما من حقه ان يطرح وينسى كخرقة الطامث ونحوها كالذبح اسم ما من شأنه ان يذبح في قوله تعالى
وفديناه بذبح عظيم وعن يونس العرب اذا ارتحلوا عن الدار قالوا انظروا انساءكم اي الشيء اليسير نحو العصا والقدح
والشظاظ تمنت لو كانت شيئا تافها لا يؤبه له من فرط الحياء والتشور من الناس على حكم العادة والبشرية لا كراهة لحكم
الله او لشدة التكليف عليها اذا بهتوها وهي عارفة ببراءة الساحة وبضد ما قرفت به من اختصاص الله اياها
بغاية الاجلال والاكرام لانه مقام دحض قلما تثبت عليه الاقدام ان تعرف اغتباطك بامر عظيم وفضل
باهر تستحق به المدح وتستوجب التعظيم ثم تراه عند الناس لجهلهم به عيبا يعاب به ويعنف بسببه او لخوفها
على الناس ان يعصوا الله بسببها وقرأ ابن وثاب والاعمش وحمزة نسيا بالفتح قال الفراء هما لغتان
كالوتر والوتر والجسر والجسر ويجوز ان يكون مسمى بالمصدر كالحمل وقرأ محمد بن كعب القرظي نسأ بالهمز وهو الحليب
المخلوط بالماء ينسأه اهله لقلته ونزارته وقرأ الاعمش منسيا بالكسر على الاتباع كالمغيرة والمنخر من تحتها هو جبريل
عليه السلام قيل كان يقبل الولد ... وقيل هو عيسى وهي قراءة عاصم وابي عمرو وقيل كان تحتها
اسفل من مكانها كقوله تجري من تحتها الانهار ... وقيل كان تحتها ... فناداها ألا تحزني
وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص من تحتها وفي ناداها ضمير الملك او عيسى وعن قتادة الضمير في تحتها للنخلة
وقرأ زر وعلقمة فخاطبها من تحتها سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن السري فقال هو الجدول قال لبيد
فتوسطا عرض السري وصدعا ... مسجورة متجاورا قلامها ... وقيل هو من السرو والمراد عيسى وعن الحسن كان
والله عبدا سريا فان قلت ما كان حزنها لفقد الطعام والشراب حتى تسلى بالسري والرطب قلت
لم تقع التسلية بهما من حيث انهما طعام وشراب ولكن من حيث انهما معجزتان تريان الناس انها من اهل
العصمة والبعد من الريبة وان مثلها مما قرفوها به بمعزل وان لها امورا الهية خارجة عن العادات
خارقة لما الفوا واعتادوا حتى يتبين لهم ان ولادها من غير فحل ليس ببدع من شأنها تساقط فيه تسع قراءات

تساقط

تساقط بادغام التاء وتتساقط باظهار التاءين وتساقط بطرح الثانية ويساقط بالياء وادغام التاء وتساقط
وتسقط ويسقط وتسقط ويسقط التاء للنخلة والياء للجذع رطبا تمييز او مفعول على حسب القراءة وعن
المبرد جواز انتصابه بهزي وليس بذاك والباء في بجذع النخلة صلة للتأكيد كقوله ولا تلقوا بايديكم الى
التهلكة او على معنى افعلي الهز به كقوله ... يجرح في عراقيبها نصلي ... قالوا التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت وكذلك
التحنيك وقالوا كان من العجوة وقيل ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل وقيل اذا عسر
ولادها لم يكن لها خير من الرطب عن طلحة بن سليمان جنيا بكسر الجيم للاتباع اي جمعنا لك في السري والرطب
فائدتين احداهما الاكل والشرب والثانية سلوة الصدر لكونهما معجزتين وهو معنى قوله فكلي واشربي
وقري عينا اي وطيبي نفسا ولا تغتمي وارفضي عنك ما احزنك واهمك وقرئ وقري بالكسر لغة نجد
ترين بالهمز ابن الرومي عن ابي عمرو وهذا من لغة من يقول لبأت بالحج وحلأت السويق وذلك لتآخ بين الهمزة وحروف
اللين في الابدال صوما صمتا وفي مصحف عبد الله صمتا وعن انس بن مالك مثله وقيل صياما الا انهم
كانوا لا يتكلمون في صيامهم وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم الصمت لانه نسخ في امته امرها الله
بان تنذر الصوم لئلا تشرع مع البشر المتهمين لها في الكلام لمعنيين احدهما ان عيسى عليه السلام يكفيها الكلام بما يبرئ ساحتها
والثاني كراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم وفيه ان السكوت عن السفيه واجب ومن اذل الناس سفيه لم يجد مسافها
قيل اخبرتهم بانها نذرت الصوم بالاشارة وقيل سوغ لها ذلك بالنطق انسيا اي اكلم الملائكة دون
الانس الفري البديع وهو من فري الجلد هارون كان رجلا من ابرار بني اسرائيل وقيل هو اخو موسى
عليه السلام وعن النبي صلى الله عليه وسلم انما عنوا هرون النبي وكانت من اعقابه في طبقة الاخوة وبينهما الف
سنة واكثر وعن السدي كانت من اولاده وانما قيل اخت هرون كما يقال يا اخا همدان اي يا واحدا منهم
وقيل رجل صالح او طالح في زمانها شبهوها به ولم يريدوا اخوة النسب وذكر ان هرون الصالح تبع جنازته
اربعون الفا كلهم يسمى هرون تبركا به وباسمه فقالوا كنا نشبهك بهرون هذا وقرأ عمر بن لجأ التيمي ما كان
اباك امرأ سوء وقيل احتمل يوسف النجار مريم وابنها الى غار فلبثوا فيه اربعين يوما حتى تعلت من نفاسها
ثم جاءت تحمله فكلمها عيسى في الطريق فقال يا اماه ابشري فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت به على قومها
وهم اهل بيت صالحون تباكوا وقالوا ذلك وقيل هموا برجمها حتى تكلم عيسى فتركوها فاشارت
اليه اي هو الذي يجيبكم اذا ناطقتموه وقيل كان المستنطق لعيسى زكريا عليه السلام وعن
السدي لما اشارت اليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا اشد علينا من زناها وروي انه كان يرضع فلما سمع ذلك
ترك الرضاع واقبل عليهم بوجهه واتكأ على يساره واشار بسبابته وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا
يتكلم فيه الصبيان كان لايقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم يصلح لقريبه وبعيده وهو هاهنا لقريبه
خاصة والدال عليه معنى الكلام وانه مسوق للتعجب ووجه آخر ان يكون نكلم حكاية حال ماضية اي كيف
عهد قبل عيسى ان يكلم الناس صبيا في المهد فيما سلف من الزمان حتى نكلم هذا انطقه الله اولا بانه عبد الله ردا
لقول النصارى والكتاب هو الانجيل واختلفوا في نبوته فقيل اعطيها في طفوليته اكمل الله عقله واستنبأه
طفلا نظرا في ظاهر الآية وقيل معناه ان ذلك سبق في قضائه او جعل الآتي لا محالة كانه قد وجد
مباركا اينما كنت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نفاعا حيث كنت وقيل معلما للخير ... وبرا

عن أبي نهيك جعل ذا أبدا في القرط برم أو نصبه بفعل في معنى أوصاني وهو كلفني لأن أوصاني بالصلوة وكلفنيها واحد والسلام علي قيل أدخل لام التعريف لتعرفه بالذكر كقولك جاء رجل كان من فعل الرجل كذا والمعنى وذلك السلام الموجه إلى يحيى في المواطن الثلاثة موجه إلي والصحيح أن يكون هذا التعريف تعريضا باللعن على متهمي مريم عليها السلام وأعدائها من اليهود وتحقيقه أن اللام للجنس فإذا قال وجنس السلام علي خاصة فقد عرض بأن ضده عليكم ونظيره قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى يعني أن العذاب على من كذب وتولى وكان المقام مقام مناكرة وعناد فهو مئنة لنحو هذا من التعريض قرأ عاصم وابن عامر قول الحق بالنصب وعن ابن مسعود قال الحق والله وعن الحسن قول الحق بضم القاف وكذلك في الأنعام قوله الحق والقول والقال والقول في معنى واحد كالرهب والرهب والرهب وارتفاعه على أنه خبر بعد خبر أو بدل أو خبر مبتدإ محذوف وأما انتصابه فعلى المدح إن فسر بكلمة الله وعلى أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة إن أريد قول الثبات والصدق كقولك هو عبد الله الحق لا الباطل وإنما قيل لعيسى كلمة الله وقول الحق لأنه لم يولد إلا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن من غير واسطة أب تسمية للمسبب باسم السبب كما سمي العشب بالسماء والشحم بالندى ويحتمل إذا أريد بقول الحق عيسى أن يكون الحق اسم الله عز وجل وأن يكون بمعنى الثبات والصدق ويعضده قوله الذي فيه يمترون أي أمره حق يقين وهم فيه شاكون يمترون يشكون والمرية الشك أو يتمارون يتلاحون قالت اليهود ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلاثة وقرأ علي عليه السلام تمترون على الخطاب وعن أبي بن كعب قول الحق الذي كان الناس فيه يمترون كذب النصارى وبكتهم بالدلالة على انتفاء الولد عنه وأنه مما لا يتأتى ولا يتصور في العقول وليس بمقدور عليه إذ من المحال غير المستقيم أن تكون ذاته كذات من ينشأ منه الولد ثم بين إحالة ذلك بأن من إذا أراد شيئا من الأجناس كلها أوجده بكن كان منزها عن شبه الحيوان الوالد والقول هاهنا مجاز ومعناه أن إرادته للشيء يتبعها كونه لا محالة من غير توقف فشبه ذلك بأمر الآمر المطاع إذا ورد على المأمور الممتثل قرأ المدنيون وأبو عمرو بفتح أن ومعناه ولأنه ربي وربكم فاعبدوه كقوله وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا والإسناد وأبو عبيد بالكسر على الابتداء وفي حرف أبي إن الله بالكسر بغير واو وبأن الله أي بسبب ذلك فاعبدوه والأحزاب اليهود والنصارى عن الكلبي وقيل النصارى لتحزبهم ثلاث فرق نسطورية ويعقوبية وملكانية وعن الحسن الذين تحزبوا على الأنبياء لما قص عليهم قصة عيسى اختلفوا فيه من بين الناس من مشهد يوم عظيم أي من شهودهم هول الحساب والجزاء في يوم القيامة أو من مكان الشهود فيه وهو الموقف أو من وقت الشهود أو من شهادة ذلك اليوم عليهم وأن تشهد عليهم الملائكة والأنبياء وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بالكفر وسوء الأعمال أو من مكان الشهادة أو وقتها وقيل هو ما قالوه وشهدوا به في عيسى وأمه لا يوصف الله تعالى بالتعجب وإنما المراد أن أسماعهم وأبصارهم يومئذ جدير أن يتعجب منهما بعد ما كانوا صما عميا في الدنيا وقيل معناه التهديد بما سيسمعون وسيبصرون مما يسوء بصرهم ويصدع قلوبهم أوقع الظاهر أعني الظالمين موقع الضمير إشعارا بأن لا ظلم أشد من ظلمهم حيث أغفلوا الاستماع والنظر حين يجدي عليهم ويسعدهم والمراد بالضلال المبين إغفال النظر والاستماع قضي الأمر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان إلى الجنة والنار وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عنه فقال حين يجاء بالموت ... والفريقان ينظران وإذ بدل من الحسرة أو منصوب بالحسرة وهم في غفلة متعلق بقوله في ضلال مبين عن الحسن وأنذرهم اعتراض أو متعلق بأنذرهم أي وأنذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين ...

ويخربت ديارهم وأنه يبقى لأجسادهم وتبقى الأرض ويذهب بما ... الصديق من أبنية المبالغة ونظيره الضحيك والنطيق والمراد فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله وكان الرجحان والغلبة في هذا التصديق للكتب والرسل أي كان مصدقا لجميع الأنبياء وكتبهم وكان نبيا في نفسه كقوله تعالى بل جاء بالحق وصدق المرسلين أو كان بليغا في الصدق لأن ملاك أمر النبوة الصدق ومصدق الله بآياته ومعجزاته حري أن يكون كذلك وهذه الجملة وقعت اعتراضا بين المبدل منه وبدله أعني إبراهيم وإذ قال نحو قولك رأيت زيدا ونعم الرجل أخاك ويجوز أن يتعلق إذ بكان أو بصديقا نبيا أي كان جامعا لخصائص الصديقين والأنبياء حين خاطب أباه تلك المخاطبات والمراد بذكر الرسول إياه وقصته في الكتاب أن يتلو ذلك على الناس ويبلغه إياهم كقوله واتل عليهم نبأ إبراهيم وإلا فالله عز وجل هو ذاكره ومورده في تنزيله التاء في يا أبت عوض من ياء الإضافة ولا يقال يا أبتي لئلا يجمع بين العوض والمعوض منه وقيل يا أبتا لكون الألف بدلا من الياء وشبه ذلك سيبويه بأينق وتعويض الياء فيه بدلا عن الواو الساقطة انظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطا فيه من الخطأ العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصى فيه أمر العقل وانسلخ من قضية التمييز ومن الغباوة التي ليس بعدها كيف رتب الكلام معه في أحسن اتساق وساقه أرشق مساق مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والأدب الجميل والخلق الحسن منتصحا في ذلك بنصيحة ربه جل وعلا حدث أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوحى الله إلى إبراهيم عليه السلام إنك خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الأبرار فإن كلمتي سبقت لمن حسن خلقه أن أظله تحت عرشي وأسكنه حظيرة القدس وأدنيه من جواري وذلك أنه طلب منه أولا العلة في خطئه طلب منبه على تماديه موقظ لإفراطه وتناهيه لأن المعبود لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على الثواب والعقاب نافعا ضارا إلا أنه بعض الخلق لاستخف عقل من أهله للعبادة ووصفه بالربوبية ولسجل عليه بالغي المبين والظلم العظيم وإن كان أشرف الخلق وأعلاهم منزلة كالملائكة والنبيين قال الله تعالى ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون وذلك أن العبادة هي غاية التعظيم فلا تحق إلا لمن له غاية الإنعام وهو الخالق الرازق المحيي المميت المثيب المعاقب الذي منه أصول النعم وفروعها فإذا وجهت إلى غيره وتعالى علوا كبيرا أن تكون هذه الصفة لغيره لم يكن إلا عتوا وعيا وكفرا وجحودا وخروجا عن الصحيح النير إلى الفاسد المظلم فما ظنك بمن وجه عبادته إلى جماد ليس بحي ولا يسمع فلا يسمع يا عابده ذكرك له وثناءك عليه ولا يرى هيئات خضوعك وخشوعك له فضلا أن يغني عنك بأن تستدفعه بلاء فيدفعه أو تسنح لك حاجة فيكفيها ثم ثنى بدعوته إلى الحق مترفقا به متلطفا فلم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال إن معي طائفة من العلم وشيئا منه ليس معك وذلك علم الدلالة على الطريق السوي فلا تستنكف وهب أني وإياك في مسير وعندي معرفة بالهداية دونك فاتبعني أنجك من أن تضل وتتيه ثم ثلث بتثبيطه ونهيه عما كان عليه بأن الشيطان الذي استعصى على ربك الرحمن الذي جميع ما عندك من النعم من عنده وهو عدوك الذي لا يريد بك إلا كل هلاك وخزي ونكال وعدو أبيك آدم وأبناء جنسك كلهم هو الذي ورطك في هذه الضلالة وأمرك بها وزينها لك فأنت إن حققت النظر عابد الشيطان إلا أن إبراهيم عليه السلام لإمعانه في الإخلاص ولارتقاء همته في الربانية لم يذكر من جنايتي الشيطان إلا التي تختص منهما برب العزة من عصيانه واستكباره ولم يلتفت إلى ذكر معاداته لآدم وذريته كأن النظر في عظم ما ارتكب من ذلك غمر فكره وأطبق على ذهنه ثم ربع بتخويفه سوء العاقبة وما يجره ما هو فيه من التبعة والوبال ولم يخل ذلك من حسن الأدب حيث لم يصرح بأن العقاب لاحق له وأن العذاب لاصق به ولكنه قال أخاف

أن يمسك عذاب فذكر الخوف والمس ونكر العذاب وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة أشياعه وأوليائه أكبر من العذاب وذلك أن رضوان الله أكبر من الثواب نفسه وسماه الله المشهود له بالفوز العظيم حيث قال ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم فكذلك ولاية الشيطان التي هي معارضة رضوان الله أكبر من العذاب نفسه وأعظم وصدر كل نصيحة من النصائح الأربع بقوله يا أبت توسلا إليه واستعطافا ما في لا يسمع وما لم يأتك يجوز أن يكون موصولة وموصوفة والمفعول في لا يسمع ولا يبصر منسي غير منوي كقولك ليس به استماع ولا إبصار وشيئا يحتمل وجهين أحدهما أن يكون في موضع المصدر أي شيئا من الغناء ويجوز أن يقدر نحوه مع الفعلين السابقين والثاني أن يكون مفعولا به من قولهم أغن عني وجهك فلما أطلعه على سماجة صورة أمره وهدم مذهبه بالحجج القاطعة وناصحه المناصحة العجيبة مع تلك الملاطفات أقبل عليه الشيخ بفظاظة الكفر وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا أبت بيا بني وقدم الخبر على المبتدإ في قوله أراغب أنت عن آلهتي لأنه كان أهم عنده وهو عنده أعني وفيه ضرب من التعجب والإنكار لرغبته عن آلهته وأن آلهته ما ينبغي أن يرغب عنها أحد وفي هذا سلوان وثلج لصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من مثل ذلك من كفار قومه لأرجمنك لأرمينك بلساني يريد الشتم والذم ومنه الرجيم المرمي باللعن أو لأقتلنك من رجم الزاني أو لأطردنك رميا بالحجارة وأصل الرجم الرمي بالرجام مليا زمانا طويلا من الملاوة أو مليا بالذهاب عني والهجران قبل أن أثخنك بالضرب حتى لا تقدر أن تبرح فلان ملي بكذا إذا كان مطيقا له مضطلعا به فإن قلت علام عطف واهجرني قلت على معطوف عليه محذوف يدل عليه لأرجمنك أي فاحذرني واهجرني لأن لأرجمنك تهديد وتقريع سلام عليك سلام توديع ومتاركة كقوله تعالى لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وقوله وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وهذا دليل على جواز متاركة المنصوح والحال هذه ويجوز أن يكون قد دعا له بالسلامة استمالة له ألا ترى أنه قد وعده بالاستغفار فإن قلت كيف جاز له أن يستغفر للكافر وأن يعده ذلك قلت قالوا أراد اشتراط التوبة عن الكفر كما ترد الأوامر والنواهي الشرعية على الكفار والمراد اشتراط الإيمان وكما يؤمر المحدث والفقير بالصلوة والزكوة ويراد اشتراط الوضوء والنصاب وقالوا إنما استغفر له بقوله واغفر لأبي إنه كان من الضالين لأنه وعده أن يؤمن واستشهدوا بقوله تعالى وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه ولقائل أن يقول الذي منع من الاستغفار للكافر إنما هو السمع فأما القضية العقلية فلا تأباه فيجوز أن يكون الوعد بالاستغفار والوفاء به قبل ورود السمع بناء على قضية العقل والذي يدل على صحته قوله تعالى إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك فلو كان شارطا للإيمان لم يكن مستنكرا ومستثنى عما وجبت فيه الأسوة وأما عن موعدة وعدها إياه فالواعد هو إبراهيم لا آزر أي قال واغفر لأبي قوله لأستغفرن لك وتشهد له قراءة حماد الراوية وعدها أباه والله أعلم الحفي البليغ في البر والإلطاف حفي به وتحفى به أراد بالاعتزال المهاجرة إلى الشام والمراد بالدعاء العبادة لأنه منه وسببها ومنه قوله عليه السلام الدعاء هو العبادة ويدل عليه قوله فلما اعتزلهم وما يعبدون ويجوز أن يراد الدعاء الذي حكاه الله في سورة الشعراء عرض بشقاوتهم بدعاء آلهتهم في قوله عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا مع التواضع لله في كلمة عسى وما فيه من هضم النفس ما خسر على الله أحد ترك الكفار الفسقة لوجهه فعوضه أولادا مؤمنين أنبياء من رحمتنا هي النبوة وعن الحسن وعن الكلبي المال والولد ... اللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهي العطية قال ...
إني أتتني لسان لا أسر بها ... يريد الرسالة ولسان العرب لغتهم وكلامهم استجاب الله دعوته واجعل لي لسان صدق في الآخرين

... فكل أمة تتولاه أهل الأديان كلهم وقال عز وجل ملة أبيكم إبراهيم وملة إبراهيم حنيفا ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وأعطى ذلك ذريته فأعلى ذكرهم وأثنى عليهم كما أعلى ذكره وأثنى عليه المخلص بالكسر الذي أخلص العبادة عن الشرك والرياء أو أخلص نفسه وأسلم وجهه لله وبالفتح الذي أخلصه الله تعالى الرسول الذي معه كتاب من الأنبياء والنبي الذي ينبئ عن الله عز وجل وإن لم يكن معه كتاب كيوشع الأيمن من اليمين أي من ناحية اليمنى ومن اليمن صفة للطور أو للجانب شبهه بمن قربه بعض العظماء للمناجاة حيث كلمه بغير واسطة ملك وعن أبي العالية قربه حتى سمع صريف القلم الذي كتبت به التوراة من رحمتنا من أجل رحمتنا له وترؤفنا عليه وهبنا له هرون أو بعض رحمتنا كما في قوله ووهبنا له من رحمتنا وأخاه على هذا الوجه بدل وهرون عطف بيان كقولك رأيت رجلا أخاك زيدا وكان هرون أكبر من موسى فوقعت الهبة على معاضدته ومؤازرته كذا عن ابن عباس رضي الله عنه ذكر إسمعيل عليه السلام بصدق الوعد وإن كان موجودا في غيره من الأنبياء تشريفا له وإكراما كالتلقيب بنحو الحليم والأواه والصديق ولأنه المشهور المتواصف من خصاله عن ابن عباس أنه وعد صاحبا له أن ينتظره في مكان فانتظره سنة وناهيك أنه وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى حيث قال ستجدني إن شاء الله من الصابرين كان يبدأ بأهله في الأمر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لمن وراءهم ولأنهم أولى من سائر الناس وأنذر عشيرتك الأقربين وأمر أهلك بالصلوة قوا أنفسكم وأهليكم نارا ألا ترى أنهم أحق بالتصدق عليهم فالإحسان الديني أولى وقيل أهله أمته كلهم من القرابة وغيرهم لأن أمم النبيين في عداد أهاليهم وفيه أن من حق الصالح أن لا يألو نصحا للأجانب فضلا عن الأقارب والمتصلين به وأن يحظيهم بالفوائد الدينية ولا يفرط في ذلك قيل سمي إدريس لكثرة دراسته كتاب الله وكان اسمه أخنوخ وهو غير صحيح لأنه لو كان إفعيلا من الدرس لم يكن فيه إلا سبب واحد وهو العلمية وكان منصرفا فامتناعه من الصرف دليل العجمة وكذلك إبليس أعجمي وليس من الإبلاس كما يزعمون ولا يعقوب من العقب ولا إسرائيل بإسرال كما زعم ابن السكيت ومن لم يحقق ولم يتدرب بالصناعة كثرت منه أمثال هذه الهنات ويجوز أن يكون معنى إدريس في تلك اللغة قريبا من ذلك فحسبه الراوي مشتقا من الدرس المكان العلي شرف النبوة والزلفى عند الله وقد أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة وهو أول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب وأول من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلود وعن أنس بن مالك يرفعه أنه رفع إلى السماء الرابعة وعن ابن عباس إلى السماء السادسة وعن الحسن إلى الجنة لا شيء أعلى من الجنة وعن النابغة الجعدي أنه لما أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعر الذي آخره
بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا ... وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا
قال له رسول الله إلى أين يا أبا ليلى قال إلى الجنة أولئك إشارة إلى المذكورين في السورة من لدن زكريا إلى إدريس ومن في من النبيين للبيان مثلها في قوله تعالى في آخر سورة الفتح وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لأن جميع الأنبياء منعم عليهم ومن الثانية للتبعيض وكان إدريس من ذرية آدم لقربه منه لأنه جد أبي نوح وإبراهيم من ذرية من حمل مع نوح لأنه من ولد سام بن نوح وإسمعيل من ذرية إبراهيم وموسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى من ذرية إسرائيل وكذلك عيسى لأن مريم من ذريته وممن هدينا يحتمل العطف على من الأولى والثانية إن جعلت الذين خبرا لأولئك كان إذا تتلى كلاما مستأنفا وإن جعلته صفة له كان خبرا قرأ شبل بن عباد المكي يتلى بالتذكير لأن التأنيث غير حقيقي مع وجود الفاصل البكي جمع باك كالسجود والقعود في جمع ساجد وقاعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا وعن صالح المري

ـن القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فأين البكاء. وعن ابن عباس إذا قرأتم
سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فإن لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه. وعن النبي صلى الله عليه وسلم
إن القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فتحازنوا. وقالوا يدعو في سجدة التلاوة بما يليق بها فإن قرأ آية تنزيل السجدة
قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك.
وإذا قرأ سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين إليك الخاشعين لك. وإن قرأ هذه قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم
عليهم المهتدين الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك. خلفه إذا أعقبه ثم قيل في عقب الخير خلف بالفتح وفي عقب
الشر خلف بالسكون كما قالوا وعد في ضمان الخير ووعيد في ضمان الشر. عن ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود تركوا الصلاة
المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الأخت من الأب. وعن إبراهيم ومجاهد أضاعوها بالتأخير وينصر الأول قوله
إلا من تاب وآمن يعني الكفار. وعن علي عليه السلام في قوله واتبعوا الشهوات من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور.
وعن قتادة هو في هذه الأمة. وقرأ ابن مسعود والحسن والضحاك الصلوات بالجمع. كل شر عند العرب غي وكل خير
رشاد قال فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما. وعن الزجاج جزاء الغي كقوله يلق
أثاما أي مجازاة أثام. وغيا عن طريق الجنة. وقيل غي واد في جهنم تستعيذ منه أوديتها. وروي الأخفش يلقون
قرئ يدخلون ويدخلون أي لا ينقصون شيئا من جزاء أعمالهم ولا يمنعونه بل يضاعف لهم بيانا لأن تقدم الكفر لا يضرهم إذا تابوا
من قولك ما ظلمك أن تفعل كذا بمعنى ما منعك. أو لا يظلمون البتة أي شيئا من الظلم. لما كانت الجنة مشتملة على جنات
عدن أبدلت منها كقولك أبصرت دارك القاعة والعلالي. وعدن معرفة علم لمعنى العدن وهو الإقامة كما
جعلوا فينة وسحر وأمس فيمن لم يصرفه أعلاما لمعاني الفينة والسحر والأمس فجرى مجرى العدن لذلك أو هو علم لأرض
الجنة لكونها مكان إقامة ولولا ذلك لما ساغ الإبدال لأن النكرة لا تبدل من المعرفة إلا موصوفة ولما ساغ وصفها بالتي
وقرئ جنات عدن بالرفع على الابتداء أي وعدها وهي غائبة عنهم غير حاضرة أو هم غائبون عنها لا يشاهدونها أو
بتصديق الغيب والإيمان به. قيل في مأتيا مفعول بمعنى فاعل والوجه أن الوعد هو الجنة وهم يأتونها
أو هو من قولك أتى إليه إحسانا أي كان وعده مفعولا. اللغو فضول الكلام وما لا طائل تحته وفيه تنبيه
ظاهر على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله عنه الدار التي لا تكليف فيها وما أحسن قوله وإذا مروا باللغو مروا كراما
وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين. نعوذ بالله من
اللغو ومن الجهل والخوض فيما لا يعنينا. أي إن كان تسليم بعضهم على بعض أو تسليم الملائكة عليهم لغوا فلا يسمعون لغوا إلا
ذلك فهو من وادي قوله. ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول. أو لا يسمعون فيها إلا قولا يسلمون فيه من العيب
والنقيصة على الاستثناء المنقطع أو لأن معنى السلام هو الدعاء بالسلامة ودار السلام هي دار السلامة وأهلها عن الدعاء بالسلامة
أغنياء فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الإكرام. من الناس من يأكل الوجبة ومنهم
من يأكل متى وجد وهي عادة المنهومين ومنهم من يتغدى ويتعشى وهي العادة الوسطى المحمودة ولا يكون ثم ليل ولا نهار
ولكن على التقدير ولأن المتنعم عند العرب من وجد غداء وعشاء. وقيل أراد دوام الرزق ودروره كما تقول
أنا عند فلان صباحا ومساء وبكرة وعشيا تريد الديمومة ولا تقصد الوقتين المعلومين. نورث وقرئ نورث استعارة
أي نبقي عليه الجنة كما نبقي على الوارث مال الموروث ولأن الأتقياء يلقون ربهم يوم القيامة قد انقضت أعمالهم وثمرتها
باقية وهي الجنة فإذا أدخلهم الجنة فقد أورثهم من تقواهم كما يورث الوارث المال من المتوفى. وقيل أورثوا من الجنة المساكن

ـتي كانت لأهل النار لو أطاعوا. وما نتنزل حكاية قول جبريل عليه السلام حين استبطأه رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي أنه احتبس
أربعين يوما وقيل خمسة عشر وذلك حين سئل عن قصة أهل الكهف وذي القرنين والروح فلم يدر كيف يجيب
ورجا أن يوحى إليه فيه فشق ذلك عليه مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه فلما نزل جبريل قال له
النبي صلى الله عليه وسلم أبطأت حتى ساء ظني واشتقت إليك قال إني كنت أشوق ولكني عبد مأمور إذا بعثت نزلت
وإذا حبست احتبست وأنزل الله هذه الآية وسورة والضحى. والتنزل على معنيين معنى النزول على مهل ومعنى النزول على
الإطلاق كقوله. فلست لإنسي ولكن لملأك تنزل من جو السماء يصوب. لأنه مطاوع نزل ونزل يكون بمعنى
أنزل وبمعنى التدريج واللائق بهذا الموضع هو النزول على مهل والمراد أن نزولنا في الأحايين وقتا غب وقت وليس إلا
بأمر الله وعلى ما يراه صوابا وحكمة وله ما قدامنا وما خلفنا من الجهات والأماكن وما نحن فيها فلا نتمالك أن ننتقل
من جهة إلى جهة ومكان إلى مكان إلا بأمر المليك ومشيئته وهو الحافظ العالم بكل حركة وسكون وما يحدث ويتجدد من
الأحوال لا يجوز عليه الغفلة والنسيان فأنى لنا أن نتقلب في ملكوته إلا إذا رأى ذلك مصلحة وحكمة وأطلق لنا
الإذن فيه. وقيل ما سلف من أمر الدنيا وما يستقبل من أمر الآخرة. وما بين ذلك ما بين النفختين وهو أربعون
سنة. وقيل ما مضى من أعمارنا وما غبر منها والحال التي نحن فيها. وقيل ما قبل وجودنا وما بعد فنائنا. وقيل الأرض
التي بين أيدينا إذا نزلنا والسماء التي وراءنا وما بين السماء والأرض والمعنى أنه المحيط بكل شيء لا تخفى عليه خافية ولا يعزب
عنه مثقال ذرة فكيف نقدم على فعل نحدثه إلا صادرا عما توجبه حكمته ويأمرنا به ويأذن لنا فيه. وقيل معنى
وما كان ربك نسيا وما كان تاركا لك. عك ربك وما قلى أي ما كان امتناع النزول إلا لامتناع الأمر به
وأما احتباس الوحي فلم يكن عن ترك الله لك وتوديعه إياك ولكن لتوقفه على المصلحة. وقيل هي حكاية قول
المتقين حين يدخلون الجنة أي وما ننزل الجنة إلا بأمر من الله علينا بثواب أعمالنا وأمرنا بدخولها وهو المالك لرقاب الأمور
كلها السالفة والمترقبة والحاضرة اللاطف في أعمال الخير والموفق لها والمجازي عليها. ثم قال الله تعالى تقريرا لقولهم وما
كان ربك نسيا لأعمال العاملين غافلا عما يجب أن يثابوا به وكيف يجوز النسيان والغفلة على ذي ملكوت السماوات والأرض وما
بينهما. ثم قال لرسوله صلى الله عليه وسلم لما عرفته على هذه الصفة فأقبل على العمل واعبده يثبك كما أثاب
غيرك من المتقين. وقرئ وما يتنزل بالياء على الحكاية عن جبريل والضمير للوحي. وعن ابن مسعود الأمر يقول إنه
يحب أن يكون الملائكة بأمر ربك. رب السماوات والأرض بدل من ربك ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف
أي هو رب السماوات والأرض فاعبده كقوله وقائلة خولان فانكح. وعلى هذا الوجه يجوز أن يكون
وما كان ربك نسيا من كلام المتقين وما بعده من كلام رب العزة. فإن قلت اصطبر يعدى بعلى التي هي صلته كقوله
واصطبر عليها فلم لأن العبادة جعلت بمنزلة القرن في قولك للمحارب اصطبر لقرنك أي اثبت له فيما يورد
عليك من شداته أريد أن العبادة تورد عليك شدائد ومشاق فاثبت لها ولا تهن ولا يضق صدرك عن إلقاء أهل الكتاب إليك الأغاليط وعن احتباس الوحي عليك مدة وشماتة المشركين. أي لم يسم شيء بالله قط وكانوا يقولون
لأصنامهم آلهة والعزى إله وأما الذي عوض فيه الألف واللام من الهمزة فمخصوص به المعبود الحق. وعن ابن عباس لا يسمى أحد الرحمن غيره ووجه آخر هل تعلم من سمي باسمه على الحق دون الباطل لأن التسمية على
الباطل في كونها غير معتد بها كلا تسمية. وقيل مثلا وشبيها أي إذا صح أن لا معبود يوجه إليه العباد إلا هو وحده لم يكن بد من عبادته والاصطبار على مشاقها فما لبث أن زاد الإنسان الجنس بأسره وأن يراد

بعض الجنس وهم الكفرة. فإن قلت لم جازت إرادة الأناسي كلهم وكلهم غير قائلين ذلك قلت لما كانت
هذه المقالة موجودة فيمن هو من جنسهم صح إسناده إلى جميعهم كما يقولون بنو فلان قتلوا فلانا وإنما القاتل رجل منهم
وقال الفرزدق. فسيف بني عبس وقد ضربوا به نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد. فقد أسند الضرب إلى
بني عبس مع قوله نبا بيدي ورقاء وهو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي. فإن قلت بم انتصب إذا وإنما به
أخرج ممتنع لأجل اللام لا تقول اليوم لزيد قائم قلت بفعل مضمر يدل عليه المذكور. فإن قلت لام الابتداء
الداخلة على المضارع تعطي معنى الحال فكيف جامعت حرف الاستقبال قلت لم تجامعها إلا مخلصة للتوكيد كما خلصت
الهمزة في يا الله للتعويض واضمحل عنها معنى التعريف وما في إذا ما للتوكيد أيضا فكأنهم قالوا أحقا أنا سنخرج أحياء
حين يتمكن فينا الموت والهلاك على وجه الاستبعاد والاستنكار والمراد الخروج من الأرض أو من حال الفناء أو هو من
قولهم خرج فلان عالما وخرج شجاعا إذا كان نادرا في ذلك يريد سأخرج حيا نادرا على سبيل الهزء. وقرأ الحسن وأبو
حيوة لسوف أخرج. وعن طلحة بن مصرف لسأخرج كقراءة ابن مسعود ولسوف يعطيك وتقديم الظرف وإيلاء حرف
الإنكار من قبل أن ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكرة ومنه جاء إنكارهم فهو كقولك للمسيء إلى المحسن أحين تم عليك
نعمة فلان أسأت إليه. الواو عطفت لا يذكر على يقول ووسطت همزة الإنكار بين المعطوف عليه وحرف العطف يعني
أيقول ذلك ولا يتذكر حال النشأة الأولى حتى لا ينكر الأخرى فإن تلك أعجب وأغرب وأدل على قدرة الخالق حيث
أخرج الجواهر والأعراض من العدم إلى الوجود ثم أوقع التأليف مشحونا بضروب الحكم التي تحار الفطن فيها من غير
حذو على مثال واقتداء بمؤلف ولكن اختراعا وإبداعا من عند قادر جلت قدرته ودقت حكمته. وأما الثانية
فقد تقدمت نظيرتها وعادت كالمثال لها وليس فيها إلا تأليف الأجزاء الموجودة الباقية وتركيبها وردها إلى ما كانت عليه
مجموعة بعد التفكيك والتفريق وقوله تعالى ولم يك شيئا دليل على هذا المعنى وكذلك قوله وهو أهون عليه
على أن رب العزة سواء عليه النشأتان لا تفاوت في قدرته الصعب والسهل ولا يحتاج إلى احتذاء على مثال ولا استعانة
بحكيم ولا نظر في مقاييس ولكن يواجه جاحد البعث بذلك دفعا في بحر معاندته وكشفا عن صفحة جهله. القراء
كلهم على لا يذكر بالتشديد إلا نافعا وابن عامر وعاصما فقد خففوا وفي حرف أبي يتذكر. من قبل من قبل الحالة التي
هو فيها وهي حالة بقائه. في إقسام الله تعالى باسمه تقدست أسماؤه مضافا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تفخيم لشأن
رسول الله ورفع منه كما رفع من شأن السماء والأرض في قوله فورب السماء والأرض إنه لحق. والواو في والشياطين يجوز
أن تكون للعطف وبمعنى مع وهي بمعنى مع أوقع والمعنى أنهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم يقرن كل
كافر مع شيطان في سلسلة. فإن قلت هذا إذا أريد بالإنسان الكفرة خاصة
فإن أريد الأناسي على العموم فكيف يستقيم حشرهم مع الشياطين قلت إذا حشر جميع الناس حشرا واحدا
وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا مع الشياطين كما حشروا مع الكفرة. فإن قلت هلا عزل
السعداء عن الأشقياء في الحشر كما عزلوا في الجزاء قلت لم يفرق بينهم وبينهم في المحشر وأحضروا جميعا حول
جهنم وأوردوا معهم النار ليشاهد السعداء الأحوال التي نجاهم الله منها وخلصهم فيزدادوا لذلك غبطة وسرورا
إلى سرور ويشمتوا بأعداء الله وأعدائهم فتزداد مساءتهم وحسرتهم وما يغيظهم من سعادة أولياء الله وشماتتهم بهم.
فإن قلت ما معنى إحضارهم جثيا قلت أما إذا فسر الإنسان بالخصوص فالمعنى أنهم يقبلون من المحشر إلى
شاطئ جهنم عتلا على حالهم التي كانوا عليها في الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على أقدامهم وذلك أن أهل الموقف
وصفوا بالجثو قال الله تعالى وترى كل أمة جاثية على العادة المعهودة في مواقف المقاولات والمناقلات

من تجاثيهم على الركب لما في ذلك من الاستيفاز والقلق وإطلاق الحبى خلاف الطمأنينة أو لما يدهمهم من شدة الأمر التي لا
يطيقون معها القيام على أرجلهم فيجثون على ركبهم جثوا. وإن فسر بالعموم فالمعنى أنهم يتجاثون عند موافاة
شاطئ جهنم على أن جثيا حال مقدرة كما كانوا في الموقف متجاثين لأنه من توابع التوقف للحساب قبل التواصل
للثواب والعقاب. المراد بالشيعة وهي فعلة كفرقة وفتية الطائفة التي شاعت أي تبعت غاويا من
الغواة قال الله تعالى إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا يريد نمتاز من كل طائفة من طوائف الغي
والفساد أعصاهم فأعصاهم وأعتاهم فأعتاهم فإذا اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب نقدم
أولاهم بالعذاب فأولاهم أو أراد بالذين هم أولى بها صليا المنتزعين كما هم كأنه قال ثم لنحن أعلم بتصلية
هؤلاء وهم أولى بالصلي من بين سائر الصالين ودركاتهم أسفل وعذابهم أشد ويجوز أن يريد بأشدهم عتيا
رؤساء الشيع وأئمتهم لتضاعف جرمهم بكونهم ضلالا ومضلين. قال الله تعالى الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم. واختلف
في إعراب أيهم أشد فعن الخليل أنه مرتفع على الحكاية تقديره لننزعن الذين يقال فيهم أيهم أشد. وسيبويه
على أنه مبني على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلته حتى لو جيء به لأعرب. وقيل أيهم هو أشد ويجوز
أن يكون النزع واقعا على من كل شيعة كقوله ووهبنا لهم من رحمتنا أي لننزعن بعض كل شيعة فكأن قائلا قال
من هم فقيل أيهم أشد عتيا وأيهم أشد بالنصب عن طلحة بن مصرف. وعن معاذ بن مسلم الهراء أستاذ الفراء فإن
قلت بم يتعلق على والباء فإن تعلقهما بالمصدرين لا سبيل إليه قلت هما للبيان لا للصلة أو يتعلقان بأفعل
أي عتوهم أشد على الرحمن وصليهم أولى بالنار كقولك هو أشد على خصمه وهو أولى بكذا. وإن منكم
التفات إلى الإنسان يعضده قراءة ابن عباس وعكرمة وإن منهم أو خطاب للناس من غير التفات إلى المذكور
فإن أريد الجنس كله فمعنى الورود دخولهم فيها وهي جامدة فيعبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم عن ابن عباس يردونها
كأنها إهالة وروي دواية. وعن جابر بن عبد الله أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال إذا دخل
أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي جامدة.
وعنه رضي الله عنه أنه سئل عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول
لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم حتى إن للنار ضجيجا من بردها
وأما قوله أولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها. وعن ابن مسعود والحسن وقتادة هو الجواز على الصراط لأن
الصراط ممدود عليها. وعن ابن عباس قد يرد الشيء الشيء ولم يدخله كقوله ولما ورد ماء مدين ووردت
القافلة البلد وإن لم تدخله ولكن قربت منه. وعن مجاهد ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده
في الدنيا لقوله عليه السلام الحمى من فيح جهنم. وفي الحديث الحمى حظ كل مؤمن من النار ويجوز
أن يراد بالورود جثوهم حولها وإن أريد الكفار خاصة فالمعنى بين. الحتم مصدر حتم الأمر إذا
أوجبه فسمي به الموجب كقولهم خلق الله وضرب الأمير أي كان ورودهم واجبا على الله أوجبه على نفسه
وقضى به وعزم على أن لا يكون غيره. قرئ ننجي وننجي وينجي وينجى على ما لم يسم فاعله إن أريد الجنس
بأسره فهو ظاهر وإن أريد الكفرة وحدهم فمعنى ثم ننجي الذين اتقوا أن المتقين يساقون إلى الجنة عقيب
ورود الكفار لا أنهم يواردونهم ثم يتخلصون. وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس والجحدري وابن أبي ليلى

ثم ننجي ننجي انّا اى منهاك قوله ونذر الظالمين فيها جثيا دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين
يفارقون الكفرة الى الجنة بعد تجاثيهم ويبقى الكفرة في مكانهم جاثين بينات مرتلات الالفاظ ملخصات
المعاني مبينات المقاصد محكمات او متشابهات قد تبعها البيان بالمحكمات او بتبيين الرسول قولا او فعلا او ظاهرات
الاعجاز تحدي بها فلم يقدر على معارضتها او حججا وبراهين والوجه ان تكون حالا مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا
لان آيات الله لا تكون الا واضحة وحججا للذين آمنوا يحتمل انهم يناطقون المؤمنين بذلك ويواجهونهم به وانهم
يفوهون به لاجلهم وفي معناهم لقوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه قرأ
ابن كثير مقاما بالضم وهو موضع الاقامة والمنزل والباقون بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان والموضع
والندي المجلس ومجتمع القوم وحيث ينتدون والمعنى انهم اذا سمعوا الآيات وهم جهلة لا يعلمون الا ظاهر الحياة
الدنيا وذلك مبلغهم من العلم قالوا اي الفريقين من المؤمنين بالآيات والجاحدين لها اوفر حظا من الدنيا حتى
يجعل ذلك عيارا على الفضل والنقص والرفعة والضعة ويروى انهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنون ويتطيبون
ويتزينون بالزين الفاخرة ثم يدعون مفتخرين على فقراء المسلمين انهم اكرم على الله منهم كم مفعول اهلكنا
ومن تبيين لابهامها اي كثيرا من القرون اهلكنا وكل اهل عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم وهم
احسن في محل النصب صفة لكم الا ترى انك لو تركت هم لم يكن لك بد من نصب احسن على الوصفية الاثاث
متاع البيت وقيل هو ما جد من الفرش والخرثي ما لبس منها وانشد الحسن بن علي الطوسي
تقادم العهد من ام الوليد بنا دهرا وصار اثاث البيت خرثيا قرئ على خمسة اوجه رئيا وهو المنظر
والهيئة فعل بمعنى مفعول من رأيت ورئيا على القلب كقولهم راء في رأى وريا على قلب الهمزة ياء والادغام او من
الري الذي هو النعمة والترفه من قولهم ريان من النعيم وريا على حذف الهمزة رأسا ووجهه ان يخفف المقلوب
وهو رئيا بحذف همزته والقاء حركتها على الياء الساكنة قبلها وزيا واشتقاقه من الزي وهو الجمع لان الزي
محاسن مجموعة والمعنى احسن من هؤلاء اي مد له الرحمن يعني امهله واملى له في العمر فاخرج على لفظ الامر
ايذانا بوجوب ذلك وانه مفعول لا محالة كالمأمور به الممتثل لتقطع معاذير الضال ويقال له يوم القيامة
اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر او كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما او من كان في الضلالة فمد
له الرحمن في معنى الدعاء بان يمهله الله وينفس في مدة حياته في هذه الآية وجهان احدهما ان
تكون متصلة بالآية التي هي رابعتها والآيتان اعتراض بينهما اي قالوا اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا
حتى اذا رأوا ما يوعدون اي لا يبرحون يقولون هذا القول ويتولعون به لا يتكافون عنه الى ان يشاهدوا
الموعود رأي العين اما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واظهار الله
دينه على الدين كله على ايديهم واما يوم القيامة وما ينالهم من الخزي والنكال فحينئذ يعلمون عند المعاينة ان
الامر على عكس ما قدروه وانهم شر مكانا واضعف جندا لا خير مقاما واحسن نديا وان المؤمنين على خلاف صفتهم
والثاني ان تتصل بما يليها والمعنى ان الذين في الضلالة ممدود لهم في ضلالتهم والخذلان لاصق بهم لعلم الله
بهم وبان الالطاف لا تنفع فيهم وليسوا من اهلها والمراد بالضلالة ما دعاهم من جهلهم وغلوهم في كفرهم
الى القول الذي قالوه لا ينفكون عن ضلالتهم الى ان يعاينوا نصرة الله المؤمنين او يشاهدوا الساعة ومقدماتها
فان قلت حتى هذه ما هي قلت هي التي يحكى بعدها الجمل الا ترى الجملة الشرطية واقعة بعدها وهي

قوله اذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا في مقابلة خير مقاما واحسن نديا لان
مقامهم هو مكانهم ومسكنهم والندي المجلس الجامع لوجوه قومهم واعوانهم وانصارهم والجند
هم الانصار والاعوان ويزيد معطوف على موضع فليمدد لانه واقع موقع الخبر تقديره من كان في الضلالة
مد او يمد له الرحمن ويزيد اي يزيد في ضلال الضال بخذلانه ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه الباقيات
الصالحات اعمال الآخرة كلها وقيل الصلوات وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
اي هي خير ثوابا من مفاخرات الكفار وخير مردا اي مرجعا وعاقبة او منفعة من قولهم ليس لهذا الامر مرد
وهل يرد بكاي زندا فان قلت كيف قيل خير ثوابا كان لمفاخراتهم ثوابا حتى يجعل ثواب الصالحات خيرا
منه قلت كانه قيل ثوابهم النار على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم وقوله
شجعاء جرتها الذميل تلوكه اصلا اذا راح المطي غراثا وقوله تحية بينهم ضرب وجيع ثم
بني عليه خير ثوابا وفيه ضرب من التهكم الذي هو اغيظ للمهدد من ان يقال له عقابك النار فان قلت
فما وجه التفضيل في الخبر كان لمفاخرهم شركا فيه قلت هذا من وجيز كلامهم يقولون الصيف احر من الشتاء اي
ابلغ في حره من الشتاء في برده لما كانت مشاهدة الاشياء ورؤيتها طريقا الى الاحاطة بها علما وصحة الخبر عنها استعملوا
ارأيت في معنى اخبر والفاء جاءت لافادة معناها الذي هو التعقيب كانه قال اخبر ايضا بقصة هذا الكافر واذكر
حديثه عقيب حديث اولئك اطلع الغيب من قولهم اطلع الجبل اذا ارتقى الى اعلاه وطلع الثنية قال جرير
لاقيت مطلع الجبال وعورا ويقولون مر مطلعا لذلك الامر اي عاليا له مالكا له ولاختيار هذه الكلمة شأن
يقولون او قد بلغ من عظمة شأنه ان ارتقى الى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار والمعنى ان ما ادعى ان يؤتاه وتألى
عليه لا يتوصل اليه الا باحد هذين الطريقين اما علم الغيب واما عهد من عالم الغيب فبايهما توصل الى ذلك
قرأ حمزة والكسائي ولدا وهو جمع ولد كأسد في أسد او بمعنى الولد كالعرب في العرب وعن يحيى بن يعمر ولدا بالكسر
وقيل في العهد كلمة الشهادة وعن قتادة هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو بذلك ما يقول وعن الكلبي
هل عهد الله اليه انه يؤتيه ذلك وعن الحسن رحمه الله نزلت في الوليد بن المغيرة والمشهور انها في العاص بن وائل
قال خباب بن الارت كان لي على العاص بن وائل دين فاقتضيته فقال لا والله حتى تكفر بمحمد قلت لا والله لا اكفر بمحمد
حيا ولا ميتا ولا حين بعثت قال فاني اذا مت بعثت قلت نعم قال اذا بعثت جئتني وسيكون لي ثم مال وولد فاعطيتك
وقيل صاغ له خباب حليا فاقتضاه الاجر فقال انكم تزعمون انكم تبعثون وان في الجنة ذهبا وفضة وحريرا
فانا اقضيك ثم فاني اوتى مالا وولدا كلا ردع وتنبيه على الخطأ اي هو مخطئ فيما يصوره لنفسه ويتمناه فليرتدع
عنه فان قلت لم قيل سنكتب بسين التسويف وهو كما قاله كتب من غير تأخير قال الله تعالى
ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد قلت فيه وجهان احدهما سنظهر له ونعلمه انا كتبنا قوله على طريقة
قوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي تبين وعلم بالانتساب اني لست بابن لئيمة والثاني ان المتوعد يقول
للجاني سوف انتقم منك يعني انه لا يخل بالانتصار وان تطاول به الزمان واستأخر فجردها هنا لمعنى الوعيد
ونمد له من العذاب اي نطول له من العذاب ما يستأهله ونعذبه بالنوع الذي يعذب به الكفار المستهزئون
او نزيد من العذاب ونضاعف له من المدد يقال مده وامده بمعنى ويدل عليه قراءة علي بن ابي طالب عليه السلام
ونمد له بالضم واكد ذلك بالمصدر وذلك من فرط غضب الله نعوذ بالله من التعرض لما نستوجب به غضبه

ونرثه ما يقول اي نزوي عنه ما زعم انه يناله في الآخرة ونعطيه من يستحقه والمعنى مسمى ما يقول ومعنى ما يقول وهو المال
والولد يقول الرجل انا املك كذا فيقول له لمن فوق ما تقول ويحتمل انه قد تمنى وطمع ان يؤتيه الله في الدنيا مالا
وولدا وبلغت به اشعبيته ان تألى على ذلك في قوله لاوتين لانه جواب قسم مضمر ومن يتأل على الله يكذبه فيقول الله
عز وجل هب انا اعطيناه ما اشتهاه اما نرثه منه في العاقبة ويأتينا فردا غدا بلا مال ولا ولد كقوله عز وجل
ولقد جئتمونا فرادى الآية فما يجدي عليه تمنيه وتأليه ويحتمل انه انما يقول هذا القول ما دام حيا فاذا قبضناه
حلنا بينه وبين ان يقوله ويأتينا رافضا له منفردا عنه غير قائل له او لا ننسى قوله هذا ولا نلغيه بل نثبته في
صحيفته لنضرب به وجهه في الموقف ونعيره به ويأتينا على فقره ومسكنته فردا من المال والولد لم نوله سؤله
ولم نؤته متمناه فيجتمع عليه الخطبان تبعة قوله ووباله وفقد المطموع فيه فردا على الوجه الاول حال مقدرة
نحو فادخلوها خالدين لانه وغيره سواء في اتيانه فردا حين يأتي ثم يتفاوتون بعد ذلك اي ليتعززوا بآلهتهم
حيث يكونون لهم عند الله شفعاء وانصارا ينقذونهم من العذاب كلا ردع لهم وانكار لتعززهم بالآلهة وقرأ
ابن نهيك كلا سيكفرون بعبادتهم اي سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم كقولك زيدا مررت
بغلامه وفي محتسب ابن جني كلا بفتح الكاف والتنوين وزعم ان معناه كل هذا الرأي والاعتقاد كلا ولقائل ان
يقول ان صحت هذه الرواية فهي كلا التي هي للردع قلب الواقف عليها الفها نونا كما في قواريرا والضمير في سيكفرون
للآلهة اي سيجحدون عبادتهم وينكرونها ويقولون والله ما عبدتمونا وانتم كاذبون قال الله تعالى واذا رأى
الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون او للمشركين
اي ينكرون لسوء العاقبة ان يكونوا قد عبدوها قال الله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا
مشركين عليهم ضدا في مقابلة لهم عزا والمراد ضد العز وهو الذل والهوان اي يكونون عليهم ضدا لما قصدوه
وارادوه كانه قيل ويكونون عليهم ذلا لا لهم عزا او يكونون عليهم عونا والضد العون يقال من اضدادكم
اي اعوانكم وكأن العون سمي ضدا لانه يضاد عدوك وينافيه باعانته لك عليه فان قلت لم وحد قلت
وحد توحيد قوله عليه السلام وهم يد على من سواهم لاتفاق كلمتهم وانهم كشيء واحد لفرط تضامهم وتوافقهم ومعنى
كون الآلهة عونا عليهم انهم وقود النار وحصب جهنم ولانهم عذبوا بسبب عبادتها وان رجعت الواو في
سيكفرون ويكونون الى المشركين فان المعنى ويكونون عليهم اي اعداءهم ضدا اي كفرة بهم بعد ان كانوا يعبدونها الاز
والهز والاستفزاز اخوات ومعناها التهييج وشدة الازعاج اي تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوساوس
والتسويلات والمعنى خلينا بينهم وبينهم ولم نمنعهم ولو شاء لمنعهم قسرا والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد الآيات التي ذكر فيها العتاة المردة من الكفار واقاويلهم وملاحتهم ومعاندتهم للرسل واستهزائهم بالدين
من تمادي الكفرة في الغي وافراطهم في العناد وتصميمهم على الكفر واجماعهم على دفع الحق بعد وضوحه وانتفاء
الشك عنه وانهماكهم لذلك في اتباع الشياطين وما تسول لهم تعجل عليه بكذا اذا استعجلته منه اي لا تعجل عليهم بان يهلكوا ويبيدوا حتى تستريح انت
والمسلمون من شرورهم فليس بينك وبين ما تطلب من هلاكهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة كانها في سرعة تقضيها الساعة التي
تعدها لو عدت ونحوه قوله تعالى ولا تستعجل لهم كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار وعن ابن عباس
رضي الله عنه انه كان اذا قرأها بكى وقال آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق اهلك آخر العدد دخول
قبرك وعن ابن السماك انه كان عند المأمون فقرأها فقال اذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما اسرع ما تنفد

نصب يوم بمضمر اي يوم نحشر ونسوق نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف او اذكر يوم نحشر ويجوز ان ينتصب بلا يملكون
ذكر المتقين بلفظ التبجيل وهو انهم يجمعون الى ربهم الذي غمرهم برحمته وخصهم برضوانه وكرامته كما يفد الوفاد
على الملوك منتظرين للكرامة عندهم وعن علي عليه السلام ما يحشرون والله على ارجلهم ولكنهم على نوق رحالها
ذهب وعلى نجائب سرجها ياقوت وذكر الكافرين بانهم يساقون الى النار باهانة واستخفاف كانهم نعم
عطاش تساق الى الماء والورد العطاش لان من يرد الماء لا يرده الا لعطش وحقيقة الورد المسير الى الماء قال
ردي ردي ورد قطاة صما كدرية اعجبها برد الماء فسمي به الواردون وقرأ الحسن يحشر المتقون
ويساق المجرمون الواو في يملكون ان جعل ضميرا فهو للعباد ودل عليه ذكر المتقين والمجرمين لانهم على هذه القسمة
ويجوز ان يكون علامة للجمع كالتي في اكلوني البراغيث والفاعل من اتخذ لانه في معنى الجمع ومحل من اتخذ رفع
على البدل او على الفاعلية ويجوز ان ينتصب على تقدير حذف المضاف اي الا شفاعة من اتخذ والمراد لا يملكون ان يشفع
لهم واتخاذ العهد الاستظهار بالايمان والعمل وعن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ذات
يوم ايعجز احدكم ان يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم
فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اني اعهد اليك اني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا
عبدك ورسولك وانك ان تكلني الى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير واني لا اثق الا برحمتك فاجعل لي عندك عهدا توفينيه
يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع الله عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى
مناد اين الذين لهم عند الله عهد فيدخلون الجنة وقيل كلمة الشهادة ويكون من عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره
به اي لا يشفع الا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها وتعضده مواضع في التنزيل وكم من ملك في السموات لا تغني
شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من
اذن له الرحمن ورضي له قولا قرئ ادا بالكسر والفتح قال ابن خالويه الاد والاد العجب
وقيل العظيم المنكر والادة الشدة وادني الامر وادني اثقلني وعظم علي ادا تكاد قراءة الكسائي ونافع بالياء
وقرئ ينفطرن الانفطار من فطره اذا شقه والتفطر من فطره اذا شققه وكرر الفعل فيه وقرأ ابن مسعود
ينصدعن هدا او مهدودة او مفعول له اي لانها تهد فان قلت ما معنى انفطار السموات وانشقاق الارض
وخرور الجبال ومن اين تؤثر هذه الكلمة في الجمادات قلت فيه وجهان احدهما ان الله سبحانه يقول كدت افعل
هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا مني على من تفوه بها لولا حلمي ووقاري واني لا اعجل
بالعقوبة كما قال ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان
حليما غفورا والثاني ان يكون استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لاثرها في الدين وهدمها لاركانه
وقواعده وان مثال ذلك الاثر في المحسوسات ان يصيب هذه الاجرام العظيمة التي هي قوام العالم ما تنفطر منه
وتنشق وتخر وفي قوله لقد جئتم وما فيه من المخاطبة بالجرأة على الله والتعرض لسخطه وتنبيه على عظم ما قالوا في ان دعوا
ثلاثة اوجه ان يكون مجرورا بدلا من الهاء في منه كقوله على حالة لو ان في القوم حاتما على جوده لضن بالماء حاتم
او منصوبا بتقدير سقوط اللام وافضاء الفعل اي هدا لان دعوا علله بالخرور بالهد والهد بدعاء الولد للرحمن
وفي اختصاص الرحمن وتكريره مرات من الفائدة انه هو الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره من قبل
ان اصول النعم وفروعها منه خلق العالمين وخلق لهم جميع ما معهم كما قال بعضهم فلينكشف عن بصرك

عطاؤه فانت وجميع ما عندك عطاؤه فمن اضاف اليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه واخرجه بذلك عن استحقاق
اسم الرحمن وهو من دعا بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين فاقتصر على احدهما الذي هو الثاني طلبا للعموم والاحاطة بكل
ما دعي له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ما في قوله عليه السلام من ادعى الى غير مواليه وقول الشاعر
انا بني نهشل لا ندعي لاب ... اي لا ننتسب اليه وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ولا يليق به اتخاذ الولد ولا يتطلب له لو طلب
مثلا لانه محال غير داخل تحت القدرة اما الولادة المعروفة فلا مقال في استحالتها واما التبني فلا يكون الا فيما هو من
جنس المتبنى وليس للقديم سبحانه جنس تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا من موصوفة لانها وقعت بعد كل نكرة وقوعها بعد
رب في قوله ... رب من انضجت غيظا صدره ... وقرأ ابن مسعود وابو حيوة آت الرحمن على اصله من الاضافة الاخفة
للحفظ والقسط يعني حصرهم بعلمه واحاطهم وعدهم عدا الذين اعتقدوا في الملائكة وعيسى وعزيرا انهم اولاد الله كانوا
بين كفرين احدهما القول بان الرحمن يصح ان يكون والدا والثاني اشراك الذين زعموهم لله اولادا في عبادتهم
كما تخدم الناس ابناء الملوك لخدمتهم لآبائهم فهدم الله الكفر الاول فيما تقدم من الآيات ثم عقبه بهدم الكفر الآخر
والمعنى ما من معبود لهم في السموات والارض من الملائكة ومن الناس الا وهو يأتي الرحمن اي يأوي اليه ويلتجئ الى ربوبيته عبدا
منقادا مطيعا خاشعا خاضعا راجيا كما يفعل العبيد وكما يجب عليهم لا يدعي لنفسه ما يدعيه له هؤلاء الضلال ونحوه قوله
تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه وكلهم متقلبون في
ملكوته مقهورون بقهره وهو مهيمن عليهم محيط بهم وبجمل امورهم وتفاصيلها وكيفيتهم وكميتهم لا يفوته شيء
من احوالهم وكل واحد منهم يأتيه يوم القيامة منفردا ليس معه من هؤلاء المشركين احد وهم برآء منهم فمن احاج
ان يجيء ودا الكرم والمعنى سيحدث لهم في القلوب مودة ويزرعها لهم فيها من غير تودد منهم ولا تعرض للاسباب التي
تكسب بها الناس مودات القلوب من قرابة او صداقة او اصطناع بمبرة او غير ذلك وانما هو اختراع منه ابتداء اختصاصا منه
لاوليائه بكرامة خاصة كما قذف في قلوب اعدائهم الرعب والهيبة اعظاما واجلالا لمكانهم ... والسين اما لان
السورة مكية وكان المؤمنون حينئذ ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله ذلك اذا دجا الاسلام واما ان يكون ذلك يوم
القيامة يحببهم الله الى خلقه بما يعرض عليهم من حسناتهم وينشر من ديوان اعمالهم ... وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لعلي عليه السلام يا علي قل اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل لي في صدور المؤمنين مودة فانزل الله هذه الآية
وعن ابن عباس يعني يحبهم الله ويحببهم الى خلقه ... وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يا جبريل قد احببت
فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في اهل السماء ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يضع له المحبة في الارض
وعن قتادة ما اقبل العبد الى الله الا اقبل الله بقلوب العباد اليه ... هذه خاتمة السورة ومقطعها فكانه قال بلغ هذا المنزل
او بشر به وانذر فانما انزلناه بلسانك اي بلغتك وهو اللسان العربي المبين وسهلناه وفصلناه لتبشر به المتقين وتنذر
والالد الشديد الخصومة بالباطل الآخذون في كل لديد اي شق من المراء والجدال لفرط لجاجهم يريد اهل
مكة وقوله وكم اهلكنا تخويف لهم وانذار هل تحس منهم من احد ... تجد احدا منهم ومنه الحواس الحاسات او تسمع لهم ركزا
حيث لا يسمع صوتهم ... والركز الصوت الخفي ... ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز
المال المدفون ... عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم اعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق
به ويحيى وعيسى وابراهيم واسحق ويعقوب وموسى وهرون واسمعيل وادريس وعشر حسنات بعدد من دعا الله في
الدنيا وبعدد من لم يدع الله ... سورة طه مكية وهي مائة واربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم ... ابو عمرو فخم
الطاء لاستعلائها وامال الهاء وفخمهما ابن كثير وابن عامر على الاصل والباقون اما لوهما ... وعن الحسن طه وفسر
بانه امر بالوطء وان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم في تهجده على احدى رجليه فامر ان يطأ الارض بقدميه معا
وان الاصل طأ فقلبت همزته هاء او قلبت في يطأ فيمن قال لاهناك المرتع ثم بني عليه الامر والهاء للسكت ويجوز
ان يكون في شطريه الاسمين وهما اللذان يلفظهما على المسميين والله اعلم بصحة ما قيل ان طاها في لغة عك في معنى يا
رجل ولعل عكا تصرفوا في ياهذا كانهم في لغتهم قالبون الياء طاء فقالوا في يا طا واختصروا هذا فاقتصروا على ها واثر
الصنعة ظاهر لا يخفى في البيت المستشهد به ... ان السفاهة طاها في خلائقكم لا قدس الله اخلاق الملاعين
والاقوال ... الثلاثة في الفواتح التي قدمتها في اول الكشاف عن حقائق التنزيل هي التي يعول عليها الالباء المتقنون
ما انزلنا ان جعلت طه تعدادا لاسماء الحروف على الوجه السابق ذكره فهو ابتداء كلام وان جعلتها اسما للسورة احتمل
ان يكون خبرا عنها وهي في موضع المبتدأ والقرآن ظاهر اوقع موقع الضمير لانها قرآن وان يكون جوابا لها
وهي قسم وقرئ ما نزل عليك القرآن لتشقى لتتعب لفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على ان يؤمنوا كقوله
لعلك باخع نفسك والشقاء يجيء في معنى التعب ومنه المثل اتعب من رائض مهر واشقى من رائض مهر ما عليك الا ان تبلغ
وتذكر ولم يكتب عليك ان يؤمنوا لا محالة بعد ان لم تفرط في اداء الرسالة والموعظة الحسنة وقيل ان ابا
جهل والنضر بن الحرث قالا له انك شقي لانك تركت دين آبائك فاريد رد ذلك بان دين الاسلام وهذا القرآن هو السلم
الى نيل كل فوز والسبب في درك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها ... وروي انه عليه السلام صلى
بالليل حتى اسمعدت قدماه فقال له جبريل ابق على نفسك فان لها عليك حقا اي ما انزلناه لتنهك نفسك بالعبادة
وتذيقها المشقة الفادحة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة وكل واحد من لتشقى وتذكرة علة للفعل الا ان الاول
وجب مجيئه مع اللام لانه ليس لفاعل الفعل المعلل ففاتته شريطة الانتصاب على المفعولية والثاني جاز قطع اللام
عنه ونصبه لاستجماعه الشرائط فان قلت اما يجوز ان تقول ما انزلنا عليك القرآن ان تشقى كقوله ان تحبط
اعمالكم قلت بلى ولكنها نصبة طارئة كالنصبة في واختار موسى قومه واما النصبة في تذكرة فهي كالتي في
ضربت زيدا لانه احد المفاعيل الخمسة التي هي اصول وقوانين لغيرها فان قلت هل يجوز ان يكون تذكرة بدلا
من محل لتشقى قلت لا لاختلاف الجنسين ولكنها نصب على الاستثناء المنقطع الذي الا فيه بمعنى لكن ويحتمل
ان يكون المعنى انا انزلنا اليك القرآن لتحتمل متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من اعداء الاسلام ومقاتلتهم وغير
ذلك من انواع المشاق وتكاليف النبوة وما انزلنا عليك هذا المتعب الشاق الا ليكون تذكرة وعلى هذا الوجه يجوز
ان يكون تذكرة حالا ومفعولا له لمن يخشى لمن يؤول امره الى الخشية ولمن يعلم الله منه انه يبدل بالكفر ايمانا
وبالقسوة خشية في نصب تنزيلا وجوه ان يكون بدلا من تذكرة اذا جعل حالا لا اذا كان مفعولا له لان الشيء
لا يعلل بنفسه وان ينصب بنزل مضمرا وان ينصب بانزلنا لان معنى ما انزلناه الا تذكرة انزلناه تذكرة وان ينصب على المدح والاختصاص
وان ينصب بيخشى مفعولا به اي انزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله وهو معنى حسن واعراب بين وقرئ تنزيل
بالرفع على خبر مبتدأ محذوف ما بعد تنزيلا الى قوله له الاسماء الحسنى تعظيم وتفخيم لشأن المنزل لنسبته الى
من هذه افعاله وصفاته ولا يخلو من ان يكون متعلقه اما تنزيلا نفسه فيقع صلة له واما محذوفا فيقع صفة له
فان قلت ما فائدة النقلة من لفظ المتكلم الى لفظ الغائب قلت غير واحدة منها عادة الافتنان في الكلام

وما يعطيه من الحسن والروعة ومنها ان هذه الصفات انما تسردت مع لفظ الغيبة ومنها انه قال اولا انزلنا ففخم
بالاسناد الى ضمير الواحد المطاع ثم ثنى بالنسبة الى المختص بصفات العظمة والتمجيد فضوعفت الفخامة من
طريقين ويجوز ان يكون انزلنا حكاية لكلام جبريل والملائكة النازلين معه ... ووصف السموات بالعلى دلالة
على عظم قدرة من يخلق مثلها في علوها وبعد مرتقاها وقرئ الرحمن مجرورا صفة لمن خلق والرفع احسن لانه اما ان
يكون رفعا على المدح على تقدير هو الرحمن واما ان يكون مبتدأ مشارا بلامه الى من خلق فان قلت الجملة التي هي
على العرش استوى ما محلها اذا جررت الرحمن او رفعته على المدح قلت اذا جررت فهو خبر مبتدأ محذوف
لا غير وان رفعت جاز ان يكون كذلك وان يكون مع الرحمن خبرين للمبتدأ ... لما كان الاستواء على العرش وهو سرير
الملك مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا استوى فلان على العرش يريدون ملك وان لم يقعد على السرير
البتة وقالوه ايضا لشهرته في ذلك المعنى ومساواته ملك في مؤداه وان كان اشرح وابسط وادل على صورة الامر ونحوه
قولك يد فلان مبسوطة ويد فلان مغلولة بمعنى انه جواد او بخيل لا فرق بين العبارتين الا فيما قلت حتى ان من لم
يبسط يده قط بالنوال او لم تكن له يد رأسا قيل فيه يده مبسوطة لمساواته عندهم قولهم جواد ومنه قول الله
عز وجل وقالت اليهود يد الله مغلولة اي هو بخيل بل يداه مبسوطتان اي هو جواد من غير تصور يد ولا غل ولا بسط
والتفسير بالنعمة والتمحل للتثنية من ضيق العطن والمسافرة عن علم البيان مسيرة اعوام وما تحت الثرى ما تحت
سبع الارضين ... عن محمد بن كعب وعن السدي هو الصخرة التي تحت الارض السابعة اي يعلم ما اسررته الى غيرك
واخفى من ذلك وهو ما اخطرته ببالك او ما اسررته في نفسك واخفى منه وهو ما ستسره فيها ... وعن بعضهم
ان اخفى فعل يعني انه يعلم اسرار العباد واخفى عنهم ما يعلمه وهو كقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون
به علما وليس بذاك فان قلت كيف طابق الجزاء الشرط قلت معناه ان تجهر بذكر الله من دعاء او غيره فاعلم انه
غني عن جهرك فاما ان يكون نهيا عن الجهر كقوله واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول واما
تعليما للعباد ان الجهر ليس لاسماع الله وانما هو لغرض آخر ... الحسنى تأنيث الاحسن وصف بها الاسماء لان حكمها حكم المؤنث
كقولك الجماعة الحسنى ومثلها مآرب اخرى ومن آياتنا الكبرى والذي فضلت به اسماؤه في الحسن سائر الاسماء
دلالتها على معاني التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والافعال التي هي النهاية في الحسن قفى على تفسيره قصة موسى عليه السلام
ليأتم به في تحمل اعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود ويجوز ان
ينتصب اذ ظرفا للحديث لانه حدث او لمضمر اي حين رأى نارا كان كيت وكيت او مفعولا لاذكر استأذن موسى عليه السلام
في الخروج الى امه وخرج باهله فولد له في الطريق ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة وقد ضل الطريق وتفرقت
ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فرأى النار عند ذلك قيل كانت ليلة جمعة امكثوا اقيموا في مكانكم الايناس
الابصار البين الذي لا شبهة فيه ومنه انسان العين لانه يتبين به الشيء والانس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم
وقيل هو ابصار ما يؤنس به لما وجد منه الايناس فكان مقطوعا متيقنا حققه لهم بكلمة ان ليوطن انفسهم
ولما كان الاتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين متوقعين بنى الامر فيهما على الرجاء والطمع وقال لعلي ولم يقطع
فيقول اني آتيكم لئلا يعد ما ليس يستيقن الوفاء به ... القبس النار المقتبسة في رأس عود او فتيلة او غيرهما ومنه قيل
المقبسة لما يقتبس فيه من سعفة او نحوها هدى اي قوما يهدونني الطريق او ينفعونني بهداهم في ابواب الدين ...
عن مجاهد وقتادة وذلك لان افكار الابرار مغمورة بالهمة الدينية في جميع احوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والمعنى

ذوي هدى او اذا وجد الهداة فقد وجد الهدى ومعنى الاستعلاء في على النار ان اهل النار يستعلون المكان القريب منها كما قال
سيبويه في مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب من زيد او لان المصطلين بها والمستمتعين اذا تكنفوها قياما وقعودا كانوا
مشرفين عليها ومنه قول الاعشى وبات على النار الندى والمحلق ... قرأ ابو عمرو وابن كثير اني بالفتح اي
نودي باني انا ربك وكسر الباقون اي نودي فقيل يا موسى او لان النداء ضرب من القول فعومل معاملته
تكرير الضمير في اني انا ربك لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة ... روي انه لما نودي يا
موسى قال من المتكلم فقال الله عز وجل انا ربك وان ابليس وسوس اليه لعلك تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت
انه كلام الله باني اسمعه من جميع جهاتي الست واسمعه بجميع اعضائي ... وروي انه حين انتهى رأى شجرة خضراء من اسفلها
الى اعلاها كانها نار بيضاء تتقد وسمع تسبيح الملائكة ورأى نورا عظيما فخاف وبهت فالقيت عليه السكينة
ثم نودي وكانت الشجرة عوسجة ... وروي كلما دنا او بعد لم يختلف ما كان يسمع من الصوت ... وعن ابن عباس لما دنا
استأخرت عنه فلما رأى ذلك رجع واوجس في نفسه خيفة فلما اراد الرجعة دنت منه ثم كلم وقيل امر بخلع
النعلين لانهما كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ ... عن السدي وقتادة وقيل ليباشر الوادي بقدميه متبركا
به وقيل ان الحفوة تواضع لله ومن ثم طاف السلف بالكعبة حافين ومنهم من استعظم دخول المسجد بنعليه
وكان اذا ندر منه الدخول منتعلا تصدق والقرآن يدل على ان ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها وتشريف لقدسها
وروي انه خلع نعليه والقاهما من وراء الوادي طوى بالضم والكسر منصرف وغير منصرف بتأويل المكان والبقعة
وقيل مرتين نحو ثنى اي نودي نداءين او قدس الوادي كرة بعد كرة وانا اخترتك اصطفيتك للنبوة وقرأ حمزة
وانا اخترناك لما يوحى للذي يوحى او للوحي تعلق اللام باستمع او باخترتك لذكري لتذكرني فان ذكري ان اعبد
ويصلى لي او لتذكرني فيها لاشتمال الصلاة على الاذكار ... عن مجاهد او لاني ذكرتها في الكتب وامرت بها او لان اذكرك
بالمدح والثناء واجعل لك لسان صدق او لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري او لاخلاص ذكري وطلب وجهي لا
ترائي بها ولا تقصد بها غرضا آخر او لتكون لي ذاكرا غير ناس فعل المخلصين في جعلهم ذكر ربهم على بال منهم وتوكيل
هممهم وافكارهم به كما قال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله او لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلاة كقوله
ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا واللام مثلها في قولك جئتك لوقت كذا وكان ذلك لست ليال خلون
وقوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي وقد حمل على ذكر الصلاة بعد نسيانها من قوله عليه الكلام من نام عن صلاة او
نسيها فليصلها اذا ذكرها وكان حق العبارة ان يقال لذكرها كما قال رسول الله اذا ذكرها ومن يتمحل له يقول اذا ذكر
الصلاة فقد ذكر الله او بتقدير حذف المضاف اي لذكر صلاتي او لان الذكر والنسيان من الله عز وجل وقرأ
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للذكرى اي اكاد اخفيها فلا اقول هي آتية لفرط ارادتي اخفاءها ولولا ما في الاخبار
باتيانها مع تعميته وقتها من اللطف لما اخبرت به وقيل معناه اكاد اخفيها من نفسي ولا دليل في الكلام على هذا
المحذوف ومحذوف لا دليل عليه مطرح والذي غرهم منه ان في مصحف ابي اكاد اخفيها من نفسي وفي
بعض المصاحف اكاد اخفيها من نفسي فكيف اظهركم عليها ... وعن ابي الدرداء وسعيد بن جبير اخفيها بالفتح
من خفاه اذا اظهره اي قرب اظهارها كقوله اقتربت الساعة وقد جاء في بعض اللغات اخفاه بمعنى خفاه وبه فسر
بيت امرئ القيس فان تدفنوا الداء لا نخفه وان تبعثوا الحرب لا نقعد فاكاد اخفيها محتمل للمعنيين
لتجزى متعلق بآتية بما تسعى بسعيها اي لا يصدنك عن تصديقها والضمير للقيامة ويجوز ان يكون للصلاة

فإن قلت العبارة لنهي من لا يؤمن عن صد موسى والمقصود نهي موسى عن التكذيب بالبعث وأمره بالتصديق فكيف صلحت هذه العبارة لأداء هذا المقصود قلت فيه وجهان أحدهما أن صد الكافر عن التصديق سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب والثاني أن صد الكافر مسبب عن رخاوة الرجل في الدين ولين شكيمته فذكر المسبب ليدل على السبب كقولهم لا أرينك هاهنا المراد نهيه عن مشاهدته والكون بحضرته وذلك سبب رؤيته إياه فكان ذكر المسبب دليلا على السبب كأنه قيل فكن شديد الشكيمة صليب المعجم حتى لا يتلوح منك لمن يكفر بالبعث أنه يطمع في صدك عما أنت عليه يعني أن من لا يؤمن بالآخرة هم الجم الغفير إذ لا شيء أطم على الكفرة ولا هم أشد له نكيرا من البعث فلا يهولنك وفور دهمائهم وعظم سوادهم ولا تجعل الكثرة مزلة قدمك واعلم أنهم وإن كثروا تلك الكثرة فقدوتهم فيما هم فيه هو الهوى واتباعه لا البرهان وتدبره وفي هذا حث عظيم على العمل بالدليل وزجر بليغ عن التقليد وإنذار بأن الهلاك والردى مع التقليد وأهله. تلك بيمينك كقوله وهذا بعلي شيخا في انتصاب الحال بمعنى الإشارة ويجوز أن يكون تلك اسما موصولا صلته بيمينك إنما سأله ليريه عظم ما يخترعه عز وعلا في الخشبة اليابسة من قلبها حية نضناضة وليقرر في نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب إليه وينبهه على قدرته الباهرة ونظيره أن يريك الزراد زبرة من حديد ويقول لك ما هي فتقول زبرة حديد ثم يريك بعد أيام لبوسا مسردا فيقول لك هي تلك الزبرة صيرتها إلى ما ترى من عجيب الصنعة وأنيق السرد. قرأ ابن أبي إسحاق عصي على لغة هذيل ومثله يا بشري أرادوا كسر ما قبل ياء المتكلم فلم يقدروا عليه فقلبوا الألف إلى أخت الكسرة. وقرأ الحسن عصاي بكسر الياء لالتقاء الساكنين وهو مثل قراءة حمزة بمصرخي. وعن ابن أبي إسحاق سكون الياء. أتوكأ عليها أعتمد عليها إذا أعييت أو وقفت على رأس القطيع وعند الطفرة هش الورق خبطه أي أخبطه على رؤوس غنمي تأكله. وعن لقمان بن عاد أكلت حقا وابن لبون وجذع وهشة تحت وثلاد فع والحمد لله من غير شبع. سمعته من غير واحد من العرب ونخب واد قريب من الطائف كثير السدر. وفي قراءة النخعي أهش وكلاهما من هش الخبز يهش إذا كان ينكسر لهشاشته. وعن عكرمة أهس بالسين أي أنحي عليها زاجرا لها والهس زجر الغنم. ذكر على التفصيل والإجمال المنافع المتعلقة بالعصا كأنه أحس بما يعقب هذا السؤال من أمر عظيم يحدثه الله فقال ما هي إلا عصا لا تنفع إلا منافع بنات جنسها وكما تنفع العيدان ليكون جوابه مطابقا للغرض الذي فهمه من فحوى كلام ربه ويجوز أن يريد عز وجل أن يعدد المرافق الكثيرة التي علقها بالعصا ويستكثرها ويستعظمها ثم يريه على عقب ذلك الآية العظيمة كأنه يقول له أين أنت عن هذه المنفعة العظيمة والمأربة الكبرى المنسية عندها كل منفعة ومأربة كنت تعتد بها وتحتفل بشأنها وقالوا إنما سأله ليبسطه ويقلل هيبته وقالوا إنما أجمل موسى ليسأله عن تلك المآرب فيزيد في إكرامه وقالوا انقطع لسانه بالهيبة فأجمل وقالوا اسم العصا نبعة وقيل في المآرب كانت ذات شعبتين ومحجن فإذا طال الغصن حناه بالمحجن وإذا طلب كسره لواه بالشعبتين وإذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها أدواته من القوس والكنانة والحلاب وغيرها وإذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها وألقى عليها الكساء واستظل وإذا قصر رشاؤه وصله بها وكان يقاتل بها السباع عن غنمه. وقيل كان فيها من المعجزات أنه كان يستقي بها فتطول بطول البئر وتصير شعبتاها دلوا وتكونان شمعتين بالليل وإذا ظهر عدو حاربت عنه وإذا اشتهى ثمرة ركزها فأورقت وأثمرت وكان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه ويركزها فينبع الماء فإذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام. السعي المشي بسرعة وخفة حركة. فإن قلت كيف ذكرت بألفاظ مختلفة بالحية والجان والثعبان قلت أما الحية فاسم جنس يقع على الذكر والأنثى والصغير

والكبير

والكبير. وأما الثعبان والجان فبينهما تناف لأن الثعبان العظيم من الحيات والجان الدقيق وفي ذلك وجهان أحدهما أنها كانت وقت انقلابها حية تنقلب حية صفراء دقيقة ثم تتورم ويتزايد جرمها حتى تصير ثعبانا فأريد بالجان أول حالها وبالثعبان مآلها. والثاني أنها كانت في شخص الثعبان وسرعة حركة الجان والدليل عليه قوله فلما رآها تهتز كأنها جان. وقيل كان لها عرف كعرف الفرس. وقيل كان بين لحييها أربعون ذراعا. لما رأى ذلك الأمر العجيب الهائل ملكه من الفزع والنفار ما يملك البشر عند الأهوال والمخاوف. وعن ابن عباس انقلبت ثعبانا ذكرا يبتلع الصخر والشجر فلما رآه يبتلع كل شيء خاف ونفر. وعن بعضهم إنما خافها لأنه عرف ما لقي آدم منها. وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمأنينة نفسه أن أدخل يده في فمها وأخذ بلحييها. السيرة من السير كالركبة والجلسة من الركوب والجلوس يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فنقلت إلى معنى المذهب والطريقة وقيل سير الأولين فيجوز أن ينتصب على الظرف أي سنعيدها في طريقتها الأولى أي في حال ما كانت عصا وأن يكون أعاد منقولا من عاده بمعنى عاد إليه ومنه بيت زهير وعادك أن تلاقيها عداء. فيتعدى إلى مفعولين ووجه ثالث حسن وهو أن يكون سنعيدها مستقلا بنفسه غير متعلق بسيرتها بمعنى أنها أنشئت أول ما أنشئت عصا ثم ذهبت وبطلت بالقلب حية فسنعيدها بعد الذهاب كما أنشأناها أولا ونصب سيرتها بفعل مضمر أي تسير سيرتها الأولى يعني سنعيدها سائرة سيرتها الأولى حيث كنت تتوكأ عليها ولك فيها المآرب التي عرفتها. قيل لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر لمجنبتيه وجناحا الإنسان جنباه والأصل المستعار منه جناحا الطائر سميا جناحين لأنه يجنحهما عند الطيران والمراد إلى جنبك تحت العضد دل على ذلك قوله تخرج. السوء الرداءة والقبح في كل شيء فكني به عن البرص كما كني عن العورة بالسوأة. وكان جذيمة صاحب الزباء أبرص فكنوا عنه بالأبرش والبرص أبغض شيء إلى العرب وبهم عنه نفرة عظيمة وأسماعهم لاسمه مجاجة فكان جديرا بأن يكنى عنه ولا ترى أحسن ولا ألطف ولا أحز للمفاصل من كنايات القرآن وآدابه يروى أنه كان آدم فأخرج يده من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس يعشي البصر. بيضاء وآية حالان معا. من غير سوء من صلة البيضاء كما تقول ابيضت من غير سوء وفي نصب آية وجه آخر وهو أن يكون بإضمار نحو خذ ودونك وما أشبه ذلك حذف لدلالة الكلام عليه وقد تعلق بهذا المحذوف لنريك أي خذ [illegible] الآية أيضا بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى أو لنريك بهما الكبرى من [illegible] ذلك. لما أمره بالذهاب إلى فرعون [illegible] لعنه الله عرف أنه كلف أمرا عظيما وخطبا جسيما يحتاج معه [illegible] لا يحتمله إلا ذو جأش رابط وصدر [illegible] فاستوهب ربه أن يشرح صدره ويفسح قلبه ويجعله حليما حمولا يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد التي [illegible] بها صبر الصابر ويحيل الصبر بخش اللباب وأن يسهل عليه في الجملة أمره الذي هو خلافة الله في أرضه وما يصحبها من مزاولة معاظم الشؤون ومقاساة جلائل الخطوب. فإن قلت لي في قوله اشرح لي صدري ويسر لي أمري ما جدواه والكلام بدونه مستتب قلت قد أبهم الكلام أولا فقيل اشرح لي ويسر لي فعلم أن ثم مشروحا وميسرا ثم بين ورفع الإبهام بذكرهما كان أدل على الطلب والتبيين لصدري وأمري من أن يقول اشرح صدري ويسر أمري على الإيضاح الساذج لأنه تكرير للمعنى الواحد من طريقي الإجمال والتفصيل. عن ابن عباس كان في لسانه رتة لما روي من حديث الجمرة ويروى أن يده احترقت وأن فرعون اجتهد في علاجها فلم تبرأ ولما دعاه قال إلى أي رب تدعوني قال إلى الذي أبرأ يدي وقد عجزت عنها. وعن بعضهم إنما لم تبرأ يده لئلا يدخلها مع فرعون في قصعة واحدة فتنعقد بينهما حرمة المواكلة واختلف في زوال العقدة بكمالها فقيل بقي بعضها لقوله وأخي هارون هو أفصح مني لسانا. وقوله ولا يكاد يبين وكان

ويحتمل بأقصى وسعه وحقيق أن يسألها إليه مع العلم بأنه لن يؤمن إلزام الحجة وقطع المعذرة. ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك أي يتذكر ويتأمل فيبذل النصفة من نفسه والإذعان للحق أو يخشى أن يكون الأمر كما تصفان فيجره إنكاره إلى الهلكة. فرط سبق وتقدم ومنه الفارط الذي يتقدم الواردة وفرس فرط يسبق الخيل أي نخاف أن يعجل علينا بالعقوبة ويبادرنا بها وقرئ أن يفرط من أفرطته إذا حملته على العجلة خافا أن يحمله حامل على المعاجلة بالعقاب من شيطان أو من جبروته واستكباره وادعائه الربوبية أو من حبه الرياسة أو من قومه القبط المتمردين والتي حكى عنهم رب العزة قال الملأ من قومه وقال الملأ من قومه. وقرئ يفرط من الإفراط في الأذية أي نخاف أن يحول بيننا وبين تبليغ الرسالة بالمعاجلة أو يجاوز الحد في معاقبتنا إن لم يعاجلنا على ما عرفنا [illegible] من شرارته وعتوه. أو أن يطغى بالتخطي إلى أن يقول فيك ما لا ينبغي لجراءته عليك وقسوة قلبه وفي المجيء به هكذا على الإطلاق وعلى سبيل الرمز باب من حسن الأدب وتحاش عن التفوه بالعظيمة. معكما أي حافظكما وناصركما أسمع وأرى ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فأفعل ما يوجب حفظي ونصرتي لكما فجائز أن يقدر أقوالكم وأفعالكم وجائز أن لا يقدر شيء وكأنه قيل أنا حافظ لكما وناصر سامع مبصر وإذا كان الحافظ والناصر كذلك تم الحفظ وصحت النصرة وذهبت المبالاة بالعدو. كانت بنو إسرائيل في ملكة فرعون والقبط يعذبونهم بتكليف الأعمال الشاقة من الحفر والبناء ونقل الحجارة والسخرة في كل شيء مع قتل الولدان واستخدام النساء. قد جئناك بآية من ربك جملة جارية من الجملة الأولى وهي إنا رسولا ربك مجرى البيان والتفسير لأن دعوى الرسالة لا تثبت إلا ببينتها التي هي المجيء بالآية إنما وحد قوله بآية ولم يثن ومعه آيتان لأن المراد في هذا الموضع تثبيت الدعوى ببرهانها فكأنه قال قد جئناك بمعجزة وبرهان وحجة على ما ادعيناه من الرسالة وكذلك قد جئتكم ببينة من ربكم فأت بآية إن كنت من الصادقين أولو جئتك بشيء مبين. يريد وسلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين وتوبيخ خزنة النار والعذاب على المكذبين. خاطب الاثنين ووجه النداء إلى أحدهما وهو موسى لأنه الأصل في النبوة وهارون وزيره وتابعه ويحتمل أن يحمله خبثه ودعارته على استدعاء كلام موسى دون كلام أخيه لما عرف من فصاحة هارون والرتة في كلام موسى ويدل عليه قوله أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين. خلقه أول [illegible] أي أعطى خليقته كل شيء يحتاجون إليه ويرتفقون به أو ثانيهما أي أعطى كل [illegible] صورته وشكله الذي يطابق [illegible] العين الهيئة التي تطابق الإبصار والأذن الشكل الذي [illegible] وكذلك الأنف واليد والرجل [illegible] واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة غير ناب عنه [illegible] كل حيوان نظيره في الخلق والصورة حيث جعل الحصان والحجر زوجين والبعير والناقة والرجل والمرأة [illegible] لم يزاوج منها شيئا غير جنسه وما هو على خلاف خلقه. وقرئ خلقه صفة للمضاف أو للمضاف إليه أي كل شيء خلقه الله لم [illegible] عطائه وإنعامه. ثم هدى أي عرف كيف يرتفق بما أعطي وكيف يتوصل إليه ولله در [illegible] ما [illegible] وما أجمعه وما أبينه لمن ألقى الذهن ونظر بعين الإنصاف وكان طالبا للحق [illegible] عن حال من [illegible] من الأمم القرون وعن شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد فأجابه بأن هذا سؤال عن الغيب وقد استأثر الله به لا يعلمه إلا هو وما أنا إلا عبد مثلك لا أعلم منه إلا ما أخبرني به علام الغيوب وعلم أحوالها [illegible] مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ لا يجوز على الله أن يخطئ شيئا أو ينساه. يقال ضللت الشيء إذا أخطأته في مكانه فلم تهتد له كقولك ضللت الطريق والمنزل. وقرئ يضل من أضله إذا ضيعه. وعن ابن عباس لا يترك من كفر به حتى ينتقم منه ولا يترك من وحده حتى يجازيه. ويجوز أن يكون فرعون قد نازعه في إحاطة

الله

الله بكل شيء وتباعد أطراف عددهم كيف أحاط بهم وبأجزائهم وجواهرهم فأجاب بأن كل كائن محيط به علمه وهو مثبت عنده في كتاب ولا يجوز عليه الخطأ والنسيان كما يجوز عليك أيها العبد الذليل والبشر الضئيل أي لا يضل كما تضل أنت ولا ينسى كما تنسى يا مدعي الربوبية بالجهل والوقاحة. الذي جعل مرفوع صفة لربي أو خبر مبتدأ محذوف أو منصوب على المدح وهذا من مظانه ومجازه. مهدا قراءة أهل الكوفة مهدا [illegible] أو يتمهد بها فهي لهم كالمهد وهو ما يمهد للصبي. سلك من قوله ما سلككم في سقر سلكناه في قلوب المجرمين أي حصل لكم فيها سبلا ووسطها بين الجبال والأودية [illegible]. فأخرجنا انتقل فيه من لفظ الغيبة إلى لفظ المتكلم المطاع لما ذكر من الافتنان والإيذان بأنه مطاع تنقاد الأشياء المختلفة لأمره ويذعن الأجناس المتفاوتة لمشيئته ولا يمتنع شيء على إرادته ومثله قوله تعالى وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء. ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا. أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق وفيه تخصيص أيضا بأنا نحن نقدر على مثل هذا ولا يدخل تحت قدرة أحد. أزواجا أصنافا سميت بذلك لأنها مزدوجة مقترنة بعضها مع بعض. شتى صفة للأزواج جمع شتيت كمريض ومرضى ويجوز أن يكون صفة للنبات والنبات مصدر سمي به النبات كما سمي بالنبت فاستوى فيه الواحد والجمع يعني أنها شتى مختلفة النفع والطعم واللون والرائحة والشكل بعضها يصلح للناس وبعضها للبهائم. قالوا من نعمته عز وعلا أن أرزاق العباد إنما تحصل بعمل الأنعام وقد جعل الله علفها مما يفضل عن حاجتهم ولا يقدرون على أكله. أي قائلين كلوا وارعوا حال من الضمير في فأخرجنا المعنى أخرجنا أصناف النبات آذنين في الانتفاع بها مبيحين أن تأكلوا بعضها وتعلفوا بعضها. أراد بخلقهم من الأرض خلق أصلهم وهو آدم عليه السلام منها. وقيل إن الملك لينطلق فيأخذ من تربة المكان الذي يدفن فيه فيبددها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة معا. وأراد بإخراجهم منها أنه يؤلف أجزاءهم المتفرقة المختلطة بالتراب ويردهم كما كانوا أحياء ويخرجهم إلى المحشر يوم يخرجون من الأجداث سراعا. عدد الله عليهم ما علق بالأرض من [illegible] حيث جعلها لهم فراشا ومهادا يتقلبون عليها وسوى لهم فيها مسالك يترددون فيها كيف شاؤوا وأنبت [illegible] النبات التي بها أقواتهم وعلوفات بهائمهم وهي أصلهم الذي منه تفرعوا وأمهم التي [illegible] كفاتهم إذا ماتوا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمسحوا بالأرض فإنها بكم برة. أريناه [illegible] وعرفناه صحتها وتيقناه بها وإنما كذب [illegible] كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وقوله لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر. وفي قوله آياتنا كلها وجهان أحدهما أن يحذف بها التعريف الإضافي حذو التعريف باللام لو قيل الآيات كلها أعني أنها كانت لا تعطي إلا تعريف العهد والإشارة إلى الآيات المعلومة التي هي تسع الآيات المختصة بموسى عليه السلام العصا واليد وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل والثاني أن يكون موسى قد أراه آياته وعدد عليه ما أوتيه غيره من الأنبياء من آياتهم ومعجزاتهم وهو نبي صادق لا فرق بين ما يخبر عنه وما يشاهد به فكذبها جميعا وأبى أن يقبل شيئا منها وقيل فكذب الآيات وأبى قبول الحق [illegible] من جنب قوله أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك أن فرائصه كانت ترعد خوفا مما جاء به موسى عليه السلام لعلمه وإيقانه أنه على الحق وأن المحق لو أراد قود الجبال لانقادت له وأن مثله لا يخذل ولا يقل ناصره وأنه غالبه على ملكه لا محالة. وقوله بسحرك تعلل وتحير وإلا فكيف يخفى عليه أن ساحرا لا يقدر أن يخرج ملكا مثله من أرضه

في لسان الحسين بن علي عليهما السلام رتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثها من عمه موسى ٠٠ وقيل زالت
فاحتاط بقوله لقد أوتيت سؤلك ٠ وفي تنكير العقدة وان لم يقل عقدة لساني انه طلب حل بعضها ارادة ان يفهم عنه فهما
جيدا ولم يطلب الفصاحة الكاملة ٠ من لساني صفة للعقدة كأنه قيل عقدة من عقد لساني ٠٠ الوزير
من الوزر لانه يحمل عن الملك أوزاره ومؤنته او من الوزر لان الملك يعتصم برأيه ويلجئ اليه أموره او من المؤازرة
وهي المعاونة ٠٠ عن الاصمعي قال وكان القياس أزيرا فقلبت الهمزة الى الواو ووجه قلبها ان فعيلا جاء في معنى مفاعل
مجيئا صالحا كقولهم عشير وجليس وقعيد وخليل وصديق ونديم فلما قلبت في أخيه قلبت فيه وحمل الشيء على
نظيره ليس بعزيز ونظرا الى ان آزر وأخواته والى الموازرة ونديما ٠ وهرون عطف بيان للوزير وأخي في
الوجهين بدل من هرون ان جعل عطف بيان آخر جاز وحسن ٠ قرأ [illegible] جميعا اشدد واشركه
على الدعاء وابن عامر [illegible] اشدد واشركه على الجواب ٠٠ وفي مصحف ابن مسعود اخي واشدد ٠٠ وعن ابي بن
كعب اشركه في امري واشدد به ازري ويجوز فيمن قرأ على لفظ الامر ان يجعل اخي مرفوعا على الابتداء واشدد
به خبره ويوقف على هرون ٠٠ الازر القوة وازره قواه اي اجعله شريكي في الرسالة حتى نتعاون على عبادتك وذكرك
فان التعاون لانه يهيج الرغبات يتزايد به الخير ويتكاثر ٠ انك كنت بنا بصيرا اي عالما باحوالنا وبان التعاون
مما يصلحنا وان هرون نعم المعين والشاد لعضدي بانه اكبر مني سنا وافصح لسانا ٠٠ السؤل الطلبة فعل بمعنى مفعول
كقولك الخبز بمعنى المخبوز والاكل بمعنى المأكول ٠٠ الوحي الى ام موسى اما ان يكون على لسان نبي في وقتها كقوله
واذ اوحيت الى الحواريين او يبعث اليها ملكا لا على وجه النبوة كما بعث الى مريم او يريها ذلك في المنام فتتنبه عليه
او يلهمها كقوله واوحى ربك الى النحل اي اوحينا اليها امرا لا سبيل الى التوصل اليه ولا الى العلم به الا بالوحي وفيه
مصلحة دينية فوجب ان يوحى ولا يخل به اي هو مما يوحى لا محالة ٠ [illegible] عظيم مثله حقيق بان يوحى ان المفسرة
لان الوحي بمعنى القول ٠٠ القذف مستعمل في معنى الالقاء والوضع ومنه قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب
وكذلك الرمي قال غلام رماه الله بالحسن يافعا اي حصل فيه الحسن ووضعه فيه ٠٠ الضمائر كلها راجعة الى موسى
ورجوع بعضها اليه وبعضها الى التابوت فيه هجنة لما يؤدي اليه من تنافر النظم [illegible] المقذوف في البحر هو التابوت
وكذلك الملقى الى الساحل قلت ما ضرك لو قلت المقذوف و[illegible] في جوف التابوت حتى لا تفرق
الضمائر فيتنافر عليك النظم [illegible] اعجاز القرآن والقانون الذي وقع [illegible] ومراعاته اهم ما يجب
على المفسر ٠٠ لما كانت مشيئة [illegible] ان لا تخطى جرية ماء اليم الوصول به الى الساحل والقائه اليه سلك
في ذلك سبيل المجاز وجعل [illegible] كأنه ذو تمييز امر بذلك ليطيع الامر ويمتثل رسمه فقيل فليلقه اليم
بالساحل [illegible] في التابوت [illegible] محلوجا فوضعته فيه وجصصته وقيرته ثم القته في
اليم وكان يشرع منه الى [illegible] نهر كبير فبينا هو جالس على رأس بركة مع آسية اذا بالتابوت فأمر به
فاخرج ففتح فاذا صبي اصبح الناس وجها فاحبه عدو الله حبا شديدا لا يتمالك ان يصبر عنه وظاهر اللفظ
ان [illegible] ساحله وهو شاطيه [illegible] لما فيه اي يقذفه ويقذف به ثمة فالتقط من الساحل الا انه
يكون قد القاه اليم بموضع من الساحل فيه فوهة نهر فرعون ثم اداه النهر الى حيث البركة ٠ مني لا يخلو اما
ان يتعلق بالقيت فيكون المعنى على اني احببتك ومن احبه الله احبته القلوب واما ان يتعلق بمحذوف هو صفة لمحبة
اي محبة حاصلة او واقعة مني قد ركزتها انا في القلوب وزرعتها فيها فلذلك احبك فرعون وكل من ابصرك ٠٠

روي انه كانت على وجهه مسحة جمال وفي عينيه ملاحة لا يكاد يصبر عنه من رآه ٠ على عيني لتربى ويحسن اليك وانا مراقبك
وراعيك كما يراعي الرجل الشيء بعينه اذا اعتنى به وتقول للصانع اصنع هذا على عيني انظر اليك لئلا تخالف به عن مرادي
وبغيتي ولتصنع معطوف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك وترأم ونحوه او حذف معلله اي ولتصنع فعلت ذلك
وقرئ ولتصنع ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على انه امر ٠٠ وقرئ ولتصنع بفتح التاء والنصب اي وليكون
عملك وتصرفك على عين مني ٠ العامل في اذ تمشي ألقيت او تصنع ويجوز ان يكون بدلا من اذ أوحينا فان قلت
كيف يصح البدل والوقتان مختلفان متباعدان قلت كما يصح وان اتسع الوقت وتباعد طرفاه ان يقول لك الرجل
لقيت فلانا سنة كذا فتقول وانا لقيته اذ ذاك وربما لقيه هو في اولها وانت في آخرها ٠ يروى ان اخته
جاءت متعرفة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها وذلك انه كان لا يقبل ثدي امرأة فقالت هل
ادلكم فجاءت بالام فقبل ثديها ويروى ان آسية استوهبته من فرعون وتبنته وهي [illegible] التي اشفقت عليه وطلبت
له المراضع ٠٠ هي نفس القبطي الذي استغاثه عليه الاسرائيلي قتله وهو ابن اثنتي عشرة سنة اغتم بسبب القتل خوفا
المشايخ
من عقاب الله ومن اقتصاص فرعون فغفر الله له حين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي ونجاه من فرعون ان ينشب فيه
اظفاره حين هاجر به الى مدين ٠ فتونا يجوز ان يكون مصدرا على فعول في المتعدي كالثبور والشكور والكفور وجمع فتن
او فتنة على ترك الاعتداد بتاء التأنيث كحجوز وبدور في حجزة وبدرة اي فتناك ضروبا من الفتن ٠ سأل سعيد بن جبير
ابن عباس رضي الله عنه فقال خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن
٢ . جبير والقته امه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا وآجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه
في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير والفتنة المحنة وكل ما يشق على الانسان وكل ما
يبتلي الله به عباده فتنة قال ونبلوكم بالشر والخير فتنة ٠ مدين على ثماني مراحل من مصر ٠٠ وعن وهب انه لبث
عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة منها مهر ابنته وقضى اوفى الاجلين ٠ اي سبق في قضائي وقدري ان اكلمك واستنبئك في وقت بعينه
قد وقته لذلك فما جئت الا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستأخر وقيل على مقدار من الزمان يوحى فيه الى الانبياء
وهو رأس اربعين سنة هذا تمثيل لما [illegible] منزلة التقريب والتكريم والتكليم مثل حاله بحال من يراه بعض
الملوك بجوامع خصال فيه [illegible] اهلا لئلا يكون احد اقرب منزلة منه اليه ولا ألطف محلا فيصطنعه بالكرامة والاثرة
ويستخلصه لنفسه ولا يبصر [illegible] الا بعينه واذنه ولا يأتمن على مكنون سره [illegible] ضميره ٠٠ الونى الفتور والتقصير
وقرئ ولا تنيا بكسر حرف المضارعة للاتباع اي لا تنسياني ولا ازال منكما على ذكر [illegible] حيثما تقلبتما واتخذا ذكري جناحا
تطيران به مستمدين بذلك العون والتأييد مني معتقدين ان امرا من الامور لا يتمشى لاحد الا بذكري ويجوز ان يريد
بالذكر تبليغ الرسالة فان الذكر يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة من اجلها فكان جديرا بان يطلق عليه اسم الذكر
واصطنع
روي ان الله اوحى الى هرون وهو بمصر ان يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله [illegible] الهم ذلك ٠ قرئ لينا بالتخفيف
والقول اللين نحو قوله تعالى هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى لان ظاهره الاستفهام والمشورة وعرض
ما فيه الفوز العظيم وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع منه الا بالموت وان [illegible] لذة المطعم
والمشرب والمنكح الى حين موته وقيل لا تجبهاه بما يكره والطفا له في القول لما له من حق تربية موسى ولما ثبت له من مثل
حق الابوة وقيل كنياه وهو من ذوي الكنى الثلاث ابو العباس وابو الوليد وابو مرة ٠٠ والترجي لهما اي
اذهبا على رجائكما وطمعكما وباشرا الامر مباشرة من يرجو ويطمع ان يثمر عمله ولا يخيب سعيه فهو يجتهد بطوقه

ويغلبه على ملكه بالسحر لا نخلفه الموعد فيه قوله فاجعل بيننا وبينك موعدا من ان تجعل زمانا او مكانا او مصدرا
وان جعلته زمانا نظرا الى ان قوله موعدكم يوم الزينة مطابق له لزمك شيئان ان تجعل الزمان مخلفا وان
يعضل عليك ناصب مكانا وان جعلته مكانا لقوله مكانا سوى لزمك ايضا ان يوقع الاخلاف على المكان
وان لا يطابق قوله موعدكم يوم الزينة وقراءة الحسن غير مطابقة له مكانا وزمانا جميعا لانه قرا يوم الزينة
بالنصب فبقي ان تجعل مصدرا بمعنى الوعد ويقدر مضاف محذوف اي مكان موعد ويجعل الضمير في نخلفه
للموعد ومكانا بدلا من المكان المحذوف فان قلت فكيف طابقه قوله موعدكم يوم الزينة ولا بد ان يجعل
زمانا والسؤال واقع عن المكان لا عن الزمان قلت هو مطابق معنى وان لم يطابق لفظا لانه لا بد لهم من ان
يجتمعوا يوم الزينة في مكان بعينه مشتهر باجتماعهم فيه في ذلك اليوم فبذكر الزمان علم المكان .. واما قراءة
الحسن فالموعد فيها مصدر … والمعنى انجاز وعدكم يوم الزينة وطباق هذا ايضا من طريق المعنى ويجوز ان لا يقدر ضاق
مضاف محذوف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا لا نخلفه .. فان قلت فبم ينتصب مكانا قلت بالمصدر
او بفعل يدل عليه المصدر فان قلت فكيف يطابقه الجواب قلت اما على قراءة الحسن فظاهر واما
على قراءة العامة فعلى تقدير وعدكم وعد يوم الزينة ويجوز ان يكون على قراءة ان يكون موعدكم مبتدا بمعنى الوقت الحسن
وضحى خبره على نية التعريف فيه لانه ضحى ذلك اليوم بعينه وقيل في يوم الزينة يوم عاشورا ويوم النوروز ويوم
عيد كان لهم في كل عام ويوم كانوا يتخذون فيه سوقا ويتزينون ذلك اليوم قرئ نخلفه بالرفع على الوصف للموعد
والجزم على جواب الامر وقرئ سوى وسوى بالكسر والضم ومنونا وغير منون ومعناه منتصفا بيننا وبينك
عن مجاهد وهو من الاستواء لان المسافة من الوسط الى الطرفين مستوية لا تفاوت فيها ومن لم ينون فوجهه ان
يجري الوصل مجرى الوقف قرئ وان يحشر الناس … يريدون ان يحشر يا فرعون وان يحشر اليوم ويحشر
ان يكون فيه ضمير فرعون ذكره بلفظ الغيبة اما على العادة التي يخاطب بها الملوك او خاطب القوم بقوله موعدكم
وجعل يحشر … رفعا او جرا عطفا على اليوم او الزينة وانما واعدهم ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله وظهور دينه
وكبت الكافر وزهوق الباطل على رؤس الاشهاد وفي المجمع الغاص لتقوى رغبة من رغب في اتباع الحق ويكل حد
المبطلين واشياعهم ويكثر المحدث بذلك الامر العلم في كل بدو وحضر … في جميع اهل الوبر والمدر
لا تفتروا على الله كذبا اي لا تدعوا … ومعجزاته سحرا فيسحتكم … اهل الحجاز والسحت لغة نجد
وبني تميم ومنه قول الفرزدق … الا مسحتا او مجلف … في بيت لا يزال الركب يضطرب في تسويته اعرابه .. عن
ابن عباس ان نجواهم ان غلبنا موسى اتبعناه .. وعن قتادة ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فله امر وعن
وهب لما قال ويلكم لا تفتروا الاية قالوا ما هذا بقول ساحر والظاهر انهم تشاوروا في السر وتجاذبوا اهداب القول
ثم قالوا ان هذان لساحران فكانت نجواهم في تلفيق هذا الكلام وتزويره خوفا من غلبتهما … القاهر
عن اتباعهما … ابو عمرو ان هذين … ساحران على الجهة الظاهرة المكشوفة .. وابن كثير وحفص ان هذان
لساحران على … ان زيد لمنطلق واللام هي الفارقة بين النافية والمخففة من الثقيلة وقرا ابي ان ذان الا
ساحران .. وابن مسعود ان هذان ساحران بفتح ان وبغير لام بدل من النجوى وقيل في القراءة المشهورة ان هذان
لساحران هي لغة الحارث بن كعب جعلوا الاسم المثنى نحو الاسماء التي اخرها الف كعصا وسعدى فلم يقلبوها ياء في
الجر والنصب وقال بعضهم ان بمعنى نعم وساحران خبر مبتدا محذوف واللام داخلة على الجملة تقديره لهما
ساحران

ساحران وقد اعجب به ابو اسحق … بطريقتكم المثلى والسنة الفضلى وكل حزب بما لديهم فرحون
وقيل ارادوا اهل طريقتكم المثلى وهم بنو اسرائيل لقول موسى ان ارسل معنا بني اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه
الناس واشرافهم الذين هم قدوة لغيرهم يقال هم طريقة قومهم ويقال للواحد ايضا هو طريقة قومه .. فاجمعوا
كيدكم يعضده قوله فجمع كيده وقرئ فاجمعوا كيدكم اي ازمعوه واجعلوه مجمعا عليه حتى لا تختلف
عنه واحد منكم كالمسالة المجمع عليها ثم ائتوا صفا مصطفين لانه اهيب في صدور الرائين وروي انهم كانوا سبعين
الفا مع كل واحد منهم حبل وعصا وقد اقبلوا اقبالة واحدة .. وعن ابي عبيدة انه فسر الصف بالمصلى لان الناس
يجتمعون فيه لعيدهم وصلاتهم مصطفين ووجه صحته ان يقع علما لمصلى بعينه فامروا بان ياتوه او يراد ائتوا
مصلى من المصليات .. وقد افلح اليوم من استعلى اعتراض يعني وقد فاز من غلب .. اما منصوب بفعل مضمر
او مرفوع بانه خبر مبتدا محذوف معناه اختر احد الامرين او الامر القاؤك … اولا وهذا التخيير منهم استعمال
ادب حسن معه وتواضع له وخفض جناح وتنبيه على اعطائهم النصفة من انفسهم … الله عز وعلا الهمهم ذلك
وعلم موسى عليه السلام اختيار القائهم اولا مع ما فيه من مقابلة ادب بادب حتى يبرزوا ما معهم من مكائد السحر ويستنفدوا
اقصى طوقهم ومجهودهم فاذا فعلوا اظهر الله سلطانه وقذف بالحق على الباطل فدمغه وسلط المعجزة على السحر فمحقته
وكانت اية نيرة للناظرين وعبرة بينة للمعتبرين يقال في اذا هذه اذا المفاجاة والتحقيق فيها انها الكائنة بمعنى
الوقت الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف اليها خصت في بعض المواضع بان يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجاة
والجملة ابتدائية لا غير فتقدير قوله تعالى فاذا حبالهم وعصيهم ففاجا موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم
وهذا تمثيل والمعنى على مفاجاته حبالهم وعصيهم مخيلة اليه السعي .. وقرئ عصيهم بالضم وهو الاصل والكسر اتباع
ونحوه دلي ودلي وقسي وقسي .. وقرئ تخيل على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال قوله انها تسعى من
الضمير بدل الاشتمال كقولك اعجبني زيد كرمه وتخيل على كون الحبال والعصي مخيلة سعيها ونخيل بمعنى تتخيل
وطريقه طريق تخيل ونخيل على ان الله هو المخيل للمحنة والابتلاء .. يروى انهم لطخوها بالزيبق فلما ضربت عليها
الشمس اضطربت واهتزت فخيلت ذلك … ان الخوف … منه وكذلك توجس الصوت … يسيرة
منه وكان ذلك لطبع الجبلة البشرية … لا يكاد يمكن الخلو من مثله وقيل خاف ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه
انك انت الاعلى فيه تقرير لغلبته وقهره وتوكيد بالاستيناف وب… تشديد وبتكرير الضمير وبلام التعريف
وبلفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة وبالتفضيل وقوله ما في يمينك … عصاك جائز ان يكون تصغيرا لها
اي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد الفرد الصغير الجرم الذي … فانه بقدرة الله يتلقفها على
وحدته وكثرتها وصغره وعظمها وجائز ان يكون تعظيما لها اي لا تحتفل بهذه الاجرام الكبيرة فان في يمينك شيئا
اعظم منها كلها وهذه على كثرتها اقل شيء وانزره عندها … فيلقفها باذن الله ويمحقها وقرئ تلقف بالرفع
على الاستيناف او على الحال اي القها متلقفة وقرئ تلقف بالتخفيف … صنعوا هاهنا بمعنى زوروا وافتعلوا
كقوله تعالى تلقف ما يافكون قرئ كيد ساحر بالرفع والنصب فمن رفع فعلى ان ما موصولة ومن نصب
فعلى انها كافة وقرئ كيد سحر بمعنى ذي سحر وذوي سحر وهم لتوغلهم في سحرهم … كانهم السحر بعينه
وبذاته او بين الكيد لانه يكون سحرا وغير سحر كما تبين المائة بدرهم ونحوه علم فقه وعلم نحو فان قلت
لم وحد ساحر ولم يجمع قلت لان القصد في هذا الكلام الى معنى الجنسية لا الى معنى العدد فلو جمع لخيل ان

المقصود هو العدد الا ترى الى قوله ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس فان قلت فلم نكر اولا وعرف ثانيا قلت
انما نكر من اجل تنكير المضاف لا من اجل تنكيره في نفسه كقول العجاج في سعي دنيا طالما قد مدت ..
وفي حديث عمر رضي الله عنه لا في امر دنيا ولا في امر اخرة المراد تنكير الامر كانه قيل انما صنعوا كيدا سحريا وفي
سعي دنيوي وامر دنيوي واخروي … كقولهم … سبحان الله ما اعجب امرهم
قد القوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما اعظم الفرق بين الالقائين
وروي انهم لم يرفعوا رؤوسهم حتى راوا الجنة والنار وراوا ثواب اهلها .. وعن عكرمة لما خروا سجدا
اراهم الله في سجودهم منازلهم التي يصيرون اليها في الجنة لكبيركم لعظيمكم يريد انه احذقكم واعلاكم
درجة في صناعتكم او لمعلمكم من قول اهل مكة للمعلم امرني كبيري وقال لي كبيري كذا يريدون معلمهم
واستاذهم في القران وفي كل شيء وقرئ فلاقطعن ولاصلبن بالتخفيف والقطع من خلاف ان يقطع
اليد اليمنى والرجل اليسرى لان كل واحد من العضوين خالف الاخر بان هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك
شمال ومن لابتداء الغاية لان القطع مبتدا وناش من مخالفة العضو العضو لا من وفاقه اياه ومحل الجار والمجرور
النصب على الحال اي لا قطعنها مختلفات لانها اذا خالف بعضها بعضا فقد اتصفت بالاختلاف شبه تمكن المصلوب
في الجذع بتمكن الشيء الموعى في وعائه فلذلك قيل في جذوع النخل اينا يريد نفسه لعنه الله وموسى صلوات الله عليه
بدليل قوله امنتم له واللام مع الايمان في كتاب الله لغير الله كقوله يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين وفيه تصلف
باقتداره وقهره وما الفه وضري به من تعذيب الناس بانواع العذاب وتوضيع لموسى عليه السلام واستضعاف
له مع الهزء به لان موسى لم يكن قط من التعذيب في شيء والذي فطرنا عطف على ما جاءنا او قسم وقرئ تقضى
هذه الحيوة الدنيا ووجهها ان الحيوة في القراءة المشهورة منتصبة على الظرف فاتسع في الظرف باجرائه مجرى
المفعول به كقولك في صمت يوم الجمعة صيم يوم الجمعة وروي ان السحرة رؤوسهم كانوا اثنين وسبعين الا
اثنان من القبط والسائر من بني اسرائيل وكان فرعون اكرههم على تعلم السحر .. وروي انهم قالوا لفرعون
ارنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه
تزكى تطهر من ادناس الذنوب .. وعن ابن عباس قال لا اله الا الله قيل … الايات الثلاث من حكاية قولهم
وقيل خبر من الله لا على وجه الحكاية واضرب لهم طريقا فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما وضرب
اللبن وعمله .. اليبس مصدر … يقال يبس يبسا ويبسا ونحوهما العدم والعدم ومن ثم وصف
به المؤنث فقيل شاتنا يبس وناقتنا يبس اذا جف لبنها وقرئ يبسا ويابسا ولا يخلو اليبس من ان يكون مخففا
عن اليبس او صفة على فعل او جمع يابس كصاحب وصحب وصف به الواحد تاكيدا كقوله ومعى جياعا
جعله لفرط جوعه كجماعة جياع لا تخاف حال من الضمير في فاضرب .. وقرئ لا تخف على الجواب
وقرا ابو حيوة دركا بالسكون والدرك والدرك اسمان من الادراك اي لا يدركك فرعون وجنوده ولا
يلحقونك … ولا تخشى اذا قرئ لا تخف فيه اوجه ان تستانف كانه قيل وانت لا تخشى اي ومن شانك انك امن لا تخشى
وان لا يكون الالف … المنقلبة عن الياء التي هي لام الفعل ولكن زائدة للاطلاق من اجل الفاصلة كقوله فاضلونا
السبيلا وتظنون بالله الظنونا … مثل قوله كان لم ترى قبلي اسيرا يمانيا فغشيهم من باب الاختصار
ومن جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة اي غشيهم ما لا يعلم كنهه الا الله وقرئ فغشاهم
من

من اليم ما غشاهم والتغشية التغطية وفاعل غشاهم اما الله سبحانه او ما غشاهم او فرعون لانه الذي
ورطهم جنوده وتسبب لهلاكهم وقوله وما هدى تهكم به في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد يا بني
اسرائيل خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك ال فرعون وقيل هو للذين كانوا منهم في عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الله عليهم بما فعل بابائهم والوجه هو الاول اي قلنا يا بني اسرائيل وحذف القول كثير في القران
وقرئ انجيتكم اي رزقتكم وعلى لفظ الوعد والمواعدة وقرئ الايمن بالجر على الجوار نحو جحر ضب خرب
ذكرهم النعمة في نجاتهم وهلاك عدوهم وفيما واعد موسى عليه السلام من المناجاة بجانب الطور وكتب التوراة
في الالواح وانما عدى المواعدة اليهم لانها لابستهم واتصلت بهم حيث كانت لنبيهم ونقبائهم واليهم رجعت منافعها التي
قام بها دينهم وشرعهم وفيما افاض عليهم من نعمه وارزاقه .. طغيانهم في النعمة ان يتعدوا حدود الله فيها بان يكفروها
ويشغلهم اللهو والتنعم عن القيام بشكرها وان ينفقوها في المعاصي وان يزووا حقوق الفقراء فيها وان يسرفوا في
انفاقها وان يبطروا فيها ويأشروا ويتكبروا قرئ فيحل .. وعن عبد الله لا يحلن ومن يحلل المكسور في معنى
الوجوب من حل الدين يحل اذا وجب اداؤه ومنه قوله تعالى حتى يبلغ الهدي محله والمضموم في معنى النزول
وغضب الله عقوباته ولذلك وصف بالنزول هوى هلك واصله ان يسقط من جبل فيهلك قالت
هوى من راس مرقبة ففتت تحتها كبده .. ويقولون هوت امه او سقط سقوطا لا نهوض بعده الاهتداء هو الاستقامة
والثبات على الهدى المذكور وهو التوبة والايمان والعمل الصالح ونحوه قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
وكلمة التراخي دلت على تباين المنزلتين دلالتها على تباين الوقتين في جاءني زيد ثم عمرو واعني ان منزلة الاستقامة على
الخير مباينة لمنزلة الخير نفسه لانها اعلى منها وافضل وما اعجلك اي شيء عجل بك عنهم على سبيل الانكار وكان
قد مضى مع النقباء الى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه وتنجز ما وعد به بناء على اجتهاده وظنه
ان ذلك اقرب الى رضى الله وزال عنه انه عز وجل ما وقت افعاله الا نظرا الى دواعي الحكمة وعلما بالمصالح المتعلقة بكل
وقت فالمراد بالقوم النقباء وليس لقول من جوز ان يراد جميع قومه وان يكون قد فارقهم قبل الميعاد وجه صحيح يأباه
قوله هم اولاء على اثري .. وعن ابي عمرو ويعقوب اثري .. وعن عيسى بن عمر اثري بالضم وعنه ايضا
اولى بالقصر والاثر افصح من الاثر واما الاثر فمسموع في فرند السيف مدون في الاصول يقال اثر السيف
واثره وهو بمعنى الاثر غريب فان قلت ما اعجلك سؤال عن سبب العجلة فكان الذي ينطبق عليه من الجواب
ان يقال طلب زيادة رضاك او الشوق الى كلامك وتنجز موعدك وقوله هم اولاء على اثري كما ترى غير منطبق
عليه قلت قد تضمن ما واجهه به رب العزة شيئين احدهما انكار العجلة في نفسها والثاني السؤال عن سبب المستنكر
والحامل عليه فكان اهم الامرين الى موسى بسط العذر وتمهيد العلة في نفس ما انكر عليه فاعتل بانه لم يوجد مني
الا تقدم يسير مثله لا يعتد به في العادة ولا يحتفل به وليس بيني وبين من سبقته الا مسافة قريبة يتقدم بمثلها الوفد
راسهم ومقدمهم ثم عقبه بجواب السؤال عن السبب فقال وعجلت اليك رب لترضى ولقائل ان يقول
حار لما ورد عليه من التهيب لعتاب الله فاذهله ذلك عن الجواب المنطبق المرتب على حدود الكلام .. اراد بالقوم
المفتونين الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة الف ما نجا من عبادة العجل منهم الا اثنا عشر الفا فان قلت
في القصة انهم اقاموا بعد مفارقته عشرين ليلة وحسبوها اربعين مع ايامها وقالوا قد اكملنا العدة ثم
كان امر العجل بعد ذلك فكيف التوفيق بين هذا وبين قوله تعالى لموسى عند مقدمه انا قد فتنا قلت قد اخبر

الله عز الفتنة المترقبة بلفظ الموجودة الكاينة على عادته وافترص السامري غيبته فعزم على اضلالهم غب
انطلاقه واخذ في تدبير ذلك فكان بدو الفتنة موجودا وقرى واضلهم السامري اي وهو اشدهم ضلالا لا
لانه ضال مضل وهو منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل السامرة قوم من اليهود يخا
لفونهم في بعض دينهم وقيل كان من اهل باجرما وقيل كان علجا من كرمان واسمه موسى بن ظفر وكان
منافقا قد اظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر ∴ الاسف الشديد الغضب ومنه قوله عليه السلام في
موت الفجاة رحمة للمومن واخذة اسف للكافر وقيل الحزين فان قلت متى رجع الى قومه قلت بعدما استوفى
الاربعين ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعدهم الله سبحانه ان يعطيهم التوراة التي فيها هدى ونور ولا وعد
احسن من ذلك واجمل ∴ حكي انها كانت الف سورة كل سورة الف آية يحمل اسفارها سبعون جملا العهد
الزمان يريد مدة مفارقته لهم يقال طال عهدي بك اي طال زماني بسبب مفارقتك وعدوه ان يقيموا
على امره وما تركهم عليه من الايمان فاخلفوا موعده بعبادتهم العجل ∴ بملكنا قرى بالحركات الثلث اي ما اخلفنا
موعدك بان ملكنا امرنا وخلينا ورأينا لما اخلفناه ولكن من جهة السامري وكيده اي حملنا احمالا من
حلي القبط اي استعرناها منهم او اراد بالاوزار انها آثام وتبعات لانهم كانوا معهم في حكم المستامنين في دار
الحرب وليس للمستامن ان ياخذ مال الحربي على ان الغنائم لم تكن تحل حينئذ فقذفناها في نار السامري
التي اوقدها في الحفرة وامرنا ان نطرح فيها الحلي وقرى حملنا فكذلك القى السامري اراهم انه يلقي حليا
في يده مثل ما القوا وانما القى التربة التي اخذها من موطي حيزوم فرس جبريل اوحى اليه وليه الشيطان انها اذا
خالطت مواتا صار حيوانا فاخرج لهم السامري من الحفرة عجلا خلقه الله من الحلي التي سبكتها النار يخور
كما تخور العجاجيل فان قلت كيف اثرت تلك التربة في احياء الموات قلت اما يصح ان يوثر الله سبحانه
روح القدس بهذه الكرامة الخاصة كما آثره بغيرها من الكرامات وهي ان يباشر فرسه بحافره تربة اذا لاقت
تلك التربة جمادا انشاه الله ان شاء عند مباشرته حيوانا الا ترى كيف انشا المسيح من غير اب عند نفخه في الدرع
فان قلت لم خلق الله العجل من الحلي حتى صار فتنة لبني اسرائيل وضلالا قلت ليس باول محنة محن الله
بها عباده ليثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ∴ ومن عجب
من خلق العجل فليكن من خلق ابليس اعجب والمراد بقوله انا قد فتنا قومك هو خلق العجل للامتحان اي امتحناهم بخلق
العجل وحملهم السامري على الضلال واوقعهم فيه حين قال لهم هذا الهكم واله موسى فنسي اي
فنسي موسى ان يطلبه ههنا وذهب يطلبه عند الطور او فنسي السامري اي ترك ما كان عليه من الايمان الظاهر يرجع
من رفعه فعلى ان المخففة من الثقيلة ومن نصب فعلى انها الناصبة للافعال من قبل من قبل ان يقول لهم السامري
ما قال كانهم اول ما وقعت عليه ابصارهم حين طلع من الحفرة افتتنوا به واستحسنوه فقبل ان ينطق
السامري بادرهم هرون عليه السلام بقوله انما فتنتم به وان ربكم الرحمن لا هذا لا مزيدة والمعنى ما منعك
ان تتبعني في الغضب لله وشدة الزجر على الكفر والمعاصي وهلا قاتلت من كفر بمن آمن ومالك لم
تباشر الامر كما كنت تباشره انا لو كنت شاهدا او مالك لم تلحقني قرى لحيتي بفتح اللام وهي لغة اهل الحجاز
كان موسى عليه السلام رجلا حديدا مجبولا على الحدة والخشونة والتصلب في كل شي شديد الغضب ولدينه فلم
يتمالك حين راى قومه يعبدون عجلا من دون الله بعدما راوا من الآيات العظام ان القى الالواح التوراة لما

غلب

غلب ذهنه الدهشة العظيمة غضبا لله واستنكافا وحمية وعنف باخيه وخليفته على قومه فاقبل عليه اقبال
العدو المكاشف قابضا على شعر راسه وكان افرع وعلى شعر وجهه يجره اليه اي لو قاتلت بعضهم ببعض لتفرقوا
وتفانوا فاستانيتك ان تكون انت المتدارك بنفسك المتلافي برايك وخشيت عتابك على اطراح ما اوصيتني به من ضم
النشر وحفظ الدهماء ولم يكن لي بد من رقبة وصيتك والعمل على موجبها ∴ الخطب مصدر خطب الامر اذا
طلبه فاذا قيل لمن يفعل شيئا ما خطبك فمعناه ما طلبك له بصرت بما لم يبصروا به بالكسر والمعنى علمت ما
لم تعلموه وفطنت ما لم تفطنوا اليه ∴ قرا الحسن قبضة بضم القاف وهو اسم المقبوض كالغرفة والمضغة
واما القبضة فالمرة من القبض واطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الامير وقرا ايضا فقبصت
قبصة بالصاد القبض بجميع الكف والقبص باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم الخا بجميع الفم والقاف بمقدمه
قرا ابن مسعود من اثر فرس الرسول فان قلت لم سماه الرسول دون جبريل وروح القدس قلت حين حل
ميعاد الذهاب الى الطور ارسل الله تعالى الى موسى عليه السلام جبريل راكب حيزوم فرس الحيوة ليذهب به فابصره
السامري فقال ان لهذا شانا فقبض القبضة من تربة موطيه فلما ساله موسى عن قصته قال قبضت من اثر فرس المرسل
اليك يوم حلول الميعاد ولعله لم يعرف انه جبريل ∴ عوقب بعقوبة لا شي اطم منها واوحش وذلك انه منع من
مخالطة الناس منعا كليا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته وكل ما يعايش به الناس
بعضهم بعضا واذا اتفق ان يماس احدا رجلا او امراة حم الماس والممسوس فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لا مساس
وعاد في الناس اوحش من القاتل اللاجي الى الحرم ومن الوحشي النافر في البرية ويقال ان قومه باق فيهم
ذلك الى اليوم وقرى لا مساس بوزن فجار ونحوه قولهم في الظباء ان وردت الماء فلا عباب وان فقدته فلا
اباب وهي اعلام للمسة والعبة والابة وهي المرة من الاب وهو الطلب ∴ لن تخلفه اي لن يخلفك الله وعده الذي وعدك
على الشرك والفساد في الارض ينجزه لك في الآخرة بعدما عاقبك بذلك في الدنيا فانت ممن خسر الدنيا والآخرة وذلك
هو الخسران المبين وقرى لن تخلفه وهذا من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا قال الاعشى
اثوى وقصر ليلة ليزودا فمضى واخلف من قتيلة موعدا ∴ وعن ابن مسعود نخلفه بالنون اي لن يخلفه الله كانه
حكى قوله عز وجل كما مر في لاهب لك ظلت وظلت والاصل ظللت فحذفوا اللام الاولى ونقلوا حركتها
الى الظاء ومنهم من لم ينقل لنحرقنه ولنحرقنه ولنحرقنه وفي حرف ابن مسعود لنذبحنه ثم لنحرقنه من الاحراق
وذكر ابو علي الفارسي في لنحرقنه انه يجوز ان يكون حرق مبالغة في حرق اذا برد بالمبرد وعليه القراءة الثالثة
وهي قراة علي بن ابي طالب عليه السلام لننسفنه بكسر السين وضمها وهذه عقوبة ثالثة وهي ابطال ما افتتن به
واهدار سعيه وهدم مكره ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ∴ قرا طلحة الله الذي لا اله الا
هو الرحمن رب العرش وسع كل شي علما ∴ وعن مجاهد وقتادة وسع ووجهه ان وسع متعد الى مفعول
واحد وهو كل شي واما علما فانتصابه على التمييز وهو في المعنى فاعل فلما ثقل نقل الى التعدية الى مفعولين فنصبهما
معا على المفعولية لان المميز فاعل في المعنى كما تقول في خاف زيد عمرا خوفت زيدا عمرا فترد بالنقل ما كان
فاعلا مفعولا ∴ الكاف في كذلك منصوب المحل وهذا موعد من الله عز وجل لرسوله اي مثل ذلك الاقتصاص
ونحو ما اقتصصنا عليك قصة موسى وفرعون نقص عليك من سائر اخبار الامم وقصصهم واحوالهم تكثيرا
لبيناتك وزيادة في معجزاتك وليعتبر السامع ويزداد المستبصر في دينه بصيرة وتتاكد الحجة على من عاند وكابر

وان هذا الذكر الذي آتيناك يعني القرآن مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار الحقيقة بالتفكر والاعتبار لذكر عظيم
وقرآن كريم فيه النجاة والسعادة لمن اقبل عليه ومن اعرض عنه فقد هلك وشقي ∴ يريد بالوزر العقوبة الثقيلة
الباهظة سماها وزرا تشبيها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض
ظهره ويلقي عليه بهره او لانها جزاء الوزر وهو الاثم وقرى يحمل جمع خالدين على المعنى لان من مطلق متناول لغير معرض
واحد وتوحيد الضمير في اعرض وما بعده للحمل على اللفظ ونحوه قوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم
خالدين فيها فيه اي في ذلك الوزر او في احتماله ساء في حكم بئس والضمير الذي فيه يجب ان يكون مبهما يفسره حملا والمخصوص
بالذم محذوف لدلالة الوزر السابق عليه تقديره ساء حملا وزرهم كما حذف في قوله تعالى نعم العبد انه اواب
اي ايوب الذي هو مخصوص بالمدح ومنه قوله تعالى وساءت مصيرا اي وساءت مصيرا جهنم فان قلت اللام في
لهم ما هي وبم تتعلق قلت هي للبيان كما في هيت لك فان قلت ما انكرت ان يكون في ساء ضمير الوزر
قلت لا يصح ان يكون في ساء وحكمه حكم بئس ضمير شي بعينه غير مبهم فان قلت فلا يكن ساء الذي
حكمه حكم بئس ولكن ساء الذي منه قوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا بمعنى اهم واحزن قلت كفاك
صادا عنه ان يؤول كلام الله الى قولك واحزن الوزر لهم يوم القيامة حملا وذلك بعد ان تخرج عن عهدة هذه اللام
وعهدة المنصوب ∴ اسند النفخ الى الآمر به فيمن قرا ننفخ بالنون ولان الملائكة المقربين واسرافيل منهم بالمنزلة
التي هم بها من رب العزة فصح لكرامتهم عليه وقربهم منه ان يسند ما يتولونه الى ذاته وقرى ينفخ بما لم يسم
فاعله وينفخ ويحشر بالياء المفتوحة على الغيبة والضمير لله تعالى او لاسرافيل عليه السلام ∴ واما يحشر المجرمون
فلم يقرا الا بالياء ∴ وقرى في الصور بفتح الواو جمع صورة وفي الصور قولان احدهما انه بمعنى الصور
وهذه القراة تدل عليه والثاني انه القرن قيل في الزرق قولان احدهما ان الزرقة ابغض شي من الوان
العيون الى العرب لان الروم اعداوهم وهم زرق العيون ولذلك قالوا في صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال
ازرق العين والثاني ان المراد العمي لان حدقة من يذهب نور بصره تزراق يتخافتون لما يملأ صدورهم من الرعب والهول
يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا اما لما يعاينون من الشدائد التي تذكرهم ايام النعمة والسرور فيتاسفون عليها ويصفونها
بالقصر لان ايام السرور قصار واما لانها ذهبت عنهم وتقضت والذاهب وان طالت مدته قصير الانتهاء ∴
ومنه توجع عبد الله بن المعتز ... ... الانتهاء قصرا واما لاستطالتهم الآخرة وانها ابد
يستقصر اليها عمر الدنيا ويتقال لبث اهلها فيها بالقياس الى لبثهم في الآخرة وقد استرجح قول من يكون اشد
تقالا منهم في قوله اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما ونحوه قوله تعالى قال كم لبثتم في الارض
عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فاسأل العادين وقيل المراد لبثهم في القبور ويعضده قوله عز وجل ويوم
تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يوفكون ∴ وقال الذين اوتوا العلم والايمان
لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث ينسفها اي فيذرها اي فيذر مقارها ومراكزها او يجعل الضمير للارض وان لم
يجر لها ذكر كقوله ما ترك على ظهرها من دابة فان قلت قد فرقوا بين العوج والعوج فقالوا العوج بالكسر
في المعاني والعوج بالفتح في الاعيان والارض عين فكيف صح فيها المكسور العين قلت اختيار هذا اللفظ له موقع
حسن بديع في وصف الارض بالاستواء والملاسة ونفي الاعوجاج عنها على ابلغ ما يكون وذلك انك لو عمدت الى
قطعة ارض فسويتها وبالغت في التسوية على عينك وعيون البصراء من الفلاحة واتفقتم على انه لم يبق فيها اعوجاج

قط

قط ثم استطلعت راي المهندس فيها وامرته ان يعرض استواءها على المقاييس الهندسية لعثر فيها على عوج في غير
موضع لا يدرك ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسي فنفى الله عز وعلا ذلك العوج الذي دق ولطف عن
الادراك اللهم الا بالقياس الذي يعرفه صاحب التقدير والهندسة وذلك الاعوجاج لما لم يدرك الا بالقياس دون الاحساس لحق بالمعاني فقيل
فيه عوج بالكسر الامت النتو اليسير يقال مد حبله حتى ما فيه امت اضاف اليوم الى وقت نسف الجبال في قوله يومئذ اي يوم اذ نسفت ويجوز ان يكون
بدلا بعد بدل من يوم القيامة والمراد الداعي الى المحشر قالوا هو اسرافيل قائما على صخرة بيت المقدس يدعو الناس
فيقبلون من كل اوب الى صوبه لا يعدلون لا عوج له اي لا يعوج له مدعو بل يستوون اليه من غير انحراف
متبعين لصوته اي خفضت الاصوات من شدة الفزع وخفتت فلا تسمع الا همسا وهو الركز الخفي ومنه الحروف
المهموسة وقيل هو من همس الابل وهو صوت اخفافها اذا مشت اي لا تسمع الا خفق الاقدام ونقلها الى المحشر
من يصلح ان يكون مرفوعا ومنصوبا فالرفع على البدل من الشفاعة بتقدير حذف المضاف اي لا تنفع الشفاعة الا
شفاعة من اذن له الرحمن والنصب على المفعولية ومعنى اذن له ورضي له لاجله اي اذن للشافع ورضي قوله لاجله
ونحو هذه اللام في قوله وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه اي يعلم ما تقدمهم من
الاحوال وما يستقبلونه ولا يحيطون بمعلوماته علما ∴ المراد بالوجوه وجوه العصاة وانهم اذا عاينوا
يوم القيامة الخيبة والشقوة وسوء الحساب صارت وجوههم عانية اي ذليلة خاشعة مثل وجوه العناة وهم
الاسارى ونحوه قوله فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا ووجوه يومئذ باسرة وقد خاب وما بعده
اعتراض كقولك خابوا وخسروا وكل من ظلم فهو خائب خاسر الظلم ان ياخذ من صاحبه فوق حقه ∴
والهضم ان يكسر من حق اخيه فلا يوفيه له كصفة المطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا
كالوهم او وزنوهم يخسرون اي فلا يخاف جزاء ظلم ولا هضم لانه لم يظلم ولم يهضم وقرى فلا يخف على النهي وكذلك
عطف على كذلك نقص اي ومثل ذلك الانزال وكما انزلنا عليك هولاء الآيات المضمنة للوعيد انزلنا القرآن
كله على هذه الوتيرة مكررين فيه آيات الوعيد ليكونوا بحيث يراد منهم ترك المعاصي او فعل الخير والطاعة
والذكر كما ذكرنا يطلق على الطاعة والعبادة وقرى نحدث وتحدث بالنون والتاء اي تحدث انت وسكن بعضهم
الثاء للتخفيف كما في فاليوم اشرب غير مستحقب فتعالى الله الملك الحق استعظام له ولما يصرف عليه
عباده من اوامره ونواهيه ووعده ووعيده والادارة بين ثوابه وعقابه على حسب اعمالهم وغير ذلك مما يجري
عليه امر ملكوته ∴ ولما ذكر القرآن وانزاله قال على سبيل الاستطراد واذا لقنك جبريل ما يوحي اليك
من القرآن فتان عليه ريثما يسمعك ويفهمك ثم اقبل عليه بالتحفظ بعد ذلك ولا تكن قراتك مساوقة
لقراته ونحوه قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به ∴ وقيل معناه لا تبلغ ما كان منه مجملا حتى
ياتيك البيان وقرى حتى نقضي اليك وحيه وقوله رب زدني علما متضمن للتواضع لله والشكر له
عندما علم من ترتيب التعلم اي علمتني يا رب لطيفة في باب التعلم وادبا جميلا ما كان عندي فزدني علما
الى علم فان لك في كل شي حكمة وعلما وقيل ما امر الله رسوله بطلب الزيادة في شي الا في العلم
يقال في اوامر الملوك ووصاياهم تقدم الملك الى فلان واوعز اليه وعهد اليه عطف الله سبحانه قصة
آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون والمعنى واقسم قسما لقد امرنا اباهم آدم ووصيناه
ان لا يقرب الشجرة وتوعدناه بالدخول في جملة الظالمين ان قربها وذلك من قبل وجودهم ومن قبل ان

يتوعدهم مخالفته لما نهى عنه وتوعد في أن تكابر مخالفتهم ولم يلتفتا إلى الوعيد كما لا يلتفتون كأنه يقول إن أساس أمر بني آدم على ذلك وعرقهم راسخ فيه فإن قلت ما المراد بالنسيان قلت يجوز أن يراد النسيان الذي هو نقيض الذكر وأنه لم يعن بالوصية العناية الصادقة ولم يستوثق منها بعقد القلب عليها وضبط النفس حتى تولد من ذلك النسيان وأن يراد الترك وأنه ترك ما وصي به من الاحتراس عن الشجرة وأكل ثمرتها . وقرئ فنسي أي نساه الشيطان . والعزم التصميم والمضي على ترك الأكل وأن يتصلب في ذلك تصلبا يؤيس الشيطان من التسويل له والوجود يجوز أن يكون بمعنى العلم ومفعولاه له عزما وأن يكون نقيض العدم كأنه قال وعدمنا له عزما . إذ منصوب بمضمر أي واذكر وقت ما جرى عليه من معاداة إبليس ووسوسته إليه وتزيينه له الأكل من الشجرة وطاعته له بعدما تقدمت معه النصيحة والموعظة البليغة والتحذير من كيده حتى يتبين لك أنه لم يكن من أولي العزم والثبات فإن قلت إبليس كان جنيا بدليل قوله تعالى كان من الجن ففسق عن أمر ربه فمن أين تناوله الأمر وهو للملائكة خاصة قلت كان في صحبتهم وكان يعبد الله تعالى عبادتهم فلما أمروا بالسجود لآدم والتواضع له كرامة له كان الجني الذي معهم أجدر بأن يتواضع كما لو قام لمقبل على المجلس علية أهله وسراتهم كان القيام على واحد منهم وهو دونهم في المنزلة أوجب حتى إن لم يقم عنف وقيل له قد قام فلان وفلان فمن أنت حتى تترفع عن القيام فإن قلت فكيف صح استثناؤه وهو جني عن الملائكة قلت عمل على حكم التغليب في إطلاق اسم الملائكة عليهم وعليه فأخرج الاستثناء على ذلك كقولك خرجوا إلا فلانة لامرأة بين الرجال . أبى جملة مستأنفة كأنه جواب قائل قال لم لم يسجد والوجه أن لا يقدر له مفعول وهو السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا وأن يكون معناه أظهر الإباء وتوقف وتثبط فلا يخرجنكما فلا يكونن سببا لإخراجكما وإنما أسند إلى آدم وحده فعل الشقاء دون حواء بعدما أشركهما في الخروج لأن في ضمن شقاء الرجل وهو قيم أهله وأميرهم شقاهم كما أن في ضمن سعادته سعادتهم فاختصر الكلام بإسناده إليه دونها مع المحافظة على الفاصلة أو أريد بالشقاء التعب في طلب القوت وذلك معصوب برأس الرجل وهو راجع إليه . وروي أنه أهبط إلى آدم ثور أحمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق عن جبينه . وقرئ وإنك بالكسر والفتح ووجه الفتح العطف على أن لا تجوع فإن قلت إن لا تدخل على أن فلا يقال إن أن زيدا منطلق والواو نائبة عن إن وقائمة مقامها فلم أدخلت عليها قلت الواو لم توضع لتكون أبدا نائبة عن إن إنما هي نائبة عن كل عامل فلما لم تكن حرفا موضوعا للتحقيق خاصة كإن لم يمتنع اجتماعهما كما امتنع اجتماع إن وأن . الشبع والري والكسوة والكن هي الأقطاب التي يدور عليها كفاف الإنسان فذكره استجماعها له في الجنة وأنه مكفي لا يحتاج إلى كفاية كاف ولا إلى كسب كاسب كما يحتاج إلى ذلك أهل الدنيا وذكرها بلفظ النفي لنقائضها التي هي الجوع والعري والظمأ والضحى ليطرق سمعه بأسامي أصناف الشقوة التي حذره منها حتى يتحامى السبب الموقع فيها كراهة لها فإن قلت كيف عدي وسوس تارة باللام في قوله فوسوس لهما الشيطان وأخرى بإلى قلت وسوسة الشيطان كولولة الثكلى ووعوعة الذئب ووقوقة الدجاجة في أنها حكايات للأصوات وحكمها حكم صوت وأجرس ومنه وسوس المبرسم وهو موسوس بالكسر والفتح وأنشد ابن الأعرابي وسوس يدعو مخلصا رب الفلق فإذا قلت وسوس له فمعناه لأجله كقوله أجرس لها يا ابن أبي كباش ومعنى وسوس إليه أنهى إليه الوسوسة كقولك حدث إليه وأسر إليه . أضاف الشجرة إلى الخلد وهو الخلود لأن من أكل منها خلد بزعمه كما قيل لحيزوم فرس الحياة لأن

من أكلها أنه يجن وملك لا يبلى دليل على قراءة الحسن بن علي وابن عباس رضي الله عنهم إلا أن تكونا ملكين بالكسر . طفق يفعل كذا مثل جعل يفعل وأخذ وأنشأ وحكمهما حكم كاد في وقوع الخبر فعلا مضارعا وبينها وبينه مسافة قصيرة هي للشروع في أول الأمر وكاد لمشارفته والدنو منه وقرئ يخصفان للتكثير والتكرير من خصف النعل وهو أن يخرز عليها الخصاف أي يلزقان الورق بسوآتهما للتستر وهو ورق التين وقيل كان مدورا فصار على هذا الشكل من تحت أصابعهما وقيل كان لباسهما الظفر فلما أصابا الخطيئة نزع عنهما وتركت هذه البقايا في أطراف الأصابع عن ابن عباس رضي الله عنه . لا شبهة في أن آدم لم يمتثل ما رسم الله له وتخطى فيه ساحة الطاعة وذلك هو العصيان ولما عصى خرج فعله من أن يكون رشدا وخيرا فكان غيا لا محالة لأن الغي خلاف الرشد ولكن قوله وعصى آدم ربه فغوى بهذا الإطلاق وبهذا التصريح وحيث لم يقل وزل آدم وأخطأ وما أشبه ذلك مما يعبر به عن الزلات والفرطات فيه لطف بالمكلفين ومزجرة بليغة وموعظة كافة وكأنه قيل لهم انظروا واعتبروا كيف نعيت على النبي المعصوم حبيب الله الذي لا يجوز عليه إلا اقتراف الصغيرة غير المنفرة زلته بهذه الغلظة وبهذا اللفظ الشنيع فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من السيئات والصغائر فضلا أن تجسروا على التورط في الكبائر . وعن بعضهم فغوى فبشم من كثرة الأكل وهذا وإن صح على لغة من يقلب الياء المكسور ما قبلها ألفا فيقول في فني وبقي فنا وبقا وهم بنو طي تفسير خبيث فإن قلت ما معنى ثم اجتباه ربه قلت ثم قبله بعد التوبة وقربه إليه من جبي إلي كذا فاجتبيته ونظيره جليت على العروس فاجتليتها ومنه قوله عز وجل وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها أي هلا جبيت إليك فاجتبيتها وأصل الكلمة الجمع ويقولون اجتبت الفرس نفسها إذا اجتمعت نفسها راجعة بعد النفار . وهدى أي وفقه لحفظ التوبة وغيره من أسباب العصمة والتقوى . لما كان آدم وحواء عليهما السلام أصلي البشر والسببين اللذين منهما نشئوا وتفرعوا جعلا كأنهما البشر في أنفسهما فخوطبا مخاطبتهم فقيل فإما يأتينكم على لفظ الجماعة ونظيره إسنادهم الفعل إلى السبب وهو في الحقيقة للمسبب هدى كتاب وشريعة . وعن ابن عباس رضي الله عنه ضمن الله لمن اتبع القرآن أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم تلا قوله فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى والمعنى أن الشقاء في الآخرة هو عقاب من ضل في الدنيا عن طريق الدين فمن اتبع كتاب الله وامتثل أوامره وانتهى عن نواهيه نجا من الضلال ومن عقابه . الضنك مصدر يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث . وقرئ ضنكى على فعلى ومعنى ذلك أن مع الدين التسليم والقناعة والتوكل على الله وعلى قسمته فصاحبه ينفق ما رزقه بسماح وسهولة فيعيش عيشا رافغا كما قال الله عز وجل فلنحيينه حياة طيبة . والمعرض عن الدين مستول عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به إلى الازدياد من الدنيا مسلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الإنفاق فعيشه ضنك وحاله مظلمة كما قال بعض المتصوفة لا يعرض أحد عن ذكر ربه إلا أظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه ومن الكفرة من ضرب الله عليه الذلة والمسكنة لكفره قال الله تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله وقال ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقال ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض وقال استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا وقال وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا . وعن الحسن هو الضريع والزقوم في النار . وعن أبي سعيد الخدري عذاب القبر وقرئ ونحشره

الجزم عطفا على محل فإن له معيشة ضنكا لأنه جواب الشرط وقرئ ونحشره بسكون الهاء على لفظ الوقف وهذا مثل قوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما وكما فسر الزرق بالعمى كذلك أي مثل ذلك فعلت أنت ثم فسر بأن آياتنا أتتك واضحة مستنيرة فلم تنظر إليها بعين المعتبر ولم تتبصر وتركتها وعميت عنها وكذلك اليوم نتركك على عماك ولا نزيل غطاءه عن عينيك لما توعد المعرض عن ذكره بعقوبتين المعيشة الضنك في الدنيا وحشره أعمى في الآخرة ختم آيات الوعيد بقوله ولعذاب الآخرة أشد وأبقى كأنه قال وللحشر على العمى الذي لا يزول أبدا أشد من ضيق العيش المنقضي أو أراد ولتركنا إياه في العمى أشد وأبقى من تركه لآياتنا فاعل لم يهد الجملة بعده يريد ألم يهد لهم هذا بمعناه ومضمونه ونظيره قوله تعالى وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين أي تركنا عليه هذا الكلام ويجوز أن يكون فيه ضمير الله أو الرسول ويدل عليه القراءة بالنون وقرئ يمشون يريد أن قريشا يتقلبون في بلاد عاد وثمود ويمشون في مساكنهم ويعاينون آثار هلاكهم الكلمة السابقة هي العدة بتأخير جزائهم إلى الآخرة يقول لولا هذه العدة لكان مثل إهلاكنا عادا وثمود لازما لهؤلاء الكفرة واللزام إما مصدر لازم وصف به وإما فعال بمعنى مفعل أي ملزم كأنه آلة اللزوم لفرط لزومه كما قالوا لزاز خصم ٥ وأجل مسمى لا يخلو من أن يكون معطوفا على كلمة أو على الضمير في كان أي لكان الأخذ العاجل وأجل مسمى لازمين له كما كانا لازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الأجل المسمى دون الأخذ العاجل بحمد ربك في موضع الحال أي وأنت حامد لربك على أن وفقك للتسبيح وأعانك عليه والمراد بالتسبيح الصلاة أو على ظاهره قدم الفعل على الأوقات أولا والأوقات على الفعل آخرا فكأنه قال صل لله قبل طلوع الشمس يعني الفجر وقبل غروبها يعني الظهر والعصر لأنهما واقعتان في النصف الأخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها وتعمد آناء الليل وأطراف النهار مختصا لها بصلاتك وذلك أن أفضل الذكر ما كان بالليل لاجتماع القلب وهدوء الرجل والخلو بالرب وقال الله تعالى إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا وقال أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما ولأن الليل وقت السكون والراحة فإذا صرف إلى العبادة كانت على النفس أشد وأشق وللبدن أتعب وأنصب فكانت أدخل في معنى التكليف وأفضل عند الله وقد تناول التسبيح في آناء الليل صلاة العتمة وفي أطراف النهار صلاة المغرب وصلاة الفجر على التكرار إرادة الاختصاص كما اختصت في قوله حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى عند بعض المفسرين فإن قلت ما وجه قوله وأطراف النهار على الجمع وإنما هما طرفان كما قال أقم الصلاة طرفي النهار قلت الوجه أمن الإلباس وفي التثنية زيادة بيان ونظير مجيء الأمرين في الآية مجيئهما في قوله ظهراهما مثل ظهور الترسين وقرئ وأطراف النهار عطفا على آناء الليل ولعل للمخاطب أي اذكر الله في هذه الأوقات طمعا ورجاء أن تنال عند الله ما به ترضى نفسك ويسر قلبك وقرئ ترضى أي يرضيك ربك ولا تمدن عينيك أي نظر عينيك ومد النظر تطويله وأن لا يكاد يرده استحسانا للمنظور إليه وإعجابا به وتمنيا أن يكون له كما فعل نظارة قارون حين قالوا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم حتى واجههم أولو العلم والإيمان بـ ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا وفيه أن النظر غير الممدود معفو عنه وذلك مثل نظر من باده الشيء بالنظر ثم غض الطرف ولما كان النظر إلى الزخارف كالمركوز في الطباع وأن من أبصر منها شيئا أحب أن يمد إليه نظره ويملأ منه عينيه قيل ولا تمدن عينيك أي لا تفعل ما أنت معتاد له وضار به ولقد شدد العلماء من أهل التقوى في وجوب غض البصر عن أبنية الظلمة وعدد الفسقة في اللباس والمراكب وغير ذلك لأنهم إنما اتخذوا هذه الأشياء لعيون النظارة

فالناظر

فالناظر إليها محصل لغرضهم وكالمغري لهم على اتخاذها أزواجا منهم أصنافا من الكفرة ويجوز أن ينتصب حالا من هاء الضمير والفعل واقع على منهم كأنه قال إلى الذي متعنا به وهو أصناف بعضهم وناسا منهم فإن قلت علام انتصب زهرة قلت على أحد أربعة أوجه على الذم وهو النصب على الاختصاص وعلى تضمين متعنا معنى أعطينا وخولنا وكونه مفعولا ثانيا له وعلى إبداله من محل الجار والمجرور وعلى إبداله من أزواجا على تقدير ذوي زهرة فإن قلت ما معنى الزهرة فيمن حرك قلت معنى الزهرة بعينه وهو الزينة والبهجة كما جاء في الجهرة الجهرة وقرئ أرنا الله جهرة وأن يكون جمع زاهر وصفا لهم بأنهم زاهرو هذه الدنيا لصفاء ألوانهم مما يلهون ويتنعمون وتهلل وجوههم وبهاء زيهم وشارتهم بخلاف ما عليه المؤمنون والصلحاء من شحوب الألوان والتقشف في الثياب لنفتنهم لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم أو لنعذبهم في الآخرة بسببه ورزق ربك هو ما ادخر له من ثواب الآخرة الذي هو خير منه في نفسه وأدوم أو ما رزقه من نعمة الإسلام والنبوة أو لأن أموالهم الغالب عليها الغصب والسرقة والحرمة من بعض الوجوه والحلال خير وأبقى لأن الله لا ينسب إلى نفسه إلا ما حل وطاب دون ما حرم وخبث والحرام لا يسمى رزقا وعن عبد الله بن قسيط عن أبي رافع قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يهودي وقال قل له يقول لك رسول الله أقرضني إلى رجب فقال والله لا أقرضته إلا برهن فقال رسول الله إني لأمين في السماء وإني لأمين في الأرض احمل إليه درعي الحديد فنزلت ولا تمدن عينيك وأمر أهلك بالصلاة أي وأقبل أنت مع أهلك على عبادة الله والصلاة واستعينوا بها على خصاصتكم ولا تهتم بأمر الرزق والمعيشة فإن رزقك مكفي من عندنا ونحن رازقوك ولا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك ففرغ بالك لأمر الآخرة وفي معناه قول الناس من كان في عمل الله كان الله في عمله وعن عروة بن الزبير أنه كان إذا رأى ما عند السلاطين قرأ ولا تمدن عينيك الآية ثم ينادي الصلاة الصلاة رحمكم الله وعن بكر بن عبد الله المزني كان إذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا أمر الله ورسوله ثم يتلو هذه الآية اقترحوا على عادتهم في التعنت آية على النبوة فقيل لهم أولم تأتكم آية هي أم الآيات وأعظمها في باب الإعجاز يعني القرآن من قبل أن القرآن برهان ما في سائر الكتب المنزلة ودليل صحته لأنه معجزة وتلك ليست بمعجزات فهي مفتقرة إلى شهادته على صحة ما فيها افتقار المحتج عليه إلى شهادة الحجة وقرئ الصحف بالتخفيف ذكر الضمير الراجع إلى البينة لأنها في معنى البرهان والدليل وقرئ نذل ونخزى على لفظ ما لم يسم فاعله كل متربص للعاقبة ولما يؤول إليه أمرنا وأمركم وقرئ السواء بمعنى الوسط والجيد المستوي والسوء والسوأى والسوي تصغير السوء وقرئ فتمتعوا فسوف تعلمون قال أبو رافع حفظته من رسول الله صلى الله عليه وآله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طه أعطي يوم القيامة ثواب المهاجرين والأنصار وقال لا يقرأ أهل الجنة من القرآن إلا طه ويس والله أعلم

سورة الأنبياء مكية وهي مائة واثنتا عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه اللام لا تخلو من أن تكون صلة لاقترب أو تأكيدا لإضافة الحساب إليهم كقولك أزف للحي رحيلهم الأصل أزف رحيل الحي ثم أزف للحي الرحيل ثم أزف للحي رحيلهم ونحوه ما أورده سيبويه في باب ما يثنى فيه المستقر توكيدا عليك زيد حريص عليك وفيك زيد راغب فيك ومنه قولهم لا أبا لك لأن اللام مؤكدة لمعنى الإضافة وهذا الوجه أغرب من الأول والمراد اقتراب الساعة وإذا اقتربت الساعة فقد اقترب ما يكون فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك ونحوه واقترب الوعد الحق فإن قلت كيف وصف بالاقتراب وقد عدت دون هذا القول أكثر من خمسمائة عام قلت هو مقترب عند الله والدليل عليه قوله عز وجل ويستعجلونك بالعذاب

وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ولأن كل آت وإن طالت أوقات استقباله وترقبه قريب وإنما البعيد
هو الذي وجد وانقرض ولأن ما بقي في الدنيا أقصر وأقل مما سلف منها بدليل انبعاث خاتم النبيين الموعود مبعثه في آخر الزمان
وقال عليه السلام بعثت في نسم الساعة. وفي خطبة بعض المتقدمين ولت الدنيا حذاء ولم تبق إلا صبابة
كصبابة الإناء وإذا كانت بقية الشيء وإن كثرت في نفسها قليلة بالإضافة إلى معظمه كانت خليقة بأن توصف
بالقلة وقصر الذرع. وعن ابن عباس أن المراد بالناس المشركون وهذا من إطلاق اسم الجنس على بعضه للدليل
القائم وهو ما يتلوه من صفات المشركين. وصفهم بالغفلة مع الإعراض على معنى أنهم غافلون عن حسابهم ساهون
لا يتفكرون في عاقبتهم ولا يتفطنون لما ترجع إليه خاتمة أمرهم مع اقتضاء عقولهم أنه لا بد من جزاء للمحسن
والمسيء وإذا قرعت لهم العصا ونبهوا عن سنة الغفلة وفطنوا لذلك بما يتلى عليهم من الآيات والنذر أعرضوا
وسدوا أسماعهم ونفروا وقرر إعراضهم عن تنبيه المنبه وإيقاظ الموقظ بأن الله يجدد لهم الذكر وقتا فوقتا
ويحدث لهم الآية بعد الآية والسورة بعد السورة ليكرر على أسماعهم التنبيه والموعظة لعلهم يتعظون
فما يزيدهم استماع الآي والسور وما فيها من فنون المواعظ والبصائر التي هي أحق الحق وأجد الجد إلا لعبا وتلهيا
واستسخارا. والذكر هو الطائفة النازلة من القرآن وقرأ ابن أبي عبلة محدث بالرفع صفة على المحل
قوله لاهية قلوبهم حال من استمعوه ومن قرأ لاهية فالحال واحدة لأن لاهية قلوبهم خبر بعد
خبر لقوله وهم واللاهية من لهى عنه إذا ذهل وغفل يعني أنهم وإن فطنوا فهم في قلة جدوى فطنتهم كأنهم
لم يفطنوا أصلا وثبتوا على رأس غفلتهم وذهولهم عن التأمل والتبصر بقلوبهم فإن قلت النجوى وهي اسم
من التناجي لا تكون إلا خفية فما معنى قوله وأسروا النجوى قلت معناه وبالغوا في إخفائها أو جعلوها
بحيث لا يفطن أحد لتناجيهم ولا يعلم أنهم متناجون. الذين ظلموا أبدل من واو وأسروا إشعارا بأنهم الموسومون
بالظلم الفاحش فيما أسروا به أو جاء على لغة من قال أكلوني البراغيث أو هو منصوب المحل على الذم أو هو مبتدأ
خبره وأسروا النجوى قدم عليه والمعنى وهؤلاء أسروا النجوى فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا على فعلهم بأنه
ظلم. هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون هذا الكلام كله في محل النصب بدلا
من النجوى أي وأسروا هذا الحديث ويجوز أن يتعلق بقالوا مضمرا اعتقدوا أن رسول الله لا يكون إلا ملكا وأن كل
من ادعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة فهو ساحر ومعجزته سحر فلذلك قالوا على سبيل الإنكار أفتحضرون السحر وأنتم
تشاهدون وتعاينون أنه سحر. فإن قلت لم أسروا هذا الحديث وبالغوا في إخفائه قلت كان ذلك
شبه التشاور فيما بينهم والتحاور في طلب الطريق إلى هدم أمره وعمل المنصوبة في التثبيط عنه وعادة المتشاورين
في خطب أن لا يشركوا أعداءهم في شوارهم ويتجاهدوا في طي سرهم عنهم ما أمكن واستطيع ومنه قول
الناس استعينوا على حوائجكم بالكتمان. ويرفع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجوز أن يسروا نجواهم بذلك ثم
يقولوا لرسول الله والمؤمنين إن كان ما تدعونه حقا فأخبرونا بما أسررنا. فإن قلت هلا قيل يعلم السر لقوله
وأسروا النجوى قلت القول عام يشمل السر والجهر فكان في العلم به العلم بالسر وزيادة فكان آكد في
بيان الاطلاع على نجواهم من أن يقول يعلم السر كما أن قوله يعلم السر آكد من أن يقول يعلم سرهم ثم بين ذلك بأنه السميع
العليم لذاته فكيف تخفى عليه خافية فإن قلت فلم ترك هذا الآكد في سورة الفرقان في قوله قل
أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض قلت ليس بواجب أن يجيء بالآكد في كل موضع ولكن يجيء بالتوكيد تارة

وبالآكد

في الآية الأخرى كما يجيء بالحسن في موضع وبالأحسن في غيره ليفتن الكلام افتنانا وتجمع الغاية وما دونها على أن
أسلوب تلك الآية خلاف أسلوب هذه من قبل أنه قدم ههنا أنهم أسروا النجوى فكأنه أراد أن يقول إن ربي يعلم
ما أسروه فوضع القول موضع ذلك للمبالغة ثم قصد وصف ذاته بأنه الذي يعلم السر في السموات والأرض فهو
كقوله علام الغيوب عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة. وقرئ قال ربي حكاية لقول رسول الله صلى
الله عليه وسلم لهم. أضربوا عن قولهم هو سحر إلى أنه تخاليط أحلام ثم إلى أنه كلام مفترى من عنده ثم إلى أنه قول
شاعر وهكذا الباطل لجلج والمبطل متحير رجاع غير ثابت على قول واحد ويجوز أن يكون تنزيلا من الله تعالى
لأقوالهم في درج الفساد وأن قولهم الثاني أفسد من الأول والثالث أفسد من الثاني وكذلك الرابع من
الثالث. صحة التشبيه في قوله كما أرسل الأولون من حيث إنه في معنى كما أتى الأولون بالآيات لأن
إرسال الرسل متضمن للإتيان بالآيات ألا ترى أنه لا فرق بين أن تقول أرسل محمد وبين قولك أتى محمد بالمعجزة
أفهم يؤمنون فيه أنهم أعتى من الذين اقترحوا على أنبيائهم الآيات وعاهدوا أنهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا
وخالفوا فأهلكهم الله فلو أعطيناهم ما يقترحون لكانوا أنكث. أمرهم أن يستعلموا أهل الذكر وهم أهل
الكتاب حتى يعلموهم أن رسل الله الموحى إليهم كانوا بشرا ولم يكونوا ملائكة كما اعتقدوا وإنما أحالهم على أولئك
لأنهم كانوا يشايعون المشركين في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ولتسمعن من الذين أوتوا
الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا فلا تكاد تتهمهم فيما هم فيه رد لرسول الله. لا يأكلون الطعام
صفة لجسدا والمعنى وما جعلنا الأنبياء قبله ذوي جسد غير طاعمين ووحد الجسد لإرادة الجنس كأنه قال ذوي
ضرب من الأجساد وهذا رد لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام فإن قلت نعم قد ورد إنكارهم أن يكون
الرسول بشرا يأكل ويشرب بما ذكرت فماذا رد من قولهم بقوله وما كانوا خالدين قلت يحتمل أن يقولوا
إنه بشر مثلنا يعيش كما نعيش ويموت كما نموت أو يقولوا هلا كان ملكا لا يطعم ويخلد إما معتقدين أن الملائكة
لا يموتون أو مسمين حياتهم المتطاولة وبقاءهم الممتد خلودا. صدقناهم الوعد مثل واختار موسى
قومه والأصل في الوعد ومن قومه ومنه صدقوهم القتال وصدقني سن بكره. ومن نشاء هم المؤمنون
ومن في بقائه مصلحة. ذكركم شرفكم وصيتكم كما قال وإنه لذكر لك ولقومك أو موعظتكم أو فيه
مكارم الأخلاق التي كنتم تطلبون بها الثناء وحسن الذكر كحسن الجوار والوفاء بالعهد وصدق الحديث
وأداء الأمانة والسخاء وما أشبه ذلك. وكم قصمنا من قرية واردة عن غضب شديد ومنادية على سخط
عظيم لأن القصم أفظع الكسر وهو الكسر الذي يبين تلاؤم الأجزاء بخلاف الفصم وأراد بالقرية أهلها
ولذلك وصفها بالظلم وقال قوما آخرين لأن المعنى أهلكنا قوما وأنشأنا قوما آخرين. وعن ابن
عباس أنها حضور وهي وسحول قريتان باليمن ينسب إليهما الثياب. وفي الحديث كفن رسول الله صلى الله
عليه وسلم في ثوبين سحوليين وروي حضوريين. بعث الله إليهم نبيا فقتلوه فسلط عليهم بخت نصر كما سلطه
الله على أهل بيت المقدس فاستأصلهم. وروي أنه لما أخذتهم السيوف نادى مناد من السماء يا لثارات
الأنبياء فندموا واعترفوا بالخطأ وذلك حين لم ينفعهم الندم وظاهر الآية على الكثرة ولعل ابن عباس
رضي الله عنه ذكر حضور بأنها إحدى القرى التي أرادها الله بهذه الآية. فلما علموا شدة عذابنا وبطشنا
علم حس ومشاهدة لم يشكوا فيها ركضوا من ديارهم والركض ضرب الدابة بالرجل ومنه قوله تعالى اركض

ويحتمل أن يكونوا ان يركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم لما أدركتهم مقدمة العذاب ويجوز أن
يشبهوا في سرعة عدوهم على أرجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم فقيل لهم لا تركضوا والقول محذوف
فإن قلت من القائل قلت يحتمل أن يكون بعض الملائكة أو من ثم من المؤمنين أو يجعلون خلقاء بأن
يقال لهم ذلك وإن لم يقل أو يقوله رب العزة ويسمعه ملائكته لينفعهم في دينهم أو يلهمهم ذلك
فيحدثوا به نفوسهم وارجعوا إلى ما أترفتم فيه من العيش الرافه والحال الناعمة والإتراف إبطار النعمة وهي
الترفه ٥ لعلكم تسألون تهكم بهم وتوبيخ أي ارجعوا إلى نعمتكم ومساكنكم لعلكم تسألون غدا عما جرى
عليكم ونزل بأموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة أو ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم
وترتبوا في مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون أمره وينفذ فيه أمركم ونهيكم ويقولوا لكم
بما تأمرون وماذا ترسمون وكيف نأتي ونذر كعادة المنعمين المخدمين أو يسألكم الناس في أنديتكم المعاون
في نوازل الخطوب ويستشيرونكم في المهمات والعوارض ويستشفون بآرائكم أو يسألكم الوافدون عليكم
والطماع ويستمطرون سحاب أكفكم ويمترون أخلاف معروفكم وأياديكم إما لأنهم كانوا أسخياء ينفقون
أموالهم رئاء الناس وطلب الثناء أو كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما إلى توبيخ ٥ تلك إشارة إلى يا ويلنا
لأنها دعوى كأنه قيل فما زالت تلك دعواهم والدعوى بمعنى الدعوة قال الله تعالى وآخر دعواهم أن
الحمد لله رب العالمين فإن قلت لم سميت دعوى قلت لأن المولول كأنه يدعو الويل فيقول تعال
يا ويل هذا وقتك وتلك مرفوع أو منصوب اسما أو خبرا وكذلك دعواهم ٥ الحصيد الزرع المحصود أي جعلناهم
مثل الحصيد شبههم به في استئصالهم واصطلامهم كما يقولون جعلناهم رمادا أي مثل الرماد والضمير المنصوب
هو الذي كان مبتدأ والمنصوبان بعد كانا خبرين له فلما دخل عليها جعل نصبها جميعا على المفعولية فإن قلت كيف
ينصب جعل ثلاثة مفاعيل قلت حكم الاثنين الآخرين حكم الواحد لأن معنى قولك جعلته حلوا حامضا
جعلته جامعا للطعمين وكذلك معنى ذلك جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود ٥ أي وما سوينا هذا
السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من أصناف الخلائق مشحونة بضروب البدائع والعجائب كما تسوي
الجبابرة سقوفهم وفرشهم وسائر زخارفهم للهو واللعب وإنما سويناها للفوائد الدينية والحكم الربانية لتكون
مطارح افتكار واعتبار واستدلال ونظر لعبادنا مع ما يتعلق لهم بها من المنافع التي لا تعد والمرافق التي لا تحصى
ثم بين أن السبب في ترك اتخاذ اللهو واللعب وانتفائه عن أفعالي هو أن الحكمة صارفة عنه وإلا فأنا قادر على اتخاذه
إن كنت فاعلا لأني على كل شيء قدير ٥ لاتخذناه من لدنا كقوله رزقا من لدنا أي من جهة قدرتنا وقيل اللهو الولد
بلغة اليمن وقيل المرأة وقيل من لدنا أي من الملائكة لا من الإنس ردا لولادة المسيح وعزير ٥ بل إضراب عن اتخاذ
اللهو واللعب وتنزيه منه لذاته كأنه قال سبحاننا أن نتخذ اللهو واللعب بل من عادتنا وموجب حكمتنا واستغنائنا
عن القبيح أن نغلب اللعب بالجد وندحض الباطل بالحق واستعار لذلك القذف والدمغ تصويرا لإبطاله وإهداره
ومحقه فجعله كأنه جرم صلب كالصخرة مثلا قذف به على جرم رخو أجوف فدمغه ثم قال ولكم
الويل مما تصفون به مما لا يجوز عليه وعلى حكمته وقرئ فيدمغه بالنصب وهو في ضعف قوله
سأترك منزلي لبني تميم وألحق بالحجاز فأستريحا ٥ وقرئ فيدمغه ٥ من عنده هم الملائكة والمراد
أنهم مكرمون منزلون لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك على طريق التمثيل والبيان لشرفهم وفضلهم على

جميع

جميع خلقه فإن قلت الاستحسار مبالغة في الحسور فكان الأبلغ في وصفهم أن ينفى عنهم أدنى الحسور قلت في الاستحسار
بيان أن ما هم فيه يوجب غاية الحسور وأقصاه وأنهم أحقاء لتلك العبادات الباهظة بأن يستحسروا فيما يفعلون أي
تسبيحهم دائم في جميع أوقاتهم لا يتخلله فترة بفراغ أو شغل آخر ٥ هذه أم المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة قد
آذنت بالإضراب عما قبلها والإنكار لما بعدها والمنكر هو اتخاذهم آلهة من الأرض ينشرون الموتى ولعمري أن
من أعظم المنكرات أن ينشر الموات ٥ فإن قلت كيف أنكر عليهم اتخاذ آلهة تنشر وما كانوا يدعون ذلك لآلهتهم
[illegible] عن هذه الدعوى وذلك أنهم كانوا مع إقرارهم لله عز وجل بأنه خالق السماوات والأرض
ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله وبأنه القادر على المقدورات كلها وعلى النشأة الأولى منكرين للبعث
ويقولون من يحيي العظام وهي رميم وكان عندهم من قبيل المحال الخارج عن قدرة القادر كالمحال [illegible]
فكيف يدعونه للجماد الذي لا يوصف بالقدرة رأسا قلت الأمر كما ذكرت ولكنهم بادعائهم لها الإلهية يلزمهم
أن يدعوا لها الإنشار لأنه لا يستحق هذا الاسم إلا القادر على كل مقدور والإنشار من جملة المقدورات وفيه باب
من التهكم بهم والتوبيخ والتجهيل وإشعار بأن ما استبعدوه من الله لا يصح استبعاده لأن الإلهية لما صحت صح معها الاقتدار
على الإبداء والإعادة ونحو قوله من الأرض قولك فلان من مكة أو من المدينة تريد مكي أو مدني ومعنى نسبتها إلى الأرض
الإيذان بأنها الأصنام التي تعبد في الأرض لأن الآلهة على ضربين أرضية وسماوية ومن ذلك حديث الأمة
التي قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أين ربك فأشارت إلى السماء فقال إنها مؤمنة لأنه فهم منها أن مرادها نفي الآلهة
الأرضية التي هي الأصنام لا إثبات السماء مكانا لله عز وجل ويجوز أن يراد آلهة من جنس الأرض لأنها إما أن تنحت من
بعض الحجارة أو تعمل من بعض جواهر الأرض فإن قلت لا بد من نكتة في قوله هم قلت النكتة فيه إفادة
معنى الخصوصية كأنه قيل أم اتخذوا آلهة لا يقدر على الإنشار إلا هم وحدهم وقرأ الحسن ينشرون وهما
لغتان أنشر الله الموتى ونشرها ٥ وصفت الآلهة بإلا كما توصف بغير لو قيل آلهة غير الله فإن قلت ما منعك
من الرفع على البدل قلت لأن لو بمنزلة إن في أن الكلام معه موجب والبدل لا يسوغ إلا في الكلام غير
الموجب كقوله تعالى ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك وذلك لأن أعم العام يصح نفيه ولا يصح إيجابه والمعنى لو كان
يتولاهما ويدبر أمرهما آلهة شتى غير الواحد الذي هو فاطرهما لفسدتا وفيه دلالة على أمرين أحدهما وجوب أن لا يكون
مدبرهما إلا واحدا والثاني أن لا يكون ذلك الواحد إلا إياه وحده لقوله إلا الله فإن قلت لم وجب الأمران
قلت لعلمنا أن الرعية تفسد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف وعن عبد
الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد الأشدق كان والله أعز علي من دم ناظري ولكن لا يجتمع فحلان في شول
وهذا ظاهر وأما طريقة التمانع فللمتكلمين فيها تجاول وطراد ولأن هذه الأفعال محتاجة إلى تلك الذات
المتميزة بتلك الصفات حتى تثبت وتستقر ٥ إذا كانت عادة الملوك والجبابرة أن لا يسألهم من في مملكتهم
عن أفعالهم وعما يوردون ويصدرون من تدبير ملكهم تهيبا وإجلالا مع جواز الخطأ والزلل وأنواع الفساد
عليهم كان ملك الملوك ورب الأرباب خالقهم ورازقهم أولى بأن لا يسأل عن أفعاله مع ما علم واستقر في العقول
من أن ما يفعله كله مفعول بدواعي الحكمة ولا يفعل القبائح وهم يسألون أي هم مملوكون مستعبدون خطاؤون
فما أخلقهم بأن يقال لهم لم فعلتم في كل شيء فعلوه ٥ واستعظاما لكفرهم أي وصفتم الله تعالى بأن له شريكا فهاتوا
برهانكم على ذلك إما من جهة العقل وإما من جهة الوحي فإنكم لا تجدون كتابا من كتب الأولين إلا وتوحيد الله
وتنزيهه عن الأنداد مدعو إليه والإشراك به منهي عنه متوعد عليه أي هذا الوحي الوارد في معنى توحيد الله

ونفي الشركاء عنه كما ورد علي ورد على جميع الأنبياء فهو ذكر أي عظة للذين معي يعني أمته وذكر للذين من قبلي يريد أمم الأنبياء
وقرئ ذكر من معي وذكر من قبلي بالتنوين ومن مفعول منصوب بالذكر كقوله أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيما
وهو الأصل والإضافة من إضافة المصدر إلى المفعول كقوله غلبت الروم وهم من بعد غلبهم سيغلبون ٥ وقرئ
من معي ومن قبلي على من الإضافية وإدخال الجار على مع غريب والعذر فيه أنه اسم هو ظرف نحو قبل وبعد وعند
ولدن وما أشبه ذلك فدخل عليه من كما يدخل على أخواته وقرئ ذكر معي وذكر قبلي كأنه قيل بل
عندهم ما هو أصل الشر والفساد كله وهو الجهل وفقد العلم وعدم التمييز بين الحق والباطل فمن ثم جاء هذا
الإعراض ومن هناك ورد هذا الإنكار وقرئ الحق بالرفع على توسيط التوكيد بين السبب والمسبب والمعنى أن
إعراضهم بسبب الجهل هو الحق لا الباطل ويجوز أن يكون المنصوب أيضا على هذا المعنى كما تقول هذا عبد الله
الحق لا الباطل يوحى ونوحي مشهورتان وهذه الآية مقررة لما سبقها من آي التوحيد ٥ نزلت في خزاعة
حيث قالوا الملائكة بنات الله فنزه ذاته عن ذلك ثم أخبر عنهم بأنهم عباد والعبودية تنافي الولادة إلا أنهم مكرمون
مقربون عندي مفضلون على سائر العباد لما هم عليه من أحوال وصفات ليست لغيرهم فذلك هو الذي غر منهم من زعم
أنهم أولادي تعاليت عن ذلك علوا كبيرا وقرئ مكرمون ولا يسبقونه بالضم من سابقته فسبقته أسبقه
والمعنى أنهم يتبعون قوله ولا يقولون شيئا حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله والمراد بقولهم فأنيب اللام مناب الإضافة
أي لا يتقدمون قوله بقولهم كما تقول سبقت بفرسي فرسه وكما أن قولهم تابع لقوله فعملهم أيضا كذلك مبني على
أمره لا يعملون عملا ما لم يؤمروا به وجميع ما يأتون ويذرون مما قدموا وأخروا بعين الله وهو مجازيهم عليه فلإحاطتهم
بذلك يضبطون أنفسهم ويراعون أحوالهم ويعمرون أوقاتهم ومن تحفظهم أنهم لا يجسرون أن يشفعوا إلا
لمن ارتضاه الله وأهله للشفاعة في ازدياد الثواب والتعظيم ثم أنهم مع هذا كله من خشية الله مشفقون أي متوقعون
من أمارة ضعيفة كائنون على حذر ورقبة لا يأمنون مكر الله ٥ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى
جبريل ليلة المعراج ساقطا كالحلس من خشية الله ٥ وبعد أن وصف كرامتهم عليه وقرب منزلتهم عنده وأثنى
عليهم وأضاف إليهم تلك الأفعال السنية والأعمال المرضية فاجأ بالوعيد الشديد وأنذر بعذاب جهنم من أشرك
منهم إن كان ذلك على سبيل الفرض والتمثيل مع إحاطة علمه بأنه لا يكون كما قال ولو أشركوا لحبط عنهم
ما كانوا يعملون قصد بذلك تفظيع أمر الشرك وتعظيم شأن التوحيد ٥ قرئ ألم ير بغير واو ورتقا بفتح
التاء وكلاهما في معنى المفعول كالخلق والنقض أي كانتا مرتوقتين فإن قلت الرتق صالح أن يقع موقع
مرتوقتين لأنه مصدر فما بال الرتق قلت هو على تقدير موصوف أي كانتا شيئا رتقا ومعنى ذلك
أن السماء كانت لاصقة بالأرض لا فضاء بينهما أو كانت السماوات متلاصقات وكذلك الأرضون لا فرج بينها
ففتقها الله وفرج بينها وقيل ففتقناها بالمطر والنبات بعد ما كانت مصمتة وإنما قيل كانتا دون كن لأن
المراد جماعة السماوات وجماعة الأرض ونحوه قولهم لقاحان سوداوان أي جماعتان فعل في المضمر
نحو ما فعل في المظهر فإن قلت متى رأوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك قلت فيه وجهان أحدهما أنه
وارد في القرآن الذي هو معجزة في نفسه فقام مقام المرئي المشاهد والثاني أن تلاصق الأرض والسماء
وتباينهما كلاهما جائز في العقل فلا بد للتباين دون التلاصق من مخصص وهو القديم سبحانه وجعلنا
لا يخلو أن يتعدى إلى واحد أو اثنين فإن تعدى إلى واحد فالمعنى خلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق

كل

كل دابة من ماء أو كأنما خلقناه من الماء لفرط احتياجه إليه وحبه له وقلة صبره عنه كقوله خلق الإنسان
من عجل وإن تعدى إلى اثنين فالمعنى صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لا بد له منه ومن هذا نحو من في
قوله عليه السلام ما أنا من دد ولا الدد مني وقرئ حيا وهو المفعول الثاني والظرف لغو ٥ أي كراهة
أن تميد بهم وتضطرب أو لأن لا تميد بهم فحذف لا واللام وإنما جاز حذف لا لعدم الالتباس كما تزاد لذلك
نحو قوله تعالى لئلا يعلم أهل الكتاب وهذا مذهب الكوفيين ٥ الفج الطريق الواسع فإن قلت في
الفجاج معنى الوصف فما لها قدمت على السبل ولم تؤخر كما في قوله تعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا قلت لم
تقدم وهي صفة ولكن جعلت حالا كقوله لعزة موحشا طلل قديم فإن قلت ما الفرق بينهما
من جهة المعنى قلت في أحدهما إعلام بأنه جعل فيها طرقا واسعة والثاني بأنه حين خلقها خلقها على تلك
الصفة فهو بيان لما أبهم ثم محفوظا حفظه بالإمساك بقدرته من أن تقع على الأرض وتتزلزل أو بالشهب عن تسمع
الشياطين على سكانها من الملائكة عن آياتها أي عما وضع الله فيها من الأدلة والعبر بالشمس والقمر وسائر النيرات
ومسايرها وطلوعها وغروبها على الحساب القويم والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة
وأي جهل أعظم من جهل من أعرض عنها ولم يذهب به وهمه إلى تدبرها والاعتبار بها والاستدلال على عظم
شأن من أوجدها عن عدم ودبرها ونصبها هذه النصبة وأودعها ما أودعها مما لا يعرف كنهه إلا هو عزت
قدرته ولطف علمه وقرئ عن آيتها على التوحيد اكتفاء بالواحدة في الدلالة على الجنس أي هم متفطنون
لما يرد عليهم من السماء من المنافع الدنيوية كالاستضاءة بقمريها والاهتداء بكواكبها وحياة الأرض والحيوان
بأمطارها وهم عن كونها آية بينة على الخالق معرضون ٥ كل التنوين فيه عوض من المضاف إليه أي كلهم
في فلك يسبحون والضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع كل يوم وليلة جعلوها متكاثرة
لتكاثر مطالعها وهو السبب في جمعها بالشموس والأقمار وإلا فالشمس واحدة والقمر واحد وإنما جعل الضمير
واو العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة فإن قلت الجملة ما محلها قلت محلها النصب على الحال من
الشمس والقمر فإن قلت كيف استبد بهما دون الليل والنهار بنصب الحال عنهما قلت كما تقول رأيت
زيدا وهندا متبرجة ونحو ذلك إذا جئت بصفة يختص بها بعض ما تعلق به العامل ومنه قوله تعالى في
هذه السورة ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة أو لا محل لها لاستئنافها فإن قلت لكل واحد من القمرين
فلك على حدة فكيف قيل جميعهم يسبحون في فلك قلت هذا كقولهم كساهم الأمير حلة وقلدهم
سيفا أي كل واحد منهم أو كساهم وقلدهم هذين الجنسين فاكتفى بما يدل على الجنس اختصارا ولأن الغرض
الدلالة على الجنس ٥ كانوا يقدرون أنه سيموت فيشمتون بموته فنفى الله عنه الشماتة بهذا أي قضى
الله أن لا يخلد في الدنيا بشرا فلا أنت ولا هم إلا عرضة للموت فإذا كان الأمر كذلك فإن مت أنت أيبقى
هؤلاء وفي معناه قول القائل فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا
أي نختبركم بما يجب فيه الصبر من البلايا وبما يجب فيه الشكر من النعم وإلينا مرجعكم فنجازيكم على حسب ما
يوجد منكم من الصبر والشكر وإنما سمي ذلك ابتلاء وهو عالم بما سيكون من أعمال العاملين قبل وجودهم
لأنه في صورة الاختبار وفتنة مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه ٥ الذكر يكون بخير وبخلافه فإذا
دلت الحال على أحدهما أطلق ولم يقيد كقولك للرجل سمعت فلانا يذكرك فإن كان الذاكر صديقا فهو ثناء وإن

كان عدوا قدم ومنه قوله تعالى يسمعنا فتى يذكرهم وقوله اهذا الذي يذكر الهتكم والمعنى انهم عاكفون
بهممهم على ذكر الهتهم ويحبون ان لا يذكرها احد الا بخير وان يذكرها ذاكر بخلاف
ذلك ولما ذكر الله وما يجب ان يذكر به من الوحدانية فهم به كافرون لا يصدقون به اصلا فهم احق بان
يتخذوا هزوا منك فانك محق وهم مبطلون وقيل معنى بذكر الرحمن قولهم ما نعرف الرحمن الا مسيلمة
وقولهم وما الرحمن انسجد لما تامرنا وقيل بذكر الرحمن بما انزل عليك من القرآن والجملة في موضع الحال اي
يتخذونك هزوا وهم على حال هي اصل الهزء والسخرية وهي الكفر بالله ۞ كانوا يستعجلون عذاب الله وآياته الملجئة
الى العلم والاقرار ويقولون متى هذا الوعد فاراد نهيهم عن الاستعجال وزجرهم فقدم اولا ذم الانسان
على افراط العجلة وانه مطبوع عليها ثم نهاهم وزجرهم كانه قال ليس ببدع منكم ان تستعجلوا فانكم مجبولون على
ذلك وهو طبعكم وسجيتكم ۞ وعن ابن عباس انه اراد ادم وانه حين بلغ الروح صدره ولم يتبالغ فيه اراد ان يقوم
وروي لما دخل الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى الطعام وقيل خلقه الله في اخر النهار
يوم الجمعة قبل غروب الشمس فاسرع في خلقه قبل مغيبها ۞ وعن ابن عباس انها النضر بن الحارث والظاهر ان المراد
الجنس وقيل العجل الطين بلغة حمير قال شاعرهم والنخل ينبت بين الماء والعجل والله اعلم
بصحته فان قلت لم نهاهم عن الاستعجال مع قوله خلق الانسان من عجل وقوله وكان الانسان عجولا
اليس هذا من تكليف ما لا يطاق قلت هذا كما ركب فيه الشهوة وامره ان يغلبها لانه اعطاه القدرة التي
يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة وقرئ خلق الانسان ۞ جواب لو محذوف وحين مفعول به ليعلم
اي لو يعلمون الوقت الذي يستعلمون عنه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت صعب شديد تحيط بهم فيه النار
من وراء وقدام فلا يقدرون على دفعها ومنعها من انفسهم ولا يجدون ناصرا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من
الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذي هونه عندهم ويجوز ان يكون يعلم متروكا بلا تعدية
بمعنى لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين لما كانوا مستعجلين وحين منصوب بمضمر اي حين لا يكفون عن
وجوههم النار يعلمون انهم كانوا على الباطل وينتفي عنهم هذا الجهل العظيم لا يكفونها بل تفجأهم
فتغلبهم ۞ يقال للمغلوب في المحاجة مبهوت ومنه فبهت الذي كفر اي غلب ابراهيم الكافر ۞
وقرأ الاعمش بل يأتيهم فيبهتهم على التذكير والضمير للوعد او للحين فان قلت فالام يرجع
الضمير المؤنث في هذه القراءة قلت الى النار او الى الوعد لانه في معنى النار او الى البغتة وقيل
في القراءة الاولى الضمير للساعة وقرأ الاعمش بغتة بفتح الغين ولا هم ينظرون تذكير بانظاره
اياهم وامهاله وتفسيح وقت التذكر عليهم اي لا يمهلون بعد طول الامهال ۞ سلى رسوله صلى الله
عليه وسلم عن استهزائهم به بان له في الانبياء عليهم السلام اسوة وان ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق
بالمستهزئين بالانبياء ما فعلوا من الرحمن اي من باسه وعذابه بل هم معرضون عن ذكره ولا يخطرونه ببالهم فضلا
ان يخافوا باسه حتى اذا رزقوا الكلاءة منه عرفوا من الكالي وصلحوا للسؤال عنه والمراد انه امر رسوله
بسؤالهم عن الكالي ثم بين انهم لا يصلحون لذلك لاعراضهم عن ذكر من يكلؤهم ثم اضرب عن ذلك بما
في ام من معنى بل وقال ام لهم الهة تمنعهم من العذاب تجاوز منعنا وحفظنا ثم استانف فبين
ان ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب من الله بالنصر والتابيد كيف يمنع غيره وينصره ثم قال بل

ما هم فيه من الحفظ والكلاءة انما هو منا لا من مانع يمنعهم من اهلاكنا وما كلاناهم وآباءهم الماضين الا تمتيعا
لهم بالحياة الدنيا وامهالا كما متعنا غيرهم من الكفار وامهلناهم حتى طال عليهم الامد وامتدت
ايام الروح والطمانينة فحسبوا ان لا يزالوا على ذلك لا يغلبون ولا ينزع عنهم ثوب امنهم واستمتاعهم
وذلك طمع فارغ وامل كاذب افلا يرون انا ننقص ارض الكفر ودار الحرب ونحذف اطرافها بتسليط المسلمين
عليها واظهارهم على اهلها وردها دار اسلام فان قلت اي فائدة في قوله نأتي الارض قلت
الفائدة فيه تصوير ما كان الله يجريه على ايدي المسلمين وان عساكرهم وسراياهم كانت تغزو ارض المشركين
وتأتيها غالبة عليها ناقصة من اطرافها ۞ قرئ ولا تسمع الصم ولا يسمع الصم بالتاء والياء اي لا تسمع انت
او لا يسمع رسول الله او لا يسمع الصم من اسمع فان قلت الصم لا يسمعون دعاء المبشر كما لا يسمعون
دعاء المنذر فكيف قيل اذا ما ينذرون قلت اللام في الصم اشارة الى هؤلاء المنذرين كائنة للعهد
لا للجنس والاصل ولا يسمعون اذا ما ينذرون فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامهم وسدهم اسماعهم
اذا انذروا اي هم على هذه الصفة من الجراءة والجسارة على التصام عن ايات الانذار ولئن مستهم من هذا الذي
ينذرون به ادنى شيء لاذعنوا وذلوا واقروا بانهم ظلموا انفسهم حين تصاموا واعرضوا وفي المس والنفحة
ثلث مبالغات لان النفح في معنى القلة والنزارة يقال نفحته الدابة وهو رمح يسير ونفحه بعطية رضخه ولبناء المرة
وصفت الموازين بالقسط وهو العدل مبالغة كانها في انفسها قسط او على حذف المضاف اي ذوات القسط
واللام في ليوم القيامة مثلها في قولك جئته لخمس ليال خلون من الشهر ومنه بيت النابغة
توهمت ايات لها فعرفتها لستة اعوام وذا العام سابع ۞ وقيل لاهل يوم القيامة اي لاجلهم
فان قلت ما المراد بوضع الموازين قلت فيه قولان احدهما ارصاد الحساب السوي والجزاء على
حسب الاعمال بالعدل والنصفة من غير ان يظلم عباده مثقال ذرة فمثل ذلك بوضع الموازين لتوزن
بها الموزونات ۞ والثاني انه يضع الموازين الحقيقية ويزن بها الاعمال عن الحسن هو ميزان له كفتان
ولسان ۞ ويروى ان داود عليه السلام سال ربه ان يريه الميزان فلما راه غشي عليه ثم افاق فقال يا
الهي من الذي يقدر ان يملا كفته حسنات فقال يا داود اني اذا رضيت عن عبدي ملاتها بتمرة ۞
فان قلت كيف توزن الاعمال وانما هي اعراض قلت فيه قولان احدهما توزن صحائف الاعمال والثاني
تجعل في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفي كفة السيئات جواهر سود مظلمة وقرئ مثقال حبة
على كان التامة كقوله وان كان ذو عسرة وقرأ ابن عباس ومجاهد آتينا بها وهي مفاعلة من الاتيان بمعنى المجازاة
والمكافاة لانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء وقرأ حميد اثبنا بها من الثواب وفي حرف ابي
جئنا بها وانث الضمير والمثقال لاضافته الى الحبة كقولهم ذهبت بعض اصابعه ۞ اي اتيناهما الفرقان وهو
التوراة واتينا به ضياء وذكرا للمتقين والمعنى انه في نفسه ضياء وذكر او اتيناهما بما فيه من الشرائع والمواعظ
ضياء وذكرا ۞ وعن ابن عباس الفرقان الفتح كقوله يوم الفرقان وعن الضحاك فلق البحر ۞ وعن محمد بن
كعب المخرج من الشبهات ۞ وقرأ ابن عباس ضياء بغير واو وهو حال عن الفرقان والذكر الموعظة او ذكر
ما يحتاجون اليه في دينهم ومصالحهم او الشرف ۞ ذكر مبارك هو القرآن وبركته كثرة منافعه
وغزارة خيره ۞ الرشد الاهتداء لوجوه الصلاح قال الله تعالى فان انستم منهم رشدا فادفعوا

اليهم اموالهم وقرئ رشده والرشد والرشد كالعدم والعدم ومعنى اضافته اليه انه رشد مثله وان له رشدا له
شأن ۞ من قبل من قبل موسى وهرون ومعنى علمه به انه علم منه احوالا بديعة واسرارا عجيبة وصفات
قد رضيها واحمد ما حتى اهله لمخالته ومخالصته وهذا كقولك في خير من الناس انا عالم بفلان فكلامك
هذا من الاحتواء على محاسن الاوصاف بمنزل ۞ اذ اما ان يتعلق باتينا او برشده او بمحذوف اي اذكر من اوقات
رشده هذا الوقت ۞ قوله ما هذه التماثيل تجاهل لهم وتغابي ليحقر الهتهم ويصغر شانها مع علمه
بتعظيمهم واجلالهم لها لم ينو للعاكفين مفعولا واجراه مجرى ما لا يتعدى كقولك فاعلون العكوف لها او واقفون
لها فان قلت هلا قيل عليها عاكفون كقوله يعكفون على اصنام لهم قلت لو قصد التعدية لعداه
بصلته التي هي على ۞ ما اقبح التقليد والقول المتقبل بغير برهان وما اعظم كيد الشيطان للمقلدين
حين استدرجهم الى ان قلدوا اباءهم في عبادة التماثيل وعفروا لها جباههم وهم معتقدون انهم على شيء وجادون
في نصرة مذهبهم ومجادلون لاهل الحق عن باطلهم وكفى اهل التقليد سبة ان عبدة الاصنام منهم انتم
من التاكيد الذي لا يصح الكلام مع الاخلال به لان العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل ممتنع ونحوه اسكن
انت وزوجك الجنة اراد ان المقلدين جميعا منخرطون في سلك ضلال لا يخفى على من به ادنى مسكة لاسناد الفريقين
حالا غير دليل بل الى هوى متبع وشيطان مطاع لاستبعادهم ان يكون ما هم عليه ضلالا بقوا متعجبين من تضليله
اياهم وحسبوا ان ما قاله انما قاله على وجه المزاح والمداعبة لا على طريق الجد فقالوا له هذا الذي جئتنا به اهو جد وحق ام
لعب وهزل ۞ الضمير في فطرهن للسموات والارض او للتماثيل وكونه للتماثيل ادخل في تضليلهم واثبت
للاحتجاج عليهم وشهادته على ذلك ادلاؤه بالحجة عليه وتصحيحه بها كما تصحح الدعوى بالشهادة كانه قال وانا ابين
ذلك وابرهن عليه كما تبين الدعاوى بالبينات لاني لست مثلكم فاقول ما لا اقدر على اثباته بالحجة كما لم تقدروا
على الاحتجاج لمذهبكم ولم تزيدوا على انكم وجدتم عليه اباءكم ۞ قرأ معاذ بن جبل بالله وقرئ تولوا بمعنى
تتولوا ويقويها قوله فتولوا عنه مدبرين فان قلت ما الفرق بين التاء والباء قلت ان الباء هي الاصل
والتاء بدل من الواو المبدلة منها وان التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب كانه تعجب من تسهل الكيد على يده وتاتيه
لان ذلك كان امرا مقنوطا منه لصعوبته وتعذره ولعمري ان مثله صعب متعذر في كل زمان خصوصا في زمن نمرود
مع عتوه واستكباره وقوة سلطانه وتهالكه على نصرة دينه ولكن اذا الله سنى عقدا شي روي ان آزر خرج
به في يوم عيد لهم فبدأوا ببيت الاصنام فدخلوه وسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا الى ان
نرجع بركت الالهة على طعامنا فذهبوا وبقي ابرهيم فنظر الى الاصنام وكانت سبعين صنما مصطفة وثم صنم عظيم
مستقبل الباب وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسرها كلها بفاس في يده حتى لم يبق الا
الكبير علق الفاس في عنقه ۞ عن قتادة قال ذلك سرا من قومه ۞ وروي سمعه رجل واحد جذاذا قطاعا
من الجذ وهو القطع وقرئ بالكسر والفتح وقرئ جذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة وانما استبقى الكبير
لانه غلب في ظنه انهم لا يرجعون الا اليه لما تسامعوه من انكاره لدينهم وسبه لالهتهم فيبكتهم بما اجاب
به من قوله بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم وعن الكلبي اليه الى كبيرهم ومعنى هذا لعلهم يرجعون اليه كما يرجع
الى العالم في حل المشكلات فيقولون ما لهؤلاء مكسورة وما لك صحيحا والفاس على عاتقك قال هذا بناء على ظنه بهم
لما جرب وذاق من مكابرتهم لعقولهم واعتقادهم في الهتهم وتعظيمهم لها او قاله مع علمه انهم لا يرجعون اليه

واستهزاء بهم وان قياس حال من يسجد له ويؤهله للعبادة ان يرجع اليه في حل المشكل فان قلت فاذا رجعوا الى
الصنم بمكابرتهم لعقولهم ورسوخ الاشراك في اعراقهم فاي فائدة دينية في رجوعهم اليه حتى يجعله ابرهيم
صلوات الله عليه غرضا قلت اذا رجعوا اليه تبين لهم انه عاجز لا ينفع ولا يضر وظهر انهم في عبادتهم على
جهل عظيم ۞ اي ان فعل هذا الكسر والحطم لشديد الظلم معدود في الظلمة اما لجراته على الالهة الحقيقة
عندهم بالتوقير والاعظام واما لانهم راوا افراطا في حطمها وتماديا في الاستهانة بها فان قلت ما
حكم الفعلين بعد سمعنا فتى واي فرق بينهما قلت هما صفتان لفتى الا ان الاول وهو يذكرهم لا بد منه
لسمع لانك لا تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيئا مما يسمع واما الثاني فليس كذلك فان قلت ابرهيم
ما هو قلت قيل هو خبر مبتدا محذوف او منادى والصحيح انه فاعل يقال لان المراد الاسم لا المسمى ۞
على اعين الناس في محل الحال بمعنى معاينا مشاهدا اي بمراى منهم ومنظر فان قلت فما معنى الاستعلاء في
على قلت هو وارد على طريق المثل اي يثبت اتيانه في الاعين ويتمكن ثبات الراكب على المركوب وتمكنه منه
لعلهم يشهدون عليه بما سمع منه وبما فعله او يحضرون عقوبتنا له ۞ روي ان الخبر بلغ نمرود واشراف قومه فامروا
باحضاره ۞ هذا من معاريض الكلام ولطائف هذا النوع لا يتغلغل فيها الا الاذهان الراضة من علماء المعاني والقول
فيه ان قصد ابرهيم صلوات الله عليه لم يكن الى ان ينسب الفعل الصادر عنه الى الصنم وانما قصد تقريره لنفسه
واثباته لها على اسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من الزامهم الحجة وتبكيتهم وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت
كتابا بخط رشيق وانت شهير بحسن الخط اانت كتبت هذا وصاحبك امي لا يحسن الخط ولا يقدر الا على خربشة فاسد فقلت
له بل كتبته انت كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لا نفيه عنك واثباته للامي او المخربش لان اثباته
والامر دائر بينكما للعاجز منكما استهزاء به واثبات للقادر ۞ ولقائل ان يقول غاظته تلك الاصنام حين ابصرها
مصطفة مرتبة وكان غيظ كبيرها اكبر واشد لما راى من زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه لانه هو الذي
تسبب لاستهانته بها وحطمه لها والفعل كما يسند الى مباشره يسند الى الحامل عليه ويجوز ان يكون حكاية لما
يقود الى تجويزه مذهبهم كانه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على
هذا واشد منه ۞ ويحكى انه قال فعله كبيرهم هذا غضب ان تعبد معه هذه الصغار وهو اكبر منها وقرأ محمد
ابن السميفع فعله كبيرهم يعني فلعله اي فلعل الفاعل كبيرهم فلما القمهم الحجر واخذ بمخانقهم رجعوا الى انفسهم
فقالوا انتم الظالمون على الحقيقة لا من ظلمتموه حين قلتم من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين نكسه قلبه فجعل
اسفله اعلاه وانتكس انقلب اي استقاموا حين رجعوا الى انفسهم وجاءوا بالفكرة الصالحة ثم انتكسوا وانقلبوا عن تلك الحالة
فاخذوا في المجادلة بالباطل والمكابرة وان هؤلاء مع تقاصر حالها عن حال الحيوان الناطق الهة معبودة مضادة منهم
وانتكسوا عن كونهم مجادلين لابرهيم مجادلين عنه حين نفوا عنها القدرة على النطق او قلبوا على رؤوسهم حقيقة لفرط
اطراقهم خجلا وانكسارا وانخزالا مما بهتهم به ابرهيم فما احاروا جوابا الا ما هو حجة عليهم وقرئ نكسوا بالتشديد
ونكسوا على لفظ ما سمي فاعله اي نكسوا انفسهم على رؤوسهم قرأ ابن رضوان بن عبد المعبود اف صوت اذا صوت
به علم ان صاحبه متضجر اضجره ما راى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق وزهوق الباطل
فتافف بهم واللام لبيان المتافف اي لكم ولالهتكم هذا التافف اجمعوا رايهم لما غلبوا باهلاكه وهكذا
المبطل اذا قرعت شبهته بالحجة وافتضح لم يكن احد ابغض اليه من المحق ولم يبق له مفزع الا مناصبته كما فعلت قريش

برسول الله صلى الله عليه وسلم حين عجز عن المعارضة والذي أشار بإحراقه نمرود لعنه الله ٥ عن ابن عمر رضي الله
عنه رجل من أعراب العجم يريد الأكراد ٥ وروي أنهم حين هموا بإحراقه حبسوه ثم بنوا بيتا كالحظيرة بكوثى
وجمعوا شهرا أصناف الخشب الصلاب حتى إن كانت المرأة لتمرض فتقول لئن عافاني الله لأجمعن حطبا لإبراهيم
ثم أشعلوا نارا عظيمة كادت الطير تحترق في الجو من وهجها ثم وضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا فرموا به
فيها فناداها جبريل عليه السلام يا نار كوني بردا وسلاما ٥ ويحكى ما أحرقت منه إلا وثاقه وقال له جبريل
حين رمي به هل لك حاجة فقال أما إليك فلا قال فسل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي وعن ابن
عباس إنما نجا بقوله حسبي الله ونعم الوكيل واطلع عليه نمرود من الصرح فإذا هو في روضة ومعه جليس له من
الملائكة فقال إني مقرب إلى إلهك فذبح أربعة آلاف بقرة وكف عن إبراهيم وكان إبراهيم إذ ذاك ابن ست
عشرة سنة واختاروا المعاقبة بالنار لأنها أهول ما يعاقب به وأفظعه ولذلك جاء لا يعذب بالنار إلا خالقها
ومن ثم قالوا إن كنتم فاعلين أي إن كنتم ناصرين آلهتكم نصرا مؤزرا فاختاروا له أهول المعاقبات وهي الإحراق
بالنار وإلا فرطتم في نصرتها ولهذا عظموا النار وتكلفوا في تشهير أمرها وتفخيم شأنها ولم يألوا جهدا في
ذلك ٥ جعلت النار لمطاوعتها فعل الله وإرادته كمأمور أمر بشيء فامتثله والمعنى ذات برد وسلام فبولغ
في ذلك كأن ذاتها برد وسلام والمراد ابردي فيسلم منك إبراهيم وأبردي بردا غير ضار ٥ وعن ابن عباس لو لم
يقل ذلك لأهلكته بردها فإن قلت كيف بردت النار وهي نار قلت نزع الله عنها طبعها الذي
طبعها عليه من الحر والإحراق وأبقاها على الإضاءة والإشراق والاشتعال كما كانت والله على كل شيء قدير ٥
ويجوز أن يدفع بقدرته عن جسم إبراهيم أذى حرها ويذيقه فيها عكس ذلك كما يفعل بخزنة جهنم ويدل عليه
قوله على إبراهيم وأرادوا أن يكيدوه ويمكروا به فما كانوا إلا مغلوبين مقهورين غالبوه بالجدال فغلبه
الله ولقنه المبكت وفزعوا إلى القوة والجبروت فنصره الله وقواه ٥ نجيا من العراق إلى الشام وبركاته الواصلة
إلى العالمين أن أكثر الأنبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم وآثارهم الدينية وهي البركات الحقيقية
وقيل بارك الله فيه بكثرة الماء والشجر والثمر والخصب وطيب عيش الغني والفقير ٥ وعن سفيان أنه خرج
إلى الشام فقيل له إلى أين فقال إلى بلد يملأ فيه الجراب بدرهم وقيل ما من ماء عذب إلا وينبع أصله
من تحت الصخرة التي ببيت المقدس روي أنه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة
النافلة ولد الولد وقيل سأل إسحق فأعطيه وأعطي يعقوب نافلة أي زيادة وفضلا من غير سؤال يهدون
بأمرنا فيه أن من صلح ليكون قدوة في دين الله فالهداية محتومة عليه مأمور هو بها من جهة الله ليس له
أن يخل بها ويتثاقل عنها وأول ذلك أن يهتدي بنفسه لأن الانتفاع بهداه أعم والنفوس إلى الاقتداء بالمهدي
أميل فعل الخيرات أصله أن تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات وكذلك إقام الصلاة وإيتاء الزكوة
حكما حكمة وهو ما يجب فعله أو فصلا بين الخصوم وقيل هو النبوة ٥ والقرية سدوم أي في أهل رحمتنا
أو في الجنة ومنه الحديث هذه رحمتي أرحم بك من أشاء ٥ من قبل من قبل هؤلاء المذكورين ٥ هو نصر
الذي مطاوعه انتصر وسمعت هذليا يدعو على سارق اللهم انصرهم منه أي اجعلهم منتصرين منه ٥
والكرب الطوفان وما كان فيه من تكذيب قومه أي واذكرهما وإذ بدل منهما والنفش الانتشار بالليل وجمع
الضمير لأنه أرادهما والمتحاكمين إليهما وقرئ لحكمهما والضمير في ففهمناها للحكومة أو الفتوى وقرئ

فأفهمنا

فأفهمناها حكم داود أن الغنم لصاحب الحرث فقال سليمن وهو ابن إحدى عشرة سنة غير هذا أرفق بالفريقين
فعزم عليه ليحكمن فقال أرى أن تدفع الغنم إلى أهل الحرث ينتفعون بألبانها وأولادها وأصوافها
والحرث إلى أرباب الشاء يقومون عليه حتى يعود كهيئته يوم أفسد ثم يترادان فقال القضاء ما قضيت
وأمضى الحكم بذلك فإن قلت أحكما بوحي أم باجتهاد قلت حكما جميعا بالوحي إلا أن
حكومة داود نسخت بحكومة سليمن وقيل اجتهدا جميعا فجاء اجتهاد سليمن أشبه بالصواب فإن قلت ما
وجه كل واحدة من الحكومتين قلت أما وجه حكومة داود فلأن الضرر وقع بالغنم فسلمت بجنايتها إلى
المجني عليه كما قال أبو حنيفة في العبد إذا جنى على النفس يدفعه المولى بذلك أو يفديه ٥ وعند
الشافعي يبيعه في ذلك أو يفديه ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان في الحرث ٥ ووجه حكومة سليمن
أنه جعل الانتفاع بالغنم بإزاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير أن يزول ملك المالك عن الغنم وأوجب على صاحب
الغنم أن يعمل في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان مثاله ما قال أصحاب الشافعي فيمن غصب عبدا فأبق من يده
أنه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بإزاء ما فوته الغاصب من منافع العبد فإذا ظهر تراد فإن قلت فلو
وقعت هذه الواقعة في شريعتنا ما حكمها قلت أبو حنيفة وأصحابه لا يرون فيه ضمانا بالليل أو بالنهار
إلا أن يكون مع البهيمة سائق أو قائد والشافعي يوجب الضمان بالليل وفي قوله ففهمناها سليمن دليل على أن
الأصوب كان مع سليمن وفي قوله وكلا آتينا حكما وعلما دليل على أنهما كانا جميعا على الصواب يسبحن
حال بمعنى مسبحات أو استئناف كأن قائلا قال كيف سخرهن فقال يسبحن والطير إما معطوف على الجبال أو
مفعول معه فإن قلت لم قدمت الجبال على الطير قلت لأن تسخيرها وتسبيحها أعجب وأدل على القدرة
وأدخل في الإعجاز لأنها جماد والطير حيوان ناطق ٥ روي أنه كان يمر بالجبال مسبحا وهي تجاوبه وقيل كانت
تسير معه حيث سار فإن قلت كيف تنطق الجبال وتسبح قلت بأن يخلق الله فيها الكلام كما خلقه في الشجرة
حين كلم موسى وجواب آخر وهو أن يسبح من رآها تسير بتسيير الله فلما حملت على التسبيح وصفت به ٥
وكنا فاعلين أي قادرين على أن نفعل هذا وإن كان عجبا عندكم وقيل وكنا نفعل مثله بالأنبياء ٥
اللبوس اللباس قال البس لكل حالة لبوسها والمراد الدروع قال قتادة كانت صفائح فأول
من سردها وحلقها داود فجمعت الخفة والتحصين لنحصنكم قرئ بالنون والتاء والياء وتخفيف الصاد
وتشديدها فالنون لله عز وجل والتاء للصنعة أو للبوس على تأويل الدرع والياء لداود وللبوس ٥ قرئ
الريح والرياح بالرفع والنصب فيهما على الابتداء والنصب للعطف على الجبال فإن قلت وصفت هذه
الرياح بالعصف تارة وبالرخاوة أخرى فما التوفيق بينهما قلت كانت في نفسها رخية طيبة كالنسيم
فإذا مرت بكرسيه أبعدت به في مدة يسيرة على ما قال غدوها شهر ورواحها شهر فكان جمعها بين الأمرين أن
تكون رخاء في نفسها وعاصفة في عملها مع طاعتها لسليمن وهبوبها على حسب ما يريد ويحتكم آية إلى آية ومعجزة
إلى معجزة وقيل كانت في وقت رخاء وفي وقت عاصفة لهبوبها على حكم إرادته ٥ وقد أحاط علمنا
بكل شيء فنجري الأشياء كلها على ما يقتضيه علمنا وحكمتنا أي يغوصون له في البحار فيستخرجون الجواهر
ويتجاوزون ذلك إلى الأعمال والمهن وبناء المدائن والقصور واختراع الصنائع العجيبة كما قال يعملون
له ما يشاء من محاريب وتماثيل ٥ والله حافظهم أن يزيغوا عن أمره أو يبدلوا أو يغيروا أو يوجد منهم فساد في الجملة

بما هم مخزونون فيه ۞ أي دعا بأني مسني وقرئ إني بالكسر على إضمار القول أو لتضمن النداء معناه والضر بالفتح الضرر
في كل شيء وبالضم الضرر في النفس من مرض وهزال فرق بين البناءين لافتراق المعنيين ۞ ألطف في السؤال حيث ذكر
نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب ۞ ويحكى أن عجوزا تعرضت لسليمان بن عبد الملك
فقالت يا أمير المؤمنين مشت جرذان بيتي على العصي فقال لها ألطفت في السؤال لا جرم لأردنها تثب وثب الفهود
وملأ بيتها حبا ۞ كان أيوب عليه السلام روميا من ولد إسحاق بن يعقوب عليهم السلام وقد استنبأه الله تعالى وبسط
عليه الدنيا وكثر أهله وماله وكان له سبعة بنين وسبع بنات وله أصناف البهائم وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة
عبد لكل عبد امرأة وولد ونخيل فابتلاه الله بذهاب ولده انهدم عليهم البيت فهلكوا وبذهاب ماله وبالمرض
في بدنه ثماني عشرة سنة ۞ وعن قتادة ثلاث عشرة وعن مقاتل سبعا وسبعة أشهر وسبع ساعات وقالت له امرأته
يوما لو دعوت الله فقال لها كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال أنا أستحي من الله أن أدعوه وما بلغت
مدة بلائي مدة رخائي فلما كشف الله عنه أحيا ولده ورزقه مثلهم ونوافل منهم وروي أن امرأته ولدت بعد
ستة وعشرين ابنا ۞ أي لرحمتنا العابدين وأنا نذكرهم بالإحسان لا ننساهم رحمة منا لأيوب وتذكرة لغيره من
العابدين ليصبروا كما صبر وأحسن إلى أيوب كما أثيب في الدنيا والآخرة ۞ قيل في ذي الكفل هو إلياس
وقيل زكريا وقيل يوشع بن نون وكأنه سمي بذلك لأنه ذو الحظ من الله والجد على الحقيقة وقيل
كان له ضعف عمل الأنبياء في زمانه وضعف ثوابهم وقيل خمسة من الأنبياء ذوو اسمين إسرائيل ويعقوب
إلياس وذو الكفل عيسى والمسيح يونس وذو النون محمد وأحمد ۞ النون الحوت فأضيف إليه ۞ برم بقومه
لطول ما ذكرهم فلم يذكروا وأقاموا على كفرهم فراغمهم وظن أن ذلك يسوغ حيث لم يفعله إلا غضبا لله وأنفة
لدينه وبغضا للكفر وأهله وكان عليه أن يصابر وينتظر الإذن من الله في المهاجرة عنهم فابتلي ببطن الحوت
ومعنى مغاضبته لقومه أنه أغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها وقرأ أبو شرف مغضبا
قرئ نقدر ونقدّر بالنون مخففا ومثقلا ويقدر بالياء بالتخفيف ويقدّر ويقدر على البناء للمفعول مخففا ومثقلا
وفسرت بالتضييق عليه وبتقدير الله عليه عقوبة ۞ وعن ابن عباس أنه دخل على معاوية فقال لقد ضربتني أمواج
القرآن البارحة فغرقت فيها فلم أجد لنفسي خلاصا إلا بك قال وما هي يا معاوية فقرأ هذه الآية وقال
أو يظن نبي الله أن لا يقدر عليه فقال هذا من القدر لا من القدرة والمخفف يصح أن يفسر بالقدرة على معنى أن
لن نعمل فيه قدرتنا وأن يكون من باب التمثيل بمعنى فكانت حالة ممثلة بحال من ظن أن لن نقدر عليه في
مراغمته قومه من غير انتظار لأمر الله ويجوز أن يسبق ذلك إلى وهمه بوسوسة الشيطان ثم يردعه ويرده بالبرهان
كما يفعل المؤمن المحقق بنزغات الشيطان وما يوسوس إليه في كل وقت ومنه قوله تعالى وتظنون بالله
الظنونا والخطاب للمؤمنين ۞ في الظلمات في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله ذهب
الله بنورهم وتركهم في ظلمات وقوله يخرجونهم من النور إلى الظلمات وقيل ظلمات بطن الحوت والبحر
والليل وقيل ابتلع حوته حوت أكبر منه فحصل في ظلمتي بطني الحوتين وظلمة البحر ۞ أي بأنه
لا إله إلا أنت أو بمعنى أي ۞ عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب له ۞
وعن الحسن ما نجاه والله إلا إقراره على نفسه بالظلم ننجي ونجّي ونجي والنون لا تدغم في الجيم ومن تمحل لصحته
فجعله فعل وقال نجي النجاء المؤمنين فأرسل الياء وأسنده إلى مصدره ونصب المؤمنين بالنجاء فمتعسف بارد التعسف ساد

ربه

ربه أن يرزقه ولدا يرثه ولا يدعه وحيدا بلا وارث ثم رد أمره إلى الله مستسلما فقال وأنت خير الوارثين ۞
أي إن لم ترزقني من يرثني فلا أبالي فإنك خير وارث ۞ إصلاح زوجه أن جعلها صالحة للولادة بعد عقرها وقيل
تحسين خلقها وكانت سيئة الخلق ۞ الضمير للمذكورين من الأنبياء يريد أنهم ما استحقوا الإجابة إلى طلباتهم
إلا لمبادرتهم أبواب الخير ومسارعتهم في تحصيلها كما يفعل الراغبون في الأمور الجادون وقرئ
رغبا ورهبا بالإسكان وهو كقوله يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه ۞ خاشعين قال الحسن
ذللا لأمر الله وعن مجاهد الخشوع الخوف الدائم في القلب وقيل متواضعين ۞ وسئل الأعمش فقال أما
إني سألت إبراهيم فقال ألا تدري قلت أفدني قال بينه وبين الله إذا أرخى ستره وأغلق بابه فلير الله منه خيرا لعلك ترى
أنه أن يأكل خشنا ويلبس خشنا ويطأطئ رأسه ۞ أحصنت فرجها إحصانا كليا من الحلال والحرام جميعا كما قالت
ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا ۞ فإن قلت نفخ الروح في الجسد عبارة عن إحيائه قال الله تعالى فإذا سويته
ونفخت فيه من روحي أي أحييته وإذا ثبت ذلك كان قوله فنفخنا فيها من روحنا ظاهر الإشكال لأنه يدل
على إحياء مريم قلت معناه نفخنا الروح في عيسى فيها أي أحييناه في جوفها ونحو ذلك أن يقول الزمار نفخت
في بيت فلان أي نفخت في المزمار في بيته ويجوز أن يراد وفعلنا النفخ في مريم من جهة روحنا وهو جبريل عليه
السلام لأنه نفخ في جيب درعها فوصل النفخ إلى جوفها ۞ فإن قلت هلا قيل آيتين كما قيل وجعلنا الليل
والنهار آيتين قلت لأن حالهما بمجموعهما آية واحدة وهي ولادتها إياه من غير فحل ۞ الأمة الملة وهذه
إشارة إلى ملة الإسلام أي إن ملة الإسلام هي ملتكم التي يجب أن تكونوا عليها لا تنحرفون عنها يشار إليها ملة
واحدة غير مختلفة ۞ وأنا إلهكم إله واحد فاعبدون ونصب الحسن أمتكم على البدل من هذه ورفع
أمة خبرا عنه ورفعهما جميعا خبرين لهذه أو نوى للثاني مبتدأ والخطاب للناس كافة ۞ والأصل
وتقطعتم إلا أن الكلام صرف إلى الغيبة على طريقة الالتفات كأنه ينعى عليهم ما أفسدوه إلى آخرين
ويقبح عندهم فعلهم ويقول لهم ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله والمعنى جعلوا أمر دينهم فيما بينهم
قطعا كما يتوزع الجماعة الشيء ويتقسمونه فيطير لهذا نصيب ولذاك نصيب تمثيلا لاختلافهم فيه وصيرورتهم
فرقا وأحزابا شتى ثم توعدهم بأن هؤلاء الفرق المختلفة إليه يرجعون فهو محاسبهم ومجازيهم ۞ الكفران
مثل في حرمان الثواب كما أن الشكر مثل في إعطائه إذا قيل لله شكور وقد نفى نفي الجنس ليكون أبلغ من
أن يقول فلا نكفر سعيه ۞ وإنا له كاتبون أي نحن كاتبوا ذلك السعي ومثبتوه في صحيفة عمله وما
نحن مثبتوه فهو غير ضائع ومثاب عليه صاحبه ۞ استعير الحرام للممتنع وجوده ومنه قوله عز وعلا إن الله
حرمهما على الكافرين أي منعهما منهم وأبى أن يكونا لهم وقرئ وحرم وحرم بالفتح والكسر وحرم
وحرّم ومعنى أهلكناها عزمنا على إهلاكها أو قدرنا إهلاكها ومعنى الرجوع الرجوع من الكفر
إلى الإسلام والإنابة ومجاز الآية أن قوما عزم الله على إهلاكهم غير متصور أن يرجعوا وينيبوا إلى أن
تقوم القيامة فحينئذ يرجعون ويقولون يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين
يعني أنهم مطبوع على قلوبهم فلا يزالون على كفرهم ويموتون عليه حتى يروا العذاب وقرئ
إنهم بالكسر وحق هذا أن يتم الكلام قبله فلا بد من تقدير محذوف كأنه قيل وحرام على قرية
أهلكناها ذاك وهو المذكور في الآية المتقدمة من العمل الصالح والسعي المشكور غير المكفور ثم

علا تقبل اعمالهم لا يرجعون عن الكفر فكيف لا يمتنع ذلك والقراءة بالفتح يصح حملها على هذا اى لانهم لا يرجعون
ولا صلة على الوجه الاول فان قلت بم تعلقت حتى واقعة غاية له واية الثلث هى قلت هى متعلقة
بحرام وهى غاية له لان امتناع رجوعهم لا يزول حتى تقوم القيامة وهى التى يحكى بعدها الكلام والكلام
المحكى الجملة من الشرط والجزاء اعنى اذا وما فى خبرها ٥ جدب المضاف الى ياجوج وماجوج وهو سدها
كما حذف المضاف الى القرية وهو اهلها وقيل فتحت كما قيل اهلكناها وقرئ اجوج وهما قبيلتان
من جنس الانس يقال الناس عشرة اجزاء تسعة منها ياجوج وماجوج ٥ وهم راجع الى الناس المسوقين الى المحشر
وقيل هم ياجوج وماجوج يخرجون حين يفتح السد ٥ الحدب النشز من الارض وقرا ابن عباس من
كل جدث وهو القبر الثاء حجازية والفاء تميمية وقرئ ينسلون بضم السين وقيل وعل شرع واد الحق
اذا المفاجاة وهى تقع فى المجازاة سادة مسد الفاء كقوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء معها تعاونتا على
وصل الجزاء بالشرط فيتاكد ولو قيل اذا هى شاخصة اى فهى شاخصة كان سديدا هى ضمير مبهم توضحه الابصار
وتفسره كما فسر الذين ظلموا واسروا ٥ يا ويلنا متعلق بمحذوف تقديره يقولون يا ويلنا ويقولون فى موضع
الحال من الذين كفروا ما تعبدون من دون الله يعنى الاصنام والملائكة واعوانه لانهم بطاعتهم لهم واتباعهم
خطواتهم فى حكم عبدتهم ويصدقه ما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش فى
الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجلس اليهم فعرض له النضر بن الحارث فكلمه رسول الله حتى افحمه
ثم تلا عليهم انكم وما تعبدون من دون الله الاية فاقبل عبد الله بن الزبعرى فرآهم يتهامسون فقال فيم خوضكم
فاخبره الوليد بن المغيرة بقول رسول الله فقال عبد الله اما والله لو وجدته لخصمته فدعوه فقال ابن الزبعرى
انت قلت ذلك قال نعم قال قد خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح
وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال صلى الله عليه وسلم بل هم عبدوا الشياطين التى امرتهم بذلك فانزل الله تعالى
ان الذين سبقت لهم الاية يعنى عزيرا والمسيح والملائكة فان قلت لم قرنوا بالهتهم قلت
لانهم لا يزالون لمقارنتهم فى زيادة غم وحسرة حيث اصابهم ما اصابهم بسببهم والنظر الى وجه العدو باب
من العذاب ولانهم قدروا انهم يستشفعون بهم فى الاخرة ويستنفعون بشفاعتهم فاذا صادفوا الامر على
عكس ما قدروا لم يكن شئ ابغض اليهم منهم فان قلت اذا عنيت بما تعبدون الاصنام فما معنى لهم فيها
زفير قلت اذا كانوا هم واصنامهم فى قرن واحد جاز ان يقال لهم زفير وان لم يكن الزافرين الا هم
دون الاصنام للتغليب ولعدم الالباس والحصب المحصوب به اى يحصب بهم فى النار والحصب الرمى وقرئ
بسكون الصاد وصفا بالمصدر وقرئ حطب وحضب بالضاد متحركا وساكنا ٥ وعن ابن مسعود يجعلون فى
توابيت من نار فلا يسمعون ويجوز ان يصمهم الله كما يعميهم ٥ الحسنى الخصلة المفضلة فى الحسن تانيث الاحسن
اما السعادة واما البشرى بالثواب واما التوفيق للطاعة يروى ان عليا عليه السلام قرا هذه الاية ثم قال
انا منهم وابوبكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعيد وعبد الرحمن بن عوف ثم اقيمت الصلاة فقام وهو
يجر رداءه وهو يقول لا يسمعون حسيسها الحس الصوت الذى يحس والشهوة طلب النفس اللذة وقرئ
لا يحزنهم من احزن والفزع الاكبر قيل النفخة الاخيرة كقوله ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات
ومن فى الارض وعن الحسن الانصراف الى النار وعن الضحاك حين يطبق على النار وقيل حين يذبح الموت على صورة

كبش

املح اى تستقبلهم الملائكة مهنئين على ابواب الجنة ويقولون هذا وقت ثوابكم الذى وعدكم ربكم قد حل
العامل فيه يوم نطوى لا يحزنهم او الفزع او تتلقاهم وقرئ نطوى السماء على البناء للمفعول والسجل
بوزن العتل والسجل بلفظ الدلو وروى فيه الكسر وهو الصحيفة اى كما يطوى الطومار للكتابة اى ليكتب
فيه او لما يكتب لان الكتاب اصله المصدر كالبناء ثم يوقع على المكتوب ومن جمع فمعناه المكتوبات اى لما يكتب
فيه من المعانى الكثيرة وقيل السجل ملك يطوى كتب بنى ادم اذا رفعت اليه وقيل كاتب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم والكتاب على هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها اول خلق مفعول نعيد الذى يفسره
نعيده والكاف مكفوفة بما والمعنى نعيد اول الخلق كما بداناه تشبيها للاعادة بالابداء فى تناول القدرة
لهما على السواء فان قلت وما اول الخلق حتى يعيده كما بداه قلت اوله ايجاده عن العدم فكما اوجده اولا
عن عدم يعيده ثانيا عن عدم فان قلت ما بال خلق منكرا قلت هو كقولك هو اول رجل جاءنى تريد اول
الرجال ولكنك وحدته ونكرته ارادة تفصيلهم رجلا رجلا وكذلك معنى اول خلق اول الخلق بمعنى اول الخلائق
لان الخلق مصدر لا يجمع ٥ ووجه آخر وهو ان ينتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده وما موصولة اى
نعيد مثل الذى بداناه نعيده واول خلق ظرف لبدانا اى اول ما خلق او حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت
فى المعنى وعدا مصدر مؤكد لان قوله نعيده عدة للاعادة انا كنا فاعلين اى قادرين على ان نفعل
ذلك عن الشعبى رحمه الله زبور داود والذكر التورية وقيل اسم لجنس ما انزل على الانبياء من الكتب والذكر
ام الكتاب يعنى اللوح ٥ اى يرثها المؤمنون بعد اجلاء الكفار كقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارق الارض ومغاربها قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة
للمتقين ٥ وعن ابن عباس هى ارض الجنة وقيل الارض المقدسة يرثها امة محمد صلى الله عليه وسلم الاشارة الى
المذكور فى هذه السورة من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة والبلاغ الكفاية وما تبلغ به
البغية ٥ ارسل صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين لانه جاء بما يسعدهم ان اتبعوه ومن خالف ولم يتبع فانما
اتى من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها ومثاله ان يفجر الله عينا غديقة فيسقى ناس زروعهم ومواشيهم بمائها فيفلحوا
ويبقى ناس مفرطون عن السقى فيضيعوا فالعين المفجرة فى نفسها نعمة من الله ورحمة للفريقين ولكن الكسلان
محنة على نفسه حيث حرمها ما ينفعها وقيل كونه رحمة للفجار من حيث ان عقوبتهم اخرت بسببه وامنوا عذاب
الاستيصال انما لقصر الحكم على شئ او لقصر الشئ على حكم كقولك انما زيد قائم وانما يقوم زيد وانما الهكم اله
مثل انما زيد قائم وفائدة اجتماعهما الدلالة على ان الوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقصور على استيثار الله
بالوحدانية وفى قوله فهل انتم مسلمون ان الوحى الوارد على هذا السنن موجب ان تخلصوا التوحيد لله وان
تخلعوا الانداد وفيه ان صفة الوحدانية يصح ان يكون طريقها السمع ويجوز ان يكون المعنى ان الذى يوحى الى
فتكون ما موصولة آذن منقول من اذن اذا علم ولكنه كثر استعماله فى الجرى مجرى الانذار ومنه قوله
تعالى فاذنوا بحرب من الله ورسوله وقول ابن حلزة آذنتنا ببينها اسماء والمعنى انى بعد توليكم واعراضكم
عن قبول ما عرض عليكم من وجوب توحيد الله وتنزيهه عن الانداد والشركاء كرجل بينه وبين اعدائه هدنة
فاحس منهم بغدرة فنبذ اليهم العهد وشهر النبذ واشاعه واذنهم جميعا بذلك على سواء اى مستوين فى الاعلام
به لم يطوه عن احد منهم وكاشف كلهم وقشر العصا عن لحائها ٥ وما توعدونه من غلبة المسلمين عليكم كائن

رقبة

لا محالة ولا بد من أن يلحقكم بذلك الذلة والصغار وإن كنت لا أدري متى يكون ذلك لأن الله لم يعلمني علمه ولم يطلعني
عليه والله عالم لا يخفى عليه ما تجاهرون به من كلام الطاعنين في الإسلام وما تكتمونه في صدوركم من الإحن
والأحقاد للمسلمين فهو مجازيكم عليه وما أدري لعل تأخير هذا الموعد امتحان لكم لينظر كيف تعملون أو تمتيع لكم
إلى حين ليكون حجة عليكم وليقع الموعد في وقت هو فيه حكمة ۞ قرئ قل وقال على حكاية قول رسول ذكره
الله ورب احكم على الاكتفاء بالكسرة ورب احكم على الضم وربي أحكم على أفعل التفضيل وربي
أحكم من الإحكام ۞ أمر باستعجال العذاب لقومه فعذبوا ببدر ومعنى بالحق لا تحابهم وشدد عليهم كما هو حقهم
كما قال اشدد وطأتك على مضر ۞ قرئ تصفون بالتاء والياء كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه
وكانوا يطمعون أن تكون لهم الشوكة والغلبة فكذب الله ظنونهم وخيب آمالهم ونصر رسول الله والمؤمنين
وخذلهم ۞ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اقترب للناس حسابهم حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه
وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن ۞ سورة الحج مكية غير ست آيات وهي هذان خصمان إلى صراط الحميد
وهي ثمان وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم
الزلزلة شدة التحريك والإزعاج وأن يضاعف زليل الأشياء عن مقارها ومراكزها ولا تخلو الساعة من أن تكون
على تقدير الفاعلة لها كأنها هي التي تزلزل الأشياء على المجاز الحكمي فتكون الزلزلة مصدرا مضافا إلى فاعلها أو على
المفعول فيها على طريقة الاتساع في الظرف وإجرائه مجرى المفعول به كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهي
الزلزلة المذكورة في قوله إذا زلزلت الأرض زلزالها واختلف في وقتها فعن الحسن أنها تكون يوم القيامة
وعن علقمة والشعبي عند طلوع الشمس من مغربها أمر بني آدم بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها
بأهول صفة لينظروا إلى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم حتى يبقوا على أنفسهم ويرحموها من شدائد
ذلك اليوم بامتثال ما أمرهم به ربهم من التردي بلباس التقوى الذي لا يؤمنهم من تلك الأفزاع إلا أن يتردوا
به وروي أن هاتين الآيتين نزلتا ليلا في غزوة بني المصطلق فقرأهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلم ير أكثر باكيا من تلك الليلة فلما أصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام وقت النزول
ولم يطبخوا قدرا وكانوا بين حزين وباك ومفكر ۞ يوم ترونها منصوب بتذهل والضمير للزلزلة وقرئ
تذهل كل مرضعة على البناء للمفعول وتذهل كل مرضعة أي تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الأمر
مع دهشة فإن قلت لم قيل مرضعة دون مرضع قلت المرضعة التي هي في حال الإرضاع ملقمة ثديها
الصبي والمرضع التي شأنها أن ترضع وإن لم تباشر الإرضاع في حال وصفها به فقيل مرضعة ليدل على أن ذلك
الهول إذا فوجئت به هذه وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة عما أرضعت
عن إرضاعها أو عن الذي أرضعته وهو الطفل وعن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل
ما في بطنها لغير تمام ۞ قرئ وترى الناس بالفتح والضم من أريتك قائما أو رؤيتك قائما والناس منصوب ومرفوع
والنصب ظاهر ومن رفع جعل الناس اسم ترى وأنثه على تأويل الجماعة وقرئ سكرى وسكرى وهو
نظير جوعى وعطشى في جوعان وعطشان وسكارى وسكارى نحو كسالى وعجالى وعن الأعمش سكرى وبكرى
بالضم وهو غريب والمعنى وتراهم سكارى على التشبيه وما هم بسكارى على التحقيق ولكن ما رهقهم
من خوف عذاب الله هو الذي أذهب عقولهم وطير تمييزهم وردهم في نحو حال من يذهب

السكر

السكر بعقله وتمييزه وقيل وتراهم سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب فإن قلت لم
قيل أولا ترون ثم قيل ترى على الإفراد قلت لأن الرؤية أولا علقت بالزلزلة فجعل الناس جميعا
رائين لها وهي معلقة أخيرا بكون الناس على حال السكر فلا بد أن يجعل كل واحد منهم رائيا لسائرهم ۞ قيل
نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأولين والله غير قادر
على إحياء من بلي وصار ترابا وهي عامة في كل من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله وما لا يجوز من الصفات
والأفعال ولا يرجع إلى علم ولا يعض فيه بضرس قاطع وليس فيه اتباع للبرهان ولا نزول على النصفة فهو يخبط
خبط عشواء غير فارق بين الحق والباطل ويتبع في ذلك خطوات كل شيطان عات علم من حاله وظهر
وتبين أنه من جعله وليا له لم تثمر له ولايته إلا الإضلال عن طريق الجنة والهداية إلى النار وما أرى رؤساء
أهل الأهواء والبدع والحشوية المتلقبين بالأئمة في دين الله إلا داخلين تحت كل هذا دخولا أوليا بل هم
أشد الشياطين إضلالا وأقطعهم لطريق الحق حيث دونوا الضلال تدوينا ولقنوه أشياعهم تلقينا وكأنهم
ساطوه بلحومهم ودمائهم وإياهم عنى من قال ∴ وبادت معفو الخطي من قومه طريق نجاة عندهم مستوي نهج
ولو قرأوا في اللوح ما خط فيه من بيان اعوجاج في طريقته عجوا ∴ اللهم ثبتنا على المعتقد الصحيح
الذي رضيته لملائكتك في سماواتك وأنبيائك في أرضك وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين ۞
والكتبة عليه مثل أي كأنما كتب إضلال من يتولاه عليه ورقم به لظهور ذلك في حاله ۞ قرئ أنه
فأنه بالفتح والكسر فمن فتح فلأن الأول فاعل كتب والثاني عطف عليه ومن كسر فعلى حكاية المكتوب
كما هو كأنما كتب عليه هذا الكلام كما تقول كتبت إن الله هو الغني الحميد أو على تقدير قيل أو على أن كتب
فيه معنى القول ۞ الجنس من البعث بالتحريك ونظيره الجلب والطرد في الجلب والطرد كأنه قيل
إن ارتبتم في البعث فمزيل ريبكم أن تنظروا في بدء خلقكم والعلقة قطعة الدم الجامدة والمضغة
اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ والمخلقة المسواة الملساء من النقصان والعيب يقال خلق السواك والعود
إذا سواه وملسه من قولهم صخرة خلقاء إذا كانت ملساء كأن الله تعالى يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة
أملس من العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وتطرهم وطولهم وقصرهم
وتمامهم ونقصانهم وإنما نقلناكم من حال إلى حال ومن خلقة إلى خلقة لنبين لكم بهذا التدريج
قدرتنا وحكمتنا وأن من قدر على خلق البشر من تراب أولا ثم من نطفة ثانيا ولا تناسب بين التراب والماء
وقدر على أن يجعل النطفة علقة وبينهما تباين ظاهر ثم يجعل العلقة مضغة والمضغة عظاما قدر على
إعادة ما أبدأه بل هذا أدخل في القدرة من ذلك وأهون في القياس وورود الفعل غير معدى إلى المبين إعلام
بأن أفعاله هذه يتبين بها من قدرته وعلمه ما لا يكتنهه الذكر ولا يحيط به الوصف وقرأ ابن أبي عبلة ليبين
لكم ويقر بالياء ۞ وقرئ ونقر ونخرجكم بالنون والنصب ونقر ويخرجكم ونقر ونخرجكم بالنصب
والرفع وعن يعقوب نقر بالنون وضم القاف من قر الماء إذا صبه فالقراءة بالرفع إخبار بأنه
يقر في الأرحام ما يشاء أن يقره من ذلك إلى أجل مسمى وهو وقت الوضع آخر ستة أشهر أو تسعة
أو سنتين أو أربع أو كما شاء وقدر وما لم يشأ إقراره مجته الأرحام أو أسقطته والقراءة بالنصب
تعليل ومعناه خلقناكم مدرجين هذا التدريج لغرضين أحدهما أن نبين قدرتنا والثاني أن نقر في الأرحام

من نقص حتى يولد وإذا نشأوا وبلغوا حدا للتكليف فأكلفهم   وتعضد هذه القراءة قوله ثم لتبلغوا أشدكم
وحده لأن الغرض الدلالة على الجنس ويحتمل نخرجكم كل واحد منكم طفلا   الأشد كمال القوة والعقل والتمييز
وهو من ألفاظ الجموع التي لم تستعمل لها واحد كالأسدة والقتود وغير ذلك وكأنها شدة في غير شيء واحد
فبنيت لذلك على لفظ الجمع وقرئ ومنكم من يتوفى أي يتوفاه الله أرذل العمر الهرم والخرف
حتى يعود كهيئته الأولى في أوان طفوليته ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم بين أنه كما قدر على أن يرقيه
في درجات الزيادة حتى يبلغه حد التمام فهو قادر على أن يحطه حتى ينتهي به إلى الحالة السفلى لكيلا يعلم
من بعد علم شيئا أي ليصير نساء بحيث إذا كسب علما في شيء لم ينشب أن ينساه ويزل عنه علمه حتى يسأل عنه من
ساعته يقول لك من هذا فتقول فلان فلا يلبث لحظة إلا سألك عنه   وترى الأرض هامدة
الهامدة الميتة اليابسة وهذه دلالة ثانية على البعث ولظهورها ولكونها مشاهدة معاينة كررها الله تعالى في
كتابه اهتزت وربت تحركت بالنبات وانتفخت وقرئ ربأت أي ارتفعت والبهيج الحسن السار للناظر إليه
أي ذلك الذي ذكرنا من خلق بني آدم وإحياء الأرض مع ما في تضاعيف ذلك من أصناف الحكم واللطائف
حاصل بهذا وهو السبب في حصوله ولولاه لم يتصور كونه وهو أن الله هو الحق أي الثابت الموجود وأنه قادر
على إحياء الموتى وعلى كل مقدور وأنه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد أن يفي بما وعد
عن ابن عباس أنه أبو جهل بن هشام وقيل كرر كما كررت سائر الأقاصيص وقيل الأول في المقلدين وهذا
في المقلدين والمراد بالعلم العلم الضروري وبالهدى الاستدلال والنظر لأنه يهدي إلى المعرفة وبالكتاب
المنير الوحي أي يجادل بظن وتخمين لا بأحد هذه الثلاثة   وثني العطف عبارة عن الكبر والخيلاء كتصعير
الخد ولي الجيد وقيل عن الإعراض عن الذكر   وعن الحسن ثاني عطفه بفتح العين أي مانع تعطفه ليضل تعليل
للمجادلة وقرئ بضم الياء وفتحها فإن قلت ما كان غرضه في جداله الضلال عن سبيل الله فكيف علل به وما
كان أيضا مهتديا حتى إذا جادل خرج بالجدال من الهدى إلى الضلال قلت لما أدى جداله إلى الضلال جعل
كأنه غرضه ولما كان الهدى معرضا له فتركه وأعرض عنه وأقبل على الجدال بالباطل جعل كالخارج من الهدى   حاسم
إلى الضلال   وخزيه ما أصابه يوم بدر من الصغار والقتل والسبب فيما مني به من خزي الدنيا وعذاب
الآخرة هو ما قدمت يداه وعدل الله في معاقبة الفجار وإثابة الصالحين على حرف على طرف من الدين
لا في وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمأنينة كالذي يكون
على طرف من العسكر فإن أحس بظفر وغنيمة قر واطمأن وإلا فر وطار على وجهه   قالوا نزلت في أعاريب
قدموا المدينة وكان أحدهم إذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته
قال ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا إلا خيرا واطمأن وإن كان الأمر بخلافه قال ما أصبت إلا شرا وانقلب
وعن أبي سعيد الخدري أن رجلا من اليهود أسلم فأصابته مصائب فتشاءم بالإسلام فأتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال أقلني فقال إن الإسلام لا يقال فنزلت   المصاب بالمحنة بترك التسليم لقضاء الله والخروج إلى ما
يسخط الله جامع على نفسه محنتين إحداهما ذهاب ما أصيب به والثانية ذهاب ثواب الصابرين فهو خسران
في الدارين وقرئ خاسر الدنيا والآخرة بالنصب والرفع فالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع
الظاهر موضع الضمير وهو وجه حسن أو على أنه خبر مبتدأ محذوف استعير الضلال البعيد من ضلال

من

من أبعد في التيه ضالا فطالت وبعدت مسافة ضلاله فإن قلت الضر والنفع منفيان عن الأصنام مثبتان
لها في الآيتين وهذا تناقض قلت إذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم وذلك أن الله تعالى سفه الكافر
بأنه يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو يعتقد فيه بجهله وضلاله أنه يستشفع به ثم قال يوم القيامة   سبعة
يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالأصنام ودخوله النار بعبادتها ولا يرى أثر الشفاعة
التي ادعاها لها لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير أو كرر يدعو كأنه قال يدعو يدعو
من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه معبودا أقرب من نفعه بكونه شفيعا لبئس المولى وفي
حرف عبد الله من ضره بغير لام المولى الناصر والعشير الصاحب كقوله فبئس القرين   هذا كلام قد دخله
اختصار والمعنى أن الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن من حاسديه وأعاديه أن الله يفعل خلاف
ذلك ويطمع فيه ويغيظه أنه لا يظفر بمطلوبه فليستقص وسعه وليستفرغ مجهوده في إزالة ما يغيظه بأن يفعل ما
يفعل من بلغ منه الغيظ كل مبلغ حتى مد حبلا إلى سماء بيته فاختنق فلينظر وليصور في نفسه أن فعل ذلك هل يذهب
نصر الله الذي يغيظه وسمي الاختناق قطعا لأن المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه ومنه قيل للبهر القطع وسمي
فعله كيدا لأنه وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر على غيره أو على سبيل الاستهزاء لأنه لم يكد به محسوده
إنما كاد به نفسه والمراد ليس في يده إلا ما ليس بمذهب لما يغيظ وقيل فليمدد بحبل إلى السماء المظلة وليصعد
عليه فليقطع الوحي أن ينزل عليه وقيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطئون
ما وعد الله رسوله من النصر وآخرون من المشركين يريدون اتباعه ويخشون أن لا يثبت أمره فنزلت وقد فسر النصر
بالرزق وقيل معناه أن الأرزاق بيد الله لا تنال إلا بمشيئته ولا بد للعبد من الرضا بقسمته فمن ظن أن الله غير رازقه
وليس به صبر واستسلام فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فإن ذلك لا يقلب القسمة ولا يرده مرزوقا   أي ومثل ذلك
الإنزال أنزلنا القرآن كله آيات بينات ولأن الله يهدي به الذين يعلم أنهم يؤمنون أو يثبت الذين آمنوا ويزيدهم
كذلكم   هدى أنزله مبينا الفصل مطلق يحتمل الفصل بينهم في الأحوال والأماكن جميعا فلا يجازيهم جزاء واحدا بغير تفاوت
ولا يجمعهم في موطن واحد وقيل الأديان خمسة أربعة للشيطان وواحد للرحمن جعل الصابئون مع النصارى
ذي   لأنهم نوع منهم وقيل يفصل بينهم يقضي بينهم أي بين المؤمنين والكافرين وأدخلت إن على كل واحد
من جزأي الجملة لزيادة التأكيد ونحوه قول جرير   إن الخليفة إن الله سربله سربال ملك به ترجى الخواتيم
سميت مطاوعته بإدخال أفعال المكلف في باب الطاعة والانقياد وهو السجود الذي كل خضوع دونه
فإن قلت فما تصنع بقوله وكثير من الناس وبما فيه من الاعتراضين أحدهما أن السجود على المعنى الذي فسرته
به لا يسجده بعض الناس دون بعض والثاني أن السجود قد أسند على سبيل العموم إلى من في الأرض من الإنس والجن
أولا فإسناده إلى كثير منهم آخرا مناقضة قلت لا أنظم كثيرا في المفردات المتناسقة الداخلة تحت
حكم الفعل وإنما أرفعه بفعل مضمر يدل عليه قوله يسجد أي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة
دة   ثم أقول فسرته الذي هو ظاهر معنى الطاعة والعبادة في حق هؤلاء لأن اللفظ الواحد لا يصح استعماله في
حالة واحدة على معنيين مختلفين أو أرفعه على الابتداء والخبر محذوف وهو مثاب لأن خبر مقابله يدل عليه وهو
قوله حق عليه العذاب ويجوز أن يجعل من الناس خبرا له أي من الناس الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون
والمتقون ويجوز أن يبالغ في تكثير المحقوقين بالعذاب فيعطف كثير على كثير ثم يخبر عنهم بحق عليهم العذاب

كانه قيل وكثير وكثير من الناس حق عليهم العذاب وقرئ حق بالضم وقرئ حقا اي حق عليهم العذاب
حقا ومن اهانه الله بان كتب عليه الشقاوة لما سبق في علمه من كفره او فسقه فقد بقي مهانا لن تجد له مكرما وقرئ
مكرم بفتح الراء بمعنى الاكرام ان الله يفعل ما يشاء من الاكرام والاهانة ولا يشاء من ذلك الا ما تقتضيه عمل
العاملين واعتقاد المعتقدين الخصم صفة وصف بها الفوج او الفريق فكانه قيل هذان فوجان او فريقان
يختصمان وقوله هذان للفظ واختصموا للمعنى كقوله ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا ولو قيل هؤلاء
خصمان او اختصما جاز يراد المؤمنون والكافرون ۝ قال ابن عباس رجع الى اهل الاديان الستة في ربهم اي
في دينه وصفاته وروي ان اهل الكتاب قالوا للمؤمنين نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم
وقال المؤمنون نحن احق بالله امنا بمحمد وامنا بنبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه
وكفرتم به حسدا فهذه خصومتهم في ربهم فالذين كفروا هو فصل الخصومة المعني بقوله تعالى ان الله يفصل
بينهم يوم القيمة وفي رواية عن الكسائي خصمان بالكسر ۝ وقرئ قطعت بالتخفيف كان الله تعالى يقدر
لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة ويجوز ان تظاهر على كل واحد منهم تلك النيران
كالثياب المظاهرة على اللابس بعضها فوق بعض ونحوه سرابيلهم من قطران الحميم الماء الحار عن ابن عباس لو سقطت
منه نقطة على جبال الدنيا لاذابتها يصهر به وعن الحسن بتشديد الهاء للمبالغة اي اذا صب الحميم على
رؤوسهم كان تاثيره في الباطن نحو تاثيره في الظاهر فيذيب احشاءهم وامعاءهم كما يذيب جلودهم وهو ابلغ من قوله
وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم والمقامع السياط في الحديث لو وضعت مقمعة منها في الارض فاجتمع عليها الثقلان
ما اقلوها وقرا الاعمش ردوا فيها والاعادة والرد لا يكون الا بعد الخروج فالمعنى كلما ارادوا ان يخرجوا منها
من غم خرجوا اعيدوا فيها ومعنى الخروج ما يروى عن الحسن ان النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا في اعلاها
ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق والحريق الغليظ من النار المنتشر
العظيم الاهلاك يحلون عن ابن عباس من حلي المراة فهي حالية ولؤلؤا بالنصب على ويؤتون لؤلؤا كقوله وحورا
عينا ولولوا بقلب الهمزة الثانية واوا ولوليا بقلبهما واوين ثم بقلب الثانية ياء كادل ولولي كادل بتسعر حر ولولي
وليليا بقلبهما يائين عن ابن عباس ۝ وهداهم الله والهمهم ان يقولوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وهداهم الى
طريق الجنة يقال فلان يحسن الى الفقير وينعش المضطهد لا يراد حال ولا استقبال وانما يراد استمرار
وجود الاحسان منه والنعشة في جميع ازمنته واوقاته ومنه قوله ويصدون عن سبيل الله اي الصدود
منهم مستمر دائم للناس اي الذين يقع عليهم اسم الناس من غير فرق بين حاضر وباد وتاي وطاري ومكي وافاقي
وقد استشهد به اصحاب ابي حنيفة قائلين ان المراد بالمسجد الحرام مكة على امتناع جواز بيع دور مكة واجارتها
وعند الشافعي لا يمتنع ذلك وقد حاور اسحق بن راهويه فاحتج بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم وقال
اضاف الديار الى مالكيها او غير مالكيها ۝ واشترى عمر بن الخطاب دار السجن من مالكيه او غير مالكيه
سواء بالنصب قرا حفص والباقون بالرفع ووجه النصب انه ثاني مفعولي جعلناه اي جعلناه مستويا
العاكف فيه والباد وفي القراءة بالرفع الجملة مفعول ثان [illegible] الالحاد العدول عن القصد واصله
الحاد الحافر وقوله بالحاد بظلم حالان مترادفان ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كانه قال
ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما نذقه من عذاب اليم يعني ان الواجب على من كان فيه ان يضبط

نفسه

نفسه ويسلك طريق السداد والعدل في جميع ما يهم به ويقصده وقيل الالحاد في الحرم منع الناس من عمارته
وعن سعيد بن جبير الاحتكار وعن عطاء قول الرجل في المبايعة لا والله وبلى والله وعن عبد الله بن عمر انه
كان له فسطاطان احدهما في الحل والاخر في الحرم فاذا اراد ان يعاتب اهله عاتبهم في الحل فقيل له فقال كنا
نحدث ان من الالحاد فيه ان يقول الرجل لا والله وبلى والله وقرئ يرد بفتح الياء من الورود ومعناه من اتى
فيه بالحاد ظالما ۝ وعن الحسن ومن يرد الحاده بظلم اراد الحادا فيه فاضافه على الاتساع في الظرف كمكر
الليل ومعناه من يرد ان يلحد فيه ظالما وخبر ان محذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره ان الذين كفروا
ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب اليم وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك واذكر حين جعلنا لابرهيم
مكان البيت مباءة اي مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة ۝ رفع البيت الى السماء ايام الطوفان وكان من ياقوتة
حمراء فاعلم الله ابرهيم مكانه بريح ارسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله فبناه على اسه القديم وان هي المفسرة
فان قلت كيف يكون النهي عن الشرك والامر بتطهير البيت تفسيرا للتبوئة قلت كانت التبوئة مقصودة من اجل العبادة
فكانه قيل تعبدنا ابرهيم قلنا له لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي من الاصنام والاوثان والاقذار ان تطرح
حوله وقرئ يشرك بالياء على الغيبة واذن في الناس ناد فيهم وقرا ابن محيصن واذن والنداء بالحج ان يقول
حجوا او عليكم بالحج وروي انه صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم ۝ وعن الحسن انه خطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر ان يفعل ذلك في حجة الوداع رجالا مشاة جمع راجل كقائم وقيام
وقرئ رجالا بضم الراء مخفف الجيم ومثقله ورجالى كعجالى عن ابن عباس وعلى كل ضامر حال
معطوفة على حال كانه قيل رجالا وركبانا يأتين صفة لكل ضامر لانه في معنى الجمع وقرئ يأتون
صفة للرجال والركبان والعميق البعيد وقرا ابن مسعود معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق ۝
نكر المنافع لانه اراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادات ۝ وعن
ابي حنيفة رحمه الله انه كان يفاضل بين العبادات قبل ان يحج فلما حج فضل الحج على العبادات كلها لما شاهد
من تلك الخصائص وكنى عن النحر والذبح بذكر اسم الله لان اهل الاسلام لا ينفكون عن ذكر اسمه اذا نحروا
او ذبحوا وفيه تنبيه على ان الغرض الاصلي فيما يتقرب به الى الله ان يذكر اسمه وقد حسن الكلام تحسينا
بينا ان جمع بين قوله ليذكروا اسم الله وبين قوله على ما رزقهم ولو قيل لينحروا في ايام معلومات
بهيمة الانعام لم تر شيئا من ذلك الحسن والروعة الايام المعلومات ايام العشر عند ابي حنيفة وهو قول
الحسن وقتادة وعند صاحبيه ايام النحر البهيمة مبهمة في كل ذات اربع في البر والبحر فبينت بالانعام
وهي الابل والبقر والضان والمعز الامر بالاكل منها امر اباحة لان اهل الجاهلية كانوا لا ياكلون من نسائكهم
ويجوز ان يكون ندبا لما فيه من مساواة الفقراء ومواساتهم ومن استعمال التواضع ومن ثم استحب الفقهاء ان
ياكل الموسع من اضحيته مقدار الثلث وعن ابن مسعود انه بعث بهدي وقال فيه اذا نحرته فكل وتصدق
وابعث منه الى عتبة يعني ابنه وفي الحديث كلوا وادخروا وائتجروا البائس الذي اصابه بؤس اي شدة والفقير
الذي اضعفه الاعسار قضاء التفث قص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد والتفث الوسخ
فالمراد ازالة [illegible] قضاء التفث وقرئ وليوفوا بتشديد الفاء نذورهم مواجب حجهم وما عسى ينذرونه
من اعمال البر في حجهم وليطوفوا طواف الافاضة وهو طواف الزيارة الذي هو من اركان الحج ويقع به

تمام التحلل وقيل طواف الصدر وهو طواف الوداع العتيق القديم لانه اول بيت وضع للناس عن الحسن وعن
قتادة اعتق من الجبابرة كم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله وعن مجاهد لم يملك قط وعن
مجاهد اعتق من الغرق وقيل بيت كريم من قولهم عتاق الخيل والطير فان قلت قد تسلط عليه
الحجاج فلم يمنع قلت ما قصد التسلط على البيت وانما تحصن به ابن الزبير رحمه الله فاحتال لاخراجه ثم
بناه ولما قصد التسلط عليه ابرهة فعل به ما فعل ◎ ذلك خبر مبتدا محذوف اي الامر والشان ذلك
كما يقدم الكاتب جملة من كتابه في بعض المعاني ثم اذا اراد الخوض في معنى آخر قال هذا وقد كان كذا
والحرمة ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله عز وجل بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها فيحتمل ان يكون
عاما في جميع تكاليفه ويحتمل ان يكون خاصا فيما يتعلق بالحج وعن زيد بن اسلم الحرمات خمس الكعبة
الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم حتى يحل ◎ فهو خير له اي فالتعظيم خير له ومعنى
التعظيم العلم بانها واجبة المراعاة والحفظ والقيام بمراعاتها ◎ المتلو لا يستثنى من الانعام ولكن المعنى
الا ما يتلى عليكم آية تحريمه وذلك قوله في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والمعنى ان
الله قد احل لكم الانعام كلها الا ما استثناه في كتابه فحافظوا على حدوده واياكم ان تحرموا مما احل
شيئا كتحريم عبدة الاوثان البحيرة والسائبة وغير ذلك وان تحلوا مما حرم كاحلالهم الموقوذة والميتة
وغير ذلك لما حث على تعظيم حرماته واحمد من تعظيمها اتبعه الامر باجتناب الاوثان وقول الزور لان
توحيد الله ونفي الشركاء عنه وصدق القول اعظم الحرمات واسبقها خطوا وجمع الشرك وقول الزور
في قران واحد وذلك ان الشرك من باب الزور لان المشرك زاعم ان الوثن تحق له العبادة فكانه قال
فاجتنبوا عبادة الاوثان التي هي راس الزور واجتنبوا قول الزور كله لا تقربوا شيئا منه لتماديه في القبح والسماجة
وما ظنك بشيء من قبيله عبادة الاوثان وسمى الاوثان رجسا وكذلك الخمر والميسر والازلام على طريق
التشبيه يعني انكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس وتجتنبونه فعليكم ان تنفروا عن هذه الاشياء مثل تلك
النفرة ونبه على هذا المعنى بقوله رجس من عمل الشيطان جعل العلة في اجتنابه انه رجس والرجس مجتنب
من الاوثان بيان للرجس وتمييز له كقولك عندي عشرون من الدراهم لان الرجس مبهم يتناول غير شيء
كانه قيل فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان والزور من الزور والازورار وهو الانحراف كما ان الافك من افكه
اذا صرفه وقيل قول الزور قولهم هذا حلال وهذا حرام وما اشبه ذلك من افترائهم وقيل
شهادة الزور عن النبي صلى الله عليه وسلم انه صلى الصبح فلما سلم قام قائما واستقبل الناس بوجهه وقال
عدلت شهادة الزور الاشراك بالله وتلا هذه الآية وقيل الكذب والبهتان وقيل قول اهل الجاهلية
في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك ◎ يجوز في هذا التشبيه ان يكون
من المركب والمفرق فان كان تشبيها مركبا فكانه قال من اشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا ليس بعده
بان صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق مزعا في حواصلها او عصفت به الريح
حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان في علوه بالسماء والذي ترك
الايمان واشرك بالله بالساقط من السماء والاهواء التي توزع افكاره بالطير المختطفة والشيطان
الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة ◎ ذلك

تخطفه وتهوي به الرياح ◎ تعظيم الشعائر وهي الهدايا لانها من معالم الحج ان يختارها عظام الاجرام حسانا سمانا
غالية الاثمان ويترك المكاس في شرائها فقد كانوا يغالون في ثلث ويكرهون المكاس فيهن الهدي والاضحية
والاضحية والرقبة وروى ابن عمر عن ابيه رضي الله عنهما انه اهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار فسال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها ◎ واهدى رسول الله صلى
الله عليه وسلم مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب ◎ وكان ابن عمر يسوق البدن مجللة
بالقباطي فيتصدق بلحومها وبجلالها ويعتقد ان طاعة الله في التقرب بها واهدائها الى بيته المعظم امر عظيم
لا بد ان يقام به ويسارع فيه فانها من تقوى القلوب اي فان تعظيمها من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت
هذه المضافات ولا يستقيم المعنى الا بتقديرها لانه لا بد من راجع من الجزاء الى من ليرتبط به وانما ذكرت القلوب
لانها مراكز التقوى التي اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر اثرها في سائر الاعضاء الى اجل مسمى الى ان تنحر ويتصدق بلحومها
ويؤكل منها ◎ ثم للتراخي في الوقت فاستعيرت للتراخي في الاحوال والمعنى ان لكم في الهدايا منافع كثيرة
في دنياكم ودينكم وانما يعتد الله بالمنافع الدينية قال سبحانه تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ◎
واعظم هذه المنافع وابعدها شوطا في النفع الى البيت اي وجوب نحرها او وقت وجوب نحرها منتهية الى البيت
كقوله هديا بالغ الكعبة والمراد نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت لان الحرم هو حريم البيت ومثل
هذا في الاتساع قولك بلغنا البلد وانما شارفتموه واتصل مسيركم بحدوده وقيل المراد بالشعائر المناسك
كلها ومحلها الى البيت العتيق يأباه شرع الله لكل امة ان ينسكوا له اي يذبحوا لوجهه على وجه التقرب وجعل العلة
في ذلك ان يذكر اسمه تقدست اسماؤه على المناسك وقرئ منسكا بفتح السين وكسرها وهو مصدر بمعنى
النسك والمكسور يكون بمعنى الموضع فله اسلموا اي اخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه لوجهه سالما اي خالصا لا
تشوبوه باشراك ◎ المخبتون المتواضعون الخاشعون من الخبت وهو المطمئن من الارض وقيل هم الذين لا
يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا وقرا الحسن والمقيمي الصلاة بالنصب على تقدير النون وقرا ابن مسعود والمقيمين
الصلاة على الاصل البدن جمع بدنة سميت لعظم بدنها وهي الابل خاصة ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم الحق
البقر بالابل حين قال البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة جعل البقر في حكم الابل صارت البدنة في الشريعة
متناولة للجنسين عند ابي حنيفة واصحابه والا فالبدن هي الابل وعليه تدل الآية وقرا الحسن والبدن بضمتين
كثمر في جمع ثمرة وابن ابي اسحاق بالضمتين وتشديد النون على لفظ الوقف وقرئ بالنصب والرفع كقوله والقمر
قدرناه من شعائر الله اي من اعلام الشريعة التي شرعها الله واضافتها الى اسمه تعظيم لها لكم فيها خير كقوله
لكم فيها منافع ومن شان الحاج ان يحرص على شيء فيه خير ومنافع بشهادة الله ◎ عن بعض السلف انه لم يملك الا تسعة دنانير
فاشترى بها بدنة فقيل له في ذلك فقال سمعت ربي يقول لكم فيها خير ◎ وعن ابن عباس دنيا وآخرة وعن ابراهيم
من احتاج الى ظهرها ركب ومن احتاج الى لبنها شرب وذكر اسم الله ان يقول عند النحر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر
اللهم منك واليك صواف قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن من صفون الفرس وهو ان يقوم
على ثلاث وينصب الرابعة على طرف سنبكه لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على ثلاث وقرئ صوافي
اي خوالص لوجه الله وعن عمرو بن عبيد صوافنا بالتنوين عوضا من حرف الاطلاق عند الوقف وعن بعضهم
صواف نحو مثل العرب اعط القوس باريها بسكون الياء وجبت جنوبها وجوبها وقوعها على الارض من وجب الحائط وجبة

إذا سقطت ووجبت الشمس وجبتها غربت والمعنى فإذا وجبت جنوبها وسكنت نسائسها حل لكم الأكل منها والإطعام ٥
القانع السائل من قنعت إليه وكنعت إذا خضعت له وسألته قنوعا والمعتر المتعرض بغير سؤال أو القانع الراضي بما عنده
وبما يعطى من غير سؤال من قنعت قنعا وقناعة والمعتر المتعرض للسؤال وقرأ الحسن والمعتري وعراه وعراه واعتره
واعتراه بمعنى وقرأ أبو رجاء القنع وهو الراضي لا غير يقال قنع فهو قنع وقانع منّ الله على عباده واستحمد
إليهم بأن سخر لهم البدن مثل التسخير الذي ترى وعلموا يأخذونها منقادة للأخذ مطيعة فيعقلونها ويحبسونها صافة
قوائمها ثم يطعنون في لباتها ولولا تسخير الله لم تطق ولم تكن بأعجز من بعض الوحوش التي هي أصغر منها جرما وأقل قوة
وكفى بما يتأبد من الإبل شاهدا وعبرة أي لن يصيب رضى الله اللحوم المتصدق بها ولا الدماء المهراقة بالنحر والمراد
أصحاب اللحوم والدماء والمعنى لن يرضى المضحون والمتقربون ربهم إلا بمراعاة النية والإخلاص والاحتفاظ بشروط التقوى
في حل ما قرب به وغير ذلك من المحافظات الشرعية وأوامر الورع فإذا لم يراعوا ذلك لم تغن عنهم التضحية والتقريب
وإن كثر ذلك منهم لن ينال ولكن يناله بالياء والتاء وقيل كان أهل الجاهلية إذا نحروا البدن نضحوا الدماء
حول البيت ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون أرادوا مثل ذلك فنزلت ٥ كرر تذكير النعمة بالتسخير ثم قال
لتشكروا الله على هدايته إياكم لأعلام دينه ومناسك حجه بأن تكبروا وتهللوا فاختصر الكلام بأن ضمن التكبير معنى
الشكر وعدي تعديته ٥ خص المؤمنين بدفعه عنهم ونصرته لهم كما قال إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا وقال إنهم
لهم المنصورون وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وجعل العلة في ذلك أنه لا يحب أضدادهم وهم الخونة الكفرة
الذين يخونون الله والرسول ويخونون أماناتهم ويكفرون نعم الله ويغمطونها ومن قرأ يدافع فمعناه يبالغ في الدفع
عنهم كما يبالغ من يغالب فيه لأن فعل المغالب يجيء أقوى وأبلغ أذن ويقاتلون قرئا على لفظ المبني للفاعل والمفعول
جميعا والمعنى أذن لهم في القتال فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه ٥ بأنهم ظلموا أي بسبب كونهم مظلومين
وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مشركو مكة يؤذونهم أذى شديدا وكانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه
وسلم من بين مضروب ومشجوج يتظلمون إليه فيقول لهم اصبروا فإني لم أومر بالقتال حتى هاجر فأنزلت هذه
الآية وهي أول آية أذن فيها بالقتال بعدما نهي عنه في نيف وسبعين آية وقيل نزلت في قوم مهاجرين فاعترضهم
مشركو مكة فأذن لهم في مقاتلتهم والإخبار بكونه قادرا على نصرهم عدة منه بالنصر واردة على سنن
كلام الجبابرة وما مر من دفعه عن الذين آمنوا مؤذن بمثل هذه العدة أيضا أن يقولوا في محل الجر على الإبدال
من حق أي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجب الإقرار والتمكين لا موجب الإخراج والتسيير
ومثله هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله دفع الله بعض الناس ببعض إظهاره وتسليطه المسلمين منهم على الكافرين
بالمجاهدة ولولا ذلك لاستولى المشركون على أهل الملل المختلفة في أزمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا
للنصارى بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات ولا للمسلمين مساجد ولغلب المشركون في أمة محمد
عليه السلام على المسلمين وعلى أهل الكتاب الذين في ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين وقرئ دفاع
ولهدمت بالتخفيف وسميت الكنيسة صلاة لأنه يصلى فيها وقيل هي كلمة معربة أصلها بالعبرانية
صلوثا ٥ من ينصره أي ينصر دينه وأولياءه هو إخبار من الله تعالى بظهر الغيب عما ستكون عليه سيرة المهاجرين
رضي الله عنهم إن مكنهم في الأرض وبسط لهم في الدنيا وكيف يقومون بأمر الدين ٥ وعن عثمان هذا والله
ثناء قبل بلاء يريد أن الله قد أثنى عليهم قبل أن يحدثوا من الخير ما أحدثوا وقالوا فيه دليل على صحة أمر الخلفاء

الراشدين

الراشدين لأن الله لم يعط التمكين ونفاذ الأمر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لا حظ في ذلك للأنصار والطلقاء
وعن الحسن هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذين منصوب بدل من قوله من ينصره والظاهر أنه مجرور تابع
للذين أخرجوا ولله عاقبة الأمور أي مرجعها إلى حكمه وتقديره وفيه تأكيد لما وعده من إظهار أوليائه وإعلاء
كلمتهم يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم لست بأوحدي في التكذيب فقد كذب الرسل قبلك أقوامهم
وكفاك بهم أسوة فإن قلت لم قيل وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى قلت لأن موسى
ما كذبه قومه بنو إسرائيل وإنما كذبه غير قومه وهم القبط وفيه شيء آخر كأنه قيل بعدما ذكر تكذيب
كل قوم رسولهم وكذب موسى أيضا مع وضوح آياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره ٥ النكير بمعنى الإنكار
والتغيير حيث أبدلهم بالنعمة محنة وبالحياة هلاكا وبالعمارة خرابا كل مرتفع أظلك من سقف بيت أو خيمة
أو ظلة أو كرم فهو عرش والخاوي الساقط من خوى النجم إذا سقط أو الخالي من خوى المنزل إذا خلا من
أهله وخوى بطن الحامل وقوله على عروشها لا يخلو من أن يتعلق بخاوية فيكون المعنى أنها ساقطة على سقوفها
أي خرت سقوفها على الأرض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف أو أنها ساقطة أو خالية مع بقاء عروشها
وسلامتها وإما أن يكون خبرا بعد خبر كأنه قيل هي خالية وهي على عروشها أي قائمة مطلة على عروشها على
معنى أن السقوف سقطت إلى الأرض فصارت في قرار الحيطان وبقيت الحيطان مائلة فهي مشرفة على السقوف الساقطة
فإن قلت ما محل الجملتين من الإعراب أعني وهي ظالمة فهي خاوية قلت الأولى في محل النصب على الحال
والثانية لا محل لها لأنها معطوفة على أهلكناها وهذا الفعل ليس له محل وقرأ الحسن معطلة من أعطله بمعنى
عطله ومعنى المعطلة أنها عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء إلا أنها عطلت أي تركت لا يستقى منها لهلاك أهلها والمشيد
المجصص أو المرفوع البنيان والمعنى كم قرية أهلكنا وكم بئر عطلنا عن سقاتها وقصر مشيد أخليناه عن ساكنيه
فترك ذلك لدلالة معطلة عليه وفي هذا دليل على أن على عروشها بمعنى مع أوجه وروي أن هذه بئر نزل
عليها صالح عليه السلام مع أربعة آلاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله من العذاب وهي بحضرموت وإنما سميت بذلك
لأن صالحا حين حضرها مات وثم بلدة عند البئر اسمها حاضوراء بناها قوم صالح وأمروا عليها جلهس بن جلاس
وأقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما وأرسل الله إليهم حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه فأهلكهم الله وعطل
بئرهم وخرب قصورهم ٥ يحتمل أنهم لم يسافروا فحثوا على السفر ليروا مصارع من أهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا
آثارهم فيعتبروا وأن يكونوا قد سافروا ورأوا ذلك ولكن لم يعتبروا فجعلوا كأن لم يسافروا ولم يروا وقرئ
فيكون لهم قلوب بالياء أي يعقلون ما يجب أن يعقل من التوحيد ويسمعون ما يجب سماعه من الوحي فإنها
الضمير ضمير الشأن والقصة يجيء مذكرا ومؤنثا ٥ وفي قراءة ابن مسعود فإنه ويجوز أن يكون ضميرا مبهما يفسره
الأبصار وفي تعمى راجع إليه والمعنى أن أبصارهم صحيحة سالمة لا عمى بها وإنما العمى بقلوبهم أو لا يعتد بعمى
الأبصار فكأنه ليس بعمى بالإضافة إلى عمى القلوب فإن قلت أي فائدة في ذكر الصدور قلت الذي قد
تعورف واعتقد أن العمى على الحقيقة مكانه البصر وهو أن تصاب الحدقة بما يطمس نورها واستعماله في القلب
استعارة ومثل فلما أريد إثبات ما هو خلاف المعتقد من نسبة العمى إلى القلوب حقيقة ونفيه عن الأبصار
احتاج هذا التصوير إلى زيادة تعيين وفضل تعريف ليتقرر أن مكان العمى هو القلوب لا الأبصار كما تقول
ليس المضاء للسيف ولكنه للسانك الذي بين فكيك فقولك الذي بين فكيك تقرير لما ادعيته للسانه وتثبيت

لان تحمل الصادم هؤلاء غير معتبر فكانها ما بقيت الصلاة عن التعقب والتنبه للبابال قلبه ولا هو امي ولكن يعيب به ابانا
بعينه فتعمى ○ انكر استعجالهم بالمتوعد به من العذاب العاجل والآجل كانه قال ولم يستعجلون به كانهم يجوزون
الفوت وانما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف والله عز وعلا لا يخلف الميعاد وما وعده ليصيبنهم ولو
بعد حين ولكنه سبحانه حكيم لا يعجل ومن حلمه ووقاره واستقصاره المدد الطوال ان يوما واحدا عنده كالف
سنة عندكم وقيل معناه يستعجلون بعذاب من يوم واحد من ايام عذابه في طول الف سنة من سنيكم كف
من يوم واحد لان ايام الشدائد مستطالة او كان ذلك اليوم الواحد لشدة عذابه كالف سنة من سني العذاب
وقيل ولن يخلف الله وعده في النظرة والامهال وقرئ يعدون بالتاء والياء ثم قال وكم من
اهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد انظرتهم حينا ثم اخذتهم بالعذاب والمرجع الي والى حكمي فان قلت
لم كانت الاولى معطوفة بالفاء وهذه بالواو قلت الاولى وقعت بدلا عن قوله فكيف كان نكير واما هذه بعقابه
فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو اعني قوله ولن يخلف الله وعده وان يوما عند
ربك كالف سنة ويقال سعيت في امر فلان اذا اصلحه او افسده بسعيه وعاجزه سابقه لان كل واحد
منهما في طلب اعجاز الآخر عن اللحاق به فاذا سبقه قيل اعجزه وعجزه والمعنى سعوا في معناها بالفساد من
الطعن فيها حيث سموها سحرا وشعرا واساطير الاولين ومن تثبيط الناس عنها سابقين او مسابقين في زعمهم
وتقديرهم طامعين ان كيدهم للاسلام يتم لهم فان قلت كان القياس ان يقال انما انا لكم بشير
ونذير لذكر الفريقين بعده قلت الحديث مسوق الى المشركين ويا ايها الناس نداء لهم وهم الذين قيل
فيهم افلم يسيروا ووصفوا بالاستعجال وانما اقحم المؤمنون وثوابهم ليغاظوا من رسول ولا نبي دليل
بين على تغاير الرسول والنبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون وعن ابي
الفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلثة عشر جما غفيرا والفرق بينهما ان الرسول من الانبياء من جمع الى المعجزة
الكتاب المنزل عليه والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب وانما امر ان يدعو الى شريعة من قبله والسبب
في نزول هذه الآية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اعرض عنه قومه وشاقوه وخالفه عشيرته ولم يشايعوه
على ما جاء به تمنى لفرط ضجره من اعراضهم ولحرصه وتهالكه على اسلامهم ان لا ينزل عليه ما ينفرهم لعله يتخذ ذلك
طريقا الى استمالتهم واستنزالهم عن غيهم وعنادهم فاستمر به ما تمناه حتى نزلت عليه سورة النجم وهو في
نادي قومه وذلك التمني في نفسه فاخذ يقرؤها فلما بلغ قوله ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان في
امنيته التي تمناها اي وسوس اليه بما شيعها به فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط الى ان قال
تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى وروي الغرانقة ولم يفطن له حتى ادركته العصمة فتنبه عليه وقيل
نبهه عليه جبريل عليه السلام او تكلم الشيطان بذلك فاسمعه الناس فلما سجد في آخرها سجد معه جميع
من في النادي وطابت نفوسهم وكان تمكين الشيطان من ذلك محنة من الله وابتلاء زاد المنافقون به وطابت
شكا وظلمة والمؤمنون نورا وايقانا ○ والمعنى ان الرسل والانبياء من قبلك كانت هجيراهم كذلك اذا تمنوا مثل
ما تمنيت مكن الله الشيطان ليلقي في امانيهم مثل ما القى في امنيتك ارادة امتحان من حولهم والله سبحانه له ان
يمتحن عباده بما شاء من صنوف المحن وانواع الفتن ليضاعف ثواب الثابتين ويزيد في عقاب المذبذبين وقيل
تمنى قرا وانشد تمنى كتاب الله اول ليلة تمنى داود الزبور على رسل وامنيته قراءته وقيل

تلك

تلك الغرانيق اشارة الى الملائكة اي هم الشفعاء لا الاصنام فينسخ ما يلقي الشيطان اي يذهب به ويبطله ثم
يحكم الله آياته اي يثبتها والذين في قلوبهم مرض المنافقون والشاكون والقاسية قلوبهم المشركون المكذبون
وان الظالمين يريد وان هؤلاء المنافقين والمشركين واصله وانهم فوضع الظاهر موضع الضمير قضاء عليهم
بالظلم انه الحق من ربك اي ليعلموا ان تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق من ربك والحكمة وان الله لهادي
الذين آمنوا الى ان يتأولوا ما تشابه في الدين بالتأويلات الصحيحة ويطلبوا لما اشكل منه المحمل الذي يقتضيه
الاصول المحكمة والقوانين الممهدة حتى لا تلحقهم حيرة ولا تعتريهم شبهة ولا تزل اقدامهم وقرئ لهاد
الذين آمنوا بالتنوين الضمير في مرية منه للقرآن او للرسول اليوم العقيم يوم بدر وانما وصف يوم الحرب
بالعقيم لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كانهن عقم لم يلدن او لان المقاتلين يقال لهم ابناء الحرب فاذا
قتلوا وصف يوم الحرب بالعقيم على سبيل المجاز وقيل لانه لا مثل له في عظم امره لقتال الملائكة فيه ○ وعن الضحاك
انه يوم القيامة وان المراد بالساعة مقدماته ○ ويجوز ان يراد بالساعة ويوم عقيم يوم القيامة كانه قيل حتى
تأتيهم الساعة او يأتيهم عذابها فوضع يوم عقيم موضع الضمير فان قلت التنوين في يومئذ عن اي
جملة ينوب قلت تقديره الملك يوم يؤمنون او يوم تزول مريتهم لقوله تعالى ولا يزال الذين كفروا في
مرية منه حتى تأتيهم الساعة ○ لما جمعتهم المهاجرة في سبيل الله سوى بينهم في الموعد وان يعطي من مات منهم
مثل ما يعطي من قتل تفضلا منه واحسانا والله عليم بدرجات العاملين ومراتب استحقاقهم حليم عن تفريط
المفرط منهم بفضله وكرمه ○ روي ان طوائف من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله هؤلاء
الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فانزل الله هاتين
الآيتين ○ تسمية الابتداء بالجزاء لملابسته له من حيث انه سبب وذاك مسبب عنه كما يحملون النظير على النظير
والنقيض على النقيض للملابسة فان قلت كيف طابق ذكر العفو الغفور هذا الموضع قلت المعاقب مبعوث العفو
من جهة الله عز وجل على الاخلال بالعقاب والعفو عن الجاني على طريق التنزيه لا التحريم ومندوب اليه ومستوجب
عند الله المدح ان آثر ما ندب اليه وسلك سبيل التنزيه فحين لم يؤثر ذلك وانتصر وعاقب ولم ينظر في قوله
تعالى فمن عفا واصلح فاجره على الله وان تعفوا اقرب للتقوى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور فان
الله لعفو غفور اي لا يلومه على ترك ما بعثه عليه وهو ضامن لنصره في كرته الثانية من اخلاله بالعفو
وانتقامه من الباغي عليه ويجوز ان يضمن له النصر على الباغي ويعرض مع ذلك بما كان اولى به من العفو ويلوح به
بذكر هاتين الصفتين او دل بذكر العفو والمغفرة على انه قادر على العقوبة لانه لا يوصف بالعفو الا القادر على
ضده ذلك اي ذلك النصر بسبب انه قادر ومن آيات قدرته البالغة انه يولج الليل في النهار ويولج النهار
في الليل او بسبب انه خالق الليل والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على ايدي عباده من الخير
والشر والبغي والانصاف وانه سميع لما يقولون بصير بما يفعلون فان قلت فما معنى ايلاج احد الملوين في
الآخر قلت تحصيل ظلمة هذا في مكان ضياء ذاك بغيبوبة الشمس وضياء ذاك في مكان ظلمة هذا بطلوعها كما
يضيء السرب بالسراج ويظلم بفقده وقيل زيادة في احدهما ما ينقص من الآخر من الساعات وقرئ يدعون
بالياء والتاء وقرأ اليماني وان ما يدعون بلفظ المبني للمفعول والواو راجعة الى ما لانه في معنى الآلهة
اي ذلك الوصف بخلق الليل والنهار والاحاطة بما يجري فيهما وادراك كل قول وفعل بسبب ان الله الحق الثابت

الالهية وان كل ما يدعى الها دونه باطل الدعوة وانه لا شيء اعلى منه شانا واكبر سلطانا ○ وقرئ مخضرة اي ذات
خضر على مفعلة كمبقلة ومسبعة فان قلت هلا قيل فاصبحت ولم صرف الى لفظ المضارع قلت لنكتة
فيه وهي افادة بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول انعم علي فلان عام كذا فاروح واغدو شاكرا له ولو قلت
فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع ○ فان قلت فما له رفع ولم ينصب جوابا للاستفهام قلت لو نصب
لاعطى ما هو عكس الغرض لان معناه اثبات الاخضرار فينقلب بالنصب الى نفي الاخضرار مثاله ان تقول لصاحبك
الم تر اني انعمت عليك فتشكر ان نصبته فانت ناف لشكره شاك تفريطه فيه وان رفعته فانت مثبت للشكر
وهذا وامثاله مما يجب ان يرغب له من اتسم بالعلم في علم الاعراب وتوقير اهله ○ **لطيف** واصل علمه او
فضله الى كل شيء **خبير** بمصالح الخلق ومنافعهم **ما في الارض** من البهائم مذللة للركوب في البر ومن المراكب
جارية في البحر وغير ذلك من سائر المسخرات ○ وقرئ **والفلك** بالرفع على الابتداء **ان تقع** كراهة ان
الا بمشيئته **احياكم** بعد ان كنتم جمادا ترابا ونطفة وعلقة ومضغة **لكفور** لجحود لما افاض عليه من
ضروب النعم ○ هو نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي لا تلتفت الى قولهم ولا تمكنهم من ان ينازعوك او هو
زجر لهم عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمنازعة في الدين وهم جهال لا علم عندهم وهم كفار
خزاعة ○ روي ان بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان الخزاعيين وغيرهما قالوا للمسلمين ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا
تاكلون ما قتله الله يعنون الميتة وقال الزجاج هو نهي له عن منازعتهم كما تقول لا يضاربنك فلان اي لا
تضاربه وهذا جائز في الفعل الذي لا يكون الا بين اثنين **في الامر** في امر الدين وقيل في امر النسائك ○ وقرئ
فلا ينزعنك اي اثبت في دينك ثباتا لا يطمعون ان يخدعوك ليزيلوك عنه والمراد زيادة التثبيت لرسول الله بما يهيج
حميته ويلهب غضبه لله ولدينه ومنه قوله ولا يصدنك عن آيات الله ولا تكونن من المشركين فلا تكونن ظهيرا للكافرين
وهيهات ان ترتع همة رسول الله حول ذلك الحمى ولكنه وارد على ما قلت لك من ارادة التهييج والالهاب وقال
الزجاج هو من نازعته فنزعته انزعه اي لا يغلبنك في المنازعة فان قلت لم جاءت نظيرة هذه الآية معطوفة
بالواو وقد نزعت عن هذه قلت لان تلك وقعت مع ما يدانيها ويناسبها من الآي الواردة في امر النسائك
فعطفت على اخواتها واما هذه فواقعة مع اباعد عن معناها فلم تجد معطفا ○ اي وان ابوا للجاجهم الا المجادلة
بعد اجتهادك ان لا يكون بينك وبينهم تنازع فادفعهم بان الله اعلم باعمالكم وبقبحها وبما تستحقون عليها من الجزاء
فهو مجازيكم به وهذا وعيد وانذار ولكن برفق ولين ○ **الله يحكم بينكم** خطاب من الله للمؤمنين والكافرين
اي يفصل بينكم بالثواب والعقاب وتسلية لرسول الله مما كان يلقى منهم وكيف يخفى عليه ما تعملون ومعلوم عند
العلماء بالله انه يعلم كل ما يحدث في السموات والارض وقد كتبه في اللوح قبل حدوثه والاحاطة بذلك واثباته
وحفظه عليه يسير لانه العالم الذات لا يتعذر عليه ولا يمتنع تعلقه بمعلوم ○ ويعبدون ما لم يتمسكوا في صحة
عبادته ببرهان سماوي من جهة الوحي والسمع ولا الجأهم اليها علم ضروري ولا حملهم عليها دليل عقلي وما
للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من احد ينصرهم ويصوب مذهبهم المنكر الفظيع من التجهم والبسور والاخذ
كالمكروه بمعنى الانكار وقرئ يعرف والمنكر والسطو الوثب والبطش ○ وقرئ **النار** بالرفع على انه خبر
مبتدا محذوف كان قائلا قال ما هو فقيل النار اي هو النار وبالنصب على الاختصاص وبالجر على البدل من شر
من ذلكم من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم او مما اصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما تلي عليكم ○

وعدها

وعدها الله استيناف كلام ويحتمل ان تكون النار مبتدا ووعدها خبرا وان يكون حالا عنها اذا نصبتها او جررتها
باضمار قد فان قلت الذي جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلا قلت قد سميت الصفة او القصة الرائعة الملتقاة
بالاستحسان والاستغراب مثلا تشبيها لها ببعض الامثال المسيرة لكونها مستحسنة مستغربة عندهم ○ وقرئ
يدعون بالتاء والياء ويدعون مبنيا للمفعول لن اخت لا في نفي المستقبل الا ان تنفيه نفيا مؤكدا وتاكيده هاهنا
الدلالة على ان خلق الذباب منهم مستحيل مناف لاحوالهم كانه قال محال ان يخلقوا فان قلت ما
محل ولو اجتمعوا له قلت النصب على الحال كانه قال مستحيل ان يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم
جميعا لخلقه وتعاونهم عليه وهذا من ابلغ ما انزله الله في تجهيل قريش واستركاك عقولهم والشهادة على ان الشيطان
قد خزمهم بخزائمه حيث وصفوا بالالهية التي تقتضي الاقتدار على المقدورات كلها والاحاطة بالمعلومات عن
آخرها صورا وتماثيل تستحيل منها ان تقدر على اقل ما خلقه الله واذله واصغره واحقره ولو اجتمعوا جميعا لذلك
وتساندوا وادل من ذلك على عجزهم وانتفاء قدرتهم ان هذا الخلق الاقل الاذل لو اختطف منهم شيئا فاجتمعوا على
ان يستخلصوه منه لم يقدروا وقوله **ضعف الطالب والمطلوب** كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف
ولو حققت وجدت الطالب اضعف واضعف لان الذباب حيوان وهو جماد وهو غالب وذاك مغلوب ○ وعن
ابن عباس انهم كانوا يطلونها بالزعفران ورؤوسها بالعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فياكله
وما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوه حق معرفته حتى لا يسموا باسمه من هو منسلخ عن صفاته باسرها ولا يؤهلوه للعبادة
ولا يتخذوه شريكا له **ان الله لقوي عزيز** غالب فكيف يتخذ العاجز المغلوب شبيها به ○ هذا رد لما انكروه من ان يكون الرسول
من البشر وبيان ان رسل الله على ضربين ملائكة وبشر ثم ذكر انه عز وجل دراك للمدركات عالم باحوال المكلفين
ما مضى منها وما غبر لا تخفى عليه خافية واليه مرجع الامور كلها والذي هو بهذه الصفات لا يسال عما يفعل وليس
لاحد ان يعترض عليه في حكمه وتدابيره واختيار رسله لما ذكر شان المرسل لتبليغه من الطاعات وفي هذه السورة
دلالات على ذلك فمن ثم دعا المؤمنين اولا الى الصلاة التي هي ذكر خالص ثم الى العبادة بغير الصلاة كالصوم
والحج والغزو ثم عم بالحث على سائر الخيرات ○ وقيل كان الناس اول ما اسلموا يسجدون بلا ركوع ويركعون
بلا سجود فامروا ان تكون صلاتهم بركوع وسجود وقيل معنى واعبدوا ربكم اقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه
الله ○ وعن ابن عباس في قوله **وافعلوا الخير** صلة الارحام ومكارم الاخلاق **لعلكم تفلحون** اي افعلوا
هذا كله وانتم راجون للفلاح طامعون فيه غير مستيقنين ولا تتكلوا على اعمالكم ○ وعن عقبة بن عامر رضي
الله عنه قال قلت يا رسول الله في سورة الحج سجدتان قال نعم ان لم تسجدهما فلا تقراهما ○ وعن عبد الله بن عمر فضلت
سورة الحج بسجدتين وبذلك احتج الشافعي فراى سجدتين في سورة الحج وابو حنيفة واصحابه لا يرون فيها الا سجدة واحدة
لانهم يقولون قرن السجود بالركوع فدل ذلك على انها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة **وجاهدوا** امر بالغزو وبمجاهدة
النفس والهوى وهو الجهاد الاكبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه رجع من بعض غزواته فقال رجعنا من الجهاد
الاصغر الى الجهاد الاكبر ○ **في الله** اي في ذات الله ومن اجله يقال هو حق عالم وجد عالم اي هو عالم حقا وجدا
ومنه حق جهاده فان قلت ما وجه هذه الاضافة وكان القياس حق الجهاد فيه او حق جهادكم فيه
كما قال وجاهدوا في الله قلت الاضافة تكون بادنى ملابسة واختصاص فلما كان الجهاد مختصا بالله من حيث انه
مفعول لوجهه ومن اجله صحت اضافته اليه ويجوز ان يتسع في الظرف كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا

اجتباكم اختاركم لدينه ولنصرته وما جعل عليكم في الدين من حرج فتح باب التوبة للمجرمين وفسح بأنواع
الرخص والكفارات والديات والأروش ونحوه قوله يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وأمة محمد
هي الأمة المرحومة الموسومة بذلك في الكتب المتقدمة نصب الملة بمضمون ما تقدمها كأنه قيل وسع
دينكم توسعة ملة أبيكم ثم حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه أو على الاختصاص أي أعني بالدين
ملة أبيكم كقولك الحمد لله الحميد فإن قلت لم يكن إبراهيم أبا للأمة كلها قلت هو أبو رسول
الله صلى الله عليه وسلم فكان أبا لأمته لأن أمة الرسول في حكم أولاده هو يرجع إلى الله تعالى وقيل إلى
إبراهيم ويشهد للقول الأول قراءة أبي بن كعب الله سماكم من قبل وفي هذا أي من قبل القرآن
في سائر الكتب وفي القرآن أي فضلكم على الأمم وسماكم بهذا الاسم الأكرم ليكون الرسول شهيدا
عليكم أنه قد بلغكم وتكونوا شهداء على الناس بأن الرسل قد بلغتهم وإذ خصكم بهذه الكرامة والأثرة فاعبدوه
وثقوا به ولا تطلبوا النصرة والولاية إلا منه فهو خير مولى وناصر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الحج أعطي من الأجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي

سورة المؤمنين مكية وهي مائة وتسع عشرة آية وثماني عشرة عند الكوفيين

بسم الله الرحمن الرحيم قد
نقيضة لما هي تثبت المتوقع ولما تنفيه ولا شك أن المؤمنين كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة وهي الإخبار بثبات الفلاح
لهم فخوطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه والفلاح الظفر بالمراد وقيل البقاء في الخير وأفلح دخل في الفلاح
كأبشر دخل في البشارة ويقال أفلحه أصاره إلى الفلاح وعليه قراءة طلحة بن مصرف أُفلح على البناء للمفعول وعنه أفلحوا
على أكلوني البراغيث أو على الإبهام والتفسير وعنه أفلحُ بضمة بغير واو اجتزاء بها عنها كقوله فلو أن الأطبا كانُ حولي
فإن قلت ما المؤمن قلت هو في اللغة المصدق وأما في الشريعة فقد اختلف فيه على قولين أحدهما
أن كل من نطق بالشهادتين مواطئا قلبه لسانه فهو مؤمن والآخر أنه صفة مدح لا يستحقها إلا البر التقي
دون الفاسق الشقي الخشوع في الصلاة خشية القلب وإلباد البصر عن قتادة هو إلزامه موضع السجود وعن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يصلي رافعا بصره إلى السماء فلما نزلت هذه الآية رمى ببصره نحو مسجده وكان
الرجل من العلماء إذا قام إلى الصلاة هاب الرحمن أن يشد بصره إلى شيء أو يحدث نفسه بشأن الدنيا وقيل
هو جمع الهمة لها والإعراض عما سواها ومن الخشوع أن يستعمل الآداب فيتوقى كف الثوب والعبث بجسده
وثيابه والالتفات والتمطي والتثاؤب والتغميض وتغطية الفم والسدل والفرقعة والتشبيك والاختصار
وتقليب الحصا روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أبصر رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع
قلبه لخشعت جوارحه ونظر الحسن إلى رجل يعبث بالحصا وهو يقول اللهم زوجني الحور العين فقال
بئس الخاطب أنت تخطب وأنت تعبث فإن قلت لم أضيفت الصلاة إليهم قلت لأن الصلاة
دائرة بين المصلي والمصلى له فالمصلي هو المنتفع بها وحده وهي عدته وذخيرته فهي صلاته وأما المصلى له فغني متعال
عن الحاجة إليها والانتفاع بها اللغو ما لا يعنيك من قول أو فعل كاللعب والهزل وما توجب المروءة إلغاءه
واطراحه يعني أن بهم من الجد ما يشغلهم عن الهزل لما وصفهم بالخشوع في الصلاة أتبعه الوصف بالإعراض عن
اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الأنفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف الزكاة اسم مشترك

بين

بين عين ومعنى فالعين القدر الذي يخرجه المزكي من النصاب إلى الفقير والمعنى فعل المزكي الذي هو التزكية
وهو الذي أراده الله فجعل المزكين فاعلين له ولا يسوغ فيه غيره لأنه ما من مصدر إلا يعبر عن معناه بالفعل ويقال
لمحدثه على التزكية وعلى هذا الكلام كله والتحقيق فيه أنك تقول في جميع الحوادث من فاعل هذا فيقال لك
فاعله الله أو بعض الخلق ولم يمتنع الزكاة الدالة على العين أن يتعلق بها فاعلون لخروجها من صحة أن يتناولها
الفاعل ولكن لأن الخلق ليسوا بفاعليها وقد أنشدوا لأمية بن أبي الصلت
المطعمون الطعام في السنة الأزمة والفاعلون للزكوات ويجوز أن يراد بالزكاة العين ويقدر
مضاف محذوف وهو الأداء وحمل هذا البيت على هذا أصح لأنها فيه مجموعة على أزواجهم في موضع الحال
أي إلا والين على أزواجهم أو قوامين عليهن من قولك كان فلان على فلانة فمات عنها فخلف عليها فلان
ونظيره كان زياد على البصرة أي واليا عليها ومنه قولهم فلانة تحت فلان ومن ثم سميت المرأة فراشا والمعنى
أنهم لفروجهم حافظون في كافة الأحوال إلا في حال تزوجهم أو تسريهم أو تعلق على بمحذوف يدل عليه
غير ملومين كأنه قيل يلامون إلا على أزواجهم أي يلامون على كل مباشر إلا على ما أطلق لهم فإنهم غير ملومين
عليه أو تجعله صلة لحافظين من قولك احفظ علي عنان فرسي على تضمينه معنى النفي كما ضمن قولهم نشدتك
بالله إلا فعلت بمعنى ما طلبت منك إلا فعلك فإن قلت هلا قيل من ملكت قلت لأنه أريد من جنس
العقلاء ما يجري مجرى غير العقلاء وهم الإناث جعل المستثنى حدا أوجب الوقوف عنده ثم قال فمن ابتغى وراء ذلك
الحد مع فسحته واتساعه وهو إباحة أربع من الحرائر ومن الإماء ما شئت فأولئك هم العادون الكاملون
في العدوان المتناهون فيه فإن قلت هل فيه دليل على تحريم المتعة قلت لا لأن المنكوحة نكاح
المتعة من جملة الأزواج إذا صح النكاح وقرئ لأمانتهم سمي الشيء المؤتمن عليه والمعاهد عليه أمانة وعهدا
ومنه قوله تعالى إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وقال وتخونوا أماناتكم وإنما تؤدى العيون
لا المعاني ويخان المؤتمن عليه لا الأمانة في نفسها والراعي القائم على الشيء بحفظ وإصلاح كراعي الغنم وراعي
الرعية ويقال من راعي هذا الشيء أي متوليه وصاحبه ويحتمل العموم في كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من
جهة الله عز وجل ومن جهة الخلق والخصوص فيما حملوه من أمانات الناس وعهودهم وقرئ على صلاتهم فإن
قلت كيف كرر ذكر الصلاة أولا وآخرا قلت هما ذكران مختلفان فليس بتكرير وصفوا أولا بالخشوع في
صلاتهم وآخرا بالمحافظة عليها وذلك أن لا يسهوا عنها ويؤدوها في أوقاتها ويقيموا أركانها ويوكلوا نفوسهم بالاهتمام
بها وبما ينبغي أن تتم به أوصافها وأيضا فقد وحدت أولا ليفاد الخشوع في جنس الصلاة أي صلاة كانت وجمعت
آخرا ليفاد المحافظة على أعدادها وهي الصلوات الخمس والوتر والسنن المرتبة مع كل صلاة وصلاة الجمعة والعيدين
والجنازة والاستسقاء والكسوف والخسوف وصلاة الضحى والتهجد وصلاة التسبيح وصلاة الحاجة وغيرها
من النوافل أي أولئك الجامعون لهذه الأوصاف هم الوارثون الأحقاء بأن يسموا وراثا من عداهم
يرثون الفردوس فجاء بفخامة وجزالة لإرثهم لا تخفى على الناظر ومعنى الإرث ما مر في سورة مريم أنث
الفردوس على تأويل الجنة وهو البستان الواسع الجامع لأصناف الثمر وروي أن الله عز وجل بنى جنة الفردوس
لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الأذفر وفي رواية ولبنة من مسك مذرى وغرس فيها من
جيد الفاكهة وجيد الريحان السلالة الخلاصة لأنها تسل من بين الكدر وفعالة بناء للقلة كالقلامة والقمامة

وعن الحسن ما بين ظهراني الظهر فإن قلت ما الفرق بين ثم ومن قلت الأول للابتداء والثاني للبيان كقوله
من الأوثان فإن قلت ما معنى جعلنا الإنسان نطفة قلت معناه أنه خلق الإنسان أولاً طيناً ثم جعل جوهره
بعد ذلك نطفة في قرار مستقر والمراد الرحم وصفت بالمكانة التي هي صفة المستقر فيها كقولك طريق سائر أو بمكانتها
في نفسها لأنها مكنت بحيث هي وأحرزت . شامي عظماً فكسونا العظم وعظاماً فكسونا العظام وعظماً فكسونا
العظام وعظاماً فكسونا العظم وضع الواحد مكان الجمع لزوال اللبس لأن الإنسان ذو عظام كثيرة خلقاً
آخر أي خلقاً مبايناً للخلق الأول مباينة ما أبعدها حيث جعله حيواناً وكان جماداً وناطقاً وكان أبكم وسميعاً
وكان أصم وبصيراً وكان أكمه وأودع ظاهره وباطنه بل كل عضو من أعضائه وكل جزء من أجزائه عجائب
وغرائب حكمة لا تدرك بوصف الواصف ولا تبلغ بشرح الشارح وقد احتج أبو حنيفة رحمه الله فيمن
غصب بيضة فأفرخت عنده قال يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لأنه خلق آخر سوى البيضة فتبارك الله فتعالى
وعلمه أحسن الخالقين أي أحسن المقدرين تقديراً فترك المميز لدلالة الخالقين عليه ونحوه
فيه في قوله أذن للذين يقاتلون لدلالة الصلة وروي عن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما قوله خلقاً آخر قال فتبارك الله أحسن الخالقين وروي أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان
يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنطق بذلك قبل إملائه فقال له رسول الله اكتب هكذا نزلت فقال عبد الله
إن كان محمد نبياً يوحى إليه فأنا نبي يوحى إلي فلحق بمكة كافراً ثم أسلم يوم الفتح قرأ ابن أبي عبلة وابن محيصن لمائتون
والفرق بين الميت والمائت أن الميت كالحي صفة ثابتة وأما المائت فيدل على الحدوث تقول زيد مائت الآن
ومائت غداً كقولك يموت ونحوهما ضيق وضائق في قوله تعالى وضائق به صدرك ○ جعل الإماتة التي هي إعدام الحياة
والبعث الذي هو إعادة ما يفنيه ويعدمه دليلين أيضاً على اقتدار عظيم بعد الإنشاء والاختراع فإن قلت
فإذن لا حياة إلا حياة الإنشاء والبعث قلت ليس في ذكر الحياتين نفي الثالثة وهي حياة القبر كما لو ذكرت
ثلثي ما عندك وطويت ذكر ثلثه لم يكن دليلاً على أن الثلث ليس عندك وأيضاً فالغرض ذكر هذه الأجناس الثلثة
الإنشاء والإماتة والإعادة والمطوي ذكرها من جنس الإعادة ○ الطرائق السموات لأنه طورق بعضها فوق
بعض كمطارقة النعل وكل شيء فوقه مثله فهو طريقة أو لأنها طرائق الملائكة ومتقلباتهم وقيل الأفلاك
لأنها طرائق الكواكب فيها مسيرها أراد بالخلق السموات كأنه قال خلقناها فوقهم وما كنا عنها غافلين وعن
حفظها وإمساكها أن تقع فوقهم بقدرتنا أو أراد به الناس وأنه خلقها فوقهم ليفتح عليهم الأرزاق والبركات
منها وينفعهم بأنواع منافعها وما كان غافلاً عنهم وما يصلحهم بقدر بتقدير يسلمون معه من المضرة ويصلون إلى المنفعة
أو بمقدار ما علمنا من حاجاتهم ومصالحهم فأسكناه في الأرض كقوله فسلكه ينابيع في الأرض
وقيل جعلناه ثابتاً في الأرض وقيل إنها خمسة أنهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات
نهرا العراق والنيل نهر مصر أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال وأجراها في الأرض وجعل
فيها منافع للناس في أصناف معايشهم وكما قدرنا على إنزاله فنحن قادرون على رفعه وإزالته وقوله على ذهاب به
من أوقع النكرات وأحزها للمفصل والمعنى على وجه من وجوه الذهاب وطريق من طرقه وفيه إيذان باقتدار
المذهب وأنه لا يتعايا عليه شيء إذا أراده وهو أبلغ في الإيعاد من قوله قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم
بماء معين فعلى العباد أن يستعظموا النعمة في الماء ويقيدوها بالشكر الدائم ويخافوا نفارها إذا لم تشكر ○

حـ

اختص هذه الأنواع الثلثة لأنها أكرم الشجر وأفضلها وأجمعها للمنافع ووصف النخل والعنب بأن ثمرهما جامع بين أمرين
أنه فاكهة يتفكه بها وطعام يؤكل رطباً ويابساً رطباً وعنباً وتمراً وزبيباً والزيتون بأن دهنه صالح للاستصباح
والاصطباغ جميعاً ويجوز أن يكون قوله ومنها تأكلون من قولهم فلان يأكل من حرفة يحترفها ومن
ضيعة يغلها ومن تجارة يتربح بها يعنون أنها طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه كأنه قال وهذه الجنات
وجوه أرزاقكم ومعايشكم منها ترزقون وتتعيشون وشجرة عطف على جنات وقرئت مرفوعة على الابتداء
أي ومما أنشئ لكم شجرة طور سيناء وطور سينين لا يخلو إما أن يضاف فيه الطور إلى بقعة اسمها سيناء
وسينون وإما أن يكون اسماً للجبل مركباً من مضاف ومضاف إليه كامرئ القيس وكبعلبك فيمن أضاف
فمن كسر سين سيناء فقد منع الصرف للتعريف والعجمة أو التأنيث لأنها بقعة وفعلاء لا يكون ألفه للتأنيث كعلباء
ومن فتح فلم يصرفه لأن الألف للتأنيث كصحراء وقيل هو جبل فلسطين وقيل بين مصر وأيلة ومنه نودي
قرأ الأعشى سينا على القصر بالدهن في موضع الحال أي تنبت وفيها الدهن وقرئ تُنبت وفيه وجهان أحدهما أن
أنبت بمعنى نبت وأنشد لزهير: رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم ... قطيناً لهم حتى إذا أنبت البقل
والثاني أن مفعوله محذوف أي تنبت زيتونها وفيه الزيت وقرئ تُنبَت بضم التاء وفتح الباء وحكمه حكم
تنبت وقرأ ابن مسعود تخرج الدهن وصبغ الآكلين وغيره تخرج بالدهن وفي حرف أبي تثمر بالدهن وعن
بعضهم تنبت بالدهان وقرأ الأعمش وصبغاً وقرئ وصباغ ونحوهما دبغ ودباغ والصبغ الغمس للائتدام وقيل
هي أول شجرة نبتت بعد الطوفان ووصفها الله تعالى بالبركة في قوله يوقد من شجرة مباركة وقرئ تَسقيكم
بتاء مفتوحة أي تسقيكم الأنعام ومنها تأكلون أي تتعلقون بها منافع من الركوب والحمل وغير ذلك كما تتعلق بما لا يؤكل
لحمه من البغال والحمير والخيل وفيها منفعة زائدة وهي الأكل الذي هو انتفاع بذواتها والقصد بالأنعام الإبل
لأنها هي المحمول عليها في العادة وقرنها بالفلك التي هي السفائن لأنها سفائن البر قال ذو الرمة
سفينة بر تحت خدي زمامها ... يريد صيدحه ○ غيره بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ والجملة استئناف
تجري مجرى التعليل للأمر بالعبادة أفلا تتقون أفلا تخافون أن ترفضوا عبادة الله الذي هو ربكم وخالقكم و
رازقكم وشكر نعمته التي لا تحصونها واجب عليكم ثم تذهبوا فتعبدوا غيره مما ليس من استحقاق العبادة
في شيء أن يتفضل عليكم أن يطلب الفضل عليكم ويترأس كقوله تعالى وتكون لكما الكبرياء في
الأرض بهذا إشارة إلى نوح عليه السلام أو إلى ما كلمهم به من الحث على عبادة الله أي ما سمعنا بهذا الكلام
أو بمثل هذا الذي يدعي وهو بشر أنه رسول الله وما أعجب شأن الضلال لم يرضوا بالنبوة لبشر وقد رضوا للإلهية
بحجر وقولهم ما سمعنا بهذا يدل على أنهم وآباءهم كانوا في فترة متطاولة أو تكذبوا في ذلك لانهماكهم في
الغي وتشمرهم لأن يدفعوا الحق بما أمكنهم وبما عن لهم من غير تمييز منهم بين صدق وكذب إلا رجل به
جنة [illegible] الناس عقلاً وأوزنهم قولاً والجنة الجنون أو الجن أي به جن يخبلونه حتى حين
أي احتملوه واصبروا عليه إلى زمان حتى ينجلي أمره عن عاقبة فإن أفاق عن جنونه وإلا قتلتموه في نصرتي إهلاكهم
فكأنه قال أهلكهم بسبب تكذيبهم إياي أو انصرني بدل ما كذبوني كما تقول هذا بذاك أي بدل ذاك
ومكانه والمعنى أبدلني من غم تكذيبهم سلوة النصرة عليهم أو انصرني بإنجاز ما وعدتهم من العذاب وهو ما كذبوه فيه
حين قال لهم إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ○ بأعيننا بحفظنا وكلاءتنا كأن معه من الله حفاظاً

يكلؤونه بعيونهم لئلا يتعرض له ولا يفسد عليه مفسد عمله ومنه قول عمر عليه من الله عين كالئة ووحينا
اي نأمرك كيف تصنع ونعلمك وروي ان الله اوحى اليه ان يصنعها على مثال جؤجؤ الطائر ۞ روي انه قيل
لنوح اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب انت ومن معك في السفينة فلما نبع الماء من التنور اخبرته امرأته
فركب وقيل كان تنور آدم وكان من حجارة فصار الى نوح ۞ واختلف في مكانه فعن الشعبي في مسجد الكوفة
عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان نوح عمل السفينة وسط المسجد وقيل بالشام بموضع يقال له عين وردة
وقيل بالهند ۞ وعن ابن عباس التنور وجه الارض ۞ وعن قتادة اشرف موضع في الارض اي اعلاه
وعن علي عليه السلام فار التنور طلع الفجر وقيل معناه ان فوران التنور كان عند تنوير الفجر وقيل هو
مثل كقولهم حمي الوطيس والقول هو الاول ۞ يقال سلك فيه دخله وسلك غيره واسلكه قال حتى
اذا اسلكوهم في قتائدة ۞ من كل زوجين اي من كل امتي زوجين وهما امة الذكر وامة الانثى كالجمال
والنوق والحصن والرماك اثنين واحدين مزدوجين كالجمل والناقة والحصان والرمكة روي انه لم يحمل
الا ما يلد ويبيض وقرئ من كل بالتنوين اي من كل امة زوجين واثنين تاكيد وزيادة بيان جيء بعلى مع
سبق الضار كما جيء باللام مع سبق النافع قال الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا
ونحوه قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقول عمر ليتها كانت كفافا لا علي ولا لي فان قلت
لم نهاه عن الدعاء لهم بالنجاة قلت لما عرف من المصلحة في اغراقهم والمفسدة في استبقائهم وبعد ان امل لهم الدهر
المتطاول فلم يزيدوا الا ضلالا ولزمتهم الحجة البالغة لم يبق الا ان يجعلوا عبرة للمعتبرين ولقد بالغ في ذلك
حيث اتبع النهي عنه الامر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم كقوله فقطع دابر القوم الذين
ظلموا والحمد لله رب العالمين ثم امره ان يدعو بدعاء هو اهم وانفع له وهو طلب ان ينزله في السفينة
او في الارض عند خروجه منها منزلا يبارك له فيه ويعطيه الزيادة في خير الدارين وان يشفع الدعاء بالثناء عليه
المطابق لمسألته وهو قوله وانت خير المنزلين فان قلت هلا قيل فقولوا لقوله فاذا استويتم انتم ومن
معك لانه في معنى اذا استويتم قلت لانه نبيهم وامامهم فكان قوله قولهم مع ما فيه من الاشعار بفضل
النبوة واظهار كبرياء الربوبية وان رتبة تلك المخاطبة لا يترقى اليها الا ملك او نبي وقرئ منزلا بمعنى انزالا
او موضع انزال كقوله ليدخلنهم مدخلا يرضونه ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بين النافية وبينها
والمعنى ان الشان والقصة كنا مبتلين اي مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد او مختبرين بهذه الآيات عبادنا
لننظر من يعتبر ويذكر كقوله ولقد تركناها آية فهل من مدكر ۞ قرنا آخرين هم عاد قوم هود ۞
عن ابن عباس وتشهد له حكاية الله قول هود واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ۞ ومجيء قصة هود على اثر قصة
نوح في سورة الاعراف والشعراء فان قلت حق ارسل ان يعدى بالى كاخواته التي هي وجه وانفذ وبعث
فما باله عدي في القرآن بفي كقوله كذلك ارسلناك في امة وما ارسلنا في قرية من نذير
فارسلنا فيهم رسولا اي في عاد وفي موضع آخر والى عاد اخاهم هودا قلت لم يعد بفي كما عدي بالى ولم
يجعل صلة مثله ولكن الامة او القرية جعلت موضعا للارسال كما قال رؤبة ارسلت فيها مصعبا ذا اقحام
وقد جاء بعث على ذلك في قوله ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا ان مفسرة لارسلنا اي قلنا لهم على لسان الرسول
اعبدوا الله فان قلت ذكر مقال قوم هود في جوابه في سورة الاعراف وسورة هود بغير واو قال الملأ

الذين

الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة قالوا ما نراك الا بشرا مثلنا وههنا مع الواو فأي فرق بينهما قلت
الذي بغير واو على تقدير سؤال سائل قال فما قال قومه فقيل له قالوا كيت وكيت واما الذي مع الواو
فعطف لما قالوه على ما قاله ومعناه انه اجتمع في الحصول هذا الحق وهذا الباطل وشتان ما هما بلقاء الآخرة
بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب كقولك يا حبذا جوار مكة اي جوار الله في مكة حذف الضمير
والمعنى من مشروبكم او حذف منه لدلالة ما قبله عليه اذن واقع في جزاء الشرط وجواب للذين قاولوهم من قومهم
اي تخسرون عقولكم وتغبنون في آرائكم ثنى انكم للتوكيد وحسن ذلك لفصل ما بين الاول والثاني بالظرف
ومخرجون خبر عن الاول او جعل انكم مخرجون مبتدأ واذا متم خبرا على معنى اخراجكم اذا متم ثم اخبر بالجملة
عن انكم او رفع انكم مخرجون بفعل هو جزاء للشرط كانه قيل اذا متم وقع اخراجكم ثم اوقعت الجملة
الشرطية خبرا عن انكم وفي قراءة ابن مسعود ايعدكم اذا متم ۞ قرئ هيهات بالفتح والكسر
كلها بتنوين وبلا تنوين وبالسكون على لفظ الوقف فان قلت ما توعدون هو المستبعد ومن حقه ان
يرتفع بهيهات كما ارتفع في قوله فهيهات هيهات العقيق واهله ۞ فما هذه اللام قلت قال الزجاج في
تفسيره البعد لما توعدون او بعد لما توعدون فيمن نون فنزله منزلة المصدر وفيه وجه آخر وهو ان يكون
اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام في هيت لك لبيان المهيت به
هذا ضمير لا يعلم ما يعني به الا بما يتلوه من بيانه واصله ان الحياة الا حياتنا الدنيا ثم وضع هي موضع الحياة
لان الخبر يدل عليها ويبينها ومنه هي النفس تتحمل ما حملت وهي العرب تقول ما شاءت والمعنى لا حياة الا هذه الحياة
لان ان النافية دخلت على هي التي في معنى الحياة الدالة على الجنس فنفتها فوازنت لا التي نفت ما بعدها نفي الجنس نموت
ونحيا اي يموت بعض ويولد بعض ينقرض قرن ويأتي قرن آخر ثم قالوا ما هو الا مفتر على الله فيما يدعيه من استنبائه
له وفيما يعدنا وما نحن بمصدقين قليل صفة للزمان كقديم وحديث في قولك ما رأيته قديما ولا حديثا
وفي معناه عن قريب وما توكيد لمعنى قلة المدة وقصرها الصيحة صيحة جبريل صاح عليهم فدمرهم
بالحق بالوجوب لانهم قد استوجبوا الهلاك او بالعدل من الله من قولك فلان يقضي بالحق اذا كان عادلا في قضاياه
شبههم في دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما بلي واسود من الورق والعيدان ومنه قوله فجعله غثاء احوى
وقد جاء مشددا في قول امرئ القيس من السيل والغثاء فلكة مغزل بعدا وسحقا ودفرا ونحوها مصادر
موضوعة مواضع افعالها وهي من جملة المصادر التي قال سيبويه نصبت بافعال لا يستعمل اظهارها ومعنى
بعدا بعدوا اي هلكوا يقال بعد بعدا وبعدا نحو رشد رشدا ورشدا وللقوم الظالمين بيان لمن دعي عليه بالبعد
نحو هيت لك لما توعدون قرونا قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم وعن ابن عباس بني اسرائيل اجلها الوقت
الذي حد لهلاكها وكتب ۞ تترى فعلى الالف للتانيث لان الرسل جماعة وقرئ تترى بالتنوين والتاء بدل
من الواو كما في تولج وتيقور اي متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد اضاف الرسل اليه والى امهم و
جاءتهم رسلنا بالبينات ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات لان الاضافة تكون بالملابسة والرسول ملابس المرسل
والمرسل اليه جميعا فاتبعنا الامم او القرون بعضهم بعضا في الاهلاك وجعلناهم احاديث يسمر بها ويتعجب منها
والاحاديث تكون اسم جمع للحديث ومنه احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكون جمعا للاحدوثة التي
هي مثل الاضحوكة والالعوبة والاعجوبة وهي ما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا وهو المراد ههنا فان قلت

ما المراد بالسلطان المبين قلت يجوز أن يراد العصا لأنها كانت أم آيات موسى وأولاها وقد تعلقت بها معجزات
شتى من انقلابها حية وتلقفها ما أفكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها وكونها حارسا وشمعة
وشجرة مثمرة ودلوا ورشاء جعلت كأنها ليست بعضها لما استبدت به من الفضل فلذلك عطفت عليها كقوله
تعالى وجبريل وميكال ويجوز أن يراد بالآيات أنفسها أي هي آيات وحجة بينة عالين متكبرين إن فرعون علا في
الأرض لا يريدون علوا في الأرض فسادا وليس على الناس قاهرين بالبغي والظلم لبشرين البشر يكون واحدا وجمعا بشرا سويا
لبشرين فإما ترين من البشر أحدا ومثل وغير يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث إنكم إذا مثلهم ومن
الأرض مثلهن ويقال أيضا هما مثلاه وهم أمثاله إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم وقومهما يعني
بني إسرائيل كأنهم يعبدوننا خضوعا وتذللا أو لأنه كان يدعي الإلهية فادعى للناس العبادة وأن طاعتهم له عبادة على
الحقيقة موسى الكتاب أي قوم موسى التوراة لعلهم يهتدون بشرائعها ومواعظها كما قال على
فرعون وملائهم يريد آل فرعون كما يقولون هاشم وثقيف وتميم ويراد قومهم ولا يجوز أن يرجع الضمير
في لعلهم إلى فرعون وملائه لأن التوراة إنما أوتيها بنو إسرائيل بعد إغراق فرعون وملائه ولقد آتينا موسى الكتاب
من بعد ما أهلكنا القرون الأولى فإن قلت لو قيل آيتين هل كان يكون له وجه قلت
لأن مريم ولدت من غير مسيس وعيسى روح من الله ألقي إليها وقد تكلم في المهد وكان يحيي الموتى مع معجزات أخر
فكان آية من غير وجه واللفظ محتمل للتثنية على تقدير وجعلنا ابن مريم آية وأمه آية ثم حذفت الأولى لدلالة
الثانية عليها الربوة والرباوة في رائهما الحركات وقرئ ربوة ورباوة بالضم ورباوة بالكسر وهي
الأرض المرتفعة قيل هي إيلياء أرض بيت المقدس وإنها كبد الأرض وأقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلا
عن كعب وقيل دمشق وغوطتها وعن الحسن فلسطين والرملة وعن أبي هريرة الزموا هذه الرملة رملة فلسطين فإنها
الربوة التي ذكرها الله وقيل مصر والقرار المستقر من أرض مستوية منبسطة وعن قتادة ذات ثمار وماء
يعني أنها لأجل الثمار يستقر فيها ساكنوها والمعين الماء الظاهر الجاري على وجه الأرض وقد اختلف في زيادة ميمه
وأصالته فوجه من جعله مفعولا أنه مدرك بالعين لظهوره من عانه إذا أدركه بعينه نحو ركبه إذا ضربه بركبته
ووجه من جعله فعيلا أنه نفاع بظهوره وجريه من الماعون وهو المنفعة هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما
وكيف والرسل إنما أرسلوا متفرقين في أزمنة مختلفة وإنما المعنى الإعلام بأن كل رسول في زمانه نودي لذلك
ووصي به ليعتقد السامع أن أمرا نودي له جميع الرسل ووصوا به حقيق أن يؤخذ به ويعمل عليه والمراد بالطيبات
ما حل وما طاب وقيل طيبات الرزق حلال وصاف وقوام فالحلال الذي لا يعصى الله فيه والصافي الذي لا
ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل أو أريد ما يستطاب ويستلذ من المآكل والفواكه ويشهد له
مجيئه على عقب قوله وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين ويجوز أن يقع هذا الإعلام عند إيواء عيسى ومريم
إلى الربوة فذكر على سبيل الحكاية أي وآويناهما وقلنا لهما هذا أي أعلمناهما أن الرسل كلهم خوطبوا بهذا فكلا
مما رزقناكما واعملا صالحا اقتداء بالرسل وإن أمتكم قرئ وإن بالكسر على الاستئناف وأن بمعنى ولأن وأن مخففة من
الثقيلة وأمتكم مرفوعة معها وقرئ زبرا جمع زبور أي كتبا مختلفة يعني جعلوا دينهم أديانا وزبرا
قطعا استعيرت من زبر الفضة والحديد وزبرا مخففة الباء كرسل في رسل أي كل فرقة من فرق هؤلاء
المختلفين المتقطعين دينهم فرح بباطله مطمئن النفس معتقد أنه على الحق الغمرة الماء الذي يغمر القامة

فضربت

وضربت مثلا لما هم عليه من الباطل فقال كأنهم ضاربون في غمرة لعب وعن علي عليه السلام في غمراتهم
حتى حين إلى أن يقتلوا أو يموتوا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ونهي عن الاستعجال بعذابهم والجزع
من تأخيره وقرئ يمدهم ويسارع ويسرع بالياء والفاعل الله سبحانه ويجوز في يسارع ويسرع أن يتضمن
ضمير الممد به ويسارع مبنيا للمفعول والمعنى أن هذا الإمداد ليس إلا استدراجا لهم إلى المعاصي واستجرارا إلى
زيادة الإثم وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات وفيما لهم فيه نفع وإكرام ومعاجلة بالثواب قبل وقته ويجوز
أن يراد في جزاء الخيرات كما يفعل بأهل الخير من المسلمين وبل استدراك لقوله أيحسبون يعني بل هم أشباه البهائم لا
فطنة بهم ولا شعور حتى يتأملوا ويتفكروا في ذلك أهو استدراج أم مسارعة في الخير فإن قلت أين
الراجع من خبر أن إلى اسمها إذا لم يستكن فيه ضميره قلت هو محذوف تقديره نسارع به ويسارع الله به
كقوله إن ذلك لمن عزم الأمور أي إن ذلك منه وذلك لاستطالة الكلام مع أمن الإلباس يؤتون ما آتوا
يعطون ما أعطوا وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة يأتون ما أتوا أي يفعلون ما فعلوا وعنها أنها
قالت يا رسول الله هو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله قال لا يا ابنة الصديق
ولكن هو الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو على ذلك يخاف الله أن لا يقبل منه يسارعون في الخيرات
يحتمل معنيين أحدهما أن يراد يرغبون في الطاعات أشد الرغبة فيبادرونها والثاني أنهم يتعجلون في الدنيا المنافع
ووجوه الإكرام كما قال فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في
الآخرة لمن الصالحين لأنهم إذا سورع بها لهم فقد سارعوا في نيلها وتعجلوها وهذا الوجه أحسن طباقا للآية
المتقدمة لأن فيه إثبات ما نفي عن الكفار للمؤمنين وقرئ يسرعون في الخيرات لها سابقون أي فاعلون
السبق لأجلها أو سابقون الناس لأجلها أو إياها سابقون أي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا ويجوز أن يكون لها سابقون
خبرا بعد خبر ومعنى وهم لها كمعنى قوله أنت لها أحمد من بين البشر يعني أن هذا الذي
وصف به الصالحين غير خارج من حد الوسع والطاقة وكذلك كل ما كلفه عباده وما عملوه من الأعمال
فغير ضائع عنده بل هو مثبت لديه في كتاب يريد اللوح أو صحيفة الأعمال ناطق بالحق لا يقرؤون منه يوم القيامة
إلا ما هو صدق وعدل لا زيادة فيه ولا نقصان ولا يظلم منهم أحد أو أراد أن الله لا يكلف إلا الوسع فإن لم
يبلغ المكلف أن يكون على صفة هؤلاء السابقين بعد أن يستفرغ وسعه ويبذل طاقته فلا عليه ولدينا كتاب
فيه عمل السابق والمقتصد ولا نظلم أحدا من حقه ولا نحطه دون درجته بل قلوب الكفرة في غفلة
غامرة لها من هذا أي مما عليه هؤلاء الموصوفون من المؤمنين ولهم أعمال متجاوزة متخطية لذلك أي لما وصف
به المؤمنون هم لها معتادون وبها ضارون لا يفطمون عنها حتى يأخذهم الله بالعذاب وحتى هذه
هي التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام الجملة الشرطية والعذاب قتلهم يوم بدر أو الجوع حين دعا
عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف
فابتلاهم الله بالقحط حتى أكلوا الجيف والكلاب والعظام المحترقة والقد والأولاد الجؤار الصراخ
باستغاثة قال جأر ساعات النيام لربه أي يقال لهم حينئذ لا تجأروا فإن الجؤار غير نافع
لكم منا لا تنصرون لا تغاثون ولا تمنعون منا أو من جهتنا لا يلحقكم نصر ومعونة قالوا الضمير
في به للبيت العتيق أو للحرم كانوا يقولون لا يظهر علينا أحد لأنا أهل الحرم والذي سوغ هذا الإضمار

تعديهم بالاستكبار بالبيت وانه لم يكن لهم مفخرة الا انهم ولاته والقائمون به ويجوز ان يرجع الى آياتي
الا انه ذكر لانها في معنى كتابي ومعنى استكبارهم بالقرآن تكذيبهم به استكبارا ضمن مستكبرين معنى
مكذبين فعدي تعديته او يحدث لكم استماعه استكبارا وعتوا فانتم مستكبرون بسببه او يتعلق الباء
بسامرا اي تسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه وكانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم
ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم او يتعلق بتهجرون والسامر نحو الحاضر في الاطلاق
على الجمع وقرئ سمرا وسمارا تهجرون وتهجرون من اهجر في منطقه اذا افحش والهجر بالضم الفحش ومن هجر
الذي هو بمعنى العبث في هجر اذا هذى او الهجر بالفتح الهذيان القول القرآن يقول فلم يتدبروه ليعلموا انه الحق
فيصدقوا به وبمن جاء به بل جاءهم ما لم يأت آباءهم فلذلك انكروه واستبدعوه كقوله لتنذر قوما ما
فهم غافلون او ليخافوا عند تدبر آياته واقاصيصه مثل ما نزل بمن قبلهم من المكذبين ام جاءهم
لم يأت آباءهم حين خافوا الله فآمنوا به وبكتبه ورسله واطاعوه وآباؤهم اسماعيل واعقابه من
عدنان وقحطان ٥ وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا مضر ولا ربيعة فانهما كانا مسلمين ولا تسبوا
قسا فانه كان مسلما ولا تسبوا الحرث بن كعب ولا اسد بن خزيمة ولا تميم بن مرة فانهم كانوا على الاسلام وما شككتم
فيه من شيء فلا تشكوا في ان تبعا كان مسلما وروي ان ضبة كان مسلما وكان على شرطة سليمن بن داود
ام لم يعرفوا محمدا وصحة نسبه وحلوله في سطة هاشم وامانته وصدقه وشهامته وعقله واتسامه
بانه خير فتيان قريش والخطبة التي خطبها ابو طالب في نكاح خديجة بنت خويلد كفى برغائها مناديا
الجنة الجنون وكانوا يعلمون انه بريء منها وانه ارجحهم عقلا واثقبهم ذهنا ولكنه جاءهم بما
خالف شهواتهم واهواءهم ولم يوافق ما نشأوا عليه وسيط بلحومهم ودمائهم من اتباع الباطل ولم يجدوا
له مردا ولا مدفعا لانه الحق الابلج والصراط المستقيم فاخلدوا الى البهت وعولوا على الكذب من النسبة
الى الجنون والسحر والشعر فان قلت قوله واكثرهم فيه ان اقلهم كانوا لا يكرهون الحق قلت
كان فيهم من يترك الايمان به انفة واستنكافا من توبيخ قومه وان يقولوا صبأ وترك دين آبائه لا كراهة
للحق كما يحكى عن ابي طالب فان قلت يزعم بعض الناس ان ابا طالب صح اسلامه قلت يا سبحان
الله كأن ابا طالب كان اخمل اعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يشتهر اسلام حمزة والعباس ويخفى اسلام ابي طالب دل
هذا على عظم شان الحق وان السموات والارض ما قامت ولا من فيهن الا به فلو اتبع اهواءهم
لانقلب باطلا ولذهب ما يقوم به العالم فلا يبقى له بعده قوام او اراد الحق الذي جاء به محمد وهو الاسلام
لو اتبع اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيمة ولاهلك العالم ولم يؤخر وعن قتادة ان الحق هو الله ومعناه
ولو كان الله الها يتبع اهواءهم ويأمر بالشرك والمعاصي لما كان الها ولكان شيطانا ولما قدر على ان يمسك السموات
والارض بذكرهم اي بالكتاب الذي هو ذكرهم اي وعظهم او وصيتهم وفخرهم او بالذكر الذي
كانوا يتمنونه ويقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين وقرئ بذكراهم وقرئ
خرجا فخراج ربك وخرجا فخرج ربك وخراجا فخراج وهو ما تخرجه الى الامام من زكاة ارضك والى كل عامل
اجرته وجعله وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك اداؤه والوجه ان الخرج اخص من
الخراج كقولك خراج القرية وخرج الكردة زيادة اللفظ لزيادة المعنى ولذلك حسنت قراءة من

قرا خرجا

قرا خرجا فخراج ربك يعني ام تسألهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير من عطاء الخالق خير فلقد
الزمتهم الحجة في هذه الآيات وقطع معاذيرهم وعللهم بان الذي ارسل اليهم رجل معروف امره وحاله مخبور
سره وعلنه خليق بان يجتبى مثله للرسالة من ظهرانيهم وانه لم يعرض له حتى يدعي مثل هذه الدعوى العظيمة
بباطل ولم يجعل ذلك سلما الى النيل من دنياهم واستعطاء اموالهم ولم يدعهم الا الى دين الاسلام الذي
هو الصراط المستقيم مع ابراز المكنون من ادوائهم وهو اخلالهم بالتدبر والتأمل واستهتارهم بدين الآباء
الضلال من غير برهان وتعللهم بانه مجنون بعد ظهور الحق وثبات التصديق من الله بالمعجزات والآيات
النيرة وكراهتهم للحق واعراضهم عما فيه حظهم من الذكر يحتمل ان لا يريد هؤلاء وصفهم بانهم لا يؤمنون
بالآخرة لناكبون اي عادلون عن هذا الصراط المذكور وهو قوله وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم وان كل من لا
يؤمن بالآخرة فهو عن القصد ناكب ٥ لما اسلم ثمامة بن اثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة من اهل مكة واخذهم
الله بالسنين حتى اكلوا العلهز جاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انشدك الله والرحم الست
تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع والمعنى لو كشف الله
عنهم هذا الضر وهو الهزال والقحط الذي اصابهم برحمته عليهم ووجدوا الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه
من الاستكبار وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وافراطهم فيها ولذهب عنهم هذا الابلاس وهذا
التملق بين يديه يسترحمونه واستشهد على ذلك بانا اخذناهم اولا بالسيوف وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل
صناديدهم واسرهم فما وجدت منهم بعد ذلك استكانة ولا تضرع حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو اشد من
الاسر والقتل وهو اطم العذاب فابلسوا الساعة وخضعت رقابهم وجاء اعتاهم واشدهم شكيمة في
العناد يستعطفك او محناهم بكل محنة من القتل والجوع فما رؤي فيهم لين مقادة وهم كذلك حتى اذا عذبوا
بنار جهنم فحينئذ يبلسون كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون والابلاس
اليأس من كل خير وقيل السكوت مع التحير فان قلت ما وزن استكان قلت استفعل من
الكون اي انتقل من كون الى كون كما قيل استحال اذا انتقل من حال الى حال ويجوز ان يكون افتعل من
السكون اشبعت فتحة عينه كما جاء بمنتزاح فان قلت هلا قيل وما تضرعوا او فما يتضرعون قلت
لان المعنى محناهم فما وجدت منهم عقيب المحنة استكانة وما من عادة هؤلاء ان يستكينوا ويتضرعوا حتى يفتح
عليهم باب العذاب الشديد وقرئ فتحنا ٥ انما خص السمع والابصار والافئدة لانه يتعلق بها من المنافع
الدينية والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها ومقدمة منافعها ان يعملوا اسماعهم وابصارهم في آيات الله وافعاله ثم ينظروا
ويستدلوا بقلوبهم ومن لم يعملها فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها كما قال عز وجل فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم
ولا افئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بآيات الله ٥ ومقدمة شكر النعمة فيها الاقرار بالمنعم بها وان لا يجعل له
ند ولا شريك اي تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة للتأكيد بمعنى حقا ذراكم خلقكم وبثكم بالتناسل
واليه تحشرون يوم القيمة بعد تفرقكم وله اختلاف الليل والنهار اي يختص به وهو متوليه ولا يقدر
على تصريفهما غيره وقرئ يعقلون بالياء عن ابي عمرو اي قال اهل مكة كما قال الكفار قبلهم ٥
الاساطير جمع اسطار جمع سطر قال رؤبة اني واسطار سطرن سطرا وهي ما كتبه الاولون مما لا
حقيقة له وجمع اسطورة اوفق اي اخبروني عما استعلمتكم فيه ان كان عندكم فيه علم وفيه استهانة بهم وتجويز

لفرط جهالتهم الجليات أن يجهلوا مثل هذا الظاهر البين وقرئ تذكرون بحذف التاء الثانية ومعناه
أفلا تذكرون فتعلموا أن من فطر الأرض ومن فيها ابتداء كان قادرا على إعادة الخلق وكان حقيقا بأن لا يشرك به
بعض خلقه في الربوبية وقرئ الأول باللام لا غير والأخيران باللام وهو هكذا في مصاحف أهل الحرمين والكوفة
والشام وبغير اللام وهو هكذا في مصاحف أهل البصرة فباللام على المعنى لأن قولك من ربه ولمن هو في معنى واحد
وبغير اللام على اللفظ وتجوز قراءة الأول بغير لام ولكنها لم تثبت في الرواية أفلا تتقون أفلا تخافونه فلا
تشركوا به وتعصوا رسله ○ أجرت فلانا على فلان إذا أغثته منه ومنعته يغيث وهو يغيث من يشاء ولا يغيث أحد
منه أحدا فأنى تسحرون تخدعون عن توحيده وطاعته والخادع هو الشيطان والهوى وقرئ أتيتهم
بالفتح والضم بالحق بأن نسبة الولد إليه محال والشرك باطل وإنهم لكاذبون حيث يدعون
ومعه شريكا لذهب كل إله بما خلق لانفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذي خلقه وا[illegible]
ملك كل واحد منهم متميزا من ملك الآخرين ولعلا بعضهم على بعض كما هو حال ملوك الدنيا فما
وهم متغالبون وحين لم تروا أثر التمايز في الممالك وللتغالب فاعلموا أنه إله واحد بيده ملكوت كل شيء و
إذن لا يدخل إلا على كلام هو جزاء وجواب مثله وقع قوله لذهب جزاء وجوابا ولم يتقدمه شرط ولا
سائل فلتقدير الشرط محذوف تقديره ولو كان معه آلهة وإنما حذف لدلالة قوله وما كان معه من إله عليه
وهو جواب لمن معه المحاجة من المشركين عما يصفون من الأنداد والأولاد عالم الغيب بالجر صفة
لله وبالرفع خبر مبتدأ محذوف ○ ما والنون مؤكدتان أي كان لا بد من أن تريني ما تعدهم من العذاب في
الدنيا وفي الآخرة فلا تجعلني قرينا لهم ولا تعذبني بعذابهم عن الحسن أخبره الله أن له في أمته نقمة ولم
يخبره أفي حياته أم بعد موته فأمره أن يدعو بهذا الدعاء فإن قلت كيف يجوز أن يجعل الله نبيه المعصوم مع
الظالمين حتى يطلب أن لا يجعله معهم قلت يجوز أن يسأل العبد ربه ما علم أنه يفعله وأن يستعيذ به
مما علم أنه لا يفعله إظهارا للعبودية وتواضعا لربه وإخباتا له واستغفاره صلى الله عليه وسلم إذا قام من مجلسه
سبعين مرة أو مائة مرة لذلك وما أحسن قول الحسن في قول أبي بكر الصديق وليتكم ولست بخيركم
كان يعلم أنه خيرهم ولكن المؤمن يهضم نفسه وقرئ إما ترئني بالهمزة مكان الياء [illegible] لقادرون
[illegible] وهي ضعيفة وقوله رب مرتين قبل الشرط وقبل الجزاء حث على فضل تضرع وجؤار كانوا ينكرون
الموعد بالعذاب ويضحكون منه واستعجالهم له لذلك فقيل لهم إن الله قادر على إنجاز ما وعد إن تأملتم
فما وجه هذا الإنكار ○ هو أبلغ من أن يقال بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل كأنه قال ادفع بالحسنى السيئة والمعنى
الصفح عن إساءتهم ومقابلتها بما أمكن من الإحسان وبذل الاستطاعة فيه كانت حسنة مضاعفة بإزاء سيئة
وهذه قضية قوله بالتي هي أحسن ○ وعن ابن عباس هي شهادة أن لا إله إلا الله والسيئة الشرك وعن مجاهد
السلام يسلم عليه إذا لقيته ○ وعن الحسن الإغضاء والصفح وقيل هي منسوخة بآية السيف وقيل محكمة
لأن المداراة محثوث عليها ما لم تؤد إلى ثلم دين أو إزراء بمروءة بما يصفون بما يذكرونه من أحوالك بخلاف صفتها أو
بوصفهم لك وسوء ذكرهم والله أعلم بذلك منك وأقدر على جزائهم من همزات الشياطين وساوسهم جمع همزة وهي النخس ومنه مهماز
الرائض والمعنى أن الشياطين يحثون الناس على المعاصي ويغرونهم عليها كما تهمز الراضة الدواب حثا لها على
المشي وجمع الهمزات [illegible] في قوله [illegible] أمر بالتعوذ من نخساتهم بلفظ المبتهل إلى ربه المكرر لندائه وبالتعوذ

من أن يحضروا أصلا ويحوموا حوله وعن ابن عباس عند تلاوة القرآن وعن عكرمة عند النزع حتى يتعلق
بيصفون أي لا يزالون على سوء الذكر إلى هذا الوقت والآية فاصلة بينهما على وجه الاعتراض والتأكيد للإغضاء
عنهم مستعينا بالله على الشيطان أن يستزله عن الحلم ويغريه على الانتصار منهم أو على قوله وإنهم لكاذبون
خطاب الله بلفظ الجمع للتعظيم كقوله فإن شئت حرمت النساء سواكم وقوله ألا فارحموني يا إله
محمد إذا أيقن بالموت واطلع على حقيقة الأمر أدركته الحسرة على ما فرط فيه من الإيمان والعمل الصالح فيه
فسأل ربه الرجعة وقال لعلي أعمل صالحا في الإيمان الذي تركته والمعنى لعلي آتي بما تركته من الإيمان
وأعمل فيه صالحا كما يقول لعلي أبني على أس [illegible] وأبني عليه وقيل فيما تركت من المال وعن النبي
صلى الله عليه وسلم إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك إلى الدنيا فيقول إلى دار الهموم والأحزان بل قدوما
إلى الله وأما الكافر فيقول رب ارجعون كلا ردع عن طلب الرجعة وإنكار واستبعاد والمراد بالكلمة الطائفة
من الكلام المنتظم بعضها مع بعض وهي قوله لعلي أعمل صالحا فيما تركت ○ هو قائلها لا محالة لتسلط
الحسرة عليه وتسلط الندم أو هو قائلها وحده لا يجاب إليها ولا تسمع منه ومن ورائهم برزخ
حائل بينهم وبين الرجعة إلى يوم البعث وليس المعنى أنهم يرجعون يوم البعث وإنما هو إقناط
كلي لما علم أنه لا رجعة يوم البعث إلا إلى الآخرة الصور بفتح الواو عن الحسن والصور بالكسر والفتح عن أبي
رزين وهذا دليل لمن فسر الصور بجمع الصورة ○ ونفي الأنساب يحتمل أن التقاطع يقع بينهم حيث يتفرقون
معاقبين ومثابين ولا يكون التواصل بينهم والتآلف إلا بالأعمال فيلغوا الأنساب وتبطل وأنه لا يعتد بالأنساب لزوال
التعاطف والتراحم بين الأقارب إذ يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه وعن ابن مسعود ولا يتساءلون كما
أنتم في الدنيا فإن قلت قد ناقض هذا ونحو قوله ولا يسأل حميم حميما قوله وأقبل بعضهم على بعض
يتساءلون وقوله يتعارفون بينهم فكيف التوفيق بينهما قلت فيه جوابان أحدهما أن يوم القيامة مقداره
خمسون ألف سنة ففيه أزمنة وأحوال مختلفة يتساءلون ويتعارفون في بعضها وفي بعضها لا يفطنون لذلك
لشدة الهول والفزع والثاني أن التناكر يكون عند النفخة الأولى فإذا كانت الثانية قاموا فتعارفوا وتساءلوا
عن ابن عباس الموازين جمع موزون وهي الموزونات من الأعمال أي الصالحات التي لها وزن وقدر عند الله من قوله
تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا في جهنم خالدون بدل من خسروا أنفسهم ولا محل للبدل والمبدل
منه لأن الصلة لا محل لها أو خبر لأولئك أو خبر مبتدأ محذوف تلفح تسفع وقال الزجاج اللفح والنفح
واحد إلا أن اللفح أشد تأثيرا ○ والكلوح أن تتقلص الشفتان وتتشمر عن الأسنان كما ترى الرؤوس المشوية ○
وعن مالك بن دينار كان سبب توبة عتبة الغلام أنه مر في السوق برأس أخرج من التنور فغشي عليه ثلاثة أيام ولياليهن
وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي
شفته السفلى حتى تبلغ سرته وقرئ كلحون غلبت علينا ملكتنا من قولك غلبني فلان على كذا إذا
أخذه منك وامتلكه والشقاوة سوء العاقبة التي علم الله أنهم يستحقونها بسوء أعمالهم وقرئ شقوتنا
وشقاوتنا بفتح الشين وكسرها اخسئوا فيها ذلوا فيها وانزجروا كما تنزجر الكلاب إذا زجرت يقال
خسأ الكلب وخسأ بنفسه ولا تكلمون في رفع العذاب فإنه لا يرفع ولا يخفف وقيل هو آخر كلام يتكلمون
به ثم لا كلام بعد ذلك إلا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يُفهمون وعن ابن عباس إن

أن لهم ست دعوات إذا دخلوا النار قالوا ألف سنة ربنا أبصرنا وسمعنا فيجابون حق القول مني فينادون ألفا ربنا أمتنا
اثنتين فيجابون ذلكم بأنه إذا دعي الله فينادون ألفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون إنكم ماكثون فينادون
ألفا ربنا أخرجنا فيجابون أولم تكونوا فينادون ألفا أخرجنا نعمل صالحا فيجابون أولم نعمركم فينادون
ألفا رب ارجعون فيجابون اخسئوا فيها ولا تكلمون وأي إنه كان فريق بالفتح أي لأنه التحري بالضم والكسر
مصدر سخر كالسخر إلا أن في ياء النسب زيادة قوة في الفعل كما قيل الخصوصية في الخصوص وعن الكسائي
والفراء أن المكسور من الهزؤ والمضموم من السخرة والعبودية أي تسخروهم واستعبدتموهم والأول مذهب الخليل
وسيبويه قيل هم الصحابة وقيل أهل الصفة خاصة ومعناه اتخذتموهم هزؤا وتشاغلتم بهم ساخرين حتى
أنسوكم من فرط تشاغلكم بهم على تلك الصفة ذكري فتركتموه أي تركتم أن تذكروني فتخافوني في أوليائي وقرئ أنهم بالفتح
والكسر استئناف أي فازوا واحتجت صبرهم والجزء إبصرهم أحسن الجزاء والفتح على أنه مفعول جزيتهم
قال في مصاحف أهل الكوفة وقل في مصاحف أهل البصرة والشام وفي قال ضمير الله أو المأمور
الملائكة وفي قل ضمير الملك أو بعض رؤساء أهل النار استقصارا لمدة لبثهم في الدنيا بالإضافة
ولما هم فيه من عذابها لأن الممتحن يستطيل أيام محنته ويستقصر ما مر عليه من أيام الدعة إليها
في سرور وأيام السرور قصار أو لأن المنقضي في حكم ما لم يكن وصدقهم الله في تقالهم لسني لبثهم [فيها]
على غفلتهم التي كانوا عليها وقرئ فسل العادين والمعنى لا نعرف من عدد تلك السنين
ونحسبه يوما أو بعض يوم لما نحن فيه من العذاب وما فينا أن نعدها فسل من يقدر أن يعد ومن يفرغ
أن يلقي إليه فكره وقيل فسل الملائكة الذين يعدون أعمار العباد ويحصون أعمالهم وقرئ العادين
بالتخفيف أي الظلمة فإنهم يقولون كما نقول وقرئ العاديين أي القدماء المعمرين فإنهم يستقصرونها فكيف
بمن دونهم وعن ابن عباس أنساهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين ۵ عبثا حال بمعنى عابثين كقوله
لاعبين أو مفعول له أي ما خلقناكم للعبث ولم يدعنا إلى خلقكم إلا حكمة اقتضت ذلك وهي أن نتعبدكم
ونكلفكم المشاق من الطاعات وترك المعاصي ثم نرجعكم من دار التكليف إلى دار الجزاء فنثيب المحسن
ونعاقب المسيء وأنكم إلينا لا ترجعون معطوف على أنما خلقناكم ويجوز أن يكون معطوفا على عبثا
أي للعبث ولترككم غير مرجوعين وقرئ ترجعون بفتح التاء الحق الذي يحق له الملك لأن كل شيء
منه وإليه أو الثابت الذي لا يزول ولا يزول ملكه وصف العرش بالكرم لأن الرحمة تنزل منه والخير
والبركة أو لنسبته إلى أكرم الأكرمين كما يقال بيت كريم إذا كان ساكنوه كراما وقرئ الكريم بالرفع
ونحوه ذو العرش المجيد ۵ لا برهان له به كقوله ما لم ينزل به سلطانا وهي صفة لازمة لإله كقوله
يطير بجناحيه جيء بها للتوكيد لا أن يكون في الآلهة ما يجوز أن يقوم عليه برهان ويجوز أن يكون اعتراضا
بين الشرط والجزاء كقولك من أحسن إلى زيد لا أحق بالإحسان منه فالله مثيبه وقرئ أنه لا
يفلح بفتح الهمزة ومعناه حسابه عدم الفلاح والأصل حسابه أنه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير
لأن من يدعو في معنى الجمع وكذلك قد أفلح المؤمنون وأورد في خاتمتها إنه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين
الفاتحة والخاتمة ۵ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان
وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وروي أن أول سورة قد أفلح وآخرها من كنوز العرش من عمل

بثلث

بثلث آيات من أولها واتعظ بأربع آيات من آخرها فقد نجا وأفلح وعن عمر بن الخطاب كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي يسمع عنده دوي كدوي النحل فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة
ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا
وارض عنا وأرضنا ثم قال لقد أنزل علي عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد أفلح المؤمنون
حتى ختم العشر ۵ سورة النور مدنية وهي ثنتان وستون آية ۵ وقيل أربع وستون

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة خبر مبتدأ محذوف أنزلناها صفة لها أو هي مبتدأ موصوف والخبر محذوف أي فيما أوحينا إليك
سورة أنزلناها وقرئ بالنصب على زيدا اضربه ولا محل لأنزلناها لأنها مفسرة للمضمر فكانت في حكمه
أو دونك سورة والمنصوبة وأنزلناها صفة ومعنى فرضناها فرضنا أحكامها التي فيها وأصل الفرض
القطع أي جعلناها واجبة مقطوعا بها والتشديد للمبالغة في الإيجاب وتوكيده أو لأن فيها فرائض
شتى وإنك تقول فرضت الفريضة وفرضت الفرائض أو لكثرة المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم
تذكرون بتشديد الذال وتخفيفها رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند الخليل وسيبويه أي فيما فرض
عليكم الزانية والزاني أي جلدهما ويجوز أن يكون الخبر فاجلدوا وإنما دخلت الفاء لكون الألف
واللام بمعنى الذي وتضمنه معنى الشرط تقديره التي زنت والذي زنى فاجلدوهما كما تقول من زنى فاجلدوه وكقوله
والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم وقرئ بالنصب على إضمار فعل يفسره
الظاهر وهو أحسن من سورة أنزلناها لأجل الأمر وقرئ الزان بلا ياء والجلد ضرب الجلد يقال
جلده كقولك ظهره وبطنه ورأسه فإن قلت أهذا حكم جميع الزناة والزواني أم حكم بعضهم
قلت بل هو حكم من ليس بمحصن منهم فإن المحصن حكمه الرجم وشرائط الإحصان عند أبي حنيفة
ست الإسلام والحرية والعقل والبلوغ والتزوج بنكاح صحيح والدخول إذا فقدت واحدة منها فلا
إحصان وعند الشافعي رحمه الله الإسلام ليس بشرط لما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين
وحجة أبي حنيفة قوله عليه السلام من أشرك بالله فليس بمحصن فإن قلت اللفظ يقتضي تعليق
الحكم بجميع الزناة والزواني لأن قوله الزانية والزاني عام قلت لأن على الجنسين المنافيين لجنسي العفيف والعفيفة
دلالة مطلقة والجنسية قائمة في الكل والبعض جميعا فأيهما قصد المتكلم فلا عليه كما يفعل بالاسم المشترك
وقرئ ولا يأخذكم بالياء ورأفة بفتح الهمزة ورآفة على فعالة والمعنى أن الواجب على المؤمنين أن يتصلبوا
في دين الله ويستعملوا الجد والمتانة فيه ولا يأخذهم اللين والهوادة في استيفاء حدوده وكفى برسول الله
صلى الله عليه وسلم أسوة في ذلك حيث قال لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها ۵ وقوله
إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر من باب التهييج وإلهاب الغضب لله ولدينه وقيل لا ترحموا
عليهما حتى تعطلوا الحدود أو لا تنقصوها وفي الحديث يؤتى بوال نقص من الحد سوطا فيقول
رحمة لعبادك فيقال له أنت أرحم به مني فيؤمر به إلى النار ويؤتى بمن زاد سوطا فيقول لينتهوا عن معاصيك
فيؤمر به إلى النار وعن أبي هريرة إقامة حد بأرض خير لأهلها من مطر أربعين ليلة وعلى الإمام أن ينصب
للحدود رجلا عالما بصيرا يعقل كيف يضرب والرجل يجلد قائما على تجرده ليس عليه إلا إزار ضربا وسطا

لمبرحا ولا هيّنا مفرّقا على الأعضاء كلها لا تستثنى منها إلا ثلاثة الوجه والرأس والفرج. وفي لفظ الجلد
إشارة إلى أنه لا ينبغي أن يتجاوز الألم إلى اللحم. والمرأة تجلد قاعدة ولا ينزع من ثيابها إلا الحشو والفرو.
وبهذه الآية استشهد أبو حنيفة رحمه الله على أن الجلد حد غير المحصن لا تغريب. وما احتج به الشافعي
رحمه الله على وجوب التغريب من قوله عليه السلام البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، وما روي عن الصحابة
أنهم جلدوا ونفوا، منسوخ عنده وعند أصحابه بالآية، أو محمول على وجه التعزير والتأديب من غير وجوب. وقول
الشافعي في تغريب الحر واحد، وله في العبد ثلاثة أقوال: يغرّب سنة كالحر، ويغرّب نصف سنة كما يجلد خمسين
جلدة، ولا يغرّب كما قال أبو حنيفة. وبهذه الآية نسخ الحبس والأذى في قوله فأمسكوهن في البيوت
وقوله فآذوهما. قيل تسميته عذابا دليل على أنه عقوبة، ويجوز أن يسمى عذابا لأنه يمنع من المعاودة.
الطائفة الفرقة التي يمكن أن تكون حلقة، وأقلها ثلاثة أو أربعة، وهي صفة غالبة كأنها الجماعة
الحافّة حول الشيء. وعن ابن عباس في تفسيرها أربعة إلى أربعين رجلا من المصدقين بالله. وعن الحسن عشرة. وعن
قتادة ثلاثة فصاعدا. وعن مجاهد الواحد فما فوقه. وفضّل قول ابن عباس لأن الأربعة هي الجماعة التي يثبت
بها هذا الحد. والصحيح أن هذه الكبيرة من أمهات الكبائر، ولهذا قرنها الله بالشرك وقتل النفس في قوله ولا يزنون ومن
يفعل ذلك يلق أثاما. وقال ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا. وعن النبي صلى الله عليه وسلم
يا معشر الناس اتقوا الزنا فإن فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة، فأما اللاتي في الدنيا فيذهب
البهاء ويورث الفقر وينقص العمر، وأما اللاتي في الآخرة فيوجب السخطة وسوء الحساب والخلود في النار. ولذلك
وفّى الله فيه عقد المائة بكماله بخلاف حد القذف وشرب الخمر، وشرع فيه القتلة الهولة وهو الرجم، ونهى المؤمنين
عن الرأفة على المجلود فيه، وأمر بشهادة الطائفة للتشهير، فوجب أن تكون طائفة يحصل بها التشهير، والواحد والاثنان
ليسوا بتلك المثابة. واختصاصه المؤمنين لأن ذلك أفضح، والفاسق بين صلحاء قومه أخجل. ويشهد له قول ابن عباس
إلى أربعين رجلا من المصدقين بالله. الفاسق الخبيث الذي من شأنه الزنا والتقحّب لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء
واللاتي على خلاف صفته، وإنما يرغب في فاسقة خبيثة من شكله أو مشركة. والفاسقة الخبيثة كذلك لا يرغب
في نكاحها الصلحاء من الرجال وينفرون عنها، وإنما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة أو المشركين. ونكاح المؤمن
الممدوح عند الله الزانية ورغبته فيها وانخراطه بذلك في سلك الفسقة المتسمين بالزنا محرّم عليه محظور لما فيه من
التشبه بالفساق وحضور موقع التهمة والتسبب لسوء القالة فيه والغيبة وأنواع المفاسد، ومجالسة الخطائين كم فيها من
التعرض لاقتراف الآثام، فكيف بمزاوجة الزواني والقحاب. وقد نبّه على ذلك بقوله وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين
من عبادكم وإمائكم. وقيل كان بالمدينة موسرات من بغايا المشركين، فرغب فقراء المهاجرين في نكاحهن فاستأذنوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت. وعن عائشة أن الرجل إذا زنى بامرأة ليس له أن يتزوجها لهذه الآية، وإذا
باشرها كان زانيا. وقد أجازه ابن عباس وشبّهه بمن سرق ثمر شجرة ثم اشتراها. وعن النبي عليه الصلاة والسلام أنه
سئل عن ذلك فقال أوله سفاح وآخره نكاح، والحرام لا يحرّم الحلال. وقيل المراد بالنكاح الوطء، وليس بقول
لأمرين: أحدهما أن هذه الكلمة أينما وردت في القرآن لم ترد إلا في معنى العقد، والثاني فساد المعنى وأداؤه إلى
قولك الزاني لا يزني إلا بزانية والزانية لا يزني بها إلا زان. وقيل كان نكاح الزانية محرّما في أول الإسلام ثم
نسخ، والناسخ قوله وأنكحوا الأيامى منكم. وقيل الإجماع. وروي ذلك عن سعيد بن المسيب. فإن قلت

فرق

أيّ فرق بين معنى الجملة الأولى ومعنى الثانية. قلت معنى الأولى صفة الزاني بكونه غير راغب في العفائف ولكن
في الفواجر، ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها للأعفّاء ولكن للزناة، وهما معنيان مختلفان. فإن قلت
كيف قدّمت الزانية على الزاني أولا ثم قدّم عليها ثانيا. قلت سيقت تلك الآية لعقوبتهما على ما جنيا، والمرأة
هي المادة التي منها نشأت الجناية، لأنها لو لم تطمع الرجل ولم تومض له ولم تمكّنه لم يطمع ولم يتمكن، فلما كانت أصلا
وأولا في ذلك بدئ بذكرها. وأما الثانية فمسوقة لذكر النكاح، والرجل أصل فيه لأنه هو الراغب والخاطب
ومنه يبدأ الطلب. وعن عمرو بن عبيد لا ينكحْ بالجزم على النهي، والمرفوع أيضا فيه معنى النهي ولكن أبلغ وآكد، كما
أن رحمك الله ويرحمك الله أبلغ من ليرحمك الله. ويجوز أن يكون خبرا محضا على أن عادتهم جارية على ذلك، وعلى المؤمن
أن لا يدخل نفسه تحت هذه العادة ويتصوّن عنها. وقرئ وحَرَّم بفتح الحاء. القذف يكون بالزنا وبغيره، والذي
دل على أن المراد قذفهن بالزنا شيئان: أحدهما ذكر المحصنات عقيب الزواني، والثاني اشتراط أربعة شهداء، لأن القذف
بغير الزنا يكفي فيه شاهدان. والقذف بالزنا أن يقول الحر العاقل البالغ لمحصنة يا زانية، أو لمحصن يا زاني، يا ابن الزاني،
يا ابن الزانية، يا ولد الزنا، لست لأبيك، لست لرشدة. والقذف بغير الزنا أن يقول يا آكل الربا، يا شارب الخمر، يا يهودي، يا مجوسي، يا فاسق،
يا خبيث، يا ماص بظر أمه، فعليه التعزير، ولا يبلغ به أدنى حد العبيد وهو أربعون، بل ينقص منه. وقال أبو يوسف يجوز أن يبلغ به
تسعة وسبعون. وقال للإمام أن يعزّر إلى المائة. وشروط إحصان القذف خمسة: الحرية والعقل والبلوغ والإسلام
والعفة. وقرئ بأربعةٍ شهداء بالتنوين، وشهداء صفة. فإن قلت كيف يشهدون مجتمعين أو متفرقين. قلت
الواجب عند أبي حنيفة وأصحابه أن يحضروا في مجلس واحد، وإن جاءوا متفرقين كانوا قذفة. وعند الشافعي يجوز أن
يحضروا متفرقين. فإن قلت هل يجوز أن يكون زوج المقذوفة واحدا منهم. قلت يجوز عند أبي
حنيفة خلافا للشافعي. فإن قلت كيف يجلد القاذف. قلت كما جلد الزاني، إلا أنه لا ينزع عنه من ثيابه إلا
ما ينزع عن المرأة من الحشو والفرو. والقاذفة أيضا كالزانية. وأشد الضرب ضرب التعزير، ثم ضرب الزنا، ثم ضرب
شرب الخمر، ثم ضرب القاذف، قالوا لأن سبب عقوبته محتمل للصدق والكذب، إلا أنه عوقب صيانة
للأعراض وردعا عن هتكها. فإن قلت فإذا لم يكن المقذوف محصنا. قلت يعزّر القاذف ولا يحدّ،
إلا أن يكون المقذوف معروفا بما قذف به فلا حد ولا تعزير. ردّ شهادة القاذف معلّق عند أبي حنيفة رحمه الله باستيفاء
الحد، فإذا شهد قبل الحد أو قبل تمام استيفائه قبلت شهادته، فإذا استوفي لم تقبل شهادته أبدا وإن تاب وكان من الأبرار الأتقياء. وعند الشافعي
رحمه الله يتعلق رد شهادته بنفس القذف، فإذا تاب عن القذف بأن رجع عنه عاد مقبول الشهادة، وكلاهما متمسك
بالآية. فأبو حنيفة رحمه الله جعل جزاء الشرط الذي هو الرمي الجلد ورد الشهادة عقيب الجلد على التأبيد، فكانوا
مردودي الشهادة عنده في أبدهم وهو مدة حياتهم، وجعل قوله وأولئك هم الفاسقون كلاما مستأنفا غير
داخل في حيّز جزاء الشرط، كأنه حكاية حال الرامين عند الله بعد انقضاء الجملة الشرطية. وإلا الذين تابوا
استثناء من الفاسقين، ويدل عليه قوله فإن الله غفور رحيم. والشافعي رحمه الله جعل جزاء الشرط الجملتين أيضا،
غير أنه صرف الأبد إلى مدة كونه قاذفا، وهي تنتهي بالتوبة والرجوع عن القذف، وجعل الاستثناء متعلقا بالجملة
الثانية. وحق المستثنى عنده أن يكون مجرورا بدلا من هم في لهم، وحقه عند أبي حنيفة أن يكون منصوبا لأنه عن
موجب. والذي يقتضيه ظاهر الآية ونظمها أن تكون الجمل الثلاث مجموعهن جزاء الشرط، كأنه قيل ومن قذف
المحصنات فاجلدوهم وردّوا شهادتهم وفسّقوهم، أي فاجمعوا لهم الجلد والرد والتفسيق إلا الذين تابوا عن القذف

واصلحوا فان الله يغفر لهم فيقبلون غير مجلودين ولا مردودين ولا مفسقين فان قلت الكافر يقذف فيتوب
عن الكفر فيقبل شهادته بالاجماع والقاذف من المسلمين يتوب عن القذف فلا يقبل شهادته عند ابي حنيفة كان
القذف مع الكفر اهون من القذف مع الاسلام قلت المسلمون لا يعبؤون بسب الكفار لانهم شهروا بعداوتهم
والطعن فيهم بالباطل فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر من الشين والشنار ما يلحقه بقذف مسلم مثله فشدد على
القاذف من المسلمين ردعا وكفا عن الحاق الشنار فان قلت هل للمقذوف او للامام ان يعفو عن حد القاذف
قلت لهما ذلك قبل ان تشهد الشهود ويثبت الحد والمقذوف مندوب الى ان لا يرافع القاذف ولا يطالبه
بالحد ويحسن من الامام ان يحمل المقذوف على كظم الغيظ ويقول له اعرض عن هذا ودعه لوجه الله قبل ثبات
الحد فاذا ثبت لم يكن لواحد منهما ان يعفو لانه خالص حق الله ولهذا لم يصح ان يصالح عنه بمال فان قلت
هل يورث الحد قلت عند ابي حنيفة لا يورث لقوله عليه السلام الحد لا يورث ويورث
واذا تاب القاذف قبل ان يثبت الحد سقط وقيل نزلت هذه الآية في حسان بن ثابت حين
في عائشة رضي الله عنها قاذف امرأته اذا كان مسلما حرا عاقلا بالغا غير محدود في القذف والمرأة بهذه
العفة صح اللعان بينهما اذا قذفها بصريح الزنى وهو ان يقول لها يا زانية او زنيت او رأيتك تزنين واذا
عبدا او محدودا في قذف والمرأة محصنة حد كما في قذف الاجنبيات وما لم ترافعه الى الامام لم يجب
ان يبدأ الرجل فيشهد اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فيما رماها به من الزنى ويقول في الخامسة ان لعنة الله
عليه ان كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنى وتقول المرأة اربع مرات اشهد بالله انه لمن الكاذبين فيما رماني به من
الزنى وعند الشافعي رحمه الله يقام الرجل قائما حتى يشهد والمرأة قاعدة وتقام المرأة والرجل قاعد حتى تشهد
ويأمر الامام من يضع يده على فيه ويقول له اني اخاف ان لم تكن صادقا ان تبوء بلعنة الله وقال اللعان بمكة
بين المقام والبيت وبالمدينة على المنبر وببيت المقدس في مسجده ولعان المشرك في الكنيسة وحيث يعظم واذا
لم يكن له دين ففي مساجدنا الا في المسجد الحرام لقوله تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام ثم يفرق
القاضي بينهما ولا تقع الفرقة بينهما الا بتفريقه عند ابي حنيفة واصحابه الا عند زفر فان الفرقة تقع باللعان وعن
عثمان البتي لا فرقة اصلا وعند الشافعي رحمه الله تقع بلعان الزوج وتكون هذه الفرقة في حكم التطليقة
البائنة عند ابي حنيفة ومحمد ولا يتأبد حكمها فاذا اكذب الرجل نفسه بعد ذلك فحد جاز ان يتزوجها
وعند ابي يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي هي فرقة بغير طلاق توجب تحريما مؤبدا ليس لهما ان يجتمعا بعد
ذلك بوجه وروي ان آية القذف لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقام عاصم بن عدي
الانصاري فقال جعلني الله فداك ان وجد رجل مع امرأته رجلا فاخبر جلد ثمانين وردت شهادته ابدا وفسق
وان ضربه بالسيف قتل وان سكت سكت على غيظ والى ان يجيء باربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى اللهم
افتح وخرج فاستقبله هلال بن امية او عويمر فقال ما وراءك قال شر وجدت على بطن امرأتي خولة وهي بنت
عاصم شريك بن سحماء فقال هذا والله سؤالي ما اسرع ما ابتليت به فرجعا فاخبر عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم
خولة فقالت لا ادري الغيرة ادركته ام بخلا على الطعام وكان شريك نزيلهم وقال هلال لقد رأيته على بطنها
فنزلت ولاعن بينهما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قوله وقولها ان لعنة الله عليه ان
غضب الله عليها آمين وقال القوم آمين وقال لها ان كنت الممت بذنب فاعترفي به فالرجم اهون عليك من غضب الله ان

غضبه

ان غضبه هو النار وقال تحينوا بها الولادة فان جاءت به اصيهب اثيبج يضرب الى السواد فهو لشريك وان
جاءت به اورق جعدا جماليا خدلج الساقين فهو لغير الذي رميت به قال ابن عباس فجاءت باشبه خلق الله
لشريك فقال عليه السلام لولا الايمان لكان لي ولها شأن وقرئ ولم تكن لان الشهداء جماعة او لانهم في
معنى الانفس التي هي بدل ووجه من قرأ اربع ان ينتصب لانه في حكم المصدر والعامل فيه المصدر الذي
هو فشهادة احدهم وهي مبتدأ محذوف الخبر تقديره فواجب شهادة احدهم اربع شهادات بالله وقرئ
ان لعنة الله وان غضب الله على تخفيف ان ورفع ما بعدها وقرئ وان غضب الله على فعل الغضب وقرئ
بنصب الخامستين على معنى وتشهد الخامسة فان قلت لم خصت الملاعنة بان تخمس بغضب الله قلت
تغليظا عليها لانها اصل الفجور ومنبعه بخلابتها واطماعها ولذلك كانت مقدمة في آية الجلد ويشهد لذلك
قوله عليه السلام لخولة فالرجم اهون عليك من غضب الله الفضل التفضل وجواب لولا متروك وتركه دال
على امر عظيم لا يكتنه ورب مسكوت عنه ابلغ من منطوق به الافك ابلغ ما يكون من الكذب والافتراء
وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك واصله الافك وهو القلب لانه قول مأفوك عن وجهه والمراد
ما افك به على عائشة رضي الله عنها والعصبة الجماعة من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة
واعصوصبوا اجتمعوا وهم عبد الله بن ابي رأس النفاق وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح
بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وقرئ كبره بالضم والكسر وهو عظمه والذي
تولاه عبد الله لامعانه في عداوة رسول الله وانتهازه الفرص وطلبه سبيلا الى الغميزة اي يصيب
كل خائض في حديث الافك من تلك العصبة نصيبه من الاثم على مقدار خوضه **والعذاب**
العظيم لعبد الله لان معظم الشر كان منه يحكى ان صفوان مر بهودجها عليه وهو في ملأ من قومه
فقال من هذه فقالوا عائشة فقال والله ما نجت منه ولا نجا منها وقال امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى اصبحت
ثم جاء يقودها والخطاب في قوله هو خير لكم لمن ساءه من المؤمنين وخاصة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابو بكر وعائشة وصفوان بن المعطل ومعنى كونه خيرا لهم انهم اكتسبوا فيه الثواب
العظيم لانه كان بلاء مبينا ومحنة ظاهرة وانه نزلت فيه ثماني عشرة آية كل واحدة منها مستقلة
بشأن رسول الله وتسلية له وتنزيه لام المؤمنين رضوان الله عليها وتطهير لاهل البيت وتهويل
لمن تكلم في ذلك او سمع به فلم تمجه اذناه وعدة الطاف للسامعين والتالين الى يوم القيامة وفوائد دينية
واحكام وآداب لا تخفى على متأمليها بانفسهم اي بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله
ولا تلمزوا انفسكم وذلك نحو ما يروى ان ابا ايوب الانصاري قال لام ايوب الا ترين ما يقال فقالت
لو كنت بدل صفوان أكنت تظن بحرمة رسول الله سوءا قال لا قالت ولو كنت بدل عائشة ما خنت رسول الله
فعائشة خير مني وصفوان خير منك فان قلت هلا قيل لولا اذ سمعتموه ظننتم بانفسكم خيرا
وقلتم ولم عدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر قلت ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات
وليصرح بلفظ الايمان دلالة على ان الاشتراك فيه مقتض ان لا يصدق مؤمن على اخيه
ولا مؤمنة على اختها قول عائب ولا طاعن وفيه تنبيه على ان حق المؤمن اذا سمع قالة في اخيه ان
يبني الامر فيها على الظن لا على الشك وان يقول بملء فيه بناء على ظنه بالمؤمن الخير هذا افك مبين

هكذا بلفظ المصرح ببراءة ساحته كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال وهذا من الأدب
الحسن الذي قل القائم به والحافظ له وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع ما سمعه
بأخوات جعل الله التفصلة بين الرمي الصادق والكاذب ثبوت شهادة الشهود الأربعة
وانتفاءها والذين رموا عائشة لم تكن لهم بينة على قولهم فقامت عليهم الحجة وكانوا عند الله
أي في حكمه وشريعته كاذبين وهذا توبيخ وتعنيف للذين سمعوا الإفك فلم يجدّوا في دفعه
وإنكاره واحتجاج عليهم بما هو ظاهر مكشوف في الشرع من وجوب تكذيب القاذف بغير بينة
والتنكيل به إذا قذف امرأة محصنة من عرض نساء المسلمين فكيف بأم المؤمنين الصديقة بنت
الصديق حرمة رسول الله وحبيبة حبيب الله لولا الأولى للتحضيض وهذه لامتناع ال
غيره والمعنى ولولا أني قضيت أن أتفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جملتها
للتوبة وأن أترحم عليكم في الآخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم
الإفك يقال أفاض في الحديث واندفع وهضب وخاض إذ ظرف لمسكم أو لأفضتم
بعضكم من بعض يقال تلقى القول وتلقنه وتلقفه ومنه قوله تعالى فتلقى آدم من
وقرئ على الأصل تتلقونه وإذ تلقونه بإدغام الذال في التاء وتلقونه من لقيه بمعنى
من إلقائه بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه من الولق والألق وهو الكذب وتلقونه
عائشة رضي الله عنها وعن سفيان سمعت أمي إذ تثقفونه وكان أبوها يقرأ بحرف عبد الله بن مسعود
فإن قلت ما معنى قوله بأفواهكم والقول لا يكون إلا بالفم قلت معناه أن الشيء المعلوم يكون
علمه في القلب فيترجم عنه اللسان وهذا الإفك ليس إلا قولا يجري على ألسنتكم ويدور في أفواهكم
من غير ترجمة عن علم به في القلب كقوله تعالى يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم أي تحسبونه
صغيرة وهو عند الله كبيرة موجبة وعن بعضهم أنه جزع عند الموت فقيل له فقال أخاف
ذنبا لم يكن مني على بال وهو عند الله عظيم وفي كلام بعضهم لا تقولن لشيء من سيئاتك حقير فلعله
عند الله نخلة وهو عندك نقير وصفهم بارتكاب ثلاثة آثام وعلق مس العذاب العظيم بها أحدها تلقي الإفك
بألسنتهم وذلك أن الرجل كان يلقى الرجل فيقول ما وراءك فيحدثه بحديث الإفك حتى شاع وانتشر
فلم يبق بيت ولا نادٍ إلا طار فيه والثاني التكلم بما لا علم لهم به والثالث استصغارهم لذلك وهو عظيمة من
العظائم فإن قلت كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم قلت للظروف شأن وهو تنزلها من الأشياء
منزلة أنفسها لوقوعها فيها وأنها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها فإن قلت فأي فائدة
في تقديم الظرف حتى أوقع فاصلا قلت الفائدة فيه بيان أنه كان الواجب عليهم أن يتفادوا أول
ما سمعوا بالإفك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت أهم وجب التقديم فإن قلت فما معنى يكون والكلام
بدونه متلئب لو قيل ما لنا أن نتكلم بهذا قلت معناه معنى ينبغي ويصح أي ما ينبغي أن نتكلم بهذا وما يصح لنا
ونحوه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق وسبحانك للتعجب من عظم الأمر فإن قلت ما معنى
التعجب في كلمة التسبيح قلت الأصل في ذلك أن يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل
في كل متعجب منه أو لتنزيه الله من أن تكون حرمة نبيه فاجرة فإن قلت كيف جاز أن تكون امرأة

النبي

النبي كافرة كامرأة نوح ولوط ولم يجز أن تكون فاجرة قلت لأن الأنبياء مبعوثون إلى الكفار ليدعوهم
ويستعطفوهم فيجب أن لا يكون معهم ما ينفرهم عنهم ولم يكن الكفر عندهم مما ينفر وأما الكشخنة فمن أعظم
المنفرات أي كراهة أن تعودوا أو في أن تعودوا من قولك وعظت فلانا في كذا فتركه وأبدا ما داموا
أحياء مكلفين وإن كنتم مؤمنين فيه تهييج لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب ترك العود وهو اتصافهم بالإيمان
الصاد عن كل مقبح ويبين الله لكم الدلالات على علمه وحكمته بما ينزل عليكم من الشرائع ويعلمكم من الآداب
الجميلة ويعظكم به من المواعظ الشافية والله عالم بكل شيء فاعل لما يفعله بدواعي الحكمة المعنى يشيعون
الفاحشة عن قصد إلى الإشاعة وإرادة ومحبة لها وعذاب الدنيا الحد ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه
عبد الله بن أبي وحسانا ومسطحا وقعد صفوان لحسان فضربه ضربة بالسيف وكف بصره وقيل هو المراد بقوله
تولى كبره منهم والله يعلم ما في القلوب من الأسرار والضمائر وأنتم لا تعلمون يعني أنه قد علم محبة
الإشاعة وهو معاقبه عليها وكرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب حاذفا جواب لولا كما حذفه ثم
التكرير مع حذف الجواب مبالغة عظيمة وكذلك في التواب والرؤوف والرحيم الفحشاء والفاحشة
ما أفرط قبحه قال أبو ذؤيب ضرائر حرمي تفاحش غارها أي أفرطت غيرتها والمنكر ما تنكره النفوس فتنفر عنه
ولا ترتضيه وقرئ خطوات بفتح الطاء وسكونها وزكى بالتشديد والضمير لله عز وجل ولولا أن الله تفضل
عليكم بالتوبة الممحصة لما طهر منكم أحد آخر الدهر من دنس إثم الإفك ولكن الله يطهر التائبين بقبول
توبتهم إذا محضوها وهو سميع لقولهم عليم بضمائرهم وإخلاصهم وهو من ائتلى إذا حلف افتعال من الألية
وقيل من قولهم ما ألوت جهدا إذا لم تدخر منه شيئا ويشهد للأول قراءة الحسن ولا يتأل والمعنى لا يحلفوا
على أن لا يحسنوا إلى المستحقين للإحسان أو لا يقصروا في أن يحسنوا إليهم وإن كانت بينهم وبينهم شحناء لجناية
اقترفوها فليعودوا عليهم بالعفو والصفح وليفعلوا بهم مثل ما يرجون أن يفعل بهم ربهم مع كثرة خطاياهم
وذنوبهم نزلت في شأن مسطح وكان ابن خالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكان فقيرا من فقراء المهاجرين
وكان أبو بكر ينفق عليه فلما فرط منه ما فرط آلى أن لا ينفق عليه وكفى به داعيا إلى المجاملة وترك الاشتغال
بالمكافأة للمسيء ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها على أبي بكر فقال بلى أحب أن يغفر الله لي ورجع
إلى مسطح نفقته وقال والله لا أنزعها أبدا وقرأ أبو حيوة وابن قطيب أن تؤتوا بالتاء على الالتفات ويعضده
قوله ألا تحبون أن يغفر الله لكم الغافلات السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر
لأنهن لم يجربن الأمور ولم يرزن الأحوال فلا يفطن لما تفطن له المجربات العرافات قال ولقد لهوت بطفلة
ميالة بلهاء تطلعني على أسرارها وكذلك البله من الرجال في قوله أكثر أهل الجنة البله وقرئ يشهد بالياء
والحق بالنصب صفة للدين وهو الجزاء وبالرفع صفة لله ولو فليت القرآن كله وفتشت عما أوعد به العصاة لم تر الله
عز وجل قد غلظ في شيء تغليظه في إفك عائشة رضوان الله عليها ولا أنزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد
والعقاب البليغ والزجر العنيف واستعظام ما ركب من ذلك واستفظاع ما أقدم عليه ما أنزل فيه على طرق
مختلفة وأساليب مفتنة كل واحد منها كاف في بابه ولو لم ينزل إلا هذه الثلاث لكفى بها حيث جعل القذفة
ملعونين في الدارين جميعا وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة وبأن ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد
عليهم بما أفكوا وبهتوا وأن الله يوفيهم جزاءهم الحق الواجب الذي هم أهله حتى يعلموا عند ذلك أن الله هو

الحق المبين ما اوجز في ذلك واشبع وفصّل واجمل واكّد وكرّر وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة
الاوثان الا ما هو دونه في الفظاعة وما ذاك الا لامر وعن ابن عباس رضي الله عنه كان بالبصرة يوم عرفة
وكان يسال عن تفسير القرآن حتى سئل عن هذه الآيات فقال من اذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته
الا من خاض في امر عائشة وهذا منه مبالغة وتعظيم لامر الافك ولقد برّأ الله اربعة باربعة برّأ يوسف
عليه السلم بلسان الشاهد وشهد شاهد وبرّأ موسى من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه
وبرّأ مريم بانطاق ولدها حين نادى من حجرها اني عبد الله وبرّأ عائشة بهذه الآيات العظام في كتابه
المعجز المتلوّ على وجه الدهر مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين تبرئة اولئك وما
ذاك الا لاظهار علو منزلة رسول الله والتنبيه على انافة محل سيد ولد آدم وخيرة الاولين
وحجة الله على العالمين ومن اراد ان يتحقق عظمة شانه وتقدم قدمه واحرازه لقصب
السبق فليتلق ذلك من آيات الافك وليتامل كيف غضب الله له في حرمته وكيف بالغ في نفي
فان قلت ان كانت عائشة هي المرادة فكيف قيل المحصنات قلت فيه وجهان
بالمحصنات ازواج رسول الله وان يخصصن بان من قذفهن فهذا الوعيد لاحق به
كبراهن منزلة وقربة عند رسول الله كانت المرادة اولا والثاني انها ام المؤمنين فجمع
ولبناتها من نساء الامة الموصوفات بالاحصان والغفلة والايمان كما قال قدني من نصر الخبيبين قدي
اراد عبد الله بن الزبير واشياعه وكان اعداؤه يكنونه بخبيب ابنه وكان مضعوفا وكنيته المشهورة
ابو بكر الا ان هذا في الاسم وذاك في الصفة فان قلت ما معنى قوله هو الحق المبين قلت معناه ذو الحق
البين اي العادل الظاهر العدل الذي لا ظلم في حكمه والمحق الذي لا يوصف بباطل ومن هذه صفته
لم يسقط عنده اساءة مسيء ولا احسان محسن فحق مثله ان يتقى وتجتنب محارمه اي الخبيثات من القول
تقال او تعد للخبيثين من الرجال والنساء والخبيثون منهم يتعرضون للخبيثات من القول وكذلك الطيبات
والطيبون واولئك اشارة الى الطيبين انهم مبرؤون مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلم
وهو كلام جار مجرى المثل لعائشة وما رميت به من قول لا يطابق حالها في النزاهة والطيب ويجوز ان
يكون اشارة الى اهل البيت وانهم مبرؤون مما يقول اهل الافك وان يراد بالخبيثات والطيبات النساء اي
الخبائث يتزوجن الخباث والخباث الخبائث وكذلك اهل الطيب وذكر الرزق الكريم ههنا مثله في قوله
واعتدنا لها رزقا كريما وعن عائشة رضي الله عنها لقد اعطيت تسعا ما اعطيتهن امرأة لقد نزل جبريل عليه
بصورتي في راحته حين امر رسول الله ان يتزوجني ولقد تزوجني بكرا وما تزوج بكرا غيري ولقد توفي
وان راسه في حجري ولقد قبر في بيتي ولقد حفته الملائكة في بيتي وان الوحي لينزل عليه في اهله
فيتفرقون عنه وان كان لينزل عليه وانا معه في لحافه واني لابنة خليفته وصديقه ولقد نزل عذري من
السماء ولقد خلقت طيبة عند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما تستانسوا فيه وجهان احدهما انه من الاستيناس
الظاهر الذي هو خلاف الاستيحاش لان الذي يطرق باب غيره لا يدري ايؤذن له ام لا فهو كالمستوحش
من خفاء الحال عليه فاذا اذن له استانس فالمعنى حتى يؤذن لكم كقوله لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن
لكم وهذا من باب الكناية والارداف لان هذا النوع من الاستيناس يردف الاذن فوضع موضع الاذن

والثاني

والثاني ان يكون من الاستيناس الذي هو الاستعلام والاستكشاف استفعال من انس الشيء اذا ابصره ظاهرا
مكشوفا والمعنى حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم ام لا ومنه قولهم استانس هل ترى احدا واستانست
فلم ار احدا اي تعرفت واستعلمت ومنه بيت النابغة على مستانس وحد ويجوز ان يكون من الانس
وهو ان يتعرف هل ثم انسان وعن ابي ايوب الانصاري قلنا يا رسول الله ما الاستيناس قال يتكلم الرجل
بالتسبيحة والتكبيرة والتحميدة يتنحنح يؤذن اهل البيت والتسليم ان يقول السلم عليكم اادخل ثلث مرات
فان اذن له والا رجع وعن ابي موسى الاشعري انه اتى باب عمر فقال السلم عليكم اادخل قالها ثلثا ثم رجع وقال
سمعت رسول الله صلعم يقول الاستيذان ثلث واستاذن رجل على رسول الله صلى الله عليه فقال أألج فقال عليه السلم
لامرأة يقال لها روضة قومي الى هذا فعلميه فانه لا يحسن ان يستاذن قولي له يقول السلم عليكم اادخل
فسمعها الرجل فقالها فقال ادخل وكان اهل الجاهلية يقول الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته حييتم صباحا
وحييتم مساء ثم يدخل فربما اصاب الرجل مع امرأته في لحاف واحد فصد الله عن ذلك وعلم الاحسن
والاجمل وكم من باب من ابواب الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة قد تركوا العمل به وباب
الاستيذان من ذلك بينا انت في بيتك اذ رعف عليك الباب بواحد من غير استيذان ولا تحية من تحايا اسلام
ولا جاهلية وهو ممن سمع ما انزل الله فيه وما قال رسول الله ولكن اين الاذن الواعية وفي قراءة عبد الله حتى
تسلموا على اهلها وتستاذنوا وعن ابن عباس وسعيد بن جبير انما هو حتى تستاذنوا فاخطا الكاتب ولا
يعول على هذه الرواية وفي قراءة ابي حتى تستاذنوا ذلكم الاستيذان والتسليم خير لكم من تحية الجاهلية والدمور
وهو الدخول بغير اذن واشتقاقه من الدمار وهو الهلاك كان صاحبه دامر لعظم ما ارتكب وفي الحديث
من سبقت عينه استيذانه فقد دمر وروي ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أأستاذن على امي قال
نعم قال انها ليس لها خادم غيري أأستاذن عليها كلما دخلت قال أتحب ان تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستاذن
لعلكم تذكرون اي انزل عليكم او قيل لكم هذا ارادة ان تذكروا وتتعظوا وتعملوا بما امرتم به في باب
الاستيذان يحتمل فان لم تجدوا فيها احدا من الآذنين فلا تدخلوها واصبروا حتى تجدوا من يأذن لكم ويحتمل
فان لم تجدوا فيها احدا من اهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها الا باذن اهلها وذلك ان الاستيذان لم يشرع لئلا
يطلع الدامر على عورة ولا تسبق عينه الى ما لا يحل النظر اليه فقط وانما شرع لئلا يوقف على الاحوال التي يطويها
الناس في العادة عن غيرهم ويتحفظون من اطلاع احد عليها ولانه تصرف في ملك غيرك فلا بد من ان يكون برضاه
والا اشبه الغصب والتغلب فارجعوا اي لا تلحوا في اطلاق الاذن ولا تلجوا في تسهيل الحجاب ولا تقفوا على الابواب
منتظرين لان هذا مما يجلب الكراهة ويقدح في قلوب الناس خصوصا اذا كانوا ذوي مروءة ومرتاضين بالآداب
الحسنة واذا نهي عن ذلك لادائه الى الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما يؤدي اليها من قرع الباب بعنف
والتصييح بصاحب الدار وغير ذلك مما يدخل في عادات من لم يتهذب من اكثر الناس وعن ابي عبيد رحمه الله
ما قرعت بابا على عالم قط وكفى بقصة بني اسد زاجرة وما نزل فيها من قوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء
الحجرات اكثرهم لا يعقلون فان قلت هل يصح ان يكون المعنى وان لم يؤذن لكم وامرتم بالرجوع فامتثلوا
ولا تدخلوا مع كراهتهم قلت بعد ان جزم النهي عن الدخول مع فقدان الاذن وحده من اهل الدار حاضرين
وغائبين لم تبق شبهة في كونه منهيا عنه مع انضمام الامر بالرجوع الى فقد الاذن فان قلت فاذا عرض

أمر في دار من حريق أو هجوم سارق أو ظهور منكر يجب إنكاره قلت ذلك مستثنى بالدليل أي الرجوع أطيب
لكم وأطهر لما فيه من سلامة الصدور والبعد من الريبة أو أنفع وأنمى خيراً ثم أوعد المخاطبين بذلك
بأنه عالم بما يأتون وما يذرون مما خوطبوا به فموف جزاءه عليه استثنى من البيوت التي يجب الاستئذان
على داخلها ما ليس بمسكون منها وذلك نحو الفنادق وهي الخانات والربط وحوانيت البياعين والمتاع
المنفعة كالاستكنان من الحر والبرد وإيواء الرحال والسلع والشرى والبيع ويروى أن أبا بكر رضي الله
يا رسول الله إن الله قد أنزل عليك آية في الاستئذان وإنا لنختلف في تجاراتنا فننزل هذه الخانات أفلا
ندخلها إلا بإذن وقيل الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد للذين
الخربات والدور الخالية من أهل الريبة من للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به
وجوز الأخفش أن تكون مزيدة وأباه سيبويه فإن قلت كيف دخلت في غض البصر دون حفظ ال
دلالة على أن أمر النظر أوسع ألا ترى أن المحارم لا بأس بالنظر إلى شعورهن وصدورهن و
وأعضادهن وأسوقهن وأقدامهن وكذلك الجواري المستعرضات والأجنبية ينظر إلى وجهها و
في إحدى الروايتين وأما أمر الفرج فمضيق وكفاك فرقاً أن أبيح النظر إلا ما استثني منه وحظر الجماع إلا ما
منه ويجوز أن يراد مع حفظها عن الإفضاء إلى ما لا يحل حفظها عن الإبداء وعن ابن زيد كل ما في القرآن من
الفرج فهو عن الزنا إلا هذا فإنه أراد به الاستتار ثم أخبر أنه خبير بأحوالهم وأفعالهم وكيف يجيلون أبصارهم
وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم فعليهم إذ عرفوا ذلك أن يكونوا منه على تقوى وحذر في كل حركة وسكون
النساء مأمورات بغض الأبصار ولا يحل للمرأة أن تنظر من الأجنبي إلى ما تحت سرته إلى ركبته وإن اشتهت
غضت بصرها رأساً ولا تنظر من المرأة إلا إلى مثل ذلك وغضها بصرها من الأجانب أصلاً أولى بها وأحسن ومنه
حديث ابن أم مكتوم عن أم سلمة قالت كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة فأقبل ابن أم مكتوم وذلك
بعد أن أمرنا بالحجاب فدخل علينا فقال احتجبا فقلنا يا رسول الله أليس أعمى لا يبصرنا فقال أفعمياوان أنتما ألستما
تبصرانه فإن قلت لم قدم غض الأبصار على حفظ الفروج قلت لأن النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى
فيه أشد وأكثر ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه الزينة ما تزينت به المرأة من حلي أو كحل أو خضاب
فما كان ظاهراً منها كالخاتم والفتخة والكحل والخضاب فلا بأس بإبدائه للأجانب وما خفي منها كالسوار
والخلخال والدملج والقلادة والإكليل والوشاح والقرط فلا تبديه إلا لهؤلاء المذكورين وذكر الزينة دون مواقعها
للمبالغة في الأمر بالتصون والتستر لأن هذه الزين واقعة على مواضع من الجسد لا يحل النظر إليها
لغير هؤلاء وهي الذراع والساق والعضد والعنق والرأس والصدر والأذن فنهي عن إبداء الزين نفسها
ليعلم أن النظر إذا لم يحل إليها لملابستها تلك المواقع بدليل أن النظر إليها غير ملابسة لها لا مقال في حله
كان النظر إلى المواقع أنفسها متمكناً في الحظر ثابت القدم في الحرمة شاهداً على أن النساء حقهن أن
في سترها ويتقين الله في الكشف عنها فإن قلت ما تقول في القراميل هل يحل نظر هؤلاء إليها قلت
نعم فإن قلت أليس موقعها الظهر ولا يحل لهم النظر إلى ظهرها وبطنها وربما ورد الشعر فوقعت
القراميل على ما يحاذي ما تحت السرة قلت الأمر كما قلت ولكن أمر القراميل خلاف أمر سائر الحلي لأنه
لا يقع إلا فوق اللباس ويجوز النظر إلى الثوب الواقع على الظهر والبطن للأجانب فضلاً عن هؤلاء إلا إذا كان

يصف

يصف لرقته فلا يحل النظر إليه فلا يحل النظر إلى القراميل واقعة عليه فإن قلت ما المراد بموقع الزينة
ذلك العضو كله أم المقدار الذي تلابسه الزينة منه قلت الصحيح أنه العضو كله كما فسرت مواقع الزينة
الخفية وكذلك مواقع الزينة الظاهرة الوجه موقع الكحل في عينيه والخضاب بالوسمة في حاجبيه وشاربيه
والغمرة في خديه والكف والقدم موقعا الخاتم والفتخة والخضاب بالحناء فإن قلت لم سومح مطلقاً في الزينة
الظاهرة قلت لأن سترها فيه حرج فإن المرأة لا تجد بداً من مزاولة الأشياء بيديها ومن الحاجة إلى كشف وجهها
خصوصاً في الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر إلى المشي في الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن
هذا معنى قوله إلا ما ظهر يعني إلا ما جرت العادة والجبلة على ظهوره والأصل فيه الظهور وإنما سومح في الزينة
أولئك المذكورون لما كانوا مختصين به من الحاجة المضطرة إلى مداخلتهم ومخالطتهم ولقلة توقع الفتنة
[illegible]هم ولما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب وتحتاج المرأة إلى صحبتهم في الأسفار للنزول والركوب
كانت جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما حواليها وكن يسدلن الخمر من ورائهن
[illegible]فة فأمرن بأن يسدلنها من قدامهن حتى تغطيها ويجوز أن يراد بالجيوب الصدور تسمية بما يليها
[illegible]ه قولهم ناصح الجيب وقولك ضربت بخمارها على جيبها كقولك ضربت بيدي على الحائط إذا وضعتها عليه وعن
[illegible] ما رأيت نساء خيراً من نساء الأنصار لما نزلت هذه الآية قامت كل واحدة منهن إلى مرطها المرحل فصدعت
[illegible]ه صدعة فاختمرن فأصبحن على رؤوسهن الغربان وقرئ جيوبهن بكسر الجيم لأجل الياء وكذلك بيوتاً
غير بيوتكم قيل في نسائهن هن المؤمنات لأنه ليس للمؤمنة أن تتجرد بين يدي مشركة أو كتابية عن ابن
عباس والظاهر أنه عنى بنسائهن وما ملكت أيمانهن من في صحبتهن وخدمتهن من الحرائر والإماء
والنساء كلهن سواء في حل نظر بعضهن إلى بعض وقيل ما ملكت أيمانهن هم الذكور والإناث جميعاً وعن
عائشة أنها أباحت النظر إليها لعبدها وقالت لذكوان إنك إذا وضعتني في القبر وخرجت فأنت حر وعن سعيد بن
المسيب مثله ثم رجع وقال لا تغرنكم آية النور فإن المراد بها الإماء وهذا هو الصحيح لأن عبد المرأة بمنزلة الأجنبي
منها خصياً كان أو فحلاً وعن ميسون بنت بحدل الكلابية أن معوية دخل عليها ومعه خصي فتقنعت منه فقالت
يا معوية أترى أن المثلة به تحلل ما حرم الله وعند أبي حنيفة لا يحل إمساك الخصيان واستخدامهم وبيعهم
وشراؤهم ولم ينقل عن أحد من السلف إمساكهم فإن قلت روي أنه أهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم
خصي فقبله قلت لا يقبل فيما تعم به البلوى إلا حديث مكشوف وإن صح فلعله قبل ليعتقه أو لسبب من الأسباب
الإربة الحاجة قيل هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم إلى النساء لأنهم بله لا يعرفون
شيئاً من أمرهن أو شيوخ صلحاء إذا كانوا معهن غضوا أبصارهم أو بهم عنانة وقرئ غير بالنصب
على الاستثناء أو الحال والجر على الوصفية وضع الواحد موضع الجمع لأنه يفيد الجنس ويبين ما بعده أنه يراد
به الجمع ونحوه نخرجكم طفلاً لم يظهروا إما من ظهر على الشيء إذا اطلع عليه أي لا يعرفون ما العورة ولا
يميزون بينها وبين غيرها وإما من ظهر على فلان إذا قوي عليه وظهر على القرآن أخذه وأطاقه أي لم يبلغوا
أوان القدرة على الوطء وقرئ عورات وهي لغة هذيل فإن قلت لم لم يذكر الله الأعمام والأخوال
قلت سأل الشعبي عن ذلك فقال لئلا يصفها العم عند ابنه والخال كذلك ومعناه أن سائر القرابات تشترك
الأب والابن في المحرمية إلا العم والخال وأبناءهما فإذا رآها الأب فربما وصفها لابنه وليس بمحرم فيداني تصوره

لها بالوصف تطرق اليها وهذا ايضا من الدلالات البليغة على وجوب الاحتياط عليهن في الستر كانت المرأة تضرب
الارض برجلها ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال واذا نهين عن اظهار صوت الحلي بعد ما نهين عن اظهار
الحلي علم بذلك ان النهي عن اظهار مواضع الحلي أبلغ وابلغ اوامر الله ونواهيه في كل باب لا يكاد العبد الضعيف
يقدر على مراعاتها وان ضبط نفسه فلذلك وصى المؤمنين جميعا بالتوبة والاستغفار وتأميل الفلاح اذا تابوا
واستغفروا وعن ابن عباس توبوا مما كنتم تفعلون في الجاهلية لعلكم تسعدون في الدنيا والاخرة فان
قلت قد صحت التوبة بالاسلام والاسلام يجب ما قبله فما معنى هذه التوبة قلت اراد بها ما يقوله
العلماء ان من اذنب ذنبا ثم تاب عنه يلزمه كلما تذكره ان يجدد عنه التوبة لانه يلزمه ان يستمر على
ندمه وعزمه الى ان يلقى ربه وقرئ ايه المؤمنون بضم الهاء ووجهه انها كانت مفتوحة لوقوعها قبل
الالف فلما سقطت الالف لالتقاء الساكنين اتبعت حركتها حركة ما قبلها الايامى واليتامى اصلهما
ايائم ويتائم فقلبا والايم للرجل والمرأة وقد آم وآمت وتأيما اذا لم يتزوجا كانا بكرين او ثيبين
فان تنكحي انكح وان تتأيمي وان كنت افتى منكم اتأيم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انا نعوذ بك
من العيمة والغيمة والايمة والكزم والقرم والمراد انكحوا من تأيم منكم من الاحرار والحرائر ومن كان فيه
صلاح من غلمانكم وجواريكم وقرئ من عبيدكم وهذا الامر للندب لما علم من ان النكاح امر مندوب اليه وقد يكون
للوجوب في حق الاولياء عند طلب المرأة ذلك وعند اصحاب الظواهر النكاح واجب ومما يدل على كونه مندوبا
اليه قوله عليه السلام من احب فطرتي فليستن بسنتي وهي النكاح وعنه من كان له ما يتزوج به فلم يتزوج
فليس منا وعنه يا عياض لا تزوجن عجوزا ولا عاقرا فاني مكاثر وعنه اذا تزوج احدكم عج شيطانه يا ويله عصم
ابن آدم مني ثلثي دينه والاحاديث فيه كثيرة عن رسول الله والآثار كثيرة وربما كان واجب الترك اذا ادى الى
معصية او مفسدة وعن النبي عليه السلام اذا اتى على امتي مائة وثمانون سنة فقد حلت لهم العزبة والعزلة والترهب
على رؤس الجبال وفي الحديث يأتي على الناس زمان لا تنال المعيشة فيه الا بالمعصية فاذا كان ذلك الزمان
حلت العزوبة فان قلت لم خص الصالحين قلت ليحصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم ولان الصالحين من الارقاء
هم الذين مواليهم يشفقون عليهم وينزلونهم منزلة الاولاد في الاثرة والمودة فكانوا مظنة للتوصية بشأنهم
والاهتمام بهم وتقبل الوصية فيهم واما المفسدون منهم فحالهم عند مواليهم على عكس ذلك او اريد بالصلاح القيام
بحقوق النكاح ينبغي ان تكون شريطة الله غير منسية في هذا الموعد ونظائره وهي مشيئته ولا يشاء الحكيم
الا ما كان مصلحة ونحوه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقد جاءت الشريطة
منصوصة في قوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم ومن لم ينس
هذه الشريطة لم ينتصب معترضا بعزب كان غنيا فافقره النكاح وبفاسق تاب واتقى الله وكان له شيء ففني
وأصبح مسكينا وعن النبي صلى الله عليه وسلم التمسوا الرزق بالنكاح وشكا اليه رجل الحاجة فقال عليك
بالباءة وعن عمر رضي الله عنه عجب لمن لا يطلب الغنى بالباءة ولقد كان عندنا رجل رازح الحال ثم رأيته
بعد سنين وقد انتعشت حاله وحسنت فسألته فقال كنت في اول امري على ما علمت وذلك قبل ان ارزق
ولدا فلما رزقت بكري ولدي تراخيت عن الفقر فلما ولد الثاني زدت خيرا فلما تتاموا ثلثة صب الله علي الخير
صبا فاصبحت الى ما ترى والله واسع اي غني ذو سعة لا يرزؤه اغناء الخلائق ولكنه عليم يبسط الرزق

لمن يشاء

لمن يشاء ويقدر وليستعفف وليجتهد في العفة وظلف النفس كان المستعفف طالب من نفسه العفاف وحاملها
عليه لا يجدون نكاحا اي استطاعة تزوج ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به من المال حتى يغنيهم الله ترجية
للمستعففين وتقدمة وعد بالتفضل عليهم بالغنى ليكون انتظار ذلك وتأميله لطفا لهم في استعفافهم وربطا على
قلوبهم وليظهر بذلك ان فضله اولى بالاعفاء وادنى من الصلحاء وما احسن ما رتب هذه الاوامر حيث
امر اولا بما يعصم من الفتنة ويبعد من مواقعة المعصية وهو غض البصر ثم بالنكاح الذي يحصن به الدين ويقع
به الاستغناء بالحلال عن الحرام ثم بالحمل على النفس الامارة بالسوء وعزفها عن الطموح الى الشهوة عند العجز عن النكاح
الى ان يرزق القدرة عليه والذين يبتغون مرفوع على الابتداء او منصوب بفعل مضمر يفسره فكاتبوهم كقولك زيدا
فاضربه ودخلت الفاء لتضمن معنى الشرط والكتاب والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة وهو ان يقول الرجل لمملوكه
كاتبتك على الف درهم فان اداها عتق ومعناه كتبت لك على نفسي ان تعتق مني وكتبت لي على نفسك ان تفي
لي بذلك او كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت على العتق ويجوز عند ابي حنيفة رحمه الله حالا ومؤجلا ومنجما
وغير منجم لان الله عز وجل لم يذكر التنجيم وقياسا على سائر العقود وعند الشافعي رحمه الله لا يجوز الا مؤجلا منجما
ولا يجوز بنجم واحد لان العبد لا يملك شيئا فعقده حالا منع من حصول الغرض لانه لا يقدر على اداء البدل عاجلا
ويجوز عقده على مال قليل وكثير وعلى خدمة في مدة معلومة وعلى خدمة مؤقتة مثل حفر بئر في مكان بعينه معلومة الطول
والعرض وبناء دار قد اراه آجرها وجصها وما يبنى منه وان كاتبه على قيمته لم يجز فان اداها عتق وان كاتبه
على وصيف جاز لقلة الجهالة ووجب الوسط وليس له ان يطأ المكاتبة واذا ادى عتق وكان ولاؤه لمولاه
لانه جاد عليه بالكسب الذي هو في الاصل له وهذا الامر للندب عند عامة العلماء وعن الحسن ليس ذلك بعزم
ان شاء كاتب وان شاء لم يكاتب وعن عمر رضي الله عنه هي عزمة من عزمات الله وعن ابن سيرين مثله وهو
مذهب داود خيرا قدرة على اداء ما يفارقون عليه وقيل امانة وتكسبا وعن سلمان ان مملوكا له ابتغى ان يكاتبه
فقال اعندك مال قال لا قال افتأمرني ان آكل غسالة ايدي الناس وآتوهم امر المسلمين على وجه الوجوب باعانة
المكاتبين واعطائهم سهمهم الذي جعل الله لهم من بيت المال كقوله وفي الرقاب عند ابي حنيفة واصحابه فان
قلت هل يحل لمولاه اذا كان غنيا ان يأخذ ما تصدق به عليه قلت نعم وكذلك اذا لم تف الصدقة
بجميع البدل وعجز عن اداء الباقي طاب للمولى ما اخذه لانه لم يأخذه بسبب الصدقة ولكن بسبب عقد المكاتبة
كمن اشترى الصدقة من الفقير او ورثها او وهبت له ومنه قوله عليه السلام في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا
هدية وعند الشافعي رحمه الله هو ايجاب على الموالي ان يحطوا لهم من مال الكتابة وان لم يفعلوا اجبروا
وعن علي رضي الله عنه يحط عنه الربع وعن ابن عباس يرضخ له من كتابته شيئا وعن عمر انه كاتب عبدا له يكنى
ابا امية وهو اول عبد كوتب في الاسلام فاتاه باول نجم فدفعه اليه عمر وقال استعن به على مكاتبتك فقال لو اخرته
الى آخر نجم فقال اخاف ان لا ادرك ذلك وهذا عند ابي حنيفة على وجه الندب وقال انه عقد معاوضة فلا يجبر على
الحطيطة كالبيع وقيل معنى وآتوهم اسلفوهم وقيل انفقوا عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا وهذا كله مستحب
وروي انه كان لحويطب بن عبد العزى مملوك يقال له الصبيح سأل مولاه ان يكاتبه فابى فنزلت كانوا في
اهل الجاهلية يساعين على مواليهن وكان لعبد الله بن ابي رأس النفاق ست جوار معاذة ومسيكة واميمة وعمرة
واروى وقتيلة يكرههن على البغاء وضرب عليهن الضرائب فشكت ثنتان منهن الى رسول الله فنزلت ويكنى

بالعتق والفتاة عن العبد والأمة وفي الحديث ليقل أحدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وأمتي والبغاء مصدر البغي
فإن قلت لم أقحم قوله إن أردن تحصنا قلت لأن الإكراه لا يتأتى إلا مع إرادة التحصن وآمر الطيعة المواتية
للبغاء لا يسمى مكرها ولا أمره إكراها وكلمة إن وإيثارها على إذا إيذان بأن المساعيات كن يفعلن ذلك برغبة
وطواعية منهن وإن ما وجد من معاذة ومسيكة من حيز الشاذ النادر غفور رحيم لهم أو لهن أو لهم
ولهن إن تابوا وأصلحوا وفي قراءة ابن عباس لهن غفور رحيم فإن قلت لا حاجة إلى تعليق المغفرة بهن
لأن المكرهة على الزنى بخلاف المكره عليه في أنها غير آثمة قلت لعل الإكراه كان دون ما اعتبرته
الشريعة من إكراه بقتل أو بما يخاف منه التلف أو ذهاب العضو من ضرب عنيف أو غيره حتى تسلم من
الإثم وربما قصرت عن الحد الذي تعذر فيه فتكون آثمة مبينات يعني الآيات التي بينت في
السورة وأوضحت في معاني الأحكام والحدود ويجوز أن يكون الأصل مبينا فيها فاتسع في الظرف
بالكسر أي بينت هي الأحكام والحدود جعل الفعل لها على المجاز أو من بين بمعنى تبين ومنه المثل
قد بين الصبح لذي عينين ومثلا من أمثال من قبلكم أي قصة عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم يعني قصة
عائشة رضي الله عنها وموعظة ما وعظ به في الآيات والمثل في قوله ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله
لولا إذ سمعتموه ولولا إذ سمعتموه يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا نظير قوله **الله نور السموات**
مع قوله مثل نوره ويهدي الله لنوره قولك زيد كرم وجود ثم تقول ينعش الناس بكرمه وجوده والمعنى
ذو نور السموات وصاحب نور السموات ونور السموات والأرض الحق شبهه بالنور في ظهوره وبيانه كقوله الله
ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور أي من الباطل إلى الحق وأضاف النور إلى السموات والأرض
لأحد معنيين إما للدلالة على سعة إشراقه وفشو إضاءته حتى تضيء له السموات والأرض وإما أن يراد أهل السموات والأرض وأنهم يستضيئون
به **مثل نوره** أي صفة نوره العجيبة الشأن في الإضاءة **كمشكاة** كصفة مشكاة وهي الكوة
في الجدار غير النافذة فيها مصباح سراج ضخم ثاقب في زجاجة أراد قنديلا من زجاج شامي أزهر شبهه في
زهرته بأحد الدراري من الكواكب وهي المشاهير كالمشتري والزهرة والمريخ وسهيل ونحوها **توقد** هذا المصباح
من شجرة أي ابتداء ثقوبه من شجرة الزيتون يعني رويت ذبالته بزيتها **مباركة**
كثيرة المنافع أو لأنها نبتت في الأرض التي بارك فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعون نبيا منهم إبراهيم عن النبي
صلى الله عليه وسلم عليكم بهذه الشجرة زيت الزيتون فتداووا به فإنه مصحة من الباسور **لا شرقية**
ولا غربية أي منبتها الشام وأجود الزيتون زيتون الشام وقيل لا في مضحى ولا في مقناة ولكن الشمس
والظل يتعاقبان وذلك أجود لحملها وأصفى لدهنها قال رسول الله صلعم لا خير في شجرة في مقناة ولا نبات في مقناة ولا خير
فيهما في مضحى وقيل ليست مما تطلع الشمس عليها في وقت شروقها أو غروبها فقط بل تصيبها بالغداة والعشي جميعا فهي شرقية
غربية ثم وصف الزيت بالصفاء والوبيص وأنه لتلألئه **يكاد** يضيء من غير نار **نور على نور**
أي هذا الذي شبه به الحق نور متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم يبق مما
يقوي النور ويزيده إشراقا ويمده بإضاءة بقية وذلك أن المصباح إذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان أضوأ
له وأجمع لنوره بخلاف المكان الواسع فإن الضوء ينبث فيه وينتشر والقنديل أعون شيء على زيادة الإنارة
وكذلك الزيت وصفاؤه **يهدي الله** لهذا النور الثاقب **من يشاء** من عباده أي يوفق لإصابته

الحق من نظر وتدبر بعين عقله والإنصاف من نفسه ولم يذهب عن الجادة الموصلة إليه يمينا ولا شمالا ومن لم يتدبر
فهو كالأعمى الذي سواء عليه جنح الليل الدامس وضحوة النهار الشامس وعن علي رضي الله عنه الله نور السموات
والأرض أي نشر فيها الحق وبثه فأضاءت بنوره أو نور قلوب أهلها به وعن أبي بن كعب مثل نور من آمن به وقرئ
زجاجة الزجاجة بالفتح والكسر دري منسوب إلى الدر أي أبيض متلألئ ودريء يدرأ الظلام
بضوئه ودرّيء كالسكينة عن أبي زيد وتوقد بمعنى تتوقد والفعل للزجاجة ويوقد وتوقد بالتشديد
ويوقد بحذف التاء لاجتماع حرفين زائدين وهو غريب ويمسه بالياء لأن التأنيث ليس بحقيقي والضمير فاصل
في بيوت يتعلق بما قبله أي كمشكاة في بعض بيوت الله وهي المساجد كأنه قيل مثل نوره كما ترى في المسجد نور المشكاة التي من
صفتها كيت وكيت أو بما بعده وهو يسبح أي يسبح له رجال في بيوت وفيها تكرير كقولك زيد في الدار جالس فيها
أو بمحذوف كقوله في تسع آيات أي سبحوا في بيوت والمراد بالإذن الأمر ورفعها بناؤها كقوله بناها رفع سمكها فسواها
وإذ يرفع إبراهيم القواعد وعن ابن عباس هي المساجد أمر الله أن تبنى أو تعظيمها والرفع من قدرها وعن الحسن
ما أمر الله أن ترفع بالبناء ولكن بالتعظيم ويذكر فيها اسمه أوفق له وهو عام في كل ذكر وعن ابن عباس وأن يتلى فيها
كتابه وقرئ يسبح على البناء للمفعول ويسند إلى أحد الظروف الثلاثة أعني له فيها بالغدو ورجال مرفوع بما دل
عليه يسبح وهو يسبح له وتسبح بالتاء وكسر الباء وعن أبي جعفر بالتاء وفتح الباء ووجهها أن يسند إلى
أوقات الغدو والآصال على زيادة الباء وتجعل الأوقات مسبحة والمراد ربهما كصيد عليه يومان والمراد
وحشهما والآصال جمع أصل وهي العشي والمعنى بأوقات الغدو أي بالغدوات وقرئ والإيصال وهو الدخول
في الأصيل يقال آصل كأظهر وأعتم التجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح فإما أن يريد لا يشغلهم
نوع من هذه الصناعة ثم خص البيع لأنه في الإلهاء أدخل من قبل أن التاجر إذا اتجهت له بيعة رابحة وهي طلبته
الكلية من صناعته ألهته ما لا يلهيه شراء شيء يتوقع فيه الربح في الوقت الثاني لأن هذا يقين وذاك مظنون وإما
أن يسمى الشراء تجارة إطلاقا لاسم الجنس على النوع كما تقول رزق فلان تجارة رابحة إذا اتجه له بيع صالح أو شراء وقيل
التجارة لأهل الجلب تجر فلان في كذا إذا جلبه وإقام الصلاة التاء في إقامة عوض من العين الساقطة للإعلال والأصل إقوام فلما أضيفت
أقيمت الإضافة مقام حرف التعويض فأسقطت ونحوه وأخلفوك عد الأمر الذي وعدوا تتقلب فيه القلوب والأبصار إما
أن تتقلب وتتغير في أنفسها وهو أن تضطرب من الهول والفزع وتشخص كقوله وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر
وإما أن تتقلب أحوالها وتتغير فتفقه القلوب بعد أن كانت مطبوعا عليها لا تفقه وتبصر الأبصار بعد أن كانت عمياء
لا تبصر أحسن ما عملوا أي أحسن جزاء أعمالهم كقوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة والمعنى يسبحون ويخافون ليجزيهم
ثوابهم مضاعفا ويزيدهم على الثواب تفضلا وكذلك معنى قوله الحسنى وزيادة المثوبة الحسنى وزيادة عليها من التفضل
وعطاء الله عز وجل إما تفضل وإما ثواب وإما عوض والله يرزق ما يتفضل به بغير حساب فأما الثواب فله حساب لكونه على حسب
الاستحقاق السراب ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب على وجه الأرض كأنه ماء يجري والقيعة
بمعنى القاع أو جمع قاع وهو المنبسط المستوي من الأرض كجيرة في جار وقرئ بقيعات بتاء مطولة كديمات وقيمات
في ديمة وقيمة وقد جعل بعضهم بقيعاة بتاء مدورة كرجل عزهاة شبه ما يعمله من لا يعتقد الإيمان ولا يتبع الحق من الأعمال الصالحة
التي يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم تخيب في العاقبة أمله ويلقى خلاف ما قدر بسراب يراه الكافر بالساهرة
وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه ماء فيأتيه فلا يجده ما رجاه ويجد زبانية الله عنده فيأخذونه فيعتلونه إلى جهنم فيسقونه

للعمه والنفاق وهو الذي قال الله فيهم عاملة ناصبة وتحسبون أنهم يحسنون صنعا وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء
منثورا وقيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن أمية قد كان تعبد ولبس المسوح والتمس الدين في الجاهلية ثم كفر في الإسلام اللجي
العميق الكثير الماء منسوب إلى اللج وهو معظم ماء البحر في أخرج ضمير الواقع فيه لم يكد يراها مبالغة في لم يرها أي لم يقرب أن
يراها فضلا عن أن يراها ومثله قول ذي الرمة إذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح أي لم يقرب
من البراح فما باله يبرح شبه أعمالهم أولا في فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجده من خدعه من بعيد شيئا
ولم يكفه خيبة وكمدا أن لم يجده شيئا كغيره من السراب حتى وجد عنده الزبانية تعتله إلى النار ولا يقتل ظما
بالماء وشبهها ثانيا في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفي خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة من لج البحر
والسحاب ثم قال ومن لم يوله نور توفيقه وعصمته ولطفه فهو في ظلمة الباطل لا نور له وهذا الكلام مجرى
لأن الألطاف إنما تردف الإيمان والعمل أو كونهما مترقبين ألا ترى إلى قوله والذين جاهدوا فينا لنهـ
ـدينهم ويضل الله الظالمين وقرئ سحاب ظلمات برفع سحاب وتنوينه وجر ظلمات بدلا من ظلمات الأولى
يصففن أجنحتهن في الهواء والضمير في علم لكل أو لله وكذلك في صلاته وتسبيحه كما ألهمها سائر العلوم
لا يكاد العقلاء يهتدون إليها يزجي يسوق ومنه البضاعة المزجاة التي يزجيها كل أحد لا يرضاها والسحاب
يكون واحدا كالعماء وجمعا كالرباب ومعنى تأليف الواحد أنه يكون قزعا فيضم بعضه إلى بعض وجاز بينه
وهو واحد لأن المعنى بين أجزائه كما قيل في قوله بين الدخول فحومل والركام المتراكم بعضه فوق بعض والودق
المطر من خلاله من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال في جبل وقرئ من خلله وينزل بالتشديد ويكاد سنا [illegible]
وبرقه جمع برقة وهي المقدار من البرق كالغرفة واللقمة وبرقه بضمتين للإتباع كما قيل في جمع فعلة فعلات كظلمات
وسناء برقه على المد المقصور بمعنى الضوء والممدود بمعنى العلو والارتفاع من قولك سني للمرتفع ويذهب بالأبصار على
زيادة الباء كقوله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة عن أبي جعفر المدني وهذا من تعديد الدلائل على ربوبيته وظهور أمره
حيث ذكر تسبيح من في السموات والأرض وكل ما يطير بين السماء والأرض ودعاءهم له وابتهالهم إليه وأنه سخر
السحاب التسخير الذي وصفه وما يحدث فيه من أفعاله حتى ينزل المطر منه وأنه يقسم رحمته بين خلقه ويقبضها ويبسطها
على ما تقتضيه حكمته ويريهم البرق في السحاب الذي يكاد يخطف أبصارهم ليعتبروا ويحذروا ويعاقب بين الليل والنهار
ويخالف بينهما بالطول والقصر وما هذه إلا براهين في غاية الوضوح على وجوده وثباته ودلائل منادية على صفاته لمن
نظر وفكر وتبصر وتدبر فإن قلت متى رأى رسول الله تسبيح من في السموات ودعاءهم وتسبيح الطير ودعاءه
وتنزيل المطر من جبال برد في السماء حتى قيل له ألم تر قلت علمه من جهة إخبار الله إياه بذلك على طريق الوحي فإن قلت
ما الفرق بين من الأولى والثانية والثالثة في قوله من السماء من جبال من برد قلت الأولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض
والثالثة للبيان أو الأوليان للابتداء والآخرة للتبعيض ومعناه أنه ينزل البرد من السماء من جبال فيها وعلى الأول مفعول ينزل من
جبال فإن قلت ما معنى من جبال فيها من برد قلت فيه معنيان أحدهما أن يخلق الله في السماء جبال برد كما خلق في الأرض
جبال حجر والثاني أن يريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب وقرئ خالق كل دابة ولما كان اسم الدابة
موقعا على المميز وغير المميز غلب المميز فأعطى ما وراءه حكمه كأن الدواب كلهم مميزون فمن ثم قيل فمنهم وقيل من يمشي
في الماشي على بطن والماشي على أربع قوائم فإن قلت لم نكر الماء في قوله من ماء قلت لأن المعنى أنه خلق كل دابة
من نوع من الماء مختص بتلك الدابة أو خلقها من ماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فمنها هوام

ومنها

ومنها بهائم ومنها ناس ونحوه يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل فإن قلت فما باله معرفا في قوله
وجعلنا من الماء كل شيء حي قلت قصد ثم معنى آخر وهو أن أجناس الحيوان كلها مخلوقة من هذا الجنس الذي هو
جنس الماء وذلك أنه هو الأصل وإن تخللت بينه وبينها وسائط قالوا خلق الملائكة من ريح خلقها من الماء والجن من نار
خلقها منه وآدم من تراب خلقه منه فإن قلت لم جاءت الأجناس الثلاثة على هذا الترتيب قلت قدم ما هو أعرق
في القدرة وهو الماشي بغير آلة مشي من أرجل أو قوائم ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على أربع فإن قلت
لم سمي الزحف على البطن مشيا قلت على سبيل الاستعارة كما قالوا في الأمر المستمر قد مشى هذا الأمر ويقال
فلان لا يتمشى له أمر ونحوه استعارة الشفة مكان الجحفلة والمشفر مكان الشفة ونحو ذلك أو على طريق المشاكلة لذكر الزاحف
مع الماشين وما أولئك بالمؤمنين إشارة إلى القائلين آمنا وأطعنا أو إلى الفريق المتولي منهم فمعناه على الأول إعلام
من الله بأن جميعهم منتف عنهم الإيمان لا الفريق المتولي وحده وعلى الثاني إعلام بأن الفريق المتولي لم يكن
ما سبق لهم من الإيمان إيمانا إنما كان ادعاء باللسان من غير مواطأة القلب لأنه لو كان صادرا عن صحة معتقد
وطمأنينة نفس لم يتعقبه التولي والإعراض والتعريف في قوله بالمؤمنين دلالة على أنهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفت
وهم الثابتون المستقيمون على الإيمان الموصوفون في قوله تعالى إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم
لم يرتابوا معنى إلى الله ورسوله إلى رسول الله كقولك أعجبني زيد وكرمه تريد كرم زيد ومنه قوله غدت من عليه قبل القطا وفرطه
أراد قبل فرط القطا روي أنها نزلت في بشر المنافق وخصمه اليهودي حين اختصما في أرض فجعل اليهودي يجره إلى رسول الله
والمنافق يجره إلى كعب بن الأشرف ويقول إن محمدا يحيف علينا وروي أن المغيرة بن وائل كان بينه وبين علي بن أبي طالب
رضي الله عنه خصومة في ماء وأرض فقال المغيرة أما محمد فلست آتيه ولا أحاكم إليه فإنه يبغضني وأنا أخاف أن يحيف علي إليه صلة
يأتوا لأن أتى وجاء قد جاءا معديين بإلى أو يتصل بمذعنين لأنه في معنى مسرعين في الطاعة وهذا أحسن لتقدم صلته
ودلالته على الاختصاص والمعنى أنهم لمعرفتهم أنه ليس معك إلا الحق المر والعدل البحت يزورون عن المحاكمة إليك إذا ركبهم الحق
لئلا تنتزعه من أحداقهم بقضائك عليهم لخصومهم وإن ثبت لهم حق على خصم أسرعوا إليك ولم يرضوا إلا بحكومتك لتأخذ لهم ما ذاب
لهم في ذمة الخصم ثم قسم الأمر في صدودهم عن حكومته إذا كان الحق عليهم بين أن يكونوا مرضى القلوب منافقين أو مرتابين في أمر
نبوته أو خائفين الحيف في قضائه ثم أبطل خوفهم حيفه بقوله بل أولئك هم الظالمون أي لا يخافون أن يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله
وإنما هم ظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده وذلك شيء لا يستطيعونه في مجلس رسول الله فمن ثم يأبون
المحاكمة إليه وعن الحسن قول المؤمنين بالرفع والنصب أقوى لأن أولى الاسمين بكونه اسما لكان أوغلهما في التعريف وأن يقولوا أوغل لأنه
لا سبيل عليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين وكان هذا من قبيل كان في قوله ما كان لله أن يتخذ من ولد ما يكون لنا أن نتكلم بهذا وقرئ ليحكم
على البناء للمفعول فإن قلت إلام أسند يحكم ولا بد له من فاعل قلت هو مسند إلى مصدره لأن معناه ليفعل الحكم بينهم ومثله جمع
بينهما وألف بينهما ومثله لقد تقطع بينكم فيمن قرأ بينكم منصوبا أي وقع التقطع بينكم وهذه القراءة مجاوبة لقوله دعوا وقرئ ويتقه
بكسر القاف والهاء مع الوصل وبغير وصل وبسكون الهاء وبسكون القاف وكسر الهاء شبه تقه بكتف فخفف كقوله قالت سليمى
اشتر لنا سويقا ولقد جمع الله سبحانه في هذه الآية أسباب الفوز وعن ابن عباس رضي الله عنه في تفسيرها ومن يطع الله في فرائضه
ورسوله في سننه ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل وعن بعض الملوك أنه سأل عن آية كافية فتليت له هذه
الآية جهد يمينه مستعار من جهد نفسه إذا بلغ أقصى وسعها وذلك إذا بالغ في اليمين وبلغ غاية شدتها ووكادتها وعن ابن عباس
من قال بالله فقد جهد يمينه وأصل أقسم جهد اليمين أقسم بجهد اليمين جهدا فحذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافا إلى المفعول

كقوله فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كانه قال جاهدين ايمانهم وطاعة معروفة خبر مبتدا محذوف او مبتدا
محذوف الخبر اي امركم والذي يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخلص من المؤمنين الذين
طابق باطنهم ظاهرهم لا ايمان تقسمون بها بافواهكم وقلوبكم على خلافها او طاعتكم طاعة معروفة بانها بالقول دون
الفعل او طاعة معروفة امثل واولى بكم من هذه الايمان الكاذبة وقرا اليزيدي طاعة معروفة بالنصب على معنى اطيعوا
طاعة ان الله خبير يعلم ما في ضمائركم ولا يخفى عليه شيء من سرائركم وانه فاضحكم لا محالة ومجازيكم على نفاقكم صرف الكلام
عن الغيبة الى الخطاب على طريقة الالتفات وهو ابلغ في تبكيتهم يريد فان تتولوا فما ضررتموه وانما ضررتم انفسكم فان الرسول
ليس عليه الا ما حمله الله وكلفه من اداء الرسالة فاذا ادى فقد خرج عن عهدة تكليفه واما انتم فعليكم ما كلفتم من
القبول والاذعان فان لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله وعذابه وان اطعتموه فقد احرزتم نصيبكم من
الضلال الى الهدى فالنفع والضرر عائدان اليكم وما الرسول الا ناصح وهاد وما عليه الا ان يبلغ ما له نفع في ولا
ضرر في توليكم والبلاغ بمعنى التبليغ كالاداء بمعنى التادية ومعنى المبين كونه مقرونا بالآيات والمعجزات الخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ولمن معه ومنكم للبيان كالتي في آخر سورة الفتح وعدهم الله ان ينصر الاسلام على الكفر ويورثهم
الارض ويجعلهم فيها خلفاء كما فعل ببني اسرائيل حين اورثهم مصر والشام بعد اهلاك الجبابرة وان يمكن الدين المرتضى وهو
دين الاسلام وتمكينه تثبيته وتوطيده وان يؤمن سربهم ويزيل عنهم الخوف الذي كانوا عليه وذلك ان رسول الله واصحابه
مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى قال رجل ما ياتي علينا يوم
نامن فيه ونضع السلاح فقال عليه السلام لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملا العظيم محتبيا ليس فيهم حديدة
فانجز الله وعده واظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا بعد بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الاكاسرة وملكوا خزائنهم
واستولوا على الدنيا ثم خرج الذين على خلاف سيرتهم فكفروا بتلك الانعم وفسقوا وذلك قوله عليه السلم الخلافة بعدي ثلثون
ثم يملك الله من يشاء فتصير ملكا ثم تصير بزيزى قطع سبيل وسفك دماء واخذ اموال بغير حقها وقرئ على البناء للمفعول
وليبدلنهم بالتشديد فان قلت اين القسم المتلقى باللام والنون في ليستخلفنهم قلت هو محذوف تقديره وعدهم
الله واقسم ليستخلفنهم او نزل وعد الله في تحققه منزلة القسم فتلقى بما يتلقى به القسم كانه اقسم الله ليستخلفنهم فان قلت
ما محل يعبدونني قلت ان جعلته استينافا لم يكن له محل كان قائلا قال ما لهم يستخلفون ويؤمنون فقال يعبدونني
وان جعلته حالا عن وعدهم اي وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم واخلاصهم فمحله النصب ومن كفر يريد كفران النعمة
كقوله فكفرت بانعم الله فاولئك هم الفاسقون اي هم الكاملون في فسقهم حيث كفروا تلك النعمة الجسيمة وجسروا على
غمطها فان قلت هل في هذه الآية دليل على امر الخلفاء الراشدين قلت اوضح دليل وابينه لان المستخلفين
الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم هم واقيموا الصلوة معطوف على اطيعوا الله واطيعوا الرسول وليس ببعيد ان يقع بين
المعطوف والمعطوف عليه فاصل وان طال لان حق المعطوف ان يكون غير المعطوف عليه وكررت طاعة الرسول تاكيدا لوجوبها
وقرئ لا يحسبن بالياء وفيه اوجه ان يكون معجزين في الارض هما المفعولان والمعنى لا يحسبن الذين كفروا احدا يعجز
الله في الارض حتى يطمعوا هم في مثل ذلك وهذا معنى قوي جيد وان يكون فيه ضمير الرسول لتقدم ذكره في قوله واطيعوا
الرسول وان يكون الاصل لا يحسبنهم الذين كفروا معجزين ثم حذف الضمير الذي هو المفعول الاول وكان الذي سوغ ذلك
ان الفاعل والمفعولين لما كانت لشيء واحد اقتنع بذكر الاثنين عن ذكر الثالث وعطف قوله وماواهم النار على لا يحسبن
الذين كفروا معجزين كانه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله وماواهم النار والمراد بهم المقسمون جهد ايمانهم امر بان يستاذن

العبيد

العبيد وقيل العبيد والاماء والاطفال الذين لم يحتلموا من الاحرار ثلث مرات في اليوم والليلة قبل صلوة الفجر لانه وقت
القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة وبالظهيرة لانها وقت وضع الثياب للقائلة وبعد
صلوة العشاء لانه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم وسمى كل واحدة من هذه الاحوال عورة لان
الناس يختل تسترهم وتحفظهم فيها والعورة الخلل ومنها اعور الفارس واعور المكان والاعور المختل العين ثم عذرهم
في ترك الاستيذان وراء هذه المرات وبين وجه العذر في قوله طوافون عليكم يعني ان بكم وبهم حاجة الى المخالطة
والمداخلة يطوفون عليكم للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام فلو جزم الامر بالاستيذان في كل وقت لادى
الى الحرج روي ان مدلج بن عمرو وكان غلاما انصاريا ارسله رسول الله وقت الظهيرة الى عمر رضي الله عنه ليدعوه فدخل
وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت ان الله عز وجل نهى اباءنا وابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا علينا هذه الساعات
الا باذن ثم انطلق معه الى النبي عليه السلم فوجده وقد انزلت عليه هذه الآية وهي احدى الآيات المنزلة بسبب عمر وقيل نزلت في اسماء
بنت ابي مرثد قالت انا لندخل على الرجل والمراة لعلهما يكونان في لحاف واحد وقيل دخل عليها غلام لها كبير
في وقت كرهت دخوله فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها وعن ابي عمرو
الحلم بالسكون وقرئ ثلث عورات بالنصب بدلا عن ثلث مرات اي اوقات ثلث عورات وعن الاعمش عورات على لغة
هذيل فان قلت ما محل ليس عليكم قلت اذا رفعت ثلث عورات كان ذلك في محل الرفع على الوصف والمعنى
هن ثلث عورات مخصوصة بالاستيذان واذا نصبت لم يكن له محل وكان كلاما مقررا للامر بالاستيذان في تلك الاحوال
خاصة فان قلت بم ارتفع بعضكم قلت بالابتداء وخبره على بعض على معنى طائف على بعض وحذف لان
طوافون يدل عليه ويجوز ان يرتفع بيطوف مضمرا لتلك الدلالة الاطفال منكم اي من الاحرار دون المماليك الذين
من قبلهم يريد الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال او الذين ذكروا من قبلهم في قوله يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير
بيوتكم حتى تستانسوا الآية والمعنى ان الاطفال ماذون لهم في الدخول بغير اذن الا في العورات الثلث فاذا اعتاد الاطفال ذلك ثم
خرجوا عن حد الطفولة بان يحتلموا او يبلغوا السن التي يحكم فيها عليهم بالبلوغ وجب ان يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على ان يستاذنوا
في جميع الاوقات كالرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم الا باذن وهذا مما الناس منه في غفلة وهو عندهم كالشريعة المنسوخة
وعن ابن عباس آية لا يؤمن بها اكثر الناس آية الاذن واني لآمر جاريتي ان تستاذن علي وسأله عطاء أأستاذن على اختي
قال نعم وان كانت في حجرك تمونها وتلا هذه الآية وعنه ثلث آيات جحدهن الناس الاذن كله وقوله ان اكرمكم عند الله
فقال ناس اعظمكم بيتا وقوله واذا حضر القسمة وعن ابن مسعود عليكم ان تستاذنوا على آبائكم وامهاتكم واخواتكم وعن الشعبي
ليست منسوخة فقيل له ان الناس لا يعملون بها فقال الله المستعان وعن سعيد بن جبير يقولون هي منسوخة ولا والله ما هي
منسوخة ولكن الناس تهاونوا بها فان قلت ما السن التي يحكم فيها بالبلوغ قلت قال ابو حنيفة ثماني عشرة سنة
في الغلام وسبع عشرة في الجارية وعامة العلماء على خمس عشرة فيهما وعن علي رضي الله عنه يعتبر القامة ويقدر بخمسة
اشبار وبه اخذ الفرزدق في قوله ما زال مذ عقدت يداه ازاره فسما فادرك خمسة الاشبار واعتبر غيره الانبات
وعن عثمان رضي الله عنه انه سئل عن غلام فقال هل اخضر ازاره القاعد التي قعدت عن الحيض والولد لكبرها لا يرجون
نكاحا لا يطمعن فيه والمراد بالثياب الثياب الظاهرة كالملحفة والجلباب الذي فوق الخمار غير متبرجات بزينة غير
مظهرات زينة يريد الزينة الخفية التي اراد في قوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن وغير قاصدات بالوضع التبرج
ولكن التخفف اذا احتجن اليه والاستعفاف من الوضع خير لهن لما ذكر الجائز عقبه بالمستحب بعثا منه على اختيار افضل

ولحسنها لعله وان يستعففن خير لهن فان قلت ما حقيقة التبرج قلت تكلف اظهار ما يجب
اخفاؤه من قولهم سفينة بارج لا غطاء عليها والبرج سعة العين يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شيء الا انه
اختص بان تتكشف المرأة للرجال بابداء زينتها واظهار محاسنها وتبرز ومعنى تظهر من اخوات تبرج وتبلج كذلك
كان المؤمنون يذهبون بالضعفاء وذوي العاهات الى بيوت ازواجهم واولادهم والى بيوت قراباتهم واصدقائهم فيطعمونهم
منها فخالج قلوب المطعَمين والمطعِمين ريبة في ذلك وخافوا ان يلحقهم فيه حرج وكرهوا ان يكون اكلا بغير حق
لقوله تعالى ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل فقيل لهم ليس على الضعفاء ولا على انفسكم يعني عليكم وعلى من في مثل حالكم من
من المؤمنين حرج في ذلك وعن عكرمة كانت الانصار في انفسها قزازة وكانت لا تأكل من هذه البيوت اذا
وقيل كان هؤلاء يتوقون مجالسة الناس ومؤاكلتهم لما عسى يؤدي الى الكراهة من قبلهم ولان الاعمى
ربما سبقت يده الى ما سبقت عين أكيله اليه وهو لا يشعر والاعرج يتفسح في مجلسه ويأخذ اكثر من موضعه فيضيق على
جليسه والمريض لا يخلو من رائحة تؤذي او جرح يبض او انف يذن ونحو ذلك وقيل كانوا يخرجون الى الغزو ويخلفون الضعفاء
ويدفعون اليهم المفاتيح ويأذنون لهم ان يأكلوا من بيوتهم فكانوا يتحرجون وحكي عن الحرث بن عمرو انه خرج غازيا وخلف
مالك بن زيد في بيته وماله فلما رجع رآه مجهودا فقال ما اصابك قال لم يكن عندي شيء ولم يحل لي ان آكل من
مالك فقيل ليس على هؤلاء الضعفاء فيما تحرجوا عنه ولا عليكم ان تأكلوا من البيوت المذكورة لالتقاء الطائفتين في ان كل واحد
منهما الحرج ومثال هذا ان يستفتيك مسافر عن الافطار في رمضان وحاج مفرد عن تقديم الحلق على النحر فقلت
ليس على المسافر حرج ان يفطر ولا عليك يا حاج ان تقدم الحلق على النحر فان قلت هلا ذكر الاولاد قلت دخل ذكرهم تحت قوله
من بيوتكم لان ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه وفي الحديث ان اطيب ما يأكل المؤمن من كسبه وان ولده من كسبه ومعنى
من بيوتكم من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم ولان الولد اقرب ممن عدد من القرابات فاذا كان سبب الرخصة هو القرابة
كان الذي هو اقرب منهم اولى فان قلت ما معنى او ما ملكتم مفاتحه قلت اموال الرجل اذا كان له عليها قيم ووكيل
يحفظها له ان يأكل من ثمر بستانه ويشرب من لبن ماشيته وملك المفاتح كونها في يده وحفظه وقيل بيوت المماليك لان
مال العبد لمولاه وقرئ مفتاحه فان قلت ما معنى او صديقكم قلت معناه او بيوت اصدقائكم والصديق يكون واحدا
وجمعا وكذلك الخليط والقطين والعدو وعن الحسن انه دخل داره واذا حلقة من اصدقائه وقد استلوا سلالا من تحت سريره
فيها الخبيص واطايب الاطعمة وهم مكبون عليها يأكلون فتهللت اسارير وجهه سرورا وضحك وقال هكذا وجدناهم هكذا
وجدناهم يريد كبراء الصحابة ومن لقيهم من البدريين وكان الرجل يدخل دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريته كيسه
فيأخذ منه ما شاء فاذا حضر مولاها فاخبرته اعتقها سرورا بذلك وعن جعفر بن محمد رضي الله عنهما من عظم حرمة الصديق ان
جعله الله من الانس والثقة والانبساط وطرح الحشمة بمنزلة النفس والاب والاخ والابن وعن ابن عباس الصديق
اكبر من الوالدين ان الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالآباء والامهات فقالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقالوا
اذا دل ظاهر الحال على رضا المالك قام ذلك مقام الاذن الصريح وربما سمج الاستئذان وثقل كمن قدم اليه طعام فاستأذن صاحبه
في الاكل منه جميعا او اشتاتا اي مجتمعين او متفرقين نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون ان يأكل الرجل وحده
فربما قعد منتظرا نهاره الى الليل فان لم يجد من يواكله اكل ضرورة وقيل في قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا يأكلون الا
مع ضيفهم وقيل تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الاكل وزيادة بعضهم على بعض فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت
لتأكلوا فابدأوا بالسلام على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة تحية من عند الله اي ثابتة بامره مشروعة من لدنه او لان التسليم

در ابتداء

والتحية

والتحية طلب سلامة وحياة للمسلم عليه والتحيي من عند الله ووصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها
من الله زيادة الخير وطيب الرزق وعن انس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين وروي تسع سنين
فما قال لشيء فعلته لم فعلته ولا قال لي لشيء كسرته لم كسرته وكنت واقفا على رأسه اصب الماء على يديه فرفع رأسه
فقال الا اعلمك ثلاث خصال تنتفع بها قلت بلى بأبي وامي يا رسول الله قال متى لقيت من امتي احدا فسلم عليه يطل عمرك
واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الاوابين وقالوا ان لم يكن في البيت
احد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله وعن ابن
عباس اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين تحية من عند الله وانتصب تحية بسلموا لانها في معنى
[illegible] لك قعدت جلوسا اراد عز وجل ان يريهم عظم الجناية في ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله بغير اذنه
[illegible] معه على امر جامع فجعل ترك ذهابهم حتى يستأذنوه ثالث الايمان بالله والايمان برسوله وجعلهما كالتشبيب
[illegible] لذكره وذلك مع تصدير الجملة بانما وايقاع المؤمنين مبتدأ مخبرا عنه بموصول احاطت صلته بذكر الايمانين ثم
[illegible] بما يزيده توكيدا وتشديدا حيث اعاده على اسلوب آخر وهو قوله ان الذين يستأذنونك اولئك الذين
يؤمنون بالله ورسوله وضمنه شيئا آخر وهو انه جعل الاستئذان كالمصداق لصحة الايمانين وعرض بحال المنافقين
وتسللهم لواذا ومعنى قوله لم يذهبوا حتى يستأذنوه ولم يأذن لهم الائمة كيف علق الامر بعد وجود استئذانهم
بمشيئته واذنه لمن استصوب ان يأذن له والامر الجامع الذي يجمع له الناس فوصف الامر بالجمع على سبيل المجاز
وذلك نحو مقاتلة عدو او تشاور في خطب مهم او تضام لارهاب مخالف او تماسح في حلف وغير ذلك او الامر الذي
يعم بضرره او بنفعه وقرئ امر جميع وفي قوله اذا كانوا معه على امر جامع انه خطب جليل لا بد لرسول الله
فيه من ذوي رأي وقوة يظاهرونه عليه ويعاونونه ويستضيء بآرائهم ومعارفهم وتجاربهم في كفايته فمفارقة
احدهم في مثل تلك الحال مما يشق على قلبه ويشعث عليه رأيه فمن ثم غلظ عليهم وضيق عليهم الامر في الاستئذان مع العذر
المبسوط ومساس الحاجة اليه واعتراض ما يهمهم ويعنيهم وذلك قوله لبعض شأنهم وذكر الاستغفار للمستأذنين دليل على
ان الافضل ان لا يحدثوا انفسهم بالذهاب ولا يستأذنوا فيه وقيل نزلت في حفر الخندق وكان قوم يتسللون
بغير اذن وقالوا كذلك ينبغي ان يكون الناس مع ائمتهم ومقدميهم في الدين والعلم يظاهرونهم ولا يخذلونهم في نازلة
من النوازل ولا يتفرقون عنهم والامر في الاذن مفوض الى الامام ان شاء اذن وان شاء لم يأذن على حسب ما اقتضاه
رأيه اذا احتاج رسول الله الى اجتماعكم عنده لامر فدعاكم فلا تفرقوا عنه الا باذنه ولا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء
بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير اذن الداعي او لا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمي بعضكم بعضا ويناديه باسمه
الذي سماه به ابواه ولا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله يا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المخفوض والتواضع ويحتمل
لا تجعلوا دعاء الرسول ربه مثل ما يدعو صغيركم كبيركم وفقيركم غنيكم يسأله حاجة فربما اجابه وربما رده فان
دعوات رسول الله مسموعة مستجابة يتسللون ينسلون قليلا قليلا ونظير تسلل تدرج وتدخل واللواذ الملاوذة
وهو ان يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا يعني ينسلون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض
ولواذا حال اي ملاوذين وقيل كان بعضهم يلوذ بالرجل اذا استأذن فيأذن له فينطلق الذي لم يؤذن له معه وقرئ
لواذا بالفتح يقال خالفه الى الامر اذا ذهب اليه دونه ومنه قوله تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه وخالفه
عن الامر اذا صد عنه دونه ومعنى الذين يخالفون عن امره الذين يصدون عن امره دون المؤمنين وهم المنافقون

فحذف المفعول لان الغرض ذكر المخالف والمخالف عنه والضمير في امره لله تعالى او للرسول عليه السلم والمعنى عن طاعته
ودينه فتنة محنة في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم في الآخرة وعن ابن عباس فتنة قتل وعن عطاء زلازل واهوال وعن
جعفر بن محمد يسلط عليهم سلطان جائر ادخل قد ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق ويرجع
توكيد العلم الى توكيد الوعيد وذلك ان قد اذا دخلت على المضارع كانت بمعنى ربما فوافقت ربما في خروجها الى معنى
التكثير في نحو قوله فان تمس مهجور الفناء فربما اقام به بعد الوفود وفود ونحو قول زهير اخي ثقة لا تهلك الخمر ماله
ولكنه قد يهلك المال نائله والمعنى ان جميع ما في السموات والارض مختصة به خلقا وملكا فكيف تخفى عليه احوال
المنافقين وان كانوا يجتهدون في سترها عن العيون واخفائها وسينبئهم يوم القيمة بما ابطنوا من ...
ويجازيهم حق جزائهم والخطاب والغيبة في قوله قد يعلم ما انتم عليه ويوم يرجعون اليه يجوز ان ...
للمنافقين على طريق الالتفات ويجوز ان يكون ما انتم عليه عاما ويرجعون للمنافقين والله اعلم عن ...
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما

سورة الفرقان مكية وهي سبعون وسبع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

البركة كثرة الخير وزيادته ومنه تبارك الله وفيه معنيان تزايد خيره وتكاثر او تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته
وافعاله والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما وسمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل او لانه لم ينزل جملة
واحدة ولكن مفروقا مفصولا بين بعضه وبعض في الانزال الا ترى الى قوله وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث
ونزلناه تنزيلا وقد جاء الفرق بمعناه قال ومشركي كافر بالفرق وعن ابن الزبير على عباده وهم رسول الله وامته
كما قال لقد انزلنا اليكم وقولوا آمنا بالله وما انزل الينا والضمير في ليكون لعبده او للفرقان ويعضد رجوعه الى الفرقان
قراءة ابن الزبير للعالمين للجن والانس نذيرا منذرا اي مخوفا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار ومنه قوله فكيف كان عذابي ونذر
الذي له رفع على الابدال من الذي نزل او رفع على المدح او نصب عليه فان قلت كيف جاز الفصل بين البدل والمبدل منه
قلت ما فصل بينهما بشيء لان المبدل منه صلته نزل وليكون تعليل له فكان المبدل منه لم يتم الا به فان قلت
في الخلق معنى التقدير فما معنى قوله وخلق كل شيء فقدره تقديرا كانه قال وقدر كل شيء فقدره قلت المعنى انه احدث
كل شيء احداثا مراعى فيه التقدير والتسوية فقدره وهيأه لما يصلح له مثاله انه خلق الانسان على هذا الشكل
المقدر المستوي الذي تراه فقدره للتكاليف والمصالح المنوطة به في بابي الدين والدنيا وكذلك كل حيوان وجماد جاء
به على الجبلة المستوية المقدرة بامثلة الحكمة والتدبير فقدره لامر ما ومصلحة مطابقا لما قدر له غير متجاف عنه
او سمي احداث الله خلقا لانه لا يحدث شيئا لحكمته الا على وجه التقدير من غير تفاوت فاذا قيل خلق الله كذا فهو
بمنزلة قولك احدث واوجد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فكانه قيل واوجد كل شيء فقدره في ايجاده
لم يوجده متفاوتا وقيل فجعل له غاية ومنتهى ومعناه فقدره للبقاء الى امد معلوم الخلق بمعنى الافتعال كما في قوله
انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا المعنى انهم آثروا على عبادة الله سبحانه عبادة آلهة لا عجز ابين
من عجزهم لا يقدرون على شيء من افعال الله ولا من افعال العباد حيث لا يفتعلون شيئا وهم يفتعلون لان
عبدتهم يصنعونهم بالنحت والتصوير ولا يملكون اي لا يستطيعون لانفسهم دفع ضرر عنها او جلب نفع اليها
وهم يستطيعون واذا عجزوا عن الافتعال ودفع الضرر وجلب النفع التي يقدر عليها العباد كانوا عن الموت والحياة

والنشور

والمقدور التي لا يقدر عليها الا الله اعجز قوم آخرون هم اليهود وقيل عداس مولى حويطب بن عبد العزى ويسار
مولى العلاء بن الحضرمي وابو فكيهة الرومي قال ذلك النضر بن الحارث بن عبد الدار جاؤوا واتى يستعملان في معنى فعل
فيعديان تعديته وقد يكون على معنى وردوا ظلما كما تقول جئت المكان ويجوز ان يحذف الجار ويوصل الفعل وظلمهم ان
جعلوا العربي يتلقن من العجمي الرومي كلاما عربيا اعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب والزور ان بهتوه بنسبة ما
هو بريء منه اليه اساطير الاولين ما سطره المتقدمون من نحو احاديث رستم واسفنديار جمع اسطار او اسطورة كاحدوثة
اكتتبها لنفسه واخذها كما تقول استكب الماء واصطبه اذا سكبه وصبه لنفسه واخذه وقرئ اكتتبها على البناء للمفعول
والمعنى اكتتبها كاتب له لانه كان اميا لا يكتب بيده وذلك من تمام اعجازه ثم حذفت اللام فافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها
اياه كاتب كقوله واختار موسى قومه ثم بني الفعل للضمير الذي هو اياه فانقلب مرفوعا مستترا بعد ان كان بارزا منصوبا
وبقي الاساطير على حاله فصار اكتتبها كما ترى فان قلت كيف قيل اكتتبها فهي تملى عليه وانما يقال امليت عليه فهو
يكتتبها قلت فيه وجهان احدهما اراد اكتتابها او طلبه فهي تملى عليه او كتبت له وهو امي فهي تملى عليه اي تلقى عليه
من كتابه يتحفظها لان صورة الالقاء على الحافظ كصورة الالقاء على الكاتب وعن الحسن انه قول الله سبحانه يكذبهم وانما يستقيم
ان لو فتحت الهمزة للاستفهام الذي في معنى الانكار ووجهه ان يكون نحو قوله افترى على الله كذبا ام به جنة وحق الحسن ان
يقف على الاولين بكرة واصيلا اي دائما او في الخفية قبل ان ينتشر الناس وحين يأوون الى مساكنهم اي يعلم كل سر خفي
في السموات والارض ومن جملته ما تسرونه انتم من الكيد لرسوله مع علمكم ان ما تقولونه باطل وزور وكذلك باطن
امر رسول الله وبراءته مما تبهتونه به وهو يجازيكم ويجازيه على ما علم منكم وعلم منه فان قلت كيف طابق قوله
انه كان غفورا رحيما هذا المعنى قلت لما كان ما تقدمه في معنى الوعيد عقبه بما يدل على القدرة عليه لانه لا يوصف بالمغفرة
والرحمة الا القادر على العقوبة او هو تنبيه على انهم استوجبوا بمكابرتهم هذه ان يصب عليهم العذاب صبا ولكن صرف
ذلك عنهم انه غفور رحيم يمهل ولا يعاجل وكتبت اللام في المصحف مفصولة عن هذا خارجة عن اوضاع الخط العربي
وخط المصحف سنة لا تغير وفي هذا استهانة وتصغير لشأنه وتسميته بالرسول سخرية منهم وطنز كانهم قالوا اما
لهذا الزاعم انه رسول ونحوه قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون اي ان صح انه رسول الله فما باله حاله
مثل حالنا يأكل الطعام كما نأكل ويتردد في الاسواق لطلب المعاش كما نتردد يعنون انه كان يجب ان يكون
ملكا مستغنيا عن الاكل والتعيش ثم نزلوا عن اقتراحهم ان يكون ملكا الى اقتراح ان يكون انسانا معه ملك حتى يتساندا في
الانذار والتخويف ثم نزلوا ايضا فقالوا ان لم يكن مرفودا بملك فليكن مرفودا بكنز يلقى اليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج
لتحصيل المعاش ثم نزلوا فاقتنعوا بان يكون رجلا له بستان يأكل منه ويرتزق كالدهاقين والمياسير او يأكلون هم من ذلك
البستان فينتفعون به في دنياهم ومعاشهم واراد بالظالمين اياهم باعيانهم وضع الظاهر موضع المضمر ليسجل عليهم بالظلم
فيما قالوا وقرئ فيكون بالرفع او يكون له جنة بالياء ونأكل بالنون فان قلت ما وجه الرفع والنصب في فيكون قلت
النصب لانه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام والرفع على انه معطوف على انزل ومحله الرفع الا ترى انك تقول لولا
ينزل بالرفع وقد عطف عليه يلقى ويكون مرفوعين ولا يجوز النصب فيهما لانهما في حكم الواقع بعد لولا ولا يكون الا مرفوعا
والقائلون هم كفار قريش النضر بن الحارث وعبد الله بن ابي امية ونوفل بن خويلد ومن ضامهم مسحورا سحر فغلب على
عقله او ذا سحر وهو الرئة عنوا انه بشر لا ملك ضربوا لك الامثال اي قالوا فيك تلك الاقوال واخترعوا لك تلك
الصفات والاحوال النادرة من نبوة مشتركة بين انسان وملك والقاء كنز عليك من السماء وغير ذلك فبقوا متحيرين ضلالا

لا يجدون قولا يستقرون عليه أو فضلوا عن الحق فلا يجدون طريقا إليه تبارك الذي إن شاء وهب لك في الدنيا خيرا
مما قالوا وهو أن يعجل لك مثل ما وعدك في الآخرة من الجنات والقصور وقرئ ويجعل بالرفع عطفا على جعل لأن الشرط
إذا وقع ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع كقوله وإن أتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالي ولا حرم ويجوز في يجعل لك إذا
أدغمت أن تكون اللام في تقدير الجزم والرفع جميعا وقرئ بالنصب على أنه جواب الشرط بالواو بل كذبوا عطف على ما حكي عنهم
يقول بل أتوا بأعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة ويجوز أن يتصل بما يليه كأنه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون إلى هذا
الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الآخرة وهم لا يؤمنون بالآخرة السعير النار الشديدة الا
إنه اسم من أسماء جهنم رأتهم من قولهم دورهم تتراءى وتتناظر ومن قوله عليه السلام لا تتراءى ناراهما كأن
المجاز والمعنى إذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ و
إذا رآهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار وشهوة للانتقام منهم الكرب مع الضيق كما أن ا
وصف الله الجنة بأن عرضها السماوات والأرض وجاء في الأحاديث أن لكل مؤمن من القصور والجنان
جمع الله على أهل النار أنواع التضييق والإرهاق حيث ألقاهم في مكان ضيق يتراصون فيه تراصا كما روي
في تفسيره أن الله يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح ومع ذلك الضيق مسلسلون مقرنون في السلاسل قرنت أيديهم إلى أعناقهم
في الجوامع وقيل يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي أرجلهم الأصفاد والثبور الهلاك ودعاؤه وا ثبوراه أي تعال يا ثبور
فهذا حينك وزمانك لا تدعوا أي يقال لهم ذلك أو هم أحقاء بأن يقال لهم وإن لم يكن ثم قول ومعنى وادعوا ثبورا كثيرا أنكم وقعتم
فيما ليس ثبوركم فيه واحدا إنما هو ثبور كثير إما لأن العذاب أنواع وألوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته أو لأنهم
كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم الراجع إلى الموصولين محذوف يعني وعدها المتقون وما يشاؤونه وإنما
قيل كانت لأن ما وعده الله وحده فهو في تحققه كأنه قد كان أو كان مكتوبا في اللوح قبل أن برأهم بأزمنة متطاولة أن الجنة
جزاؤهم ومصيرهم فإن قلت ما معنى قوله كانت لهم جزاء ومصيرا قلت هو كقوله نعم الثواب وحسنت مرتفقا
فمدح الثواب ومكانه كما قال بئس الشراب وساءت مرتفقا فذم العقاب ومكانه لأن النعيم لا يتم للمتنعم إلا بطيب
المكان وسعته وموافقته للمراد والشهوة وأن لا تنغص وكذلك العقاب يتضاعف بغثاثة الموضع وضيقه وظلمته وجمعه
لأسباب الاجتواء والكراهة فلذلك ذكر المصير مع ذكر الجزاء والضمير في كان لما يشاؤون والوعد الموعود أي كان ذلك
موعودا واجبا على ربك إنجازه حقيقا أن يسأل ويطلب لأنه جزاء وأجر مستحق وقيل قد سأله الناس والملائكة في
دعواتهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ربنا وأدخلهم جنات عدن
التي وعدتهم يحشرهم فيقول كلاهما بالنون والياء وقرئ يحشرهم بكسر الشين وما يعبدون يريد المعبودين
من الملائكة والمسيح وعزير وعن الكلبي الأصنام ينطقها الله ويجوز أن يكون عاما لهم جميعا فإن قلت كيف صح
استعمال ما في العقلاء قلت هو موضوع على العموم للعقلاء وغيرهم بدليل قولك إذا رأيت شبحا من بعيد ما هو
فإذا قيل لك إنسان قلت حينئذ من هو ويدلك قولهم من لما يعقل أو أريد به الوصف كأنه قيل ومعبوديهم ألا
تراك تقول إذا أردت السؤال عن صفة زيد ما زيد تعني أطويل أم قصير أفقيه أم طبيب فإن قلت ما فائدة أنتم
وهم وهلا قيل أضللتم هؤلاء أم ضلوا السبيل قلت ليس السؤال عن الفعل ووجوده لأنه لولا وجوده لما توجه
هذا العتاب وإنما هو عن متوليه فلا بد من ذكره وإيلائه حرف الاستفهام حتى يعلم أنه المسؤول عنه فإن قلت
فالله سبحانه قد سبق علمه بالمسؤول عنه فما فائدة هذا السؤال قلت فائدته أن يجيبوا بما أجابوا به حتى يبكت

عبدتهم

عبدتهم بتكذيبهم إياهم فيبهتوا ويخذلوا وتزيد حسرتهم ويكون ذلك نوعا مما يلحقهم من غضب الله وعذابه ويغتبط
المؤمنون ويفرحوا بحالهم ونجاتهم من فضيحة أولئك وليكون حكاية ذلك في القرآن لطفا للمكلفين وفيه كسر بين
لقول من يزعم أن الله يضل عباده على الحقيقة حيث يقول للمعبودين من دونه أأنتم أضللتموهم أم هم ضلوا
بأنفسهم فيتبرؤون من إضلالهم ويستعيذون به أن يكونوا مضلين ويقولون بل أنت تفضلت من غير سابقة على هؤلاء
وآبائهم تفضل جواد كريم فجعلوا النعمة التي حقها أن تكون سبب الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر وكان ذلك
سبب هلاكهم فإذا برأت الملائكة والرسل أنفسهم من نسبة الإضلال الذي هو عمل الشياطين إليهم واستعاذوا
منه فهم لربهم الغني العدل أشد تبرئة وتنزيها منه ولقد نزهوه حين أضافوا إليه التفضل بالنعمة والتمتيع بها
وأسندوا نسيان الذكر والتسبب به للبوار إلى الكفرة فشرحوا الإضلال المجازي الذي أسنده الله إلى ذاته في قوله يضل من
يشاء ولو كان هو المضل على الحقيقة لكان الجواب العتيد أن يقولوا بل أنت أضللتهم والمعنى أأنتم أوقعتموهم في الضلال
عن طريق الحق أم هم ضلوا عنه بأنفسهم وضل مطاوع أضله وكان القياس ضل عن السبيل إلا أنهم تركوا الجار كما تركوه
في هداه الطريق والأصل إلى الطريق وللطريق وقولهم أضل البعير في معنى جعله ضالا أي ضائعا لما كان أكثر ذلك
بتفريط صاحبه وقلة احتياطه في حفظه قيل أضله سواء كان منه فعل أو لم يكن سبحانك تعجب منهم قد تعجبوا
مما قيل لهم لأنهم ملائكة وأنبياء معصومون فما أبعدهم عن الإضلال الذي هو مختص بإبليس وحزبه أو نطقوا
بسبحانك ليدلوا على أنهم المسبحون المقدسون الموسومون بذلك فكيف يليق بحالهم أن يضلوا عباده أو قصدوا به تنزيهه
عن الأنداد وأن يكون له ملك أو نبي أو غيرهما ندا ثم قالوا ما كان يصح لنا ولا يستقيم ونحن معصومون أن نتولى
أحدا دونك فكيف يصح لنا أن نحمل غيرنا على أن يتولونا دونك أو ما كان ينبغي لنا أن نكون أمثال الشياطين في توليهم
الكفار كما قال الله تعالى فقاتلوا أولياء الشيطان يريد الكفرة وقال والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت وقرأ أبو جعفر
المدني نتخذ على البناء للمفعول وهذا الفعل أعني اتخذ يتعدى إلى مفعول واحد كقولك اتخذ وليا وإلى مفعولين
كقولك اتخذ فلانا وليا قال الله تعالى أم اتخذوا آلهة وقال واتخذ الله إبراهيم خليلا فالقراءة الأولى من المتعدي
إلى واحد وهو من أولياء والأصل أن نتخذ أولياء فزيدت من لتأكيد معنى النفي والثانية من المتعدي إلى مفعولين
فالأول ما بني له الفعل والثاني من أولياء ومن للتبعيض أي لا نتخذ بعض أولياء وتنكير أولياء من حيث إنهم
أولياء مخصوصون وهم الجن والأصنام والذكر ذكر الله والإيمان به أو القرآن والشرائع والبور الهلاك يوصف به الواحد
والجمع ويجوز أن يكون جمع بائر كعائذ وعوذ هذه المفاجأة بالاحتجاج والإلزام حسنة رائعة وخاصة إذا انضم إليها
الالتفات وحذف القول ونحوها قوله يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا
من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير وقالوا خراسان أقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا وقرئ
يقولون بالتاء والياء فمعنى من قرأ بالتاء فقد كذبوكم بقولكم إنهم آلهة ومعنى من قرأ بالياء فقد كذبوكم بقولهم سبحانك
ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء فإن قلت هل يختلف حكم الباء مع التاء والياء قلت إي والله هي مع التاء
كقوله بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من الضمير كأنه قيل فقد كذبوا بما تقولون وهي مع الياء كقولك كتبت بالقلم وقرئ
يستطيعون بالتاء والياء أيضا يعني فما تستطيعون أنتم يا كفار صرف العذاب عنكم وقيل الصرف التوبة وقيل الحيلة
من قولهم إنه ليتصرف أي يحتال أو فما يستطيع الآلهة أن يصرفوا عنكم العذاب أو أن يحتالوا لكم الخطاب للمكلفين والعذاب
الكبير لاحق بكل من ظلم والكافر ظالم لقوله إن الشرك لظلم عظيم والفاسق ظالم ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون وقرئ

بى فه بالياء وفيه ضمير الله او ضمير مصدر يظلم الجملة بعد الا صفة لموصوف محذوف والمعنى وما ارسلنا قبلك احدا
من المرسلين الا آكلين ماشين وانما حذف اكتفاء بالجار والمجرور اعني من المرسلين ونحوه قوله عز من قائل وما منا الا له
مقام معلوم على معنى وما منا احد وقرئ ويمشون على البناء للمفعول اي تمشيهم حوائجهم او الناس ولو قرئ يمشون
لكان اوجه لولا الرواية وقيل هو احتجاج على من قال ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق وفتنة اي محنة
وابتلاء وهذا تصبير لرسول الله صلعم على ما قالوه واستبدعوه من اكله الطعام ومشيه في الاسواق بعد ما احتج عليهم
بسائر الرسل يقول وجرت عادتي وموجب حكمتي على ابتلاء بعضكم ايها الناس ببعض والمعنى انه ابتلى المرسلين
بالمرسل اليهم وبمناصبتهم لهم العداوة واقاويلهم الخارجة عن حد الانصاف وانواع اذاهم وطلب منهم الصبر
الجميل ونحوه ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان
ذلك من عزم الامور وموقع اتصبرون بعد ذكر الفتنة موقع ايكم بعد الابتلاء في قوله ليبلوكم ايكم احسن
بصيرا عالما بالصواب فيما يبتلي به وغيره فلا يضيقن صدرك ولا تستخفنك اقاويلهم فان في صبرك عليها
وفوزك في الدارين وقيل هو تسلية له عما عيروه به من الفقر حين قالوا او يلقى اليه كنز او تكون له
جنة الاغنياء للفقراء لينظر هل يصبرون انها حكمته ومشيئته يغني من يشاء ويفقر من يشاء وقيل جعلناك فتنة
لك لانك لو كنت غنيا صاحب كنوز وجنان لكان ميلهم اليك وطاعتهم لك للدنيا او ممزوجة بالدنيا فانما بعثناك فقيرا لتكون طاعة
من يطيعك خالصة لوجه الله من غير طمع دنيوي وقيل كان ابو جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل ومن في
طبقتهم يقولون ان اسلمنا وقد اسلم قبلنا عمار وصهيب وبلال وفلان وفلان ترفعوا علينا ادلالا بالسابقة فهو افتتان
بعضهم ببعض اي لا يأملون لقاءنا بالخير لانهم كفرة او لا يخافون لقاءنا بالشر والرجاء في لغة تهامة الخوف وبه فسر
قوله تعالى لا ترجون لله وقارا جعلت الصيرورة الى دار جزائه بمنزلة لقائه لو كان ملقيا اقترحوا من الآيات ان ينزل الله
عليهم الملائكة فتخبرهم ان محمدا صادق حتى يصدقوه او يروا الله جهرة فيأمرهم بتصديقه واتباعه ولا يخلو اما ان يكونوا
عالمين بان الله لا يرسل الملائكة الى غير الانبياء وان الله لا يصح ان يرى وانما علقوا ايمانهم بما لا يكون واما ان لا يكونوا
عالمين بذلك وانما ارادوا التعنت باقتراح آيات سوى الآيات التي نزلت وقامت بها الحجة عليهم كما فعل قوم موسى
حين قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فان قلت ما معنى في انفسهم قلت معناه انهم اضمروا الاستكبار
عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم واعتقدوه كما قال ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه وعتوا وجاوزوا الحد في
الظلم يقال عتا علينا فلان وقد وصف العتو بالكبير فبالغ في افراطه يعني انهم لم يجسروا على هذا القول العظيم الا لانهم
بلغوا غاية الاستكبار واقصى العتو واللام جواب قسم محذوف وهذه الجملة في حسن استيفائها غاية وفي اسلوبها قول القائل
وجارة جساس ابأنا بنابها كليبا غلت ناب كليب بواؤها وفي فحوى هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ التعجب الا ترى ان المعنى
ما اشد استكبارهم وما اكبر عتوهم وما اغلى نابا بواؤها كليب يوم يرون منصوب باحد شيئين اما بما دل عليه لا بشرى اي
يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى او يعدمونها ويومئذ للتكرير واما باضمار اذكر اي اذكر يوم يرون الملائكة ثم قال لا بشرى
يومئذ للمجرمين اما ظاهر في موضع ضمير واما لانه عام فقد تناولهم بعمومه حجرا محجورا ذكره سيبويه في باب المصادر غير المتصرفة
المنصوبة بافعال متروك اظهارها نحو معاذ الله وقعدك وعمرك وهذه كلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء عدو موتور او هجوم
نازلة او نحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة قال سيبويه ويقول الرجل للرجل اتفعل كذا وكذا فيقول حجرا وهي من حجره
اذا منعه لان المستعيذ طالب من الله ان يمنع المكروه فلا يلحقه فكان المعنى اسأل الله ان يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا

ومجيئه على فعل او فعل في قراءة الحسن تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد كما كان قعدك وعمرك كذلك وانشدت لبعض الرجاز قالت
وفيها حيدة وذعر عوذ بربي منكم وحجر فان قلت فاذ قد ثبت انه من باب المصادر فما معنى وصفه بمحجورا قلت جاءت
هذه الصفة لتأكيد معنى الحجر كما قالوا ذيل ذائل والذيل الهوان وموت مائت والمعنى في الآية انهم يطلبون نزول الملائكة ويقترحونه
وهم اذا رأوهم عند الموت او يوم القيامة كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم لانهم لا يلقونهم الا بما يكرهون وقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه
عند لقاء العدو الموتور وشدة النازلة وقيل هو من قول الملائكة ومعناه حراما محرما عليكم الغفران والجنة او البشرى اي جعل الله ذلك
حراما عليكم ليس هاهنا قدوم ولا ما يشبه القدوم ولكن مثلت حال هؤلاء واعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم واغاثة ملهوف
وقرى ضيف ومن على اسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم الى اشيائهم وقصد
الى ما تحت ايديهم فافسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها اثرا ولا عثيرا والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار
وفي امثالهم اقل من الهباء منثورا صفة للهباء شبهه في قلته وحقارته عنده وانه لا ينتفع به ثم بالمنثور منه لانك تراه منتظما
مع الضوء فاذا حركته الريح رأيته قد تناثر وذهب كل مذهب ونحوه قوله كعصف مأكول لم يكف ان شبههم بالعصف
حتى جعله موصوفا بالاكل ولا ان شبه عملهم بالهباء حتى جعله متناثرا او مفعول ثالث لجعلناه اي فجعلناه جامعا لحقارة
الهباء والتناثر كقوله كونوا قردة خاسئين اي جامعين للمسخ والخسء والمستقر المكان الذي
يكونون فيه في اكثر اوقاتهم مستقرين يتجالسون ويتحادثون والمقيل المكان الذي يأوون اليه للاسترواح الى ازواجهم والتمتع
بمغازلتهن وملامستهن كما ان المترفين في الدنيا يعيشون على ذلك الترتيب وروي انه يفرغ من الحساب في نصف ذلك
اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار وفي معناه قوله عز وعلا ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وازواجهم
في ظلال على الارائك متكئون قيل في تفسير الشغل افتضاض الابكار ولا نوم في الجنة وانما سمي مكان دعتهم واسترواحهم الى الحور مقيلا
على طريق التشبيه وفي لفظ الاحسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الوجوه وملاحة الصور الى غير ذلك من التحاسين والزين
وقرئ تشقق والاصل تتشقق فحذف بعضهم التاء وغيرهم ادغمها لما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام
كانه الذي تشقق به السماء كما تقول شق السنام بالشفرة وانشق بها ونظيره قوله السماء منفطر به فان قلت اي فرق
بين انشقت الارض بالنبات وانشقت عن النبات قلت معنى انشقت به ان الله شقها بطلوعه فانشقت به ومعنى
انشقت عنه ان التربة ارتفعت عنه عند طلوعه والمعنى ان السماء تنفتح بغمام يخرج منها وفي الغمام الملائكة ينزلون
وفي ايديهم صحائف اعمال العباد وروي تنشق سماء سماء وتنزل الملائكة الى الارض وقيل هو غمام ابيض رقيق مثل الضبابة
ولم يكن الا لبني اسرائيل في تيههم وفي معناه قوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقرئ ونزل
الملائكة وننزل ونزل الملائكة ونزلت الملائكة ونزل نزل الملائكة على حذف النون الذي هو فاء الفعل من تنزل قراءة اهل مكة
الحق الثابت لان كل ملك يزول يومئذ ويبطل ولا يبقى الا ملكه عض اليدين والانامل والسقوط في اليد واكل البنان
وحرق الاسنان والارم وقرعها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفها فيذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع
الكلام به في طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة والاستحسان ما لا يجده عند لفظ المكنى عنه وقيل نزلت
في عقبة بن ابي معيط بن امية بن عبد شمس وكان يكثر مجالسة رسول الله وقيل اتخذ ضيافة فدعا اليها رسول الله فابى ان يأكل
من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت يا عقبة قال لا ولكن ابى ان يأكل
من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له والشهادة ليست في نفسي فقال وجهي من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأ قفاه
وتبزق في وجهه وتلطم عينه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا القاك خارجا من مكة

الا علوت راسك بالسيف فقتل يوم بدر امر عليا رضي الله عنه بقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت بن افلح الانصاري وقال يا محمد الى
من الصبية قال الى النار وطعن رسول الله ابيا باحد فرجع الى مكة فمات واللام في الظالم يجوز ان يكون للعهد يراد به عقبة
خاصة ويجوز ان يكون للجنس فيتناول عقبة وغيره تمنى ان لو صحب الرسول وسلك معه طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم يتشعب به
طرق الضلالة والهوى او اراد اني كنت ضالا لم يكن لي سبيل قط فليتني حصلت في صحبة الرسول سبيلا وقرئ يا ويلتي بالياء وهو
الاصل لان الرجل ينادي ويلته وهي هلكته يقول لها تعالي فهذا اوانك وانما قلبت الياء الفا كما في صحارى ومدارى وفلان كناية عن
الاعلام كما ان الهن كناية عن الاجناس فان اريد بالظالم عقبة فالمعنى ليتني لم اتخذ ابيا خليلا فكنى عن اسمه وان اريد به الجنس
فكل من اتخذ من المضلين خليلا كان لخليله اسم علم لا محالة فجعله كناية عنه عن الذكر عن ذكر الله او القرآن او موعظة الرسول
ويجوز ان يريد نطقه بشهادة الحق وعزمه على الاسلام والشيطان اشارة الى خليله سماه شيطانا لانه اضله
ثم خذله ولم ينفعه في العاقبة او اراد ابليس لانه هو الذي حمله على مخالة المضل ومخالفة الرسول ثم خذله
وكل من تشيطن من الجن والانس ويحتمل ان يكون وكان الشيطان حكاية كلام الظالم وان يكون كلام
الله يقرأ على الادغام والاظهار والادغام اكثر الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وقومه قريش حكى الله عنه شكواه قومه اليه
تعظيم للشكاية وتخويف لقومه لان الانبياء كانوا اذا التجأوا اليه في قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا ثم اقبل
عليه مسليا وواعدا النصرة عليهم فقال كذلك كان كل نبي قبلك مبتلى بعداوة قومه وكفاك بي هاديا الى طريق قهرهم و
منهم وناصرا لك عليهم مهجورا تركوه وصدوا عنه وعن الايمان به وعن النبي صلى الله عليه وسلم من تعلم القرآن وعلمه وعلق
مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيمة متعلقا به يقول يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه وقيل
من هجر اذا هذى اي جعلوه مهجورا فيه فحذف الجار وهو على وجهين احدهما زعمهم انه هذيان وباطل واساطير
الاولين والثاني انهم كانوا اذا سمعوه هجروا فيه كقوله تعالى لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ويجوز ان يكون المهجور
بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول والمعنى اتخذوه هجرا والعدو يجوز ان يكون واحدا وجمعا كقوله فانهم عدو لي وقيل المعنى
وقال الرسول يوم القيمة نزل ههنا بمعنى انزل لا غير كخبر بمعنى اخبر والا كان متدافعا وهذا ايضا من اعتراضاتهم واقتراحاتهم
الدالة على شرادهم عن الحق وتجافيهم عن اتباعه قالوا هلا انزل عليه دفعة في وقت واحد كما انزلت الكتب الثلاثة
وماله انزل على التفاريق والقائلون قريش وقيل اليهود وهذا فضول من القول ومماراة بما لا طائل تحته لان امر الاعجاز
والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة او مفرقا وقوله كذلك جواب لهم اي كذلك انزل مفرقا والحكمة فيه ان نقوي بتفريقه
فؤادك حتى تعيه وتحفظه لان المتلقن انما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شيء وجزءا عقيب جزء ولو القي عليه جملة
واحدة لتعيا بحفظه والرسول عليه السلام فارقت حاله حال موسى وداود وعيسى حيث كان اميا لا يقرأ ولا يكتب وهم كانوا قارئين
كاتبين فلم يكن له بد من التلقن والتحفظ فانزل عليه منجما في عشرين سنة وقيل في ثلث وعشرين وايضا فكان ينزل على حسب الحوادث
وجوابات السائلين ولان بعضه منسوخ وبعضه ناسخ ولا يتاتى ذلك الا فيما انزل مفرقا فان قلت ذلك في كذلك يجب ان يكون اشارة
الى شيء تقدمه والذي تقدم هو انزاله جملة فكيف فسرته بكذلك انزلناه مفرقا قلت لان قولهم لولا نزل عليه جملة معناه لم انزل
مفرقا فالدليل على فساد هذا الاعتراض انهم عجزوا عن ان ياتوا بنجم واحد من نجومه وتحدوا بسورة واحدة من اصغر السور
فابرزوا صفحة عجزهم وسجلوا به على انفسهم حين لاذوا بالمناصبة وفزعوا الى المحاربة ثم قالوا هلا نزل جملة واحدة كانهم قدروا
على تفاريقه حتى يقدروا على جملته ورتلناه معطوف على الفعل الذي تعلق به كذلك كانه قال كذلك فرقناه ورتلناه ومعنى ترتيله
ان قدره اية بعد اية ووقفة عقيب وقفة ويجوز ان يكون المعنى وامرنا بترتيل قراءته وذلك قوله ورتل القرآن ترتيلا اي اقرأه

بترتيل

بترتيل وتثبت ومنه حديث عائشة في صفة قراءته لا كسردكم هذا لو اراد السامع ان يعد حروفه لعدها واصله الترتيل في الاسنان
وهو تفليجها يقال ثغر رتل ومرتل ويشبه بنور الاقحوان في تفليجه وقيل هو ان نزله مع كونه متفرقا على تمكث وتمهل في مدة
متباعدة وهي عشرون سنة ولم يفرقه في مدة متقاربة ولا ياتونك بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة كانه مثل في البطلان
الا اتيناك نحن بالجواب الحق الذي لا محيد عنه وبما هو احسن معنى ومؤدى من سؤالهم ولما كان التفسير هو التكشيف عما يدل
عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا او لا ياتونك بحال وصفة عجيبة يقولون
هلا كانت هذه صفتك وحالك نحو ان يقرن بك ملك ينذر معك او يلقى اليك كنز او تكون لك جنة او ينزل عليك القرآن جملة الا اعطيناك
نحن من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا ومشيتنا ان تعطاه وما هو احسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته يعني ان تنزيله مفرقا
وتحديهم بان ياتوا ببعض تلك التفاريق كلما نزل شيء منها ادخل في الاعجاز وانور للحجة من ان ينزل كله جملة ويقال لهم جيئوا بمثل هذا
[illegible] في فصاحته مع بعد ما بين طرفيه كانه قيل لهم ان حاملكم على هذه السؤالات انكم تضللون سبيله وتحتقرون مكانه ومنزلته ولو
[illegible] من الانصاف وانتم من المسحوبين على وجوههم الى جهنم لعلمتم ان مكانكم شر من مكانه وسبيلكم اضل من سبيله وفي طريقته
[illegible] شر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه الاية ويجوز ان يراد بالمكان الشرف والمنزلة وان يراد الدار والمسكن
[illegible] الفريقين خير مقاما واحسن نديا ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازي وعن النبي صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة على ثلثة
اثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على اقدامهم ينسلون نسلا الوزارة لا تنافي النبوة فقد كان يبعث في الزمن
الواحد انبياء ويؤمرون بان يوازر بعضهم بعضا والمعنى فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم كقوله اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فضرب
فانفلق اراد اختصار القصة فذكر حاشيتيها اولها واخرها لانهما المقصود من القصة بطولها اعني الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق
التدمير بتكذيبهم وعن علي رضي الله عنه فدمرتهم وعنه فدمرانهم على التاكيد بالنون الثقيلة كانهم كذبوا نوحا ومن قبله من الرسل او كان
تكذيبهم لواحد منهم تكذيبا للجميع او لم يروا بعثة الرسل اصلا كالبراهمة وجعلناهم وجعلنا اغراقهم او قصتهم للناس اية واعتدنا للظالمين
يعني بهم قوم نوح واصله واعتدنا لهم الا انه قصد تظليمهم فاظهر واما ان يعنى وقد اعم بعمومه عطف عادا على هم في جعلناهم او على الظالمين
لان المعنى ووعدنا الظالمين وثمود على تاويل القبيلة واما المنصرف فعلى تاويل الحي او لانه اسم الاب الاكبر قيل في اصحاب الرس كانوا
من بقية [illegible] اصحاب ابار ومواش فبعث الله اليهم شعيبا فدعاهم الى الاسلام فتمادوا في طغيانهم وفي ايذائه فبيناهم حول الرس
وهو البير غير المطوية عن ابي عبيدة انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة قتلوا نبيهم
فهلكوا وهم بقية ثمود قوم صالح وقيل هم اصحاب النبي حنظلة بن صفوان كانوا مبتلين بالعنقاء وهي اعظم ما يكون
من الطير سميت لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ وهي تنقض على صبيانهم فتخطفهم ان اعوزها الصيد
فدعا عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوا حنظلة فاهلكوا وقيل هم اصحاب الاخدود والرس هو الاخدود
وقيل الرس بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل كذبوا نبيهم ورسوه في بير اي دسوه فيها بين ذلك اشارة الى ذلك المذكور
وقد يذكر الذاكر اشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك ويحسب الحاسب اعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على معنى فذلك
المحسوب او المعدود ضربنا له الامثال بينا له القصص العجيبة من قصص الاولين ووصفنا له ما اجروا اليه من تكذيب
الانبياء وجرى عليهم من عذاب الله وتدميره والتتبير التفتيت والتكسير ومنه التبر وهو كسار الذهب والفضة
والزجاج وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا له الامثال وهو انذرنا او حذرنا والثاني بتبرنا لانه فارغ له اراد
بالقرية سدوم من قرى قوم لوط وكانت خمسا اهلك الله اربعا باهلها وبقيت واحدة ومطر السوء الحجارة يعني
ان قريشا مروا مرارا كثيرة في متاجرهم الى الشام على تلك القرية التي اهلكت بالحجارة من السماء افلم يكونوا في مرار

مروا بهم ينظرون الى آثار عذاب الله ونكاله ويذكرون بل كانوا قوما كفرة بالبعث لا يتوقعون نشورا وعاقبة فوضع الرجاء موضع
التوقع لانه انما يتوقع العاقبة من يؤمن فمن ثم لم ينظروا ولم يذكروا ومروا بها كما مرت ركابهم او لا يأملون نشورا كما يأمله
المؤمنون لطمعهم في الوصول الى ثواب اعمالهم او لا يخافون على اللغة التهامية ان الاولى نافية والثانية مخففة من الثقيلة
واللام هي الفارقة بينهما واتخذه هزوا في معنى استهزأ به والاصل اتخذه موضع هزؤ او مهزوءا به اهذا محكي بعد القول
المضمر وهذا استصغار وبعث الله رسولا اخراجه في معرض التسليم والاقرار وهم على غاية الجحود والانكار سخرية واستهزاء
ولو لم يستهزئوا لقالوا أهذا الذي زعم او ادعى انه مبعوث من عند الله رسولا وقولهم ان كاد ليضلنا دليل على فرط مجاهدة رسول
الله في دعوتهم وبذله قصارى الوسع والطاقة في استعطافهم مع عرض الآيات والمعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم ان يتركوا دين
الاسلام لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة آلهتهم ولولا في مثل هذا الكلام جار من حيث المعنى لا من حيث الصنعة
مجرى التقييد للحكم المطلق وسوف يعلمون وعيد ودلالة على انهم لا يفوتونه وان طالت مدة الامهال ولا بد للوعيد ان يلحقهم
وقوله من اضل سبيلا كالجواب عن قولهم ان كاد ليضلنا لانه نسبة لرسول الله الى الضلال من حيث لا يضل غيره الا من هو ضال
في نفسه ويروى انه من قول ابي جهل لعنه الله من كان في طاعة الهوى في دينه يتبعه في كل ما يأتي ويذر لا يتبصر دليلا
ولا يصغي الى برهان فهو عابد هواه وجاعله الهه فيقول لرسوله هذا الذي لا يرى معبودا الا هواه كيف تستطيع ان تدعوه
افتتوكل عليه وتجبره على الاسلام وتقول لا بد ان تسلم شئت او ابيت ولا اكراه في الدين وهذا كقوله وما انت عليهم بجبار لست
عليهم بمسيطر ويروى ان الرجل منهم كان يعبد الحجر فاذا رأى احسن منه رمى به واخذ آخر ومنهم الحارث بن قيس السهمي
ام هذه منقطعة معناه بل اتحسب كأن هذه المذمة اشد من التي تقدمتها حتى حقت بالاضراب عنها اليها وهي كونهم مسلوبي
الاسماع والعقول لانهم لا يلقون الى استماع الحق اذنا ولا الى تدبره عقلا ومشبهين بالانعام التي هي مثل في الغفلة والضلالة ثم
ارجح ضلالة منها فان قلت لم اخر هواه والاصل قولك اتخذ الهوى الها قلت ما هو الا تقديم المفعول الثاني على الاول للعناية
كما تقول علمت منطلقا زيدا لفضل عنايتك بالمنطلق فان قلت ما معنى ذكر الاكثر قلت كان فيهم من لم يصده عن الاسلام
الا داء واحد وهو حب الرياسة وكفى به داء عضالا فان قلت كيف جعلوا اضل من الانعام قلت لان الانعام تنقاد
لاربابها التي تعلفها وتتعهدها وتعرف من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها
ومشاربها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة الشيطان الذي هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي هو
اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار والمهالك ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهنيء والعذب الروي الم تر
الى ربك الم تنظر الى صنع ربك وقدرته ومعنى مد الظل ان جعله يمتد وينبسط فينتفع به الناس ولو شاء لجعله ساكنا اي لاصقا
باصل كل مظل من جبل وبناء وشجرة غير منبسط فلم ينتفع به احد سمى انبساط الظل وامتداده تحركا منه وعدم ذلك سكونا ومعنى كون
الشمس دليلا ان الناس يستدلون بالشمس وباحوالها في مسيرها على احوال الظل من كونه ثابتا في مكان وزائلا ومتسعا ومتقلصا
فيبنون حاجتهم الى الظل واستغناءهم عنه على حسب ذلك وقبضه اليه انه ينسخه بضح الشمس يسيرا اي على مهل وفي هذا القبض اليسير
شيئا بعد شيء من المنافع ما لا يعد ولا يحصى ولو قبض دفعة واحدة لتعطلت اكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعا فان قلت
ثم في هذين الموضعين كيف موقعها قلت موقعها لبيان تفاضل الامور الثلاثة كأن الثاني اعظم من الاول والثالث اعظم منهما
تشبيها لتباعد ما بينهما في الفضل بتباعد ما بين الحوادث في الوقت ووجه آخر وهو انه مد الظل حين بنى السماء كالقبة المضروبة
ودحا الارض تحتها فالقت القبة ظلها على الارض فينانا ما في اديمه جوب لعدم النير ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة
ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل اي سلطها عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل في الطريق فهو يزيد بها وينقص

ويقلص

ويقلص ثم نسخه بها فقبضه قبضا سهلا يسيرا غير عسير ويحتمل ان يريد قبضه عند قيام الساعة بقبض اسبابه وهي الاجرام التي تلقي الظل
فيكون قد ذكر اعدامه باعدام اسبابه كما ذكر انشاءه بانشاء اسبابه وقوله قبضناه الينا يدل عليه وكذلك قوله يسيرا كما قال ذلك حشر علينا يسير
شبه ما يستر من ظلام الليل باللباس الساتر والسبات الموت والمسبوت الميت لانه مقطوع الحياة وهذا كقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل
فان قلت هلا فسرته بالراحة قلت النشور في مقابلته يأباه اباء العيوف الورد وهو مرنق وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق
فيها اظهار لنعمته على خلقه لان الاحتجاب بستر الليل كم فيه لكثير من الناس من فوائد دينية ودنيوية والنوم واليقظة وشبههما بالموت
والحياة اي عبرة فيها لمن اعتبر وعن لقمان انه قال لابنه يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر قرئ الريح والرياح نشرا احياء ونشرا
جمع نشور وهي المحيية ونشرا تخفيف نشر ونشرا تخفيف نشر وبشرا بين يدي رحمته استعارة مليحة اي قدام
المطر طهورا بليغا في طهارته وعن احمد بن يحيى هو ما كان طاهرا في نفسه مطهرا لغيره فان كان ما قاله شرحا لبلاغته في
الطهارة كان سديدا ويعضده قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به والا فليس فعول من التفعيل في شيء والطهور على
وجهين في العربية صفة واسم غير صفة فالصفة قولك ماء طهور كقولك طاهر والاسم قولك لما يتطهر به طهور كالوضوء والوقود
لما يتوضأ به وتوقد به النار وقولهم تطهرت طهورا حسنا كقولك وضوءا حسنا ذكره سيبويه ومنه قوله عليه السلام لا صلاة الا بطهور اي
بطهارة فان قلت ما الذي يزيل عن الماء اسم الطهور قلت تيقن مخالطة النجاسة او غلبتها على الظن تغير احد اوصافه الثلاثة او لم
يتغير واستعماله في البدن لاداء عبادة عند ابي حنيفة وعند مالك بن انس ما لم يتغير احد اوصافه فهو طهور فان قلت فما تقول في قوله
عليه السلام حين سئل عن بئر بضاعة فقال الماء طهور لا ينجسه شيء الا ما غير لونه او طعمه او ريحه قال الواقدي كان بئر بضاعة طريقا للماء
الى البساتين وانما قال ميتا لان البلدة في معنى البلد في قوله فسقناه الى بلد ميت وانه غير جار على الفعل كفعول ومفعال ومفعيل وقرئ
نسقيه بالفتح وسقى واسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا الاناسي جمع انسي او انسان ونحوه ظرابي في ظربان على قلب النون ياء
والاصل اناسين وظرابين وقرئ بالتخفيف بحذف ياء افاعيل كقولك اناعم في اناعيم فان قلت انزال الماء موصوفا بالطهارة وتعليله
بالاحياء والسقي يؤذن بان الطهارة شرط في صحة ذلك كما تقول حملني الامير على فرس جواد لاصيد عليه الوحش قلت لما كان سقي
الاناسي من جملة ما انزل له الماء وصفه بالطهور اكراما لهم وتتميما للمنة عليهم وبيانا ان من حقهم حين اراد الله لهم الطهارة وارادهم
عليها ان يؤثروها في بواطنهم ثم في ظواهرهم وان يربأوا بانفسهم عن مخالطة القاذورات كلها كما ربأ بهم ربهم فان قلت لم خص
الانعام من بين ما خلق من الحيوان الشارب قلت لان الطير والوحش تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب بخلاف الانعام ولانها
قنية الاناسي وعامة منافعهم متعلقة بها فكان الانعام عليهم بسقي انعامهم كالانعام بسقيهم فان قلت فما معنى تنكير الانعام
والاناسي ووصفها بالكثرة قلت معنى ذلك ان علية الناس وجلهم منيخون بالقرب من الاودية والانهار ومنابع الماء ففيهم غنية
عن سقي السماء واعقابهم وهم كثير منهم لا يعيشهم الا ما ينزل الله من رحمته وسقيا سمائه وكذلك قوله لنحيي به بلدة ميتا يريد
بعض بلاد هؤلاء المتبعدين عن مظان الماء فان قلت لم قدم احياء الارض وسقي الانعام على سقي الاناسي قلت
لان حياة الاناسي بحياة ارضهم وحياة انعامهم فقدم ما هو سبب حياتهم وتعيشهم على سقيهم ولانهم اذا ظفروا بما يكون سقيا
ارضهم ومواشيهم لم يعدموا سقياهم يريد ولقد صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وفي سائر الكتب والصحف التي انزلت على
الرسل وهو ذكر انشاء السحاب وانزال القطر ليفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه ويشكروا فابى اكثرهم الا كفران النعمة
وجحودها وقلة الاكتراث لها وقيل صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل
وطل وجود ورذاذ وديمة ورهام فابوا الا الكفور وان يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله ورحمته وعن ابن عباس ما من
عام اقل مطرا من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه الآية وروي ان الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره

في كل عام لانه لا يختلف ولكن تختلف فيه البلاد وينتزع من هاهنا جواب في تنكير البلدة والانعام والاناسي كانه
قال لنحيي به بعض البلاد الميتة ونسقيه بعض الانعام والاناسي وذلك البعض كثير فان قلت هل يكفر من ينسب
الامطار الى الانواء قلت ان كان لا يراها الا من الانواء ويجحد ان تكون هي والانواء من خلق الله فهو كافر وان كان
يرى ان الله خالقها وقد نصب الانواء دلائل وامارات عليها لم يكفر يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم ولو شئنا لخففنا عنك
اعباء نذارة القرى ولبعثنا في كل قرية نبيا ينذرها وانما قصرنا الامر عليك وعظمناك به واجللناك وفضلناك على سائر الرسل
فقابل ذلك بالتشدد والتصبر ولا تطع الكافرين فيما يريدونك عليه وانما اراد بهذا تهييجه وتهييج المؤمنين وتحريكهم والضمير
للقرآن او لترك الطاعة الذي يدل عليه ولا تطع والمراد ان الكفار يجدون ويجتهدون في توهين امرك فقابلهم من جدك واجتهادك
وعضك على نواجذك بما تغلبهم به وتعلوهم وجعله جهادا كبيرا لما يحتمل فيه من المشاق العظام ويجوز ان يرجع الضمير في به الى
ما دل عليه ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا من كونه نذير كافة القرى لانه لو بعث في كل قرية نذير لوجبت على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على
تلك المجاهدات كلها فكبر جهاده من اجل ذلك وعظم فقال له وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة
سمى الماءين الكثيرين الواسعين بحرين والفرات البليغ العذوبة حتى يضرب الى الحلاوة والاجاج نقيضه ومرجهما خلاهما
متلاصقين وهو بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج وهذا من عظيم اقتداره وفي كلام بعضهم وبحران احدهما مع الآخر ممزوج
العذب منها بالاجاج ممزوج برزخا حائلا من قدرته كقوله عز وعلا بغير عمد ترونها يريد بغير عمد مرئية وهو قدرته وقرئ
ملح على فعل وقيل كانه حذف من مالح وصليانا بردا يريد باردا فان قلت وحجرا محجورا ما معناه قلت هي الكلمة التي يقولها
المتعوذ وقد فسرناها وهي هاهنا واقعة على سبيل المجاز كان كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له حجرا محجورا كما قال لا يبغيان
اي لا يبغي احدهما على صاحبه بالممازجة فانتفاء البغي ثمة كالتعوذ هاهنا جعل كل واحد منهما في صورة الباغي على صاحبه فهو يتعوذ منه وهي
من احسن الاستعارات واشهدها على البلاغة اراد فقسم البشر قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم فيقال فلان بن فلان
وفلانة بنت فلان وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن ونحوه قوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان ربك قديرا حيث خلق من
النطفة الواحدة بشرا نوعين ذكرا وانثى الظهير والمظاهر كالعوين والمعاون وفعيل بمعنى مفاعل غير عزيز والمعنى ان الكافر
يظاهر الشيطان على ربه بالعداوة والشرك روي انها نزلت في ابي جهل ويجوز ان يريد بالظهير الجماعة كقوله والملائكة بعد ذلك
ظهير كما جاء الصديق والخليط يريد بالكافر الجنس وان بعضهم مظاهر لبعض على اطفاء نور دين الله وقيل معناه وكان الذي يفعل
هذا الفعل وهو عبادة ما لا ينفع ولا يضر على ربه هينا مهينا من قولهم ظهرت به اذا خلفته خلف ظهرك لا تلتفت اليه وهذا نحو قوله اولئك
لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم مثال الا من شاء والمراد الا فعل من شاء واستثناؤه عن الاجر قول ذي شفقة
عليك قد سعى لك في تحصيل مال ما اطلب منك ثوابا على ما سعيت الا ان تحفظ هذا المال ولا تضيعه فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب
ولكن صوره هو بصورة الثواب وسماه باسمه فافاد فائدتين احداهما قلع شبهة الطمع في الثواب من اصله كانه يقول لك ان كان
حفظك لمالك ثوابا فاني اطلب الثواب والثانية اظهار الشفقة البالغة وانك ان حفظت مالك اعتد بحفظك ورضي به كما يرضى
المثاب بالثواب ولعمري ان رسول الله كان مع المبعوث اليهم بهذا الصدد وفوقه ومعنى اتخاذهم الى الله سبيلا تقربهم اليه
وطلبهم عنده الزلفى بالايمان والطاعة وقيل المراد التقرب بالصدقة والنفقة في سبيل الله امره بان يثق به ويسند امره اليه
في استكفاء شرورهم مع التمسك بقاعدة التوكل وهو طاعته وعبادته وتنزيهه وتحميده وعرفه ان الحي الذي لا يموت حقيق بان يتوكل
عليه وحده ولا يتكل على غيره من الاحياء الذين يموتون وعن بعض السلف انه قرأها فقال لا يصح لذي عقل ان يثق بعدها بمخلوق ثم
اراه ان ليس اليه من امر عباده شيء آمنوا ام كفروا وانه خبير باحوالهم كاف في جزاء اعمالهم في ستة ايام يعني في مدة مقدارها

هذه المدة

هذه المدة لانه لم يكن ثم نهار ولا ليل وقيل في ستة ايام من ايام الآخرة وكل يوم الف سنة والظاهر انها من ايام الدنيا وعن مجاهد
اولها يوم الاحد وآخرها الجمعة ووجهه ان يسمي الله تعالى لملائكته تلك الايام المقدرة بهذه الاسماء فلما خلق الشمس وادارها
وترتب امر العالم على ما هو عليه جرت التسمية على هذه الايام واما الداعي الى هذا العدد اعني الستة دون سائر الاعداد
فلا نشك انه داعي حكمة لعلمنا انه لا يقدر تقديرا الا بداعي حكمة وان كنا لا نطلع عليه ولا نهتدي الى معرفته ومن ذلك تقدير الملائكة الذين
هم اصحاب النار تسعة عشر وحملة العرش ثمانية والشهور اثني عشر والسموات سبعا والارض كذلك والصلوات
خمسا واعداد النصب والحدود والكفارات وغير ذلك والاقرار بدواعي الحكمة في جميع افعاله وبان ما قدره حق وصواب هو الايمان
وقد نص عليه في قوله وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون
الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا ثم قال وما يعلم جنود ربك الا هو وهو الجواب ايضا في ان لم يخلقها
وهو قادر على ذلك وعن سعيد بن جبير انما خلقها في ستة ايام وهو يقدر على ان يخلقها في لحظة تعليما لخلقه الرفق والتثبت
وقيل اجتمع خلقها يوم الجمعة فجعله الله عيدا للمسلمين الذي خلق مبتدأ والرحمن خبره او هو صفة للحي والرحمن خبر مبتدأ
او بدل من المستتر في استوى وقرئ الرحمن بالجر صفة للحي وقرئ فسل والباء في به صلة سل كقوله سأل سائل
كما تكون عن صلته في نحو قوله ثم لتسألن يومئذ عن النعيم فسأل به كقولك اهتم به واعتنى به واشتغل به وسأل عنه
كقولك بحث عنه وفتش عنه ونقر عنه او صلة خبيرا وتجعل خبيرا مفعول سل يريد فسل عنه رجلا عارفا يخبرك برحمته
او فسل رجلا خبيرا به وبرحمته او فسل بسؤاله خبيرا كقولك رأيت به اسدا اي برؤيته والمعنى ان سألته وجدته خبيرا
او تجعله حالا عن الهاء تريد فسل عنه عالما بكل شيء وقيل الرحمن اسم من اسماء الله مذكور في الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه
فقيل فسل بهذا الاسم من يخبرك من اهل الكتاب حتى تعرف من ينكره ومن ثم كانوا يقولون ما نعرف الرحمن الا الذي
باليمامة يعنون مسيلمة وكان يقال له رحمن اليمامة وما الرحمن يجوز ان يكون سؤالا عن المسمى به لانهم ما كانوا يعرفونه
بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بما ويجوز ان يكون سؤالا عن معناه لانه لم يكن مستعملا في كلامهم كما استعمل الرحيم والرحوم
والراحم او لانهم انكروا اطلاقه على الله لما تأمرنا اي للذي تأمرناه بمعنى تأمرنا سجوده على قوله امرتك الخير او لامرك
لنا وقرئ بالياء كان بعضهم قال لبعض انسجد لما يأمرنا محمد او يأمرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف ما هو وفي زادهم ضمير اسجدوا للرحمن
لانه هو المقول البروج منازل الكواكب السبعة السيارة الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب
والقوس والجدي والدلو والحوت سميت بالبروج التي هي القصور العالية لانها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها واشتقاق البرج من
التبرج لظهوره والسراج الشمس كقوله وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار معها وقرأ الحسن والاعمش
وقمرا منيرا وهي جمع ليلة قمراء كانه قال وذا قمر منيرا لان الليالي تكون قمرا بالقمر فاضافه اليها ونظيره في بقاء حكم المضاف بعد سقوطه
وقيام المضاف اليه مقامه قول حسان بردى يصفق بالرحيق السلسل يريد ماء بردى ولا يبعد ان يكون القمر بمعنى القمر كالرشد
والرشد والعرب والعرب والخلفة من خلف كالركبة من ركب وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الآخر
والمعنى جعلهما ذوي خلفة اي ذوي عقبة يعقب هذا ذاك وذاك هذا ويقال الليل والنهار يختلفان كما يقال يعتقبان ومنه قوله
واختلاف الليل والنهار ويقال بفلان خلفة واختلاف اذا اختلف كثيرا الى متبرزه وقرئ يذكر ويذكر وعن ابي بن كعب يتذكر
والمعنى لينظر في اختلافهما الناظر فيعلم ان لا بد لانتقالهما من حال الى حال وتغيرهما من ناقل ومغير ويستدل بذلك على عظم قدرته
ويشكر الشاكر على النعمة فيهما من السكون بالليل والتصرف بالنهار كما قال عز وجل ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه
ولتبتغوا من فضله او ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته في احدهما ورده من العبادة قام به في الآخر وعن الحسن من فاته

علاً من التذكر والشكر بالنهار كان له في الليل مستعتب ومن فاته بالليل كان له في النهار مستعتب وعباد
الرحمن مبتدأ خبره في آخر السورة كأنه قيل وعباد الرحمن الذين هذه صفاتهم أولئك يجزون الغرفة ويجوز
أن يكون خبره الذين يمشون واضافهم الى الرحمن تخصيصاً وتفضيلاً وقرئ عباد الرحمن وقرئ يمشّون هوناً
حال او صفة للمشي بمعنى هينين او مشياً هيّناً الا ان في وضع المصدر موضع الصفة مبالغة والهون الرفق واللين
ومنه الحديث أحبب حبيبك هوناً ما وقوله المؤمنون هيّنون ليّنون والمثل إذا عزّ أخوك فهُن ومعناه إذا عاسر
فياسر والمعنى انهم يمشون بسكينة ووقار وتواضع لا يضربون بأقدامهم ولا يخفقون بنعالهم اشراً وبطراً ولذلك كره بعض
العلماء الركوب في الاسواق سلاماً تسلّماً منكم لا نجاهلكم ومتاركة لا خير بيننا ولا شر اي نتسلم منكم تسلّماً فأقيم السلام مقام
التسليم وقيل قالوا سداداً من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم والمراد بالجهل السفه وقلة الادب وسوء الرعة من قوله
ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا وعن ابي العالية نسختها آية القتال ولا حاجة الى ذلك لان الاغضاء [illegible]
السفهاء وترك المقابلة مستحسن في الادب والمروءة والشريعة واسلم للعرض والورع البيتوتة خلاف الظ[illegible]
ان يدركك الليل نمت او لم تنم وقالوا من قرأ شيئاً من القرآن في صلوة وان قل فقد بات ساجداً وقائماً وقيل هما الر[illegible]
المغرب والعشاء بعد العشاء والظاهر انه وصف لهم باحياء الليل او اكثره يقال فلان يظل صائماً ويبيت قائماً [illegible]
وشرّاً لازماً قال يوم النسار ويوم الجفار كانا عذاباً وكانا غراما وقال ان يعاقب يكن غراماً وان يعط جزيلا فانه
لا يبالي ومنه الغريم لالحاحه ولزامه وصفهم باحياء الليل ساجدين وقائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه ايذاناً
بانهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون الى الله في صرف العذاب عنهم كقوله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة
ساءت في حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقراً والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقراً ومقاماً هي وهذا
الضمير هو الذي ربط الجملة باسم ان وجعلها خبراً لها ويجوز ان يكون ساءت بمعنى احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقراً
حال او تمييز والتعليلان يصح ان يكونا متداخلين ومترادفين وان يكونا من كلام الله وحكاية لقولهم قرئ يقتروا بكسر
التاء وضمها ويقتروا بتخفيف القاف وتشديدها والقتر والاقتار والتقتير التضييق الذي هو نقيض الاسراف والاسراف
مجاوزة الحد في النفقة ووصفهم بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير وبمثله امر رسوله صلى الله عليه وسلم ولا تجعل
يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقيل الاسراف انما هو الانفاق في المعاصي فاما في القرب فلا اسراف
وسمع رجل رجلاً يقول لا خير في الاسراف فقال لا اسراف في الخير وعن عمر بن عبد العزيز انه شكر عبد الملك
بن مروان حين زوجه ابنته واحسن اليه فقال وصلت الرحم وفعلت وصنعت وجاء بكلام حسن فقال ابن لعبد الملك
انما هو كلام أعده لهذا المقام فسكت عبد الملك فلما كان بعد ايام دخل عليه والابن حاضر فسأله عن نفقته واحواله
فقال الحسنة بين السيئتين فعرف عبد الملك انه اراد ما في هذه الآية فقال لابنه يا بني أهذا ايضاً مما اعده وقيل اولئك
اصحاب محمد كانوا لا يأكلون طعاماً للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوباً للجمال والزينة ولكن كانوا يأكلون ما يسد جوعتهم
ويعينهم على عبادة ربهم ويلبسون ما يستر عوراتهم ويكنهم من الحر والقر وقال عمر رضي الله عنه كفى سرفاً ان لا يشتهي
رجل شيئاً الا اشتراه فأكله والقوام العدل بين الشيئين لاستقامة الطرفين واعتدالهما ونظير القوام من
الاستقامة السواء من الاستواء وقرئ قواماً بالكسر وهو ما يقام به الشيء يقال انت قوامنا بمعنى ما تقام به الحاجة
لا يفضل عنها ولا ينقص والمنصوبان اعني بين ذلك قواماً جائز ان يكونا خبرين معاً وان يجعل بين ذلك لغواً وقواماً
مستقراً وان يكون الظرف خبراً وقواماً حالاً مؤكدة واجاز الفراء ان يكون بين ذلك اسم كان على انه مبني لاضافته الى
غير متمكن

غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت وهو من جهة الاعراب لا بأس به ولكن المعنى ليس بقوي لان
ما بين الاسراف والتقتير قوام لا محالة فليس في الخبر الذي هو معتمد الفائدة فائدة حرّم الله اي حرمها والمعنى
حرّم قتلها والا بالحق متعلق بهذا القتل المحذوف او بلا يقتلون ونفى هذه المقبحات العظام عن الموصوفين بتلك
الخلال العظيمة في الدين للتعريض بما كان عليه اعداء المؤمنين من قريش وغيرهم كأنه قيل والذين برأهم الله
وطهرهم مما انتم عليه والقتل بغير حق يدخل فيه الوأد وغيره وعن ابن مسعود رضي الله عنه قلت يا رسول الله
اي الذنب أعظم قال ان تجعل لله نداً وهو خلقك قلت ثم اي قال ان تقتل ولدك خشية ان يطعم معك قلت
ثم اي قال ان تزاني حليلة جارك فأنزل الله تصديقه وقرئ يلق فيه أثاماً وقرئ يلقى باثبات الالف
[illegible] والاثام جزاء الاثم بوزن الوبال والنكال ومعناهما قال جزى الله ابن عروة حيث امسى عقوقاً والعقوق له أثام
[illegible] ومعناه يلق جزاء آثام وقرأ ابن مسعود أياماً اي شدائد يقال يوم ذو ايام لليوم العصيب يضاعف بدل
[illegible] لانهما في معنى واحد كقوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطباً جزلاً وناراً تأججا وقرئ يضعّف ونضعّف
[illegible] بالنون ونصب العذاب وقرئ بالرفع على الاستئناف او على الحال وكذلك يخلد وقرئ ويخلد على البناء للمفعول
[illegible] مخففاً من الاخلاد والتخليد وقرئ وتخلد بالتاء على الالتفات يبدل مخفف ومثقل وكذلك سيئاتهم فان
قلت ما معنى مضاعفة العذاب وابدال الحسنات سيئات قلت اذا ارتكب المشرك معاصي مع الشرك عذّب على
الشرك وعلى المعاصي جميعاً فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه وابدال السيئات حسنات انه يمحوها بالتوبة ويثبت
مكانها الحسنات الايمان والطاعة والتقوى وقيل يبدلهم بالشرك ايماناً وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنى
عفة واحصاناً يريد ومن يترك المعاصي ويندم عليها ويدخل في العمل الصالح فانه بذلك تائب الى الله متاباً مرضياً عنده مكفراً
للخطايا محصلاً للثواب او فانه تائب متاباً الى الله الذي يعرف حق التائبين ويفعل بهم ما يستوجبون والذي يحب التوابين
ويحب المتطهرين وفي كلام بعض العرب لله افرح بتوبة العبد من المضل الواجد والظمآن الوارد والعقيم الوالد او فانه يرجع
الى الله والى ثوابه مرجعاً حسناً واي مرجع يحتمل انهم ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا يحضرونها ولا يقربونها تنزهاً
عن مخالطة الشر واهله وصيانة لدينهم عما يثلمه لان مشاهدة الباطل شركة فيه ولذلك قيل في النظارة الى كل ما لم تسوغه الشريعة
هم شركاء فاعليه في الاثم لان حضورهم ونظرهم دليل الرضا به وسبب وجوده والزيادة فيه لان الذي سلطه على فعله هو
استحسان النظارة ورغبتهم في النظر اليه وفي مواعظ عيسى بن مريم صلوات الله عليه اياكم ومجالسة الخطائين ويحتمل انهم
لا يشهدون شهادة الزور فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وعن قتادة مجالس الباطل وعن ابن الحنفية اللهو والغناء
وعن مجاهد اعياد المشركين اللغو كل ما ينبغي ان يلغى ويطرح والمعنى واذا مروا باللغو والمشتغلين به مروا معرضين عنهم
مكرمين انفسهم عن التوقف عليهم والخوض معهم كقوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم
لا نبتغي الجاهلين وعن الحسن لم تسفههم المعاصي وقيل اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى اعرضوا وصفحوا وقيل اذا ذكروا
النكاح كنوا عنه لم يخروا عليها ليس بنفي للخرور انما هو اثبات له ونفي للصمم والعمى كما تقول لا يلقاني زيد مسلماً هو نفي للسلام
لا للقاء والمعنى اذا ذكروا بها اكبوا عليها حرصاً على استماعها واقبلوا على المذكّر بها وهم في اكبابهم عليها سامعون باذان
واعية مبصرون بعيون راعية لا كالذين يذكرون بها فتراهم مكبين عليها مقبلين على من يذكّر بها مظهرين الحرص الشديد
على استماعها وهم كالصم العميان حيث لا يعونها ولا يتبصرون ما فيها كالمنافقين واشباههم قرئ ذريتنا وذرياتنا وقرة
داعية

نعيم. وقرأه أعين ساراً لو أرتهم أن يرزقهم أزواجاً وأعقاباً عمالاً لله يسرون بمكانهم وتقر بهم عيونهم وعن
محمد بن كعب ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله وعن ابن عباس هو الولد
إذا رآه يكتب الفقه وقيل سألوا أن يلحق الله بهم أزواجهم وذريتهم في الجنة ليتم لهم سرورهم أراد أئمة فاكتفى
بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلاً أو أراد واجعل كل واحد منا إماماً أو أراد جمع آم كصائم
وصيام أو أراد واجعلنا إماماً واحداً لاتحادنا واتفاق كلمتنا وعن بعضهم في الآية ما يدل على أن الرياسة في الدين يجب
أن تطلب ويرغب فيها وقيل نزلت هذه الآيات في العشرة المبشرين بالجنة فإن قلت من في قوله من أزواجنا
ما هي قلت يحتمل أن تكون بيانية كأنه قيل هب لنا قرة أعين ثم بينت القرة وفسرت بقوله من أزواجنا
وذرياتنا ومعناه أن يجعلهم الله لهم قرة أعين وهو من قولهم رأيت منك أسداً أي أنت أسد وأن تكون ابتدائية
على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح فإن قلت لم قال قرة أعين فنكر وقلل
أما التنكير فلأجل تنكير القرة لأن المضاف لا سبيل إلى تنكيره إلا بتنكير المضاف إليه كأنه قال هب لنا منهم
[...] وفرحاً وإنما قيل أعين دون عيون لأنه أراد أعين المتقين وهي قليلة بالإضافة إلى عيون غيرهم قال [...]
من عبادي الشكور ويجوز أن يقال في تنكير أعين إنها أعين خاصة وهي أعين المتقين أولئك يجزون الغرفة
وهي العلالي في الجنة فوحد اقتصاراً على الواحد الدال على الجنس والدليل على ذلك قوله وهم في الغرفات آمنون
وقراءة من قرأ في الغرفة بما صبروا بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى أذى الكفار ومجاهدتهم وعلى الفقر
وغير ذلك وإطلاقه لأجل الشياع في كل مصبور عليه وقرئ يلقون كوفي ولقاهم نضرة ويلقون لغيرهم [...]
أي التحية دعاء بالتعمير والسلام دعاء بالسلامة يعني أن الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم أو يحيي بعضهم بعضاً
ويسلم عليه أو يعطون التبقية والتخليد مع السلامة من كل آفة اللهم وفقنا لطاعتك واجعلنا مع أهل
رحمتك وارزقنا مما رزقتهم في دار رضوانك لما وصف عبادة العباد وعدد صالحاتهم وحسناتهم وأثنى
عليهم من أجلها ووعدهم الرفع من درجاتهم في الجنة أتبع ذلك بيان أنه إنما اكترث لأولئك وعبأ بهم وأعلى
ذكرهم ووعدهم ما وعدهم لأجل عبادتهم فأمر رسوله أن يصرح للناس ويجزم لهم القول بأن الاكتراث لهم عند ربهم
إنما هو للعبادة وحدها لا لمعنى آخر ولولا عبادتهم لم يكترث لهم البتة ولم يعتد بهم ولم يكونوا عنده شيئاً يبالى به والدعاء
العبادة وما متضمنة لمعنى الاستفهام وهي في محل النصب وهي عبارة عن المصدر كأنه قيل وأي عبء يعبأ بكم لولا دعاؤكم
يعني أنكم لا تستأهلون شيئاً من العبء بكم لولا عبادتكم وحقيقة قولهم ما عبأت به ما اعتددت به من فوادح همومي ومما يكون
لا تقول ما اكترثت له أي ما اعتددت به من كوارثي ومما يهمني وقال الزجاج في تأويل ما يعبأ بكم ربي أي وزن
لكم عنده ويجوز أن تكون ما نافية فقد كذبتم يقول إذا أعلمتكم أن حكمي أني لا أعتد بعبادي إلا لعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم
حكمي فسوف يلزمكم أثر تكذيبكم حتى يكبكم في النار ونظيره في الكلام أن يقول الملك لمن استعصى عليه إن من عادتي أن أحسن
إلى من يطيعني ويتبع أمري فقد عصيت فسوف ترى ما أحل بك بسبب عصيانك وقيل معناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه
إياكم إلى الإسلام وقيل ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة فإن قلت إلى من يتوجه هذا الخطاب قلت إلى الناس
على الإطلاق ومنهم مؤمنون عابدون ومكذبون عاصون فخوطبوا بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب وقرئ
فقد كذب الكافرون وقيل يكون العذاب لزاماً وعن مجاهد هو القتل يوم بدر وأنه لوزم بين القتلى لزاماً وقرئ لزاماً

بالفتح

بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت والوجه أن ترك اسم كان غير منطوق به بعدما علم أنه مما توعد به لأجل الإبهام
وتناول ما لا يكتنهه الوصف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفرقان لقي الله يوم القيامة وهو مؤمن
بأن الساعة آتية لا ريب فيها وأدخل الجنة بغير نصب

سورة الشعراء مكية إلا قوله والشعراء إلى آخر السورة وهي مائتان وسبع وعشرون آية وفي رواية ست وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم بتفخيم الألف وإمالتها وإظهار النون وإدغامها الكتاب المبين الظاهر إعجازه وصحة أنه من عند الله والمراد
به السورة أو القرآن والمعنى آيات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب المبين البخع أن يبلغ بالذبح
[...]اخع بالباء وهو عرق مستبطن الفقار وذلك أقصى حد الذابح ولعل للإشفاق يعني أشفق على نفسك أن
[...] على ما فاتك من إسلام قومك ألا يكونوا مؤمنين لئلا يؤمنوا أو لامتناع إيمانهم أو خيفة أن لا يؤمنوا وعن قتادة
[...]ل على الإضافة أراد به ملجئة إلى الإيمان فاسرع عليه كما نتق الجبل فوق بني إسرائيل فظلت معطوف
[على] الذي هو ننزل لأنه لو قيل أنزلنا لكان صحيحاً ونظيره فأصدق وأكن كأنه قيل أصدق وقد قرئ لو شئنا
[...] وقرئ فتظل أعناقهم فإن قلت كيف صح مجيء خاضعين خبراً عن الأعناق قلت أصل الكلام فظلوا لها
خاضعين فأقحمت الأعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على أصله كقولهم ذهبت أهل اليمامة كأن الأهل غير
مذكور أو لما وصفت بالخضوع الذي هو للعقلاء قيل خاضعين كقوله لي ساجدين وقيل أعناق الناس رؤساؤهم
ومقدموهم شبهوا بالأعناق كما قيل لهم الرؤوس والنواصي والصدور قال في محفل من نواصي الناس مشهود وقيل
جماعات الناس يقال جاء عنق من الناس لفوج منهم وقرئ فظلت أعناقهم لها خاضعة وعن ابن عباس نزلت هذه
الآية فينا وفي بني أمية قال ستكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا أعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة أي وما يجدد
لهم الله بوحيه موعظة وتذكيراً إلا جددوا إعراضاً عنه وكفراً به فإن قلت كيف خولف بين الألفاظ والغرض واحد
وهو الإعراض والتكذيب والاستهزاء قلت إنما خولف بينها لاختلاف الأغراض كأنه قيل حين أعرضوا عن الذكر
فقد كذبوا به وحين كذبوا به فقد خف عندهم قدره وصار عرضة للاستهزاء والسخرية لأن من كان قابلاً للحق مقبلاً عليه
كان مصدقاً به لا محالة ولم يظن به التكذيب ومن كان مصدقاً به كان موقراً له فسيأتيهم وعيد لهم وإنذار بأنهم
سيعلمون إذا مسهم عذاب الله يوم بدر أو يوم القيامة ما الشيء الذي كانوا يستهزئون به وهو القرآن وسيأتيهم أنباؤه
وأحواله التي كانت خافية عليهم وصف الزوج وهو الصنف من النبات بالكرم والكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد في بابه
يقال وجه كريم إذا رضي في حسنه وجماله وكتاب كريم مرضي في معانيه وفوائده وقال حتى يشق الصفوف من كرمه أي من
كونه مرضياً في شجاعته وبأسه والنبات الكريم المرضي فيما يتعلق به من المنافع إن في إنبات تلك الأصناف لآية على
أن منبتها قادر على إحياء الموتى وقد علم الله أن أكثرهم مطبوع على قلوبهم غير مرجو إيمانهم وإن ربك لهو العزيز في
انتقامه من الكفرة الرحيم لمن تاب وآمن وعمل صالحاً فإن قلت ما معنى الجمع بين كم وكل ولو قيل كم أنبتنا فيها من زوج
كريم قلت قد دل كل على الإحاطة بأزواج النبات على سبيل التفصيل وكم على أن هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة
فهذا معنى الجمع بينهما وبه نبه على كمال قدرته فإن قلت فما معنى وصف الزوج بالكريم قلت يحتمل معنيين
أحدهما أن النبات على نوعين نافع وضار فذكر كثرة ما أنبت في الأرض من جميع أصناف النبات النافع وخلى ذكر الضار والثاني
أن يعم جميع النبات نافعه وضاره ويصفهما جميعاً بالكرم وينبه على أنه ما أنبت شيئاً إلا وفيه فائدة لأن الحكيم لا يفعل

فعلا الغرض صحيح والحكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون ولم يتوصل الى معرفتها العاقلون فان قلت فحين ذكر الازواج ودل عليها بكلمتي الكثرة والاحاطة وكانت بحيث لا يحصيها الا عالم الغيب كيف قال ان في ذلك لآية وهلا قال آيات قلت فيه وجهان ان يكون مشارا به الى مصدر انبتنا فكانه قال ان في الانبات لآية اي آية وان يراد ان في كل واحد من تلك الازواج لآية وقد سبقت لهذا الوجه نظائر سجل عليهم بالظلم بان قدم القوم الظالمين ثم عطفهم عليهم عطف البيان كان معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون وكانهما عبارتان تعتقبان على مؤدى واحد ان شاء ذاكرهم عبر عنهم بالقوم الظالمين وان شاء عبر بقوم فرعون وقد استحقوا هذا الاسم من جهتين من جهة ظلمهم انفسهم بالكفر وشرارتهم ومن جهة ظلمهم لبني اسرائيل باستعبادهم لهم قرئ الا يتقون بكسر النون بمعنى الا يتقونني فحذفت النون لاجتماع النونين والياء للاكتفاء بالكسرة فان قلت بم تعلق قوله الا يتقون قلت هو كلام مستانف اتبعه عز وجل ارساله اليهم للانذار والتسجيل عليهم بالظلم تعجيبا لموسى عليه السلم من حالهم التي شنعت في الظلم والعسف ومن امنهم العواقب وقلة خوفهم وحذرهم من ايام الله ويحتمل ان يكون لا يتقون حالا من الضمير في الظالمين اي يظلمون غير متقين الله وعقابه فادخلت همزة الانكار على الحال واما من قرا الا تتقون على الخطاب فعلى طريقة الالتفات اليهم وضرب وجوههم بالانكار والغضب عليهم كما ترى من يشكو من ركب جناية الى بعض اخصائه والجاني حاضر فاذا اندفع في الشكاية وحر مزاجه وحمي غضبه قطع مباثة صاحبه واقبل على الجاني يوبخه ويعنف به ويقول له الم تتق الله الم تستحي من الناس فان قلت فما فائدة هذا الالتفات والخطاب مع موسى عليه السلم في وقت المناجاة والملتفت اليهم غيب لا يشعرون قلت اجراء ذلك في تكليم المرسل اليهم في معنى اجرائه بحضرتهم والقائه الى مسامعهم لانه مبلغه ومنهيه وناشره بين الناس وله فيه لطف وحث على زيادة التقوى وكم من آية انزلت في شان الكافرين وفيها اوفر نصيب للمؤمنين تدبرا لها واعتبارا بموردها وفي الا يتقون بالياء وكسر النون وجه آخر وهو ان يكون المعنى الا يا ناس اتقون كقوله الا يسجدوا ويضيق وينطلق بالرفع لانهما معطوفان على خبر ان وبالنصب لعطفهما على صلة ان والفرق بينهما في المعنى ان الرفع يفيد ان فيه ثلث علل خوف التكذيب وضيق الصدر وامتناع انطلاق اللسان والنصب على ان خوفه متعلق بهذه الثلثة فان قلت في النصب تعليق الخوف بالامور الثلثة وفي جملتها نفي انطلاق اللسان وحقيقة الخوف انما هو غم يلحق الانسان لامر سيقع وذلك كان واقعا فكيف جاز تعليق الخوف به قلت قد علق الخوف بتكذيبهم وبما يحصل له بسببه من ضيق الصدر والحبسة في اللسان زائدة على ما كان به على ان تلك الحبسة التي كانت به قد زالت بدعوته وقيل بقيت منها بقية يسيرة فان قلت اعتذارك هذا يرده الرفع لان المعنى اني خائف ضيق الصدر غير منطلق اللسان قلت يجوز ان يكون هذا قبل الدعوة واستجابتها ويجوز ان يريد القدر اليسير الذي بقي به ويجوز ان لا يكون مع حل العقدة من لسانه من الفصحاء المصاقع الذين اوتوا سلاطة الالسنة وبسطة المقال وهرون كان بتلك الصفة فاراد ان يقرن به ويدل عليه قوله عز وجل واخي هرون هو افصح مني لسانا ومعنى فارسل الى هرون ارسل اليه جبرئيل واجعله نبيا وآزرني به واشدد به عضدي وهذا كلام مختصر وقد بسطه في غير هذا الموضع وقد احسن في الاختصار حيث قال فارسل الى هرون فجاء بما يتضمن معنى الاستنباء ومثله في تقصير الطويلة والحسن قوله تعالى فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم تدميرا حيث اقتصر على ذكر طرفي القصة اولها واخرها وهما الانذار والتدمير ودل بذكرهما على ما هو الغرض من القصة الطويلة كلها وهو انهم قوم كذبوا بآيات الله فاراد الزام الحجة عليهم فبعث اليهم رسولين فكذبوهما فاهلكهم فان قلت كيف ساغ لموسى عليه السلم ان يامره الله بامر فلا يتقبله بسمع وطاعة من غير توقف وتشبث بعلل وقد علم ان الله من ورائه قلت قد امتثل وتقبل ولكنه التمس من ربه ان يعضده

باجنه

اخيه حتى يعاونه على تنفيذ امره وتبليغ رسالته فمهد قبل التماسه عذره فيما التمسه ثم التمس بعد ذلك وتمهيد العذر في التماس المعين على تنفيذ الامر ليس بتوقف في امتثال الامر ولا بتعلل فيه وكفى بطلب العون دليلا على التقبل لا على التعلل اراد بالذنب قتله القبطي وقيل كان خباز فرعون واسمه فاتون يعني ولهم علي تبعة ذنب وهي قود ذلك القتل فاخاف ان يقتلوني به فحذف المضاف او سمى تبعة الذنب ذنبا كما سمى جزاء السيئة سيئة فان قلت قد ابيت ان تكون تلك الثلاث عللا وجعلتها تمهيدا للعذر فيما التمسه فما قولك في هذه الرابعة قلت هذه استدفاع للبلية المتوقعة وفرق من ان يقتل قبل اداء الرسالة فكيف يكون تعللا والدليل عليه ما جاء بعده من كلمة الردع والموعد بالكلاءة والدفع جمع الله له الاستجابتين معا في قوله كلا فاذهبا لانه استدفعه بلاءهم فوعده الدفع بردعه عن الخوف والتمس منه الموازرة باخيه فاجابه بقوله اذهبا اي اذهب انت والذي طلبته وهو هرون فان قلت علام عطف قوله فاذهبا قلت على الفعل الذي يدل عليه كلا كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت وهرون وقوله معكم مستمعون من مجاز الكلام يريد انا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه اذا حضر واستمع ما يجري بينكما وبينه فاظهركما وغلبكما وكسر شوكته عنكما ويجوز ان يكونا خبرين لان او يكون مستمعون مستقرا ومعكم لغوا فان قلت لم جعلت مستمعون قرينة معكم في كونه من باب المجاز والله تعالى يوصف على الحقيقة بانه سميع وسامع قلت ولكن لا يوصف بالمستمع على الحقيقة لان الاستماع جار مجرى الاصغاء والاستماع من السمع بمنزلة النظر من الرؤية ومنه قوله تعالى قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا ويقال استمع الى حديثه وسمع حديثه اي اصغى اليه وادركه بحاسة السمع ومنه قوله عليه السلم من استمع الى حديث قوم وهم له كارهون صب في اذنيه البرم فان قلت هلا ثني الرسول كما ثني في قوله انا رسولا ربك قلت الرسول يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فجعله ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعله هنا بمعنى الرسالة فجاز التسوية فيه اذا وصف به بين الواحد والتثنية والجمع كما يفعل بالمصادر نحو صوم وزور قال الا ابلغ بني وخير الرسول اعلمهم بنواحي الخبر فجعله للجماعة والذي في الرسول بمعنى الرسالة قوله لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول ويجوز ان يوحد لان حكمهما لتساندهما واتفاقهما على شريعة واحدة واتحادهما لذلك وللاخوة كان حكما واحدا فكانهما رسول واحد او اريد ان كل واحد منا ان ارسل اي ارسل لتضمن الرسول معنى الارسال وتقول ارسلت اليك ان افعل لما في الارسال من معنى القول كما في المناداة والكتابة ونحو ذلك ومعنى هذا الارسال التخلية والاطلاق كقولك ارسل البازي يريد خلهم يذهبوا معنا الى فلسطين وكانت مسكنهما وروي انهما انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان هاهنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فاديا اليه الرسالة فعرف موسى فقال له الم نربك وحذف فاتيا فرعون فقالا له ذلك لانه معلوم لا يشتبه وهذا النوع من الاختصار كثير في التنزيل الوليد الصبي لقرب عهده من الولادة وفي رواية عن ابي عمرو من عمرك بسكون الميم سنين قيل مكث ثلثين سنة وقيل وكز القبطي وهو ابن اثني عشرة سنة وفر منهم على اثرها والله اعلم بصحيح ذلك وعن الشعبي فعلتك بالكسر وهي قتلة القبطي لانه قتله بالوكزة وهو ضرب من القتل واما الفعلة فلانها كانت وكزة واحدة عدد عليه نعمته من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال ووبخه بما جرى على يده من قتل خبازه وعظم ذلك وفظعه بقوله وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين يجوز ان يكون حالا اي قتلته وانت لذاك من الكافرين بنعمتي او وانت اذ ذاك ممن تكفرهم الساعة وقد افترى عليه او جهل امره لانه كان يعايشهم بالتقية فان الله تعالى عز وعلا عاصم من يريد ان يستنبئه من كل كبيرة ومن بعض الصغائر

فما بال الكفر ويجوز ان يكون قوله وانت من الكافرين حكما عليه بانه من الكافرين بالنعم ومن كانت عادته كفران
النعم لم يكن قتل خواص المنعم عليه بدعا منه او بانه من الكافرين بفرعون والهيته او من الذين كانوا يكفرون في
دينهم فقد كانت لهم آلهة يعبدونهم يشهد لذلك قوله تعالى ويذرك والهتك وقرى والاهتك فاجابه موسى صلوات الله
عليه بان تلك الفعلة انما فرطت منه وهو من الضالين اى الجاهلين وقراءة ابن مسعود رضي الله عنه من الجاهلين مفسرة
والمعنى من الفاعلين فعل اولى الجهل والسفه كما قال يوسف لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم
جاهلون او المخطئين كمن يقتل خطأ من غير تعمد للقتل او الذاهبين عن الصواب او الناسين من قوله ان تضل
احديهما فتذكر احديهما الاخرى وكذب فرعون ودفع الوصف بالكفر عن نفسه وبرأ ساحته بان وضع الضالين موضع
الكافرين ربا بمحل من رشح للنبوة عن تلك الصفة ثم كرّ على امتنانه عليه بالتربية فابطله من اصله واستأصله من
سنخه وابى ان تسمى نعمته الا نقمة حيث بين ان حقيقة انعامه عليه تعبيد بني اسرائيل لان تعبيدهم وقصدهم
ابناءهم هو السبب في حصوله عنده وتربيته فكانه امتن عليه بتعبيد قومه اذا حققت وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم
عبيدا يقال عبدت الرجل واعبدته اذا اتخذته عبدا قال علام يعبدني قومي وقد كثرت فيهم اباعر ما...
فان قلت اذن جواب وجزاء معا والكلام وقع جوابا لفرعون فكيف وقع جزاء قلت قول فرعون وفعلت
فيه معنى انك جازيت نعمتي بما فعلت فقال له موسى نعم فعلتها مجازيا لك تسليما لقوله لان نعمته كانت جديرة
بان تجازى بنحو ذلك الجزاء فان قلت لم جمع الضمير في منكم وخفتكم مع افراده في تمنها وعبدت قلت الخوف
والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملئه المؤتمرين بقتله بدليل قوله ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك واما الامتنان
فمنه وحده وكذلك التعبيد فان قلت تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة لا يدرى ما هي الا بتفسيرها ومحل ان والمعنى م
عبدت الرفع عطف بيان لتلك ونظيره قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع تعبيدك بني اسرائيل نعمة
تمنها علي وقال الزجاج ويجوز ان يكون في موضع نصب المعنى انما صارت نعمة علي لان عبدت بني اسرائيل اى لو لم
تفعل ذلك لكفلني اهلي ولم يلقوني في اليم لما قال له بوابه ان ههنا من يزعم انه رسول رب العالمين قال له عند
دخوله وما رب العالمين يريد اى شيء رب العالمين وهذا السؤال لا يخلو اما ان يريد به اى شيء هو من الاشياء التي شوهدت
وعرفت اجناسها فاجاب بما يستدل به عليه من افعاله الخاصة ليعرفه انه ليس بشيء مما شوهد وعرف من الاجرام
والاعراض وانه شيء مخالف لجميع الاشياء ليس كمثله شيء واما ان يريد به اى شيء هو على الاطلاق تفتيشا عن حقيقته
الخاصة ما هي فاجابه بان الذى اليه سبيل وهو الكافي في معرفته معرفة ثباته بصفاته استدلالا بافعاله الخاصة
على ذلك واما التفتيش عن حقيقته الخاصة التي هي فوق فطر العقول فتفتيش عما لا سبيل اليه والسائل عنه متعنت غير
طالب للحق والذي يليق بحال فرعون ويدل عليه الكلام ان يكون سؤاله هذا انكارا لان يكون للعالمين رب سواه لادعائه
الالهية فلما اجاب موسى بما اجاب عجب قومه من جوابه حيث نسب الربوبية الى غيره فلما ثنى بتقرير قوله جننه الى
قومه وطنز به حيث سماه رسولهم فلما ثلث بتقرير مقالته احتد واحتدم وقال لئن اتخذت الها غيري وهذا يدل
على صحة هذا الوجه الاخير فان قلت كيف قيل وما بينهما على التثنية والمرجوع اليه مجموع قلت اريد وما بين الجنسين
فعل بالمظهر ما فعل بالمضمر من قال في الهيجا جمالين فان قلت ما معنى قوله ان كنتم موقنين وان عن فرعون وملئه الايقان
قلت معناه ان كان يرجى منكم الايقان الذى يؤدى اليه النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب والا لم ينفع او ان كنتم موقنين بشيء قط
فهذا اولى ما توقنون به لظهوره وانارة دليله فان قلت ومن كان حوله قلت اشراف قومه قيل كانوا خمسمائة رجل

عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة فان قلت ذكر السموات والارض وما بينهما قد استوعب به الخلائق كلها
فما معنى ذكرهم وذكر آبائهم بعد ذلك وذكر المشرق والمغرب قلت قد عمم اولا ثم خصص من العام للبيان انفسهم
وآباءهم لان اقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد منه وما شاهد وعاين من الدلائل على الصانع والناقل من هيئة
الى هيئة وحال الى حال من وقت ميلاده الى وقت وفاته ثم خصص المشرق والمغرب لان طلوع الشمس من احد الخافقين
وغروبها في الآخر على تقدير مستقيم في فصول السنة وحساب مستو من اظهر ما استدل به ولظهوره انتقل الى الاحتجاج به
خليل الله عن الاحتجاج بالاحياء والاماتة على نمروذ بن كنعان فبهت الذي كفر وقرى رب المشارق والمغارب الذي ارسل
اليكم بفتح الهمزة فان قلت كيف قال اولا ان كنتم موقنين وآخرا ان كنتم تعقلون قلت لاين اولا فلما رأى منهم
الشكيمة في العناد وقلة الاصغاء الى عرض الحجج خاشن وعارض ان رسولكم لمجنون بقوله ان كنتم تعقلون فان قلت
لاجعلنك اخصر من لاسجننك ومؤد مؤداه قلت اما اخصر فنعم واما مؤد مؤداه فلا لان معناه لاجعلنك
... عرفت حالهم في سجوني وكان من عادته ان ياخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الارض بعيدة
العمق ... لا يبصر فيها ولا يسمع فكان ذلك اشد من القتل واشد الواو في قوله او لو جئتك واو الحال دخلت عليها
همزة الاستفهام معناه انفعل ذلك ولو جئتك بشيء مبين اى جائيا بالمعجزة وفي قوله ان كنت من الصادقين ان لا يأتي
بالمعجزة الا الصادق في دعواه لان المعجزة تصديق من الله لمدعي النبوة والحكيم لا يصدق الكاذب ومن العجب ان مثل فرعون لم يخف
عليه هذا وخفي على ناس من اهل القبلة حيث جوزوا القبيح على الله حتى لزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات وتقدير ان كنت
من الصادقين في دعواك اتيت به فحذف الجزاء لان الامر بالاتيان به يدل عليه ثعبان مبين ظاهر الثعبانية لا شيء يشبه
الثعبان كما تكون الاشياء المزورة بالشعوذة والسحر وروى انها انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى
فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون اسألك بالذي ارسلك الا اخذتها فاخذها فعادت عصا للناظرين
دليل على ان بياضها كان شيئا يجتمع النظارة على النظر اليه لخروجه عن العادة وكان بياضا نوريا روى ان فرعون لما ابصر الآية
الاولى قال فهل غيرها فاخرج يده فقال له ما هذه قال يدك فما فيها فادخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار
ويسد الافق فان قلت ما العامل في حوله قلت هو منصوب نصبين نصب في اللفظ ونصب في المحل فالعامل في النصب يريد بالظرف العامل
اللفظي ما يقدر في الظرف والعامل في النصب المحلي وهو النصب على الحال قال ولقد تحير فرعون لما ابصر الآيتين وبقي لا يدرى في الظرف
اى طرفيه اطول حتى زل عنه ذكر دعوى الالهية وحط عن منكبيه كبرياء الربوبية وارتعدت فرائصه وانتفخ سحره خوفا وفرقا
وبلغت به الاستكانة لقومه الذين هم بزعمه عبيده وهو الههم ان طفق يؤامرهم ويعترف لهم بما حذره منه وتوقعه واحس به لا يحصل الاشراف
من جهة موسى وغلبته على ملكه وارضه وقوله ان هذا لساحر عليم قول باهت اذا غلب ومتمحل اذا الزم تأمرون من والعزيز
المؤامرة وهي المشاورة او من الامر الذي هو ضد النهي جعل العبيد آمرين وربهم مأمورا لما استولى عليه من فرط الدهش والحيرة
وماذا منصوب اما لكونه في معنى المصدر واما لانه مفعول به من قوله امرتك الخير قرى ارجئه وارجه بالهمز والتخفيف وهما لغتان
يقال ارجأته وارجيته اذا اخرته ومنه المرجئة وهم الذين لا يقطعون بوعيد الفساق ويقولون هم مرجون لامر الله والمعنى اخره ومناظرته الحاقه او واو
لوقت اجتماع السحرة وقيل احبسه حاشرين شرطا يحشرون السحرة وعارضوا قوله ان هذا لساحر بقولهم بكل سحار فجاءوا بكلمة
الاحاطة وصفة المبالغة ليطامنوا من نفسه ويسكنوا بعض قلقه ومن الاعمش بكل ساحر اليوم المعلوم يوم الزينة وميقاته وقت
الضحى لانه الوقت الذى وقته لهم موسى صلوات الله عليه من يوم الزينة في قوله موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى والميقات
ما وقت به اى حدد من زمان او مكان ومنه مواقيت الاحرام هل انتم مجتمعون استبطاء لهم في الاجتماع والمراد منه استعجالهم

واستغنائهم كما يقول الرجل لغلامه هل انت منطلق اذا اراد ان يحرك منه ويحثه على الانطلاق كانما يخيل له ان الناس قد انطلقوا وهو واقف ومنه قول تأبط شرا هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب اخا عون بن مخراق يريد ابعثه الينا سريعا ولا تبطئ به لعلنا نتبع السحرة اي في دينهم ان غلبوا موسى ولا نتبع موسى في دينه وليس غرضهم باتباع السحرة وانما الغرض الكلي ان لا يتبعوا موسى فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان ولما كان قولهم ان لنا لاجرا في معنى جزاء الشرط لدلالته عليه وكان قوله وانكم اذا لمن المقربين معطوفا عليه ومدخلا في حكمه دخلت اذن قارة في مكانها الذي تقتضيه من الجواب والجزاء وعدهم ان يجمع لهم الى الثواب على سحرهم الذي قدروا انهم يغلبون به موسى القربة عنده والزلفى اقسموا بعزة فرعون وهي من ايمان الجاهلية وهكذا كل حلف بغير الله ولا يصح في الاسلام الا الحلف معلقا ببعض اسمائه او صفاته كقولك بالله والرحمن وربي ورب العرش وعزة الله وقدرة الله وجلال الله وعظمته صلى الله عليه لا تحلفوا بآبائكم ولا بامهاتكم ولا بالطواغيت ولا تحلفوا الا بالله ولا تحلفوا بالله الا وانتم صادقون ولقد استحدث الناس في اسلامهم جاهلية نسيت لها الجاهلية الاولى وذلك ان الواحد منهم لو اقسم باسماء الله كلها وصفاته على شيء لم يقبل بها حتى يقسم براس سلطانه فاذا اقسم به فتلك عندهم جهد اليمين التي ليس وراءها حلف لحالف ما يأفكون ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم وكيدهم ويزورونه فيخيلون في حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى بالتمويه على الناظرين او افكهم الاشياء افكا مبالغة روي انهم قالوا ان يك ما جاء به موسى سحرا فلن يغلب وان يك من عند الله فلن يخفى علينا فلما قذف ما اتوا به علموا انه من الله فآمنوا وعن عكرمة اصبحوا سحرة وامسوا شهداء وانما عبر عن الخرور بلفظ الالقاء لانه ذكر مع الالقاءات فسلك به طريق المشاكلة وفيه ايضا مع مراعاة المشاكلة انهم حين رأوا ما رأوا لم يتمالكوا ان رموا بانفسهم الى الارض ساجدين كانهم اخذوا فطرحوا طرحا فان قلت فاعل الالقاء ما هو لو صرح به قلت هو الله عز وجل بما خولهم من التوفيق او ايمانهم او ما عاينوا من المعجزة الباهرة ولك ان لا تقدر فاعلا لان القوا بمعنى خروا وسقطوا رب موسى وهرون عطف بيان لرب العالمين لان فرعون لعنه الله كان يدعي الربوبية فارادوا ان يعزلوه ومعنى اضافته اليهما في ذلك المقام انه الذي يدعو اليه هذان والذي اجرى على ايديهما ما اجرى فلسوف تعلمون اي وبال ما فعلتم الضير والضر والضور واحد اراد لا ضر علينا في ذلك بل لنا فيه اعظم النفع لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله من تكفير الخطايا والثواب العظيم مع الاعواض الكثيرة او لا ضير علينا فيما تتوعدنا به من القتل انه لا بد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من اسباب الموت والقتل اهون اسبابه وارجاها او لا ضير علينا في قتلك انك ان قتلتنا انقلبنا الى ربنا انقلاب من يطمع في مغفرته ويرجو رحمته لما رزقنا من السبق الى الايمان وخبر لا محذوف والمعنى لا ضير في ذلك او علينا ان كنا معناه لان كنا وكانوا اول جماعة مؤمنين من اهل زمانهم او من رعية فرعون او من اهل المشهد وقرئ ان كنا بالكسر وهو من الشرط الذي يجيء به المدل بامره المتحقق لصحته وهم كانوا متحققين انهم اول المؤمنين ونظيره قول العامل لمن يؤخر جعله ان كنت عملت لك فوفني حقي ومنه قوله عز وجل ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي مع علمه انهم لم يخرجوا الا لذلك قرئ اسر بقطع الهمزة ووصلها وسر انكم متبعون علل الامر بالاسراء باتباع فرعون وجنوده اثارهم والمعنى اني بنيت تدبير امركم وامرهم على ان تتقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم ويسلكوا مسلككم من طريق البحر فاطبقه عليهم فاهلكهم وروي انه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه وروي ان الله اوحى الى موسى ان اجمع بني اسرائيل كل اربعة ابيات في بيت ثم اذبحوا الجداء واضربوا بدمائها على ابوابكم فاني سآمر الملائكة ان لا يدخلوا بيتا على بابه دم وسآمرهم بقتل ابكار القبط واخبزوا خبزا فطيرا فانه اسرع لكم ثم اسر بعبادي حتى تنتهي الى البحر فياتيك امري فارسل فرعون في اثره الف الف وخمسمائة الف ملك مسور مع كل ملك الف وخرج فرعون في جمع عظيم وكانت مقدمته سبع مائة الف كل رجل

على حصان وعلى راسه بيضة وعن ابن عباس خرج فرعون في الف الف حصان سوى الاناث ولذلك استقل قوم موسى وكانوا ستمائة الف وسبعين الفا وسماهم شرذمة قليلين ان هؤلاء محكي بعد قول مضمر والشرذمة الطائفة القليلة ومنها قولهم ثوب شراذم للذي بلي وتقطع قطعا ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلا واختار جمع السلامة الذي هو للقلة وقد يجمع القليل على اقلة وقلل ويجوز ان يريد بالقلة الذلة والقماءة ولا يريد قلة العدد والمعنى انهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون افعالا تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى اهل المدائن لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه وقرئ حذرون وحاذرون وحادرون بالدال غير المعجمة فالحذر اليقظ والحاذر الذي يجدد حذره وقيل المؤدي في السلاح وانما يفعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه والحادر السمين القوي قال احب الصبي السوء من اجل امه وابغضه من بغضها وهو حادر اراد انهم اقوياء اشداء وقيل مدججون في السلاح قد كسبهم ذلك حدارة في اجسامهم وعن مجاهد لانهم لم ينفقوا منها في طاعة الله والمقام المكان يريد المنازل الحسنة والمجالس البهية وعن الضحاك المنابر وقيل السرر كذلك يحتمل ثلاثة اوجه النصب على اخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذي وصفناه والجر على انه وصف لمقام اي مقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم والرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي الامر كذلك فاتبعوهم فلحقوهم وقرئ فاتبعوهم مشرقين داخلين في وقت الشروق من شرقت الشمس شروقا اذا طلعت سيهدين طريق النجاة من ادراكهم واضرارهم وقرئ فلما تراءت الفئتان انا لمدركون بتشديد الدال وكسر الراء من ادرك الشيء اذا تتابع ففني ومنه قوله تعالى بل ادارك علمهم في الاخرة قال الحسن جهلوا علم الاخرة وفي معناه بيت الحماسة ابعد بني ام الذي متتابعا ارجي الحيوة ام من الموت اجزع والمعنى انا لمتتابعون في الهلاك على ايديهم حتى لا يبقى منا احد الفرق الجزء المتفرق منه وقرئ كل فلق والمعنى واحد والطود الجبل العظيم المنطاد في السماء وازلفنا ثم حيث انفلق البحر الاخرين قوم فرعون اي قربناهم من بني اسرائيل او ادنينا بعضهم من بعض وجمعناهم حتى لا ينجو منهم احد او قدمناهم الى البحر وقرئ وازلقنا بالقاف اي ازللنا اقدامهم والمعنى اذهبنا عزهم كقوله تداركتما عبسا وقد ثل عرشها وذبيان اذ زلت باقدامها النعل ويحتمل ان يجعل الله طريقهم في البحر على خلاف ما جعله لبني اسرائيل يبسا فيزلقهم فيه عن عطاء بن السائب ان جبريل كان بين بني اسرائيل وبين آل فرعون فيقول لبني اسرائيل ليلحق آخركم اولكم ويستقبل القبط فيقول رويدكم ليلحق آخركم فلما انتهى موسى الى البحر قال له مؤمن آل فرعون وكان بين يدي موسى اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون قال امرت بالبحر ولا يدري موسى ما يصنع فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فصار فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق وروي ان يوشع قال يا كليم الله اين امرت فقد غشينا فرعون والبحر امامنا قال موسى هاهنا فخاض يوشع الماء وضرب موسى بعصاه البحر فدخلوا وروي ان موسى قال عند ذلك يا من كان قبل كل شيء والمكون لكل شيء والكائن بعد كل شيء ويقال هذا البحر هو بحر القلزم وقيل هو بحر من وراء مصر يقال له اساف ان في ذلك لاية اي آية واية لا توصف وقد عاينها الناس وشاع امرها وما تنبه عليها اكثرهم ولا آمن بالله وبنو اسرائيل الذين كانوا اصحاب موسى المخصوصين بالانجاء قد سألوه بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وطلبوا رؤية الله جهرة وان ربك لهو العزيز المنتقم من اعدائه الرحيم باوليائه كان ابراهيم صلوات الله عليه يعلم انهم عبدة اصنام ولكنه سألهم ليريهم ان ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة في شيء كما تقول للتاجر ما مالك وانت تعلم ان ماله الرقيق ثم تقول له الرقيق جمال وليس بمال فان قلت ما تعبدون سؤال عن المعبود فحسب فكان القياس ان يقولوا اصناما كقوله ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو ماذا قال ربكم قالوا الحق ماذا انزل ربكم قالوا خيرا قلت هؤلاء قد جاؤوا بقصة امرهم كاملة كالمبتهجين بها والمفتخرين فاشتملت على جواب ابراهيم وعلى ما قصدوه من اظهار ما في نفوسهم من الابتهاج

ولا افتقار الا تراهم كيف عطفوا على قولهم نعبد فنظل لها عاكفين ولم يقتصروا على زيادة نعبد وحده ومثاله ان تقول لبعض الشطار
ما تلبس في بلادك فيقول البس البرد الاتحمي فاجر ذيله بين جواري الحي وانما قالوا نظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل
لابد في يسمعونكم من تقدير حذف المضاف معناه هل يسمعون دعاءكم وقرا قتادة يُسمِعونكم اى هل يسمعونكم الجواب عن دعائكم وهل
يقدرون على ذلك وجاء مضارعا مع ايقاعه بعد اذ على حكاية الحال الماضية ومعناه استحضروا الاحوال الماضية التي كنتم تدعونها
وقولوا هل سمعوا او اسمعوا قط وهذا ابلغ في التبكيت لما اجابوا بجواب المقلدين لآبائهم قال رقوا امر تقليدكم هذا الى اقصى
غاياته وهي عبادة الاقدمين الاولين من آبائكم فان التقدم والاولية لا يكون برهانا على الصحة والباطل لا ينقلب حقا بالقدم
عبادة من عبد هذه الاصنام الا عبادة اعدائه ومعنى العداوة قوله تعالى كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا
على عبادتها اعدى اعداء الانسان وهو الشيطان وانما قال عدو لي تصويرا للمسألة في نفسه على معنى اني فكرت في امري
لها عبادة للعدو فاجتنبتها وآثرت عبادة من الخير كله منه واراهم بذلك انها نصيحة نصح بها نفسه اولا وبنى عليه
فيقولوا ما نصحنا ابرهيم الا بما نصح به نفسه وما اراد لنا الا ما اراد لروحه ليكون ادعى لهم الى القبول وابعث على الاستماع
عدو لكم لم يكن بتلك المثابة ولانه دخل في باب من التعريض وقد يبلغ التعريض للمنصوح ما لا يبلغه التصريح لانه يتأمل فيه
الى التقبل ومنه ما يحكى عن الشافعي رحمة الله عليه ان رجلا واجهه بشيء فقال لو كنت بحيث انت لاحتجت الى ادب
رجل ناسا يتحدثون في الحجر فقال ما هو بيتي ولا بيتكم والعدو والصديق يجيئان في معنى الوحدة والجماعة قال وقوم علي ذوي
مئرة اراهم عدوا وكانوا صديقا ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو تشبيها بالمصادر للموازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل الا رب
العالمين استثناء منقطع كانه قال لكن رب العالمين فهو يهدين يريد انه حين اتم خلقه ونفخ فيه الروح عقب ذلك هدايته المتصلة
التي لا تنقطع الى كل ما يصلحه ويعنيه والا فمن هداه الى ان يغتذي بالدم في البطن امتصاصا ومن هداه الى معرفة الثدي عند
الولادة والى معرفة مكانه ومن هداه الى كيفية الارتضاع الى غير ذلك من هدايات المعاش والمعاد وانما قال مرضت دون امرضني
لان كثيرا من الامراض يحدث بتفريط من الانسان في مطاعمه ومشاربه وغير ذلك ومن ثم قالت الحكماء لو قيل لاكثر الموتى
ما سبب آجالكم لقالوا التخم وقرئ خطاياي والمراد ما يندر منه من بعض الصغائر لان الانبياء معصومون مختارون على العالمين وقيل
قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هي اختي وما هي الا معاريض كلام وتخيلات للكفرة وليست بخطايا يطلب لها الاستغفار
فان قلت اذا لم يندر منهم الا الصغائر وهي تقع مكفرة فما له اثبت لنفسه خطيئة او خطايا وطمع ان تغفر له قلت الجواب
ما سبق لي ان استغفار الانبياء تواضع منهم لربهم وهضم لانفسهم ويدل عليه قوله اطمع ولم يجزم القول بالمغفرة وفيه تعليم لاممهم
وليكون لطفا لهم في اجتناب المعاصي والحذر منها وطلب المغفرة مما يفرط منهم فان قلت لم علق مغفرة الخطيئة بيوم الدين
وانما تغفر في الدنيا قلت لان اثرها يتبين يومئذ وهو الآن خفي لا يعلم حكما حكمة او حكما بين الناس بالحق وقيل
النبوة لان النبي ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله والحقني بالصالحين ان يوفقه لعمل ينتظم به في جملتهم او يجمع بينه وبينهم
في الجنة ولقد اجابه حيث قال وانه في الآخرة لمن الصالحين ولا تخزني من الخزي وهو الهوان ومن الخزاية وهي الحياء وهذا ايضا
من نحو استغفارهم مما علموا انه مغفور وفي يبعثون ضمير العباد لانه معلوم او ضمير الضالين وان يجعل من جملة الاستغفار لابيه
يعني ولا تخزني يوم يبعث الضالون وابي فيهم الا من اتى الله بقلب سليم وهو من قولهم تحية بينهم ضرب وجيع وما
ثوابه الا السيف وبيانه ان يقال لك هل لزيد مال وبنون فتقول ماله وبنوه سلامة قلبه تريد نفي المال والبنين عنه واثبات سلامة القلب
له بدلا عن ذلك وان شئت حملت الكلام على المعنى وجعلت المال والبنين في معنى الغنى كانه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من اتى الله
بقلب لان غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه كما ان غناه في دنياه بماله وبنيه ولك ان تجعل الا استثناء منقطعا ولا بد لك مع ذلك من تقدير

المضاف

المضاف وهو الحال والمراد بها سلامة القلب وليست هي من جنس المال والبنين حتى يؤول المعنى الى ان المال والبنين لا ينفعان
وانما ينفع سلامة القلب ولو لم يقدر المضاف لم يتحصل للاستثناء معنى وقد جعل من مفعولا لينفع اى لا ينفع مال ولا بنون الا رجلا
سلم قلبه مع ماله حيث انفقه في طاعة الله ومع بنيه حيث ارشدهم الى الدين وعلمهم الشرائع ويجوز على هذا الا من اتى
الله بقلب سليم من فتنة المال والبنين ومعنى سلامته من آفات الكفر والمعاصي ومما اكرم الله به خليله ونبه على جلالة محله
في الاخلاص ان حكى استثناءه هذا حكاية راض باصابته فيه ثم جعله صفة له في قوله وان من شيعته لابرهيم اذ جاء ربه
بقلب سليم ومن بدع التفاسير تفسير بعضهم السليم باللديغ من خشية الله وقول آخر هو الذي سلم وسلم واسلم وسالم واستسلم
وما احسن ما رتب ابرهيم عليه السلم كلامه مع المشركين حين سألهم اولا عما يعبدون سؤال مقرر لا مستفهم ثم انحى على
آلهتهم فابطل امرها بانها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع وعلى تقليدهم آباءهم الاقدمين فكسره واخرجه من ان يكون شبهة فضلا
ان يكون حجة ثم صور المسألة في نفسه دونهم حتى تخلص منها الى ذكر الله عز وعلا فعظم شانه وعدد نعمته من لدن خلقه وانشائه
الى حين وفاته مع ما يرجى في الآخرة من رحمته ثم اتبع ذلك ان دعا بدعوات المخلصين وابتهل اليه ابتهال الاوابين ثم وصله
بذكر يوم القيامة وثواب الله وعقابه وما يدفع اليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمني الكرة
الى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا الجنة تكون قريبة من موقف السعداء ينظرون اليها ويغتبطون بانهم المحشورون اليها والنار
تكون بارزة مكشوفة للاشقياء بمرأى منهم يتحسرون على انهم المسوقون اليها قال الله تعالى وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد وقال
فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا يجمع عليهم الغموم كلها والحسرات فتجعل النار بمرأى منهم فيهلكون في كل لحظة ويوبخون
على اشراكهم فيقال لهم اين آلهتكم هل ينفعونكم بنصرتهم لكم او هل ينفعون انفسهم بانتصارهم لانهم وآلهتهم وقود النار وهو قوله فكبكبوا
فيها هم اى الآلهة والغاوون وعبدتهم الذين برزت لهم الجحيم والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في
المعنى كانه اذا القي في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها اللهم اجرنا منها يا خير مستجار وجنود ابليس شياطينه
او متبعوه من عصاة الانس والجن ويجوز ان ينطق الله الاصنام حتى يصح التقاول والتخاصم ويجوز ان يجري ذلك بين العصاة
والشياطين والمراد بالمجرمين الذين اضلوهم رؤساؤهم وكبراؤهم كقوله ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا وعن السدي
الاولون الذين اقتدينا بهم وعن ابن جريج ابليس وابن آدم القاتل لانه اول من سن القتل وانواع المعاصي فما لنا من شافعين
كما نرى المؤمنين لهم شفعاء من الملئكة والنبيين ولا صديق كما نرى لهم اصدقاء لانه لا يتصادق في الآخرة الا المؤمنون
واما اهل النار فبينهم التعادي والتباغض قال الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او فما لنا من شافعين
ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء واصدقاء لانهم كانوا يعتقدون في اصنامهم انهم شفعاؤهم عند الله وكان لهم الاصدقاء
من شياطين الانس او ارادوا انهم وقعوا في مهلكة علموا ان الشفعاء والاصدقاء لا ينفعونهم ولا يدفعون عنهم فقصدوا بنفيهم نفي ما يتعلق
بهم من النفع لان ما لا ينفع حكمه حكم المعدوم والحميم من الاحتمام وهو الاهتمام وهو الذي يهمه ما يهمك او من الحامة بمعنى الخاصة
وهو الصديق الخاص فان قلت لم جمع الشافع ووحد الصديق قلت لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق الا ترى
ان الرجل اذا امتحن بارهاق ظالم نهضت جماعة وافرة من اهل بلده لشفاعته رحمة له وحسبة وان لم يسبق له باكثرهم
معرفة واما الصديق وهو الصادق في ودادك الذي يهمه ما اهمك فاعز من بيض الانوق وعن بعض الحكماء انه سئل عن الصديق
فقال اسم لا معنى له ويجوز ان يريد بالصديق الجمع الكرة الرجعة الى الدنيا ولو في مثل هذا الموضع في معنى التمني كانه قيل فليت لنا
كرة وذلك لما بين معنيي لو وليت من التلاقي في التقدير ويجوز ان يكون على اصلها ويحذف الجواب وهو لفعلنا كيت وكيت القوم مؤنثة
ومصغرها قويمة ونظيره قوله المرسلين والمراد نوح عليه السلم قولك فلان يركب الدواب ويلبس البرود وما له الا دابة وبرد

وقيل الحوكة لانه كان منهم من قول العرب يا لحائك تميم يريدون يا واحدا منهم ومنه بيت الحماسة لا يسألون اخاهم حين يندبهم
في النائبات على ما قال برهانا كان امينا فيهم مشهورا بالامانة كمحمد صلوات الله عليه وسلامه في قريش واطيعون
في نصحي لكم فيما ادعوكم اليه من الحق عليه على هذا الامر وعلى ما انا فيه يعني دعاءه ونصحه ومعنى فاتقوا الله واطيعون
فاتقوا الله في طاعتي وكرره ليؤكده عليهم ويقرره في نفوسهم مع تعليق كل واحد منهما بعلة جعل علة الاول كونه امينا فيما بينهم
وفي الثاني حسم طمعه عنهم وقرئ واتباعك جمع تابع كشاهد واشهاد او جمع تبع كبطل وابطال والواو للحال وحقها
ان يضمر بعدها قد في واتبعك وقد جمع الارذل على الصحة وعلى التكسير في قوله الذين هم اراذلنا والرذالة والنذالة الخسة
والدناءة وانما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من اهل الصناعات الدنية كالحياكة
والصناعة لا تزري بالديانة وهكذا كانت قريش تقول في اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما زال
كذلك حتى صارت من سماتهم وامارتهم الا ترى الى هرقل حين سأل ابا سفيان عن اتباع رسول الله فلما قال
اراذلهم قال ما زالت اتباع الانبياء كذلك وعن ابن عباس هم الغاغة وعن عكرمة هم الحاكة والاساكفة
السفلة وما علمي واي شيء علمي والمراد انتفاء علمه باخلاص اعمالهم لله واطلاعه على سر امرهم وباطنه وانما
وانما قال هذا لانهم قد طعنوا مع استرذالهم في ايمانهم وانهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة وانما امنوا هوى وبديهة كما حكى الله عنهم
الذين هم اراذلنا بادي الرأي ويجوز ان يتغابى لهم نوح عليه السلام فيفسر قولهم الارذلين بما هو الرذالة عنده من
سوء الاعمال وفساد العقائد ولا يلتفت الى ما هو الرذالة عندهم ثم يبني جوابه على ذلك فيقول ما علي الا اعتبار الظواهر دون التفتيش عن اسرارهم
والشق عن قلوبهم وان كان لهم عمل سيء فالله محاسبهم ومجازيهم عليه وما انا الا منذر لا محاسب ولا مجاز لو تشعرون ذلك
ولكنكم تجهلون فتنساقون مع الجهل حيث سيركم وقصد بذلك رد اعتقادهم وانكار ان يسمى المؤمن رذلا وان كان افقر الناس واوضعهم
نسبا فان الغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى وما انا بطارد المؤمنين يريد ليس من شاني ان اتبع شهواتكم واطيب
نفوسكم بطرد المؤمنين الذين صح ايمانهم طمعا في ايمانكم وما علي الا ان انذركم انذارا بينا بالبرهان الصحيح الذي يتميز به الحق من الباطل
ثم انتم اعلم بشانكم ليس هذا باخبار بالتكذيب لعلمه ان عالم الغيب والشهادة اعلم ولكنه اراد اني لا ادعوك عليهم لما غاظوني
وآذوني وانما ادعوك لاجلك ولاجل دينك ولانهم كذبوني في وحيك ورسالتك فاحكم بيني وبينهم والفتاحة الحكومة والفتاح الحاكم لانه
يفتح المستغلق كما سمي فيصلا لانه يفصل بين الخصومات الفلك السفينة وجمعه فلك قال الله تعالى وترى الفلك فيه مواخر فالواحد بوزن
قفل والجمع بوزن اسد كسروا فعلا على فعل كما كسروا فعلا على فعل لانهما اخوان في قولك العرب والعرب والرشد والرشد فقالوا
اسد واسد وفلك وفلك ونظيره بعير هجان وابل هجان ودرع دلاص ودروع دلاص فالواحد بوزن كناز والجمع بوزن كرام والمشحون المملوء
يقال شحنها عليهم خيلا ورجالا قرئ بكل ريع بالكسر والفتح وهو المكان المرتفع قال المسيب بن علس في الآل يرفعها ويخفضها ريع يلوح
كانه سحل ومنه قولهم كم ريع ارضك وهو ارتفاعها والآية العلم وكانوا ممن يهتدون بالنجوم في اسفارهم فاتخذوا في طرقهم اعلاما طوالا
فعبثوا بذلك لانهم كانوا مستغنين عنها بالنجوم وعن مجاهد بنوا بكل ريع بروج الحمام والمصانع مآخذ الماء وقيل القصور المشيدة
والحصون لعلكم تخلدون ترجون الخلود في الدنيا او تشبه حالكم حال من يخلد وفي حرف ابي كانكم وقرئ تخلدون بضم التاء مخففا ومشددا
واذا بطشتم بسوط او سيف كان ذلك ظلما وعلوا وقيل الجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب وعن الحسن يبادرون تعجيل العذاب
لا يتثبتون متفكرين في العواقب بالغ في تنبيههم على نعم الله حيث اجملها ثم فصلها مستشهدا بعلمهم وذلك انه ايقظهم عن سنة غفلتهم
عنها حين قال امدكم بما تعلمون ثم عددها عليهم وعرفهم المنعم بتعديد ما يعلمون من نعمه وانه كما قدر ان يتفضل عليكم بهذه فهو
قادر على الثواب والعقاب فاتقوه ونحوه قوله تعالى ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد فان قلت كيف قرن البنين بالانعام

قلت

قلت هم الذين يميزون بعلمهم على حفظها والقيام عليها فان قلت لو قيل او وعظت ام لم تعظ كان احضر والمعنى واحد
قلت ليس المعنى بواحد وبينهما فرق لان المراد سواء علينا افعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ ام لم تكن اصلا من اهله ومباشرته
فهو ابلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من قولك ام لم تعظ من قرأ خلق الاولين بالفتح فمعناه ان ما جئت به اختلاق الاولين وتخرصهم
كما قالوا اساطير الاولين او ما خلقنا هذا الا خلق القرون الخالية خلق نحيا كما حيوا ونموت كما ماتوا ومن قرأ خلق بضمتين وبواحدة فمعناه ما هذا الذي نحن عليه من الدين الا
خلق الاولين وعادتهم كانوا يدينونه ويعتقدونه ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذي نحن عليه من الحيوة
والموت الا عادة لم يزل الناس عليها في قديم الدهر او ما هذا الذي جئت به من الكذب الا عادة الاولين كانوا يلفقون ويسطرون مثله
اتتركون يجوز ان يكون انكارا لان يتركوا مخلدين في نعيمهم لا يزالون عنه وان يكون تذكيرا بالنعمة في تخلية الله اياهم وما يتنعمون
فيه من الجنات وغير ذلك مع الامن والدعة فيما ها هنا في الذي استقر في هذا المكان من النعيم ثم فسره بقوله في جنات وعيون
وهذا ايضا اجمال ثم تفصيل فان قلت لم قال ونخل بعد قوله في جنات والجنة تتناول النخل اول شيء كما يتناول النعم الابل
من بين الازواج حتى انهم ليذكرون الجنة ولا يقصدون الا النخيل كما يذكرون النعم ولا يريدون الا الابل قال زهير تسقي جنة سحقا قلت
فيه وجهان ان يخص النخل بافراده بعد دخوله في جملة سائر الشجر تنبيها على انفراده عنها بفضله عليها وان يريد بالجنات
غيرها من الشجر لان اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل الطلعة هي التي تطلع من النخلة كنصل السيف في جوفه
شماريخ القنو والقنو اسم للخارج من الجذع كما هو بعرجونه وشماريخه والهضيم اللطيف الضامر من قولهم كشح هضيم وطلع
اناث النخل فيه لطف وفي طلع الفحاحيل جفاء وكذلك طلع البرني الطف من طلع اللون فذكرهم نعمة الله في ان وهب
لهم اجود النخل وانفعه لان الاناث ولادة التمر والبرني اجود التمر واطيبه ويجوز ان يريد ان نخيلهم اصابت جودة
المنابت وسعة الماء وسلمت من العاهات فحملت الحمل الكثير واذا كثر الحمل هضم واذا قل جاء فاخرا وقيل الهضيم اللين النضيج
كانه قال ونخل قد ارطب ثمره فارهين حاذقين وقرئ فرهين فارهين والفراهة الكيس والنشاط ومنه خيل
فرهة استعير لامتثال الامر وارتسامه طاعة الآمر المطاع او جعل الامر مطاعا على المجاز الحكمي والمراد الآمر ومنه قولهم لك علي
امرة مطاعة وقوله تعالى واطيعوا امري فان قلت ما فائدة قوله ولا يصلحون قلت فائدته ان فسادهم فساد مصمت
ليس معه شيء من الصلاح كما يكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح المسحر الذي سحر كثيرا حتى غلب على عقله
وقيل هو من السحر الرئة وانه بشر الشرب النصيب من الماء نحو السقي والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم روي
انهم قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا فقعد صالح يتفكر فقال له جبريل صل ركعتين وسل ربك الناقة
ففعل فخرجت الناقة وبركت بين ايديهم ونتجت سقبا مثلها في العظم وعن ابي موسى رأيت مصدرها فاذا هو ستون ذراعا
وعن قتادة اذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله ولهم شرب يوم لا يشرب فيه الماء بسوء بضرب او عقر او غير ذلك عظم اليوم لحلول
العذاب فيه ووصف اليوم به ابلغ من وصف العذاب لان الوقت اذا عظم بسببه كان موقعه من العظم اشد وروي ان مسطعا
الجاها الى مضيق في شعب فرماها بسهم فاصاب رجلها فسقطت ثم ضربها قدار وروي ان عاقرها قال لا اعقرها حتى ترضوا اجمعين
فكانوا يدخلون على المرأة في خدرها فيقولون اترضين فتقول نعم وكذلك صبيانهم فان قلت لم اخذهم العذاب وقد ندموا قلت
لم يكن ندمهم ندم تائبين لكن ندم خائفين ان يعاقبوا على العقر عقابا عاجلا كمن يرى في بعض الامور رأيا فاسدا ويبني عليه ثم
يندم ويتحسر كندامة الكسعي او ندموا ندم تائبين ولكن في غير وقت التوبة وذلك عند معاينة العذاب وقال عز وجل وليست التوبة
للذين يعملون السيئات الآية وقيل كانت ندامتهم على ترك الولد وهو بعيد واللام في العذاب اشارة الى عذاب يوم عظيم اراد بالعالمين
الناس اي اتأتون من بين اولاد آدم على فرط كثرتهم وتفاوت اجناسهم وغلبة اناثهم على ذكورهم في الكثرة ذكرانهم كان الاناث

قد اعوزتكم او اتأتون انتم من بين من عداكم من العالمين الذكران يعني انكم يا قوم لوط وحدكم مختصون بهذه الفاحشة
والعالمون على هذا القول كل ما ينكح من الحيوان من ازواجكم يصلح ان يكون تبيينا لما خلق وان يكون للتبعيض ويراد بما خلق
العضو المباح منهن وفي قراءة ابن مسعود ما اصلح لكم ربكم من ازواجكم وكانهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم العادي المتعدي
في ظلمه المتجاوز فيه الحد ومعناه اترتكبون هذه المعصية على عظمها بل انتم قوم عادون في جميع المعاصي فهذا من جملة
ذاك او بل انتم قوم احقاء بان توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه العظيمة لئن لم تنته عن نهينا وتقبيح
امرنا لتكونن من جملة من اخرجناه من بين اظهرنا وطردناه من بلدنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على اسوء حال
من تعنيف به واحتباس لاملاكه وكما يكون حال الظلمة اذا اجلوا بعض من يغضبون عليه وكما كان يفعل اهل مكة بمن
يريد المهاجرة من القالين ابلغ من ان يقول اني لعملكم قال كما تقول فلان من العلماء فيكون ابلغ من قولك فلان عالم
لانك تشهد له بكونه معدودا في زمرتهم ومعروفة مساهمته لهم في العلم ويجوز ان يريد من الكاملين في قلاكم والقلى
البغض الشديد كانه بغض يقلي الفؤاد والكبد وفي هذا دليل على عظم المعصية والمراد القلى من حيث الدين والا
فعنده الذين في دين الله حتى تقرب كراهة للمعاصي من الكراهة الجبلية مما يعملون من عقوبة عملهم
ان يريد بالتنجية العصمة فان قلت فما معنى قوله فنجيناه واهله اجمعين الا عجوزا قلت معناه انجيناه
الا العجوز فانها كانت غير معصومة منه لكونها راضية به ومعينة عليه ومحرشة والراضي بالمعصية في حكم العاصي
كان اهله مومنين ولولا ذلك لما طلب لهم النجاة فكيف استثنيت الكافرة منهم قلت الاستثناء انما وقع من الاهل وفي هذا
الاسم لها معهم شركة بحق الزواج وان لم تشاركهم في الايمان فان قلت في الغابرين صفة لها كانه قيل الا عجوزا غابرة
ولم يكن الغبور صفتها وقت تنجيتهم قلت معناه الا عجوزا مقدرا غبورها ومعنى الغابرين في العذاب والهلاك غير الناجين
قيل انها هلكت مع من خرج من القرية بما امطر عليهم من الحجارة والمراد بتدميرهم الائتفاك بهم واما الامطار فعن قتادة
امطر الله على شذاذ القوم حجارة من السماء فاهلكهم وعن ابن زيد لم يرض بالائتفاك حتى اتبعه مطرا من حجارة وفاعل
ساء مطر المنذرين ولم يرد بالمنذرين قوما باعيانهم انما هو للجنس والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم قرئ اصحاب الايكة
بالهمزة وبتخفيفها وبالجر على الاضافة وهو الوجه ومن قرا بالنصب وزعم ان ليكة بوزن ليلة اسم بلد فتوهم قاد اليه خط
المصحف حيث وجدت مكتوبة في هذه السورة وفي سورة ص بغير الف وفي المصحف اشياء كتبت على خلاف قياس الخط المصطلح
عليه وانما كتبت في هاتين السورتين على حكم لفظ اللافظ كما يكتب اصحاب النحو لان ولولى على هذه الصورة لبيان لفظ المخفف وقد كتبت في
سائر القران على الاصل والقصة واحدة على ان ليكة اسم لا يعرف وروي ان اصحاب الايكة كانوا اصحاب شجر ملتف وكان شجرهم
الدوم فان قلت هلا قيل اخوهم شعيب كما في سائر المواضع قلت قالوا ان شعيبا لم يكن من اصحاب الايكة وفي الحديث
ان شعيبا اخا مدين ارسل اليهم والى اصحاب الايكة الكيل على ثلاثة اضرب واف وطفيف وزائد فامر بالواجب الذي هو
الايفاء ونهى عن المحرم الذي هو التطفيف ولم يذكر الزائد وكان تركه عن الامر والنهي دليلا على انه ان فعله فقد احسن
وان لم يفعله فلا عليه قرئ بالقسطاس مضموما ومكسورا وهو الميزان وقيل القرسطون فان كان من القسط وهو العدل وجعلت
العين مكررة فوزنه فعلاس والا فهو رباعي وقيل هو بالرومية العدل يقال بخسته حقه اذا نقصته اياه ومنه قيل
للمكس البخس وهو عام في كل حق ثبت لاحد ان لا يهضم وفي كل ملك ان لا يغصب عليه مالكه ولا يتحيف منه ولا يتصرف فيه الا باذنه
تصرفا شرعيا يقال عثا في الارض وعثى وعاث وذلك نحو قطع الطريق والغارة واهلاك الزروع وكانوا يفعلون ذلك مع توليهم
انواع الفساد فنهوا عن ذلك وقرئ الجبلة بوزن الابلة والجبلة بوزن الخلقة ومعناهن واحد اي ذوي الجبلة وهو قوله

والخلق

والخلق الاولين فان قلت هل اختلف المعنى بادخال الواو هاهنا وتركها في قصة ثمود قلت اذا ادخلت الواو فقد قصد معنيان
كلاهما مناف للرسالة عندهم التسحير والبشرية وان الرسول لا يجوز ان يكون مسحرا ولا يجوز ان يكون بشرا واذا تركت الواو فلم يقصد الا معنى
واحد وهو كونه مسحرا ثم قرر بكونه بشرا مثلهم فان قلت ان المخففة من الثقيلة ولامها كيف تفرقتا على فعل الظن وثاني مفعوليه
قلت اصلهما ان يتفرقا على المبتدأ والخبر كقولك ان زيد لمنطلق فلما كان البابان اعني باب كان وباب ظننت من جنس
باب المبتدأ والخبر فعل ذلك في البابين فقيل ان كان زيد لمنطلقا وان ظننته لمنطلقا قرئ كسفا بالسكون والحركة وكلاهما
جمع كسفة نحو قطع وسدر وقيل الكسف والكسفة كالريع والريعة وهي القطعة وكسفه قطعه والسماء السحاب او المظلة
وما كان طلبهم ذلك الا لتصميمهم على الجحود والتكذيب ولو كان فيهم ادنى ميل الى التصديق لما اخطروه ببالهم فضلا ان يطلبوه والمعنى
ان كنت صادقا انك نبي فادع الله ان يسقط علينا كسفا من السماء ربي اعلم بما تعملون يريد ان الله اعلم باعمالكم وبما تستوجبون
عليها من العقاب فان اراد ان يعاقبكم باسقاط كسف من السماء فعل وان اراد عقابا اخر فاليه الحكم والمشيئة فاخذهم الله
بنحو ما اقترحوا من عذاب الظلة ان ارادوا بالسماء السحاب وان ارادوا المظلة فقد خالف بهم عن مقترحهم روي ان الله حبس عنهم
الريح سبعا وسلط عليهم الومد فاخذ بانفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا سرب فاضطروا الى ان خرجوا الى البرية فاظلتهم سحابة وجدوا
لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا وروي ان شعيبا بعث الى امتين اصحاب مدين واصحاب الايكة
فاهلكت مدين بصيحة جبريل واصحاب الايكة بعذاب يوم الظلة فان قلت كيف كرر في هذه السورة في اول كل قصة واخرها
ما كرر قلت كل قصة منها كتنزيل براسه وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت كل واحدة منها تدلي بحق في ان تفتتح
بما افتتحت به صاحبتها وان تختتم بما اختتمت به ولان في التكرير تقريرا للمعاني في الانفس وتثبيتا لها في الصدور الا ترى
انه لا طريق الى تحفظ العلوم الا ترديد ما يراد تحفظه منها وكلما زاد ترديده كان امكن له في القلب وارسخ في الفهم واثبت للذكر وابعد
من النسيان ولان هذه القصص طرقت بها اذان وقر عن الانصات للحق وقلوب غلف عن تدبره فكوثرت بالوعظ والتذكير وروجعت
بالترديد والتكرير لعل ذلك يفتح اذنا او يفتق ذهنا او يصقل عقلا طال عهده بالصقل او يجلو فهما قد غطى عليه
تراكم الصدا وانه وان هذا التنزيل يعني ما نزل من هذه القصص والايات والمراد بالتنزيل المنزل والباقي ظاهر نزل به الروح
الامين ونزل به الروح ونزلا به على قلبك اي حفظك وفهمك اياه واثبته في قلبك اثبات ما لا ينسى كقوله تعالى سنقرئك
فلا تنسى بلسان اما ان يتعلق بالمنذرين فيكون المعنى لتكون من الذين انذروا بهذا اللسان وهم خمسة هود وصالح وشعيب
واسمعيل ومحمد عليهم السلام واما ان يتعلق بنزل فيكون المعنى نزله باللسان العربي لتنذر به لانه لو نزله باللسان الاعجمي
لتجافوا عنه اصلا ولقالوا ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الانذار به وفي هذا الوجه ان تنزيله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك
تنزيل له على قلبك لانك تفهمه وتفهمه قومك ولو كان اعجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك لانك تسمع اجراس حروف
لا تفهم معانيها ولا تعيها وقد يكون الرجل عارفا بعدة لغات فاذا كلم بلغته التي لقنها اولا ونشا عليها وتطبع بها لم يكن قلبه الا الى
معاني الكلام يتلقاها بقلبه ولا يكاد يفطن للالفاظ كيف جرت وان كلم بغير تلك اللغة وان كان ماهرا بمعرفتها كان نظره
اولا في الفاظها ثم في معانيها فهذا تقرير انه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربي مبين وانه وان القران يعني ذكره مثبت
في سائر الكتب السماوية وقيل ان معانيه فيها وبه يحتج لابي حنيفة رحمه الله في جواز القران بالفارسية في الصلوة على ان
القران قران اذا ترجم بغير العربية حيث قيل وانه لفي زبر الاولين لكون معانيه فيها وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وكذلك في ان يعلمه وليس بواضح قرئ يكن بالتذكير واية بالنصب على انها خبره وان يعلمه هو الاسم وقرئ تكن بالتانيث وجعلت
اية اسما وان يعلمه خبرا وليست كالاولى لوقوع النكرة اسما والمعرفة خبرا وقد خرج لها وجه اخر ليتخلص من ذلك فقيل في تكن

خضير الغضب، وآية ان يعلمه جملة واقعة موقع الخبر، ويجوز ان يكون لهم آية هي جملة الشأن، وان يعلمه بدلا عن آية، ويجوز مع الآية
ماست لكن كقوله لم يكن فتنتهم الا ان قالوا، ومنه بيت لبيد: فمضى وقدمها وكانت عادة منه اذا هي عردت اقدامها
وقرئ تعلمه بالتاء، وعلماء بني اسرائيل عبد الله بن سلام وغيره، قال الله تعالى واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا
انا كنا من قبله مسلمين. فان قلت: كيف خط في المصحف علمؤا بواو قبل الألف؟ قلت: خط على لغة من يميل الألف الى الواو،
وعلى هذه اللغة كتبت الصلوة والزكوة والربوا. الأعجم الذي لا يفصح وفي لسانه عجمة واستعجام، والأعجمي مثله الا ان فيه لزيادة
ياء النسبة زيادة تأكيد، وقرأ الحسن الأعجميين، ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له أعجم وأعجمي، شبهوه بمن لا يفصح
ولا يبين، وقالوا لكل ذي صوت من البهائم والطيور وغيرها أعجم، قال حميد: ولا عربيا شاقه صوت أعجما. سلكناه ادخلناه ومكناه، و
انزلنا هذا القرآن على رجل عربي بلسان عربي مبين فسمعوا به وفهموه وعرفوا فصاحته وانه معجز لا يعارض بكلام
مثله، وانضم الى ذلك اتفاق علماء اهل الكتب المنزلة قبله على البشارة بانزاله وتحلية المنزل عليه وصفته في كتبهم وقد تضمنت
وصح بذلك انه من عند الله وليس باساطير كما زعموا، فلم يؤمنوا به وجحدوه، وسموه شعرا تارة وسحرا اخرى، وقالوا
هو من تلقاء محمد وافترائه، ولو نزلناه على بعض الأعاجم الذي لا يحسن العربية فضلا ان يقدر على نظم مثله فقرأه عليهم هكذا
لكفروا به كما كفروا، ولتمحلوا لجحودهم عذرا ولسموه سحرا، ثم قال كذلك سلكناه، اي مثل هذا السلك سلكناه في قلوبهم
وهكذا مكناه وقررناه فيها، وعلى مثل هذه الحال وهذه الصفة من الكفر به والتكذيب له وضعناه فيها، فكيف ما فعل بهم وصنع وعلى اي وجه دبر
أمرهم فلا سبيل الى ان يتغيروا عما هم عليه من جحوده وانكاره كما قال ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا
ان هذا الا سحر مبين. فان قلت: كيف اسند السلك بصفة التكذيب الى ذاته؟ قلت: اراد به الدلالة على تمكنه مكذبا في
قلوبهم اشد التمكن واثبته، فجعله بمنزلة امر قد جبلوا عليه وفطروا، الا ترى الى قولهم هو مجبول على الشح، يريدون تمكن الشح فيه، لأن
الأمور الخلقية اثبت من العارضة، والدليل عليه انه اسند ترك الايمان به اليهم على عقبه، وهو قوله لا يؤمنون به. فان قلت: ما موقع لا يؤمنون
به من قوله سلكناه في قلوب المجرمين؟ قلت: موقعه منه موقع الموضح والملخص، لأنه مسوق لثباته مكذبا مجحودا في قلوبهم، فاتبع
ما يقرر هذا المعنى من انهم لا يزالون على التكذيب به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد، ويجوز ان يكون حالا، اي سلكناه فيها
غير مؤمن به. وقرأ الحسن فتأتيهم بالتاء يعني الساعة، وبغتة بالتحريك، وفي حرف أبي ويروه بغتة. فان قلت: ما معنى التعقيب
في قوله فيأتيهم بغتة فيقولوا؟ قلت: ليس المعنى ترادف رؤية العذاب ومفاجأته وسؤال النظرة فيه في الوجود، وانما
المعنى ترتبها في الشدة، كأنه قيل لا يؤمنون بالقرآن حتى تكون رؤيتهم العذاب فما هو اشد منها وهو لحوقه بهم مفاجأة فما هو اشد
منه وهو سؤالهم النظرة، ومثال ذلك ان تقول لمن تعظه: ان اسأت مقتك الصالحون فمقتك الله، فانك لا تقصد بهذا الترتيب ان
مقت الله يوجد عقيب مقت الصالحين، وانما قصدك الى ترتيب شدة الأمر على المسيء، وانه يحصل له بسبب الاساءة مقت الصالحين فما هو اشد
من مقتهم وهو مقت الله، وترى ثم يقع في هذا الأسلوب فيحل موقعه. أفبعذابنا يستعجلون تبكيت لهم بانكار وتهكم،
ومعناه: كيف يستعجل العذاب من هو معرض لعذاب يسأل فيه من جنس ما هو فيه اليوم من النظرة والامهال طرفة عين
فلا يجاب اليها، ويحتمل ان يكون هذا حكاية توبيخ يوبخون به عند استنظارهم يومئذ، ويستعجلون على هذا الوجه حكاية حال
ماضية. ووجه آخر متصل بما بعده، وذلك ان استعجالهم بالعذاب انما كان لاعتقادهم انه غير كائن ولا لاحق بهم، وانهم ممتعون
باعمار طوال في سلامة وأمن، فقال عز وعلا: أفبعذابنا يستعجلون أشرا وبطرا واستهزاء واتكالا على الأمل الطويل، ثم قال: هب ان
الأمر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم، فاذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول اعمارهم وطيب معايشهم. وعن
ميمون بن مهران انه لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاءه، فقال له: عظني، فلم يزده على تلاوة هذه الآية، فقال ميمون: لقد وعظت فأبلغت.

وقرئ

وقرئ يمتعون بالتخفيف. منذرون رسل ينذرونهم. ذكرى منصوبة بمعنى تذكرة، اما لأن انذر وذكر متقاربان
فكأنه قيل مذكرون تذكرة، واما لأنها حال من الضمير في منذرون، اي ينذرونهم ذوي تذكرة، واما لأنها مفعول له على معنى انهم ينذرون
لأجل الموعظة والتذكرة، او مرفوعة على انها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هذه ذكرى، والجملة اعتراضية، او صفة بمعنى منذرون
ذوو ذكرى، او جعلوا ذكرى لامعانهم في التذكرة واطنابهم فيها. ووجه آخر وهو ان تكون ذكرى متعلقة باهلكنا مفعولا له، والمعنى وما اهلكنا
من اهل قرية ظالمين الا بعد ما الزمناهم الحجة بارسال المنذرين اليهم ليكون اهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم،
وما كنا ظالمين فنهلك قوما غير ظالمين، وهذا الوجه عليه المعول. فان قلت: كيف عزلت الواو عن الجملة بعد الا ولم تعزل عنها
في قوله وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم؟ قلت: الأصل عزل الواو لأن الجملة صفة لقرية، واذا زيدت فلتأكيد وصل
الصفة بالموصوف كما في قوله سبعة وثامنهم كلبهم. كانوا يقولون ان محمدا كاهن وما يتنزل عليه من جنس ما يتنزل به الشياطين
على الكهنة، فكذبوا بان ذلك مما لا يتسهل للشياطين ولا يقدرون عليه لأنهم مرجومون بالشهب معزولون عن استماع كلام اهل السماء.
وقرأ الحسن الشياطون، ووجهه انه رأى آخره كآخر يبرين وفلسطين فتخير بين ان يجري الاعراب على النون وبين ان
يجريه على ما قبله فيقول الشياطين والشياطون، كما تخيرت العرب بين ان يقولوا هذه يبرون ويبرين وفلسطون وفلسطين،
وحقه ان يشتقه من الشيطوطة وهي الهلاك كما قيل له الباطل. وعن الفراء: غلط الشيخ في قراءته الشياطون، ظن انها النون التي
على هجائين، فقال النضر بن شميل: ان جاز ان يحتج بقول العجاج ورؤبة فهلا جاز ان يحتج بقول الحسن وصاحبه، يريد محمد
بن السميفع، مع انا نعلم انهما لم يقرآ به الا وقد سمعا فيه. قد علم ان ذلك لا يكون، ولكنه اراد ان يحرك منه لازدياد الاخلاص والتقوى،
وفيه لطف لسائر المكلفين كما قال ولو تقول علينا بعض الأقاويل، فان كنت في شك مما انزلنا اليك. فيه وجهان: احدهما
ان يؤمر بانذار الأقرب فالأقرب من قومه، ويبدأ في ذلك بمن هو اولى بالبداءة ثم بمن يليه، وان يقدم انذارهم على انذار غيرهم،
كما روي عنه عليه السلام انه لما دخل مكة قال: كل ربا في الجاهلية تحت قدمي هاتين، واول ما اضعه ربا العباس. والثاني موضوع
ان يؤمر ان لا يأخذه ما يأخذ القريب للقريب من العطفة والرأفة، ولا يحابيهم في الانذار والتخويف. وروي انه صعد الصفا
لما نزلت فنادى الأقرب فالأقرب فخذا فخذا، وقال: يا بني عبد المطلب، يا بني هاشم، يا بني عبد مناف، يا عباس عم النبي، يا صفية
عمة رسول الله، اني لا املك لكم من الله شيئا، سلوني من مالي ما شئتم. وروي انه جمع بني عبد المطلب وهم يومئذ اربعون رجلا، الرجل
منهم يأكل الجذعة ويشرب العس، على رجل شاة وقعب من لبن، فأكلوا وشربوا حتى صدروا، ثم انذرهم فقال: يا بني عبد المطلب
لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم، قال: فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. وروي انه قال: يا بني عبد المطلب
يا بني هاشم يا بني عبد مناف، افتدوا انفسكم من النار فاني لا اغني عنكم شيئا، ثم قال: يا عائشة بنت ابي بكر ويا حفصة بنت عمر
ويا فاطمة بنت محمد ويا صفية عمة محمد، اشترين انفسكن من النار فاني لا اغني عنكن شيئا. الطائر اذا اراد ان ينحط للوقوع
كسر جناحه وخفضه، واذا اراد ان ينهض للطيران رفع جناحه، فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلا في التواضع ولين الجانب،
ومنه قول بعضهم: وانت الشهير بخفض الجناح فلا تك في رفعه اجدلا، ينهاه عن التكبر بعد التواضع. فان قلت: المتبعون للرسول هم
المؤمنون، والمؤمنون هم المتبعون للرسول، فما معنى قوله لمن اتبعك من المؤمنين؟ قلت: فيه وجهان: ان يسميهم قبل الدخول
في الايمان مؤمنين لمشارفتهم ذلك، وان يريد بالمؤمنين المصدقين بألسنتهم، وهم صنفان: صنف صدق واتبع رسول الله فيما جاء به، وصنف
ما وجد منه الا التصديق فحسب، ثم اما ان يكونوا منافقين او فاسقين، والمنافق والفاسق لا يخفض لهما الجناح، والمعنى من المؤمنين من عشيرتك
وغيرهم، يعني انذر قومك فان اتبعوك واطاعوك فاخفض لهم جناحك، وان عصوك ولم يتبعوك فتبرأ منهم ومن اعمالهم من الشرك بالله وغيره،
وتوكل على الله يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم، والتوكل تفويض الرجل امره الى من يملك امره ويقدر على نفعه وضره.

وقالوا المتوكل من ان دهمه امر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية الله فعلى هذا اذا وقع الانسان في محنة ثم سأل غيره
خلاصه لم يخرج من حد التوكل لانه لم يحاول دفع ما نزل به عن نفسه بمعصية الله. في مصاحف المدينة والشام فتوكل وبه قرأ نافع
وابن عامر وله محملان في العطف ان يعطف على فقل او فلا تدع. على العزيز الرحيم على الذي يقهر اعداءه بعزته وينصرك عليهم برحمته
ثم اتبع كونه رحيما على رسوله ما هو من اسباب الرحمة وهو ذكر ما كان يفعله في جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه في تصفح احوال المتهجدين
من اصحابه ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون ويستبطن سر امرهم وكيف يعبدون الله وكيف يعملون لآخرتهم كما يحكى انه حين نسخ
فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون لحرصه عليهم وعلى ما يوجد منهم من فعل الطاعات وتكثير الحسنات
فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله والتلاوة والمراد بالساجدين المصلون وقيل معناه يراك حين تقوم للصلاة
جماعة وتقلبه في الساجدين تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده اذا امهم وعن مقاتل انه سأل ابا حنيفة
هل تجد الصلوة في الجماعة في القرآن فقال لا يحضرني فتلا له هذه الآية ويحتمل انه لا يخفى عليه حالك كلما قمت وتقلبت مع الساجدين
في كفاية امور الدين انه هو السميع لما تقوله العليم بما تنويه وتعمله وقيل هو تقلب بصره فيمن يصلي خلفه من قوله
اتموا الركوع والسجود فوالله اني لأراكم من خلف ظهري اذا ركعتم وسجدتم وقرئ ويقلبك كل افاك اثيم هم الكهنة والمتنبئة
كشق وسطيح ومسيلمة وطليحة يلقون السمع هم الشياطين كانوا قبل ان يحجبوا بالرجم يستمعون الى الملأ الاعلى فيختطفون
بعض ما يتكلمون به مما اطلعوا عليه من الغيوب ثم يوحون الى اوليائهم من اولئك واكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم لانهم يسمعونهم
ما لم يسمعوا وقيل يلقون الى اوليائهم السمع اي المسموع من الملائكة وقيل الافاكون يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون وحيهم
او يلقون المسموع من الشياطين الى الناس واكثر الافاكين كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا اليهم وترى اكثر ما يحكمون به
باطلا وزورا وفي الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة والقر الصب فان قلت كيف
دخل حرف الجر على من المتضمنة لمعنى الاستفهام والاستفهام له صدر الكلام الا ترى الى قولك أعلى زيد مررت ولا تقول على ازيد مررت
قلت ليس معنى التضمن ان الاسم دل على معنيين معا معنى الاسم ومعنى الحرف وانما معناه ان الاصل امن فحذف حرف الاستفهام واستمر
الاستعمال على حذفه كما حذف من هل والاصل اهل قال أهل رأونا بسفح القاع ذي الأكم فاذا ادخلت حرف الجر على من فقدر الهمزة
قبل حرف الجر في ضميرك كأنك تقول أعلى من تنزل الشياطين كقولك أعلى زيد مررت فان قلت يلقون ما محله قلت يجوز ان يكون
في محل النصب على الحال اي تنزل ملقين السمع وفي محل الجر صفة لكل افاك لانه في معنى الجمع وان لا يكون له محل بان يستأنف كأن قائلا قال
لم تنزل على الافاكين فقيل يفعلون كيت وكيت فان قلت كيف قيل واكثرهم كاذبون بعد ما قضي عليهم ان كل واحد منهم افاك قلت
الافاكون هم الذين يكثرون الافك ولا يدل ذلك على انهم لا ينطقون الا بالافك فاراد ان هؤلاء الافاكين قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني
واكثرهم مفتر عليه فان قلت وانه لتنزيل رب العالمين وما تنزلت به الشياطين هل انبئكم على من تنزل الشياطين لم
فرق بينهن وهن اخوات قلت اريد التفريق بينهن بآيات ليست في معناهن ليرجع الى المجيء بهن وتطرية ذكر ما فيهن كرة بعد كرة
فيدل بذلك على ان المعنى الذي نزلن فيه من المعاني التي اشتدت كراهة الله لخلافها ومثاله ان يحدث الرجل بحديث وفي صدره
اهتمام بشيء منه وفضل عناية فتراه يعيد ذكره ولا ينفك عن الرجوع اليه والشعراء مبتدأ ويتبعهم الغاوون خبره ومعناه انه لا يتبعهم
على باطلهم وكذبهم وفضول قولهم وما هم عليه من الهجاء وتمزيق الاعراض والقدح في الانساب والنسيب بالحرم والغزل والابتهار ومدح من لا يستحق
المدح ولا يستحسن ذلك منهم ولا يطرب على قولهم الا الغاوون والسفهاء والشطار وقيل الغاوون الراوون وقيل الشياطين وقيل
هم شعراء قريش عبد الله بن الزبعرى وهبيرة بن ابي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وابو عزة الجمحي ومن ثقيف امية بن ابي الصلت
قالوا نحن نقول مثل قول محمد وكانوا يهجونه ويجتمع اليهم الاعراب من قومهم يستمعون اشعارهم واهاجيهم وقرأ عيسى بن عمر والشعراء

بالنصب

بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر قال ابو عبيد كان الغالب عليه حب النصب قرأ حمالة الحطب والسارق والسارقة
وسورة انزلناها وقرئ يتبعهم على التخفيف ويتبعهم بسكون العين تشبيها لبعه بعضد ذكر الوادي والهيوم فيه تمثيل لذهابهم في كل
شعب من القول واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو في المنطق ومجاوزة حد القصد حتى يفضلوا اجبن الناس على عنترة واشحهم على حاتم
وان يبهتوا البريء ويفسقوا التقي وعن الفرزدق ان سليمان بن عبد الملك سمع قوله فبتن بجانبي مصرعات وبت افض اغلاق
الختام فقال قد وجب عليك الحد فقال يا امير المؤمنين قد درأ الله عني الحد بقوله وانهم يقولون ما لا يفعلون استثنى الشعراء
المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة القرآن وكان ذلك اغلب عليهم من الشعر واذا قالوا شعرا قالوه في توحيد الله والثناء
عليه والحكمة والموعظة والزهد والآداب الحسنة ومدح رسول الله والصحابة وصلحاء الامة وما لا بأس به من المعاني التي لا يتلطخون
فيها بذنب ولا يتلبسون بشائبة ولا منقصة وكان هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم قال الله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا
من ظلم وذلك من غير اعتداء ولا زيادة على ما هو جواب لقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم
وعن عبيد الله ان رجلا من العلوية قال له ان صدري ليجيش بالشعر فقال فما يمنعك منه فيما لا بأس به والقول فيه ان الشعر
باب من الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام وقيل المراد بالمستثنين عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبان
كعب بن مالك وكعب بن زهير والذين كانوا ينافحون عن رسول الله ويكافحون هجاة قريش وعن كعب بن مالك ان رسول الله
صلى الله عليه قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك ختم السورة بآية
ناطقة بما لا شيء اهيب منه واهول ولا انكأ لقلوب المتأملين ولا اصدع لاكباد المتدبرين وذلك قوله وسيعلم وما فيه من الوعيد
البليغ وقوله الذين ظلموا واطلاقه وقوله اي منقلب ينقلبون وابهامه وقد تلاها ابو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد اليه وكان
السلف الصالحون يتواعظون بها ويتناذرون شدتها وتفسير الظلم بالكفر تعليل ولان تخاف فتبلغ الامن خير من ان تأمن فتبلغ
الخوف وقرأ ابن عباس اي منفلت ينفلتون ومعناها ان الذين ظلموا يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون ان ليس
لهم وجه من وجوه الانفلات وهو النجاء اللهم اجعلنا ممن جعل هذه الآية بين عينيه فلم يغفل عنها وعلم ان من عمل سيئة فهو
من الذين ظلموا والله اعلم بالصواب قال رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد
من صدق بنوح وكذب به وهود وشعيب وصالح وابرهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلوات الله وسلامه عليهم

سورة النمل مكية وهي ثلاث وتسعون آية وقيل اربع وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

طس قرئ بالتفخيم والامالة وتلك اشارة الى آيات السورة والكتاب المبين اما اللوح وابانته انه قد خط فيه كل ما هو كائن فهو يبينه
للناظرين فيه ابانة واما السورة واما القرآن وابانتهما انهما يبينان ما اودعاه من العلوم والحكم والشرائع وان اعجازهما ظاهر مكشوف
واضافة الآيات الى القرآن والكتاب المبين على سبيل التفخيم لها والتعظيم لان المضاف الى العظيم يعظم بالاضافة اليه فان قلت
لم نكر الكتاب المبين قلت ليبهم بالتنكير فيكون افخم له كقوله تعالى في مقعد صدق عند مليك مقتدر فان قلت ما وجه عطفه
على القرآن اذا اريد به القرآن قلت كما تعطف احدى الصفتين على الاخرى في نحو قولك هذا فعل السخي والجواد الكريم لان القرآن
هو المنزل المبارك المصدق لما بين يديه فكان حكمه حكم الصفات المستقلة بالمدح فكانه قيل تلك الآيات آيات المنزل المبارك
وآيات كتاب مبين وقرأ ابن ابي عبلة وكتاب مبين بالرفع على تقدير وآيات كتاب مبين فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
فان قلت ما الفرق بين هذا وبين قوله الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين قلت لا فرق بينهما الا ما بين المعطوف والمعطوف عليه

وق

من المتقدم والتأخر وذلك على ضربين ضرب جار مجرى التثنية لا يترجح فيه جانب على جانب وضرب فيه ترجح فالأول نحو قوله وقولوا
حطة وادخلوا الباب سجدا ومنه ما نحن بصدده والثاني نحو قوله شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم هدى وبشرى
في محل النصب او الرفع فالنصب على الحال اى هادية ومبشرة والعامل فيها ما في تلك من معنى الاشارة والرفع على ثلثة اوجه
على هي هدى وبشرى وعلى البدل من الآيات وعلى ان يكون خبرا بعد خبر اى جمعت انها آيات وانها هدى وبشرى والمعنى في
كونها هدى للمؤمنين انها زائدة في هداهم قال الله تعالى فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا فان قلت وهم بالآخرة هم يوقنون
كيف يتصل بما قبله قلت يحتمل ان يكون من جملة صلة الموصول ويحتمل ان تتم الصلة عنده ويكون جملة اعتراضية كانه قيل
وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من اقامة الصلوة وايتاء الزكوة هم الموقنون بالآخرة وهو الوجه ويدل عليه انه عقد
جملة ابتدائية وكرر فيها المبتدأ الذي هو هم حتى صار معناه وما يوقن بالآخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون بين الايمان والعمل
الصالح لان خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق فان قلت كيف اسند تزيين اعمالهم الى ذاته وقد اسنده الى الشيطان في قوله وزين لهم الشيطان
اعمالهم قلت بين الاسنادين فرق وذلك ان اسناده الى الشيطان حقيقة واسناده الى الله عز وجل مجاز وله طريقان
احدهما ان يكون من المجاز الذي يسمى الاستعارة والثاني ان يكون من المجاز الحكمي فالطريق الاول انه لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق
وجعلوا انعام الله بذلك عليهم واحسانه اليهم ذريعة الى اتباع شهواتهم وبطرهم وايثارهم الروح والترفه ونفارهم عما يلزمهم فيه التكاليف الصعبة
والمشاق المتعبة فكانه زين لهم بذلك اعمالهم واليه اشارت الملائكة صلوات الله عليهم في قولهم ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر
والطريق الثاني ان امهاله الشيطان وتخليته حتى يزين لهم ملابسة ظاهرة للتزيين فاسند اليه لان المجاز الحكمي يصححه بعض الملابسات
وقيل هي اعمال الخير التي وجب عليهم ان يعملوها زينها لهم الله فعمهوا عنها وضلوا ويعزى الى الحسن والعمه التحير والتردد كما يكون حال الضال
عن الطريق وعن بعض الاعراب انه دخل السوق وما ابصرها قط فقال رايت الناس عمهين اراد مترددين في اعمالهم واشغالهم سوء
العذاب القتل والاسر يوم بدر والاخسرون اشد الناس خسرانا لانهم لو آمنوا لكانوا من الشهداء على جميع الامم فخسروا ذلك
مع خسران النجاة وثواب الله لتلقى القرآن لتؤتاه وتلقنه من عند اي حكيم واي عليم وهذا معنى مجيئهما نكرتين وهذه الآية
بساط وتمهيد لما يريد ان يسوق بعدها من الاقاصيص وما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه اذ منصوب باضمار اذكر كانه قال على اثر
ذلك خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى ويجوز ان ينتصب بعليم روي انه لم يكن مع موسى عليه السلام غير امرأته وقد كنى الله عنها بالاهل فتبع
ذلك ورود الخطاب على لفظ الجمع وهو قوله امكثوا الشهاب الشعلة والقبس النار المقبوسة واضاف الشهاب الى القبس لانه يكون
قبسا وغير قبس ومن قرأ بالتنوين جعل القبس بدلا او صفة لما فيه من معنى القبس والخبر ما يخبر به عن حال الطريق لانه كان قد ضله
فان قلت سآتيكم منها بخبر لعلي آتيكم منها بخبر كالمتدافعين لان احدهما ترج والآخر تيقن قلت قد يقول الراجي اذا قوي رجاؤه
سأفعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة فان قلت كيف جاء بسين التسويف قلت عدة لاهله انه يأتيهم به وان ابطأ
او كانت المسافة بعيدة فان قلت فلم جاء باو دون الواو قلت بنى الرجاء على انه ان لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم واحدة
منهما اما هداية الطريق واما اقتباس النار ثقة بعادة الله انه لا يكاد يجمع حرمانين على عبده وما ادراه حين قال ذلك انه ظافر على
النار بحاجتيه الكليتين جميعا وهما العزان عز الدنيا وعز الآخرة ان هي المفسرة لان النداء فيه معنى القول والمعنى قيل له
بورك فان قلت هل يجوز ان تكون المخففة من الثقيلة وتقديره نودي بانه بورك والضمير ضمير الشأن قلت لا لانه لا بد من قد
فان قلت فعلى اضمارها قلت لا يصح لانها علامة لا تحذف ومعنى بورك من في النار ومن حولها بورك من في مكان النار ومن حول مكانها
ومكانها البقعة التي حصلت فيها وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة وتدل عليه
قراءة ابي تباركت الارض ومن حولها وعنه بوركت النار والذي بوركت له البقعة وبورك من فيها وحواليها حدوث امر ديني فيها وهو

تكليم الله

وهو تكليم الله موسى واستنباؤه له واظهار المعجزات عليه ورب خير يتجدد في بعض البقاع فينشر الله بركة ذلك الخير في
اقاصيها ويبث آثار يمنه في اباعدها فكيف بمثل ذلك الامر العظيم الذي جرى في تلك البقعة وقيل المراد بالمبارك فيهم موسى
والملائكة الحاضرون والظاهر انه عام في كل من كان في تلك الارض وفي ذلك الوادي وحواليهما من ارض الشام ولقد جعل
الله ارض الشام بالبركات موسومة في قوله ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين وحقت ان تكون كذلك
فهي مبعث الانبياء صلوات الله عليهم ومهبط الوحي اليهم وكفاتهم احياء وامواتا فان قلت فما معنى ابتداء خطاب الله موسى
عند مجيئه قلت هي بشارة له بانه قد قضي امر عظيم تنتشر منه في ارض الشام كلها البركة وسبحان الله رب
[illegible] العالمين تعجيب لموسى من ذلك وايذان بان ذلك الامر مريده ومكونه رب العالمين تنبيها على ان الكائن من جلائل
[illegible] الامور والشؤون الهاء في انه يجوز ان يكون ضمير الشأن والشأن انا الله مبتدأ وخبر والعزيز الحكيم صفتان للخبر
[illegible] وان يكون راجعا الى ما دل عليه ما قبله يعني ان مكلمك انا والله بيان لانا والعزيز الحكيم صفتان للمبين وهذا تمهيد لما اراد ان
[illegible] يظهره على يده من المعجزة يريد انا القوي القادر على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما افعله بحكمة وتدبير
[illegible] علام عطف والق عصاك قلت على بورك لان المعنى نودي ان بورك من في النار وان الق عصاك كلاهما تفسير
[illegible] قيل له بورك من في النار وقيل له الق عصاك والدليل على ذلك قوله عز من قائل وان الق عصاك بعد قوله ان يا موسى
اي [illegible] حرف التفسير كما تقول كتبت اليك ان حج واعتمر وان شئت ان حج واعتمر وقرأ الحسن جأن على لغة من جد
في الهرب من التقاء الساكنين فقال شأبة ودأبة ومنها قراءة عمرو بن عبيد ولا الضألين لم يعقب لم يرجع يقال عقب المقاتل اذا
كر بعد الفرار قال فما عقبوا اذ قيل هل من معقب ولا نزلوا يوم الكريهة منزلا وانما رعب لظنه ان ذلك لامر اريد به ويدل عليه
انه لا يخاف لدي المرسلون والا بمعنى لكن لانه لما اطلق نفي الخوف عن الرسل كان ذلك مظنة لطرو الشبهة فاستدرك ذلك والمعنى
ولكن من ظلم منهم اي فرطت منه صغيرة مما يجوز على الانبياء كالذي فرط من آدم ويونس وداود وسليمان واخوة يوسف ومن موسى
عليه السلام بوكزه القبطي ويوشك ان يقصد بهذا التعريض بما وجد من موسى وهو من التعريضات التي يلطف ماخذها
وسماه ظلما كما قال موسى رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي والحسن والسوء حسن التوبة وقبح الذنب وقرئ الا من ظلم بحرف التنبيه
وعن ابي عمرو في رواية عصمة حسنا في تسع آيات كلام مستأنف وحرف الجر فيه يتعلق بمحذوف والمعنى اذهب في تسع آيات
الى فرعون ونحوه فقلت الى الطعام فقال منهم فريق نحسد الانس الطعاما ويجوز ان يكون المعنى والق عصاك وادخل يدك
في تسع آيات اي في جملة تسع آيات وعدادهن ولقائل ان يقول كانت الآيات احدى عشرة ثنتان منها اليد والعصا والتسع الفلق
والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم المبصرة الظاهرة البينة
جعل الابصار لها وهو في الحقيقة لمتأمليها لانهم لابسوها وكانوا بسبب منها بنظرهم وتفكرهم فيها ويجوز ان يراد بحقيقة الابصار كل
ناظر فيها من كافة اولي العقل وان يراد ابصار فرعون وملائه لقوله واستيقنتها انفسهم او جعلت كانها تبصر فتهدي لان العمي
لا تقدر على الاهتداء فضلا ان تهدي غيرها ومنه قولهم كلمة عيناء وكلمة عوراء لان الكلمة الحسنة ترشد والسيئة تغوي ونحوه
قوله تعالى لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر فوصفها بالبصائر كما وصفها بالابصار وقرأ علي بن الحسين وقتادة
مبصرة وهي نحو مجبنة ومبخلة ومجفرة اي مكانا يكثر فيه التبصر الواو في واستيقنتها واو الحال وقد بعدها مضمرة والعلو
الكبر والترفع عن الايمان بما جاء به موسى كقوله فاستكبروا وكانوا قوما عالين فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون
وقرئ عليا وعليا بالضم والكسر كما قرئ عتيا وعتيا وفائدة ذكر الانفس انهم جحدوها بالسنتهم واستيقنوها في قلوبهم وضمائرهم
والاستيقان ابلغ من الايقان وقد قوبل بين المبصرة والمبين واي ظلم افحش من ظلم من اعتقد واستيقن انها آيات بينة واضحة

جاءت من عند الله ثم كابر بتسميتها سحرا آيتنا مكشوفا لا شبهة فيه وعلا طائفة من العلم او علما سنيا غزيرا فان قلت
أليس هذا موضع الفاء دون الواو كقولك اعطيته فشكر ومنعته فصبر قلت بلى ولكن عطفه بالواو اشعار بان
ما قالاه بعض ما احدث فيهما ايتاء العلم وشيء من مواجبه فاضمر ذلك ثم عطف التحميد عليه كانه قال ولقد آتيناهما علما فعملا به وعلّماه
وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة وقالا الحمد لله الذي فضلنا والكثير المفضل عليه من لم يؤت علما او من لم يؤت مثل علمهما وفيه انهما
فضلا على كثير وفي الآية دليل على شرف العلم وانافة محله وتقدم حملته واهله وان نعمة العلم من اجل النعم واجزل
القسم وان من اوتيه فقد اوتي فضلا على كثير من عباد الله كما قال والذين اوتوا العلم درجات وما سماهم رسول الله ورثة
الانبياء الا لمداناتهم لهم في الشرف والمنزلة لانهم القوام بما بعثوا من اجله وفيها انه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة لوازم منها ان يحمدوا
على ما اوتوه من فضلهم على غيرهم ومنها التذكر بالتواضع وان يعتقد العالم انه ان فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما احسن
قول عمر كل الناس افقه من عمر ورث منه النبوة والملك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وكان داود اكثر تعبدا وسليمان اقضى و
اشكر لنعمة الله قال يا ايها الناس تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها واعترافا بمكانها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم
منطق الطير وغير ذلك مما اوتيه من عظائم الامور والمنطق كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد وقد ترجم يعقوب
كتابه باصلاح المنطق وما اصلح فيه الا مفردات الكلم وقالت العرب نطقت الحمامة وكل صنف من الطير يتفاهم اصواته والذي علمه سليمان
من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه واغراضه ويحكى انه مر على بلبل في شجرة يحرك راسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون
ما يقول قالوا الله ونبيه اعلم قال يقول اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفا (التراب) وصاحت فاختة فاخبر انها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا
وصاح طاوس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبون وصاح طيطوى فقال يقول كل
حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاحت رخمة فقال يقول سبحان ربي الاعلى ملء سمائه
وارضه وصاح قمري فاخبر انه يقول سبحان ربي الاعلى وقال الحدأ يقول كل شيء هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والببغاء
تقول ويل لمن الدنيا همه والديك يقول اذكروا الله يا غافلون والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت والعقاب تقول في البعد
من الناس انس والضفدع يقول سبحان ربي القدوس وارادوا بقوله من كل شيء كثرة ما اوتي كما يقول فلان يقصده كل احد
ويعلم كل شيء يريد كثرة قصاده ورجوعه الى غزارة في العلم واستكثاره منه ومثله قوله واوتيت من كل شيء ان هذا لهو الفضل
المبين قول وارد على سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر اي اقول هذا القول شكرا ولا اقوله
فخرا فان قلت كيف قال علمنا واوتينا وهو من كلام المتكبرين قلت فيه وجهان احدهما ان يريد نفسه واباه والثاني
ان هذه النون يقال لها نون الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا فكلم اهل طاعته على صفته وحاله التي كان عليها وليس التكبر من لوازم
ذلك وقد تتعلق بتجمل الملك وتفخمه واظهار آيينه وسياسته مصالح فيعود تكلف ذلك واجبا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يفعل نحوا من ذلك اذا وفد عليه وفد واحتاج ان يرجح في عين عدوه الا ترى كيف امر العباس بان يحبس ابا سفيان حتى تمر عليه الكتائب
روي ان معسكره كان مائة فرسخ في مائة خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش
وكان له الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا في
فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة كرسي من ذهب وفضة فيقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء
على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط
فتسير به مسيرة شهر ويروى انه كان يامر الريح العاصف تحمله ويامر الرخاء تسيره فاوحى الله اليه وهو يسير بين السماء والارض اني قد زدت
في ملكك لا يتكلم احد بشيء الا القته الريح في سمعك فيحكى انه مر بحراث فقال لقد اوتي آل داود ملكا عظيما فالقته الريح في اذنه فنزل ومشى
الى الحراث

الى الحراث وقال انما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله خير مما اوتي آل داود يوزعون يحبس اولهم
على آخرهم اي توقف سلاف العسكر حتى تلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم احد وذلك للكثرة العظيمة قيل هو واد بالشام
كثير النمل فان قلت لم عدي اتوا بعلى قلت يتوجه على معنيين احدهما ان اتيانهم كان من فوق فاتى بحرف الاستعلاء
كما قال ابو الطيب ولشد ما قربت عليك الانجم لما كان قربا من فوق والثاني ان يراد قطع الوادي وبلوغ آخره
من قولهم اتى على الشيء اذا انفده وبلغ آخره كانهم ارادوا ان ينزلوا عند منقطع الوادي لانهم ما دامت الريح تحملهم في الهواء
لا يخاف حطمهم وقرئ نملة يا ايها النمل بضم الميم وبضم النون والميم وكان الاصل النمل بوزن الرجل والنمل الذي عليه
الاستعمال تخفيف عنه كقولهم السبع في السبع قيل كانت تمشي وهي عرجاء تتكاوس فنادت يا ايها النمل الآية فسمع سليمان
من ثلثة اميال وكان اسمها طاخية وعن قتادة انه دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوا عما شئتم وكان
ابو حنيفة رحمه الله حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليمان اكانت ذكرا ام انثى فسالوه فافحم فقال ابو حنيفة
كانت انثى فقيل له من اين عرفت فقال من كتاب الله وهو قوله قالت نملة ولو كان ذكرا لقال قال نملة وذلك ان النملة
مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة انثى وهو وهي وقرئ
مسكنكم ولا يحطمنكم بتخفيف النون وقرئ لا يحطمنكم بفتح الحاء وكسرها واصله لا يحتطمنكم ولما جعلها قائلة والنمل مقولا
لهم كما يكون في اولي العقل اجرى خطابهم مجرى خطابهم فان قلت لا يحطمنكم ما هو قلت يحتمل ان يكون جوابا
للامر وان يكون نهيا بدلا من الامر والذي جوز ان يكون بدلا منه انه في معنى لا تكونوا حيث انتم فيحطمكم على طريقة لا ارينك
ههنا اراد لا يحطمنكم جنود سليمان فجاء بما هو ابلغ ونحوه عجبت من نفسي ومن اشفاقها ومعنى تبسم ضاحكا تبسم شارعا في
الضحك واخذا فيه يعني انه قد تجاوز حد التبسم الى الضحك وكذلك ضحك الانبياء واما ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ضحك حتى بدت نواجذه فالغرض المبالغة في وصف ما وجد منه من الضحك النبوي والا فبدو النواجذ على الحقيقة انما يكون
عند الاستغراب وقرا ابن السميفع ضحكا فان قلت ما اضحكه من قولها قلت شيئان اعجابه بما دل من قولها
على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم وعلى شهرة حاله وحالهم في باب التقوى وذلك قولها وهم لا يشعرون يعني انهم
لو شعروا لم يفعلوا وسروره بما آتاه الله مما لم يؤت احدا من ادراكه بسمعه ما همس به بعض الحكل الذي هو مثل في الصغر
والقلة ومن احاطته بمعناه ولذلك اشتمل دعاؤه على استيزاع الله شكر ما انعم به عليه من ذلك وعلى استيفاقه لزيادة العمل
الصالح والتقوى وحقيقة اوزعني اجعلني ازع شكر نعمتك عندي واكفه وارتبطه لا ينفلت عني حتى لا انفك شاكرا لك
وانما ادرج ذكر والديه لان النعمة على الولد نعمة على الوالدين خصوصا النعمة الراجعة الى الدين فانه اذا كان تقيا نفعهما بدعائه
وشفاعته وبدعاء المؤمنين لهما كلما دعوا له وقالوا رضي الله عنك وعن والديك وروي ان النملة احست بصوت الجنود ولا تعلم
انهم في الهواء فامر سليمان عليه السلام الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة ومعنى وادخلني برحمتك
في عبادك الصالحين واجعلني من اهل الجنة ام هي المنقطعة نظر الى مكان الهدهد فلم يبصره فقال مالي لا اراه على معنى
انه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره وغير ذلك ثم لاح له انه غائب فاضرب عن ذلك واخذ يقول اهو غائب كانه يسال عن
صحة ما لاح له ونحوه قولهم انها لابل ام شاء وذكر من قصة الهدهد ان سليمان حين تم له بناء بيت المقدس تجهز للحج
فوافى الحرم واقام به ما شاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه بخمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين
الف شاة ثم عزم على المسير الى اليمن فخرج من مكة صباحا يؤم سهيلا فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر
فراى ارضا حسناء اعجبته خضرتها فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجدوا الماء وكان الهدهد قناقنه وكان يرى الماء من تحت

الارض كما يرى الماء في الزجاجة فيجيء الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الاهاب ويستخرجون الماء فتفقده لذلك فحين نزل سليمن
حلق الهدهد فرأى هدهدا واقعا فانحط اليه فوصف له ملك سليمان وما سخر له من كل شيء وذكر له صاحبه ملك بلقيس وان
تحت يدها اثنا عشر الف قائد تحت كل قائد مائة الف وذهب معه لينظر فما رجع الا بعد العصر وذكر انه وقعت نفحة من الشمس
على راس سليمان فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو
العقاب علي به فارتفعت فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله وقال بحق الله الذي قواك واقدرك علي الا رحمتني
فتركته وقالت ثكلتك امك ان نبي الله قد حلف ليعذبنك قال وما استثنى قال بلى او ليأتيني بعذر مبين فلما قرب من سليمن
ارخى ذنبه وجناحيه يجرها على الارض تواضعا له فلما دنا منه اخذ راسه فمده اليه فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله
فارتعد سليمن وعفا عنه ثم سأله تعذيبه ان يؤدب بما احتمله لاجله ليعتبر به ابناء جنسه وقيل كان عذاب سليمن للطير ان ينتف
ريشه ويشمسه وقيل ان يطلى بالقطران ويشمس وقيل ان يلقى للنمل يأكله وقيل ايداعه القفص وقيل التفريق بينه وبين الفه
وقيل لالزمنه صحبة الاضداد وعن بعضهم اضيق السجون معاشرة الاضداد وقيل لالزمنه خدمة اقرانه فان قلت من اين حل
له تعذيب الهدهد قلت يجوز ان يبيح الله له ذلك لما راى فيه من المصلحة والمنفعة كما اباح ذبح البهائم والطيور للاكل وغيره
من المنافع واذا سخر له الطير ولم يتم التسخير من اجله الا بالتاديب والسياسة جاز ان يباح له ما يستصلح به وقرئ ليأتيني وليأتينن
والسلطان الحجة والعذر فان قلت قد حلف على احد ثلثة اشياء فحلفه على فعليه لا مقال فيه ولكن كيف صح حلفه على فعل
الهدهد ومن اين درى انه ياتي بسلطان حتى يقول والله ليأتيني بسلطان قلت لما نظم الثلاثة باو في الحكم الذي هو الحلف
آل كلامه الى قولك ليكونن احد الامور يعني ان كان الاتيان بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وان لم يكن كان احدهما وليس في هذا
ادعاء دراية على انه يجوز ان يتعقب حلفه بالفعلين وحي من الله بانه سياتيه بسلطان مبين فثلث بقوله او ليأتيني بسلطان
مبين عن دراية وايقان فمكث قرئ بفتح الكاف وضمها غير بعيد غير زمان بعيد كقوله عن قريب ووصف مكثه بقصر المدة
للدلالة على اسراعه خوفا من سليمن وليعلم كيف كان الطير مسخرا له ولبيان ما اعطي من المعجزة الدالة على نبوته وعلى قدرة الله
تعالى احطت بادغام الطاء في التاء باطباق وبغير اطباق الهم الله الهدهد فكافح سليمن بهذا الكلام على ما اوتي من فضل النبوة
والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له في علمه وتنبيها على ان في ادنى خلقه واضعفه من احاط بما لم يحط به
لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر اليه علمه ويكون لطفا له في ترك الاعجاب الذي هو فتنة العلماء واعظم بها فتنة والاحاطة بالشيء علما
ان يعلم من جميع جهاته لا يخفى منه معلوم قالوا وفيه دليل على بطلان قول الرافضة ان الامام لا يخفى عليه شيء ولا يكون في زمانه
احد اعلم منه سبا قرئ بالصرف ومنعه وقد روي بسكون الباء وعن ابن كثير في رواية سبا بالالف كقولهم ذهبوا ايدي سبا
وهو سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان فمن جعله اسما للقبيلة لم يصرف ومن جعله اسما للحي او الاب الاكبر صرف قال
من سبا الحاضرين مارب اذ يبنون من دون سيله العرما وقال الواردون وتيم في ذرى سباء قد عض اعناقهم جلد الجواميس
ثم سميت مارب بسبا وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلث كما سميت معافر بمعافر بن اد ويحتمل ان يراد المدينة والقوم والنبا
الخبر الذي له شان وقوله من سبا بنبا من جنس الكلام الذي يتعلق باللفظ بشرط ان يجي مطبوعا او يصنعه عالم بجوهر الكلام
يحفظ معه صحة المعنى وسداده ولقد جاء هنا زائدا على الصحة فحسن وبدع لفظا ومعنى الا ترى انه لو وضع مكان بنبا بخبر
لكان المعنى صحيحا وهو كما جاء اصح لما في النبا من الزيادة التي يطابقها وصف الحال المراة بلقيس بنت شراحيل وكان ابوها ملك
ارض اليمن كلها وقد ولده اربعون ملكا ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك وكانت هي وقومها مجوسا يعبدون الشمس
والضمير في تملكهم راجع الى سبا فان اريد به القوم فالامر ظاهر وان اريدت المدينة فمعناه تملك اهلها وقيل في وصف عرشها كان

ثمانين ذراعا في ثمانين وسمكه ثمانين وقيل ثلاثين فكان ثمانين وكان من ذهب وفضة مكللا بانواع الجواهر وكانت قوائمه من ياقوت
احمر واخضر ودر وزمرد وعليه سبعة ابيات على كل بيت باب مغلق فان قلت كيف استعظم عرشها مع ما كان يرى من ملك
سليمن قلت يجوز ان يستصغر حالها الى حال سليمن فاستعظم لها ذلك العرش ويجوز ان لا يكون لسليمن مثله وان عظمت مملكته
في كل شيء كما يكون لبعض امراء الاطراف شيء لا يكون مثله للملك الذي يملك عليهم امرهم ويستخدمهم ومن نوكى القصاص من يقف
على قوله ولها عرش ثم يبتدئ عظيم وجدتها يريد امر عظيم ان وجدتها وقومها يسجدون للشمس فر من استعظام الهدهد
عرشها فوقع في عظيمة وهي مسخ كتاب الله تعالى فان قلت فكيف قال واوتيت من كل شيء مع قول سليمن واوتينا من كل شيء
كانه سوى بينهما قلت بينهما فرق بين لان سليمن عطف قوله على ما هو معجزة من الله وهو تعليم منطق الطير فرجع اولا الى ما اوتي
من النبوة والحكمة واسباب الدين ثم الى الملك واسباب الدنيا وعطفه الهدهد على الملك فلم يرد الا ما اوتيت من اسباب الدنيا اللائقة
بحالها فبين الكلامين بون بعيد فان قلت كيف خفي على سليمان مكانها وكانت المسافة بين محطه وبين بلدها قريبة وهي
مسيرة ثلث بين صنعاء ومارب قلت لعل الله عز وجل اخفى عنه ذلك لمصلحة راها كما اخفى مكان يوسف على يعقوب فان قلت
من اين للهدهد التهدي الى معرفة الله ووجوب السجود له وانكار سجودهم للشمس واضافته الى الشيطان وتزيينه قلت لا يبعد ان الهمه الله
ذلك كما الهمه وغيره من الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التي لا يكاد العقلاء الرجاح العقول يهتدون لها ومن اراد استقراء
ذلك فعليه بكتاب الحيوان خصوصا في زمن نبي سخرت له الطيور وعلم منطقها وجعل ذلك معجزة له من قرا بالتشديد اراد فصدهم عن
السبيل لئلا يسجدوا فحذف الجار مع ان ويجوز ان تكون لا مزيدة ويكون المعنى فهم لا يهتدون الى ان يسجدوا ومن قرا بالتخفيف فهو
الا يا اسجدوا الا للتنبيه ويا حرف النداء ومناداه محذوف كما حذفه من قال الا يا اسلمي يا دارمي على البلى وفي حرف عبد الله وهي قراءة الاعمش
هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء وعن عبد الله هلا تسجدون بمعنى الا تسجدون على الخطاب وفي قراءة ابي الا تسجدون لله الذي يخرج
الخبء من السماء والارض ويعلم سركم وما تعلنون وسمي المخبوء بالمصدر وهو النبات والمطر وغيرهما مما خباه عز وعلا
من غيوبه وقرئ الخب على تخفيف الهمزة بالحذف والخبا على تخفيفها بالقلب وهي قراءة ابن مسعود ومالك بن دينار ووجهها ان تخرج
على لغة من يقول في الوقف هذا الخبو ورايت الخبا ومررت بالخبي اجري الوصل مجرى الوقف لا على لغة من يقول الكماة والحماة
لانها ضعيفة مسترذلة وقرئ تخفون وتعلنون بالياء والتاء وقيل من احطت الى العظيم هو كلام الهدهد وقيل كلام رب العزة
وفي اخراج الخبء امارة على انه من كلام الهدهد لهندسته ومعرفته الماء تحت الارض وذلك بالهام من يخرج الخبء في السموات والارض
جلت قدرته ولطف علمه ولا يكاد يخفى على ذي الفراسة النظار بنور الله مخايل كل مختص بصناعة او فن من العلم في روائه ومنطقه وشمائله
ولهذا ما عمل عبد لله الا القى الله عليه رداء عمله فان قلت اسجدة التلاوة واجبة في القراءتين جميعا ام في احداهما قلت هي واجبة
فيهما جميعا لان مواضع السجدة اما امر بها او مدح لمن اتى بها او ذم لمن تركها واحدى القراءتين امر بالسجود والاخرى ذم للتارك وقد اتفق ابو حنيفة
والشافعي رحمهما الله على ان سجدات القران اربع عشرة وانما اختلفا في سجدة ص فهي عند ابي حنيفة سجدة تلاوة وعند الشافعي سجدة شكر وفي سجدتي
سورة الحج وما ذكره الزجاج من وجوب السجدة مع التخفيف دون التشديد فغير مرجوع اليه فان قلت هل يفرق الواقف بين القراءتين قلت نعم
اذا خفف وقف على فهم لا يهتدون ثم ابتدأ الا يا اسجدوا وان شاء وقف على الا يا ثم ابتدأ اسجدوا واذا شدد لم يقف الا على العرش العظيم فان قلت
كيف سوى الهدهد بين عرش بلقيس وعرش الله في الوصف بالعظم قلت بين الوصفين بون عظيم لان وصف عرشها بالعظم تعظيم له
بالنسبة الى سائر ما خلق من السموات والارض وقرئ العظيم سننظر من النظر الذي هو التامل والتصفح واراد اصدقت ام كذبت الا ان
كنت من الكاذبين ابلغ لانه اذا كان معروفا بالانخراط في سلك الكاذبين كان كاذبا لا محالة واذا كان كاذبا اتهم بالكذب فيما اخبر به فلم يوثق به تول
عنهم تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه ليكون ما يقولونه بمسمع منك ويرجعون من قوله تعالى يرجع بعضهم الى بعض القول فيقال دخل عليها من كوة

فالقه الكتاب اليها وتوارى في الكوة فان قلت لم قال فالقه اليهم على لفظ الجمع قلت لانه قال وجدتها وقومها يسجدون
للشمس فقال فالقه الى الذين هذا دينهم اهتماما منه بامر الدين واشتغالا به عن غيره وبنى الخطاب في الكتاب على لفظ الجمع لذلك
كريم حسن مضمونه وما فيه او وصفته بالكرم لانه من عند ملك كريم او مختوم قال عليه السلام كرم الكتاب ختمه وكان عليه السلام يكتب
الى العجم فقيل له انهم لا يقبلون الا كتابا عليه خاتم فاصطنع خاتما وعن ابن المقفع من كتب الى اخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به وقيل
مصدر بسم الله الرحمن الرحيم هو استئناف وتبيين لما القي اليها كانها لما قالت اني القي الي كتاب كريم قيل لها ممن هو وما هو فقالت
انه من سليمن وانه كيت وكيت وقرأ عبد الله وانه من سليمان وانه عطفا على اني وقرئ انه من سليمن وانه بالفتح على انه بدل
من كتاب كانه قيل القي الي انه من سليمان ويجوز ان يريد لانه من سليمان ولانه كانها عللت كرمه بكونه من سليمن وتصديره باسم الله
وقرأ ابي ان من سليمن وان بسم الله على ان المفسرة وان في ان لا تعلوا مفسرة ايضا لا تعلوا لا تتكبروا كما يفعل الملوك وقرأ ابن
عباس بالغين معجمة من الغلو وهو مجاوزة الحد روي ان نسخة الكتاب من عبد الله سليمن بن داود الى بلقيس ملكة سبا السلام على من
اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا علي واتوني مسلمين وكانت كتب الانبياء جملا لا يطيلون ولا يكثرون وطبع الكتاب بالمسك وختمه بخاتمه
في قصرها تكاذيب وكانت اذا رقدت غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت راسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها
نقدها فانتبهت فزعة وقيل اتاها والقادة والجنود حواليها فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت راسها
بحجرها وكانت قارئة كاتبة عربية من نسل تبع بن شراحيل الحميري فلما رات الخاتم ارتعدت وخضعت وقالت لقومها ما قالت
منقادين او مؤمنين الفتوى الجواب في الحادثة اشتقت على طريق الاستعارة من الفتاء في السن والمراد بالفتوى ههنا الاشارة عليها
بما عندهم فيما حدث لها من الراي والتدبير وقصدت بالانقطاع اليهم والرجوع الى استشارتهم واستطلاع آرائهم استعطافهم وتطييب نفوسهم ليمالؤوها
ويقوموا معها قاطعة امرا فاصلة وفي قراءة ابن مسعود قاضية اي لا ابت امرا الا بمحضركم وقيل كان اهل مشورتها ثلثمائة وثلثة عشر رجلا كل
واحد على عشرة آلاف اراد بالقوة قوة الاجساد وقوة الآلات والعدد وبالبأس النجدة والبلاء في الحرب والامر اليك اي هو موكول
اليك ونحن مطيعون لك فمرينا بامرك نطعك ولا نخالفك كانهم اشاروا عليها بالقتال او ارادوا نحن من ابناء الحرب لا من ابناء الراي
والمشورة وانت ذات الراي والتدبير فانظري ماذا ترين نتبع رايك لما احست منهم الميل الى المحاربة رات من الراي الميل الى الصلح
والابتداء بما هو احسن ورتبت الجواب فزيفت اولا ما ذكروه واراتهم الخطأ فيه بان الملوك اذا دخلوا قرية عنوة وقهرا افسدوها
اي خربوها ومن ثم قالوا للفساد الخربة واذلوا اعزتها واهانوا اشرافها وقتلوا واسروا فذكرت لهم عاقبة الحرب وسوء مغبتها
ثم قالت وكذلك يفعلون ارادت وهذه عادتهم المستمرة الثابتة التي لا تتغير لانها كانت في بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورات
ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهدية وما رات من الراي السديد وقيل هو تصديق من الله لقولها وقد يتعلق الساعون في الارض بالفساد
بهذه الآية ويجعلونها حجة لانفسهم ومن استباح حراما فقد كفر فاذا احتج له بالقرآن على وجه التحريف فقد جمع بين كفرين
مرسلة اليهم بهدية اي مرسلة رسلا بهدية اصانعه بها عن ملكي فناظرة ما يكون منه حتى اعمل على حسب ذلك فروي
انها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن الاساور والاطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة بالديباج محلاة
اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في زي الغلمان والف لبنة من ذهب وفضة وتاجا
مكللا بالدر والياقوت المرتفع والمسك والعنبر وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلين من اشراف
قومها المنذر بن عمرو وآخر ذا راي وعقل وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في
الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك وان رايته بشا لطيفا فهو نبي فاقبل الهدهد فاخبر
سليمان فامر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا

شرفه من الذهب والفضة وامر باحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن وامر باولاد
الجن وهم خلق كثير فاقيموا عن اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والانس
صفوفا فراسخ والوحش والسباع والطيور كذلك فلما دنا القوم ونظروا بهتوا وراوا الدواب تروث على اللبن فتقاصرت اليهم نفوسهم
ورموا بما معهم ولما وقفوا بين يديه نظر اليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم وقال اين الحق واخبر جبريل بما فيه فقال لهم ان فيه كذا وكذا ثم امر الارضة
فاخذت شعرة ونفذت فيها فجعل رزقها في الشجرة واخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت فيها فجعل رزقها في الفواكه ودعا بالماء فكانت
الجارية تاخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما ياخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وقال للمنذر ارجع اليهم
فقالت هو نبي وما لنا به طاقة فشخصت اليه في اثني عشر الف قيل تحت كل قيل الوف وفي قراءة ابن مسعود فلما جاؤا سليمن وقرئ
اتمدونن بالياء والاكتفاء بالكسر وبالادغام كقوله اتحاجوني وبنون واحدة اتمدوني الهدية اسم المهدى كما ان العطية اسم المعطى فتضاف
الى المهدي والمهدى كما تقول هذه هدية فلان تريد هي التي اهداها او اهديت اليه والمضاف اليه ههنا هو المهدى اليه والمعنى ان ما عندي
خير مما عندكم وذلك ان الله اتاني الدين الذي فيه الحظ الاوفر والغنى الاوسع واتاني من الدنيا ما لا يستزاد عليه فكيف يرضى مثلي بان يمد
بمال ويصانع به بل انتم قوم لا تعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا فلذلك تفرحون بما تزادون ويهدى اليكم لان ذلك مبلغ همتكم وحالي خلاف
حالكم وما ارضى منكم بشيء ولا افرح به الا بالايمان وترك المجوسية فان قلت ما الفرق بين قولك اتمدني بمال وانا اغنى منك
وبين ان تقوله بالفاء قلت اذا قلته بالواو فقد جعلت مخاطبي عالما بزيادتي عليه في الغنى واليسار وهو مع ذلك يمدني بالمال
واذا قلته بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عليه حالي فانا اخبره الساعة بما لا احتاج معه الى امداده كاني اقول له انكر عليك ما فعلت
فاني غني عنه وعليه ورد قوله فما آتاني الله فان قلت فما وجه الاضراب قلت لما انكر عليهم الامداد وعلل انكاره
اضرب عن ذلك الى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو انهم لا يعرفون سبب رضا ولا فرح الا ان يهدى اليهم حظ من الدنيا التي لا يعلمون
غيرها ويجوز ان تجعل الهدية مضافة الى المهدي ويكون المعنى بل انتم بهديتكم هذه التي اهديتموها تفرحون فرح افتخار على
الملوك بانكم قدرتم على اهداء مثلها ويحتمل ان يكون عبارة عن الرد كانه قال بل انتم من حقكم ان تاخذوا هديتكم وتفرحوا بها ارجع
خطاب للرسول وقيل للهدهد محملا كتابا آخر لا قبل لا طاقة وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة اي لا يقدرون ان يقابلوهم
وقرأ ابن مسعود لا قبل لهم بهم والضمير في منها لسبا والذل ان يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك والصغار ان يقعوا في
اسر واستعباد ولا يقتصر بهم على ان يرجعوا سوقة بعد ان كانوا ملوكا يروى انها امرت عند خروجها الى سليمن عليه السلام فجعل عرشها
في آخر سبعة ابيات بعضها في بعض في آخر قصر من قصور سبعة لها وغلقت الابواب ووكلت به حرسا يحفظونه ولعله اوحي الى سليمن
عليه السلام باستيثاقها من عرشها فاراد ان يغرب عليها ويريها بذلك بعض ما خصه الله به من اجراء العجائب على يده مع اطلاعها على
عظيم قدرة الله على ما يشهد لنبوة سليمن عليه السلام ويصدقها وعن قتادة اراد ان ياخذه قبل ان تسلم لعلمه انها اذا اسلمت
لم يحل له اخذ مالها وقيل اراد ان يؤتى به فينكر ويغير ثم ينظر اتثبته ام تنكره اختبارا لعقلها وقرئ عفرية والعفر
والعفريت والعفرية والعفراة والعفارية من الرجال الخبيث المنكر الذي يعفر اقرانه ومن الشياطين الخبيث المارد
وقالوا كان اسمه ذكوان لقوي على حمله امين آتي به كما هو لا اختزل منه شيئا ولا ابدله الذي عنده علم من الكتاب رجل كان عنده
اسم الله الاعظم وهو يا حي يا قيوم وقيل يا الهنا واله كل شيء الها واحدا لا اله الا انت وقيل يا ذا الجلال والاكرام وعن الحسن الله الرحمن
وقيل آصف بن برخيا كاتب سليمن وكان صديقا عالما وقيل اسمه اسطوم وقيل جبريل وقيل ملك ايد الله به سليمان وقيل هو
سليمن نفسه كانه استبطا العفريت فقال له انا اريك ما هو اسرع مما تقول وعن ابن لهيعة بلغني انه الخضر عليه السلام علم
من الكتاب المنزل وهو علم الوحي والشرائع وقيل هو اللوح والذي عنده علم منه جبريل وآيتك المؤمنين يجوز ان يكون

فعلا او اسم فاعل الطرف تحريكك اجفانك اذا نظرت فوضع موضع النظر ولما كان الناظر موصوفا بارسال الطرف في نحو قوله
وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر وصف برد الطرف ووصف الطرف بالارتداد ومعنى قوله قبل ان
يرتد اليك طرفك انك ترسل طرفك الى شيء فقبل ان ترده ابصرت العرش بين يديك وروي ان آصف قال لسليمن عليه السلم
مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمن ودعا آصف فغار العرش في مكانه ثم نبع عند مجلس سليمن ع م
بقدرة الله قبل ان يرتد طرفه ويجوز ان يكون هذا مثلا لاستقصار مدة المجيء به كما تقول لصاحبك افعل ذلك في لحظة وفي ردة طرف
والتفت ترني وما اشبه ذلك تريد السرعة يشكر لنفسه لانه يحط به عنها عبء الواجب ويصونها عن سمة الكفران وترتبط
به النعمة ويستجلب المزيد وقيل الشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة وفي كلام بعض المتقدمين ان كفران
النعمة بوار وقلما اقشعت نافرة فرجعت في نصابها فاستدع شاردها بالشكر واستدم راهنها بكرم الجوار
ستر الله متقلص عما قريب اذا انت لم ترج لله وقارا غني كريم بالانعام على من يكفر نعمته والذي
عند رؤية العرش شاكرا المؤمنة جريا على شاكلة ابناء جنسه من انبياء الله والمخلصين من عباده يتلقون النعمة القادمة
بالشكر كما يشيعون النعمة المودعة بجميل الصبر نكروا اجعلوه متنكرا متغيرا عن هيئته وشكله كما يتنكر الرجل
للناس لئلا يعرفوه قالوا وسعوه وجعلوا مقدمه مؤخره واعلاه اسفله وقرئ ننظر بالجزم على الجواب وبالرفع على
الاستئناف اتهتدي لمعرفته او للجواب الصواب اذا سئلت عنه او للدين والايمان بنبوة سليمن اذا رأت تلك المعجزة البينة من تقدم
عرشها وقد خلفته واغلقت عليه الابواب ونصبت عليه الحراس هكذا ثلث كلمات حرف التنبيه وكاف التشبيه واسم الاشارة
لم يقل اهذا عرشك لئلا يكون تلقينا فقالت كانه هو ولم تقل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع في المحتمل
واوتينا العلم من كلام سليمن وملائه فان قلت علام عطف هذا الكلام وبم اتصل قلت لما كان المقام الذي سئلت فيه عن
عرشها واجابت بما اجابت به مقاما اجرى فيه سليمن وملاؤه ما يناسب قولهم واوتينا العلم نحو ان يقولوا عند قولها كانه هو قد اصابت
في جوابها وطبقت المفصل وهي عاقلة لبيبة وقد رزقت الاسلام وعلمت قدرة الله وصحة النبوة بالآيات التي تقدمت عند وفدة
المنذر وبهذه الآية العجيبة من امر عرشها عطفوا على ذلك قولهم واوتينا نحن العلم بالله وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها ولم نزل
على دين الاسلام شكرا لله على فضلهم عليها وسبقهم الى العلم بالله والاسلام قبلها وصدها عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس ونشوءها بين
ظهراني الكفرة ويجوز ان يكون من كلام بلقيس موصولا بقولها كانه هو والمعنى واوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة
نبوة سليمن قبل هذه المعجزة او قبل هذه الحالة تعني ما تبينت من الآيات عند وفدة المنذر ودخلنا في الاسلام ثم قال
الله تعالى وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه ضلالها عن سواء السبيل وقيل وصدها الله او سليمن عما كانت تعبد بتقدير حذف
الجار وايصال الفعل وقرئ انها بالفتح على انه بدل من فاعل صدها او بمعنى لانها الصرح القصر وقيل صحن الدار وقرأ ابن كثير
ساقيها بالهمز ووجهه انه سمع سؤوقا فاجرى عليه الواحد والممرد المملس وروي ان سليمن قبل قدومها امر فبني له على طريقها قصرا
من زجاج ابيض واجرى من تحته الماء والقى فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير
والجن والانس وانما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لامره وتحققا لنبوته وثباتا على الدين وزعموا ان الجن كرهوا ان
يتزوجها فتفضي اليه باسرارهم لانها كانت بنت جنية وقيل خافوا ان يولد له منها ولد تجتمع له فطنة الجن والانس فيخرجون
من ملك سليمن الى ملك هو اشد وافظع فقالوا له ان في عقلها شيئا وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير
العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها فكشفت عنهما فاذا هي احسن الناس ساقا وقدما الا انها شعراء ثم صرف بصره
وناداها انه صرح ممرد من قوارير وقيل هي السبب في اتخاذ النورة امر بها الشياطين فاتخذوها واستنكحها سليمن واحبها

واقرها

واقرها على ملكها وامر الجن فبنوا لها سيلحين وغمدان وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة ايام وولدت له وقيل
بل زوجها ذا تبع ملك همدان وسلطه على اليمن وامر زوبعة امير جن اليمن ان يطيعه فبنى له المصانع ولم يزل اميرا حتى مات سليمن
ظلمت نفسي تريد بكفرها فيما تقدم وقيل حسبت ان سليمن يغرقها في اللجة فقالت ظلمت نفسي بسوء ظني بسليمان
وقرئ ان اعبدوا على اتباع النون الباء فريقان فريق مؤمن وفريق كافر وقيل اريد بالفريقين صالح وقومه قبل ان
يؤمن منهم احد يختصمون يقول كل فريق الحق معي السيئة العقوبة والحسنة التوبة فان قلت ما معنى استعجالهم بالسيئة
قبل الحسنة وانما يكون ذلك اذا كانتا متوقعتين احداهما قبل الاخرى قلت كانوا يقولون لجهلهم ان العقوبة التي يعدها صالح ان
وقعت على زعمه تبنا حينئذ واستغفرنا مقدرين ان التوبة مقبولة في ذلك الوقت وان لم تقع فلسنا على ما نحن عليه فخاطبهم صالح على حسب
قولهم واعتقادهم ثم قال لهم هلا تستغفرون الله قبل نزول العذاب لعلكم ترحمون تنبيها لهم على الخطأ فيما قالوه
وتجهيلا فيما اعتقدوه كان الرجل يخرج مسافرا فيمر بطائر فيزجره فان مر سانحا تيمن وان مر بارحا تشاءم فلما نسبوا الخير والشر
الى الطائر استعير لما كان سببهما من قدر الله وقسمته او من عمل العبد الذي هو السبب في الرحمة والنقمة ومنه قالوا طائر الله لا طائرك
اي قدر الله الغالب الذي ينسب اليه الخير والشر لا طائرك الذي تتشاءم به وتتيمن فلما قالوا اطيرنا بكم وكانوا قد قحطوا قال طائركم عند الله
اي سببكم الذي يجيء منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته ان شاء رزقكم وان شاء حرمكم ويجوز ان يريد عملكم مكتوب عند الله فمنه
نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وفتنة ومنه قوله طائركم معكم وكل انسان الزمناه طائره في عنقه وقرئ تطيرنا بكم على الاصل ومعنى
تطير به تشاءم به وتطير منه نفر منه تفتنون تختبرون او تعذبون او يفتنكم الشيطان بوسوسته اليكم الطيرة
المدينة الحجر وانما جاء تمييز التسعة بالرهط لانه في معنى الجماعة فكانه قيل تسعة انفس والفرق بين الرهط والنفر ان الرهط
من الثلاثة الى العشرة او من السبعة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة واسماؤهم عن وهب الهذيل بن عبد رب
غنم بن غنم رياب بن مهرج مصدع بن مهرج عمير بن كردبة عاصم بن مخرمة سبيط بن صدقة سمعان بن صفي
قدار بن سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من ابناء اشرافهم ولا يصلحون يعني ان شانهم
الافساد البحت الذي لا يخلط بشيء من الصلاح كما ترى بعض المفسدين قد يندر منه بعض الصلاح تقاسموا يحتمل ان
يكون امرا وخبرا في محل الحال باضمار قد اي قالوا متقاسمين وقرئ تقسموا وقرئ لنبيتنه بالتاء والياء والنون فتقاسموا
مع النون والتاء يصح فيه الوجهان ومع الياء لا يصح فيه الا ان يكون خبرا والتقاسم والتقسم كالتظاهر والتظهر التحالف والبيات
مباغتة العدو ليلا وعن الاسكندر انه اشير عليه بالبيات فقال ليس من آيين الملوك استراق الظفر وقرئ مهلك بفتح
الميم واللام وكسرها من هلك ومهلك بضم الميم من اهلك ويحتمل المصدر والمكان والزمان فان قلت كيف يكونون صادقين
وقد جحدوا ما فعلوا فاتوا بالخبر على خلاف المخبر عنه قلت كانهم اعتقدوا انهم اذا بيتوا صالحا وبيتوا اهله فجمعوا
بين البياتين ثم قالوا ما شهدنا مهلك اهله فذكروا احدهما كانوا صادقين لانهم فعلوا البياتين جميعا لا احدهما وفي هذا دليل قاطع
على ان الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواهيه ولا يخطر ببالهم الا ترى انهم قصدوا قتل نبي الله ولم يرضوا لانفسهم
بان يكونوا كاذبين حتى سووا للصدق في خبرهم حيلة يتفصون بها عن الكذب مكرهم ما اخفوه من تدبير الفتك بصالح واهله
ومكر الله اهلاكهم من حيث لا يشعرون شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة روي انه كان لصالح مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه
فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن اهله قبل الثلاث فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا
الى اهله فقتلناهم فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم اين هم ولم يدروا
ما فعل بقومهم وعذب الله كلا منهم في مكانه ونجى صالحا ومن معه وقيل جاءوا بالليل شاهري سيوفهم وقد ارسل الله الملائكة

ملأ دار صالح ندمغهم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون راميا انا دمرناهم استئناف ومن قرأ بالفتح رفعه بدلا من العاقبة
او خبر مبتدأ محذوف تقديره هي تدميرهم او نصبه على معنى لانا او على انه خبر كان اى كان عاقبة مكرهم الدمار خاوية
حال عمل فيها ما دل عليه تلك وقرأ عيسى بن عمر خاوية بالرفع على خبر المبتدأ المحذوف **واذكر لوطا** اى وارسلنا لوطا
لدلالة ولقد ارسلنا عليه واذ بدل على الاول ظرف على الثاني وانتم تبصرون من بصر القلب اى تعلمون انها
فاحشة لم تسبقوا اليها وان الله انما خلق الانثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الانثى للانثى فهي مضادة لله في حكمته
وحكمه وعلمكم بذلك اعظم لذنوبكم وادخل في القبح والسماجة وفيه دليل على ان القبيح من الله اقبح منه من عباده لانه
اعلم العالمين واحكم الحاكمين او تبصرونها بعضكم من بعض لانهم كانوا في ناديهم يرتكبونها معالنين بها لا يتستر بعضهم من
بعض خلاعة ومجانة وانهماكا في المعصية وكان ابا نواس بنى على مذهبهم قوله وبح باسم من تهوى ودعني من الكنى
فلا خير في اللذات من دونها ستر او تبصرون آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم فان قلت فسرت تبصرون با
لعلم وبعده بل انتم قوم تجهلون فكيف يكونون علماء جهلاء قلت اراد تفعلون فعل الجاهلين بانها فاحشة مع علمكم
بذلك او تجهلون العاقبة او اراد بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا عليها فان قلت تجهلون صفة لقوم والموصوف لفظه لفظ
الغائب فهلا طابقت الصفة الموصوف فقرئ بالياء دون التاء وكذلك بل انتم قوم تفتنون قلت اجتمعت الغيبة والمخاطبة فغلبت
المخاطبة لانها اقوى وارسخ اصلا من الغيبة وقرأ الأعمش جواب قومه بالرفع والمشهور احسن يتطهرون يتنزهون
عن القاذورات كلها فينكرون هذا العمل القذر ويغيظنا انكاركم وعن ابن عباس هو استهزاء **قدرناها** قدرنا كونها
من الغابرين كقوله قدرنا انها لمن الغابرين فالتقدير واقع على الغبور في المعنى امر رسول الله صلى الله عليه ان يتلو هذه الآيات
الناطقة بالبراهين على وحدانيته وقدرته على كل شيء وحكمته وان يستفتح بتحميده والسلام على انبيائه والمصطفين من عباده
وفيه تعليم حسن وتوقيف على ادب جميل وبعث على التيمن بالذكرين والتبرك بهما والاستظهار بمكانهما على قبول ما يلقى الى السامعين
واصغائهم اليه وانزاله من قلوبهم المنزلة التي يبغيها المسمع ولقد توارث العلماء والخطباء والوعاظ كابرا عن كابر هذا
الادب فحمدوا الله وصلوا على رسول الله امام كل علم مفاد وقبل كل عظة وتذكرة وفي مفتتح كل خطبة وتبعهم المترسلون
فاجروا عليه اوائل كتبهم في الفتوح والتهاني وغير ذلك من الحوادث التي لها شأن وقيل هو متصل بما قبله وامر بالتحميد
على الهالكين من كفار الامم والصلاة على الانبياء واشياعهم الناجين وقيل هو خطاب للوط عليه السلام وان يحمد الله على هلاك
كفار قومه ويسلم على من اصطفاه ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم معلوم ان لا خير فيما اشركوه اصلا حتى يوازن
بينه وبين من هو خالق كل خير ومالكه وانما هو الزام لهم وتبكيت وتهكم بحالهم وذلك انهم آثروا عبادة الاصنام على عبادة الله
ولا يؤثر عاقل شيئا على شيء الا لداع يدعوه الى ايثاره من زيادة خير ومنفعة فقيل لهم مع العلم بانه لا خير فيما آثروه وانهم لم يؤثروه
لزيادة الخير ولكن هوى وعبثا لينبهوا على الخطأ المفرط والجهل المورط واضلالهم التمييز ونبذهم المعقول وليعلموا ان
الايثار يجب ان يكون للخير الزائد ونحوه ما حكاه عن فرعون ام انا خير من هذا الذي هو مهين مع علمه انه ليس لموسى مثل
انهاره التي كانت تجري تحته ثم عدد سبحانه الخيرات والمنافع التي هي آثار رحمته وفضله كما عددها في موضع آخر ثم قال هل
من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وقرئ يشركون بالتاء والياء وعن رسول الله صلى الله عليه انه كان اذا قرأها قال بل الله
خير وابقى واجل واكرم فان قلت ما الفرق بين ام وام في اما تشركون وامن خلق قلت تلك متصلة لان المعنى ايهما
خير وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة لما قال الله خير ام الآلهة قال بل امن خلق السموات والارض خير تقريرا لهم بان من قدر
على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شيء وقرأ الأعمش امن بالتخفيف ووجهه ان يجعل بدلا من الله كانه قال امن خلق السموات

والأرض

خير اما تشركون فان قلت اي نكتة في نقل الاخبار عن الغيبة الى التكلم عن ذاته في قوله فانبتنا
قلت تأكيد معنى اختصاص الفعل بذاته والايذان بان انبات الحدائق المختلفة الاصناف والالوان والطعوم والروائح
والاشكال مع حسنها وبهجتها بماء واحد لا يقدر عليه الا هو وحده الا ترى كيف رشح معنى الاختصاص بقوله ما كان لكم
ان تنبتوا شجرها ومعنى الكينونة الانبغاء اراد ان تأتي ذلك محال من غيره وكذلك قوله بل هم بعد الخطاب ابلغ في تخطئة
رأيهم والحديقة البستان عليه حائط من الاحداق وهو الاحاطة وقيل ذات لان المعنى جماعة حدائق ذات بهجة كما تقول
النساء ذهبت والبهجة الحسن لان الناظر يبتهج به أإله مع الله أغيره يقرن به ويجعل شريكا له وقرئ أإلها مع الله بمعنى
اتدعون او اتشركون ولك ان تحقق الهمزتين وتوسط بينهما مدة وتخرج الثانية بين بين يعدلون به غيره او يعدلون عن الحق
الذي هو التوحيد امن جعل وما بعده بدل من امن خلق فكان حكمها حكمه قرارا دحاها وسواها للاستقرار عليها حاجزا
برزخا الضرورة الحالة المحوجة الى اللجاء والاضطرار افتعال منها يقال اضطره الى كذا والفاعل والمفعول مضطر
والمضطر الذي احوجه مرض او فقر او نازلة من نوازل الدهر الى اللجاء والتضرع الى الله وعن ابن عباس هو المجهود
وعن السدي الذي لا حول له ولا قوة وقيل المذنب اذا استغفر فان قلت قد عم المضطرين بقوله يجيب المضطر اذا دعاه
وكم من مضطر يدعو فلا يجاب قلت الاجابة موقوفة على ان يكون المدعو به مصلحة ولهذا لا يحسن دعاء العبد الا شارطا فيه المصلحة
واما المضطر فمتناول للجنس مطلقا يصلح لكله ولبعضه فلا طريق الى الجزم على احدهما الا بدليل وقد قام الدليل على البعض وهو الذي
اجابته مصلحة فبطل التناول على العموم **خلفاء الارض** خلفاء فيها وذلك توارثهم سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن
او اراد بالخلافة الملك والتسلط وقرئ يذكرون بالياء مع الادغام وبالتاء مع الادغام والحذف وما مزيدة اي يذكرون
تذكرا قليلا والمعنى نفي التذكر والقلة تستعمل في معنى النفي يهديكم بالنجوم في السماء والعلامات في الارض اذا جن الليل
عليكم مسافرين في البر والبحر فان قلت كيف قيل لهم ام من يبدأ الخلق ثم يعيده وهم منكرون للاعادة قلت
قد ازيحت علتهم بالتمكين من المعرفة والاقرار فلم يبق لهم عذر في الانكار من السماء الماء ومن الارض النبات
ان كنتم صادقين ان مع الله الها فاين دليلكم عليه فان قلت لم رفع اسم الله والله يتعالى ان يكون ممن في السموات
والارض قلت جاء على لغة بني تميم حيث يقولون ما في الدار احد الا حمار يريدون ما فيها الا حمار كأن احدا لم يذكر
ومنه قوله عشية ما تغني الرماح مكانها ولا النبل الا المشرفي المصمم وقولهم ما اتاني زيد الا عمرو وما اعانه اخوانكم
الا اخوانه فان قلت ما الداعي الى اختيار المذهب التميمي على الحجازي قلت دعت اليه نكتة سرية حيث
اخرج المستثنى مخرج قوله الا اليعافير بعد قوله ليس بها انيس ليؤول المعنى الى قولك ان كان الله ممن في السموات
والارض فهم يعلمون الغيب يعني ان علمهم الغيب في استحالته كاستحالة ان يكون الله منهم كما ان معنى ما في البيت ان كانت
اليعافير انيسا ففيها انيس بتا للقول بخلوها عن الانيس فان قلت هلا زعمت ان الله ممن في السموات والارض كما يقول
المتكلمون الله في كل مكان على معنى ان علمه في الاماكن كلها فكأن ذاته فيها حتى لا تحمله على مذهب بني تميم قلت
يأبى ذلك ان كونه في السموات والارض مجاز وكونهم فيهن حقيقة وارادة المتكلم بعبارة واحدة حقيقة ومجازا غير صحيحة
على ان قولك من في السموات والارض وجمعك بينه وبينهم في اطلاق اسم واحد فيه ايهام تسوية والايهامات مزالة عنه وعن
صفاته الا ترى كيف قال عليه السلام لمن قال ومن يعصهما فقد غوى بئس خطيب القوم انت وعن عائشة رضي الله عنها
من زعم انه يعلم ما في غد فقد اعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وعن بعضهم
اخفى غيبه عن الخلق ولم يطلع عليه احدا لئلا يأمن احد من عبيده مكره وقيل نزلت في المشركين حين سألوا رسول الله عن وقت

الساعة ايان بمعنى متى ولو سمى به لكان فعالا من آن يئين ولانصرف وقرئ إيان بكسر الهمزة فدرى بل
بل تدارك بل ادّرك بل اِدّرك بهمزتين بل آادّرك بالف بينهما بل ادرك بالتخفيف والنقل بل ادّرك بفتح اللام وتشديد
واصله بل أادّرك على الاستفهام بلى أدرك بلى آادّرك ام تدارك ام أدرك فهذه ثنتا عشرة قراءة وادارك اصله
فادغمت التاء في الدال وادّرك افتعل ومعنى ادرك علمهم انتهى وتكامل وادارك تتابع واستحكم وهو على وجهين احدهما
اسباب استحكام العلم وتكامله بان القيمة كائنة لا ريب فيها قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون وذلك قوله
هم في شك منها بل هم منها عمون يريد المشركين ممن في السموات والارض لانهم لما كانوا في جملتهم نسب فعلهم
الى الجميع كما يقال بنو فلان فعلوا كذا وانما فعله ناس منهم فان قلت ان الآية سيقت لاختصاص الله بعلم الغيب وان العباد
لا علم لهم بشيء منه وان وقت بعثهم ونشورهم من جملة الغيب وهم لا يشعرون به فكيف لائم هذا المعنى وصف المشركين با
البعث الكائن مع استحكام اسباب العلم والتمكن من المعرفة قلت لما ذكر ان العباد لا يعلمون الغيب ولا يشعرون
الكائن ووقته الذي يكون فيه وكان هذا بيانا لعجزهم ووصفا لقصور علمهم وصل به ان عندهم عجزا ابلغ منه وهو
لكائن الذي لا بد ان يكون وهو وقت جزاء اعمالهم لا يكون مع ان عندهم اسباب معرفة كونه واستحكام العلم والوجه
انه وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكما بهم كما تقول لاجهل الناس ما اعلمك على سبيل الهزء وذلك حيث شكوا وعموا عن اثباته
الذي الطريق الى علمه مسلوك فضلا ان يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق الى معرفته وفي ادّرك علمهم وادارك وجه آخر وهو ان يكون
معنى انتهى وفني من قولك ادركت الثمرة لان تلك غايتها التي عندها تعدم وقد فسره الحسن باضمحل علمهم وتدارك من تدارك
بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك فان قلت فما وجه قراءة من قرأ بل ادّرك على الاستفهام قلت هو استفهام على وجه الانكار
لادراك علمهم وكذلك من قرأ ام أدرك وام تدارك لانها ام التي بمعنى بل والهمزة فان قلت فمن قرأ بلى أدرك وبلى ادّرك
قلت لما جاء ببلى بعد قوله وما يشعرون كان معناه بلى يشعرون ثم فسر الشعور بقوله ادّرك علمهم في الآخرة على سبيل
التهكم الذي معناه المبالغة في نفي العلم فكانه قال شعورهم بوقت الآخرة انهم لا يعلمون كونها فيرجع الى نفي الشعور على ابلغ ما يكون واما
من قرأ بلى أأدرك على الاستفهام فمعناه بلى يشعرون متى يبعثون ثم انكر علمهم بكونها واذا انكر علمهم بكونها لم يحصل لهم شعور بوقت كونها لان
العلم بوقت الكائن تابع للعلم بكون الكائن في الآخرة في شان الآخرة ومعناها فان قلت هذه الاضرابات الثلاث ما معناها قلت
ما هي الا تنزيل لاحوالهم وصفهم اولا بانهم لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم لا يعلمون ان القيمة كائنة ثم بانهم يخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه والازالة
مستطاعة الا ترى ان من لم يسمع اختلاف المذاهب وتضليل اربابها بعضهم لبعض كان امره اهون ممن سمع بها وهو جاثم لا يتشخص به طلب التمييز
بين الحق والباطل ثم بما هو اسوأ حالا وهو العمى وان يكون مثل البهيمة قد عكف همه على بطنه وفرجه لا يخطر بباله حقا ولا باطلا ولا يفكر
في عاقبة وقد جعل الآخرة مبدأ عماهم ومنشأه فلذلك عداه بمن دون عن لان الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذي جعلهم كالبهائم لا يتدبرون
ولا يتبصرون العامل في اذا ما دل عليه ائنا لمخرجون وهو نخرج لان بين يدي عمل اسم الفاعل فيه عقابا وهي همزة الاستفهام
وان واللام الابتداء وواحدة منها كافية فكيف اذا اجتمعن والمراد الاخراج من الارض او من حال الفناء الى الحياة وتكرير حرف الاستفهام
بادخاله على اذا وان جميعا انكار على انكار وجحود عقيب جحود ودليل على كفر مؤكد مبالغ فيه والضمير في انا لهم ولآبائهم لان كونهم ترابا
قد تناولهم وآباءهم فان قلت قدم في هذه الآية هذا على نحن وآباؤنا وفي آية اخرى قدم نحن وآباؤنا على هذا قلت
ان المقدم هو الغرض المتعمد بالذكر وان الكلام انما سيق لاجله ففي احدى الآيتين دل على ان اتخاذ البعث هو الذي تعمد بالكلام وفي
الاخرى على ان اتخاذ المبعوث بذلك الصدد لم يلحق علامة التانيث بفعل العاقبة لان تانيثها غير حقيقي ولان المعنى كيف كان آخر امرهم
واراد بالمجرمين الكافرين وانما عبر عن الكفر بلفظ الاجرام ليكون لطفا للمسلمين في ترك الجرائم وتخوف عاقبتها الا ترى الى قوله فدمدم عليهم ربهم

بزعمهم

بزعمهم وقوله سيحيطانهم اعرضوا ولا تحزن عليهم لانهم لم يتبعوك ولم يسلموا فيسلموا وهم قومه قريش كقوله لعلك باخع
نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا في ضيق في حرج صدر من مكرهم وكيدهم لك ولا تبال بذلك فان الله
يعصمك من الناس يقال ضاق الشيء ضيقا وضيقا بالفتح والكسر وقد قرئ بهما والضيق ايضا تخفيف الضيّق قال الله تعالى ضيقا
[illegible] حرجا وسفعلا يجوز ان يراد في امر ضيق من مكرهم استعجلوا العذاب الموعود فقيل لهم عسى ان يكون
ردف لكم بعضه وهو عذاب يوم بدر فزيدت اللام للتاكيد كالباء في ولا تلقوا بايديكم او ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم وازف
لكم ومعناه تبعكم ولحقكم وقد عدي بمن قالت فلما ردفنا من عمير وصحبه تولوا سراعا والمنية تعنق يعني دنونا من عمير
وقرأ الاعرج ردف لكم بوزن ذهب وهما لغتان والكسر افصح وعسى ولعل وسوف في وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق
[illegible] وجدهم ومالا مجال للشك بعده وانما يعنون بذلك اظهار وقارهم وانهم لا يعجلون بالانتقام لادلالهم بقهرهم وغلبتهم ووثوقهم
[illegible] وانهم لا يفوتهم وان الرمز الى الاغراض كافية من جهتهم فعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده الفضل والفاضلة الافضال
[illegible] افضل من قومه وفضول ومعناه انه متفضل عليهم بتاخير العقوبة وانه لا يعاجلهم بها واكثرهم لا يعرفون حق النعمة فيه
[illegible] ولكنهم بجهلهم يستعجلون وقوع العذاب وهم قريش قرئ تكن يقال كننت الشيء واكننته اذا سترته واخفيته
[illegible] يعلنون وما يعلنون من عداوة رسول الله ومكائدهم وهو معاقبهم على ذلك بما يستوجبونه سمي الشيء الذي يغيب
ويخفى غائبة وخافية فكانت التاء فيهما بمنزلتها في العاقبة والعافية ونظائرهما النطيحة والرمية والذبيحة في انها اسماء غير صفات
ويجوز ان يكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة كالراوية في قولهم ويل للشاعر من راوية السوء كانه قال وما من شيء شديد الغيبوبة والخفاء
الا وقد علمه الله واحاط به واثبته في اللوح المبين الظاهر المبين لمن ينظر فيه من الملائكة قد اختلفوا في المسيح فتحزبوا فيه احزابا
ووقع بينهم التناكر في اشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه لو انصفوا واخذوا به واسلموا يريد اليهود
والنصارى للمؤمنين لمن انصف منهم وآمن اي من بني اسرائيل او منهم ومن غيرهم بينهم بين من آمن بالقرآن ومن كفر به فان
قلت ما معنى يقضي بحكمه ولا يقال زيد يضرب بضربه ويمنع بمنعه قلت معناه بما يحكم به وهو عدله لانه لا يقضي الا بالعدل فسمي
المحكوم به حكما او اراد بحكمته ويدل عليه قراءة من قرأ بحكمه جمع حكمة وهو العزيز فلا يرد قضاؤه العليم بمن يقضي له وبمن يقضي عليه
او العزيز في انتقامه من المبطلين العليم بالفصل بينهم وبين المحقين امره بالتوكل على الله وقلة المبالاة باعداء الدين وعلل التوكل
بانه على الحق الابلج الذي لا يتعلق به الشك والظن وفيه بيان ان صاحب الحق حقيق بالوثوق بصنع الله وبنصرته وان مثله لا يخذل
فان قلت انك لا تسمع الموتى يشبه ان يكون تعليلا آخر للتوكل فما وجه ذلك قلت وجهه ان الامر بالتوكل جعل مسببا عما كان
يغيظ رسول الله من جهة المشركين واهل الكتاب من ترك اتباعه وتشييع ذلك بالعداوة والاذى فلاءم ذلك ان يعلل توكل متوكل مثله
بان اتباعهم امر قد يئس منه فلم يبق الا الاستنصار عليهم لعداوتهم واستكفاء شرورهم واذاهم وشبهوا بالموتى وهم احياء صحاح
الحواس لانهم اذا سمعوا ما يتلى عليهم من آيات الله فكانوا اقماع القول لا تعيه آذانهم وكان سماعهم كلا سماع كانت حالهم لانتفاء
جدوى السماع كحال الموتى الذين فقدوا مصحح السماع وكذلك تشبيههم بالصم الذين ينعق بهم فلا يسمعون وشبهوا بالعمي حيث
يضلون الطريق ولا يقدر احد ان ينزع ذلك عنهم ويجعلهم هداة بصراء الا الله عز وجل فان قلت ما معنى قوله اذا ولوا
مدبرين قلت هو تاكيد لحال الاصم لانه اذا تباعد عن الداعي بان يولي عنه مدبرا كان ابعد عن ادراك صوته وقرئ
ولا يسمع الصم وما انت بهادي العمي على الاصل وتهدي العمي وعن ابن مسعود وما ان تهدي العمي وهدى وعن
الضلال كقولك سقاه عن العيمة اي ابعده عنها بالسقي وابعده عن الضلال بالهدى ان تسمع اي ما يجدي اسماعك
الا على الذين علم الله انهم يؤمنون بآياته اي يصدقون بها فهم مسلمون اي مخلصون من قوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله يعني

جعله ... سمى معنى القول ومؤداه بالقول وهو ما وعدوا به من قيام الساعة والعذاب ووقوعه حصوله والمراد
مشارفة الساعة وظهور اشراطها وحين لا ينفع التوبة **ودابة الارض** الجساسة جاء في الحديث ان طولها ستون ذراعا لا
يدركها طالب ولا يفوتها هارب وروى لها اربع قوائم وزغب وريش وجناحان وعن ابن جريج في صفتها راس ثور وعين
خنزير واذن فيل وقرن ايل وعنق نعامه وصدر اسد ولون نمر وخاصرة هر وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر
بذراع آدم وروى لا تخرج الا راسها وراسها يبلغ عنان السماء او يبلغ السحاب وعن ابى هريرة فيها من كل لون وما بين قرنيها
فرسخ للراكب وعن الحسن لا يتم خروجها الا بعد ثلثة ايام وعن على رضى الله عنه انها تخرج ثلثة ايام والناس ينظرون فلا يخرج
الا ثلثها وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه سئل من اين تخرج الدابة فقال من اعظم المساجد حرمة على الله يعنى المسجد الحرام
وروى انها تخرج ثلث خرجات تخرج باقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج بالبادية ثم تكمن دهرا طويلا فبينا الناس في اعظم
المساجد حرمة واكرمها على الله فما يهولهم الا خروجها من بين الركن حذاء دار بنى مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون
وقوم يقفون نظارة وقيل تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية بلسان ذلق فتقول ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون يعنى
ان الناس كانوا لا يوقنون بخروجى لان خروجها من الآيات وتقول الا لعنة الله على الظالمين وعن السدى تكلمهم ببطلان
الاديان كلها سوى دين الاسلام وعن ابن عمر تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل المشرق ثم الشام ثم اليمن فتفعل مثل
ذلك وروى تخرج من اجياد وروى بينا عيسى عليه السلم يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم تحرك القنديل
وينشق الصفا مما يلى المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمن فتضرب المؤمن في مسجده او فيما بين عينيه بعصا موسى
فتنكت نكتة بيضا فتفشو تلك النكتة في وجهه حتى يضئ لها وجهه او فتترك وجهه كانه كوكب درى وتكتب بين عينيه مؤمن
وتنكت الكافر بالخاتم في انفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر وروى فتجلو وجه المؤمن
بالعصا وتخطم انف الكافر بالخاتم ثم تقول لهم يا فلان انت من اهل الجنة ويا فلان انت من اهل النار وقرى تكلمهم من الكلم
وهو الجرح والمراد به الوسم بالعصا والخاتم ويجوز ان يكون تكلمهم من الكلم ايضا على معنى التكثير يقال فلان مكلم اى مجرح ويجوز ان
يستدل بالتخفيف على ان المراد بالتكليم التجريح كما فسر لنحرقنه بقراءة على لنحرقنه وان يستدل بقراءة ابى تنبئهم وبقراءة
ابن مسعود تكلمهم بان الناس على انه من الكلام والقراءة بان مكسورة حكاية لقول الدابة اما لان الكلام بمعنى القول او باضمار القول
اى تقول الدابة ذلك او هى حكاية لقوله تعالى عند ذلك فان قلت اذا كانت حكاية لقول الدابة فكيف تقول باياتنا قلت قولها حكاية
لقول الله او على معنى بايات ربنا او لاختصاصها بالله واثرتها عنده وانها من خواص خلقه اضافت ايات الله الى نفسها كما يقول بعض خاصة
الملك خيلنا وبلادنا وانما هى خيل مولاه وبلاده ومن قرا بالفتح فعلى حذف الجار اى تكلمهم بان **فهم يوزعون** يحبس اولهم على اخرهم
حتى يجتمعوا فيكبكبوا في النار وهذه عبارة عن كثرة العدد وتباعد اطرافه كما وصفت جنود سليمن بذلك وكذلك قوله فوجا فان الفوج
الجماعة الكثيرة ومنه قوله تعالى يدخلون في دين الله افواجا وعن ابن عباس ابو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون
بين يدى اهل مكة وكذلك يحشر قادة سائر الامم بين ايديهم الى النار فان قلت اى فرق بين من الاولى والثانية قلت
الاولى للتبعيض والثانية للتبيين كقوله من الاوثان الواو للحال كانه قال اكذبتم بها بادى الراى من غير فكر ولا نظر يودى الى احاطة العلم بكنهها
وانها حقيقة بالتصديق او بالتكذيب او للعطف اى اجحدتموها ومع جحودكم لم تلقوا اذهانكم لتحققها وتبصرها فان المكتوب اليه قد يجحد
ان يكون الكتاب من عند من كتبه ولا يدع مع ذلك ان يقراه ويتفهم مضامينه ويحيط بمعانيه ام ماذا كنتم تعملون به للتبكيت لا غير
وذلك انهم لم يعملوا الا التكذيب فلا يقدرون ان يكذبوا ويقولوا قد صدقنا بها وليس الا التصديق بها او التكذيب ومثاله ان تقول لراعيك
وقد عرفته راعى سوء اتاكل نعمى ام ماذا تعمل بها فتجعل ما ابتدات به وجعلته اصل كلامك واساسه وهو الذى صح عندك من اكله